

مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

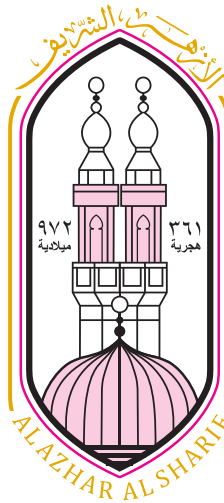
مَجَلَّةُ شَهْرَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

٢٤

المجلد الرابع والعشرون

السنة ١٣٧٢ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبنان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



مَجْلَدُ الزَّهْر

مدير المجلة ورئيس تحريرها المسؤول
أحمد حسن الزيات

العنوان : إدارة الجوامع الأزهرية
بالقاهرة
تليفون : ٤٦٢١٢



بدل الاشتراك
٥٠ في مصر والسودان
٦٠ في أقطار الإسلام
٥ ثمن البحيرة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر ربيع

الجزء الأول - القاهرة في غرة المحرم سنة ١٣٧٢ - ٢١ سبتمبر سنة ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

مجلد ١٤
مجلد ١٤
مجلد ١٤

فهرس

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢	كان ظهور الاسلام قنعا لعالم جديد	٦٢	فضل العرب على فلسفة اليونان
٥	الاستاذ أحمد حسن الزيات	٦٨	للدكتور أحمد فؤاد الأهواني
٩	سر الفوز العظيم في الفتوح الاسلامية	٧٣	تدعيم الاسلام للأسرة
١٥	للدكتور عبد الوهاب عزام	٨١	للدكتور علي عبد الواحد وافي
٢١	من مواقف البطولة الاسلامية في القتال	٨٨	جهود العلماء المسلمين في ميدان العلوم
٢٦	للاستاذ عبد الحميد العبادي	٩٥	للدكتور ابراهيم حلمي عبد الرحمن
٣٠	رأى الاسلام في القتال	١٠٢	خصائص العبارة الاسلامية
٣٧	لفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز	١٠٦	للاستاذ حسن عبد الوهاب
٤٠	طبيعة الفتح الاسلامي	١٠٩	للاستاذ عباس محمود شلتوت
٤٦	للاستاذ سيد قطب	١١٤	للفضيلة الاستاذ محمود شلتوت
٥٠	العقيدة الاسلامية وأثرها في سمو الانسان	١١٨	للاستاذ محمود الحنفيف
٥٥	لفضيلة الاستاذ محمد محمد المدني	١٢٤	الكتب : خطوط فريد
٥٥	الأسس التي قام عليها التشريع الاسلامي	١٣٢	للاستاذ عبد الفتاح السرنجباوي
٥٨	لفضيلة الاستاذ علي الحنفيف	١٣٤	كتب أفريقيا لجامعة طرابلس لعلوم إسلامية شرعية
	للاستاذ الدكتور أحمد أمين		للدكتور عمر حليق
	اليوم أكلت لكم دينكم		للاستاذ عباس محمود شلتوت
	لفضيلة الاستاذ محمود شلتوت		للاستاذ محمود الحنفيف
	جهود الفقهاء في التشريع		
	لفضيلة الاستاذ عبد الوهاب خلاف		
	مقارنة بين شريعة الله وشرائع الانسان		
	للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى		
	الفرآن واقفة		
	للاستاذ عباس محمود المقاد		
	جهود المسلمين في النحو والبلاغة		
	لفضيلة الاستاذ محمد مرفة		

كان ظهور الإسلام مفتاحاً لعالم جديد

العالمية ليلا موصول الظلام بالازل ، مبسوط الهول على الأرض . ومن حقبة إلى حقبة كانت تضيء سماءه الداجية ومضات من عقل الإنسان في طيبة وأثينا ، وأشعة من وحى الله في سيناء وأورشليم . حتى إذا خبا نور العقل بحيوانية الرومان ، وخفت صوت الوحى بمادية اليهود ، أطبق الظلام في كل سماء ، وغشى الضلال على كل أرض ، وسرت قافلة الحياة غوية تخبط في مجاهل البعد ، يسوقها من الشرق الغرب ، ويقودها إلى الغرب الروم . ولم تكن الروم في القرنين السادس والسابع الميلاد إلا دولة منحلة ألح عليها سرف الغنى وترف العيش وفساد العقيدة وتباين المذاهب ، حتى انتهى أمر دينها في بيزنطة إلى خلاف مستحكم في طبيعة المسيح ، وجدل متحكم في صفات هذه الطبيعة . وآل أمر دنياها في رومة إلى استغراق في شهوات الحس ونزوات النفس كفساد كفت من سلطان العقل ، وطأطأت من إشراف الروح . وكان من هذا الدين المسيخ ومن هذه الدنيا الداعرة أن قام في شطرى الإمبراطورية الغاربة نظام من الحكم السفه الفاجر أرقق الأمة بالضرائب ، وأفسد الحكومة بالرشا ، ولوث

نستطيع من غير أن نعضب المؤرخين أن نجعل ظهور الإسلام هو الفارق بين عالم قديم كان يقاسى لهات الموت ، وعالم جديد كان يستهل استهلال الحياة ؛ وأن نطلق الوصف بالجاهلية على العالم القديم كله شرقيه وغربيه ، والوصف بالإسلامية على العالم الجديد كله مسيحية ومحمدية . وما يعزز هذا التقسيم أن الله جل جلاله قد أرسل رسوله محمد بالهدى إلى الناس كافة ، وكانت سنته من قبل أن يرسل من اصطفاه إلى البلد الذى فسد ، والشعب الذى شرد . فلما عمت الجاهالة ، وشاعت الضلالة ، وأوفت الإنسانية ، اقتضت حكمة الخالق أن تكون الرسالة عامة والدعوة شاملة . ومن طبيعة الشريعة العامة أن تكون كاملة لا يتأهلها النقص ، متجددة لا يعترىها البلى ، صالحة لكل نفس ولكل أفق ، حتى يكون فيها لكل داء علاج ، ولكل قوم منهاج ، ولكل مشكلة حل . وتلك هى الخصائص المميزة للشريعة التى انقطع بعدها الوحى ، ولصاحبها الذى اختتمت به الرسل .

* * *

كانت الجاهلية العالمية ، التى سبقت الإسلام

على هذه الحال الآلئمة والفيادة المضلة كانت قافلة الحياة تسرى . ظلام مخيم على الكون كله ! فيه التهاويل التي تفرز كل نفس ، والعراقل التي تصدم كل قدم ، والشياطين التي توسوس هنا بالفتنة ، وتغرى هناك بالإثم ، وتعيث هناك في الدين ، وتستعين دائماً بحواء على إغواء آدم ! وما كان الله - جل شأنه - ليكل ركب الخليفة إلى نفسه ، فيعصمه في هذا التيه وقد قضى عليه أن يقطع مراحل الدنيا ويبلغ غاية الاجل . لذلك أذن - وهو الرؤوف الرحيم - لهذا الليل أن يصبح ، وشاء - وهو الخبير العليم - أن يكون لإسفار صبحه من غار حراء !

هنالك تجلى الله لجبل النور فأشرق الحجاز كله . ونزل الرسول المصطفى من الغار ونور الله يسعى بين يديه ، وصوت الروح الأمين يتردد في أذنيه ، فدعا إلى الإسلام البداة الرعاة الذين اختارهم الله لهداية خلقه ورعاية حقه ، ثم خرج بهم إلى القافلة البشرية وقد شردها الضلال ، وأضناها السكالك ، وأعوزها الهادي الذي يدل ، والهادي الذي يرفه . فرد الشارد ، وألف النافر ، وجمع الشتيت ، وطمان السادرين اليائسين الهلكى بقول ربه : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل للسلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر . وحينئذ بدأ المجاهدون في سبيل الله معارك التطهير والتحرير ، فطهروا النفوس من الرجس ،

المجتمع بالردائل ، وأشعر الناس مذلة الرق ، فعظموا القادة ، وقدسوا السادة ، وألهوا القياصرة ، حتى انحدر السيد والمسود ، والعابد والمعبود ، إلى هوة لا قرار لها إلا العدم .

كذلك لم تكن الفرس في ذلك العصر نفسه إلا حطام دولة وغناء جيل . منيت بما منيت به الروم من تحلل العقد ، وتعفن الأخلاق ، وسطوة الشهوات ، وتفاوت الطبقات ، وطغيان الملوك ، وبطلان الدين . وأربت عليها بنشوء المذاهب المعوجة فيها ، وغلبة الميول الشاذة عليها ، فن (رمزية) زرادشت ، الذي مهد للبعثية الحتماء ، إلى (عدمية) ماني ، الذي حرم الزواج استعجالا للقاء ، إلى (وجودية) مزدك الذي جعل الناس شركة في الأموال والنساء ، إلى حال من الاجتماع العفن والنظام البالي لا يعيش فيهما حر ، ولا يدوم عليهما ملك .

وكان الناس من وراء هاتين الدولتين يعيشون على حال أسوأ من هذه الحال ، وفي درك أسفل من هذا الدرك ؛ فالعرب واليهود قد وصفهم الكتاب العزيز بما لا يباين بعده . والهنود وأهل الصين كانوا من البوذية والبرهمية في وثنية إباحية لا حصر لأصنامها ، ولا حد لأوهامها ، ولا علاج لما ابتلتهم به من أدواء خلقية واجتماعية بعضها يبید عالماً بأسره . أما الشعوب الأوروبية في الشمال والغرب فكانت لا تزال خارج الوجود المتمدن لا تشعر بأحد ، ولا يشعر بها أحد .

عن طريق المغرب والأندلس في فتوح الهلال ،
وقبسوا حضارة المسلمين عن طريق مصر وفلسطين
في غزوات الصليب . ثم كان من أثر الفتح
الإسلامي للقسطنطينية أن انتشر الدين المحمدي
في شرق أوروبا ، وتفرق العلم المسيحي في وسط
القارة ، فكانت حركة (الإحياء) .

وما الإحياء إلا اختلاط الثقافة اللاتينية
التي أطلقها محمد الفاتح من الأديرة والسكناس ،
بالثقافة اليونانية التي بعثها محمد المأمون في المساجد
والمدارس ، ومن هاتين الثقافتين وما خالطهما
من علوم الإسلام وفنون المسلمين كانت هذه
الثقافة الحديثة والحضارة القائمة .

لم تكن الفتوح الإسلامية أذن فتوح استعمار
وجباية ، وإنما كانت فتوح تحرير وهداية .

كانت فتوحا في الأرض للحرية والعمران ،
وفتوحا في العقيدة للتوحيد والإيمان ، وفتوحا في
الشريعة للحق والعقل ، وفتوحا في السياسة للإحسان
والعدل ، وفتوحا في اللغة للأدب والبلاغة ،
وفتوحا في العلم للإحياء والتجديد ، وفتوحا
في الفن للابتكار والظرافة .

وفي المقالات التي ستقرأها في هذا العدد تفصيل
لهذا الإجمال وتدليل على هذه الدعوى .

والله اللطيف بإعباده هو المسئول أن يظهر
دين الحق على الدين كله ؛ فإن الإسلامية هي
الإنسانية ؛ وإن القرآن هو الفرقان ؛ وإن
الإسلام هو السلام ؟

محمد بن الزيات

وحرروا العقول من الشرك ، وثكثوا عرش
قيصر ، وقوّضوا إيوان كسرى ، وشادوا على
أنقاضهما مأذنة بلال ومنبر محمد . ثم طبّقوا في
البلاد المطهرة المحررة شريعة الله التي تسكرم
الإنسان وتعلمن حقوقه ، وتمحو فروقه ، وترفع
شأنه . ثم حلّوا في الشرق والغرب شعلة المعرفة
بما تجمع لهم من وراثته ما مضى من الديانات
والثقافات والحضارات ، وأقبسوها أقواما لم يروا
قبلها النور في ذهن ولا ضمير .

ورثوا ديانات إبراهيم وموسى وعيسى ،
وثقافات اليونان والعبران والهنود ، وحضارات
المصريين والرومانيين والفرس ، ثم أخضعوا
هذا الإرث الضخم لعبقريّة الإسلام ومزنية
الجنس ، فالتقى منه الخبث ، وارتفع الخطأ ،
وانجلى الغموض ، وكل النقص ، وأصبح صالحا
لتغذية العقول ، وتقوية القلوب ، وتنمية المدارك ،
وتكوين مجتمع صحيح قوى حر ، لا يوجهه
إلا الحق ، ولا يحكمه إلا الله .

ثم كان من فضل الله على الناس أن أظهر نوره
في مكان وسط بين قرني الشمس ، ليعشوق على ضوئه
الضالون في الشرق والغرب من المحيط إلى المحيط .

على أن نور الله لم يلبث أن غمر الشرق حتى
بلاد الصين ، وطبق الغرب حتى بلاد الغال .
ومن حرّمه الله نعمة الانتفاع بهدايته وقيادته ،
لم يحرمه فضل الاستمتاع بثقافته وحضارته .
فالمسيحيون والأوربيون قد أخذوا ثقافة العرب

فتوح المجاهدين في سبيل الله

سرا الفوز العظيم في الفتوح الإسلامية

للدكتور عبد الوهاب عزام
مفكر مصر في باكستان

وشريعتهم . وجاء المشركون كأمواج الظلام ،
تدمر كل ظلمة على الأرض ويصلهم كل باطل فيها .
كان العرب المشركون الذين لم يشهدوا الواقعة
أنصار من شهداها من المشركين ؛ ولو استنجدهم
هؤلاء لأبجدهم ، ولو شهدوا لنصروهم . ووراء
مشركي العرب كل دين للشرك ، وكل شريعة
لباطل ، وكل مشوه مبدل من الأديان والشرائع .
فلا حرج على متخيل أن يرى أمم العالم كافة
مددا وراء مشركي قريش يوم بدر ، وأن يبصر
رايات الشرك والظلم والباطل في كل أرجاء
الأرض محشورة بجانب راية قريش يوم بدر .
علم هذا رسول الله حين قال وهو قائم على
هذه الصخور التي تشرف على موضع المعركة
والتي تطل اليوم على الحفرة التي نوى فيها الشهداء -
قال يخاطب ربه الذي أرسله بالهدى ودين الحق :
« اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض
بعد اليوم » . وصدق رسول الله .

٢

وبعد عام سار سواد الكفر إلى المدينة
يفزو هذه العصابة في دارها ، يريد أن يطبق
الشعاع في مصباحه ، يريد أن يسد النهر حيث
ينبع . وكانت وقعة أحد . وكاد السحاب

١

يوم السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من
الهجرة . اجتمع المسلمون ، يقودهم إمامهم ومعلمهم
وقائدهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والمشركون من قريش وألفافهم .

اجتمعوا في سهل غير فسيح ، يعلو على وادي
الصفراء المقبل من الشمال من جهة المدينة ،
ويتصل به الخيف الأخضر الذي تتطلع منه ذرا
التخيل إلى هذا السهل ، وتحذ الطرف فيه أنى
توجه الجبال ، إلا حيث يقبل وادي الصفراء .
ولما حيث يشرف كتيب عظيم من الرمل تجوزه
السابلة إلى الغرب شطر البحر .

ذلكم بدر ، هناك اجتمعت فئة من المسلمين
هي شعاع من الغيب يبشر بالصبح الصادق
تتلوه شمس الضحى ، واجتمعت فئة من المشركين
هي طليعة سواد الكفر في أرجاء الأرض تريد
أن تطبق ظلماتها على هذا الشعاع .

اجتمع المسلمون يحملون في قلوبهم وعلى
السفنتهم وبأيديهم ، توحيداً وطهارة وشريعة
ونظاماً وطاعة . وقابلهم المشركون في موكب
من الوثنية والردائل ، والعنصرية والفوضى .
جاء المسلمون وليس لهم مدد إلا لإيمانهم

المتفرقون . ثبت القطب حين البأس ولم يزل ،
فدارت الرحى على هوازن . فانقلب انتصارهم
هزيمة ، يقول القرآن للمسلمين ، وضائق عليكم
الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، .

٤

وهكذا تابعت الحادثات حتى سير رسول الله
جيشاً إلى أرض الروم ، فكانت بين شرذمة من
العرب وجيش الروم وألفافهم من العرب موقعة
مؤتة . ومتى كانت مؤتة ؟ كانت والروم في أوج
الانتصار والفخار ، كانت حين أتم هرقل هزيمة
الفرس واسترد آسيا الصغرى والشام وتبع
كسرى ابرويز إلى دار ملكه وقضى على كسرى
وجيشه ورد الصليب الكبير إلى بيت المقدس
ولسكن الجند الذين شهدوا مؤتة كانوا يحملون
من الحقائق ما هو أعظم من الروم والفرس
وكل دولة في العالم . فمن ارتاب في هذا فليعلم
أن مؤتة التي هزم فيها المسلمون وتهاقت قوادهم
فيها ، ولدت بعد سبعة أعوام وقعة اليرموك .
ولم يكن المسلمون في اليرموك متصرين يتقدم
بهم خالد إلى فتح بعد فتح ، أعظم من المسلمين
القليلين في مؤتة يتقدمهم خالد لينجو بهم من بأس
الروم . فالحقائق التي حارب بها المسلمون في
مؤتة هي الحقائق التي حارب لها المسلمون في
اليرموك . دعوا الكثرة والقلّة ، والانتصار
والانهزام يا من ترون ظواهر الأمور
ولا تبصرون بواطنها .

٥

ومن أطراف الجزيرة العربية إلى خليج

المتكاثف المظلم يطبق على نجم الصبح المتلألئ .
ثم انقشع الغمام وبقي السكوكب في لآلئه .
وبعد عامين آخرين جاء سواد الشرك والباطل
في جحافل كثيفة لتأخذ المدينة من أقطارها ،
واجتمعت سيول القبائل في مجتمع الأسياال
إلى الشمال والغرب من المدينة ، وسالت على
مواطن أخرى . وخندق المسلمون على أنفسهم
إذ لم تكن لهم طاقة بهذا السيل .

، إذ جاموكم من فوقكم ومن أسفل منكم ،
وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا ، .

والرسول يضرب بمعموله على صخور اعترضت
الخافرين فيقذح ناراً تضيء قصور الأكاسرة
والقيصرة . وصدق رسول الله ، إن الضربات
التي زلزلت العروش من بعد هي نسبية ضربات
المعول في يد إمام المسلمين يوم حفر الخندق .

٣

وفتح المسلمون مكة ، ودخلها إمامهم ساجداً
على رحله . فما كان انتصارهم إلا انتصار الحق
العزیز، والعدل المسلط والرحمة القادرة والأخوة
الجامعة، والعفو الشامل ؛ انتصار الإيمان بالحق
والخير على العبودية للباطل والشر .

وُبعت المسلمون في حنين فهزموا . فلو كان
الامر حرباً وكيداً وخدعة ومباغثة ، وجندا
وسلاحاً ، لهزم العرب المشركون العرب المسلمين
هزيمة ماحقة ، ولكن اجمع تفرق ، والجند فزع
فاندحر ، وثبت الإيمان الذي اجتمع عليه الحشد ،
والحق الذي أطاف به الجند ، ثبت محمد وإيمانه
وديته فانحاز إليه الفارّون ، وأوى إليه

النخل . قلت : ونبت الإيمان والحق والخير ومعان أخرى كثيرة .

٦

انظروا إلى العرب المسلمين يسرون من بلادهم في البر والبحر إلى المشرق والمغرب ، على بعد الشقة ، وضآلة العدد ، وعظم المطلب . يسرون إلى المشرق والمغرب دعاء توحيد وأخوة ، ورسول شريعة عادلة وخلق كريم ، الله ربهم . والناس لإخوانهم ، والأرض كلها ديارهم ، غلبوا ولم يذلوا ، وفتحوا ولم يخربوا ، وتسلطوا فساسوا بالعدل ، وواسوا بالحق ، وخططوا الأمم بعضها ببعض في أخوة الإسلام التي لا تميز بين الأقوام والألوان والأوطان . وذاع في الأرض عدلهم ، وشاعت بين الناس سيرتهم ، فسالم من سالم وحارب من حارب ، قرماً أصحاب شريعة من العدل والرحمة ، دعوتهم الأخوة وسيرتهم مكارم الأخلاق ، قوماً بيوتهم مساجد ورحالهم معابد ، يحاربون على شريعة ، ويسالمون على شريعة .

٧

ما الذي يسر للمسلمين الفتح ، ونشر سلطانهم في المشرق والمغرب في سنين قليلة ؟
الإيمان الذي ملأ قلوبهم في مبدأ سيرهم ونهايته وصحبهم من بدر إلى بلاط الشهداء وحالفهم مشرقين ومغربين وهازمين وممزومين ، والثقة بوعده الله في فتح الأرض ، والسيطرة عليها بالحق والعدل . يسر لهم الإيمان واليقين كل عسير ، وذل لهم كل صعب ، وأصغر كل كبير ، وجمع كلمتهم وقلوبهم على الجهاد في سبيل الله والصبر على

القسطنطينية شطر الشمال وإلى حدود الصين وما وراء نهر السند شطر الشرق ، وإلى بحر الظلمات حيث دفع عقبة فرسه في البحر صائحاً :
« لو علمت وراءك أرضاً لسرت غازياً في سبيل الله ، ثم إلى نهر اللوار في فرنسا وإلى أرجاء أخرى ، سار المسلمون مقاتلين ومصلحين ، يفرقون الجيوش المجتمعة بالقهر على الباطل ، ليجمعوها بالعدل على الحق ، ويلقون الأقوام والألوان ، في أخوة الإسلام .

كانت موقعة بلاط الشهداء سنة أربع عشرة ومائة موقعة امتحن فيها المسلمون وقتل كثير منهم وانتصر شارل مرتل على عبد الرحمن الغافقي . وروى الراون أن الناس لبثوا حقبة يسمعون الأذان ، أذان الشهداء في بلاط الشهداء . لم يسمعوا في الآفاق أو في أنفسهم طبل الحرب ولا صلاصة السيوف ، ولا صياح المحاربين ، ولكنهم سمعوا الأذان شعار التوحيد والإيمان والصلاة والفلاح ذلكم كان مقصد هذه الوقائع وشعارها وسرها وعلايتها .

أكتب هذه الكلمة في « كراجي » من أرض السند ، لست بعيداً من أطلال مدينة « الديبل » ، مدينة الصنم الكبير الذي حطمه المسلمون في السند ، كما حطموا « هبل » في مكة وحطموا كل صنم من الحجر أو البشر بين مكة والديبل وفي أرجاء من الأرض كثيرة .

يقول المسلمون هنا كلما رأوا نخلاً والنخل كثير في أمكنة شتى من هذه البلاد . هذه آثار العرب ، كانوا حينما ساروا أو خيموا نبت

ساروا على الأرض قوانين من قوانين الله ،
وسفنا من سننه لا تعطل ولا يصدها عن
غايتها شيء .

٨

وقال قائلون فضلوا وأضلوا - وكمنيت هذه
الأمة بالمفترين ، يعضون من أقدارها ، ويهونون
من مآثرها - قالوا : طلب القوت والطمع في الغنائم
نشر هؤلاء العرب في أرجاء الأرض . قاس هؤلاء
الدعوة الإسلامية على الاستغلال الذي يسمى
الاستعمار في حضارة هذا العصر . وكل شيء
عندهم قهر وتسلط ، واستغلال ونهب ، وشره
وحرص ، وتفريق بين الناس وعبادة المال
من دون الله .

فقل هؤلاء : إن الإنسان ربما يحارب على
الخبز ولكنه لا يطلب الشهادة في سبيله ، إن
الإنسان يريد أن يظفر بالطعام ليعيش به ، لا أن
يموت في طلبه . فما بال هؤلاء العرب المسلمين
طلبوا الموت حيثما ذهبوا ، وحرقوا العيش
أينما توجهوا .

ما بالهم وقد فتحت لهم مصر ورأوا الخصب
في أرضها ، ورغد العيش على حفاف نيلها ،
جاوزوها إلى صحارى الثوبة وسهوب أفريقية ؟
ما بالهم وقد فتحت لهم الأندلس ورأوا النعيم
المقيم ، جاوزوا جبال البرانس ليستشهدوا
في بلاط الشهداء ؟

ما بالهم وقد دانت لهم فارس ، جاؤا صحارى
مكران إلى السند ، وعبروا نهري جيحون إلى ما وراء
النهر ؟ ما بالهم يتركون النعيم والخير العميم ؟

ما يلقون ، ولفاء الموت راضين مستبشرين .
وكذلك يسر لهم الفتح أنهم ساروا إلى الأمم
على شريعة جامعة ، وقانون محكم ، لا يعتدون
ولا يبعون ، ولا ينقضون العهد ، ولا يخفرون
الذمة « تسكافاً دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .
وأنهم جماعة نظام ، وجند طاعة في السراء
والضراء والشدة والرخاء ، والحرب والسلم .

وأنهم لم يسيروا في الأرض ابتغاء المال والملك
والسلطان والجبروت ، ولكن دعاة دين وشرع
قويم ، وخلق كريم ، ورسل عدل ورحمة وأخوة
ومواساة . شعارهم الآية :

« وأن هذه أمتكم واحدة وأنا ربكم فاعبدن ،
عباد زهاد ، شعارهم الأذان ، وحدائهم القرآن
وما رأى الناس جيوشاً من العباد قبلهم سارت
للدعوة إلى الحق ، وتمكين عدل الله في الأرض .
بهذا طار ذكرهم ، وانتشر صيتهم . لقد
أخرجوا عبادة الله من الصوامع إلى أرض
الله الواسعة .

وأنهم سيطروا فأزالوا سلطان الجبارين عن
الضعفاء والمساكين ، وأمنوا الناس على ما عمله
أيديهم ، وما يناله جدهم وسعيهم ، فاستبشر الزارع
والصانع وأمن التاجر ، وشمّل الناس الأمن مقيمين
وظاعنين ، وبادين وحاضرين ، وعم الرخاء
واستبحر العمران .

وكثير من الأمم انتظروا العرب ليفتحوا
بلادهم ، وينقذوهم من الجبارين المسلمين عليهم
ويشملوهم بما شاع عنهم من العدل والرحمة
والأخوة والمساواة .

من مواقف البطولة الإسلامية في القتال

للمستاذ عبد الحميد العبادي
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فائز

والعجب العاجب أن هذه التقاليد المشنومة استمرت في الغرب الذي يدين بالمسيحية السمحة طوال العصر الوسيط وطلع العصر الحديث ، ولعله لم يخل منها حتى يومنا هذا . ولننثل لذلك بالحروب الصليبية التي ارتكب فيها الصليبيون في مدن الشام عامة وبيت المقدس خاصة من أفاعيل تقشعر لها الأبدان ، وبما صنعه المملوك الكاثوليكيان الأسبانيان فردند ولينزابلا ، بمسلى غرناطة غداة استيلائهم على مدنها صلحا ، من نقض للعهود المؤكدة ، والمواثيق المغلظة . وبالحروب المعروفة في التاريخ الأوروبي الحديث في القرنين السادس عشر والسابع عشر بالحروب

إن من يطلع على تاريخ الحروب التي وقعت بين الفرس والروم في أواخر القرن السادس الميلادي وأوائل السابع ، يرى إلى أي حد كانت هذه الحروب راجعة إلى الشهوات والاهواء الشخصية ، شهوات الأكاسرة تارة والقياصرة أخرى ، وإلى أي حد كان يحدها حب المغنم والسلب والنهب ، وإلى أي حد كان يذكي أوارها حب التشفي والانتقام ، وإلى أي حد كان يصاحبها التخريب والتدمير ، ونقض العهود والمواثيق . الشهوة والغنيمه ، والانتقام ، والتخريب والغدر ، تلك كانت الصفات الغالبة على تلك الحروب التي كادت تترك المشرق والمغرب خرابا يابا .

إن النهر العظيم الذي ينحدر من منبعه إلى منتهاه يسير بالحياة والخصب ولكنه يجرف أرضا ويحمل غثاء ويغرق ناسا ؛ ولكن الله أجراه للحياة والخصب لا ليسير بالكدر والغثاء ، وبذلك الأحياء .

فأعيدوا النظر أيها الضالون ، وأنعموا الفكر لعلمكم تهتدون .

هذا سطر من كتاب ، وموجة من عباب ، والكتاب هو تاريخ الفتح الإسلامي على سعة وطوله ، والعباب هو مجلد العرب المسلمين ، لا يزال يعي الزمان صدها ، ويحلم التاريخ بذكره . فسن عبقرى عادل يفقه التاريخ ويكتب الكتاب ، ويصور في السطور أمواج هذا العباب !

عبد الوهاب عزام

والعزم المقيم في الأرض التي سيطروا عليها ليجوزوا فيافي قاحلة ، ويحاربوا أقواما غلاظا شدادا ، في بلاد تنتظرهم فيها قبورهم ، إن الأمر لأعظم مما توهموا ، وأسنى مما قالوا .

٩

وبعد : فالحرب هي الحرب في كل أرض وكل عصر . فيها قتل وفيها أسر وفيها غلب وسلب . وليس عجيبا أن يفرح المجاهد الذي شرى نفسه في سبيل الله ، بغنيمه ينالها ، وليس بعيدا أن يكون في سواد الجند من تكون الغنيمه همته ، ولكن جيوش المسلمين سارت داعية الى الإسلام مجاهدة في الله ، ترجو الشهادة قبل الغنيمه ، وتنهأ لبوت قبل الطعام .

أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله بعد الإيمان به تعالى وبعد بر الوالدين، وإذا المجاهد له إحدى الحسينين إما الظفر وإما الشهادة ، وإذا الذين يقتلون في سبيل الله غير أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون .

كانت هذه المبادئ جزءاً جوهرياً من تعاليم الدعوة الإسلامية ، اعتنقها المسلمون الأولون وعملوا بها في حروبهم ، فلا غرو أن حفلت هذه الحروب بذكر الأبطال ومواقف البطولة الصحيحة في القتال . ونحن نورد ، فيما يلي ، على سبيل المثال لا الحصر ، بعضاً من صور هذه البطولة ، سواء أكانت بطولة آحاد أم بطولة جيوش وجماعات .

١ - أبطال :

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من العريش يوم بدر فحرض الناس على القتال ، وقال : « والذي نفسي بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » فقال عمر بن حنظل من بني مسيلة ، وفي يده تمرات يأكلهن « يا أبا جحش ! ما بقي بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء القوم » ، ثم قذف بالتمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . وروى أنه عليه السلام يوم أحد أخذ سيفاً فحزه وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه عمر بن الخطاب فقال : أنا أخذه بحقه ، فأعرض عنه . ثم حزه الثانية وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه الزبير بن العوام وقال : أنا أخذه بحقه ، فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما . ثم عرضه الثالثة وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه أبو دجانة ، فقال وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب في العدو حتى ينثني » فأخذه منه ،

الدينية ، وأخيراً بما ارتكب في الحرب العالمية الأخيرة من تدمير كان ختامه إلقاء القنابل الذرية على المدن اليابانية ، مما أودى بالآلاف المؤلفة من اليابانيين ، غدرآ وبغياً وعدواناً .

ولنضرب صفحاً عن وصف الحرب في العصور الوسطى عند القبائل الجرمانية التي قضت على الدولة الرومانية ، وغمرت أوروبا في ظلام دامس طوال ألف سنة تقريباً ، وعند النثر الذين قضوا على الدولة العباسية ودكوا صرح الحضارة الإسلامية في المشرق ، فقد يعتذر عن هؤلاء وهؤلاء بأنهم همج وبرابرة ليست لهم حضارة الفرس ولا نصرانية الروم ولا مدنية أوروبا وأمريكا في القرن العشرين .

ولكن كم لحوادث التاريخ وتصاريفها من أسرار جهد العلماء ولا يزالون يجهدون في الوقوف عليها ! وكم لله من لطف خفي حارت في كنهه الأفهام ! ففي وسط هذه الغياهب المدهمة والظلمات الحالكه ، تبرز شمس الدعوة الإسلامية فإذا الحرب المشروعة هي المنزهة عن شهوة السلطان ، وحب المغنم ، والسمة ، والمبرأة من عوامل الغدر والخيانة والعدوان ، وإذا بها نظام من نظم العمران ، به يكف الظلم ويقمع الطغيان ، ويستأصل الفساد . وقد عبر شوقي عن كل ذلك في قوله مخاطباً الرسول العربي :

والحرب في حق لديك شريعة

ومن السموم النافعات دواء

وإذا بهذه الحرب المشروعة تسمى « جهاداً في سبيل الله » ، أي كفاحاً لإعلاء كلمته بما تشتمل عليه هذه العبارة من معاني العدالة والإصلاح في الأرض وتحقيق المثل العليا . وإذا الجهاد

قتال يذكر ، واجتمعت قريش إليه عند الكعبة معلنة إسلامها ومبايعتها ، فخطبهم فقال : يا معشر قريش ماذا ترون أني فاعل بكم ؟ فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ! ، فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء ! هكذا عامل الرسول هذه القبيلة التي كذبت ، وآذته ، وأخرجته وأصحابه ، وحاربته أكثر من عشرين سنة ! فضرب بذلك أروع مثل للعلم والعفو عند المقدرة .

٣ — طلب الشهادة فلم يعطها :

كان زيد أخو عمر بن الخطاب من قتل في وقعة اليمامة ، إحدى وقائع حرب الردة وذلك سنة ١١ فلما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله ، وكان معهم ، ألا هلكت قبل زيد ؟ هلك زيد وأنت حي ! ألا داريت وجهك عني ؟ فقال عبد الله : سأله زيد الله الشهادة فأعطى ، وجهدت أن تساق إلى فلم أعطها ! ،

٤ — لا نامت أعين الجبناء :

لا شك أن خالد بن الوليد أعظم قائد في الإسلام ومن أعظم قواد العالم على الإطلاق . ولقد سماه الرسول سيفاً من سيوف الله ، وكفى بذلك شرفاً له وتأييها بقدره . ظهرت عبقريته في وقائع مؤتة والردّة وفتوح العراق والشام . ولكن بطولته تظهر فوق ذلك في تواضعه ، فعندما عزله الخليفة عمر بن الخطاب عن التقدم على جيوش الشام لمصلحة ارتأها ، نزل على أمر الخليفة ، وعمل راضياً تحت إمرة أبي عبيدة . وهي تتجلى بوجه أخص في العبرة التي استخلصها من تجاربه وعبر عنها في ألفاظ قلائل قالها عندما حضرته الوفاة ، قال : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية . وهأنذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء .

وأعلم نفسه بعصاة حرم ومشى إلى الحرب ، وجعل يتبختر بين الصغين ، فقال الرسول : إنما لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن ! ودخل أبو دجاجة في الحرب مبتدئاً بالقتال ، فأبلى وأنكى .

وعما استدل به الفقهاء على جواز المبارزة مع التغرير بالنفس ما حدث في حرب الخندق إذ دعا عمرو بن عبدود فارس قريش وخلفاء الخنديد ، إلى البراز أول يوم ، فلم يجبه أحد ثم دعا إلى البراز في اليوم الثاني ، فلم يجبه أحد . ثم دعا إلى البراز في اليوم الثالث ، وجعل يعير المسلمين لأحجامهم عن مبارزته . فقام على بن أبي طالب فاستأذن رسول الله في المبارزة ، فأذن له على ضنه به ، وقال : اخرج يا على في حفظ الله وعباده ! . فخرج فنجاولا وثار عجاجة أخفتهما عن الأبصار ، ثم انجابت عنهما وعلى يمسح سيفه بثوب عمرو وهو قتيل .

٥ — العفو عند المقدرة :

لما نقصت قريش هدنة الحديبية التي كانت بينها وبين الرسول ، عزم الرسول على غزوها وفتح مكة وذلك في رمضان سنة ٨ فخرج من المدينة في عشرة آلاف وبغت قريشا على غير استعداد ، فلم يسع ساداتها وكبرائها إلا أن يبادروا إلى أخذ الأمان لأنفسهم ولبلدهم ، وقد أعطاهم الرسول هذا الأمان بعد أن أسلموا ونهى الجيش عن أن يقتل إلا من قاتله ، وقال في تأييد أهل مكة : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابيه فهو آمن ، ودخل الرسول وجيشه مكة من أقطارها فلم يقع

٥ — قائد محبوب :

كان المثنى بن حارثة الشيباني يقاتل العجم بالعراق على شاطئ الفرات ، فاشتبك مع الفرس في وقعة كبيرة تعرف بوقعة البويب وذلك سنة ١٣ هـ . وكان قد انضم إليه قبيل الوقعة جمع من نصارى تغلب حمية لصله العروبة . وإلى القارىء ما تصف به الرواية هذا القائد وجيشه في ذلك اليوم : « وأقبل الفرس يقودهم قائدهم مهران في ثلاثة صفوف ومع كل صف فيل ولهم زجل ، فقال المثنى للمسلمين : « إن الذي تسمعون فشل ، فالزموا الصمت ! » وطوف المثنى في صفوفه يعهد إليهم ، وهو على فرسه الشموس ، وكان لا يركبه إلا لقتال ، فوقف على الرايات يحرضهم ويهزم بأحسن ما فيهم ، ولكلمهم يقول : « إني لأرجو ألا يؤتى العرب من قبلكم اليوم ، والله ما يسرنى اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم ، فيجبيونه بمثل ذلك . وأنصفهم من نفسه في القول والفعل ، وخط الناس في المحبوب والمكروه ، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا فعلاً . وقال : « إني مكبر ثلاثاً فتهيأوا ، ثم احموا في الرابعة ! » فلما كبر أول تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم ، وركدت خيلهم وحر بهم ملياً ، ورأى المثنى خلا في صفوف بني عجل ، فجعل يمد لحيته لما يرى منهم ، وأرسل إليهم يقول : « الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم ! فقالوا : نعم ! واعتدلوا . فضحك فرحاً .

فلما طال القتال واشتد ، قال المثنى لأنس بن هلال التمرى : « إنك امرؤ عري ، وإن لم تكن على ديننا ، فإذا حملت على مهران فاحمل معي !

فأجابه ، فحمل المثنى على قلب الجيش الفارسى فأزاله ثم أباده ، وقتل مهران ، قتله غلام من تغلب نصراني . فلما رأته مجنبات المسلمين حملوا على مجنبات الفرس ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل إليهم من يذمهم ويقول لهم : « عادتكم في أمثالهم ! انصروا الله ينصركم ! » حتى هزموا الفرس .

ومات أناس من الجرحى ، منهم : مسعود أخو المثنى فصلى عليهم المثنى ، وقال : « والله إنه ليهوّن وجدى عليهم أن شهدوا البويب وأقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكروا .

٦ — العفو عند المقدرة أيضاً :

من أفضح حوادث الحروب وأشنعها ما وقع من الصليبيين في البيت المقدس غداة استيلائهم عليه في سنة ٤٩٢ هـ . أجمعت على ذلك جميع المصادر الإسلامية والصليبية على السواء . فلنورد للقارىء بجملاً لما حدث عند ما فتح صلاح الدين الأيوبي تلك المدينة في سنة ٥٨٣ هـ

فبعد أن دحر صلاح الدين جيش الصليبيين في وقعة حطين سار إلى عسقلان فافتتحها وأخذ يتأهب للزحف منها إلى بيت المقدس . وكان حريصاً على أن يجنب تلك المدينة ويلات الحرب والحصار ، فاستدعى وفدًا من الصليبيين الذين كانوا بها وطلب إليهم تسليم تلك المدينة التي يقدسها المسلمون كما يقدسها الصليبيون ولكنهم صرحوا له بأنهم لن يسلموها طوعاً أبداً . عند ذلك أقسم لهم أنه لن يفتحها إلا بالسيف .

وتقدم صلاح الدين إلى بيت المقدس وأخذ في مهاجمتها ، ونقب أسوارها ، وأوشكت جنوده أن تقتحمها . فلما رأى الصليبيون ذلك أنفذوا

صلاح الدين لشيء مما معه على الرغم من اعتراض أصحابه ، وأنى أن ينقض عهده ولم يأخذ منه غير الدنانير العشرة المقررة . وانقضت الأربعون يوماً ولا يزال في المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لا يملكون فداء . يقول المؤرخ الصليبي « أرنول » ، ولعله كان حاضراً ذلك اليوم المشهود . فتقدم العادل إلى أخيه السلطان صلاح الدين وقال : « سيدى ! لقد أعنتك بحمد الله على فتح هذه البلاد وهذه المدينة وإنى أستوهبك ألفاً من أولئك الأرقاء » ، فأجابهُ السلطان إلى طلبه وعند ذلك أعنتهم العادل من فوره . ثم جاء بليان والبطرك وطلبا مثل الذى طلب العادل فوهبهم صلاح الدين ألف رقيق أطلقوا فى الحال ، وأخيراً يلتفت صلاح الدين إلى أصحابه ويقول : « لقد أدى أخى صدقته ، وكذلك صنع بليان والبطرك ، وقد بقى أن أودى أنا صدقتى . » ثم إنه أمر رجلاً من حرسه أن ينطلقوا فينا دوا فى جميع شوارع المدينة أن كل عاجز عن دفع الفداء له أن يخرج وأنه حر لوجه الله تعالى . يقول أرنول : « وقد استغرق خروج هؤلاء نهاراً كاملاً من لدن شروق الشمس إلى أن خيم الظلام . ثم يمضى المؤرخ المسيحي المذكور فيقول متحدثاً عن أدب صلاح الدين ونبلة ورقة قلبه : إن نساء من نساء فرسان الصليبيين كن قد لجأن إلى بيت المقدس بعد أن قتل أو أمر أزواجهن وعائلوهن فى الحرب . فاجتمعن بعد أن أدّين الفداء وحضرن عند صلاح الدين باكيات معولات يشكون إليه سوء حالهن . فما كان منه إلا أن أطلق لكل من لها زوج فى حبسه زوجها ،

الأمير بليان لمفاوضة صلاح الدين - فطلب هذا الأمير أن يمنح السلطان بيت المقدس عفوه الذى منحه مدناً صليبية أخرى . فلم يجبه السلطان إلى ما طلب مستمسكاً بيمينته التى أقسمها . عند ذلك قال له بليان : إن فى المدينة ستين ألف مقاتل سيخرجون إليه بعد أن يقتلوا نساءهم وأطفالهم ويدمروا كل ما يسعهم تدميره ، ثم يقاتلونه حتى يقتلوا عن آخرهم . ولقد راع هذا التهديد صلاح الدين ، فاستشار من معه من الفقهاء فأفتوه بأن ما حدث من قتال حول المدينة كاف فى إبرار قسمه ، وأن فى وسعه أن يعتبر كل من فى المدينة من الصليبيين أسرى حرب ، له أن يضرب عليهم الفداء .

وقد أخذ صلاح الدين بهذا رأى وتم الاتفاق على أن يكون الفداء عن كل رجل عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل طفل ديناراً واحداً ، وأن تكون المدة التى يؤدى فيها الفداء ويتم الجلاء أربعين يوماً . فمن وجد فى المدينة بعدها كان ملكاً مسترقاً للسلطان .

وفتحت المدينة أبوابها للسلطان وجيشه وذلك فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ ، وكانت الليلة ليلة المعراج الشهيرة ، وهى مصادفة عجبية . وأقام صلاح الدين على الأبواب أمناء يتقاضون مال الفداء .

نفرج الأمير بليان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن أدى عنهم ثلاثين ألف دينار ، ثم تنابح خروج الصليبيين على الرسم المقرر ، ثم يأتى البطرك الكبير يجر من أموال الكنائس وتحفها وجواهرها ما لا يقدر بمال ، فلم يعرض

إلى الجبل . فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح السلطان وانتفض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه إلى الأرض ، وصرخ باعلى صوته : « وإسلاماه ! » ، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره . وقتل كتبغا مقدم التتر ، وانهزم باقيهم وأبلى الأمير بيبرس أيضاً بلاء حسناً بين يدي السلطان ، « دمر العسكر في أثر التتر إلى قرب

بيسان ، فرجع التتر وصافوا مصافاً ثانياً أعظم من الاول ، فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدة منهم ، وكان قد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً ، فصرخ السلطان صرخة عظيمة ، سمعه معظم العسكر وهو يقول : « وإسلاماه ، ثلاث مرات يا الله ! انصر عبدك قطز على التتار ، فلما انكسر التتار الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها ، وصلى ركعتين شكر الله تعالى ثم ركب ، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم ،

هذه وقعة عين جالوت التي صد فيها الجيش المصرى سيل الغزو التترى الجارف ، واستنفذ بها الشام من أيدي التتار ، ورد عن مصر والمغرب الإسلامى كيدهم وجبروتهم ، وفوق ذلك فإنه وقى في ذلك اليوم على غير علم منه أوروبا وحضارتها الناشئة دماراً محققاً وذلك باعتراف مؤرخى أوروبا أنفسهم .

وبعد فلعل القارئ يكون قد رأى من جميع هذه النصوص المتقدمة أن الإسلام قد شرع للحرب والجهاد منهاجاً واضحاً قاصداً وسن آداباً جديدة حميدة ؟

عبر الحميد العبادى

وأمر بمال من ماله الخاص لكل من لا عائل لها ، مما ألهج ألسنتهن بالشكر له والثناء عليه .

ويقول المؤرخ الانجليزى لين بول : « لو لم يكن لصالح الدين من الأعمال الثابتة إلا أخذه بيت المقدس ، لكان ذلك كافياً في عده أعظم الفاتحين في عصره فروسية وأكبرهم قلباً ، بل لعله كذلك في أى عصر من العصور . »

٧ — وإسلاماه !

اجتاح التتر أقاليم الدولة العباسية الشرقية ودمروها تدميراً ، ثم دخل زعيمهم هولاكو بغداد في سنة ٦٥٦ وقضى على الخلافة العباسية ثم اكتسحت جيوشه الشام وأصبحت على أبواب مصر . ولقد أرسل هولاكو إلى سلطان مصر إذ ذاك وهو الملك المظفر قطز كتاباً ملاء تهديداً ووعيداً وطلب إليه فيه المبادرة إلى الخضوع له والاستسلام إليه . فثار حمية السلطان واستنفر الناس لجماد التتار فتشاققوا لما ثبت في الأذهان إذ ذاك أن التتر لا يغلبون ولسكن السلطان أعلن أنه سائر بنفسه للجهاد على أى حال وليصحبه من يشاء . عند ذلك نفر معه الأمراء بأجنادهم . فسار بالجيش إلى فلسطين مقدماً أمامه الأمير بيبرس . وجرت بينه وبين التتار وقعة عظيمة عند عين جالوت وذلك في رمضان سنة ٦٥٨ هـ .

يقول المقرئى في وصف بلاء قطز وبيبرس والجيش المصرى في ذلك اليوم العصيب : « فلما كان يوم الجمعة خامس عشر من رمضان التقى الجمعان ، وفي قلوب المصريين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس ، وقد امتلأ الوادى ، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء ، فتجنز التتر

رأى الإسلام في القتال

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز
عضو جمعية كبار العلماء

في وسطه لا في طرفيه ، وروحه في قلبه
لا في جناحيه . وسريك الآن : أين الأطراف ،
وأين الأوساط في موضوع حديثنا .

فانظرها هنا ، في أقصى الجانب الأيمن !
أليس يبرز الإسلام أمامك في شباب مكة ،
ووديانتها رافعات أريّة السلام بيضاء نقية لاشية فيها ؟
أليس يبدو نبي الإسلام باسطاً جناحي رافة ورحمة
يقف إلى ظاهما الوارف أنصاره وأعداؤه
على السواء ؟ ألسنت تسمع كتاب الإسلام وهو
يحدّد مهمة حامله ؟ فإذا هي هداية وإرشاد ،
وموعظة وتذكير ، وإلذار وتبشير . ويجمع ذلك
كله في كلمة واحدة : « بلاغ » .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة » ، « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشاء » ، « فذكر إنما أنت مذكر ،
لست عليهم بمسيطر » ، « وما أنت عليهم بجبار ،
« ادفع بالتي هي أحسن السيئة » ، « فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل » ، « خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، « فان تولوا
فإنما عليك البلاغ ... »

وزد ما شئت من سماحة وكرم ، لا ترى فيهما
شائبة لعنف ولا انتقام ، ولا أثاراً من مقاومة
أو اصطدام ... الإسلام إذاً هو رسالة السلام .

هذه إحدى « الثلاثيات » القرآنية .
وأعني بتلك « الثلاثيات » ، طرازاً خاصاً
من الأحكام ، يصدرها القرآن في ثلاثة ألوان
مختلفة من أساليب البيان : أسلوب « الإثبات » ،
المجمل تارة ، و« النفي » ، المجمل تارة ، و« الإثبات
والنفي » ، جميعاً تارة أخرى ؛ مفصلاً في هذا الوضع
الآخر مطالع الحسك ومقاطععه ، ومحدّداً فيه
منازل التشريع ومنازعه ؛ مبيناً بذلك أنه ،
حين يثبت مجملًا وحين ينفي مجملًا ، إنما يقضي
في شأنين مختلفين ، فيقرر في كل شأن حكمه العدل ،
ويقول في كل مقام قوله الفصل .

ليس أخطر على الباحث في الشريعة الإسلامية
من الوقوف عند أطرافها المجملّة ؛ لأنه بذلك
يدع نصوصها تتصادم وتتخاصم .. حتى إذا سعى
في الصلح بينها برأيه لم يأمن على نفسه الهوى
والزلل في تأويلها . وهذا شأن اتباع المتشابه
الذي نهى الله عنه .

وإنما يستبين موقف الإسلام واضحاً جلياً
في هذا الضرب من المسائل ، حين يلتبس حلها
في تلك الآيات الجامعات ، التي تلتقي فيها الأطراف
على قدر ، والتي يبرز بها التشريع الإسلامي
في وحدة لا تنقسم ، وعروة لا تنقسم . تلك هي
الآيات المحكمات ، وهن أم الكتاب .

هذا الطراز من التشريع الثلاثي مفتاحه إذاً

تلك هي المشكلة التي فتحت باب التعليل والتأويل أمام الذين يأخذون الأمور من أطرافها. وما أكثر الفروض، وما أبعد تشعب الظنون، حين يتحرر المرء من قيود العيان والبرهان! وما أشد إغراء الهوى لمن وقف في محراب العلم وهو لمّا يفق من نشوة نزعاته وعصبياته، ولما يتجرد من سلطان عقائده وعوائده! هنالك يطير خلف كل سائحة وبارحة من الرأي، فيمسك بأيها كان أحب لقلبه، أو أكثر تملقا لشعور قومه، ثم يرسلها في الناس باسم العلم وفلسفة التاريخ. وما هي من العلم ولا من التاريخ في شيء.

ذلك مثل فريق من كتاب الغرب حين تفرقت بهم السبل في معالجتهم لهذه القضية: أكان محمد متعطشا للدماء بفطرته، ولم يمنعه من سفكها إذ كان في مكة، إلا أنه كان من الأعوان في قلة، ولم يكن أعوانه في عامة الامر يومئذ إلا الضعفاء والمستضعفين؛ فكان تساعه حينذاك ضرورة ألجأه إليها العجز وقد النصير حتى إذا واثته الفرصة في موطنه الجديد اهتبلها، وغمس يده في الدماء لإشباعا لغريزة النار والتشفي؟

أم كان في هذا الموقف الحربى متحركا بحركة قسرية لا يستعملها من مرارة قلبه، ولكنه دفع إليها دفعا، وكان فيها تابعا لا متبوعا؟ ذلك أنه وجد نفسه في قوم عاشوا جل دهرهم على الغارات والحروب؛ فسا كان منه إلا أن نزل على إرادتهم وجرى في تيارهم.

ولكن هلم إلى أقصى الطرف الآخر! ألسنت تسمع من قبيل المدينة، صيحات النفير إلى النزال، وقعقة السلاح في ميادين القتال؟ أو لست ترى هنالك أشلاء تتناثر، وأطرافا تتطاير، وأعناقاً تدق، ودماء تسفك، وأرواحاً تزق، وأسرى يشد وثاقهم، وشهداء يهناون ببئيل تضحياتهم، ويبدشرون بعظيم أجورهم؟ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم، يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ يقاتلون في سبيل الله فيموتون ويقتلون، فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا منهم كل بنان، فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون،

الحرب إذا شريعة إسلامية، وفريضة محمدية. بل هي أعظم من ذلك؛ إنها عنصر أصيل من عناصر الإيمان الصادق؛ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. أولئك هم الصادقون.

يا لله! ما أبعد الشقة، وأشد المفارقة!... أمن السلام الأبيض الناصع، الرحيم المتواضع، إلى الثورة الحمراء القانية، والحرب الفاتكة المهلكة؟

بأهلهم وآبائهم وأبنائهم وأنفسهم .

وكذلك شهد التاريخ أن خروج محمد من القرية الظلمة إلى دار الأنصار لم يكن سبباً في تحول سياسته مع قريش من اللطف إلى العنف ، ومن المسالمة إلى المقاومة ، على الرغم من وضوح حقه في هذا التحول وتمكّنه منه ؛ فقد بايعه الأنصار من قبل هجرته إليهم ، وأعطوه الموائيق الغلاظ على مؤازرته ونصرته . فلو أنه فكر في التآمر لرمى بهم في وجه عدوّه من أول يوم ، ولكانوا أطوع له من بنائه ؛ ولكنه لبث فيهم زهاء عامين شغل في أثنائهما شغلا مستغرقا بشعائر دينه ، وشؤون قومه ، وكان كل شيء في سيرته إذ ذاك يدل على أنه قد تناسى الماضي بحسناته وسيئاته ، وأنه قد اطمأن الاطمئنان كله إلى حياته الجديدة ؛ فها هو ذا قد استبدل داراً بدار ، وأهلاً بأهل ؛ بل لقد استبدل شعاراً بشعار ، وقبلة بقبلة ؛ إذ أصبح يولى وجهه في الصلاة شطر بيت المقدس بعد أن كان يستقبل الكعبة . وجملة القول : إن خوضه غمار الحرب لأول مرة كان حادثاً فجائياً حقاً ، لم تمهد له مقدمات من حياته بالمدينة ، كما لم تمهد له مقدمات من ميوله ونزعاته ، ولا من شخصيته ومنزله في قومه .

* * *

هكذا فشل كتاب الغرب في محاولتهم تحليل هذا الموقف الجديد بأسباب وعوامل التمسوها في المعسكر الإسلامي .

وكان الإنصاف العلني يقضى عليهم أن يلتمسوها بعد ذلك في الجانب الآخر ؛ فلم يفعلوا . ولو أنهم

وهل أنا إلا من غزية ؟ إن غوت

غويت ؛ ولأن ترشد غزية أرشد لقد قلبوا وجوه الرأي وذهبوا فيها كل مذهب ؛ ولكنهم حيثما ذهبوا لم يجدوا إلا برقاً خلباً ، وسراباً خادعاً ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . نعم لقد اصطدموا بحقائق التاريخ في كل مسلك سلكوه ، وضلوا ضلالاً بعيداً في كل مثل ضربوه .

ذلك أن الذين درسوا منهم نفسية محمد في مختلف أطواره : في شبابه وكهولته ، في بأسائه ونعمائه ، حتى في أوج سلطانه ، شهدوا بأن محمداً لم يكن يوماً ما فظ الطبيع ، ولا غليظ القلب ، ولا خشن العشرة ، ولا عاقى الحكم ، ولا حامل ضغن على صديق أو عدو . ولئن كانت في طباعه نزعة عاتبه الوحي فيها عتاباً بلغ حد اللوم والتثريب ، لقد كانت تلك ، على العكس ، نزعته للصفح عن أعدائه ، ومجازاتهم بالذنب غفراناً ، وبالسوء إحساناً . وإن شواهد سيرته العطرة في هذا كله لا شهر من أن ينبه عليها ، وأكثر من أن يعد بعضها . ناهيك بمنه بالحياة على قريش وهم في قبضته ، بعد ما تأمروا على قتله .

وذلك أن الذين درسوا حياة محمد شهدوا في الوقت نفسه بأنه لم يكن يوماً ما لأمعة في رأيه ، ولا رخواً في حكمه ؛ وأنه لم يعرف عن أمة في التاريخ أنها كانت أطوع لملك أو قائد أو زعيم من قوم محمد له : طاعة لا يملئها سوط ولا صولجان ، ولكن يبعثها الحب والمهابة والثقة والإيمان ؛ وأنهم بلغوا فيها إلى حد تفديته

من حديثها في غالب الامر مقام الرسول وعظما
أصحابه بين ظهرانهم ، أخذت حين خلا لها الجو
تهاجم جموعهم ، وتوالى التشكيل بهم ، وهى آمنة
أن تلاقى لهم ولياً حميماً تخشى غضبه ، أو يلاقيها
شفيع متوسل تستجى أن ترد سعيه . وما زال
طغيانها عليهم يزداد يوماً بعد يوم ، حتى عيل
صبرهم ، وطفح كيل بلائهم ، فهناك أخذوا
يجأرون إلى الله مستغيثين ، في صرخات عالية ،
تسمع دويها في القرآن الكريم .. وهناك فقط
أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لإغائهم ،
فكان ذلك هو أول تحريض على القتال :
« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل
لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً » .
لم تكن الغزوة الاولى إذاً حلة تحرش وبدء
بالعدوان ، كما زعم الجاهلون ، فذلك ذنب خالق
أن يعنذر منه لو وقع . ولم تكن دفعة نأر وانتقام
لجروح قديمة قد اندملت ، أو محاولة تعويض
واسترداد لحقوق استولى عليها الأعداء من ديار
المهاجرين وأموالهم ، كما قد يظن بادية الرأى ؛
ولو فعلوا لكان حقاً لهم تفرقه كافة الشرائع
الساوية والوضعية ، ولكنه حق مشروع
خسب ، وكان من السائع التنازل عنه . كلا ،
لم تكن هذا ولا ذاك ، ولكنها كانت عملاً أعلى
من ذلك كله وأسمى : لقد كانت قياماً بواجب
منزه القصد مبرأ الغاية عن كل الأغراض والمنافع
العاجلة ، واجب نجدة المظلوم ، وإغاثة الملهوف .
فهى إذاً صفحة نثار جديدة أن تسجل في أعلى

طرقوا هذا الباب لوجدوا من ورائه ضالهم ،
ولقبضوا من فورهم على جريمة الحرب في مهدا
ومولداها .

فالواقع أن أول حرب في الإسلام لم يوقدها
المسلمون ، بل كانوا وقودها ، وأن أعداء الإسلام
هم الذين أشعلوا نارها ، وأطاروا شررها .
لا أقول منهم كانوا سببها البعيد خسب ، بل كانوا
هم معلنيها عملياً ، والمفسدين فيها من طريق مباشر ؛
وما كان من المسلمين إلا أنهم قبلوا التحدى ،
ورددوا التحدى .

لا تعجل أيها القارئ على ردّاً وإنكاراً ،
ولا تغض رأسك إلى دهشاً وعجباً ؛ فإني أعرف
أنك تقرأ في كتب التاريخ كلها أن أصحاب الرسول
هم الذين أخذوا يتعقبون غير قريش وهى آمنة
مطمئنة في ققولها من الشام إلى الحجاز .
أفلا يكونون إذاً هم البادئين بالمناوشة ... ؟
ألا فليعلم القارئ الكريم أن هذا الذى سطرته
كتب التاريخ إنما هو الحلقة الثانية من قصة
هذه الحرب ، وأن الحلقة الاولى ظلت صفحة
منسية منعزلة ، لم تأخذ مكانها في سلسلة السرد
التاريخي لهذه الفترة من الزمان ، وأن مؤرخى
العرب ومؤرخى الغرب كانوا سواء في السكوت
عنها : فحق عليك أن ترد هذه اللبنة المفقودة
إلى مكانها من البنيان . وإليك جلية الخبر !

لقد بدأت قريش بعد هجرة النبي وأصحابه تغير
أسلوب معاملتها للمسلمين المستوطنين في مكة ،
وهم أولئك الذين لم يجدوا سبيلاً للحاق بإخوانهم
المهاجرين . فبعد أن كانت حوادث عدوانها عليهم
قبل الهجرة حوادث فردية ، متفرقة ، وكان يلطف

فنية في دورنا العربية ، كتبوا في الموسوعات الأوربية الحديثة فصولاً مطولة عن الإسلام قرروا فيها هذه النظرية الخاطئة ؛ وكانت زلتهم كغيرهم أنهم نظروا في التشريع القرآني إلى طرفي خطيه المنفرجين ، ولم يحوموا حول رأس الزاوية التي يلتقي عندها الخطان .

وها نحن أولاء ندعو الباحثين المنصفين منهم أن ينتقلوا معنا من هذه الأطراف إلى الحد الوسط الذي كان وجوده في القرآن حكمة بالغة ، وحجة دامغة ، تنقطع عند نصوصها كل الغروض والظنوف ، وتنهزم أمامها كل التعليقات والتأويلات ؛ فإنه متى ظهر النص بطل القياس ، ومتى طلع النهار زال كل لبس والتباس .

أجل إن القرآن الحكيم لم يكتف في تعيين مراده بأنه كان يدعو إلى السلم في ظروف وملابسات عادية توائمه ، ويأمر بالقتال في ظروف وملابسات استثنائية تحتمه ، ولو أن القرآن نزل لأهل عصره وحدهم لسكفاهم ذلك ؛ إذ كان واقع الحال في كلا المقامين تفسيراً شافياً لموقع كل تشريع ، وتحديد كافياً لمجال تطبيقه ، أما وهو دستور الإنسانية الخالد فقد كان من الحكمة السامية ألا يعتمد في تحديد مقاصده على

مكان من ديوان التضحية والإيثار ، وليست عملاً عادياً يتطلب التبرير أو الاعتذار .

* * *

والآن وقد صححنا الوضع في هذا الحادث التاريخي الذي ضلت به أفهام ، وزلت فيه أقلام ، نعود إلى سياق الحديث عن المبادئ العامة فنقول : إن أمثال هذه الضلالات والزلات في تحديد موقف الإسلام من الحروب مردها كما أسلفنا إلى تلك النظرات الجزئية الجانبية في نصوص التشريع ، وإلى تلك الوقفات المترددة عند أطرافها المتباعدة . ولا ريب في أن المقارنة بين الدعوة إلى السلام في السور المسكية ، وبين التحريض على القتال في آيات من التشريع المدني ، وهو آخر دورى التشريع الإسلامى ، كانت ماثرة شبهة وفتنة لكثير من النفوس المريضة ، فقد خيل لهما أن شريعة القتال جاءت قاعدة عامة ختمت بها الدعوة المحمدية ، وأنها تمثل انقلاباً نهائياً بحيت به آية السلام في الإسلام . وإنه لمن العجيب والمؤسف حقاً أن أكثر الكتاب الغربيين لا يزالون إلى يومنا هذا يرددون صدى هذا الضلال القديم ؛ حتى إن بعض كبار المستشرقين ^(١) ، الذين عاشوا بيننا ، ودرسوا لغتنا ، وتولوا إدارات

(١) أقرأ البحث الذى كتبه للمسبوقيت ، المدير السابق لدار الآثار العربية ، عن (الديانة الإسلامية) ونشره في موسوعة التاريخ العام للديانات ، باللغة الفرنسية

Gaston Wist, La Religion Islamique, in Histoire générale des Religions, PP. 347, 359-360 Quillet, Paris 1948.

فنى هذا البحث يقرر المؤلف أن فكرة الشيخ محمد عبده في قصر الحروب الإسلامية على الدفاع فكرة عصرية تمثل تطوراً حقيقياً —

== في وجهة نظر المسلمين ، وأن النصوص تدل على عكس هذه النظرية ، ويستشهد على رأيه بآية القتال : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » . فالمؤلف كما ترى يتمتع بآية من آيات الأطراف ، نظرة عن الآيات الجامعة التي تشير إليها . على أنه قد أخطأ في فهم الآية التي أوردتها نفسها . ولو قرأ آخرها لنتين له أنها في التقاء الجيوش في الحروب « حتى تضع الحرب أوزارها ، وأنها في حرب الدفاع والانتصاف » ولو يشاء الله لاتنصر منهم .

« لا إكراه في الدين ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »

ومنع حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية : « ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، »

وأنكر حروب التخريب والتدمير ، وحروب الفتوح والتوسع والاستعلاء : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، »

واستنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال الضخامة والفخامة : « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، »

فهل كان يراد منه فوق ذلك كله أن يمحو حق الدفاع عن النفس والحيف ، وواجب الذود عن المستضعف والمظلوم ؟ كلا : إن الإسلام دين إحسان ولكنه إحسان لا يناقض العدل ، ولا يشجع الإجرام ، ولا يدع الحق مكبل اليدين إذا أراد الباطل أن يفتك به ؛ إنه ذو رحمة واسعة ، ولكنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين . فهو دين عدل وإحسان معا ؛ وبذلك فضل الشرائع السابقة التي فرقت بينهما . ولقد علمنا كيف نزل بالحكمة كلا المبدأين في منزلته ، وحذرنا أن نضع واحدا منهما في موضع صاحبه ؛ فوضع الندى في موضع السيف بالعلل مضر كوضع السيف في موضع الندى

ظروف واقعية في عصر نزوله ، لا تلبث أن تنسى إذا طال العهد بها ، وكان من الرحمة الشاملة أن يسجل أهدافه بنفسه في نص صريح يضع كل تشريع في موضعه ، ويكون مرجعا للناس على مر العصور والأجيال ، ولا سيما في قضية الأمن العالمي التي يرتبط بها مصير البشرية جمعاء .

ولقد قام القرآن بهذه المهمة على أدق وجه في آيات جامعات ، استبان بها أن الحرب ليست هي القاعدة ، وإنما هي استثناء من القاعدة ، وأنها لا يخلقها الإسلام ، ولكن يخلقها أعداؤه بعدوانهم المساح على دعوته السلمية ، وأنها ضرورة تقدر بقدر أسبابها ، وعقوبة تزول بزوال الجريمة التي استوجبها ؛ وبالجلة أنها محدودة بحدود الدفاع المشروع لا تستقدم عنه خطوة ، ولا تسأخر خطوة :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، » وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذلهم واقتلوهم حيث نفقتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ، » لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ؛ إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

لقد أبطل الإسلام حروب العصية الدينية :

محمد عبد الله دراز

طبيعة الفتح الإسلامي

لدكتور سيد قطب

حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد إكراه أحد على الدخول في الإسلام . وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها العصبية الدينية بهذا المعنى ؛ والتي ذاق العالم من ويلاتها لا في الحروب الصليبية المعروفة فحسب ، ولا في الاضطهاد الأسباني للمسلمين في الأندلس فحسب ، بل في كثير من بقاع الأرض ، وفي كثير من أدوار التاريخ ؛ والتي ما تزال البشرية إلى يومنا هذا تتجرع مرارتها ، وإن كانت تتخفى تحت عناوات أخرى غير عنوان التعصب الديني !

والإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح بقصد سيادة عنصر أو تغليب جنس ، فالناس قد جعلوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا ؛ لا ليستذل بعضهم رقاب بعض ، ولا ليسود جنس أو شعب . وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها عصبية الجنس أو اللون أو اللغة . والتي ذاق العالم وما يزال يذوق ثمراتها المرة ، حتى في العصور الحديثة ، التي يزعم الزاعمون أنها تحضرت ، وارتفعت على دوافع القبيلة !

كذلك يستبعد الإسلام من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد جر المغنم . وبذلك يستبعد كافة الفتوح الاستعمارية ، التي تسكن وراءها مطامع اقتصادية كفتح الأسواق واستغلال الخامات ، واستغلال الموارد ؛

يخيل إلى أحياناً أن طبيعة الفتوح الإسلامية وبواعثها وأهدافها الحقيقية ليست مجهولة من الغربيين فحسب ، ممن يحسبون المسدَّ الإسلامي كان حركة سيف ، وهجرة جنس ، ودفعة أطماع . بل لأنها مجهولة كذلك من كثرة المسلمين ، الذين يحسبون مجرد التوسع في الفتوحات العسكرية كسباً للإسلام ، ومأثرة للفتاحين في جميع العصور . هؤلاء وهؤلاء سواء في البعد عن إدراك طبيعة الفتوح الإسلامية ، وبواعثها وأهدافها الحقيقية . وإنه ليحسن أن نصحح تلك الصورة المزورة أو المشوهة لا للفتوح الإسلامية ، بل للفكرة الإسلامية ذاتها في النهاية .

قال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

وقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى . فن في سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

هذه النصوص الثلاثة من القرآن والحديث تكشف لنا عن طبيعة الحروب الإسلامية وطبيعة الفتوح الإسلامية إجمالاً .

إن الإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم

الإسلام لله على إطلاقه بمعنى إخلاص القلب لله دون سواه . والنظرية الإسلامية تعتبر أن جميع الرسل قد جاءوا بالإسلام على هذا المعنى ، وأن جميع الرسالات قد قامت على أساسه ، وأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - إنما جاء بالإسلام في صورته الأخيرة التي ارتضاها الله للبشرية كافة ؛ وأن القرآن إنما جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه ، ومن ثم ينبغي أن يفهم الناس كلهم إليه ، فتتحقق كلمة الله في الأرض ، وتصبح كلمة الله هي العليا . وهذه إحدى معاني كلمة الله في هذا السياق .

إلا أن الطريقة لأن يفهم الناس إلى هذا الدين الأخير لا يجوز أن تخرج على القاعدة الكلية التي قررها : « لا إكراه في الدين » ؛ والمطلوب من رسول الإسلام ومعتقيه أن يحاولوا هداية الناس إليه بالدعوة اللينة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

فإذا وقفت قوة مادية في وجه الدعوة السليمة فهنا فقط يجوز حمل السلاح ، لتقرير حرية الدعوة . كذلك إذا تعرضت هذه القوة للذين استجابوا للدعوة كي تفتنهم عن دينهم الذي ارتضوه بملء حريتهم . وذلك لتقرير حرية العقيدة : « وقالوا لهم حتى لا تكون فتنة » .

وفي مثل هذه الحالة يبدو واضحاً معنى القتال لتكون كلمة الله هي العليا . فكلمة الله هنا تعني كذلك حرية الدعوة وحرية الاعتقاد . وكل قوة مادية تقوم في وجه هاتين الحريتين أو أحدهما

أو الحصول على مراكز استراتيجية ، وميزات عسكرية ؛ تلك الفتوحات التي عانت البشرية وما تزال تعاني من ويلاتها ، والتي تقوم الحضارة الغربية الراهنة على أساسها ، لأنها تقوم أساساً من مقوماتها .

وأخيراً يستبعد الإسلام من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد اكتساب أجماد شخصية للبلوك والقواد ، أو لإرضاء نزعات الاستعلاء والسيطرة والبروز ، التي تهيمن على أولئك الرجال ، فيستخرون من أجملها الشعوب ، لإضافة شارة إلى تاج ، أو وسام إلى رداء !

ومن ثم يتعين باعث واحد ، وهدف واحد للفتح الإسلامي ، هو الذي يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » ،

لأنها إذن فكرة هي التي يراد نشرها ويراد تحقيقها : أن تكون كلمة الله هي العليا . فما هي كلمة الله المعنية في هذا الحديث ؟ ما طبيعتها ؟ وما حدودها ؟ إنه لا بد لنا أن ندرك طبيعة هذه الفكرة وحدودها لكي ندرك طبيعة الفتح الإسلامي ، ولكي ندرك الفارق بينه وبين الفتوح العسكرية الأخرى . ثم لندرك أي الفتوح الإسلامية كان في حدود الفكرة الإسلامية ؛ وأياها لم يكن ولو أنه تم على أيدي المسلمين .

قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، فتتحقق كلمة الله وجعلها هي العليا يتضمن أن يصبح الإسلام لله هو دين البشرية كافة .

من أن تكون كلمة الله هي العليا ؛ وأن يكون الإسلام هو دين البشرية كافة ؛ لا عن طريق الإكراه ، ولكن عن طريق الدعوة . وضاماً لحرية الدعوة ، ولحرية العقيدة ، ساقط الجيوش وغاضت المعارك ، وفتحت البلاد بعد أن قدمت الدعوة بين يديها ، وأعلنت أنها الغاية الأولى والأخيرة .

ومن ثم تتهاوى جميع الأباطيل والمفتريات ، التي تقوّ لها الغربيون على الفتوحات الإسلامية : طبيعتها وبواعثها ، والتي نشأ بعضها عن التعصب الدينى ضد الإسلام والمسلمين ؛ ونشأ البعض الآخر عن سوء التفسير ، بسبب قياس المؤرخين الغربيين لفتوحات الإسلام على فتوحاتهم هم ، وقياس بواعث الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الامبراطورية الاستعمارية عندهم في القديم والحديث !

وثمة مفهوم ثالث لجعل كلمة الله هي العليا ، مشتق من المفهومين السابقين ومكمل لهما : إن الإسلام عقيدة وجدانية ، تنبثق منها شريعة قانونية ويقوم عليها نظام اجتماعى . نظام متميز عن سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية ، ذو مقومات خاصة به ، قد تشترك معه في بعضها بعض النظم الأخرى . ولكنه في مجموعه يبدو متميزاً عن سائر النظم بكل تأكيد . من هذه الخصائص أنه نظام عالمى مبرأ من العنصرية العنصرية ومن التعصب الدينى . ومن ثم فهو يسمح لسكل إنسان أن ينضم إلى موكله فى سر ، وأن يتمتع فور انضمامه إليه بكافة الحقوق

هى قوة معتدية مضادة لكلمة الله الذى كرم الإنسان ، وجعله على نفسه بصيرة ، وجعل عقله هو الحكم ، وإرادته هى مناط التكليف ؛ واعتبر الوقوف بالقوة فى وجه الدعوة ، أو استخدام القوة للإكراه على العقيدة ، معطلا لكلمة الله . فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

وفى هذا السبيل كانت الحروب والفتوح الإسلامية فى عهدها الأول ، الذى نشر الإسلام وقرره فى موطنه الرئيسية فى داخل الجزيرة أو خارجها . وقد سبقت الدعوة إلى الإسلام تلك الحروب والفتوح جميعاً ، ولم تتقرر الحرب إلا فى حالة من حالتين : الوقوف بالقوة المادية فى وجه الدعوة السلمية ، أو الاعتداء على حرية العقيدة وفتنة المسلمين عن دينهم أفراداً أو جماعات .

وإن كان هذا لا يبنى أن بعض من خرجوا فى هذه الفتوح كانت الغنائم والأسلاب والنبل حافزاً من حوافزهم ، ولكن العبرة فى هذه الحالة ليست بدوافع بعض الأفراد ، إنما العبرة بأهداف القيادة . فأنا لا أحاسب دولة دخلت الحرب بطمع أفراد من جيوشها فى مغامرات وأسلاب ، أو مغامرات ومتاع ، إنما أحاسبها على الفكرة التى من أجلها دخلت الحرب ، والهدف المرسوم من ورائها .

وما من شك أن القيادة الإسلامية فى فتوحها الأولى على وجه التحديد ، وفى كثير من فتوحاتها المتأخرة كذلك ، ما كانت تهدف إلى أكثر

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ؛ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . »

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ، . ومن رفع الظلم وتحقيق العدل كل ما يتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية . والإسلام فوق أنه يعد العدالة الاجتماعية في أدق صورها شريعة من شرائعها ، وتكليفاً من تكاليفها ؛ يعدها في الوقت نفسه عبادة من عباداته ينهض بها الفرد المسلم ، وتنهض بها الدولة المسلمة ، ابتغاء لثواب الله وتجنباً لعقابه ، ومن ثم يربطها بالدين فوق كفالتها بالقانون ؛ ويفرض القتال لتحقيقها إذا لم تكن ثمة وسيلة أخرى سوى القتال . »

والنتيجة التي تخلص من هذه المقدمات كلها ، أن الحروب الإسلامية والفتوح ملحوظ فيها أن تحقق إلى جانب حرية الدعوة وحرية العقيدة العدالة المطلقة لجميع الناس ، فإذا هي لم تحمل هذه المقدمات معها لأهلها والبلاد المفتوحة كذلك لم تكن حرباً إسلامية ولا فتحاً إسلامياً . ولم تزد ثمرتها على ضم رقعة من الأرض إلى العلم الإسلامي . وزيادة رقعة الأرض لم تكن يوماً ذات قيمة في حساب الإسلام . إنما القيمة كلها لتحقيق النظام العادل الكامل الذي يقوم على الشريعة الإسلامية المنبثقة من العقيدة الإسلامية . وهذا

التي يتمتع بها أول مسلم من أى جنس ومن أية قبيلة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، . »

ومنها أنه نظام عادل ، يضمن لجميع الأفراد حقوقاً متساوية ، ولا يجعل للحاكم أو الأسرة أو لطبقة أى حق زائد عن حقوق الفرد العادى . كما يضمن العدالة المطلقة في علاقات الطوائف والأمم فلا يقيم وزناً للعداوة والشأن ، كما أنه لا يقيم وزناً للصدقة والقربى : « ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ، : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وحتى ما يسمونه في العصر الحديث باسم « مصلحة الدولة » ، فإنه لا يبرر في عرف الإسلام أن تحيد الدولة عن العدل المطلق في معاملتها مع الأفراد أو الجماعات أو الأمم . فرد الأمر كله إلى تحقيق شريعة الإسلام لتكون كلمة الله هي العليا . »

ومن ثم يدعو الإسلام أهله أن يكونوا هم الأمانة على تحقيق العدل في الأرض كلها ، ومنع الجور ، ورد الظلم ، تحقيقاً لكلمة الله فحينما كان ظلم وكان بغى فالمسلمون منتدبون لدفعه ورفعته ، دون نظر إلى من وقع منه الظلم والبغى ، أو إلى من وقع عليه الظلم والبغى ، في أية صورة ، وتحت أى عنوان سواء أكان ظلم فرد لفرد ، أم ظلم فرد لجماعة ، أم ظلم جماعة لفرد ، أم ظلم جماعة لجماعة . كله سواء لأن الناس كلهم سواء :

حران) ومع ذلك فلم يكن كسبا هينا أن تتخلص من قسوة الروم وأذاهم ، وحنقهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام] .

« ولما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن ، وعسكر أبو عبيدة فى فحل . كتب الالهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون :

[يا معشر المسلمين . أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا] .

وغلق أهل حصص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم .

لقد كان الفتح الإسلامى فتحا فريدا فى تاريخ البشرية كلها ، لم تعرف له من قبل ولا من بعد نظيرا ، إنه لم يكن فتحاً للأرض وكنوزها ، إنما كان فتحاً لقلوب ساكنى الأرض ، وغرس بذرة العدل والتسامح والمساواة والإخاء فيها .

وإن أى إنسان مخلص للإنسانية ، يعرف طبيعة الفتح الإسلامى ، ويدرك أهدافه وبواعثه ليتبنى أن لو كان مد الإسلام الأول قد غمر الأرض جميعا ، وألقى فيها تلك البذرة الطيبة الخيرة ، وإن الرجاء المعقود - بعون الله - على مد الإسلام الثانى . الذى أخذت بوادره تظهر فى يقظة العالم الإسلامى ، وانبعاث الفكرة الإسلامية ، أن يغمر الأرض ومن عليها .

سيد قطب

هو الذى كان يضيف إلى الإسلام قلوبا وشعوبا . وهذه هى غاية الفتح الإسلامى لا الأرض ، ولا الثروة ، ولا الغنيمة ، ولا الغلبة على البلاد والعباد . جاء فى كتاب « الدعوة إلى الإسلام ، تأليف . سيرت . و . أرنولد ، وترجمة حسن إبراهيم حسن وزميله فى ص ٥٣ وما بعدها :

« وقد استطاع ميشيل الأكبر Micheal The Elder بطريق أنطاكية اليعقوبى أن يجذب فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، ما كتبه إخوانه فى الدين ، وأن يرى أصبح الله فى الفتوح العربية ، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون . وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل : [وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام ، الذى تفرد بالقوة والجبروت ، والذى يدلل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء ، ويرفع الوضع ، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة ، فنبهوا كنائسنا ، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم ، وأزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب لتخليصنا على أيديهم من قبضة الروم . وفى الحق أننا إذا كنا قد تحملنا شيئا من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا ، وإعطائها لأهل خلقيدونية ، فقد استمرت هذه الكنائس فى حوزتهم . ولما أسلمت المـسـدن للعرب خصص لكل طائفة الكنائس التى فى حوزتها (وفى ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حصص الكبرى وكنيسة

فتوح المجاهدين في سبيل الله للعقيدة الإسلامية وأثرها في سمو الإنسان

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد الدرقى
السكرتير العام المساعد لمؤرخه

الجهالة والبهيمية كانتا حينئذ أبعد أثراً وأكبر نجاحاً في التشبث ببقاء الإنسان في حضنهما ، ولكن كانت توجد دائماً قلة مؤمنة حول الرسل ودعاة الإصلاح في الأمم ، تبشر بالمستقبل المنتظر للإنسانية ، فلما بزغ شمس الرسالة المحمدية كان ذلك إيذاناً بتغلب قوة الإصلاح والخير ، ومطلعا لعهود فريد من السمو بالإنسانية إلى أقصى ما ينبغي لها من مراتب الكمال والكرامة .

ومقال كهذا لا يمكن أن يستوعب جميع العقائد الإسلامية التي كان لها أثر في السمو بالإنسان ، فحسبنا أن نضرب المثل ببعض الأصول التي امتازت بها الرسالة المحمدية في ذلك ليعرف الناس أى جميل أسداه الإسلام للكرامة البشرية :
١ - كان رجال الأديان الأخرى يضربون

نظافاً فولاذياً على الناس ، ويستبدون بشؤونهم استبداداً عجيماً ، ولم يكونوا يكتفون بما جعلته إلههم نظم الحكم والسياسة ، من وجوب استئذانهم في سائر التصرفات المادية ، من بيع وشراء وهبة وزواج ونحو ذلك ، بل جعلوا من أنفسهم وسطاء بين العباد ورب العباد ، فمن أراد أن يتوب إلى ربه فعن طريقهم ، إن شاموا فتحوا له باب التوبة وإن شاموا أغلقوه ، ومن أراد أن يدعوا ربه فإلههم أولاً يجب أن يرجع . وفي سبيل هذا

تدل الدراسات النفسية للأفراد والجماعات على أن الإرادة تخضع إلى حد بعيد للقوة العقلية وتصطبغ في الأفراد والجماعات بصبغتها ، فإذا اقتنع العقل بشيء وآمن به وتجه الإرادة إليه ، وبعث الرغبة فيه ، فكأن هذا الاقتناع هو القوة المحركة العاملة على وجود هذا الشيء أو بقاءه ، ولذلك يحرص أصحاب الدعوات دائماً على مخاطبة العقول وإقناعها بما يريدون ، لأنها متى اقتنعت استجابت ، ومتى استجابت كانت العزيمة والإرادة فاعلة ، ولا تجد الحذاق منهم يرمون إلى التسلط بالقوة والاعتماد عليها ، فإن القوة قد تغلغ في فرض شيء ما ، ولكنها لا تستطيع أن تكفل له بقاء مستقراً مثمرات ثمرات طيبة مهما كان تأثيرها ومدادها .

ومن ثم كانت الأديان ذات تأثير قوى لا يغالب ، ذلك بأنها اتصل بعقائدها وما تبثه في العقول والقلوب إلى تكوين إيمان قوى تثير به العزائم إثارة قوية فعالة مكتسحة ، يظنها الناس إعجازاً ، وإنما هي سنة الله في القلوب إذا آمنت إيماناً حقاً . والأديان كلها متفقة في أصول العقائد من الإيمان بالله والرسول والكتب واليوم الآخر والحساب والجزاء ، وقد سما هذا الإيمان بالإنسانية في عهودها المظلمة إلى حد ما ، نعم إن

شبهها بمن كان تحت الوصاية ثم رفعت عنه قيودها ، وأصبح حراً طليقاً يفعل ما يشاء غير مراقب أحداً إلا ربه ، ولم تكن بركة هذه العقيدة قاصرة على الذين اعتنقوا الإسلام وآمنوا

برسوله الكريم ، ولكنها سرت إلى أهل الأديان الأخرى سريانا عجيبا ، فلم تمض فترة طويلة حتى خرجوا على أحبارهم ورهبانهم وقسيسهم فلم يعد أحد يؤمن إيمانا صادقا بوصايتهم أو وساطتهم إلا أن يكون ذلك صورة من الصور التقليدية يؤدونها وهم بها كافرون ، ولها كارهون ، فكان الإسلام بذلك قد بذر للإنسانية كلها هذا البذر الطيب فأخرج نباته بإذن ربه .

٢ - وعقيدة التوحيد ، من العقائد المشتركة بين الأديان ، ولكن أمرها كان عجيباً في أذهان المنتسبين إلى هذه الأديان حتى إذا قطعنا النظر عن اضطراب أهل التثليث فيها ، وما يحاولونه من حمل العقول على قبول نظرية الآب والابن والروح القدس ، كصورة من صور الوجدانية أو التوحد ، فالأحبار والرهبان - وساعدهم الملوك وأصحاب السلطة المادية - قسموا الناس طبقات ، وخيلوا لهم أن الدماء الآدمية تختلف ، فل هذه الطبقة من الحقوق ما ليس لتلك . ولهذا الدم أن يحكم وأن يورث الحكم في أعقابها بأمر الله ، وليس لاحد من العامة أن يعترض ولما كان جزاء الطرد على يد الحكام من الحياة الدنيا بالموت ، والطرْد على يد رجال الكهنوت في الحياة الآخرة من رضوان الله ، وبهذا فترت الهمم ، وانحلّت العزائم ،

أو ذاك يجب أن تقدم إليهم القرايين ، وأن تملأ أيديهم بالذهب النضار ، وأن يدخل معهم في مساومات يسيرة أحياناً ، وشاقة أحياناً تبعاً لما اقترفه من ذنب صغير أو كبير .

وقد نزلت هذه الأوهام والباطيل بالإنسان إلى مستوى العبودية لغير الله ، وجعلته ذليلاً خاضعاً لحفنة من الناس الذين لا يمتازون عنه في شيء ، وليس لهم عمل في الحياة إلا أن يبتزوا ماله وثمرات سعيه بهذا الإيهام الكاذب ، كما أثر ذلك في العقول فأصابها بالشلل والعقم والجمود ، ومن ثم لم يكن من العجب أن يظل البشر في عماية عن الحقائق ، وجهل عميق بقيمة أنفسهم وبما يجب عليهم أن يقوموا به لأداء رسالتهم السامية في عمارة هذا الكوكب الذي أسكنهم الله إياه ، وبتحز لم كل شيء فيه ، حتى إذا جاء الإسلام صرع هؤلاء الوسطاء الكاذبين صرعة لا قيام لهم من بعدها ، فأعلن في صراحة أن الله قريب من عباده يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وأنه لا يشترط في قبول العبادة من الناس أو التوبة من الذنوب وساطة أحد أو شفاعة أحد ، فاعلى المرء إلا أن ينيب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه ، دون أن يتذلل أو يتزلف أو يقدم القرايين .

بهذا كُرم الإنسان ، وصيئت عليه عزته ، وانفتحت أمامه أبواب الأمل التي كانت مغلقة ، وسما بعقله وتفكيره عن ذلك الضيق الذي قصر عليه ، وحبس فيه ، وعلى الجملة كان شعوره

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ويقول الله في كتابه الكريم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقُكُمْ ، وفي هذا المبدأ الذي هو استواء الناس في الحقوق والواجبات نتيجة لاستوائهم في المربوبية لرب واحد وفي البتة لأب واحد ، يصل السمو بالإنسانية إلى مرتبته السكاملة ، وفي جعل التفاضل والتمايز ، بالتقوى ، تقدير للقيم المعنوية ، وحفز للهمم والعزمات ، وما التقوى إلا سلوك طريق الرشاد في كل ناحية من نواحي الحياة .

وقد كان من أثر هذه العقيدة التي أعلنها الإسلام وأوجبها أن استوى الناس فلا طبقات ولا متمصين لسلطة التشريع والحكم . وإن الحكم إلا الله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه .

وعندما تولى الخليفة الأول كان مما أعلنه على رؤوس الأشهاد قوله : إني وليت عليكم ولست بخيركم ، ولقد وددت لو أن أحدكم قام بهذا الأمر عني ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني .

ولم نر أحداً من أهل العلم أو الحكم يزعم أنه ذو حق في التشريع والتحليل والتحرير ، وإنما هم ناظرون في كتاب الله وسنة رسوله يستفبطون حكم الله ويبلغونه للناس أو يقومون عليه ، ولذلك يعتقد كل مجتهد أنه عرضة للخطأ والصواب ، ولم يرع أبو بكر حين بوع بالخلافة أن يدعى خليفة الله ، وقال : إنما أنا خليفة رسول الله ، ثم رأى عمر أن يزداد بعداً عن

وصار الناس يدورون في فلك ضيق ، إن كانوا من الخاصة لم يكدوا ولم يكدحوا ولم يكلفوا أنفسهم أن يسلكوا في الحياة سبيلاً قويمًا لأنهم لا يخافون أن يضيع مجدهم أو ينزلوا إلى مرتبة العامة ، وإن كانوا من العامة لم تسم نفوسهم إلى حياة أرفع لأن هذه الحياة مستحيلة عليهم في ظل هذا التقسيم الجائر الذي فرض على المجتمع ، ومن ثم استرخى هؤلاء وهؤلاء ، وصار العز والرفعة ميراثاً يصل إلى الأبناء عن آبائهم وأجدادهم ، كما صار الفقر والشقاء ميراثاً لقوم آخرين لا يعدوهم .

وهذا نوع من الشرك بالله ، فإن الله هو الذي له العزة جميعاً ، وعباده هم الفقراء إليه ، المحتاجون إلى فضله دائماً ، فكيف يشارك رب العزة فيما هو من خصائصه ؟ .

وشيء آخر في هذا النظام الطبقي ، إنما هو نوع من الشرك ، ذلك هو ادعاء الإحبار والرهبان حق التشريع بالتحليل والتحرير ، وما كان التشريع والحكم إلا لله .

وهكذا كان الناس غارقين في الشرك وإن انتسبوا إلى شرائع تنادى بالتوحيد .

ثم جاء الإسلام فكان منطقياً عملياً في دعوته ، فالناس جميعاً لديه سواء كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد بدعوى أنه من هذه الطبقة أو من تلك ، ولا بدعوى أنه تجرى في عروقه دماء معينة ، وفي ذلك يقول رسوله صلوات الله وسلامه عليه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ . إِن رَّبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كلُّكم لآدم وآدم من تراب

الصحيح مع الدين ، والإيمان بالحكمة التامة في كل ما يصدر عن الإله ، وبأن للكون سنناً لا تبدل ولا تتحول ، وبوجوب البحث والنظر على كل مستطیع ، وبحرية العقل فيهما وعدم تكبيله والحجر عليه . . . الخ .

نعم إن الأديان الأخرى قد شاركت الإسلام في بعض تلك العقائد ، ولكن أهلها - كما بينا في عقيدة التوحيد - قد حرّفوها والتوّءوا بها عن أصلها ، وغفلوا عن لوازمها ومقتضياتها فكانوا بذلك مجافين لمنطقها ، وحائلين بينها وبين أن تؤدي إلى الغاية المقصودة منها ، أما الإسلام فأهدى للناس ما أهدى من ذلك صافياً لم تشبه الشوائب فكان حقاً وصدقا هو الحجة البيضاء ، ثم انفرد بما لم يشاركه فيه سواه ، فكان دين الإصلاح الكامل ، ومنهج السمو الذي ليس بعده سمو ، وكان جديراً بما قاله الله عز وجل حين أنمّه : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .

محمد محمد المديني

مفظة التشريع والنيابة عن الشرع فسمى نفسه « أمير المؤمنين » .

٣ - وقد سما الإسلام بالإنسانية سما آخر ، حيث جعل كل إنسان مسئولاً عن نفسه ، محاسباً على ما يفعله هو من خير أو شر ، فلا هو بمسئول عما يأتيه غيره ، ولا هو بمنتفع بعمل أبيه أو جده . أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ، « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » ، « كل نفس بما كسبت رهينة » ، « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » ، يا فاطمة اعملي فإنني لا أغني عنك من الله شيئاً .

وبهذه العقيدة أدرك الإنسان قيمته ، وأحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، واستثار كوامن قوته ومواهبه ليخطو في الحياة معتمداً على نفسه مستمداً النجاح والفوز من ذاته وعمله ، وبهذه العقيدة أيضاً قضى على تلك السلطة الغيبية التي كان يزعمها رؤساء الأديان من أنهم يستطيعون أن يجعلوا العاصي طائعاً لو أرادوا ، وأن الجنة ملك لهم يقطعون منها ما يشاءون لمن يشاءون .

* * *

هذه أمثلة مما جاء به الإسلام من عقائد الحق التي سمت بالإنسان وحفظت كرامته ، ووجهته في الحياة الوجهة الصحيحة المعينة له على القيام برسائلته من عمارة السكون ، وعبادة ربه الأعلى . وهناك عقائد أخرى تجري في هذا المضمار ، ولها تلك الآثار ، كعقيدة البعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال ، وعقيدة التآخي بين الدين والعلم ، على معنى أنه لا يمكن أن يختلف العلم

قال الله تعالى :

ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .

الأسس التي قام عليها التشريع الإسلامي

لصاحب الفضله الأستاذ على الحنيفي

استاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق

أهمها أسس ثلاثة، إليها يرجع كثير من قواعدها وأصولها وفيها تندرج جميع الأغراض والحكم التي قصدت إليها في جميع نواحيها واتجاهاتها، وهذه الأسس هي رعاية مصالح الناس والتيسير عليهم والعدل بينهم، فأما رعايتها لمصالح الناس فجاء أغراضها وأهم أهدافها، لا تغفل في حكم ولا تتحول عنه في؛ تشريع بحيث تكون المصلحة يكون حكمها، وحيث تكون المفسدة يمتنع حكمها. وهذه حقيقة تضافت عليها الأدلة حتى أصبحت علماً ضرورياً لا يرقى إليه شك ولا تقاربه ريب، يدل عليها ما وصف به الكتاب الحكيم الذي جاء بها وما نعت به الرسول الذي شرع للناس أصولها وبين لهم أحكامها، فقد وصف الكتاب بأنه مبارك أنزل رحمة للعالمين وهدى وبشرى للمؤمنين ونورا وموعظة للمتقين وبصائر وشفاء للناس أجمعين: يقول الله تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ويقول «كتاب أنزلناه إليك ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويقول «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»، ويقول في وصف الرسول: «يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم». وغير ذلك من آي القرآن كثير معلوم، وليس

الشريعة الإسلامية أبعد الشرائع عن التأثير بالاهواء والاستجابة للأغراض الشخصية والمطامع الطائفية، لا يأتيتها الباطل ولا تنجح إلى التمييز ولا تجعل الناس طبقات بعضها فوق بعض. وإذا جاز للشريعة أن تنزع إلى تحقيق شهوة لملك، أو أن تهدف إلى رفع طبقة من الناس، أو أن تميل إلى تحقيق مصلحة حزبية أو فكرة مذهبية، أو أن تزل في وضعها العقول وتضل في توجيهها الأفكار، فلن يجوز ذلك على شريعة شرعها الحكيم العليم وأنزلها لهداية الناس أجمعين والوصول بهم إلى عيشة راضية ينعم بها الفرد ويسعد بها المجموع.

ويمدنا النظر في هذه الشريعة إلى أنها قد قامت على أسس حكيمة وقواعد متينة، روعيت فيها الطبائع الإنسانية والنزعات النفسية ولوحظت فيها القوى البشرية وما يعرض لها من عوارض وما تتأثر به من أسباب وهوامل، لحققت لذلك أغراضها وآتت أكلها. ولكن الناس قد صدوا عنها فأعقبهم ذلك انحطاطا في أخلاقهم وضدوا في نفوسهم وانحلالا في وحدتهم وخرابا في أوطانهم فأصبحوا، عبيداً أذلاء لغيرهم يسخرونهم في تنفيذ أغراضهم ويحكمونهم بأهوائهم.

قامت الشريعة الإسلامية على أسس عديدة

فكانت هى أساسه فى شرعه دون أن يكون لمصلحة الفرد أى اعتبار فى حكمه إذا عارضت مصلحة كلية . ولذا كان من قواعد هذه الشريعة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند تعارض المصلحتين . وعلى هذا الأصل شرعت أحكام كثيرة ، منها الحكم القاضى بأخذ الملك من صاحبه جبراً عنه لأجل مصلحة عامة كشق طريق أو توسيع مسجد ، فكل ذلك عمر حين ضاق المسجد الحرام على الناس وكانت دور الناس يومئذ محدقة به من كل جانب عدا فتحات جانبية يدخل منها الناس إليه فاشترى عمر دوراً منها وأبى عليه ذلك أصحاب الدور الأخرى فأخذها منهم جبراً وأدخل الجميع فى المسجد بعد أن أودع قيعه ما أخذ جبراً باسم أصحابه . وهذا حل سليم ، لأن المصالح الفردية متضاربة متعارضة ليس فى الإمكان رعاية شئ منها إلا باطراح كثير غيره ، وليست رعاية مصلحة فرد بأولى من رعاية مصلحة فرد آخر والضرر يجب أن يزال . وفى رعاية مصلحة المجموع رعاية لمصلحة كل فرد من ناحية أنه جزء منه ومصلحة عائدة إليه ، فكان ذلك هو الواجب مراعاته دون نظر إلى ما قد يعارضه من المصالح الفردية . ومصالح الناس فى هذه الحياة تتكون من أمور هى لهم ضرورية تتوقف عليها حياتهم ويحتل بفقدائها وجودهم . وأخرى هم فى حاجة إليها ولكنها دون الأولى فى اعتماد الحياة عليها وصلاح الوجود بها فلا تحتل بفقدائها حياة الناس ولا يعممهم بسبب ذلك الفساد ولا تسود فيهم الفوضى ولكن يصيبهم عند فقدانها حرج

بعد هذا صلاح يرتجى ولا خير يطلب . وليس فى الإمكان أن يأبى كتاب هذه بعض أوصافه بشرية تسم الناس الخسف وتهدر فيها الحقوق وتضيع معها المصلحة ويشقى بها أهلها ، إذ لا يمكن أن يكون هدى وقد جاء بالضلال ولا أن يكون رحمة وفلاحاً وقد أتى بالشقاء ، ولا أن يكون شفاء وقد نزل بالمرض ولا أن يكون نوراً ورشداً إذا ضل به العقل وفشت به الجهالة . ثم أى شئ يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحل الطيات وتحريم الخبائث ووضع الانتقال وتحطيم الأغلال إذا لم تتوافر بذلك المصالح وتحقق المنافع ويزول الضرر وتجتث أصول الشر .

وإذا كان صانع الله فى خلقه أن هياً للإنسان منافعه ويسر له حوائجه وأحضر له مطالبه فسخر له ما فى السموات وما فى الأرض وسخر له الليل والنهار وسخر له الشمس والقمر دائبين وسخر له الفلك وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة فهل يمكن أن يكون صانعه فى شرعه على خلاف صنيعه فى خلقه ؟

لقد دل استقراء الشريعة والنظر فى أدلتها كلية وجزئية والبحث فيما انطوت عليه من الأغراض والحكم ، على صحة هذه النظرية فكانت أدلة الشريعة كلها لا فرق بين خاصها وعامها ولا بين مطلقها ومقيدها ولا بين كليها وجزئها ، دائرة على رعاية المصالح فى جميع مناحيها ووقائعها حتى صار العلم بذلك علماً ضرورياً وتبين أن رعاية المصالح قطب التشريع الإسلامى وأصله الذى لا متحول عنه . كما دل استقراء تلك الأدلة على أن رعاية الشارح الإسلامى إنما كانت لمصلحة المجموع

من ذلك مراعاة ما جرى به عرف الناس في تعاملهم وما اعتادوه في تصريف شؤونهم مما ليس فيه ضرر غالب فإن الناس قد تدفعهم الحاجة وتقتضيهم الحياة أن يزاولوا أ. ورا يرون فيها استقامة أحوالهم وسداد حاجتهم فتصير جزءا من نظامهم وعرفا جاريا فيهم ، تقوم به حياتهم وتصلح أمورهم فلا يكون من الحكمة والمصلحة إخراجهم بحملهم على تركه دون أن يكون في ذلك صلاحهم . وما جاءت الشريعة بحرج ولا شرعت الإغنيات ومع هذا قد تدعو الناس أهواؤهم الجاحمة وشهواتهم الطاغية إلى ارتكاب أمور أخرى يخذلهم زيفها ويغريهم بريقها فيتخذونها عبثا ولها وتصور محبة إلى نفوسهم السيئة ونزعاتها الآثمة فينغمسون فيها حتى تتمكن منهم وتفسو فيهم وتصير عادة عامة لهم . في مثل هذه الحالة رأت الشريعة أن تطهرهم منها وأن تجنبهم آثامها وشرورها وأن تعالجهم من أمراضها بكل وسيلة تدعو إليها الحكمة مع الموعظة الحسنة .

وهذان نوعان من العرف أولها : عرف صحيح لأنه لا يعارض شرعا ولا يخل بصلاح . وقد راعت الشريعة الإسلامية ما يقضى به فأقرت فرض الدية على العاقلة ، واشترطت الكفاءة في الزواج ، ومبدأ العصبية في الإرث ، وتحريم الزواج بين المحارم من الأقارب ، وكثيراً من أنواع المعاملة والمبادلة ، كالسلم والعارية وغير ذلك مما كان معروفا لدى العرب قبل الإسلام . وثانيهما عرف فاسد لما يترتب عليه من ضرر وما يجر إليه من مفساد . وقد حاربت الشريعة لخرمته

ومشقة لا يبلغان مبلغ ما يكون من فساد وضرر عند فقد الأولى . وينضم إلى هاتين الطائفتين من المصالح طائفة ثالثة من أمور لا تدخل في الطائفتين السابقتين لأنها دونهما وليكن تعتبر مكتملة لها ويجمعها الأخذ بمحاسن العادات والعمل بما تتطلبه المروءات ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات^(١) فتتحقق للناس مصالحهم على أكمل وجه وتطيب معاشهم . وينعمون بحياتهم .

وقد بنى أمر هذه الحياة على اختلاط المصالح بالمفاسد والملاذات بالآلام ، فلا يقع في هذا الوجود نفع إلا مشوبا بضرر ، ولا لذة إلا مختلطة بألم ويعجزك الفصل بينهما إذا حاولته ويعيينك الظفر بأحدهما وحده إذا أردته . ولهذا كان اتجاه الشارع الإسلامي في شرعه إلى غلبة أحد العنصرين فهو يراعى ما غلب فيه جانب المنفعة ، ويدبر ما غلب فيه جانب المفسدة ، وما قد يوجد في الأمر من ضرر وحرج فإن الشارع لا يقصد إليه ولا يريده من شرعه ولا يجعل لوجوده اعتبارا نظرا إلى ما يصاحبه من نفع راجع وصلاح غالب .

ورعاية الشارع للمصالح ودرئه للمفاسد على هذا الوضع تتناول أمورا كانت هي الأخرى من أسس شرعه التي قام بها ومن قواعد ، التي بنى عليها كثيرا من أحكامه لما في رعايتها من توفير الخير وتحقيق النفع .

(١) ورعاية الشريعة لها على هذا الترتيب تهمل رعاية الطائفة الثانية إذا عارضت الأولى وتهمل الثالثة عند معارضتها الثانية وتراعيها جميعا عند عدم التعارض وبرعايتها على هذا الوضع .

وكان شرع الله في ذلك سبيلا إلى توفير النفع وتحقيق الخير العام دون نظر إلى ما قد يخالف ذلك من ضرر قد يصيب فرداً وقلة من الناس . وعلى هذا الأساس أمر الناس بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم ولو أدى ذلك إلى قتل النفس . وسأخ للتاجر أن يرخص في سلته وإن ترتب على ذلك إغراض الناس عن سلع غيره^(١) وأن يدفع الرجل عن نفسه ظلماً وإن رأى أنه يصيب عند ذلك غيره : قيل لحماة بن أبي سليمان : قد يتكلم الرجل فترفع عنه المظلة وتوضع على غيره فقال إنما عليك أن تدفع عن نفسك فإذا وقعت على غيرك فلا تبالي إذ لا سبيل عليك إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغنون في الأرض بغير الحق .

وقد يكون الضرر في أمر من الأمور غالباً فيحرم لذلك ، ثم يعرض له في بعض الظروف ما يجعل النفع فيه راجحاً ، فيتغير لذلك حكمه ويصير جائزاً أو مطلوباً بعد أن كان ممنوعاً ، غير أن ذلك يجب أن يكون موقوفاً ببقاء تلك الحالة واقتضاء ذلك الظرف وعلى قدر ما تستوجبه الضرورة فتقدر عند ذلك بقدرها ولا يجوز مجاوزتها وعلى هذا الأساس أحلت الشريعة كثيراً من المحظورات حسبما تقتضي به الضرورات ووضعت القاعدة : الضرورات تبيح المحظورات . وعلى أساس ذلك أحل أكل الميتة لمن اضطر

(١) وحرم على الناس تلقى الركبان من التجار لأخذ السلع قبل دخولهم إلى الأسواق وبيع الحاضر للبادي قبل تعرف الأسعار وبيع السلاح لأهل الحرب والفتنة والسكوت عن المنكر .

وفرضت العقوبات على مقترفه . ومن ذلك التعامل بالربا والميسر وشرب الخمر وغير ذلك من منكرات الجاهلية . ولذا لم تكن الشريعة الإسلامية شريعة مستحدثة جديدة في جميع نواحيها بل كان كثير من أحكامها معروفاً مقررأ قبل مجيئها وكانت مهمتها في الواقع إصلاح المجتمع وعلاجه . وذلك بإصلاح الفساد وتكميل الناقص وتحريم الضار وإقرار الصالح .

وقد يتناول العرف ما بقي في الناس من شرائع سابقة لم تعمل فيها يد الإفساد والتحريف فبقي على صلاحه وأصبح عرفاً صحيحاً راعاه الشارع الإسلامي لأنه موف بالعرض الذي قصد إليه من شرعه .

ويتصل بهذا الأصل أيضاً إقرار الشارع الإسلامي لما يراه المسلمون حسناً من الأفعال والأحكام ، فإن لإسلامهم بمنعهم أن يروا الحرام حلالاً والخبيث طيباً والفساد صالحاً ، فلا يرون الشيء حسناً إلا إذا كان خيراً أو وسيلة إلى خير ؛ وتلك أغراض توخاها الشارع في شرعه وقصد إليها في حكمه ؛ ويؤيد ذلك الأثر : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وكانت هذه الفكرة لأحدى الدعائم التي قامت عليها حجية الإجماع واعتضدت بها الشرورى في الإسلام .

وإذا كانت الشريعة كما بينا قد شرعت لتحقيق مصالح الناس وسد حاجاتهم فليس في توفير المصالح ما هو أهم وألزم من درء المفاسد ودفع المضار ، ولذا حرمت الخبائث ونهت عن الجرائم وأمرت بالكف عن المحرمات والسمى إليها

القاعدة في الواقع إلا تطبيقاً للأصل القاضي بدمه
المفاسد على أتم وجه وأكمل وضع، حتى لا يتورط
الإنسان في شر من حيث أراد الخير لنفسه، فاقترضت
إرادة الشارع الحكيم أن تكون لوسائل المفاسد
وطرائقها من الكراهة والتحریم ما لعواقبها، إذ
لو أباحها لكان ذلك نقضاً لحكمه ورفعاً لتحریمه
ولا نفتح على الناس باب المفاسد والشرور لا يصلح
به حال ولا يوم معه نظام ولا يسلم معه اجتماع.
ومما بنى على هذه القاعدة من الأحكام تحریم
الخلوة بالنساء الاجنبيات وسفرهن مع غير ذی
رحم محرم منهن، والجمع بين المحارم والزبادة على
أربع زوجات. ومن ذلك قوله تعالى «ولا تسبوا
الذين بدعوا من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير
علم، وغير ذلك كثير من الأحكام.

وأما قصد التيسير على الناس فهو مستبين في
جميع أحكامها واضح في كل دلائلها ظاهراً
في خلق من جاء بها وبیتنها وليس أدل على ذلك
من قوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر»، فقد دل على أن إرادة اليسر إرادة
عامة شاملة غير منقطعة لا تصاحبها إرادة العسر
في أي زمن أو أية حالة. ومن قوله تعالى لرسوله
«ونيسرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى،
أي نعدك ونهينك للشریعة اليسرى السهلة الهينة
التي لا تضني ولا ترهق فذكر الناس بها. ولقد
تمكن ذلك من نفسه حتى كان من أخلاقه صلى الله
عليه وسلم، فيما ذكرته عائشة أنه ما خیر بين
أمرين إلا اختار أيسرهما وقد روى عنه أنه
واصل الصيام أياماً ثم تركه ونهى عنه مخافة أن

في غصّة غير متجاوز ما يدفع عنه الهلاك. وأحل
أكل مال الغنير دفعا للهلاك عند شدة الجوع
بقدر ما يدفع الضرر. وحل شرب الخمر للتداوى
أو لدفع الظم الشديد الضار. وفي مثل ذلك نزل
كثير من آي القرآن الحكيم قال تعالى بعد بيانه
لبعض المحرمات: «فمن اضطر في غصّة غير
متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم»، وقال في
موضع آخر: «فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فإن الله غفور رحيم»، وفي موضع آخر
إلا ما اضطررتم إليه، وفي آخر: إلا من أكره
وقلبه مطمئن بالإيمان.

وعلى هذا الأساس شرعت العقوبات بجميع
أنواعها ففيها صلاح الجاني في كثير من
حالاتها على الرغم مما يصيبه من ألم، وفيها زجر
غيره ممن تسول لهم أنفسهم أن يعتدوا على غيرهم
أو يخرجوا على النظام أو يعتبوا به. وفيها صلاح
المجتمع، وهو غاية كل تشريع صالح وأمل كل
مصلح ورجاء كل عاقل حكيم.

ويتصل بهذا الأصل قاعدة هامة من قواعد
التشريع الإسلامي، وهي قاعدة سد الذرائع
وتتحقق عندما يكون الفعل الجائز في نفسه
ذريعة وطريقاً إلى ما هو شر في نفسه. وإن
شئت قلت عندما يكون في مباشرة أمر فيه
مصلحة إفضاء إلى مفسدة.

عند ذلك يكون للوسيلة حكم ما تفضي إليه
من مفسدة حرمة أو كراهية. وقد حكمت هذه
القاعدة في كثير من أحكام الشريعة الإسلامية
حتى جعلها ابن القيم أصلاً لأربعها. وليست هذه

ومن مظاهر هذا التيسير والقصد، إليه التدرج في بيان هذه الشريعة وفي تكليف الناس ببعض أحكامها حتى لا يرمقوا بشكاليها دفعة واحدة، ولا يعنتهم مطالبهم بترك ما اعتادوه مرة واحدة، فأنزل القرآن مفرقا على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال والظروف في مدة بلغت ٢٢ سنة نزل فيها تباعا فيما يحدث من وقائع تتطلب حكما، أو أحوالا تقتضى بياناً، وكذلك كان شأن السنة، لم يأتهم بها الرسول إلا مفرقة مجزأة على حسب مقتضيات الأحوال وتطلب الظروف. وكذلك روعى هذا التدرج في التكليف ببعض الأحكام فلم تحرم الخمر على الناس من غير تمهيد لذلك التحريم، بل أعدت له النفوس قبل نزوله بأن بين أن إثمها أكبر من نفعها، ثم حرمت عند الصلاة، ثم حرمت بعد ذلك تحريماً نهائياً. وبهذا التدرج لم يواجه الناس جميع التكاليف دفعة واحدة، ولم يطلب إليهم عمل شيء إلا بعد أن هيئت نفوسهم له واستعدت لامثاله حتى لا يشق عليهم فعله.

وكان من مظاهر هذا التيسير أيضاً قلة التكاليف فيها، فإذا نظرت في القرآن رأيت أن ما يحويه من الأوامر والنواهي قليل العدد قليل التفصيل يسير التنفيذ لا يرهق تنفيذه ولا يشق احتماله. وليكلاً تكثر التكاليف بسبب المسألة والإلحاف فيها، نهى عن السؤال فقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم، عفا الله عنها والله غفور حلیم. قد سأله قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين، وقد نزلت هذه الآية

يأتسى به الناس في ذلك. وكان يترك العمل وهو يحب أن يعمل خشية أن يظن الناس وجوبه فيعسر عليهم فعله.

وقال: «خذوا من العمل ما تطيقون»، وقال: إذا «أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»، إلى غير ذلك من أقواله وأفعاله التي تدل على أن التيسير على الناس من أهم أغراض الشريعة وأعظم قواعد الدين. وعلى هذا الأساس كان التكليف في الشريعة على حسب الوسع وكان الأمر فيها على قدر الطاقة وجانبت في أحكامها الحرج والمشقة يدل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة «لا تكلف نفس إلا وسعها». «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»، وفي سورة المائدة «لا تكلف نفساً إلا وسعها». «ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج، وفي الحج» «وما جعل عليكم في الدين من حرج»، وفي سورة النساء «يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً»، ويقول الرسول: بعثت بالحنيفية السمحة. أى المائلة عن الضلال السهلة اليسيرة التي بليت على القصد والتوسط لا تنهى بأهلها إلى الانقطاع عنها والوقوف دون غايتها عجزاً عن متابعتها. وعلى هذا الأساس روعيت فيها الاعتذار الطارئة التي يشق معها الحكم ويتعسر، فرفع أو استبدل بما هو أيسر منه. ولذا أيسح للمكره أن يتلفظ بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وأيسح أكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة. وأيسح الفطر في السفر وعند المرض في رمضان. وقصرت الصلاة في السفر. وكان من قواعد هذه الشريعة الضرورات تبيح المحظورات، وعليها بنى كثير من الأحكام.

حين كان الرسول يبين للناس فريضة الحج فقام إليه رجل فقال : أكل عام يا رسول الله فأعرض عنه فكرر الرجل السؤال ثلاثا : وفي كل مرة يعرض عنه ، حتى قال له في الرابعة : لا ، والذي نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت ما استطعتم ، ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . وفى ذلك يقول الرسول أيضا : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تتعدوها ، وعفا عن أشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها ، ومن مظاهر التيسير أيضا درء الحدود بالشبهات حتى لا يقام حد مع شبهة تشكك في وجوبه لأن في إقامة الحد مع شبهة حرجا يثيره احتمال البراءة وعدم اطمئنان النفس إلى استحقاق العقوبة ، ولذا قال الرسول : ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم ، كما كانت من آثاره احتمال الضرر لدفع ما هو أعظم منه ، فإن في دفعه إزالة ضرر لنا عنه مندوحة . على هذا الأساس بنيت أحكام كثيرة كما يحجب النفقة على القريب ، وإجبار المدين على الوفاء ، وإجبار الشفيع على تملك ما زاده المشتري في العقار المبيع ، وإلزام الزوجة بطاعة زوجها ، وغير ذلك من الأحكام .

وأما العدل بين الناس فليس لاية شريعة منه مثل ما للشريعة الإسلامية فيه من حظ ، فقد عينت ببيان ما للناس من حقوق لحافظت عليها وسنت الأحكام الكفيلة بردها إلى أصحابها ، حتى أمن الناس بها على أنفسهم وأعراضهم ودينهم وأموالهم وحقوقهم واطمأنوا إلى الاستمتاع بها في حدود ما شرعت من أحكام ، وما سنت من نظام وكان من أسسها التزام العدل في جميع الأمور في القول والفعل وفي المعاملة والمجازاة قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وقال : ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وقال : وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، وكان من آثار قيامها على العدل أن جعلت الناس أمامها سواء ، فهم فيها سواسية غنيهم ، وفقيرهم ، وكبيرهم ، وصغيرهم ، وأميرهم ، وسوقهم ، لا يرتفع فيها أمير على حكم ولا يفلت من جزاء ، وفى ذلك يقول الرسول : الناس سواسية كأسنان المشط ، ويقول حين شفع إليه أسامة في حد من حدود الله : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ،

وبقيام الشريعة الإسلامية على هذه الأسس سارت الزمن ووسعت التطور وصلحت لسكل أمة ولامت كل وقت ولم يذب بها مسكان ، ولكن الناس جهلوا أصولها ولم يعرفوها على وجهها فانصرفوا عنها إلى غيرها فضلت بهم السبل فلم يصلوا إلى غايتهم المرجوة ولا إلى كمالهم المطلوب .

على التحيف

وَأما العدل بين الناس فليس لاية شريعة منه مثل ما للشريعة الإسلامية فيه من حظ ، فقد عينت ببيان ما للناس من حقوق لحافظت عليها وسنت الأحكام الكفيلة بردها إلى أصحابها ، حتى

مناهج الفقهاء الأئمة في التشريع

لصاحب الفضيلة الدكتور أحمد أمين

ومحمد . وفي مصر واجه الشافعي مشاكل الرئي الناشئة عن النيل ، هذا إلى مشاكل المعاملات والجنايات .

ولكل قطر عاداته في المعاملات والجنايات . ومن أجل ذلك كان للشافعي مذهبان : قديم وجديد ؛ قديم قبل أن يدخل في مصر ، وجديد استدعته أحوال مصر . ولذلك أود أن يتجه بعض الناشئين الباحثين ، فيقارنوا بين مذهبه القديم والجديد ، ليعرفوا إلى أي حد غيرت مصر من مذهبه القديم ، ويعرفوا الحالة الاجتماعية التي استدعت ذلك .

هذا إلى أن كثيراً من الأمم التي دخلت تحت حكم الإسلام كالفرس والروم كانت لهم عادات خاصة ، فلما دخلها الإسلام كانت لابد أن يعرضوها على الأئمة ، ليرضوا أو يردوها أو يحددها . على الأصول الكلية للإسلام ، ويقرؤها أو يحكموا بطلانها .

وأسباب الخلافات بين الأئمة ترجع إلى عوامل كثيرة ، منها صحة حديث عند بعض الأئمة في بعض الاقطار ، وعدم صحتها عند الآخر . ومنها فهم الإمام لآية وحديث حيث لا يفهم الإمام الآخر هذا المعنى منهما ، ومنها أن أحد الأئمة يشترط شروطاً كثيرة في قبول الحديث حيث لا يشترطها الإمام الآخر ، ومنها تأثر الإمام

اتفقت كلمة المشرعين على أن أصول الأحكام الكتاب والسنة والإجماع والقياس وإن اختلفوا في الاعتماد والتفسير لبعض هذه المصادر . فثلاً يعتمد الإمام أحمد بن حنبل على الحديث كل الاعتماد ، ويجمع في مسنده نحو ستة آلاف حديث ، يبنى عليها أحكامه الفقهية ، على حين أن أبا حنيفة لم يصح عنده إلا نحو تسعة عشر حديثاً ، كما يخبرنا بذلك ابن خلدون . ويضيق الإمام مالك فكرة الإجماع ويقصرها على إجماع أهل المدينة ، على حين أن غيره من الأئمة يجعل الإجماع عاماً لجميع المسلمين ، استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . ويتوسع أبو حنيفة في القياس حيث يضيقة أحد ابن حنبل . وهكذا تختلف منازعهم ، وإن اتفقوا على الأصول الأربعة . وعدا ذلك اختلفت منازع الأئمة في التشريع . وكان لابد من اختلاف انجهااتهم فإن الأحكام الواردة في القرآن والسنة أكثرها أحكام كلية ، مثل « لا تضارر » والدة بولدها ، ولا مولود له بولده ، ومثل « لا ضرر ولا ضرار » ، وهكذا . وقد واجه الأئمة بعد فتح الامصار حالات كثيرة جديدة ، لم تكن معروفة في جزيرة العرب . ففي العراق واجهوا مسائل الرئي الناشئة عن دجلة والفرات ، واجهها أبو حنيفة ، ثم من بعده تليذاه أبو يوسف

مشاهير المحدّثين في بغداد ومصر .

وملخص منهجه أنه إذا عرض له أمر ، بحث عنه في الكتاب ، فإن لم يجده بحث عنه في السنة ، وإذا وجده في الكتاب بجملاً ، بحث عنه في السنة مفصلاً . ولذلك يجعل الشافعي العلم بالسنة في مجموعها في مرتبة القرآن ، ويعني بذلك الحديث الذي ثبتت صحته ، إذ قيّد السنة التي في مرتبة القرآن بالسنة الثابتة ، فإذا لم يجد الحكم في كتاب ولا سنة اتجه إلى الإجماع ، فإن لم يجد لإجماعاً ، التجأ إلى القياس . وقد غنى الشافعي بدرس القياس وتحديده ، وقد حدده بالمثال ، ووضع قواعد معينة لاستعمال القياس .

أما أبو حنيفة فقد تشدد في الحديث الذي يقبله ، ولذلك قل اعتماده على الأحاديث كما ذكرنا ، واضطره ذلك إلى التوسع في القياس ، لأنه إذا لم يكن في المسألة العارضة حكم في الكتاب ولا في السنة ، اضطر إلى أن يلجأ إلى القياس ، فتوسع فيه أكثر من باقي الأئمة .

وأما أحمد بن حنبل ، فقد توسع في الحديث ما شاء الله أن يتوسع ، فلم يعتمد على القياس إلا قليلاً ، ولم يتصور إجماعاً غير إجماع الصحابة . وبجانب هؤلاء الأئمة الأربعة كان هنالك أئمة يتجهون اتجاهات مخالفة بعض الشيء . ففهم من كان ينسك الحديث بتاتاً ، وقد حكى ذلك عنهم الإمام الشافعي نفسه في الأم . وأئمة رفضوا القياس بتاتاً ، ولم يعتمدوا إلا على النص . حكى عنهم ذلك الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » ، كما فعل أهل الظاهر ، فأهل الظاهر

إلى درجة كبيرة بالبيئة التي يعيش فيها ، حيث يتأثر الآخر ببيئة غيرها . ومنها ثقافة كل إمام وإن كان كلهم مثقفين ، إلا أنه مهما كانت ثقافتهم فإن كلا منهم يختلف عن الآخر في نوع الثقافة ومقدارها : فثلاً الإمام مالك متأثر ببيئة المدينة حيث كان يسكن رسول الله ، ومخالف للصحابة الذين كانوا يعيشون حوله ، وكان يقدرهم تقديرأ كبيراً حتى جعل الإجماع الذي يعتد به هو إجماعهم . ووجوده في المدينة مكنه من معرفة الأحاديث الصحيحة التي اعتمد عليها في كتابه الموطأ . ولكن من ناحية أخرى ، كان وجوده هذا في المدينة سبباً في عدم اطلاعه على المدينيات الأخرى ومعاملاتها وجنباياتها ، كالتى اطلع عليها أبو حنيفة في العراق والشافعي في مصر . والشافعي مثلاً تليذ الإمام مالك ، ومتأثر به ، ومطلع أكثر من الإمام مالك على المدينيات الأخرى التي رآها في مصر والعراق ، ومما امتاز به اعتدائه إلى علم الأصول ووضعه له ، ثم استنباطه الأحكام على وفقه ، مما لم يصل إليه إمام آخر . ولذلك كان مذهبه أكثر المذاهب انطباقاً على المنطق بعكس الأئمة الآخرين ، فإنهم كانوا يعتمدون على فهمهم لآيات الأحكام وأحاديثها ، وكان الاستنباط كالملمكات في نفوسهم ، فجاء الشافعي ، فوضع تلك الأصول والتزمها . والشافعي كما تدل عليه رسالته في الأصول يقسّد السنة تقديرأ عظيماً ، لأنها في كثير من الأحوال مبيّنة للكتاب ، مفصلة لمجمله . وقد نفعه في ذلك دراسته الموطأ على الإمام مالك ، وملاقاته

ظاهر أكثر من ظهور ذلك في الدولة الاموية ، فأولا رويت الاحاديث الكثيرة عن عبد الله ابن عباس ، وأعلى شأنه كثيراً ، وثانياً ظهر في التشريعات أشياء كثيرة ، تخدم سياستهم التشريعية ، كالتشديد على التصارى بلبس الزنار ، وتميزهم بالملابس الخاصة ، يدرك ذلك من دقق النظر في كتاب « الخراج » ، لابن يوسف . وهذا التدخل السياسى في التشريع هو الذى كان السبب في رفض كثير من الائمة تولى القضاء ، وإن عذبوا وأهينوا ، لأنهم متى قبلوا القضاء ، فقد خضعوا للسلطة السياسية ، وجاروها ، وعملوا حسب رأيها .

على كل حال قد أفاد هؤلاء المشرعون بناهجهم الإسلام فائدة كبيرة .والذى يريد أن يدرس فلسفة المسلمين الاصلية وبعد نظرهم ، وجدهم الماضى ، فليدرس المشرعين وتاريخهم ، وفقهم ، وأصولهم ، فهنا يجد الإصالة التامة ، حيث لا يجد ذلك في دراسته للفلسفة والفلاسفة المسلمين ، فإنها تقليد لليونانيين ، وليس فيها من الإصالة ما للمشرعين . ولو ظل باب الاجتهاد مفتوحا طول العصور ، لرأينا العجب العجيب من نمو الفقه وتطوره ، مما يناسب كل عصر ؛ ولكنهم جازاهم الله على عملهم ، ضيقوا في الدين واسعا ، وحرموا على أنفسهم ما أحله الله . فكان كلام الخلف ليس إلا ترديداً لما قاله السلف . حتى في الأمثلة .

وليسوا يبيحون لأنفسهم أن يواجهوا مسألة جدت ولم يكن لها في الماضى نظير ، ولا أن

يرفضون القياس ولا يعتمدون إلا على النصوص . ويعتبرون أن النص إذا ذكرت علته ، كان أخذ الحكم من هذه العلة بناء على النص لا بناء على القياس . ومع اعتمادهم جميعاً على الاصول الاربعة ، وهى الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فإنهم واجهوا مسائل اضطروا فيها إلى الرجوع إلى العدالة ، كما يقررها العقل ، وهى التى كان يسميها القانون الرومانى بقانون الطبيعة . وسميها كل إمام باسم خاص فسميها بعضهم استحسانا ، وسميها بعضهم استصلاحاً ، وسميها بعضهم المصالح المرسله .

وقد تعسف بعضهم فأرجعها إلى القياس ، وسميها قياساً خفياً ، مع أن العقل غير المتعسف يرى أنها ترجع إلى طبيعة المشرع في تقويم العدالة . وليست من قبيل القياس المعروف .

فترى من هذا أن مناهج الفقهاء تكاد تكون متقاربة ، لأن اختلافها إنما هو في التفاصيل لا في الأسس ، على أنها لا تنكر أن السياسة لعبت دوراً كبيراً عند بعض الفقهاء ، وأثرت في بعض آرائهم ، فمثلاً كان الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ رجلاً كبير النفس ، واسع العلم ، ومع ذلك كان كثير الاتصال بالامويين . فكان يسهل أحكامهم ، ويهد الامور لسلطانهم . وربما كان يرى أن مسألتهم وعدم الخروج عليهم ، مما يجمع أمر المسلمين ، ويوحد كلمتهم . وكان كثيرون يرون أن سوء العقيدة مع العمل والقوة خير من صحة العقيدة مع الضعف والظلم . أما في الدولة العباسية فتدخلهم في التشريع

اليوم أكملت لكم دينكم

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت
عضو هيئة كبار العلماء

الحمدية من جهة البيان والتشريع . ومن جهة
النفوذ وإقرار السلطان .

بدأت الرسالة الحممدية بدعوة الناس
إلى الإيمان بالله ، وتطهير القلوب من الشرك
والوثنية ، وعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ،
وإلى الإيمان بالوحي الذي ينظم به الله حياة
الإنسان منفرداً ومجتمعاً ، ويرسم له طرق القرني
إليه ، ويجمع هذا الإيمان بالملائكة والكتب
والنبين ، وإلى الإيمان باليوم الآخر ، يوم البعث
والجزاء الذي يحاسب فيه المرء على ما قدم من خير
أو شر ، والذي يخلق في الإنسان . معنى الضمير

قد رأينا أن تكون الآية التي نكتب عنها
في العدد الأول بعد عيد الاضحى ، هذه الآية الكريمة
التي تعتبر أعظم ذكريات عيد الاضحى ، الذي نزلت
فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يحج بالمسلمين حجة
الفريضة وهي حجة الوداع التي لبي بعدها نداء ربه .
والكلام عليها يتقاضاها نظرتين : إحداها
في تصوير الوقت والحال اللتين نزلت فيهما .
وثانيتهما في بيان المراد من إكمال الدين ، وإتمام
النعمة ، ورضاء الله الإسلام ديناً للمؤمنين .

وقياما بحق النظرة الأولى يجدر بنا أن نرجع
إلى الوراء ونشير في إجمال إلى مراحل الدعوة

فنتبعه إهمال الساسة الفقه الإسلامي ، والاتجاه
إلى غيره من القوانين الغربية . كما حدث في
عهد الخديو إسماعيل فقد روى أنه طلب من
جمهرة من العلماء أن يجمعوا له الأحكام من
سائر المذاهب المختلفة ، ولا يتقيدوا بمذهب
واحد ، وأن يعدلوا عن بعض المسائل في مذهب
إلى غيرها أصلح منها في مذهب آخر ، فلم يقبلوا ،
فاضطر إلى التشريع على أساس القانون الفرنسي ،
ولإنشاء المحاكم الأهلية . فكان ذلك ضربة كبرى
على التشريع الإسلامي .

ولو كان مصطفى كمال قد رأى من علماء
المسلمين مرونة واجتهاداً ما التجأ إلى القوانين
الأوروبية ينقلها بحذافيرها من غير مراعاة لوطئه .
ومن هذا نرى أننا نحتاج إلى ثورة فقهية ،
وثورة أدبية بجانب الثورة السياسية والله الموفق .

أحمد أمين

يقدرنا عمل الزمان في تغيير الأحداث
والأحكام ، فنحن أحوج ما نكون إلى طائفة
بمجهدة تماشي العصر ، وتشريع للزمان .

لقد ملأ العالم بانقلابات خطيرة في الصناعة ،
كالطائرات والغواصات والقطارات ، والقنابل
الذرية ، والراديو والتلفزيون ، وغير ذلك من
آلاف المخترعات ، وكلها تتطلب تشريعات
جديدة ، فثلا الطائرات تقتضى بحثاً في مدى
ملكية الأمة اسمائها ، وهل يجوز لطائر من أمة
أن يطير بطائرته في سماء أمة أخرى من غير
إذنها ، ونحو ذلك من مشاكل . وكثيراً ما كان
الشيخ محمد عبده رحمه الله يستفتى في مسائل
جديدة تواجه المسلمين ، كلبس البرنيطة وإيداع
المال في صناديق التوفير ، وأكل ذبائح النصرى ،
ونحو ذلك ، فكان يجتهد ، ويشترع عليه في اجتهاده .
ولولا اجتهاده هذا لحار المسلمون في أمرهم .

أما هذا الجود ، وإغلاق العين عما يحصل ،

ولذلك كان من غير الممكن أن يخرج الرسول وهو مقوض دعائم الشرك والوثنية ، والداعى إلى التوحيد ، والمكلف من قبل ربه بتطهير البيت من نداء غير الله ، ومن مخالفة أوامر الله ، وبالتزام المناسك التى شرعها الله . فكان لابد من العمل أولاً على تطهير البيت من هذه العبادة الشركية التى زل بها العقل البشرى ، وأردت بكرامة الانسان ، والتى كانت فى حقيقتها ومنناها تمثل بما لها من تقاليد فاسدة ، وعادات منسكرة أخش نظام عرفه البشر إلى يومنا هذا ، كان فيه وأد البنات وإكراههن على البغاء ، وعضلهن عن الزوج طمعاً فى ما لهن ، كان فيه استغلال حاجة المحتاجين فى أقبح صور الاستغلال ، كانت فيه الإباحة الخلقية والجنسية إلى غير حد تنجّل منه الانسانية . ولا ريب أن الشرك بما يحمل فى طياته من هذه الشرور والمآثم ثورة جامحة على الإيمان وما يحمل فى طياته من خير وصلاح . وليس من المعقول أن يبق منبّع الشر لإزاء منبع الخير العام ، وإلا اضطرب الخير واستهدف لتيارات الشرك ، والتوت به طرق الهدى والصلاح .

كما أنه ليس من المعقول وقد وقف المشركون مع المؤمنين الموحدين هذه المواقف الشديدة التى قصها التاريخ علينا - . والى كان منها صدمهم عن المسجد الحرام ، والسخرة منهم فى عبادة الواحد ، - أن يتركوا ينفثون غازانهم السامة فى جو الإيمان الطاهر الثقى ، ومن ذلك كان لابد أن يسبق خروج النبي لأداء فريضة الحج عملية

الدينى الذى يحول بينه وبين ارتكاب الفسوق والعصيان ، إن لم يكن خوفاً من جلال الله وجماله ، فطمعاً فى وعده وثوابه ، أو خشية من غضبه وعقابه ، وبالندوة إلى مكارم الاخلاق التى تحقق معنى الإنسانية الفاضلة التى تربط الناس بروابط المحبة والرحمة والتعاون والتواصى بالحق والتواصى بالصبر . وما إلى ذلك من الخلال التى تفتح للناس أبواب الخير والسمادة ، وتسد دونهم منافذ الشر والشقاء .

عن الرسول (ص) وهو فى مكة بتطهير الباطن وإصلاح النفوس عن هذا الطريق حتى إذا ما كمل له ذلك تتابع عليه الوحي بالتشريعات العملية ، التى تنظم الأسر ، وتنظم شئون المجتمع ، وتحفظ كيان الدولة من التأثير بمكائد الأعداء وعدوانهم على الحق والفضيلة . وقد هاجر فى سبيل ذلك إلى المدينة التماساً للتربة الخصبة التى ينمو فيها غرسه ، ويشمر ثمراته الطيبة ، وما زال يجاهد ويكافح حتى هبأ الله له فتح مكة ، فعاد إليها هو وصحبه بعد أن أخرجوا منها ، ودخلوا المسجد الحرام بعد أن صدوا عنه ، وحالفهم نصر الله وتأييده فيما حصل بعد الفتح من وقائع وحروب حتى كانت السنة التاسعة من الهجرة فآتمر عليه الصلاة والسلام صاحبه أبا بكر على المسلمين فى أداء فريضة الحج لأول مرة يؤدونها بصفة عامة بعد أن خلص لهم السلطان على مكة وعلى مشاعر الحج كلها ، وكانت فلول المشركين المتفرقة فى شبه الجزيرة لا تزال تقصد بيت الله الحرام لتؤدى مناسكها على منهاجها الجاهلى : شرك فى السجود ، شرك فى التلبية ، عرى فى الطواف .

شاهدين على أنفسهم بالكفر، أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين،

« يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المساجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله، إن شاء إن الله عليم حكيم، . وفي هذه الآيات الإجابة بالمؤمنين إلى قطع ما بينهم وبين المشركين من ولاية القرى وصلات الرحم، لإيثارا للحق على الباطل، وإيثارا لرضا الله عن مقتضى العاطفة والهووى فتسلم الدعوى، ولا ينفذ إلى صفوف المسلمين شيء من عوامل التفرق والانقسام. « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون، قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين، . ثم لا يفوت الآيات وهى تركيز للمؤمنين شأنهم وتضع لهم قواعد العز والسيادة، أن تحذروهم من مجارة غيرهم فى الاغترار بزخارف الدنيا وأكل أموال الناس بالباطل، والاضن بإنفاقها فى سبيل الله، فتوجه إليهم هذا الخطاب المصحوب بالإلذار الشديد لمن يسلك منهم هذا السبيل « يا أيها الذين

التطهير والقضاء على مظاهر الفساد، وانتزاع أصول الشر حتى تسلم الكلمة لله، ولأولياء بيته الحرام، وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه، إن أولياءه إلا المتقون ولمكن أكثرهم لا يعلمون. وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية،

ولهذا اقتضت الحكمة أن يخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى السنة التاسعة على رأس المسلمين لتأدية فريضة الحج، ولم يكذب يصل إلى أماكن المناسك حتى نزلت أوائل سورة براءة تعلن كلمة الإسلام النهائية فى علاقة المشركين بمكة وفى زيارة بيت الله الحرام، فيرسل النبى صلى الله عليه وسلم ابن عمه عليا ليبلغ الناس عنه هذه الآيات ويؤذن بها فبهم يوم الحج الأكبر، فيلحق على أبى بكر ويجمع بالناس فى يوم النحر عند جرة العقبة بمنى، ويأذى: يا أيها الناس إني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم، فيقولون: بماذا؟ فيقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية هى أوائل سورة التوبة، ومنها: إعلان التصفية النهائية بين أهل التوحيد والشرك، وبين أهل العدل والظلم، وبين أهل الوفاء والخيانة، وفيها رفع العصمة عن المشركين فى أنفسهم وأموالهم، وقطع ما بينهم وبين الله من صلوات وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم، « ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله

أمرهم ، وإن في إعلان الأمر من المؤمن الحازم
لأعظم غناء عن توقيع العقوبة التي يكفي إعلانها
في تطهير الجو من أسبابها .

بهذا شرح الله صدر رسوله ، واطمأن قلبه
على أن باغ رسالة ربه ، وتوجهت نفسه السكرية
إلى زيارة البيت الحرام ، ليقدم الشكر والقربان
بنفسه ، ويتعلق بأستار مولاه الذي نصره وأعزه

وعصمه ، حتى أوفى على الغاية ، وكأنه عليه
الصلاة والسلام أراد بعد أن أدى رسالة ربه ،
وقام بمهمته ، أن يعود فيقف بين يدي مولاه

واضعاً نفسه تحت أمره وتصريفه ، فيخرج
على رأس جمع من المسلمين ، ويحرم للحج ،
وينطق صوته بالنبيهة : لبيك اللهم لبيك . لا شريك
لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك
لا شريك لك . ثم يطوف بالبيت ويستلم الحجر

الأسود ، ويصلي ركعتين عند مقام إبراهيم الذي
كان البيت أثراً من آثاره ، وكانت بعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم أثراً من آثار دعوته

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ،

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك
وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت الثواب

الرحيم . ربنا وإبعث فبهم رسولا منهم يتلوا عليهم
آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك
أنت العزيز الحكيم . ثم يسعى بين الصفا
والمروة ويقول كلما صعد الصفا : لا إله إلا الله

آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان لياكلون
أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ،
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليهم
في نار جهنم فتسكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا
ما كنتم تمكنون .

يتلو على هذه الآيات على حجاج بيت الله
مسلمهم ومشركم إنذاراً وتحذيراً ، وتعليلها
ولإرشاداً ، ثم يقول : أمرت بأربع : لا يدخل

الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ،
ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند
رسول الله عهد فهو إلى مدته . وبذلك التبليغ
أعلنت حكمة الإسلام النهائية في شبه الجزيرة ،
وتمت التصفية بين الشرك والإيمان ، وتركزت

قوى الخير ، وولت قوى الشر ، مبعثرة في الفياق
والقفار تتوارى من ضغط الحق وسلطانه .
وقد أثمر هذا التبليغ ثمرته الطيبة المباركة من

الجهة الإيجابية ، فلم يكدر يرجع الناس إلى بلادهم

وينتشر بواسطتهم أمر هذا التبليغ ، ويصل إلى
أطراف البلاد ، حتى ازدحمت المدينة بوفود
القبائل الباقية على الشرك ، معلنة لإسلامها

وانضواها تحت راية التوحيد والعدل . وبهذا
تمت حكمة ربك للموحدين ، وهكذا يفعل الحزم ،
وتفعل أوامر الحازمين ، القادرين على تنفيذ
ما رسموا لصالح الإنسانية ، وحسبهم أن يعلنوا

لا مريم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد . فلا ترجعن بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله . ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كما كنتم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

وهكذا أخذ يلقى عليهم ما يفيض الله به عليه من مبادئ الحياة الطيبة ، والسعادة الخالدة ، ومعاني العزة والكرامة . وأين من هذه الخطبة وما احتوت عليه من حقوق الإنسان ما يطنطن به اليوم قادة الشعوب ، وفلاسفة الاجتماع مما يسمونه « حقوق الإنسان » ، ويعقدون لبحثها المؤتمرات ، وتهتز بها الأسلاك ، والإنسان هو الإنسان منه الظالم الفاتك ، والمتجبر الطاغى ، والغنى الكنود ، منه المظلوم الضعيف ، والمستخذى أمام الجبروت ، والمتضور جوعا يلتحف السماء ويفترش الغبراء .

هذه هي حقوق الإنسان ، كما رسمها الله لنبيه محمد ، وأعلنها منذ أربعة عشر قرنا . فعلهم إن كانوا جادين في قيادة الشعوب إلى الرخاء والسلم أن يتدبروها ، وأن يعلنوها للناس مرة أخرى بنصها وأبحاثها ، مقترنة بالعزيمة الصادقة ، والقوة الحازمة ، فينعم الناس بخيرها ، وتذكروا كرم الإنسانية عند ربها ، ويكونوا بحق قادة الأمم

الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . .

ثم توجه إلى عرفات ويقف على رأس الحبيج خاشعا ضارعا ، وداعيا ملييا ، وفي هذه الوقفة التاريخية في حياة الإسلام خاصة ، وفي حياة الإنسانية جميعا ، يقف محمد وقد بلغ ما أراد الله بصبره وجهاده وإخلاص المؤمنين معه ، فيخطب الناس هذه الخطبة الجامعة التي توج بها تبليغه رسالة ربه وأحكام دينه ، وكان مما جاء فيها :

أما بعد أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم فإنى لا أدري لعلى لألتاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس . إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم حرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد . أيها الناس . إن الشيطان قد يشئ أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضئ أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس . إن لفنائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حقا ، ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تسكرهونه إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن ، وتمجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل

وقوله . ونحن إذا نظرنا إلى الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : « اليوم ينش الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون » ونظرنا إلى السورة التي نزلت فيها لوجدنا شواهد تعين الوقت والحال اللتين نزلت فيها الآية بيّنة واضحة ، وكثيرة متعددة . فالآية التي قبلها تقرر يأس المشركين من أطاعهم في فتنة المسلمين عن دينهم ، وفي وقوف دعوتهم ، وفي رجوعهم إلى ما هم فيه من الشرك والوثنية ، وعبادة غير الله ، والسورة من جهة أخرى تعنى عناية تامة بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين خاصة في ستة عشر موضعاً ، تقرر في كل نداء حكماً من الأحكام ومبدأ من المبادئ التي يأخذ المسلمون بها أنفسهم في خاصة حياتهم ، وفي علاقتهم بمن يجاورون من أهل الكتاب ، ولا تعرض في شيء مما اشتملت لذكر الشرك والمشركين ، كما لا تعرض لذكر قتالهم ، ولا معاملاتهم ، ولا ريب أن كل ذلك مما يدل دلالة واضحة على أن الجو الذي نزلت فيه هذه الآية « اليوم أكملت لكم دينكم » هو جو القوة والسيطرة العامة ، وخصوص الأمر للمسلمين ، والبلوغ برسالة الله إلى أقصاها . ومن هنا كان يوم نزولها عيداً عند المسلمين وأى عيد ؟ يذكرون بها فضل الله عليهم في التمسك والتشريع .

أما النظرة الثانية وهي النظرة الجوهرية المتعلقة بمعنى إكمال الدين وإتمام النعمة ، فوجدنا بها العدد المقبل إن شاء الله ،

والشعوب ، وبدون هذا سيظلون يخطبون ويسكتون ، ويجمعون وينفضون ، ولا رائد لهم سوى مصاحبتهم الشخصية . أو الجفسية ، والإنسان هو الإنسان ، منه الظالم ومنه المظلوم . في هذا الجو الذي اتصلت به رحمة السماء بالأرض ، وكثر فيض الله على عبده محمد ، بما ينظم به الناس حياتهم ، ينزل عليه قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » . وفيها يروى أئمة الحديث أن اليهود قالوا لعمر : إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال عمر : وأى آية ؟ قالوا : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » قال عمر : إني والله لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه والساعة التي نزلت فيها ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ، والحمد لله الذي جعله لنا عيداً واليوم الثاني يوم النحر .

هذه هي النظرة الأولى التي تصور لنا الوقت والحال اللتين نزلت فيهما الآية الكريمة . وبها يتبين أنها نزلت بعد أن تمت مراحل الجهاد المحمدي في نشر الدعوة وتبليغ الرسالة ، وبعد أن تغلغت هذه الدعوة في قلوب من وصلت إليهم ودخلوا بها في دين الله أفواجا ، وبعد أن توج محمد رسالة ربه بهذه الخطبة الجامعة لكثير من الأحكام والشرائع التي لا بد منها في سعادة الناس ، وطيب حياتهم وحصولهم على رضا الله

جهود الفقهاء في التشريع

لصاحب الفضيلة الأستاذ عبد الوهاب خديف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

أهلية وكفاءة للقيام بواجب للإسلام والمسلمين تصدى للقيام به ، حتى كانت نهضة المسلمين في القرون الهجرية الأولى والثاني والثالث ظاهرة بحجية حار في تعليمها المؤرخون وبلغ المسلمون فيها إلى غاية في المجد السياسي والعلمي والمالي لم تبلغها دولة غيرها . وكانت فتوح الجيوش في الاستيلاء على البلدان وفي بسط السلطان يسايرها فتوح علماء الفقه والتشريع في الاجتهاد والتقنين ، وفتوح الولاة والأمراء في تنمية موارد الدولة ووفرة الثراء . وكان الانتصار في كل ميدان من هذه الميادين انتصارا في الميادين كلها . وقادة كل ميدان يشعرون أنهم أعوان متضامنون مع قادة الميادين الأخرى .

يتجلى هذا من النظرة في تاريخ المسلمين بعد وفاة الرسول ، ففي ميدان الغزو والجهاد كانت جيوش المسلمين تواصل فتوحها بقيادة أبي عبيدة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص ويتلقى راية القيادة قائد بعد قائد ، حتى وصل عبد الله بن عامر والى البصرة وقتيبة بن مسلم شرقا إلى حدود الصين ، ووصل موسى بن نصير وطارق بن زياد غربا إلى جبال أسبانيا ، واستولى المسلمون على جزر البحر الأبيض المتوسط وصار هذا البحر بحيرة إسلامية .

أول ما يسترعى النظر من تاريخ المسلمين في فجر الإسلام أن كل مسلم كان يعد نفسه مجندا لخدمة الإسلام والمسلمين في الميدان الذي يشعر أنه أهل للقيام بالواجب فيه . وكان كل مسلم جنديا في ميادنه متطوعا يقوم بواجبه بوازع من دينه وضميره لا بتكليف من غيره . وبهذا الشعور كانت ميادين العمل وكل مصالح الدولة مليئة بالعاملين . ولم يخل ميدان من ميادين الإصلاح والنهوض من أيد مجتدة تتسابق فيه . وبهذا خطت الدولة الإسلامية في سنوات قليلة خطوات بعيدة المدى في ميادين المجد السيامي . والعلمي . والاقتصادي . فبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر المسلمون أن عليهم واجبا أن ينشروا دعوته . وأن يواصلوا سعيه وجهوده لإعلاء كلمة التوحيد وهداية الناس بهدى الإسلام .

فأهل البسالة والقوة والحرب والقتال منهم تجندوا في ميدان الغزو والجهاد وكوّنوا الجيوش الإسلامية لدعوة الناس إلى الإسلام والدفاع عن المسلمين . وأهل العلم والفقه والقرآن والسنة منهم تجندوا في ميدان الاجتهاد والاستنباط والتشريع والتقنين . وأهل الولاية والإمارة والسياسة منهم تولوا تدبير الشئون الإدارية والمالية في الأمصار . وكل من آنس من نفسه

بل كان فيهم الخاصة العارفون بالقرآن والسنة الفاهمون روح التشريع بما تلقوه من رسول الله وما شاهدوه من قضائه وفناويه . وفيهم العامة الذين يحتاجون إلى من يستفتونه ويسألونه . وكذلك لم يكن القرآن مدوناً ومنشوراً بحيث يتيسر لكافة المسلمين الرجوع إليه ، بل كان مدوناً في صحف محفوظة عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة . والسنة لم تكن مدونة أصلاً . وقد حدثت للمسلمين بعد الرسول وقائع ووقعت حوادث لا نص على أحكامها في القرآن أو السنة ، لهذه الأسباب رأى علماء الصحابة أن عليهم واجباً تشريعياً أن يخلفوا رسول الله في إفتاء المسلمين والقضاء بينهم وأخذ الدين عنهم ، فتصدوا لبيان نصوص القرآن والسنة ، والإفتاء فيما لا نص فيه . ولم يكتسبوا هذا السلطان التشريعي من تعيين من الخليفة أو انتخاب من الأمة ، وإنما كسبوه بما امتازوا به من طول صحبتهم الرسول وحفظهم القرآن وروايتهم السنة ومشاهدتهم كثيراً من أفضية الرسول وفناويه ومن مواهبهم في العلم والفهم ، فلهذه المميزات تصدروا لتولى السلطة التشريعية ودان المسلمون لهم بهذا وتفرقوا في أمصار المسلمين لاداء هذا الواجب التشريعي فكان في كل مصر إسلامي رموس من الصحابة هم مرجع الولاية والافراد والجماعات في معرفة حكم الشريعة فيما يعرض وما يحدث من الوقائع وفي كل مصر الف الف حول من فيه من أهل الفتيا من الصحابة رموس من التابعين أخذوا عنهم القرآن ورووا عنهم السنة ومارسوا

وهذه الفتوح السياسية كانت تسارها فتوح تشريعية وحركة جهادية بقيادة الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت ثم سعيد ابن المسيب وأقرانه بالمدينة . وبقيادة عبد الله ابن عباس ثم تلاميذه بمكة . وبقيادة عبد الله ابن مسعود ثم تلاميذه بالكوفة . وعبد الله ابن عمرو بن العاص ثم تلاميذه بمصر . وكانت ميادين الغزو عامرة بالانتصار تلو الانتصار . ومساجد الأمصار عامرة بالعلم والفقهاء والتشريع والاستنباط ، فقيادة الجيوش بسطوا سلطان الإسلام ورفعوا رايته على كثير من البلدان ، وقادة التشريع سدوا حاجات المسلمين وساروا مصالحهم ، وأقاموا البراهين على أن الإسلام لا يضيّق بحاجة ولا يقصر عن مصلحة وأنه كلما اتسعت فتوح المسلمين اتسع التشريع الإسلامي وإن اختلفت الاجناس والبيئات والنظم والمعاملات وإن نمت موارد الدولة وزاد ثراؤها . وبهذا التعاون والتضامن بين جيوش الميادين الثلاثة عزت الدولة ونهضت وتوافرت لها الدعامات التي تقوم عليها نهضة الأمة وهي : القوة والعلم والمال .

وهذه كلمة موجزة في ميدان التشريع الإسلامي وبعض جهود الأئمة المجتهدين فيه .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته مرجع المسلمين في جميع شؤونهم الدينية يستفتونه في وقائعهم ويسألونه عما يعرض لهم . ويقضى بينهم في خصوماتهم . ولما توفي لم يكن أصحابه كلهم أهلاً للفتيا . ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم

عبد الله بن مسعود وأشهر تلاميذه ، علقمة بن قيس وسعيد بن جبير وأقاضي شريح . وأشهر تلاميذهم ، إبراهيم النخعي وأشهر تلاميذه حماد ابن أبي سليمان أستاذ أبي حنيفة وأصحابه .

وفي مصر أشهر أسانذة التشريع من الصحابة ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأشهر تلاميذه مفتي مصر يزيد بن حبيب ، وأشهر تلاميذه الليث ابن سعد وأقرانه من بني عبد الحكم . وأشهر من خلفهم محمد بن إدريس الشافعي في المرحلة الأخيرة من حياته ، وكذلك كان في دمشق وبغداد وفي كل من أمصار المسلمين أئمة للتشريع من الصحابة والتابعين وتابعيهم وتلاميذهم ومن هذا يتبين أن كل مصر من أمصار المسلمين كانت فيه مدرسة تشريعية ، وأن الأئمة الأربعة المجتهدين كانوا في أمصارهم تلاميذ من سبقوهم وفروعا من شجرة تشريعية أصلها من رموس الصحابة والتابعين . وما كان الاجتهاد والتشريع في طبقة الأئمة الأربعة خاصا بهم ، وإنما كان لهم أقران اجتهدوا وأفتوا واستنبطوا ، كما اجتهد الأئمة الأربعة واستنبطوا . ولكن لم يقدر لفقهم واستنباطهم الذبوع والتدوين والبقاء وكثرة الاتباع كما قدر لفقه الأئمة الأربعة . من أولئك الاعلام عبد الرحمن الأوزاعي إمام أهل الشام . والليث بن سعد إمام أهل مصر . وأبو داود الظاهري وسفيان الثوري ومحمد بن جرير الطبري وأقرانهم .

وأهم العوامل التي توافرت للأئمة الأربعة وجعلت من جهودهم التشريعية فتحا مبينا وآثارا خالدة هي ما يأتي :

استنباطهم الأحكام فيما لا نص فيه وخلفوا الصحابة في القيام بهذا الواجب وتصدوا لإفتاء المسلمين والتشريع فيما يعرض لهم . والنف حول أهل الفتيا من التابعين رموس من تابعي التابعين أخذوا عنهم عليهم وفقهم وتصدوا للتشريع والتقنين . وعن هؤلاء أخذ الأئمة المجتهدون في القرنين الهجريين الثاني والثالث ، فكان رجال التشريع في الأمصار يخلف خلفهم سلفهم ، وبعد كل طبقة منهم تلاميذ من قبلهم وأسانذة لمن بعدهم ، والمسلمون واثقون بهم ويأخذون عنهم طيبة نفوسهم . وما شعر مسلم بقصور شريعته عن مصلحة من مصالحه . وما ضاقت هذه الشريعة عن حاجات المسلمين مع تعدد أجناسهم وبيئاتهم وبلدانهم ومع تعدد ما خلفته امبراطورية الفرس والرومان من نظم وعقود ومعاملات .

ففي المدينة أشهر أسانذة التشريع من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله ابن عمر وزيد بن ثابت . وأشهر تلاميذهم من التابعين ، سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسائر فقهاء المدينة السبعة وأشهر تلاميذ هؤلاء ، محمد بن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد . وأشهر تلاميذ هؤلاء ، مالك بن أنس وأقرانه ، وفي مكة أشهر أسانذة التشريع من الصحابة ، عبد الله بن عباس وأشهر تلاميذه من التابعين عكرمة وعطاء ومجاهد ، وأشهر تلاميذهم سفيان ابن عيينة ومفتي الحرم مسلم بن خالد . وأشهر تلاميذ هؤلاء محمد بن إدريس الشافعي .

وفي السكوفة أشهر أسانذة التشريع من الصحابة

علوم الفرس واليونان وغيرهما، ودخل في الإسلام فيه علماء كثيرون من غير المسلمين وتبادل البحث والنظر في هذه العلوم. ومع هؤلاء العلماء توجه الفقهاء إلى الصنعة العلمية، فبعد أن كان الفقه الإسلامي مجرد حلول جزئية وفتاوى في وقائع من غير تعليل ولا تحليل، اتجه الأئمة إلى تعليل الأحكام والاستدلال عليها وجمعها في ضوابط. كلية وبهذا صار الفقه علماً ذا ضوابط ووضعت فيه مصطلحات لم تكن من قبل. وصار البحث فيه بحثاً علمياً لإثبات الأحكام بأدلتها واستنباط عللها وحكمها. ولهذا غنى بتدوينه فدوّن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، كشب ظاهر الرواية والسنة ودوّن سحنون القيرواني معاصر الإمام مالك، المدونة في فقه مالك بن أنس، وأملى الإمام الشافعي فقهه في كتاب الأم. وجمع ابن قدامة فقه أحمد في كتابه المغني وتتابع التدوين والتأليف كما هو الشأن في كل علم.

ورابعاً - أنه في عهد الأئمة الأربعة وجدت مدرستان تشريعتان مدرسة الحجازيين ومدرسة العراقيين. والتنافس بين أساتذة المدرستين أضحى كثيراً من البحوث التشريعية ووسع دائرة الاستدلال. وهذه التوسعة في الاستدلال والنظر في الأدلة أدى إلى العناية بأصول الفقه فدوّن فيه أبو يوسف، ولم يصل إلينا مادونه، ودوّن فيه الإمام الشافعي رسالته وهي أول مدوّنة في أصول الفقه بين أيدينا. وبهذا أخذ الفقه صبغة علمية تستند أحكامه إلى أصول وتتسع أصولها لكل جزئية.

أولاً - أن الأئمة الأربعة كانوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وهذا هو العهد الذهبي للدولة الإسلامية الذي اتسعت فيه رقعة الدولة وامتدت الفتوح شرقاً وغرباً ودخل في الإسلام وفي رعاية الدولة الإسلامية شعوب وأمم وبلدان مختلفة النظم والعادات والمعاملات، كثيرة المصالح والحاجات، فكان لا بد من جهود تشريعية تيسر هذا النهوض وتفي بهذه الحاجات. وقد بذل الأئمة الأربعة في بيئاتهم هذه الجهود وبحوثا وشرعوا واستنبطوا ووفوا بحاجات الناس أفراداً وجماعات ووفوا بحاجات الولاة والحكام وما شغل فرد أو جماعة أو ووال أو حاكم بقصور التشريع الإسلامي عن تحقيق أى مصلحة أو إقامة العدل في واقعة مدنية أو تجارية أو جنائية أو غيرها بل استنبط الأئمة أحكاماً لوقائع فرضية وخصوصيات محتملة فكان النشاط السياسي ييسره الزم التشريعي.

وثانياً - أن الأئمة الأربعة وجدوا بين أيديهم ثروة تشريعية خلفها لهم سلفهم من رجال التشريع من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ فالقرآن مدوّن ومنشور بين الكافة وكذلك المسأثور عن الصحابة والتابعين في تفسيره وتأويله، والسنة مدوّنة، وفتاوى الصحابة والتابعين وتابعيهم متوارثة فهم انتفعوا بهذه الثروة ونموها وكمولها بما أثمرته مواهبهم وعقولهم من استنباطات اقتضتها بيئاتهم، فبجهدهم حفظت ثروة سلفهم وبمجهودهم كملت ووفرت إنتاجها.

وثالثاً - أن الأئمة الأربعة وجدوا في عصر دخلت في بلاد الإسلام فيه علوم كثيرة من

مقارنة بين شريعة الله وشرائع الإنسان

لرباب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة المساعد بكلية الحقوق

١ - أرسَل الله رسوله المصطفى بدين الإسلام بعد أن أدَّت كل من الديانات السابقة غرضها ، وصارت الإنسانية في حاجة ملحة لدين جديد تجيء به رسالة إلهية جديدة تكون خاتمة الرسالات السماوية جميعا .
والإسلام نظام عام : عقيدة ، وتشريع ، واجتماع . ولا تتسع الصفحات القليلة ، المخصصة من هذا العدد الخاص لهذه الكلمة ، لبحث مقارنة بين شريعة الله العليم الحكيم وبين شرائع الإنسان التي عرفها العالم قبل الإسلام وبعده إلا إذا كان موضوع المقارنة مسألة واحدة من مسائل الفقه الهامة .

لذلك رأينا أن نتناول أولا بالبحث الطابع العام للشريعة الإسلامية ، مقارنة بما نعرف من الطابع للشرائع الوضعية ؛ فإن هذا الطابع لكل شريعة هو الذي يحدد مقاصدها ، وهو الذي يستلهمه الفقهاء فيما يقررون من أحكام ، ومن هذه المقارنة ، نعلم أن الإسلام كان في ناحية التشريع ، كما هو في سائر النواحي الأخرى ، فتحا أي فتح . ثم ، من باب التطبيق ، نبحث مظهر وأثر هذا الطابع العام لشريعة الله في مسألة واحدة ، وهي مسألة « الحق » ؛ أي مدى مالصاحبه من سلطان في الانتفاع به واستعماله ، وما يكون من تقييد الشارع له بألا يضر هذا الاستعمال الغير ، مقارنة بين الشريعة الإسلامية في هذه الناحية

٢ - لقد واجه الإسلام حين جاء دولة الروم ودولة الفرس ، وفي كليهما كان الفساد قد بلغ مداه ، وشارفت الأمة نهايتها المحتومة . وفي كليهما كانت القوانين والنظم العامة تهدف إلى تمكين السادة والأقوياء ، على حساب الرعية والضعفاء ، وبلغ الأمر إلى درجة تقديس القياصرة والآكسرة وتقديم الرعايا لهم فروض العبادة .

أما في دولة الروم ، فقد كانت المسيحية قد تحولت من ديانة سماوية تأمر بعبادة الله وحده ، إلى دين زعم رؤساؤه أن الله هو المسيح بن مريم ، بل نادوا بعد هذا بعبادة القديسين معه ، فلا عجب أن يكون الإمبراطور موضع تقديس وعبادة أيضا . وفي هذا يقول مؤرخ إنجليزي معروف : « وهذا التقت الكنيسة ، على وجه الخصوص ، وجها لوجه مع مذهب عبادة الإمبراطور ، » (١) .

(١) الإمبراطورية البيزنطية ، تأليف ثوماس يونان يينز وترجمة الدكتور حسين مؤنس وآخر ، مطبعة لجنة التأليف سنة ١٩٥٠

في مراحلہ الأولى یفنی علی فکرة استبداد صاحب الحق بما یزعمه من حقه الذی یمسک ، سواء فی ناحية الأسرة أو ناحية المعاملات . « ففی الأسرة کان لرب العائلة حقوق مطلقة علی جمیع أفرادها ؛ کان له حق الحیاة أو الموت علی زوجة وأولاده وعییده ، فلم یکن للزوجة حقوق ولا أموال ، وکان الولد معروضاً للبیع ، والعبد للترك والقتل . وفی المعاملات کان للدائن سلطة مطلقة علی مدینه ، فکان المدين یباع أو یقسم بین دائئیه » (١) .

بل إن قوانین «جستینیان» ، وهو المشرع الرومانی الأكبر ، قد حرمت علی من لم یكونوا تابعین للذهب الرسمى للدولة - وهم مسیحیون مع ذلك - الاشتغال بالمهن الحرة ، وأغلقت دونهم الاجتماعات العامة ، وجعلت وصایاهم لایغیه ، ومنعتهم الحق فی أن یرثوا شیئاً من ذویهم . (٢) ٤ — وفی مقابل هذا الطابع الفردي المقیم للقوانین والنظم الرومانية ، نجد الطابع الجماعی للتشريع الإسلامی الإلهی . ذلك بأن الإسلام لم یجئ لإسعاد الملوك والسادة علی أنقاض الشعب ؛ فهو الدین الذی لایعرف فضلاً لأحد إلا بمقدار حظه من تقوی الله ، ورسوله ینادی بأنه لیس إلا بشراً کسائر البشر ، وبأنه ابن امرأة كانت تأکل القدید ! وهو الدین الذی جاء لیحقق العیش الکرم والسعادة للفرد والمجتمع معاً ، بل للإنسانية عامة ولا فرق بین عرب وعجم وبيض وسود .

إلی محمد بن جریر الطبری یقص علینا هذا الخبر ، ومنه نرى کیف كانت منزلة قائد من قواد «کسرى» - لا کسرى نفسه ! - من الرعية ومنزلة الرعية منه ، حین یقول : (٣)

« لما جاء المغيرة [بن شعبه] إلی الفئطرة فعبها إلی أهل فارس ، أجلسوه واستأذنوا رؤسهم [وكان قائدهم فی حرب المسلمین] فی إجازته ... ، فأقبل المغيرة - وله أربع ضفائر - یمشی حتی جلس معه علی سریره ووسادته ، فوثبوا علیه فترروه وأنزلوه ومقتوه ، فقال : كانت تبلغنا عنکم الاحلام ، ولا أرى قوما أسفاه منکم ، إنا معشر العرب سواء لا یستعبد بعضنا بعضاً إلا أن یكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنکم تواسون قومکم کما تواسی ، وکان أحسن من الذی صنعتم أن تخبرونی أن بعضکم أرباب بعض ... اليوم علمت أن أمرکم مضمحل وأنکم مغلوبون . وإن ملکاً لایقوم علی هذه السيرة ولا علی هذا العقول . ٣ - وهذه النزعة الفردية المطلقة الی كانت تسود فی النظم الاجتماعية لدى الروم والفرس ، من قمة المجتمع إلی آخر درجاته منزلة ، تراها تسود فی نظمهم القانونية أيضاً ؛ فما القانون - فی رأینا - إلا التقالید والعادات العامة تتأصل فی النفوس ثم تبلور حتی تأخذ أوضاع القانون ، أو - عل الأقل - تعتبر هذه التقالید والعادات والأعراف مصدراً له خطره من مصادر القانون . من أجل ذلك نجد القانون الرومانی (٤)

(١) الدكتور أنور سلطان ، مجلة القانون والاقتصاد ،

عدد مارس سنة ١٩٤٧ ، ص ٧٧ - ٧٨

(٢) الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) ٤ : ١٠٨ من كتابه الكبير فی التاريخ .

(٤) نکتني هنا فی المقارنة بالقانون الرومانی الی أخذت عنه أكثر دول الغرب قوانینها الحديثة .

لمن يشاء ، ولكن الشريعة التي عثيت بتأكيد ما للجار من حقوق على جاره ، حتى جاء في هذا كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول ، أوجبت للجار حق الشفعة فيما يبيعه جاره ، كما منعت الجار المالك - وهو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ^(١) - أن يتصرف في ملكه تصرفا يضر ضرراً فاحشاً بجاره . وذلك كله تطبيقاً لقاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقاعدة دفع أكبر الضررين بأيسرهما ، وفي هذا الخير لصاحب الحق وللجار معاً .

(ج) ولرعاية هذه المصلحة التي تكون للغير وقد تكون مصلحة جماعة لا مصلحة فرد واحد نرى الشريعة الإسلامية تقرر للغير على صاحب الماء ما يسمى بحق الشففة وحق الشرب ، ويراد بالحق الأول حق شرب الإنسان ودوابه من عين أو قناة مملوكة للغير ، ويراد بالثاني حق سقي زراعته من ماء يمر بأرض لغيره ، مع أن من خواص الملكية حرية المالك في ملكه يتصرف فيه كما يشاء ويهوى .

وتطبيقاً للحق الأول يروى الإمام أبو يوسف أن قسوماً مروا بماء وهم في سفر ، فأرادوا أن يستقوا منه لأنفسهم ودوابهم فنهزم أهلهم ، فقالوا لهم إن أعناقنا وأعناق مطايانا كادت تنقطع عطشا ، فأبوا أيضاً ، وحين رجعوا ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب ، الفاروق بحق ! فقال لهم هلا وضعتم فيهم السلاح ! ^(٢) :

وهذا الطابع الجماعي للشريعة الإسلامية ، له أثره ومظهره بلا ريب في التشريع والفقهاء العملي أو المعاملات ، كما له أثره الواضح فيما فرض الإسلام من عبادات ، وله بعد هذا وذاك أثره القوي في تحديد مدى ما يكون لصاحب الحق في استعماله .

على أن من الواجب أن نضيف لذلك اعتباراً آخر . وهو أن أى قانون وضعى يعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية له ، فهو يعمل على حمايتها له وتمكينه من الانتفاع بها على ما يشاء ، ما دام يتصرف في زعمه في خالص حقه . أما الشريعة الإلهية فتقرر من أول الأمر أن الإنسان وكل ما يملك ملك الله وحده ، والله لا يمنح الفرد ما يمنح من ملك وحق إلا ليتصرف فيه وفقاً لمقصد المشرع العليم الحكيم ، نغنى لتحقيق مصلحة الفرد والجماعة معاً ، ومن ثم نجد تقييد استعمال الحق ، من نواح عديدة ، ولنضرب لذلك بعض المثل :

(أ) من حق الأب أن يشرف على تربية ولده ، وأن يؤدبهم على ما قد يكون منهم مما يستحق الأدب شرعاً ، وكذلك من حق الزوج أن تطيعه زوجته وتكون تحت ولايته ، فلا تخرج من بيته بلا إذنه ولا تدخل داره أحداً لا يرغب فيه ، ولكن هذه الحقوق ، وأمثالها ، التي للأب والزوج مقيدة كلها بعدم الضرر بالأولاد والزوجة ، وإلا تدخل القضاء ، لأنه لا ضرر ولا ضرار .

(ب) للمالك الحق في أن يتصرف في ملكه كما يريد بأى نوع من التصرفات ، ومن ذلك البيع

(١) وذهب إلى ذلك أيضاً غيره من الفقهاء ومنهم بعض الأحناف المتأخرين .

(٢) كتاب الغرر طبع المطبعة الأميرية ، ص ٥٥

يجيء بعدهم من المسلمين ، وكان من كلامه في هذا : كيف بمن يأتي من المسلمين فيجد الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء ! ما هذا والله برأى ، واستشهد بآيات من سورة الحشر ^(١)

لكن المعارضين ذكروا أنه كيف يقف عمر ما أقام الله عليهم بأسيا فهم على قوم لم يحضروا الحرب ، ثم على أبنائهم وذرياتهم من بعدهم ! ولما اشتد الخلاف ، حكم الخليفة عشرة من الانصار ، رغبة - كما قال - في أن يشركوه في الأمانة التي حملها . فلما اجتمعوا وتكلم مخالفوه بما يرون من رأى وحجة . قال فيما قال بأنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد رأيت بعد صرف الخس في وجوهه أن أحبس الأرض بملوجها وأضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها ، فتسكون فيئاً للمسلمين الحاضرين ولمن يأتي بعدهم . ثم قال : أرايتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ! أرايتم هذه المدن العظام ، كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ، لا بد لها أن تشحن بالجيوش وإمداد العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج ؟

وكانت النتيجة أن أعطى المحكمون ، بعد وزن كل رأى ودليله ، الرأى لعمر ، ولم يسمع المخالفين إلا الرضا والتسليم ، وكان هذا إلهاماً من الله العليم الحكيم ، وتوفيقاً للخير العام في العاجل والأجل من الزمان .

هذه المثل ، ولو شئنا لاتينا بكثير غيرها ، تشهد بلا ريب بالطابع الجماعي لشريعة الله ،

وتطبيقاً للحق الثاني ، تجعل الشريعة للمرء أن يحفر مجرى ماء في ملك غيره ليصل الماء لأرضه البعيدة عن مصدر الماء ، فإن أبى ألزمه ولي الأمر أو القضاء .

وفي هذا يروى يحيى بن آدم القرشي بطرق مختلفة في كتابه الخراج ، أنه كان للضحاك بن خليفة الانصارى أرض بعيدة عن مجرى الماء فلا يصل إليها إلا إذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة ، ولكن محمداً هذا أبى أن يمر الماء بأرضه ، فألزمه عمر بن الخطاب بإمداده بعد أن تبين له أنه لا ضرر عليه . نه ، وكان من كلامه في هذا أن قال : والله لو لم أجد له عمراً إلا على بطنك لأمرته ^(٢) !

(د) وأخيراً ، مما لا شك فيه أن للفاتحين لأرض من أراضي الإعداء أربعة أخماس الغنيمة والخمس الباقي يصرف في مصارفه التي حددتها آية الانفال : « واهلوا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة ، والآية .

غير أن حق ملكية الفاتحين لأربعة أخماس ما فتح الله عليهم به ، قد يكون فيه ضرر بالجماعة وبالمسلمين الذين يأتون بعدهم ، ولهذا رأى عمر ابن الخطاب أيضاً عدم التسليم بهذا الحق للحاربين بإطلاق في بعض الحالات ، ومعنى هذا تقييد الحق ، لمصلحة الجماعة ودفعاً للضرر عنها .

ذلك أنه لما تم فتح العراق والشام وغيرهما من الأقطار في عهد عمر ، رأى ألا تقسم بين الفاتحين ، بل تبقى خراجية ينتفعون بها هم ومن

حتى لا يسمى استعماله ويضر غيره بهذا الاستعمال
السمى . إلا أنه من الثابت أن نظرة الشريعة
الإسلامية - التي سبقت هذه القوانين بقرون
طويلة - لمصلحة الجماعة وتقييد حرية الأفراد
في استعمال حقوقهم - ظلت أوسع مدى وأبعد
أثراً من نظرة القوانين الحديثة في هذه الناحية ^(١)
ونعتقد أن السبب في هذه التفرقة الواضحة بين
طابع شريعة الله وطابع شرائع الإنسان ، هو
ما سبق أن ذكرناه من التفرقة الأساسية بين
أصل حقوق الفرد في كل من هذين النوعين
من التشريع .

هذا ، وفضل الشريعة الإسلامية في تقرير
نظرية «سوء استعمال الحق» حتى لا يضار أحد
باستعمال صاحبه الحق حقه ، فضل غير مسبوق
وغير منكور من رجال القانون المحدثين وعلى
رأسهم الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري
واضع التشريع المصري الحديث ^(٢)

إن لنا ، بعد ذلك ، أن نتوجه إلى أولى الأمر
في الأزهر بالعناية بدراسة الفقه الإسلامى دراسة
جدية مقارنة ، وإلى أولى الأمر في الدولة بالعمل
على إحياء تراثنا الإسلامى ، والإفادة منه قبل
أن نولى وجوهنا شطر الغرب ، والله المستعان ؟

محمد يوسف موسى

وبأنه من أجل هذا الطابع قيدت استعمال المرء
لما يظنه حقه بالألا يكون في استعماله ضرر لغيره ،
بل لأنها منعت أحياناً - رعاية لمصلحة الجماعة
والامة عامة - إعطاء بعض الافراد ما يزعمون
أنه لهم من حقوق ، ومن هذا الباب ، المثال الأخير .
(هـ) أما القوانين التي صنعها البشر لأنفسهم ،
فلم تلاحظ شيئاً من هذه النظرة الجماعية الإنسانية
إلا بعد زمن طويل ، ثم لم تبلغ بمد شأو الشريعة
الإسلامية في هذه الناحية ، بل لم تقاربها .

ولناخذ مثلاً لذلك القانون الفرنسى الذى
صدر عام ١٨٠٤ م ، لقد كان هذا القانون وليد
الثورة الفرنسية التي قامت لتحطيم سلطان الملوك
والسادة وإعلان أن للإنسان ، باعتباره فرداً ،
حقوقاً طبيعية مقدسة ليس لأحد المساس بها
مطلقاً ، ومن ثم ساد هذا القانون روح فردى
قوى يلتزم مع الروح الذى أملى لإعلان حقوق
الإنسان ، وهو تدعيم حقوق الافراد وحمايتهم ،
وينظر إلى الفرد باعتباره العنصر الأهم في الحياة
لا باعتباره جزءاً من كل هو الجماعة ، ولقد كان
من نتائج ذلك أن أتى وقت اعتبرت فيه الحقوق
مطلقة المدى ، وأن صاحب الحق في استعماله سيد
لا يُسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من
الاضرار التي تَحِيْقُ بغيره ^(٣)

وقد حدث بعد ذلك أن اضطربت القوانين
الحديثة للتطور تبعاً للتطورات الاجتماعية العامة ،
فأخذت في تقييد حرية الفرد في استعمال حقه

(١) مدى استعمال حقوق الزوجية ، الدكتور السعيد

مصطفى السعيد ، ص ٣٣

(٢) الدكتور أنور سلطان الأستاذ بكلية الحقوق ،

المرجع السابق ذكره له ، ص ٧٧ ، ٩٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦

الدكتور السنهوري ، مجلة المحاماة سنة ١٩٢٢ ص ١٩٩

(٣) انظر مدى استعمال حقوق الزوجية وما تنقيد به

في الشريعة الإسلامية والقانون المصري الحديث ، الدكتور

السعيد مصطفى السعيد الأستاذ بكلية الحقوق - فؤاد ، ص ٥

فوق الإسلام في العقيدة والتشريع

القرآن واللغة

للدكتور عبد الله بن محمد العباد

من فلسفة يونان وعلومها ومباحثها ، واتصلت الثقافة الإنسانية منذ أقدم العصور إلى العصر الحديث في هذا الاتجاه .

ومما لا خلاف عليه أن اللغة العربية نشطت هذا النشاط وتقدمت هذا التقدم لأنها لغة كتاب مقدس يدين به المسلمون ، وهو القرآن الكريم . ولكن اللغات التي كتبت بها الأسفار المقدسة كثيرة ، منها العبرية لغة التوراة ، والآرية القديمة لغة الزندافستا ، ولغات آرية أخرى في الهند كتبت بها الأسفار التي يقدسها الهنود الأقدمون والمعاصرون .

إلا أن اللغة العبرية أصبحت لإحدى اللغات التي لحقت بسجلات الآثار أو سجلات المراجع والدراسات ، وقد كتبت بعض أسفار العهد القديم باللغة الآرامية في حياة اللغة العبرية ولما بن نشأتها ، وقد ترجمت أسفار العبرية والآرامية جميعاً إلى اللغة اليونانية قبل أثنى سنة ، ولا تزال هذه الأسفار كتباً مقدسة عند اليهود . وهم لا يظلمون عليها في لغتها ولا يتكلمون تلك اللغة إلا بالإضافة إلى لغة أخرى هي لغة الحياة أو لغة كل يوم ، أما اللغة العبرية فهم يستحيونها من طوايا التاريخ ويفهمونها كما يفهم الآثري نقوش الهيكل أو البردى العتيق .

وانتهت حياة اللغات التي كتبت بها أسفار

منذ أربعة عشر قرناً تغيرت لغات كثيرة ، بل تغيرت جميع اللغات التي كانت تحسب يومئذ من اللغات الحية ، فانتقلت من ميدان الحياة إلى سجلات الآثار والمحفوظات ، أو إلى المراجع التي يتخصص لها علماء اللغات المهجورة . إلا اللغة العربية ، فإنها نشأت منذ أربعة عشر قرناً نشأة جديدة ، وتقدمت أشواطاً بعد أشواط ، وأخذت من كسير الحياة ما يضمن لها طول البقاء .

وذلك بفضل القرآن الكريم ، لأنه جعلها لغة العقيدة الإسلامية ولغة الثقافة الإسلامية في وقت واحد ، بل جعل لها فضلاً على الثقافة الإنسانية عامة ، حفظت إلى حين ما كان وشيك الضياع .

فلولا القرآن الكريم لكان من المشكوك فيه كثيراً أن يتوفر العلماء على وضع علم النحو وعلوم البلاغة واستقصاء المفردات وتحريم مصادر الفصح والدخيل وضبط المعجمات التي لم تسبق في لغة من اللغات .

والأرجح فيما نعتقد أن البحث في الصفات والقضاء والقدر ، كان مصدر علم الكلام فالحكمة الإسلامية فالدراسات المنطقية التي تتصل بها وتعين عليها . ولا يخفى أن هذه الدراسات هي التي أنقذت الفلسفة القديمة من الدثور والإهمال ، فدبت الحياة فيما استحق الحياة

الإخاء والمساواة ، ومن ثم هذه الطوائف المنبوذة التي تعد بعشرات الملايين ، ومن ثم هذا التفاوت بين طبقة وطبقة ، وصناعة وصناعة ، بل من ثم هذه الأعجوبة في تاريخ الهند الحديث من ناحية اللغات والتفاهم بها بين أقاليم الهند على تباعد مواقعها ، فقد أصبح التفاهم بين أهل الشمال وأهل الجنوب باللغة الإنجليزية أسهل من التفاهم بين الجيران في الإقليم الواحد بلغة السكتب المتدسة التي انقضى عليها ثلاثون قرناً على أقرب تقدير .

وهذا هو الفارق العظيم بين كتاب وكتاب ، ولغة ولغة ، فإن العقيدة وحدها لا تحمى لغتها ، ولا تحمى أمتها إذا جاءت منعزلة عن الدنيا مقصورة على عصبية واحدة ، وإنما تبقى اللغة مع بقاء العقيدة إذا تفتحت أبوابها للأمم كافة بغير عصبية ولا عزلة قومية أو جغرافية ، ولهذا خصت العربية « بظاهرة » ، قل نظيرها في لغة من لغات السكتب المقدسة أو غير هذه اللغات ، فإن خدامها من الفرس والامم الآرية لا يقولون عن خدامها من أبناء الامة العربية ، وإن البلاد التي انتقلت إليها العربية من مهدا تخرج من المشتغين بها ، والعاكفين على آدابها وفنونها أضعاف من يتخرجون في بيئتها الأولى .

ويبدو لنا أن هذه اللغة الجميلة مستعدة بطبيعتها للعموم والشيوخ والنهوض بالأمانة الإنسانية ، لأنها كلها انتقلت من تربة إلى تربة أخرى ترعرعت في تربتها الجديدة وسمقت لها فيها فروع كالاصول بل أثبت وأبقى .

فاللغة في عهد العرب المستعربة أصح وأفصح

المجوس والبراهمة ، وأصبحت مجبولة عند من يدينون بها ولا يؤمنون بشيء منها ...

إذن ليس مجرد الإيمان بكتاب مقدس كفيلاً بحفظ اللغة وعصمتها من الزوال أو الانتقال من ميدان الحياة إلى المراجع المهجورة .

ولا بد من فضل خاص للقرآن الكريم ميزه بين السكتب الدينية وجعل له من الأثر في استبقاء اللغة العربية ما لم يكن لسكتب آخر في اللغات السامية ، أو اللغات الآرية ، وقد كانت العبرية والآرامية من اللغات السامية ، وكانت لغة المجوس والبراهمة من صميم اللغات الآرية ، أو الهندية الجرمانية كما يقولون عنها في علوم اللغات ، فما هو سر هذا الفارق بين كتاب وكتاب وبين اعتقاد واعتقاد ؟

سره أن القرآن العربي قد جاء برسالة عامة إلى الناس كافة ، ولم يكن رسالة خاصة ببنى إسرائيل أو بالطبقة الحاكمة بين الهنود ، ولو كان عربياً للعرب دون غيرهم لما كان له هذا الشأن الذي امتاز به على كل شأن لسكتب من كتب الأديان . فالتوراة كتاب يؤمن به بنو إسرائيل ولسكنه لم يحفظ اللغة العبرية بين أهلها فضلاً عن حفظها بين الغرباء عنها ، لأن بنى إسرائيل أنفسهم قد هجروا لغتهم وانساقوا في التيار الذي يشمل الامم الإنسانية بأجمعها .

وكتب البراهمة أسفار يدين بها أتباعها ، ولكنهم كذلك لم تحفظ لغاتها التي كتبت بها من قديم الزمن ، لأن البراهمة كانوا سادة يفرضون دينهم على عبيد مسخرين ، لا يعاملونهم معاملة

كانت حصناً للعتيدة كما كانت حصناً للغة ولهجاتها وأساليبها ، فلما انتشر المبشرون بالمذاهب المختلفة في بلاد المسلمين أخفقوا واعترفوا بالإخفاق وقرروا أن المسلم لا يخرج من دينه إلى دين آخر وأن نسبة الصابئين عن دينهم من المسلمين لا تزيد على الآحاد في الملايين ، وبعضهم يتحولون لمنفعة أو غواية وعلى غير اقتناع وإيمان ، ومهما يكن من ثبات العتيدة الدينية فلا يقال إن المبشر المدرب على التبشير يعجز عن إقناع جاهل أو ساذج بما حذقه من وسائل التشكيك والتأثير وإنما العصمة حق العصمة أن بلاغة القرآن حتى في مسامع الجاهل قد عودتهم نمطاً من الكلام العذب المستساغ يرفضون كل ما عداه ولا يحسون فيه الروحانية الإلهية ، فيصعب إقناعهم بكلام على غير ذلك الفسق البليغ .

ولقد مضى أربعة عشر قرناً على اللغة العربية في تجدها وارتقاها بعد نزول القرآن الكريم ، وقد زالت كما أسلفنا لغات كانت تحسب من اللغات الحية عند انتشار الدعوة الإسلامية ، وقد بقيت اللغة العربية لغة عتيدة ولغة ثقافة ولغة خطاب بين المتعلمين من أبنائها ، ولغة فهم بين غير المتعلمين منهم ، ولكن المعجزة القرآنية لم تقف ولن تقف عند هذه الغاية ، فبفضل هذه المعجزة يرجى أن تكون هذه اللغة بعد قرن من الزمان لغة الملايين ممن لم يتكلموها حتى الآن ، وفي طليعتهم أهل الهند والملايو المسلمون ، ومعهم في آسيا وأفريقية شعوب تنمو وتزداد صلة بلغة القرآن على مر السنين .

بما كانت عليه في عهد العرب العاربة ، وهي في عهد العرب العاربة تقترب في فصاحة اللهجة واستقامة القاعدة وتبعد من الحيرية التي تشبه الرطانة الأعجمية ، وقد اطردها القياس زماناً فاستفادت العربية بالعموم والشيوع ، وما زالت كلما قادها العموم والشيوع إلى شيء من الإسفاف والعامية ، وجدت مرسة الأمان في القرآن الكريم ، فلم تقطع الآصرة بينها وبين أصولها ولم تقطع كذلك عن مجازاة الزمن والاحتفاظ بالمزية الإنسانية : مزية العموم والشيوع .

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

نعم ويصدق ذلك على اللغة التي تقوم بها الرسالة كما يصدق على الرسول الذي يؤديها إلى بلاغها ، فتمضى الرسالة إلى غايتها ببلاغة اللغة وبلاغ الرسول .

وتتضح هذه الحقيقة من الموازنة بين العربية والعبرية واللغات الآرية والمجوسية ، فإن العربية قد انتهت إلى عصر الدعوة الإسلامية وهي تزدهر وتتسع للنظم المتن والخطابة المبينة والحكمة الماثورة ، ولم يعرف عن لغات الكتب الدينية كالعبرية أو الآرية القديمة أنها وعت إلى جانب الآيات الدينية شيئاً من روائع البلاغة التي يتفاهم بها الناس في مطالب الفن والأدب ، فلم ترزق من الحياة ما يعبر عن الحياة ، وانقضت مهمتها ولما تجاوز نظامها المحدود من عصبية القبيل والإقليم .

وهذه البلاغة العربية التي نضجت وسرت في سليقة الناطقين بها مسرى الوظيفة الحية قد

عباس محمود العقاد

جهود المسلمين في النحو والبلاغة

لما ميلا لفصيله الأستاذ محمد عرفة
عنصرهما على كسار العنسا

تهدف إلى غرض معين وتوصل إلى فائدة مطلوبة .
رابعا - بيئة تقدر العلم والعلماء وتبحث عن
مبتكرات القرائح وثمرات القرائح وترى فيها
غذاء عقليا لا تقل حاجتها إليه عن حاجتها إلى
غذاء الأجسام ، والبيئة الإسلامية في البصرة
والسكوفة في عهد وضع النحو والصرف كانت
تستكمل هذه العناصر .

أما العقول المبتكرة الخصبة التي كانت تعمل
وتقيس لتتهدى إلى المجہول العقلي ، فقد وجد منها
في هذا العصر عدد ليس بالقليل ، فهذا الخليل
ابن أحمد الفراهيدي كان عقله آية في البحث
والابتكار والتعميل والقياس ، وكان عنده من هذه
الملسكة ما كان عند أمة اليونان في عهد ازدهار
العلوم فيها ، كان مثل أرسطو وأفلاطون
وسقراط إلا أنه صرف هذه الملسكة إلى معرفة
مقاييس العربية وتعليلها ولو صرفها إلى علوم
الطبيعة والاجتماع والاخلاق لما قل شأنه عن
هؤلاء الافذاذ في التاريخ من اليونان .

وقد بلغ الخليل بن أحمد الغاية القصوى في
معرفة قوانين العربية قوانين مفرداتها ومركباتها .
وقد كان كمثل العلماء المبتكرين إنما يعنيه
الابتكار ويشغله البحث ولا يعنى بالتأليف
والتنظيم . وقد كان تلميذه سيويه ممن رزق ملكة
التأليف والتنظيم فأخذ علم الخليل ونظمه وأخرج

للحرب جهود موفقة في ابتكار على النحو
والصرف ، جهود تذكرها مع الإعجاب والإجلال .
نعجب بهم لأنهم أحاطوا باللغة العربية إحاطة
شاملة كاملة .

ولأنهم استوعبوا شواردها والنادر منها ،
فتراهم يجمعون في الموضوع الواحد ما يمكن أن
تستنتج منه قاعدة ، ويجمعون ما خرج عن هذه
القاعدة ويحكمون عليه بالشذوذ والندور .

ونعجب بهم لأنهم تعمقوا في البحث وأدركوا
العلل والأسباب وحسن تهديمهم إلى القياس .

ونجلمهم لآمانتهم وحرصهم على أن يصلوا إلى
الحقائق وخوفهم من أن يقولوا في اللغة بغير علم
كما أنما هي دين لا يجوز فيه التهاون والتساحيل
يجب أن يفرغ المرء جهده ليصل إلى الحق ولا
يجوز أن يثق المرء بأول خاطر أو يسكن إلى
الراحة والدعة .

إن ابتكار العلوم يقتضى أمورا لا بد من
وجودها ليتمكن الابتكار :

أولها - عقل مبتكر منطقي يبحث عن العلل
والأسباب ويقيس الأمور بأمثالها .

ثانيها - حب للبحث والاستقصاء والابتكار
وإيثار له على جميع حظوظ الدنيا وما فيها من
متع وزخارف .

ثالثها - إيمان بجدوى هذه البحوث وبأنها

أن من فعل ذلك فقد بلغ الغاية ولا يضره ألا يكون استنبط واستحدث. وانظر إلى آثار الخليل تجدها كلها تعليلًا وقياسًا واستنتاجًا وابتكارًا.

وقد يعجب المرء كيف توجد هذه العقول الخصبية في أوائل الدولة الإسلامية ولم تدر بالادوار التي تمر بها الأمم من طفولة وشباب واكتئال مما يقتضى أحقابًا طويلاً حتى تصل إلى سن ابتكار العلوم ولو علم المرء أن الإسلام جاء إلى أمم كانت قد مرت بأدوار الصبا والطفولة ووصلت إلى حدة الاكتئال فلم يذهبها الإسلام لإنشاء وإنما جاء فأصلح من عقائدها وأخلاقها واجتماعها، نقول لو علم الباحث ذلك لزال منه العجب. إن الإسلام دخل في أمة الفرس والروم والسيريان وقد كانت أمم ذات ثقافة ومدنية بل العرب أنفسهم جاءهم الإسلام بعد أجيال وأجيال من منشئهم فلا عجب أن تظهر فيهم ملكة الابتكار والاستنباط التي لا تظهر في الأمم إلا في دور نضوجها واستكمالها.

أما حب البحث والابتكار حباً يصل إلى درجة العشق والهيام وإثاره على كل شيء عداه، فيحدثنا التاريخ بأعاجيب منه. وحسبنا أن نذكر هنا الحادئين الآيتين: يروى عن أبي عمرو بن العلاء قال: كنت هارباً من الحجاج بن يوسف وكان يشبّهه على وفرجة، هل هو بالفتح أو بالضم فسمعت قائلاً يقول:

ربما تجزع النفوس من الـ

سر له فرجة كحل العقال

بفتح الفاء من فرجة ثم قال: ألا إنه قد مات الحجاج. قال أبو عمرو: فما أدري بأيهما كنت

الكتاب في النحو، فطارت شهرته في الآفاق وذهب سيئويه بفخره، فلما رأى الخليل ذلك أراد أن يصنع علماً ينسب إليه ويختص به فوضع قوانين الشعر العربي وحصرها وبين علله وأعارضه وما يصح منها وما لا يصح. وقد وضع كتاباً في اللغة سماه كتاب العين هو الأصل لكل القواميس التي آلفت بعده. وكان يظهر عقله للباحث إذا اجتمع به.

يروي أنه اجتمع مع عبد الله بن المقفع ثم افترقا فمثل كل منهما عن صاحبه فقال الخليل عن ابن المقفع: علمه أكبر من عقله. وقال عبد الله بن المقفع عن الخليل: عقله أكبر من علمه. وكذلك كان كل واحد منهما، فلو تتبع العالم الباحث آثارهما ودرسهما أزماناً متطاولة لمكانت خلاصة بحثه هذه النتيجة.

انظر إلى آثار ابن المقفع تجدها ترجمة للحكم الأولين وأمثالهم. وقد يأتي بعض الحكم ولكنه يراه مشتقاً من كلام الأولين.

ونرى ملكته التقليدية ظاهرة في أوائل كتبه. اقرأ قوله في أول كتابه الأدب الصغير: ومن أخذ كلاماً حسناً من غيره فتسكّم به في موضعه وعلى وجهه، فلا ترين عليه في ذلك ضؤولة، فإنه من أعين على حفظ كلام المصيّبين وهدى للاقتداء بالصالحين ووفق للأخذ عن الحكماء. ولا عليه ألا يزداد. فقد بلغ الغاية، وليس بناقصه في رأيه ولا غامظه من حقه ألا يكون هو استحدث ذلك وسبق إليه. تجده يدل على أن همه مصروف إلى جمع العلوم والحكم والاستكشاف منها. ويرى

يرزقون وبقلبه كان لهم الجاه والشرف والمثالة في قومهم ، كل ذلك كان من صوفيته في العلم التي كان يراها عبادة وزهادة ، ولذلك كان يقول : إذا لم تسكن هذه الطائفة - يعنى أهل العلم - أولياء الله تعالى فليس لله ولى . ولعلمه وزهده وعفته ورغبته عما في أيدي الناس كان سفيان يقول : من أراد أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليتنظر إلى الخليل بن أحمد .

يمثل هذا العشق والهيام بالبحث يستنبط العلم وتكتسب المعرفة .

أما أنهم كانوا يؤملون من وراء بحثهم غرضاً عزيزاً لديهم ويرونهم في أشد الحاجة إلى تحصيله فلا أنهم كانوا يريدون المحافظة على كتاب الله أن يتطرق إليه اللحن وفساد الإعراب . وكانوا يخافون على اللغة العربية أن يذهب نظامها بمخالطة الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ، فقد كانوا يسمعون اللحن في القرآن فيسوءهم ذلك . وأشد ما ساءهم أن قارئاً قرأ : إن الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقيل معاذ الله أن يبرأ من رسوله . وقد هرعوا إلى وضع النحو بعد هذه الحادثة . وقد كانوا يرون اللحن في لغة العرب فيعزرونهم ذلك إلى وضع قوانين فيما كان فيه اللحن .

يروى أن أبا الأسود قالت له ابنته : ما أحسن السماء . فقال لها : يا بinti نجر مها . فقالت : إنى لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها . فقال لها : إذن فقولى ما أحسن السماء . ووضع باب التعجب .

وما أظن أنهم غاروا على اللغة العربية ، هذه الغيرة إلا من أجل القرآن ، وإلا فإن أما

أشد فرحاً بقوله وفرجة ، أم بقوله مات والحجاج . فأنت تراه قد فرح باستفادته حرفاً واحداً من اللغة فرحاً يعدل الأمن بعد الخوف ، والظهور إلى الناس بعد الاستخفاء . وأما الحادثة الثانية فهي أن سليمان بن علي وجه إلى الخليل بن أحمد ، من الأهواز لتأديب ولده فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال : كل فما عندي غيره وما دمت أجدته فلا حاجة لي إلى سليمان . فقال الرسول : فما أبلغه ؟ فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أنى عنه في سعة

وفي غنى غير أنى لست ذا مال
والفقر في النفس لا في المال فعرفه

ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال وما أحسب الخليل أثر الإقامة مع فقره وإقلاله على الرحلة مع ما فيها من غنى ويسار إلا لأنه كان في بيئة يفهمها وتفهمه ويبتكر لها فتعجب بابتكاره وتناقشه فيسر لهذه المناقشة . وكان لذلك في سعادة نفسية يتعنى جزوا منها الاغنياء والموسرون . وستغوته هذه السعادة إذا ذهب إلى الأهواز وشغل بتعليم ولد سليمان وفاته تلاميذه الذين كان يأنس بمحاوراتهم ومساجلاتهم كسيبويه والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر الجهمضمي .

وكان النضر بن شميل يقول : أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبته وهو في خص لا يشعر به . ولم تؤكل الدنيا بعلمه في زمنه فحسب ، بل أكلت الدنيا بعلمه في جميع الأزمان بعده إلى اليوم . ولا يزال للخليل فضل جسيم على معلي العربية اليوم في الأزهر ووزارة المعارف والجامعة ، فبعلمه

ويرحلون إليهم . وكان الخلفاء والأمراء يجزلون
صلات العلماء بحرف واحد من اللغة يستفيدونه
منهم ، كما يحكى أن المأمون قال بحضرة النضر بن
شميل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا
تزوج الرجل المرأة لدينها وجهالها ، كان فيها
سداد من عوز ، فأورده بفتح السين . فقال
النضر : سداد بكسر السين . فقال المأمون : وما الفرق
بينهما ؟ فقال النضر : السداد بالفتح القصد في الدين
والسبيل والسداد بالكسر المبلغة ، وكل ما سددت
به شيئا فهو سداد ، قال العرجي :
أضاعوني وأى فنى أضاعوا

ليوم كريمة وسداد ثغر
ثم أمر له المأمون بخمسين ألف درهم وأمر
له الفضل بثلاثين ألفا .

هذه العناصر الأربعة التي ذكرنا أنها تدعو
إلى استنباط العلوم وابتكار قوانين اللغة كانت
موجودة في البصرة والكوفة ، ولذلك بدأ النحو
في هذين المصيرين ثم انتشر بعد ذلك في الأمصار
الإسلامية ، فليت شعري ما الذى فقدته
الأمصار الإسلامية ، كمصر ، والشام ، والحجاز ،
من هذه العناصر الأربعة فلم يظهر فيها
النحو ولم تستنبطه وكانت عيالا فيه على نحو
البصرة والكوفة ! وليت شعري ما الذى تنقصه
الممالك الإسلامية الآن من هذه العناصر فعجزت
عن استنباط العلوم ومجارات الأمم في بناء هيكل
العلم المقدس ؟ هذا موضوع حقيق بأن يبحث
مستقلا لانه لا يخلو من طرافة ، ولا يخلو من
فائدة أيضا

محمد عرفة

كثيرة تركت لغتها تتطور وتتفرع إلى لغات
كثيرة دون أن تعنى بضبطها والوقوف في سبيل
تطورها ، ولكن علماء الإسلام عنوا بضبط
لغتهم من أجل المحافظة على القرآن ، فنشأت هذه
الظاهرة العجيبة ، وهى أنه لو قدر أن يحيا اليوم
رجل مات منذ ألف سنة ، فسمع المتحدثين
بالعربية لما أنكرها وفهمها ، أما اللغات
الأخرى فليست كذلك . فلو أن فرنسيا مات
منذ مائتي سنة وبعث اليوم ، لما فهم اللغة الفرنسية
التي يتحدث بها أهل هذا العصر لتطورها
ومطاوعتها للأحداث الجارية عليها .

وقد بلغ من حرصهم على صحة اللغة وسلامة
إعرابها أن أحدهم كان يخجل من اللحن ويراه
سومة لا ينبغي أن يعلمها أحد عنه .

يروى أن الحجاج بن يوسف قال ليحيى بن
يعمر العدواني : أتجدنى ألحن ؟ فقال : الأمير أفصح
من ذلك . فقال : عزمت عليك أتجدنى ألحن ؟
فقال يحيى : نعم ، فقال له : فى أى شيء ؟ فقال :
فى كتاب الله تعالى ، فقال : ذلك أشنع ، فى أى
شيء من كتاب الله تعالى ؟ قال : قرأت دقل إن
كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم ، وأموال اقترتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم ،
فرفعت أحب وهو منصوب . فقال له الحجاج :
طول لحيتك دفعا . وكان طويل اللحية - لا تساكنى
فى بلد أنا فيه ونفاه إلى خراسان .

وأما البيئة العربية فى ذلك الحين ، فقد كانت
تشجع أعظم التشجيع ، على البحث والدرس ،
فقد كان الناس يعظمون العلماء ويستفيدون منهم

فتوح العقلية الإسلامية في العلم والفلسفة

فضل العرب على فلسفة اليونان

للككتور أحمد نؤاد الزهواوي

إلى عقول جديدة ، لأنها كانت كالحب الذي ينبت في غير وطنه فيعطى ثمراً يختلف في طعمه عن الثمر الأصلي . بل وفي شكله . فلما تمثل العرب فلسفة اليونان ، اختلطت بأقوى عنصر من عناصر الحضارة الإسلامية ، وهو الدين الذي يعتمد على أصل ثابت من الكتاب الكريم ، لا ريب فيه ، ولا مبدل لكلماته ، هدى للبتقين .

ولم تكن الفلسفة اليونانية غريبة عن الدين ، ولكن دين أساطير يؤله البحر والسماء والشمس والقمر ويتخذ آلهة كثيرة ، ولم يستطع فلاسفتهم المبرزون مثل أفلاطون وأرسطو أن يخلصوا من أثر تلك الأديان . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن فلسفة أفلاطون متأثرة تأثراً شديداً بالنحلة الأورفية . ومن أراد من فلاسفتهم أن يتحرر من سلطان الدين ، وأن ينظر إليه بعين العقل ، لقي من غضب الشعب ما يقسره على الخوف ، وكنتم الرأي ، ومسايرة الجماعة . فقد اتهم سقراط بإنكار آلهة اليونان ، وحوكم من أجل ذلك وأعدم . واتهم أرسطو بتهمة شبيهة بذلك لأنه نظم قصيدة رثاء عند موت صديقه الملك هرمياس ، وكان الشعرو قفاً على الآلهة فقط ، وهرب أرسطو خوفاً على مصيره . وقد جرد أرسطو الإله من كل شيء ، فهو عنده المحرك الذي لا يتحرك ، ، مفارق للعالم ، لا يُعنى به ، ولا يعلم عنه شيئاً . وتختلف هذه النظرة اختلافاً شديداً عن نظرة الأديان

نحسب أنه قد جاء الأوان الذي نكتب فيه فلسفتنا بأيدينا ، وأن تؤرخ لها بأقلامنا ، بعد أن سجل المستشرقون رأيهم فيها ، وأعلنوا أن الفلسفة الإسلامية ليست شيئاً آخر إلا الفلسفة اليونانية دوّنت بحروف عربية . بل لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا : إن علم الكلام ، والفقه ، والنحو ، وغيرها من العلوم ، يونانية .

ولن نذهب مذهب هؤلاء القوم من الغلو في تقدير اليونان والحط من شأن العرب ، أو نتطرف على العكس في رفع قيمة العرب وتجريد غيرهم من كل شيء . ولكننا نقول كما قال أرسطو في أوائل كتاب ما بعد الطبيعة : إنه ينبغي أن نشكر السابقين لأنهم مهدوا الطريق . ولم يفته أن يسجل الفضل للمصريين بوجه خاص لامتيازهم في العلم الرياضي . وقد صاغ الكندي هذا الرأي في كتابه إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى فقال : « فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين ييسر الحق فضلاً عن أتى بكثير من الحق ، إذ أشركونا في ثمار فكرهم ، وسهلوا لنا المطالب الخفية الحقة . فإنهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا مع شدة البحث في مددنا كلها هذه الأوائل الحقة ، التي بها خرجنا إلى الأواخر من مطلوباتنا الحقة . فإن ذلك إنما اجتمع في الأعصار السالفة المتقدمة عصره بعد عصر إلى زماننا هذا ... »

وقد كان من الخير أن تنقل حضارة الإغريق على يد المترجمين إلى أرض جديدة ، وتدرج

السما إلى الأرض على الحقيقة ، ويسرت لكل
« إنسان ، أن يفكر فيها ، باحثاً ومبتكراً ،
مؤيداً ومعارضاً .

العرب الجبرير :

ولما جاءت هذه النزعة من طبيعة الدين الجديد .
فهو دين عقل وتجديد لا دين رسوم وتقليد .
والقرآن خطاب للناس كافة دون تمييز بين
جنس وجنس أو طبقة وأخرى ، وفي الأثر
« لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » .

وقد جاء الإسلام بمدة أصول عامة بما يتعرض
لها الفلاسفة ، ولكنه نظر إليها بطريقة خاصة
تختلف عن طريقة الحكماء . هذه الأصول هي
وجود الله ، ووحدانيته ، وخلق العالم ، ثم الصلة
بين الله تعالى والعالم جملة ، وبالإنسان ومصيره
بوجه خاص .

وليس بين فلاسفة الإسلام من أنكر وجود
الله ، أو قال بالتعدد مثل فلاسفة اليونان ؛
وأدلتهم على الوجود والوحدانية متأثرة تأثراً
شديداً بالإسلام ، وتختلف اختلافاً يبنياً عن أدلة
اليونانيين ، وعن أدلة أفلاطون صاحب الأفلاطونية
الجديدة ، والذي نُقل كتابه التاسوعات ونُسب
خطأً إلى أرسطو باسم « الأولوجيا » أو « الربوبية » .
وقيل إنه أثر في الفلسفة الإسلامية أبلغ الأثر .
ونحن لا ننكر ذلك في تفصيلات كثيرة ، ولكن
النظرية العامة لأفلاطون تختلف عما ذهب إليه
فلاسفة المسلمين .

وعند الكندي : الله هو « المدبر » الأول .
ويعتمد فيلسوف العرب في إثبات وجود الله ،

السموية ، كاليهودية والمسيحية والإسلام ،
ولذلك عدل المسيحيون والمسلمون عن رأى
أرسطو في الله ، واصطنعوا فلسفة أخرى تتلاءم
مع الأديان السماوية .

ومع ذلك فقد نصب فلاسفة المسلمين أقلامهم
للدفاع عن فلسفة اليونان الدينية ، وذهب
الشهرزوري في كتاب نزعة الأرواح ، بعد أن
حكى آراء الفلاسفة الطبيعيين ، إلى أن نظرياتهم
كانت « رمزاً » ، أما الحقيقة فإنهم كانوا المؤلفة .
فإذا كانوا مؤلفة على الحقيقة ، فإنما رمزوا
خشية ورهبة . والواقع أن الفلسفة اليونانية
لم تكن تمتاز بالتصريح العلانية ، حتى في أزهى
عصورها . فهذا أفلاطون لم يدون دروسه
في « الأكاديمية » ، أما محاوراته فقد كتبها
للجمهور لا للفلاسفة . وكان أرسطو يلقي دروساً
للخاصة من تلاميذه ، وأخرى في المساء للجمهور
المستمعين . وكتبه التي وصلت إلينا هي المذكرات ،
التي كان يلقي منها دروسه ، وهذا سر غموضها وعلة
تركيزها ، ويسمى العرب « التذاكير » .

ولم يكن في الفلسفة الإسلامية سر تخفيه عن
الناس ، أو علم يستأثر به الفلاسفة دون العامة
والجمهور . وهذا كتاب « الشفاء » لابن سينا يعد
موسوعة كبرى حوت جميع أبواب الفلسفة ،
ولم يكن الكتاب مقصوداً على فئة دون فئة ،
بل لقد يسر الشيخ الرئيس قراءته للناس فاختصره
في كتاب « النجاة » ليكون أيسر تداولاً .

فأول فضل للعرب على فلسفة اليونان ، هو
هذه النزعة الديمقراطية ، التي أنزلت الفلسفة من

قصصياً في كتابه : حى بن يقطان ، الذى نقل إلى أوروبا وأثر في أهلها تأثيراً كبيراً .

العلم والفلسفة :

وإذا كانت الفلسفة قد اتصلت بالدين من جهة ، فقد اتصلت بالعلم من جانب آخر ، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن العلوم المختلفة ، كالحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب كانت فروعا من شجرة الفلسفة .

حقا نقل العرب فلك بطليموس ، ورياضة أفقليدس ، وطب أبقراط وجالينوس ، ولكن هذه العلوم كانت قد تفرقت ، واختص بكل فرع منها قوم ، حتى جاء العرب وسنّ لهم أبو يوسف يعقوب الكندى سنة الجمع بينها ، فكانت له رسائل في الفلك والهندسة والكيمياء كما كتب في الفلسفة . وبذلك أصبحت الفلسفة هى المعرفة الشاملة بجميع العلوم . ولم يقتصر فلاسفة الإسلام على الفلسفة وحدها ، بل كان معظمهم علماء ، إما في العلم الرياضى وإما في العلم الطبيعى . وهذا هو سبب نهضة الفلسفة الإسلامية ، وارتفاع شأن ممثلها ، كالحال في ديكرات وليبنز ، ولكل منهما نظريات رياضية جديدة . ولا تزال هذه السنة قائمة حتى الآن ، فهذا بوانكاريه وبرجسون وبرتراند رسل وهوايت هيدواينشتين وغيرهم لم تصبح لهم كلبة في الفلسفة مسموعة إلا لامتلاكهم ناصية العلم الرياضى أو الطبيعى . ومن الغريب أن يقال إن الفلسفة الإسلامية اقتصرت على نقل علوم اليونان والوقوف عند شرحها . فهذا أبو نصر الفارابى ابتكر علم

على البرهان الغائى ، وفكرة التدبير ، بل لفظ التدبير ، مما ورد في القرآن الكريم .

وعند الفارابى : أن الله هو مبدع ، الكل . وهنا ينظر المعلم الثانى فى وجود الله إلى العلة الأولى ، وإلى الإبداع ، طبقاً لما جاء فى محكم التنزيل من أن الله تعالى بديع السموات والأرض . ويرى أبو على بن سينا أن الله واجب الوجود ، وذلك بعد قسمة الموجودات إلى واجب ويمكن ومستحيل . وهذه قسمة تعتمد على المنطق ، وقد درجت فى براهين المتكلمين فيما بعد ، حتى لقد أورد محمد عبده فى رسالة فى التوحيد هذا البرهان .

أما أبو يوسف وأبو نصر فقد كانا أدنى إلى روح الإسلام وأقرب من نصوصه . وكان أبو على فى برهانه فيلسوفاً مستقل الفكر لم يأخذ عن اليونان ، ولم يتأثر بالإسلام ، ولذلك هاجمه أبو حامد الغزالى فى التهافت هجوماً شديداً .

ومن الطبيعى وقد برهن الفلاسفة على وجود الله أن يبرهنوا كذلك على الصلة بينه وبين العالم وأن يفسروا الظاهرة التى تعد أساس الأديان السماوية وهى النبوة والوحى .

وهذا كله هو موضوع التوفيق بين الدين والفلسفة . وقد زعم المستشرقون أن فضل الفلسفة الإسلامية يقف عند هذا التوفيق ولا يتعداه ، وسوف نبين أن لها أفضالا كثيرة خلاف ما فطنوا إليه . وكان عمادهم فى تصوير هذا التوفيق ما سجله أبو الوليد فى كتابه ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ، وسبقه أستاذه أبو بكر بن طفيل فصور هذه المشكلة تصويراً

يسميها المحدثون نظرية المعرفة ، والتي سماها القدماء « العلم » . وإنما عدلنا عن لفظ « العلم » إلى « المعرفة » ، لأن العلم (Science) في العصر الحاضر لمصطلح خاص يقصده بمجموعة القوانين العامة المستمرة من المشاهدات والمؤيدة بالتجارب . وفلسفة الإسلام رأى في المعرفة ، ولعلماء الكلام رأى كذلك ، حتى لقد أفرد المتأخرون منهم بابا خاصا باسم العلم ، كما هو الحال في « المواقف » ، للإيجي مثلا . ولعلك تقول : وما شأن المتكلمين بالفلسفة وكيف تخلط بين هؤلاء وأولئك ؟ كان ذلك صحيحا في القرن الثالث وابتداء الرابع ، حتى إذا كنا في القرن الخامس والسادس ، اختلطت مباحث الكلام بالفلسفة ، وذلك باعتراف المتكلمين أنفسهم ، ويكفي أن تقرأ استهلال كتاب « العقائد » للنسفي الذي يقول فيه « قال أهل الحق : حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسفسطائية » لنحس أنك بإزاء كتاب في الفلسفة لا في علم الكلام . وفي رأى الكثيرين أن الغزالي يعد بسبب كتابيه المقاصد والنهات من الفلاسفة لا من المتكلمين أو الفقهاء أو الصوفية . وهذا هو رأينا أيضا . على أن نظرية المعرفة عند المتكلمين تلامم أغراضهم من إثبات الحقائق الدينية التي وردت في الشرع ، أما الفلاسفة فقد نظروا إلى المعرفة نظراً حراً من كل تأثير ديني .

ما هي طرق المعرفة ؟ أم هي الحواس أم العقل ؟ أم يوجد طريق آخر غير الحواس والعقل ؟ وكيف نعزل إلى تكوين المعاني الكلية

الموسيقى ، حتى لقد وصفه ابن قيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان ، بأنه سمي « المعلم الثاني » ، لأنه وضع التعاليم الصوتية كما وضع أرسطو المنطق فلقب بالمعلم الأول . وكان الفارابي إلى ذلك صاحب معرفة شاملة ، وهو صاحب « إحصاء العلوم » ، وقد أراد صديقنا الدكتور عثمان أمين أن يفسر تسميته بالمعلم الثاني من أجل ذلك . وذهب الأستاذ زكريا يوسف في مهرجان ابن سينا الذي أقيم في بغداد إلى أن الشيخ الرئيس هو أول من وضع علم الموسيقى .

ولا نريد أن نخوض في تفصيل العلوم واحدا واحدا فنبين فضل فلسفة العرب على علم الفلك ، والرياضة ، والنبات والحيوان ، والكيمياء وغير ذلك ، فسكتهم التي نقلت إلى اللاتينية في العصر الوسيط هي التي عوّل عليها الأوروبيون في نهضتهم العلمية . غير أننا نريد الإشارة إلى هذا المعنى ، وهو أن فلاسفة المسلمين هم الذين سنوا سنة الجمع بين الحكمة والعلم ولعل لفظ « الحكيم » الذي يعنى به العامة « الطبيب » ، إنما يرجع إلى أن أطباء الإسلام كانوا فلاسفة وحكماء في الوقت نفسه . ولا غرابة بعد ذلك أن تجد سيرة الفلاسفة في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة .

نظرية المعرفة :

ومن المسائل التي تضرب في الفلسفة إلى العميم ، بل التي تعد جوهر الفلسفة ، هذه المسائل التي

ابن سينا، ولسكننا نشير إلى أن النجاة والشفاء قد ترجعا إلى اللاتينية، ولا نستبعد أن يكون ديكارت وكانط قد تأثرا بالشيخ الرئيس في كثير من آرائهما، كما بينا ذلك في بعض مباحثنا. ويضيف المتكلمون إلى طرق المعرفة طريقا جديداً، هو: الخبر الصادق، ويذهب الفارابي إلى أن العلم إما أن يكون ربانيا وإما أن يكون إنسانيا. فالتعلم الرباني يحصل بالكشف والذوق والتعلم الإنساني يتم بالمشاهدة والتحصيل.

الاسباب والمسببات :

وهذه مسألة من أخطر المسائل الفلسفية نغنى بها نظرية السببية. وقد فتح بابها الغزالي ولا تزال المشكلة معروضة على بساط البحث حتى اليوم. خاض فيها هيوم، وكانط، كما عرض لها المحدثون المعاصرون.

يقول الغزالي إن النار إذا اقتربت من القطن أحرقته، فيذهب الفلاسفة إلى أن النار علة، الإحراق. فما معنى العلة أو السبب، أذلك في الأشياء الطبيعية، أم في عقولنا؟ فإن كانت الاسباب في الأشياء الطبيعية فإنها عادمة للعقل وتحتاج إلى مدبر يديرها. وإن كانت السببية في عقولنا، فإن مرجع ذلك إلى العادة، التي ألفنا فيها النظر إلى تكرار وقوع الإحراق بعد اقتراب النار من القطن. ويخلص الغزالي من ذلك كله إلى مسبب الاسباب وهو الله تعالى وهذا الذي يقوله الغزالي يشبه إلى حد كبير ما يقوله: «مالبرانش، تليذ ديكرت، حين يذهب إلى أن الاسباب الظاهرة إن هي

ولم القضاء التي نحكم فيها بمعنى على معنى؟ وهل المعرفة كلها مكتسبة أو نظرية، أو بعضها نظري وبعضها الآخر مكتسب؟

لقد نظر فلاسفة اليونان في هذه المشكلات، أو في بعضها على الأقل، ولسكنه نظر لا يغنى. فهذا أفلاطون يتحدثنا عن الجدول الصاعد من المحسوس إلى المعقول، ثم الجدول النازل من المعقول إلى المحسوس، ولكن رأيه شديد الغموض، أما فلاسفة الإسلام، فلأنهم اشتغلوا كما ذكرنا بالعلم الرياضي والطبيعي وكانوا أطباء يعولون على المشاهدة والتجارب، فقد تأثروا بالمنهج العلمي. ونحن نجد نواة نظرية المعرفة عند الفارابي الذي جمع بين المعلومات المكتسبة من الحواس وبين العقل. ولكن الفارابي فيلسوف مركز، يكتب على طريقة «الفصوص». حتى إذا جاء أبو علي بن سينا بسط هذه النظرية في إفاضة. فالسكيات تكتسب بتجربتها من المحسوسات الجزئية، والأحكام العامة مستفادة من التجربة مثل «أن السقمونيا مسهل للصغراء، وذلك لمشاهدتنا ذلك كثيراً، كما حكى الشيخ في النجاة». ونحن نجد هنا أن الرأي للطبيب لا للفيلسوف. ولكن ابن سينا يتحدثنا إلى جانب ذلك أن العقل البشري فيه «أوليات» أو «بديهيات»، مثل أن الشكل أعظم من الجزء، وأن الأشياء المساوية لشئ واحد متساوية وهذه من طبيعة العقل لا تستفاد من مشاهدة أو تجربة.

لا نود أن نعرض هنا بالتفصيل لمذهب

وابن سينا وابن رشد .

وأوضح هؤلاء جميعاً ، وأبعدهم أثراً في تاريخ الفلسفة ، سواء في الشرق أو في الغرب ، هو ابن سينا .

وقد ميز الشيخ الرئيس بين النفس والعقل ، فالنفس الإنسانية حين اتصالها بالبدن تسمى النفس ، فإذا فارقت بعد الموت تسمى العقل .

وساق ابن سينا أدلة كثيرة على وجود النفس وامتيازها عن البدن ، منها برهان « الأنا » حين تقول أنا فعلت كذا أو كذا . وبرهان الرجل الطائر الموجود في الشفاء وبرهان الشعور بالأحوال النفسية واستمرارها . وقد تنبه المستشرقون إلى أن دريكارت متأثر في برهانه المشهور ، « أنا أنكر » ، إذن أنا موجود ، ببراهين ابن سينا ، ولا سيما وقد كانت كتبه مترجمة إلى اللاتينية ومتداولة في أوروبا . وكذلك تلتقى آراء الشيخ بآراء وإيم جيمس وبرجسون في العصر الحديث .

إلا أن المسلمين بعد ابن سينا ، لم يجدوا مع الأسف في الفلسفة ، ولم يتابعوا النهضة التي بدأها الكندي وسار على هداها الفارابي حتى انتهت إلى المعلم الثالث .

وانتقلت الفلسفة إلى أوروبا ، وشقت طريقها ، وظلت تتقدم حتى اليوم .

وليس يبعد أن نرى الفلسفة تعود مرة أخرى إلى الشرق ، فتنبؤاً ما كان لها من منزلة على يد المعلمين الثاني والثالث .

أحمد فؤاد الأهواني

إلا مناسبات ، تبرز فيها الإرادة الإلهية .

أما هيوم ، فإنه أرجع السببية إلى قانون ارتباط المعاني في الذهن . وكان لهدمه مبدأ السببية أثر عظيم في فلسفة كانط ، الذي رأى في هدم السببية هدماً للعلم ، فذهب إلى أن السببية من جملة الصور الموجودة في العقل البشري والتي تفرض فرضاً على الأشياء . ولم يجد برتراند رسل في كتابه الأخير « المعرفة الإنسانية » أدلة فلسفية يمكن أن تتمتع بالاعتماد في السببية ، ولكنه أجازها ، لأن العلم لا يقف على قدميه إلا على هذا المبدأ . وهكذا نرى أن موقف الغزالي وبراهينه ونقده القوى ومناقشته العميقة كل ذلك لا يزال فحيحاً جديداً في عالم الفلسفة . وهذا من فضل العرب على فلسفة اليونان ، بل على الفلسفة الحديثة .

العقل والنفس :

وقد نظر فلاسفة اليونان إلى العقل والنفس . ويعد كتاب النفس لأرسطو مرجعاً في هاتين المسألتين . وقد نقل إسحاق بن حنين هذا الكتاب إلى العربية ، وشرحه الإسكندر الأفروديسي ، وعرف العرب الأصل والشرح . ولكن مقالة أرسطو في العقل كانت أشبه بالرموز المستخلقة ، وهي إلى ذلك شديدة الإيجاز ، وأشار فيها إلى خلود العقل ، ومفارقته ، مما يتنافى مع مذهبه الطبيعي العام مما جعله يلحق علم النفس بالعلم الطبيعي .

ونحن نجد لفلاسفة الإسلام البارزين آراء في العقل والنفس ، مثل الكندي والفارابي

تدعيم الإسلام للأسرة

للمكتوبة على عبد الواحد رافعة

والالتزام، ومدى مسؤوليته عن تصرفاته وأعماله وعن أعمال غيره من بقية أفراد أسرته الخاصة وأسرته العامتين وهما عاقلته أو عصبته وذوو أرحامه أو أقرباؤه من جهة الأب ومن جهة الأم، والنظم الحكيمة التي قررها بصدد الأرقاء والموالي من الجذنين وعلاقتهم بأسياهم وحقوقهم وواجباتهم وشئون أسراتهم الخاصة والعلاقة بين السيد ورقيقاته وأولاد الجوارى من أسياهم ومن غيرهم، والأسس التي أقام عليها شئون البنوة والقربة والنفقة والرضاع والحضانة وتعدد الزوجات والصلح بين الزوجين والتحكيم فيما ينجم بينهما من خلاف والطلاق والميراث والوصية.. ولم جرا.

وغنى عن البيان أن المقام لا يتسع للكلام على ما جاء به الإسلام من نظم في جميع هذه الشئون. هذا إلى أن معظمها قد قتله العلماء بحثاً في مؤلفات الفقه والشرعية المقارنة وتاريخ النظم الإسلامية، وأصبح الكلام فيه من نافلة القول. ولذلك سنقتصر في مقالنا على بيان ما جاء به الإسلام من تدعيم لنظام الأسرة في أربعة مواقف لم يوجه إليها الباحثون من قبلنا عناية كبيرة، ولم يوفوها حقنا من الدراسة، ولم يدينوا مالها من آثار خطيرة في هذا الصدد: وهي مواقف حيال نظام التبني، ونظام الاعتراف بالولد، ونظامي الادعاء، والخلع، في القربة.

تتأثر شئون المجتمع تأثراً كبيراً بمقومات الأسرة وما تعتمد عليه من دعائم. فإذا قامت الأسرة على أسس قوية سليمة استقرت أحوال المجتمع وتوطدت أركانه؛ وإذا وهنت قواعد ما اضطربت حياته واختل توازنه. فالأسرات، كما يقول دأوجيست كونت، منشئ علم الاجتماع، هي الخلايا الأولى التي يتألف منها جسم المجتمع، فبصلاحها يصلح هذا الجسم، وبفسادها يذهب إليه السقم والانحلال.

ولذلك وجه الإسلام قسطاً كبيراً من عنايته نحو تدعيم نظام الأسرة، وتخليصها من شوائب الضعف، وإحاطتها بما يكفل لها الصلاح والاستقرار. فلم يغادر أية ناحية من نواحيها إلا أقامها على نظم رشيدة، وقضى على ما كانت تسير عليه عند العرب وغيرهم من طرائق معوجة فاسدة. ذلك كان موقفه في شئون الخطبة، واختيار الزوج لزوجته، ومراعاة الكفامة بين الزوجين، ونظام المهور، وإجراءات عقد الزواج وإشهاره، وما أضفاه على هذا الميثاق من قدسية وجلال، وما قرره في حقوق كل من الرجل والمرأة والأولاد والأقرباء وواجباتهم بعضهم حيال بعض، وتنظيمه لاقتصاديات الأسرة وتوزيع وظائفها وأعبائها بين أفرادها، وتحديد الشخصية المدنية لكل منهم، ومبلغ ما يتمتع به من حرية في التملك والتعاقد

نظام الأسرة الإنسانية : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . . . وما جعل أديعائكم^(١) أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لأبائهم هو أفسط^(٢) عند الله ، فإن لم تعلموا آباهم فإخوانكم في الدين ومواليكم^(٣) . »

ولحرص الإسلام على القضاء على هذا النظام ، وإزالة جميع آثاره ، ولقوة تأصله في نفوس العرب لم يكتف بإغاثة بالقول ، بل رأى أن يمحوه كذلك بطريق عملي وبفعل الرسول نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يتزوج مطلقة زيد بن حارثة الذي كان قد تبناه قبل الرسالة ، ليبين للناس الطريق عملي أنه لا تبني في الإسلام ، وأن الدين الجديد قد قضى على هذه القرابة المصطنعة ، ومحاه جميع آثارها ، وأحل ما كانت تحرمه ، ومن ذلك زواج الرجل بمطلقة من تبناه ، وذلك أن العرب في الجاهلية ، لانزالهم الدعوى منزلة الابن من جميع الوجوه ، كانوا يحرمون على من تبناه أن يتزوج بمطلقة كما يحرم على الأب الزواج بمطلقة ابنة من صلبه . فجاء زواج الرسول عليه السلام بمطلقة زيد تقريرا عمليا لإلغاء هذا النظام وما يترتب عليه .

هذا ، وقد تخطيط كثير من المؤرخين والمفسرين تخطيطا كبيرا في بيان الأسباب التي دعت الرسول إلى الزواج بزينة بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة

١ - أما نظام « التبني » ، فيجيز للإنسان أن يتخذ فردا غير منحدر من صلبه ولدأله ؛ فيعامل هذا الغريب معاملة أولاده أمام القانون والمجتمع وينعم بحقوقهم ، وتقع عليه أعباؤهم وواجباتهم . وقد عمل بهذا النظام كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى بشروط وأوضاع تختلف باختلاف الأمم التي أخذت به . وكان العرب في الجاهلية يطبقونه في نطاق واسع ؛ حتى لقد كان ينسدر أن نجد من بين سراتهم وأوساطهم من ليس له ولد أو أولاد بطريق التبني . ولقد تبني الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه قبل رسالته زيد بن حارثة ، مع أنه كان معروف الأب والأم . وذلك أن أم زيد هذا قد خرجت به لزيارة أهلها ، فسطا عليها بعض الأعراب وخطفوا منها ابنها ؛ وكان الخطف رافدا من روافد الرق في الجاهلية . فباعوه بيع الأرقاء مع أنه معروف الفسب ومن أسرة عربية عريقة . وظل ينقل من يد إلى يد حتى وقع أخيرا في يد خديجة . وقد وهبته خديجة لزوجها محمد بن عبد الله ، فأعتقه وتبناه قبل الرسالة .

ولا يخفى ما يؤدي إليه نظام التبني من اختلاط في الأنساب ، وتوهين لحرمة القرابة ، وإضعاف لوشائج الدم ، وإفساد لمقومات الأسرة ، وإثارة لعوامل الفتنة والضعينة ، وإضرار لنار الشقاق والنزاع بين العشائر والأسرات .

ولذلك حرمه الإسلام تحريماً قاطعاً ، وأنكره القرآن في عبارات قوية تتم على شدة تعارضه مع الدعائم السليمة التي ينبغي أن يقوم عليها

(١) المفصود بالأديعاء في الآية : الذين كان الناس يتخذونهم أولاداً بطريق التبني .
(٢) أعسـل .
(٣) سورة الأحزاب آيتي ٤ ، ٥ .

وقد قصد الإسلام بهذا الاستثناء أن يشجع الناس على حماية اللقطاء وأن يحقق لهؤلاء من رعاية الأسرة وألفة القرابة والتنشئة الصالحة والحقوق المدنية ما لا يمكن أن يتحقق لامثالهم بدون هذا الإجراء .

* * *

٢ — وأما نظام « الاعتراف بالولد ، فيقضى ألا يلتحق نسب الولد بأبيه الشرعي إلا إذا اعترف به اعترافاً صريحاً ورضى أن يلتحق نسبه به . وكان هذا النظام سائداً عند كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى . فعند قدماء الرومان مثلاً كان إذا ولد لعميد الأسرة ولد من زوجه الشرعية وجب تقديمه له ، بأن يوضع على عتبة حجرته ؛ فإذا قام وضمه إلى صدره كان ذلك اعترافاً منه ببنوته ، وإذا تركه ملقى على العتبة اعتبر أجنبياً عنه وعن أسرته ^(١) . وكذلك كان شأن العرب في الجاهلية . فكانت البنوة في كثير من عشائهم لا تثبت لمن يجيء من الزوجة الشرعية إلا باعتراف صريح من الأب .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا النظام من استهانة بحرمة الزواج ، واستخفاف بميثاقه ، واستبداد بشئون الأسرة ، وإخضاعها لاهواء الأزواج ونزواتهم ، ونيل من كرامة الزوجات ، وتعرض الأولاد للضياع ، وحرمانهم من أعز الحقوق الإنسانية وألزمها للحياة ، وتفارقة ظالمة بين الإخوة والأخوات ، وزلزلة عنيفة لدعائم النظام

مع أن القرآن نفسه يبين بصريح العبارة أن السبب في ذلك حرص الشارع على القضاء على نظام التبني ومحو آثاره بطريق عملي بفعل الرسول نفسه . وذلك إذ يقول : « فلما قضى زيد منها وطراً ^(٢) زوجناكم ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ^(٣) » ، ولتوكيد هذا الحكم يقول الله تعالى في الآية التي بين فيها من يحرم الزواج بهن : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت .. وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، ^(٤) : أي إن الأبناء الذين يحرم على الآباء الزواج بمطقاتهم هم الأبناء الذين ينحدرون من أصلابهم لا الذين يجيئون عن طريق الادعاء والتبني الذي قضى عليه الإسلام ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا حالة واحدة وهي حالة اللقيط الذي لا يعرف نسبه ؛ فتتيح أن يلتحق نسبه بمن التقطه إذا قبل أن يلتحق نسبه به أو بأى شخص آخر يدعيه إذا لم يدعه الملتقط نفسه (أما إذا ادعاه الملتقط وادعاه في الوقت نفسه شخص آخر فالملتقط أولى به) ؛ ويصبح في جميع هذه الأحوال من أولاد من ادعاه ، سواء أكان الملتقط أم غيره ويعامل معاملة من من معظم الوجوه ^(٥) .

(١) كناية عن طلاقه إياها .

(٢) -سورة الأحزاب آية ٢٧

(٣) -سورة النساء آية ٢٣

[٤] انظر في ذلك الميداني على القدوري [المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٧] صفحة ١٩٦ وبدائع الصنائع للكاتاني [مطبعة الجالية سنة ١٩١٠] الجزء السادس صفحة ١٩٨ .

[١] انظر في كتابنا في « الأسرة والمجتمع » ، صفحتي

١٣ ، ١٤ من الطبعة الثانية .

بما لكها ، وأن هذه الصلة ليست قائمة على ميثاق وتعاقد بل قائمة على ملك المين ، وأنه ليس مفروضا دائما أن يعاشر السيد جاريته ويستمتع بها كما هو الشأن حيال زوجته الشرعية ، بل يجوز له ذلك ، ويجوز له أن يزوجه لرقيق مثلها أو الحر ^(١) ، كما يجوز له أن يقصرها على شئون الخدمة والعمل . فكان من العدالة إذن ألا يلتحق نسب ولدها به إلا بأدعائه أى باعترافه اعترافا صريحا بمعاشرته إياها وبأن الولد من صلبه . وقد كان السيد ملزما بديانة ، أى فيما بينه وبين ربه ، أن يعترف بالولد الذى يجيء من معاشرته لرقيقته .

٣ ، ٤ - وأما نظام الادعاء ، و الخلع ، فى القرابة فيجيز أولها لعמיד العشيرة أو لجمع شيوخها أن يضم إليها بطريق الادعاء فردا غربيا عنها فيصبح عضوا فيها ويشارك أفرادها فى مختلف حقوقهم وواجباتهم ، ويبيع له ثانيهما أن يخلع أحد أعضائها الأصليين عن ذمتها ويقطع صلتها به ، فيصبح خليعا ، أجنبيا عنها من جميع الوجوه .

وقد أقر هذين النظامين أمم كثيرة فى العصور القديمة والوسطى بشروط وأوضاع تختلف باختلاف اتجاهاتها فى التشريع . وكان العرب فى الجاهلية يطبقونهما فى نطاق واسع . وقد شاع

العائلى ومقوماته على العموم .

ولذلك حارب الإسلام هذا النظام فى جميع مظاهره ، ولم يأل جهدا فى القضاء عليه فقرر أن الولد للفراش ^(٢) ، أى إن من يجيء من الأولاد ثمرة لفراش صحيح قائم على عقد الزواج يلتحق نسبه بالزوج من غير حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا . وأخذت الشريعة الإسلامية بهذا المبدأ حتى فى الحالات التى يبدو فيها تعذر اتصال الزوج بزوجه ، كما إذا عمد مشرقى على مغربية بدون أن يتصل أحدهما اتصالا ظاهرا بالآخر ، وظل كل منهما مقيما فى بلده ، ثم جاءت الزوجة بولد بعد انتهاء مدة الحمل الشرعية فإنه يثبت نسبه من الزوج بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا ^(٣) .

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا من تجيء به الرقيقة التى لم يزوجهما سيدها لشخص آخر ؛ فإنه لا يثبت نسبه من سيدها ولا يعتبر ولده إلا إذا اعترف به اعترافا صريحا ^(٤) . والسبب فى ذلك أن صلة الجارية بمولاهما ليست صلة زوجة بزوجهما بل صلة مملوكة

[١] حديث نبوى ونصه : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقد ورد فى خطبة الوداع للإسول عليه السلام . ومعنى الجملة الثانية من الحديث أن من يثبت عليها الزنا بالأدلة القاطعة التى قررها الإسلام ينتق نسب ولدها من زوجها ويجب رجما بالحجارة .

[٢] انظر فى ذلك مقالا قويا لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت فى عدد ٤٥/١/٢ من جريدة المصرى .

[٣] انظر الميدانى على القدورى صفحة ٢٦٧ ، وبدائع الصنائع ، جزء رابع ، صفحة ١٢٥ .

[١] وفى هذا يقول الله تعالى : : وأنكحوا الأباى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، [سورة النور ، آية ٣٢] والفعل فى الآية بهمة قطع من الرباعى بمعنى زوجهم .

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا حالتين، أوجبت في إحداها قرابة غير قائمة على صلات الدم، وأجازت في الأخرى هذا النوع من القرابة، مراعية في هذه وتلك صالح الأفراد والصالح العام.

وأما إحداها فتتمثل في نظام «مولى العتق»، وهو الذى يصبح بمقتضاه العبد بعد عتقه، في نظر الإسلام، عضواً في أسرة سيده يشترك مع أفرادها في كثير من حقوقهم وواجباتهم، حتى لقد كان يجب عليها أن تدفع عنه الدية، إذا ارتكب جنائية توجب الدية، كما تفعل ذلك حيال أعضائها الأصاين، وكان سيده يرثه إذا مات ولم يترك عسبة. وقد قصد الإسلام من ذلك إلى غرض إنساني سام وهدف عمراني نبيل، وهو أن يكمل نعمة الحرية للعبد بعد تحريره، فيجعله مساوياً في الحقوق والواجبات لأفراد الأسرة التي كانت تملكه، ويجعل له من هذه الأسرة درعاً تحمى حريته الطارئة وتدرأ عنه ما عسى أن يوجه إليه من عدوان، ويسبغ عليه فوق هذا وذاك صفة من أهم الصفات الاجتماعية التي يمتاز بها الحر عن العبد إذ لا يعدد الأول عضواً في أسرة وعشيرة بينما يعد الثاني فرداً لا أسرة له ولا عشيرة. (١)

وأما الأخرى فتتمثل في نظام «مولى المولاة»، وذلك أن الشريعة الإسلامية تجيز لغير العربي إذا كان مجهول النسب أن يتخذ له ولياً من أسرة

لديهم على الأخص نظام «الخليع»، وكانوا يلجئون إليه في الغالب لمجازاة أحد أفراد العشيرة لحصول أو أعمال تتعارض مع عرفها أو نظمها أو آدابها أو عقائدها. فإذا وقع عليه هذا الجواز أصبح «خليعاً»، غريباً عن عشيرته لا تعده من أفرادها، فلا تؤخذ بجرائر أعماله ولا تتأثر له إذا قتل. وقد طلب كفار قريش الذين ضاقوا ذرعاً بمحمد عليه السلام وبدينه الجديد إلى عمه أبي طالب أن يخلعه، حتى يستطيعوا قتله بدون أن يخشوا مطالبة بني هاشم بثأره (٢).

وجميع ما قلناه في مثالب نظامي «التبني»، و«الاعتراف»، وآثارهما الهدامة وتقويضهما لدعائم الأسرة واعتدائهما على الكرامة والحقوق وإضرارهما لنار الفتن والشقاق يصدق أكل صدق على نظامي «الادعاء»، و«الخلع»، في القرابة. ومن أجل ذلك حرمهما الإسلام تحريماً باتاً كما حرم الظالمين الأولين، وقرر أن القرابة ليست هبة تمنح ولا رداء يخلع، وليست خاضعة لإرادة الناس ولا لأهوائهم، وإنما هي وشيجة دم لا يُلغى عنها من لم تعطيها له الطبيعة، وعروة وثقى تفبعث عن لمة النسب ولا تنفصم عن امتزجت به.

[١] لم يذعن أبو طالب لرغبتهم هذه، ولما علوا ببيعة الأنصار له اتفقوا على أن يختاروا من كل قبيلة فتى جليلاً ويذهب هؤلاء الفتيان إلى محمد ويقتلونه معاً، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على محاربة جميع العرب. ولكن الله تعالى كتب لرسوله النجاة ولدينه البقاء بهجرته مع صاحبه إلى المدينة في اليوم نفسه المحدد لتنفيذ جرمهم

[١] أنظر في موضوع «مولى العتق»، الميداني على القدوري

جهود العلماء المسلمين في ميدان العلوم

للككتور ابراهيم حملى عبد الرحمن

العلمى عند العرب ، وخاصة إذا قورن بالعلم الحديث ، فكلنا يعلم أن العلم الأوربي الحديث قد أنتج للبشرية الكهرباء والطائرات والراديو وأنواع العلاج الطبى والمستحدثات الزراعية والصناعية ووسائل الترفيه والتسلية وأدوات الهلاك والدمار. فلنا أن نسأل هل أنتج العلم العربى قديما ما يقارن بمستحدثات العلم الحديث ؟ والجواب بالنفى . ولكن يلزم أولا لتقدير قيمة العلم العربى الحقيقية أن نوضح الفرق بين العلم القديم والحديث .

١ - العلم قديماً وحديثاً :

إن العلم الحديث أشبه شئ بجبل الثلج الطافى الذى يظهر منه فوق سطح الماء جزء ويختفى منه تحت الماء تسعة أجزاء ، فالناس عامة يرون من العلم الاختراعات والابتكارات والمستحدثات التى تتصل بحياتهم اليومية أو بثقافتهم العادية وهذا هو العشر الظاهر ، أما الذى لا يظهر لهم فهو الأساس النظرية والعملية للمعرفة العلمية والجهود المضنية التى يبذلها مئات العلماء فى خلال عشرات السنين فى البحث والدرس والتنقيب وإعمال الفكر وعصر الذهن ، سعيًا وراء المعرفة وتجميعاً لكل دقيق من خيوطها والعمل الأخير - وهو الأهم فى العلم - لا يقدره الناس عامة حق قدره ، لأنه غير ظاهر أمام أعينهم ، فلو قلت لهم مثلاً إن عالماً جليلاً فى معهد علمى أجنبى قضى طيلة حياته يدرس طبائع نوع واحد من أنواع الحشرات وأنه أصبح حجة فى هذا الفرع وأنه منح لذلك أكبر الجوائز العلمية ، إذا قلت ذلك فللقارئ العادى أن يعجب من غرابة أطوار

الرأى عند الثقات أن العلم الإسلامى قد بلغ أوج ازدهاره فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى . وهم يدللون على ذلك بكثرة العلماء الفطاحل فى ذلك العصر وقوة الابتكار التى تظهر فى أعمالهم ، وفى تميز نتاجهم العلمى عن علوم اليونان والهند وغيرها من الأمم السالفة التى كان العرب ينقلون عنها فى مبدأ الأمر . ومعنى ذلك أن العلم الإسلامى كان قد تأصل فى بيئته وأينع وأثمر ولم يعد عالة على غيره وغدا قائماً بنفسه مبدعاً بذاته .

وربما يتساءل المرء عن القيمة الحقيقية للتقدم

معروفة ، يرتبط معه بعدد صريح ، فيصبح بمنزلة عضو فى أسرة هذا الولى ، يدفع عنه الولى الدية إذا ارتكب جنابة توجب الدية ويرثه إذا مات ولم يترك وارثاً . ويسمى من يكتسب قرابته عن طريق هذا العقد « مولى الموالاة » (١) . وقد قصد الإسلام من هذه الرخصة أن يحقق للمستضعفين من الناس سنداً وحماية فى المجتمع الذى يعيشون فيه . ولذلك لم يجزها إلا لشخص غير عربى بموجب النسب ، لأن العربى ليس فى حاجة إلى هذه الحماية ، لأنه يحى بعشيرته وذو النسب المعروف من غير العرب ليس فى حاجة إليها كذلك ، لأنه فى ظلال أسرته ، وانتماءه لغيرها يؤدى إلى اختلاط الانساب واضطراب الأساس التى يقوم عليها نظام القرابة .

على عبد الواهم وفى

[١] انظر فى موضوع « مولى الموالى » : الميدانى على القدورى ٢٧٦ ، والجزم الرابع من البدائع ١٧٠ - ١٧٣

فالحق يقال إن أبا سهل السكوى قد أضاف نتائج من ابتكاره إلى حقائق علم مراكز الانتقال وإنه بذلك قد ساهم في وضع أساس علم توازن الأجسام الحديث الذي يستعمل كل يوم في صناعة الطائرات والسفن وكل قائم أو دائر من الآلات والمنشآت .

وهذا بيان ما نقوله بأن العلم القديم كان بطيء التطور ضعيف الرابطة بالمجتمع المعاصر له ، أما إذا نظرنا إلى العلم الحديث ، فإننا نجد مثلاً أن فطر (البنسليين) يعرف في المخترعات العلمية وتتضح خصائصه الحيوية ، ثم لا تمضي بضعة سنوات حتى يكون منها دواء شاف يستعمله الناس أعم به الفائدة ويصير اسمه على كل لسان ، ذلك أن العلم في المجتمع الحديث سريع التطور قوى التفاعل وثيق العرى ، ولم يكن الأمر كذلك من قبل .

فإذا تكلمنا اليوم عن العلم الإسلامى أو العلم اليونانى نكون قد حدثنا عن جادة الصواب إذا سلطنا في تقديره سبيل البحث عن الاختراعات والابتكارات التى نتجت عنه . فالزراعة والطب والهندسة والملاحة عند العرب وهى كلها فنون عملية كانت لا تعتمد على نتائج العلم المعاصر لها فى أغلب الأمر ، إنما كانت تستمد معرفتها من العلم القديم الذى سبقها بعشرات القرون وكان قد تأصل فى المجتمع كحزمة يتوارثها أصحاب الصنائع والحرف . وأولى بنا أن ننظر إلى علم الأفدمين لنقدّر ما فيه من قدرة عقلية على الابتكار وما فيه من جهد ذهنى وتفكير صحيح .

ولما كان العلم القديم منفصلاً عن التطبيق العملى إلى حد كبير ، فإنه كان يقوم إما على رغبة

العالم ولعله يحكم عليه بالشذوذ أو الجنون ، ولعله يأسف على ما بذل من جهد وما ضاع من مال سعياً وراء طبائع إحدى الحشرات . ولكنك إذا قلت له بعد ذلك إن تلك الحشرة عندما درست حياتها كشفت الطريق أمام الباحثين فعرفوا الميسدات الحشرية وأنفذوا محاصيل زراعية تقدر بمئات الملايين من الجنيمات ، عندئذ لا يستكثر المرء أى جهد ولا يستقل أى نتيجة يصله إليها العلماء ، فالعلم الظاهر للجمهور يسبقه ويرتبط به علم كثير لا يقدره الجمهور .

والآن نرجع إلى العلم الحديث فنقول : إنه سريع التطور والارتباط بالمجتمع ، بينما العلم القديم كان بطيء التطور ضعيف الارتباط بالمجتمع . انظر مثلاً إلى (أبى سهل السكوى) عندما يكتب إلى (أبى إسحاق الصابى) قائلاً :

« وأما مراكز الأثقال فبقي منها شيء يسد حتى يتم ست مقالات متوالية ، أربع منها عملتها هاهنا بالبصرة ، واثنان ببغداد . أما فى أربع المقالات التى عملتها هاهنا فقد ظهر لنا فيه أشياء عجبية يدل كلها على نظم أفعال البارى عز وجل . منها . . . ثم يسترسل فى بيان مراكز أنقال الأشكال المسطحة والمجسمة المختلفة بنتائج بديعة لأنها نتائج علمية صحيحة كانت متكررة فى حينها واعتبرت أساساً لكل البحوث التى أتت من بعدها إلى العصر الحديث . ولكنها بحوث لم تؤد حقيقتاً بذاتها إلى أى اختراع عملى ، فلم تظهر قيمتها للعامة . ولكن العلماء يقدرونها حق قدرها وهى اليوم من أسس علم الميكانيكا وتوازن الأجسام الذى هو بدوره ركن من أركان الحضارة الحديثة كلها .

ودرراً من العلم فريدة، جعلت الثمقات من العلماء يعترفون بلا مراء أن التراث العلى عند العرب لها تعز به الحضارة وأنه بلغ أوج ازدهاره فى النصف الاول من القرن الحادى عشر الميلادى .

٢ — العلم عند العرب :

إن العالم المبتدىء إذا رغب اليوم فى بحث موضوع يبدأ أول ما يبدأ فى الاطلاع على بحوث من سبقوه فى دراسة نفس الموضوع ، فإذا حصل على ذلك زاد على علمهم وأضاف إلى نتائجهم . وهذا هو المنهج الذى تبعه علماء العرب ، فقد بدأوا بالاطلاع على كتب الاقدمين ، وخاصة اليونان والهنود الذين كانت لهم حضارة علمية زاهرة سابقة على عهد العرب بقرون عدة وكانت تلك المؤلفات بلغات غير اللغة العربية ، ولذلك لزم ترجمتها وتعريلها ، فكانت المرحلة العلمية الاولى عند العرب هى الترجمة والنقل . ولا خير فى هذا ، بل هذا هو عين الصواب . وقد تم النقل فى صور مختلفة ؛ فوجدت مدارس للترجمة فى صدر الدولة العباسية وأرسلت البعث إلى بزنطة غرباً والهند شرقاً لتستحضر نقائس المخطوطات للتعريب .

وكانت الترجمات الاولى فى الغالب ركيكة الاسلوب ، سقيمة معقدة غير واضحة ، ولم يكن المترجمون أنفسهم فى العادة قادرين على استيعاب ما فيها أو مناقشته ، فكثرت فيها الاغلاط ولزم إعادة ترجمتها وشرحها شرحاً وافياً (*) .

[*] حكى عن الفارابى أنه قرأ كتاب النفس لأرسطو مائتى مرة وذكر ابن سينا عن نفسه أنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة أربعين مرة من غير أن يفهم ما فيه .

العلماء أنفسهم فى الانقطاع له والعكوف عليه دون انتظار جزء أو أجر ، أو كان يقوم على تشجيع الامراء والخلفاء ونصراء العلم والمعرفة . فلم يكن الانقطاع للعلم حرفة يتكسب بها المرء عن سعة إلا إذا تلقفته أيدي السراة وأولى النفوذ من الحكام والولاة . وبذلك نشأ علم (البلاط) أى العلم الذى يتحایل به العلماء للبقاء فى حاشية الامراء . فكان من العلماء من يدرس التطبيب ومنهم من يدرس التنجيم ومنهم من يسعى وراء إكسیر الحیاة أو حجر الفلاسفة ، وكل هذه مباحث زائفة ولكنها محببة إلى الولاة والامراء الذين يبعون طالعا سعیداً أو كنوزاً من الذهب أو هبة تطیل العمر وتمد لهم فى جبل الحیاة .

وهكذا اختلط العلم القديم دائماً بعلوم زائفة ، فاختلط الطب الصحيح (بفوائد) سحرية وأحجية وتمائم ، واختلط علم الفلك الصحيح بالتنجيم والكشف عن الغیب ومعرفة الطالع ، كما اختلط علم المعادن والكیمياء بأبحاث إكسیر الحیاة وحجر الفلاسفة الذى یحیل المعادن الخسيسة إلى معادن نفیسة (**) .

وخلاصة القول أن على الباحث فى علم الاقدمين أن یقدر أنه علم منفصل عن المجتمع الذى یعاصره وأنه حیثما یتصل بالمجتمع یختلط به علم فاسد كثير ، فإذا قدر هذا كله واستصفى ما تبقى فإنه یجد كنوزاً من المعرفة الصحيحة

[*] ولا یسین المرء أن الاقدمين وحدهم هم الذين خلطوا العلم الصحيح بعلم فاسد ، إذ أننا نجد فى عصرنا الحاضر حكماً أذلوا العلم وأفسدوه إنما إفساد . وأقرب مثل على ذلك نظرية الجنس والدم الأرمى الذى أوجدتها النازية على غیر أساس صحیح تدعی لمبادئها السیاسية .

وقد بقي منار العلم مضاء في الدولة الإسلامية خمسة قرون أو يزيد، ثم خبا نوره وتلقفه منهم الإفرنجية في أوروبا. وقد بدأ الأوروبيون نهضتهم العلمية بالطريقة التي بدأها بها العرب، أى بالنقل والترجمة عن العرب والاطلاع على الكتب القديمة. وما يسر لهم ذلك اتخاذهم اللاتينية لغة للتخاطب فيما بينهم ودراستهم اليونانية كلغة أصلية لمصادر علمية كثيرة.

ولسكن علماء أوروبا منذ أواسط القرن السابع عشر، كانوا قد انتقلوا إلى مرحلة جديدة من مراحل العلم، هى ارتباطه بمسائل المجتمع والحياة وازدياد ترابطه بها وتفاعله معها، وفي تلك المرحلة تقدم العلم تقدماً كبيراً وارتقى رقىاً مضطرباً لا زلنا نلص آثاره كل يوم حتى الآن. أما العلم عند العرب فقد بلغ القمة بعد أن كانت الدولة ذاتها قد أخذت في التدهور والانحدار وبدأ السترك والتتار في المشرق والإفرنجية والبربر في المغرب يفتقسون من أطراف تلك الدولة وهؤلاء لم يكونوا أصحاب ثقافة قديمة ولم تسكن لهم بالعلم حاجة ولم يكنوا له من التقدير والإجلال مثلما كان يفعل الأمراء والخلفاء في عهد الدولة الإسلامية (*) لذلك خبا نور العلم ولم يدخل في مرحلة التطبيق العلمى والتفاعل مع المجتمع كما حدث للعلم الأوروبى الحديث.

والناظر في تاريخ المعارف اليونانية قد يجد شبيهاً بذلك، إذ أن العلم الإغريق بلغ الذروة في

وكان العلم عند العرب يكتب للخاصة بمن يتدارسوه، وكانت المخطوطات تفسخ وتجلى لتوضع كالفائس والدرر في خزائن كتب الأمراء، فراجت تجارة استجلاب المخطوطات الصحيحة والزائفة سواء بسواء، بل إن الكثيرين من الكتاب والمؤلفين كانوا يصنعون الكتب بأنفسهم ويذهبونها إلى علماء من الهند أو إلى حكماء اليونان حتى يزيد قدرها في سوق المعرفة وتنال حظوة ويسعى إليها الساعون. والمؤلفات المنسوبة إلى هرمس الحكيم وحده دليل على ذلك.

وهكذا ضاعت معرفة كثيرة من التي نقلت نظراً لعقم الترجمة وكثرة الأخطاء، كما ضاعت معرفة كثيرة مبتكرة كان الفضل فيها للعرب بأن نسبت إلى حكماء أقدمين اكتساباً للشهرة والتجارة.

ثم انتهى دور النقل والاتباع وجاء دور الإنتاج والإبداع. فوضعت الشروح لأهمات الكتب العلمية وكانت تلك الشروح تتضمن عادة الكثير من المعرفة المبتكرة، وانتشر العلماء في الدولة الإسلامية فكانت منهم فئة بالاندلس وأخرى بالقاهرة وثالثة بالشام ورابعة ببغداد والبصرة وأخرى في فارس وبلاد المشرق الإسلامى، وكان العلماء يتنقلون بين كل هذه العواصم وإن الثقافة الإسلامية كانت تجمعهم معاً وكانوا يراسلون فيما بينهم ويتطارحون المسائل العلمية ويتبادلون المؤلفات والمخطوطات فكانت وحدة إسلامية علمية على الرغم من تفكك الدولة ذاتها وانقسامها إلى خلافت متنافرة ودويلات متناصرة.

[*] كان العلماء العرب لا يسمح لهم بالرصد إلا إذا أقسموا يميناً بأن يكونوا أمناء فيها صادقين في إثبات المصداقة.

في مسائل الموارث وهي ضرورة دينية جعلت العلماء يبتغون سبيلا إلى حل مسائلها العويصة فوجد علم الرمز ثم الجبر والمقابلة . وفي الطب استخدم العرب نباتات كثيرة لم تكن معروفة لدى الإغريق أو السريان ، ونقلوا معرفة الهند الطبية وتبحروا في الرمد وجراحة العيون خاصة نظراً لانتشار أمراض العين في بيئتهم الصحراوية . وهذه الملاحظات على صحتها لا تغير مما سبق أن أوردناه من أن العلم العربي إذا قورن بالعلم الحديث يبدو منفصلاً عن الحياة الاجتماعية .

٣ - أكبر علماء العرب :

ونورد فيما يلي تراجم مختصرة لأربعة من فطاحل علماء العرب في صدر القرن الحادى عشر الميلادى الذى كان بحق العصر الزاهر للعلم العربى . وكانت الخلافة الفاطمية بمصر ، بينما قامت الدولة الإسلامية فى الأندلس ودويلات وإمارات بنى بويه والغزنويين وغيرهم فى المشرق وفارس .

(١) ابن يونس المصرى

أما من القاهرة فبنخ نجم ابن يونس الذى ولد فى مصر وتوفى فيها عام ١٠٠٩ ميلادية . وهو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى . اشتغل بالفلك فى مرصد بنى له على جبل قرب القسطنطينية وجهاز بكل ما يلزم من الآلات والأدوات ، وأمره العزيز أن يصنع زيجاً ، فبدأ به فى أواخر القرن العاشر للميلاد وأتمه فى عهد الحاكم بأمر الله وسماه

فى التقدم ، بعد أن كانت الدويلات الإغريقية ذاتها قد بدأت تنهار سياسياً أمام سطوة الرومان ذوى البطش والجبروت الذين عندما دانت لهم البلاد لم يساهموا هم أنفسهم بكثير أو قليل فى الحركة العلمية ذاتها وبقيت مراكز العلم القليلة قائمة فى الإسكندرية وفى جزائر البحر الأبيض وهى كلها معازل متفرقة للمعرفة اليونانية لم تلبث طويلاً حتى لحقها طوفان الرومان ففغت آثارها واندثرت من الوجود .

نذكر هذه الأمثلة لتبين للقارىء أن تقدم العلوم عند العرب كان تقدماً حقيقياً لا شك فيه ، وأنه كان عظيم الأثر فى تطور العلم وانتقاله إلى أوروبا وأن العلم الأوروبى الحديث عندما بدأ اتخذ عين الخطة التى انتهجها علماء العرب والإغريق من قبل وهى النقل والاستيعاب ، وأخيراً أن أهم ما يميز العلم الأوروبى الحديث عن العلم فى مراحله القديمة هو سرعة تطوره وارتباطه الوثيق العرى بواقع الحياة وتفاعله مع المجتمع ، الشيء الذى لم يهيا من قبل لا للعلم الإغريق ولا للعلم الإسلامى .

ولكن يقتضينا واجب الإنصاف أن نزيد أن العلم العربى اتصل بالمجتمع وتفاعل معه فى بعض النواحي مثل الفلك والجبر والطب ، وفى الفلك درست مواقيت الصلاة والملاحة البحرية واستمدت العرب فى هذا العلم معرفة كانت تطبق فعلاً فى أغراض عملية وكانت ضرورة تحديد المواقيت وتنظيم الأعياد فى ذاتها حافزاً للعلماء للتبحر فى هذا العلم .

أما الجبر والحساب فلعل الباحث يجد نشأته

كثير التصنيف وافر الزهد . . .

وجاء في كتاب تراث الإسلام ، إن علم البصريات وصل أعلى درجة من درجات التقدم بفضل ابن الهيثم ، وقد درس الاستاذ مصطفى نظيف ، أخيراً حياة ابن الهيثم العلمية دراسة مستفيضة في مجلدين نالاً تقدير العلماء في مصر والخارج ، وكشف فيها عن مقدرة ابن الهيثم العلمية ، وبحوثه المفيدة التي بقيت نبراساً لعلماء أوربا خمسة قرون متوالية .

جاء في كتب التاريخ أنه نقل إلى حاكم مصر أن ابن الهيثم وهو في البصرة قال : لو كنت بمصر لعلمت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالانه من زيادة ونقصان . . .

فازداد الحاكم شوقاً وسير إليه سر أجملة من المال ورغبة في الحضور ، فسافر نحو مصر ولما أناها ودرس أحوال النيل تحقق لديه أن ما يقصده غير ممكن ففترت عن يمينته وانكسرت

همته ، ووقف خاطره ووصل إلى الموضوع المعروف بالجنادل قبل مدينة أسوان وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل ، فعاينه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشى على موافقة مراده ، وتحقق الخطأ فيما وعد به وعاد خجلاً متخذلاً واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره وواقفه عليه . . . ثم يعد ذلك أحيطت حياته بصعوبات كثيرة ، وخشى الحاكم بأمراته الفاطمي الذي كان مريضاً للدماغي بغير سبب أو بأضعف سبب من خيال يتخيله . . . فتظاهروا بالجنون والجناب . . ولم يزل على ذلك إلى أن تحقق من

(الزيچ الحاكى) وصفه ابن خلكان بأنه زيچ كبير وأيته في أربعة مجلدات ولم أر في الازياج على كثرتها أطول منه ، ورصد ابن يونس الخسوف والكسوف واقتران الكواكب وأثبت بالرصد تزايد حركة القمر .

وينسب إلى ابن يونس أنه أول من استعمل (الخطار) بندول الساعة الدقاقة ، وبذلك سبق غاليليو بستة قرون . وبرع في حساب المثلثات وقد حل أعمالاً صعبة في المثلثات الكروية وحسب جداول ستينية واخترع حساب الأقواس وكذلك اخترع آلة الربع ذى الثقب . ويقول عنه بعض معاصريه إنه كان شاذ الطباع يضع رداءه فوق عمامته إذا ركب ضحك منه الناس لسوء حاله وشذوذ لباسه ، ولكن كان له مع هذه الهيأة إصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره ، وكان متفناً في علوم كثيرة .

(٢) ابن الهيثم

هو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم . ولد عام ٩٦٥ بالبصرة ، وعاش في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٩٦ - ١٠٢٠) وتوفي بالقاهرة عام ١٠٣٩ . ويعتبر بلا منازع أكبر علماء الطبيعة في الإسلام ومن أعظم الباحثين عن علم الضوء في تاريخ البشرية جمعاء ، اعترف بالفضل له المحدثون والقدماء على السواء . قال ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء :

« كان ابن الهيثم فاضل النفس قوى الذكاء متفناً في العلوم لم يمثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه . وكان دائم الاشتغال

واسعة وقدرته عظيمة وكان يحسن السريانية والنسكريكية والفارسية والعبرية عدا العربية كان حر التفكير راغباً في المعرفة يقبل على الدراسة . سافر إلى الهند فكتب عن تاريخها وجغرافيتها ونسبتها وأنهاها وأهلها ودرس الفلسفة الهندية دراسة عميقة كاملة ، فكان أول من عنى بذلك من علماء الإسلام ، فكانه كان وحده بعثة عملية كاملة أحاطت بكل علم الهند وما فيها . فسبق بذلك نابليون عند ما قدم إلى مصر واصطحب معه بعثة من أكبر علماء فرنسا مسحت مصر وسجلت مشاهداتها العلمية في سفر جليل عرف باسم (وصف مصر) لا زال حتى اليوم من أعظم مفاخر العلم الفرنسي ومن أهم مراجع العلم والثقافة في مصر .

يقول سخاو العالم الألماني : إن البيروني أكبر عقلية عرفها التاريخ ، واعتبره سارطون أعظم العلماء في عصره قاطبة ، ووضع في مركز الصدارة بين علماء القرن الحادي عشر ومن بعده الرئيس ابن سينا وابن الهيثم وابن يونس والكرخي وغيرهم ولا يتسع المجال هنا لتفصيل كل كتابات البيروني ومؤلفاته للعديدة التي يربى عددها على المائة والعشرين . وقد أوضح فيها كيف أخذ العرب الترقيم عن الهند وهي الأرقام التي عرفت عند العرب بالأرقام الهندية ، ثم انتقلت إلى أوروبا حيث تعرف حتى اليوم بالأرقام العربية تمييزاً لها عما سبقها من أرقام لا تينية كانت مستعملة قديماً .

(٤) ابن سينا

هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا . ولد في بخارى عام ٩٨٠م وتوفي في همدان

وفاة الحاكم فأظهر العقل ، وعاد سيرته الأولى وخرج من داره واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر مشغلاً بالتصنيف والنسخ والإفادة .

وأهم مؤلفات الحسن بن الهيثم هو كتاب المناظر ، الذي درس في أوروبا قروناً عديدة وتأثر به تلاميذ باكون وكبلر وغيرهما من كبار العلماء الأوروبيين الأوائل . وتعتبر دراسته في تركيب العين وكيفية الإبصار أهم ما عرفته الإنسانية في حقبة طويلة تمتد حوالى العشرين قرناً .

وقد حاول مقياس ارتفاع جو الأرض بدراسة الشفق عند الفجر وعند الغسق ، وحل مسائل رياضية معقدة بطرائق مبتكرة وشرح ظاهرة قوس قزح وظواهر ضوئية كثيرة . وله دراسات فلسفية في الانكسار وأرصاد مختلفة متنوعة . وفي أواخر أيامه كان يعتكف في قبة أمام الأزهر ينسخ كتبه ويبيع منها بما يقيم أوده ويدسر له العيش .

(٣) البيروني

هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي ولد في خوارزم عام ٩٧٣ ميلادية ثم التحق بشمس المعالي قابوس وأصبح بعد ذلك ذاحظاً لدى بني مأمون ملوك خوارزم ، ثم ارتحل إلى الهند . ويقال إنه مكث فيها أربعين سنة . واستفاد البيروني من فتوح الغزنويين للهند والمرجح أنه توفي في خوارزم عام ١٤٠٨ م .

والبيروني أقرب مثل لشخصية العلماء الباحثين الموفقين ، فقد كانت حياته كلها بحث وملاحظة وتنقيب ، اشتغل بالرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافية وبعلم المعادن والطبيعة . وله أعمال في التاريخ الطبيعي والجيولوجي وكانت ثقافته العلمية

وأنتهم إذا قورنوا بقطا حال العلماء في تاريخ العالم تكون لهم المكناة المرموقة ومركز الصدارة ، وأنهم بذكاهم واجتهادهم قد أحاطوا بالمعارف السابقة إحاطة شاملة ، ثم صنفوا التأليف المطولة المفصلة التي بقيت بعدهم مرجعاً لكل باحث وقرأناً لكل عالم خمسة قرون أو أكثر ، حتى استرجعت أوروبا في نهضتها علم العرب والإغريق وبدأت تزيد عليه زيادات كبيرة .

فالقول بأن العرب لم يكونوا سوى نقلة للعلوم القديمة وحفظه لها من يد الضياع قول مردود . والدليل على ذلك ، تلك الإضافات والبحوث المبتكرة التي تخرج بها المؤلفات العلمية الإسلامية الكثيرة التي لم تدرس بعد كلها دراسة وافية . وما درس منها يكشف دائماً عن إضافات مبتكرة وحقائق كانت خافية . ولعل واجب الأمانة أو الرغبة في اكتساب قدسية القوم كانت تفرض على علماء العرب ألا يخسوا القدماء حقهم من الذكر عند تحرير مؤلفاتهم ، فالمتصفح لها قد يبدو له لأول وهلة أن معظم ما فيها منقول عن السابقين والأمر في الحقيقة بخلاف ذلك .

ويمجدربنا أن نقول : إن الإسلام كدين لم يكن عائقاً أمام هؤلاء العلماء في طريق العلم والمعرفة ، وأن الحضارة الإسلامية كانت تقبل بل وتشجع كل معرفة وثقافة ، فالذين يودون اليوم نهضة علمية في البلاد ، لهم أن يطعموا إلى أن الإسلام الصحيح لا أثر فيه للرجعية في التفكير ولا يحد العقل عن الانطلاق .

ابراهيم ملى عبد الرحمن

عام ١٠٣٧م . فكان معاصراً للبيروني وكان بينهما اتصال وتواصل . ويعرف ابن سينا بأنه فيلسوف العرب الأول وأرسطو الإسلام . وهو مؤلف كتاب الشفاء الذي يقع في ١٨ مجلداً ضخماً ، ثم يعرف بموسوعته الكبرى الطبية المعروفة باسم (القانون) وهو مؤلف ضخم فيه أكثر من مليون كلمة (أو أكثر من ٢٥٠٠ صفحة من قطع بمجلة الأزهر) جمع فيه كل المعارف الطبية ونقل إلى اللغة اللاتينية وبقي مرجعاً للبحث والدراسة هناك حتى القرن السابع عشر . وله مقالات عديدة وكتب في الرياضيات وفي الفلك وفي الطبيعة والموسيقى والتقاويم وآلات الرصد وخارج الممالك وتدير الجنند وأرزاقهم (أى المالية والإدارة الحربية) وقد ضرب بسهم وافر في كل فرع من هذه الفروع .

وكان ابن سينا فيلسوفاً ينظر إلى كليات المسائل وينظمها نظماً منطقياً فلسفياً ترضاه نفسه ويستريح إليه فؤاده ، فلزم أن يكون محيطاً بالمعرفة ولذلك كتب موسوعات كاملة في الطب والفلسفة والعلوم ولكنه إذا قورن بالبيروني في المسائل العلمية يبدو أقل اهتماماً بالتعرف على الحقائق والتقيب عن المعارف وأكثر اتجاهاً إلى تقنين المعرفة وتركيبها معاً تركيباً نظامياً منطقياً . بينما كان البيروني منقبا عن دقائق الأشياء محباً للكشف والمخاطرة شغوقاً بالمسائل الفرعية يحللها تحليلًا كاملاً .

٤ — خاتمة

من هذا يتضح أن علماء القرن الحادى عشر الميلادى من المسلمين كانوا في مقدمة علماء عصرهم

فتوح الذوق الإسلامي في الفنون

خصائص العمارة الإسلامية

لأستاذنا حسن عبد الوهاب
المفتي الأول للدار العربية

عمرو بن العاص . وهما مثالان للمساجد الجامعة
في الأمصار عند نشأتها .

المسجد النبوي :

بنى هذا المسجد عند إنشائه باللبن على أساس
من الحجارة برسقف بالجريد واتخذت عمده من
جذوع النخل . وظل على بساطة هذا رغم توسيعه
إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد هدمه
وأعاد بناءه بالحجارة وبيضه بالحص وأخذ له
عمدا من الحجارة وسقفه بالساج وزاد فيه .

وفي سنة ٨٨ ٧٠٦ هـ م أمر الوليد بن عبد الملك
بهدم المسجد وتجديده بما يتفق مع أهميته
وبعث إليه بالرخام والفسيفساء مع صنائع
من مختلف الأقطار مصر والشام والأتانة
فهدمه عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز وأعاد
بناءه بالحجارة المنقوشة وكسا جدرانه بالفسيفساء
والرخام . وعمل سقفه بالساج المعوه بالذهب .
وأقام به أربع منارات .

ثم توالى الدناية على المسجد مسيرة للنهوض
المعماري حتى بلغ منتهى الروعة في القرن الثالث
وتتمثل فيه أرقى نماذج العمارة وفنونها .

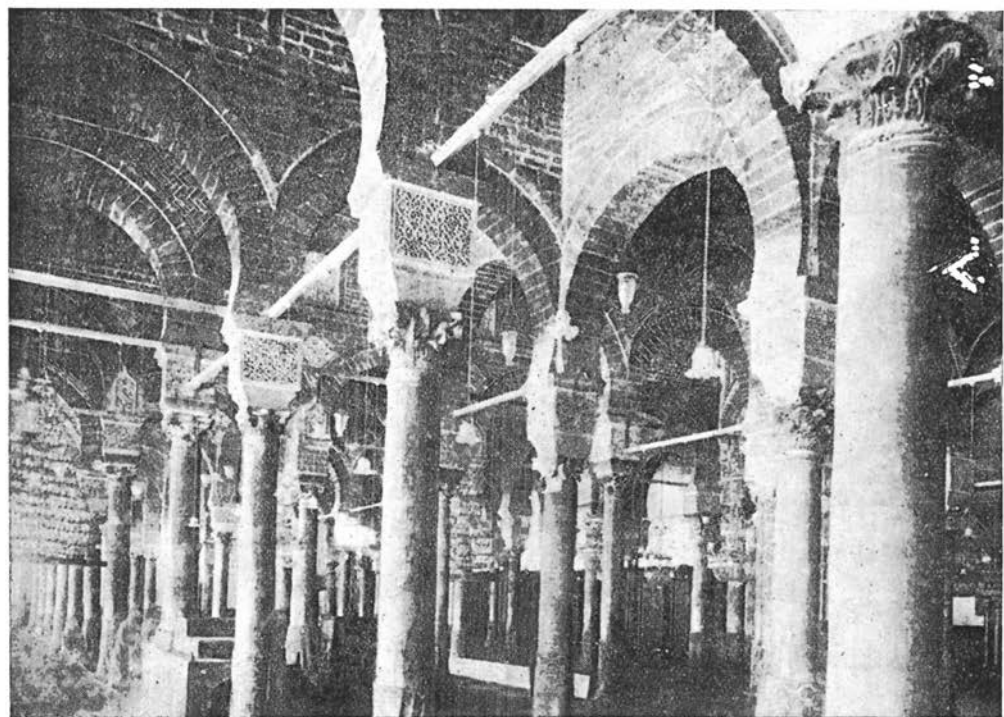
جامع عمرو بن العاص بالفسطاط :

ومثله جامع عمرو بن العاص فانه لما أنشئ
بمصر سنة ٢١ ٦٤١ هـ كانت مساحته ٥٠ × ٣٠

كانت الفتوحات الإسلامية سبباً في نشأة العمارة
الإسلامية . ولقد نجح العرب في تعريب الأقطار
التي افتتحوها حيث اندمجوا في أهل البلاد
وتعدوا منهم الزراعة والصناعة وذلك بعكس
ما اتهموا به من أنهم لم يمارسوا زراعة ولا صناعة.
ويدحض هذا الرأي لمجابة عمرو بن العاص
على سؤال عمر بن الخطاب حينما سأله
من أين لك هذا ... وإني أعلم أمير المؤمنين
أنى بأرض السعدي رخيص وإني أعالج من الحرقة
والزراعة ما يعالج أهله .

ولا شك في أن المسلمين في صدر دولتهم
استعانوا بعباقره الصناعة وغيرها ممن وجدوهم
في الأقطار التي افتتحوها ، كما أنه كان من بينهم
عد : من ذوى الصناعات لأنهم لم يكونوا كلهم
من البادية كما توهم الكثير . بل كان منهم من اليمن
والشام . وهى بلاد لها حضارات عريقة .

ويبدو لى أن استعانهم بصناعات تلك البلاد
في مستهل فتوحاتهم كان غالباً في المنشآت المدنية .
ولذلك زى كل المساجد الجامعة عند نشأتها
في صدر الإسلام كانت مثالا للبساطة لا أثر للفن
المعماري فيها . فلا زخرف ولا حجارة ولا يبايض
ولا بلاط ولا محاريب . ولكنها لم تلبث طويلا
حتى سابت سنة التطور . وهذا نلسمه جلياً
فيما سأذكره عن نشأة المسجد النبوي وعن جامع



(١) قبة الصخرة (٢) داخل مسجد الزيتونة

من علوم الأوائل إما بالنقيح والتهديب أو الزيادة والاختراع . فكان للصناعة والعمارة نصيب موفور تجلى في منشآتهم من مساجد وقصور وغيرها . وخير دليل على عصبيتهم وميلهم لطبع كل شيء بطابعهم أنه ما انتهى القرن الأول الهجري إلا والدراوين عربت والنقود ضربت باللغة العربية ، وأخذت الفنون والصناعات في الازدهار والانطباع بطابعهم .

نعم إن العمارة الإسلامية في نشأتها تأثرت بالبيئة التي نشأت فيها ، إلا أن تلك التأثيرات مع الآثار التي وقعت عليها ، زال غالبها من الوجود ، اللهم إلا بقايا تأثيرات جزئية في الزخارف وعلى بقايا القصور في بادية الشام وشرقي الأردن والعراق وبخاصة في التخطيط وفي التصوير والفسيفساء . وهي تأثيرات بينظية وفارسية في سوريا وساسانية في العراق وهلينسية وبينظية في مصر ، كما كانت الشام أيضاً ملتقى لنيارات مختلفة من الأساليب الفنية الهلينية والساسانية المصرية .

وبالرغم من التأثيرات التي وقعت عليها فانها تغلبت عليها وطبعت بطابع عماري إسلامي جديد . وما لا شك فيه أن للدولة الأموية فضل النهوض بالعمارة الإسلامية والوصول بها إلى مدارج الكمال بما أنشأوه من قصور في المدن وفي البادية . وبما شيدوه وجددوه من مساجد النبى والاموى والاقصى والصخرة والمعتبرة دعائم للفن الاسلامى . ولا عجب فالدولة الأموية دولة بناء وتعمير

ذراعافرشت أرضه بالجصاء وبني باللبن وسقف بالجريد والطين واتخذت عمده من جذوع النخل ولم يجعل له مشدنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً .

ثم تدرجت أعمال الإصلاح مع الزيادة تبعاً لاطراد التقدم وال عمران . وهذا ما كان يبدو أثره عاماً فعاماً في تلك المنشآت ، فما انتهى القرن الأول إلا وكان الجامع هدم وأعيد بناؤه أكثر من مرة مع الإضافة والتجميل ، فقد هدمه في سنة ٧٠٨ هـ ٩٠ م قره بن شريك والى مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وأعاد بناءه وأحدث فيه المحراب المجوف اقتداءً بالمحراب الذى أحدثه بالحرم النبوى الأمير عمر بن عبد العزيز سنة ٧٠٦ هـ ٨٨ م وأقام به منبراً خشبياً جديداً سنة ٩٤ هـ ٧١٢ م وأحدث فيه المقصورة ، ومن ثم سار الجامع في درجات الكمال ومسايرة التقدم المعمارى في زخرفة المساجد وتذهيبها وكسوتها بالرخام والفسيفساء وهذا أكبر برهان على نهوضهم بالعمارة والصناعة . فانهم ما إن تم لهم تمكين مكانهم الجديد وتوطيده ، وما إن ألغوا عصا التسيار وأطمأنّت بهم الدار ، حتى نشطوا للفتح الثانى وهو الفتح العلى والصناعى ، فأتوا في الفتحين على قصر المدة بما لم يسبق له مثيل مما أثار الإعجاب .

وكان من أثر ذلك أنهم ملسكوا ناصيتى العلم والصناعة كما ملسكوا ناصية العالم وأحدثوا لهم مدينة خاصة صبغوها بصبغتهم في كل مظهر من مظاهرها ، وأبقوا لهم الأثر البين فيما نقلوه

ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورّم الحصون
ليكان أصوب وأفضل، أجاهه : ديا بني إن الوليد
وفق وكشف له عن أمر جليل، ذلك أنه رأى
الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة
قد افتن في زخارفها وانتشر ذكرها كالقيامة
وبيعة لد والرها فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم
به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا. ألا ترى
أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيأتها
خشى أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على
الصخرة قبة على ما ترى.

وخير دليل على أن الامويين نهجوا في تشييد
منشأتهم نهجاً عمالياً جديداً طبع بالطابع

كان من أهم أهدافها مناهضة الشعوب المسيحية
وإقناعها بأن المسلمين على قصر مدة حكمهم
قادرين على تكوين حضارة عمارية تضاهي
حضارتهم، وإن مساجدهم فاقت بهابهم شغامة
وزخرفاً حتى لا يثيخوا على المسلمين.

ولذلك ينسب إلى الوليد أنه قال لأهل دمشق
«إني رأيتمكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم
وحماماتكم فأحييت أن يكون مسجدكم الخامس .
وقد تجلّى هذا الهدف السامى في مراقبة
الوافدين من الأجانب لزبارة المسجد الاموى
ومعرفة رأيهم في المسجد دون علمهم . وحينما
نقلوا اليه آرامهم المليئة بالدهشة والإعجاب
من شغامة بنائه ورخامه وفسيفسائه قال : لا أرى
مسجد دمشق إلا غيظاً على الكفار ،

وحينما عرض عليه عمر بن عبد العزيز أن ينقل
ما في محراب مسجد دمشق من ذهب كي لا يشغل
المصلين . عرض عليه في هذا الوقت رأى زوار
آخرين بأنهم حينما وقفوا تحت قبة المسجد سأل
كبيرهم . كم للإسلام ! قالوا مائة سنة قال فكيف
تصغرون أمرهم ، ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم ،
قال : إذا غايظ العدو فدعه .

ولما زار الرحالة أبو عبد الله محمد بن أحمد
البشارى الجامع الاموى في القرن الرابع الهجرى
وفتن بما رآه فيه من وزرات رخامية وفسيفساء
مذهبة تكسو جدرانه وعقوده وبها صور
الاشجار والامصار والكتابات ، ومصاريع
مصفحة بالنحاس وغير ذلك من روائع الصناعة
قال لعمه يا عم ! لم يحسن الوليد حيث أنفق
أموال المسلمين على جامع دمشق . ولو صرف



مدرسة السلطان قايتباى

وأبراجها والحصون . ومائة كلقناط ومقاييس النيل والموانئ .

وكما اختلفت طرز العمارة عن بعضها في الأقطار الإسلامية ، حتى أصبح كل طرز علما على دولته ، فانها اختلفت كذلك في طريقة الانتفاع ببعض تلك المؤسسات ، فالمدرسة التي شيدت في مصر لتؤدى وظيفة المسجد وإقامة الجمعة والأوقات الخمسة حيث أقيم بها منارة ومنبر وألحق بها سبيل وكتاب ومدفن للمشي ومساكن للطلبة وحوض لشرب الدواب ، نراها في فاس ومكناس وبغداد ، أنشئت كي تلقى بها الدروس فقط وتؤدى بها الأوقات الخمس دون الجمعة ، ولذلك لا نرى بها منارة ولا منبراً ولا بقية المباحثات . وإذا كانت المدارس بمصر والعراق وشمال إفريقيا هيئت للتعليم ومنها علوم القرآن فإن سوريا امتازت بإنشاء دور القرآن لدراسة علوم القرآن خاصة ، والمنبر في مصر والعراق والشام ثابت في مكانه بجوار المحراب بينما هو في كثير من بلدان شمال إفريقيا - تونس ، والجزائر ، وفاس - لا يظهر إلا يوم الجمعة حيث يخرج على عجل من الحجرة الخاصة به بجوار المحراب . وكما عرف كل قطر بما يجلب منه من طرائف وسمع فإنه عرف كذلك بأهم عمارته بل أصبحت من أهم خصائصه وعلماء عليه .

فن خصائص دمشق المسجد الأموي ، وقبر صلاح الدين ، والمدرسة الظاهرية ، وقصر الحير وحصونها . ومن خصائص الأندلس - مسجد قرطبة^(١) ، وقصر الحمراء بقرطبة ، ومنارة الجامع

الإسلامي ، تصریح الخليفة المأمون عقب زيارته للجامع الأموي إن بنيانه على غير مثال متقدم . وقد نهجت الدولة العباسية سبيل المنافسة في تشييد المنشآت العمارة من مساجد وقصور وأبدعوا فيها أيما إبداع ، وكان هدفهم أيضاً هو هدف الدولة الأموية . ذلك أن المأمون رد على من انتقد إسرافه في بهرجة قصوره . وبعد حوار معه ألزمه فيه الحجة قال :

« هذا البناء ضرب من مكابدنا بنبيه وتتخذ الجيوش ونعد السلاح والكرع وما بنا إلى إلى أكثره حاجة . »

ومنذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي أخذت العمارة الإسلامية تتخلص من المؤثرات القديمة وما بقي منها بقي في عناصر قليلة في الزخرف حورت أيضاً وأصبحت التأثيرات التي تقع على العمارة تأثيرات إسلامية جزئية بين الأقطار الإسلامية وبعضها ، تنوعت بتعاقب الدول .

ومن خصائص العمارة الإسلامية أنها هيأت منشآت عادية لمختلف الأغراض . فإنها بجانب ما أعدته من منشآت مدنية تناسب طقس كل قطر فانها أعدت بجانبها منشآت دينية كالمساجد والمشاهد والزوايا والربط . وثقافية كالمدارس والخوانق والكتاتيب ، ساعدت المساجد في رسالتها الثقافية . ومالية بإنشاء بيوت المال في مساجدها الجامعة ومنها ما هو موجود إلى الآن في مسجد دمشق وحما . واجتماعية كدور كفالة المرأة وإيواء الفقراء والمنقطعين . وصحية كالمستشفيات والحمامات . وتجارية كالوكالات والأسواق والخانات . وحرية كالأسوار بأبوابها

(١) وترى صورته من الداخل على غلاف هذا العدد .

فقد تمثلت فيها الحضارات المتعاقبة عليها ممثلة في شتى التفاصيل المعمارية من جص وأحجار ورغام ونحاس وأخشاب ما بين خرط وقطعيم وتجميع وحفر وفسيفساء ونقش، وبراعة الحطاطين وتكوينهم للعناصر الزخرفية في الخط السكوفي ما بين نباتية وهندسية .

هذا عدا التنوع في تصميم المسجد والمدرسة ، وفي تصميم وجهات المساجد والمدارس ، وتنوع أشكال المقرنصات والزخارف .

وثمة خاصة أخرى انفردت بها وهي تكسية الزخارف الجصية الملونة بقرائق الزجاج ، ومنها أنموذج وحيد بمصر في رباط أحمد بن سليمان . ومن أبرز خصائصها جمال ورشاقة القبة والمئذنة فكلاهما بلغ القمة في جمال التناسق ، ودقة النقش وخاصة في دولة المماليك الجراكسة . وعلى ذكر القبة أذكر أن مصر لها فضل سبق في إنشاء القبة ذات المنور ، وفي أن مهندساً سبق عصر بروني لمسكي سنة ١٤٢٠ م الذي ينسب إليه في وقت ما اختراع هذا النوع من القباب بمدينة البندقية .

وإذا أردنا الإشارة إلى خصائصها في طرائف كل عصر ، فهذا ما لا يتسع له المجال ويكفي أن نفتخر بالجامع الطولوني وزخارفه المتنوعة طولونية وفاطمية ، وبالجامع الأزهر وبغيره من منشآت الدولة الفاطمية الغنية بدقائق صناعة الجص والحفر في الخشب ومثلها الدولة الأيوبية . وبمنشآت المنصور قلاوون وأفراد أسرته في هذا العصر الزاهر الذي تركزت فيه قواعد العمارة

الكبير (الجير الدا) وقصر بني عباد بأشيلة . ومن خصائص القدس : المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، وقصر هشام بخربة المفجر ، والقصور الأموية في شرق الأردن .

ومن خصائص العراق : المنارات الملوية ، وزخارف القصور في سامرا ، وقصر الأخيضر ، والعتبات الشريفة : الكاظمية في بغداد ، والإمام العسكري إسماعيل بن أبي طالب ، والإمام الحسين بكر بلاء ، والإمام علي بالنجف ، تلك المشاهد الغنية بأنواع الزخرف والمكسوة قبابها ومناراتها بقرائق الذهب وبالقاشاني ومقرنصات البلور والزخرف المتخذ من قطع المرايا . وصناعة الطابوق (الآجر) المنقوش بشتى أنواع الزخرف . والقباب المخروطة .

ومن خصائص مصر : مقياس النيل ، والجامع الطولوني ، والجامع الأزهر ، وأبواب القاهرة ، ومدرسة السلطان حسن ، ومدرسة السلطان قايتباي والغوري .

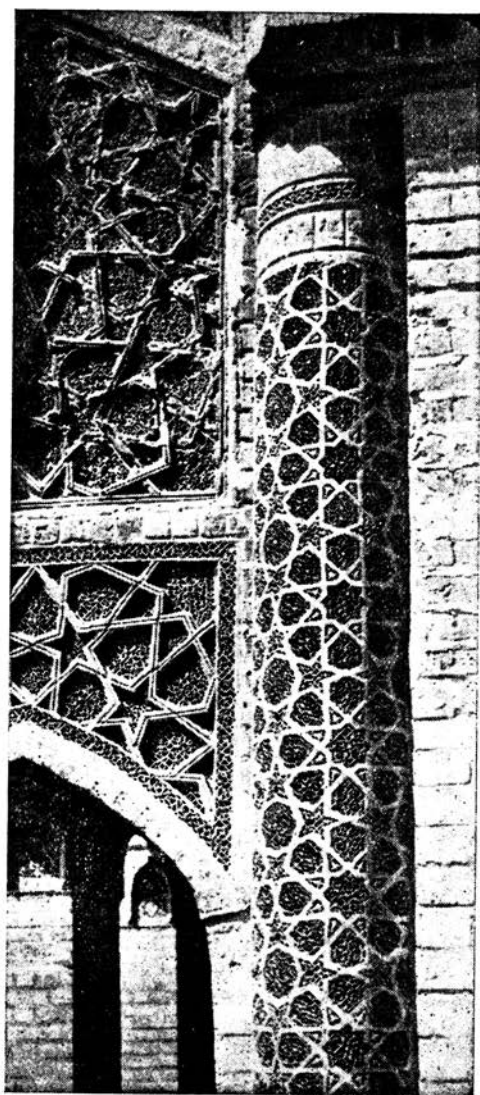
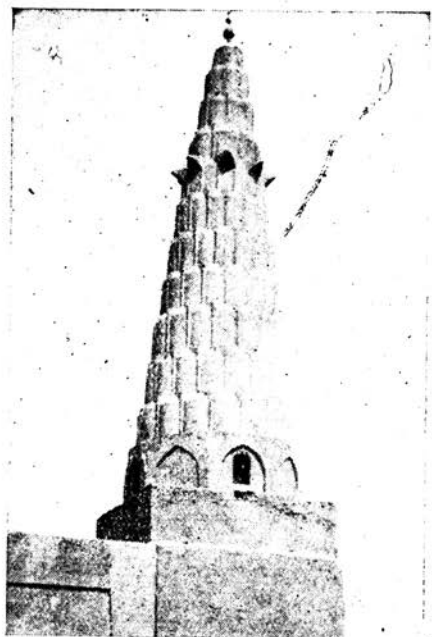
ومن خصائص شمال أفريقيا : مسجد القرويين في فاس ومدرسة أبو عنان وأسواقها ، ومسجد الزيتونة بتونس ، وعقبة القيروان ، وأبو مدين بتلمسان ، وهكذا بقية الأقطار .

ولكل قطر خصائص أيضاً في تفاصيله المعمارية وخاصة القبة والمئذنة وهما أبرز عنصر يميز لهارة كل قطر .

ولما كانت القاهرة أغنى الأقطار الإسلامية وأسعدها حظاً في المحافظة على تراثها المعماري ، فإنها كذلك امتازت بخصائص لا توجد في غيرها ،

ومنشآت أمراءه أمثال الأمير فحماس الاستياني ،
وأبو بكر مزهر ، هم منشآت السلطان النوري

في مصر ، وكفاه نفراً مدرسة السلطان حسن
إحدى عجائب العمارة الإسلامية في العالم .



(١) قبة عمر المهرودي في بغداد (٢) المنارة الملوية بـاسـرا
وهي خاتمة خصائص العمارة الإسلامية في مصر
وكانت حسن الختام . **حسن عبد الوهاب**

الإعراق في الأجر بالمدرسة المستنصرية بالعراق ببغداد
ثم منشآت دولة المماليك الجراكسة ، تلك المنشآت
التي أخذت زخرفها وازينت ، وكفها نفراً
منشآت السلطان قايتباي وخاصة مدرسته بالصغراء

جهود المسلمين في الموسيقى

للدكتور محمود أحمد الحفنى
المراقب العام للموسيقى بوزارة المعارف

إذا كان جميل الصوت لم يخرج عن حد المعقول

في القراءة والادب الواجب للقرآن . وهنا رفع القرآن الكريم علم الموسيقى عالماً بين العرب ، ونشأ علم التجويد .

ومن إعجاز القرآن نظمه الموسيقى الرائع الذى يسيطر على مستمعيه ، ولو كانوا غير مسلمين ؛ حتى قال بعض الاجلاء : إن قوانين الموسيقى قد لحظت في القرآن تامة مكتملة . . وكذلك الشأن في بعض شعائر الدين الأخرى كالآذان للصلاة عامة وصلاة العيدين وتلاوة التكميلات فهما في لحن موسيقى رائع ، مما يرقى حاشية الروح ، ويهيئ الناس لتلقى النفحات الإلهية في بهجة وانسراح .

وقد اشتهر في صدر الإسلام من المغنيات كثير من القيان ، نذكر من يبين سيرن مولاة حسان بن ثابت ، وهى إحدى الجاريتين المصريتين اللتين أهداهما المقوقس في العام التاسع الهجرى (عام ٢٦٠ م) إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وعنها أخذت عزة الميلاء الاستاذة الأولى لمدرسة الغناء العربى التى درج عليها من عاصرها أو جاء بعدها ، فقد حدث صاحب الأغاني أن عزة كانت تغنى من أغاني سيرن . وبهذا تكون الموسيقى المصرية القديمة قد وجدت طريقها إلى الجزيرة العربية منذ فجر الإسلام

عصر صدر الإسلام :

أشرق الإسلام على الدنيا بنوره الساطع وضرب المثل العالمية الرفيعة لتحقيق أسنى مبادئ الاجتماع البشرى المؤسسة على مكارم الاخلاق والرقى النفسى والكمال الإنسانى ، فكان لزاماً أن تنهض الموسيقى في أحضانه ، وتزدهر في ظل سلطانه ، وترقى حتى تكون ثقافة تدر في كنفه ، ذلك بأن الموسيقى هى الباعث للكمال الادبى فى الإنسان بترتية طباعه وتهذيبه ، فإن سماع الانغام يوقظ المشاعر ، ويلهب الحس ، فيدفع بالعاطفة نحو السمو ، وبالعقل نحو التفكير ، وبالخيال نحو دنيا الروح ، على حد قول أرسطو . أثر الموسيقى أسنى من أن ينحصر في نشوة الحواس بحلو النغم وبمجرد اللهاجها ، إنما هو في تطهير النفس والتخفيف عنها . وعلى الجملة فإن الموسيقى الجيدة تسكب الشهوات الجسدية فيود العقل الراجح والعاطفة النبيلة والروح المشرقة الصافية جميع غرائز النفس ونزواتها .

وما نعدو الصواب حين نقرر أن الموسيقى في صدر الإسلام قد لبست ثوباً دينياً ناصحاً يوم سرت تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجليل فى أنفس الناس سريان العافية فى الجسم السقيم . وآية ذلك ما بين أيدينا من أحاديث مأثورة عن مشهورى الصحابة فى مدح قارى القرآن

أخذت الموسيقى تسلك سبيلها إلى وجهتها الفنية الواضحة . وأورقت تلك الدوحة التي بدأت نواتها منذ قريب لتمتد ظلها وتستكمل نضج ثمارها في عصر بنى أمية .

عصر بنى أمية :

كان الروح العربي الموسيقى روحاً فنياً رياضياً غير متعصب ولا جامد ، فما كاد يفتق جحر الدولة الاموية ويزداد اتصالها بالمدنات المصرية والفارسية واليونانية حتى تشرب الروح العربي تلك المدنات ونقل غناها إلى غناء العرب وآلاتها إلى آلات العرب .

وكان للموسيقى في الدولة الاموية حظ العلوم والفنون الاخرى ، فازدهرت وأينعت وظهر من مشهورى المغنين والمغنيات من يجدر بنا أن نطلق عليهم وعلى فهم : المدرسة الحديثة .

ويعتبر سائب خاثر نواة النهضة الموسيقية في البلاد العربية ، وأول من نقل الغناء الفارسي وأسبغ عليه الطابع العربي وعرف بعد ذلك بالغناء « المتقن » . وهذا النوع المستحدث يقابل غناء « الركبان » ، الذى يمثل روح العصر الجاهلى وطابع البداوة . ولقد كان من عادة المغنين من العرب حتى ذلك الوقت أن يستعملوا فى غنائهم القضيبي ، وكان سائب خاثر يستعمله كذلك ، إلى أن رأى نشيطاً الفارسي يستعمل فى غنائه العود فاستعمله هو أيضاً فى أغانيه ، فكان أول من غنى فى المدينة مستعملاً العود . ونبع من أخذ الغناء عن سائب خاثر أربعة عدوا أعلام الغناء وهم : عزة الميلاء وجميلة زعيمنا النهضة

فى حنجرة سيرين وتلميذاتها ، فوضعت بذلك نواة الصلة الفنية بين مصر والموسيقى العربية . وكان عمر بن الخطاب على الرغم مما عرف عنه من شديد زهده فى الدنيا ، راضياً عما يعفو الله عنه من الغناء . فقد نقل صاحب العقد الفريد أن عمر قال للناطقة الجمهدى أسمنى بعض ما عفا الله عنه من غنائك ، فأسمعه كلمة له ، قال وإنك لقائلها ؟ قال نعم . قال لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب . وكان عمر يكره . من الموسيقى الغناء المخنث الذى يبعد الشعب عن الجهاد والتخشين ويسله إلى الرفاهية والطراوة ، وما كان ذلك من طبيعة الإسلام ، ولا من بحجة عمر ، ولا مما يأذن به الخلق القويم .

وما كاد يقبل عصر عثمان رضى الله عنه حتى سجلت أخبار المدينة أن راققة المغنية وتلميذتها الفتية عزة الميلاء وغيرهما كن يقمن فيها حفلات موسيقية يحضرها أشرف القوم وفنائهم . وقد كان فى اتساع الفتوحات التى تمت فى عهد عثمان وفى عهد سلفه والممالك التى دانت للإسلام والأسرى الذين قدموا إلى الديار العربية ما جعل تيار مدنات هذه البلاد ، وبخاصة المدنات المصرية والفارسية واليونانية ، ينتشر فى البلاد العربية . وأخذ المسلمون ينظرون إلى أمور دنياهم ، فقللوا من غلواء نظرتهم إلى الموسيقيين ، وحفلت بهم ييـسوت الأمراء والأشراف ، وأخذت الموسيقى مكانها فى مجالسهم بجانب الشعر والأدب . وما كاد ينفضى عصر الخلفاء الراشدين حتى

الموسيقية العربية ، وابن سريج ومعبد .

وكان ابن مسجح - وهو أحد فحول المغنين في العصر الأموي - أول من نقل غناء الفرس إلى غناء العرب بمكة في حدائقه . وقد اتقن محاسن النغمات الخفيفة وأصبح له في الغناء مذهب خاص وطريقة تبعها الناس بعده . وقد أخذ عنه ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريص .

وإننا لنرى الموسيقيين يرتفع مقامهم شيئاً فشيئاً ويصبحون موضع الاحترام والتقدير ، ويسلكون نهجهم ويبدأ حتى يصلوا إلى قصور الخلفاء وينالوا الخطوة عندهم ، فلا نكاد نذكر خلفاء بني أمية في أول عهدهم بالحكم حتى نرى الخليفة عبد الملك بن مروان يشجع أهل هذه الصناعة ، بل نراه هو نفسه موسيقياً وملحناً ، عارفاً بأنواع الغناء ، يسأل ابن مسجح وهو في حضرته : هل يغنى غناء الركبان ، وهل يغنى الغناء المتقن ، ؟ . وكان سليمان بن عبد الملك يجرى المسابقات بين المغنين ويحجز لهم العطاء . وبلغ من تقدير يزيد بن عبد الملك للموسيقى أنه ما كاد يتولى الخلافة حتى اشترى حباية المغنية بأربعة آلاف دينار ، وظلت موضع إكرامه حتى وفاتها .

ورأينا الوليد بن يزيد يعظم الرعاية للموسيقى وأهلها ، وقد بلغ من إكرامه لمعبد ، أنه عندما مرض تولى أمره وآواه في قصره ، فلما مات شيعه بنفسه إلى مثواه . بل كان الوليد كذلك عالماً بصناعة تأليف الألحان ، وله فيها أصوات مشهورة ، كما كانت يضرب بالعود ويوقع بالطبل والدف .

ولم تقتصر معاودة أهل هذه الصناعة على الخلفاء بل سرت إلى الأشراف والنبلاء والسراة . وقد كان لعبد الله بن جعفر مجالس طرب عظيمة يدعو إليها مشهورى المغنين ، وكان سائب خاثر ونشيط منقطعين إليه ، كما كانت السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ترتاح إلى سماع الموسيقى ، وكان الغريص المغنى المشهور في خدمتها منقطعاً لها منشداً مرثى أهل البيت وناحاً عليهم ، وكانت عند ما يجتمع عندها المغنون تأذن للناس في دخول بيئتها لإذنا عاماً .

ولقد وضع من أنباء المغنين والمغنيات أطراد ظهور أثر الموسيقى الفارسية في موسيقى العرب ، حتى دخل في اللغة العربية كثير من الألفاظ ، والمصطلحات الفارسية مما كان دليلاً على عظم هذا الأثر . كذلك تأثرت الموسيقى العربية بنظريات الموسيقى اليونانية تأثراً كبيراً . وكثيراً ما كان يرد ذكر علماء هذا الفن من اليونان في مصنفات العرب وكتبهم . غير أنه مما يجب الإقرار به أن فلاسفة العرب ومغنيين وإن أخذوا العلوم الموسيقية وفنونها عن اليونان والفرس ومصر ، فقد احتفظوا فيها إلى حد كبير بطلابهم العربى الذى ميز موسيقاهم وجعل لها صبغة خاصة .

ومما يذكر بالفخر لذلك العصر أنه بدى فيه بوضع أول تصانيف عربية في أخبار الموسيقى والغناء ، فقد وضع يونس الكاتب كتاب النغم ، وكتاب القيان ، فكانا نواة لما صنف بعد ذلك في هذا الباب .

مائة وخمسين ألف دينار في يوم واحد حتى قال :
« لو عاش الهادي لبنيانا حيطان دورنا بالذهب
والفضة » .

ولقد أسست في العصر أول جامعة عربية
لدراسة العلوم والفنون ، بناها المأمون في بغداد
وأسمها « بيت الحكمة » ، فاشتغل فيها فطاحل
العلماء ، ومنهم يحيى بن منصور وبنو موسى
وغيرهم ، بترجمة علوم اليونان التي كان من بينها
العلوم الموسيقية . ونسج الخلفاء بعده على منواله
فشجعوا الفلاسفة والعلماء لاستقراء كنوز
العلوم اليونانية والوقوف على أسرارها وترجمة
عيون مصنفاتها .

وعما يسجل لهذا العصر بالفخر ، أنه ظهرت فيه
عناية خاصة بإثبات قواعد الموسيقى ونظرياتها .
فكان الخليل بن أحمد أول من عنى بهذه الناحية
بعد يونس الكاتب الأموي ، الذي سبقته الإشارة
إليه ، فوضع « كتاب النغم » ، و« كتاب الإيقاع » ،
فكانا بحق أول مؤلفات علمية في الدولة العباسية
واستكمل إسحق الموصلي هذه المؤلفات . ثم جاء
بعدهما من بزّهما في هذا النوع من التأليف وهو
إسحق بن يعقوب السكندی فكتب ما يربى على
سبعة مؤلفات في العلوم الموسيقية ونظرياتها .
وجاء بعده أبو نصر محمد الفارابي ، فكان من
أكبر فلاسفة العرب دراية بعلوم اليونان ، وكان
موسيقياً خليعاً يجيد العزف بالعود ، وقد وضع
كثيراً من الكتب في هذا الفن . أما الرئيس
ابن سينا فقد جال في علوم الموسيقى حتى صار
إمام عصره فيها مشرقاً ومغرباً . وقد احتوت

عصر الدولة العباسية :

جاء العصر العباسي فدخلت الموسيقى العربية
في عصرها الذهبي وخطت خطوات سريعة نحو
الكمال ، حتى بلغت أوج مجدها وذروة علاها .
وزادت المقامات وطرائق الإيقاع حتى تعددت
في اللحن الواحد . وكثرت الآلات وتنوعت
وشاع استعمالها حتى عزفت مائة قينة معا . وسما
قدر أهل الموسيقى حتى اتخذ الخليفة منهم
مسايراً له وجليسا .

ولقد بدت في العصر ظاهرة جديدة ، فلم يعد
العرب ينظرون إلى الموسيقى بشطر العين ،
أو يتأبون احترافها بل إن من أبناء أشرافهم من
دخل في زمرة أهل هذه الصناعة ، فن أساطينها
ابن جامع الذي يتصل نسبه بقريش . بل لقد
زاول هذه الصناعة بعض أمراءهم ، كإبراهيم
ابن المهدي .

كذلك كان الخليفة الواثق موسيقياً من كبار
الموسيقين ومن أعلم الخلفاء بالغناء . بلغت
صنيعته فيه مائة صوت (لحن) . ورى أنه كان
أحذق من غنى وضرب على العود ، وكان كثير
التقدير للموسيقى وأهلها ، وإن قوله في إسحق
الموصلي لدليل على ما يكنه خلفاء هذا العصر
من احترام هذه الصناعة وأهلها إذ قال :

« ما غنائى إسحق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي
في ملكي ، وإن إسحق لنعمة من نعم الملك التي لم
يحظ بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط
مما يشتري لا شترتين له بشطر ملكي » .
ولقد أعطى الخليفة الهادي إبراهيم الموصلي

موسوعته ، الشفاء ، و د النجاة ، على تصنيف موسيقى مبتكر .

ومن أساطين من اشتهروا من الموسيقيين في ذلك العصر : حكم الوادى ولبرهيم الموصلى وزلزول وفليح بن أبى العوراء ومخارق ، ومن المغنيات : بذل ودنانير ومتمم الهشامية .

وقد نسب بعض علماء الموسيقى إلى العرب إهمالهم تدوين ألحانهم ، غير أن هذا يخالف الواقع فإن دقة السكندى في تدوين الموسيقى بالحروف في كتابه د رسالة في خبر تأليف الالخان ، وما أورده صفى الدين عبدالمؤمن الأرموى من طرائق التدوين في كتابيه د الشرفية ، و د الادوار ، لا كبر دليل على عناية كتاب العرب بهذه الناحية واسبقيتهم لمعاصريهم .

وفي ذلك العصر الذهبي انتخبت مائة الصوت المختارة ، فقد كلف هارون الرشيد لبرهيم الموصلى وإسماعيل بن جامع وفليح بن أبى العوراء أن يختاروا له من ألحان العرب كلها مائة صوت ، ثم أمرهم أن يختاروا عشرة منها ، ثم أمرهم أن يختاروا ثلاثة من العشرة فكانت تلك الأصوات الثلاثة لحناً لمعبد ، ولحناً لابن سريج ، ولحناً لابن محرز .

عصر الأندلس :

انبثق فجر المدنية في بلاد الأندلس عند ما فتحها بنو أمية ، وسطر العرب لها على صفحات التاريخ آيات مجد ظلت مضرب الأمثال ، وتوجت رأس العلوم والفنون بأنغر تيجان الرقى . وظلت عندئذ تفيض بنورها على أوروبا التي لم تكن بعد قد آفاقت من سباتها العميق ، فكانت قرطبة حاضرة

الأندلس موطناً لأساطين العلماء ، كما كانت إشبيلية أعظم مركز للموسيقى والشعر وصناعة الآلات الموسيقية . قال ابن خلدون د حينما كان يموت عالم في إشبيلية ويراد أن تباع كتيبه بثمن عظيم ترسل إلى قرطبة ، وإن مات موسيقى في عاصمة الأندلس كانوا يرسلون آلاته الموسيقية ومخطوطاته إلى إشبيلية التي نمت فيها الموسيقى وولع بها أهلها أشد الولع .

وكان اهتمام خلفاء الأندلس بالثقافة عظيماً وكلفهم بالعلوم شديداً ، حتى إن الحكم الثاني جمع في عهد خلافته من البلاد العربية ما يربى على أربعمئة ألف مجلد . ولقد كانت الموسيقى في طليعة هذه العلوم والفنون التي عنى بها خلفاء الأندلس فارتفعت وذاع انتشارها ، حتى إنها لم تعد مقصورة على فئة خاصة بل غدت ثقافة عامة يشترك فيها جميع طبقات الشعب .

ونقل العرب إلى الأندلس كل ما سبق لهم معرفته من الآلات الموسيقية ، ثم افقتوا فيها وزادوا عليها ، فأصبح لديهم منها عدد جم ، إذ استعملت الأندلس من الآلات الوترية : العود القديم ذا الاوتار الأربعة ، والعود الكامل ذا الاوتار الخمسة ، والشهروود ، وهو نوع من العود ، والطنبور ، والقيثارة ، والمزهر ، والكنارة ، والقانون ، والنزه ، والرباب ، والكنجة ، والشقرة (أو المشقر) . ومن آلات النفخ المزمار ، والسرنا (السرناى) والنأى ، والشبابة واليراع ، والزمار ، والقصبة ، والموصول ، والصفارة . ومن الآلات النحاسية : البوق ،

وفدت البعوث لدراستها وترجمة كتبها . ومن اشتهروا من أعضاء البعوث إلى بلاد الإسلام وصاروا أعلاماً في أوروبا بعد عودتهم إليها : جربرت وهرمان كنفراكت وجين الإشبيلي وقسطندي الإفريقي وقد تعلم في تونس ومصر وبغداد . وقد نقل هؤلاء وزملاؤهم الكثير من كتب العرب في الموسيقى كؤلقات السكندى وثابت بن قره وزكريا الرازى والفارابى ولخوان الصفا وابن سينا وابن باجة .

وقد انتشرت في ممالك أوروبا ولا سيما البلاد الجنوبية منها آلات الموسيقى العربية ، وكثير من هذه الآلات قد انتقل إليها بأسمائه التي تتم في اشتقاقها عن أصل عربي كالعود والقيثارة والنفارة والرباب والطنبور . والواقع أن أوروبا ظلت تحت تأثير غزو الموسيقى العربية عدة قرون طويلة حتى بعد عصر الإصلاح .

عصر الدولة الفاطمية :

وكذلك تدرجت الموسيقى العربية في مصر في مدارج الرقي منذ أن فتحها العرب في عهد الخلفاء الراشدين وتعاقبت عليها المدينيات العربية المختلفة حتى بلغت عصر الفاطميين ، فكانت حضارتها فيه حلقة من حلقات تلك الحضارات الزاهرة الياغة ، بل صارت مصر حتى منتصف القرن الثالث عشر ملتقى المدينتين العربيتين الشرقية والغربية (الأندلسية) تربطهما وتوحد بينهما . وكان المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين ، ومنشئ القاهرة ، مشغولاً بالفنون الجميلة عظيم

والنفير . ومن آلات النقر : الدفوف ، والغربال والبندير ، والصنوج ، والكاسات ، والمصفقات ، والقضيب ، والنفارة ، والقصة ، والطبل .

ولم يكن افتتان العرب في الأندلس مقصوراً في الموسيقى على آلاتها بل افتنوا كذلك في التأليف الموسيقى وأنواعه ، وساروا بها ارتقاءهم في مدارج المدنية ، فاستحدثوا الجديد فيها . من ذلك النوبة ، وهي أهم أنواع الموسيقى والغناء في الأندلس . كذلك ابتدعوا الزجل والموشحات خدمة الموسيقى واستجابة إلى دواعي حاجتها إلى أوزان جديدة مبتكرة . وانتقلت هذه الأنواع إلى بلاد المغرب وإلى مصر فبلاد العرب ، وأخذ الأبناء يتناقلونها عن الآباء .

وكان من أقدم السابقين إلى ابتداع فن الموشحات في الأندلس مقدم بن معافر ، ثم تبعه أحمد ابن عبدربه صاحب العقد الفريد ، ثم عبادة القزاز شاعر المعتصم صاحب المرية من ملوك الطوائف . وكذلك الأعشى الطليطلى . وأول المحسنين في هذا الفن من المشاركة : ابن سناء الملك .

ومن أهم من اشتهر من الموسيقيين في الأندلس زرياب وابن باجة الطيب وعبد الوهاب بن جعفر الحاجب وولادة بنت المستكفي . ومن القيان عازفة وفضل ومثمة وهند جارية أبي محمد عبدالله . ولقد ظلت الأندلس زهرة أوروبا الياغة طوال خمسة قرون تنشر عليها أريجها من كل علم وفن . وأرسلت أوروبا إلى جامعاتها بالبعوث لارتشاف العلوم العربية ودراستها على أئمة العرب وأساطين علمائها . وكانت الموسيقى أولى هذه العلوم التي

وإذا كانت هذه جهودهم في الحجاز وفي دمشق وبغداد، والاندلس ومصر، فليس معنى ذلك أن تلك الجهود كانت مقصورة على ما ذكرنا من جهات أو من عصور. فلقد كان للمسلمين جهود مشمرة سمحت بها الموسيقى واتسعت آفاقها في الشعوب الهندية والفارسية، وما وراء النهر وتركيا، في أزمنة تناولتها عوامل المد والجزر والتقدم والتخلف... وكذلك مصر أيضاً وقد حملت العبء الأكبر في نهضتها الحديثة وقامت للموسيقى بأعظم دور لإنشائها جعلها تقف على قدم المساواة مع بقية العلوم والفنون.

كل ذلك حق لا ريب فيه. ولكن المجال لا يستوفيه مقال، وقد أغنى عن التفصيل هذا الإجمال. وفي هذه الصحيفة من التاريخ وتلك الصورة من الوقائع والحوادث والأطوار التي اجتازت الموسيقى العربية مراحلها، ففكرة وإن تمكن موجزة فهي سجل شرف ونغار للجهود المسلمين في خدمة الموسيقى تصنيفاً في فنونها وإبتكاراً في أنغامها وتجديداً في آلائها وتبويها لمختلف مناحيها وتدويناً لشتى مآثرها.

والأمل عظيم والرجاء وطيد أن تكون هذه الصحائف باعثة لعزائمتنا ولهمم الأجيال من بعدنا على إضافة صحائف أخرى إلى سجل جهود الأمم الإسلامية في الموسيقى، تكون أعظم لإنشاء وتجديداً وأسمى في الزمان بقاء وتحليداً.

دكتور محمود أحمد الحفني

الرعاية للموسيقى، كما كان ابنه وخليفته العزيز مولعاً بها، بل لقد كانت الموسيقى موضع عناية خلفاء تلك الدولة حتى المتصوفين منهم، فإن الحاكم بأمر الله برغم تشدده كان يشجع علماء الموسيقى على التأليف في علومها وجمع أغانيها. ورعايته لابن الهيثم الموسيقار الرياضي دليل على ذلك، فقد شجعه على وضع كثير من الكتب القيمة صنف منها في الموسيقى كتابه «رسالة في تأثير اللحن الموسيقية في النفوس الحيوانية». وكان للمسيحي أحد كتاب الحاكم وولاته المقربين مجموعة في «مختار الأغاني ومعانيها».

وكذلك كان الخليفة الظاهر بن الحاكم من هواة الموسيقى، كما كان الخليفة المنتصر والأمير وباقي من تبعهم من خلفاء الدولة الفاطمية يبذلون الطائل من الأموال في سبيلها ويجزلون العطاء للمغنين.

وكان أبو الصلت أُمّية، وهو من أكبر فلاسفة هذا العصر وأساطين علمائه، واسع الدراية بالعلوم الموسيقية، مجيداً للعرف بالعود، وكان بين مصنفاته، رسالة في الموسيقى، وكذلك كان ابن أبي القاسم من أعلام صعيد مصر في أوائل القرن الثاني عشر معنياً بالعلوم الموسيقية، ومن أكبر معاصريه ابن القفطى المؤرخ الكبير الذي يعد مرجعاً لحياة الموسيقيين.

هذه هي جهود المسلمين في عصور الرقي والأزهار، وفي الممالك التي تجلت بها مدنية الإسلام فكانت ذات تاريخ مشرق الصفحات.

أشهر الإسلام في الفنون الزخرفية

لأستاذ الدكتور أحمد موسى

الصور وما إليها^(١) يُحرم إقامة التماثيل والتصوير، وعلى هذا خلت المساجد وهي أهم مظاهر العمارة الإسلامية مما حفلت به المعابد القديمة والسكنائس من التماثيل والصور التي تفسر الأحداث الدنيوية، وتركزت عناية الفنانين المسلمين في تجويد الزخارف والنقوش، فأتوا فيها بالاعاجيب، سواء أكانت على الجدران والسقف، أم كانت على الأواني المعدنية والخزف والزجاج والخشب والجلود.

وغنى عن البيان أن هذا الاتجاه قيد الفنان المسلم وضيق من الدائرة التي يعمل فيها، فلم يتح له ما أتبع للفنانين الغربيين من الانفلاق في سبيل محاكاة الطبيعة وإبراز معالم الحسن والروعة

كان العرب في جاهليتهم أهل بدارة وأمية، يسكن أكثرهم الخيام، ويترحلون في طلب الماء والعشب، وينير بعضهم على بعض، ومن هنا كثر بينهم الفرسان والخطباء والشعراء، في حين لم يكن لهم شأن يستحق الذكر في العلوم والفنون.

وبقي العرب وهذا شأن السواد الأعظم منهم حتى ظهر الإسلام في بلادهم فأخذ بأيديهم إلى ما وراء الصحراء من أمصار ومدائن بلغت شأواً بعيداً من الحضارة والعمران، فأسكوها وبسطوا عليها سلطانهم، وانتفعوا ونفعوا العالم أجمع بما أخذوه عنها من مختلف العلوم والفنون بعد أن طبعوها بطابعهم الخاص.

على أن الطابع المميز للفنون العربية الإسلامية لم يبلغ غايته ويجمع تحت لوائه مختلف الأساليب والمدارس الفنية المحلية في البلاد التي فتحها العرب المسلمون إلا بعد أجيال عدة، استمرت طيلة القرن السابع الميلادي وشطراً كبيراً من القرن الذي تلاه.

ولا مندوحة لنا عن التنبيه إلى اتجاه الفنون الإسلامية منذ البداية إلى الزخرفة والنقش على اختلاف أنواعهما، مع تجنب النحت وتصوير الكائنات الحية، نظراً إلى ما ساد من اعتقاد أن الإسلام وقد حطم الأصنام ونهى عن عبادة

[١] (١) حدثنا آدم (قال) حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي عباس عن أبي طلحة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاور. (ب) حدثنا الحميدي (قال) حدثنا سفيان قال حدثنا الأعمش عن مسلم قال: كنا مع مسروق في دار يسار ابن نعيم فرأى في صفته تماثيل، فقال سمعت عبيد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن أشد الناس هذاباً عند الله يوم القيامة المصرون.

(٢) حدثنا إبراهيم بن المنذر (قال) حدثنا انس بن حياض عن عبيد الله عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم. [صحیح البخاری، الجزء السابع من ٦٠، ٦١ طبعة بولاق سنة ١٢٩٦ هـ].

والرابع عشر الميلاديين ، سواء في البهار الفخمة الضخمة وما اشتملت عليه من زخرفة هندسية ونقوش وكتابات تسترعى الإعجاب ، أم فيما اتخذ لتزيين الأدرات المنزلية والمنسوجات والسكتب وغيرها .

ولا يغوتنا أن نشير إلى أن الفنون الإسلامية وإن اتخذت طابعاً واحداً مميزاً عرفت به على اختلاف العصور والأمصار ، كانت تختلف من حيث طرزها وأساليبها من عصر إلى عصر ، وطبقاً لخصائص الإقليم التي هي فيه ، غير أنه ليس من الميسور تحديد تاريخ دقيق لنشأة طراز بعينه من تلك الطرز أو لزواله ، ذلك لأنها كانت في تطورها المستمر تتداخل وتمتزج ويقتبس بعضها من بعض ، دون أن يكون لأحدها استقلال تام لوقت طويل .

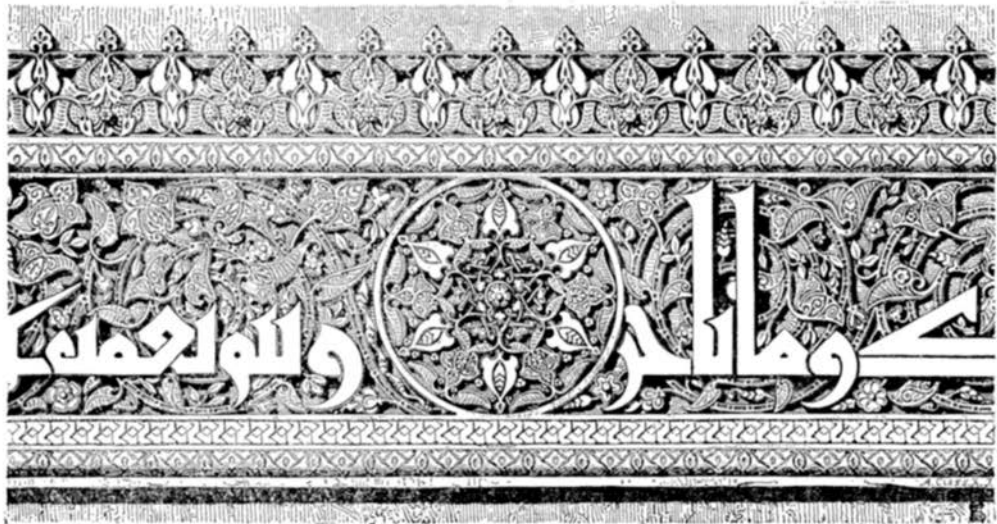
وليس ثمة من شك في أن الطرز الإيرانية

في المراثيات المجسمة ، وخت منتجاته الفنية من آثار الابتكار والإبداع الصادر من أعماق نفسه والمعبر عن مشاعره .

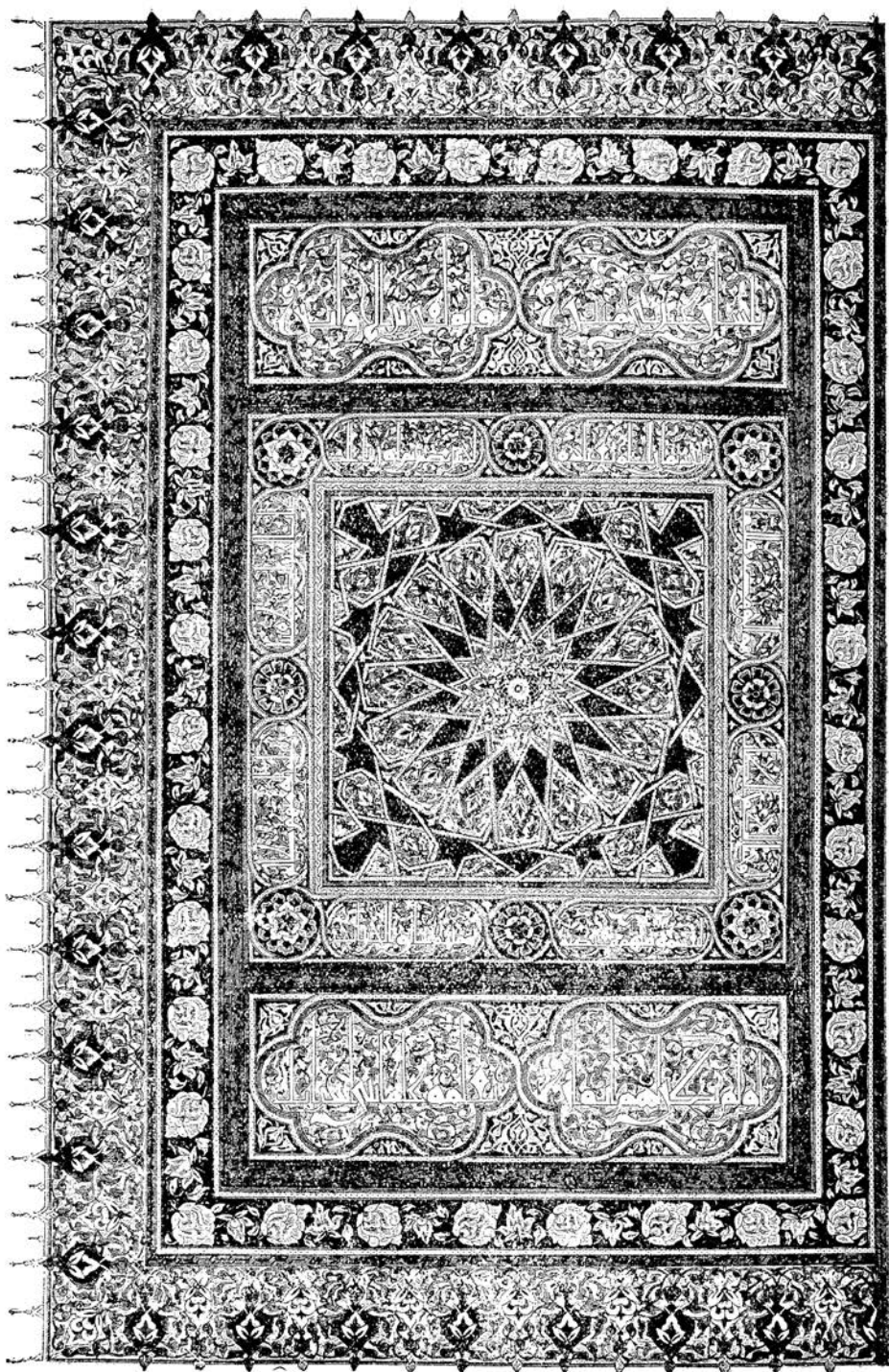
وكذلك كان هذا الاتجاه نفسه مما اضطر كثيراً من الفنانين المسلمين إلى الإعادة والتكرار فيما ينتج من أشكال زخرفية ملء فراغ المساحات المراد زخرفتها .

وأياً ما كان الأمر ، فلا مشاحة في أن الفن الإسلامي أوسع الفنون انتشاراً وأطولها عمراً ، فهو قد امتد عبر الامبراطورية الإسلامية الكبرى من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ومن آسيا الوسطى شمالاً إلى صحارى السودان والمحيط الهندي جنوباً وما زال قائماً منذ القرن السابع الميلادي حتى الآن ولو بقسط .

على أن العصر الذهبي للفن الإسلامي هو العصر الذي بلغ فيه أوج مجده في القرنين الثالث عشر



كتابة كوفية مزخرفة على أرضيته بزخارف نباتية هندسية من جامع السلطان حسن بالقاهرة



صفحة من القرآن الكريم - عصر السلطان شعبان مسقمة على مناطق يتوسطها شكل نجمي
 ويحيط بها شريط من زخارف نباتية ثم إطار حافل بالزخارف

كتابته عن البلد الذى نشأ فيه ^(١) فتجد خطأ مكيأ وآخسر مدنياً إلى جانب خط الأنبار والخيرة ^(٢) والكوفة ^(٣). وكانت النتيجة المحتومة لهذا أن الفنانين من الخطاطين الذين بدأوا خطهم فى معظم الأحوال بالحفر على الحجر أو الخشب أخذوا يكثرُونَ من استعمال الخطوط المستقيمة والتقليل من الخطوط المقوسة، وبذلك أصبح الخط العربى فى أول أمره كثير التضييع يابساً جافاً، فجاء «هندسيا» كما هو الحال فى أول أنواع الخط الكوفى الذى انتشر فى العالم الإسلامى كله.



إناء بنقوش عربية من وضع هانس هولباين فى سنة ١٥٣٧ م عن كوفل

- [١] انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى والعالم الغربى لعبد الفتاح هبادة ، القاهرة ١٩١٥
- [٢] تاريخ أدب اللغة العربية لحفنى ناصف ، القاهرة (٢ ج ص ١٢٤ وما بعدها) .
- [٣] تاريخ القنن الاسلامى لجورجى زيدان (٣ ج ص ٥٤) .

للفنون الإسلامية قد امتازت بالتنوع وتناول الكائنات الحية بالتسجيل ، ولكن الطرز التى ازدهرت فى مصر والشام لهذه الفنون تعد أعظم قدراً لما امتازت به من بساطة محبة هى أولى قوانين النجاح الفنى إلى جانب الذوق الخالص الرفيع .

ويعد الخط العربى فى مقدمة الفنون الإسلامية الرائعة ، وقد بدأ بسيطاً خالياً من التحلية ، ثم تدرج وتطور على تعاقب العصور حتى بلغ مرتبة فنية سامية لم يبلغها أى خط آخر سواء . وكان لليونة حروفه ومطاوعتها واختلاف رسومها وأشكالها من تقوس وانبساط واستقامة عمودية أو أفقية خير معاون للفنان على جعله عنصراً من عناصر الزخرفة والتجميل . ولا تزال الكتابات الزخرفية العربية التى ازدهرت بها واجهات المساجد والأضرحة الإسلامية من أبرز معالم الفنون التى امتاز بها العرب والمسلمون وأحفلها بالروعة والإبداع باعتراف أهل الفن من غربيين وشرقيين .

ولهذه الكتابات العربية الزخرفية عدا ذلك فوائد ومزايا عديدة ، من بينها أنها تسجل تاريخ ما نقشت عليه من بنايات أو أدوات ، وتحدد الأسلوب الفنى للعصر أو الإقليم الذى وجدت فيه ، كما أنها كانت وسيلة إلى تجنب الفنان المسلم ذلك التكرار الممل الذى كان مضطراً إليه فيما يرسم من وحدات زخرفية ، بحكم عدم استطاعته ملء فراغ المساحات التى لديه بصور الأحياء . هذا إلى أن الخط العربى كان يفصح بطريقة

والتعليق ثم جاء بعدها خط الرقعة والخط الديواني وغيرهما مما لا يتسع المجال للإفاضة في الحديث عنه (١).

ولئن كانت الفنون القديمة السابقة للفنون الإسلامية، قد عرفت كثيراً من الرسوم والنقوش الهندسية أو الزخرفية، فالواقع أن استعمالها في تلك الفنون القديمة لم يكن مقصوداً لذاته، بل كان من قبيل الاستعانة بها على تسكلة الموضوع، أى أنها كانت شيئاً ثانوياً وليست في صميم الفن وجوهره، كما هو شأنها في الفنون الإسلامية حيث تكون العنصر الأساسى فيها جميعاً بلا استثناء.

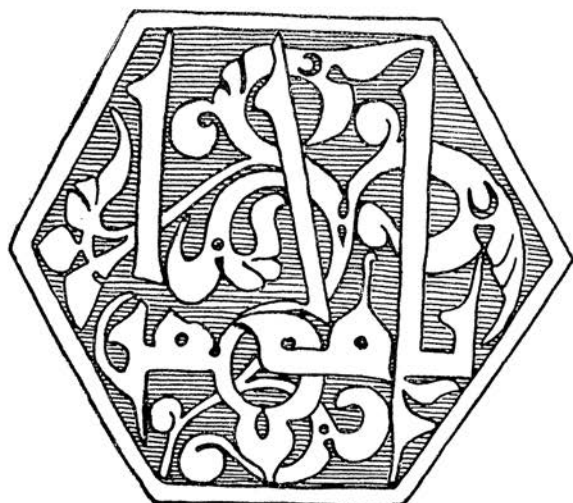
ومن أجل ذلك كان طبيعياً أن امتاز فن الزخرفة الإسلامية بما وضع له من أصول وقواعد، وبما عُنى به أساطين البحوث الفنية من تحايل هذه الزخرفة وإرجاع خطوطها ومعاملها

ثم كان من أثر كثرة المسكنات في المعاملات والمراسلات تبعاً لتقدم الحياة الإسلامية وتطورها، أن تحرر الخط العربى من جفاف تلك الخطوط المستقيمة، وصارت الكتابة العربية مدورة لينة مرنة. ولا يمكن اعتبار هذا الاتجاه ضعفاً فنياً أو تخلصاً مما يطلبه فن الكتابة الكوفية من جهد ووقت، ذلك لأن الطرازين: طراز للكتابة الفنية الكوفية وطراز للكتابة المدنية السريعة، عاشا وأقاما وانتشرا جنباً إلى جنب منذ بداية التمدن الإسلامى.

وهنا نذكر ما للقرآن الكريم من فضل عظيم على الفن الإسلامى والفنانين المسلمين، فإن الاشتغال بكتابة المصاحف مع التفانى في إظهارها بمظهر فاخر باهر، يتناسب مع جلالها ومكانتها العظيمة، كان منبعاً فياضاً ومجالاً فسيحاً لإبراز المقدرة الفنية في رسم الخط العربى وتجويده وزخرفته.

وكذلك كان لكتب الأدب ودواوين الشعر فضل مشكور في تقدم فن الكتابة الزخرفية، كما يمكن القول بأن كثيراً من الفضل في عناية الفنانين من الخطاطين بذلك التجويد يرجع إلى ما جرت به العادة من تسجيل كل منهم اسمه تحت ما يكتبه، مما لم يعهد في غير الخط من الفنون إلا نادراً.

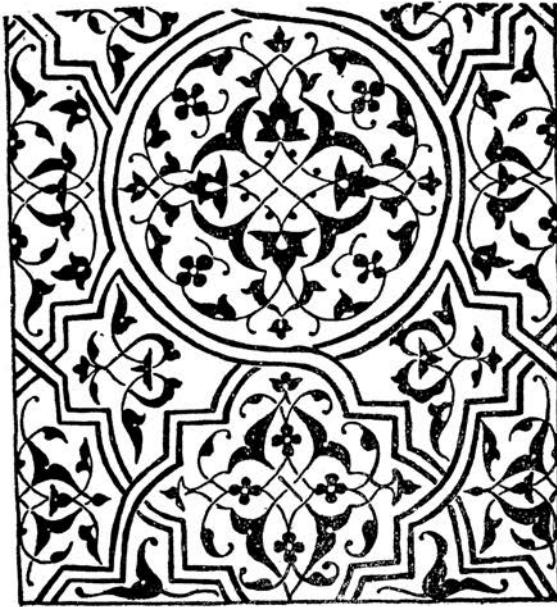
وقد ظهرت في الألفى الفنى أساليب جديدة في كتابة الخط العربى سميت بالخط النسخى والثلى والريحاني



كتابة كوفية مزخرفة من إيران - القرن الثانى عشر - عن كوفل

[١] فنون الإسلام للدكتور زكى محمد حسن ص ٢٣٧ وما بعدها.

بقي أن نشير إلى ميزة أخرى لفن الزخرفة الإسلامية ، وتلك هي ما يلاحظ آثارها الماثلة للعيان حتى الآن من توافر الوحدات النباتية دون التقيد بالطبيعة أو تقليدها تقليداً تاماً ، ففي كثير من هذه الآثار نجد منتجها من الفنانين المسلمين قد استخدموا في الزخرفة أجزاء يسيرة من المراثيات الطبيعية كجذوع الأشجار وأوراقها وثمارها ، ثم اتخذوا منها نماذج أو وحدات كررّوها لملء فراغ المساحات التي يزخرفونها



زخارف نباتية من كتاب بليجروني في سنة ١٥٣٠ عن كوفل

مع الفنانين في هذا التكرار ، بوضعها متعاقبة أو متناظرة تارة ، ووضعها متجاورة أو متعاكسة تارة أخرى ... وهلم جرا .

ومن هنا نشأ ما أطلق عليه الاوربيون اسم « أرابيسك » منذ عصر النهضة الإيطالية ، وأطلق

المركبة إلى أصولها البسيطة أو إلى الخطوط والأشكال الهندسية الأولية التي تألفت منها .

وقد أثبتت هذه البحوث التحليلية الفنية بما لا يدع مجالاً للشك أن الفنانين المسلمين باغوا درجة عظيمة لم يبلغها غيرهم من حيث الخبرة التامة بالرسم الآلي الهندسي وتقسيم الدوائر واستعمال الفرجار .

ويمكن القول بأن هذه الرسوم الهندسية العربية استمرت تطورها وتقدمها على مر العصور

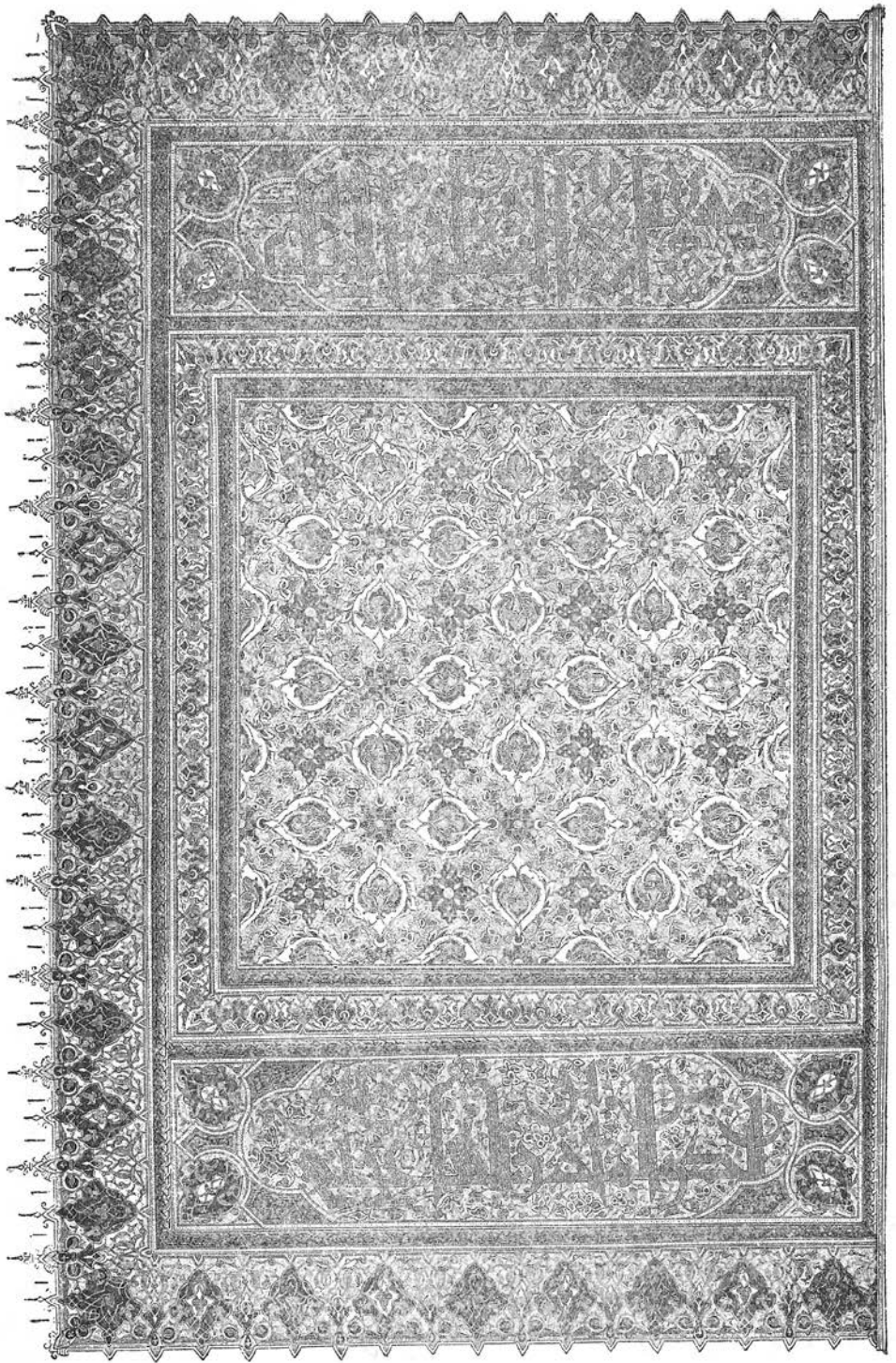
حتى بلغت قمة الإبداع والروعة في مصر أثناء حكم المماليك ، حيث كانت تستخدم لزخرفة المصنوعات الخشبية والمعدنية ولتحلية المصاحف والكتب فضلاً عن استخدامها في تزيين المساجد والأضرحة والمدارس وما إليها من البنايات الدينية والمدنية .

وبلغ من إعجاب الفنانين الغربيين بالفنون الزخرفية الإسلامية وما اشتملت عليه من بدائع الرسوم والأشكال الهندسية أن تأثر بها كثير من أساطين الفن عندهم ؛ فجاءت بعض لوحات «ليوناردو دافينشي» الفنان الإيطالي الكبير

مشتمة على زخارف إسلامية ، كما وجد

بعض هذه الزخارف مسجلاً طبق الأصل في بعض ما أنتجه الفنان العظيم « هانس هولباين » ،

كما ثبت اقتباس كثير من الزخارف الإسلامية في اللوحات النحاسية التي كان يحفرها الفنانون الألمان بأيديهم في منتصف القرن السادس عشر .



إحدى صفحات المصحف الشريف من عصر السلطان المؤيد

آراء وأحداث

مجلة الأزهر

للاستاذ عبد الله أمين

ومنهم من ملأت شهرتهم المشارق والمغارب، وهؤلاء أنفسهم هم الذين تنهافت عليهم جميع المجلات والصحف المصرية لتظفر من أحدهم بمقال تزين به جيدها، وتضمن به تنهافت القراء عليها ورواجها.

وأما ما كتبه كل منهم في هذا العدد فهو من خير ما كتب، ومن خير ما تزدان به المجلات والصحف، وحسب هذا العدد مقال حضرة الاستاذ مدير المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات وهو (عهد جديد)، فهو جدير بأن يوزن العدد كله من أجله بالجواهر. لأنه من أجود الكلام معاني وباني وترتياً.

لا شك أن هذا العدد غزير المعاني، جليل القدر، منقطع النظير، والمأمول في همة مدير المجلة ورئيس تحريرها، ولباقة وخبرته أن يطردها على يديه، حتى تبلغ ما يرجي لها من كمال، ولن تبلغ هذا الكمال المرجو بدون أن تفسح صدرها للنقد. ولهذا أقول: إن ما يشعر به القارئ حين يطلع على هذا العدد لأول نظرة أنه يسابق المجلات المصرية في ميدان واحد، وإن كان هو المجلى فيه، فكتابه هم كتابها، وإن اجتمع فيه منهم من لم يجتمع في عدد آخر من المجلات الأخرى، وأساليهم ومعانيهم ومناحيهم هي هي، مع شيء من العناية اللاتقة بمجلة الأزهر، وإذا أردنا أن نرى في هذا العدد صورة يعينها، رأينا صورة للجامعة

صدر العدد الأول من مجلة الأزهر في عهدها الجديد، في غرة شهر رمضان لسنة ١٣٧١ هـ، فإذا به في ورقه وغلافه وطبعه وضخامته، في الذروة العليا من المجلات التي تصدر بالعربية في مصر وغيرها، وإذا حُقق رجاؤها - ونرجو أن يحقق - فستكون في الأعداد التالية أجمل وأجود. أما كتاب هذا العدد فهم الصفوة المختارة من رجال العلم والأدب، في العالم العربي كله،

عليه الألمان منذ عصر نهضتهم الفنية اسم ماوريسك، Maureske وجعلوه علماً على كل الزخارف المتألفة من الفروع النباتية المتشابكة وما إليها. وإلى جانب هذه الوحدات النباتية التي استخدمها الفنانون المسلمون في الزخرفة، استخدم بعضهم أيضاً رسوم بعض أنواع الحيوان والوحوش والطيور والحشرات، كالأسود والفهود والظباء والأرانب والحنائم، ولعل هؤلاء الفنانين المسلمين قد اقتبسوا هذه الرسوم من البلاد الشرقية التي دخلها الإسلام كالصين وإيران وغيرهما حيث كان الفنانون هناك يرسمون صوراً لحيوانات خرافية مثل الثنين أو البراق (قرس له وجه آدمي). وقد استخدم رسم البراق هذا كثيراً في زخرفة القصص المكتوبة عن المعراج، كما رسموا بعض الأفاعى والحيات والعقارب تحت أقدام الواصلين من المشايخ.

أحمد موسى

١ - العقائد، وهي الإيمان بالله ورسله وبعلم الغيب، من الملائكة والجن والحياة الآخرة.

٢ - العبادات، وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج.

٣ - الفضائل والآداب، ويجهها تزويد الجسم والنفوس والعقول بما ينميها ويقويها ويزينها ويطهرها بما يشينها.

٤ - المعاملات، وتجمع كل الأمور القضائية، والسياسية، والإدارية، والحربية، والصحية، وغيرها من الأمور التي تنظم حياة الجماعات.

غير أن الجزء الأكبر من غاية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن جهوده، إن لم تكن كلها كانت، موجهة في عهد الرسالة كلها وهو ثلاث وعشرون سنة، إلى تحرير العقائد والعبادات، من عقائد الشرك وعباداته. وذلك لأن العقائد والعبادات هي الدين المحض، فهما كما جاء في مجلة المنار الإسلامي يكلان أمور الإنسان الروحية وينظمان علاقته بربه، ويفضيان به إلى سعادة الدار الآخرة، وفيهما مع ذلك ناحية دنيوية؛ لأنهما يحرران العقول من الأوهام والخرافات، والنفوس من الرذائل والضلالات، وفي ذلك التحرير سعادة البشر في الدنيا أيضاً.

وهما اللذان قال فيهما سبحانه وتعالى: اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً، ولذلك يجب أن تلتزم فيهما الحدود التي حددها الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل، وجرى عليها الصدر الأول من الصحابة، بلا زيادة ولا نقص، لا بقياس،

من الجامعات المدنية أو لغيرها، أما الجامعة الأزهرية التي صمد رعتها وباسمها فلا يمكن أن يكون مرآة صادقة لها تتجلى فيها صورتها على حقيقتها.

إنما تكون مجلة الأزهر مرآة صادقة للأزهر، حين يكون جميع محرريها من أبناء الأزهر لحماً ودماً وروحاً، أي ممن تعلموا فيه وأصبحوا معلمين فيه، ووقفوا كل حياتهم وجهودهم على تفهم رسالته والعمل بها، وعلى تأدية هذه الرسالة، وحين يكون كل ما يكتب فيها، في هذه الرسالة نفسها، ولا يتقضى هذا وذاك، أن تفسر المجلة لبعض النابهين من غير أبناء الأزهر، من أمثال كتاب هذا العدد شيئاً ما في هذه الرسالة أو فيما يتصل بها من قرب أو من بعد.

وما رسالة الأزهر التي يجب أن تكون القبلية التي يتوجه إليها جميع طلابه وأساتذته، واللاتحول عنها أبصارهم وقلوبهم ونفوسهم قيد شعرة؟ إنى لا أبالغ ولا أتجنى إذا قلت: إن هذه الرسالة غير محدودة. وبعبارة أخرى غير واضحة المعالم. ولقد آن الأوان لوضع حدودها، وتبين معالمها، في هذا العصر الذي تكاثرت فيه وقويت عوامل الإلحاد والإباحة، والتحرر من قيود الأديان واشتدت فيه حاجة البشر إلى الدين النظيف الخالص الذي يستولى على عقولهم وقلوبهم، ويقدمهم أمام مشرفون عليه من الشقاء والدمار. إن رسالة الأزهر هي رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كانت هذه الرسالة الحكيمة الرحيمة الفذة، وتحتوى بلا شك على أقسام الدين الأربعة وهي:

خفافاً ضد البدع والخرافات ، والأوهام والضلالات ، في كل مكان ، وفي مجلة الأزهر .
فتى يعلن هذه الحرب ؟ إن جميع الأحوال الآن تدل دلالة قاطعة على أن وقتنا هذا هو الوقت الملائم لشن هذه الحرب ؛ فالبلاد الإسلامية وفي مقدمتها مصر تسابق الرياح بل الأمواج الكهربية ، طائعة أو مكرهة ، في سبيل الأخذ بأسباب المدنية الحديثة التي تكاد تقضى على الأديان كلها ، وفي الأزهر الآن نخبة من العلماء الذين يؤمنون بالدين الخالص ، ويعتقدون أن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ويمقتون هذه البدع أشد المقت .

وفي مقدمة هؤلاء : الحبيب العزيز القديم حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، بقية السلف الصالح ، وإذا تم في عهده الميمون لإنشاء المعهد الحديث للدعوة الإسلامية - ونرجو أن يتم لإنشاؤه قريباً إن شاء الله تعالى - كان لإنشاؤه الخطوة الأولى التي لا بد منها لتحرير العقائد والعبادات ، وهما الدين المحض ، مما علق بهما .
فلا نزاع أن أساس الدراسات في هذا المعهد ستكون الدين الخالص ، والفصل بينه وبين غيره من الأديان ، ومما أضافته إليه الأمم من عقائد الشرك وعباداته ، وأن العلماء الذين يتمون الدراسة فيه سيقفون جنباً إلى جنب مع العلماء الذين أتموا الدراسة في قسم الوعظ والإرشاد وغيرهم من العلماء الذين يجيدون الوعظ والإرشاد ، فيكتمل للأزهر بهؤلاء وهؤلاء القيام بالرسالة كلها ؛ فإن رسالة

ولا بدعوى إجماع لمن بعدهم ، ولا لمصلحة ، ولا لغير مصلحة ، ولا لغير ذلك من العلل والأسباب .
هكذا كان هم الرسول صلى الله عليه وسلم ، مصروفاً كله إلى تصحيح العقائد والعبادات ؛ لأنهما الدين المحض ، ولأن المشركين كانوا منغمسين إلى الأذقان في الشرك وفيما يتفرع منه من الأوهام والخرافات ، والرذائل والضلالات ، وهذه وتلك المصدر الأكبر الأول لشقاء البشر وتعاثته في الدنيا والآخرة جميعاً ، ولن يستقيم له أمر فيهما ما لم يرد إلى العقائد والعبادات النظيفة ، وهي الإسلامية حقاً .
وما حال المسلمين والمشركين الآن ، وغداً

وبعد غد ، وإلى أن تقوم الساعة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، ومنها مصر العزيزة مقر الأزهر الشريف ، بأحسن من حال المشركين حين الرسالة ؛ فالناس هم الناس في كل زمان ومكان ، إنهم عبيد التراث القديم الذي ورنوه منذ آلاف السنين عن الآباء والأجداد ، وعما أحاطهم من ملابسات ومؤثرات ودرجوا عليه وطبعوا بطابعه . إنه ملئ دائماً بالجهالة والضلالة لا يتحررون من فساد العقيدة ، ولا من فساد العبادات ، وهما أصل شقاؤهم ومصدر بلائهم . فهم دائماً في حاجة ملحّة إلى حرب عنيفة شعواء واسعة النطاق ضد عقائد الشرك وعباداته ، وأصل هذا الفساد كله دعاء غير الله الواحد القهار ، ففي الحديث الصحيح :
« الدعاء مخ العبادة » .

فلا يمكن أن يعد الأزهر حاملاً لواء الرسالة المحمدية العليا ، إذ لم يرفع علم هذه الحرب عالياً

الاستاذ مديرها ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات ، ووافؤه بهذه الأمانة لا يكون إلا بأن يميل جاهدأ على إحلال أبناء الأزهر من العلماء المؤمنين بالرسالة على النحو الذى شرحتة هنا فى تحرير المجلة بحمل المختارين لتحريرها من غيرهم وذلك بالتدرج فى مدة لاتتجاوز بضع سنين على أن يكون هو آخر من يتخلى عن المجلة ويدع إدارتها ورياسة تحريرها لمن يختاره هو منهم لها - والله ولى التوفيق - بعد كتابة هذا المقال صدر عدد شوال سنة ١٣٧١ من المجلة فإذا به كعدد رمضان .

عبد الله أمين

تعقيب :

وافق الاستاذ على جملة قوله ، ولا أعقب إلا على رأيه فى تحرير المجلة .

المسألة ياسيدى الاستاذ واحدة من ثلاث : إما أن تخرج المجلة بيضاء ؛ وإما أن أكتبها كلها بقلبي ؛ وإما أن استكتب لها الكتاب ، فالأولى غير مقبولة ، والثانية غير مقبولة ، والثالثة فيها كلام .

توليت إدارة هذه المجلة وليس فيها محرر ولا مترجم ولا موظف بعين على التحرير والترجمة ، فلم أجد بدا من الاستعانة بالكتاب الذين حملوا أمانة العلم وفهموا ثقافة الإسلام . وكان من أول هؤلاء وأولاهم كتاب الأزهر ، ولكن معرفتى بأكثرهم قليلة . وهم لم يتكروا والتعارف ولم يتقدموا بالمعونة ، فلجأت إلى من أعرف من الأزهريين والجامعيين والمجمعين . وخرج عدد رمضان على النحو الذى عرفت . ولم تتغير الحال فى عدد شوال فصدر على الوضع الذى رأيت .

الوعظ والإرشاد ، الدعوة إلى : (١) الفضائل والآداب (٢) تقويم المعاملات بين الناس فهمى تحي القسمين الثالث والرابع من أقسام الدين . وهذان القسمان كما جاء فى مجلة المنار الإسلامى دنيويان ؛ لأنهما مدنيان اجتماعيان : منظمان لشؤون الإنسان فى الدنيا ، وعلاقته بأهله وبقومه وبغيرهما من خلق الله سبحانه ، فيسعد بهما هو ومن يتصل به فى الدنيا .

وفيهما مع ذلك ناحية دينية ؛ لما ورد فيها من نصوص فى الحلال والحرام تجب طاعتها والعمل بها ، وفى هذه الطاعة ، وفى هذا العمل زانى إلى الله سبحانه وحسن مآب ؛ لما فيهما من نفع ، وتربية للنفس ، وفى عصيانهما ومخالفتها بعد من الله وسوء مآب ، وفى إحلال حرامهما ، وتحريم حلالهما عمداً كفر . وهذا ما يؤيد أنهما دينيان من ناحية .

وهنا فى هذين القسمين مجال للزيادة بالقياس وبالإجماع فيما لم يرد فيه نص فهما ، وهذا موكل لأولى الأمر ، وفى أولى الأمر كلام يطالب فى مواضعه .

فللأزهر رسالة أخذ بالشرط الثانى منها ، وأعد لها عدتها وقام ويقوم بها ، أما الشرط الأول من هذه الرسالة فهو يتهيأ له الآن ، ونطالبه به . إن هذا الشرط الأكبر الأول بل الأزهر كله أمانة للإسلام والمسلمين بين يدي حكيم خبير من أبناء الأزهر ، هو شيخه الإمام الجليل ، ومجلة الأزهر هى الأخرى أمانة للأزهر بين يدي أجدر الصحفيين بحمل هذه الأمانة ، وهو حضرة

الفتح المبين

حديث من أحاديث الإذاعة المصرية ألقاه صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت في ذكرى الفتح ،
فراينا أن نشره في هذا العدد الخاص بالفتح استزادة من مجد الفتح واستفادة من أدب الأستاذ

حربا ، وإنما يريد عمرة ونسكا . وعلى الرغم من ذلك جاءته الأنباء بأن قريشاً أجمعوا على منعه من دخول مكة وصده عن المسجد الحرام وأنهم تجمzوا فعلا لقتاله ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ، تفاديا للقتال الذي لا يريد ، غير طريقته الذي ترصدوا له فيه ، وتحول بأصحابه إلى جهة تعرف باسم الحديبية ، قريبة من مكة . وفي هذا المكان جاءه سفير من قريش يتحدث معه فيما يريد ، واتصلت المفاوضة بينه وبين قريش حتى بعث إليهم عثمان بن عفان يوضح لهم مقصده ، وأنه لا يريد قتالا . ولما أبطأ عثمان ابن عفان في مكة ، شاع فيما بين المسلمين أن قريشاً قتله ، وهنا قال الرسول : لا نبرح حتى

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله تعالى : ولما فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا . في السنة السادسة من الهجرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ، مخلقين رءوسهم ومقصرين . وأخبر المسلمين بهذه الرؤيا . وثقة بما أراه ربه - وهو لا يريد إلا حقا - توجهت نفسه إلى تحقيق هذه الرؤيا ، فاستنفر أصحابه واستنفر الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه ، واكسبهم لم يستجيبوا لدعوته ، اعتذروا وتعلموا ، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار معلنا أنه لا يريد

يا سيدى الاستاذ فى هذا العدد خلا لم يسد وجوة لم تملأ ، فأرجع هذا الى ذاك . ورأى قبل هذا أن الأزهر فكرة ؛ فكل من أخذ بها وعبر عنها ودعا إليها فهو أزهري وإن لم يخرج به الأزهر . أما رأيى بعد هذا ، فهو أن العيب باهظ والجو خائق والعدة ضعيفة والمعاونة قليلة والسنة متقدمة والصحة متأخرة . وما أطعت فضيلة الشيخ الاكبر الإمام عبد المجيد سليم فى تولى هذه المجلة إلا لأرسم الخطه وأضع النموذج . وفى اعتقادى أن فى الأعداد الثلاثة التى صدرت على علاقتها ما يكفى .

ولك يا سيدى الاستاذ أجزل الشكر على جميل رأيك وحسن ظنك .
مدير المجهود

وفى عدد المحرم الذى بين يديك اختلاف الأمر بعض الاختلاف . لم أجد بعد ثلاثة أشهر مسوغا لانتظار التعارف أو التعاون ، ففزعت إلى لجنة من صفوة العلماء الاصدقاء فى الأزهر ومعى خطة لهذا العدد الخاص مبينة المعانى الاغراض ، وسألته أن يختاروا لهذه الموضوعات كتابها من رجال الأزهر ، فاختروا طائفة من أعيانهم كتبت إلى كل منهم رسالة بموضوعه وموعده . ثم انتظرت ونظرت فإذا الاستاذة جميعا لا يكتبون ولا يعتذرون ، ما عدا الاستاذ الشيخ محمد عرفه ، وكان الوقت قد ضاق عن استكتاب غيرهم ممن يكتبون أو يعتذرون فنزلنا مضطرين على حكم الواقع ، فإذا رأيت

إلى صراطه المستقيم ، وبالنصر الذى لا تعثره هزيمة ، ولا يلحقه غلب ، «لما فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً» .

ثم يمتن الله فى السورة على المؤمنين بموقفهم فى الاتقياد للنبي صلى الله عليه وسلم وأمره بإمام بالرجوع معه إلى المدينة ، وأن ذلك لم يكن إلا بطمأنينة ملائكة الله بها قلوبهم ، هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم . « وأن الله تعالى كان قادراً على أن يشردهم بأعدائهم - بما له من جنود السموات والأرض - دون أن يكون للمؤمنين دخل فى هزيمتهم ، وتمزيق قوتهم ، ولكن سبجانه رتب الأمر هكذا وجعله بأيدي المؤمنين لينالوا ما أعد لهم من نعم ، ولينكشف المنافقون والمشركون ، وينزل بهم ما يستحقون من جحيم ، وقد نوهت السورة بعد ذلك بالمبايعة التى حصلت تحت الشجرة ، «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً» . كما فضحت أسرار المنافقين الذين لم يخرجوا معه . وفى ذلك يقول «سيقول لك الخلفون من الأعراب شغلنا أم والنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بالسفهم ما ليس فى قلوبهم» . «وسيقول الخلفون إذا انطلقتم إلى منائهم لنأخذوها ، ذرونا تتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله . قل إن تتبعونا ، كذلك قال الله من قبل » . وفى بيان الحكمة فى قبول الصلح وعدم القتال ، وأن ذلك

فناجزهم الحرب . ودعا أصحابه للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك ، عرفت بشجرة الرضوان . ولما ذاع نبأ تلك البيعة ، ووصل قريشاً أمرها ، وهم يعرفون قيمة البيعة عند المؤمنين ، لجأوا إلى المسالمة ، وأرسلوا إلى الرسول عليه السلام من يعرض عليه الصلح . وقد تم الصلح بشروط قبلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى فيها بعض أصحابه غبناً شديداً على المسلمين ، فتلصكأوا به بعض الوقت فى تنفيذ ما أمرهم به النبي من التحلل والرجوع ، ثم سارعوا إلى الامتثال حينما رأوه يباشر فعلاً عملية التحلل بالنحر والحلق ، فتحللوا ورجعوا إلى المدينة وفى قلوبهم ما فيها من آلام الموقف . ولكن الله العليم بخير هذا الصلح على المسلمين وما يثمره من الثرات الطيبة فى نشر الدعوة بادرهم بإنزال تلك السورة العظيمة وهم فى طريقهم إلى المدينة ليكشف لهم الغطاء عما لم يدركوا من أسرار توجيهه للنبي عليه السلام وأكد لهم أن ما حصل ليس كما يظنون ، غبنا وذنبة .

ولأنما هو فتح ، وفتح مبين : فتح للعقول لتدرك سمو الإسلام ، وفتح للقلوب لتخالطها بشاشة الإيمان ، وفتح لمسكة وغيرها من القرى والمدن التى ستعلو فيها كلمة الحق والعدل ، ويندك بها صرح الباطل والظلم ، وأنه بهذا الفتح سيظهر قلب النبي صلى الله عليه وسلم من الحرج واستبطاء نصر الله له الذى كان يحسه فى مواقف الشدة ، ويظفر بإتمام نعمة الله عليه وإكمال دينه بالتشريع والبيان ، وبهدايته هداية عملية واقعية ،

بالله شهيدا . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود .

ثم سجلت لهم ، واسكل من سار على نهجهم في قوة الإيمان والعمل الصالح ، هذا الوعد الكريم وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .

هذا هو الفتح المبين ، وهذه هي سورة الفتح ، ومن العبر التي توحى بها هذه السورة السكرية والتي يجب علينا أن نستخلصها لنستفيع بها في حياتنا الراهنة ، أن القائد لا بد لنجاحه في تكوين أمته ، وتركيز قوى الخير فيها ، من أن يبذل جهده في تعرف جانب الحكمة والسداد في الرأي ، وأن يعتمد على من عرف لإخلاصهم ، وصدق إيمانهم ، وأن الجيش المظفر هو الجيش الذي يطهر نفسه من عناصر التخذيل والضعف ، وأرباب الغايات المادية الفانية ، التي لا تتصل بشرف الذمة ومجدها ، وأنه يجب تنحية المنافقين الذين لا يقصدون من القتال سوى تلك الغنائم المادية . وبسداد الرأي ، وقوة العزيمة ، وصدق الإيمان ، وطهر الجيش ، وسمو هدفه ، يكون النجاح والظفر ، وتكون العزة والمناعة .

نسألك اللهم أن تسكل عمل المجاهدين المخلصين بالنصر والتأييد ؟

لم يكن ضعفا ولا عجزا من المؤمنين ، تقول السورة : ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا . ، وتقول : وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وتقول : ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم .

ولقد كان من بركة هذا الموقف أن اعترفت قريش للمؤمنين بدولة ، لها كيانهما ، ولها سفراؤها ، ولها قوتها ، وأنه مهد لكثير من العرب : قريش وغيرهما ، أن يختلطوا بالمسلمين فيعرفوا عن كذب حقيقة الإسلام ، وما يدعو إليه من فضائل وأخلاق ، وقد مهد كل هذا للفتح الأكبر الذي به سقطت دولة الظلم ، وتحطمت أصنامهم ، وبه تحققت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . وفتح المسلمون مكة ، ودخلوا المسجد الحرام ، لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلقين رموسكم ومقصرين لا تخافون ، فعمل ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، ثم أكدت السورة ضمان حسن العاقبة للرسول ، وأن الله سيظهر دينه على الدين كله ، وذكرت أصحابه عليه السلام بالتراحم فيما بينهم ، والإخلاص لله ، وذكرتهم بالشدة على الكفار والغيرة على الحق ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى

مَا يَقَالُ عَنْ الْأَسْلَامِ

ما كان يخفف وطأة الجوع بكسرة من خبز الشعير .

وقال هذا المؤرخ يصف جهاد المسلمين في غزوة مؤتة ، أعطى لواء المعركة لزيد ، فإذا مات خلفه جعفر ، وإذا مات جعفر خلفه عبدالله ، وبعد ذلك يختار المسلمون من يقودهم ؛ ولقد مات القواد الثلاثة في معركة مؤتة أول المعارك التي امتحن فيها حماس المسلمين أمام عدو أجنبي ؛ أما زيد فقد سقط كما يسقط الجندي في مقدمة الصفوف ، وأما جعفر فقد مات موة البطل ، فقد قطعت يماه ، فأمسك اللواء يسرا ، فذهبت يسرا فاحتضن اللواء بعضديه النازفين ، ثم سقط وفي جسده خمسون جرحا شرفا ؛ ونادى عبدالله وقد التقط اللواء : تقدموا فإما النصر وإما الجنة ، فأردته حربة رومانية فتقدم خالد فاتح مكة ، ورفع اللواء وقد تسكرت في يده عشرة سيوف ؛ ومكنته بسالته من الوقوف وحده في وجه مكائريه من العدو بل وردهم .

هـ . ج . ولز وضعاً عن الأسير

كتب ولز في كتابه مختصر تاريخ العالم ، إن المؤرخ المتنبئ في أوائل القرن السابع الميلادي

رأينا أن نختار لهذا العدد من مجلة الأزهر ما يلائم فكرته ، ولذلك لم نقصر على ما يقوله المعاصرون في صفهم ومؤلفاتهم .

بعض ما يقوله المؤرخ الإنجليزي ميبود

تعرض هذا المؤرخ الشهير لظهور الإسلام في كتابه الضخم ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، الذي طبع سنة ١٧٨٨ ، ولقد كان متأثراً فيما كتب عن الإسلام بما كان يسود أوروبا يومئذ من التعصب والسخط على هذا الدين ، ولكنه كان ينسى تعصبه أحيانا إذ تغلب عليه نزعة المؤرخ : قال يصف جانباً من حياة الرسول صلوات الله عليه ، إن سمو إحساس محمد جعله يحتقر بهرج الملك ؛ وكان رسول الله يخضع نفسه لما تتطلبه حياة الأسرة من عمل ، فقد أوقد النار وكبس المنزل وحلب الشاة ، وخصف بيديه نعليه ورتق ثوبه ، ولقد كان قانعاً يأكل كما يأكل العربي والجندي ؛ وكان في مناسبات قليلة يولم لرفاقه في سعة ، ولكنه الأسابيع الكثيرة كانت تنقضي ولا يوقد في بيته نار لطعام ؛ وكان يحرم الخمر كما يقضى بذلك الدين ؛ وكثيراً

جيتته والاسلام

للشاعر الألماني العظيم جيتته كلمات طيبات عن الإسلام تتناثر في أحاديثه وكتاباتاته ، وإعجاب روحى يظهر في بعض أعماله الفنية مثل « الديوان الشرقى » ؛ ومن أشهر ما قاله جيتته عن الإسلام عبارته « إذا كان المراد من الإسلام أن يسلم المرء وجهه لله ، فإننا على الإسلام نحيا جميعا ونموت جميعا » .

وقد قال جيتته لصديقه المستشار فون ملر سنة ١٨١٩ « إن الإذعان والاستسلام هما في كل دين القاعدتان الحقيقتان ؛ أعنى الخضوع لإرادة عليا مهيمنه على كل شيء ، لا تستطيع عقولنا إدراكها لأنها فوق مداركنا ، وفي هذا يعظم الشبه بين الإسلام والبروتستنتية » .

ويجمل جيتته التقوى والإسلام شيئا واحدا فيقول « إننا حين تظهر أرواحنا نحس رغبته قوية متأججة في أن نسلم أنفسنا طوعا لموجود لا ندركه أعلى وأطهر منا نعمده ونشكره ، وبهذا نصور لأنفسنا هذا الأزل الذى لا ندركه العقول ، ونلك هى التقوى ، وإذا كان الإسلام هو هذا التسليم فكلنا مسلمون » .

الكونت هنرى دى لاسرى وفواطره

عن الاسلام

ألف الكونت كتابه سنة ١٨٩٦ ؛ وقد عربه المرحوم أحمد فتحي زغلول باشا ؛ ومن آراء المؤلف في سر انتشار الإسلام قوله « جند

كان يستطيع أن يقول بحق إنه ما هى إلا قرون ثم يغزو العالم المغول فيحكمون ما بين الخيوط الهادى والطونة وذلك لأن الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية كانتا تعانيان الانحلال ، وكانت الهند مقسمة ، وكانت الصين تمتد في رقعتها الفسيحة ، وكانت الشعوب التركية في وسط آسيا تفعل مثلما تفعل الصين » .

ثم يقول هذا المؤرخ الإنجليزي والقصصى الذائع الصيت « إنه إذا كان ثمة من خطأ يقع فيه ذلك المتنبئ فصدر هذا الخطأ هو الصحراء العربية ، فإن بلاد العرب كانت تبدو له كما هى حالها من زمن سحيق موطناً لقبائل صغيرة من البدو الرعاة ولكن هؤلاء البدو انبعثوا فجأة ، وبلغوا في قرن قصير غاية الرفاهية ، فلقد نشروا حكمهم ولغتهم ما بين أسبانيا وبلاد الصين . ولقد أمدوا العالم بثقافة جديدة ، وخلقوا دينا لا يزال حتى اليوم قوة من أهم القوى الحيوية في هذه الدنيا ، ثم لخص ولز حياة الرسول وقال عن دينه « إن في ذلك الدين الذى نشره محمد فى العرب كثير آ من أسباب القوى والوحى ، ومن أبرز خصائصه ، الوحدةانية المطلقة الى لا تعرف هوادة . وعقيدته السهلة المتحمسة فى الله وحكمه ؛ وخلوه من التعقيد المذهبى . والتحرر المطلق من الرهبة والمعبد ، وثمة عنصر هام من عناصر القوة فى الإسلام ذلك هو تأكيد الإخاء والمساواة بين المسلمين أمام الله مهما تكن ألوانهم وأجناسهم وأوضاعهم تلك هى الخصائص التى جعلت للإسلام قوة فى شؤون هذه الدنيا » .

الجزية ، وكانت شيئاً يسيراً أوجزماً من اثني عشر . وبذلك آمنوا في ظل الدين الجديد ، ولم يتعرض لهم أحد من دعاة في دينهم ولم يفرق بين أصلي في المسيحية ومفتش عنها وهذه المعاملة هي التي جاء بها القرآن وجرى عليها الخلفاء الأولون ، فكان اليهود والمسيحيون يسمون ذميين .

وقال عن الأندلس : « ولقد زادت عاصمة المسلمين للمسيحيين في بلاد الأندلس حتى صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانين . ويقول (دوزي) إن هذا الفتح لم يكن مضراً بالأندلس ، وما حصل من الاضطراب والهرج بعده لم يلبث أن زال باستقرار الحكومة الإسلامية المطلقة في تلك البلاد . وقد أبقى المسلمون سكانها على دينهم وشرعهم وقضائهم وقلدوهم بعض الوظائف حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء وكثير منهم تولى قيادة الجيوش ، وتولف عن هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الأندلسية إلى المسلمين ... ونحن نعلم أن المسيحيين أيام الحروب الصليبية ما دخلوا بلاداً إلا وأعملوا السيف في يهودها ومسلميها ، وذلك يؤيد أن اليهود إنما وجدوا مجيراً في الإسلام ، فإن كانت لهم باقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين جانبهم لا إلى ما يوجد بين الاثنين من الجامعة في الأصل والجنس واللغة والدين ... ولم يطلب المسلمون من مسيحي الأندلس إلا ما فرضوه على غيرهم وهو الجزية . »

الإسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها في خمس صلوات في كل يوم ، وبما اشتمل عليه من الرفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئاً عما يشتهون ؛ وأعظم عامل في انتشار الإسلام وبخاصة بين الأمم البدائية ، بساطة مذهبه وسهولة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الذين لم يعرفوا ديناً من قبل ؛ لأنه دين لا أسرار فيه وكلمته أو كلمة الشهادة يعتاض عنها عند الاختصار بإشارة تدل عليها كرفع السبابة إلى السماء لإشارة إلى وحدانية الله تعالى ، فكلمة وجد الرجل الجاهلي أمامه دينين متحدين في حقيقتين : وحدانية الله ، وخلود الروح . وهما الإسلام ودين عيسى ، يختار الدين الذي لا يزيد شيئاً عن تينك الحقيقتين ، ويعتق الإسلام بلا محالة ؛ وهي قوة يفضل بها الإسلام المسيحية في الانتشار .

وقال المؤلف « ولا انتشار الإسلام وخضوع الأمم لسلطانه سبب آخر في آسيا وأفريقيا الشمالية هو استبداد القسطنطينية فإنه كان قد بلغ منتهى العسف ، ووصل جور الحكام إلى درجة أزهقت النفوس ، فلما جاء الإسلام تراموا إليه هرباً من الضرائب الفادحة واستلاب الأموال لأنه كلما أسلمت عشيرة رفع عنها أثقال المغارم ، ورد إليها مالها المسلوب ، ومن لم يقبل شريعة القرآن عومل هذه المعاملة عينها بلا قيد غير أداء

كارليل يشير بالاسم

كتب الفيلسوف كارليل فصلا عن محمد في كتابه «الابطال وعبادة البطولة»، وقد اختار نبي الإسلام للبطل في صورة نبي، وقد اختتم هذا الفصل بالبلغ بقوله عن الإسلام «لقد ظل الإسلام مدة اثني عشر قرنا دينا وهاديا في الحياة لخمس الجففس البشرية كله، ولقد كان فوق كل شيء دينا مصدقا من أعماق القلوب؛ إن هؤلاء العرب يصدقون بدينهم ويعيشون به؛ ولم يكن ثمة من مسيحيين منذ العصور الأولى، أو منذ البيوريتان الإنجليز في الأزمنة الحديثة آمنوا بدينهم كما يؤمن المسلمون بالإسلام... الله أكبر! هذا ما يهز به الإسلام أرواح هؤلاء الملايين وما يملأ به حياتهم اليومية...

لقد كان الإسلام للأمة العربية بمثابة الميلاد؛ الخروج من الظلمة إلى النور؛ كانوا قبائل فقيرة من الرعاة ينتقلون في جزيرتهم لا يعلم بهم أحد، فأرسل إليهم بطل نبي بكلمة استطاعوا أن يصدقوها؛ فانظر إلى أولئك المحجولين يلقنون أنظار الدنيا، وإلى تلك القلة تعظم حتى تملأ العالم؛ لقد أصبحت بلاد العرب في قرن تمتد إلى غرناطة من ناحية وإلى دلهي من الناحية الأخرى. هؤلاء العرب وهذا النبي محمد وهذا القرن من الزمان! أليس ذلك كما لو نزلت شعلة، شعلة واحدة على عالم يبدو رمالا بجهولة سوداء؛ ولكن ها هو

ذا الرمل يصبح مادة متفجرة ثم يتوهج مطاولا السماء من غرناطة إلى دلهي! لقد قلت إن الرجل العظيم كان أبدا كالبرق ينبعث من السماء، وإن بقية الناس إنما ينتظرونه كالوقود وعندئذ تراه كذلك يشتعلون».

المستشرق جب ورسالة الإسلام

يقول المستشرق الأستاذ جب في كتاب «وجهة الإسلام»، الذي عربه الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة سنة ١٩٣٣: «لا يزال الإسلام في العالم العربي يسلك سبيلا وسطا بين المتناقضات الشديدة؛ وهو على معارضته لفوضى القومية الأوروبية وللنظام العسكري لروسيا الشيوعية، لم يقع بعد فريسة للهجمات الاقتصادية الملحة التي تمتاز بها أوروبا وروسيا، وقد لخص الأستاذ ماسينيون الاخلاق الاجتماعية في الإسلام تلخيصا يدعو إلى الإعجاب حيث قال «لإسلام الفضل في أنه يمثل لنا فكرة عادلة عما يقوم به كل فرد من أبناء الوطن بدفع عشر ريع الأرض للخزانة العامة؛ لأنه يشن الغارة على المبادلة المطلقة ورأسمالية المصارف وقروض الدولة والضرائب غير المباشرة على الأشياء ذات الأهمية الجوهرية؛ ثم هو يؤكد حقوق الأب والزوج والملكية الفردية ورأس المال التجاري، ونراه هنا يقف مرة أخرى في مكان وسط بين الرأسمالية البرجوازية وبين الشيوعية البولشفية».

العصر في تفكيرهم وفي لغتهم وصنع أفكارهم ؛ وقال إن هذا قد يعطى حجة للذين يرمون الدين الإسلامى بأنه دين تحجر ؛ ورد جب على هذه التهمة بقوله : « ولكن هذه التهمة باطلة فإن الإسلام دين حى يبعث الحيوية ، تستجيب له قلوب عشرات ومئات الملايين وعقولهم وضمايرهم ؛ ويمدهم بالمثل الذى يريهم كيف يعيشون به عيشة الأمانة والوقار والتقوى ، ويختتم جب هذا الفصل بقوله « لأنه لواجب على المسلمين أنفسهم أن يرسموا أساليب تفكيرهم وتصرفهم العملى المترتب على ذلك . وهذا عمل لن يتم إلا فى عدة أجيال وربما احتاج إلى صراع . إن الحق يذبح أن يكافح أبداً عن وجوده ، وليس من المقدر دائماً أن يظفر فى الجولة القصيرة . »

من الإدارة

بهذا العدد الخاص بالفتوح الإسلامية تفتح المجلة عامها الرابع والعشرين . وهى بهذه المناسبة تقدم إلى العالم الإسلامى أخلص التهنيات وأصدق الأمانى ، وترجو من مشتركيها ومتعديها أن يحددوا الإشتراك ويسدّدوا المتأخر ولهم الشكر

ولكن لا تزال للإسلام رسالة يؤدّيها من أجل الإنسانية ؛ إنه يقف برغم كل شىء أقرب من أوروبا إلى الشرق ، وله ماض مجيد من تفاهم الأجناس وتعاونها ، ولا يوجد مجتمع سجل له من النجاح فى أن يجمع بين كثير من الأجناس المختلفة وأن يسوى بينهم فى العمل والمساكنة وتهئية الفرص كما سجل للإسلام . وإن الجماعات الإسلامية العظيمة فى أفريقية والهند وإندونيسيا والجماعات الإسلامية الصغيرة فى الصين والجماعة الصغرى فى اليابان لتبين جميعاً أنه لا تزال للإسلام القوة على أن يتألف العناصر التى لا سبيل إلى التوفيق بينها بسبب الجنس والتقاليد ؛ وإذا لم يكن بد من أن يحل التعاون محل الشقاق بين المجتمعات العظيمة فى الشرق والغرب ، فإن وساطة الإسلام شرط لا بد منه ، لأن فى يده إلى حد كبير حل المشكلة التى تواجه أوروبا فى علاقاتها مع الشرق ؛ وإن اتحاداً زاد الأمل زيادة لا حد لها فى بلوغ نتيجة سلمية ؛ أما إذا قذفت أوروبا بالإسلام بين أذرع خصومها ورفضت التعاون معه ، فلا بد أن تكون النتيجة كارثة للجانبين .

رأى آخر للمستشرق جب :

وتحدث هذا المستشرق فى كتاب حديث له هو ، النزعات الحديثة فى الإسلام ، وهو بصدد الكلام عن الإسلام اليوم فى العالم ، فتعرض لعلماء الدين الإسلامى ، وعن عدم مجاراتهم

الكتاب

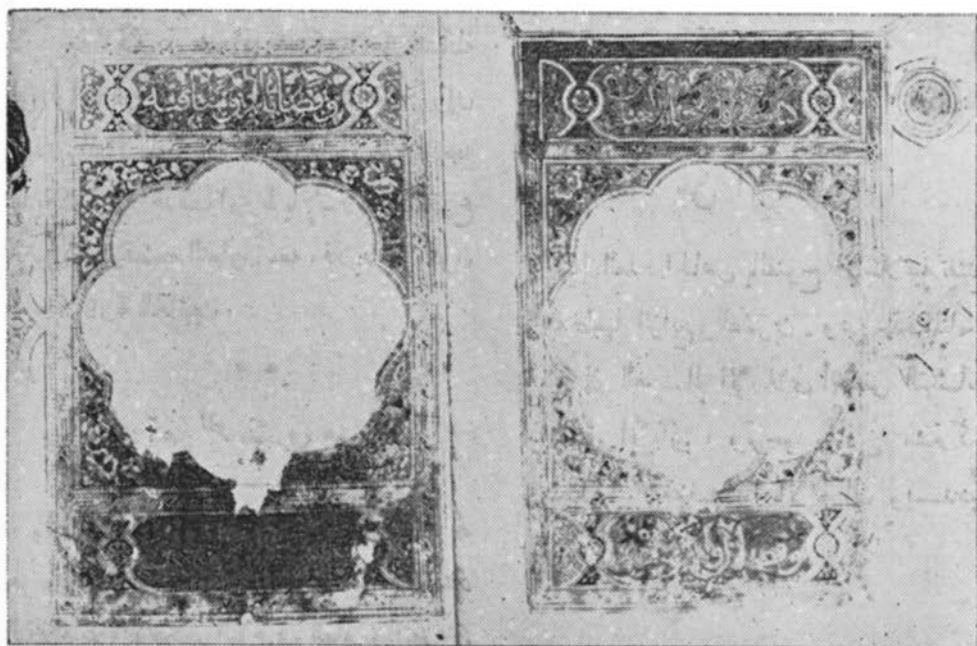
مخطوط فريبر :

كشف جديد في تاريخ الدعوة العباسية

لمؤلفه عبد الفتاح السمرنجاني

حتى صار شغلي الشاغل في السنوات الثلاث الماضية ، وكنت قد اتسخت انفسى نسخة من الكتاب ساعدنى على اتساخها زميلى السيد ناجى معروف ووعدنى بالمعاونة فى التعليق على الكتاب . وقد لاحظت أن هذا الكتاب لم يقسم إلى أبواب وفصول وإنما جعلت عناوين الموضوعات

عُثرت فى خزانة الإمام الأهمم أبى حنيفة النعمان ببغداد على مخطوط يقع فى ٢٠٤ ورقة من القطع الكبير ، فى موضوع له أهميته الكبيرة فى مجرى التاريخ الإسلامى ، هو حركة الدعوة العباسية ، ومنذ عرفت هذا المخطوط وأنا عاكف حتى اليوم على دراسته وتصحيح أخطائه وتعليق حواشيه

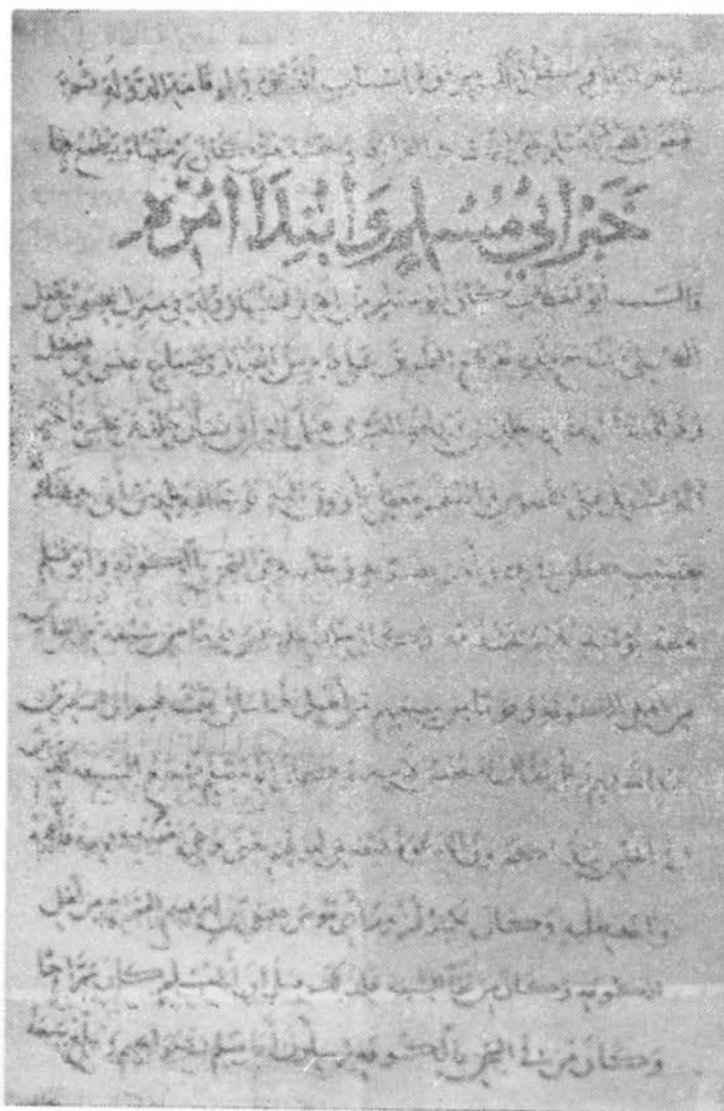


الزخارف ثم لصقهما على ورقتين متقابلتين في صدر الجزء الباقي من المخطوط ، وهاتان الصحيفتان لهما أهمية أثرية عظيمة ، وهما بحق جديران بالبقاء لدقة نقوشهما ذات الألوان الزاهية الجميلة ، ولأنهما يساعدان على تعيين

يتلو بعضها بعضاً ، وهي مكتوبة بالخط النسخ المذهب ، وأول عنوان يصادفك موت العباس ، وهذا جعل الكتاب يعرف في قوائم الخزانة بهذا الاسم ، وبقي كذلك حتى استطعنا كشف اسم آخر للكتاب يعرف به الآن في بغداد .

واستطعت بعد اختبار وتمحيص طويلين أن أناكد من أن المخطوط غير منقوص من آخره ، أما من أوله فقد ضاعت ثلاث كراسات أى ثلاثون ورقة كانت قد جعلت لتتبع الأصل الأول للدولة العباسية والكلام عن حياة العباس بن عبد المطلب .

ومن الغريب أن الصحيفتين الأولى والثانية من الكراسة الأولى المفقودة ، وعليهما زخارف هندسية ونباتية مذهبة وملونة لا تزالان في صدر المخطوط الحالي ، وأفصد بذلك أن تمتنى المخطوط وجد هاتين الصحيفتين قد تأكلت من أطرافهما ووسطهما فذهب هذه الأطراف المتأكلة وقص وسطهما ولم يبق إلا



كذلك ، فلماذا لم يكتبه مقتني الكتاب في هاتين الدائرتين في صدر المخطوط ؟
هل كانت الكتابة التي قصها من الوسط هي عنوان الكتاب فقرأها واكتفى بكتابتها على حافة المخطوط العليا ؟ ولماذا لا نذهب مذهبا آخر هو أنه لم يستطع تبين هذه الكتابة فأغفلها ولم يستطع معرفة اسم الكتاب فوضع له هذا

عصر هذه النسخة تعيينا واضحاً من حيث الخط والموضوعات الزخرفية ، ولعل أهم ما فيها من حيث الدلالة على موضوع المخطوط ما كتب في أعلى الصحيفة الأولى وسط الزخارف المذهبة الملونة بالخط النسخ الجميل ، واستمر في رأس الصحيفة الثانية ثم انتقل إلى أسفل الصحيفة الأولى فالثانية وهذا نصه :

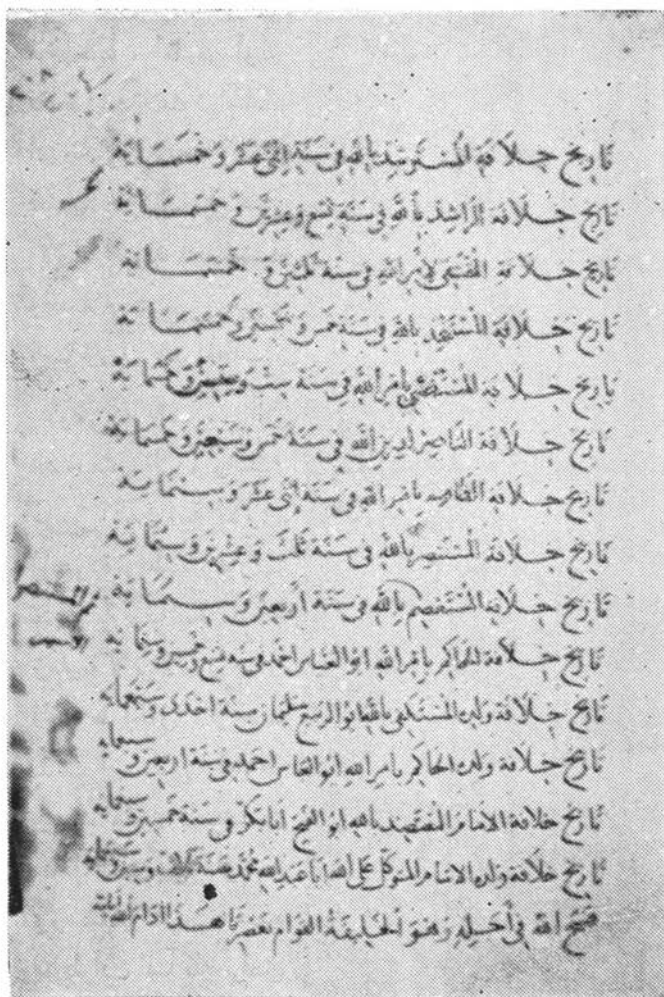
وكتاب فيه أخبار العباس
وفضائله ومناقبه وفضائل ولده
ومناقبهم وآثرهم رضى الله عنهم
أجمعين ،

إلى هنا لم نعرف اسم الكتاب الحقيقي ، لأن موضعه الأول كان في الدائرتين المزخرفتين اللتين قص وسطاهما وأصقنا على ورق جديد (شكل ١) وبقي الوسط في كليهما خلواً من الكتابة إلى الآن ، وقرأت الكتاب كله فلم أجد فيه ما يدل على اسمه أو اسم مؤلفه وأخيراً وجدت على الحافة العليا للكتاب آثار كتابة لا تكاد تبين قرأتها بعد جهد فإذا هي :

المراجع الأئمة

في أئمة الدولة العباسية

فهل هذا هو الاسم الحقيقي الأول للكتاب ؟ وإذا كان



أفردت لها بحثاً عن تاريخ الكتاب معتمداً على أسلوب الكتابة ورجال السند وعناصر أخرى في منهج البحث العلمي .

بقيت مسألة أخرى : هل لهذه النسخة من الكتاب نظيرة أو نظيرات ؟ لقد استقصيت في هذا الأمر وأما أدور آفاق العراق حيث زرت كثيراً من ألوية الشمال مثل : السليمانية وأربيل وكركوك ، وأخيراً علمت أن في البصرة خزانتي للخطوط القيمة : لإحداهما خزانة آل باش أعيان العباسية . والثانية خزانة المحامي محمد أحمد ، فلما زرت البصرة انتسخت نسخة لقوائم الكتب الخطية في الخزانتي بمساعدة الأستاذ محمد ناصر الصانع مدير المعارف في منطقة البصرة جزاء الله أحسن الجزاء .

وفي بغداد خبر حجة في شئون الخطوط هو الأستاذ عباس العزاوي المحامي ، جمعتني به ندوة عليية تقام في بيت السيد إبراهيم الواعظ رئيس محكمة استئناف بغداد ، فسألته عن هذا الخطوط وهل توجد منه نسخة في خزائنه أو أية خزانة يعرفها ؟ وبحث في مكتبات مصر ، وتميأت لي زيارة طهران فوجدت بها مكتبة حافلة بالخطوط الفارسية والعربية في جميع الفنون ، هي (كتابخانه مجلس شورای ملی) وطلبت الاطلاع على فهارس الخطوط فسارع مدير المكتبة إلى إهدائي المجلد الثالث من الفهرست وهو خاص بالخطوط ويقع في ٨١٤ صحيفة رتبته ابن يوسف شيرازي وفرغت مطبعة المجلس من طبعه في سنة ١٣٦٠ هـ فلم أجد بين دفتيه اسم مخطوطنا هذا ، كذلك بحثت بنفسي في مكتبات أصفهان وقم وغيرها من مدن إيران ، وكنت

الاسم وكتبه على الحافة العليا ليعرف به الكتاب ويسهل عليه إخراجها من بين الكتب الأخرى . - وما يجملني أفترض هذا - ولو أنني لا أجزم به - أن المخطوط لم يتناول تاريخ الدولة العباسية ، وإنما تناول تاريخ الدعوة وحدها ووصل بها إلى موت إبراهيم الإمام ووصول وصيته إلى أبي العباس الذي خرج بمن معه قاصداً الكوفة . وهنا ينقضي الكتاب دون أن يتجاوز هذا إلى إجلال أبي العباس على عرش الخلافة ، فكيف يكون هذا في أخبار الدولة العباسية ؟ الحق أن اسم الكتاب ما زال يخامرني فيه شيء من التردد ، وعلى الجملة فقد عرف هذا المخطوط الآن بهذا الاسم في بغداد بعد أن تمياً لنا كشفه ولإذاعته .

أما عصر المخطوط ، فقد وجدت في آخره نصاً صريحاً يدل على أنه يرجع إلى القرن الثامن الهجري ، ذلك أن الورقات الثلاث الأخيرة رقم ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ من المخطوط فيها قوائم بتسمية وتواريخ الخلفاء من بني أمية وبني العباس ، فإذا وصلنا في سياق التسمية إلى المستعصم بالله آخر خلفاء بغداد ، جاءت أسماء الخلفاء من بني العباس في مصر حتى خلافة الإمام المنوكل على الله أبي عبد الله محمد في سنة ثلاث وستين وسبع مائة ، وهنا تذكر العبارة الآتية :

« فسح الله في أجله وهو الخليفة القوام بعصرنا هذا أدام الله أيامه » . (شكل ٣)

وهي تدل دلالة صريحة على أن المخطوط يرجع إلى هذا التاريخ ، ولكن هل يرجع إلى هذا التاريخ في انتساخه أو في تأليفه ؟ هذه مشكلة أخرى

كتب إفريقية

تعالج موضوعات إسلامية وشرعية

نظور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠

L'Evolution de L'Egypte, 1924-50

تأليف مارسيل كولومب

من نشر دار (ميزون نونو) بباريس .

حاول المؤلف في هذا الكتاب النافع أن يدون تاريخ مصر الحديث تدوينا يشمل الأحداث التي مرت بها خلال العشرين عاما الأخيرة . والمؤلف معروف ببجونه عن العرب والإسلام وقد تولى منصب الأمين العام لمعهد الدراسات الإسلامية بباريس .

ويعترف المؤلف بأن معالجته لتاريخ مصر الحديث لا تسكت في مؤلف واحد ، وإنما تحتاج إلى مجلدات . ومع أن هذا المؤلف الفرنسي يغمط الحركة القومية المصرية حقها في بعض الحالات والحوادث إلا أنه يحاول أن يدين السياسة الإنجليزية في مصر ويلزمها تبعة بعض التطورات العنيفة التي مر بها الشعب المصري منذ أزمة نوفمبر عام ١٩٢٤ . ومن مزايا هذا الكتاب أنه لا يقتصر على تسجيل الحوادث والتطورات السياسية ، وإنما يخصص بعض الفصول لتسجيل التطور الفكري في الثقافة العربية إجمالا بمثابة في مصر زعيمة الفكر العربي . ولا يترك المؤلف مشاكل مصر الاجتماعية دون أن يلقى عليها بعض الضوء .

أود زيارة استانبول في الربيع الماضي والبحث في مكتباتها ولكن عدتني العواذي عن إتمام ذلك ، ولا يزال يحدوني الأمل في أن أجد هدى في أمر هذا المخطوط القيم ، وإلى وقت كتابة هذه السطور أستطيع القول في هذه الحدود بأن المخطوط فريد لا نظير له ، وهذا يجعل له أهمية كبيرة . وفقني الله إلى إذاعة البحوث الأخرى عن عصر المخطوط وقيمه من الناحية العلمية .

التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمود حجازي

المدرس بمعهد الرقازيق

تفسير يصور المعنى أمام القارئ بأوضح أسلوب وأجلى بيان ، فهو يرشد إلى تفهم كلام الله من أقرب الطرق بغير عناء ولا إجهاد . قد اشتمل على بحث المفردات وتوضيح الغريب منها بالمؤلف من الالفاظ .

قد ربط الآيات ، وذكر المناسبات ، بما يجعل القرآن الكريم عقداً أحكم نظامه ، وأبدع تفسيره . قد امتاز بالعنوان المناسب لكل موضوع ، مع تحديد الغرض ، وما تشير إليه الآية الكريمة . وقد عني هذا التفسير بالآيات التي تعالج أمراضنا ، وتصف أدواءنا عناية خاصة تظهر فيها حاجة الفرد والجماعة إلى هذا العلاج .

وأما الأحكام الفقهية فعرضت عرضاً مناسباً مع بيان حكمة التشريع ، وأنها ضرورية للأمة . وهو تفسير تستفيد منه العامة والخاصة .

وقد نفذت الطبعة الأولى للأجزاء الأربعة الأولى وأعيد طبع الجزء الأول والثاني ، وقد ظهر منه إلى الآن ثمانية أجزاء .

استقلاله الداخلي من اليد البريطانية .
وفائدة هذا الكتاب للقارئ العربي أهم من
فائدته للقارئ الغربي ، وذلك لأن الأستاذ
خضوري أستعان بالمراجع العربية التي لا تتوفر
للناس في أوروبا وأمريكا .

وفي ذيل الكتاب فهارس وافية وسجل
للوزارات التي تابعت على حكم مصر خلال
العشرين عاما الماضية ، وقائمة بأسماء المراجع
العلمية عن مصر .

العراق المستقل :

Independent Iraq

من تأليف الأستاذ مجيد خضوري

من نشر مطبعة جامعة اكسفورد

٢٩١ صفحة والثمن ٢١ شلن .

السيد مجيد خضوري أديب عراقي اختار
الإقامة في أمريكا واشغل بالتعليم في جامعتها
عن شؤون الشرق العرب .

وقد ظهر له في المجلات العلمية الغربية بحوث
عديدة عن حاضر العالم الإسلامي عامة والشرق
العربي بصورة خاصة .

ولعل الرغبة في إرضاء القارئ الأوروبي
والأمريكي هي التي دفعت الأستاذ خضوري
لأن يفسر تاريخ العرب والإسلام المعاصر
تفسيرا يتمشى مع الصور الخاطئة التي يحملها
الغرب عن هذا الجزء من العالم ؛ صور تحمل
في ثياها مزايا من الخوف والاستهتار في التطورات
الفكرية والسياسية التي ألمت ولا تزال تكتشف
بلاد العرب والإسلام .

وكتاب السيد خضوري الجديد عن حاضر
العراق سجل واف للتطورات السياسية والتشريعية
والفكرية التي مر بها العراق منذ أن انتزع

الأفغان - دراسة في التطور السياسي

في آسيا الوسطى :

Afganistan : Astudy in Political
Developmnt Central Asia.

المؤلف : و . ك . فزير - نايلور

النشر : مطبعة جامعة اكسفورد

الثمن : ٥ دولارات

هذه دراسة طيبة وضعها وزير بريطانيا
المفوض في كابول سابقا . واستعرض فيها تاريخ
الأفغان في مختلف عصوره . وخص المؤلف
حاضر الأفغان بجزء واف من الكتاب .

ويعتقد هذا المؤلف بأن الاوساط الدولية
مغفلة للقيمة الاستراتيجية التي تحتلها الأفغان في
ميزان القوى العسكرية في آسيا الوسطى . وأهمية
الأفغان الاستراتيجية لا تعود إلى قوة جيشها
أو وفرة مواردها الطبيعية ، وإنما تعود إلى الموقع
الجغرافي الممتاز التي تحتله كنقطة حياد بين
الاتحاد السوفيتي ومناطق النفوذ الانجلوسكسوني
في جنوبي آسيا الوسطى .

وفي الكتاب فصل عن العلاقات بين الأفغان
والبالكستان يشرح المشاكل التي أدت إلى نوع

الشرق الاوسط بجزء واف ، فقد أصبح البترول علماً على الشرق الاوسط في الايام الاخيرة . وهذا الكتاب لا يعتمد الدراسة التحليلية بقدر ما يرمى إلى وصف الاوضاع في مناطق البترول في قالب طريف ظريف لا يحسنه إلا الفرنسيون . وفي صفحات الكتاب عدد من الطرائف والافاصيص الفكاهية التي عكس فيها المؤلف ما ألم بالشرق الاوسط من تطورات ، بعد أن طغى النفط على الصحارى والقفار وقاب الاوضاع الاجتماعية للسكان الوطنيين رأساً على عقب .

استعراض لموضوع الاقتصاد

في الشرق الأوسط

Review of economic conditlons in the Middle east.

من منشورات الأمم المتحدة .
في ١٠٠ صفحة من الحجم الكبير (خرائط وبيانات إحصائية) .

تذكر دائرة الشؤون الاقتصادية التابعة للأمانة العامة لهيئة الأمم في كل عام دراسة مسهبة عن الاوضاع الاقتصادية في مختلف مناطق العالم ومنها الشرق الاوسط .

ومن مزايا هذه الدراسة أنها تشمل كثيراً من الإحصاءات والمعلومات التي لا تتوفر للباحث الاقتصادي في دور العلم وبيوت النشر التجارية . وتحصل دائرة الشؤون الاقتصادية في هيئة الأمم على معلومات من الحكومات ومن مصادر أخرى .

من القطيعة السياسية بين هذين البلدين الإسلاميين ، والتي خفت حدتها في الازمنة الاخيرة بعد أن تدخل المؤتمر الإسلامى العالمى بين الدولتين الشقيقتين .

الرحلة العربية ورموزها صحرائية أخرى:

Arabian Journey and other desert travels.

من تأليف الكولونيل جرالدى جورى
النشر : دار هاراب بادن .

الثمن ١٢١ شلن .

مؤلف هذه الرحلة أحد العملاء الإنجليزين الذين اعتادوا التجوال في الجزيرة العربية متخطين آثار لورنس ، الداهية الإنجليزى المعروف . والكولونيل دى جورى ضابط في الجيش البريطانى أنفق سنوات عديدة في الجزيرة العربية يعالج مشاكل القبائل بالتعاون مع السلطات البريطانية في المحميات .

ويصف الكاتب رحلاته العديدة التي قام بها إلى نجد وعسير ضيفاً على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وبالإضافة إلى الناحية الفنية في الكتاب فإنه طافح بمعلومات عن حاضر بلاد العرب قل أن تجد لها مثيلاً في المكتبة العربية .

صاحب الجلالة البترول

Sa Majesté le petrole

من تأليف جورج لو فيفر .
ومن نشر دار هاشيت بباريس .
هذا بحث طريف صدر بالفرنسية واختص

العبد المفضى للجزيرة العربية

Arabian Jubilee

نشر دار Robert Hale بلندن والثن ٣٠ شلنا
الحاج عبد الله فيلي (واسمه بالإنجليزية ه
القديس حنا فيلي) شخصية معروفة فى أوساط
الرياض ومكة والطائف وشبه الجزيرة العربية
إجمالاً . وقد سبق لفيلبي أن خدم فى السلك
الحكوى البريطانى كبعوث لإحصائى فى الأوضاع
العربية فى الحجاز ونجد وخليج العجم . وهو الآن
فى سن الشيخوخة وله نشاط فى أعمال الحفريات
فى الربع الخالى . وله بعض النشاط التجارى المحض .
وفيلبي مؤلفات كثيرة عن العرب وجزيرتهم .
والكتاب الذى نراجع هنا هو فى معظمه ترجمة
لعاهل الجزيرة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ،
وتسجيل للتطور الحديث الذى ألم بالجزيرة
الدرية فى عهد جلالتة . وفيلبي لا يخل بعاطر
النساء والمدح على جلالة العاهل السعودى ويسجل
له طرائف وحوادث تزيد من المجموعة التى يحفظها
الناس عن جلالة ملك نجد والحجاز وملحقتهما .
وقد وضع فيلي هذا الكتاب ليوافق العيد المفضى
لتأسيس العهد السعودى فى نجد والحجاز . فهو
إذن قصيدة مدح لآل سعود ولما يسكنهم العظيم .
وقد تطرف فيلي فى كتابه إلى دراسة بعض
الأوضاع الناجمة عن تلاقى الحياة الصناعة
(فى منشآت البترول) مع الحياة البسيطة التى
يعيش عليها المجتمع النجدى خاصة والمجتمع العربى
فى شبه الجزيرة عامة . ويبدو أن فيلي يلبس

بعض السوء فى سرعة التطور واحتكاك الصناعة
العربية بنماذج السلوك التقليدى المحافظ فى شبه
الجزيرة ، وقد عاج فيلي هذا الاحتكاك فى نظرة
قائمة إلا من إيمان بمقدرة العقلية العربية على
أن تتلاءم مع التطور فى المراحل النهائية مهما
كانت طبيعة هذا التطور وعوامل هذا الاحتكاك .

الأديان العالمية وآمال العالم :

World religions and the hope for peace

تأليف : W. D. R. Williams.

الناشر مطبعة بيكون . بيوسطن (الولايات
المتحدة) .

الثن دولاران وثلاثة أرباع الدولار .
هدف هذا الكتاب دراسة الأديان السماوية
ودراسة مقارنة عن طرائق الأنبياء الذين بشروا
بها . وللرسول العربى عليه الصلاة والسلام مكانة
ملحوظة فى هذه الدراسة . ومؤلف هذا الكتاب
هدف آخر ، وهو الدلالة على أن فى الأديان
السماوية قوى دافعة إذا أحسن توجيهها استطاعت
أن تغلب على شذوذ السياسة وجنون الحرب
بإذكاء العناصر الروحية السامية التى تعيش فى
المرء حيث يخلص لعقيدته الدينية إخلاصاً نهها
عن الأهواء .

وجدير بالذكر أن مؤلف الكتاب لاهوتى
مسيحى يؤمن بالنظرة الحرة إلى الأديان السماوية
ولا يتقيد بالتفسير المسيحى لها .

والواقع أن القارئ المسلم لهذا الكتاب
لا يسهه أن يقبل تصنيفه الأنبياء ، على النحو

بعض ما يمتري المجتمع الإسلامى من انفعالات
لإزاء العالم الغربى .

والكتاب لا يعالج التيارات الثقافية والفكرية
فى العالم الإسلامى وإنما يكتفى، بتسجيل الانجاعات
والانفعالات السياسية والتقلبات الاقتصادية
التي أحدثتها الثورات الصناعية التي ألمت ببعض
أجزاء الشرق الإسلامى من جراء انتشار صناعة
البتروى وحركات التصنيع فى مصر وسوريا .

وفى الكتاب صرخة مداوية للحكومة والشعب
الامريكى للاهتمام بمشاكل العالم الإسلامى ، الذى
يلتهب بنار الغضب والاستياء من غاوة الأمريكان
وتجاهلهم حقيقة المصالح فى الشرق الأوسط .

ويعتقد مؤلف الكتاب بأن الحكومة السوفيتية
تتبع فى سياستها إزاء الشرق الأوسط أسلوباً
جديداً يشجع القوميات العنيفة فى الشرق
الإسلامى ويجعل من عدائها للاستعمار الغربى
غذاء لأوروبا جديداً يرمى إلى القضاء على البقية
الباقية من سمعة الأمريكان والبريطانيين
والفرنسيين فى هذا الجزء الهام من العالم .

ولما كان هذا الكتاب موجهاً للقارئ
الامريكى فإن التحيز فيه لليهود تحيز سافر .

الذى صنفه المؤلف ، فتحت هذا التصنيف
شخصيات ليس لها فى الأديان السماوية التوحيدية
ذكر أو صلة ، أمثال غاندى والقديسة فرنسيس
مؤسسة رهبنة الساليزيات ، وبعض القديسين
الكاثوليك الآخرين ، وطائفة من كبار أتباع
فلسفة كنفوشوس الصينية . حتى كارل ماركس
الشيوعى له فى هذا التصنيف مكانة ؛ وإن كانت
هذه المكانة مدرجة فى مستوى الشرق الأوسط
الخير . والفصل الخاص بالإسلام فى هذا الكتاب
لا يتعدى مجرد استعراض تاريخى وتحليل
سطحى للعالم الإسلامى . ومن الطريف أن هذه
المعالجة للأديان من لاهوتى مسيحى الأسلوب
والتفكير له فى الثقافات الانجلو سكسونية تلامذة
وأتباع .

وإلى هذا ما يفسر البلبلة الروحية التي تمتري
اللاهوتى المسيحى (والبروتستانتى على وجه
الخصوص) حين يحاول أن يستعيد القوة على
توجيه المجتمع توجيهها روحياً يتغلب على أزمة
النفس والعقل والروح فى العالم الغربى المعاصر .

دم وزيت ورمال :

Blood, oil and sand

من تأليف : راي بروك

من نشر : World publishing Co

٢٤٦ صفحة والثمن ٣١ دولار

مؤلف هذا الكتاب مراسل عاش فى الشرق
الأوسط سنوات الحرب العالمية الأخيرة ، ثم عاد
إليه فى الآونة الأخيرة لينقل إلى قراءه الأمريكان

المسألة السودانية :

The Soudanese Question

تأليف السيد مكى عباس

الناشر Fader aqn Fader بلندن

٣٠١ صفحة والثمن ٢١ شلن

مؤلف هذا الكتاب سودانى من خريجي كلية
غوردون وجامعة أكسفورد ومن رجال البعثات

السودانيين الذين يطالبون بالاستقلال الداخلى دون أن يقيموا بالوحدة السياسية والاقتصادية التى ربط بها النيل شطرى واديه .

ومن أمثلة التحليل التى يعالج بها المؤلف وجهة النظر المصرية ، ما أشار إليه عند تبريره مناورات بريطانيا للانفراد بالحكم وإقصاء المصريين عن السودان بعد أن أرغمت القوات المصرية على الجلاء فى عام ١٨٨٤ ، فيقول : « عندما تتم الشركة بين طرفين فى مشروع من المشروعات فإن من الصعب تقدير نصيب كل منهما فى إدارة المشروع والنتائج المتولدة عنه ، وبمعنى آخر فإن صاحبنا على رغم ثقافته الإكسفرودية يضرب بالاتفاقات الثنائية والمواثيق القانونية عرض الحائط وفى رأى السيد عباس أن الرشوة والإغراءات المادية تلعب دورا كبيرا فى النزاع المصرى - البريطانى حول السودان وموقف السودانيين أنفسهم منه . ويؤكد بأن الذود تتكلم بلغة أقوى وأصلح من لغة السياسة والأحزاب . وسيقدر لها أن تلعب دورا فاصلا فى مستقبل هذا الجزء من الوادى وموقف السودانيين من علاقتهم بمصر حكومة وشعبا .

وفى للكتاب لون من النقد الخفيف لبعض مساوى الحكم البريطانى فى السودان . والمؤلف لا يصفع وإنما يمس السلوك البريطانى فى السودان مسارقيا شبيها بمداعبة الغانية لمعشوقها فى حالة من حالات الانفعال الطارىء ، فهى لا تضربه بالمسدس وإنما ترميه بمروحتها الرقيقة التى تلتطف بها حرارة الجو . دكتور عمر حليق

الحكومية القليلة العدد التى ترسلها الإدارة البريطانية فى السودان إلى معاهد العلم البريطانية لتجعل منها نواة للعهد « الاستقلالى » الذى تحاول تنفيذه فى السودان معرصة عن وحدة شطرى الوادى ، وهذه الروابط الدينية واللغوية والطبيعية التى تؤكد وحدته .

وقد أعلنت الدار البريطانية التى نشرت هذا الكتاب بأنه عرض لوجهة النظر السودانية فى النزاع المصرى - البريطانى والصواب أنه عرض لوجهة نظر فريق معروف من السودانيين عرفت كيف تدرهم كلية غرردون والإدارة البريطانية فى السودان على تفهم الاستقلال وحدود الحكم الذاتى . ويبدو أن البرودة البريطانية لم تجد تربة صالحة فى هذا المؤلف السودانى ، وأن لغته الإكسفرودية لم تسعفه فى تفادى بعض الانفعالات العاطفية التى تشوب طابع الكتاب برغم أن مؤلفه قد راعى الناحية العلمية فى التأليف واستند إلى عدد طيب من المصادر العربية والاجنبية والبريطانية بوجه خاص ، ولجأ إلى أسلوب الكتابة البريطانى الذى يحاول أن يحمل الجملة أكثر من معنى واحد .

وقد تهمد المؤلف أن يتجاهل وجهة النظر المصرية القديمة التى أدت إلى فشل المفاوضات حول مستقبل السودان ، هذه المفاوضات التى جرت منذ أكثر من ثلاثين عاما .

ويحاول السيد عباس أن يبرز جوهر الخلاف بين وجهتى النظر البريطانية والمصرية وأثره على شعور السودانيين ، أو بالأحرى ذلك النفر من

الأدب والعلم في شهر

الدراسات الإسلامية في كندا :

أنشأت جامعة « ماكجيل » كبرى جامعات كندا معهداً جديداً للدراسات الإسلامية أسندت رياسته إلى الدكتور « ويلفرد مميث » أحد خبراء الثقافة الإسلامية في كندا .

وستألف هيئة التدريس في هذا المعهد من أساتذة هم : البرفسور « هوارد ريد » والدكتور « إسحق موسى الحسيني » والبرفسور « فضل الرحمن » والدكتور « نيازي برکس » .

أما البرفسور « ريد » فهو نجل المستشرق الأمريكي المعروف « كاس ارثر ريد » رئيس الكلية العالمية في أزمير وهي إحدى مؤسسات التبشير البروتستانية . وقد خدم البرفسور ريد كضابط استخبارات مع الأسطول الأمريكي خلال الحرب العالمية الأخيرة .

والدكتور « إسحق موسى الحسيني » أديب فلسطيني معروف وكان قبيل التحاقه بمعهد جامعة « ماكجيل » الكندية يقوم بتدريس اللغة العربية في جامعة بيروت الأمريكية ، وقد اشتغل الدكتور الحسيني بالتدريس في معاهد فلسطين قبل الكارثة التي حاقت بهذا البلد الإسلامي .

والبرفسور « فضل الرحمن » عالم باكستاني اشتغل بتدريس الثقافة الإسلامية في جامعات بريطانيا والبنجاب . أما الدكتور « برکس » فهو أستاذ تركي في جامعة أنقرة .

وقد وضع المعهد الجديد في جامعة « ماكجيل » برنامجاً لدراسة « الإسلام في حاضر العالم » يستغرق تدريسه ٥ سنوات .

اليونسكو وضرورة العالم الثقافية :

تقدم اليونسكو (مؤسسة التربية والعلوم والثقافة العالمية) بإعداد مشروع اتفاقية دولية لتنظيم وسائل حماية التراث الثقافي في مختلف مناطق العالم . وكان المؤتمر العام لمؤسسة اليونسكو عام ١٩٥١ قد أقر توصيات تقضى بأن تقوم كل دولة على حدة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بصون منشآتها الثقافية ، كما أوصى المؤتمر - بناء على اقتراح قدمته حكومة إيطاليا - بأن تدفع كل دولة لإعلانها خاصاً بها يؤكد حمايتها لمواقعها الثقافية .

وقد أعلنت حكومة العراق مؤخراً تعهداتها بتنفيذ هذا القرار والامتنال لهذه التوصية .

٣ - التوتر الداخلي في دولة ما ، وعلاقته بسياساتها الخارجية خاصة ، والتوتر الذي يعترى العلاقات الدولية عامة .

٤ - العوامل النفسية في سياسة الوساطة ، والمفاوضات السلبية ، والعلاقات الدبلوماسية .
وجدير بالذكر أن هذه الموضوعات تتخطى الفائدة العلمية وتصل اتصالاً مباشراً بالناحية العملية والتطبيقية في السلوك السياسي في نطاقه الدولي .

طبعة الكتب الروسية في أمريكا :

خصصت مؤسسة فورد الخيرية (صاحب مصانع السيارات المعروفة بهذا الاسم) مبلغاً كبيراً من المال لطباعة أمهات الكتب الروسية الأدبية والعلمية باللغة الروسية في المطابع الأمريكية ، لتوزيعها على المتخصصين بدراسة الشؤون والثقافة الروسية في الجامعات وألسنة الرأي العام ، ولكي توزع هذه الكتب على المهاجرين الروس الذين يعيشون خارج الاتحاد السوفيتي .

النقد الأدبي قديماً وحديثاً :

أصدرت جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة جديدة لبحوث عميقة بأفلام عدة من أقطاب الأدب الأمريكي ، يعالجون فيها فلسفة النقد الأدبي وتطوره في تاريخ الأدب

وقد أرسلت العراق نص هذا التعهد إلى المركز العام لمؤسسة اليونسكو بباريس .

علم النفس الاجتماعي ومساكن السلم والحرب

عقدت في باريس في أواخر شهر أغسطس حلقة علمية تحت إشراف اليونسكو مكونة من ١٣ عالماً من أساتذة علم النفس الاجتماعي لدراسة المساهمة الجديدة التي يمكن لعلم النفس الاجتماعي أن يعين بها صناع السياسة الدبلوماسيين والحكومات والأوساط الشعبية الواعية للثقل على الانجذبات العنيفة التي يبدو أنها تقود العالم إلى حرب عالمية جديدة .

وقد سبق لهؤلاء العلماء في العام المنصرم أن اجتمعوا في ستوكهولم ، عاصمة السويد . ودرسوا هذا الموضوع وقرروا عرضه على مؤسسة اليونسكو للإشراف على دعوة حلقة لدراسة المفصلة يكون لها الطابع الدولي الذي تتمتع به اليونسكو . وهذه هي مواضيع البحث في هذه الحلقة :

١ - ما هي الصورة (الخاطئة أو الصادقة) التي يحملها شعب ما عن الشعوب الأخرى التي تشارك في العائلة الإنسانية .

٢ - النواحي النفسية في التطور الفني الذي يلم بالمجتمعات التقليدية والمجتمعات التي لم يكتمل نموها الاجتماعي .

ذكرى انقضاء ١٦٠ عاماً

على ميلاد «شلى» الشاعر الإنجليزي

احتفلت الأوساط الأدبية في كثير من بقاع العالم بذكرى انقضاء ١٦٠ عاماً على ميلاد الشاعر الإنجليزي العبقري «برسى شلى» وتراث هذا الشاعر يمتاز بالروح الحرة الطليعة الوثابة، التي ثارت على الأوضاع الفاسية في المجتمع وصاغت هذه الثورة في عقد من التقصيد الرقيق. وكان المقدر لهذا الشاعر الإنجليزي أن يزيد من تراث الشعر العالمي أضعاف ما خلفه في حياته القصيرة فقد مات شلى في عنفوان الشباب.

الأهموسى والمقدرة

على التعبير عن الحقائق في أدب التراجم

عاج الكاتب الهنغارى «مانس سبربر» أدب التراجم الشخصية في عدد ٦ يولية سنة ١٩٥٢ في الملحق الأدبى لجريدة نيويورك تايمس بمناسبة الظاهرة الطارئة على الإنتاج الأدبى فى أمريكا و « الاعترافات » ، التى أغرم بها الكاتب مؤخرًا و التى تقبلتها الأسواق الأدبية قبولاً حسناً .

ويعتقد المسيو سبربر أن أدب التراجم يروج فى الفترات التاريخية التى تسكن فيها الحروب ويزداد فيها الفلق ، و تنتشر فيها الانقلابات والثورات وما يترك ذلك كله من أثر مباشر على حياة الناس واتجاهات المجتمع . ففى هذه الفترات

القديم والحديث . والغاية من هذا المؤلف الجديد هو توجيه الناشئين من النقاد بحيث يتفادون الأخطاء التى ينزلق إليها كل من آنس فى نفسه مقدرة على التطرف إلى النقد الأدبى ، غير مدرك لمسؤوليته وأثره فى الإنتاج الأدبى وفى النمو الثقافى للشعوب الحية .

ويكاد يجمع هؤلاء الأقطاب الذين اشتركوا فى وضع هذه المجموعة على الخط من القيمة الفنية للكثرة من النقاد المعاصرين الذين أغرام أنساع تجارة الكتب والمجلات إلى معالجة الإنتاج الأدبى دون استعداد عقلى وثقافى لهذه المهمة .

ذكرى جوركى الطائب الروسى المعروف :

أقام سكان مدينة «جوركى» الروسية احتفالاً تذكاريًا لهذا الكاتب الروسى الشهير وأصدرت المطابع الروسية سجلاً لهذا الاحتفال .

وهذه المدينة حديثة العهد إذ أن الحكومة السوفيتية قد أنشأتها تخليداً لذكرى هذا الأديب الذى سبق الحركة الشيوعية الروسية فى انتقاد مساوىء الحكم وفقدان العدالة الاقتصادية ، والاجتماعية فى المجتمع الروسى . وجوركى من الأدباء الروس القلائل الذين أبقت الحكومة الروسية على ذكرهم بعد أن توطد الأمر للحزب الشيوعى فى السيطرة على مقومات الحكم والحياة فى البلاد الروسية .

من غير وعى لإخفائها - أو على الأقل إخفاء جزء منها - لا يسر اطلاع الناس عليه . فهو لا يصف نفسه كما هي على حقيقتها السافرة ولكن كما يريد أن يعرف بها بين الناس . وحتى لو أخلص الكاتب في اعترافه أو ترجمة حياته الشخصية فلا مفر من أن يستر - عن وعى وعن غير وعى - ألوانا من هذه الحياة لا يستطيع اطلاع الناس عليها لا لأنه يخشى ذبوع ذلك ولكن لأنه لا يدركها هو نفسه حين يسجل في اعترافه هذه الألوان .

ويحاول المسيو سبربر أن يحلل أسباب هذا التناقض بين الإخلاص في التعبير وبين نشر الحقيقة المجردة في أدب الاعترافات والتراجم فيقول : إن المرء حين يكتب عن نفسه يصبح أشبه بالرجل الذين يشاهد نفسه في المرآة . فهو لا يرى نفسه كما هي ولكن يشاهد بعينه خيالا لنفسه في موقف مخرج . فالنظر في المرآة حالة من حالات العزلة النفسية . وعقل المرء في عزلته النفسية أقل خصوبة منه في الحالات التي يتصل فيها عن كسب بالحياة والمجتمع .

وسبب آخر لا يركى الحقيقة في أدب التراجم الشخصية والاعترافات . وهو أن الذي يدون اعترافاته ويكتب سيرة حياته هو في الواقع إنسان ارتكب محرما أو خطيئة فجاء يطلب الصفح والمغفرة عن طريقة الاعتراف وكتابة سيرته الخاصة .

ومن أسباب التناقض بين الإخلاص والحقيقة

تزداد الرغبة بين الناس في التعرف على خفايا الحوادث وما استتر فيها من هذه المعاملات ، السياسية والمساومة الدبلوماسية وما إليها من أوجه العلاقات بين الدول وبين الأفراد والهيئات ، فاشتداد الرغبة بين الناس في التعرف على هذه الخفايا يخلق في الكتاب وأولى الزعامة الفكرية والسياسية ، والذين ساهموا في حدث من أحداث التاريخ المعاصر ، اتجاها لرى هذا الظمأ وتعريف الناس هذه الخفايا كما اختبروها عن كسب في حياتهم الخاصة أو في مشاركتهم في الشؤون العامة التي أولدت هذه الأحداث التاريخية وهذه التيارات الفكرية .

ويشير هذا الكاتب الهنغاري إلى أن النقطة الجوهرية في موازنة أدب مترجم هو التفرقة بين إخلاص الكاتب وبين الحقيقة المجردة التي يحاول أن ينشرها في الناس على لسانه وحسب اختباره لها وتفهمه لجوهرها .

وهذه نقطة تؤلف محور النقد والتحليل الذي يعالج به النقاد والقراء أدب التراجم ، فقد سبق لجان جاك روسو في اعترافاته ، الشهيرة أن لمس دقة هذه النقطة . فقال في المقدمة الأصلية لاعترافاته ، - وهي مقدمة لم تذشر في النص المتداول : لا يستطيع أحد أن يصف حياة امرئ غير هذا المرء نفسه ، حقيقة تلك الحياة وأسرارها الدفينة شيء لا يقوى على معرفته إلا ذلك المرء نفسه .

ولكن المرء حين يسعى لوصف حياته يتجه

وفي نفس الوقت أعلن مركز البابوية الكاثوليكية في الفاتيكان بأن النسخة المتداولة حالياً من التوراة والإنجيل في البلدان الكاثوليكية التي تتكلم اللغة الانجليزية قد عدلت ، وأن الكتاب المقدس سيظهر قريباً في طبعة معدلة يراعى فيها التطور الذي أُلْم بالغة والفسر الانجلوسكسوني المعاصر . وغرض الاوساط الكاثوليكية من هذا التعديل في لغة التوراة والإنجيل هو تسهيل القراءة واستيعاب الحكم والعظات في الكتاب المقدس على اللشء الجديد من الكهنوت والرعية . وستشرف على طبع هذه النسخة الكاثوليكية المعدلة من الكتاب التوراة والإنجيل رئيسة إحدى أديرة الراهبات الكاثوليكية .

وقد سبق للجمع الحاخامي اليهودي العالمي في عام ١٩١٧ أن أدخل تعديلات جمة على الترجمة الانجليزية لتوراة اليهود (وهي العهد القديم في الكتاب المقدس الذي يستعمله المسيحيون) . ويحاول اليهود حمل المراجع المسيحية على إزالة بعض الآيات من العهد الجديد التي تسمى باليهود وتعذيبهم للسيد المسيح .

السرطان والطب العربي :

أذاعت وكالة أنباء الشرق من بيروت الخبر التالي :

زار وكالة أنباء الشرق السيد محمد سعيد النحيلي من سكان شارع حيرا في بيروت وروى القصة التالية :

في آدب السير الشخصية والاعترافات ، كون الذين يلجأون إلى هذا النوع من الكتابة مشغوفين بالتطلع إلى ما ودوا لو كان لهم ، والنفور عما كان لديهم . فهم والحالة هذه عاجزون عن إدراك ما هم فيه الآن .

فالإخلاص في القيام بعمل ما أدبياً كان أم مادياً لا يعنى المقدرة على اكتشاف الحقيقة ، فالإخلاص شيء والمقدرة على بلوغ الحقائق والتعبير عنها شيء آخر .

إعادة كتابة التوراة والإنجيل :

يشغل رجال الكهنوت في أمريكا في إعادة كتابة الكتاب المقدس ، مبتدئين بالعهد القديم (التوراة) ومنه إلى العهد الجديد (الإنجيل) .

فقد أعلن مجمع الكنائس البروتستانتية الأعلى في الولايات المتحدة الأمريكية بأن لجنة من أهل الاختصاص في اللاهوت واللغات الشرقية القديمة قد تفرغوا منذ سبعة أعوام إلى إعادة كتابة التوراة والإنجيل في لغة عصرية مجردة من التعابير القديمة التي يحتويها الكتاب المقدس في ترجمته الحالية المعمول بها في العالم البروتستانتي . وستصدر الطبعة الجديدة من الكتاب المقدس في صورته المعدلة في أوائل الشتاء المقبل .

وقد كلفت سيدة من المتبحرين في اللغة الانجليزية بالإشراف على طبع النسخة الجديدة من التوراة والإنجيل .

ويقول هذا الصحنى إن بعض مآثم الإيرانيين تخصص بلجم الدموع، إذ يملأ الناحون قطعاً من الإسفنج لالقاط دموعهم المسكوبة على خدودهم في فترات الانفعال النفسى العنيف الذى يجرى فى هذه المآثم .

وتؤخذ قطع الإسفنج المبللة بالدموع إلى أحد الرؤساء الروحانيين للجماعة فيعصر الدموع الراسبة فيها فى قوارير صغيرة تخزن للاستعمال عند الحاجة .

وهذه عادة تعود إلى ألوف السنين وقد أشار الصحنى الفرنسى إلى أن النوواة قد سجلت هذه العادة فى المزمور الخامس والعشرين إذ يقول داوود : « قد عودت مهاجراتى فادخر دموعى فى كنوزك أو ليست فى سفرك » .

أول من اخترع المصباح

كتب أحد علماء الفيزياء الأمريكان يجادل القول بأن ماركونى الإيطالى هو أول من اخترع الراديو .

ويدعى هذا العالم الأمريكى أن أول من اخترع الراديو هو مزارع أمريكى فى بلدة موارى فى ولاية كنتاكي فى الولايات المتحدة الأمريكية واسمه ناتان سبتفيلد . وذلك إثر تجربة قام بها فى سنة ١٨٩٢ ، أى قبل تجربة ماركونى بثلاث سنوات .

وتجربة المزارع الأمريكى كانت باستعمال سلك عادى استطاع أن يحمل حديثه إلى مسافة طولها أكثر من ميل .

إننى مصاب بداء السرطان فى قصبة رجلى اليسرى وقد أجريت لى عملية جراحية فى مستشفى الصنائع ثم جلسات كهربائية فى مستشفى أوتيل ديور ، فلم أحصل على فائدة .

وقد توالى نزيف الدم حتى هزل جسمى وساءت صحى ولزمت الفراش وقد أصابنى فقر شديد فى الدم .

وقد تقدم مؤخراً لمعالجى بواسطة العقاقير العربية السيد محمد معاذ فوقف نزيف الدم بعد أربعة أيام من بدء المعالجة وبدأت الكتلة السرطانية تتقلص والدرة السرطانية تنكشف من جميع جهاتها ما عدا جهة العظم وقد خف سريان الماء والروائح الكريهة المنبعثة من السرطان .

هذه هى القصة كما رواها المصاب حرفياً . واستطردت وكالة الأنباء توضح ما يأتى :

وزيادة فى التثبت من صدق هذه القصة استدعت الوكالة السيد محمد معاذ الذى أكد صحة ما رواه المريض وأطلعنا على إفادات مسجلة إليه من الدكتور عفيفى بربر طيب المؤسسة الفرنسية لمكافحة السرطان فى بيروت .

دموع الشفاء :

يقول صحنى فرنسى زار إيران مؤخراً : إنه دهش لنجاح الطريقة التى يعالج بها بعض الإيرانيين مرضاهم بالدموع واعتقاد هؤلاء بأن الدموع تشفى من الأمراض المزمنة .

في شكل أقراص بيضاء كأقراص الاسبيرين تحت ثلاثة أسماء .

نايدرازيد — ذريمفون — مارسيليد .

وهذه الأقراص تؤخذ بطريق الفم ولها تأثير سريع على المرضى وليست لها خاصية التسمم . وأثمانها معتدلة .

وقد أثبتت التجارب التي أجريت على مرضى السل بواسطة هذا الدواء الجديد أن جرثومة السل لم تظهر مقاومة قوية ضد هذه الأقراص . وقد أولدت هذه التجارب نتائج عجيبة . فقد ثبت أن تأثير هذه الأقراص على المرضى الذين قطع منهم أمل الشفاء كان من قبيل المعجزات . وهذا التأثير النافع حدث للمرضى من جميع الأعمار والاجناس وفي الحالات المزمنة .

ومن ظواهر مفعولية هذا الدواء الجديد ما أثبتته النتائج الأولى وهي هبوط حرارة المريض إلى الحد الطبيعي بعد أن كان ارتفاعها - قبل استعمال الدواء ، يصل إلى ١٠٣ أو ١٠٥ درجات . وقد تضاءلت قابلية الأكل والنشاط عند المرضى بشكل ملحوظ وزادت أوزانهم زيادة سريعة ، وهذه النتائج السريعة على غاية من الأهمية كما يشهد بذلك الاهتمام البالغ الذي تظهره الأوساط الطبية نحو هذا الدواء السحري .

ولن تستطيع الأوساط الطبية أن تعطى حكمها النهائي على مفعول هذا الدواء الجديد قبل مضي أشهر أو سنوات ليتأكد الأطباء من شفاء المرضى شفاء تاماً والتيقين من ظواهرها التي هي ظواهر عارضة ليس إلا . دكتور عمر حليق

وقد سجل هذا المزارع اختراعه في سنة ١٩٠٨ وحصل على امتياز لإنتاجه على شكل أدق هونة أحد الشركات التجارية .

ويقول العالم الأمريكي إن بعض المحتالين استطاعوا سرقة سر اختراع المزارع الأمريكي فذهب ضحية هذا الاحتيال وأففق بقية حياته منزلاً في قرية نائية يلهو بتجاربه اللاسلكية .

معالجة السل بعقاقير جديدة

نجحت الدوائر الطبية في أمريكا في اكتشاف دواء جديد للسل ، فقد كانت الوسائل الطبية المألوفة في معالجة مرض السل على ثلاثة أنواع :

١ — مناخية وغذائية .

٢ — جراحية .

٣ — عقاقيرية .

والدواء الجديد يستند إلى المعالجة العقاقيرية . فالعلاج العقاقيري تهدف إلى قتل الجرثومة أو تقوية مكافحة الجسم لها بواسطة أملاح الكلس والذهب والحديد ، وكان الأطباء يقترحون للعلاج مادة (الستراپتومايسين) و (الاسيد بارميند سكيليك) .

أما الدواء الجديد فمشقت مباشرة من (الاسيد نيكوتينيك) أحد فروع الفيتامين ب . وهو يستخرج بكميات كبيرة وبسهولة ونفقات رخيصة من الفحم الحجري ومشتقاته . وقد أخذت المعامل الكيماوية الأمريكية تخرجه

العجل إلى الإسلام في شهر رمضان

الهم إلا فئة قليلة ممن يبعثون الخير ولكنهم لا يجدون إلى غايتهم سبيلا .

وكانت بلية مصر بملكها أعظم من بليتها بزعمائها وحكامها ؛ فلقد أمعن هذا الملك في اللهو وأسرف في التبذل ، وراح يجمع المال ولا يقنع ، ويأكل بالباطل ولا يشبع . ولت أمره اقتصر على فساد شخصه ؛ بل لقد عمد هذا الالهى الهازل إلى إذلال شعبه ما وسعه الإذلال ، لا يعبا بما يصيب أمته ما دامت كلبته هي العليا ، وما دام ينظر إلى الناس جميعا في تبطله واهوه نظرتة إلى عبيده .

وأحاط اليأس بالناس ، فإذا اجتمع الأحرار تهامسوا يتساءلون كيف الخلاص ، والعدو الأجنبي يتربص بمصر الدوائر ، وقادتها قد أحزوا رؤوسهم للطاغية العاثة ؟ ثم ينصرف المنهاسون وفي قلوبهم حسرات ومن حولهم ظلمات .

ولكن الأحرار لم يكونوا يعلمون أن الله قد كتب لمصر النجاة على يد جيشها الباسل ، فقد تحرك الجيش لا كما تتحرك جيوش الطاغين ليضرب الشعب بل تحرك ليعيد عن مصر من أذل ذلك الشعب .

وتطلعت مصر فإذا بها ترى الرجل الذي حملت به طويلا حقيقة ماثلة أمامها . وقد رأت مصر القائد محمد نجيب ، يفعل ولا يتكلم ، فيتقدم باسم الشعب المصرى إلى الطاغية فيطلب إليه

وثبة الجيوش المصرية على الطغيان :

لقد مر زهاء شهرين وهذا العدد في أبدي القراء ، على تلك الحركة المباركة ، ألا وهي وثبة الجيش المصرى على الطغيان .

وإن هذه الحركة الموفقة لما يؤرخ به في مصائر الأمم ، ذلك أنها نقلت تاريخ مصر من فصل إلى فصل شأنها في ذلك شأن الحركات القومية الكبرى .

واسوف يكون لهذه الحركة الميعونة أثرها البعيد في مستقبل الشرق الأوسط كله فيما نعتقد ، فإن مثل هذه الحركات الخطيرة العظيمة الأهداف لن يقف أثرها عند البلد الذى انبعثت منه وبخاصة في هذا العصر الذى عظمته فيه أسباب الاتصال بين الأمم والذى ازدادت فيه أواصر القربى بين مصر وجاراتها .

لقد ظلت مصر سنوات طويلة بعد وثبة سعد على الاحتلال ، تعاني من أصناف البلاء وضروب المساوىء ما نفذ معه صبرها ؛ ذلك أن ساداتها وكبرائها ، قد اقتنعوا من الإصلاح بالخطب والكتابة ، حتى بحت الاسماع والأذهان دعوة الإصلاح ورأت مصر أن الفاقة والجهل والمرض توبق أرواح بنينا ، أن غاية الحاكمين من الحكم هي المغانم وهم في ذلك سواء مهما تغيرت الوجوه والأسماء

لعظيم ، وحسبنا أن تصرف اليأس عن القلوب ، وأن تبتث الثقة في النفوس ، وأن تربط بين الحاكم والمحكوم بروابط المحبة ، وأن تجعل الناس يؤمنون بالعدل ويسمون بأنفسهم فلا يرتضون بعد اليوم ذلاً ولا يخافون ظملاً ولا هضمًا .

ولهذه الحركة الموقفة أثرها بعون الله فيما بيننا وبين الدول الأجنبية ، فقد آمن من لم يكن يؤمن أن مصر جادة لن يعوقها عما تطلب لنفسها من مكانة بعد اليوم عاتق ، ولن يصدها عن سبيلها مدع ولا عائب ، والله موفقها إلى ما تريد .

لبنانه وحركة الإصلاح والتطهير :

في لبنان اليوم حركة تهدف إلى الإصلاح الشامل والتخلص من مساوئ الماضي وما أشبه ما يطلبه لبنان بما ظفرت به مصر ؛ وهكذا أخذ يتجاوب الشرق بأصداء الحركة المصرية .

تقدمت الجبهة الشعبية المؤلفة من الكتائب والهيئة الوطنية والمؤتمر الوطني إلى رئيس الجمهورية تطلب إليه أن يسند الحكم إلى شخصيات نزيهة لم يسبق لها الاشتراك في الحكم ، بحيث تتألف منها وزارة شعبية قوية ، هدفها الإصلاح الحق والتطهير الشامل ، من الفساد والرشوة واستغلال النفوذ . وكان رئيس الجمهورية قد أعد برنامجاً شاملاً للإصلاح أقرته عليه وزارة سامي الصلح . ولكن نواب المعارضة حلوا حملة قوية على رئيس الجمهورية ووصفوا برنامجه الإصلاحى بأنه برنامج سطحي

في اليوم السادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ أن ينزل عن عرشه لولى عهده قبل الساعة الثانية عشرة ، وأن يغادر البلاد قبل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم .

وتم للقائد الذى ادخره الله لهذا اليوم للمشهود ما أراد ، وانقضى أمر الطاغية كما كانت تنقضى ليلة من ليالى فسوقه !

وجاءت هذه الثورة الجليلة النبيلة متممة لثورة القائد أحمد عرابي ، فإن عرابيا قد دهمه الاحتلال فلم يحقق ما أراد من إصلاح ؛ وظلت مصر مغلوبة على أمرها حائرة بين الظلام والثور حتى أهل هذا الفجر الجديد وأخذ القائد المظفر وأعوانه من العاملين الخالصين يضعون في سرعة تدعو إلى الإعجاب أسس الإصلاح التى طالما تحرقت إليها البلاد .

وحل النهوض والتطهير محل القعود والفساد ؛ وافتتح في تاريخ مصر عهد وتم لها في مدى شهرين ما لم تكن لتبلغه في عشرات السنين ؛ فها هي ذى التشريعات والقوانين التى كان يظنها الناس أحلاما ، ترى بعضها فى إثر بعض ، ومن أهمها قانون تحديد الملكية ، وكلها مؤدية بعون الله إلى بعث جديد . ورأت مصر وزراها يتنافسون في العمل المثمر ، يحسون إحساس الشعب ولا يجعلون بينهم وبينه حجابا ورأى في ذلك قائدهم المخلص الباسل الذى قوض دعائم الفساد والظلم . ولن يقتصر أثر هذه الحركة المباركة على الإصلاح المادى وحده ، فإن خطرهما الأدبى

فى العدد الماضى إلى أن فرنسا لم تتقدم بهذه الإصلاحات إلا حين أرادت أمريكا أن تخرج من حرج موقفها بعد أن امتنعت عن التصويت حينما أريد عرض قضية تونس على مجلس الأمن إذالم تفقد الحكومة الفرنسية برنامج إصلاح داخلى فى تونس .

وقد تقدمت فرنسا فعلا بما تراه من إصلاح ؛ ولكن الأزمة التونسية قد دخلت مرحلة حرجية ، فلقد أرسل جلالة باى تونس إلى رئيس الجمهورية الفرنسية كتابا رفض فيه مشروع قانون الإصلاح الفرنسى لأنه لا يتفق مع الأمن القومية للشعب التونسى .

مسألة البترول فى إيران

عادت إنجلترا وأمريكا تحاولان بعد حكم محكمة العدل الدولية فى مصلحة إيران ، أن تحملا إيران على حل هذه المشكلة عن طريق المقترحات والمفاوضات ، فتقدمتا إلى الدكتور محمد مصدق باقتراحات جديدة ، وقد وصفها الدكتور مصدق بأنها أسوأ ما قدم إليه من مقترحات لحل هذه المشكلة منذ قيامها ، وأبدى عجزه من هذه الأساليب الاستعمارية التى لا تملأ إنجلترا ، ثم قال : إن المقترحات التى قدمها ترومان وتشرشل لحل مشكلة الزيت الإيرانى توحى بأن الحكومة البريطانية ما برحت تتبع سياستها القديمة تحت ستار ألفاظ وتعبيرات جديدة ، وأنه ليس

لا يحقق رغبات الشعب ؛ وأصروا على وجوب إقصاء كل من كان له يد فى فساد الحكم منذ سنوات عديدة .

ولم يسغ السيد سامى الصالح هذه المطالب ؛ ورفض أن يستقيل من الحكم وأعلن أنه يطابق قبلة سياسية إذا أصر رئيس الجمهورية على إقصائه من منصبه .

وفى التاسع من هذا الشهر اشتدت الأزمة اللبنانية ، فقد استقال أعضاء الوزارة فلم يجد رئيس الجمهورية بدا من إعفاء السيد سامى الصالح من منصبه ، ثم عهد إلى مجلس وزراء مؤقت مكون من ثلاثة أعضاء للقيام على شؤون الحكم حتى تؤلف وزارة جديدة ، ولا شك أن صفاء الجو رهين بما يعتزمه رئيس الجمهورية حيال مطالب الشعب ، وعلى مبالغ ماثقة أية وزارة من هذه المطالب ، فلم تعد ترضى الشعوب إلا بالعمل الحاسم الذى يقضى على ما تحملمته طويلا من ضروب الفساد والعدوان . وقد جاءت الأنباء اليوم بأن الجيش اللبنانى أرغم رئيس الجمهورية السيد بشارة الخورى على الاستقالة وقد و أنه تولى الحكم

مسألة تونس

لا يرى الوطنيون فى تونس هدفا لهم إلا الاستقلال التام عن فرنسا ؛ أما ما تقدم به فرنسا من مقترحات للإصلاح فما هى فى نظر الوطنيين إلا من الأعياب السياسة ؛ ولقد أشرنا

طرائف علمية وأدبية

البيان والبيدع في القرآن
محاورة بين أبي بكر بن دريد وأبي حاتم السجستاني

ابن دريد قال : قلت لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني : إن الشعر يتضمن من محاسن البيان ما لا يكاد يوجد إلا فيه ولا يؤخذ إلا منه . فقال : لا أعلم شيئاً مما تولى إليه إلا وقد اشتمل القرآن عليه ووجد في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم مثله ، وجاء في فقر الصحابة عدله . فلأم تشير ؟ فقلت : الاستعارة كقول امرئ القيس :
وايل كموج البحر أرخى سدوله

روى العلامة المحدث الرحالة أبو عبد الله محمد ابن رشيد الفهرى السبتي في رحلته (ملء العيبة) الجزء الثاني ، وهو بخط المؤلف ، من الفسخة الوحيدة المحفوظة بالاسكوريال (عن العلامة الأديب الناقد أبي بكر محمد بن حسن بن حبيش اللخمي التونسى بسنده إلى الإمام أبي أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكري مما تضمنه كتابه المسمى بالحكم والأمثال ، قال : أخبرنا أبو بكر

وقد أراد الدكتور مصدق أن يستوثق من مكانة وزارته قبل أن يقدم على أى عمل جديد بسبب هذه المشكلة ؛ لذلك قرر أن يطرح على مجاس النواب الثقة بوزارته بعد أن يفضى إليه بأسباب رفضه هذه المقترحات ؛ وقد يلجأ الدكتور مصدق إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران وإنجلترا .

وقد علق الزعيم الدينى آية الله كاشانى على تلك المقترحات الثنائية بقوله : إنها امتهان لكرامة إيران وندد بتدخل الدولتين في النزاع بين إيران وشركة البترول قائلا : إنه يعد تدخلا في الشئون الداخلية لدولة مستقلة .
محمود الحقيف

في تلك المقترحات أية مراعاة لشعور الشعب الإيراني ، .

ولم تر إيران بدأ من رفض هذه المقترحات الجديدة ، وسيمضى الدكتور مصدق في سياسته الوطنية الحازمة غير عابى بما تضعه إنجلترا في طريقه من عقبات سياسية واقتصادية ؛ ولاتألو حكومة الدكتور مصدق جهداً على الرغم مما يواجهها من صعاب ، في العمل على تذليل الصعوبات الاقتصادية التي ترتبت على هذه المشكلة وهي تستعين في سياستها باستشارة الخبراء الاقتصاديين العالميين .

عليّ بأنواع الموم ليتلى
فقلت له لما تمطى بحوزة
وأردف أعجازاً وناء بكل كل
وكقول أوس :

وإني امرؤ أعددت للحرب بعد ما
رأيت لها باباً من الشر أعصلا
فقال : أبو حاتم قال الله عز وجل : د واخفض
لها جناح الذل من الرحمة ، وقال تعالى : واشتعل
الرأس شيباً ، وقال عز اسمه : د أو يأتهم عذاب
يوم عقيم ، وقال : د وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ضموا
فواشيكم حتى تذهب لجمة العشاء ، وقال خير الناس
رجل ممسك بضئان فرسه في سبيل الله كلما سمع
هبة طار إليها . وقال صلى الله عليه وسلم : دب
إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، وهي
الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر . وقال أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : السفر
ميزان القوم ، وسأل عليه السلام كبير فارس عن
الغالب على أنوشروان فقال : الحلم والناة ، فقال
أمير المؤمنين : توأمان ينتجها علو الهمة . ووصف
أعرابي قومه فقال : إذا اصطفا وسفرت بينهم السهام ،
وإذا تصافوا بالسيوف فغر (فاه) الحمام .
قال أبو بكر : فقلت حسبي ، فالحجاس كقول جرير :

وما زال معقولا عقال عن النسي
وما زال محبوساً عن المجد حابس
وكقول زياد الأعجم :
رأيتهم يستصرون بكاهل
وللؤم فيهم كاهل وسنام
وكقول العبيس :

(١) في طرة الأصل بخط المؤلف : يذكر أسلم في هذه
الرواية ، وذلك لأنه ورد في رواية أخرى بلفظ أسلم سالمها
الله . وغفار غفر الله لها ، وهي أيضاً صالحة للاستشهاد بها
وعصية ، وغفار ، وأسلم ، فيأئل من العرب .

الزكام

الزكام مرض خفيف عادى لسكنه من أغرب الأمراض التي تطرأ على الإنسان ، ولم يهتد الطب حتى الآن إلى علاج فعال له ، وقد صرح أحد مشاهير الأطباء وهو الدكتور أندروز في محاضرة عن الزكام ألقاها منذ نحو ثلاث سنوات أمام جمعية الفنون الملكية بلندن بقوله : « سأحدثكم عن جهلنا بالزكام أكثر مما أحدثكم عن معرفتنا به » . والدكتور أندروز كان رئيس لجنة من الأطباء عهدت إليها المراجع الصحية في بريطانيا إن تدرس الزكام دراسة علمية مستفيضة ، ولكنها لم تصل إلى نتيجة حاسمة .

أما الأدوية التي توصف للزكام فلا تحصى لكثرتها وقد يبجل حتى اليوم بلندن وحدها في دائرة تسجيل الاكتشافات والاختراعات نحو عشرة آلاف دواء للزكام ولكن بدون جدوى .

والسبب الرئيسي الذي يعيق دراسة مرض الزكام هو أن جراثيمه صغيرة جداً من نوع الفيروس حتى إن المجهر الإلكتروني رغم قوته الكبيرة لا يستطيع أن يظهرها . وهذا الصغر لا يمكن العقل أن يحده ولا أن يتصور كيف تعيش هذه المخلوقات المتناهية في الصغر .

ويؤخذ من أبحاث تلك اللجنة أي المنديل الذي يستعمله الزكام تثار منه نحو ١٥ ألف ذرة وفي كل ذرة عدد كبير من فيروس الزكام ، وإن السعلة الواحدة تثر نحو أربع مائة من هذه الذرات . أما العطسة فتثر نحو مليون .

فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ، وقال رحمه الله وقد عوتب على تخويفه الناس بوعظه : إن من خوفك حتى تلقى الأمن ، خير من عن أمنك حتى تلقى الخوف .

قال أبو بكر : فقلت : حسبى فرد إعجاز الكلام على صدوره كقوله :

غريب بنى سليم أقصده

سهام الموت وهى له سهام
فقال أبو حاتم : قال الله عز وجل : « لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بإعذاب وقد خاب من افتري » . وفي الحديث : من مقت نفسه أمته الله من مقتته .

قال أبو بكر : فالالتفات من الكفائية إلى المخاطبة كقول جرير :

متى كان الخيام بذى طلوح
سقيت الغيث أيتها الخيام

وكقوله :

طرب الحمام بذى الأراك فما جنى

لا زلت في غلل وأيك ناضر

قال أبو حاتم : قال الله عز وجل : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرّين بهم » . وقال : « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » . ثم قال : « وبرزوا لله جميعاً » .

فقال أبو بكر : حسبى أنك لا تتكأ .

رئيس التحرير
 محب الدين الخطيب
 برل الاشتراك
 ٥٠ في مصر والسودان
 ٦٠ في الانتظار الاسلامية
 ٥ من الجزء

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة
 محمد عرفه
 من جماعة كبار العلماء
 العنوان
 إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
 تليفون ٤٦٩٩٥

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر سنة ١٣٧٢ - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة الأزهرى

في عهد المجيد

لو لم يكن لأحد في هذه الأرض رسالة قدسية عليا يؤمن بها ، ويعيش لها ، ويتصرف في جميع أموره - الخاصة والعامة - بمبادئها وسماتها ، لكان ينبغي أن يكون ذلك لربيب الأزهر ، لأنه مسلم يؤمن برسالة الإسلام ، وبها يحيا وعليها يموت .

ولو جاز لمسلم أن يحل بعض شعب الإيمان في رسالة الإسلام ، لكان ينبغي لربيب الأزهر أن يكون بمنجاة من هذه النقيصة ، لأنه - والله الحمد - عالم برسالة الإسلام ، وواقف على تفاصيل شعبها ، وقد ارتفع به علمه بهما إلى منزلة يحسده عليها كل ذى نعمة في الأرض ، وهى منزلة الوراثة لمقام النبوة ؛ والأزهرى من أعرف العارفين بما لهذا المقام من مزايا ، وما على صاحبه من أعباء ومسئوليات .

وللأزهرى ضمير طالما كان يناجيهِ في خلواته ، ويتحدث إليه - بين الفينة والفينة - بما حمله الإسلام من تلك المسئوليات والأعباء ، منذ تأهل لتصيبه في الوراثة من مقام النبوة ، إلا أن بعض الذين يؤثرون العافية في حاضرم ، كانوا يجدون لأنفسهم ما تعتذرون به إلى ضمائرهم يوم كانت تاجهم بما عليهم من أعباء الميراث الأعظم ؛ كيف لا والنظام الذى

كان قائماً في هذه الناحية من دنيا المسلمين ، أسسه لنا الأغيار على أنه سلم للإسلام في ظاهره بينما هو حرب عليه في مقوماته وحاتقه الجوهرية وأهدافه الإنسانية القصوى ، فكان ذلك النظام يحاول — بأساليبه المرنه وأنامله الناعمة — أن يحمل الإسلام على أن يبقى قابلاً في المسجد فلا يخرج منه بمبادئه وسننه إلى ساحات المجتمع ، وأندية الناس ، وأسواق التعامل ، ومدارس الثقيف ، فضلاً عن محاكم القضاء ودواوين الحكم . ومن هنا كان بعض حملة رسالة الإسلام يجدون لأنفسهم بعض العذر بأن أمام هذه الرسالة عقبات تعترضها ، وتحول بينهم وبين العمل بها .

ولا ينكر أحد على ورثة الانبياء أن فيهم طائفة لم تكن تبيح لنفسها الإسراف في هذه المعاذير ، لأن الله جل وعز وهبهم من مضاء العزيمة وسعة الاتق وحكمة التصرف ما يصل ماضى هذه الأمة بحاضرها ، ويلوح به النور في أهدافها نحو المستقبل .

والآن وقد أكرم الله الإنسانية بهذا الانقلاب العظيم الذى وقع على مرأى منا ومسمع في الثلاثة الأشهر الأخيرة ، فإنه سارى بين العلماء في موقفهم من رسالة الإسلام . وكما ذهب الانقلاب بذلك النظام الجاهلى الفاسد فقوضه تقويضاً ، فإنه قد ذهب كذلك بالمعاذير التى كان بعض ورثة الانبياء يعللون بها موقفهم من العمل برسالة الإسلام إذا ناجتهم ضمائرهم بما حملهم الله من أعبائها .

ويشاه الله أن تبدأ السنة الدراسية في معاهدنا الأزهرية ومدارسنا الرسمية وجامعاتنا بعد استتباب هذا الانقلاب المبارك ، فيقف المدرس من أبنائه الطلبة موقف الأمين على أتمن ما أتمن الله الامناء عليه في الارض ، ولما لأمانة مزدوجة : أمانة العلم ، وأمانة الجيل . بل أمانة الملة ، وأمانة الوطن .

إن النظام الذى أقامه الأغيار لنا في الجيل الذى مضى قد صرف النفوس عن تضامن الجماعة وتعاونها بالمبادئ الإنسانية الكريمة ، والسنن الإسلامية الحكيمة ، بما أيقظ من أنانيات ، وما هيج من شهوات ، وما أحدث من عصبيات وحزبيات ، وما ترتب على ذلك من فرقة وتشقت ، حتى صرنا إلى ما ضجت من شناعته الارض والسماء ، وتحولنا به عن إنسانيتنا المتراحة إلى مالا يرضاه لنا إلا العدو . وأفدح مامنينا به في عشرات السنين الأخيرة اختلاف قلوبنا عما أراد لها الإسلام أن تكون عليه ، وقد سرت عدوى ذلك من طبقة إلى طبقة ومن جيل إلى جيل ، حتى وصلنا إلى بداية السنة الدراسية لهذا العام ، وإذا

أمانة الجيل الآتى كلها بين يدى المدرس أزهرىا كان أو فى المدارس الأخرى والجامعات . وإن الدولة بجميع قواها قائمة الآن بمهمة التطهير ، ومهمتها هذه تتناول آثار ما أفسد الدهر من قلوب الخاصة ، وهامى ذى قلوب الخاصة نفسها من سيتولون بعد سنوات قريبة جميع أمور الأمة — من صغيرها إلى كبيرها — قد وضعها الله أمانة بين أيدى القائمين بالتدريس ، وهم مكلفون من الله ، ومن روح النظام القائم ، ومن حاجة الأمة الملحة ، بأن يعنوا بقلوب تلاميذهم فيعدوها للطهر والفضيلة والشهامة والرجولة ومكارم الاخلاق .

وأول ما يكون ذلك بالقدوة والأسوة . والتلميذ الناشئ يتعلم مما يرى بعينه أكثر مما يتعلم مما يسمع بأذنه ، والدعوة بالقدوة والأسوة هى التى تمت بها أعظم معجزة عرفتها مصر فى ألوف مؤلفة من السنين ، وذلك يوم تحولت عما كانت عليه إلى ما رأت بعينها آثاره الباهرة فى سيرة أبى عبد الله عمرو بن العاص السهمى وصحبه الأكرمين ، بل هى تنازلت حتى عن لغتها إلى لغة هؤلاء الفضلاء الرحماء الطاهرى القلوب العاملين بسنن الانبياء من إبراهيم إلى موسى فالمسيح نحاتم النبيين وإمام المصلحين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . فبالقدوة تحولت مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا عن دياناتها إلى دين الإسلام فى عشرات قليلة من السنين ، وبالقدوة وحدث قومياتها بقومية هؤلاء الانسانيين السائرين على قدم الانبياء ، وانصرفت عن ألسنتها إلى لسانهم ، فكانوا جميعاً أمة الحق والخير ، وبالقدوة يستطيع مدرسو الأزهر والمدارس الأخرى كلها أن يطهروا قلوب أبنائهم رجال الجيل الآتى ، فيحدثوا فيها انقلاباً — كالانقلاب العسكرى — فى أقل من سنة ، بل من الحصة الاولى التى يلقون فيها أبناءهم الطلبة ويتمتعون معهم العهد أمام الله على أننا عزمنا على أن نكون أمة صدق وحياء وجد وعمل ، نقيم الحق حيثما يكون ، وتعين على الخير ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلى (تلميذ أميرى المؤمنين عثمان ابن عفان وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب) : « حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن — كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ،

وهذا معنى قول أم المؤمنين عائشة يوم سألتها التابعون عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » ، أى أنه وأصحابه كانوا كلنا حملت رحمة الله إلى إنسانية الأرض آية في تقويم الأخلاق وتهذيبها تخلقوا بها بالعمل ، حتى تكون خلقهم الأصل ، وحتى تصدر أعمالهم كلها عن ذلك الخلق كما أراد الله لعباده . فالعلم حجة على صاحبه حتى يصحبه العمل ، والعلم بلا عمل أضر على صاحبه من الجهل البسيط ، ولذلك استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع . ولا ينفع التليذ بمعرفة المبادئ إلى درجة أن يعمل بها وتكون سنة له في الحياة إلا إذا تآتى ذلك بالقوة ، ورأى تطبيقه وتنفيذه في تصرفات أبيه في الروح ، وهو المعلم الذى ائتمنه الله على فلذات أكباد الناس ، وعملت الدولة آمالها عليهم في إقامة الحق والخير للوطن ، بعد أن تستريح هى من عناء التطهير فيما أفسدته الاجيال التى عاصرناها والتي سبقتنا .

إن القيام بمهمة « التطهير » له ناحية رسمية تتعلق بموظفي الحكومة والذين يتصل سلطانهم ونشاطهم بأمانات الدولة والمصالح العامة ، وهؤلاء قد رسمت الدولة خططها الحكيمه في تمحيصهم ، واستخلاص ذوى الايدى الطاهرة منهم ليحملوا بها تلك الامانات ، وليؤدوا بها ما نيظ بهم من مصالح . وهناك ناحية أخرى للتطهير تتصل بقلوب الامة ونفوسها ، والقيام بذلك من واجب ورثة الانبياء حيثما كانوا وحيثما يكون الناس . فالعالم المسلم إذا بدأ فطهر قلبه ، وأخلص لله نفسه ومداركة وجوارحه ، جعل الله له على قلوب الناس ومداركهم وجوارحهم سلطاناً يصوغها به على ما يرضى الله في كل ما يصدر عنه من توجيه وإرشاد ، وأخطر من ذلك سلطان المدرس الأزهرى على قلوب أبنائه الطلبة ونفوسهم ومداركهم ، وجوارحهم ، لأن سلطانه مستمد من هدى الله ، ومكتسب من موارث النبوة ، وما أعظمه من سلطان ، وما أغلاما من موارث !

إنها مهمة خطيرة ، وإذا كان المدرس في غير المعاهد الأزهرية مكلفاً بها من الدولة ، ومن نداء الوطن ، فالمدرس الأزهرى مكلف بمثل ذلك وبما هو أعظم منه ، من الدولة ومن هو أعظم من الدولة ، ومن الوطن ومن هو أعز وأجل من الوطن ، وهو الله تباركت وآلاؤه وعز سلطانه .

محج العرين الخطيب

تحديد الملكية في الإسلام

لقد تغيرت أوضاع ، وتبدلت نُظم ، وسُنت قوانين في هذا العهد الجديد ، ومن القوانين التي سُنت . قانون تحديد الملكية الزراعية ، والناس يتساءلون عن رأى الفقه الإسلامى فيه وهل فى ذلك شيء سلف عن الخلفاء الراشدين والصحابه والتابعين ؟

ونحن سنبين هنا أن الإسلام يمنع التفاوت الكبير فى الأرض الزراعية ويحرص على ألا تتجمع الأرض فى جانب من الأمة فيكون فيه الغنى والعزة والقوة ، وتحرمها الجوانب الأخرى فيكون فيها الفقر والعجز والضعف ، وما وقع فى مصر إلى الآن من الملكيات الكبيرة حتى صار رجل واحد يملك آلاف الأفدنة وعنده من عبيد الأرض مثل هذا العدد يزرعونها له ويؤدون له غلاتها ، لم يكن بإذن الإسلام ، وعلى الرغم من تعاليمه وقع .

سواء توزيع الأرضين بما يمتقه الإسلام وبقى الأمة إياه قبل أن يقع ، لأن الوقاية خير من العلاج ، ويعالجه إذا وقع . وقد عالجه الإسلام قديماً بمثل ما عالجت الدولة اليوم فالتاريخ يعيد نفسه .

قد يستغرب السامع هذا الذى أقوله من أن الإسلام نزع بعض الأرضين من أيدي ما لسيها بعد أن رآها تتجمع فى جانب من الأمة وتصفّر منها جوانب أخرى ، ومن أنه منع ذلك قبل أن يقع ، ولكن الغرابة ستزول عند ما نورد من الآثار ما يدل على ذلك .

روى عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر كتب إلى سعد بن أبى وقاص يوم افتتح العراق « أما بعد فقد بلغنى كتابك أن الناس قد سألوا أن تقسم بينهم غنائمهم وما أفاء الله عليهم ، فانظر ما أجلبوا به عليك فى العسكر من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، وارك الأرضين والأنهار لعالمها ، ليكون ذلك فى أعطيات المسلمين ، فإنما لو قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء (١) » .

علم من قواعد الإسلام ومن عمل الرسول أن ما غنمه المسلمون من مال وأرض يقسم أربعة أخماسه على المجاهدين ، وقد قسم رسول الله أربعة أخماس أرض خيبر على المجاهدين

(١) ص ٩٠ كتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ، و ص ٢٤ كتاب الخراج لأبى يوسف ، و ص ٢٧ و ٤٨ كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى . ويزيد بن أبى حبيب راوى هذا النص هو عالم مصر وإمامها . قال فيه الألب بن سعد : « يزيد عالماً وسيداً ، توفى سنة ١٢٨ » .

فلما فتح المسلمون العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص سأل المقاتلون سعدا نصيبهم في الأرض وطلبوا أراحة أخماسها فنهه عمر وقال : أما ما غنموه من منقول فاقسمه بينهم وأما الأرض والأنهار فلا تقسمها وتركها بأيدي عمالها ليزرعوها ويؤدوا خراجا يقسم على المسلمين . وعلل عمر ذلك بأنه لو قسمها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء فجعلها باقية على حالها يملكها المسلمون جميعا وقسم خراجها بين المسلمين مخافة أن يحوزها المقاتلون فلا يبقى شيء لمن يأتي بعدهم من المسلمين . فأنت تراه قد منع من تسكيدس الأرض في جانب من المسلمين وإخلاء الجانب الآخر منها قبل أن يقع .

وورد هذا المعنى في حديث آخر عن إبراهيم التيمي قال : لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر قسمه بيننا فإننا افتتحناه عنوة قال فأبى وقال فما لمن جاء بعدهم من المسلمين وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه . قال فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الجزية وعلى أراضيهم « الطسق » ، أى الخراج ولم يقسم بينهم ^(١) .

ولم يكن ذلك بأرض السواد بالعراق فحسب بل وقع مثله في أرض مصر نفسها وحدث سفيان بن وهب الخولاني قال : لما اقتطحت مصر بغير عهد ، قام الزبير . فقال : يا عمرو ابن العاص اقسمها . فقال عمرو : لا أقسمها . فقال الزبير : لنقسمها كما قسم رسول الله ﷺ خير . فقال عمرو لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين . فكتب إلى عمر فكتب إليه عمر أن دعها حتى يغزو منها جبل الحبله . قال أبو عبيد القاسم بن سلام الذى روى هذا الحديث في كتابه الأموال : أراه أراد أن تكون فيثا موقوفا للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن عن قرن فتكون قوة لهم على عدوهم ^(٢) .

فهذه روايات متضاربة على معنى واحد ، وهو أن عمر منع المقاتلة ما كانوا يرونه حقا لهم بمقتضى الكتاب وعمل الرسول من قسمة أربعة أخماسها عليهم لثلا يحوزها الحاضرون ولا يبقى منها شيء لمن يأتي بعدهم .

ولم يتفرد بذلك عمر ، بل روى مثله عن على ومعاذ بن جبل . روى عن عبد الله ابن قيس الهمداني قال : قدم عمر الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين . فقال له معاذ : والله إذن ليكون ما تكره . إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ، ثم يبيدون

فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً وهم لا يجحدون شيئاً فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم ، ^(١) .

وأشار بمثل ذلك على حين استشاره عمر ، فهو لاء نفر من جلة الصحابة : عمر وعلى ومعاذ ابن جبل ، اتفقوا على منع المقاتلة عن قسمة الأرض بينهم رعايه لمصلحة بقية المسلمين لئلا يحوزها المقاتلة ولا يبقى شيء لمن يجيء بعدهم وقد وافقهم الصحابة وجرى العمل عليه في أيام عمر والخلفاء من بعده فقد منعوا التفاوت الشديد في امتلاك الأرض قبل أن يقع . وأما أنه عاجله بعد أن وقع ، فقد ورد عن قيس بن أبي حازم قال : كانت بجيلة (وهي قبيلة من المسلمين) ربع الناس يوم القادسية ، فجعل لهم عمر ربع السواد ، فأخذوه سنتين أو ثلاثا . فوفد عمار بن ياسر إلى عمر ومعه جرير بن عبد الله البجلي فقال عمر لجرير : يا جرير لولا أني قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم . ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين ديناراً ، ^(٢) .

وورد أن امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز قالت لعمر : يا أمير المؤمنين إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد وإني لم أسلم . فقال لها يا أم كرز إن قومك قد صنعوا ما قد علمت - أي من تسليم الأرض - قالت : إن كانوا قد صنعوا ما صنعوا فإني لست أسلم حتى تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حرام وتملاكي ذهباً . ففعل عمر ذلك ، فكانت الدنانير نحواً من ثمانين ديناراً ، ^(٣) . وحادثة قبيلة بجيلة تشبه ذلك القانون الذي أصدرته الدولة بتحديد الملكية الزراعية فهم ما يجتمعان في أنهما أخذتا الأرض من كانت تحت أيديهم بعوض يؤدي لهم نظراً لمصلحة المجتمع ، فقد قال عمر لولا أني قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ؛ وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم مع شيء من الفوارق :

منها أن عمر نزع الأرض كلها . والقانون نزع ما زاد على مائتي فدان وأبقى له مائتين ، وهذا الفرق لا يؤثر لانه إذا جاز أن تنزع الأرض كلها من هي بيده ، فلان يجوز أن ينزع بعضها ويبقى بعضها من باب أولى ، ومنها أن عمر جعلها وفقاً على المسلمين يزرعها من يزرعها على خراج يؤديه يصرف على المسلمين ، أما القانون فقد ملكها لغيرهم من الفقراء ، ومنها أن عمر فعل ذلك والعهد قريب : والراحم والإيثار بين المسلمين ، وهذا يجعل مهمته سهلة ، أما القانون فيفعل ذلك وقد بعد العهد وفتى عليه الكبير ونشأ عليه الصغير ، وقد تغيرت

(١) ص ٥٩ المصدر نفسه .

(٢) ص ٦١ كتاب الأموال ، و ٣١ الخراج لابن يوسف .

(٣) ص ٦٢ كتاب الأموال .

نظرة المسلمين بعضهم لبعض فصارت نظرة استغلال لا نظرة أخوة وتعاون ، وهذا ما يجعل المهمة شاقة ، ولعل في هذا التدرج الذى جعل تنفيذه على خمس سنوات ما يخفف من وقعه ، ولعله إذا فهم الإقطاعيون أن هذه السكطة كانت تضر بهم ولا تنفعهم وكانت تحرم كثيراً من إخوانهم ما خلقه الله لهم ، خف وقعه وزال ألمه .

تأملوا في هاته الوقائع التى تتعلق بالأرض تبينوا المبادئ الإسلامية من خلالها ، تلك المبادئ التى غرست في نفوس المسلمين الأولين وظهرت منهم أعمالاً حكيمة وقضايا عادلة .

يرى الإسلام أن المجتمع الإسلامى كأسرة واحدة ، وليس من العدل أن يختص بعض الأسرة بالأرض ويحرم الباقون . وقد فهم ذلك عمر ، بل إنه لم ينظر لمن حضر فقط بل نظر للحاضر ولمن تلده الأرحام . انظر إليه حين يقول : فما لمن يأتى بعد ؟ كره أن يحوز الأرض المقاتلة الذين بذلوا دماءهم وأموالهم في الجهاد حتى دانت لهم الأرض فيولد من يولد ويدخل في الإسلام من يدخل فيجد الأرض قد حازها من حازها ولا يجد ما يملكه .

ماذا يكون حكم عمر حين يجد قوماً لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب إنما ما كوها لإقطاعاً غير شرعى أو ورثوها عن مملكتها كذلك ، وحازوها ومنعوها عن بقية المسلمين وقد أساموا النصرف فيها فلم يراعوا حق الله ولا حق الفقراء في هذه الأموال .

وقد بقى أن يقال : كيف يخالف عمر عمل رسول الله في خير من قسمة الأرض أخماساً وجعل الخمس لله وللرسول والفقراء ، وأربعة أخماسها في المقاتلة ، ويذهب إلى حرمانهم وجعلها مملكتاً للامة يزرعها من يزرعها على خراج يؤدى يتفق منه على المسلمين ؟ قلنا في ذلك وجوه : منها أن عمر ربما علم أن ما فعله الرسول كان على التخيير لا على طريق الإلزام .

ومنها أن عمر تأول آية النِّعَاء على ما ذهب إليه وهى قوله :

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذئى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك

هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .
وقد قال حين ذكر الأموال وأصنافها والآيات الدالة عليها : استوعبت هذه الآية الناس .
ولعل عمر ذهب إلى المصلحة المرسله ، ورفع الضرر ، وقد علل بذلك فيما رويناه عنه .
ورحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يعرف الأغراض العظمى للإسلام ويحافظ عليها ،
وقد كان يعلم أن الشريعة عدل وإنصاف فحيث وجد العدل والإنصاف فثم شرع الله .
وربما رأى في النص والحادثة تقييداً بالزمان والمصلحة وما لا يسها من حوادث ، وكان يراعى
المصلحة ورفع الضرر عن الأمة ، ولا أعلم ضرراً أبلغ من النفاوت الكثير في الملكية
الزراعية . وبحسبنا أن ننظر إلى آثاره السيئة عندنا فقد جعل في الأمة طبقتين طبقة أصحاب
الأرض المالكين وفيهم الغنى والقوة ، وفيهم ما ينتجه الغنى من الترف والكبر والاشرف
والبطر والاستعلاء وغمط الناس . وطبقة الفلاحين وهم الكثرة السكاثرة من الأمة وفيهم
الفقر والحاجة ، وتنبه آثاره من الجهل والمرض والذلة والضعمة والمهانة والاستخذاء وخلق
العبيد من الجبن والخور والصغار .

ومثل هؤلاء لا يأبون الضيم ولا يحمون الذمار ولا يدفعون العار .

ولنما تولدت فيهم هذه الرذائل وما يتبعها لأنهم يرون أن رزقهم وحياتهم وعزمهم
وذلمهم بيد صاحب الأرض إن شاء أبقاهم وإن شاء أخرجهم فرمى بهم إلى الطرقات حيث
الجوع والعري والموت فيذلون له ويخضعون .

وهذه النفوس المريضة لا ينفع فيها علاج ، لأنه كلما رفع المربون والعلماء من نفوسهم ،
وراضوهم على العزة ، طغى على ذلك كله ما هم فيه من حالة اجتماعية فاسدة ومن وضع يجعلهم
محتاجين لخلق ملهم ، ماذا تنفع العظاات والعبر إذا كانت تبني والواقع يهدم ولماذا كانت
تدعو الى العزة وواقع الحياة يدعو للذلة ١٩

أما الآن فإننا نأمل أن يصلح الله بتحديد الملكية الحسالة الاجتماعية ، وأن يحقق الله به
كثيراً من العدل في الجماعة ، وأن يرفع مستوى المعيشة لكثير من الفلاحين فيتعلموا بعد
جهل ، ويصحبوا بعد مرض ، ويأمنوا بعد خوف ، وأن يشعروا بالعزة والقوة والحرية ،
وأن تربي فيهم اخلاق الاحرار من الغضب للحق ، والإباء للظلم ، والكراهية للاستعباد . فإذا
استنصروا نصروا ، وإذا استنفروا نفروا ، وإذا أتاها عدو مغير طاروا إليه زرافات ووحدانا .

محمد عرف

عضو جماعة كبار العلماء

مشيخة الأزهر الشريف

في أكل ما شهدنا من عهودنا

إذا أراد الله بطبقة من أهل هذه الملة الإسلامية خيراً، هباً لمستقبلهم القريب الحسب الصالح، ويسر لهم الإمام الذي انطوت سيرته النقية الطاهرة في جميع أدوارها على ما تستقيم لهم به القدوة، وتحسن به الأسوة، وتشيع به عدوى الإخلاص لله عز وجل في السر والعلن والقول والعمل.

وأحسب أن طلبة الأزهر الشريف لهذا العهد سيكون منهم لهذه الملة في مستقبلها القريب الخير الكثير، ولذلك كان من حظهم أن قيض الله لهم الحكومة الصالحة التي تتحرى للولاية أكفأها، كما قيض لهم القدوة والأسوة في سيرة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مد الله في عمره وأدام النفع به.

إنهم الآن ليسوا أمام مركز رسمي تولاه كنفؤه بالعالم والسابقة والصلاح فحسب، بل هم أمام مثل أعلى للسلم الكامل الذي ابتدأ حياته بنيسة السكاح عن الإسلام وأهله، والاضطلاع برسائله، وتحمل أماناته كاملة وافية. وهذه النيسة، هي الإبرة المغناطيسية التي يتوجه بها المسلم إلى هدفه من الحياة. ولذلك قال معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى،، والحياة وتصرّفات المرء باتجاهاته في جميع أدوارها هي جماع الأعمال، فهي أحوج إلى النية الوثيقة الثابتة الصادقة ليكون ما يصدر عن الإنسان من الأعمال في حياته تبعاً لما لا يحيد عنها مهما غالبته الظروف، ولا ينحرف عن اتجاهها ما استطاع، وإن انحرفت به الأهواء والمؤثرات. وطالب العلم الإسلامي إذا نوى من بدء حياته أن يقتصر في حياته على مطالب العيش ومتاع الدنيا بقي هدفه محدداً بهذا النطاق الضيق، وعاش على هامش الحياة عيشة تتناسب مع نيته، وكان في نظر نفسه - ثم في أنظار الناس - موزوناً بهذا المقدار، لا يتخدد به الناس بأكثر من ذلك، ولا يستطيع أحد أن يخدعه عن نفسه بأنها فوق ذلك. أما إذا نوى طالب العلم الإسلامي أن يعيش مكافئاً عن حقائق الإسلام - مهما كانت - وعن حقوق المسلمين حيثما كانوا، فإن حياته كلها تصبح حينئذ

حياة عبادة ، ويكون قدره عند الخالق والخلق متناسباً مع قدر النية القدسية التي عاش على ضوئها ، وعوّل على السير في الحياة بتوجيهها .

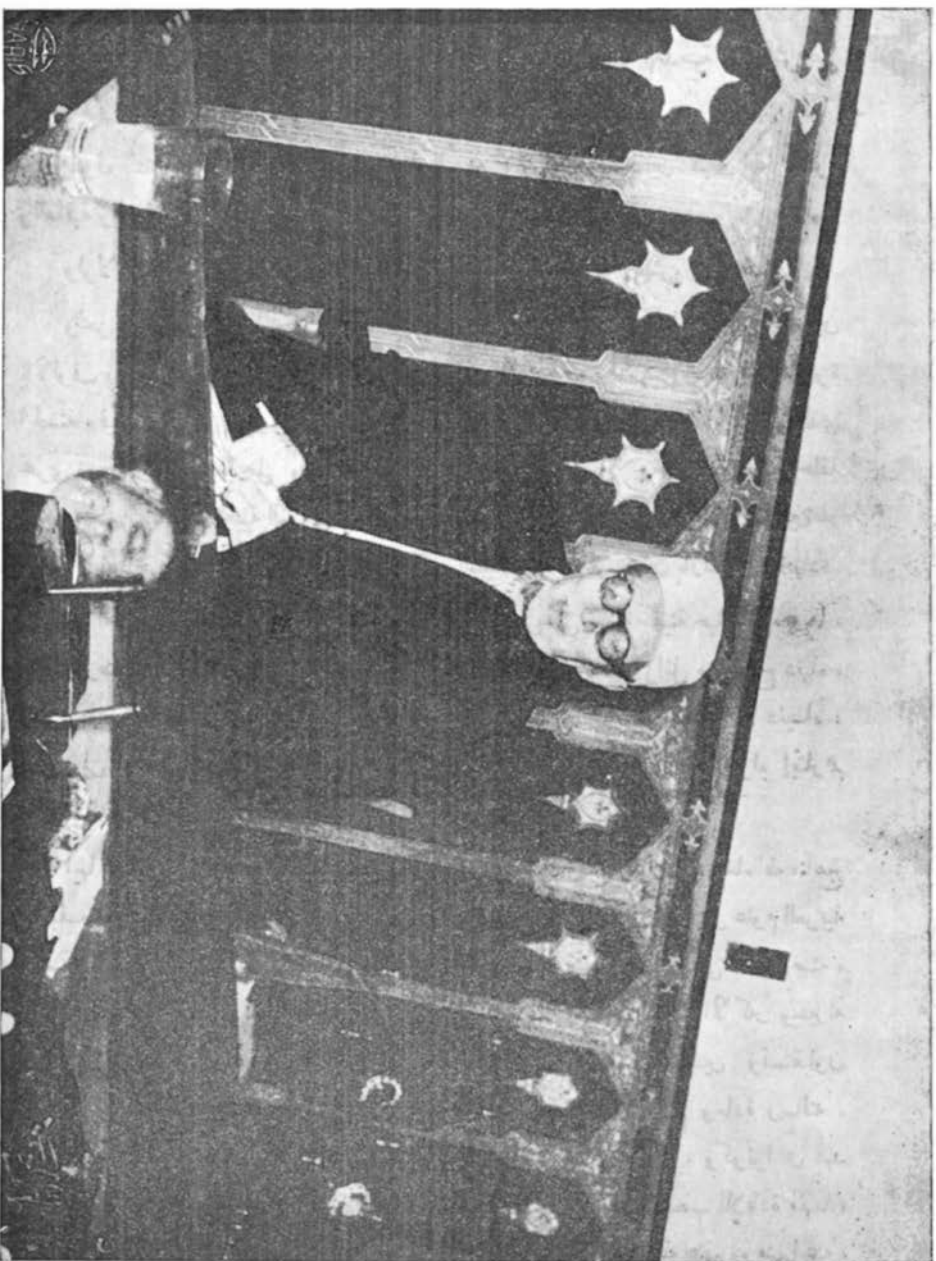
يقول فضيلة الأستاذ الأكبر شيخنا السيد محمد الخضر حسين : مع الله بالقوة والعافية والتوفيق :

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى لفشت عن واد أعيش به وحدي

ونحن تلاميذه ، ومعنا إخواننا من طلبة الجامع الأزهر وكلياته ومعاهده الذين يعدون بالآلوف ، يذبحون لنا أن يكون لنا في حياة شيخنا القدوة الصالحة ، وأن تكون لنا فيه الأسوة الحسنة ، فيكون أول ما نرتاح إليه هو النضال عن الهدى ، ولا يناضل عن الهدى إلا الذي تحرى معرفته ، وتبع ما جل أو دق من علوم أئمنه وتراث علمائه . وجعل من نفسه حلقة متواصلة في سلسلته الذهبية التي أولها عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان ، وآخرها عند شيخنا الجليل إمام الهدى السيد محمد الخضر حسين بارك الله في جهاده .

لأنه أحسن النية لله منذ البداية فاتخذ منها إبرة المغناطيس التي توجه سفينة حياته في سيرها ، فما تمارضت دنياه وآخرته إلا اختار ما يبقى له في آخرته على ما هو زائل من بهرج دنياه . ومن عادة الله فيمن يؤثر الآجلة على العاجلة أن يجعله راضياً عن نصيبه في دنياه ، وقد يمان الله كرامته لأوليائه بمكافأته حتى في إعلان مقامهم في الدنيا جزاء لما يثابروا به برضاه لهم في يوم الدين .

أيها الطلبة الأزهريون ، إنكم تستقبلون في أول سنتكم الدراسية المباركة إن شاء الله مناهج لتثقيف عقولكم بعلوم الشريعة التي تقوم عليها رسالة دينكم ، وما يعين عليها من علوم العربية والسنن السكونية . ثم إنكم تستقبلون في هذا العام ما لا يفترق عن هذا ، أعني به خلاصته ، وثمرته الناضجة ، وغايته العليا ، وهو الاخلاق المحمدية بمثلة بسجاياء أستاذنا الأكبر وسيرته في أكثر من سبعين عاماً ، وكفاحه في سبيل حقائق الإسلام وحقوق المسلمين . وتستقبلون مع هذا وهذا ، عهداً يتحرى الحق والخير ، والحق والخير جناحا الإسلام ومادة رسالته . فهنيئاً لكم سنتكم الجديدة ، وبارك الله لنا ولكم بحياة شيخنا وشيخكم ، وكونوا في عهد الحق والخير من خاصة أهلها ، ومن أنشط الاعوان على تأهيل هذا الشعب للإفادة منها ، وبذلك نكون إن شاء الله أمة صالحة ، وبذلك نكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، والله يتولى الصالحين .



حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين

طلعت جريدة الأهرام في صباح يوم الأربعاء ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٧١
(١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢) وفي صدرها المقال الآتي :

كانت مفاجأة حين خرج ثلاثة من حضرات الوزراء : هم السادة فتحي رضوان وأحمد حسن الباقوري وعبد العزيز علي ، من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ، وتوجهوا إلى جهة لم يشاءوا ولم يشأ أحدهم أن يذكر عنها شيئاً ، ولكن الصحفيين رأوا أن يقتفوا أثرهم ، ولشدة ما كانت دهشتهم بالغلة حينما رأوهم يدخلون بيتاً صغيراً من البيوت الواقعة في شارع خيرت ، ويطرقون باب شقة متواضعة يسكنها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو جماعة كبار العلماء ورئيس تحرير مجلة الأزهر سابقاً . ولئن كانت هذه المفاجأة قد أدهشت الصحفيين ، فإن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين كان أكثر منهم دهشة حين تحدث إليه الوزراء الثلاثة وعرضوا عليه مشيخة الأزهر باسم مجلس الوزراء واسم الرئيس اللواء محمد نجيب .

ويقول مندوب « الأهرام » الخاص : إن فضيلة الشيخ قد قبل منصب المشيخة الجليلة ورجا أن يوفق في تحمل أعبائها .

وقد أردت أن أقف من فضيلته على ما إذا كان له برنامج معين ، فقال : إنها مفاجأة لم أتمكن حيالها من أن أضع برنامجاً معيناً أو أرسم سياسة خاصة .

فسألت فضيلته : وهل لكم رأى معين في كبار علماء الأزهر الذين يشغلون مناصب هامة ؟ فقال : ليس لي رأى معين في واحد من حضراتهم ، وكلهم موضع لإجلالي واحترامي وتقديري فقلت : وما رأيكم في المطلب الخاص بإقصاء أربعة من كبار العلماء الرسميين الأزهريين عن مناصبهم ؟

فقال وهو يبتسم : طبعاً إن يكون هناك إقصاء ، ومن رأيي أن تؤخذ المسائل بالرفق واللين قلت : ومتى أخذتم الجلسة المصرية ؟

فقال فضيلته : أخذتها في نحو سنة ١٩٣٨

قلت : إن العالم الإسلامي يسره كثيراً أن تسند مشيخة الأزهر إلى رجل جليل مثلكم بعيد عن التيارات المختلفة ، فهل لكم كلمة تتوجهون بها إلى هذا العالم في هذه المناسبة ؟
فقال : إن الكلمة التي أتوجه بها إلى العالم الإسلامي هي أنني أرجو المعونة من الله أن يحقق أمل المسلمين في الأزهر الشريف .

قلت : وهل تقصدون غداً (اليوم) إلى مشيخة الأزهر ؟
فقال : إن فضيلة السيد أحمد حسن الباقوري سوف يحضر إلى غداً (اليوم) لاتوجه معه إلى دار الرئاسة حيث أقابل الرئيس اللواء محمد نجيب .
من تاريخ حياته :

وقد ولد فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين في بلدة « نفطة » من أعمال تونس في سنة ١٢٩٣ هجرية ، فعمره الآن ٧٨ عاماً ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل إلى تونس والتحق بجامعة الزيتونة وحصل منها على شهادة العالمية في العلوم الدينية والعربية .
وقد استهل فضيلته حياته العملية بالعمل في الصحافة حيث أنشأ مجلة « السعادة » وراح يديج فيها الفصول القيمة يعالج بها الشؤون الدينية والأدبية .
ثم تولى القضاء في بلدة « بنزرت » ، والبلاد المجاورة لها ، ولبت يمارس القضاء حتى سنة ١٣٢٤ هـ ، ثم عين مدرساً للعلوم الدينية والعربية في جامعة الزيتونة ، وكذلك تولى التدريس في المدرسة الصادقية وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس .

يحكم عليه بالإعدام !

وقد اشتهر بعدائه للسياسة الفرنسية إذ كان يهاجمها في مجلته ، وكان يبث روح العداء لها في تلاميذه ، يريد بذلك أن يغرس فيهم الروح الوطنية والحرية الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام ، فحقد عليه ساسة الفرنسيين وأكثروا له الحفيظة ، ودبروا له مكيده سياسية قدموه من أجلها إلى المحاكمة حيث حكم عليه غيابياً بالإعدام ، فهاجر فضيلته إلى الشام ومعه عائلته وفيها تولى تدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة السلطانية .

وقد أوفده أورد باشا وزير الحربية التركية يومئذ إلى ألمانيا في مهمة سياسية ، فقتضى فيها نحو تسعة أشهر ، رجع بعدها إلى الشام ، وتولى التدريس في تلك المدرسة ، حتى روى الانتفاع به في وزارة الحربية التركية فعيّن محرراً عربياً في ديوان تلك الوزارة .

شيخ الأزهر ترحل إلى الأهرام

وكتب مندوب جريدة «الأهرام» الخاص في عددها الصادر يوم الخميس ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢ هـ (٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢) يقول :

لا يزال فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يحتفظ ببساطته في كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، ومع أنه يشغل الآن منصباً دينياً خطيراً ، فلا تزال هذه البساطة التي درج عليها وألفها الناس عنه منذ وفد إلى مصر تلازمه ، إن مجلسه لا يزال كما كان ، يغشاه كل محب له وكل مرید للعلم كيفما كان مظهره ومخبره ، ولقد أردت أن أقف على آراء فضيلته في طائفة من المشاكل الأزهرية التي تواجه المسؤولين عادة في مستهل كل عام دراسي ، ولما أفضيت إلى فضيلته بهذه الرغبة لم يشعر بالحرج الذي يشعر به الرسميون والمسؤولون عادة في مثل هذا الموقف ، بل أثر أن يكون صريحاً على بيحيته ، وضحاً كما عرفته منذ نيف وعشرين عاماً .

ورؤى مرة أخرى أن يعود إلى ألمانيا في مهمة سياسية كذلك . فذهب إليها وقضى فيها نحو سبعة أشهر . ولما رجع إلى تركيا رأى ولاية الأمور فيها - بالاتفاق معه - أن يعود إلى الشام لمتابعة دروسه هناك ، ولكنه حين رجع إلى هذه البلاد وجد الفرنسيين قد احتلوا ، فهرب إلى مصر لاجئاً سياسياً ، وظل فيها منذ سنة ١٩٢٢ م يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس حتى سنة ١٩٣١ م إذ رأى فضيلة الاستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد الاحمدى الظواهري أن ينتفع به في تحرير مجلة الأزهر ، وكانت تسمى وقتئذ مجلة «نور الإسلام» ، فعيّنه رئيساً لتحريرها وقد لبث في هذه الوظيفة حتى عين فيها الاستاذ محمد فريد وجدى ، فانتقل فضيلته إلى رئاسة تحرير مجلة «لواء الإسلام» ، التي يصدرها الاستاذ أحمد حمزة وزير القوم السابق .

في جماعة كبار العلماء :

وقد قدم فضيلته رسالة علمية ^(١) نال بها العضوية في جماعة كبار العلماء .

(١) هي رسالة «القياس في اللغة العربية» نشرتها المطبعة السلفية بالقاهرة .

تنظيم البعوث الإسلامية :

قلت : إن البعوث الإسلامية لا تزال قائمة ، ولعل هذه المشكلة تكون هامة إذا عرفنا أن هذه البعوث إنما هي أداة صالحة للدعاية الإسلامية لمصر في مختلف الأمم التي تدين بالإسلام . فهل تزمعون فضيلتكم أن تعملوا على أن تكون هذه البعوث الإسلامية في نظامها الحاضر وفي طريقه إعدادها متمشية مع ما نرجوه منها وما نؤمله فيها ؟

فقال فضيلته :

لا شك أنني أقدر الرسالة التي يصح أن يضطلع بها طلاب البعوث الإسلامية في الأزهر تقديرأ خاصاً ، فهم رسلنا لدى أممهم ، وهم ألسنتنا المعبرة عن أمانيتنا وآمالنا ، بل لا أبالغ إذا قلت : إنهم المرايا التي تصورنا عند أممهم وشعوبهم بما فينا من خصائص ومزايا ومناقب أصدق تصوير . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن العناية بهم وبإعدادهم يجب أن تشغل حيزاً كبيراً من أوقانتنا . إننى أعنى فى هذه الأيام بوضع نظام خاص بإعدادهم لإعداداً قوياً يمكنهم من أن يؤدوا رسالة الخير والسلام على خير الوجوه . إننى أعد الأزهر فى مصر بمنزلة السكبة الشريفة التي يحج إليها المسلمون على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ليؤدوا فريضة دينية ، والواجب يقتضى أن نعنى بكل ما يعود بالخير على الأزهر ، لأنه يعود بالخير نفسه على مصر وعلى الإسلام . ولا أذيع سرا إذا قلت إننى كنت أسمع الكثير من الأنباء التي تحز فى نفسى وتؤلمى ، لأنها كانت تمثل العلاقة بين طالب البعوث وشيخ رواقه تمثيلاً لأحبه ولا أرضاه . لذلك عنيت كل العناية بأن أعمل على أن تقوم بين الاثنين علاقة روحية قوامها الحب والمودة والإخاء والخير ، وأعتقد أن هذه العلاقة سوف تقوم وتتوطد منذ الآن ، فلا أعود أسمع مرة أخرى أن شيخاً ظلم تلميذاً له ، أو أن تلميذاً لم يوقر شيخه التوقير الذى يليق به .

المكتبة الأزهرية :

قلت : والمكتبة الأزهرية . ألا ترى فضيلتكم أنها اسم على غير مسمى ، وعنوان لا موضوع له ؟ وما هى الفائدة من أن يقال : المكتبة الأزهرية ، أى المكتبة التي تمثل أقدم جامعة دينية فى العالم ، ثم تعطل وظيفتها فلا ينتفع بها طالب ولا عالم ، ولا أجنبي ولا وطنى ، ولم لا تكون مكتبة عامة على غرار دار الكتب . ؟ ولم لا تنشأ فيها غرفة للطلالة وأخرى

للبحوث والدراسات ١٤

فقال فضيلته :

إن من الحقائق الثابتة أن المكتبة الأزهرية تشغل مكانا غير لائق بها ، ويسمح لطلاب العلم والبحث والمعرفة بالانتفاع من كنوزها النفيسة وذخايرها العلمية التي لا يوجد لها مثيل في جميع مكتبات العالم ، إنها تشتمل على آلاف من الموسوعات العلمية والدينية ذات القيمة الخاصة في عالم البحث والمعرفة ، وإن الأجانب الذين يترددون على الأزهر من العلماء والمستشرقين لا يعرفون كيف ينتفعون بما تشتمل عليه من النفاثات والذخائر . ولذلك فإني أعمل الآن على تدبير مكان صالح لها ، على أن تتوافر في هذا المكان الشروط التي يجب أن تتوافر في مكتبة تاريخية عامة تسكاد تكون عالمية كمكتبة الأزهر ، فيكون فيها نظام الإعارة على نظام جديد ، وأن ينتفع بها الطالب والعالم والباحث على الطريقة العلمية الصحيحة . وقد أفرغ من دراسة هذا النظام في وقت قريب إن شاء الله ، وسوف يكون من شأن هذا النظام أن توحد المكتبات الأزهرية التي توجد في مختلف الأروقة وتجمع كلها في المكتبة الأزهرية الكبرى ، فيشرف عليها مدير واحد ، ويكون نظامها واحدا .

المعاهد الدينية :

قلت : أعرف أن فضيلتكم تشغلون الآن في إعداد حركة تنقلات بين أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد ، فهل انتهيتم إلى رأى في هذا الموضوع الهام وقد أصبحنا في مستهل السنة الدراسية ؟ قال فضيلته :

لأني أعتقد أن شيخ المعهد في الإقليم هو مظهره ورأسه المدبر ، وعنوانه بين مختلف الطوائف والطبقات في هذا الإقليم ، وأعتقد أن العناية باختيار شيخ المعهد تحتاج إلى البحث عن صفات وشروط خاصة فلا يصح أن يختار شيخ المعهد بدرجة أو أقدميته ، وإنما يجب أن يختار بكفايته وأهليته ومكانته ، سواء من ناحية العلم والخلق والكرامة ، أو من أية ناحية أخرى . ولذلك فإني استضيء في بحثي بهذه الاعتبارات ، لأنني أحرص على اختيار شيوخ يتسمون بالخلق والكرامة والأهلية والكفاية مع الفيرة الدينية ، ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم من الطلاب ، وليكون شيخ المعهد في إقليمه خير سفير يمثل المسلمين في هذا الإقليم . ولأني لأرجو أن أنتهى من هذه المسألة في وقت قريب جدا ، أو في أيام قلائل ، ليكون كل شيخ على رأس المعهد الذي يدين شيئا له في مفتتح العام الدراسي .

مدير مجلة الأزهر :

قلت : ولا زلت أرى أن مجلة الأزهر في حاجة قصوى إلى أن يوضع لها نظام صحفى يمكنها من أن تسير النهضة الاجتماعية في مختلف مرافق الحياة ، وقد قرأت ، أن فضيلتكم قد قبلتم استقالة مديرها السابق الاستاذ أحمد حسن الزيات .
وهنا قاطعنى فضيلة الاستاذ الأكبر وقال بصوت خفيت :

إننى سوف أختار لهذه المجلة عالماً أزهرياً يجعل طابعها أزهرياً ويمثل فيها الأزهر ببحوثه ، أو بالبحوث التى ينشرها فيها . ولا شك أنى أرى من وراء ذلك إلى أن تكون هذه المجلة اللسان المعبر عن نزعات الأزهريين المختلفة ، وآرائهم في مختلف البحوث التى تتصل بالإسلام أو بالحياة الإسلامية ، فتثير الطريق أمام قرائها سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين في أمهات المشاكل ومعضلات المسائل العامة التى تكون موضع أخذ ورد بين الناس ، وبهذا تكون المجلة قد أدت رسالتها على نحو سليم صحيح . وأنت تعرف أنى قد تحملت أعباء العمل في هذه المجلة بضعة سنوات فعرفت مواطن الضعف فيها ومكان النقص في رسالتها ، ولذلك فإنى أسترشد بما لمست من الحقائق ، وأرجو أن يكون رائدى فيما اعترمه من العمل ، على أن يوضع لها النظام الذى يكفل لها الحياة والنمو والبقاء .

الأزهريون عنوان الخير والمحبة والسلام :

قلت : وهل لفضيلتكم كلمة تستقبلون بها أبناءكم من العلماء والطلاب في مناسبة افتتاح السنة الدراسية ، اننى قد رأيت في الايام الاخيرة أن هناك اتجاهات متناقضة تصور بعض الأزهريين على أن بينهم خلافاً مستحكماً ؟

فقال فضيلة الاستاذ الأكبر :

أنا أميل بطبعى إلى الخير والسلام ، ولم أكن في يوم من أيام حياتى متحزباً ولا متعصباً ، بل كنت دائماً أكره التحزب والتعصب ، وأوثر أن آخذ الأمور باللين والرفق والحوادة ، وأنت تعلم أن شيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهر ، ودعوة الأزهر إنما تقوم على تحقيق معانى الخير والتواد والتحاب بين الناس أجمعين ، والأزهريون بحكم وضعهم ووصفهم هم الذين يبصرون الناس في أمور دينهم ودنياهم ، ولذلك كان طبعياً أن يكونوا عنواناً للخير والمودة والمحبة والسلام ، وأن يكونوا إخواناً متحابين في الله متساندين لتكوين لدعوتهم صداها وأثرها في التوجيه والإرشاد في مختلف الامم الإسلامية ، إن علماء الأزهر هم أقرب

الدين والقوة وسبلان إلى غاية واحدة

العوامل ذات الأثر في نظام المجتمع لا تعدو أن تكون أدبية ومادية ، وليس من قصدى أن أعرض لكل ما ينضوى تحت هذين النوعين ، فذلك اتجاه قد لا أبلغه ، وإنما أقصد — في إجمال — إلى ما شرع الله لحماية المجتمع ، من دين وقوة ، فسلكما وسيلة تلتقي مع الأخرى عند غاية واحدة : هي (أولا) تهذيب الإنسان حتى يكون في الوضع الذي امتاز به بين الكائنات ، خليفة عن الله سبحانه في عمارة دنياه « إني جاعل في الأرض خليفة ، (ثانيا) إحاطته بما يسوغ الله من الخير ، حتى تتجلى أنعم الله على خلقه ، فيشكرها من يقدرها ، ويسعد بها في حياته الأولى والآخرة ، وهذا مظهر الألوهية في عظمها ، وذلك تقدير العزيز العليم :

الناس إلى معرفة أوامر الله ونواهيه ، وهم من الأمة في مقام الأئمة والهداة ، ومن أجل هذا وجب عليهم أن يكونوا حريصين على كل ما يرضى الله وما يحقق الخير لهم وللناس ، وأنت تعلم أن الصفح والعفو والمغفرة من صفات الرجل المؤمن بالله العالم بالإمام الخلق ، وأن من أحب الأمور إلى أن تجتمع قلوبنا على ما يكون ، وأن نستقبل الأيام بروح التسامح والمحبة حتى نصل إلى ما يرضى الله ويحقق الصالح العام ، والله وحده يهدينا إلى سواء السبيل .

ترجمة تفسير القرآن

قلت : هل أستطيع أن أقف على رأى فضيلتكم في ترجمة معاني القرآن ؟

فأجاب فضيلته :

هل تريد ترجمة معاني القرآن أم ترجمة تفسير القرآن ؟ إن هناك فرقا بين ترجمة معاني القرآن وترجمة تفسيره ، وعلى كل فإنني أرى أن نرجى الكلام في هذا الموضوع حتى أتمكن من الاطلاع على ما سبق أن وضع من التقارير والمذكرات في هذا الموضوع ، وإلى فرصة قريبة إن شاء الله .

* * *

وهنا شعرت أنني أطلت على فضيلة الأستاذ الأكبر ، بل أنقأت عليه ، فاستأذنت فضيلته في نشر هذا الحديث ، فتفضل وأذن مشكورا .

(١) يسلك الدين إلى تلك الغاية سبيل الدعوة السلمية في تنشئة الفرد على نمط يهيئ له أن يكون ابنة صلبة في بنا. رصين ، ووحدة سليمة في مجتمع قوى ، ثم يتجه إلى تكوين الجماعة من أولئك الأفراد الصالح ، ويضع هذه الجماعة الآخذة به الراضخة لسلطانه ، في إطار من النظام الجماعي : تخيره من يعلم الخير والشر ، وماز الخبيث من الطيب .

يرقظ الدين في المرء لإرادته ، وينبه فكرته ، ويحترم عقليته ، ويدعوه إلى الجادة المثلى الواضحة المعالم ، دعوة مقرونة بالإقناع ، ويحضه على التقرب إلى ربه بما شرع له ، ويشد أزره بالترغيب فيما عنده ، ليغالب نفسه ، ويهتدى بعقله ، ويستجيب لضميره ، وينأى عن الغي ، ويخرج إلى الرشد .

وما كانت العبادات على تعدد أنواعها ، والتأكيد لشأنها ، وترتيب الثواب عليها إيجابا ، والعقاب عليها سلبا ، إلا سببا بين العبد وربّه ، وعروة وثقى في الصلة به ، لا لمجرد أنها تسكّيف ؛ ولكن لأنها نماذج للنظام الفردي والجماعي ، والله بديع السموات والأرض يجب من عباده أن يقتدوا بنظامه في مأسكه فيما يخصهم ، وفيما يهمهم ، ففي العبادات تحديد للدّوع ، ووفاء بالوعد ، وحفاظ على العهد ، وفيها عزوف وكبح للنفس عما تهوى من المآثم ، وفيها تعاطف ومعونة ، وتضحية بالمال وبالنفس عند الاقتضاء ، وفيها على الإجمال طموح إلى الإنسانية في أوجها الرفيع .

وهذا النمط الذي تبدو فيه علاقة المرء بربه لم يقف به في دائرته الفردية ، وإنما يرافقه بين الجماعة ، ويربطه بها ربطا وثيقا ، حتى ليجعل عبادة الفرد أحيانا مقرونة صحتها بالاشتراك مع غيره ، كما جعل من حياة الجماعة تكميلا لحياته وفي نظامها صيانة لشخصيته وحماية لوجوده .

وإذ يكون بمقتضى هذا جزءا لا يتفصل عن جملتها لم يسلبه الدين حقه كفرد له دائرته الخاصة به في هذا الحشد الزاخر .

وسبيل الدين في ذلك تنظيم الحكم ، وتحديد السلطة ، وتوثيق الانساب ، وضبط المعاملات المالية في أوضاع لا أشد عن المصالح ، وربط السياسة الداخلة في حيز الدولة وسياسة الدولة مع أخرى ، بأصول قائمة على العدالة الاجتماعية ، وعلى الحزم ورعاية الأحكام . بهذا الإيجاز تبين الوسيلة الدينية وما تنهى إليه من غاية في كفالة الفرد من الطغيان وفي كفالة المجتمع من الشرور ، والجرائم التي تهدد من كيانه ، أو تسلبه الاستقرار في محيطه .

وبهذا التصوير تتشخص الحياة المثالية التي يرتضيها الدين الإسلامي لأهله ، ويهdy إليها القرآن وآياته البينات ، والتي انتهجها النبي ﷺ وصحبه وجاهدوا فيها ، ولكن هل يكفي ذلك التشريع الرحب الفضفاض لإرضاء النفوس الجوارح ، ورياضتها على الطاعة ، وإسلاس القياد فيمن يتمسكه الشذوذ عن الجماعة ؟ .

إن الذي خلق النفوس لم يشأ لها أن تكون على غرار واحد ، ولم تقتض حكمته أن تكون سواسية في الهدى ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . . . ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، .

(ب) وهنا تشتد حاجة الدعوة الدينية الى القوة المادية ماثلة في الجيش ، لتقمع الحوارج ، وترجع بالشواذ إلى حظيرة الجماعة ، وتفتح الآذان الموقورة لسماع دعوة الأذان إلى الفلاح ، وتنفذ إلى القلوب الغلف بنور السماء لمن شاء الله أن يهديه .

تشتد حاجة الدعوة إلى القوة لنحصى الأخلاق مما يفتأها ، وتصور الكرامات مما يثلها وتناصر الدعوة في كفاحها ، وتوفر لها الأمن في وطنها ، وتشتق لها طريقها لتسمى قدما إلى غايتها :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

ومن هنا اتفق في حكمة الله أن تكون الرسالة الدينية في الإسلام قائمة على الدعوة والقوة جميعاً ، إذ الإسلام دين ودولة ، وهو يعتمد في دولته على الدعوة أولاً ، ثم يلجأ إلى القوة إذا تمردت عليه الجمالة ، أو وقف في سبيله العداء الموروث . ومنهج القرآن في تنظيم الأمة جاء على ذلك ، وبه نهضت للمسلمين دولة في أرض موحشة ، وبين خصوم جبارة ، ثم اتسعت لهم الرقعة ، وتركزت لهم السيادة بتأزر الدعوة والقوة ، وتلك سنة الله لم تتخلف بعد إلا عمن تخلف عنها ، ولم تتغير إلا بقوم غيروا ما بأنفسهم .

غير أن الدعوة لا تركز على القوة الغاشمة المطلقة عن القيود ؛ فإن هذه تكون ضراوة وحشية ، تزيد في الفوضى أولاً ولا تجدى في العلاج ، وتعود بالنقض على أغراض الدعوة السلمية .

إذا استشفيت من دام بدام فأقتل ما أهلك ما شفاكا

ولنما تعتمد على القوة المصقولة بصقال الدين ، المشربة بروحه ، وإنسانيته ، وتلفه ، التنازلة على حكمه فيما لها أو عليها مع أولياء الدين أو خصومه .

ومن أجل ذلك كان الإسلام رحمة بالناس ، حتى في خصومته وحروبته ، وفيما بعده كريماً في هدنته ، ومن لم يهد بقصص القرآن ، ومن لم يؤمن بما يؤيده من أحداث التاريخ فله شأنه :

وليس يصح في الأذهان شيء . إذا احتاج النهار إلى دليل

وبعد : فإن لدينا في مصر أصدق العبر - ومصر هي البلد العريق في إسلامه وفي عروبه ، وبلد الخلافة يوم أوت إليها مهيضة فأوتها ، وهي بلد الأزهر قديماً ودائماً - إن شاء الله - إذ دخلتها دعوة الإسلام توازرها القوة ، وخفقت على شرفاتها راية الإسلام في ظل القوة ثم وهنت قوتها أخيراً بفعل الزمن وأعاصير السياسة ، فوهنت دعوة الدين نوعاً واعتورتها سهام الإلحاد ، وزاحتها المجانة ، وطفغت عليها نوازع الشر ، واتسعت الهوة بين دعوتها ، وجيشها ، ولم يبق إلا الأزهر وحده قائماً على دعوته ، ولكن في شيء من الجهد ، لكثرة ما افتتن الناس به من مغريات زحفت علينا ، حتى أصبح الأزهر في وطنه كالدخيل على غير أهله ، يتعرفه واحد ويتجاهله آخرون ، وحتى خشى الأزهر أن تتأصل وتعيش حوله تلك المخازي ، فتتخيف من شأنه ومكانته ، بل لقد رأى الأزهر أثراً لذلك الذي يخشاه في أفراد أحاطت بهم عوامل السوء فلانت قناتهم في يد الفتنة ، مما يشتد لهوله الأسى ، وتتهذر له الحسرة بين الضلوع .

وكان هذا في علم الله إيدان بانتهاء المحنة ، وتقلص الفتنة ، واستعادة الدين لصولته ، وانتعاش الأزهر في رسالته ، إذ بعث من معاقل الجيش المصري همة في كبرياء ، وغيره في إباء ، بعث من معاقل الجيش حماسة ابن الخطاب ، ماثلة في إقدام ابن العاص ، وجدد وفاء السابقين من أبطال الأمس ، في نجيب وصحبه من أبطال اليوم ، فدالت دولة الفساد والظلم والإلحاد في ساعة ، وتجددت للوطن كرامته ، وللدين قداسه ، وللشعب بهجته ، وستظل - برعاية الله ، ومعونته - هذه النهضة على قدم وساق . ولعل من الفأل الحسن أن تقرن هذه الوثبة باستقبال الأزهر لشيخ تقي يستعين بالله حقاً ، ولا يقول إلا صدقاً ، وهو بعد ، لا يتخذه الزاني ، ولا يغره الشاء ، وعلى مثل هذا الشيخ يتوكل الأزهر وينهض ويستفيد ويفيد ، والله المستجيب .

محمد عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السنة

دعاء واستعاذة

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّئها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشيع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ، رواه مسلم .

للدعاء في الإسلام ، وهدي النبي عليه الصلاة والسلام ، شأن عظيم ومقام كريم . ألم تر إلى فاتحة الكتاب : أم القرآن وأعظم سورة فيه !؟ شطرها الأول ثناء ، وشطرها الآخر دعاء . ألم تر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم !؟ لم يكتف بأن يحدثنا أن الدعاء أكرم شيء على الله تعالى ، حتى يحدثنا أنه هو العبادة أو هو خ العبادة ^(١) .

والعبادة هي منتهى الخضوع لله رب العالمين . وبحسب إخلاص العبد فيها واستقامته عليها ، ترتفع درجته ، وتشرف عند الله مكانته .

وفي هذا الحديث الذي استخرنا الله تعالى أن يكون فاتحة المجلة - وقد عادت إلى السنة - يستعين النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلم أمته أن تستعين من خمس آفات مهمات ، كلهن شر يُنتقى ، وبلاء يستعاذ بالله منه ! ثم يستعين صلوات الله وسلامه عليه من عذاب القبر ، وكأأنه عاقبة محتومة للآفات السابقة ، ونذير سوء لما بعده من عذاب الآخرة ، وللعذاب الآخرة أشد وأبقى ، ثم يضرع إلى الله تعالى أن يؤتیه ومن اتبع هداه التقوى ، وأن يطهره من هذه الآفات وما إليها ، ويقرن هذه الضراعة بالثناء عليه بما هو أهله ، ثم يتحصن به - وهو نعم الملجأ - من أربع بلايا من كنهين فقد كفى الشر كله ، وضرب في الخير بسهم وفير .

وقد زواج النبي صلى الله عليه وسلم بين كل اثنين من هذه البلايا التي عاذ بالله منها

(١) إشارة إلى ثلاثة أحاديث رواها الترمذي وغيره : الأول عن أبي هريرة ، والثاني عن النعمان بن بشير ، والثالث عن أنس رضى الله عنهم .

لمشاكلتهما بينهما . فتعوذ أول ما تعوذ من العجز والسكران ، وكلاهما داء وييل ومرض قاتل للحياة الروحية والاجتماعية ، بل للحياة الطبية في الآخرة والأولى . ويتفقان كلاهما في صفة سلبية وهى التخلي عن العمل ، وإن كان منشأ التخلي فى العجز عاهة أو نحوها ، ومنشأ التخلي فى السكران التقاعد والتشاغل عن العمل مع القدرة عليه ، لإثارة الراحة البدن أو حظ من حظوظ النفس وأهوائها . ويختلفان فى أن السكران مذموم ملوم لا عذر له ، لأنه ساقط المهمة خائر العزيمة متخلف عن الركب ، بضاعته الاحلام والاماني « وبئس للظالمين بدلا ، أما العاجز فهو معذور إلى أمد بعيد ، ولا سيما عجز بمحض القضاء والقدر لا يد لصاحبه فيه كالذى يولد كذلك أو الذى يصاب من حيث لا يحتسب ؛ فأما من جنى على نفسه حتى أعجزها ، أو حاد بها عن طريق الجادة حتى أنلفها فهو أعظم من السكران جرما وأقبح إثما وذما ! فليقت الله امرؤ فى نفسه ، وليجنبها بواعث العجز والسكران ، وإلا فهو عضو فاسد يجب النظر فى إصلاحه أو بتره قبل أن يعدو فساده على المجتمع .

* * *

وتعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن والبخل ، وكلاهما منع وشح ، غير أن الأول شح بالنفس ، والثانى شح بحبيب النفس ، وهما قرينان لا يكاد يذكر أحدهما دون صاحبه ، وكذلك ضداهما : الشجاعة والكرم . ومن أمثلة الاستدراك فى مبادئ النحو : فلان شجاع لكنه بخيل ، وذلك لأنه لا تخطر الشجاعة بالبال إلا ومعهما الكرم . وتعليل ذلك هين ، فإن الكرم ضرب من ضروب الشجاعة .

ومرد الشجاعة بجميع صنوفها إلى الثقة بالله أولا ثم بالنفس ثانيا ، ومن هنا كان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أشجع الناس وأكرم الناس ، لأنهم أوثق الناس بالله عز وجل . وجود الخليل والحييب بالنفس والمال ليس موضع ريبة ولا جدال . وكذلك ورثة الانبياء من بعدهم ، وكل من شحّوا بالنفس والنفيس فى سبيل الله وسبيل أوطانهم ، لا يبتغون إلا وجه الله ولا يخشون أحدا سواه ، فأما الجبناء والبخلاء فليسوا من ورثة الانبياء فى شيء .

* * *

وتعوذ صلى الله عليه وسلم من الهرم وعذاب القبر . والهرم أقصى السن وأرذل العمر ، والهرم على هذه الحال كسل ثقيل على الأهل والولد ، وبالخرى غيرهم ، وكبر السن مع ثقل الظل داء يستعاذ بالله منه ، فأما مجرد السكران ، ولو جاوز المائة ، مع سلامة العقل وهذوؤ النفس واستقامة العمل فذلك خير يطلب المزيد منه . فإذا

اجتمع إلى تلك الصفات حنكة وتجربة وسداد في الرأي ورشد في السياسة ونور في البصيرة وخشية لله وحده ، فذلك الإمام المقتدى به ، والسراج الذي يستضاء بنوره ، وفي مثل هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن بشر رضى الله عنه : « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » .

* * *

وعذاب القبر ونعيمه كلاهما حق ، تضافرت الأدلة عليه ، وصحت الرواية فيه عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم في مواطن كثيرة ، ولا يأتى دستور العقل أن يعيد الله تعالى حياة العبد في جسده أو في جزء منه ، وأن يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فن أهل النار ، ويقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة . وقاعدة أهل السنة والجماعة أن شيئاً ورد به نقل قوي لم يمنع منه عقل سليم ، وجب قبوله واعتقاده والإيمان به . وكمن شئ أثبتته العلم الحديث في عالم الأحياء ، بعد أن أنكره فليلو البضاعة من أشباه العلماء ، فكيف بهم في عالم الآلوات وبضاعتهم فيه مزجاة ١٩ ألا إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، فليعد امرؤ قبره كما يشاء ويختار ، وما تشامون إلا أن يشاء الله .

بعد أن نعوذ صلى الله عليه وسلم من هذه الآفات التي تهلك من يتبلى بها - فردا كان أو جماعة - ضرع إلى الله سبحانه أن يمنح نفسه تقواها له وخشيته منه ، وأن يزيكها ويحملها لأنه القادر على ذلك وحده ، فهو مالك أمرها ومدير شأنها والقائم على كل نفس بما كسبت ، لا يسوق الخير غيره ولا يكشف الضر أحد سواه . إن ضراعتة هذه بعد استعاذته ، من قبيل التحلية بعد التخلية ، أو من قبيل الصحة بعد العافية .

وتزكية النفس : تطهيرها سراً وعلانية من الخبث والدنس ، في عقيدة المرء وسلوكه ومعاملته ، لنفسه أو لربه ، أو لاهله وعشيرته ، أو لوطنه وأمته والعالم أجمع .

ولقد قام الإسلام على قواعد التطهير العام الشامل : فدعا إلى تطهير العقائد من دنس الشرك والكفر وعبادة غير الله عز وجل ، وإلى تطهير العقل من الخشوع والخضوع للخرافات والأوهام والأضاليل ، وتقليد الآباء والكبراء على غير هدى وبصيرة ؛ وإلى تطهير القلب من الحقد والحسد والغل والشحناء والبغضاء وما إلى ذلك من أمراضه الذاهبة به وبصاحبه ؛ ودعا إلى تطهير المعاملات من الكذب والزور والرشوة والربا ، والحرص والجشع والخذاع والطمع وما إليها من أكل أموال الناس بالباطل والعدوان عليهم في المال أو العرض أو النفس .

بنى الإسلام - ولا نقول سبق - على هذا التطهير العام الشامل الذى لم يدع رذيلة إلا هدمها ، ولا نقيسة إلا محاهها ، ثم شيد على أنقاض هذه الرذائل مدرسة قوية الأركان ، عتيدة البنيان ، منهاجها الكتاب المبين ، وإمامها خاتم النبيين ، وبناها خير أمة أخرجت للناس . وليس التطهير الذى تقوم به الحكومات الرشيدة فى عهودها المباركة إلا شيئاً قليلاً مما حمل الإسلام عبثه . وإذا كان الدين خير ظهير للحكومات ، يعينها ويؤيدها ويأخذ بيدها إلى ما ترجو من عزة وسعادة ومجد ورفعة ، فما أجدرها أن تبادله معونة بمعونة ، فتسكون له خير نصير ، تؤيده وتظهره ، وتثبته وتنصره ، وتتخذ فى كل عمل من أعمالها منهاجاً لها وإماماً . فعلى بركة الله سبرى أيها الحكومات السديدة مظهرة ومربية ، ومعلمة ومزكية ، موقنة بأن الله هو القيوم الديان ، وأنه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

ولما كان النبي فى أمته ، والإمام فى رعيته ، والقائد فى جنده ، كالطبيب الشفيع الاصح ، وكان أخوف ما يخاف على مريضه الانتكاس والعياذ بالله تعالى ، عاد صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من أربع آفات أخرى فهن فساد المرء ودنسه ، ومنهن يكون بلاؤه وانتكاسه . على أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ أحياناً من هذه الأربع على حدة ، فقد روى الاستعاذة منها فى حديث مستقل الأرمذى^١ والنسائى عن ابن عمرو رضى الله عنهما ، وكذلك أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه :

الآفة الأولى : علم لا ينفع ، لأنه شر من الجهل ، فإن الجاهل قد يذبح بجهله ، وأما العالم الذى لم ينفعه الله بعلمه فهو فتنة للناس ومضلة لهم لأنه فى موضع القدوة مهم ، لا جرم أن علمه حجة عليه لا له وأنه أشد الناس خزيًا ومقتاً فى الدنيا والآخرة . يأبى الذين آمنوا لم يقولوا ما لا يفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

الآفة الثانية : قلب لا يخشع ؛ لخلوه من الإيمان واليقين ، ولفساده باجتراح السيئات والمعاصى ، طبع الله عليه فلم يلبس لذكر الله ولم يتعظ بمواعظ الله ، ثم انتقل فسادُه إلى الجوارح لأنه المهيمن عليها والمحرك لها . وفى حديث الصحيحين المعروف : ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب .

الآفة الثالثة : نفس لا تشبع ؛ لجشعها وطمعها فهى وبال على صاحبها ومتعبة له ، لا تدعه يتمتع بما أوتى من نعمة ومناخ ، لا يتمتع بنعمة عاجلة لأنه مشغول عنها بالآجلة ، ولا يتمتع بنعمة آجلة لأنها لم تأت بعد ، لا جرم أنه الشقى المحروم الذى سلب نعمة الرضا وملى قلبه بحب الدنيا . وحب الدنيا رأس كل خطيئة .

الآفة الرابعة: دعوة لا يستجاب لها، أو دعاء لا يسمع، كما في الرواية الأخرى؛ لأن عدم الاستجابة أمانة لإعراض الله عن العبد لإعراض العبد عنه. ويذبح أن يعلم أن تأخير الإجابة ليس دليلاً على رد المسألة، فقد تؤخر لأسرار إلهية، منها أن الله يحب أن يسمع صوت الداعي وتضرعه، كما أنه ليس من شرط الإجابة أن تقضى حاجة العبد نفسها، فربما ادخرها الله له في الآخرة، وربما صرف عنه من السوء مثلاً. فلا ييئس العبد من رُوح الله وليدع ربه صادق النية حاضر القلب طيب السكسب موقناً بالإجابة. وقد بسطنا القول في أدب الدعاء^(١)، في شرح حديث الصحيحين، يستجاب لأحدكم ما لم يجعل، فلا حاجة بنا إلى إعادته. ذلك، وينطوي الحديث على لطائف جمّة، وإشارات كريمة، إذا لم يتسع المقام لتفصيلها كلها فلا أقول من التفتيته على بعضها.

فمنها: أن التحصن من الآفات والبلايا، بالدعوات والاستعاذة، بمنزلة الوقاية منها قبل وقوعها. ومثل الأمراض الروحية والاجتماعية كمثل الأمراض الجسمية، الوقاية في كل منها خير من العلاج. فإذا وقع شيء من هذه الأدواء، وجد إلى جانب الأدوية التي أنزلها الحكيم الخبير ضامنه للشفاء. ومضى أصاب الدواء موضع الداء برأ بإذن الله. وما مثل الضمان الاجتماعي الذي تقبّاه به الأمم بجانب هذا الضمان الإلهي إلا كمثل القشر من اللب أو كمثل الزبد من الزبد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ومنها شدة الصحابة رضي الله عنهم في تحمى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذاً من قول زيد رضي الله عنه: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول... وحسب زيد شرفاً وتحريماً أن الله تعالى صدقه لما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قول عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». وقد أكذبه ابن أبيّ وحلف، فأنزل الله تصديقه: «وأخذ صلى الله عليه وسلم بإذنه وقال: «وفت أذنك يا غلام»، ولبسط القصة مقام آخر غير هذا المقام.

ومما الإشارة إلى فضل الدعاء والاستعاذة، وعظيم أثرهما في تزكية النفس وترتيبها، وصلتها برهبها ومالك أمرها وناصيتها، ولا سيما مع الدوام الذي تشير إليه صيغة «كان...» فاللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التشكّلان. اللهم اهدنا لآحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لآحسنها إلا أنت، وقنا سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق لا يبق سيئاً إلا أنت «ربنا آتانا من لَدُنْكَ رحمةً وهيئ لنا من أمرنا رشداً». طه محمد الساكنت

في الفقه الإسلامي نشأته - خصائصه

تمهيد :

١ — لكل مجتمع ، مهما كانت درجته من الفكر والحضارة ، حظه من قواعد وأصول تحكم تصرفاته ومعاملاته وسائر شئونه ، والمجتمع العربي قبل الإسلام لم يشذ عن هذا الأساس الذي يقوم عليه بقاء الشخص والنوع والاجتماع والعمران .

لذلك ، نجد العرب عرفوا كثيراً من ضروب المعاملات ، كالبيع والمضاربة والشركة والإجارة ، وأقر الإسلام - على لسان رسوله وفعله وتقريره - ما وجدته صالحاً منها ، وحرم ما رآه غير صالح ولا يقوم عليه مجتمع سليم .

جاء في سنن أبي داود عن رسول الله ﷺ أنه قال للسائب بن أبي السائب : « كنت شريكاً ، فنعهم الشريك ! كنت لا تدارى ولا تمارى ، ومعروف أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء يجعله لهم ^(١) .

كما عرفوا أيضاً عقد السلم ، ، ولذلك نجد الرسول حين ينهى عن بيع « الغرر » يستثنى السلم لما في منعه من الحرج على الناس . وفي هذا يروى البخاري أن النبي ﷺ قدم المدينة وهم يُسلفون في الثمار السنة والسنتين ، فقال : من أسلف ، فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم ، ومعنى هذا ، لإقرار ذلك العقد ، مع بيان الشروط الضرورية لصحته .

٢ — إلا أنه لا يستطيع أحد أن يزعم أن العرب في جاهليتهم وصلوا من ذلك إلى بعض ما تصاح به أمة للحياة : إن ما عرفوه في هذه الناحية لم يكن إلا قواعد أو مبادئ متفرقة في غير شمول ولا كفاية ، ومن أجل هذا وغيره كانت الحاجة ماسة للإسلام وشريعته . أجل ! ظهر الإسلام والعرب ، بل للعالم كله ، في أشد الحاجة إليه ، فأعطاهم العقيدة الحققة ، والنظم التي يقوم عليها المجتمع والامة ، وكان من هذه النظم الحكيمية . ما نسميه اليوم « بالفقه » . وهو ما نرجو أن يوفقنا الله تعالى — في هذه البكيات — للتعريف بنشأته وخصائصه ، وبيان الطريق للإفادة منه ليسكون القانون العام الشامل ، بدل

ما نستجلبه من أمم أجنبية عنا بحضارتها وأهدافها في الحياة فليس كل ما يصلح لها يصلح لنا ، وبالله العون والتوفيق والسداد .

نشأة الفقه

٣ — لم ينشأ الفقه الإسلامي ، كما نعرفه اليوم ، كاملاً مرة واحدة ، بل تدرج في مراحل مختلفة حتى بلغ ما قدر له من نصج وكال ، شأنه في هذه الظاهرة شأن كل شيء وجد وعرف نور الحياة ، على أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، حتى كان الفقه قد استكمل أصوله التي قام عليها واستوى فيما بعد ؛ إذ انقضى بوفاته عهد وضع الشريعة في أسسها وأصولها ، فلم يبق للفقهاء بعده إلا الاستنباط والتفريع والتطبيقات .

وكان من الطبيعي أن يكون عماد الفقه في الفترة الأولى من حياته الخالدة ، على القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ، وقد استمرت هذه الفترة طوال حياة الرسول ، وفيها نزل القرآن مفرداً في مكة والمدينة ، وكان ما نزل بمكة نحو ثلثيه والباقي بالمدينة ، وقد اشتمل ما نزل بالمدينة على الجانب الأكبر من التشريعات الفقهية التفصيلية . أما ما نزل بمكة ، فقد كان مقصده الأول الدعوة إلى الله وتوحيده ، والدليل على ذلك وعلى وجود الدار الأخرى .

٤ — ولا عجب أن يكون هذا هو منهج القرآن مكيه ومدنيه . فالهم الأول كان صرف الناس عن الأديان والاعتقادات الباطلة ، وتوجيههم للدين الحق . وبعد أن تم للرسول النصر ولدين الله الفوز والثبات ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا ، كان قد آن أن ينزل القرآن بالتشريعات التفصيلية الواجبة لتنظيم حياة المسلمين وجماعتهم ، وبخاصة وقد صار للإسلام دولة بالمدينة تتطلب ما تقوم عليه من شرائع ونظم متعددة تحكم الحياة في نواحيها المختلفة .

ومن حكمة الله أن نزل القرآن بتكاليفه وأحكامه على التدرج ، رحمة بالناس وأخذاً لهم باليسر . وكان بعض ما نزل به لإجابة على أسئلة واستفتاءات يتقدم بها هذا أو ذاك من المسلمين ، ولذلك نجد في القرآن خمس عشرة آية مصدرة بكلمة : « يسألونك » ، وآيتين مصدرتين بكلمة : « يستفتونك » ، ومن الضرب الأول ثمان آيات كان السؤال فيها عن بعض ما يتناول الفقه من موضوعات ، وكلها بسورة البقرة ماعداً واحدة بالمائدة وأخرى بالأنفال .

٥ — وكان الرسول إذا سئل عن مسألة ، أو جددت حادثة تقتضى حكم الله تعالى ، ينتظر الوحي السماوى ؛ فإن نزل بالمراد كان بها ، وإلا كان هذا إيذاما من الله بأنه وكل إلى رسوله أن ينطق بالتشريع اللازم ، ومعلوم أنه لا ينطق عن الهوى . ومن أجل ذلك ، يجب أن نجزم بأن كل التشريعات التى ظفر بها الإسلام فى عهد المصطفى ، هى تشريعات وأحكام إلهية ؛ إما عن طريق مباشر بنزول القرآن بها ، وإما عن الرسول ويقره الله عليها .

وهنا ، ينبغى أن نلاحظ أن القرآن كثيراً ما كان يأتى بالتشريعات والأحكام بصفة عامة إجمالية ، وكان على الرسول — فى هذه الحالات — تفصيل هذا الإجمال . ولا عجب فى ذلك ، فإن مهمة الرسول دائماً هى البيان لرسائله بكافة طرق البيان ، مما يرشد إلى مقاصد صاحب الرسالة الأعظم وهو الله تعالى . وقد يكون لنا أن نقرر فى إيجاز أن دور الرسول هو دور المفسر والشارح للدين الذى هو القرآن ؛ إلا أنه شارح ملهم من الله ، مصحوب بتوفيقه .

وكان من ذلك ، أن مر الفقه بدور الشباب ، ثم دور النضج والكمال ، وأخيراً دور الشيخوخة بسبب التقليد ، ونرجو أن يستعيد من جديد فتوته وقوته وحيويته الدائمة .

وقيام الرسول ببيان وتفصيل ما جاء به القرآن من أحكام وتشريعات ، له مثل كثيرة : فى الصلاة والصيام والزكاة والحج ،^(١) وفى غير ذلك كله من ضروب المعاملات ، وهكذا كانت السنة مبنية للقرآن ، وكان الرسول مشرعاً بقوله وفعله وتقريره — وإن كان الله هو المشرع الأعظم فى الحقيقة — باستلهامه القرآن دائماً : نصه ، وروحه ، ومقاصده التى ترى دائماً للصالح والخير العام .

٦ — هذا ، والذى يقرأ القرآن بتدبر وملاحظة لما فيه من أبواب الفقه ، يجد أن لكل من فروع القانون التى نعرفها اليوم آيات خاصة تبين أحكامه . فى القرآن نحو سبعين آية فى الأحوال الشخصية . وفى المعاملات أو القانون المدنى نحو هذا القدر ، وفى باب العقوبات وإجراءات التحقيق نحو ثلاثين آية ، وفى باب القضاء والشهادة وما يتصل بذلك من مرافعات نحو عشرين آية والذى يتبع فقه السنة ، يجد أيضاً أن فى كل من هذه الأبواب كثيراً من الأحاديث ، منها ما يبين ما جاء فى القرآن بجمل ، ومنها ما يجهى بما سكنت عنه . وكل

(١) لم نجد ضرورياً أن نطيل بذكر الآيات التى شرعت بإجمال هذه العبادات والأحكام التى تناولها بالتفصيل ، فذلك معروف لم يشأ من علوم القرآن والحديث .

هذا وذاك ، قد كمل بما قرره القرآن والرسول من الاصول السكينة التشريعية ، وبذلك ظفر الإسلام حال حياة الرسول بتشريعات كاملة وافية بحاجات المسلمين الكثيرة المستوعبة والمتجددة في كل زمان ومكان (١) .

ثم إن بعض رجال الحديث ، رضوان الله عليهم ، قد رتبوا ما صح عندهم من الاحاديث على أبواب الفقه ، بحيث يسهل للباحث معرفة مدى أثر السنة في الفقه الإسلامي بجانب القرآن الذي هو المصدر الأساسي الأول لكل تشريع .

٧ — وبعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، أخذ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية يمتد إلى أقطار الأرض كلها ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، إذ فتح الله على المسلمين العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا والهند وغيرها . ولكل من هذه البلاد حضارتها وتشريعاتها المختلفة ، ولكل منها أيضا تقاليدها وعاداتها وأعرافها التي تعتبر من مصادر التشريع . وكان من هذا كله ، أن كثرت الحوادث والنوازل التي تتطلب أحكام الله تعالى ، وأن أصبح المأثور من قضاء الرسول وأحكامه لا يفي بهذه الحوادث والوقائع التي تزيد وتتجدد في كل آن .

وثمة عامل آخر كان له أثره في الفقه في هذه الفترة وما تلاها ، وهو هجرة كثير من الصحابة بعد عهد عمر ، رضوان الله عليه ، إلى هذه الاقطار ، فشاع التحديث عن الرسول ﷺ وكثر استنباط الاحكام من القرآن ومما يروونه صحيحاً من أحاديث الرسول . وطبيعي أن يكون لكل هذه العوامل ، وتلك ، أثرها في الفقه والتشريعات ، وفي كثرة الاجتهاد والمجتهدين .

وهكذا ، بدأ الفقه الإسلامي يتسع ويزدهر ، وأخذت أصوله تعرف وتتميز ، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها كالمصالح المرسلة ، وبدأت أعراف البلاد المختلفة - التي أصبحت تكون جسم الدولة الإسلامية - تؤثر في الفقهاء والفقه أثراً غير قليل ، إلا أن هذا الأثر يكاد ينحصر في إثارة مشاكل لم يعرفها المسلمون من قبل ، فكانت ميدانا لاجتهاد المجتهدين .

٨ — وبعد فقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، إذا سئل أحدهما عن مسألة ، يلجأ أولا إلى الكتاب والسنة ، فإن وجد الحكم الذي يريد فذاك ، وإلا لجأ إلى الصحابة ويقضي

(١) ولذلك ، يقول الله تعالى في أواخر حياة الرسول : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

بما يجد عند أحدهم عن الرسول . فإن أعباء الأمر ، استشار أهل الرأي والعلم وقضى بما يجتمعون عليه ، إلا أن عمر كان يرجع ، بعد الكتاب والسنة ، إلى رأى الصديق إن كان له رأى فى الحادثة ، قبل أن يلجأ إلى استشارة ذوى رأى والعلم من الصحابة جميعاً .

ومع ذلك ، فقد كان لسكل منهما اجتهاده فى بعض المسائل التى جرت فى أيامهم ، كما كانا يستعملان القياس أحياناً فيما لا نص فيه . لكن عمر كان يتخوف على الناس أن يجتهدوا فلا يوفقوا دائماً لحكم الله . ومن ثم ، تجده يكتب اشريح ، حين ولاء قضاء الكوفة فيقول : « إذا حضرك أمر لا بد منه ، فانظر ما فى كتاب الله فاقض به ، فإن لم يكن ففيما قضى به رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن ففيما قضى به الصالحون وأئمة العدل ، فإن لم يكن فأنت بالخيار ، فإن شئت أن يجتهد رأيك فاجتهد رأيك ، وإن شئت أن تؤمرنى ولا أرى مؤامرتك لىأى إلا خيراً والسلام » (١) .

٩ — وإلى تشدد الصحابة فى الاجتهاد بالرأى ، مخافة القول على الله ورسوله بلا علم ، ينبغى أن نضيف أن الشيخين بخاصة كانا يتشددان فى الإكثار من الرواية عن الرسول خوف الوقوع فى الكذب وانصراف الناس عن الاستنباط من القرآن .

روى الحافظ الذهبى أن الصديق جمع الناس بعد وفاة النبى وقال : « إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها ؛ والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرهوا حرامه » (٢) . وروى أيضاً عن قرظة بن كعب قال : لما سیرنا عمر إلى العراق مشى معنا ، وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك ، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم . جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله وأما شريككم . فلما قدم قرظة ، قالوا : حدثنا ، فقال : نهانا عمر ! » (٣) .

١٠ — وما ينبغى لنا أن نظن من ذلك عدم اعتبار الصحابة للسنة مصدراً من مصادر التشريع بعد القرآن ؛ أنهم كانوا بلا ريب يعتبرونها كذلك ، ولكنهم كانوا يتشددون فى الرواية للحديث ، كما قلنا ، خشية الكذب أو الخطأ ، وهكذا كان الشك فى الحديث

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، طبعة منير الدهشقى ، ج ١ : ٧١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ، ج ١ : ٣ (٣) نفسه ، ج ٧ .

فما بعد من عوامل ظهور الرأي في الفقه ، إلى درجة أن ظهر في الفقه في عصر متأخر قليلا عن هذه الفترة ، مدرستان : مدرسة أهل الحديث ، ومدرسة أهل الرأي .

وليس ضروريا أن تأتي بشيء من الأدلة على اعتبار الصحابة السنة مصدرا من مصادر التشريع ، فذلك معروف وبدهي ، ولكن نذكر - مع ذلك - مثالين في هذه الناحية . فقد جاءت سجدة - إلى أبي بكر تسأله ميراثها ، فقال لها لا أعلم لك في كتاب الله أو سنة رسوله شيئا ولكن سألت الناس ، فقال المغيرة بن 'شعبة' ومحمد بن قيس 'سألتهم بأن الرسول يعطيها السدس ، فقضى أبو بكر به . وكذلك استشار عمر في سقط المرأة إذا نزل بتعد من واحد من الناس ، فشهد هذان أيضا بأن الرسول قضى فيه بغرة [الغرة عبد أو أمة] ، فما كان من الفاروق إلا أن أن أمضى ذلك القضاء . ^(١) ومن هذين المثالين - وغيرهما كثير - نعلم مقدار احترام الشيخين لسنة الرسول ﷺ ، كما نعلم أنهما لم يكونا يتمان أحدا من الصحابة بالكذب على الرسول ، حينما طلب كل منهما شاهدا يسند راوى حديث في ميراث الجدة وحديث سقط المرأة ، ولكن هو الاحتياط في الشريعة والرغبة في التثبت .

١١ — وهنا ، تظهر لنا مشكلة تشريعية تتطلب الحل . لقد رأينا أن الصحابة كانوا يلجأون إلى الرأي بعد الكتاب المحكم والسنة الثابتة ، وكان الحكم الذي يجمعون عليه يعتبر حكما ليس لأحد أن يخالفه ، فهل الأمر كذلك في قول الصحابي الواحد ؟ أي هل يعتبر قوله حجة لا يجوز أن نعيد عنه ؟ ويحسن بنا ، في طريق حل المشكلة ، أن ننظر لعامل الزمن والتاريخ .

إذا رجعنا لأقاويل الصحابة أنفسهم ، حين كان الواحد منهم يفتي باجتهاده ، نجد المفتي منهم لا يرى أن يكون رأيه ملزما ، لأنه يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب ، وليس لأحد حمل الناس جميعا على رأي فيه هذا الاحتمال .

لقد كان الصديق إذا اجتهد وبأن له الرأي الذي يعتقده حقا ، يقول : هذا رأيي ؛ فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فني وأستغفر الله ، وكذلك كان صنيع عمر ، فقد كتب كاتب له : هذا ما رأى الله ورأى عمر ، فقال له : بشما قلت ! هذا ما رأى عمر ؛ فإن يكن

(١) راجع تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٣ ، و ص ٨

(٢) إعلام الموقعين ، ج ٤ ، ١٠٣ وما بعدها .

صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمن عمر . وقال : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأي - اعلمه يريد الرأي الذي قد يكون خطأ - سنة للأمة .

١٢ — هذا ، ما كان يراه الصحابة وكبار التابعين ، عند ما يفتون بالرأي عن اجتهاد ، فلا يرونه ملزماً للأمة وحجة على الناس جميعاً لاحتماله الخطأ . أما إذا طوينا الزمن ، وانتقلنا إلى العصر الوسيط ، فإننا نرى مثلاً الإمام ابن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ يعقد لقول الصحابي برأيه فصلاً يقول فيه ما نذكره باختصار :

« إذا قال الصحابي قوله وخالفه مثله ، لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر . وإن خالفه أعلم منه ، كما إذا خالف الخلفاء الراشدين أو بعضهم غيرهم من الصحابة ، فالصحيح أن الجانب الذي فيه الراشدون أو بعضهم أرجح وأولى أن يؤخذ به ، فإن كان الأربعة في شق فلا شك أنه الصواب ، وإن كان أكثرهم في شق فالصواب فيه أغلب ، وإن كانوا اثنين اثنين فثواب أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب ، فإن اختلف هذان فالصواب مع أبي بكر . وهذه جملة لا يعرف تفصيلها إلا من له خبرة واطلاع على ما اختلفوا فيه ، وعلى الراجح من أقوالهم ، ولا يعرف للصديق خلاف نص أبداً ، ولا يعرف لحكم ولا فتوى ما أخذها ضعيف أبداً ، وهو تحقيق لكون خلافه نبوية . وإن لم يخالف صحابي صحابياً آخر ، واشتهر قوله في الصحابة ، فالذي عليه جماهير الطوائف الفقهاء أنه لإجماع وحجة ، وقالت طائفة منهم هو حجة وليس بإجماع ، وقالت شرذمة من المتكلمين وبعض الفقهاء المتأخرين لا يكون لإجماع ولا حجة .

وإن لم يشتهر قوله ، أو لم يعلم هل اشتهر أم لا ، فالذي عليه جمهور الأمة أنه حجة ، وهو قول جمهور الحنفية ، ومذهب مالك وأصحابه ، ومنصوص الإمام أحمد واختيار جمهور أصحابه ، ومنصوص الشافعي في القديم والجديد ، (١) .

من ذلك كله ، ترى أن المتأخرين قد أعطوا لقول الصحابي برأيه مجتهداً في الفقه قيمة أكثر مما كان يعطى الصحابة أنفسهم لآرائهم فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، ونعتقد أن هذا أمر طبيعي ، فإن الصحابة لا اتصالهم بالرسول ﷺ ، ولقد رتبهم على الاجتهاد ، كان الواحد منهم لا يرى حمل الناس على رأيه ، أما في العصور التي جاءت بعدهم ، فحق الحق عرفان قدرهم تماماً لهم ، ووجوب العمل بآرائهم التي لم يقولوا بها إلا ولها سند من كتاب الله أو سنة رسوله ، وقد كانوا بلا ريب . أقرب إلى فهم ذلك فهمنا حقاً لمن جاء بعدهم إلى هذه الأيام التي نعيش فيها ؟

محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق - بجامعة فؤاد

(١) إلى آخر ما قال ، فانه قيم حقاً على طول فيه .

كلمة في الاجتهاد والتقليد

من نحو ست سنوات نددتني وزارة العدل في سورية إلى إعداد مشروع لقانون الأحوال الشخصية ، وكان العمل في محاكم الشام الشرعية (ولا يزال) بالراجح من مذهب أبي حنيفة إلا ما نص على غيره في قانون العائلة الذي أصدره العثمانيون قبل الحرب الأولى وعدلوا فيه طائفة من الأحكام تشبه في الجملة ما اشتملت عليه القوانين التي صدرت في مصر قبل سنة ١٩٣٠ ، وبقي العمل بهذا القانون إلى الآن ، فكان المرجع القانوني للقضاة في الأحكام الموضوعية قانون العائلة ، فإن لم ينص فيه على حكم رجع إلى كتاب الأحكام الشرعية لقدردى باشا رحمه الله ، وإلى كتب الفتوى في المذهب كحاشية ابن عابدين وتنقيح الحامدية وجامع الفصولين وأمثالها من كتب المتأخرين .

فلما شرعت بإعداد المشروع جعلت كتاب قدرى باشا هو الأصل ، ووضعت أمامي قانون العائلة والقوانين المصرية ، وكتب المذهب والمذاهب الثلاثة الأخرى ، وغيرها من الكتب الفقهية ككتب الشوكاني وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وفتاوى الجعفرية . ونظرت فمرضت لي مشكلة : هل ينبغي الوقوف في الترجيح عندما رجحه الفقهاء المتأخرون وعلى رأسهم الإمام ابن عابدين جزاء الله خيراً ؟ ثم جاوزت ذلك فسألت نفسي : هل يجب أن نقصر في التقليد على المذهب الحنفي ؟ ثم سألت : هل من الواجب علينا التقيد بالمذاهب الأربعة الرسمية ؟

وإذا أردنا أن نأخذ من غيرها ، هل نصنع كما صنعت مصر ، فنعين أولاً الحكم الذي نراه أوفق للصحة ثم نفتش عن قائل به ^(١) ، سواء علينا أكان هذا القائل معروفاً أم كان مجهولاً ، وكان هذا القول مروياً بالسند المتصل أم كان مذكوراً عرضاً أو متقولاً على لسان المخالف للرد عليه ! أم ننظر في الدليل ، فإن قام دليله أخذناه ، وإلا نبذناه ؟

وجرتني هذه الأفكار إلى تحديد موقفي (كما يقولون اليوم) من مسألة الاجتهاد والتقليد — ولما كنت قد نشأت نشأة غربية ، فواليت الدراسة في المدارس النظامية

(١) انظر كلمة الأستاذ المراغي رحمه الله عليه في ضبط الجلسة الأولى للجنة الأحوال الشخصية ، وهو في إدارة التشريع في وزارة العدل المصرية .

الابتدائية والثانوية والعالية ، وكنت مع ذلك أتردد صباحا ومساء على المشايخ ، وأجلس في حلقاتهم وأخذ عنهم العربية والفقه على الأسلوب القديم ، وكنت قريباً من جوه إذ كان والدى من أهيان علماء الشام وكانت إليه أمانة الفتوى في دمشق ، فكان أول ما استقر في ذهني أن الاجتهاد سد باب من قرن كذا (نسيت الآن من أي قرن سدوه) ، وأن القائلين بفتحه مبتدعة ووهابية لا يعتد بهم ، ولا يلتفت إليهم ، وأن للفقهاء طبقات في التقليد ، عدها ابن عابدين في أول الحاشية ، وأن علماءنا الأحياء من الطبقة الدنيا منها ، وأنهم ليسوا أهلاً للتخريج أو الترجيح فضلاً عن الاجتهاد .

ولكنني فكرت في هذا المبدأ بحكم دراستي النظامية ونقدته بعقلي الآخر الذي كوته المدارس وعلموها ، فوضح لي أن هذا المبدأ صحيح إن كان المراد بالاجتهاد أن نلغي كل ما وصل إليه فقهاء المذاهب الأربعة ، ونؤسس مذهباً خامساً من جديد ، نضع له أصولاً جديدة ونبنى عليها الفروع الجديدة ، فنكون كمن يهمل كل ما وصلت إليه صناعة الطيران ويعيد محاولة العباس بن فرناس ليضع طيارة يطير بها . أما إن كان المراد منع الاجتهاد إطلاقاً فلايس بصحيح لأنها قد تجد أحداثاً لم تكن على عهد ابن عابدين ، ولا بد من بيان حكم الله فيها ، كشبوت رمضان بالبرق أو الهاتف (التليفون) ، وكصححة الجمعة بخطبة من الراد (الراديو) بدل الخطيب والكلام فيها ضرب من الاجتهاد ، ثم إن سد باب الاجتهاد بالكلية حظر على الله أن يخلق كآبى حنيفة ، وهذا محال .

فلما توثقت عرى المودة بعد ذلك بيني وبين العالم النبيل الشيخ محمد بهجة البيطار وهو مثل مدرسة المنار في دمشق (إن صح هذا التعبير) بلغتني مقالة له يقول بمنع التقليد ، ووجوب الاجتهاد على جميع المكلفين ، وأعجبتني هذه المقالة لجديتها ، ولأنها حررتني من تلك التي كنت أشك فيها وأشكو منها ، ولكنني لما أنعمت فيها النظر ، وجدتني أكثر إمعاناً في الخطأ من تلك وأبعد عن الصواب .

فحاولت أن أبعد عن ذهني أقوال الطرفين ، وأن أجد السبيل إلى الحق بينهما ، فرجعت إلى أدلة الشرع فلم أجد نصاً في المسألة ، ووجدت أن الصحابة كان يفتى مهم أقل من ثلاثين ويرجع الباقي إليهم ، ويأخذون بأقوالهم ، ولكن من غير التزام لمذهب واحد منهم بعينه ، أو تسمية لمقلد ومجنهد ، أو ذكر لاجتهاد وتقليد .

فلما لم أقع على نقل في المسألة يوقف عنده رجعت إلى العقل ، فوجدت أن لكل علم من العلوم منقطعاً إليه مشتغلين به ، وغرباء عنه زاهدين فيه جاهلين بأحكامه .

فإذا كانت لك قضية في المحكمة ولم تكن من أهل القانون اضطرت إلى الرجوع إلى المحامين و (تقليد) أحدهم فيما يؤدي به إليه (اجتهاده) ، وإن عزمت على بناء دار رجعت إلى المهندسين ، وإن مرض ولدك راجعت الأطباء ، فإن رأى الطبيب الذى درس فى فرنسا شفاء الولد فى علاج ، ورأى الطبيب الذى تخرج فى أمريكا مضرته فى هذا العلاج ، ولم يكن بد من (تقليد) أحدهما ، ولم يكن لك طريق إلى ترجيح واحد من القولين فإذا تصنع ؟ تستفتى قلبك - وتميل إلى ما يميل إليه !

وهذا هو حال المقلد العامى فى أمور دينه ، فلا بد إذن من التقليد فى علم الدين وفى علوم الدنيا ، لأنه يستحيل أن يكون كل إنسان عارفاً بكل علم ، له فيه رأى وبحث واجتهاد . لكن إذا كنت تفهم شيئاً من أحوال هذا المرض - كأن سبقت لولدك الإصابة به وجرب العلاج وعرف أثره ، فإنه لا يمنعك من الترجيح ومن الرد على أحد الطبيبين أنك لست طبيباً ولا عالماً بالطب ، ولست عارفاً بأحوال الأمراض كلها .

وكذلك من بحث فى مسألة من مسائل الفقه ونظر فى أدلة من تكلم فيها - وكان له معرفة بعلم الأصول ومقدرة على فهم كلام العرب - لا يمنعه من أن يكون مجتهداً فيها أنه لا معرفة له بغيرها ، ولا يسعه تقليد من يقول بعكس ما أوصله إليه اجتهاده .

فإذا كنت أديباً متمكناً من العربية وراجعت فى مطولات كتب الفقه باب القراءة خلف الإمام - ونظرت فى أدلة كل فريق ورجعت إلى كتب الحديث فعرفت درجة كل حديث منها ، ومبلغه من الصحة - وكان لك إلمام بالأحوال - ورأيت أن الحق مع المالكية فى الإنصات عند جهر الإمام ، والقراءة عند إسراره ، كنت مجتهداً فى هذه المسألة ، ولم يحز لك أن تقلد فيها أبا حنيفة وإن كنت حنفياً ، بعد هذا الاجتهاد .

وفكرت بعد ذلك فى التلفيق - هل يجوز ؟ .

فرايت أنه لا بد من التفريق بين التلفيق عن هوى ، أو عن نظر واجتهاد ، وبين أن يكون من العامى أو من العالم .

أما التلفيق عن هوى ، أو من العالم بأنه تلفيق فلا يجوز ، وأما التلفيق عن بحث ونظر ، أو من العامى لجائز ، لأن العامى لا مذهب له ، ومذهبه مذهب مفتيه .

هذا كله للفرد الواحد ، ليقيم أمر دينه ، ويبرىء ذمته . أما فى التشريع للناس ، فلا بد مع النظر فى صحة الدليل ، من معرفة حاجة الناس ، وجعل العرف (إن كان عاماً) ومصلحة

الناس من جملة الأدلة ، وهذا ما جرى عليه علماءنا حين جعلوا من الأدلة رفع الحرج ، وعموم البلوى ، والعرف ، وبنوا على ذلك فروعاً كثيرة معروفة ، وقواعد منها أن للإمام أن يأمر بالمباح فيصير واجباً (ذكر ذلك في الحاشية والأشباه) ، وأن يأمر بالحكم باتباع أحد القولين .

ولقد وجدت خلال اشتغالي بوضع مشروع القانون أن في المذهب أحكاماً ثابتة بالنص القطعي كنعك الوصية للوارث ، ولا أزال أعجب كيف خالفها مصر ، ولا أجد لها وجهاً برغم المباحث والمناقشات الطويلة التي كانت بيني وبين الأستاذ العلامة الشيخ فرج السنهوري في داره العامرة في مصر وفي مكتبته في وزارة العدل .

وأحكاماً فيها نص ، ولكن النص فيها كالفقرة الحكمية المبنية على (حيثيات) . أخذ قوم بالحكم وحده (وهم الذين كانوا يسمون بأصحاب الحديث) وقوم كانوا أبعد نظراً ، وأدق فهماً ، نظرُوا إلى (الحثيات) والأسباب ، فلم يجعلوا الصاع من التمر في مسألة المُصَرَّاة هو القاعدة ، بل ثمن اللبن الذي أخذه المشتري من الضرع ، لأن النبي ﷺ ما حدد الصاع إلا لأنه كان عدلاً له ، ولعل من ذلك (في رأي) حكم الربا ، في مبادلة القمح بالقمح مع الفضل ، فلقد كان ملاحظاً فيه أن القمح كله نوع واحد ، أفلا يتغير الحكم إن ثبت اليوم بالعرف العام أن القمح أنواع مختلفة بالخصائص والأثمان ؟

وأحكاماً مبنية على استقراء ، كتجديد أكثر الحل بستين عندنا ولا يمنع مانع من تبديل هذه الأحكام إن ثبت بالاستقراء التام غير ما ثبت لدى الأولين بالاستقراء الناقص .

وأحكاماً مبنية على نص ، بوصف من الاوصاف ، لكن النص لا ينطبق عليها بوصف غيره ، كابن المحروم لا يرث من جده مع وجود الأعمام ، ولكن يعطى مثل نصيب أبيه (في حدود الثلث) بوصف ذلك وصية واجبة .

وقد كان في نفسى من ذلك شيء : كيف يحرم الله هذا الحفيد ونعطيه نحن ؟ وترددت قبل وضع هذا الحكم في مشروعى ، وجادلت الأستاذ السنهوري فيه جدالاً طويلاً ، ثم شرح الله صدرى ، حين ذكرت أن المسلمين الأولين كان يكفهم النذب لإعطاء هذا الحفيد ، فلما قصر الناس في أداء المندوبات ، كان من المصلحة أمر الحاكم الناس به . وكان في ذلك تحقيق الإعطاء الذي أراده الشارع حين نذب إليه .

وأحكاماً مبينة على نص يقابله نص آخر ، وليس من مانع من الرجوع إلى النص الآخر ، كمسألة طلاق الثلاث بفم واحد .

وأحكاماً مبينة على اجتهدين : اعتبار مدلول اللفظ أو قصد المتكلم ، كمسألة الحلف بالطلاق أو استعماله للحث على فعل أو المنع منه ، ولا وجه لإيجاب أحد الاجتهادين حتماً ، ومنع الآخر حتماً .

وأحكاماً لم ينص عليها ، نستطيع أن نقرها سداً للذريعة كمنع المتزوج من الزواج مرة ثانية إلا بعد إثبات مقدرنه على الإنفاق عليهما . هـ ، وذلك خير من الإذن له بالزواج ثم الطلاق عليه لعدم الإنفاق ، أو تحقيقاً للمصلحة ، كمرعاة الكفاية في السن بين الزوجين ، وعدم الإذن بالزواج إن كان الفارق بينهما فاحشاً أربعين أو خمسين سنة مثلاً ، أو إيجاباً لمندوب كأن تلزم من بطلاق زوجته طلاقاً تعسفياً يؤدي بها إلى الدوز والفاقة بتعويض فوق المؤجل يقدره القاضي .

هذه خواطر ما أردت بها الإحاطة بالموضوع ، ولكن فتح باب البحث فيه .

على الخطاطري

قاضي دمشق

أهل الفتوى الأولون

قال ابن القيم في أعلام الموقعين (٩ : ١) :

الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة .

وكان المسكئون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم . قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتياً عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً . وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث .

سُحُورِ الْمُؤْمِنِ

السَّعْيُ وَالطَّاعَةُ ، لِلتَّحَقُّقِ وَالْعَدْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ . فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » .

آيَتَانِ مُحْكَمَتَانِ ، صَدَرَتْ بِهِمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، هِيَ فِي جَمَلَتِهَا رِسَالَةُ الرَّحْمَةِ ، تَوَجُّهَهَا السَّمَاءَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، مُنَاشِدَةُ إِيَّاهُمْ أَنْ يَفِيضُوا مِنَ السَّلَامِ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، يَمُحُو مِنْ بَيْنِهِمْ أَسْبَابَ النِّزَاعِ وَالْخِصَامِ ، وَمَذْكَرَةُ إِيَّاهُمْ بِرِبَاطِ الْوَحْدَةِ الْإِنْسَانِيَةِ ، الَّتِي تَسْمُو عَلَى فَوَارِقِ الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ ، وَالْأَجْنَاسِ وَالْأَلْوَانِ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً . .

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ بَالِغِ الْحِكْمَةِ وَجَمِيلِ التَّلَطُّفِ فِي أَسْلُوبِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، أَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَرْتَقِيَ إِلَى هَذَا الْإِفْتِقِ الْعَالَمِيِّ الرَّفِيعِ ، صَعَدَتْ إِلَى مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ ، فَاخْتَارَتْ مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَةِ الْعَالَمِيَةِ الْكُبْرَى ، أَسْرَةَ كَبِيرَةٍ هِيَ أَحَقُّ بِالتَّرَابِطِ وَالتَّرَاحُمِ فِيمَا بَيْنَهَا ، تِلْكَ هِيَ أَسْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَةِ ، الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ مَبْدَأُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، نَظَّمَتْهُمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي سَلَكٍ وَاحِدٍ ، وَجَعَلَتْ تَنَاشُدَهُمْ أَنْ يَلْبُوا شَعَثَهُمْ ، وَيَضْمُوا صَفُوفَهُمْ تَحْتَ لَوَاءِ السَّلَامِ الشَّامِلِ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلَّهُ » .

أَوَّلُ مَا يَعْنِي الْبَاحِثُ مَا هُنَا ، هُوَ الْكَشْفُ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا السَّلَامِ الشَّامِلِ الَّذِي يَدْعُو الْقُرْآنَ إِلَيْهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ .

فَنَحْنُ نَفْهَمُ فِي الْعَادَةِ مِنْ كَلِمَةِ « السَّلَامِ » ، مَعْنَى : كَفِّ الْأَذَى ، وَتَرْكِ الشَّغْبِ وَالْفِتْنَةِ ، وَتَبْذُورِ الْحُرُوبِ وَالْخُصُومَاتِ ، وَبِالْجَمَلَةِ مَعْنَى الْمَسَالِمَةِ فِي مَعَامَلَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ فِي ذَاتِهِ ، غَيْرُ أَنَّهُ لَا يُمَثِّلُ مِنَ السَّلَامِ إِلَّا عُنْصُرَهُ السَّلْبِيَّ ، وَلَا يَصُورُ مِنْهُ إِلَّا قَشْرَتَهُ السُّطْحِيَّةَ ، وَمُظْهِرَهُ الْخَارِجِيَّ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ هَذَا الْمَظْهَرُ طَلَاهُ خَادِعًا ، يَخْفَى وَرَاءَهُ الدَّاءُ الدَّفِينُ ، وَالضُّغْنُ الْكَمِينُ ، وَإِنَّمَا السَّلَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَتَقَرَّرُ فِي الْآرَاءِ وَالْعَقَائِدِ ، قَبْلَ أَنْ تَحْرُرَ مَوَاقِفُهُ فِي صُكُوكِ الْمَعَاهِدَاتِ ، وَقَبْلَ أَنْ تَطْبُقَ قَوَاعِدُهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

وَكَلَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَيْسَ رِسَالَةً مَدْنِيَّةً خُصْبَ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ هَمِّ تَنْظِيمِ صُورِ الْحَيَاةِ وَمُظَاهَرِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ تَرْبِيَّةٌ لِلْعُقُولِ بِالْعَقَائِدِ السَّلِيمَةِ ، وَتَرْكِيَّةٌ

للقلوب بالمبادئ الفاضلة ، التي متى نبتت بين الجوارح ، أينعت ثمراتها الطيبة على اللسان والجوارح . أجل إنه ليس من سنة القرآن أن يكتفى في معالجة الأمور بذلك النوع من العلاج السطحي الجانبي ، ولكنه دائماً يأتي البنيان من قواعده ويسوس الأمر من باطنه وأعماقه : يمكن للخيرات والفضائل بغرس بذورها ؛ ريكافح الشرور والذائل ، باقتلاع جذورها . السلام الذي يدعو اليه القرآن هاهنا ، هو إذاً شيء آخر ، أعمق من كل هذه المظاهر المادية ؛ إنه فكرة حية ، وحقيقة روحية ، هو عقد وميثاق بين المرء وقلبه ، يلتزم فيه كل امرئ أن يكون متجاوباً حقاً وصدقاً مع المثل العليا التي يؤمن بها ، بحيث لا يثور تمرداً على تلك المبادئ إذا خالفت هواه ، ولا يعرض عنها كلما تعارضت مع ميوله ورغائبه ، فالدخول في السلم هو الثبات تحت راية الحق في خضوع واستسلام ، والانقياد لقانون العدل ، في طاعة ونظام ، ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، ، ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، .

هذا هو لب المعنى وجوهره في لغة العرب ، وهذا هو حقيقة السلم ، وحقيقة الإسلام ، في لغة القرآن ، وهذا هو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء ، وهذا هو الطريق الوحيد لنشر لواء الأمن والسلام بين الأمم والأفراد .

ذلك أنه لا يستقر أمن إلا في ظل الألفة والترابط ، ولا تدوم ألفة إلا على أساس مبدأ واحد ثابت ، ولا وحدة ولا ثبات إلا لمبدأ الحق الذي لا يتحول ولا يتعدد . وبضدها تتميز الأشياء . فليس على وجه الأرض فتنة وخصومة ، إلا كانت وليدة اختلاف ؛ ولا اختلاف يورث الخصام إلا أن يكون مبعثه تشعب الأهواء وتناقضها ، ولا تشعب الأهواء وتناقض إلا بمقياس بعدها عن جادة الحق ، وطريقه القويم : ، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، . ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، .

هذا ولقد علمتنا التجربة والملاحظة المتكررة ، أن كثيراً ممن عندهم أصل الإيمان ، لا يعوزهم اعتناق المبادئ ، ولكن يعوزهم الثبات عليها ، وأنهم لا ينقم عليهم رفض مبادئهم والارتداد عنها ، بقدر ما يؤخذ عليهم تجزئة هذه المبادئ وتفتيتها ، وتركهم الميول والأهواء تعترض سبلها ، وتقيم الحواجز أمام تطبيقها على عمومها : ، يحملونه عاماً ؛ ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، .

ومن هنا يعرف السر في أن القرآن لم يكتف بمجرد الدخول في السلم ، بل طلب أن يكون ، كافة ، عامة ، وأن يكون الإذعان لأمره إذعانا كلياً ، شاملاً كاملاً ، لا قيوده ولا حدود ، ولا التواء فيه ولا استثناء . فذلك هي أنصاف الحلول التي يأبأها القرآن ، وذلك هو مناط الذم ، الذي وجهه إلى كثير من أهل الأديان ، فنحن نراه - حين يضرب للناس أمثالهم - يعرف لنا المؤمنين الصادقين بأنهم هم الذين يعتنقون الحق جملة واحدة ، : يؤمنون بالكتاب كله ولا يفرقون بين الله ورسله ، وهم الذين إذا شرعت لهم القوانين العادلة لم يتبرموا بها ، ولو كان فيها ما تكرهه نفوسهم . ولم يتبرموا منها ، ولو كان من ورائها نقص شيء من حظوظهم وأمانتهم . إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وفي ذلك يقول الرسول الكريم : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية » .

أما الذين في قلوبهم زيغ ، فقد وصفهم القرآن بأن كل شيء عندهم منقسم : عقائدهم ، ومعاملاتهم ، وأحكامهم ، فأما في عقائدهم فإنهم يؤمنون ببعض الحق ، ويكفرون ببعضه ، وكلما جاءهم داعي الحق بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، وفريقاً كذبوا ، وفريقاً يقتلون . وأما في معاملاتهم فإنهم إذا لزمهم الحق لم يؤدوه إلا مكرهين ، « وإن يكن لهم الحق يأبوا لإيه مدعنين » . وأما في حكمهم على الأشياء وعلى الناس ، فإنهم لا يحمدون إلا الناحية التي يهب عليهم منها ريح الغنيمة : « فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » .

على أن الذي يذعن للحق فيما يرضيه ، ويعرض عنه فيما يسخطه ، ليس في الحقيقة مدعناً له في واحدة منهما ، ولكنه مستسلم لهواه في كلتا الحالين .

ومهما يكن من أمر ، فإن التردد على الحق كلا أو بعضاً ، لا يمكن أن يكون نزعة من نزعات الإيمان ، وإنما هو نزعة من نزعات الشيطان ، لا جرم حذرنا الله منه أشد تحذير ، حيث قال - جل شأنه - : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » ، فكان صدر الآية تبصيراً بطريق الهداية ، وعجزاً تحذيراً من طرق الغواية .

وهكذا كل قيادة حكيمة ، تبدأ بالبيان والإرشاد ، وتنتهي بالنصح والتحذير ، فإذا أصر الناس على العناد بعد أن تبين لهم الرشد من الغي ، لم يبق إلا أن يؤخذوا بالحزم والعزم ، وآخر الدواء السكى : « فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم » . وصدق الله العظيم .

محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

من صور القوة في القرآن

ما أعذب الماء البارد على شدة الظمأ ! وما أجمل القوة العادلة عندما تنساب برداً وسلاماً فتحسم المظالم النازلة على الأفئدة الكسيرة ، وتطفيء الآلام التي برحت بالمظلومين والمستضعفين . . .

لأنه لا يعرف فضل القوة المؤيدة للحق إلا من شقى تحت وطأة الطغيان دمرأ طويلاً ، لأنه يستقبل طلائعها استقبال المقرور للدفع ، واستقبال الهيمان للإلف ، لأنه يعتبر زحفها بوارق الصبح تشق جنح الظلام ، ومعالم الية ظلة تغزو البصائر والابصار . . .

وسلنا نحن — الذين طالما ناشدنا المستكبرين أن يتواضعوا ، والغاوين أن يرشدوا — سلنا نحن — الذين طالما ناشدنا الظالمين أن يعدلوا ، والعابدين لأنفسهم وهوأها أن يوقروا ربهم ودينه — سلنا نحن — الذين بعت أصواتنا في الذكر بآيات الله والحكمة ، فلم نجد إلا صداً وعلواً ، وحقاً وعتواً — سلنا : كم تكون الفرحة ملء جوانحنا حينما نجد السيف قد قوم الصعر ، وأدب البطر . . . وأكره الطاغوت أن يتضامل ويتطامن ، ويستمتع للحق الذي كان يهيم أذنيه عنه ، ويستسلم للقصاص الذي كان في منجاة منه . . .

ما أنبل القوة العادلة عندما تحق الحق وتبطل الباطل ، بعد ما كادت النفوس تزهر من باطل لبس مسوح الحق ومشى في الأرض مطهئناً ، ومن حق عكته زراية الباطل فتواري عن الاعين مخدولا ضائعاً . . . 11

إن القوة التي تقيم بين الناس الموازين القسط هي ما أمر الإسلام بإعداده ، وحض على بذل النفس والنفيس فيه .

وفي القرآن سورة يصح أن توضع آياتها في إطار من المدافع الملتشابهة والقدائف الملتبهة ، لأنك تلح في كلها القوى صورة الصراع الدامي بين جند الرحمن ، وجند الطغيان ! وترى الفريقين وقد ارتجت من تحتها الأرض ، وثار من فوقهما النقع ! ثم انجلي القتال بعد ما كتب النصر لاهدى الفشتين وأرضاها لله ، فتذكر قول الشاعر :

فتفت لكم ريح الجلال بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر !
وجنيتهم ثمـر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر !

أما هذه السورة فهي سورة (العاديات) .

بدأت بوصف رائق الخيل المجاهدين وهي تنطلق بأصحابها إلى الميدان ! إنها تركض حينئذ إلى غايتها ، تنهب البر وتحرق الريح ، وصدورها علو وهبوط من تتابع الأنفاس واطراد العدو ، وفوقها فرسانها المغاوير يتسابقون إلى لقاء العدو ...

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا من شدة الحزم لامن شدة الحزم
ذاك ما أخذت السورة تصفه . لجأت آياتها على هذا النسق . والعاديات ضبعا .
فالموريات قدحا . فالمغيرات صبعا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا .

فإذا أحسست ضبح الخيل من طول لها ، أحسست كذلك انقذاح الشرر تحت سنايكها وهي تضرب الصخور في طريقها إلى ضرب المبتلين ، وتورى النار التي سوف تحرق وتضيء ، تحرق جلود الطغاة ، وتضيء سبل الممذبين المقهورين .

ثم نجيء بعد ذلك غارة الصباح ، وماغارة الصباح ؟ إنها الضربة المفاجئة تنزل بالغاوين على حين غرة فيستيقظون من غفلتهم على مس العقاب ، ولات حين مناص .

لأنهم ظنوا أن الدنيا دانت لهم ، وأن الأوضاع استقرت تحت أقدامهم ، وأن الفضائل التي طاردوها لن تجد من يحميها ، وأن الرذائل التي ألفوها لن تجد من يدوسها ، فناموا ، وهم آمنون ! بيد أن للحق حراساً تسدهم الآلام ، ويورقهم مانلقاه الحياة من عبث الطواغيت بأقدار العباد والبلاد ، لأنهم يتحينون الفرص ، حتى إذا سنحت انقضوا على المجرمين انقضاض الصواقع ، فإذا الليالي تتمخض عن المغيرات صبعا ، يطالع الناس أنباءها مع مطالع الفجر .

حدث قديما قتال بين المسلمين واليهود . فزحف النبي ﷺ ليلا بجيشه على حصون خيبر ، فصحا اليهود مع الفجر ، ورأوا الصحابة يحيطين بهم . فقالوا : محمد والخميس ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، هلكت خيبر ، إنما إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين !

إن العاديات المغيرات مع الصباح ليست جيوش استغلال ونهب ! إنها القوة جاءت مع موكب النور لتحرير العبيد من أوهام الظلام ، ولتحقق الهدف الاسمي من نزول القرآن . كتاب أنزاله إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم ، إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض . .

وإذا انطلقت القوى العادلة من مكانها لتؤدي رسالتها فإن الاصطدام بالجموع المتألفة المنحزمة ، وثوران النقع في جو المعركة هو أول ما يتبادر إلى الذهن ، ذلك أن الباطل المستعلن بفجوره ، المستغرق في غروره ، لا يتخلى عن ضلاله القديم بسهولة ، وربما تقافى في التثبت بآثامه وأوزاره !

ومن ثم فإن يستطيع تأديبه إلا رجال لهم جرأة في الحق تربو على جرأة عدوهم في الباطل ، ولديهم حرص على النضحية في سبيل الله أشد من حرص أعدائهم على المغامرة والسطو ، والاحتفاظ بمكاسبها الحرام ...

ونحن إذا راقبنا سير الطغاة في الأرض وجدنا السياسة التي يظفرون بها أول أمرهم لا تعود إلى خصائص القوة في أنفسهم قدر ما تعدد إلى آثار الوهن في صفوف غيرهم ... حتى إذا رزقت المثل العليا بأتباع من أولى النجدة والغداة ، لم تلبث الحياة أن تمود إلى رشدتها ، ولم تلبث الاضنام المقدسة أن تستحيل إلى أنقاض مبعثرة في الرغام ... !!

وكيف تتم هذه الآيات الباهرة ؟ تتم بالقوة وحدها حين تنجد الحق المهزوم والخير المسكوم ... فلا عجب إذا أقسم القرآن بأدوات هذه القوة ومجد طريقة عملها ، والعاديات ضبحا ، فالمريرات قدحا ، فالمريرات صبحا ، فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ، ...

إنه أقسم بصرامة الدواء على شدة الداء . أجل . فربما كان استخدام القوة عملا ينطوى في ظاهره على خشونة وقسوة . لكن هذه الخشونة وتلك القسوة تعتبران برأكرهما وفضلا عظيما يوم تكونان علاجا للكنود والعدوان والتبجح ، وكما ابتليت الحياة بمن ملاءمها فاجها بهذه الخلال الخميسة فخرها جحيا تشقى فيها الأفراد والجماعات ...

فكيف النجاء من هذه الكروب إلا بالقوة العادلة ، القوة التي تجعل الشاعر يقول :

إذا الملك الجبار صعرَّ خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه !

وعلاج الجبروت بالسيوف عدالة تحمد لأصحابها في الأرض والسماء .

وقد أقسم الله بالعاديات وما وادها على هذا المعنى إذ قال : « إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد ، جحود حق الله ، وإفعاثة بذلك ، والاستتار دون الناس بالخير ؛ هذه هي أسباب الفساد التي يجب أن تستأصل . ولن تستأصل بالنصح والإرشاد إلا إذا كانت رذائل فردية هينة ، أما إذا قام لها ملك ، وشرعت لتدعيمها رماح ، فلا يقل الحديد إلا الحديد .

وكان الإسلام يود لو أنصف الناس من أنفسهم بالعقل والحكمة ، بدل أن يلتزموا الإنصاف بالقهر والعنف ، غير أن غرائز السوء غلبت فلم يبق من قمعها بد.

والأديان لا تحمل السلاح إلا مكرهه ، وأنبياء الله كافة كانوا يتحنون لو استمسك الناس بفضائلهم ، وتعرفوا إلى ربهم وكرسوا حياتهم في شكر أنعمه ، وأحبوا ضمائرهم بمراقبته ، وأحسنوا الاستعداد للقائه .

فلا غرو إذ اختتمت هذه الصورة العسكرية بمناشدة الإنسان أن يلتزم هذه المعاني الطيبة النبيلة . أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير .
والحق أنه لو توفرت بين الناس الصدور السليمة ، وتركزت في قرارة أقدنتهم حدود الثواب والعقاب ، فإنه لن يكون ثم مكان للحرب والضرب ، أما مع طغيان الأثرة وانفلات الزمام فسيدق العالم محتاجا إلى القوة التي تقر العدالة ، العدالة والنظام ، مثل حاجته إلى الشراب والطعام ! ! وسرى أنفسنا منساقين إلى تمجيد هذه القوة السكرية ؟

محمد الغزالي

من التوجيه المحمدي :

المسلمون كما يريدهم الإسلام

في كتاب البر والصلة والآداب من صحيح مسلم (٨ : ١٠ الطبعة السلطانية) من حديث أبي سعيد مولى عامر بن كريز عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : لا تحاسدوا ، ولا تاجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا .

المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره .

والتقوى هاهنا (ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات) . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم .

كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .

التحديث النبوى

مقاصده ، ألفاظه ، معانيه

أردت أولاً أن أجعل موضوع هذا البحث (البلاغة النبوية) فقط ، ولكنى رأيت ذلك لا يشمل الحديث عن مقاصد الكلام النبوى الكريم ، وما فيه من توجيه صالح وثقافة تهذيبية وإرشاد سام يشبه النفس العظيمة التى صدر عنها ، ويرتفع بمستوى النفس البشرية عن كل رعونتها ، حتى يصل بينها وبين السماء بأقوى وصلة وأحكم رباط . وذلك شئ يفوت على وعلى القارىء الكريم فرصة حيوية إلى كل نفس مسلمة ، فإن الحاجة إلى التأنق بين رياض الإسلام ومقاصده الشريفة يتجلى فى موضوعات حديث صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، ليست أقل من الحاجة إلى معرفة البلاغة النبوية على سمو هذه المحاولة فإنها ناحية فنية كإلية لا يتطرق العوز بها إلى كل شخص ، فأما مقاصد الإسلام فإنها ضالة كل إنسان فى الوجود ، والتعريف بها ولو على وجه كلى يحمل توجيه إلى كل فرد وكل جماعة وكل أمة كيف تسلك سبل النجاة والرفعة فى دينها ودنياها من أقرب طريق وعلى أصح وجه .

وأظن أن القارىء الكريم فى غير حاجة أن يعلم أن معنى البلاغة النبوية شئ خاص يرجع إلى دراسة الالفاظ ومزايها فى دلالتها على معانيها وما فيها من صفات وجازة أو بسط ، وتقديم فى الأسلوب أو تأخير أو حذف وفصل بين الجمل أو وصل ، وما إلى ذلك من أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال كما يقولون . وذلك شئ فى ذاته يجرى مع كل عرض سما أو نزل . ويقع فى الهجر والإثم كما يتحقق مع الحق والحكم ، ويكون مع الخطيئة والفرزدق أقوى مما يكون مع الحسن البصرى أو الحسن بن على أحياناً .

لهذا جعلت موضوع هذه المحاولة (الحديث النبوى) من جميع نواحيه سواء منها ما يتصل بأغراضه ومقاصده ، وما يتصل بألفاظه وبلاغتها ، وما يتصل بمعانيه وامتيازها فى لفظها مع بساطتها ، وعلوها مع دنوها ، ويسرها مع اعتيائها على محاولها . وسترى تصوير ذلك كله مقرباً ميسراً إن شاء الله .

فأما موضوع الحديث النبوى ومقاصده ، فإنها رسالة الإسلام العظمى التى قامت على هداية الناس ودعوتهم إلى ما يرفع مستواهم ، ويصلحهم فى دينهم وآخرتهم ودينهم من أقرب الطرق وعلى أصح الوجوه ، ذلك هو سبيل الكلام النبوى الشريف : لا ينطق عن الهوى ، ولا يلفظ العوراء ، ولا يقرب الحنا حتى إنه كان إذا مزح لا يقول إلا حقاً ، وإذا أراد إخفاء أمر عرض فى قوله فكان صدقا ، يقول فى بعض حديثه : إن فى المعاريض مندوحة عن الكذب .

لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان الخير يتضوع من جميع جوانبه ونواحيه ويتمثل فى قوله كما يتجلى فى فعله . وكان يأبى إلا أن يكون مشرعا أميناً وناصحاً مبنياً . فهو يتوقف عما لم يوح به إليه فى مقام التعليم ، ويقول لمن سأله عن الحجج : فى كل عام يارسول الله ؟ لو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا . إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم .

وليس معنى ذلك أن كلام النبى صلى الله عليه وسلم كان وحيا كله ، ولا أنه كان تشريعاً فى جملة وتفصيله ، فإنه صلى الله عليه وسلم كانت له ناحية البشرية التى تحقق له بعض الملذات وتمتعه أحيانا بالطيبات ، يقول القول أحيانا فلا يمتضيه لأن الله يصرفه عنه إلى ما هو خير منه ، وذلك هو معنى العصمة فى جانبه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم وغيره عن رافع بن خديج : « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشئ من دنياكم فإنما أنا بشر » .

وهذا شئ لا أريد أن أخوض فى تفصيله ولا هو من شأنى الآن ، إنما أريد أن أصور أن حديث رسول الله فى جوانب الخير ونواحي الإصلاح ، وأنه لم يكن يتناول من الموضوعات إلا ما يتفق مع سمو شخصه ، ويتناسب مع رسالته . وإنه وصف فى التوراة والإنجيل بما يحقق فيه الاسوة الصالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، لا يقابل السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح . ووصف فى القرآن الكريم بقول الله سبحانه : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . ووصف فى السنة بأن مجلسه لا تؤبن فيه الحرم . وأنه لا يسمع القبيح ولا يقره ، فحال أن يصدر عنه . ومن

شاء فليتابع كل ما نقل عنه الناقلون في أخباره وسيرته ، هل يرى فيها إلا ما يشبه رسالته ويناسب صفته ، من قول صالح وعلم نافع .

موضوع السنة النبوية الكريمة إذاً هو كل ما تشتهبه النفوس السليمة بما يدعو إلى تقوى الله ، وصلاح المجتمع ، ومقاومة كل رعونة في الأرض من ظلم وبغى ، أو حسد ، أو مكر أو سقم في العقل ، تقع فيه روضات فيج وجنات ، وتزكية من الضلالات ، فإنك في حديثه ومعرفته كصاحب المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن يتباع منه ، وإما أن تجد ريحاً طيبة .

وإليك بعض الصور من تلك من المقاصد السامية والأغراض الكريمة :

من أغراض السنة الكريمة بيان دعوة المرسلين جميعاً من عبادة المستحق للعبادة وهو الله وحده . وإفراده سبحانه بكل مظاهر التعظيم ، وإخلاص الأعمال كلها لوجهه .

فما جاء في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ،

وعن مالك بن عوف الأشجعي قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألا تباعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا : علام نباعك يا رسول الله ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس (وأسرّ كلمة في خفية) قال : ولا تسألوا الناس شيئاً . فلقد رأيت أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه . وهذا الغرض أساس الإسلام ومحور الدين الكريم .

ويتصل بذلك الدعوة إلى عزة الإسلام ، وعدم الخضوع والذلة لمخلوق أيا كان .

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك .

ومن أغراضه الكريمة مقاومة خرافات الجاهلية وجهالاتها من التفاوت بين الناس ، ونظام الطبقات ، واعتداء القوى على الضعيف ، وما إلى ذلك مما أشاعته الفوضى والجاهلية بلا عقل سليم ولا منطق مفهوم ، وما أكثر هذا الغرض في السنة ، كقوله صلى

الله عليه وسلم أنها كم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وواد النبات ، ومنع وهات ،
إن الله تعالى قد رفع عنكم نخوة الجاهلية وتفآخرها بالآباء ، دعوا دعوى الجاهلية ذميمة .
لا حى إلا لله ورسوله ، لا عدوى ولا صفر ولا هامة ، من أتى منجماً أو كاهناً أو عرافاً
فقد كفر بما أنزل على محمد . من حلف يغير الله فقد أشرك . الناس سواسية كأسنان المشط
لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

ومن أغراضه الكريمة الدعوة إلى مكارم الأخلاق من العدل والإحسان بين الاخ
وأخيه وبين الراعى والرعية وتعهد بمضى الناس لبعض بمعونة الضعيف وإغاثة اللهفان ،
وإطعام الجائع وكسوة العارى ، ومن بسطة الوجه وحسن الخلق وتوطئة الأكناف
وكل ما يبعث على المحبة ويغرس الألفة والمودة ، حتى يعيش الناس إخواناً متصافين يشيع
فيهم السلام والوئام فيعبدوا الله ، ويسعدوا فى هذه الحياة ، مما لو أخذ العالم ببعضه لكانت
الدنيا جنة لأهلها . لا جحماً كعمدك اليوم بها .

وإليك بعض ما فى السنة الكريمة من ذلك :

« كل سلامى من الناس عليه صدقة . كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة
وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة
صدقة ، ودليل الطريق صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » .

ألا بأنى أنت وأمى يا رسول الله ، ما تركت باباً من الخير فيه سعادة إلا وجهت إليه ،
ولا تركت باباً من الخير فيه مساس بإنسان أو حيوان إلا نهيت عنه .

وفى الصحيح أيضاً « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن
رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى
مسئولة عن رعيته ، والخدام راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع
فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

« ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فبأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان
له صدقة » .

« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسمعهم منكم بسطة الوجه وحسن الخلق » .

« إن أحبكم إلى وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكسفاً ، الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون ، . وما أكثر ذلك الإرشاد والرشاد في السنة المحمدية .

وهو صلى الله عليه وسلم يحث على احترام حقوق المسلم ، ويحرم دمه وماله وعرضه ويقول : « من قطع رجاء أخيه قطع الله رجاءه » . « إذا أشار الرجل على أخيه بالسلاح فهما على حرف جهنم » .

وهو صلى الله عليه وسلم يوصي بالمرأة ، وينفي ما كانت عليه الجاهلية من إهدار آدميتها ، ويرفع من شأنها ، ويأمر بمراقبة الله فيها فيقول في بعض ما يحدث :

« ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » .

ومن أغراضه الكريمة التنهيد في الدنيا حتى تصفو النفس وتستقبل المكarm ، وحتى يتحجب الناس ويعرف بعضهم حق بعض . فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى في بدنك آمناً في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء . ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

ولو أتت ذهبت أنتفع ما جاء من أغراض في التشريع الصالح ، والإرشاد المنقذ الشامل ، لخرجت عن القصد ، ولما استطعت . فإن موضوع ذلك الأسفار الضخام من كتب السنة الكريمة . ولكنني بصدد الإشارة بسمو غرضه ، والإشارة إلى بعض اتجاهه وتوجيهه ، وبيان أن كلامه صلى الله عليه وسلم أسمى كلام في مقاصده ، كما أنه أسمى شيء بعد كلام الله في بلاغته . فلأدع المجال للتحدث عن سمو لفظه ومعناه . في مقام آخر إن شاء الله .

محمود التراوي

العربية بين الجذور والمدمر

تنصارع اللغات وتتطاحن كما يتصارع الافراد ويتطاحنون سواء بسواء ، ولكن صراعا وتطاحنها لا يكون عادة واضح المعالم سريع النتائج ، بل هو صراع بطيء هين في سريانه رغم عنفه وجبروته . طبيعة ركبت في اللغة كما ركبت في الافراد ! ولا غرو فان حياة اللغة رهينة بحياة الافراد .

وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن المنازعات والحروب التي تقوم بين الشعوب والجماعات هي السبب في ذلك الصراع الذي يقوم بين اللغات . وهذا في الواقع صحيح ولكنه ليس كل السبب ، بل هو سبب يصح أحيانا ولا يصح أخرى ، والمرجع في ذلك إلى مدى قوة اللغتين المصطرعين : لغة الغازين ولغة المغزوين . والمد الذي حدث للغة العربية في فارس ومصر أوضح مثال على ذلك ؛ فالعربية - وإن تفاعلت مع الفارسية تفاعلا لم يمح للغارسية شخصيتها (نحوها وصرفها وتركيب عبارتها) - قد استطاعت في مصر وفي زمن وجيز نسبياً أن تغطي على لغة المصريين طغيانا عارما وأن تفرض نفسها عليهم .

ولكن يبدو أن هذا هو أوضح ألوان الصراع بين اللغات . وسببه المباشر هو الحروب ، غير أن هناك أسبابا أخرى غير الحرب تؤدي إلى ذلك الصراع بين اللغات ، وهي أسباب مادية جديرة بالملاحظة ، وهي تعمل عادة في شبه خفاء ، وهي بطيئة الأثر بطيئة النتائج . ولعل السبب في هذا البطء أن صراع اللغات الناشئ عن صراع الافراد يقطع مرحلة حاسمة على أيدي المصطرعين أنفسهم ، فيفرض الغازون لغتهم على المغزوين مثلا أو يستدرجونهم إليها بشتى الوسائل .

أما في حالة الصراع الناتج عن غير ذلك من الأسباب ، فإن عملية الفرض هذه أو الاستدراج لا يكون لها وجود ، وتكاد تقف اللغتان المصطرعان وحدهما في الميدان دون عامل خارجي ملزم من الافراد . وهنا يكون التطاحن اللغوي بالمعنى الصحيح . وهنا تغلب اللغة أو تهزم وتفتح صدرها للغة الغازية تبعا لمدى قوتها ومدى إمكانياتها العقلية والمادية على السواء .

ولعل من أهم أسباب اضطراع اللغات ، الحالة الفكرية والاقتصادية والدينية والاجتماعية للشعوب المصطرعة لغاتها ، فتقدم الحياة العقلية في أمة من الأمم عامل كبير في نشر لغتها وتسربها بين صفوف اللغات الأخرى في الأمم التي تقل عنها في مستوى الحياة العقلية . واليونان والرومان شاهد على ذلك ؛ فقد كان اليونان في الذروة من التقدم الفكري ، بينما كان الرومان في مستوى فكري منحط ، ولذلك فإن أثر العقل اليوناني في العقل الروماني

واضح لا ينسکر ، ومن الشائع في كتب التاريخ والحضارة أن الرومان فتحوا اليونان عسكرياً بينما غزاهم اليونان عقلياً . وهنا يتضح لنا إلى أى مدى يصح القول بأن الحروب هي السبب كل السبب أو السبب الاصيل في تغلب لغة على أخرى ، فقد رأينا المغزوين يهزمون أمام الغازين في ميدان الحرب حقاً ، ولكنهم ينتصرون عليهم فكرياً .

وأما الحياة الاقتصادية فإن عامل التجارة له أثر لا يخفى في احتكاك لغة المتسجرين ، وإذا تصورنا بلداً فقراً يجدها يعتمد أهلها على ما تنتجه البلدان الأخرى ، وإذا تصورناهم يرحلون إلى هذه البلدان يشترون ما يلزمهم ، فإنه يكون من السهل علينا أن نتصور أيضاً إلى أى حد تشيع لغة أهل هذه البلدان في لغة أهل ذلك البلد . ذلك أنهم سينقلون إليهم البضائع بأسمائها كما وضعها أهلها .

وإذا تصورنا هذه البضائع لا على أنها الأشياء التي تؤكل لخصب بل على أنها كل ما يلزم الإنسان في حياته من أدوات منزلية ، وفي حقله من آلات زراعية ، وفي حربه من معدات حربية ، وما يلزمه لحياته الصحية من أدوية وهتافير ، وما يلزم حياته المترفة من وسائل الترفيه . . . الخ ، إذا تصورنا ذلك سهل علينا أيضاً أن نتصور كمية الالفاظ التي يستخدمها المستوردون بالضرورة من لغة المستورد منهم . وإذا عرفنا أن تفكيرنا دائماً يحتاج إلى المحسوس يركب منه صوره العقلية ، وأن يختار هذا المحسوس من الأشياء الواقعة بيننا الملازمة لحياتنا ، استطعنا أن ندرك مدى خطورة العامل الاقتصادي في صراع اللغات .

ثم يأتي عامل الدين ؛ وهو عامل لا يقل عن العاملين السابقين أثراً في صراع اللغات . فلكي يفهم الإنسان ديناً من الأديان يحسن به أن يعرف لغته ، ولكي يدخل الإنسان في دين من الأديان يعتقد عقائده ويؤدى شعائره ، يتحتم عليه أن يتقن لغته . وهل كسبت العربية من غلبة وانتشار في الشرق والغرب ، وما زالت تمارس هذا الكسب ، بغير عامل الدين ؟ وفيما يختص بالعامل الاجتماعي فإن اللغة ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول ، وحياتها من حياة المجتمع الذي تعيش فيه ، تصطبغ بكل ما يطغى عليه من مبادئ وما يجري فيه من تيارات . والمجتمع الزاخر بثقى ضروب الحياة ، الذي تأصلت فيه الطبائع واستقرت فيه العادات ورسخ فيه العرف ، بمنح لغته نوعاً من التماسك والقوة والثبات ، لا يمنحه المجتمع المتهافت المفكك المتخلف العناصر المتضارب المشارب للغته .

والعرب حين فتحوا الأندلس مثلاً لم يكن فيها شعب واحد من جنس واحد وديانة واحدة . . . بل كان هناك أجناس مختلفة وعقائد مختلفة واللسنة مختلفة ، فلم يكن بينها تماسك ، ولم تكن وحدة سياسية متعاونة مآزره . ولذلك سرعان ما استقرت لغة العرب هناك وظهرت غلبتها .

وأيا ما كان الأمر فإن صراع اللغات وإن اعتمد على مثل هذه العوامل والأسباب التي تعد خارجية بالنسبة للغة ، أى خارجة عن نطاق اللغة ، فإن الذى لا شك فيه أن هناك أسباباً أخرى تنبع من طبيعة اللغة ذاتها التي تنزل الميدان . وطبيعة اللغة هنا هى عبارة أخرى عبقرية اللغة . وعبقرية اللغة هى مجموعة الصفات والخصائص التي تتميز بها لغة عن أخرى . وتحدد هذه الصفات في نحو اللغة وصرفها وتركيب عباراتها وفي تاريخ تطورها . ثم هناك صفات أخص من هذه وإن لم تكن تقل أهمية عنها كالناحية الصوتية (نظام المقاطع والحروف وعددها في الكلمة وعدد الأصوات المستخدمة سواء من الحروف المفردة كالحرف S في الإنجليزية مثلاً ويقابله حرف السين ، أو المركبة كالحروف Sh في الإنجليزية و Sch في الألمانية وهى تقابل حرف الشين في العربية) . وهناك أيضاً الناحية الفنية وهى ما نستطيع تسميتها بذوق اللغة . فهذا الذوق يقبل أن يرفض من الألفاظ الطارئة ما يتماشى معه أو يذو عنه . فإذا كنا نجد الأذن الألمانية مثلاً تتراح لصوت حرف ال G المتكرر ثلاث مرات في كلمة قصيرة مثل Gegangen (ججانجن) فإن الأذن العربية تنبو عنه وتفر منه ولا تفكر في استخدامه .

هذه العوامل الداخلية ، أى التي تنبع من صميم اللغة هى ما سميناه بإمكانيات اللغة في بداية هذا البحث . وهذه العوامل الداخلية متضافرة مع العوامل الخارجية التي سبق بحثها من فكرية واقتصادية ودينية واجتماعية هى التي يجب مراعاتها وبحثها عندما نحاول الكلام عن تاريخ الصراع الذي قامت به لغة من اللغات جزراً ومدأ .

واللغة العربية كما نعرفها لها نشاط واسع النطاق بعيد التاريخ في ميدان الصراع اللغوى ، ويكفى أن نعلم - وهو بلا شك معلوم لدى الجميع - أنها هى الخلاصة التي نتجت عن صراع محلى ، هو ذلك الصراع الذي شهدته اللهجات العربية المختلفة التي كانت سائدة في شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وهذا الصراع المحلى لا يختلف في عوامله وأسبابه عن ذلك الصراع الخارجى أو العالمى للغات ، ولكن ربما لا يكون معلوماً لدى الجميع أن في هذه اللغة ، ماثوراً كبيراً دخل إليها في حالة من حالات الجزر التي تصيب اللغة ، وهذا الماثور لا يقتصر على المفردات كما قد يتبادر إلى الأذهان بل يمتد إلى أركان الجملة . وهناك محاولات جريئة يقوم بها الدكتور فؤاد حسنين تقوم على المقارنة بين اللغات السامية القديمة السابقة للعربية في صورتها الأخيرة لتبين مدى ما أخذته اللغة العربية من تلك اللغات من خصائص وصفات ، وقد حاول جويدي Guidi في كتابه د بلاد العرب قبل الإسلام

L'Arabie Antéislamique ، أن يقدم أمثلة على مدى أخذ العربية من اللغات الأخرى . فهو يذهب إلى أن حضارة البزنطيين والفرس وبذخهم أيضا كانوا متغلغلين في شبه الجزيرة يؤكد ذلك ما اصططنه العرب عن هذين الشعبين من كلمات ، ولكن اللغة العربية لها خاصية عجبية في تعريب الكلمات الأجنبية ، فكل كلمة صليدي Soldi (Sous) الإيطالية تجمع على صلادي ، وهي صيغة عربية خالصة ، من الصعب أن تعرف منها الكلمة الأجنبية ، وهذا يدلنا في الواقع على استقرار نظام الصرف في هذه اللغة بحيث لا يؤثر فيها نظام صرف اللغة المتأثرة . فإذا كانت الكلمات الطارئة من أصل سامي شديد الشبه بالعربية تضاعفت صعوبة القول بما إذا كانت دخيلة أم أصلية .

ويذهب جويدى إلى أن العرب البدو كانوا يحرقون الزراعة ، ومن هنا كانت الكلمات التي تتعاق بالزراعة من أصل آرامى ، ومن أمثلتها كلمة « نير Nîr » أى مرقن البقر وكلبة « ناطور » أى حارث السكروم وهي فى الآرامية Natorâ وكلبة « فدان » وغيرها . ومما ورد إلى العرب من الخارج كلمة « بندق » وهم يجمعونها على بنادق كأنها أصلية فى العربية وليست هى غير النكس بنتيكا وتكتب Nux pontica المعروف فى مملكة بنت ولذلك سمى باسم إقليمه الأصل ، وقد صارت بنتيكا فى الآرامية إلى بنداق وفى العربية إلى بندق ، ومثل ذلك كلمة « زيتون » جاءت عن الآرامية . وعما أيضا جاءت كلمة قنديل وأصلها اللاتينى Candela صارت عند الإغريق كاوديل ، ومثل ذلك كلمة سراج وكلبة نبراس .

وهذا كله يدلنا على الأثر الاقتصادى فى حياة اللغة العربية وفى تاريخ صراعها ، حتى إذا تبلورت العربية فى صورتها الأخيرة وأصبحت اللغة السائدة ، وتم لها نظام نحوى وصرفى ومحصول لغوى كامل ، امتدت مع فتوحات المسلمين شرقا وغربا واستقرت فى البلدان المفتوحة بفضل الدين الجديد وبفضل أهلها ، وإن انتهى بها هذا الصراع إلى أن تتشكل فى كل أمة إلى حد كبير بحسب مزاجهم اللغوى واستعدادهم ، ولم يعد العرب - كما يقرر جويدى - يتطلبون عند الشعوب الأخرى لا الأفكار الدينية ولا الحياة المترفة ولا المنتجات الصناعية ، ولكنهم يتطلبون لديهم شيئا واحداً هو العلم اليونانى ، وينقل هذا العلم إلى العرب فى عهد المنصور وهارون الرشيد ، وعلى وجه الخصوص فى عهد المأمون ، ينقله العلماء السريان الذين كانوا همزة الوصل « مثل حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا » وغيرهم . وقد عمل تأثيرهم الفسكرى فى علماء المسلمين بسهولة ، وذلك بفضل التسامح الذى كانوا متمتعين به بمقتضى الذمة ، مما سهل اتصالهم بالمسلمين ، وصارت الرياضة والنجامة والطب والفلسفة موضع

دراسة العلماء العرب . وشخصيات السكندى والفارابى وابن سينا والرازى والفرغانى والبتانى وابن رشد مشهورة فى الشرق كما فى الغرب الذى صارت فيه أسماؤهم :

Alfraganus, Rhasé's, Avicenne Averrhoë's, Albatignius.

ويؤثر العرب الآن بدورهم فى أوربا نفسها التى أفادت من مؤلفاتهم مثلما أفادت من منتجاتهم الصناعية ؛ فقد أدخلوا فى إسبانيا وصقلية كثيرا من النباتات النافعة ، كما أرسلوا إلى الغرب الأقمشة والمنتجات الثمينة المعروفة بأسمائها العربية . وكلمة « قصر » العربية هى Castrum اللاتينية صارت إلى كاسترون اليونانية ثم صارت إلى قسطرا فى السريانية وإلى قصرا فى الآرامية الغربية ، ومنها قصر العربية إلى كيرسرو Cassera فى الإيطالية وألكازار Alcazar فى الإسبانية .

والكلمات التى من أصل عربى كثيرة فى اللغات الأوروبية المعاصرة . ومن أمثلتها كلمات : Alcôve وهى فى العربية القبة ، وموسلين Mousseline هو اسم الحرير المنسوب للموصل ، وكلمة Drogman ، هى ، ترجمان العربية ، وكلمة Cup هى « كوب » العربية .. الخ . حدث كل هذا فى فترة المد اللغوى للعربية . ولكن الذى لاشك فيه أن هذا المد قد توقف منذ عدة قرون ، فتوقفت الحياة العقلية أو كادت وأصاب اللغة ركود وخيم وصلت فيه الى حالة من الجزر والانحسار والانقطاع عن العالم لا ترضى بحال . وقد كان نتيجة التدهور الفكرى والاقتصادى والدينى والاجتماعى فى شعوب العربية فى هذه القرون أن أصبحت اللغة فى الوقت الحاضر واقعة تحت تأثير المد الخارجى لما نالته الأمم الأجنبية من تقدم ملحوظ فى هذه الميادين المختلفة : نشاطها الفكرى يزحمنا ، ونشاطها الاقتصادى يتقاذفنا ، وتقدمها السياسى يفرض نفسه علينا ، وإنتاجها فى ميادين الصناعة والحرب يعيش بيننا بأسمائها الأجنبية التى أصبحنا نستخدمها كما لو كانت عربية أصيلة : الترام والتليفون والالتوبيس وأسماء الأقمشة وأسماء العقاقير والأدوية والبرلمان والديمقراطية وغيرها كثير كلها من أصل أجنبى ، فضلا عن المذاهب العلمية والفلسفية والفنية التى تتمثل بين طبقة المنقذين .

وهكذا تقف العربية الآن فى موقف الانحسار والجزر كما يقف أهلها سواء بسواء . ولكننا الانحسار والجزر الذى يتلوه مد .

عز الدين اسماعيل

معيد بكلية الآداب بجامعة ابراهيم

سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مسد العربيت وجزرها

عاج الاستاذ السيد عز الدين إسماعيل ، في مقاله المنشور قبل هذا ، موضوعاً جديراً بعناية الباحثين ، وهو اصطراع اللغات بوجه عام ، ومد العربية وجزرها بوجه خاص ، وأثر الحروب والتقدم الفكري والحياة الاقتصادية والاجتماعية في امتداد اللغة أو تقلصها .

وكنا نتمنى لو أن وقفة الكاتب كانت طويلة عند أعظم حادث وقع في تاريخ مد اللغات وجزرها ، وأعنى به دخول مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا في أسرة العروبة ، وانصرافهن عن لغاتهن الأولى إلى لغة القرآن : في المنزل ، والسوق ، والمجتمع ، ودواوين الحكم . بأقل مدة عرفت في التاريخ .

إن لهذا الحادث التاريخي المفاجيء - الذي لا يكاد يعرف له نظير - أسباباً يلاحظها المشتغلون بالتاريخ ، وأخرى تستحق العناية والدرس من العلماء بتطور اللغات .

والذين كانوا يزعمون أن العربية تحولت إلى لغة وطنية في خارج جزيرة العرب من طريق الغرض والاستدراج ، قد سقطت دعواهم بما حاوله الاستعمار في الجزائر من سنة ١٨٣٠ إلى الآن ، ثم في القطرين المجاورين للجزائر شرقاً وغرباً ، وما استخدمه لذلك من وسائل الحضارة الحديثة وفي طليعتها الطباعة والصحافة والمدرسة والجندية وضرورات المعاش وأحدثها السينما والإذاعة ، فضلاً عن الوسائل الأخرى غير المشروعة ، فباء الاستعمار بعد كل ذلك بالفشل ، واعترف بلسان حاله ولسان مقاله بأن ما تم في إفريقيا الشمالية لما تعربت قبل ثلاثة عشر قرناً لا يزال من المعجزات التي اختص بها نظام العروبة والإسلام ، وأن الأمم الأخرى من قبل العرب كاليونان والرومان ، والذين جاءوا من بعدهم كالترك ودول الاستعمار الغربي ، لا يكاد يتقلص ظل سلطانهم عن الأوطان التي حكموها مئات السنين حتى يذهب الدهر بلغاتهم وآثارها كأن لم يكونا هنالك من قبل .

نعم إن حرب الإسلام الأولى استهوا سكان الأفطار التي فتحوها - كمصر والشام والعراق وشمال إفريقيا - وذلك بما كانوا عليه من فضائل النفس ومهادن الخير والاستقامة على الحق والتعامل بسنن الإنسانية الخالصة من شوائب الأناية والبغى ، فرأى المصريون والشاميون والعراقيون والمغاربة أن هذا الذي جاء به العرب الفاتحون من أكمل رسالات

الله بل هو أكملها . وكان الفاتحون يدعون إلى ما هم عليه من حق وخير بأعمالهم وسيرتهم ، لا بالمحاضرات في الأندية ، ولا بالإغراء في المستشفيات ، ولا بالتسلط على عقول الأحداث القاصرين ، فرأى الناس دعوة المسلمين مترجمة بتصرفاتهم ، ومعرضة على الأنظار في معاملاتهم ، فلما أراد أذكياهم الناس وعقلاؤهم أن يشاركوا الفاتحين فيما حملوه إليهم من خير ، وحاولوا أن يتعرفوا إلى تفاصيله ليؤمنوا بها ، ولا يبعد أن يكونوا رغبوا في أن تترجم لهم دعوة الإسلام وأن تقل إليهم نصوصه وقواعده وأحكامه بلغاتهم ، اصطدوا بسياسة الإسلام في الدعوة ، وهي قائمة على « أن تنتقل الأمم إلى الإسلام ، لا أن ينتقل الإسلام إلى الأمم » ، ومعنى ذلك أن على من أراد أن يتعرف إلى الإسلام ويتصل به ويأخذ بأحكامه أن يعرف لغته ، ويعترف من ينابيعه مباشرة ، إلى أن يكون من أهله الأصلاء ، لا أن يكون للدين أصحاب يحتكرونه ثم يكون الدخيل عليهم تبعاً لهم فيه . وسياسة الإسلام هذه في الدعوة إليه كانت السبب الأول في انتشار العربية ، لأنها مفتاح الدين وبابه والطريق إليه ، وفيما بين زمن عمرو بن العاص وزمن الليث بن سعد مولى بنى فهم المولود سنة ٩٤ هـ كانت مصر قد امتلأت بالآئمة الأعلام من المصريين أنفسهم ، فكانوا الرعوس في الشريعة على تفاوت أقدارهم في العلم ، والذي لم يكن منهم في الأصل عربياً صار لا يعرف لنفسه لغة غير العربية ، وصار يبانه بالعربية مضرب الأمثال في فصاحتها وبلاغتها ، كما أن فقهه في الشريعة مضرب الأمثال في التأصيل والتفريع بحيث تضرب إليه أكباد الإبل من مختلف الاقطار للتبذل عليه والتأدب بأدبه والرواية عنه والعمل بفتاويه . والذين تحدثوا من الافرنج ومقلدتهم عن نظام الولاء في الإسلام استشهدوا بأحقاد الشعوبيين الذين « لبسوا الإسلام على أبدانهم ولم ينفذوا منه إلى قلوبهم » ، فصوروا العلاقة بين عرب الأنساب وعرب الثقافة الإسلامية على غير حقيقتها ، ولو نظروا إليها من ناحية العلماء وآئمة الدين الذين أسلموا وتعمروا وحسن إسلامهم وصاروا من أعلام هذه الأمة في دينها وأدبها وبلاغتها ، لعلوا أن الإسلام يعد مولى المرء منهم ، وأن نظام الولاء هو نظام الاتحاد بالأسرة والانضمام إلى أخوتها ونصرتها .

وإن مثل الإمام محمد بن عبد الله البخارى كان يرتاح قلبه وتفتخر نفسه بأن ينسب إلى ولاء قبيلته البينية من جعفي ، لأن في ذلك عند ذكرى دخول سلفه في هداية الإسلام على أيدي تلك القبيلة ، وأنهم هم الذين أخذوا بيده إلى هذا الخير الذي صار إليه ، وضموه اليهم فاتخذوه واحداً منهم ، ولذلك أحكام في الفقه تفقاً عيون الشعوبيين وتميتهم من الغيظ . والعروبة

في الإسلام ، أخلاق ، فالذى يتكلم في بيته بلغة العرب ويتخاطب في نفسه بأخلاقها ، يفضلها الإسلام وتقدمه العروبة على الجلف الجاني الذى عرى من تلك الأخلاق ولم يتجمل بها .

وهذه القواعد في نظام المجتمع الإسلامى الرفيع هى التى « نشرت العربية على مدى انتشار الإسلام » . ولما كانت الأمم الأخرى - وأحدثها عهداً دول الاستعمار - لم يكن لها مثل هذه القواعد الإنسانية العليا في اتصال الأمم بعضها ببعض فشلت فيما حاولته من تقاليد العروبة في انتشار لغتها يوم زحف الإسلام لفشر دعوته في قارات الأرض المعمورة يومئذ .

وإذا تحولنا عن الأسباب التاريخية في تأثير سياسة الإسلام على انتشار العربية ، نجد أمّا من ناحية أخرى من أسرار التاريخ في هذا الموضوع ، وهى ناحية القرب أو البعد بين العربية واللغات التى اضطرعت معها أو ذابت فيها . فالعراق والشام من صريح البلاد السامية التى كانت تتكلم بالآرامية والسريانية وبقايا الكنعانية ، وكلها أخوات ضعيفة ساذجة للغة العربية التى تعد البنت البكر للغة السامية الأولى المنقرضة ، والعربية لعراقها في القدم قبل كل أخواتها الساميات اجتازت جميع أطوار التكون والنمو ، حتى بلغت ذروة السكّال وتمام النضوج والازدهار ، فكانت أهلاً لأن تلتهم أخواتها المختلفة عنها في النضوج اللغوى . وإذا اعتبرنا أن للغات السامية ^١ ما قديمة تفرعت عنها هذه اللغات وكانت لهجات لها ، ثم حلت هذه اللهجات محل أمهن القديمة فزالت بوجودهن ، يمكننا حينئذ أن نتصور أن الأمم السامية كانت لمن وحدة لغوية قبل ظهور اللهجات - أو اللغات - السامية ، وأن لغة الوحدة زالت بظهور هذه اللهجات التى ما زالت تفرق وتختلف حتى صارت لغات ، خربت الأمم السامية من وحدتها بزوال اللغة الأولى وحلول اللغات الفرعية محلها ، فلما ظهر الإسلام ، وانتشر أولاً في البلاد السامية ، فانتشرت بانتشاره اللغة العربية وهى في إبان كمالها ، اضطدمت بلغات من جنسها غير أنها أضعف منها وأقل جدارة بالبقاء ، فبقي الأصلح ، وزال ما هو أقل صلاحاً ، وانضمت الى ذلك رغبة شعوب البلاد المفتوحة في أن يلتحقوا بدعوة الحق والخير التى حمل الإسلام لواءها إليهم ، ودلهم الإسلام على أن سبيل ذلك أن يتعربوا ، وأن ينهلوا بأنفسهم من ينابيع الإسلام في لغته مباشرة بلا واسطة ، فعادت إلى البلاد السامية وحدتها باللغة العربية ، بعد أن كان آخر عهدا بهذه الوحدة يوم زالت اللغة السامية الأولى بظهور لهجاتها . وإن رجوع الوحدة إلى الشعوب السامية بعد

حرمانهم منها يعد من أحداث التاريخ الكبرى ، بل هو إحدى معجزات الإسلام التي تستحق التدوين والتنويه والتخليد . والامم السامية لم تخسر بهذا الحادث شيئاً ، لأن العربية نفسها لغة سامية ، بل هي البنت البكر لأمها الاولى ، وقد تبدل الساميون بها من دراهمهم الثافهة ديناراً وهاجاً متألقاً عادت لهم به وخدمهم القومية واللغوية .

وننتقل من العراق والشام إلى مصر وشمال إفريقيا ، فنلاحظ أن لغة قدماء المصريين وإن لم تسكن صريحة في ساميتها كصراحة الآرامية والكنعانية وأمثالها ، إلا أن المعجم العظيم الذي وضعه العلامة الأثرى المصرى أحمد كمال للغة المصرية القديمة دل على أن نحو ثلثها كان يوافق العربية المضربة في معانيه ومبانيه ، مع تسامح قليل في القلب والإبدال الموجود في اللغتين . ولو أن العربية المعاصرة لقدماء المصريين من قبل مصر ، بل ومن قبل إسماعيل ، كانت معروفة لنا الآن لنبين لنا أن نسبة التوافق بين المصرية القديمة والعربية التي كانت معاصرة لها أكثر بكثير من نسبة الثلث ، بل لا يبعد أن يكون التقارب بين اللغتين في تلك العصور أشبه بالتقارب بين لغة مصر العربية الآن ولغة معاصريها من أهل الحجاز ونجد ، وبهذا نعلم رحلة إبراهيم من وطنه العراق إلى مهاجرة في الشام وزيارته لمصر وزواجه منها بهاجر وعيشته مع زوجته وذهابه بها وبابنها إسماعيل إلى الحجاز ، ولا نسرف إذا قلنا إن لغات تلك الأقطار كانت يومئذ كلها متقاربة ، ولا يبعد أن تكون لهجات اللغة واحدة ، كما أن لغات هذه الأقطار نفسها الآن لهجات للغة واحدة ، فكان إبراهيم وهاجر يتكلمان بلهجتبهما فيتفاهمان فيما بينهما ، ويتكلمان أهل الأقطار التي اتصل بها فيتفاهمان معهم جميعاً . وإذا كان هذا حال اللغة المصرية القديمة فنزول العربية ضيفة عليها مع الإسلام قد حباها إلى المصريين بحبهم للإسلام وأهله الأخيار الطيبين الرحماء الصالحين ، وبذلك كانت المهجرة بتسلم جيل الليث بن سعد المصرى المولود سنة ٤٤٠ قياذ البلاغة العربية في مصر وأزمة فصاحتها ، وارئاً ذلك عن شيوخه وشيوخهم الذين كانوا من حادث دخول الإسلام إلى مصر قاب قوسين أو أدنى .

وما يقال عن مصر يقال عن جاراتها في الغرب : لوبياء والقروان فالمغرب الاوسط والمغرب الأقصى ، وفي تلك الربع بقايا الفينيقية والقرطاجنيين وذكريات هني بعل ، بل إن البربر يوغلون في شوط أبعد فيحملون إلينا مع تقاليدهم القديمة ذكريات علاقات لهم باليمن وأذوائه وإفريقش وما في الوعي التاريخي من أحلام لذيدة عن مجالاته في تلك الربع .

وبعد فإن العربية في صدر الإسلام دخلت بلاداً تمت إليها بأواصر لغوية لا يستهان بها ، وهذا هو السر في أن العربية ثبتت بعد زوال سلاطنتها في البلاد السامية أو المنصلة بالسامية ، ولم تثبت في مثل إيران إلا في محيط العلم الديني ، ولم يبق منها في مثل الادللس وصقلية إلا بقايا تتألق في لغة السكال ، كما تتألق بقايا العمران العربي تحت سماء تلك الاوطان .

وأحبُّ من إخواني الجامعيين إذا اتسع بهم البحث في مد العربية وجزرها أن يتمدوا على جهودهم وبحوثهم وسليقتهم ، فقد رأينا مثل الاب أنستاس ماري السكرملى يشكو تعصب بعض الاوريين في هذه البحوث ، وبصرح لنا بأنهم متفاهمون فيما بينهم على سياسة لهم مبغية على غمط العربية في كثير من حقوقها . وقد ردد الاب أنستاس هذه الشكوى في كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) المطبوع قبيل الحرب العالمية الثانية ، وأوجزه في فصل مستقل من ذلك الكتاب (ص ١٥٥ — ١٦٨) . وقد أذكرني ما كتبه الاب أنستاس السكرملى في موضوع غمط الغرب للشرق ، محاضرات كان الاستاذ ميكائيل أنجلو جويدي من أساتذة جامعة روما ، ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية في القاهرة قبل بضع وعشرين سنة عن (علم الشرق وتاريخ العمران) ، وهى تنزع إلى معنى غمط الشرق كله ومصر القديمة بوجه خاص ، وتشعر قارئها بما وراها من تحامل يؤيد شكوى الاب أنستاس السكرملى . وكل هذا يوقظ أفا ضلنا الجامعيين ، ويحملهم على الاعتماد على أنفسهم في دراستنا القومية واللغوية عندما يعتزمون استيفاءها ، وكل من سار على الدرب وصل .

محب الدين الخطيب

العربية في كمالها

يقول العلامة الفرنسى أرنست رينان في كتابه (تاريخ اللغات السامية) :

إن اللغة العربية ، لغة الصحراء ، هى اللغة الوحيدة التى عرفها الناس في دور السكال ، ولا يعرف لها التاريخ طفولة ولا شيخوخة .

وقية للعلم مالم يلزمه الفضائل الخلقية

سأل مندوب (المصرى) فضيلة الاستاذ الأكبر عن رأيه في التعليم وموقف الإسلام منه ، فقال فضيلته :

كانت إساءة الاستعمار باحتلاله العسكرى فى السبعين سنة الماضية ، ثم باحتلاله السياسى والاقتصادى ، أهون شراً وأدنى إلى دفع غوائله - على فدايتها - من إساءته إلى مصر على يد دنلوب فيما رسم من خطط لتوجيه الثقافة المصرية العامة توجيهاً آلياً يعنى بالقشور والشكليات ، ويتأى بالمدارس ومعاهد العلم عن أن تكون لها رسالة سامية من رسالات الله فى تهذيب النفوس ، وإعداد الجيل الصالح ، وتكوين الرجال الذين يعيشون لأمتهم ، وينمضون بها إلى المستوى الكريم الذى يستحق أهله السعادة فى أنفسهم وفى مجتمعاتهم والاحترام من الأمم الأخرى .

والمتاعب التى يواجهها الآن رجال الإصلاح فى تطهير الآداة الحكومية وإصلاحها ، وتقويم الإعوجاج الاقتصادى والاجتماعى . وتوجيه الأمة والوطن إلى الخير ، لا شك أنها بعض نتائج هذه الناحية الضعيفة فى نظام التعليم كما رسم دنلوب خطته ووضع أسسه ليلتعد برجال المستقبل عن مواطن الخوف من الله وحده ، وعن معايير الفضائل والأخلاق ، وأن تكون للمصرى المتعلم رسالة سامية فى الحياة يحقق بها لوطنه السعادة والقوة والحياة والنشاط الدائب ، فطفت هذه المصانع التعليمية تخرج الجيل بعد الجيل من المؤمنين بالمصلحة الذاتية وحدها دون المصلحة العامة ، وبالرفاهية الشخصية من الحلال والحرام وأن وصل الوطن إلى الحالة التى تتحدث عنها الصحف اليوم وكان يبكى منها العقلاء دماء من قبل .

هذا التعليم فى المدارس المصرية من زمن كرومر إلى يوم الناس هذا ، تعليم جاف لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن ، ولا الرحمة والرفق والتعاون على البر والتقوى فى قلب الرجل المثقف ، ولا يصل حاضر الأمة بماضيها فى طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، كما كان يجب أن تكون فى الأمة الأصلية التى تحمل لنفسها وللإنسانية أكرام أمانات الله وأنبلها .

ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار ورجال وزارة المعارف نفسها - فضلاً عن غيرهم - إلى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية يعلمون أنها أسست لأبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم

اضطروا إلى الرضا لأنهم بهذه المدارس الغربية عنهم، العارية عن أمس حاجاتهم القومية والمالية، فراراً من ناحية الضعف التي أزمّت عليها في مدارسنا، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر.

والآن وقد منّ الله بهذا الانقلاب الذي هبأ برحمته أسبابه، فقد آن لمدارسنا أن تبنى على أساس أن اكتساب العلم والمعرفة غاية مطلوبة لذاتها، لا وسيلة يتذرع بها للحصول على الشهادة ثم الحصول بالشهادة على الوظائف، نعم إن الوظائف تحتاج إلى موظفين مثقفين من حملة الشهادات بشرط أن تكون في قلوبهم مخافة الله في حقوق الأمة ومصالح أبنائها. وقد آن لها أن تبنى على أساس أن العلم لا يلزمه الفضائل الخلقية والخوف من الله والحرص على مرضاته فإنه يكون حينئذ كالسلاح في أيدي من لا يحجز القانون أن يكون في أيديهم. بل من هنا تولدت الحاجة العظمى اليوم إلى التطهير والإصلاح، وإذا لم يتغير اتجاه القطار في التعليم فستبقى هذه الحاجة إلى التطهير والإصلاح ما دمنا على ما نحن عليه.

وقد يظن البعيدون عن معرفة أثر الدين في نفوس الجيل أن العرض السطحي للأخلاق في كتب المطالعة وأمثالها يغني الناشئة عن تثبيت عقيدتها بالله وتوثيق معرفتها برسالات الله في مرحلتى التعليم الابتدائية والثانوية، وعن تحقيق ذلك بتطبيقه عملياً حتى يتمرن التلاميذ عليه، وتكون فضائله سجيّة، لا عادة. وكل تقصير في ذلك يجعل الانحراف الناشئ عن زيف العقيدة أصعب صلاحاً من الانحراف الناشئ عند طغيان الشهوة لأن زائغ العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب يزعم أنها ليست من الحسن في شيء، أما المغلوب للشهوة وحدها فإنه ينصرف عن الحسنة معترفاً بأنه أقبل على سيئة. لذلك كانت معالجة المغلوب للشهوة أهون من معالجة من زاعت عقيدته لتهاون المدرسة في حياطة هذه العقيدة والقيام على أمانات الله فيها.

وإذا كان سوء الأخلاق - الذي هو علة اختلال النظام، ينشأ من زيف العقيدة تارة ومن طغيان الشهوات تارة أخرى، فإن الإسلام دين ينير العقول بالحجة، ويهذب النفوس بالحكمة، وكما أخرجت مدارسه ومجالس القوامين على هدايته، من رجال يلاقون الأسود فيصرعونها، ويخفوضون اجنحتهم تواضعاً للمستضعفين. وإن سماحة الدين وما له من الأثر الخطير في إعداد أمة روحها البطولة، وزينتها التقوى، وغايتها السيادة، من أشد ما يبعث أولى الأمر منا على أن يضعوا علوم الدين بالمكانة العليا، والتربية على آذابه وفضائله - بالإشراف، والمراقبة، والتدريب، والقودة - في مقدمة ما يطلب من مدرسة العهد الجديد أن تحقّقه لهذا الوطن.

إن هذه الأمة مسلمة ، والأمة المسلمة لا ترضى إلا أن يكون أبنائها مطمئنين بحجج الدين الخنيف ، سائرين في ضوء حكمته الغراء ، مسترشدين بسيرة عظماء السلف ، ويفشدون فيها مثلهم العليا . وإذا وجد في الناس من لا يؤمله أن يكون ولده في ظلام من الغي ، فأمثال هؤلاء على قلتهم طائفة اسنهام زخرف الحياة غروراً ، وما كان للحكومة الرشيدة إلا أن تقيم سياستها على رعاية ما فيه خير الفشء ويكون قسط تلك الطائفة في هذه السياسة تقويم عوجهم . وإذا أهملت بلا تربية أبنائها على الدين باض الإلحاد وأفرخ في أدمغتهم يوم تكون في أيديهم أزممتها ، ويا شقاء أمة يتولاها من لا يخاف الله ولا يتوخى مرضاته .

تحية

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ

محمد الحضر حسين شيخ الجامع الأزهر

سيعيد للإسلام فضل جلاله شيخ سما بفعاله وخلاله
نور الهداية في أسرة وجهه متألقي كالبدر عند كاله

« شيخ الشيوخ ، لقد حلت مكانة في الشرق بين الغر من أبطاله
سيان ماضيك المجيد وحاضر كالضوء عند ضحاه أو آصاله
عالم له في كل علم جولة ، حتى ليلني من كبار رجاله
« الأزهر المعمور ، يامل فيكم تحقيق ما يرجوه من آماله
إنا لنعرف فيك ديناً قيا « عوذت دينك بالنبي وآله ،

من الأستاذ الأبر

إلى أبنائه الطلبة، لمناسبة افتتاح العام الدراسي الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فباسم الله تعالى، وعلى بركته، نستقبل عاماً دراسياً جديداً في عهد جديد، والعهد الجديد يطلب من كل فرد أو جماعة أن يحقق الغاية التي يناط به تحقيقها.

والغاية التي يناطها الله بكم، وجعلها أمانة في أعناقكم، هي غرس الدين وتقوية اليقين في الأمة، وتربية الفضائل فيها، واجتثاث الرذائل منها، ونشر الأخوة الإسلامية والوطنية بين أفرادها، وإحلال المحبة والتراحم محل التباغض والتشاحن، وإحلال التعاون على البر والتقوى محل التعاون على الإثم والعدوان.

بهذه التربية الرشيدة، تنشأ الأمة مؤمنة قوية، شديدة الأسر، عزيزة الجانب، تأبى الضيم، وتنفّر من الاستعباد، وتكون من الأمم - بحق - موضع الإجلال والكرامة، بل موضع القدوة والزعامة.

إن غايتكم هذه هي غاية الأنبياء والمرسلين، وقد جعلكم الله ورثتهم: تقوّمون بما قاموا، وتؤدون لله والوطن ما أدوا. لأنها أسمى غاية وأنبها، وبدونها يكون كل إصلاح - وإن اجتهد صاحبه - سطحياً ظاهرياً لا ينفذ إلى باطن الأمر ولبه، بل يكون رقماً على الماء، أو نقشاً في الهواء. وقد نبه على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

أبنائي: إن الأمر الجسيم، لا ينال إلا بالعمل الجسيم، والإعداد القوي. فعليكم أيها الطلاب أن تعدوا أنفسكم لهذا الأمر الجليل، وذلك بأن تكملوا أنفسكم بالعلم، وتهذبوها بالخلق، وتجمعوا غايتكم أمامكم، لتسدّدكم وتقويكم وتشد من عزائمكم. وستجدون إن شاء الله من أساتذتكم آباء رحماء، ينهلونكم من مناهل العلم والثقيف، ويعنون بكم في الدرس وفي خارج الدرس، ويرعونكم ويوجهونكم، ويحلون ما يعرض لكم من مشكلات في حياتكم العلمية والاجتماعية. وسيربط بينكم بإذن الله رباط وثيق من المحبة والتعاون على بلوغ هذه الغاية العظمى.

سدّدكم الله وقواكم، وأعانتنا وإياكم على هذا الإصلاح العظيم، في هذه النهضة العظيمة المباركة. والسلام عليكم ورحمة الله.

عهدان

أما أحدهما فليل بهيم ، وأما ثانيهما فصحيح منير .

أما الأول فقد أقصرم وانقضى وشيعناه ساخطين غاضبين ، لم نقل في كنف الله وفي ظله ، غداة وليّ وراح ، وأما الثاني فقد أسفر فجره ، وانبثق نوره ، واستقبلناه راضين مستبشرين ، قائلين : حللت سهلا ، ونزلت أهلا .

كان العهد الماضي عهد الهوى والاستبداد ، والظلم والفساد ، والوساطات والشفاعات ، والرشوة والمحسوبيات ، وظلم الأقوياء للضعفاء ، وأما العهد الثاني فهو ، إن شاء الله ، عهد الطهر والعفاف ، والعدل والإنصاف ، والقدرة والكفافية ، والتعاون بين الحاكمين والمحكومين ، والفقراء والموسرين .

وكل من يحب أمته يرجو لهذا العهد أن يمكن الله له ، وأن يزداد على توالي الأيام رسوخا ، وأن يجعلها الله صحة لا نكسة فيها ، وتقدما لا رجوع فيه ولا انتكاس . وليس إدراك ذلك بالأمل والتخنى ، وإنما هو بالعمل والإنتاج ، وذلك بأن يفرض كل واحد نفسه مجتادا في الصفوف الامامية من الثورة ينظر إلى أهدافها ، ويعمل على تحقيقها ، وأن يسدها ويقدم لها خير ما يجود به فكره . إن الثورة لها أهداف فيجب أن تبين أهدافها ، ولهذه الأهداف سبل ، فيجب أن تبين سبلها ، المستقيم منها وغير المستقيم ، وأن يتولى ذلك كل في اختصاصه ، وما هو منه بسبيل .

وأرجو أن أقوم بذلك إن شاء الله ، في الدائرة التي أنا فيها ، دائرة العلم والتهديب ، وإن كان جهد المقل ، وسير الضعيف .

وأول ما ينبغى أن أبيّنه هو التعريف بالثورة نفسها وبرجالها وبأهدافها ، لأن من الناس من جهلوا مقاصدها السامية فانقادوا للشغب متأثرين بتضليل المضلين ، وإلى أذ كتب عن رجال الثورة ، لست أكتب عنهم لسابقة معرفة ، وإنما أكتب فيما بدا من أفغاثهم ، وأستخلص نياتهم وأخلاقهم ، مما ظهر من عفتهم وزهدهم .

هذه الثورة فريدة فذة في التاريخ ، لم تنسج على منوال سبق ولا مثال تقدم ، فقد مشت لطيتها وثيدة مطمئنة ، لم يجعلها خوف ، ولم يشملها ظفر ، ولم يحملها حقد ولا بغض على أن تجور وتظلم . نرى الثورات في التاريخ يجعلها الخوف تقتل وتسرف في القتل ، ويشملها

النصر فتطنى وتسرف فى الطغيان ، ويحملها الحقد الدفين على ألا تذر شيئاً أتت عليه إلا جعلته كالريم .

أما هذه الثورة ، ففى لينها ورحمتها وإتقادها واتساقها وعدلها ، ما يدعو المرء إلى ألا يطلق عليها اسم الثورة .

لم يكتف الثائرون بضبط نفوسهم ، بل أرادوه من الشعب المغيظ المحق ، فكان ما أرادوا فحشت الحياة اليومية على سميتها : وادعة مطمئنة لا خلل فيها ولا اضطراب .

وكما أن هذه الثورة فذة فى التاريخ ، كذلك أصحابها الذين قاموا بها أفذاذ فى التاريخ ، لم يقوموا لنفع شخصى ، ولا لغرض مادى ، إنما قاموا لينقذوا أمتهم من الفوضى والفساد ، والظلم والاستبداد ، وليس أدل على ذلك من أن قواد الثورة أزالوا الملك عن عرشه فى ضجة من فرح الشعب وتهليله ، وكان لهم كل ما يشاءون إن أرادوا : من المال والجاه والسلطان لا ينازعهم منازع ، فعمفوا عن ذلك كله : عمفوا عن القصور والدور ، والضيايع والزروع ، ونظروا إليها باحتقار وازدراء .

فهل رأى التاريخ أشرف نفساً ، وأنبل مقصداً ، وأسمى غاية وأزهد فى السلطان ، والجاه والمال والغنى من هؤلاء القواد البواسل .

ليس الزاهد من زهد فى الدنيا وهى عنه معرضة ، إنما الزاهد من زهد فيها وهى عليه مقبلة . لقد باغ من زهدهم أن قاندهم منح رتبة الفريق ومرتبها ، فأبى الرتبة وما يتبعها من مرتب . وكذلك فعل لإخوانه حين تولوا قيادة الألوية ، ورفضوا مرتباتها . ألا إنه زهد وأمانة وعفة يقضى المرء منها العجب ، وأعجب منها أنها وجدت فى ذلك العصر المتعفن .

يروى التاريخ أن عمر بن الخطاب جاءه المجاهدون الذين فتحوا بلاد كسرى بتاجه - وكان من ذهب ومرصعاً بالآلئ - فقال : إن قوما أدوا هذا لأمانة . فإذا كان يقول عمر لو رأى أبطالنا الذين أدوا التاج والعرش والضيايع الواسعة والجنات الوارفة والجاه الطويل العريض . هذه الثورة ، وهؤلاء أبطالها ، وهذه أغراضها : شجاعة وإقدام وحلم وأناة ، وعفة وزهد ، وسمو وشرف ، وترفع وإباء .

كجنود عمرو كلما ركزوا القنا عمفوا يداً ومهندا وسنانا

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

الخباء كساب ربه

المعمى واللغز

المعمى وصف من عميت الشئ على آخر، إذا أخفيت عنه وأبست عليه، فلا يهتدى له . وقد تعورف المعمى فى الخفى من القول لا يبين إلا بعد إتمام النظر وقدر الفكرة . وأصل ذلك من العمى ، كأن السامع فى عمى لما لم يدرك وجه الكلام ومغزاه .

واللغز - بضم فسكون ، وبضم ففتح - فى الأصل: جحر يحفره الربوع ملتويا منحرفا ، يلجأ إليه حين يقصد فى جحره المستقيم . وقد أريد به ما أخفى معناه من الكلام وألبس ، تشبهاً بالغز الربوع .

وترى أن المعمى واللغز يتولان إلى مغزى واحد ، وهذا هو المعروف عند قدامى العلماء . وسأسير على هذا النهج حتى أعرض لاصطلاح المحندين .

والتعمية المراد والإلغاز فيه ، تكاد فى بعض المواطن تكون من طبيعة الناس . ويدعو إلى التعمية الرغبة فى إخفاء بعض الأغراض ، أو التفاطن واختبار ذكاء السامع وإبتلاء زكائه . وألغاز التفاطن تعرف بالاحاجى ، واحدها أحجية ويقال لها أيضا الاداعى واحدها أدعية . ويقال فى ذلك : حاجاه ، وداعاه إذا ألقي عليه أحجية أو أدعية . وهذا الضرب يقع بين العامة كثيراً ، ويسمون الاحجية حزورة ، وهى فعولة ، من الحزر وهو الحدس والخرص والنخمين . وقد يقولون فى بدء المحاجة : حزورة فزورة ، ويبدو أن الكلمة الثانية إتباع للأولى ، كقولهم : حسن بسن .

ومن أمثلة المحاجة عند العرب قول الشاعر فى السيوف :

أداعيك ما مستحقيات مع السرى حسان وما آثارها بحسان
مستحقيات أى محولات ، وهذا الوصف يلبس بالنساء .

ومنها قول الشاعر فى القلم .

حاجيتك يا خنسا فى جنس من الشعر
وفيا طوله شبر وقد يوفى على الشبر

له في رأسه شق نطوف ماؤه يجرى
أبينى لم أقل هجرا ورب البيت والحجر

والنطوف وصف من نطف أى سال وقطر أراد سيلان الخبر ، وهو ماؤه . ولما كان هذا الوصف يؤهم هن الرجل ، وهو مالا يصح المحاجة به لنساء قال لم أقل هجرا .

ومن أمثلة الخزورة عند العامة قولهم في القميص : أبويا بنى لى بيت ما يسمعى إلا نا . وقولهم في جنين الحيوان تجناز أمه البحر : عدى البحر وما تباش ، وقولهم في الإبرة فيها الخيط : قد الصباع ، ودبها وراها دراع ، وقولهم في الطماطم : قاعد فى الخط أحمر زلبط . وزلبط أى أماس لا زغب عليه . وأصل ذلك فى الرأس يحمق بالموسى ، يقال : حالق زلبط ، والخط هنا : السطر فى الزرع .

والمعنى يقع فى الكلام على أنحاء .

١ — فقد تقع التعمية بذكر أوصاف ظاهرة فى غير المراد ، أو بذكر كلمة ظاهرة فى غير المقصود . وللاستعارة والتشبيه والاشتراك اللغوى عمل كبير هنا .

وأكثر ما يقع هذا الضرب فى أبيات المعانى ، وهى التى تتحوج إلى أن يسأل عن معانيها ، وقد ألف فيها كثير من العلماء . ومما طبع منها كتاب معانى الشعر لابن عثمان الاشناندى ، طبع فى دمشق سنة ١٣٤٠ هـ ، والمعانى لابن قتيبة ، وقد جاءنا أخيرا من الهند .

ومن أمثلة هذا قول الشاعر :^(١)

ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش فى وكره جاشت له نفسى

أراد بالنسر الشيب ، شبهه به لبياضه ، وابن داية : الغراب الاسود ، أراد به الشباب لأن شعر الشباب أسود .

ومن هذا قول الشاعر :^(٢)

ولقد رأيت مطية معكوسة تمشى بكلكها وترجىها الصبا
ولقد رأيت الخيل أو أشباهها تننى معطفة إذا ما تجتنلى
ولقد رأيت مكفئرا ذا نعمة جهوده ؛ بالإعمال حتى قد ونى

(١) انظر اللسان فى لغز ودأى .

(٢) الأمالى ١/٢٦٧ .

أراد بالمطية المعكوسة ، سفينة . وجعلها معكوسة إذ كان كلكما وصدرها معطوفان إلى الوراء ، يقال : عكس الدابة إذا جذب رأسها إليه لترجع القهقري ، وأراد بالحنيل : تصاویر على صورة الحنيل في وسائد ، فهي ثنى للجلوس عليها ، وأراد بالمسكفر : السيف ، والمسكفر : المستور المغطى ، والسيف يكفر في الغمد . ويرى القارىء في الشعرین السابقین الاعتقاد على الاستعارة والتشبيه في التعمية .

ومن هذا ما جاء ^(١) في التعمية عن الحسناء بما يوم أنها نار :
ومشوبة لا يقبس الجار ربها ولا طارق ظلام منها يؤنس
متى ما يزورها زائر يلف دونها عقيلة دارى من العجم تفرس
أراد بالمشوبة : الحسناء الجميلة ، وأصل هذا في وصف النار . وأراد بربها : زوجها ، وهو لا يدع الجار يقتبس من حسناتها والمتاع بها كما يقتبس النار . والدارى المنسوب إلى دارين ، وهي فرسة بالبحرين فيها سوق ، يحمل إليها المسك من ناحية الهند ، وأراد به العطار الذى عنده المسك والطيب . والعقيلة : أكرم الشيء وأنفسه ، أراد به المسك ، وقوله : تفرس أى تشق فتفوح ريحها .

وقد ألغز الشاعر بالمرأة وهو يريد النار في قوله :
وششاء غبراء الفروع منيفة بها توصف الحسناء أو هى أجمل
دعوت بها أبناء ليل كأنهم وقد أبصروها معطشون قد آملوا
أورده صاحب الأمالى في آخر الجزء الأول ، وقال : يصف ناراً ، وجعلها شعناء لتفرق لها ، وغبراء الفروع لدخانها ، والفروع : الأعلى ، ومنيفة : مرتفعة ، يريد أنها على جبل أو في مكان عال . وقوله : بها توصف الحسناء ، أى بها تشبه الجارية . وذلك أن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شملة نار . . . وقوله : دعوت بها أبناء ليل ، يعنى النار ، دعا بضوئها أبناء ليل ، أى قوما سبوا ليلاً بجاروا عن القصد ، وقوله : كأنهم وقد أبصروها معطشون ، يعنى أنهم من فرحهم بهذه النار كأنهم قوم كانت عطشت لباهم فأنهلوا أى رويت لباهم .

ومن الإلغاز في النار أيضاً قوله :
وزهرام إن كفيئتها فهو عيشها وإن لم أكفنها فوت معجل

أورده القالي ^(١) ، وقال : « يعنى النار . هى زهرام أى بيضاء زهر ، يقول : إن قدحتها غرجت فلم أدركها بخرقه أو غير ذلك ماتت ، فهو يريد بتكفيها أن يلقاها فى خرقه أو صوفة أو قطنة ، وإذا تعيش وتحيا ، فأما إن لم يفعل ذلك فلا يكون سبيل إلى الحصول عليها .

ومن الإلغاز فى القدر ما رواه ابن الأعرابي ^(٢) .

ألقت قوائمها خساً وترنمت طرباً كما يترنم السكران

أراد بقوائمها : الأثافي التى تنصب عليها ، وجعلها خساً أى فرد أو وترأ غير زوج لانها ثلاث ، وهى ترنم لغليانها ، فهى تصوت كالطرب .

ومن هذا الضرب ما يستعمل فى الرسائل التى يراد إخفاء المراد منها فى بعض المواطن ، ويقرب هذا عما يعرف فى اصطلاح العصر بالشفرة .

ومن أمثلة هذا أن ^(٣) رجلا من تميم كان أسيراً فى بكر بن وائل ، فسألهم رسولا إلى قومه فقالوا له : لا ترسل إلا بحضرتنا ، وكانوا قد أزموا حرب قومه تميم فغضبوا أن يندرم . فقال الأسير للرسول : أبلغ قومى التحية ، وقل لهم : ليسكرموا فلانا - وهو أسير بكر عندهم - فإن قومه لى مكرمون . وقل لهم : إن العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء ، وأمرهم أن يعروا ناقتى الحمر ، فقد أطلوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب ، بآية ما أكلت معكم حيساً ، واسألوا الحارث عن خبرى . فلما أدى الرسول الرسالة قالوا : لقد جن الاعور ! والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب . ثم سرحوا الرسول ، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة . فقال : قد أبذركم . أما قوله : « قد أدبى العرفج » ، فإنه يريد أن الرجال قد استلأموا . وقوله : « شكت النساء » ، أى اتخذت الشكاه للسفر ، وقوله : « ناقتى الحمر » ، أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان ، وهو الجمل الأصهب ، وقوله : « بآية ما أكلت معكم حيساً » ، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والاقط . فامثلوا أمره وعرفوا لغوى كلامه .

وأعود إلى شرح بعض الكلم فى القصة : فالعرفج نبات له ثمرة خشناء كالخسك ، وهو كثير القضبان والامتداد فى الأرض ، وإدباؤه أن ينضج وتمتد أعواده ، وذلك إذا أصابه

(١) الأمال ٨٨/٢

(٢) الأمال ١٤٥

(٣) الأمال ٦/١

المطر . وقد ضربه مثلاً لاستلام الرجال أى لبسهم اللامة وهى الدرع ، كأن الرجل إذ يلبس الدرع كالعرجة إذ تبدو ثمرتها التى هى كالحسك وهو الشوك ، وكثرة الرجال وانتشارهم كالعرفج إذ يمتد فى الأرض . والشكاء جمع الشكاوة ، وهى وعاء من أدم كالقربة يحبس فيه اللبن . والدهناء : أرض لبنى تميم فى نجد سهلة ، شبهها بالناقاة لسهولة ركوبها ، ولما كان تأنيث لفظها . والصمان : بلد لهم أيضاً أرضه صعبة الموطىء ، فشبهها بالجل لصعوبته ، ولما كان تذكير اللفظ . وكأنما أعجب هذا بعض الشعراء فنظمه فى قوله :

خلوا عن الناقاة الحراء وارتحلوا الـ - - - - -
الناس كلهم بكر إذا شبعوا

فالناقاة الحراء هى الدهناء ، كما سلف . والعَوْد - وهو الجمل المسن - الصمان . وجعل فى ناحيتى ظهره وقعا - وهو أثر الدبر فى ظهر البعير - لما أنه وطى . وكثرت فيه آثار الناس . فهو ينصحهم أن يتركوا الدهناء ويمتنعوا بالصمان ، وهو صلب يشق على الخيل أن تظأه . والدهناء بمكة سهلة . ووصف أن أعداءه - وكنتى عنهم بالذئاب - اخضرت برائتها ، أى أن أرضهم أخضبت وكثر العشب فيها ، فالأقدام مخضرة من السكلا . وهذا يدعوهم إلى الغزو إذ تقوى إبلهم وخيلهم . وقد كان حى بكر بن وائل من أشد الأحياء عداوة لبني تميم حتى صارت كلمة بكر مثلاً عندهم فى العدو ، فهو يقول : الناس كلهم بكر - أى عدو - إذا أخصبوا . وقد جرت تميم أمثال فى عداوة بكر : كقولهم : لا تبت من بكرى قريباً ، وقولهم : البكرى أخوك فلا تأمنه .

٢ - وقد تكون التعمية من قبل اشتراك اللفظ وإرادة غير المعنى المتبادر منه ، ومن استعمال الغريب .

ومن أمثلة ذلك قوله - وتقدم أبيات من مقطوعة هذا الشعر - :

ولقد رأيت غضيضه هر كولة رؤد الشباب غريرة عادت فتى

الهر كولة : الحسنة الجسم والحق والمشيية . والرؤد : الشابة الحسنة . وقوله : عادت فتى هو من العيادة ، وهى الزيارة ، والمتبادر إلى الذهن أن تؤخذ من العود ، ومن هنا جاء الإلباس . ومن هذا الشعر المشهور فى كتب (١) النحو ، وهو :

إنى رأيت غزالاً أورث قلبى خبالاً

(١) انظر مبحث كان وأخواتها .

قد صار كلنا وقرداً وصار بعد غزالا

فقوله : صار أى ضم ، ومنه قوله تعالى : فُصِرْهُنَّ إِلَيْكَ .

ومن هذا ما يروى ^(١) عن الشافعى رضى الله عنه أنه سئل : هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال . لا ، ولا روايته ، أريد بالخالق الكاذب ، لأنه يخالف الكذب ويفتره . وسئل : فارس المعركة إذا قضى على أبى المضاء قبل أن يحصى الوطيس ، هل يستحق السهم ؟ قال : نعم إذا أدرك الوقعة ، فقوله : قضى أى مات ؛ وأبو المضاء كنية الفرس .

ومن الضرب الذى جاء عن الشافعى ما يعرف بفتياً فقيه العرب ، وهى تنبئ على الإتيان بغريب اللغة ، وتكون لهذا غريبة فى الحكم والإفتاء منكراً فى ظاهرها وقد ألف فى هذا الفن ابن فارس تأليفاً لطيفاً سماه بهذا الاسم وبنى الحريرى المقامة الثانية والثلاثين على هذا الباب . ومن أمثلة ما جاء فى هذه المقامة : ما تقول فيمن توضع ثم لمس ظهر نعله ؟ قال : انتقض الوضوء بفعله ، فالدل هنا الزوجة . وقد جرى الحريرى على مذهب الشافعى فى هذا الحكم إذ كان شافعى المذهب ومنها : ما قال : يجوز للدارس حمل المصاحف ؟ قال : لا ولا حملها فى الملاحف ، الدارس هنا الخائض . (للحديث بقية)

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

حكم

مُصْنَعٌ وَعَدُّكَ عَنِ الْخَلْفِ فَإِنَّ الْخَلْفَ شَيْنٌ .

وشب وعيدك بالعفو فإن العفو زين .

وكن عبداً للحق فإن عبد الحق حر .

وأظهر لاهلك أنك منهم ، ولأصحابك أنك لهم ولرعيك أنك بهم .

(١) انظر المزهري فى أواخر الجزء الأول .

تاريخ الأمم والملوك

لابي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠

مفارقات :

من عجيب المفارقات في تاريخنا وتواريخ الأمم الأخرى ، وفي موقفنا من تاريخنا ومواقف الأمم الأخرى من تاريخها ، أن نكون أغناهن جميعاً في كل ما يبني به تاريخ الأمة من أنباء ونصوص ومراجع وقرائن وإشارات وتحقيقات ، ثم نبقي أنفسهن وأقلمن انتفاعاً بهذه الثروة في إقامة معالم تاريخنا على أساسها ، بينما الآخرون قد أحدثوا - حتى من الأوهام - مكتبات جديدة لأجيالهم وجمادير قرائهم ، حافلة بالطلي الشهي من صفحات ماضيهم ، فوثقوا أو اصر خلفهم بسلفهم ، ويسروا لهم القدوة الحسنة بعظمة العظماء من نوابغهم ، وبعثوا لهم من ذلك الماضي صوراً حية ترتفع الروس بأجسادها ، وتمتلئ القلوب بإجلالها واحترامها ، وتطعم العقول إلى تعليل تصرفاتهم والاعتبار بها ومواصلة السير نحو أهدافها .

مواطن ضعف :

ومواطن الضعف - التي أدت ببعض معاصرينا من حملة أمانات التاريخ العربي والإسلامي إلى أن يكون انتفاعهم بهذه ، التركية ، ضئيلاً - لا يكاد يأتي عليها الحصر . وما يتبادر إلى الذهن منها الآن أمران :

أولهما - أن الذين تتقفوا منا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم « غرباء » ، عن هذا الماضي ، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء النيابة من المتهمين . بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الاغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة له بماضي العروبة والإسلام ، لئلا يتهم في زعمه بالعصبية لها ، فوضع نفسه في موضع النعمة بالتحامل عليهما ، جرياً وراء بعض المستشرقين في ارتياحهم حيث تحسن الطمأنينة ، وفي ميلهم مع الهوى

عندما يدعوم الحق إلى الثبوت ، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه . ولو أن إخواننا هؤلاء نشأوا على الإيمان بأهم هم أصحاب هذه التركة ، ، وبأن هذا الماضي ماضيه ، وأن جيلنا حلقة في سلسلة هذا الماضي ، وأن أحداثه ثروة لنا في القدوة والاعتبار ، لنظروا إليه بعين الام إلى ابنها ، إن لم ينظروا إليه بعين الابن إلى أمه ، ولا يكون ذلك إلا بتبني هذا التاريخ ، والحرمة له ، وبث الحياة في أمجاده ، والحرص على استجلاء جماله ، وإبراز فضائله ، وتحري مواطن العظمة والاعتبار في أخطائه ، وحسن التعديل لذلك بالرفق والإنصاف وكال التقدير . على أنه إذا كان هذا حال أهل الصبر منا على البحث والدرس ، فما بالك بالآخرين الذين قد تقع أنظار الواحد منهم على بحث فج لمستشرق ناشئ أو مذنب ، فيفتحل ذلك البحث من غير تعب ، ويزعمه لقرائنا مبتسكراً من عنده ، وينقله لنا محرف الاعلام ، متضارب الاحكام ، مزدوج المعنى ، ملتبس الحاسة في التحامل حتى على الفضائل عندما ينظر إليها - بعينه أو بعين من ترجم عنه - من وراء منظار أسود .

ذلك أحد مواطن الضعف في دراستنا لتاريخ العروبة والإسلام ، أما المواطن الآخر فهو ما لاحظته على بعض المعاصرين لنا من اشتباه الأدلة التاريخية عليهم ، وحيرتهم بين جيدها وأجودها ، بل فيهم من لا يميز بين الجيد منها والردى ، مع أن ذلك كان في متناول يده لو سبق له معرفة موازين روايتنا في النقد ، أو وقف على مناهجهم في التأليف ومصطلحاتهم في الرواية ، ومراميمهم في الاستشهاد .

وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الامم والملوك) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠) لانهحدث عنه إلى إخوانى المشتغلين بالتاريخ ، ممن يحاولون الانتفاع به في الاستدلال والنقل ، لأنى رأيت منهم من يظن أن لإيراد الطبرى الخبر من الاخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسؤولية الخبر الذى أورده ، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر ، وأن الاخبار التى يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده ، وأن عزوم الخبر إلى الطبرى ودلائلهم على موضعه من تاريخه تنم بهما مهمتهم من الاستدلال ، وتبرأ بذلك ذمتهم من عبدة هذا الخبر ، ويبقى الطبرى هو المحتمل لمسؤولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم .

إن ظنهم هذا لا يغنى من الحق شيئاً ، وإن الطبرى ليس هو صاحب الاخبار التى يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم ، وهؤلاء متفاوتون في الافدار ، وأخبارهم

ليست سواء في قيمها العلمية ، ولا يتم اعتبار الطبرى مرجعاً في التاريخ إلا بإكمال المهمة التي بدأ بها ، وهي تقدير أخباره بأقدار أصحابها ، ففيها ما يعد من سلسلة الذهب ، وفيها مالا تزيد قيمته على قيمة الخنزف ، ولكل ذلك نقاده وصبارفته وتجاره ، وهم يعرفون أقدار هذه الاخبار عند التعريف بأقدار أهلها ، وقديماً قيل : وما آفة الاخبار إلا روايتها .

أنى لك هذا ؟

إن كل خبر في تاريخ الطبرى ، بل كل نص يتناقله أهل العلم في أجيال الإسلام ، له عند أهله قيمة رفيعة أو وضیعة ، على قدر شرفه أو خسته بالرواة الذين ينتسب إليهم ذلك الخبر أو ذلك النص . فشرّف الخبر في التراث الإسلامى تبع لصدق راويه ومنزله من الأمانة والعدالة والتثبت . لذلك امتازت كتب سلفنا الأول بتسمية الرجل المسئول عن أى حديث نبوى يوردونه فيها ، وبيان المصدر الذى جاءوا منه بأى خبر تحدثوا به الى الناس . ولولم يسموا الرجل المسئول عن الحديث النبوى عند إيراد ، ولولم يبينوا المصدر الذى حصلوا منه على أى خبر يوردون ذبوعه بين الناس ، لطالبهم بذلك علماء الثقافة الإسلامية بأشد من مطالبة المحاكم من يدعى ملكية العقار أو الحقل بما يثبت ملكيته له ومن أين صار ذلك إليه ؟ وإذا كان مبدأ " أنى لك هذا ؟ " مما سبّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مشروعية امتلاك الاموال ، فإن أبناء الجيل الذى منه عمر بن الخطاب هم الذين سنوا للناس بمدى وجوب بيان مصادر العلم ، كما سنوا لهم وجوب بيان مصادر المال ، والعلم أئمن عندهم من المال وأشرف ، وأنفع منه وأبقى .

نحن نعتبر تاريخ الطبرى الآن من أقدم مصادرنا ، وكان تاريخ الطبرى في النصف الثاني من القرن الثالث (أى قبل أحد عشر قرناً) يعد من مصادر التاريخ الإسلامى الحديثة بالنسبة إلى المصنفات التي دونت قبله بثلاثة بطون ، بل بأربعة . ولعل أقدمهما مغازى ومؤرخ المدينة موسى بن عقبة الأسدى المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وهو الذى يقول فيه الإمام مالك " عليكم بمغازى ابن عقبة فإنه ثقة " ، وهى أصح المغازى ، وابن عقبة من تلاميذ عروة بن الزبير وعائمة بن وقاص الليثى . ومن طبقة تلاميذه العراقيين سيف بن عمر التميمى السكونى المتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ ، وله في سنن الترمذى حديث واحد ، والطبرى يروى عنه بواسطتين ، أى عن شيوخته وهم عن شييوخهم الذين كانوا تلاميذ لسيف . ومن طبقة تلاميذ موسى بن عقبة مؤرخ الشام أبو إسحاق الفزارى الحافظ المتوفى سنة ١٨٦ هـ ، وهو حفيد أسماء بن خارجة

الفزارى وكان له كتاب فى التاريخ أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مقدمة أصول التفسير»^(١) ، بعد أن قال : «إن أعلم الناس بالمغازى أهل المدينة ، ثم أهل الشام ، ثم أهل العراق ، فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم ، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم . ولهذا أعظم الناس كتاب أبى إسحاق الفزارى الذى صنفه فى ذلك . وجعلوا الأوزاعى أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار . ويأتى بعد تلاميذ موسى بن عقبة طلبة يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموى المتوفى سنة ١٩٤ هـ ، ومن مؤرخى الشام الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقى مولى الأمويين المتوفى سنة ١٩٥ هـ ومحمد بن عمر الواقدى المدنى قاضى العراق المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم كاتبه المؤرخ الحافظ الثقة محمد بن سعد بن منيع البصرى (١٦٨ — ٢٣٠) . ومن هذا الجوال على استمداد أبو جعفر الطبرى هديته الكبرى إلى الأمم الإسلامية بما سجله وخسده من جهود شيوخه وشيوخ شيوخه ومن سبقهم إلى زمن التابعين والصحابة ، فلم يترك مهماً من أخبار سلف الأمة مما أثر عن الأئمة الذين سمينا بعضهم إلا وقد دون طرفاً منه ، ناسباً كل خبر إلى صاحبه وإلى من يرويه عنهم صاحب ذلك الخبر من شيوخه وأسلافهم .

الأخبار الضعيفة عند الطبرى :

لم يقتصر الطبرى على المصادر التى أشرت إلى بعضها ، بل أراد أن يقف قارئه على مختلف وجهات النظر ، فأخذ عن مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها ، إلا أنها تفيد عند معارضتها بالأخبار القوية ، وقد تكمل بعض ما فيها من نقص . كما صنع بنقله كثيراً من أخبار أبى مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذى قال فيه الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتدال : «إخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره ، وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال مرة : ليس بشئ . وقال ابن عدى : شيعى محترق ، صاحب أخبارهم . مات قبل السبعين ومائة . فقد نقل الطبرى من أخباره فى مئات المواضع ، ولو أن الذين ينقلون عن الطبرى ويقفون عنده ، استقوا أخبارهم من لوط بن يحيى هذا واكتفوا بهزوها إلى الطبرى لظلموا الطبرى بذلك ، وهو لا ذنب له بعد أن بين لقارئه مصادر أخباره ، وعلمهم أن يعرفوا نزعات أصحاب هذه المصادر ويزنوها بالموازين العادلة اللائقة بهم وبها .

إن مثل الطبري ومن في طبقته من العلماء الثقات الموثقين - في إيرادهم الأخبار الضعيفة - كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فانهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره . وهكذا الطبري وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون في خبرهما علوماً من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي . إلا أنهم يردون كل خبر معزواً إلى راويه ليعرف القارئ قوة الخبر من كون رواه ثقات أو ضعفه من كون رواه لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ، ورضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم . قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الطبراني من لسان الميزان : « إن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لا اعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهده ، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده ، » .

ومن فوائد إيراد الحادث الواحد بأخبار من طرق شتى وإن كانت ضعيفة قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة تفسير القرآن (ص ٣٠ - ٣١) : « إن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الاتفاق في العادة يوجب العلم بضمون المقول (أى بالقدر المشترك في أصل الخبر) لكن هذا ينفع به كثيراً في علم أحوال الناقلين (أى نزعاتهم والجملة التي يحتمل أن يتعصب لها بعضهم) ، وفي مثل هذا ينفع برواية المجهول ، والسوى الحفظ ، وبالحديث المرسل ونحو ذلك ، ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث ويقولون : إنه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره . قال أحمد : « قد أكتب حديث الرجل لأعتبره ، » .

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن اتساع صدور أئمة السنة - من أمثال أبي جعفر الطبري - لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم ، دليل على حريتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما في الباب ، واثقين من أن القارئ الحصيف لا يفوته أن يعلم أن مثل أبي مخنف موضع تهمة - هو ورواته - فيما يتصل بكل ما هم متعصبون له ، لأن التعصب يبعد صاحبه عن الحق . أما سعة الصدر في إيراد أخبار المخالفين فهي دليل على عكس ذلك . وعلى القارئ الحصيف أن يأخذ ماصفاً ويدع ما كدر . وأن يستخلص الحق عند ما يكون موزعاً أو معقداً .

الانتفاع بأخبار الطبرى :

لأنما ينتفع بأخبار الطبرى من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل .
فترجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في الأكثر في مثل تذكرة الحفاظ للذهبي . وتراجم
الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في خلاصة تذهيب السكالك للصفي الخزرجي
وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر . والذين تناولهم الجرح من الضعفاء
يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال والحافظ ابن حجر في لسان الميزان . وفي
طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي
والبداية والنهاية لابن كثير . وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوى
ومضى يجوز الأخذ برواية المخالف . ولا نعرف أمة على مؤرخوها بتمحيص الأخبار
وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها كما على بذلك علماء المسلمين . وإن العلم بذلك من لوازم
الاشتغال بالتاريخ الإسلامى ، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم ، ولا يتعرفون
إلى رواتها ، ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى أن الطبرى رواه في صفحة كذا
من جزئه الفلانى ويظنون أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع
بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامى من ألوف الأخبار . ولو أنهم تمكنوا من علم مصطلح
الحديث ، وأنسوا بكتب الجرح والتعديل ، واهتموا برواة كل خبر كاهتمامهم بذلك الخبر
لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامى ، ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار
وسمينها ، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها .

وبعد فإن تركه سلف هذه الأمة - في كل ضرب من ضروب المعرفة - من أنفس ما ورثت
عن أسلافها . وقد كانت لعلمائنا الأقدمين مشاركة في علوم كثيرة ، فجاءت مؤلفاتهم مرتبطة
بعضها ببعض ومكملاً لبعضها لبعض . والذي ألفوه في التاريخ واعتمدوا فيه على الرواية ،
مبالغة منهم في أداء الأمانة كاملة وافية ، لا يجوز لمن يتقلده عنهم أن يقصر في عرض تلك
الأخبار على قواعد علم الرواية وعلى المعاجم المؤلفة في تراجم الرواة ، وإن لم يفعل أخطأ
الطريق ، وكان عمله خارجاً عن مناهج العلماء .

حب الدين الخطيب

مهاجرون وأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم : قال الله تعالى في كتابه الحكيم في قصة الهجرة ونصره لرسوله : « لا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ، ثانی اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ؛ فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » ، وقال في شأن المهاجرين والأنصار : « واذكروا نعمته الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

كانت هجرة الرسول صلوات الله عليه من مكة إلى المدينة ، إيذا ما بيده عصر جديد في تاريخ العالم ، وعاملا قويا في رقى الإنسانية ونهضتها ، وحدا فاصلا بين الوحشية والمدينة ، والعبودية والحرية ، والجهل والمعرفة ، والظلام والنور .

ففي المدينة بعد الهجرة بقبائل ، بدأ الرسول يبشر بحقوق الإنسان ؛ ويرفع من كرامته في الحياة ، ويعمل على تحرير الطبقات والأجناس من الرق والاضطهاد والاستعباد والاستغلال ، ويفتح الأبواب أمام المتنافسين من ذوى الكفاية من كل أمة ولون ، ويشرع أصول الحكم العادل ، ويضع مناهج التقدم الروحي والاجتماعي ، ويعلم أن للحكوميين ما للحاكمين ، وأن الدولة إنما وجدت لخدمة الفرد . . . ووجد الرسول نفسه أمام ثلاث طوائف في المدينة :

أولاهما - طائفة المهاجرين الفقراء ، الذين ضحوا بوطنهم ومالهم وتجارتهم ، طلبا للحرية ، وفرارا من الطغيان ، فهاجروا من مكة إلى المدينة ، فرادى وجماعات ، بعد هجرة محمد صلوات الله عليه ، وكان أغلبهم يعمل بمكة في التجارة يكسب منها الأموال العائلة ، ويصفهم الله تعالى في القرآن بقوله : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » ، ويصف الطبقة التي تلهم في الهجرة بقوله : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا إنك رؤوف رحيم » .

والطائفة الثانية - هم الأنصار الذين أحبوا الرسول ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه : من الأوس والخزرج سكان المدينة ، وكانت مهنة أكثرهم الزراعة وتعمد الثمار والأشجار والفاكمة ، وكانوا ذوى عدة وثروة ، ووصفهم الله تعالى بقوله . « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . »

والطائفة الثالثة - يهود المدينة ، الذين طاموا أشعلوا نار الخصومة والحرب بين الأوس والخزرج ، وسخروا برسالة محمد وبأصحابه .

يجتمع كهذا المجتمع ، فيه الفقراء والأغنياء ، والمفسدون والمتآمرون ، لابد فيه من بناء جديد ، وحركة بعث وتجديد ؛ فإذا فعل محمد صلوات الله عليه ؟ بدأ الرسول يعالج هذه المشكلات بإلهام شديد ، وعقل حصيف ، وسياسة حكيمة :

طمان اليهود على حرياتهم الدينية والشخصية ، وتعمد بحمايتهم والدفاع عنهم ، في وثيقة سياسية بارعة ، وادّعى فيها اليهود وعاهدهم وحذرهم ، ليضمن سلامة الدولة وأمنها .

والنفث إلى علاج مشكلة التفاوت الشديد في الثروة ، بين الأغنياء والفقراء ، بين الأنصار والمهاجرين ، فأخى بينهما إخاء فريداً في تاريخ الإنسانية ، إخاء مودة وتعاون وإخلاص ، فكان يأخذ بيدي المهاجرتي والأنصاري ويقول : « تأخيا في الله أخوين . » قال ابن هشام : أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فقال : « تأخوا في الله أخوين أخوين ، فكان الرسول وعلى بن أبي طالب أخوين ، وأبو بكر وخارجة بن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين ، وحزرة أسد الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وسوى هؤلاء وهؤلاء . »

كان الرجل من المهاجرين يرتبط برابط الأخوة بآخر من الأنصار ، وصار لكل أنصاري أخ من المهاجرين ، يشاطره داره وماله وإبله وتجارته ، لهذا نصف ولهذا نصف ، وكان إذا توفي أحدهما ورثه أخوه - في العقيدة لا في النسب - إلى أن نزلت آية الميراث ، لجعل الإرث بين ذوى الأرحام والقرابة .

وهكذا تنازل الانصار الأغنياء ، بوازع من دينهم وضميرهم وجههم وطنهم ، لإخوانهم المهاجرين الفقراء عن نصف ما يملكون من ثروة وعقار وأرض ، دون تردد أو إبطاء .

وجدت مشكلة أخرى ، فقد كان الانصار أصحاب زراعة ، بينما المهاجرون أهل تجارة لا عهد لهم بسواها من الحرف ، فماذا يفعلون بالأرض التي أصابتهم ؟

هنا تجلّت عظمة إيمان الانصار ، وجلال أخلاقهم ، وإيثارهم على أنفسهم ؛ فقد أصروا على أن يزرعوا أرضهم وأرض المهاجرين بأنفسهم ، ويقسموا محصولها مناصفة فيما بينهم ، ويكفهم العمل والمؤونة ، تعاوناً منهم في بناء الأمة والمجتمع .

ومع ذلك فقد عمل كثير من المهاجرين في الزراعة ، كأبي بكر وعمر وعليّ وسواهم . وعمل آخرون في التجارة ونجحوا فيها نجاحاً عجيبيّاً ، كعبد الرحمن بن عوف الذي عرض أخوه الانصارى سعد بن الربيع أن يشاطره ماله فأبى ، وطلب إليه أن يدلّه على السوق فتاجر ورجح ، ولما توفى وترك ثروة واسعة قال أناس من أصحاب رسول الله : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، ولم تخافون عليه ؟ كسب طيباً ، وأنفق طيباً ، وترك طيباً .

ولم يكن هذا هو العلاج الوحيد الذي عالج به الرسول الكريم مشكلة الفقر في المدينة ، بل خص المهاجرين ببعض الغنائم ، كأموال بني النضير ، فلم يعط الانصار منها شيئاً ، إلا ثلاثة نفر محتاجين ، وقال لهم : إن شئتم قسمتم المهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة ، فقال الانصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . . . وهكذا كانت يد الانصار جليّة على المهاجرين ، حتى قالوا فيهم : ما رأينا مثل أنصار المدينة ، لقد أحسنوا مواساتنا ، وبذلوا الكثير ، وأهركونا في المهنة ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

وحض الرسول على المحبة والتعاون والرحمة ، وعلى البذل والسخاء والإيثار والصدقة والإحسان ، وإطعام الجائع ، ومساعدة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وشرع فريضة الزكاة ، وجعل بيت المال في خدمة الفقراء . وكان الرسول يضرب في ذلك أروع الأمثال ، ويؤثر على نفسه .

قالت عائشة: ما شيع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا .

وذهب الرسول يعود ابنته فاطمة في بيت زوجها على بن أبي طالب ، فقال : السلام عليك يا بنتاه ، كيف أصبحت ؟ قالت أصبحت والله وجعة ، وزادني وجعا أني لست أقدر على طعام آكله ، حتى أجهدني الجوع ، فبكى رسول الله ، وقال : لا تجزعي يا بنتاه ، فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ، ولو سألت ربي لأطعمني ، ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ، أبشري ، فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة .

وحمل إليه صلوات الله عليه في يوم تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ، ثم قام إليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها وعاد لا يمسك منها درهما .

وكان المسلمون من الأنصار والمهاجرين يضربون المثل رائعا كريما في فضيلة الإيثار ، نزل برسول الله ضيف ، فلم يجد عند أهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الأنصار ، فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته أن تطفى السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام ، كأنه يأكل ولا يأكل ، حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال رسول الله : « لقد عجب الله من صنعكم الليلة إلى ضيفكم » .

وأهديت لعبادة بن الصامت هدية ، وإن معه في الدار اثني عشر من أهل بيته ، فقال عبادة : اذهبوا بها إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا ، قال الوليد بن عبادة فأخذتها فسكنت كلها جئت أهل بيت يقولون : اذهبوا بها إلى آل فلان ، فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية ثانية إلى عبادة .

وحرم رسول الله الاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل ، ودعا الأغنياء إلى التنازل لآخوانهم الفقراء عن بعض يملكون من أرض هبة ومنحة ، فقال : من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرهما إياه ، وقال : من كانت له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه ، وقال : لأن يمنح الرجل أخاه أرضه خير له من أن يأخذ عليها خرجا معلوما . ودعا إلى الرحمة والبر والخير والتعاون والمساواة .

هذا هو الرسول الكريم ، وهؤلاء هم المسلمون حقا ، من الأنصار والمهاجرين ، من بناء مجدنا الخالد ، والدعاة إلى خير الدنيا والآخرة ، ومن لم يفتهم المسال ، ولم تلهمهم

ابو سدوم وسامه في بناء السلام العالمي

لم ترسل الرسل وتنزل عليهم الملائكة بالوحي والكتب من عند الله إلا لإصلاح حال البشر ، وتزكية نفوسهم ، وإقامة العدل والمساواة بينهم ، ودفع طغيان بعضهم عن بعض ، وتأسيس بناء المجتمع في الأرض على دعائم صالحة للحياة والعمران حتى تنصرف قوى البشر لمنفعة البشر ، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، (سورة الاعراف آية ٩٦)

وكان من عجيب سر الأديان جميعا ، وترادف الرسل إلى أهل الأرض ، أن كان أول ما يهدفون إليه ويدعون له ، إنما هو عقيدة التوحيد وإزالة كل معبود على وجه الأرض

زهرة الحياة الدنيا ، وكانوا مع الله فكان الله معهم ، ومن أدوا الحقوق ، وجعلوا أنفسهم في خدمة إخوانهم في الله والوطن .

وما أحوجنا اليوم إلى أن نسير على ضوئهم ، ونستهدي بهدي رسولنا الأعظم ، ونساعد الدولة في خدمة الشعب وبناء الأمة وضمان الحياة الكريمة للفقراء ، وأن يؤثر أغنيائنا على أنفسهم ، ولا ييخلون بما لهم في سبيل الله والمعروف .

وإني لا أجد في ختام هذه الكلمة أبلغ من قول الإمام أبي حامد الغزالي : في الإحياء ، :

« إن على الإنسان في ماله أن يعرف مقصود المال ، وأنه لماذا خلق ؟ وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ؟ فلا يحفظ إلا قدر الحاجة ، وألا يعطيه من همته فوق ما يستحق . وعليه أن يراعى جهة دخل المال ، فيجتنب الحرام المحض ، وما الغالب عليه الحرام ، كمال السلطان ؛ ويجتنب الجهات المسكرومة القاذحة في المرومة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة . وأن لا يستكثر من المال ولا يستقل منه ، بل القدر الواجب ، ومعياره الحاجة ، والحاجة ملابس ومسكن ومطعم » .

عبد المصطفى صفوان

المدرس في كلية اللغة العربية

من دون الله ، ولم يكن ذلك لأن عقيدة التوحيد هي حق في نفسها فحسب ، وإنما كان إلى ذلك أنها حينما تتضمن لإفراد الله بالعظمة ، تتضمن المساواة بين أفراد من عداة ، إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، وفيه تمام المساواة بين أبناء البشر وأفراد المجتمع الواحد . وهذه هي الحرية والمساواة التي تصرخ بها الحضارة والمدنية الحديثة على أنها ثمرة الثورة الفرنسية ، بينما هي أولى عقائد الأديان منذ نزلت الأديان ، إذ هي صنو عقيدة التوحيد ، ومقتضاها أن السيد الفرد هو الله سبحانه ، والجميع بعد سواء في الحقوق والواجبات ، حتى كان النبي يقول لقومه : وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، (سورة هود آية ٨٨) فأول مبادئ الإسلام وعقائده هو تأسيس المجتمع على المساواة والعدل بين الناس ، لأنهم سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وهذا هو مبدأ إخراج الناس من الظلمات إلى النور الذي جاءت به الأنبياء فأخرجوا الناس من ظلمات جهلهم بالله سبحانه إلى نور المعرفة به ، ومن ظلمات جهلهم بحقوقهم الشخصية أمام كبرائهم وملوكهم إلى نور العلم بأنهم وإياهم سواسية كأسنان المشط ، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .

وبذلك يتم بناء صرح المجتمع على أسس من العدالة لا تنهار . وقطعت الرسل مرحلتها الأولى في رسالتها في ترويض العقل البشري على فهم هذه الحقيقة في عقيدة التوحيد ومبدأ المساواة .

وكان كثير من السادات في أمهم يقبلون عقيدة التوحيد ولا يقبلون المساواة بينهم وبين الضعفاء من أمهم ، فيأبى عليهم الأنبياء ذلك ولا يقبلون منهم إلا العقيدة كاملة . قالوا أنؤمن بالله واتباعك الأرضلون ، .. الآيات . وكذلك فعلوا مع الرسول ﷺ وطلبوا أن ينحى من مجلسه الضعفاء ليجلسوا معه ويستمعوا إليه ، فأبى . ونزل قرآن كريم على النبي ﷺ صلوات الله عليه في إشاحة خفيفة عن أعمى جاءه وكان مشغولاً بوفد من السادات . عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، .. الآيات .

هذا هو مبدأ الدين من عقيدة لإفراد الله سبحانه بالالوهية والربوبية ، وخرط جميع من سواه في سلك العبودية له على السواء ، فتتحد كلبة الأمة ويخف بينها الخلاف أو ينعدم . وكلما كانت الأمة أو الأمم متحدة في العقيدة الصحيحة السليمة كان ذلك أدعى إلى السلم

فيما بينها ، وأدفع للقوى أن تتجه إلى الإنتاج الاقتصادي النافع متعاونة بروح واحدة هي روح الأخوة ، وفي ذلك عماد الحياة وصلاح الأرض وسلامة الأمر وتواد النفوس ، فلم يكن لإجماع الرسل وتضافر الأديان في كل زمن على عقيدة التوحيد إلا المصلحة البشرية أنفسهم ، واجتثاث نزعة الطغيان منهم بعضهم على بعض بسبب تفاوت البشر في القوى والقدر ، فيظن القوى أنه خير من الضعيف ، فجاءت الأديان كلها بعقيدة التوحيد والمساواة توحيداً لله بالربوبية والمساواة بين أفراد من عداة .

وهذه الحروب الطاحنة التي تنشب في هذا العصر ، بين كل وقت وآخر ، بين بني الجنس الواحد من أبناء البشر ، مما لا يوجد له نظير في أبناء جنس آخر من الكائنات الحية التي على وجه الأرض ، والتي لم توهب نعمة العقل ، هذه الحروب التي تستنفد قوى البشر وإنتاجهم في تدمير بعضهم بعضاً بسبب اختلافهم في مبادئ وآراء ، فراحوا يستخدمون العلم في سفك الدماء والنكال ، ويتسكرون أسرع المهلكات وأغزرها في الفناء لأهل الأرض .

أى فساد في الدنيا أشد من ذلك ؟ قوم يتواطئون على إهلاك أنفسهم وغيرهم بأيديهم . فهل هذا الجنون العالمي والانتحار الإنساني والسير في سبيل تدمير الحضارة والبشرية خير للإنسانية ، أم الاستغاثة بالسماء لصلاح الأرض ودرء الحرب عنها والانتفاع بالبقية الباقية من الروح الدينية لجمع كلمة البشر على وحدانية الله سبحانه ، والتعاون على محبته وشرعه ، ليكون هؤلاء المتعاونون كتلة واحدة على هدف واحد ، فلا يتحاربون ولا يستنفدون قواهم فيما يعود عليهم إلا بالخير والعافية وبقاء السلام : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

هزيمة العقيدة والحرية الشخصية :

تعترض تلك الكلمة سبيل الباحثين هنا وتصلطك بأذنانهم حيثما يتفاهمون ، وهي وإن كانت كلمة حق في بعض وجوها فقد أريد بها باطل استغله الشيطان وألقاه في نفوس الكثير من العقلاء ، إبقاء على حبه دوام الخلاف واتساعه بين البشر ، ذلك الخلاف الذي يبتدىء بحجة هذه الكلمة بين كل اثنين من أسرتين أو بلدين إلى ما اتسع له الآن من انقسام الدنيا إلى معسكرين - رأسماليين وشيوعيين - لا يلبث الشر أن تندلع منه شرارة بينهما ، فتطيح بالدنيا بأسرها بسبب مبادئ وآراء ما أنزل الله بها من سلطان .

وهذا الذى نخشاه إنما هو عقاب سماوى ، وإنذار لأهل الأرض الذين أباحوا الكفر الصراح والفسوق والعصيان ، وانتهاك حرمة الآداب وانحلال الاخلاق وفساد الذمم ، كل ذلك بسبب استخدام هذه الكلمة ، الحرية الشخصية ، فى إنطلاق الأهواء والميول ونشر الإباحية الفاجرة .

ولو أن عشر معشار ما ينفق على التسليح والسياسة الآن ، كان ينفق على حرمة الآداب واحترام الدين ودعوة الإنسانية إلى الخير والصلاح وإيمان الأرض بالسماء ، ما بلغ الخلاف ما بلغه الآن ، ولما كشر الشر عن نابه لأهل الأرض يريد أن يفتريهم بين عشية وضحاها .

فأين رجال الدين ، وأين انتفاع الحكومات بهم الآن ؟

إن الدين هو موضع الغوث الذى تنظره البشرية الآن لإغاثنها عما سيجرفها من حرب طاحنة واقفة على الأبواب ستدمر المدنية وتأتى على الأخضر واليابس .

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، .

أمر النبي ﷺ أن يوجه هذا النداء الكريم ، وهذه الكلمة العادلة على ملأ الأشهداء والرأى العام ، إلى المخالفين المعاندين ، قبل أن يزداد الخلاف وتتشب الحرب .

فهذا النداء الإسلامى والسياسة العليا النازلة من السماء لتوجه من الجبهة الإسلامية إلى جبهة المخالفين ، تؤذن بأن تحتذى ويوجه مثلها مثلا إلى تلك الكتلة الشرقية التى تريد أن تجتاح الأديان والإسلام كما اجتاحتها فى مسلى الشرق ، فقول : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا - الرأسماليون - المال والأرض احتكارا لهم من دون الناس ، ولا يتخذ بعضنا الحكم قسرا على عباد الله بتحريم الملكية الفردية التى أباحها الله فى كل الأديان ، إلى آخر ما نفزو به مبادئهم الهدامة ونمهد لهم من مبادئ إسلامية كريمة تشبع نهمهم الإصلاحى من غير هدم ولا طغيان لمن يريد الإصلاح .

وإذا سمعوا أن الرأسمالية والاحتكار والإقطاعيات والكسب غير المشروع أعداءهم الأولى قد أصبحت تحارب بلا هوادة فى مصر الإسلامية لأنها موارد يحرمها الإسلام كان ذلك أدعى الإصغاء إلى مصر ونهضتها الحديثة ، وخطتها الوسط العادلة الحكيمة .

والإسلام في مبادئه وسماحته بين مبادئ الشرق والغرب كلبن سائغ حلو للشاربين يخرج من بين فرث ودم .

وقد راح كل من الطرفين يعي قوى الشر والحرب ضد الآخر وما هو العالم ينتظر البوق ، فهذه الروح الإسلامية في سياسة السلم وهذا النداء السماوى الذى وجهه القرآن ونزل به جبريل من السماء إلى خصوم الإسلام أشد ما كانت الخصومة ، هي سياسة تحتذى ويقتبس منها النور .

فلماذا لا ينتفع المسلمون في مواقفهم بقرآنهم الكريم الداعى للسلم ، ويتخذون منه نبأسا ويتفهمون مراميه وأهدافه ليستوحوا منها ما ينفعهم في ذلك وليرفعوا به الصوت عاليا في السياسة العالمية ويعلنوا همة الإسلام العالية في خدمة البشرية ولا سيما في درء الشيوعية وكفرها الصراح .

ليس لإكرام القرآن الكريم بين أهله هو تلاوته بحسب والتغنى به في المآتم والحفلات ، وإنما لإكرامه العمل به ، والتضامن على تدبره وفهمه ، ولإشعار الأمم والشعوب والطبقات العالية المثقفة بأن القرآن فيه فصل القضاء فيما اختلف فيه الناس في كل زمان ومكان .

وهذه مهمة شاقة يجب أن ينهض بها الأزهر الشريف في عهده الجديد وعهد هذه الحكومة الناهضة وعهد هذا الظرف العالمى الحاضر الموجب لذلك . ومن اتخذ القرآن مهجورا هبأت أن يكون بين الناس منصورا . فيجب على أهل القرآن الآن المؤمنين به وبرسالته العالمية أن يواجهوا الناس بما فيه من مقاطع الحكم ومفاصل الخلاف ، وأن يقنعوا العالم بذلك ، ساستهم وشعوبهم ، وطرق الإقناع واسعة ، والسبيل نهج والدين واضح والدولة للبيان ، وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا .

وهذه فرصة للإسلام لن تعوض يجب أن يفتن بها الأزهر الشريف في عهده الجديد وعهد حكومة مصر الناهضة ، فقد ذهب العصر الذى كان إذا تكلم فيه المسلمون قالوا : متعصبون ، وجاء العصر الذى سيستغيث بنا فيه الساسة العالميون لدرد الشيوعية الكافرة . وما أدرانا لعل الإسلام حينما يحاجل صوته بين الكتلتين تهفوله قلوب وتؤمن به شعوب وتنطق به حروب ، وتقع عليه العين وتصلح به ذات البين ، وتحقق به دماء وترضى به عن الأرض السماء .

عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

الحُدود في نظر الإسلام

هذا أسلوب من أساليب التربية الدينية يريد الشارع الحكيم أن يستقيم حال الناس به ، ويصالح سلوكهم عليه ، وتسود فيهم الأمانة ، وتعلو بينهم راية الشرف ، لأنه سبحانه بعد خلقه إياهم في أحسن تقويم ، وتسخير لهم الكون كله يستقلون أرضه ، ويستظلون بسمائه ، ويتمتعون بخيراتهِ التي يحتويها ، لم يبق لهم عذر في عـدم تذليله لإسعادهم ، واستخدامه لرفاهتهم . وشذوذهم عن هذه الطبيعة ، وخروجهم عن مألوف تلك العادة ، وتمردهم على ما تقضى به السنن من الهدوء والسلام ، والأمن والاستقرار ، وميلهم إلى الإفساد والشر ، والإضرار والكيد ، والإيلام والتنقيص ، وتحويل البيئة التي يعيشون فيها إلى مباءة للآثام والفجور ، كفران بنعمة الله التي أنعم بها عليهم ، ونكران الجميلة الذي أسداه إليهم ، يستأهلون من أجله الغضب والسخط والعقاب والوعيد ، والزجر والتأنيب ... ولذلك جعل — جل وعلا — الحدود بمثابة الردع للفسدين ، والتهذيب للذنين ، والتخويف للمتقين ، عسى أن يكون هذا باعثاً على إقرار الأمور ، وصلاح الأحوال ، والاستقامة على الجادة ، ليتوفر للناس العيش السعيد ، والحياة الرتيبة الهادئة .

والناظر إلى الحدود الإسلامية — في بادئ الأمر — ربما ظن أنها قاسية على ابن آدم الذي خصه ربه بالكرامة ، وميزه بالعقل ، وفضله على سائر المخلوقات . ولكن الذي يدقق التأمل ، ويمعن التفكير ، يعتقد أن المرء الذي يصل به تحلله في خلقه ، وانحداره في سلوكه ، وتهاونه في شرفه ، واستهتاره بغيره ، إلى هذا القدر من استباحته للأعراض ، وتغاضيه عن الحقوق ، وتنصيبه من نفسه — هكذا — معول هدم لإفساد الجماعة البشرية ، يحذر به أن يزول من على الأرض ، لأن يبقى كما تبقى الجرائم الفتاكة يتطاير شررها ، ويستفحل ضررها ، ويعم وبأؤها ، ويتزايد على تطاول الليالي فتسكنها الذريع . على أن الباحث فيها من ناحية أخرى يرى أنها ترفقت بالمجرم وعالقت عليه بعض الآمال حين أبقت على حياته من الموت ، وصانته من الهلاك ، لأنها ترجو منه الاستقامة على الصراط السوي ، والمهيع

الصحيح ، ليصبح نافعا لنفسه وللناس ، ويكون الذى صادفه موقظا لأحاسيس الخير فيه ، ثم لا يكون فى عمله بعد ذلك ما يشين الحياة ، ويزرى بالإنسانية .

وإذا قيس هذا الصنيع بما تفعله بعض الدول الآن — على ضوء الفلاسفة الحديثة — من حرمان أمثال هؤلاء من التناسل والاختلاط ، ومباشرة الحقوق الدستورية ، والميزات الاجتماعية ، لا يصح لنا إلا أن نقول إن الإسلام كان مقصاحا إلى أقصى حدود التسامح . . على أنه فى بعض حالات العقوبة لا تأخذه هوادة ولا رحمة ، ولا تعطفه عليهم شفقة ولا رأفة ، فيكون حكمه بالموت ، وذلك فى زنا المحصن ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها ، والذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً . وبما لا شك فيه أن أمثال هؤلاء لا يرجى منهم إلا أن يكونوا على هذه النجاسة من الشر ، ولؤم الطبع ، وفساد الطوية ، وخبث النفس ، وهم فى هذه الحال أشبه بالعضو الذى احتوى على المرض الخطير ، وقرر الطبيب أن وجوده يودى بالجسم كله ، ويقضى على الأعضاء جميعها .

ولخطورة هذه المواقف ، وصعوبة ثبوتها فى كثير من الاوقات لم يرض أن يكون ادعاء حدوثها قضية مسلمة ، بل أحاطها بسياج من الحذر ، وجعلها لا تتقرر فى الواقع إلا بشهادة العدول من المسكفين الأحرار ، وبخاصة الزنا لما يترتب عليه من التفريق بين الزوجين ، وتشريد الأطفال ، وتقويض صروح السعادة . . فإنه لم يقبل الشهادة إلا من أربعة شهداء يشهدون أنهم رأوا كلا من الرجل والمرأة على وضع خاص ، وجعل للشهود عليهما الحق فى درء الحدود بالشبهات وليس بعد هذا حذر من العبث ، وصون للأخلاق ، وحفظ للأعراض ، ودفاع عن الانساب التى هى الرصيد الضخم من المجد والشرف ، والعزة والكرامة . . .

وفى هذه الفاحشة تقول الآية القرآنية : « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وهو - جلت - حكمته - يدلنا بهذا البيان ، على قيمة هذه الجريمة من الخطر الذى يهدد المجتمع ، ويفسد الأمة ، حين يأمر بهذه القسوة ، وتلك العلانية . . .

أما القاتل للنفس التى حرم الله قتلها فإنه حيوان تحولت طبيعته ، وفسدت غرائزه ، وأصبح الأمل فى الأنس به ، والمعاشرة له ، والحياة معه ، ورجاء النفع منه ، من الأوهام

الباطلة ، والتخيلات المكذوبة ، لأن تلك الضراوة التي ظهرت عليه ، والوحشية التي بدت آثارها فيه ، دليل قاطع على أن الخير كل الخير كان في استئصال شأفته من الوجود ، وذهاب آثار نفسه الشريرة من الحياة ، لئلا يهدد بقاؤه الناس ، ويشيع ظله الفوضى في العالمين . . .

وكان المسلم الأول ، حين يتردى في تلك المعصية يعتقد أن الشيطان قد انتصر عليه ، وأن الهوى قد غلبه ، وأن الطيش قد لعب به ، فلا يسعه إلا أن ينتقم من هذه كلها بالاعتراف على نفسه ، والتقدم بين يدي الحاكم ليقم الحد عليه ، ويغسل عنه أضرار المعصية وقدر الذنب ... وقد ثبت أن ذلك العمل حدث أكثر من مرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن العهد كان قريباً من جهالة الكفر ، وفضاظة الشرك ، وخشونة البداوة وكان الظن أنهم يتجاهلون سلطان الشريعة ، وهيمنة الدين ، أو يحتالون الحيل لعدم الإذعان له جهد المستطاع ، ولكن رجولة العرب ، وصراحة المسلمين ، جعلت تلك الروح أشبه بالاشياء التي تصدر عن الطبع والعادة من غير تكلف ولا معاناة .

ولو أن الدين الإسلامي ظل له هبله وهيلمانه ، وكانت أحكامه تسود العبادات والمعاملات ، وآدابه تهيم على الاندية والمجتمعات ، وسلطانه يتركز في انحاء الدنيا ، ويتهامس الناس أن الحدود قائمة ، وأن الإشراف على تنفيذها يأخذ من رجال الإدارة والحكم اهتمامهم وعنايتهم ، لما سرى إلينا نبأ حوادث للسرقات والغصب ، والفجور والعهر ، والعدوان والظلم ، والقتل وسفك الدماء ، ولظلت البسيطة ميدانا للسلام والوثام ، والسعادة والحب ، والطمأنينة والاستقرار ، ولما مشى هذا الفشل والفوضى إلى أوساطنا المختلفة بذلك القدر الشنيع ...

وبقيننا أن ما نقاسيه الآن من ذبذبة خالية من الاتزان ، مجردة من العقل ، بعيدة عن المنطق ، نائية عن الصواب ، مجافية للمصلحة ، سيحملنا - رغم أنوفنا - على أن نحتكم إلى القرآن في هديه وإرشاده ، وتشريعاته وأحكامه ، وتوجيهه وتهذيبه ، ولا سيما حينما يبدو لنا أن ما نتخبط فيه من دساتير ونظم أجنبية عنا ، ما هو إلا أسلوب الأحمق ، وحيلة العاجز ، وربما كان ذلك قريباً جداً .

ابراهيم أبو الخشب

مدرس بكلية الشريعة

سبح الأثر بعرض على القبة

قالت جريدة « الأهرام » ، في عددها الصادر يوم الأحد ١٢ أكتوبر :

على أثر ما أذيع خاصاً بأن اللجنة التي ألفت لتوحيد الزى أنها قد رأت استبعاد الطربوش كغطاء للرأس والاستعاضة عنه بغطاء عملي مناسب كالبيرة أو القبة ، على أن يشمل توحيد الزى جميع المصريين ، عدا رجال هيئة كبار العلماء ، والعلماء المشتغلين بالتدريس ، توجه مندوب « الأهرام » ، إلى فضيلة الاستاذ الأكبر وسأله رأيه في هذا الزى المقترح ، فأفضى إليه فضيلته بهذا التصريح الهام .

إننى علمت أنه قد اقترح أن يكون الزى الموحد هو الزى الاوربى ، لأنه أصبح زيا عالميا ولأنه من الناحية العملية أكثر ملاءمة لهيئات العمال والفلاحين وهذا الزى يتألف من بنطلون وقمص بأثمان مناسبة .

وإننى أصرح بأن القبة والبيرة ليستا زيا عالميا ، وأن مئات كثيرة من الملايين في آفاق لا حد لها من قارات الأرض لم تتخذ هذا الزى ، ولذلك لم يبلغ أن يكون زيا عالميا ، ثم إنه ليس من الحتم على أية أمة أن تجارى الشكايات حتى لو كانت عالمية قبل أن تقتنع بأن ذلك أصلح لها .

والأصلح لجو كل أمة هو ما دللنا عليه تجارب ألوف السنين . وإذا استوحى المصلحون من هذه التجارب الطويلة ما يكون به توحيد الزى ، فإنهم يصيدون بذلك الغرض من التوحيد والإفادة من تجارب الزمن .

وإن مصر على الخصوص عضو ممتاز ومرموق في العالم الإسلامى الذى زاد تعداده في هذه السنوات على خمسمائة مليون ، ومن غير المنتظر أبداً أن يرضى العالم الإسلامى بأن يفنى شخصيته في غيره ويندمج في الزى الأجنبى عنه المزعوم أنه عالمى ، لا سيما وأن في سنن الإسلام الجوهرية التى لا يمكن أن يتساهل فيها المسلمون — إلا بانحرافهم عن دينهم — أن يكونوا متميزين عن غيرهم . وأئمة المسلمين يعدون من الخروج على الإسلام الانحراف عن زيه إلى زى غير المسلمين فيما اختصوا به من علاماتهم ، وقد كان من علاماتهم في القرون السالفة « الزنار » ، فكان لبس المسلمين يومئذ للزنار يعد في الفقه الإسلامى خروجاً على الإسلام يستحق فاعله العقوبة . والمتعارف الآن عند المسلمين في مختلف أقطارهم أن القبة هي علامة غير المسلمين التى يفترقون بها عن أهل الإسلام ، فلها الآن مثل حكم الزنار فيما مضى .

وعلى كل حال فإن شهوة الانغمار في الزى على زعم أنه عالمي — وما هو بعالمى — سيفصل المصريين وهم قلة قليلة من المسلمين ، عن إخوانهم من أمم العالم الإسلامى البالغ عددهم خمسمائة مليون ، وأول ما سيكون من سوء الأثر لذلك في شطر وادى النيل الجنوى . وقد جربت إحدى الأمم الشرقية هذا الأمر قبل نحو ربع قرن ، وحملت شعبها عليه بالقوة ومع ذلك لا يزال شعبها حزيناً أسفاً مكسور الحائط ، مما حمل عليه .

ولا يزال العالم الإسلامى ينظر إلى ذلك بعين الاستنكار والاستغراب ، وقد كان القامون بهذه التجربة يتوقعون هم والذين شجعوهم على ذلك أن يكونوا قدوة فيه لأمم إسلامية أخرى . فساكن المسلمون أحصف من أن ينزلقوا في ذلك ، لأنهم يعلمون أن به خروجاً عن سنة من سنتهم إلى احترامها والتزموها منذ أربعة عشر قرناً . إن فكرة توحيد الزى فكرة حسنة ، ولكنها في أى قطر يغلب على سكانه العمل بأحكام الإسلام ينبغى أن لا يصطدم بسنة من سنته ليكتب لها النجاح والبقاء والرضا من جمهور الأمة .

وقد سألت مندوب « الأهرام » فضيلته عن الزى الذى يراه ملائماً لنا ، فقال : للقائمين بالأمر أن يختاروا الزى الذى يروونه ملائماً لنا ، على أن يكون مخالفاً لما امتاز به غير المسلمين .

المفتى كشيش الأزهري

في استبدال القبعة بالطربوش

سأل مندوب « الأهرام » الاستاذ الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية عن رأيه في استبدال القبعة بالطربوش .

فأجاب بقوله : « إن الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال قولته ضد ذلك ، وبهذه القولة قطعت جبهة قول كل خطيب » .

توحيد الزى

في جريدتى (الأهرام) و (الأخبار الجديدة) الصادرين يوم ١٣ أكتوبر حديثاً لمتدوبيهما مع السيد حسين أبو زيد وزير المواصلات جاء فيه قول الوزير عن توحيد الزى « إن رأي الشخصى دوائى لاداعى للتفكير في هذا الموضوع اليوم ، فلم يحن الوقت بعد لمثل هذا العمل ، فإن لدينا من المهام الخطيرة ما هو أجدراً بهاتمانا في الوقت الحاضر من توحيد الزى ، أما بالنسبة لطلبة المدارس فلا ضير هناك من أن تقتصر ملابسهم على القميص و « الشورت » .

القرآن الكريم

والحاجة إلى المدارس التي تقوم على تحفيظه

والتلاميذ الذين يقبلون على حفظه

كانت المكتاتيب ، هي المدرسة الأولى لتعليم القرآن الكريم وعن طريقها كان يلحق الطالب بالأزهر الشريف ، ثم جاءت المدارس الأولية وكان في برنامجها تحفيظ القرآن الكريم ليكون جواز المرور إلى الالتحاق بمدارس المعلمين الأولية ، ولما عمم التعليم الإلزامي لم تجد المكتاتيب ، لها مكانا بجوار ذلك المنافس الخطر فأغلقت أبوابها وانقرضت . ومن المؤسف أن ما كان يتعلمه التلميذ في تلك المدارس لم يكن يزيد عن الثلاثة الأجزاء الأخيرة من القرآن ، فكانت بوضعها هذا ، الحلقة الأولى من السلسلة التي أريد لإحكامها حول الجيل الجديد لتطويقه بها . ثم الابتعاد به عن حظيرة ذلك الكتاب المقدس ، وعندما أصبح التعليم الابتدائي والثانوي مجانا دون قيد ولا شرط تهافت عليه الجميع وتحولت المدارس الأولية والإلزامية إلى مدارس ابتدائية لتستوعب الجيوش الجارية من التلاميذ ، وبتحويلها هذا تمت الحلقة الثانية من السلسلة الرهيبة ، فقد قضى بذلك على تحفيظ القرآن الكريم بالمدارس إذا استثنينا بعض الآيات المتفرقة التي اشتمل عليها المنهج الدراسي ، أما قسم الحفاظ الموجود في بعض المدارس فالإقبال عليه في حكم الممدوم .

ثم جاءت الحلقة الأخيرة وهي النتيجة الحتمية لتلك المقدمات ، فقد نشر بجريدة الأهرام الصادرة في صباح يوم ١٩٥٢/٩/٢٥ تحت عنوان « العناية بالقومية المصرية في منهاج الدراسة الجامعية » موضوع قيل لأنه معروض على لجنة العمداء بجامعة فؤاد تمهيدا لعرضه على مجلس الجامعة لإقراره . وقد كان هذا الموضوع خاصا بكلية دار العلوم ولكن جاء في صلبه ما يأتي وهو بيت القصيد : « وإذا نظر المجلس في الطلبات المقدمة رأى أن عدد المتقدمين من حملة الشهادات الثانوية في الأزهر الشريف أقل بكثير من العدد المحدد هذا العام ، وأن قبول

حملة شهادة إتمام الدراسة الثانوية القسم الخاص ، التوجيهية ، يتفق مع لائحة السكينة . وعلى هذا فقد قرر المجلس السماح لهم بالالتحاق بالسكليات هذا العام ، أملا في أن يكون هذا بداية عهد جديد تفتى فيه الفروق الصناعية بأن يسمح لحملة التوجيهية بالانتساب إلى جميع كليات الأزهر الشريف ، كما يسمح لحملة الشهادة الثانوية الأزهرية بالانتساب إلى السكليات الجامعية ما لم يحل دون ذلك حائل فنى . . وهكذا اقتربنا من الخاتمة بصورة واضحة .

قد يكون معقولا أن يلتحق الطالب الأزهرى بالجامعات فى كلياتها المختلفة عدا الشعب التى تكون فيها اللغات الأجنبية مادة أساسية ، لأن المنهاج الثانوى فى الأزهر والمدارس واحد إذا استثنينا اللغات الأجنبية ، ولكن الذى لا يقبل عقلا ولا فرضا هو التحاق طالب الثانوى بالسكليات الأزهرية وهو الذى لا يعرف من أمور دينه إلا القشور ، إذ كيف يرجى منه أن يكون واعظا دينيا أو خطيبا ومدرسا فى مسجد أو قاضيا شرعيا أو غير ذلك من الوظائف الدينية التى تحتم على صاحبها إجادة حفظ القرآن الكريم والإحاطة بالشريعة الإسلامية إحاطة تامة من جميع نواحيها وأصولها وفروعها .

مما تقدم يتضح مع الأسف الشديد أن القرآن الكريم سوف لا يجد المدارس التى تقوم على تحفيظه ، ولا التلاميذ الذين يقبلون على حفظه ، طالما أن هناك بالمدارس من المغريات ما يجتذب إليها التلاميذ ، وسيكون نتيجة لذلك أن يأتى يوم لا يجد فيه الأزهر من يتقدم إليه من الطلبة ليخرج لنا مصابيح الهدى وأعلام الشريعة ، وبذلك يكون ما جاء بجريدة الأهرام هو الملجأ الأخير والغاية المنشودة ، وعندها قل على الأزهر العفاء وعلى الدين السلام .

فإلى رجال العهد الجديد ، عهد النور والحرية والإصلاح ، وإلى فضيلة العالم العامل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أبعث بهذه الصرخة ، راجيا دراسة هذه المشكلة الخطيرة وأن يكون لها من رعايتهم ما هى جديرة به من العناية والاهتمام قبل أن يستفحل الخطب ويمع البلاء .

عبد الجليل النمر

مستشفى الأوقاف — بطنطا

طليعة الوحى الإلهى

النص القرآنى :

[اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم] .

اقرأ أول نجم نزل على محمد ﷺ :

روى البخارى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

[اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم]

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملونى ، زملونى ؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضعيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد المزى ابن عم خديجة . وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى — فقالت له خديجة : يا بن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخى ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أو يخرجى هم ؟ قال : نعم :

لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا .
ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

وكون هذه الآيات أول نجم نزل على محمد ﷺ هو ما اعتمده العلماء على وفق هذه الرواية الصحيحة المؤيدة بكثير من الروايات الأخرى .

ومن هذه الرواية نستطيع أن نتبين حالة الرسول قبيل البعثة ، وحالته عند مبدأ البعثة ، ثم حالته بعد أن تلقى أول نجم نزل عليه ، مما يرشد إلى أنه كان متهيئاً لها أتم التهيؤ ، في حال أنه كان خالياً عنها تمام الخلو ، ثم تركته وهو في دهش الحادث ، فلم يقدر أن يضبط قواه ، ويراجع نفسه ، حتى يحكم فيها حكماً جازماً بأنها وحي من الله ، فذهب يستعين بورقة بن نوفل - وهو من أولى العلم بهذا الشأن - كما أنها أوقفتنا على فترة الوحي بعد ذلك ، مما يدل على براعة ساحته من القول والادعاء .

تصوير الموقف :

نزل الروح الأمين على محمد ﷺ بأول نجم من نجوم الرسالة العظمى التي مكثت تنزل ثلاثاً وعشرين سنة ، كلها كانت جهاداً في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، بالدعوة تارة ، وبالهجرة أخرى ، وبالقتال ثالثة ، حتى تم له الأمر ، واستقر له الحال ، وأدى الرسالة تامة كاملة ، ثم تركها لخير أمة أخرجت للناس ولحق بربه . . .

فانظر ما إذا كان يقتضيه الموقف في افتتاح تلك الرسالة العظمى ، من الرب الأعلى ، إلى محمد الأسمى ، ليقوم بهذه المهمة الخطيرة .

محمد خالي الذهن عن مخاطبة من ربه ، اللهم إلا ما كان عنده من ذلك الشعور الذي حصل له بسبب الرؤيا الصالحة في النوم ؛ وربه الأعلى يريد أن يرسله للناس ليلبغهم عنه نجوم هذه الرسالة ، ليمثلوا ما فيها من أوامر ونواه . . . فاستكون إذاً عناصر تلك الرسالة ؟ من المعقول أن تكون هذه الرسالة مشتملة على تعريفه بالمرسل للرسالة ، ثم بمنزلة منه التي تربطه به ، ثم بالمهمة المأمور بها التي هي غرض الرسالة ، ثم بالعلاقة التي تربطه بالمرسل إليهم ، ليصح منهم تقبل ما كلفوا به ، ثم تعريفه بالجهة التي تلزمهم بالاعتراف بتلك الرابطة .

المرسل هو الله ، وهو رب محمد ، ومهمة محمد التبليغ ، ثم هو رب الناس المبلغ إليهم ، ثم المبلغ هو ما يهدون به إلى ما يجب عليهم التزامه في هذه الحياة من مبدأ ومنهج وغاية ،

ثم جهة الإلزام تكون أولاً بإثبات ربوبيته لهم ، ثم بإثبات كرمه الذى يقتضى امتنائه عليهم ، ثم بإثبات استعدادهم لقبوله ، ثم بإثبات افتقارهم إليه .

أما لإثبات ربوبيته فأوضح طريق له الدلالة البينة فى الخلق من التدبير الإلهى المائل مشولاً بيناً فى أطوار الإنسان .

وأما لإثبات كرمه فبيان رحمته لهم ، وعنايته تعالى بهم .

وأما لإثبات استعدادهم لقبوله فبيان أنه ميزهم بالعقل والفهم والعلم والقدرة على ضبط علومهم وتفيدها بالقلم .

وأما لإثبات افتقارهم إليه فبيان أنه الهدى الذى تتوقف عليه سعادتهم من جهة ، وهو فوق طاقة إدراكهم من جهة أخرى .

ولو أن هذه الرسالة صيغت على سنن إنسانى مشتملة على هذه العناصر ، لبرزت على وفق التفكير الإنسانى ، بما يحوطه من مهارة فى القول ، وبراعة فى صيغة البيان ، لا يخرج به عن قدر البشر كالنموذج الآتى :

« من رب محمد إلى محمد . أما بعد ... »

فإني سأرسلك إلى الناس ، لتبلغهم عنى ما أوحىه إليك مما يهتدون به إلى سعادتهم ، إذ أنا ربك وربهم ، وخالقك وخالقهم ، وخالق كل شيء مما تنفعون به حولكم ، ألم أخلقكم من ماء مبین تدرج فى تطورات الخلق طوراً بعد طور حتى صار إنساناً سوياً فى أحسن تقويم ؟ ألم أميزكم على سائر الحيوان الأرضى بالعلم والعقل ؟ ألم أهدكم إلى ضبط معلوماتكم ومعارفكم بالكتاب ؟ ألم يكن كل هذا تفضلاً منى عليكم ؟ أعنى بكم هذه العناية التامة ثم أدعكم فى ضلالكم وأنا الرب الأكرم ؟ اقرأ يا محمد عنى ما ألقىه إليك والسلام ، ١

هذه هى الرسالة النموذجية التى يقتضيتها . وقف أول نجم من نجوم الرسالة لو صيغت صياغة إنسانية ، أما وإن القرآن سيكون معجزة بيانية للبشر فلا بد أن يعرض هذه المعاني فى أفضل البيان وأوجز القول ، فى أسلوب إلهى لا يقدر عليه البشر ، ذلك هو ما نزل فى أول نجم من قوله عز من قائل : [اقرأ باسم ربك - الآيات] .

بيان ما اشتمل عليه النص :

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالقراءة بقوله (اقرأ) ، ثم لم يذكر أى شيء

يقرؤه . هذه القراءة باسم ربه الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . كان يكفى فى التعريف أن يقول له : [باسم ربك] إذ كان محمد لا يعبد رباً غير ربه [الذى خلق ، خلق الإنسان من علق] ، فوصفه بهذا الوصف لو لم يكن لفائدة فى الرسالة لكان ذكره - فيما يظهر - لغوا لا فائدة له ، ولو ذهبت تستقرئ وجوه الفوائد الممكنة من ذكره ، لما وجدت وجها أوجه من كونه توضيحاً لرؤيته تعالى ، توضيحاً يقتضى أن يكون رباً لجميع الخلق على العموم وربما لجميع الناس على الخصوص ، المستلزم لكونه رب محمد ، مع تضمنه الإشارة إلى جهة الدلالة على خلقه بإشارته إلى التدبير الإنسانى من عهد تدرجه من العلق إلى أن صار إنساناً سوياً .

وذكر العلق — واحدة علقه — فى هذا المكان إن لم يكن وجهاً واضحاً من وجوه إعجاز القرآن ، فلا أقل من كونه معجزة علمية عند الخبيرين بشئون الأدلة وسياقها لتفيد الدليل القاطع على ما تساق إليه .

بيان ذلك : أن القرآن يطلق (علقه) على الطور الثالث من التطورات الإنسانية ، فأولها التراب ، ثم النطفة ، ثم العلقه ، ثم المضغة . . . قال تعالى : **يأياها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة** . . فكان من الممكن أن يقول (خلق الإنسان من تراب) وكان من الممكن أن يقول : **خلق الإنسان من نطفة** ، وكان من الممكن أن يقول : **خلق الإنسان من مضغة** . لكن تخير دعا ، فى مقام الاستدلال على أن الإنسان مخلوق لا بد له من خالق ، تخير عجيب أشد العجب ، إذ هذا الطور لا يطلق إلا بعد ظهور آثار تعلق الجرثومة المنوية ببويضة الأنثى فى الرحم ، هذا التعلق الذى يبتدىء منه التطور التكويني للجنين ، هذا التعلق المزدوج من نطفة الرجل وبويضة المرأة هو الذى يتكون منه الذكر تارة والأنثى تارة أخرى ، فلو لم يكن هذا التعلق من هذين الشئيين لما كان ذكر ولا كانت أنثى ، ولو لم يكن ذكر ولا أنثى لما كان هناك شيء من هذا التعلق ، فلو ذهبنا نتوهم مبدأ السلسلة على مذهب الطبيعيين لو وجدناها لا تنهاى إلى حد . وإذاً فلا بد من التسلسل فى سلسلة وجودية شخصية لا تنهاى إلى ابتداء فى القدم وهو محال ، إذ هى حوادث متوقف بعضها على بعض فى الشاهد فلا بد أن تكون لها علة أولية لا تتوقف على مملوها ، وإذاً لا بد أن يكون مبدأ هذه السلسلة إما التعلق من جرثومة وبويضة لا علاقة لها بالذكر والأنثى ، وإما الذكر والأنثى من غير توقف على جرثومة الرجل وبويضة المرأة وفى كل من الفرضين خروج على مقتضى

الطبيعة في تكوين الأشياء . ثم إذا استمر بك البحث فلا بد من الاعتراف بأن هناك قدرة خارجة كونت الذكر والانثى تكويناً صالحاً للاقتران ، لا من طريق تعلق الجرثومة الذكورية بالبويضة الانثوية ، تبتدىء منهما السلسلة ، أو كونت الجرثومة والبويضة تكويناً صالحاً للتعلق في مكان صالح للتربية غير هذا المكان حتى يتكون منهما الذكر والانثى ، وعلى أى فرض فهو اعتراف باحتياج الإنسان في خلقه إلى خالق مبدع ، ثم إذا نظرنا إلى هذا التدبير الذى يحوط هذا التطور ومبادئه ، من جعل أعضاء التذكير في الذكر ، وأعضاء التأنيث في الانثى ، وكيفية تحول الغذاء الناشئ من التراب لطفة مشتملة على الجراثيم ، ثم القذف بها على طريقة أعد لها من الغرائز والمقتضيات ما أعد ، ثم تحول مثل ذلك في الانثى إلى بويضات قابلة للجراثيم ، ثم المسكان الصالح للتربية ، وإعداد الغذاء الصالح إلى غاية الاستكمال الجنيني ، ثم تصوير الجنين في هذا المسكان المظلم البعيد عن المؤثرات الخارجية كل البعد ، تصويراً يهيئه لما أعد له في هذا الوجود ، فتبدع له العين الباصرة ، والأذن السميعة ، واليد الصانعة ، والحواس الظاهرة والباطنة ، والاجزء المختلفة ، كالجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز العصبي ، ثم إعدادة لموهبة العقل ، ثم تسويته في أحسن تقويم ، ذكراً أو أنثى ، ثم قبوله للنماء إلى أن يصير لإنساناً سوياً .

كل هذا مع ما يبينه من التوقف المذكور آنفاً يجعلك تجزم جزماً لا شك فيه بوجود الخالق المدبر الحكيم القدير العليم .

ثم لو نظرت مثل هذا النظر إلى سائر الحيوان لوجدته مثل الإنسان سواء بسواء ، ولو نظرت مثل هذا النظر في النبات لوجدته كذلك ، ولو انتقلت بنظر إلى الجماد لوجدته مركباً من البسائط (العناصر) على نسب خاصة ووجدت تلك البسائط مكونة من الذرات على كفيات خاصة ، ونظرت إلى الذرة فوجدتها بمجموعة قوى متماسكة يدور بعضها على بعض أشبه شئ بالنظام الشمسى قابلة للانفكاك والفتاء ، لعلمت علماً لا شك فيه أنها مفتقرة إلى مدبر لها آخذ بناصيتها .

ولو نظرت إلى ذلك كله لوجدت العالم كله عللاً ومعلولات ، أو بعبارة أصح ، أسباباً ومسببات ، يتوقف بعضها على بعض لا بد من انتهائها إلى مبدعها الذى لا أول له ، سبحانه ما أعظم خلقه وما أحكم أمره .

بذلك ثبت أن الإنسان مخلوق كما أن العالم مخلوق لخالق قادر ، وكون الخالق رباً لخلقه أمر يكاد يكون بديهياً ، إذ الرب هو المسالك المتصرف ولا شئ أقوى من الخلق يوجب الملك

والتصرف ، وكون المملوك واجباً عليه أن يمثل أمر مالكه أمر كذلك ضرورى الإدراك إذ المملوك فى حيازة مالكه ، يتصرف فيه بما يشاء ، ويأمره بما يريد ، فإن لم يفعل استحق الجزاء ؛ جزاء خروجه أو محاولة خروجه على تصرف مالكه ومريه . تلك العلاقة وحدها هى التى توجب على محمد ﷺ امتثال أمر ربه فى التبليغ ، كما توجب الامتثال على المبلغ إليهم . والمفعول المحذوف هو ما يقرؤه محمد ﷺ باسم ربه لا باسم نفسه وهو ما أوحى إليه . والمعنى اقرأ ما أوحى إليك باسم ربك ... الخ^(١)

ثم إعادة الأمر وتقييده بأكرمية ربه فى قوله تعالى [اقرأ وربك الأكرم] يدل على أن المقروء من وادى ما يتكرم به الرب سبحانه وتعالى على محمد ﷺ ، وتوضيح الأكرمية بالتعليم بالقلم وتعليم الإنسان ما لم يعلم فى قوله [الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] يدل على أنه من وادى ما تكم به تلك الأكرمية ، ولو ذهبت تحلل معنى (أكرم) وما به يكون الكرم لوجدت أن معنى الكرم لا يصح إلا حيث يكون المتكرم متفضلاً ويكون المتكرم عليه فى حاجة إلى هذا التفضل ، إما لسد نقصه أو لتتميم كاله ، وتطرد نسبة عظم الكرم لنسبة مقدار الحاجة إلى المتكرم به ، وفائدتها عند المتكرم عليه ، فكما اشتدت حاجته إليها ، وزادت فائدتها عنده من دفع ضرر أو جلب نفع ، عظم هذا الكرم والعكس بالعكس .

وإنما كان التعليم بالقلم وتعليم الإنسان ما لم يعلم كراماً من الله سبحانه وتعالى بعد الخلق لأنه ميزة الإنسان على سائر الحيوان الأرضى ، ولما كان الخلق على الوجه السابق من كرم الله كان التعليم على هذا الوجه من زيادة كرمه المعبر عنه بالأكرمية ، ولما كانت هذه الأكرمية لا تكم إلا بهداية الرسل كان ذكرها من مؤيدات إرسال الرسل بهذه الهداية التى تكم بها أكرميته سبحانه ، إذ الإنسان مفتقر إليها فى تحصيل سعادته فى الأولى والآخرة ولا يستطيع الحصول عليها إلا بوحى إلهى .

ومن علم قيمة القلم والعلم الذى أنتجه العقل البشرى وهدى الرسالة الذى هو كال هاتين النعمتين ، علم مقدار كرم الرب الأعلى على الإنسان الضعيف الفقير إليه الذى لا يملك من شأنه شيئاً إلا بنعمة الله وفضله .

فانظر لهذه الرسالة المباركة ، وأشهد بأنها من كتاب ليس من قول البشر محمد السامى

مدرس بكلية أصول الدين

(١) من العجيب أن تبقى بشارة التوراة ملوحة بهذا المعنى إذ يقول فيها [أقم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أعالجه] .

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْاوَى

الْبَهَائِيُّونَ

مرتدون وخارجون عن دين الإسلام

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

١ — ما رأيكم في النحلة البهائية ومعتنقها من الإسلام ؟

٢ — هل يؤثّر معتنق البهائية من المسلم ؟

على محمد الوقاد

١٢٩ شارع السد البراني - قسم السيدة زينب

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان المرافق الذي شرح به المستفتي مبادئ المذهب البهائي . وتفيد بأن مذهب البهائية مذهب باطل ليس من الإسلام في شيء ، بل أنه ليس من اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتدّاً خارجاً عن دين الإسلام .

فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأبأها كل الإباء . منها : ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب والالوهية لبعض آخر ، وأن الإيمان هو متابعة هذا المذهب والكفر هو مخالفته ، وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان ، إلى غير ذلك .

ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره . وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

تصوير المرأة العارية

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

أنا تلميذ في معهد من معاهد الرسم والتصوير التي تشرف عليها وزارة المعارف ، وبرنامج الدراسة في هذا المعهد يشتمل على رسم المرأة وهي عارية الجسم من كل ساتر ، وعلى هذا تحضر إلينا المرأة وتقف بين عدد كبير من الطلاب ويأخذ كل من الطلبة في الامعان إلى جميع أجزاء جسمها ويرسم جميع ما يتناول له النظر لا فرق بين عورة وغيرها .

فهل يجوز شرعاً ذلك الرسم على النحو السالف الذكر ، وهل يعتبر التعليم مسوغاً وضرورة تبيحه ؟ كمال أحمد

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطاعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن جميع بدن المرأة عورة يحرم نظر الاجنبي إليه ، ما عدا وجهها وكفيها فإنه يجوز كشفهما ونظر الاجنبي إليهما أيضاً إذا أمنت الفتنة . أما إذا لم تؤمن الفتنة فإنه لا يجوز النظر إليهما أيضاً ويجب على المرأة سترهما . نعم يجوز لضرورة العلاج أن ينظر الطبيب إلى شيء من جسم المرأة مما يحرم النظر إليه في ذاته بقدر ما تقتضيه ضرورة العلاج ، ولا يجوز فيما عدا ذلك .

وبحوز لكل من القاضى والشاهد أن ينظر إلى وجه المرأة الواجب ستره لتعرف شخصيتها . وعلى ذلك يكون تعرض المرأة لتصويرها عارية حراماً ، ويحرم على المصور أن يصورها كذلك وأن ينظر إلى أى جزء من جسمها فيما عدا الوجه والكفين كما قدمنا . وبحرم أن يكون هذا النوع من التصوير في منهاج الدراسة .

والتصوير على النحو الوارد بالسؤال يترتب عليه مفساد خلقية واجتماعية ، ولا تقره شريعة من الشرائع السماوية . وليس تقرير هذا التصوير في منهاج الدراسة مبيحاً للطلاب أن يسير فيه ، كما أن المصور الذى يعيش من أجر هذا التصوير ، لا يجوز له مباشرة هذا العمل فإن المكسب الحاصل منه خبيث ، وهو منهى عنه شرعاً ، ويجب عليه أن يتخذ طريقاً آخر للعيش يكون حلالاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

الهدايا والنذور وفتاوى أخرى

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

- ١ — هل من يسلم شيخه هدية بأى طريق يكون هذا مدعاة لألمه ، وهل تألم الرسول صلى الله عليه وسلم من الهدايا .
- ٢ — وهل فى كتاب الله أو سنة رسوله ما يجيز للشيخ أن يفصل مقدم الهدية له من الطريق ؟
- ٣ — إذا حدد الناذر المصرف ، فهل يساح له أن يخالف ذلك ويصرف النذر إلى التامى والمساكين ببلد هذا الناذر ؟
- ٤ — وهل التامى والمساكين هم الذين لا يزيد سنهم على عشر سنوات ؟
- ٥ — وهل العاجزون والعاجزات هم الذين لا تنقص سنهم عن سبعين سنة ؟
- ٦ — قد ورد فى الكتاب المرافق للسؤال — وهو تأليف شيخ الطريق الذى يتمتع من قبول الهدية — أن الحسن رضى الله عنه صلى على أبيه صلاة الجنازة فكبر تسع تكبيرات . فهل الأمر كذلك فى الشريعة .
- ٧ — قد طبع شيخ الطريق هذا ديوان شعر نسبته إلى الإمام على ، فهل صحيح أن الإمام عليا كان مكثرا من قول الشعر وأن له مثل هذا الديوان .
- ٨ — يعنى هذا الشيخ من قراءة درس فى مسجد جده أفسر فيه سورة الحجرات . فهل له حق فى هذا المنع ؟

عبد الرحمن سالم نصر الدين

مدرس أول بمعلمات المنصورة

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطاعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد :

عن الاول — بأن الإهداء وقبول الهدية أمر مندوب إليه شرعا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تحابوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو دعيت إلى كراع أو ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت ، رواه البخارى .

لكن امتناع الشيخ المشار اليه عن قبول الهدايا ، إذا كان القصد منه التباعد عن اتخاذ الطريقة وسيلة لكسب المال فهو قصد حسن ، فإن اتخاذ الطريقة حرفة ووسيلة لكسب المال أمر مذموم ومنوع شرعا ، ويجب أن تكون الدعوة إلى الله والإرشاد إلى دينه خالصا لوجه الكريم .
عن الثاني — بأن تصرف الشيخ مع بعض أتباعه الذين يقدمون له هدية بفصلهم من الطريق هو أمر موكول إلى الشيخ ولا يضر المفصول ما دام محافظا على العمل بالشريعة من أداء الواجبات واجتناب المحرمات .

وعن الثالث - بأن النذر يجب الوفاء به متى كان المندور طاعة ، فإذا حدد الناذر في نذره جهة بر وقربة إلى الله تعالى ، تعين صرف المندور في تلك الجهة ، أما إذا كان المندور معصية فإنه يحرم الوفاء به ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه .

وعن الرابع والخامس - بأن النذر إذا كان للفقراء أو المساكين أو اليتامى فإن الناذر يلزمه صرف المندور إلى من يريد من هؤلاء . وينبغي له تفضيل الأحوج ولا يتقيد ذلك بسن مخصوصة لا في اليتامى ولا في كبار السن . والمعول عليه هو الفقر والحاجة وعدم القدرة على الكسب .
وعن السادس - بأن التكبير في صلاة الجنازة يختلف عدده في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أربع إلى تسع . واستقر في آخر الأمر على أربع تكبيرات ، وعلى هذا جمهور العلماء ، وما عداه فهو شذوذ . والمنقول في بعض كتب الشافعية أن الحسن رضى الله عنه كبر على أبيه أربعاً .

وعن السؤال السابع - بأن مسألة كون الإمام على كان يقول الشعر بكثرة أو بقلة ليست من الدين في قليل أو كثير ولا يتعلق بها حكم شرعى . غير أنه لا يجوز أن ينسب إلى إنسان شيء إلا بعد التثبت من صحته لإنصافا للحق والتاريخ .

وعن الثامن - بأن المساجد لله ، وإلقاء الدروس الدينية والوعظ والإرشاد فيها من السنة الثابتة من عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الآن .

غدير أنه إذا لم يكن المدرس أو الواعظ أهلا للتدريس أو الوعظ ، أو كان يدس في دروسهم ما يخالف الدين أو ما يبعث على إثارة الفتن بين الناس فإنه يمنع من ذلك .
وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

محمد عبد الفتاح العناني

رئيس لجنة الفتوى

الكتاب

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول

نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي

لأول مرة في تاريخ جامعاتنا العربية تصدر عن خريج من أبنائها دراسة جيدة لموضوع عن تراث العروبة والإسلام تشعر منها وأنت تنتقل بين فصولها بأن كاتبها قد هضم موضوعه وعاش في بيئته، وتحرى معرفته كما لو كان معاصراً له. ذلك هو كتاب المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الذي ألفه الدكتور شكري فيصل لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة، فكان موضع تقدير اللجنة التي نافسته، وإنها قد أحسنت إذ منحته عليه أعلى الدرجات.

وقد نشر الدكتور شكري فيصل مؤلفه هذا فجاء في ٤٨٦ صفحة كبيرة بالحرف الدقيق مؤيدة بالنصوص، مشفوعة بقسمية المصادر والدلالة على مواضعها. وهو يقول في تصدير كتابه: إن الفقر في دراسة التاريخ الإسلامي لا يرجع إلى فقر مصادرنا التي تعودنا أن نشكو منها، بل إلى أننا لم نحسن بعد استنساخها واستقطارها، ثم أعلن حقيقة ثانية وهي قوله: أخذنا كتبنا القديمة بفاهيمها الحديثة، وكان ذلك مصدر كثير من أخطائنا. وعقب على هاتين الحقيقتين بحقيقة ثالثة في قوله: من المؤكد أن المراجع الأولى الأصلية — كالطبري والبلاذري وابن عبد الحكم — تتيح لنا قدرأ من المعرفة، ومن المتعة أيضاً، لا يتوفر في المراجع المتأخرة. وقد نجد في مرجع متأخر قدرأ أكبر من الحوادث، وليكتنا نعرف كيف تنضخم الحوادث مع الزمن، أثرأ لكثير من الأهواء والنزعات.

فأنت ترى أن هذا المؤلف المجيد استطاع — وهو في المرحلة الأولى من حياة التأليف — أن ينتبه إلى مزالق الخطأ في دراسة تاريخ الإسلام، فأثر الأخذ من الينايع الأولى الصافية متوقفاً أن يكون النضخم في سرد الحوادث عند المتأخرين يحتمل أن يكون من أثر الأهواء

والزعات . وانتبه إلى أن لغة الأقدمين يجب أن تفهم بمدلولاتها عندهم لا بفاهيمنا الحديثة ، وإلا كان ما نفهمه منها غير الذى أرادوه بما قدموه لنا . وانتبه قبل هذا وذاك ، إلى أن النصوص التى تركها لنا السلف عن أحداث زمنهم ، تكفى لمعرفة حقيقة تلك الأحداث .

ونحن نضيف إلى ملاحظاته أن الكتب القديمة التى ألفت فى التاريخ يجب على من يريد أن يستفيد منها ، أن يدرك مشارب مؤلفيها ويعرف أقدارهم ، ثم إن أئمتنا أنفسهم قد كانوا من سعة الصدر واحترام حرية رأى إلى الحد الذى يوردون فيه حتى روايات خصومهم ، لكنهم يعتمدون فى إيرادها على تسمية روايتها ليكون القارئ على بينة من قيمتها . ونحن الآن لانستطيع أن نميز بين الرواية التى رواتها ثقات ، من الرواية التى رواتها قد يكونون من أهل الأهواء والأغراض ، إلا إذا رجعنا فى النقد إلى قواعد الجرح والتعديل وإلى تراجم الرواة التى كتبها العلماء بهذه القواعد . فإذا وقفنا على ذلك وأعطينا لكل ذى حق حقه أمكننا الاستفادة من مقارنة الأخبار بعضها ببعض والاخذ بما يستحق الاخذ به ، والاعتبار بما يصلح للاعتبار به . ومن هذه المقارنة يتوصل الدارس إلى حقائق أدهم وأثمن وأدعى إلى الاطمئنان بما لو اقتصر المؤرخ القديم على النصوص المعتمدة عنده وأهمل ما عداها .

ودراسة الدكتور شكرى فيصل للمجتمعات الإسلامية فى القرن الأول تتألف من تمهيد عن الجزيرة العربية ، ومن أربعة كتب ، عنوان أولها : من الجاهلية إلى الإسلام ، بحث المؤلف فيه حال المجتمع العربى قبيل الإسلام وعند ظهور الإسلام ، وكيف تشكل المجتمع العربى فى صدر الإسلام . وعنوان الكتاب الثانى : نشأة المجتمعات الإسلامية الجديدة فى الاقطار المفتوحة ، بحث فيه حالة المجتمع الجديد فى الشام ، ثم فى العراق ، ثم فى مصر وطرابلس وبرقة والنوبة ، ثم فى المغرب ، فالمجتمع الجديد فى الجناح الشرقى من المملكة الإسلامية . وعنوان الكتاب الثالث : التطور اللغوى ، بحث فيه عن التطور الكى والتطور الكيفى ، وعن العلاقات اللغوية فى أواخر القرن الأول . وعنوان الكتاب الرابع : التطور الأدبى ، بحث فيه عن الدور الأدبى الأول وهو دور الهدوء ، وعن الدور الأدبى الثانى وهو دور اليقظة والنفث .

ومما ساعد المؤلف على تجويد عمله ، وعلى أن ينظر إلى البحوث الإسلامية وتركه السلف بعين العلم المسلمة ، أنه نشأ فى بيت علم تحت جناح خاله محدث الشام الشيخ محمود ياسين - رحمه الله - ولذلك قال فى تصدير الكتاب : إن صلتى الرسمية بالموضوع تبدأ منذ أن

سجلته في الجامعة لدرجة الدكتوراه ، غير أن صلتى الشخصية به ترجع إلى بعيد حتى تبلغ الفترات الاولى التي كانت تنفتح فيها أذهاننا - في سنوات الدراسة - لتيارات الثقافة العميقة ومشكلات الحياة الكبرى ، وكنت حريصاً أشد الحرص على أن أبوء الحركة الإسلامية مكانها من هذه الحركات التي تمخضت عنها الإنسانية ، وأن أدرك - في شيء من العمق - دورها الفخم في قيادة الناس ، وأسلوبها في جمعهم على صعيد واحد من الفكر والعقيدة واللغة .

ولو أن كل متخرجي الجامعات العربية في مصر والشام وغيرهما ينظرون إلى تراثهم بعيونهم هم - كما فعل شكرى فيصل - لا بعيون الاغيار من أجنب وشائين ، لاوشك أن يبدأ نادور على حياة النهضة ، يصحح إيمان الامة بماضيها ويسدد طريقها نحو مستقبلها ، ويفسح لها مكاناً بين الامة التي تحترم نفسها ويحترمها الناس .

هذا وإن المؤلف لما مضى في تأليف كتابه (المجتمعات الإسلامية) شعر بحاجة هذا البحث إلى أن يكون في جانبه بحث آخر متمم له ، بل هو منه بمنزلة الأساس الذي يقوم عليه بناؤه ، وهذا البحث الآخر هو (حركة الفتح الإسلامى في القرن الاول) وقد جاء هذا الكتاب الثانى في نحو ٢٠٠ صفحة وعلنا نتكلم عليه في جزء آخر من مجلة الأزهر إذا شاء الله .

العواصم من القواصم

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

كما أن الصورة التي يحددها المسلم فيما جاء عن الانبياء في القرآن الحكيم تتفق مع ما يشترط فيهم من العصمة والكمال الإنسانى لنتم القدوة بأعمالهم ، وتحسن الاسوة بأخلاقهم ؛ بينما الوارد عنهم في كتب أخرى لغير المسلمين يخالف ذلك ويصمم بما لا يتفق مع ما يحملونه إلى الإنسانية من رسالات الله ؛ كذلك ما ورد في صحيح البخارى ومسلم وفي أمهات كتب السنة ونصوص الاعلام من أئمة الإسلام عن أصحاب رسول الله ﷺ وما كانوا عليه من سلامة الدين وصدق اليقين والتزام الحق والتعلل بالفضائل في سلمهم وحريهم وفي اتفاقهم واختلافهم وفي خاصة أنفسهم أو ما كانوا يتحملونه من أعباء الامة ، فإن ذلك هو الذى يتفق مع سيرتهم التي كانوا عليها في الواقع ، كما يتفق مع ما أنشأ الله به عليهم في مواطن كثيرة من كتابه الحكيم ، ومع ما وصفهم به رسوله ﷺ بقوله ، أصحابي كالنجوم ، وقوله

« خير القرون قرني » . وقد خلف من بعد الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان خلف كان تدوين الاخبار في زمانهم ، فاختلف بعضهم على القرن الذين كان منهم رسول الله ﷺ وعلى الذين جاءوا بعدهم من المجتهدين والدعاة الفاتحين ، أخباراً قد يكون لبعضها أصل سليم لكنهم حرفوه وزادوا فيه ، ما أخرجه من باب الفضيلة إلى ضدها ، حتى صارت لأشرف عصور الإنسانية في أذهان الناس صورة كاذبة مشوهة تخالف ما كان عليه أولئك المجاهدون الأبرار والأولياء الأخيار ، بسبب هذه الكتب التافهة التي كان بعض مؤلفيها كبعض الصحفيين في عصرنا هذا . وقد كان الأقدمون يمدلون عن هذه المصادر المريضة إلى المأثور في كتب السنة ومؤلفات الأئمة للوقوف على حقيقة ما كان في زمن الصحابة والتابعين ، وما كانوا عليه في اتفاقهم واختلافهم . ثم جاءت عصور عمت فيها البلوى بكتب من لا يميزون بين الروايات الصادقة والروايات الكاذبة ، وقل عدد القارئ الذين يحسنون الرجوع إلى كتب المحدثين والمحققين ، فرأى إمام المالكية في عصره وكبير فقهاء الاندلس وعلماها القاضي أبو بكر بن العربي أن هذه الحالة من قواصم الحق في الإسلام ومن أكبر المصائب الواقعة على المسلمين ، وأى شر أعظم من أن يكون لامة ماض كريم مشرف فتمد إليه يدها بالتشويه حتى تحيل فضائله رذائل ؟ لذلك ألف كتابه (العواصم من القواصم) وأعلن فيه الحقائق التي تعصم الامة من هذه الأكاذيب القاصمة والمفتريات المنكرة .

وقد رأت (لجنة الشباب المسلم) وهم طائفة من خريجي الجامعات المصرية المنتسبين إلى الإخوان المسلمين أن هذا التحقيق التاريخي العظيم من خير ما يجب على المسلمين تدبره والوقوف على حقائقه ونشرها في العالم الإسلامي ، فاقترحوا على رئيس تحرير هذه المجلة أن يعلق عليه بما يزيد وضوحاً ، وبما تقوى به الحجة ويستثير الحق ، فقام بهذا العمل لوجه الله عز وجل متقرباً به إليه ، فجاء كتاباً جامعاً من النصوص الاصلية عن عصر الصحابة ما لو أراد باحث أن يجمعه من مظانه ويلتقطه من مراجعه لاحتاج إلى مجهود عظيم ووقت طويل . والحق أن الأخطاء العالقة في أذهان الناس عن عصر الصحابة الزاهر الباهر قد صححت كلها والله الحمد بعلم القاضي ابن العربي وبالعليقات القيمة التي ألحقت به . فأصبح من المأمول بعد اليوم أن يصحح المؤلفون في التاريخ الأخطاء التي كانوا يجدونها في المصادر المألوفة ، وأن يعتمد مدرسو التاريخ الإسلامي في الأزهر ومعاهده والمدارس والجامعات هذه النصوص الصحيحة التي احتواها كتاب (العواصم من القواصم) وتعليقاته . وهو في نحو ثلاثمائة صفحة ، وفي أوله تصدير بقلم محرر هذه المجلة ، وترجمة مطولة للإمام

ابن العربي من نشأته إلى وفاته ، وفصل عن الصحابة وأنهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم ، وأنه لا يقتص أحداً منهم إلا زنديق . وبآخر الكتاب فهرس مطول للموضوعات ، وفهرس للأعلام التاريخية ، وآخر للأعلام الجغرافية ، وجريدة بالمراجع التي كان الاعتماد عليها في كتابة التعليقات . فلفت الانظار إلى هذا الكتاب النفيس ، ونحت كل مشتغل بالتاريخ الإسلامي تأليفاً أو تدريساً على قراءته بتدبر وإمعان .

بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي

بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل أحد بطون بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان ، كانت مواطنهم الأولى في نجد مما يلي المدينة ، فلما تنقلت قبائل الجزيرة في صدر الإسلام لتتخذ لها منازل قريبة من معسكرات الزحف للجهاد والفتوح ، كثرت بنو خفاجة في العراق والجزيرة ، وتفرقت قبائل منهم في الشام والاندلس وجاء بعضهم إلى مصر ، كما في سبائك الذهب للسويدي المقتبس من كتاب أنساب العرب للقلقشندي . وأقدم من وفد من قبائل قيس عيلان إلى أرض مصر بطون من فهم وعدوان . وفي ولاية الوليد بن رفاعه الفهمي القيسي نزلت أرض مصر في سنة ١٠٩ هـ بنو سليم وقبائل قيسية أخرى . وفي خلافة هشام ابن عبد الملك ، تولى مصر عبد الله بن الحبحاب مولى بني سلول القيسيين ، فقدم ثلاثة آلاف من قيس ، أذن لهم هشام بذلك مشروطاً أن لا ينزلوا بالفسطاط ، فوزعوا على الحوف الشرقي ومنهم مائة أهل بيت من بني عامر بن صعصعة الذين منهم بنو خفاجة فنزلوا في بليس ، وعملوا في الزراعة . وفي خلافة مروان بن محمد كان الوالي له على مصر الحويثرة بن سهيل الباهلي فمات مروان وبمصر ثلاثة آلاف بيت من قيس ، ثم أحصوا في ولاية محمد بن سعيد فكانوا ٥٢٠٠ كما يقول المقرئ في البيان والإعراب .

وكتاب (بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي) ألفه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر ، وهو في خمسة أجزاء في أكثر من ٥٠٠ صفحة ، ألم بكثير مما في كتب الأدب والتاريخ المتداولة من أخبار هذا الجذم من بني قيس عيلان ، وترجم لأعلامهم من شعراء وفرسان وساسة وعلماء ، ونوه بالبارزين من أفاضلهم المعاصرين ، وبذلك جمع الكتاب أقصى ما وصلت إليه يد المؤلف من المعلومات عن هذا الفرع الخصب من أرومة العروبة المباركة ، التي ملأت الدنيا غرا وذكرا .

وعساه ، إذا أتيح له إعادة طبع مؤلفه هذا ، أن يستقصى النصوص في المراجع الأخرى ليكون كتابه أشمل ، وأن يحذف منه ما لا يدخل في موضوعه ، وكان أليق به أن يكون في كتب أخرى ، ثم أن يعيد تنظيمه تنظيماً عملياً ، لأن موضوعه الطريف جدير بهذه العناية .

المختصر في علم رجال الأثر

هو كتاب في علم السنة والتعريف برجالها ، ألفه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف مدرس هذه المادة في كلية الشريعة وسد به فراغا كان يشعر به الطلاب ، فتكلم فيه عن الإسناد وطبقات الرواة مبتدئاً من طبقات الصحابة فالتابعين وأتباع التابعين ثم تكلم على الجرح والتعديل وتاريخ علم الحديث رواية ودراية وتاريخ علم المصطلح وأشهر كتبه . وعمد باباً لتواريخ الرواة من زمن الصحابة إلى عصر التدوين فجاء الكتاب في ٢٢٤ صفحة حافلاً بكل ما يحتاج إليه من يريد الوقوف على علم السنة وعناية المسلمين به .

الملكية في الإسلام

هو بحث كتبه الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني عن الملكية الخاصة في الإسلام في الأعيان والمنافع ، وما يقبل منها الملك وما لا يقبله ، مع المقارنة بمدلول الملكية في النظام الرأسمالي وأنظمة الشيوعية والاشتراكية والنازية والأديان الأخرى ، وتعرض لمعنى الرق في الإسلام ، وللخدمات التي لا تملك ، وأن العمل منشأ الملكية . وبعد أن استوفى المعاني التي تعرض لها تكلم على غاية تشريع الملك في الإسلام ، وعلى نظام الملكية الإسلامي وقيمه وأثره . والكتاب مستمد من مراجع كثيرة إسلامية وأجنبية وهو في ١٤٦ صفحة بعد مقدمة في ٢٤ صفحة . فنقلت إليه الانظار .

فلسفة غاندى الاقتصادية

بحث يبين فلسفة غاندى الخاصة المحتوية على مبادئه وآرائه المستقلة التي تختلف عما لدى الغرب من مثيلها في الاقتصاد . وهذا البحث بقلم الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني ، ويقع في ١٥ صفحة ، ومن مطالعته تتكون عند القارئ فكرة عن الانقلاب الذي حدث في مبادئ الهند الاقتصادية .

النشاط الثقافي للأزهر

جماعة كبار العلماء

في صباح الأربعاء ٢٥ المحرم اجتمعت جماعة كبار العلماء برئاسة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر لأول مرة بعد توليه منصبه ، وقد افتتح الجلسة باسم الله عز وجل ، والدعاء إليه تعالى أن يوفقه إلى العمل لخير الأزهر .

وعلى إثر ذلك تلى الأمر الملكي الخاص بتعيينه شيخاً للأزهر ، فرحب به حضرات الأعضاء ، وألقيت في ذلك كلمات من الاسانذة المشايخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية وعبد اللطيف السبكي ، ومحمد عرفة ، أشادوا فيها بصفاته الحميدة ، وعاهدوه على أن يكونوا يداً واحدة لخير الأزهر والأزهريين .

وأخذت الجماعة بعد ذلك في توزيع الأعمال على الأعضاء ، فاختار بعضهم البحث أو التدريس ، واختارها بعضهم معاً . وعرض الأستاذ الأكبر على الأعضاء ما قد يذاع عن الإسلام من آراء لا تتفق معه ، ويحسبها بعض الناس من صميم الإسلام وهي ليست منه في شيء ، وبعد البحث تقرر أن تؤلف لجنة من حضرات الأعضاء للرد

على هذه الآراء . كما تقرر أن تؤلف لجنة أخرى لتنظيم إلقاء المحاضرات بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر ، وألفت لجنة ثالثة لتنظيم أعمال اللجان وتحديد مهمة كل لجنة بالتفصيل على أن يقدم ذلك كله إلى جماعة كبار العلماء لإقراره في اجتماعها المقبل . ثم تحدث الأستاذ الأكبر في مسألة التبرع لمشوحي الحرب ، فتقرر أن يساهم الأزهر في هذا العمل الإنساني النبيل ، وتبرع أعضاء الجماعة لذلك بخمسة في المائة من مرتباتهم عن شهر أكتوبر ، ثم ينظر في تقدير نسبة معينة تؤخذ من الموظفين والعلماء من مختلف الدرجات من مرتباتهم عن الشهر نفسه .

وكيل الأزهر

بأشر صاحبها الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر الجديدان عملهما في هذا الشهر . وما قاله الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن للذين زاروه مهنئين : « إن النهضة تكون على قدر العمل . وقد قال الله عز وجل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

لدراسة الدين الإسلامى واللغة العربية مع بعض من تخرج فى الأزهر من أهل هذا القطر . فوقع اختيار الأزهر على فضيلة الشيخ على مصطفى الغرابى المدرس الآن فى كلية أصول الدين ، وسافر فى أوائل فبراير سنة ١٩٤٨ وهذه أول بعثة أزهرية بل إسلامية إلى بلد إفريقى مجاور لإثيوبيا ، فكان لإيقاد عالم أزهرى مصرى نعمة وبشرى للمسلمين فى إريتريا وأثيوبيا ، وانتشر خبر البعثة فى الصومال الفرنسى والبريطانى والإيطالى وأوغندة وكينيا ، وتطلع المسلمون فى هذه البلاد كلها إلى أن يكون لهم مبعوثون أزهريون كما كان لإريتريا ، أو على الأقل أن يزور مبعوث الأزهر إلى إريتريا بلادهم ويقم بينهم ليستضيئوا من نور الإسلام .

ووقعت بينهم وبين المبعوث اتصالات وتعارف ، بالرسائل والخطابات ، ثم طلبوا منه السفر لزيارة بلادهم فحول خطاباتهم إلى إدارة الأزهر للتصرف ، وكان من أثرها إرسال البعثة الطوافة المؤلفة من الاستاذين الشيخ هبد الله المشد والشيخ محمود خليفة ، والى قامت بمهمتها خير قيام . وكتبنا تقريراً مسبباً عن حالة المسلمين فى البلاد التى زارها ، وعما يجب على الأزهر نحوهم من إرسال المبعوث من العلماء الأزهريين ، وتقبل بعوث الطلبة وإرسال الكتب إليهم لتنتشر الثقافة الإسلامية فى ربوع إفريقيا .

ولقد كان ذلك كله أثر البعث الأول إلى إريتريا على الرغم مما صادفه من عقبات أهمها :

والمؤمنون . وقال الاستاذ الشيخ محمد هبد اللطيف دراز المذنب الأهرام : إن الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر رجل يؤمن برسالة الأزهر ، وسيدخل جهده فى سبيل أداء هذه الرسالة وهى رسالة الإسلام . ثم قال : إن أعوانه متعاونون معه على ذلك فى صدق وإخلاص . وإن النجاح فى هذا وغيره موقوف على تعاون حضرات علماء الأزهر جميعاً فى أداء واجبهم ، وعلى أن يعتبر كل واحد منهم مسئولاً عن هذا النجاح ، فإذا حصل هذا ، اعتبرنا أنفسنا قبل كل شئ مسلمين مجاهدين فى سبيل الله وفى رفع كلمة الإسلام ، فإن الله أكرم من أن يخذل المؤمنين المجاهدين .

إفريقيا والبعث الإسلامية :

كان من بين الأفطار التى عرفت فضل الأزهر على نشر الدين الإسلامى وحفظه ، قطر صغير من أفطار إفريقيا ، تمتد على ساحل البحر الأحمر ، ويقع شرق السودان وجنوبه وشرق الحبشة وشمالى الصومال الفرنسى ، وكان مستعمراً لإيطاليا ما يقرب من سبعين عاماً حتى كاد يصبح بلداً إيطالياً فى سياسته واقتصاداته ولغته الرسمية ، لكنه - مع ذلك - احتفظ بدينه وتقاليده .

هذا القطر هو إريتريا وعاصمته « أسمرا » التى ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من سبعة آلاف قدم .

فى عام ١٩٤٧ اتجه هذا القطر إلى الأزهر يطلب منه عالماً يقوم بالتدريس فى جزء من المسجد الكبير اتخذته أدله ليكون محلاً

من مال الزكاة مقداراً شهرياً يصرف لهم ليساعدهم على الإقامة في دأسمرا ، لطلب العلم فاستجابوا لذلك ، ثم تأخرت الحالة الاقتصادية في البلاد ، وقل مقدار الزكاة فقطعوا المساعدة عن طلبة العلم ، فعادت المشكلة مرة أخرى فلجأ مبعوث الأزهر إلى طريقة أخرى ، يعمل بها في السودان ، وهي توزيع الطلبة على الموسرين من التجار ليأكلوا معهم في منازلهم .

المدرسون :

لقد كثر عدد الطلبة في المعهد وزادت الحاجة إلى مدرسين ، ولم يقف الأمر عند معهد دأسمرا ، فقد طالب أهل مصوع أيضاً بإرسال مدرسين لمعهدهم الذي أنشأه رجل من أصل مصري يسمى « الحاج أحمد هلال » ثم طالب أهل « كرن » عاصمة إقليم غربى لإريتريا بمعاونتهم على إنشاء معهد دينى بعاصمة إقليمتهم ليؤتى لهم بعلماء من الأزهر ليعلموا أولادهم اللغة العربية والدين أسوة بأهل دأسمرا فتم إنشاء المعهد ولعل الأسباب تيسر لإمداد هؤلاء بمن يتولى تعليمهم وإرشادهم .

التعليم المدنى :

أما التعليم المدنى فالحكومة الإنجليزية غير مهتمة بتعليم المسلمين ، لهذا أنشأ المسلمون مدرستين لإحداهما للوطنيين ، والاخرى للعرب ، وكان يقوم بالتدريس فيها بعض

(١) منهج الدراسة - لما وصل مبعوث الأزهر إلى إريتريا كان الطلبة الذين في المعهد ليس لهم منهج دراسى معين ، وإنما هي دراسات عامة في النحو والفقه والتوحيد ، فنظم الدراسة في المعهد على حسب المنهج فى المعاهد الدينية المصرية ، وأدخل فيه نظام انتقال الطالب من سنة إلى أخرى بعد أداء الامتحان فى المواد التى درسها .

(٢) الكتب - لم يكن عند الطلبة الكتب المقررة على حسب المنهج ، ولم تكن الحكومة الإنجليزية تسمح بإدخال كتب من مصر ، فاشتترطت أمرين : أن يكون الدفع بالامسترلنى ، وأن يكون الترخيص بمجموع الكتب مباشرة .

إطعام الطلبة :

إن الطلبة الذين يدرسون فى المعهد ليسوا من أهل المدن وإنما هم من أهل البادية رعاة البقر ، فكان الواحد منهم يأتى فاراً من رعى البقر لطلب العلم ، ولا يملك إلا ثوباً ممزقاً يستر به عورته ، وليس معه نقود ، ولا يرسل له أهله شيئاً منها ، فكان البحث عن طريق لإطعام هؤلاء مشكلة المشاكل .

ولما كان الموسرون منهم يخرجون عن جزء من مال الزكاة كل عام فى رمضان ليوضع فى صندوق للصرف منه فى أوجه البر كعلاج بعض المرضى من الفقراء ودفن من مات منهم ، ومساعدة من أخفى عليه الدهر من التجار ، اقترح عليهم أن يخصصوا الطلبة العلم

وثلاثين طالبا سنة ١٩٥٠ ثم بعثة ثالثة حضرت مع مبعوث الأزهر في العام الماضي مكونة من خمسة وعشرين طالبا . وهم جميعا ينتسبون الآن في الأزهر لعدم قبول وزارة المعارف إياهم بعد قبولها الثلاثة عشر طالبا الذين جاؤا في البعثة الأولى ، لكنهم يدرسون ليلا في المدارس مع دراستهم نهاراً في الأزهر ودراستهم مستمرة في الناحيتين مع نجاحهم فيهما ، وهذا يشهد لهم بالكفاءة النادرة ، والاجتهاد المتواصل .

وقد كان من يحضر إلى الأزهر من الطلبة الارتيريين والاحباش بوساطة التجار الاحباش والسودانيين ، فكان تجار الاحباش يحملونهم معهم من الحبشة إلى إريتريا ، ثم يحملهم التجار السودانيون من إريتريا إلى السودان ، وبهذه الطريقة بلغ من حضر من إريتريا من الطلبة ما يقرب من المائتي طالب ومن حضر من الحبشة منهم ما يقرب من مائة طالب .

إن للأزهر مكانة سامية في نفوس غير المصريين من المسلمين ، ومتى تمكن الأزهر من استغلال هذه المسكنة أفاد الدين الإسلامي إفادة خاصة ، ومصر إفادة عامة تعود عليها بالخير سياسيا واقتصاديا . وأملنا أن يحقق الأزهر هذه الغاية النبيلة في عهده الجديد حيث يقود أوره الآن مجاهد إسلامي كبير ، وعالم سلفي عظيم . والله الموفق .

شبان السودانين الذين نزحوا مع الجيش الانجليزى منذ دخوله لإريتريا . ولكن لم يكن للدراسة منهج تسيير عليه ، فاقترح عليهم مبعوث الأزهر لإنشاء مجلس يقوم بمهمة تنظيم التعليم في المدارس والمعاهد والإشراف عليه إشرافا يحقق الغاية منه ، فصادفت الفكرة قبولا ، وتألف المجلس برئاسة مبعوث الأزهر ووضعت له لائحة طبعت طبعا منسقا وأدخل المنهج المصري في المدارس الوطنية . وبعد عام دراسي جرى إلى مصر ببعثة من الطلبة الإريتريين ليشتركوا في أداء الشهادة الابتدائية المصرية مع الطلبة المصريين وكان من ثلاثة عشر طالبا ، نجح منهم أحد عشر وأعاد اثنان وهم جميعا الآن في مدرسة ساحل سليم الثانوية داخلها على حساب وزارة المعارف ، وبعضهم في السنة الرابعة وبعضهم في السنة الثالثة ، بل بعضهم في النوجيه هذا العام لاختياره امتحان فترتين مرة واحدة كما أباحته لهم وزارة المعارف .

بعوث الطلبة إلى مصر :

كان من أهم ما سعى له مبعوث الأزهر إرسال الطلبة إلى مصر لا من إريتريا وحدها بل من الحبشة أيضاً فأرسل البعض وهو العدد الأكبر إلى الأزهر ، وقليل منهم أرسلوا إلى وزارة المعارف للاشتراك في امتحان الشهادة الابتدائية المصرية كما تقدم ، ثم أرسلت إلى وزارة المعارف بعثة أخرى مكونة من ثمانية

الأدب العلوي في شهر

في مجمع اللغة العربية :

بهديهم ، وتنفعون بخبرتهم وعلمهم ، وتجهون إليهم طالبين النصيحة والعون كلما صادفتكم صعوبة أو قابلتكم مشكلة ، وستلاقون منهم عطف الآباء على الأبناء ، وحرص المربين على كل ما يعود بالنفع على طلابهم ، وبهذا تنهياً لكم أسباب النجاح ، وتسعدون بحو يسوده النظام والثقة والمحبة ، فتعود بذلك إلى معاهد التعليم قداستها وحرمتها .

من أدب العلم :

تحدث العالم المكتشف (اينشتاين) إلى طلبة العلم في نيويورك في هذا الشهر فقال لهم : « ليس للطلاب غنى عن شيء واحد وهو الشعور الفياض بكل ما يقوم على الخير من الناحية الادبية ، وتقدير لكل ما هو جميل ، فإن لم يفعل ، فانه يكون — مهما اكتملت ثقافته — كالطالب الذي أحسن ذروه تدريبه ، لا كالإنسان الذي تناسقت شمائله وسمت أخلاقه .

« ومما ينبغي للطلاب ، أن يدرك الدوافع البشرية ، وما قد يتعرض له العامل المحمد من فشل وما يحتمل أن يقتاب الإنسان من كوارث وآلام ، فإذا أدرك الطالب ذلك وتوقعه فانه ستتوطد صلته بالمجتمع .

استأنف مجمع اللغة العربية نشاطه يوم ٦ أكتوبر بعد انتهاء العطلة الصيفية ، فعقد جلسة قام فيها فريق من أعضاء المجمع بإلقاء كلمات ترحيب ، تتضمن التكريم الذي لحق المجمع باختيار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخاً للأزهر الشريف ، وقد عددوا مآثر فضيلته ونوّهوا بحوثة العلية والدينية ، التي كان لها الأثر الكبير في النهوض بمختلف الشئون الدينية والعلية .

العلم والاعمال :

قال وزير المعارف في كلمة أذاعها على الطلبة في مفتح العام الدراسي :

« إنكم إذ تتلقون العلم في مدارسكم ومعاهدكم تعملون ما يعمل الجندى الذى يتدرب في معسكره لكي يبلى أحسن البلاء في ميدان الجهاد ، ولكن العلم وحده لا يغنى عن الامة شيئاً إذ لم تدعمه قوة الاخلاق ونبل النفوس ، كما أن تدريب الجندي لا يغنى عن الامة شيئاً إذ لم تدعمه قوة الجثائم وشهامة الطبع . ولست أشك أنكم - في تحقيق هذه الاغراض - ستجدون من أسانذكم خير هداة تسترشدون

مكتبة عربية بجامعة درهام :

تعزم جامعة درهام ، إنشاء مكتبة عربية يفتقر أن تصبح أكبر مؤسسة من نوعها في بريطانيا . وتقوم الجامعة الآن بالاتصال بالمعاهد العربية والناشرين والمكتبات العربية للحصول على بيانات عن المؤلفات المنشورة بالعربية . وكان أحد وزراء المعارف السابقين قد وعد هذه الجامعة بإهدائها طائفة من الكتب العربية القيمة .

الاضطراب في الحياة الجامعية :

يقول عميد كلية الآداب في جامعة الإسكندرية: إن الاضطراب الذي أصاب الحياة الجامعية في السنوات الأخيرة كان السبب الأكبر فيه سوء النظام المالي ، وكثرة درجات السلم الجامعي ، مما شغل فريقاً من أعضاء هيئة التدريس بشئون الاقدمات والترقيات المتعاقبة ، وبما اضطرب بعضهم إلى الدخول في خصومات قضائية . ولو أن الجامعة وفقت إلى تبسيط وظائفها لاستقام كثير من الشئون ، ولنفرغت هيئة التدريس لعملها الاصيل في البحث والكشف العلمي .

حلقة الدراسات الاجتماعية :

تعقد في دمشق اجتماعات حلقة الدراسات الاجتماعية الثالثة من ٨ ديسمبر القادم إلى ٢٠ منه ، وتشترك في ذلك دول الجامعة العربية . ولما كان ميثاق الجامعة ينص على أن تمثل الدول العربية غير المنضمة إلى الجامعة في

« وهذه السجاي لا يمكن أن تثبت في نفوس النشء إلا بوسيلة واحدة وهي (القدوة الشخصية) لا من طريق الكتب وحدها . وهذه هي الوسيلة التي تؤدي إلى قيام الثقافة الصحيحة ، والسير بها نحو الكمال ، وختم حديثه بقوله : « إن هذا الطراز من الثقافة قد يقضى عليه روح التنافس في دراسة معينة لا يتمكن صاحبها من أن ينهل من معين المعرفة الشاملة الذي لا ينضب والبحث القائم على القدر الصحيح وتوخى الحقيقة » .

منابع ثقافة الأمريكيين

في الشرق الاوسط

عاد الدكتور سليمان حزين مدير الثقافة العامة بوزارة المعارف من رحلته الطويلة في الولايات المتحدة التي استغرقت شهرين وبعد أن شهد الاحتفال المئوي للجمعية الجغرافية الأمريكية في المؤتمر الجغرافي الدولي الذي عقد في واشنطن ، وبعد أن زار الجامعات الأمريكية لإجابة الدعوة التي نظمت طبقاً لبرنامج سميث ميث ، اقتنع بأن الأمريكيين أخذوا يغيرون رأيهم في منابع ثقافتهم ، فبعد أن كانوا معتقدين في أول الأمر أنها ترجع إلى غرب أوروبا ، أخذ الجامعيون منهم وقادة الفكر يكتشفون الحقيقة التي تأخروا في اكتشافها ، وهي أن جذور الثقافة الأمريكية تمتد إلى أعماق من ذلك بكثير ، وأنها ترجع إلى هذا الشرق الاوسط ، ولذلك بدأ اهتمامهم بالشرق الاوسط يتزايد باستمرار .

الافطار الشقيقة بما يزيد بها معرفة بمصر، كما تعنى بزيادة معلومات النشر المصرى عن الاقطار المشاركة له فى اللغة والدين، والاستئناس بمعالمه وعمرانه ومناظره الطبيعية وعادات أهله وأزيائهم وسائر أحوالهم . وبما يؤسف له أن هذه النواحي آخر ما كان يخطر على البال من مهمة مراقبة السينما بوزارة المعارف فى مراحلها السابقة ، فلما دبت الآن روح الحياة فى المرافق المصرية ، التفتت الأنظار إلى ناحية السينما الثقافية فى وزارة المعارف ، ولعل وزارة الإرشاد القومى المزمع إنشاؤها قريباً ستضع الأمور فى نصابها من هذه الناحية على النحو الذى أشرنا إليه فى هذه الكلمة .

حركة المطالعة فى مصر :

تردد على دار السكتب المصرية وأقسامها المختلفة خلال شهر سبتمبر : ٩١٢٥ ، وعلى فروعها ١٤٢٧٥ ، وبلغ عدد السكتب التى صرفت للمطالعة داخل الدار وفروعها ٢٧١٣١ والتى أعيرت لخارج الدار وفروعها ٩٣٥١ وبلغ عدد ما اقتنته الدار من كتب فى ذلك الشهر ٧٤٤ منها ٥٩١ باللغة العربية واللغات الشرقية و ١٥٣ باللغات الأوروبية . والمواد التى أقبل المطالعون على مطالعتها هى أولاً : الادب والقصص ، ثم التاريخ والجغرافيا فالعلوم الاجتماعية والعلوم المقيدة فالعلوم البحتة والفلسفة وعلم النفس والمراجع العامة والديانات والفنون الجميلة .

اللجان الثقافية والاجتماعية ، فقد طلبت الحكومة السورية من الجامعة العربية دعوة تونس والجزائر والمغرب الأقصى إلى إرسال مندبين عنها لحضور اجتماعات هذه الحلقة .

التعليم الفنى المتوسط :

قال الدكتور «توماس هارت» مدير برامج النقطة الرابعة فى المملكة العربية السعودية واليمن : إن الحاجة ماسة فى الشرق الأوسط إلى التعليم الفنى المتوسط لملء الفجوة الناشئة بين أصحاب المهن الفنية والسكان للعاديين .

كان الدكتور توماس هارت قد شهد أخيراً المؤتمر الذى عقد فى جامعة بيروت الأمريكية لبحث المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى الشرق الأوسط وعاد بعد ذلك إلى واشنطن .

السينما بوزارة المعارف :

فى الإدارة العامة للفشاط الرياضى والاجتماعى بوزارة المعارف المصرية قسم خاص عنوانه (مراقبة السينما والتصوير) كان المفروض أن تكون مهمته العناية بالسينما الثقافية وتوسيع نطاق الاستفادة منها فى تهذيب الاخلاق ، وتوثيق صلة رجال الغد بأجداد الماضى ، بإحياء مفاخر التاريخ الإسلامى والعربى المصرى ، وزيادة معارف الطلبة بالاقطار العربية الشقيقة والأوطان الإسلامية بعرض مشاهدتها ، وتبادل الأفلام معها ، فتزود

الجملة الإسلامية في شهر

قضية تونس

التي لا يزال بعض الناس يعيشون عليها حتى في إنكار حق الحياة القومية على أمة كالامة التونسية لها حكومة وعرش وكيان دولي من قبل أن يكون لها أى علاقة بفرنسا . وسلوك فرنسا هذا السبيل في الدفاع أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يحتاج فيه إلى موافقة أكثرية ثلثي أعضاء الجمعية العامة على وجهة نظرها ، وهي أكثرية لا تقل عن أربعين دولة . وقد كان مفهوماً أن فرنسا لن تحصل على هذه الأكثرية ولا على نصفها لأن الدول العربية والإسلامية والاسيوية ووفود أمريكا اللاتينية وبعض الوفود الاوربية وحتى الولايات المتحدة والكتلة السوفيتية ، تبين أنها تكون في الجانب الذي تكون فيه هزيمة هذا المنطق الاستعماري .

وقد سافر إلى نيويورك السيد صالح ابن يوسف وزير العدل التونسي على احتمال أن الجمعية العامة قد تطلب منه أن يدلي ببعض البيانات .

وإدراج القضايا في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة تقوم به لجنة التوجيه التي تتألف من ١٥ عضواً هم نواب الرئيس ورؤساء اللجان المتفرعة عن الجمعية .

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها السابعة في مبناها الجديد المطل على النهر الشرقي في نيويورك ، وكانت ثلاث عشرة دولة عربية واسبورية قد أعدت عدتها قبل ذلك لدراسة أفضل الطرق التي ينبغي لها اتباعها لعرض النزاع القائم بين تونس وفرنسا على الجمعية العامة وإقناعها بالنظر فيه ، ولعل أهم ما استطال به الجمعية العامة لإيقاد لجنة من مراقبي الهيئة لدراسة الموقف في تونس والتقدم إلى الأمم المتحدة بالتوصيات التي تراها مناسبة لحل النزاع الذي يعرض السلام العام للخطر .

وكانت الحكومة الفرنسية قد قررت أن يدفع وفدها بعدم اختصاص الجمعية العامة في نظر هذا النزاع ، وهي تستند في هذا القرار إلى المبدأ الذي ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة ويةضى بعدم تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية لأية دولة هي عضو في هذه الهيئة الدولية . واعتبار قضيتي تونس والمغرب الأقصى من الشؤون الداخلية لدولة فرنسا متفرع عن العقلية الاستعمارية البالية

ووجه نظر الحكومة الفرنسية ، بالإضافة إلى الازمة الشديدة التي زجت بالعلاقات المغربية الفرنسية في مأزق حرج ، وكذلك وقف المباحثات - التي كان أملنا أن نفتتح باب الدخول فيها واجهنا - حكومة الجمهورية الفرنسية بمذكرة أخرى في ١٤ مارس ١٩٥٢ أوضحنا فيها - على ضوء تجربة الازمة - أن أسلم حل للقضية المغربية هو تحديد العلاقات بيننا تحديداً جديداً يضمن المغرب سيادتها وللفرنسيين المقيمين بها حقوقهم المشروعة في نطاق التعاون المثمر بين البلدين ، وذلك في الميادين الاقتصادية والثقافية والدولية ، ويحافظ على حقوق الاقليات الاجنبية الاخرى .

• وقد اقترحنا لاجل الوصول إلى هذه الغاية :

- ١ - تطهير الجو السياسي في المغرب .
- ٢ - منح الحريات العامة والخاصة ، وخصوصاً الحريات النقابية .
- ٣ - تأليف حكومة مغربية مؤقتة يناط بها أن تدخل - تحت إشرافنا - في مباحثات مع الحكومة الفرنسية لوضع اتفاق جديد بين المغرب وفرنسا .

• وكانت مقترحاتنا ترمى إلى غاية مثالية هي السماح للشعب المغربي بأن يمارس شئون بلاده بنفسه بواسطة برلمان وحكومة دستورية ، على نحو ما تقتضيه أساليب

وقد فازت مصر أخيراً بالمقعد السابع في هذه اللجنة التي اجتمعت يوم ١٥ أكتوبر وقررت الموافقة على إدراج مشكلتي تونس والمغرب الأقصى في جدول الاعمال ، رغم احتجاجات المندوب الفرنسي ، الذي أعلن أن فرنسا ستقاطع المناقشة التي ستجرى في الجمعية العامة بشأن السياسة التي تنتهجها في محميتها بأفريقيا الشمالية .

قضية المغرب الأقصى :

أصدر القصر الملكي في المغرب الأقصى بياناً بلسان ملك البلاد يصارح فيه أمته بالادوار التي مرت على القضية منذ زار باريس سنة ١٩٥٠ إلى الآن ، وقد جاء فيه ما يأتي :

• كان القصد الجوهري من زيارتنا لباريس في سنة ١٩٥٠ هو أن نقدم للحكومة الفرنسية مذكرة أوضحنا فيها أن القضية المغربية ليست قضية إصلاحات جزئية تحقق في نطاق النظام القائم ، ولكنها قضية شعب يطالب بوضع نظام جديد يسير آماله ، ويتلاءم مع الظروف العالمية الجديدة .

• وقد ردت حكومة الجمهورية الفرنسية على مذكرتنا في ٣١ أكتوبر ١٩٥١ بأن تعديل النظام القائم سابق لاوانه ، واقتصرت على عرض لإصلاحات جزئية داخل نطاق الحماية .

• ولما لاحظنا التباين بين وجهة نظرنا

بأن تقدم إلينا نصوصاً تشريعية حوله فى وقت قريب .

ومن المهم أن نلاحظ أن برنامج الإصلاح الفرنسى لا يشمل على أى عنصر جديد ، فقد صدرت المراسيم الخاصة بمجالس الجماعات فى يونية سنة ١٩٥١ وبدأ العمل بها فعلاً ، كما قدم مشروع البلديات إلى لجنة مغربية حكومية لدراسته فى ٨ مايو سنة ١٩٤٨

ثم قدم إلى مجلس الوزراء لبحثه فى ٢٦ يونيه ١٩٥١ فرض العمل به لأن من شأنه أن يمس السيادة المغربية التى تضمن المعاهدات الدولية حمايتها . وفيما يتعلق بإصلاح الآداة القضائية سبق أن قدم فيه المقيم العام مشروعاً سنة ١٩٤٧ فألفت الحكومة المغربية لجنة فنية ردت عليه بمشروعات مضادة . ولم يشر الرد الفرنسى فوق ذلك إلى المشروعات التى قدمناها فى ١٤ مارس ١٩٥٢ فيما يتعلق بتأليف حكومة مغربية ومنح الشعب بعض الحريات الجوهرية التى لا يتمتع بها كالحق النقابى . وبالاختصار عبرت الحكومة الفرنسية عن تصميمها على تدعيم معاهدة الحماية ، وقدمت إلينا برنامجاً للإصلاحات ، ولفتت نظرنا إلى أن هذه الإصلاحات وحده صادرة عن فكرة متجانسة ، وبذلك يتمثل فيها كل غير قابل للتجزئة . وأخيراً أبدت الحكومة الفرنسية استعدادها - فى حالة التسليم بقبول مبدأ هذا الإصلاح واتجاهاته -

الديمقراطية الحديثة . وإن إنشاء مثل هذا النظام لما لا يتعارض مع استمرار التعاون المغربى الفرنسى .

• وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ قدمت إلينا الحكومة الفرنسية - عن طريق المقيم العام - ردها على مذكرة ١٤ مارس ، وسردت فى القسم الأول من ردها كل ما حققته الحماية فى مختلف الميادين ، وخصوصاً فيما يتعلق بالتعليم والصحة والتجهيز الاقتصادى والصناعى . وفى القسم الثانى عرضت برنامجاً للإصلاح تناهض معالمه الكبرى فى تكوين مجالس جماعات إدارية فى البوادر ، وإنشاء مجالس بلدية مختلطة فى المدن ، ومجالس فرنسية مغربية فى المراكز البدوية ، الأمر الذى يعطى للفرنسيين المقيمين فى المغرب حق التقدم للانتخابات على قدم المساواة مع المغاربة أهل البلاد . وفيما يتعلق بالسلطة التنفيذية أشار الرد الفرنسى إلى وجود مجلس الوزراء والمندوبين الفرنسيين الذى تكوّن سنة ١٩٤٧ ، واقترح الرد أن ينضم السكرتير العام للحماية - وهو فرنسى - إلى المجلس ليقوم بمساعدته باعتباره رئيساً للإدارة . وكان من المفروغ منه فى الرد الفرنسى أن الإدارة فى المغرب ذات طابع مختلط ، أى أنها فرنسية مغربية تسير تحت إشراف السلطات الفرنسية ، أما فيما يتعلق بالتنظيم القضائى فقد وعدت الحكومة الفرنسية

ولا حاجة بحكومة باكستان ولا بمسلي
كشمير إلى استعمال القوة .

« فعلى مجلس الامن أن يتخذ في هذه
القضية الواحدة حللاً نهائياً حاسماً ، لأن هنالك
حداً لصبر البشر ، ومن الحكمة أن لا يستنفد
الصبر بتجاوز حدوده . »

وقد جاء بعد هذا أن مجلس الامن دعى
إلى الانعقاد لدراسة تقرير الدكتور جريهام
عن محادثات كشمير . وقد مر وزير خارجية
باكستان بمصر في طريقه إلى نيويورك
لحضور الدورة السابعة للجمعية العامة للأمم
المتحدة ، وليكون على مقربة من مجلس الامن
وهو يبحث قضية كشمير .

السعى لكتلة هندية :

زار الوطن المصرى في الشهر الماضى
بمهمة رسمية الدكتور أحمد سوبارجو وزير
خارجية أندونيسيا السابق والسفير فوق
العادة . وبعد اتصاله بأهل الرأى صرح بأنه
مرتاح لنتائج زيارته لمصر ، ومسرور لما
يرجو من توثيق العلاقات بين البلدين ،
ومن بينها العلاقات التجارية . وقد دعا
المسؤولين في مصر إلى زيارة أندونيسيا ،
لأن في تبادل مثل هذه الزيارات ما يقرب
بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها .

ويقول الدكتور سوبارجو في حديث
له مع مندوب جريدة (الأهرام) : إن

لأن تعلن نشأة الصداقة المشتركة والمصالح
المتداخلة ، لتقوم على أساس ذلك في المستقبل
العلاقات بين فرنسا والمغرب دون ما تعرض
إلى السلطات المادية التى نصت عليها معاهدة
٣٠ مارس سنة ١٩١٢

« وقد أبدينا في الرد الذى قدمناه إلى
الحكومة الفرنسية في ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢
أسفنا العميق لما لاحظناه من عدم أخذ
الحكومة الفرنسية بمقتراحاتنا ، كما لفتنا
أنظارها إلى أن مشروعات الإصلاح التى
قدمتها إلينا ترمى بصفة عملية - في مفهومها
ومنطوقها - إلى تصديق السيادة المغربية . »

قضية كشمير :

يقول السيد محمود حسين الوزير الباكستانى
لشئون كشمير في حديث أدلى به في مدينة
(دكا) : « إن افتراضى نزع السلاح وتعيين
مدير لعملية استفتاء في كشمير قد بحثا
كثيراً حتى الآن ولكن بلا جدوى . ولو أن
استفتاء نزيها أجرى في كشمير ، فإن مما
لا يتطرق إليه الشك أن الاكثية الإسلامية
الساحقة التى يتألف منها سكان كشمير ستطالب
بالإجماع الانحياز بأمرها باكستان . وما نشرته
صحب الهند من أن الباكستان تحاول إرسال
بعض القبائل إلى كشمير لا نصيب له من
الصحة ، لأن باكستان تسعى للوصول إلى
حقوق كشمير بالوسائل والحلول السلمية ،

والمهتمين بشئون الشرق الأوسط . والدكتور والتر والبانك كان فيما مضى أستاذاً بجامعة القاهرة ، وطاف بلاد الشرق الأوسط ووقف على حقائقها . وقد وصف فى محاضراته الحالة الاجتماعية فى مصر . ثم انتقد موقف الولايات المتحدة فى الماضى من إسرائيل وقال : إن هذا الموقف لم يكن عادلاً ولا حكماً ، وإن أمريكا بسياستها ساعدت على طرد ٨٠٠ ألف عربى من بلادهم ولوى بعض الصهيونيين الذين سيتخلص منهم العرب فى يوم ما . وانتقد أن تعطى أمريكا مساعده مالية لإسرائيل تساوى مجموع المساعدات المالية التى تعطىها للبلاد الأخرى مجتمعة . وتسأل : لماذا نخسر صداقة العرب لنكسب صداقة أشخاص سوف يتقلبون على أمريكا فى أى لحظة ؟ ولماذا نمدم بالأسلحة ونكون السبب فى إشعال نار الحرب فى الشرق الأوسط .

ومما قاله : إن بعض المصريين كان يلقى على أسئلة لا أستطيع الجواب عليها ، ومن هذه الأسئلة موقف أمريكا من إسرائيل ، ومعاملتها للزوج ، وموقف أمريكا السابق من تأييد السياسة البريطانية . وختم محاضراته بالتحدث عن الفجر الجديد فى ظلام مصر بقيام الجيش لتحرير مصر من الفساد والطغيان ومستغلى النفوذ والأحزاب الفاسدة . وتوقع قيام حركة إصلاح حقيقية ذات خطة مرسومة وسريعة .

أندونيسيا - بحكم موقعها الجغرافى - تشعر كسائر دول الشرق الأقصى بوطأة الصراع المحتدم فى تلك المنطقة بين الكتلتين الشرقية والغربية . وأندونيسيا دولة ناشئة تحتاج إلى السلام لتتفرغ للإنشاء والتعمير فى ربوعها ، لذلك كان من مصلحتها الوقوف على الحياد فى الحرب الباردة بين المعسكرين ، كما ترى من مصلحتها الوقوف على الحياد كذلك - إذا استطاعت - عند وقوع حرب مسلحة . قال : ولكننا لا نستطيع ذلك بمفردها ، لذلك نحاول الاتصال بالدول التى تشاركنا فى أهدافنا وأمانينا .

ثم قال : إن دول الكتلتين لا تريد الحرب وفى رأينا أن قيام كتلة حيادية - أى من أمثال حكومات الشرق الأقصى والأوسط - قد يؤدى إلى منع وقوع الحرب ، أو على الأقل إلى تأجيل وقوعها .

وتحدث عن أهمية الاستقلال الاقتصادى لتحقيق الاستقلال السياسى وقال : إن أندونيسيا ينص دستورها على أن الاستعمار مضى زمنه ، وكان من أسباب وقوع الحروب . وهذه النظرية نستوحىها فى سياستنا العملية .

أمريكا بين العرب واليهود :

أتى الدكتور والتر والبانك ، أستاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا ، محاضرة نفيسة عن الشرق ، أصغى إليها خمسمائة من أساتذة الجامعة وكبار المفكرين الأمريكين

إنباء العجلاء الإسلامية

تجديد الحرم النبوي :

عادت من الحجاز البعثة الهندسية التي كانت الحكومة المصرية قد أوفدتها إلى المدينة المنورة لاختبار طبقات التربة في أساس الحرم النبوي الشريف الذي قدرت تكاليف تجديد بنيانه بنحو أربعة ملايين جنيه تكفل بها الملك عبد العزيز السعودي من جيبه الخاص .

ويقوم المختصون الآن بتجارب في معمل ميكانيكا التربة في كلية الهندسة تمهيداً لإجراء التصميمات اللازمة للأساس . وقد سبق إعداد التصميمات والرسوم الخاصة بمباني الحرم ومبانيه وماذنه .

والمفهوم أن هذا المشروع العمراني العظيم يستغرق أربع سنوات، وسيكون الحرم المدني الشريف بعد إتمامه أعظم مسجد إسلامي في العالم وأخفمه .

وقد شرع من الآن في إخلاء بعض المباني المحيطة بالحرم ، كما بوشر إخلاء بعض الأجزاء الداخلية من الحرم نفسه .

صيانة المسجد الأقصى :

اجتمع مجلس إدارة الشبان المسلمين في الإسكندرية وبحث مسألة حماية المسجد الأقصى ، المناسبة ما يقوم به اليهود من حركات وجهود عسكرية وسياسية في بيت المقدس

فنفقوا إليها وزارة خارجيتهم من تل أبيب وحشدوا قواتهم في مشارف القدس القديمة والمسجد الأقصى وأنشأوا المعامل في جبل الزيتون مخالفين في كل ذلك اليهود والموائيق التي دانوا بها للجنة الهدنة وهيئة الأمم المتحدة . والجمعية تستصرخ كل مسلم في أن يرفع صوته ليبلغ مسامع ممثلي الدول الإسلامية لتنتقله إلى حكوماتها راجية أن تبذل الحكومات الإسلامية كل ما يسعها من جهد لوقف هذا العدوان .

مرافق الحجاز :

يقول السيد الحسيني الخطيب أمير الحج المصري ووزير مصر المفوض في الحجاز : إن ولي عهد المملكة العربية السعودية أبدى رغبة حكومته في إيفاء مهندسين ، وبوليس مرور ، وعمال ، ومدرسين من مصر ، للنهوض بمرافق الحجاز والمملكة العربية السعودية . وافتتح ولي العهد - وكان بصحبته أعضاء بعثة الحج المصرية - عدة مستشفيات جديدة أنشئت في المملكة العربية السعودية يديرها ويرأسها أطباء مصريون . ومن هذه المستشفيات واحد لعلاج الأمراض النسائية هو الأول من نوعه هناك . كما أنشئت هناك مصحات كثيرة لعلاج ضربة الشمس . وصدرت

صيفاً وشتاء ، فالشمس ساطعة طول العام والرياح مستمرة ومنتظمة ، مما يتيح استخدامها لإدارة طواحين هوائية متصلة بمولدات الكهرباء التى تنتج تياراً كهربائياً للإضاءة والطهى وتقطير الماء العذب من ماء البحر وكافة الأغراض الحيوية والصناعية . وتمتاز هذه الجزر بدفئتها شتاء واعتدال هوائها صيفاً فهى مصيف ومشقى . بل تصلح مصححاً عالمياً لتوافر الأوزون (أى الاوكسجين الذرى) فى جوها . وتزخر خلجانها بكميات هائلة من الأسماك الكبيرة قال لخبذا لو بذلت الدولة جهداً فى تعميرها وإعدادها والإعلان عنها .

صناعة البترول فى مصر :

تعنى مصلحة الوقود المصرية الآن بتوسيع معمل تكرير البترول الاميرى فى السويس ، وستتهى من إقامة المباني والمرافق الجديدة فى هذا العمل فى أواخر سنة ١٩٥٣ ثم تنتظر منه إنتاجاً سنوياً لا يقل عن مليون ونصف مليون طرة من المواد البترولية الصالحة للاستهلاك ، وإذا أضيفت هذه الكمية الضخمة إلى ما تنتجه شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية استغنت مصر بذلك عن استيراد البترول من الخارج ، اللهم إلا القليل من الكيروسين لضخامة المطلوب منه للاستهلاك الشعبى .

والحكومة تستعد لتسليم بئر وادى فيران بمنطقة سيناء ، التى تم كشفها عام ١٩٤٩ ولم

الأوامر بإنشاء مجموعة كبيرة من المظلات الواقية من أشعة الشمس فيما بين منى وعرفات . وقد أبدى ولى العهد رغبة فى إنشاء خط ترام كهربائى بين جدة ومكة والمسافة بينهما ٧٥ كيلومتراً ، على أن تساهم فى هذا المشروع رموس الأموال الإسلامية . وأن تطرح مناقصة عملية لإنشائه فى البلاد الإسلامية وحدها ، قال أمير الحج : وينتظر تنفيذ هذا المشروع قريباً .

الجهلاء عن كوبرى الفردان :

فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الجمعة ١١ أكتوبر انسحبت القوة البريطانية التى كانت تحتل كوبرى الفردان الذى يمر عليه الخط الحديدى عبر قناة السويس ويوصل إلى شبه جزيرة سيناء . وفى الساعة الثانية عقب ذلك كانت قوة من رجال الجيش المصرى تحتل هذا الكوبرى وتقوم على حراسته .

فراديس فى البحر الأحمر :

لفت الدكتور محمد طلعت طه الأنظار إلى فراديس مهمة لا يحفل بها إلا قلة من أغنياء الأجانب فى مصر ، وهى جزر متناثرة فى خليج السويس وقرب الشاطئ المصرى للبحر الأحمر . وأهم تلك الجزر : شدوان ، وجزيرة الأخوين ، والزبرجد ، وهى جزر جبلية ذات سفوح متدرجة إلى شواطئ رملية بديةة كثيرة الخلجان وجوها ساحر بديع

المستثمر في الصناعة فتوسط دخل المواطن المصرى سيتضاعف بضع مرات ، أو بالتالى سيقرب هذا المواطن من الحياة السعيدة التى يحياها المواطنون في الدول المتحضرة . وما يخطر على البال في معالجة الاختلال في ميزاننا التجارى أن يعمل المعلمون على التقريب بين قيمة الواردات والصادرات بمكافحة استيراد الكماليات وأدوات الترف والبذخ ، ورسم سياسة قوية لحمل الأمة على الاستغناء عنها من طريق الإرشاد الأدبى ، والترغيب في الحياة الاقتصادية المعتدلة ، مع التوسع بزيادة الرسوم الجمركية على بعض الاصناف والمنع القطعى لاستيراد البعض الآخر ، إلى أن يتساوى ميزاننا التجارى ، وتضمحل نهائيا هذه الخسارة السنوية من زيادة الواردات بما يزيد على سبعين مليون من الجنيهات .

وادی الريان :

كان المهندس «سيريل فوكس» قد حضر إلى مصر وزار موقع وادی الريان وكتب عنه تقريراً نفى فيه أن يترتب أى خطر على مديرية الفيوم لو نفذ مشروع تخزين المياه في وادی الريان ، ومع ذلك فإن المختصين في الحكومة المصرية لم يقطعوا برأى نهائى في هذا الامر ورأوا أن يستدعوا خبراء آخرين للاستئناس برأيهم . وسيصل إلى مصر في ديسمبر القادم ثلاثة خبراء من سويسرا وأمريكا وإنجلترا . لدراسة هذا المشروع العمرانى الكبير .

تستغل حتى الآن ، إلى الجمعية التعاونية المصرية للبترول لتستغلها على حساب الحكومة ، وقد منحت هذه الجمعية ١٦ ترخيصاً بالبحث عن البترول ، وأعطيت الشركة الاهلية المصرية ١٠٦ ترخيص بالتعقيب ، ولدى شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية وشركة سوكونى فاكوم ٦١ ترخيصاً ، ومنحت إحدى الشركات الفرنسية ٥٢ ترخيصاً . وسياسة مصر البترولية قائمة على حرية المنافسة . وإن صدور قانون المناجم بعد تعديله طبقاً لمقترحات غرفة المناجم والمحاجر سيبطل حجة تعطيل أعمال التعقيب في بعض المناطق ، ويبدأ العمل بأوسع نطاق .

مصر التجارية :

يقول الاستاذ محمود كامل المحامى : إن مجموع ما استوردناه في سنة ١٩٥١ مبلغ ٢٧٩٥٩٤٠٠٠ من الجنيهات ، ولم تصدر في ذلك العام إلا ما قيمته ٢٠٣٠٨٠٠٠ ج وليس هذا الاختلال في ميزاننا التجارى مقتصرأ على عام ١٩٥١ ، فقد حدث ذلك في كل سنة من السنوات الخمس الاخيرة حتى بلغ مجموع الخسارة التى دفى بها الاقتصاد القومى في هذه الفترة نحو مائتى مليون جنيه . ولا يمكن علاج مأساة الدخل القومى إلا على أساس موازنة الواردات بالصادرات ، وهذا لا يمكن - مع التوسع في الري والزراعة - إلا بوضع سياسة ثابتة على أساس برنامج مدروس لتصنيع مصر . وإذا ارتفع مجموع

الوصاية والاستعمار :

طلبت الهند من محكمة العدل الدولية أن تصدر قراراً فيما إذا كان يجوز للدول التى تتولى الوصاية على بعض المستعمرات بالنيابة عن الأمم المتحدة، أن تدجج هذه المستعمرات مع مستعمراتها المجاورة لها تحت حكم واحد، وتتهم الهند كلا من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا بإدماج المناطق التى تتولى هذه الدول الوصاية عليها بالنيابة عن الأمم المتحدة على مستعمراتها الخاصة ، ولم نزل مشكلة إدارة المستعمرات التابعة للأمم المتحدة معروضة على الجمعية العامة منذ بضع سنوات . وترى الدول الاستعمارية المنتهمة من الهند بهذا العمل ، أن إدماجها مستعمرات الوصاية بالمستعمرات الخاصة يسهل عليها مهمة الوصاية ، ولكن الهند ومعها بعض الدول الآسيوية الأخرى ترى أن هذه الحجة إن هى إلا ثوب ملفوف يخفى تحته حقيقة الاستعمار ، وذلك مما لا يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة .

إبراه وبريطانيا :

أذاع الدكتور مصدق رئيس الوزارة الإيرانية فى يوم ١٦ أكتوبر بياناً أعلن فيه قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران وبريطانيا وقال إنه اضطر إلى ذلك لأن الحكومة البريطانية حالت دون الوصول إلى اتفاق بشأن النزاع حول البترول . وما

القانون الأساسى لولاية طرابلس :

صدر القانون الأساسى لولاية طرابلس مؤلفاً من ٩٠ مادة ، مصرحاً بأن دستور ليبيا يعد القانون الأعلى للولاية ، وينص على :

١ - أن الوالى يمثل الملك ، وهو مسئول عن جميع السلطات والامتيازات .

٢ - أن الملك - بمشاورة الوالى - يعين المجلس التنفيذى المكون من نظار العدل والداخلية والمعارف والأشغال والمالية والزراعة والمواصلات والسياحة ، وهو مسئول أمام الملك والمجلس التشريعى .

٣ - يتولى السلطة التشريعية الوالى ومجلس تشريعى يتكون من أربعين عضواً ، ثلاثون منهم منتخبون ، وعشرة يعينهم الملك بمشاورة الوالى .

الاعتراف باستقلال المغرب :

تدور المباحثات بين الحكومات العربية والإسلامية والآسيوية حول الاعتراف باستقلال المغرب الأقصى ، عملاً بمعاهدة ٧ أبريل ١٩٠٦ التى أبرمت بين حكومة الخزن و ١٦ دولة أجنبية اعترفت بسيادة المغرب واستقلاله ووحدة أرضه وحرية الاقتصادية ، وعملاً بمعاهدة الجزيرة الخضراء التى أخذت بها محكمة العدل الدولية فى ٢٧ أغسطس من هذه السنة .

بأن يسمح لوفد حر من مسلمى العالم بزيارة
الأوطان الإسلامية في روسيا للاطلاع على
حقيقة ما عليه حال أربعين مليوناً من إخواننا
في الدين هناك ، فإذا كانوا في حالة حسنة من
معيشتهم وحريرهم الدينية ، أعلن الوفد هذه
الحقيقة للناس ، وإن كانت الأخرى كان
للحقيقة أن تعرب عن نفسها .

النشاط اليهودي في إيران :

في برقية إلى وكالة الأنباء العربية في بغداد
يوم ١١ أكتوبر أن حكومة العراق جددت
المساعي لدى الحكومة الإيرانية لإقناعها
بوضع حد لنشاط الوكالة اليهودية في إيران .
وقد فاتح بعض الزعماء الدينيين العراقيين
الذين زاروا إيران أخيراً الدكتور مصدق
والسيد الكاشان في هذه المسألة .

ويلوم العراق إيران على التساهل الذي
تبديه نحو النشاط اليهودي في الميادين
الاقتصادية والسياسية ، ويشكو من أن اليهود
استطاعوا أن يصدروا في الوقت الحاضر
سبع صحف في إيران تعمل على إثارة الخلافات
بين العراق والعالم الإسلامي .

والمفهوم أن السفارة العراقية ناقشت هذه
المسألة مع الحكومة الإيرانية ، وطلبت منها
أن تتخذ من الإجراءات ما هو كفيل بالقضاء
على خطر الصحف اليهودية .

قاله في بيانه أن قطع العلاقات الدبلوماسية لا يعنى
قطع روابط الصداقة بين الشعبين الإيراني
والبريطاني ، وهو يأمل أن تبدى السلطات
البريطانية المسئولة اهتماماً أكبر بمحقاق الحالة
الدولية وتتخلى عن الموقف الذى ظلت متمسكة
به حتى الآن في معالجة مختلف المشاكل .

وقدم الدكتور مصدق لبيانه بشرح واف
للراحل الذى مربها النزاع الإيراني البريطاني ،
منذ أعلنت الحكومة الإيرانية قرار تأميم
البترو ، وكرر ما سبق أن وجهه لبريطانيا
من اتهامات حول المؤامرات الداخلية
والاضطرابات التى حاولت إثارتها في إيران
ثم قال : إن إيران بذلت كل جهد للوصول
إلى اتفاق في النزاع القائم حول البترول
ولكن بريطانيا عمدت إلى محاولة وضع إيران
تحت الضغط الاقتصادي متجاهلة المبادئ
الدولية ، وراحت تماطل كعادتها وتعد
المذكورة تلو المذكورة لكسب الوقت وإجبار
إيران على الخضوع لرغباتها ، والحيولة بين
الشعب الإيراني وتحقيق حريته الاقتصادية
وقد منح الإنجليز مهلة عشرة أيام لسحب
بعثتهم الدبلوماسية من إيران ، وسيعود
للقائم بأعمال السفارة الإيرانية في لندن
وموظفو السفارة في غضون عشرة أيام .

المسلمون وراء الستار لخميري :

أصدر الزعيم الإسلامى الباكستانى السيد
خليق الزمان ، بياناً تحدى فيه الاتحاد السوفيتى

رئيس التحرير
محج الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

٥٠
٣٠
٦٠
٤٠
في مصر والشرق
للطلبة في مصر والشرق
في الخارج
للطلبة في الخارج
عن الجزء

مَجَلَّةُ الْإِنْهَادِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٍ بِتَجَامِعِيَّةٍ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر على

مدير المجلة
محج الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان

إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة

تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٢ - ١٩ نوفمبر ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَيْفَ بَنَى مُحَمَّدٌ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ

أكان يدور بخلد أحد يعرف سكان جزيرة العرب في القرن السادس لليلاد ، أن هذه الجزيرة ستحكم الدنيا يوما من الايام ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هؤلاء الشراذم والاوزاع ، سيحاربون دولة الأكاسرة ودولة القياصرة ، فيرثون ملكهم وأرضهم وديارهم ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه القبائل العربية وهي متحاربة متنازعة يجمع الله بينها ، ويوحد رأيها ، ويؤلف بين قلوبها ، حتى تصير كتلة واحدة تأخذ مكانها في الوجود ، رغم العقبات والتكبات والسدود والحوائل ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه العقائد الفاسدة ، والنحل الباطلة ، وعبادة الاوثان والاصنام ، والخضوع للعرافين والسكان ، تطهر منها نفوسهم ، وتحل محلها عقائد صحيحة ونحل حقة عليها جلال الحسن ونور العلم ؟

نعم إن ذلك قد كان ، وفي أقل من قرن من الزمان . وكان على يد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي . وهذه هي العجيبة الاخرى ، فهل كان يدور بخلد أحد أن هذا القيم الذي فقد أبويه ، وخرج إلى هذه الدنيا دون معين يعينه ، ولا ناصر ينصره ، لم يتعلم العلم ولم تثقفه جامعة ، يقوم بهذا العمل العظيم ويأتى بهذا الأمر الجسيم ؟

هذه حكمة الله وهذا قضاؤه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته : يعلم من يصلح لها من الناس ، ويعلم من تكون فيهم من البشر . فليس كل أحد يصلح لها ، وليست كل أمة تكون فيها الرسالة ، تقوم بأعبائها .

ويجب على مصر وهي في مستهل عهد جديد ، تبحث فيه عن أسباب النهوض للنهض ، وعن أسباب العزة لتعز ، وأسباب القوة لتقوى ، يجب عليها أن تدرس تاريخ صاحب الدعوة الإسلامية ، وماذا فعل بالامة العربية ؟ إننا إذا درسنا هذا الدرس وجدنا أسباب نهوض الامة العربية كثيرة ، أهمها أن محمدا هداه الله إلى أن يغرس في قلوبهم الإيمان ، ويزينه في قلوبهم . وآمنوا بالله وبأنبيائه ورسله . وباليوم الآخر الذي يجزى فيه المرء بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فوصل حياتهم الاخرى بخيانهم الدنيا ، وجعلها امتدادا لها .

وأى امرئ لا يستمسك بعمل الخير ليجزى به خيراً ، ولا يبتعد عن الشر لئلا يجزى به شراً ؟ وأى امرئ يعمل الخير وينأى عن الشر ، لا يحب أن يتعجل الجزاء عليه ، ويتحاذر القنطرة التي تحجزه عن الخير الكثير الذى ينتظره ؟ وهذه القنطرة هى الموت .

وبذلك ربى فيهم الضمير الدينى الذى يدفع إلى عمل الخير ويبعد عن عمل الشر ، وباعد بينهم وبين حب الحياة وكراهية الموت ، فكانت اللبنيات التى تتكون منها الامة ، لبنات قوية متينة .

ثم رأى أن الامة العربية أمة أكلها التعصب القبلى والحروب الداخلية ، فقد كانت كل قبيلة تعادى الاخرى ، وكانت تقوم الحرب بينهما ، وتأكلهما أكلا ، وتستمر السنين الطوال ، فوحد بينها ، وألف بين قلوبها ، وأبدلهم من هذه العصبية الضيقة ، عصبية أوسع ليست للدم والجنس ، وإنما هى للحق والخير ، وهى عصبية الإسلام .

وبذلك كوّنهم مجتمعاً قوياً ثبت للحدثان ولا يصدعه الزمان ، ثم رباهم تربية قوّت نفوسهم ، وأدخلت فيهم العزة والكرامة ، فأراهم بحق حقيقة أنفسهم ، وهى أنهم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وأنهم مخلصو البشرية ومنقذو الإنسانية .

فلا عجب بعد ذلك أن تنساب هذه الامة - الفتية ، القوية ، المتحابة ، المخلصة ، المتعاونة - على العالم القديم لتخلصه مما هو فيه من ظلم واستبداد ، وتبدله بحكامه الفاشمين حكاما عدولا يمدلون فى الرعية ويقسمون بالسوية .

ماذا يقف في سبيلها ؟ إنها مؤمنة متحاببة متعاونة ، إنها تبغى رضا الله وفي تخلص العالم رضاه ، وهي قد وهبها الله النور ، وطلب منها أن تثير الطريق للدلجين .
لإنها كانت تحارب وهي مقدرة أن تفوز بإحدى الحسنيين : الغلبة والنصر ، أو الشهادة والاجر ، وكانت ترهب بأعدائها أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيديهم .

لإنها كانت تؤمن أنها تقوم بأعظم عمل وتؤدي أجل رسالة في الوجود ، وهي هداية الحيارى من البشر ، ونشر الفضيلة ، ومبادئ الخير والحق .
أما أن لنا أن نستفيد من هدى الرسول في تربية أمتنا ؟

إن العهد الجديد قد زالت من أمامه العوائق ، فله الحرية والاختيار في أن يبنى أمته على الأسس التي يختارها .

وأول ما يجب علينا ، اقتداءً بفبي الإسلام ، أن نفرس الدين ونقوى اليقين في نفوس الناشئين ، وذلك بتعميم التعليم الديني الحق في المدارس ، وإقامة الشعائر الدينية فيها .
ويفبغى أن يلاحظ أنه ربما يعمم التعليم الديني ولا يأتي بالآثار المطلوب ، لأنه لا يلقى بطريقة تستولى على القلوب ، ولا يعطى لدروسه الإجلال الواجب ، فليقتبه إلى هذا .
ثانيها أنه يجب أن تزول أسباب التفرقة والخلاف ، وأن يعتنى بالأخوة الإسلامية فنفرس في القلوب ، ويعنى بها أكثر مما يعنى بأشياء أخرى أقل منها أثراً .

ثالثها أن نربي أمتنا على الشعور بالكرامة والعزة ، بفشر الصفحات الناصعة من تاريخ رجالنا في العلم والحرب والأخلاق ، وأن يلغى هذا البرنامج الذي كان يهدف إلى إضعاف نفسية الأمة ، والإيمان بالأمم الأخرى .

ولأنى أرجو إذا أخذ بهذا الإصلاح ، أن تعيد الأمة مجدها ، وتقطع هذه الحلقات الصدئة ، وتتصل بتلك السلسلة الذهبية من آباءنا الغر الميامين .

محمد عرف

عضو جماعة كبار العلماء

الأدب خير الموارد

روى الترمذى في سننه عن سعيد بن العاص أن ابى صلى الله عليه وسلم قال :
« ما نحل والد ولدأ من نخلة ، أفضل من أدب حسن ، »

الإنسانية بين النظام المحمدي والنظام الإسرائيلي

يحتفل المسلمون في هذا الشهر بذكرى المولد المحمدي العظيم الأثر، الجسيم الخطر، الذي شهدت الإنسانية طليعة معجزاته قبل أربعة عشر قرناً، وبوشك أن تشهد نماذج أخرى من نوعها لو عرف المسلمون رسالتهم، واستعدوا الاضطلاع بها في أنفسهم، ولتبليغها لذويهم وللناس. في مثل هذا الشهر من العام الماضي لم يكن يخطر على بال أحد في مصر، ولا في غير مصر، أن الذي حدث بين ظهرانيها في أربعة الأشهر الأخيرة، يمكن أن يحدث في جيلنا أو في الجيل الذي بعده. والذين يفكرون تفكيراً عميقاً، وينظرون نظراً بعيداً، يحسبون أنهم في هذه الأشهر الأربعة في منام: لأنهم كانوا يرون — إلى الامس القريب — أن الباشويات والبيكويات هي كل شيء في مصر، ثم صارت لا شيء! وكانوا يرون أن بغى القوة على الضعف، والثروة على الفقر، هو الامر الطبيعي المألوف في مصر، وما لبث هذا البغى أن أنكب على وجهه في الأرض ذليلاً حقيراً كأن لم يكن بالامس! وكانوا يرون للرديلة دولة وأبطالاً، ومعاقل وحصونا، وأسواقاً وصيارفة وتجاراً، بل كانوا يرون لها - بعيونهم المسحورة - بهاءً وجمالاً، وخاطبين ومتزلفين، بل كان من أنصاف الفضلاء من يودون لو يبتغون الوسيلة إلى أولئك الأبطال والصيارفة والتجار، ويسمونهم بغير أسمائهم، على زعم أن العيش لا ينال إلا بذلك. وبين عشية وضحاها جعل الله على ذلك النظام سافله، وبها آية الليل بآية النهار، وصار أبطاله ووسطاؤه إلى المسكان اللائق بهم. إن هذا الانقلاب أكبر من أن يكون من عمل البشر. إنه من عمل الله. وقد مكن الله لهذا الامر العجيب أن يتم، لأن نفحة من نفحات السنن والانظمة والمبادئ التي جاء بها صاحب ذكرى ربيع الاول، كانت تهب على قلوب عدد قليل من أبناء أمته، فاندفع شراعيهم مع نسائهم، وحرروا دفة سفينتهم على ما يرونه من اتجاه لبرتها المغناطيسية، وأسلسوا قيادهم لما اقتنعوا به من أنظمتها الإلهية، فسكافأهم الله بما آتمه لمصر على أيديهم، ولأنه لامر - بحول الله وقوته — عظيم.

لقد كان أمام مصر قبل أربعة أشهر ثلاثة أنظمة:

أحدها نظام الذئاب، الذي كنا نعيش فيه إلى اليوم الرابع من ذى القعدة ١٣٧١ هـ (٢٦ يوليو ١٩٥٢ م)، فكان الاخ الشقيق ينهش أخاه لأمه وأبيه، وهو يقول له: يا أخى!

وكان الرفيق يكيد لرفيقه ويناديه بيا حبيبي ! وكان الزميل يتخنى الشر لزميله ، ويدأب على قطع موارد الخير عنه ما استطاع ، حتى إذا لقيه استقبله معانقاً ، وقبل خديه من يمين وشمال ، وقد يكون هؤلاء جميعاً — فى الأصل — من أهل المعادن الطيبة ، ومعدنهم إلى ضئائرهم فيما يصنعون ، أن ضرورات العيش ، والنظام القائم فى ذلك المجتمع ، يقضيان عليهم بأن يكونوا هكذا ليضمنوا لأنفسهم الحياة والبقاء . . .

والنظام الثانى - هو النظام الإسرائيلى ، الذى أملاه اليهود على الغرب ، وأغروه به ، أو جعلوه منه أمام أمر واقع ، أو عدلوه له ، أو توصل غيرهم إلى بعض مبادئه فوجد اليهود تلك المبادئ داخلية فى برنامجهم ، فأيدوها وروجوها ، وفسروها ونشروها ، حتى صارت من صلب ذلك النظام المعمول به فى الغرب ، والذى أخذنا نفتقسه عنه منذ نحو مائة سنة ، فغشى دواوين حكمتنا ، وأسواق تجارتنا ، وساد فى مجامعنا ، وسابق نساؤنا رجالنا إليه فى الأزياء والآداب والمعاشرة ، حتى آمنّا به ، وكفرنا بما سواه ، فأصبح الرجل المستقيم منا هو الذى يمدحه الناس بأنه ملتزم لذلك النظام وغير مخل بشيء من أصوله أو فروعه أو آدابه .

إن اليهود — من ألفى سنة — منبثون فى بلاد الناس ، وقد تقدموا ونجحوا بأموالهم ونشاطهم وذكائهم وبشاشتهم ولين عريكتهم وإقناعهم المتعاملين معهم بأن من مصلحتهم أن يتعاملوا معهم ، وبهذه الوسائل استطاعوا أن يمدقوا مآهم العسكر بلبن الناس ، وأن يشوبوا ويروبووا كما يشامون ، فى المجتمع أملاً على الناس أوضاعاً ومذاهب : أولها فى الماسونية وعلاماتها وطقوسها وهيكلها ، وآخرها فى الشيوعية ومبادئها وغاياتها . وفى التجارة والاقتصاد والمال ، هم مخترعو البنك والكمبيالة والاسهم ونظام الفوائد ، وهم المفتتون فى الأزياء وتوافه الغش فى زينة النساء . وهذه الانتخابات فى كل بلاد العالم ، وآخرها انتخابات أمريكا للرئاسة ، التى كانت فى هذا الشهر لإيزنهاور ، وكانت قبله لثرومان ، وقبلهما لروزفلت ، فإن الأشباح التى رأيناها ظاهرة أمامنا ، كانت اليهود . وكانت أموالهم وصحفهم وشركات أخبارهم وسائر وسائلهم من وراء كل شبح منها لما معه ولما عليه .

إن النظام اليهودى قائم على تبادل المنفعة ، وافق هذا التبادل الفضيلة أم خالفها . والحق عندهم هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب المحاكم عليه ، ولا يبالون بمد ذلك أن يكون هو الحق فى نفس الأمر أم لا . واليهودى إذا عاملك قد يلتزم أن يكون أميناً فى معاملتك ، لا لأن الأمانة فضيلة فى نفسها ، بل لاجل أن تقابله عليها بثمناً ، ومرافق الخير التى يقيمونها ، كالجمعيات الخيرية والمستشفيات ، إنما يقيمونها على أساس من المصلحة الذاتية والطائفية ، فلا يعملون الخير إلا لثمرته المادية التى يتوقعونها ، أو لدفع أذى كان

يكون عليهم أكبر مما يرزومون فيما يصيب الواحد منهم من المساهمة في عمل الخير .
 هذه المبادئ التي وضعها اليهود ، وشاع العمل بها في الغرب ، هي التي كننا نقتبسها .
 وكان المثقفون في الغرب من أبنائنا يرونها سائدة في ذلك المجتمع ، فإذا انقلبوا إلى وطنهم ،
 ورأوا النظام الشاذ السائد فيه والذي سميناه نظام الذئاب ، ظنوا أن هذا النظام
 هو نظامنا الطبيعي ، وهم معذرون إذا وصوه باسم الرذيلة ووسموا نظام الغرب بميسم
 الغصيلة ، وكانوا بعد أن يندمجوا في مجتمعاتنا ويتبوعوا فيه المراكز اللاتقة بشهاداتهم
 ومؤهلاتهم يقاومون نظامنا الشاذ أيا ما أو أشهراً ، ثم يالفونه ويتلذذون بحلاوته ، إلى أن
 يكونوا من أئمتهم وأقطابه . وهذا ما كانت عليه الحال عندنا إلى ما قبل أربعة أشهر ، وذلك
 ما عليه الغرب في نظامه المصلحة المتبادلة ، حتى يومنا هذا .

إن صاحب ذكرى ربيع الأول ، صلوات الله وسلامه عليه ، يبرأ من نظام الذئاب الذي
 كننا مندفعين فيه . وإن الله عز وجل ، الذي بعث محمداً ﷺ بالحق المحض والخير من حيث
 هو خير ، كان ساخطاً على نظامنا وأخلاقنا وكل ما كننا فيه ، ولذلك لما اصطدمت دولنا
 السبع بحفنة من بني إسرائيل ، في بقعة ضيقة من الأرض ، قد تكون أصغر دولنا وهي شرق
 الأردن أوسع منها وأعظم ، انتهينا معهم إلى النتيجة التي رأيناها ورآها الناس . وقد يعتذر
 بعضنا بأن الحفنة من بني إسرائيل التي اصطدمنا بها ، كانت مؤيدة بآخرين من ورائها ؛
 ولو فكروا ، لجسكوا بأن تأييد الغير لها حجة على أن ما كننا فيه ، كان شراً مما كانت هي فيه ،
 ولذلك نالت من تأييد الآخرين ما لم نستطع أن نناله .

هذه إشارة خاطفة إلى النظام الذي كننا عليه إلى ما قبل أربعة أشهر ، وإلى النظام
 الإسرائيلي الشائع الآن في أوروبا وأمريكا . وإن الدنيا اليوم على أبواب حرب عالمية ثالثة ،
 تهيأت أسبابها كاملة من اليوم الذي انتهت فيه الحرب العالمية الثانية ، ولا يمنع ذوى الشأن
 فيها عن إيقاد نارها ، إلا الاوجاع والاصاب التي تحسها شعوبهم من جراحات الحربين
 الماضيتين ، وأمل كل فريق من الفريقين أن يكون الوقت من أسلحتهم ليزيدوا فيه أسلحتهم ،
 فيتقدموا للحرب الثالثة بعدة أكمل ، واختراعات يمتازون بها على الآخرين . وسواء وقعت
 الحرب المنتظرة في السنة القادمة أو بعد سنوات ، فإنها آتية على كل حال ، وكل آت قريب .
 ومتى اندلع لهبها ، فإنها لا تنتهي إلا بتحطيم المنتصر وسحق المنكسر ، ويوميذ تكون الدنيا أمام
 أحد النظامين : الالتجاء من جديد إلى النظام المحمدي ، وفي ذلك نجاة الإنسانية كلها ،

أو استعمار الغرب ومقلديه في المضي مع النظام الإسرائيلي ، استعداداً لحرب عالمية رابعة ، ولو بعد عشرات السنين . وقد عرفنا النظام الإسرائيلي إجمالاً على قدر ما تحتمله إشارة خاطفة في مقال . ولكن ما هو النظام المحمدي ؟ هذا ما أردت تذكير المسلمين به في ذكرى صاحب هذه الذكرى السنوية ، صلوات الله وسلامه عليه .

إن النظام المحمدي ينظر إلى الحق من حيث هو حق ، خالصاً من كل ما قد يشوبه أو يخالفه ، وإلى الخير من حيث هو خير ، مجرداً من كل طارئ عليه . وإذا كان النظام الإسرائيلي المعمول به الآن في الغرب قائماً على مبدأ المنفعة المتقابلة ، فإن النظام الإسلامي قائم على مبدأ الإيثار المتقابل . فالشريك في النظام الإسرائيلي يحرص كل منهما على نصيبه كاملاً لا يتسامح في دائق منه ، فإذا كان نصيبه خمسين في المائة استوفاهما بخدافيرها . وفي النظام المحمدي يوطن كل من الشريكين نفسه على الرضا بالتسعة والأربعين من الخمسين ليرى ذمته من شبهة الحيف أو الحرام ، ولتطيب نفس شريكه بهذه القسمة فتدوم المحبة بينهما ، وتوسع دائرة التعاون ، فتشيع البركة في عملهما . ومن الأمثلة على ما بين النظامين من فروق ، أن الدولة إذا سنت قانوناً لأجور المساكن في حالة الحرب — مثلاً — فمنعت من زيادتها على ما كانت عليه قبل الحرب ، على اعتبار أن أصحاب العقار أوسع حالاً وأغنى عن الفضول من مستأجرها ، فإذا كان في مالكي العقار أسرة فقيرة ، لا مورد لها تعيش منه إلا أجرة عقارها ، ثم ارتفعت تكاليف الحياة بسبب الحرب فإن مستأجر عقارها إذا كان أوسع حالاً من تلك الأسرة وكان من العاملين بالنظام الإسرائيلي ، فإنه يصر على الاستفادة من قانون منع الزيادة في أجور المساكن ، ويحرم تلك الأسرة الفقيرة صاحبة العقار من زيادة الأجرة التي كانت ستحصل عليها لولا ذلك القانون ، ولا يعذبه ضميره عند ما يراها تتضور من ألم الحاجة . أما إذا كان من العاملين بالنظام المحمدي فإنه لا يتقيد بما أباحه له قانون منع الزيادة في أجور المساكن ، فيلاحظ أن الحكمة في هذا القانون أن يحتمل الغنى بعض أعباء الذين هم أقل منه غنى ، فيطبق هذه القاعدة مع مالكي العقار الذي يسكنه ويزيدهم في الأجر بنسبة الزيادة في الغلاء بسبب الحرب متجاوزاً عن الامتياز الممنوح له من قانون منع الزيادة في أجور المساكن .

إن جميع أنظمة الغرب التي كان لليهود لإصبع في وضعها أو في تعديلها أو في تفسيرها ونشرها ، قد وضعت إما لمصلحة أصحاب رموس الاموال ، أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير ، أو لزويج نزع من النزعات التي يرتاح إليها فريق ويستخطها آخرون .

أما النظام المحمدى فإنه فى جميع تفاصيله منتزع من ينبوع العدالة المحضة الخالصة ، ومتمشٍ مع نسمات الرحمة ونفحات الرضا ، واعتبار أن القليل الذى يضحى به الإنسان لخير الإنسانية أو بعض بذها يعوض عنه بالكثير مما عند الله فى عالم الغيب أو فى حياة الخلود . ونحن نصف هنا من هذا النظام ملامحه وقسمات وجهه ووميض جماله ، أما تفاصيل شمائله وبيان جميع نواحيه حتى يكون معلوما كله ، فهذا يحتاج فى بيانه إلى المجلدات ، ولن نترجم عنه تلك المجلدات أبداً ، بدليل أنه لما أطل على الدنيا فى خارج جزيرة العرب عندما مشى الصحابة إلى مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا ، ثم مشى بعدهم التابعون لهم بإحسان إلى الأندلس وصقلية وجنوب فرنسا وبعض البلاد الإيطالية فى الجناح الغربى ، وإلى ما وراء إيران إلى السند والأفغان والقفقاس حتى بخارى وخيوة وسمرقند وما بعدهن فى الجناح الشرقى ، لم يحملوا معهم تلك المجلدات إلى الناس مفصلاً فيها النظام المحمدى ، بل اكتفوا بأن ترجوا عنها بأخلاقهم ومعاملتهم للناس ، ففهمها الناس من طريق أبصارهم لا من طريق أسماعهم ، فكان انتشار هذا النظام بالقُدوة والأسوة ، كما تعلمه الصحابة بالقُدوة والأسوة من معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه .

والآن وقد نسخ الله نظام الذناب فى مصر ، ومسح أبطاله وتجاره وصيارفته . وحطم حصونه ومعاقله على رؤوسهم ، فقد آن لمصر أن ترجع إلى نظامها المحمدى ، وأن تبدأ بذلك من المنزل ، فيتعامل به الأب مع بنيه والام مع فلذات كبدها والاخ مع إخوته والجار مع جيرانه والأقارب مع ذوى قرابتهم ، والموظف مع الذين لهم عنده مصالح من مواطنيه ، والشريك مع شريكه ، والبائع مع زبائنه ، ومستأجر الأرض مع مالكها ، حتى إذا شاعت أساليب النظام المحمدى فيما بين الناس بمقياس واسع كانت النتيجة الطبيعية المحتمة أن يكون لها أثرها فيما تجدده الدولة من أنظمتها . والسنة الإلهية التى يقررها الاسلام هى أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، والاسلام هو الذى قرر هذه الحقيقة السياسية : كما تكونوا يولى عليكم ، وقد يحسن الله إلى الأمة بالحكم الصالح والنعمة الطارئة فيكون ذلك منه لها على سبيل الامتحان ، فإن تجاوب صلاحها مع صلاح الحكم دام وتقدم ونما ، وإن لم يتجاوب صلاحها مع صلاحه ، فإنها لا تأمن أن يسأبها الله النعمة إلى أن تستحقها بسيرتها وعملها . وإذا كانت الدنيا قد تغيرت نظرتها لمصر بما صنمه محمد نجيب وأصحابه رضى الله عنهم فى مدة قصيرة من الزمن ، فإن الدنيا ستغيظنا ، وستحاول الأخذ بنظامنا المحمدى ، يوم ترانا نعمل به ويظهر لها أثره فى محبة بعضنا لبعض ، ومودة بعضنا لبعض ،

وتعاون بعضنا مع بعض ، على كل ما يرضى الله عز وجل من صنوف البر ووجوه التقوى .
 إن مصرنا هذه — وأقطار كثيرة غيرها — لم تكن بلاداً إسلامية قبل أن يترجم
 الصحابة نظامهم المحمدى للناس بأعمالهم ومعاملاتهم ، فلما ترجموه لهم بأعمالهم الصالحة
 ومعاملاتهم المستقيمة وأخلاقهم الرضية ونفوسهم المتواضعة الرحيمة ، فهمه المصريون
 وغيرهم في عشرات قليلة جداً من السنين وارتضوا هذا النظام مسرورين مغتبطين ، لا فيما
 يتناوله سلطان الدولة ، فهذا كان ما ضياء فيهم على كل حال ، ولكن فيما لاسلطان للدولة عليه
 في داخل البيوت وبين الزوج وزوجه والآب وبنيه والشريك مع شريكه والجار مع جيرانه
 وسائر الناس مع جميع الناس .

كان يقال فيما ساف من عصورنا الطيبة : أن كذبة المنبر بلقاء مشهورة ، أى أن الخطيب
 لا يكذب وهو على رموس الأشهاد من أعواد المنبر ، لأن الكذب في هذا المقام لا يلبث
 أن يشهر بين الناس ويفتضح أمره . والصحافة اليوم أوسع نطاقاً من صدى الصوت يرسله
 الخطيب من المنبر ، لأنها تهم البلاد وتسير في البر والبحر والجو . ولما أرسلها كلمة صادقة
 إن شاء الله من هذه الصحيفة المباركة التي تصدر عن أقدم معاهد العلم في الإسلام ، فأقول
 لإخواني المسلمين : إن العالم كله على استعداد الآن ليسير في العشرات القليلة الآتية من السنين
 إما وراء نظام بنى إسحاق وهم اليهود ، فينغمس في الشرور التي يتخبط فيها اليوم ، أو وراء
 نظام سيد بنى إسماعيل — أعنى النظام المحمدى — فينتشل الإنسانية من الوهدة التي هي
 ساقطة فيها ، وحينئذ تنفس الصعداء من الختل والغدر والرياء والشر . ولكن هذا لن يكون
 أبداً إلا إذا أسلم المسلمون ، ورجعوا إلى نظامهم المحمدى في أخلاقهم ومعاملاتهم ، وفي بيوتهم
 وأسواقهم ، قبل حكومتهم ومحاكمهم . فإذا فعلوا فإني لا أقتصر في بشارتي لهم على أن مصر
 ستعمل بالنظام المحمدى ، بل أدعى — واتحدى الدنيا فيما أدعيه — بأن الدنيا كلها ستعرف
 محمداً وستتخذة إماماً لها وستعمل بنظامه ، لأنها لا نجاة لها مما هي فيه إلا به . أما إذا أصر
 المسلمون على أن يبقوا مسلمين بشهادة الميلاد ، وعلى أن يتكلموا بالإسلام ولا يعملوا به ،
 فإنهم سيبدون بإثمهم وإثم الإنسانية كلها ، وسيلقون الله وهم حاملون هذه الأوزار على
 ظهورهم ، فيحاسبون عليها حساباً عسيراً .

أيها المسلمون ، ضعوا أنفسكم حيث شئتم ، وقد يما قيل : المرء حيث يضع نفسه ، .

حُبِّ الدِّينِ الْخَطِيبُ

مَوْهَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ السِّيَاسِيَّةُ

لا يكاد التاريخ يعرف رجلاً جملة الله بالكلمات البشرية مثل ما عرف ذلك لنبينا محمد ﷺ ، ولا رجلاً تجمعت في سيرته العبقريّة من جميع نواحيها مثل ما عرف ذلك له . وجوانب العظمة في السيرة المحمدية مشرقة خصبة ، تستولى على القلوب بإشراقها ، وعلى العقول بقوتها وخصوبتها . وما السيرة المحمدية إلا كستان حافل بشق الثمار الشهيّة ، والازاهير الشذية ، لا يكاد الإنسان يهم بقطف ثمرة أو زهرة حتى تنازعه نفسه إلى الأخرى ، ولا يزال في حيرة من أمره حتى يقطف أدناها إليه وأيسرها عليه .

هكذا كان شأنى حينما هممت أن أكتب في ناحية من نواحي العظمة المحمدية ، فقد تسهل لى أن أكتب في عبقرية من عبقرياته ، ألا وهى سياسته الرشيدة الحكيمة التى أخذ بها نفسه وساس بها الناس جميعاً . هذه السياسة التى مبعثها الرحمة والرفق ، ومرماها النظر البعيد العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع الناس والنفوس البشرية وغرائزها وانفعالاتها ، وصدق الله ، فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ، وإن لإنساناً ، بكل ما فى الكلمة من معانى الإنسانية ، اختاره الله من خيار البشر ، وتعهده بالرعاية والعناية من يوم ميلاد إلى وفاته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، واملأ قلبه بإشراقات الوحي وفيوضاته ، لجدير بهذه السياسة النبوية الرشيدة . وقد تجلّت باكورة هذه السياسة الحكيمة يوم أن بنت قریش السكعبة المشرفة من حر مالها وأطهره ، حتى وصلوا إلى موضع الحجر الأسود ، واختلفت القبائل فيمن يكون الواضع له ، وتحركت العصية ونعرة الجاهلية ، وكادت نيران الحرب تشتعل فتأكل الأخضر واليابس ، لولا أن تداركهم رحمة الله ، فاتفقوا على أن يحكوا أول داخل من باب بنى شيبه . وشخصت الأبصار ، وتطاولت الاعناق ليرى من الداخل ! فإذا به أمينهم محمد بن عبد الله ، فارتضوه حكاماً . ورأى السيد الأمين الشرر يتطاير من العيون والأيدى تكاد تأخذ بالسيوف ، فتفتح عقله الكبير عن هذه السياسة الفائقة التى وأدت الفتنة وهى فى مهدها ، فبسط ثوبه ووضع عليه الحجر ، ثم دعا رؤساء القبائل وقال : ليأخذ كل رئيس بطرفه ، حتى استروا به إلى حيث يوضع ، فأخذه ووضعوه موضعه . وبذلك وقاهم شر فتنة لا يعلم مداها إلا الله .

ومن مظاهر هذه السياسة الحازمة ما حدث في بيعة العقبة الثانية ، فقد دبرت تحت جنح الليل ، وأشار عليهم النبي بالتسكتم الشديد ، حتى لا يفسد أعداؤهم عليهم الخطة ، وكان مما قاله في هذه الليلة ، ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عينا ، وكان لهذه البيعة آثارها البعيدة في انتشار الإسلام في المدينة ، وبالتالي في تسهيل الهجرة إلى المدينة . ولما هاجر النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، وأصحابه إلى المدينة فمل أمراً عجيباً ، ذلك أنه آخى بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين ، وكانت هذه الاخوة الدينية بمنزلة الاخوة في النسب : بها يتناصرون ويتوارثون ، حتى انتشر الإسلام وكثر المسلمون ، فجعل الله الإرث بالقرابة حيث قال : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » ، وكان عمله هذا سياسة بارعة موفقة في توثيق عرى الاخوة والمحبة بين المهاجرين والأنصار ، فيتعاونون ويتراحمون ، ويصيرون قوة لا يستهان بها أمام أعدائهم المجاورين لهم من اليهود .

وإن شئت أن تعرف أروع من ذلك في باب السياسة المحمدية البصيرة ، فهناك ما حدث في غزوة بني المصطلق :

بينما الناس على ماء يسمون ، إذ اقتتل أجير للفاروق عمر بن الخطاب مع رجل جهني حليف للأنصار ، واستصر الجهني بالأنصار ، والاجير بالمهاجرين ، وكادت تقع فتنة أراد أن يشعلها « ابن أبي » ، المنافق ، فقال وعنده زيد بن أرقم « غلام يافع » : « أوقد فعلوها ! قد كثرونا ونافرونا في بلادنا ، ماملنا معهم إلا كما قال الأول « سمن كلبك يأكلك » ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فنقل ابن أرقم مقالة ابن أبي إلى النبي ﷺ فقال عمر : « مر به يا رسول الله من يقتله » فقال السيد الحكيم : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن أذن بالرحيل ،

فرحل رسول الله بالجيش في وقت لم يكن يرحل فيه ، فسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى وليلهم حتى أصبح . وصدر يومهم التالي حتى آذنت الشمس ، فنزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً ، وكان غرض النبي ﷺ أن يشغلهم بالسير عن الحديث فيما وقع ، وبذلك وقى المسلمين من فتنة وخيمة العواقب ، ولما علم عبد الله ابنه (١)

(١) عبد الله بن أبي « ابن سلول » ، كان رأس المنافقين . وعبد الله بن عبد الله بن أبي كان من خيار المسلمين فكان على بيعة من ذلك حتى لا يلتبس الأمر .

- وكان من خيار المسلمين - بما قال أبوه ، جاء إلى النبي وقال : إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي قيس بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمري وأنا آتيك برأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أبر بوالده مني ، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . ترى ماذا يكون جواب النبي ؟ لقد كان : جواب الحكيم الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ، الخبير بطبائع البشر ، فقال ﷺ : « بل نترقب به ونحسن صحبته ما دام معنا » . ولقد كان لهذه السياسة أثرها البعيد فصار ابن أبي المنافق كلما أحدث حدثاً أقبل عليه قومه وأهله يعاتبونه ويعنفونه ويأخذونه بما صنع . وقد أراد النبي ﷺ أن يبين لعمر ، رضى الله عنه ، عمق سياسته المتبعة فقال : « كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قتل لي ، لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، فقال عمر وهو الملمم المحدث : والله لقد علمت ، لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى » .

ولما قسم النبي ﷺ غنائم هوازن ، التي أفاء الله بها عليهم من حنين ، أعطى المهاجرين والمؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار ، فوجدوا في أنفسهم أن يعطى رسول الله المؤلفة ولا يعطيه . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ جمعهم ووقف بينهم خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى . ثم قال رسول الله : ألا تجيبون يا معشر الأنصار ، قالوا : وما نقول يا رسول الله ، المن لله ولرسوله . قال : والله لو شئتم لقتلتم وصدقم جئتنا طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وغائلاً فأمناك ، ومخذولاً فنصرناك . فقالوا : المن لله ولرسوله . فقال رسول الله ﷺ : أوجدتم في أنفسكم - يا معشر الأنصار - في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلوا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله رباً وبرسوله قسماً . ثم انصرفوا بعد ما تلجت صدورهم ورضيت نفوسهم . فهل سمعت في باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البليغة الجامعة بين الحق والصراحة والرفقة والاستعطاف ، وهي مع ذلك لا التواء فيها ولا وعود كاذبة ولا إنكار للجميل ، كما يفعل دهاقين السياسة في هذا العصر .

وهل سمعت في تهدئة النفوس الثائرة مثل هذه الكلمات الرقاق الصادقة ، التي تضرب على أوتار القلوب وتمز المشاعر وتستولى على الوجدان ؟ وأي سياسي - مهما سميت منزلته - يصل به التواضع إلى تقرير الحقيقة التي فيها هضم النفس ، والإقرار بالفضل لتابعيه ، بهذه الصراحة التي لا تملق فيها ولا مداينة ؟

ألا إن هذه السياسة الحكيمة المؤيدة من الله ، لن تكون إلا من ، مثل سيدنا محمد ، الذي وهبه الله عقلاً كبيراً ، وقابلاً رحيماً ، وخلقاً رحيماً ، وفطرة سليمة تسمو عن النظير .

هذا قل من كثير ، مما زخرت به السيرة المحمدية من ألوان السياسة العبدية . وقد كان خريج هذه السياسة المحمدية الرشيدة : السادة البهاليل أبو بكر وعمر وعلي وخالد وأبو عبيدة والمقداد وأضرابهم من دهاة الحروب وأساطين السياسة ، الذين رفعوا شأن الإسلام ووسعوا رقعة وتركوا ذكراً عاطراً ، لا تزال الدنيا تردده بالإعجاب والإكبار .

محمد محمد أبو سهر

المدرس بكلية أصول الدين

صناعات أبناء الملوك

روى أبو عمر بن عبد البر في (بهجة المجالس) أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لابنيه : يا بني ، لو عداكم ما أنتم فيه ، ما كنتم تقبلون عليه ؟ .

فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب . وقال سليمان : وأما أنا فكاتب سلطان .

فقال يزيد : فأنت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تركاً حظاً لمختار .

فقال عبد الملك : فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم . قالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرغبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول في حملة الدهماء والرعية .

فقال : عليكم إذن بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سدتكم ، وإن كنتم وسطاً رأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتكم .

في الفتنة الإسلامية

نشأته - خصائصه

١ - نذكر الآن ، بعد ما عرفنا في الكلمة السابقة ، أن الصحابة كانوا يختلفون أحياناً في مسائل الفقه التي لم يرد فيها نص من الكتاب أو السنة ، وإليك بعض المُمثِّل لهذا الاختلاف :

(١) كان الصديق ، رضي الله عنه ، يُسوِّى في خلافته بين المسلمين في أعطياتهم ، فلما ذُكر له أن الخير في التفضيل تبعاً للسابقة في الإسلام والقدم في الجهاد ، رد بأنه من أعرف المسلمين بذلك ، ولكنه يدع هذا لله يثيب عليه ، وأما الاعطيات ، فهي للبعاش فالأُسوة فيها خير من الأثرة .

فلما صارت الخلافة للفاروق وجاءت الفتوح بمال كثير ، رأى غير ذلك الرأى ، فلم يُسوِّ بين من قاتل رسول الله وبين من قاتل معه ، وكان من كلامه في هذا : « ما أبا فيه [أى في المال] إلا كأحدكم ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسمنا من رسول الله ﷺ ، فالرجل وتلاذه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته في الإسلام ، ، وهكذا ، فضل البعض على البعض في العطاء تبعاً للأصل الذى ارتضاه ^(١) .

(ب) وأكبر من هذا الخلاف أثراً في بناء الدولة ، اختلاف عمر أيضاً وغيره من الصحابة في قسمة الأرض التي افتتحها المسلمون في العراق وغيره ، أو تركها بين أصحابها على أن يوضع عليهم الخراج ليكون مُعْدَّة للمسلمين طول الزمن ، وكان من رأى عمر رضي الله عنه عدم قسمة الأرض ، ومن رأى آخرين من الصحابة قسمتها بين الفاتحين ، وكل فريق يجد له سنداً من القرآن ، مما جاء من ذلك في سورة الأنفال وسورة الخشر .

وكان من كلام الفاروق في ذلك : « كيف بمن يأتى من المسلمين فيجد الأرض قد قسمت

(١) [علام الموقنين لابن القيم ، ج ١ : ١٨٢ ، تاريخ التشريع للرحوم الشيخ النضرى ، ص ١٢٦

وَوُثِرَتْ عَنْ الْآبَاءِ ، مَا هَذَا وَاللَّهُ بَرَأى ، إِنْ كَانَ مِمَّا أَثَرَتْ عَنْهُ : أَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الثُّغُورَ ، لَا بَدَ لَهَا مِنْ رِجَالٍ يُلْزَمُونَهَا : أَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الْمَدَنَ الْعِظَامَ ، لَا بَدَ لَهَا أَنْ تَشْحَنَ بِالْجِيُوشِ ؛ فَنَ أَيْنَ يُعْطَسَى هَؤُلَاءِ إِذَا قَسَمَتِ الْأَرْضَ وَالْعُلُوجَ ؛ وَلَمْ يَرْضِ الْفَارُوقُ أَنْ يَسْتَبْدَ بِرَأْيِهِ ، بَلْ تَرَكَ الْخِلَافَ لِعَشْرَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْكُمُونَ فِيهِ ، فَخُكُّوا بِأَنَّ الرَّأْيَ الْحَقُّ رَأْيُهُ ، وَاطْمَأَنَّ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً هَذَا الْحُكْمَ وَرَضُوا بِهِ ، وَكَانَ هَذَا إلهَاماً مِنَ اللَّهِ ، وَتَوْفِيقاً لِلْخَيْرِ الْعَامِّ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ مِنَ الزَّمَانِ .

(ج) وَمِنَ الْخِلَافَاتِ فِي بَابِ الطَّلَاقِ ، مَا كَانَ مِنْ عَمَرٍ حِينَ جَعَلَ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ثَلَاثًا حَقًّا ، بِهِ تَبَيَّنَ الزَّوْجَةُ يَبْنُونَهُ كَبْرَى ، مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ جَرَى طَوْلَ عَهْدِ الصَّدِيقِ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عَمَرٍ نَفْسَهُ عَلَى اعْتِبَارِ ذَلِكَ طَلْفَةً وَاحِدَةً رَجْعِيَّةً ، لَكِنَّ الْفَارُوقَ قَالَ فِي هَذَا : إِنْ النَّاسُ قَدْ اسْتَعْمَلُوا فِي أَمْرٍ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَمَانَةٌ ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ ! فَسَكَنَ أَنْ أَمْضَاهُ - قَمَّا عَلَيْهِمْ ، عَقُوبَةً عَلَى إِسْرَاعِهِمْ فِي الطَّلَاقِ . وَهُوَ أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ ، وَهَنَا نَجْدٌ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ يَخَالِفُونَهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُ وَاحِدَةٌ ، وَمِنْهُمْ عَلِيٌّ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ^(١) . وَنَحْنُ الْآنَ نَعْرِفُ أَنَّ الْأَمْرَ جَرَى بَعْدَ عَهْدِ عَمَرٍ عَلَى رَأْيِهِ ، حَتَّى صَدَرَ أَخِيرًا فِي مِصْرَ قَانُونٌ لِلْحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ يَجْعَلُ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ بِإِقْطَاعِ وَاحِدٍ طَلْفَةً وَاحِدَةً ، عِلَاجًا لِمَشْكَلَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ ، بَعْدَ أَنَّ طَرِيقَ السَّيْلِ فِي اسْتِهَالِ الطَّلَاقِ بِسَبَبٍ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ .

٢ — وَبَعْدَ كِبَارِ الصَّحَابَةِ طَوَالَ عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، تَجَيَّدَ فِتْرَةً صَغَارِ الصَّحَابَةِ وَكِبَارِ التَّابِعِينَ ، وَتَبَدَّأَ هَذِهِ الْفِتْرَةُ بِعَامِ ٤١ هـ الَّذِي آلَتْ فِيهِ الْخِلَافَةُ إِلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَتَنَتَّهَتْ بَعْدَ الْمِائَةِ الْأُولَى بِقَلِيلٍ . وَقَدْ تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْفِتْرَةُ مِنْ حَيَاةِ الْفَقْهِ بِأُمُورٍ :

(أ) فِرْقَةُ الْمُسْلِمِينَ سِيَاسِيًّا إِلَى خَوَارِجٍ وَشِيعَةٍ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَكَانَ لِذَلِكَ أَثَرُهُ الْكَبِيرُ فِي الْفَقْهِ بِلَا رَيْبٍ . فَإِنَّ الْخَوَارِجَ ، وَكَذَلِكَ الشَّيْعَةَ ، لَمْ يَكُونُوا يَعْتَمِدُونَ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِلَّا مَا رَوَاهُ رِجَالُهُمْ ، عَلَى حِينٍ كَانَ يَعْتَمِدُ جَمْعُورُ الْمُسْلِمِينَ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ، وَإِنْ دَخَلَ فِي أَسَانِيدِهَا بَعْضُ رِجَالِ الْفِرْقِ الْآخَرَى .

(ب) انْتِشَارُ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقُرَّاءِ وَأَهْلِ الْبَصَرِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآرَاءِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ وَالْفَقْهِ عِدَدٌ

(١) إِيْلَامُ الْمَوْتَمِينَ ، ٣ : ٢٤ وَمَا بَعْدَهَا .

كثير . وطبيعى أن يصح من الاحاديث عند البعض مالا يصح عند آخرين ، وذلك لعوامل مختلفة ليس هنا موضع بيانها .

(ح) كثرة الآراء الفقهية والفتاوى في الوقعات والحوادث المختلفة التى تتطلب احكاما لها ، وبخاصة وقد وجد المسلمون أنفسهم في بلاد لها عادات وتقاليد وأعراف غير ما كانوا يعرفون في الحجاز والبلاد العربية الاصلية ، وكل ذلك يستدعى أن تحدث أفضية وفتاوى للعقل فيها مجال كبير بجانب تلك العادات والأعراف .

(د) وربما كان الشك في كثير من الاحاديث في هذه الفترة ، سبباً لظهور رأى ، أو القياس في الفقه . فإن كثير آمن الورعين ، العلماء بالكتاب والسنة ، حين رأوا شيوع التحديث عن الرسول والكذب عليه أحياناً ، لجأوا في معرفة الاحكام الشرعية إلى اجتهادهم الخاص في فهم القرآن والثابت صحته لديهم من الحديث ، فكثرت لهذا السبب أيضاً الخلاف في الاحكام والفتاوى في الامر الواحد . وهذا كله ، فضلاً عما كان للخوارج والشيعة من آراء وفتاوى خاصة تتبع مذهبهم في الفقه وأصوله .

(هـ) ظهور نزعتين في الفقه والتشريع : نزعة أهل الحديث ، ونزعة أهل الرأى والقياس . وقد ظهر تبعاً لذلك ، مقتون من كل من الطائفتين . وقد كان جبهة أهل الحديث بالحجاز ، وجبهة أهل الرأى والقياس بالعراق ، ولا عجب في ذلك . فإن الحجاز مهد السنة وموطن الصحابة الأولين ، والعراق بلد جديد في الإسلام وبعيد عن موطن السنة ورجالها .

وكان لسكل طائفة رئيس هو حامل لوائها ، فريس أهل الحديث كان أولاً سعيد بن المسيب المتوفى عام ٩٣ هـ ، وزعيم أهل القياس إبراهيم بن يزيد النخعي^(١) شيخ حماد بن أبى سليمان الذى يعتبر شيخ أبى حنيفة ، وقد توفى عام ٩٦ هـ .

وقد تفرع فيما بعد ، أصحاب الحديث من الفقهاء إلى مالكية وشافعية وحنابلة ، كما كان منهم الظاهرية أتباع داود بن على ، ثم ابن حزم ، الذين يتمسكون بالظاهر من القرآن والحديث ، ومن يتبع كتب الفقه يرى بوضوح كثرة الاختلافات بين أهل الحديث وأهل الرأى

(١) نسبة إلى قبيلة كبيرة من مذبح بالنين ، واجع ابن خلكان في كتابه وفیات الاعيان ١ : ٤

والقياس تبعاً لاختلافهم في الأصل الذى يرجع إليه كل من الطائفتين في الفقه ، ولكل وجهة هو موليا^(١) .

٣ — جاء بعد هذه الفترة فترة أخرى تعتبر أطول أودار الفقه عمراً ، وهو دور النضج والكمال ، وقد بدأ هذا الدور في أوائل القرن الثانى واستمر إلى منتصف الرابع ، وفيه بدأ تدوين الفقه ومذاهب الفقه ، وفيه ظهرت المذاهب الكبرى التى لا تزال بحمد الله معروفة ومتبعة في العالم الإسلامى إلى اليوم ، نعى مذاهب : أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل ، رضوان الله عليهم جميعاً . ولهذا الدور من حياة الفقه خصائصه التى تميزه عن الأدوار الأخرى ، وهى :

(١) قيام الدولة العباسية الذى يعتبر حدثاً ملحوظاً في حياة الفقه والتشريع ، لأنها دولة قامت باسم الدين ، فلا عجب أن يكون لرجالها رعاية ملحوظة بالحياة الدينية بعامة ، وبالفقه والفقهاء بخاصة ، ولا سيما وقد كان من همهم أن تقوم الدولة على قانون مستمد من صميم الفقه الإسلامى .

ومن مظاهر العناية الطيبة بالفقه والفقهاء في هذه المرحلة ، ما نعرفه من إجلال الخلفاء العباسيين لرجال الفقه ، وفي هذا نجد الإمام مالك بن أنس يوجه للرشد رسالة قوية ، يذكره فيها بما يجب عليه الله وللمسلمين ، كما نجد هذا الخليفة يرسل إليه ابنه الأمين والمأمون ليسمعا منه بالمسجد حديث الرسول ، مع عامة المسلمين^(٢) .

ومن ذلك أيضاً ، نجد الرشيد نفسه يطلب من الإمام أبى يوسف أن يضع له كتاباً يستشهد به في إدارة الدولة ، فيكتب له كتاب الخراج ، المعروف ، وفي مقدمة هذا الكتاب يقول لأقوى سلطان في عصره : « فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ... ولا تزغ فتزغ رعيتك ، وإياك والأمر بالهوى ، والاختذ بالغضب »^(٣) ، إلى آخر ما قال .

لا عجب إذاً ، أن يجد الفقه في هذه الفترة الطيبة من حياته ، تربة صالحة للنمو والكمال ، ويكون من ذلك نشر سنة الرسول وظهور كبار المجاميع فيها ، وكثرة ما زخرت به كتب

١ — راجع أعلام الموقعين ١ : وما بعدها من طبعة منير ، فقد صور ابن القيم النزاع بين هاتين المدرستين بصورة كبيرة ، وأورد حجج الفريقين وكثيراً من مواضع الخلاف .

٢ — مفتاح السعادة ، ٢ : ٨٦ .

(٣) كتاب الخراج ، ص ٢ - ٣ من طبعة بولاق .

الفقه من الأحكام والتفريعات العملية ، وتدوين ذلك كله في مؤلفات رويت عن الأئمة أنفسهم وكبار أصحابهم وتلاميذهم .

(ب) قوة الحركة العلمية واشتدادها لعوامل عديدة ، وكان من أهم هذه العوامل ترجمة العلوم والفلسفة اليونانية للعربية ، فضلاً عما نقل من تراث فارس والروم ، وكان من ضمن ما نقل للعربية ، منطق أرسطو ، والمنطق — كما تعرف — يعين على الوصول للجهول بطريق القياس .

(ج) وقد كان من كثرة الحديث عن الرسول ، والشك في الكثير منه ، أن وجدت طائفة حمقاء رفضت السنة جميعها ، أى رفضت الأخذ بها في الأحكام الفقهية ، زاعمين أن في القرآن غنية عنها ، ما دام قد نزل دليلاً لكل شيء . والإمام الشافعى يذكر لنا أقوال هذه الطائفة وما تحتج به لما ذهبت إليه ، ثم يحاجهم ويبين ضلال ما ذهبوا إليه ، وذلك في كلام قيم يجب الرجوع إليه ^(١) .

على أن هذا رأى البين بطلانه ، كان لا بد أن يخفى بفضل رجال الحديث والفقه ، الذين يرون بحق أن السنة أصل أصيل للفقه بعد القرآن ، وإلا فيم تكون رسالة الرسول إن لم تكن لبيان ما نزل إليه من الكتاب وبخاصة وقد عنى بعض أعلام المسلمين من رجال الحديث أنفسهم بالفحص عن الأحاديث وبيان صحيحها من غيره ، ثم دونوا ما صح عندهم في مجاميع هى مراجع أساسية للمسلمين جميعاً في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية .

كل هذه الخصائص جعلت هذا الدور هو دور ازدهار الفقه والسنة ، ودور تدوين المذاهب المعروفة وتأليف الكتب القيمة في الفقه ، ثم تلا ذلك ، الدور الأخير وهو دور القيام على المذاهب المعروفة وتقليد أصحابها ، وهو دور لا يزال مستمرا حتى الآن ، وكان منه في أيامه الأولى - مع ذلك - ثروة فقهية كبيرة نعتد عليها حتى اليوم ؟

الحديث موصول

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

طوائف بهائية وبكتاشية - ثم جماعة التقريب

١ — أفصحت لجنة الفتوى بالازهر عن حكم الإسلام في البهائية ، بناء على ما قدم إليها من شأن هذا المذهب ، وكذلك أفصح فضيلة مفتي مصر - الشيخ حسين مخلوف - عن الحكم في طائفة البكتاشية ، بناء على ما استند إليه من التاريخ ومن الشريعة . وقد التقت الفتويان في شأن الطائفتين عند غاية واضحة ، وعرف من لم يكن يعرف ، أنهما على غير الحق الصراح ، مع فارق يدهما في العقيدة . فالبهائية - كما نرى إلى لجنة الفتوى - قائمة على نسخ الأديان السماوية السالفة كلها ، ثم هي حائرة بعد ذلك بين القول حيناً بألوهية زعيمها الأول ، والقول حيناً آخر بنبوة زعيمها الخلف .

ووسيلتها في الدعوة إلى مذهبها المتأرجح ، لا تخلو غالباً من الإباحة لأمور محظورة ، والتحلل من تكاليف مقطوع بثبوتها ، ونبد القيود السكاجحة عن الغواية .

ثم هي تسمى ذلك الباطل - ديناً - وتكسوه بهذه التسمية ثوباً رياتياً تخادع به البسطاء ، وثوب الرياء يشف عما تحته ، فإذا تكشف أمرهم سارعوا إلى القول بأنهم مؤمنون بكل شيء جاءت به الأديان ، غير أنهم يرون باب الفيض الإلهي لا يزال مفتوحاً .

وآخر ما قرأنا عن ذلك ما نشره سكرتير حزبهم في أهرام ٥ من نوفمبر الحالى سنة ١٩٥٢ ردّاً على فتوى اللجنة ، وإن زعمها هو فتوى فضيلة المفتي .

وهذا الرد مهما كان مخففاً وملئوا لا يفهم مما تهربوا منه ، إذ هم لا يرضون بالإسلام ، ولا يقرّون بما جاء به القرآن من أن محمداً ﷺ - خاتم النبيين .

ولا يزالون على ضلالهم ، في أن باب الفيض « الوحي » لا يزال مفتوحاً ، وأن النبوة - بعد أن كانت ألوهية - حاصلة لزعيمهم البهاء . وهكذا من خلطهم المصطنع . وفي هذا الزعم وحده ما يكفي لتصحيح القول بإلخاشهم في الكفر ، وإن اتصلوا بالمحاولات الهزيلة .

٢ — أما البكتاشية ، فشرذمة من أتباع الفاطميين ، الذين يمتنون إلى الإسلام ، غير أنهم - الفاطميين - انشقوا على الجماعة الأولى من عهد علي وخلافه مع معاوية ، رضى الله عنهما ، وقد كان تحزبهم ثغرة نفذ منها خصوم الإسلام الذين غاظمهم أن تكون له تلك الوحدة المتماسكة ، ولم يجدوا وسيلة إلى النيل من قوته أقرب إليهم من التظاهر بالتفاني في الحب ، وفي التشيع لآل البيت من ذرية علي خاصة .

وسواء أكان التشيع في أصله غير صادقة على بيت النبوة ، أم كان حقاً أريد به باطل ، فقد استتر به من يعينهم اقتلاع شجرة النبوة من أصلها ، واستطاعوا أن يفتحوا على الإسلام أبواب الفتنة ، وأن يشقوا وحدة المسلمين في ألوان شتى من المذاهب والنحل ، مما يفيض في استيعابه وبيان خطره أهل الذكر من المؤمنين والفقهاء .

ومهما يكن من تقدير الشيعة للتاريخ في قصصه عنهم ، فالذي لا شك فيه أن لهم طابعا دينيا خاصا بين جبهة المسلمين ، وأن لهم مسائل متباينة لا يختلف بعضها عن بعض كما يختلف مجتهد مع مجتهد في فهم واستدلال ، ومحاولة للوصول إلى الحق جهد المستطاع ، بل تختلف كما يختلف متعصب مسرف مع متعصب مسرف : كل يتهم غيره بالضللال والمروق ، ويزعم أنه وحده الملم من الله المشمول بالعناية الربانية الموروثة له عن إمامه وزعيمه الذي اختاره ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن نعلم أن الدين يدعو إلى الوحدة ، ويحرص على تكوين الشخصية المعنوية للأمة الإسلامية ، وينصح بأن شخصية الأمة لا تقوم على التفرق ، بل على التضامن والانسجام والآخى ، وعلى الرجوع والخضوع للقرآن والسنة ، في كل ما يجد من شأن خاص أو عام ، ويفسح للعقول مجال الفكر المتزن ، والاستمداد من دستور الإسلام ، في غير التواء ، ولا تسخير للقرآن ، وإخضاعه للزعات ، وإتباعه للبول ، حتى ليرغب الإسلام إلى أهله في التكتل ، والتضامن مع أهل الكتاب ، والتعاون معهم في الشؤون المدنية ، والارتباط بهم في المعاهدات ، والأنساب ، متى كانت ذلك الآخى الإنسانى في غير مساس بالثقائيد الإسلامية .

ومن ذلك - وهو جوهر النظام الإسلامى لبناء المجتمع الصالح - يتبين أن كل شاذ عن الجماعة ، وكل داع إلى نحلة تباين الأصل ولو قليلا ، وتشق المسلمين ، أو نفرا منهم ، يعتبر منتقضا على الدين في أساسه ، ونابذا لتوجيهاته ، وليس ينفعه أن يتحمل سببا أو أسبابا يأخذها في تبرير انحيازه .

ولئن كانت هناك طوائف بين هاتيك الطوائف ، ألين جانبا من غيرها وأقرب إلى تحاشي العصبية المسرفة ، فذلك على أى حال تصدع في صرح الإسلام ، ولولا أن لهذا الدين قوة ذاتية مستمدة من طبيعته وتعاليمه ، ونقاوته من الزيف ، ومطابقته للقطرة في اتجاهها الأصح ، لعصفت به تلك المنازعة بين الطوائف المنتمة إليه .

ولسكن ، مع أن دعوة السوء توطنت بين صفوف هؤلاء ، ومع أن الطائفية همست بها

في آذانهم قديماً ، ومع أن الإسلام خصوصاً سافرين يقاومونه ، ويدفعونه ما استطاعوا ، ظل الإسلام يحتمل التخاذل من المحسوبين عليه ، ويحتمل مدافعة المقاومين له ، لأن له مدداً من عند الله ، ولأن في أمته - والحمد لله - جمهرة عظمى أعتز بصلابتها في الحق ، وتنجها عن التشقق ، ورجوعها إلى صراطه المستقيم ، ووقوفها عند المورد العذب : من الكتاب والسنة ، والمأثور عن السلف من أصحاب محمد ، والناجين منهم من الأئمة المعتدلين ، وذلك سبيل المؤمنين ، وسيظل كذلك شأنهم مادام الحق ناهضاً في رعاية الله ، وما دام الباطل زهوقاً وإن تطاول زمنه . نحن لا نذكي الخصومة بهذا التعريض ، ولا نفخ في بوق الفتنة ، ولا نتحكم في جماعة أن تكون طوع جماعة ، ولكن نقول ببذ الجنوح إلى تزعيم زعيم ، والتذهب له بمذهب خاص ، ولا نرضى بالتشاغل عن المصدر الأول في التشريع الإسلامي ، والتفرغ للأشخاص ممن ننصبهم أئمة ، ونخلع عليهم من المدائح كل باطل ، حتى ندعم تلك الدعاوى المكذوبة بما ليس يثبت من الطرق الصحيحة ، بل ولا من الطرق المعقولة ، ولكنها العvisية المألوفة تعمى وتعم . وكلما قوى الأمل في نشاط العقلية الإسلامية ، نرى أشياء لتلك الخلافات يدأبون على نغمهم الأول ، ويتغنون بما طرب له قديماً الحانقون على الإسلام في وحدته وتماسكه وقوته .

٣ - هذا ، ولدينا اليوم في مصر مظهر لذلك : جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، نشط في تكوين هذه الجماعة شيخ شيعي « من النجف » ، يقيم في مصر لعهد قريب أو بعيد ، وقد استجاب لدعوته ثلة كريمة من رجالات مصر ، ولم يكن يسع مسلماً أن يتخلف عن تلبية الدعوة لتجديد وحدة المسلمين التي هتف بها القرآن أول ما هتف : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » . جذبتني هذه الدعوة ، فشرفت بالعضوية المتواضعة بين أولئك الأجداد ، فماذا أجدت جماعتنا ، وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟؟

نشطت في صدر عهدنا إلى تعاقب الاجتماعات ، فرة : للتعارف ، واختيار الرئيس ، والوكيل ، والسكرتير الخ . ومرة ثانية : لاستقبال ضيف شرقي مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب . وثالثة : لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية ، ومن بينها رسالة من النجف - مركز الشيعة - يطلب مرسلوها كلمة تأتي هناك في الذكرى المرسمة للإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ثم يقترح علينا في هذه الجلسة أن تطلب الجماعة إلى الأزهر تدريس الفقه

الشيعة إلى جانب مذاهب أهل السنة ، ويتوارى الافتراح في سرعة لأنه قبل أوانه ، كما همس بذلك من همس .

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود في مجلة تصدرها دار التقريب هذه ، وتسميها (رسالة الإسلام) .

وتعنى رسالة الإسلام هذه بنشر مقالات لاهل النجف ، يثون فيها آراءهم ومعارفهم ، وتلقينهم بيننا ، ولم يكن يتاح لهم ذلك لو لم تكن في مصر دار تقريب ، ورسالة إسلام ، وأنصار ينتفعون .

وكان بودنا أن تصدق النية ، وتسلم الوسائل من الريية حتى يكون تقريب بالمعنى الذى هرعنا إلى العمل على تحقيقه ، ولكن تبين من أمارات عدة ، أننا مسوقون إلى تأييد النجف في مواسمها ، وفي الجروح إلى مذهبها ، دون أن يتقدموا إلينا - ولو قليلا - نحو الغرض الذى زعموا ، بل ظهر أن التقريب في نظر القائلين على « رسالة الإسلام » أوسع مما فهمنا ، حتى أصبح تقريبا بين الإسلام نفسه وبين الأديان الأخرى بإسقاط الفوارق ، والنسوية بين الجميع في الحكم ، متى كان العمل الدينى طيباً (هكذا قرأنا لهم يوما ما ، من عهد قريب) .

رابنى هذا التلاعب في استغلال جماعة التقريب - وإن كان غيرى لا يزال حسن الظن بها ، وفاقياً فيها ، ورابنى - ويجب أن يرتاب معى كل عضو برى - أنها تنفق عن سخاء ، دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات تنفق على دار أنيقة ، بالزمالك في القاهرة فيها أثاث فاخر ، وفيها أدوات قيمة ، وتنفق على بجاتها ، فتكافى القائلين عليها ، وتكافى الكتاتين فيها ، وتتأنق في طبع أعدادها وتغليف ما يطبع ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مورد فياض . . فن أين ذلك ١٩٩١ وعلى حساب من ياترى ١٩٩١ !

ثم هل صحيح أن علماء النجف مستعدون للتلاقى مع غيرهم لتعود وحدة المسلمين ، أو يتحقق شيء من التقريب ؟ ؟

هل يمكنهم أن يحيدوا عن القول بأن لهم أئمة معدودين بائنى عشر - مثلاً - وأن هؤلاء هم وحدهم المهديون ، ومن بينهم الإمام المنتظر ، الختفى حيث يعلم الله وإلى أن يشاء الله ؟ ؟ . وهل هؤلاء الأئمة : من ظهر منهم ، ومن اختفى ، معصومون كعصمة الأنبياء : وإن لم يكونوا أنبياء ؟ ؟ .

وهل الوصية لعلى أمر معقول ، فضلا عن صحته واعتباره من أصول الدين ؟ وهل زواج المتعة قابل للنفاذ معهم فى صحته أو بطلانه وهم يستطيعونه وإن خالفوا ، وهل سب الصحابة والتسكير لاشيخاى الصحابة أمر يرتضيه أدب الإسلام ، ونسمح به تعاليم النبى ﷺ ويتفق مع ما صح عنه ﷺ من التنويه بفضلمهم ؟ ؟ أمور ليست جديدة ، والسكلام فيها ليس مستحدثا ، والامل فى تصحيحها لا مطمع فيه ، ولكن كلفت نفسى ذكرها ، وكلفت القارىء قراءتها ، لتحديد موقفنا من جماعة التقريب فيما هى توهمنا بالعمل على تذليله ، ثم هى فى الوقت نفسه تدب فى خطأها إلى الاخذ بها ، أو على الأقل هى تقود الناس إلى حيرة واضطراب بين ما يعرفون من طرق العلم الصحيحة ، وبين ما يقرعون لجماعة التقريب ، أو لغيرها من الجماعات المنبئة بأسماء مختلفة ؛ فى جهات متعددة .

وبعد ، فما وراءك يا عصام ؟ ؟

لقد أبى الازهر من أول أمره أن يكون وطنيا للتشيع ، وأبت مصر من قديم أن تكون صومعة تفرخ فيها النحل الباطلة كالبهائية ، والنحل المدخولة كالبكتاشية وما يشاكلها ، فما بالها تطمئن إلى تركيز دعوات الفرقة فيها على مقربة من الازهر ، ودو المهيمن على التوجيه الدينى ، وهو المرجع المأخوذ عنه فى اطمئنان ؟ ؟

أخشى أن يطول الزمن فيصلح للتقريب من الاثر ما أصبح للبكتاشية وأمثال البكتاشية وتجدد بيتنا دسائس دينية ، أو دسائس مذهبية ، كما تتحرك دسائس البهائية فى ظل السكوت عنها ، والتساهل فى شأنها ، والناس يحسون فى أطراف مصر بنشاط المركز البهائى بالقاهرة فى بث دعايته ، فإن يكن عذر مصر فيما مضى أنها لم تكن طليقة اليد فى تدبير أمرها ، وتطهير رقعتها ، بمن لا يتخرجون أن يحتموا بدول أخرى ، فعليها أن تدرك اليوم ما فاتها بالأمس ، ولتذكر مصر وعلماؤها أنها بلد القرآن حفظا ، ودراسة ، وصيانة ، وأنها بلد الازهر ، فما يليق بها أن تدع هذه الطفيليات تتراكم حول هذا المصباح الوضاء .

ولا يصدنا عن ذلك أن يقال : حرية العقيدة مصنونة فى الدستور ، فإنما يعنى الدستور حرية العقيدة المعترف بها فى الديار لأهل الكتاب ، أما النزعات الهدامة الغريبة عنا ، والدعوات الشاذة المفرقة للجماعة على حساب الدين ، فباطل كله ، ودستور مصر يجب ألا يحمى الأباطيل ، وألا يحتضن المفسدين .

عبد المظيف محمد السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

نظام الإسلام السياسي

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمود البيايدى الحلبي مقالا في مجلة (رسالة الإسلام) التي تصدر عن دار التريب بين المذاهب الإسلامية وذلك في العدد الصادر في المحرم سنة ١٣٧٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٥٢م والبحث جليل والمقال ضاف يشهد لكتابته بطول النفس وسعة الاطلاع ، وقد استطاع فيه بنشاطه الذهني وقوة تخريجه أن يوفق إلى حد ما بين نظريتين أشار إليهما في مقاله وادعى أن كلا من القائلين بهما لو تعمق في دراسة الإسلام لا لتق مع صاحبه ولم يختلفا .

فإحداهما : تقول : إن الإسلام رسالة لا حكم ، ودين لا دولة ، وهي تتمثل في كتابي الاستاذين علي عبد الرازق ، الإسلام وأصول الحكم ، ومحمد خالد ، من هنا نبدأ .

والثانية : تقول : إن الإسلام نزع جميع السلطات من البشر وجعل الحكم لله في الأمور كلها . وقال في التوفيق : إن الفريق الذي نزع الحكم عن الإسلام نظر إلى ما صار إليه المسلمون من الركود والخنول وفساد الحال ، فظن أن الداء في الحكومة التي مزجت بين الدين والسياسة ، فصب نفسه محاربا لهذا النوع .

وأما الفريق الذي يرى أن الإسلام دين الحكم والتشريع في كل ما يلبس شئون الحياة ، فإنه نظر إلى ما فيه المسلمون من الضعف وفقد الثقة بالنفس ، حتى صاروا يتعلقون بكل نظام سياسي مهما كان متعارضا مع نظام الإسلام ، فيقولون إن الإسلام ديمقراطي أو اشتراكي أو شيوعي ، فأراد أن يكافح هذه النزعة من الاستخذاء ، وقام بدراسة سطحية لبعض النصوص .

وقد تحامل على هذا الفريق ، وهو على الحق عند التحقيق ، لأنه نتيجة تعمق في نصوص الإسلام ، لا نتيجة دراسة سطحية . فالإسلام موجه للناس في كل ما يتعلق بشؤونهم ، مهيمن على جميعها ، لم يترك شيئا إلا بينه تفصيلا أو إجمالا ، وترك للراشخين في العلم الاجتهاد على ضوء قواعده لا يخرج عنها عمل ما ولا يشذ عن أحكامه تصرف ، وقد انتهى من تعقيبه على هذا الرأي بأن رمى أصحابه بأهم ظنوا أن الدواء في إحاطة الشريعة الإسلامية بأسوار من الحماية تقيها شر التعديل والتحويل . وكان في غنى عن أن يسوق هذه العبارة التي تدل على قلة تقديره للإسلام . ولقد ردد معناها وبعض ألفاظها في صورة أخرى . وتورط في سياقتها

فكان قوله حشوا مفسدا كما سأبين للقارئ الكريم بعد أن أشير إلى ما تضمنه المقال بعد ذلك من بحوث، ليسكون حديثى تصويرا للمقال كله . ولا كون قد أجلت فى سميته وغثه وإن تسكن الحسنات مذهبة للسيئات فى الحق أن سيئات هذا المقال أنقطع من أن تغطى على عوارها حسنة، وعند الله سبحانه النوفيق والهداية .

قام الأستاذ بعد ذلك بدراسة وجيزة كما يقول للنظرية السياسية فى الإسلام فى خطوطها الرئيسية ووزعها على مباحث أربعة :

- (١) هل الإسلام نظرية سياسية ؟
- (٢) ما مصدر السلطة السياسية فى الإسلام ؟
- (٣) هل يربط الإسلام بين الدين والسياسة ؟
- (٤) إلى أى مدى يربط الإسلام بين الدين والدولة ؟

وأحسن فى البحث الأول استدلالا واستنتاجا ولطف مذهب وصحة رأى، وتستطيع أن تتصور فكرته فى فقرتين متفرقتين فى هذا البحث :

الأولى قبله : ويقينى أننى بعد هذا أستطيع أن أقرر بكثير من العزيمة والثقة أن الإسلام دولة ، وأن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم هى نظرية الحكم الدستورى النيابى القائم على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة .

والثانية قبله : نخلص من كل ذلك للقول بأنه قد ثبت نبوتاً قطعياً أن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم، هى الحكم الشورى المنطوى على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة، وقد عرفها المسلمون وطبقوها فى صدر دولتهم تنفيذا للقاعدة الدستورية الواردة فى الآية النامة والثلاثين من سورة الشورى « وأمرهم شورى بينهم » .

وذهب فى البحث الثانى إلى أن مصدر السلطة هو القانون الإسلامى وقال : إنه لا يعرف متجربنا تجراً على إبطال العمل بالسكتاب والسنة من الخلفاء والملوك والأمراء والولاة والحكام فى كافة الممالك التى أظلمها العرب، ولكنه كانت تجرى مخالقات وهذه المخالقات لا يمكن أن تبطل عمل القانون . وقال قبل الفراغ من هذا البحث :

فلم يبق والحالة هذه إلا أن نقرر أن حكم القاعدة الدستورية المكتوبة « وأمرهم شورى بينهم »، ما يزال مستمرا — ثم أخذ بعد ذلك يبين طريق الشورى ويحاول أن يناضل عنها وهى لا تحتل خلافا من عاقل، فجاهد فى غير عدو، وزلت به قدمه كما سأبين لك .

فالفكرة في ذاتها سليمة ولكنه تطرق فاستطرد إلى غيرها وباليته استطراد في مفيد ، ولكنه كان حشوا مفسدا ، ورأيا فائلا ، ومذهبا ضالا .

وفي البحث الثالث ، يرى ان الإسلام يربط بين الدين والسياسة أقوى رباط ويقول : إن مفهوم الإسلام في جوهره تحقيق قوله تعالى « اتقوا الله » والتقوى هي توفير العنصر الاخلاقي ، وإن السياسة يجب أن تخضع لإطار الدين أى تخضع لمبدأ أخلاقي ينبى عنها الظلم والعدوان .

وقال : إن الدين إذن عبارة عن العنصر الاخلاقي . وتحقيق وجوده في كل مرفق من مرافق الحياة ، وهو ما عبرت عنه الكلمة المأثورة « الدين المعاملة » ، وأطال في بيان مزايا الإسلام في ذلك المفام وفضله على سائر الأديان وأحسن كثيراً .

وفي البحث الرابع قال : إن الجانب الاخلاقي في الإسلام يقوم على نقطة الضمير الإنسانى تحت مراقبة الله وحده ، وجميع العبادات في الإسلام وسائل لهذا الغرض بالسياسة . وخلص من ذلك إلى أن ربط الإسلام بين الدولة والدين لا يتعدى ربط الاخلاق وعاد يناقش النظريتين السابقتين باطلاقهما ويدلل لذلك . وانتهى في فصل المقال وتلخيصه إلى أن للإسلام نظرية سياسية هي أرقى أشكال الحكم ، وأنه يربط بين الدين والدولة لا على أساس تأسيس حكومة دينية ، بل على أساس ربط السياسة بمكارم الاخلاق في حدود مرنة . وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه قد يُحتمل . فأما ما لا يُحتمل فهو ما أورده في نهاية البحث الثانى وهو بصدد تحديد الحكم الشورى ثم الاستدلال على الشورى ومناقشة ما يتوهم من خلاف عليها .

والى القارئ الكريم العبارة ثم المناقشة . قال :

« وتبعاً لهذه القاعدة المكتوبة فإن مصدر السلطة السياسية يكون في يد جمعية تشريعية ينتخبها المسلمون بمحض اختيارهم من أهل المشورة فيهم ، أى أن الأمة هي مصدر السيادة والسلطان بنص الدستور . أما القول بأن شريعة الإسلام شريعة إلهية فلا تقبل التعديل كغيرها من الشرائع السماوية فاعتقد أن هذا القول لا يندرج على الإسلام لأن دستوره قد قال بقاعدة النسخ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) . ولا يتوهم أحد أن هذه الآية قد انتهى حكمها بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما يتبادر إلى ذهن بعضهم ، كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة ، وليس

الله . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم صار التشريع إلى الأمة انتهاء . لأن الله سبحانه هو الذى رد هذه السلطة إلى الأمة حين قال (وأمرهم شورى بينهم) .

وهذا الكلام فاسد لا يعززه دليل ، ولا يقوم عليه برهان . فهو يرى أن قاعدة الشورى تقتضى أن مصدر السلطة السياسية فى يد جمعية تشريعية إلخ - وليت شمرى متى كان هذا الاستلزام ، ومن قال إن كون الأمر شورى لا يكون إلا على هذا؟ وهل جهل المسلمون الاولون ذلك يوم كانوا يحكمون على ما أنزل بلا تحريف ولا تزيد؟ لقد سارت السلطة السياسية منذ عهد محمد ﷺ فلم يلتزم المسلمون فيها ذلك ، وإنما كان الدستور كما ذكره هو نفسه هو حكم الإسلام ، فإذا غم أمر على أمير من الامراء جمع أقرب الناس من أهل رأى ، فجمع آراءهم . ولقد كان الواحد منهم يرى رأى فردد عليه ، فإن وجد الدليل المقنع رجع عما قال ، كما جرى لعمر بن الخطاب حين أراد أن يبطل التغالى فى المهور فاحتجت عليه امرأة بقوله تعالى : وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً . فرجع عما قال ، وقال الجملة المشهورة : أخطأ عمر وأصاب امرأة . وإن لم يجد الدليل المقنع فلا يرجع كما فعل أبو بكر فى قتال مانى الزكاة ، وحاول عمر أن يرده فلم يستطع ، لأن ذلك شيء كان فى عهد النبي ﷺ فلا بد أن يقا تل دون تحقيقه .

إن هذه الجمعيات التشريعية التى يذكرها نظام مدنى غربى ، فنحن نريد أن نلزم الناس به ، لماذا؟ قال الاستاذ : لأن الله سبحانه أمر بالشورى . ولكن الشورى شيء أوسع مما قال ، وهى بالإجماع لا تكون إلا فيما أشكل ولم يكن فيه نص من كتاب الله ولا سنة رسول الله . ولكنه يقع فيما أنكر على الناس من التعلق بكل نظام سياسى أجنبى .

ثم زعم - وبأسوء ما زعم - زعم أن شريعة الإسلام تقبل التعديل بخلاف غيرها من الشرائع . وهذا لائم كبير وضلال بين . فإن شريعة الإسلام عامة لكل زمان ومكان من يوم أرسل الله محمداً حتى يرث الارض ومن عليها ، لا تبدل لكلمات الله ذلك الدين القيم ، قامت أحكام الشريعة فى كل ما يتعلق بشئون الناس من أولها الى آخرها خاصها وعامها تشق طريقها فى الأمة الإسلامية لا يجرؤ أحد على أن يخالف شيئاً منها إلا إذا كان ظالماً مضطهداً وشاذاً مخالفاً ، فكل ما فيها دستور مطرد فى كل مكان ، ويمتد الى آخر

الزمان . فأحكام الولايات وجميع السياسات في داخل البلاد وخارجها ، على ما أمر الله وأنزل . فإن وقع شيء لم ينص عليه أو جزئية لم تقع في عهد النبي ، ردت الى أولى الامر من المسلمين ليستنبطوا لها حكماً . من الأدلة الشرعية المعروفة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس .

فالجهد فريضة قائمة بقيوده الشرعية لا يجوز النكوص عنه ولا العدول عن القول بوجوده . وحماية البلاد الإسلامية واجبة شرعاً ولا يصح في هذا خلاف ولا تعديل .

والزنا حرام ، والربا حرام ، والخمر حرام . والبيع بأنواعه الشرعية على ما حكم الله ورسوله بلا تغيير ولا تبديل في شيء من ذلك .

ولو جاز التعديل ، لصح القول بحل الزنا أحياناً كما يقول به بعض المدنيين ، وكما تورطت فيه بلادنا وغيرها على خلاف أحكام المسلمين .

لو جاز التعديل لأبيح شرب الخمر إذا رأته الجمعية التشريعية ، ولصح التعامل بالربا ، ولكان لما أن تغير في نظام النكاح والطلاق والإرث وما الى ذلك . وجميع هذه اللوازم بشعة متفية ، والقول بها إلحاد خارج على حكم المسئلة ، نعوذ بالله من الضلال .

يا هذا قد أكمل الله الدين بما شرع من شرائع خالدة ، وبما وضع من رخص قائمة ، وبما سن من قواعد محكمة ، لا يشذ عنها شيء من الوقائع أبداً . ولكن على الناس أن يجتهدوا ويستنبطوا من أدلة الشرع أحكام جميع الوقائع كما تطبق القوانين والدساتير العامة ، وإلا تحقق الحكم بغير ما أنزل الله ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، والظالمون والفاسقون بنص الكتاب الكريم .

فن أين يقع التعديل والتغيير كما زعمت ؟ إن الشورى لا تملك أن تنحرف عن أحكام الدين الحق ، وإنما هي فيما أشكل أمره ، واختلف وجه النظر فيه ، فهي ترجع وجهة على أخرى ، وتزيد الحاكم معرفة بجمع الأدلة ، والتذكير بالدعائم التي ترتكز عليها الأحكام ولا يقبل فيها قول بغير برهان صحيح ، ودين متبع . قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين : « فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » .

شريعة الإسلام تقبل التعديل ؟ ! لقد كبرت كلمة تخرج من فم قائلها ، إن يقول إلا كذبا ، فإنما التعديل للشئ المائل الجائر . وأحكام الإسلام كلها اعتدال وعدل ، ما لجأ إليها فرد أو جماعة إلا كانت قواماً وقصداً ونصفاً ومفرعاً ورحمة ، ولا اضطربت مسالك الحياة بأمة فرجعت إلى ميزانها إلا هدأت وسلمت . ولقد طوف بها المسلمون الاولون في آفاق الأرض يطبقونها في كل بقعة ويوجهون إليها في كل أمة حتى أعانوا عنها بخير دعاية وحبيوها إلى الناس فدخلوا في دين الله أفواجا ، لأن الله سبحانه قد جعل فيها من السعة والوفرة والنصفة والرحمة ما يكفل لها ما أعد الله من خلود ودوام إلى يوم الدين .

يجب أن يعلم الناس أن الدين هو الدين ، وأن أحكامه الآن في السياسة وفي غير السياسة هي ما كان عليه محمد وأصحابه ، وأن يذكر قول الصادق المصدوق محمد ﷺ : أفرقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال التي على ما أنا عليه وأصحابي ، فمن عدل في دين الله - ومعاذ الله أن يقبل دينه تعديلا - ومن غير أو بدل ، فقد خالف ما كان عليه محمد وأصحابه ، وقد شاق الرسول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، فحسبه جهنم وساءت مصيرا .

يجب أن يعلم الناس أن لا حاكم إلا الله فيما أجمع عليه المسلمون ، فإن من قال من الفرق بأن للعقل حكما فسرّه بأنه يستطيع أن يدرك الحكم فيما لا نص فيه بحسب ما فيه من مصلحة تقتضيه ، لأن أحكام الشرع معللة بالمصالح ودفع المقاصد .

وحتى إن من قال بالقياس من المسلمين منع القياس وهو دليل شرعي عند وجود النص ، مما يدل على أنه لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير في أحكام الله .

ولكن علماء الغرب قالوا إن الدين يتأقلم ، ، فصرنا نقول كما يقولون ، ونحتال للاستدلال لذلك من كلام الله وسنة رسوله . والمسلمون جميعاً منذ بعث محمد ﷺ يشددون النكير على من يخالف شيئاً من الكتاب أو السنة ، ويحاسبون أهل البدع والاختراعات ، ويتحاشون الوقوع في بعض المستحدثات ، ولا سيما بعد أن حذر من ذلك سيد المسلمين بقوله : : من يعيش منكم فسيرى اختلافاً ، فعليكم بسنة الخلفاء الراشدين من بعدى : عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

وكل ضلالة في النار ، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وبعد - فهذا قول كان جديراً بعدم الرد عليه لمخالفته ما علم من دين الإسلام بالضرورة . ولكن لما كان في المقال وجهة في بعض البحث وخلاصة في بعض القول ، خشيت أن يضل القارئ عن سبيل الله فيظن أن شريعة الإسلام كما يزعم بعض ضعفاء الدين تقبل التغيير ومسايرة المدنية والفناء في مقتضياتها المادية . وإباحة الربا والزنا والسفور والاختلاط ونكاح (الكونتاتو) وحظر الطلاق وما إلى ذلك مما يخشى أن يتورط فيه المسلمون فيفقدوا البقية الباقية من هذا الدين .

ثم انظر إلى ما استدل به الكاتب على جواز التعديل بالجمعية التشريعية كما يقول :

إنه يستدل على ذلك بأن في الشريعة الإسلامية نسخاً ليبرهن على أنه يركب من العمياء ، ويخطب خطب العشواء . نعم إن في الشريعة الإسلامية نسخاً كما تقول ، ولكن ليس النسخ إلى جمعية تشريعية كما تزعم ، إنه لا ينسخ أحكام الله إلا الله أو رسوله بوحى منه إذا كان الحديث قطعي الدلالة كالقرآن الكريم . وهل تقول الآية التي استدلت بها إلا ذلك ؟ إن الله سبحانه يقول « ما ننسخ من آية ، ولا يقول : ما ينسخ المشرعون من آياتنا ، تعالى الله عما تقول !! »

أهذا مبلغك من العلم على الاستدلال للجمعيات التشريعية ؟ ما أظن إلا أن هذا القول له خبيء ، إلا أن يكون قضاء على العقل في ساعات محنته !

أما نحن فنقول إن الجمعيات التشريعية جائزة ، وإن الشورى مشروعة بالآيتين اللتين سقتهما وبدلالة العمل المطرد في الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وبدلالة المنطق القويم والعقل السليم ، فإندم من استشار كلنا التباس أمر أو فسخ عبء وأقل ، ولا شورى إلا عند اللبس وعند عدم وجود النص .

أما أن تستدل على ذلك بصحة الفسخ ، وتسوق الآية الكريمة تزجى بها الباطل وتجاوز بها التغيير في أحكام الله ، فذلك لإلحاد في آيات الله ، وضلال عن قصد السبيل . . .

لقد نص علماء الأصول على أن الإجماع نفسه (وهو دليل شرعى له خطره) ليس من حتمه أن ينسخ ، لأنه لا يكون إلا بعد انقراض زمن النسخ .

ثم ماذا؟ ثم يتحدى الكتاب فى باطله فيزعم أن هذه الآية لم ينته حكمها بوفاة الرسول ! وجعل ذلك توهما ! ووصفه بأنه يتبادر إلى بعض الأذهان ! وهو الحق كما علمت ، فإن الناسخ هو الله ، ولا نسخ أبدا بعد رسول الله ، وإلا ذهب الدين وعاد الناس كما كانوا فى جاهليتهم فلا مدنية مهذبة كما اغتر بها الجاهلون ، ولا علم رادع كما نشاهد فى أحوال العلم والمدنية من الضلال والعدوان .

ولقد تبادى فى تعاميه عن الحق ، وران على قلبه ما اجتراً على الله والدين والعلم ، فعزز حكم الجمعيات على آيات الله ، ونسخها لكتاب الله ، واطراد ذلك النسخ بأن القرآن نص على أن الأمة وحدها مصدر السلطات . وليت شعري أين هذا النص ؟

وزعم أن الحكم كان لله لإبتداء ثم صار إلى الأمة انتهاء . وكل ما يستدل به على ذلك (وأمرهم شورى بينهم) ! فانظر إلى الإفلاس فى الحجة ، ومنطق التزوير والمهاترة هل آية الشورى هى التى فعلت هذا كله فجعلت الحكم لا بد أن يكون بجمعية تشريعية . وجعلت النسخ جائزا بل واجبا بأقوال الرجال . وأوجب أن يكون الحكم للأمة وحدها لا لله انتهاء ! ؟

اللهم إنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فكتبنا مع الشاهدين . اللهم أنقذ أفسكار هذه الأمة من سموم الإلحاد وزيفه ، وثبتها بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يارب العالمين .

محمود التوارة

المفتش بالأزهر

من أمثال العرب

- * أتتك بجائن رجلاه .
- * البلاء موكل بالمنطق .
- * الشر خير من شر منه .
- * من أحب الحياة ذل .

السنة

الحب الإلهي

منزلته - وسيلته وأسبابه - أماراته - أدعياء المحبة
أولى الناس بالمحبة - ثمرة الحب الإلهي - لمحات واطائف

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل . فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، رواه الشيخان (*) » .

محبة الله لعبده وما يتبعها ، من ولاية الله ونصره له ، ودفاعه عنه ، ومعاداة من عاداه ، ومسالمة من سالمه ، وإكرامه لمن أكرمه ، ومن إعزاز السماء والأرض له ، حتى لتفرحان به في حياته ، وتبكيان عليه عند موته ؛ هذه المحبة التي لا محبة فوقها ، وكل محبة دونها منزلة ما أجملها ! حقيقة بأن يتنافس فيها المتنافسون ، ويتسابق إليها المتسابقون ، من العباد المخلصين والابرار المقربين ؛ إذ كانت هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، لا جرم أنها حرام على أرباب الكلام ، وأصحاب الآمانى والأحلام ، حلال لأولى العلم والنهى ، والعمل والحشية ، من الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وتوكلوا الله حق ولايته ، فاجتباهم ربهم ، واصطفاهم لمحبهه ، واختصهم برحمته ، يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ،

غير أنه - سبحانه - وإن اختص برحمته من يشاء من عباده ، علمنا في كتابه المبين ، وفيما أوحى إلى رسوله الصادق الأمين ، أن لهذه الدرجة الرفيعة - درجة محبته وولايته - أسباباً تدل عليها ، ووسائل تهدي إليها ، وأمارات ترشد إلى أهلها ، على تفاوت ما بينهم فيها .

(هـ) غير أن مسلماً انفرد بذكر الشطر المقابل وهو « وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه » ، ثم توضع له البغضاء في الأرض ! .

وقد أمرنا الله أن نعمل ونسجدح ، آخذين بالأسباب والوسائل لما قضى - وله الحجة البالغة - من الربط الإلهي الوثيق بين الأسباب ومسبباتها ، والوسائل وغاياتها . . فمن طمع في محبة الله له ورضوانه عليه ، دون أن يأخذ في أسباب هذه المحبة ويسلك سبلها ، فهو إما مخدوع جاهل ، أو مبطل عنيد ، يريد أن يلغى عقله ، ويفسد فطرته ، ويبدل سنة الله في خلقه وشرعه ، وإن تجدد لسنة الله تبديلاً ،

وأساس حب الله لعبده وولايته له ، هو حب العبد لربه وإخلاصه له ، وعلى قدر حب العبد وإخلاصه ، يكون حب الله تعالى ومعوته ، وتوفيقه وهدايته . ولا يزال العبد يتدرج في الإخلاص والمحبة ، حتى يكون عالماً ربانياً : لا ينالم ولا يهتوم ، ولا يحب ولا يبغض ، ولا يفعل ولا يترك ، ولا يتحرك ولا يسكن ، إلا بالله والله ؛ يتقيه حق تقاته ، ويبلغ الجهد في مرضانه ، ويتوكل هاهنا حق توكله ، فلا يخشى أحداً غيره ، ولا يرجو أحداً سواه . . وما أجدره حينئذ بمحبة الله له ، وقربه منه ، حتى يكون أقرب إليه من سمعه وبصره ، ويده ورجله ، وما ظنك بعبد أحبه مولاه ، فكشفاه وتولاه ، ورضى عنه وأرضاه ؟ أليس مصداق ذلك ما رواه البخاري في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني ^(١) لأعيذه ،

بَيِّنَ هذا الحديث الرباني - أي بيان - طريق محبة العبد لربه ، ووسيلته إلى قربه ، وأجملها في امثال أوامره ، واجتتاب محارمه ، والوقوف عند حدوده ، مع تقديم الأصول على الفروع ، والفرائض على النوافل . وقديماً قال العلماء الربانيون : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور . ومثل من يتقرب إلى الله بالنوافل مع تهاونه في الفرائض ، من جهلة المتصوفة وأمثالهم ، كمثل البستاني يأمنه سيده على بستانه ، فيعمد إلى أشجاره فيسرقها ، ثم يختلس منها بعض ثمارها ، فيقدمها هدية إلى سيده . لا جرم أنه جدير برفض هديته علاوة على غضب مولاه ومقتله !

(١) روى بالنون وبالباء والرواية بالنون أشهر .

أما الذين يزعمون أن محبة الله أثر للعلاقة القلبية ، والصلة الروحية بين العبد وربّه ، ولا دخل للعمل فيها ، من الزنادقة والملاحدة ومن جاراهم - من أرباب الفلسفة النظرية والشقّة السانية - فلا خطاب لنا معهم ، إذ لا أمل لنا فيهم ؛ لأنهم قوم ركبوا رموسهم ، وأغلقوا قلوبهم ، واتبعوا أهواءهم ، فعموا وصموا وأضلوا ، وأفرأيت من اتخذ ليله هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله .

وقد ادعى محبة الله أقوام أقل من هؤلاء تمرّدوا وعناداً ، فشهّر الله فضيحتهم وإفلاسهم ، وأعلن في كتابه العزيز تكذيبهم وبرائتهم منهم ، فقال وقوله الحق : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين » ، وقال في إبطال دعوى أهل الكتاب وإخامهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » ثم قال جل شأنه في علامات أوليائه الصادقين ، الذين أحبهم كما أحبوه ، ورضى عنهم كما رضوا عنه ، والذين يباهى بهم ملائكته ، ويعز بهم دينه ، ويجعل منهم العوض ، خير العوض من ارتد عنه وجحدته : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

هذه أربع علامات تضمّنها الآيتان الكريمتان ، ميز الله بها هؤلاء المحبين المخلصين : الأولى : ذلّهم للمؤمنين وخفض الجناح لهم ولإشفاقهم عليهم ، كإشفاق الوالد على ولده ، أو الأخ على أخيه ، أو الطبيب على مريضه ، فليست الذلة هنا ذلة ضعة وضعف ، ولكنها ذلة تواضع وعطف ، وقد أمر الله الأبناء أن يحسنوا إلى الآباء ، ويخفّضوا لهم جناح الذل من الرحمة ، ووصف النبي ﷺ الحكمة من أمته ، بأنهم في نوادهم وتراحيمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الثانية : عزّهم على الكافرين وعدم الخضوع لهم ، فلا يتولّونهم ولا يمسّونهم ، ولا يتخذون منهم بطانة وأنصاراً ، ولا يتشبهون بهم في شأن من شؤونهم ، مما يهين كرامتهم ، أو يضعف عزّهم وسلطانهم ، والله العزة والرسول والمؤمنين ، « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ،

وفي معنى هاتين العلامتين ما وصف الله تعالى به أصحاب نبيه ﷺ فقال : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » ،

الثالثة : جهادهم بأنواع الجهاد كافة : بأنفسهم وأموالهم ، وأيديهم وألسنتهم ، لا يألون جهداً ، ولا يدخرون وسعاً . وعلى ضروب الجهاد قام الإسلام ، وبني هذا الدين الخفيف ، وعم نور الله في الأرض ، وبالجهاد سبق السابقون ممن لا يبلغ المجتهدون منا مد أحدهم ولا تنصيفه . الرابعة : صلابتهم في الحق ومضيقهم فيه ، لا يخافون لوم اللاتمين ، وإن بلغوا من السلطان أو الجاه أمدا بعيدا ؛ لأنهم لا يعملون رغبة في جزاء من الناس أو ثناء ، أو رهبة من مكروه أو بلاء ، وإنما يخشون الله وحده ، فيحقون الحق ويبطلون الباطل ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، رضى الناس أم كانوا ساخطين .

وتقتضى محبة الله سبحانه أن يحب العبد ما يحبه ربه ، ويبغض ما يبغضه ، من الأعمال والعباد جميعا . وتلك هي العلامة الجامعة للعلامات السابقة وما لايها ، بما هو مبثوث في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ . وما ألفتة العقول ، وجرت عليه الفطر ، أن المحب يؤثر حبيبته على نفسه ، ثم يتحسس من كل ما يحب الحبيب فيحبه ، ومن كل ما يبغض فيبغضه ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وأولى الناس بالمحبة هو خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور بإذن ربه ، وأحيانا حياة أبدية روحية ، فوق حياتنا العابرة الجسمية ؛ ولذلك كان حبه ﷺ فوق حب الوالدين ، بل كان ركنا من أركان الإيمان ودعامة من دعائمه ، وكان شكره باتباعه واستجابة ندائه والصلاة والسلام عليه ، فوق شكر الوالدين اللذين أمر الله بشكرهما مقررنا بشكره .

وتلى محبته - صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين - محبة أصحابه والتابعين لهم بإحسان . ومن آثار محبتهم لإجلالهم وإحسان الظن بهم ، حب الله ورسوله وإياهم ، وثنائه عليهم ومغفرته لهم . وحسبنا من دواعي الحب والإجلال ، أنهم شهدوا من النور ما لم نشهد ، ثم حدثونا ، وعلوا من الكتاب والسنة ما لم نكن نعلم لولا أن علونا ، وكان فضل الله عليهم بالسبق ثم علينا بالاتباع عظيما (*)

(هـ) بسطنا القول في فضل الصحابة رضوان الله عليهم ، في الجزأين الأول والثاني من المجلد السابع عشر ، ثم في كتابنا « درجات الناس » .

إذا بلغ العبد هذه المرتبة العلية من محبة الله له ، على ما بينا لك آنفاً ، من مجمل القول ومفصله ، فبشره بما بشر الله به أو لياؤه من حب الملائكة والناس لهم ، ورضا الخلق بعد رضا الخالق عنهم ، إلى ما يتمتعهم به سبحانه من غنى النفس ، وقرّة العين ، وطيب الحياة ، بلذّة الحب وحلاوة المناجاة ، بما لو علمه ملوك الدنيا لا شتره بملكهم ولما تلوا المحبين عليه .

ولا ينقص من محبة الولي وهيبته ورضا الله والناس عنه ، ما يخص به حاقده أو حاسده ، أو فاسقه أو منافق ، فإنه لا وزن لهؤلاء في حب ولا بغض ، وما يحا من بلائهم أو لياؤهم الرحمن في زمان أو مكان : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن .

تلك عاجلة بشرى العباد الصالحين في الدنيا ، وأما في الآخرة فقد أعد الله لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقربوا إن شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

ولا ندع القلم قبل أن ينبه إجمالاً - كعادته - على بعض ما انطوى عليه الحديث من لمحات ولطائف :

فمنها : فضل الروح الأمين ، والرسول الكريم : جبريل عليه السلام على سائر الملائكة . ومنها : إثبات حب الله وبغضه ، ودعائه وندائه . وهي من صفاته الثابتة له جل شأنه ، على الوجه اللائق بجلاله وجماله ، تؤمن بها ، دون أن نبحت عن كيفيةها وكنهها ، كما آمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكما آمن صحابته والراستخون في العلم .

ومنها : أن محبة الناس وقبولهم - ولا سيما الصالحين منهم - من علامات محبة الله عز وجل ، وكذلك بغضهم ونفورهم ، من علامات بغضه وسخطه ! نعوذ بالله منه .

ومنها : وهو ألقها وأوقها وأدقها - أنه ليس الشأن أن تحب الله ، بل الشأن أن يحبك الله ، ولن أظفر بمحبته إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً ، وامتنعت على طريقته غائباً وشاهداً ، لا ترضى منها بدلاً ، ولا تبغى عنها حولاً .

طه محمد السكاك

أَمِنْ الْخَيْرِ أَنْ تُبْنَى الْأُمَّةُ عَلَى الْحِزْبِيَّةِ

مصر الآن في مستهل عصر جديد ، لها كل الحرية أن تبني مستقبلها على ضوء تجاربها في الماضي ، لتلا تمع في الاغلاط التي وقعت فيها ، وعلى ضوء هدى الإسلام ونبي الإسلام .

لها الآن بين أمرين : إما أن تبني حياتها السياسية على الحزبية والاحزاب ، أو تبنيها على الاجتماع والوحدة .

وإن البوارد تدل على أنها تريد أن تبنيها على الحزبية ، كما بنيت عليها عند مبدأ حياتنا الدستورية ، وقد قال حينئذ ثروت (باشا) : لئنني أحد الله إذ صارت لنا أحزاب كالأمم الديمقراطية ، في العالم . وما درى ثروت (باشا) أنه كان يغتبط لأنه قد بذرت في أمته بذور الفرقة والانقسام ، وقد ظللنا طول هذه المدة نقاسى من التحاسد والتباغض ، ما لا يزال عالماً بالأذهان إلى الآن .

لنا قد بلونا الحزبية في مصر ، وبلونا نظام الاحزاب ، فنجينا منها شراً مستطيراً .

لها فرقت الأمة ، وقطعتها شيعاً متباغضة ، وشراذم متنافرة .

لنا جعلت بأسها يذنها شديداً ، وأصبح كل مشغولاً بصاحبه ، يكيد له ويتق كيده . إن الاحزاب قد فهموا الحكم الحزبي فهماً خاطئاً : فهموا أن معناه أن يعامل المصريون معاملة متخلفتين ، فيولى مناصب الدولة من هم من حزب الحاكم ويقدم لهم خيراتها ، ويحرم الآخرون مناصبها وخيراتها . وقد أدرك هذه الظاهرة أحمد شوقي رحمه الله فسجلها في قوله :

ولينا الحكم حزباً بعد حزب فلم نك محسنين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا ولم نعد الجزاء والانتقاما

والآن ، بعد هذه التجربة الطويلة القاسية نريد أن نخلص الغلظة نفسها ونكرر التجربة ، ونبنى حياتنا السياسية على الحزبية .

لقد كان من قبلنا أعذر منا ، فقد بنوا حياة الامة على الحزبية وهم يحملون العواقب ، ولم تكن قد سبقت لهم تجربة .

أما نحن فما عذرنا ، وقد لدغنا من الجحر مرة ، فكيف ندخل يدنا فيه لنلدغ منه مرتين ؟

لأنهم كانوا أعذر منا ، فقد كان فيمن يوجهون السياسة المصرية ، من يريد لها الفرقة والانقسام ، ويخاف الوحدة والاتلاف ، وكان يجرى على سياسة : « فرق تسد » .

أما نحن فأقل منهم عذرا ، لأنه لم يبق فيمن يوجهون السياسة الآن ، من يريد تفرقة الامة ، وضرب بعضها ببعض .

إنى أعجب لهذه الامة تعرف وتنكر: تعرف ما فى الخلاف والحزبية من أضرار فتسمى لتلافئها ، ثم تنكر ما فيها من أضرار فتغفلها . عرفت ما فى الخلاف من أضرار بين عنصرى الامة ، فحذرته أشد الحذر ، ولا تفتأ توحد بينهما وتسعى فى الوفاق .

وهى محدودة على ذلك كل الحد ، وليكنها تنكر ما فى الحزبية السياسية من أضرار ، وهى قريبة عهد بحجروها التى لم تندمل ، فتسعى جاهدة إلى تكوين الأحزاب ، لتكون دولة ديمقراطية ، باذلة فى ذلك كل الوسع .

إن الذى يدعونا إلى الاستمسك بالحزبية كلمة ذاعت بيننا ، وهى أن الديمقراطية من لوازمها : الحزبية .

ما ذا يمنع أن تنتخب الامة نوابها وشيوخها ناظرة إلى أشخاصهم وكفاياتهم ، وأن يعين رئيس الدولة وزرائه ، فإن حازوا ثقة مجلس النواب بقوا ، وإلا سقطوا .

انكسب الحياة الدستورية ، ولتكن هناك مسئولية وزارية ، فيكون الوزراء مسئولين أمام مجلس النواب ، وليكن ذلك حقيقة لا خيالا ، ومموها بعد ذلك بما تريدون .

إن الأحزاب لا ترتجل ارتجالا ، إنما ولدت فى الأمم حين تطورت ووجدت آراء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية اختلف عليها ، فكل جماعة انفقت على رأى كونت حزبا . ومن هنا كانت الأحزاب ، أما نحن فقد خلقناها خلقاً ، تشبهاً بالبلاد الديمقراطية ، فلما لم تجد مبادئ تتحزب لها ، تحزبت للأشخاص .

اتركوا الامة تدخل ميدان السياسة متحدة ، ولا تقهروها على خلق حزبية لم يأت بعدأوانها .

جنبوها النظام الحزبي فهو لا يصلح لها ولا تصلح له ، إنها قرينة عهد بالخلافات الدينية ، وإن أخص خصائص الخلافات الدينية ، أن المخالف يعتقد الصمة في نفسه ، والخطأ والضلال في غيره ، وأنه على صوابه وهداه يوشك المخالف أن يستزله عنه ، وذلك يستدعي البغض والحقد على المخالفين . جنبوها النظام الحزبي ، فالواب والشيوخ يفهمون الحزبية كما هي في القرية : ظلم واعتساف وكرامية وبغضاء ، وهم يطبقونها على الأحزاب السياسية .

جنبوها النظام الحزبي ، فقد جربته مدة ثلث قرن من الزمان فذاقت منه الامرين ، وآخرها عن ركب الحضارة زهاء خمسة قرون .

جنبوها النظام الحزبي ، فإن التاريخ ينبئنا أن الأمة الإسلامية لم تبلغ ما بلغته من العز والرفعة ، حتى ألغى الإسلام عصبيتها وحزبيتها ، وجعلها لا تنعصب إلا للإسلام .

فقد كانت الأمة العربية قبل الإسلام أمة قبلية تنعصب كل إلى قبيلته ، وكانت لذلك بأسها بينها شديد : تقوم الحرب بين القبيلة والقبيلة ، فتمكث الأعوام الطويلة حتى يهلك بعضها بعضا . وأدى هذا الانقسام في داخل الجزيرة العربية ، إلى ضعف الامم في خارجها فذلوا للامم المجاورة ، وظلوا كذلك حتى جاء الإسلام فأبدلهم بهذه العصبية القبلية الضعيفة ، عصبية إسلامية عامة واسعة ، وحرم دعوة الجاهلية والعصبية القبلية ، وجعل المسلم أخا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . وأعلن أن كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه . وخاف أن ينزع الشيطان بينهم فيعودوا إلى ما كانوا عليه ، فقال : من تعزى بزاز الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ، وقال : ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية ، فاذا العرب أمة ذات عز ومنعة قد صارت كتلة واحدة ينحدر عنها السيل ولا يرق إليها الطير - هذا كله بفضل هذا الدواء .

ألا إن الله لم يمن على المسلمين بنعمة أعظم من نعمة تأليف القلوب بعد عداوتها ، ونعمة الإخوة الإسلامية بعد العصبية القبلية فقال : واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .

ألا إن الله بين لنا مافي الخلاف والانقسام من الضرر ، وحذرنا منه أشد التحذير ، وقرنه بالخسف والرجم فقال : دقل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شياً ويذيق بعضكم بأس بعض ،

ألا إنكم لو ربحتم كل شيء ، وخسرتم الوحدة ، فقد خسرتم كل شيء ، ولو خسرتم كل شيء ، وربحتم الوحدة ، فقد ربحتم كل شيء .

أعمار زائفة

لفضيلة الاستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر خطرات من الشعر تلوح له بين الفينة والفينة في صور من المعاني المتألفة ، فيرسلها من نفسه على سيجتها : مكتفياً بما يعقبها من راحة وعبرة ورضا .

ومن ذلك قوله مد الله في حياته ، وأدام النفع به :

نفد العمر وفي القلب ارتياح	وارتجاع العمر ما لا استطاع
طائر هيص جناحاه فما	دأبه إلا جشوم واضطجاع
مُرَّ يا سائق بالسوق التي	تعرض الأعمار فيها وتباع
علني أبتاع عمراً أفعمت	منه بالإحسان أعوامٌ وساع ^(١)

* * *

قيل : هذا عمر مُثْر غمرت	ساحه الفيج زروع ورباع
قلت : عمرٌ مأؤه البرِّ وكَم	سعدت فيه عراة وجياع
فإذا الإمساك يوحى حوله :	ما لهذا العمر في الإحسان باع

* * *

قيل : هذا عمر وال كان إن	أمر الناس استكأوا وأطاعوا
قلت : عمرٌ كالسما امتلأت	بالنجوم الزهر يعلوها شعاع
فإذا الإتراف يوحى حوله :	هم هذا العمر لهو ورتاع

* * *

قيل : هذا عمر حبر كان في	بيته كتب وفي الكف براع
قلت : عمر كسحاب غيشه	حكمة غراء أو فتوى تذاع
فإذا الامواء توحى حوله :	حشوه هذا العمر خب وابتداع ^(٢)

قيل : هذا عمر راع ووضعت تحت رعياء عقول وطباع ^(١)
 قلت : عمر يرتجى منه 'علا لبني العلم ورشد واجتماع !
 فإذا الخيبة توحى حوله : سرُّ هذا العمر زهوٌ وخداع

قيل : هذا عمر قاض يبصر الـ حق إذ يعملو دعاء ودفاع
 قلت : عمر طالما زالت به لِحْنٌ بين خصوم ونزاع !
 فإذا الرشوة توحى حوله : شأن هذا العمر حيف وطماع

قيل : هذا عمر أستاذ روى ورأى والعلم رأى وسمع
 قلت : عمر مثل واد ممرع طاب في مرعاه للناس انتجاع !
 فإذا المي ينادى حوله : فات هذا العمر غوص واختراع

قيل : هذا عمر داع للتقى يأمر الناس وينهى فيطاع
 قلت : عمر كله خير ولم يك في أوقاته وقت مضاع !
 فإذا الخسر ينادى حوله : فات ذا العمر امتثال وارتداع

قيل : هذا عمر مندوب لأن يشهد الشورى وآراء تشاع
 قلت : عمر ينقذ الحق إذا هاجم الحق لصوص أو سباع !
 فإذا العجز ينادى حوله : فات هذا العمر نطق واستماع

قيل : هذا عمر ساع معول ضاق عن ترفيه كف صناع ^(٢)
 قلت : عمر حب بالعسر ومن يحمل الكسل كريم وشجاع ^(٣)
 فإذا السخط ينادى حوله : فات هذا العمر صبر واقتناع

يا رقيقاً طالما أفصح لي عن خبايا ، فأنجلي عنها القناع
 لم لا يعرض في السوق سوى عمر لم يرضه إلا الرعاع ؟
 قال : جد الجـد ما من عمر ناصع الطلعة في الدنيا يباع

(١) الرعا الحفظ . (٢) المعول : كثير العيال . والكف الصناعات : الماهرة فبا تصنع .
 (٣) الكسل : العاجز عن العمل .

تَسَاحُ أَهْلُ السُّنَنِ

في الرواية عن مخالفتهم في العقيدة

من سنة الإسلام أن يتساح أهلُه فيما بينهم ، ثم في معاملتهم ومعاشرتهم لغيرهم ، ما لم يخرج بهم التساح إلى إبطال حق ، أو تعطيل حكم ، أو انحراف عن الخير .

وفي الفصل الذي عقده للتعريف بتاريخ الأمم والملوك للطبري المنشور في الجزء الماضي من مجلة الأزهر (ص ٢١٤) أشرتُ إلى اتساع صدور أئمة السنة - من أمثال أبي جعفر الطبري - لإيراد أخبار المخالفين ، وعددت ذلك من دلائل حريتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل مافي الباب .

وأحب الآن أن أتعلم في إقامة الدليل على هذا التساح ، فأضرب الأمثلة على سعة صدور أعلام هذه الأمة من أئمة الحديث النبوي في روايتهم عن المخالفين لهم في العقيدة . لأنني رأيت السكثريين ممن يكتبون في وصف الفرق والطوائف الإسلامية قد غلب عليهم الظن بأن رجال الحديث أشد فرق المعلمين وطوائفهم تعصبا في الرواية ، وتحززا من المخالفين لهم ، ونفرة من التلقي عنهم . ولما كان هذا الظن لا يوافق ما كان واقعاً في الحقيقة - لأن الأئمة الأعلام من أهل السنة كانوا في مختلف العصور يعطون كل ذي حق حقه ، ويحترمون الصادق لصدقه والأمين لأمينته وإن انحرف عن جادة الصواب إلى شيء من الهوى في بعض ما يتأوله - لذلك رأيت أن أشير في هذا المقال إلى ما كان عليه أهل الحديث وأئمة السنة من الإنصاف والتساح في الرواية عن مخالفتهم في العقيدة ، إذا توفرت فيهم شروط العدالة والحفظ ، ولم يعرفوا بالدعوة لاهوائهم . وهذه المزية في التساح مع المخالفين لا نجد مثلها عند غير أهل السنة من سائر الفرق .

ونضرب المثل لذلك بجابر بن يزيد بن الحارث الجعفي السكوني (المتوفى سنة ١٢٨) ، كان من أئمة الشيعة وعلمائهم ، وكان أعلام أهل السنة يعرفون ذلك فيه ولا يرون منه ما يخالف قواعدهم التي قرروها في التعديل ووزنوا الرجال بموازينها ، فكانوا لذلك يعدّونه ويثنون عليه . فلما شاعت ثقتهم به واطمأن هو لذلك ، برز لهم بما لا يعرفونه في علمهم ،

و ادعى أن عنده خمسين ألف حديث من غير الطرق التي توصل عندهم إلى الصدق والحق ، وأخذ يذكر لهم بعضها ، وحينئذ قال فيه سيد الفقهاء وإمام المحدثين أيوب بن أبي تيممة السخيتاني (٦٦ - ١٣١) : « الآن فهو كذاب » . وكان الإمام عامر بن شراحيل الشعبي (١٩ - ١٠٣) قد توسم حقيقة جابر الجعفي وهو لا يزال في شبابه ، وتوقع له هذا المصير من قرائن وأمارات يدركها الناظرون بنور الله ، فقال له : « يا جابر ، لا تموت حتى تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال إسماعيل بن أبي خالد البجلي (المتوفى سنة ١٤٦) وهو راوى هذه الكلمة عن الشعبي وكان من تلاميذه ومن أئمة ذلك العصر وأعلامه : فما مضت الأيام والليالي حتى اتهم جابر بالكذب . وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل أن يحيى بن سعيد القطان (المتوفى سنة ١٩٨) ترك حديث جابر . وقال أبو يحيى الحماني سمعت أبا حنيفة (٨٠ - ١٥٠) يقول : « ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء ، ولا أكذب من جابر الجعفي : ما أتيت به شيء إلا جاءني فيه بحديث ، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها ، فالذي كان يعرفه الأئمة من تشيع جابر الجعفي لم يمنعهم من قبول أحاديثه قبل أن يظهرها له على الفضائح التي تجرح روايته وتوهن أحاديثه . ولم يكونوا يرون أن التشيع وحده كاف في الجرح والترك ما دام صاحبه مظنة الصدق . حتى إذا افتضح عندهم كذبه حكموا عليه بما ظهر لهم منه ، ووضعوه في الموضع اللائق به .

وعدى بن ثابت^(١) بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري الكوفي (المتوفى سنة ١١٦) كان عالم الشيعة وقاصهم وإمام مسجدهم ، ويقول فيه المسعودي وهو شيعي أيضاً : « ما رأينا أحداً أقول بقول الشيعة من عدى بن ثابت^(٢) » ، وقال عنه ابن معين : « إنه شيعي مفرط » ، وقال عنه الدارقطني : « رافضي غال » . ومع ذلك وثقه الدارقطني والإمام أحمد بن حنبل وأحمد العجلي والنسائي ، لأنه - كما قال عنه أبو حاتم الرازي - « صدوق » . ولصدقه استجازوا الرواية عنه مع ما يعلونه من غلوه في نحلته .

وكنيت قد عقدت مقارنة - في تعاليق على الكتاب العاشر من (الإكليل في أنساب همدان^(٣)) - نوهت فيها بسعة صدور أهل السنة - في معرفة أقدار مخالفهم ، لمناسبة الكلام

(١) ويقال أن ثابتاً جده ، وله عدى بن أبان بن ثابت .

(٢) ميزان الاعتدال ٢ : ١٩٣

(٣) ص ١٢٩ - ١٣١

على الحسن بن صالح بن حى الهمداني (١٠٠ - ١٦٨) وكان من أنصار العلويين في ثوراتهم على بني العباس ، وهو معدود من علماء الزيدية الصالحين الأولين ، وفي بيته توارى عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين منصوره من وقعة باخمرى بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في ثورته على أبي جعفر المنصور ، وكان المفروض أن يكون رجال الجرح والتعديل من الشيعة في كتبهم المتداولة أحسن رأياً فيه من رجالنا وأكرم معرفة لمكانته وقدره . ولكن الواقع عكس ذلك . وإنه لما يوجب الفخر لنا أن رجال الجرح والتعديل من سلفنا أحسنوا الثناء على الحسن بن صالح بن حى في أمانته وعلمه ، وفي عبادته وتقواه ، ولم تشفع له عند الشيعة الاثني عشرية مشاركته لهم في كل ما يشاركونهم فيه الزيدية ، ولا سابقته في مؤازرة الكفار من العلويين على الدولة العباسية ، فعده الماسماني في (مقباس الهداية^(١)) من أهل المذاهب الفاسدة ، وقال في (تنقيح المقال^(٢)) : « وقد ضمف الرجل في (الوجيزة) وهو في محله ، . فانظر الى إنصاف علماء أهل السنة لهذا الزيدى العابد الصالح وتوثيقهم له ، وإلى تحامل الآخرين عليه مع أنه أقرب إليهم منا .

ومنصور بن أبي الأسود الليثي الكوفي الحياطي كان أئمة الحديث يعرفون تشيعه ، ومع ذلك قبلوا أحاديثه لصدقه وعدالته ، وهي في سنن أبي داود والترمذي والنسائي . وعلى بن غراب الفزارى الكوفي القاضى (المتوفى سنة ١٨٤) كان من شيوخ الشيعة غير أنه صادق ثقة ، ولذلك روى عنه أئمتنا من طبقة أحمد بن حنبل وأمثاله .

ومن أعلام أئمة السنة في دولة بني العباس الإمام أبو الحسن علي بن عاصم الواسطي (المتوفى سنة ٢٠١) وكان من طبقة شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ومن أهل الصلاح والدين وبجاسه الذى يحدث فيه عن رسول الله ﷺ كان يحضره أكثر من ثلاثين ألفاً ، فلا يبقى في بغداد - وهي عاصمة الدنيا يومئذ - طالب علم ولا ذو مكانة إلا وهو حريص على أن يشهد مجلس حديثه . وقد جاء عنه في كتاب (الكفاية^(٣)) للخطيب البغدادي أن الفضل ابن مروان الذى كان كاتباً للمعتصم وكان يده اليمنى إلى سنة ٢٢٠ قال : كان المعتصم (أى قبل خلافته) يخنزف إلى علي بن عاصم المحدث ، وكانت أمضى معه إليه ، فقال علي بن عاصم

(١) في علم الدراية ، وهو من أهم كتب الشيعة في مصطلح الحديث .

(٢) ج ١ ص ٢٨٥ وهو أوسع كتبهم في الجرح والتعديل .

(٣) ص ١٢٣ طبعة حيدر آباد الدكن .

يوماً : « حدثنا عمرو بن عبيد وكان قد ربا ، فقال له المعتصم : يا أبا الحسن ، أما تروى أن القدرية بجوس هذه الامة ؟ قال : بلى . قال : فلم تروى عنه ؟ قال : لانه ثقة في الحديث ، صدوق . قال المعتصم : فإن كان المجرسى ثقة فسا تقول ، أتروى عنه ؟ فقال له علي بن عاصم : أنت شغاب يا أبا إسحاق ! . وإنما عد علي بن عاصم هذا الاعتراض من المعتصم العباسي شغباً لانه كان ينبغي له أن يميز بين المتأولين غير المعاندين كالمعتزلة والقدرية وبين الذين لا يعترفون برسالة الإسلام من أصلها ، فالكافر الأصلي والفاسق الذي يواقع الفسق متعمدا لا تجوز الرواية عنهما وإن كانا من أهل الصدق لانهما معاندان ، أما المتأولون فهم من الامة وغير معاندين ، ولذلك نسبوا في الحديث إلى الامة فقيلاً فيهم « بجوس هذه الامة ، فهم منها وإن انحرفوا مع أهوائهم .

ومن روى أئمة أهل السنة عنهم من الشيعة عبيد الله بن موسى العباسي مولاهم أبو محمد السكوني (المتوفى سنة ٢١٣) ، قال أبو داود : كان شيعياً ، ومع ذلك فإن أحاديثه قد رواها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وأبو حاتم الرازي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وإسحاق الخنظلي وأضرابهم .

وعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (١٢٦ - ٢١١) يمدحه رجال الشيعة في الجرح والتعديل من أئمتهم وعلماهم ، ويعرف ذلك فيه أئمة أهل السنة ، ومع ذلك أخذ عنه الإمام أحمد وأمثاله وأثنوا عليه في علمه وتقواه وتلقوا روايته بالقبول ، لأنهم لم يظهروا منه على ما يوجب اجتناب حديثه .

وحسين بن حسن الفزاري الأشقر (المتوفى سنة ٢٠٨) جاء عنه في كتاب (الكفاية ^(١)) للخطيب البغدادي أن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الخنظلي قال : سمعت يحيى بن معين ذكر حسيناً الأشقر فقال : كان من الشيعة الغالية الكبار . قلت : وكيف حديثه ؟ قال : لا بأس به قلت : صدوق ؟ قال : نعم ، كتبت عنه عن أبي كدينة ويعقوب القمي .

وروى الخطيب البغدادي ^(٢) بسنده إلى محمد بن عبد العزيز الأبيوردي قال : سألت أحمد بن حنبل يكتب (أى الحديث) عن المرجيء والقدرى ؟ قال : نعم يكتب عنه إذا لم يكن داعياً .

وروى (في ص ١٢٩) بسنده إلى أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى (المتوفى سنة ٢٨٥) أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قيل له : في حديثك أسماء قوم من القدرة . فقال : هو ذا ، نحن نحدث عن القدرة .

وفي الكفاية (ص ١٢٨) عن إبراهيم الحربى أيضاً أن أحمد بن حنبل قيل له : يا أبا عبدالله ، سمعت من أبي قطن القدرى . فقال : لم أره داعية ، ولو كان داعية لم أسمع منه .

قال الخطيب البغدادي في (الكفاية ^(١)) : « والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم - أى بأخبار أهل الاهواء والمخالفين لأهل السنة في العقيدة - ما اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل ، ثم استمرار عمل التابعين والمخالفين بعدهم على ذلك ، لما رأوا من تحريمهم (أى من تحرى من روى عنه منهم) الصدق ، وتعظيمهم الكذب ، وحفظهم أنفسهم عن المحذور من الأفعال ، وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة ، وروايتهم الأحاديث التى تخالف آراءهم ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم . فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج وعمرو بن دينار وكان يذهب إلى القدر والنشيع ، وكان عكرمة لمباضياً ، وابن أبي نجيع وكان معتزلياً ، وعن الوارث بن سعيد وشبل بن عباد وسيف بن سليمان وهشام الدستوائى وسعيد بن أبى عروبة وسلام بن مسكين وكانوا قدرة ، وعلقمة بن مرثد وعمرو بن مرة ومسرور بن كدام وكانوا مرجئة ، وعبيد الله بن موسى وخالد بن مخلد وعبد الرزاق بن همام وكانوا يذهبون إلى التشيع ، فى خلق كثير يتسع ذكرهم . دون أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجوا بأخبارهم ، فصار ذلك كالإجماع منهم ، وهو أكبر الحجج فى هذا الباب ، وبه يقوى الظن فى مقاربة الصواب . »

وإذا كانوا يقبلون حديث المخالف لهم ما دام من أهل الامانة والعدالة والضبط ، فإنهم يرفضون أحاديث العابدين الانقياء الزاهدين المشهود لهم بالصلاح إذا لم يكونوا من أهل العدالة والضبط فى رواية الحديث .

وقد تناول الإمام مسلم بن الحجاج القشيري هذا الموضوع فى مقدمة صحيحه بالبيان

وحسن البيان ، وعقد الخطيب البغدادي فصلا مستقلا لهذا الموضوع في (الكفاية^(١))
روى فيه بسنده إلى الأصمعي (١٢٢ - ٢١٦) عن ابن أبي الزناد وعبد الرحمن بن عبد الله
ابن ذكوان (المتوفى سنة ١٧٤) عن أبيه (المتوفى سنة ١٣٠) وكان من أئمة مدينة الرسول ،
بل كان الإمام أحمد بن حنبل يسميه أمير المؤمنين أنه قال : « أدركت بالمدينة مائة كلمهم
مأمون ، ما يؤخذ عنهم شيء من الحديث ، يقال : ليس من أهله » .

وروى بسنده إلى أبي سليمان شيخ من أهل المدينة أن ربيعة الرأي - وهو أبو عثمان
ربيعة بن أبي عبد الرحمن التميمي المدني - من أئمة الفقه (المتوفى سنة ١٣٦) قال : « إن من
إخواننا من نرجو بركة دعائه ، ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها » .

وروى بسنده إلى الحافظ أبي اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف السلمي الترمذي (المتوفى
في رمضان ٢٨٠) قال : سمعت ابن أبي أريس (وهو اسماعيل بن عبد الله الأصمعي المدني
المتوفى سنة ٢٢٧) قال : سمعت خالي مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩) يقول : « إن هذا العلم
دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم . لقد أدركت سبعين عند هذه الاساطين - وأشار إلى
مسجد الرسول ﷺ - يقولون « قال رسول الله ﷺ ، فما أخذت عنهم شيئا ، وإن
أحدهم لو اتهم على بيت مال لكان به أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم
علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري (٥١ - ١٢٤) وهو شاب
فيزدحم على بابه » .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن المنذر الاسدي الحزامي المدني أحد كبار العلماء المحدثين
المتوفى سنة ٢٣٦ عن معن بن عيسى القزاز المدني المتوفى سنة ١٩٨ وكان من أئمة الحديث الذين
أخذوا عن مالك أن مالك بن أنس قال : « لا يؤخذ العلم - أي علم السنة - من رجل صاحب
هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس ، ولا من
رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تنهه أن يكذب على رسول الله ﷺ ،
ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث » .

وروى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح أحد علماء مصر وفقهاء
الفسطاط وكانت وفاته سنة ٢٥٠ أن أبا يزيد خالد بن نزار الغساني الأيلي المتوفى سنة ٢٢٢

حدثه برسالة بعث بها الإمام مالك بن أنس إلى محمد بن مطرف بن داود النيمى المدنى وكان من العلماء الأثبات فى ذلك العصر — ولعل رسالة مالك إليه كانت بعد نزوح ابن مطرف عن المدينة الى فلسطين ونزوله فى مدينة عسقلان — قال :

« من مالك بن أنس — إلى محمد بن مطرف . سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله (وبعد وصايا أخرى قال) : ثم أخذه (يعنى العلم) من أهله الذين ورثوه عن كان قبلهم يقيناً بذلك ، ولا تأخذ كل ما تسمع قائلاً بقوله ، فإنه ليس ينبغى أن يؤخذ من كل محدث ولا من كل من قال ، وقد كان بعض من يرضى من أهل العلم يقول : إن هذا الأسر (أى حديث رسول الله ﷺ) دينكم ، فانظروا من تأخذوا عنه دينكم . »

* * *

وبعد فإن أئمة السنة الذين أخذوا على عاتقهم تحقيق كل ما نسب إلى النبي ﷺ من قول أو فعل ، فنجحوا فى ذلك بما لا يستطيع أن يدعى المؤرخون مثله لآى شخصية أخرى فى العالم ، كان الشرطان الأولان اللذان يشترطونهما فى حملة الأخبار المتعلقة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله أن يكون الراوى من أهل الصدق والامانة ، ومن أهل الإدراك والحفظ وال ضبط ، فإذا توفر هذان الشرطان فى الراوى تلقوا الخبر عنه بالقبول وإن كان مخالفاً لهم فى النحلة والمذهب ، وإن لم يتوفر الشرطان أو أحدهما فى رجل اجتنبوا حديثه وإن كان من كبار الصالحين والعابدين الذين يلتمس أهل الحديث دعاءهم ويتبركون بهم . ولهذا امتازت كتب أهل السنة ولا سيما صحيح البخارى ومسلم وسائر الكتب الستة بأنها المثل الأعلى لما يمكن أن يصل إليه المجهود البشرى فى التحقيق .

والذى يتردد فى الاطمئنان إلى كتب السنة ، ولا سيما أمهاتها التى تلقىها الأمة بالقبول ، فإنه لا يجوز له أن يصدق التاريخ كله فى شيء ، ولا أن يدعى معرفة ترجمة رجل من رجال التاريخ ، لأن كل ما ينسب إلى الماضى فى جميع الأمم لم يبذل فى تحقيقه جزء من ألف جزء مما بذله أئمة السنة لتحقيق ما ينسب إلى الهادى الأعظم محمد ﷺ من قول أو فعل ، والتثبت من صحته وأمانة ناقله ، لأنهم يعلمون أنه المصدر الأعظم للحق والخير اللذين تشدهما الإنسانية فى تكوين مجتمعا ، وتستعد الإنسانية يوم تستمد من هـذا المصدر

كيانها ونظامها الاجتماعى ؟

م . خ

سَمَاجَةُ الْإِسْلَامِ

في التعال مع غير المسلمين

قال مندوب الأهرام :

أتيت لي أن جالس وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر جلسة طويلة ممتعة ، وتحدثت إلى فضيلته في مختلف الشئون ، وكان في مقدمة هذه الشئون أهمية ما يتعلق بالأجانب المقيمين في مصر ، وما حكم الشريعة الإسلامية في معاملتهم وكيف ينظر إليهم الإسلام ؟ وبماذا يأمرنا به نوحوم !

ولقد تجلى فضيلة الأستاذ الأكبر في تجليتها وتبيان أحكام الشريعة السمحة فيها ، وقد كان فضيلته يعني أكبر العناية بدعم آرائه بالكتاب الكريم والحديث الشريف والآثر الصالح عن السلف الصالح ، قال فضيلته :

ينظر الإسلام إلى رسالات الله كلها على أنها دين واحد ، تتفق في أصولها وروحها وغاياتها ، وإن اختلفت في صورها ومظاهرها وتطورها .

ولذلك كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي عرفه البشر داعياً إلى تكريم رسل الله وأنبيائه جميعاً ، فقال عز وجل في أواخر سورة البقرة : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . »

فنظرة الإسلام هذه إلى وحدة الأصل ووحدة الغاية في ديانات الله ورسالاته كلها ، كان من أولى نتائجها أن لا ينظر المسلمون إلى شيء من ديانات الله نظرة ضغينة أو عداوة ، وأن لا يذكروا أحداً من الذين حلوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلا بالتعظيم والإجلال والتكريم ، فإذا ذكروا أحداً منهم قالوا مثلاً : سيدنا إبراهيم عليه السلام ، و : سيدنا موسى الكليم عليه السلام ، و : سيدنا عيسى المسيح عليه السلام . يقولون ذلك عن عقيدة وإيمان ؛ لأن كتابهم الحكيم طالعهم بأن يؤمنوا بذلك وأن يقولوا : لا نفرق بين أحد من رسله .

ولا شك عندنا بأن دين الإسلام هو أول دين في العالم أعلن هذا المبدأ ، وهذا في سورة البقرة أيضاً : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . » بل لعل الإنسانية لم يطرق النداء بهذه العقيدة سمع أحد منها في أي بلد من بلاد الأرض قبل أن يفرض الإيمان

بها في الحجاز ، وقبل أن تقرر على أنها عقيدة من صميم الإيمان الإسلامى . فشكل مسلم يخرج عليها ، أو يعمل بما ينافيها ، فهو مخالف لشعبة عظيمة من شعب إيمانه بالإسلام .

والقرآن يسمى المنتسبين إلى التوراة والإنجيل (أهل الكتاب) ومع تسامحه العجيب الذى لم يسبق له مثيل مع بنى الإنسان جميعاً ؛ فإنه خص أهل الكتاب بمنزلة أسمى ، ومعاملة أكرم . ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

وغير المسلمين في نظر الإسلام ثلاثة أصناف : محاربون ، ومعاهدون ، وأهل ذمة .

وحكم الإسلام فيمن يحاربونه أن يدفعهم المسلمون إذا هاجوا ، وأن يبادروهم بما يكف بأسهم إذا تحفزوا ، وأن يقولوا : « عوجاجهم إذا اعتدوا على الحق إلى أن يعودوا إلى الإنصاف وفي ذلك يقول الله سبحانه في سورة الحج : « أذن للذين يقاتلون (أى يقاتلهم المعتدون) بأنهم ظلموا (أى في حالة ظلم عدوهم لهم) وإن الله على نصرهم لقدير » . ويقول في سورة البقرة : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

ثم إن القتال لا يكون في سبيل الله إلا إذا ألزم فيه المسلمون مرضاة الله ، والله لا يرضى منهم إلا الإنصاف والعدل والرحمة وإيثار الحق على الباطل ، والخير على الشر في جميع التصرفات ، وهذا هو سبيل الله ، وما خالفه فليس من سبيل الله ، والقتال فيه لا يكون عند المسلمين شرعياً . وإن تفصيل التشريع الإسلامى في القرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم فيما يتعلق بالحرب والمحتارين ، يدل على أنه قرر المبادئ الإنسانية السامية في ميادين القتال وجعلها ديناً يحاسب أهله عليه بين يدي الله ، فضلاً عما ينالهم في الدنيا من الخزي إذا خالفوا هذه المبادئ العليا . ولا نظن أن أمة بلغت مبلغ المسلمين في ذلك ، فضلاً عن الرحمة والرفق في تطبيق هذه المبادئ منذ أربعة عشر قرناً .

ومن الرفق الذى أقام الإسلام عليه سياسته الحربية أنه منع من التعرض بالاذى لمن لم ينصروا أنفسهم للقتال : كالرهبان ، والفلاحين ، والنساء ، والأطفال ، والشيخ الهرم ، والأجير ، والمعنوه ، والأعمى ، والمصاب بالزمانة ، بل من الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى والزمن ولو كان من ذوى الرأى والتدبير في الحرب .

ولو أردنا الإفاضة في تفاصيل مبادئ الإنسانية العليا في أحكام الإسلام الحربية لاحتجنا إلى تأليث كتاب ، لأنه لا يتسع له مقال في الصحف .

أما المعاهدون ، وهم الذين انعقد بهم وبين المسلمين عهد على السلم ، فيجب على المسلمين الوفاء لهم بعهدهم كاملاً ، وأن يستقيموا لهم ما استقاموا للمسلمين .

وقد وصى النبي ﷺ أمته بالذين بينهم وبين المسلمين معاهدة ، فقال : « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » .

وحتى لو توقع المسلمون الغدر والخيانة من عدوهم المعاهد ، فلا يجوز لهم أن يعاجلوه بالقتال إلا بعد إنذارهم وإعلانهم إلغاء حالة السلم التي كانت بين الفريقين . وهذا هو معنى قول الله عز وجل في سورة الأنفال : « ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » . ومن تمام ذلك قول الله سبحانه في سورة التوبة : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » . ثم قوله بعد قليل : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبليه مأمناً ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

وأكثر الأحكام التي يعامل بها المعاهدون في بلاد المسلمين مبنية - بعد الوفاء بالعهد - على مبدأ المراقبة بالمثل . فتعامل رعايا كل فريق من الدين بيننا وبينهم عهد بمثل ما يعاملون به رعايانا إذا دخلوا بلادهم ، ويوصى الإسلام بفيه بأن يرتبطوا بهم في بلادنا برباط الألفة والعطف والتعاون ، وأن يكونوا متمتعين بحقوقهم الدينية ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

وأعظم من كل ما تقدم مكانة أهل الذمة في الإسلام ، فلفظ « الذمة » معناه ذمة الله وعهده وأمانته ورعايته .

وقد ورد في الحديث النبوي : « من قذف ذمياً ، حدى يوم القيامة بسيطا من نار » . وروى الخطيب البغدادي في تاريخه - وهو من كبار أئمة الحديث الشريف - وحفاظ السنة النبوية - عن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

وقد بنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الحديث أوامره إلى قائدته الأعظم في جيش

الفتح المصرى وواليه الاول على وادى النيل وهو أبو عبد الله عمرو بن العاص السهمى ، فكتب إليه عقب فتح مصر يقول : « احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً فإنه من خاصمه خصمه ، ونص عمر بن الخطاب على نفسه فيما كتبه من العهد لأهل بيته المقدس عند فتحها فقال إنه « أعطاهم الأمان لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسائر ملتهم لا تسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها (أى أوقافها وصدقاتها) ولا من صلهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد نص الفقهاء عند استنباطهم الاحكام التشريعية من حديث « لا يبيع رجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبته » ، فقالوا ، « البيع على بيع غير المسلم الداخل فى ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم . والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم ، كلاهما حرام » .

وفى آداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة ، وندبوا إلى الرفق بهم ، واحتمال الأذى فى جوارهم ، وحفظ غيبتهم ، ودفع من يتعرض لأذيتهم .

وقال الشهاب القرافى - وهو من كبار أئمة التشريع فى الإسلام - فى كتابه الشهير (بالفروق) : « إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا ، لأنهم فى جوارنا ، وفى خفارتنا ، وفى ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم ، أو أى نوع من أنواع الأذى ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، وذمة دين الإسلام » .

وقال الإمام ابن حزم فى مراتب الإجماع : « إن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه (أى يقصدون من كان فى ذمة الإسلام) وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح ونموت دين ذلك ، لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسامحه دون ذلك إهمال لعقد الذمة » .

وبعد فإن المسلمين قد استناروا بسماحة دينهم ، وتعللوا من آذابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى ، ممن لا يكيدون لهم كيذا ، ولا يظاهرون عليهم عدواً ، وأرشدهم إلى أن يعيشوا معهم فى صفاء وتعاون على المصالح الوطنية المشتركة ، وأنه لا ينحرف من المسلمين عن هذه الأحكام والآداب إلا المنحرفون عن دينهم والعياذ بالله .

الميسر وورق اليانصيب

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

قابل مندوب جريدة (المصرى) صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
وساله عن حكم الإسلام فى الميسر واليانصيب ، فقال فضيلته :

من الناس من يعد نفسه من ذوى الاخلاق الفاضلة وهو مولع بلعب القمار ، وهذا لا يعد فى نظر الشارع وأهل الفضل ذا أخلاق كريمة ، فإنه قصد إلى الاستيلاء على مال غيره بغير حق فهو والسارق سواء لا فرق بينهما ، إلا أن السارق يمد يده إلى مال غيره بوجه خفى والمقامر يمد يده إلى مال غيره ولا يدري هل يصل إليه أو يستولى غيره على ماله فيبقى حزيناً كاسف البال ، وهو على كلتا الحالتين منظور إليه بمقت ودم ، فى الحالة الأولى محقوت لأنه استولى على مال غيره بغير حق من عمل أو أمر آخر ، وفى الحالة الثانية مذموم محقر حيث طمع فى مال غيره ومد يده اليه غير أنه لم يصل اليه ، فالشارع الحكيم أباح للإنسان أن يتمتع بما كان ملكاً لغيره إن دفع له فى مقابله عملاً أو شيئاً كان فى ملكه ، فقال تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

وصاحب القمار لم يتاجر بماله بل تاجر بأخلاقه قبل كل شيء . ولا يغرنك فعل الأمم الأوروبية واكتشافها برضا صاحب المال فى ظاهر الامر ، فإنه إذا أخذ منه المال انقلب رضاه غيظاً ، بخلاف من اكتسب بماله عملاً أو بضاعة يذتفع بها . والشارع الحكيم راعى فى المعاملات أن تكون عن رضا من صاحبها ظاهر وباطن ، وذلك وجه إباحته للتجارة وحله للبيع ومنعه من القمار ، وإذا كان الأوروبيون أغنياء فإن لديهم معامل ومزارع متقنة والقمار قليل بالنسبة إلى مصانعهم ومزارعهم وتجارتهم ، والشارع الحكيم يحرم على المسلمين أن يدفعوا ما لهم طمعاً فى أن ينالوا من إنسان آخر مثله فيعودوا بالمالين جميعاً فمن المحتمل أن يذهب مال المقامر جملة ولا يصل به إلى عمل أو إلى بضاعة .

اليانصيب للأعمال الخيرية

أما « اليانصيب » للأعمال الخيرية فهو قمار بلا ريبة ، وقد كان العرب في الجاهلية - كما ذكر ابن قتيبة في « الميسر والقдах » - عند شدة البرد وجذب الزمان وتعذر الاقوات على أهل الفقر والمسكنة - يقامرون بالقдах على الإبل ثم يجعلون لحومها لذوى الحاجات منهم والفقراء ، وهذا ما قصده القرآن بالمنفعة في قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » . ومع هذا قد جعله القرآن بمنزلة الخمر إذ قرنه بها في الآية . والشارع الحكيم يريد من أتباعه أن يكونوا خياراً كراماً يدفعون أموالهم التي لا يتساجرون بها إلى الفقراء وذوى الحاجة العامة قاصدين وجه الله ورضوانه دون أن يقصدوا إلى سلب مال غيرهم ، فإن ذلك إثم كبير .

نفس الحر

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعى :

أمطرى أولوا جبال سرندىب وفيضى آبار تكرر تبرا
 أنا ما عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
 همى همى الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرأ
 وإذا ما قنعت بالقوت عمرى فلماذا أزور زيدا وعمرا

وقال رضى الله عنه :

على ثياب لو تباع جميعها بفلس لسكان الفلس منهن أكثرا
 وفيهن نفس لو تقاس بمنلها نفوس الورى كانت أجل وأخطرا
 وماضى نصل السيف لإخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته سرى

من صور الفداء في الإسلام

فترة الشباب في حياة الإنسان هي أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة ، والعواطف الثائرة ، وهي ليست عهد العافية المكتملة في البدن الناضج فقط ، بل إنها - كذلك - عهد النزعات النفسية الجياشة يمدّها الخيال الخصب والامل البعيد ... !

والامم تستغل في شبانها هذه القوى المذخورة ، وتجندّها في ميادين الحرب والسلم لتدلل بها الصعب وتقرب البعيد .

ونجاح النهضة الكبيرة يرجع إلى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهمهم ، وإلى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم .

وقد راقبنا الثورات التي اشتعلت في أرجاء الشرق ضد الغزاة المغيرين على بلاد الإسلام فوجدنا جماهير الشباب هم الذين صلوا حرها وحملوا عبثها ، واندفعوا بحماسة الملهية وإقدامهم الرائع يخطون مصارع الأعداء ويرسمون لامتهم صور التضحية والفداء ... !

ولا يزال الشباب من طلاب وعمال وقود الحركات الحرة ، وطلبة التأثير على الفساد والاستبداد ، وقبة المربين والمرشدين ، والزعماء الذين ينشدون مسقبلا أزكى لهذه الحياة .

ونحن إذ نقرر هذه الحقائق ننوه بما تنطوي عليه من دلائل الإيثار والتفاني ، ونرجو أن يكون حظ أمتنا من هذه الثروة الحية كفاء ما رميت به من أحداث جسام وما فقدت من أمجاد عظام ، فلا ينتهي هذا العصر حتى نكون قد غسلنا بلادنا من أدران الاحتلال الأجنبي الذي أخزانّا في ديننا ودينانا ... !

يبد أن هناك رجالا تقدمت بهم السن وذهبت عنهم سورة الشباب ، وتكاثرت الصلوات التي تربطهم بالدنيا ، ومع ذلك فإن جذوة اليقين المتقدم في قلوبهم تمسك بالشباب المولى عن جلودهم وعظامهم . وتبقي ، بل تضاعفه ، في قلوب تنبض بالحق وتدفعه في العروق مع الدم ، فإذا بك ترى منهم بأس الحديد ، وجرأة الاسود ، وإذا بك ترى رجالا تستويهم المغامرة ، ويطيرون إلى التضحية في سبيل الله أخف من الشباب الغض ...

قد يقبل الشاب الفذ على المخاطر ، وسبل البذل أمامه ميسرة ، فهو إن سجن لم يجزع على أسرة يعولها ! وإن قتل لم تبكه امرأة أيم ! ولا ولد يتيم ! وخفة حمله من هذه الناحية

تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب أو تزيح العوائق من أمامه إذا ثارت في دمه نوازع النجدة ...

أما البطولة الفارعة فهي أن يكون المرء رب أسرة كبيرة يضرب في مناكب الأرض لرعايتها ويسير في الحياة وهو موقر بأثقالها . غير أنه - وهو الزوج المحب والاب الرحيم والراعى المستول - مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله ، مخلص للدين الذى اعتنقه مقدر للحقوق التى ارتبطت به ، فإذا أحس للإسلام طلباً سارع إليه ، ولباه بروحه وماله ، ولم تشغله أعباء الحياة التى يكسح فيها عن مطالب المثل العالية التى آمن بها ..

والإنسان عندما يقرأ استشهاد عبد الله بن حرام : يرى في قصته جلالات تنحني له الحياة ، إعزازاً للأبوة الرقيقة التى جادت بنفسها واستودعت الله أسرة من غلام واحد وست بنات !! :

روى أبو داود والنسائى عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم ، وقال لى أبى : يا جابر ، لا عليك أن تكون في نظارى أهل المدينة حتى تعلم لإلام يصير أمرنا ؟ فإنى والله لولا أنى أترك بنات لى بعدى لأحببت أن تقتل بين يدى ، قال : فيينا أما في النظارين إذ جاءت عمتى بأبى وخالى ، عادلتهما على ناضح ! فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادى : ألا إن النبى ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوهم في مصارعهم ، فرجعنا بهما ، فدفنأهما حيث قتلا ..

وروى البخارى عن جابر أيضاً : لما حضر أحد دعائى أبى من الليل ، فقال لى : ما أراى إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ . وإنى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله ! وإن على دينا ، فاقضه ، واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل .

* * *

هذا الصاحب الجليل خرج مع رسول الله ليصدوا هجوم المشركين على المدينة ، تاركا وراءه هذه الأسره الكبيرة ، وقوامها كما رأيت بنات يحتجن إلى الكافل الخانى ، ولم يكن أبوهن ذا بسطة في المسال ينفق منه عن سعة . ويترك لعقبه من بعده ما يغنى ويصون ، بل كان الرجل مهموما بشئون الرزق ، ينصب فيه ويستدين . وغلام فرد إلى جوار ست بنات

يكون غالباً قرة عين الوالد وموضع حبه العميق ، لكن عبد الله يقسم أنه يود لو قدم ابنه ليستشهد في سبيل الله ، وأنه إنما يعجل بنفسه حتى يبق الابن لآخوانه يخدمهم ، فإن ابنه لو قتل قبله ، فلن تطول بالآب حياة ، إنه لا بد مقتول في أقرب معركة ..

إن أصحاب المبادئ سراع إلى تلبية مبادئهم ؛ عند ما يُقرع باب الكريمة ينهض وهو يقول :

فقمتم ولم أجثم مكانى ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح
وعند ما يطلب الشجاع إلى ساحة الوغى يذهل عن الحياة وأواصره بها ، وينطلق وهو يقول : د وعجلت إليك رب لترضى ، !!!

وقد خرج أبو جابر إلى أحد ليلتي مصيره مع أبر شهاده الإسلام ، روى الشيخان عن جابر قال : أصيب أبي يوم أحد ، فجعلت أكشف عن وجهه وأبكي ! وجعلوا ينونني والنبي ﷺ لا ينهاني ، وجعلت فاطمة بنت عمرو رضى الله عنها تبكيه ! فقال ﷺ : تبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه . . . وروى الترمذي عن جابر قال : لفتني رسول الله مرة وأنا مهم ، فقال : ما لي أراك منكسرا ؟ فقلت : استشهد أبي يوم أحد ، وترك عيالا ودينا . فقال : ألا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قلت : بلى ! قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه أحبي أباك فكلمه كفاحا - أى واجهة - فقال : يا عبدى ، تمن على أعطك ! قال : يارب ، تحييني فأقتل ثانية ! فقال سبحانه وتعالى . إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون . فنزلت : د ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا . . . ، والمرء يحار ، أيعجب من كرامة الشهيد على الله ؟ أم من حلاوة الفناء في الله التي ذاقها أولئك الشهداء ؟ إن أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده ، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده ؛ بل أطلع للعودة إلى الدنيا كيما يذهل مرة أخرى عن أحب شيء فيها ، ويمشى بخطى ثابتة إلى ساحة القتال .

ولقد كفل الله أولاد الشهيد ، وقضى عنه دينه في حديث يطول .

* * *

ولندع حديث الصدر الاول ، ونستأنف حديث الاشياخ المجاهدين في عصرنا هذا ، إننا واجدون رجالا من طراز رائع صنعهم الإسلام القوى فأحكم صناعتهم ، وقذف بهم على جند الباطل ليجددوا سير السابقين الاولين من المهاجرين والانصار .

من أولئك نفر الغر: عمر المختار ، البطل الذى بلغ التسعين من عمره وهو يحب
الصحراء مطاردًا ، الطليان ، الذين أغاروا على طرابلس ، وعملوا على تنصيرها بالحديد
والنار . وفيه يقول « شوقى » :

بطل البداوة لم يكن يغزو على « تنك » ، ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء
وقد وقع الشيخ المهيّب فى أسر الأعداء ، فألفوا محكمة قضت بقتله شقاً !! والطليان
قوم لا ينتظر منهم شرف المعاملة ، لا مع صديق ولا مع خصم ، وقد ندّد شوقى بهذا
الحكم الشائن فقال :

خفيت على القاضى ، وفات نصيبها من رفق جنّد قادة نبلاء !!
تسعون لو ركبت مناكب شاهق لترجلت هضباته إعياء ...
ويقول :

شيخ تمالك سثنه ، لم ينفجر - كالطفل - من خوف العقاب بكاء !
الأسد تزأر فى الحديد ولن ترى فى السن ضرغاً بكى استخذاء

ثم يخاطب الشعب طالباً منه تجنيد الشباب وإعفاء الشيوخ . فيقول :

فأرح شيوخك من تكاليف الوعى واحمل على شبانك الأعباء
على أن منطق اليقين لا يكثرث بفوارق السن ، فإن العقيدة المتفجرة فى القلوب الكبيرة
ترد السكحول الوانين فتياناً نشطين ، أما إذا تخلخل الإيمان فإن الشاب الجلد يسمى حاس منفعه
تافه ولذة مهينة . !!

والدعوات العظيمة لا تضار بشيء مثل ما تضار بهذا الصنف من المتلونين المتطاعين ،
الصنف الذى يحاذر أن يمسه سوء ، ويسارع إلى إحراز الغنائم ، ويشارك بحسمه أصحاب
الرسالات ، أما قلبه فهو بعيد بعيد ...

الصنف الذى صور القرآن موقفه النبى المريب فى هذه الآيات « وإن منكم لمن ليبطئن ،
فإن أصابكم مصيبة قال : قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من
الله ليقولن : كأن لم تكن بينكم وبينه مودة . ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً . »

والمرء لا يصلح أن يكون رجل دعوة أو صاحب رسالة إذا بنى حياته في حساب الأرباح والخسائر على هذا النحو المنسكر .

ربما كان الرجل خالي البال لا يتبع أهلا ولا مالا ، فهو يهز كتفيه لما تفد به الليالي من أحداث . أفإذا بلى بأثقال الأهل والمال تخفف في مسيره من أعباء الفضائل وألقى بها في عرض الطريق وأضحى لا يهدأ أو لا يهيج إلا لمنافعه الخاصة ؟ ؟

كذلك فعل المنافقون قديما ! فعندما ندبوا للجهاد قعدوا واعتذروا ، سيقول لك الخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا . يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا . بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا . . .

إنهم توهّموا الخروج مغامرة مخرفة العاقبة أو مقامرة بعيدة الربح فذكسوا ، وأفندتهم صفر من معاني اليقين والتضحية التي تجل الشهيد يقبل على الموت ويود لو يرد إلى الحياة ليوت مرة أخرى .

ولو كان الخروج لنفع يسير لكان لهم مع القافلة سواد كثيف ؛ سيقول الخلفون إذا انطلقتم إلى مغائهم لناخذوها : ذرونا تتبعكم يريد أن يبدلوا كلام الله . قل : لن تتبعونا . كذلك قال الله من قبل . . .

وقد حذر الله المؤمنين أن تسيطر على أفكارهم هذه المآرب أو تتدخل في نياتهم هذه المناقع . يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . .

* * *

فلتكن لنا من حياة المجاهدين عظة ومن مماتهم عبرة ، ومن مسالكهم مع أهلهم وأوالهم أسوة حسنة .

محمد الغزالي

صحوة الأرواح

صحّت الأرواح على صحبة الإيمان تحمل النذر وتوعد السادرين في غواية الأحلام وتهتك غياهب المخازي التي طوت أمواجه مصر زعيمة الإسلام .

صحّت الأرواح على ثروة الحق التي أرعشت عواصفها قلوب المتألهين الذين سخروا للذاتهم كل شيء حتى داسهم الصغار فسخر منهم كل شيء .

صحّت الأرواح على وثبة جريئة كسرت الكبول التي شلت أيدينا وحطمت الأغلال التي قوست أصلابنا وهشمت القيود التي أدمت أعقابنا .

صحّت أرواح الكتّاب بعد خمود وتحركت بعد همود ، فإذا الليل الرهيب الذي ضلت في كنهه الأقلام قد انجاب ، وإذا الرعب الذي هصر عودها قد أبحر إلى غير إياب .

وإذا أصبح الأمل تستروح الأرواح نسائه ، وتغرى الأقلام بوضاء الحق بسنامه ، صحّت أرواح المحدثين على منطق الثورة يصيح فيهم : اخرجوا من السجون التي طوتكم جنباتها وأعمتكم ظلماتها ، فكظمت عن قول الحق الأفواه ورمت على صدق النصيحة الشفاه .

اخرجوا فاحملوا المشعل بين يدي موكب النهضة ، واسبقوا الطلائع واستنفروا الناس ليسيروا مع القافلة إلى المجد ، لا إلى الغنائم والأسلاب وإنما إلى حياة العزة التي ينشدوها الأحرار والتي حفت سبلها بالمكاره والأهوال .

فتحت أرواح الخطباء على فجر الوطنية الصادق يؤذن . وؤذنه : الجهاد خير من النوم ، فدارت عيونهم في السماء تنقب عن مصدر النداء فإذا خفقات البنود وإذا صوت البعث تلهب جلجلته عزم الجنود ، فجواب الخطباء على المنابر صداه ، وانطلقت ألسنتهم التي عقلها بطاش الطغاة .

لقد أيقظ صوت البعث هذه الأرواح فجاءت أصداء الكفاح ، وانجلت غيوب الماضي بمخازيها ، وتخلست مصر من مخالب الاستغلال التي عبثت بأمانها .

فهل أيقظ صوت البعث أرواح الوعاظ والمرشدين — وهم هداة الأمة ومصابيحها ومعلبو الشعب ورسل الدين إليه — ليوجهوا الأمة إلى الخير ، ويربوا الشعب تربية طيبة

قوامها حب المحسن وبغض المسيء ، ومعاونة المصلحين وتدمير المفسدين ، وإطاعة ولي الأمر العادل والثورة على الظالم الجائر .

هل صحت أرواحهم فغسلوا قلوبهم وطهروا حياتهم من دنياهم التي عاشوا فيها ، دنيا المادة والمظاهر الكاذب ، ليشرقوا على المسلمين بنفوس من طراز جديد آمنت إيماناً عميقاً برسالتها فهي لا تفكر في غير ما تحقق به هذه الرسالة ، فحينما وجد الواعظ أدى الأمانة لله ولدين الله ودعا الناس إلى تسليح قلوبهم بالفضائل قبل أن يخوضوا المعارك الفاصلة بين الحياة والموت .

الحق أن النهضة تريد واعظاً جديداً تغلغل حبه لرسالته في أعماق قلبه ، يعظ الناس بروحه لا بلسانه وبعمله قبل علمه ، لتصل العظات إلى القلوب فتخلقها خلقاً جديداً .

ولن تمس العظة الروح إلا إذا كان الواعظ مثلاً حياً للأخلاق مؤمناً بما يقول ويفعل ، فهل آن للواعظ أن تصحو أرواحهم ، وتخلص نفوسهم ليشتروا في بناء هذه النهضة ، ويدعوا أركانها .

وهل صحت أرواح المعلمين ليضعوا النشء في مرحلة الأخلاق حتى تنصهر النفوس ، ثم تخرج طاهرة أصفى ما يكون الطهر ، نقية أخلص ما يكون النقاء ، فليست معاهد التعليم غير مصانع للرجولة قبل كل شيء ، فإن فشلت هذه المصانع فيما تنتج ، فخلق بالدولة أن تحاسب المعلم الفاشل على هذا الفشل ، فالدولة لا تطعمه لوجه الله ، بل ليبنى لها نفوساً لا يروعا معترك الحياة ، ولا تفزعها أمواج الأحداث .

لما نريد معلماً يؤمن بأن مستقبل البلاد أمانة في عنقه ، وبأن الشباب الذي بين يديه هم قادة الغد وجنوده فجدير به - وتلك رسالته - أن يخلق للنارخ الرجال ، وأن يفنى قوته وحياته في بناء ذلك المستقبل المنشود ، فإن لم يفعل فهو عضو مريض في جسم الأمة ، وإن يضير الأمة أن تتخلص منه حتى لا يفسد بناءها .

إن واجب المعلم أن يقدم لمصر مصرياً عاملاً في المجتمع لا مصرياً متمرداً على المجتمع . يجب أن يقدم لمصر مصرياً امتلاً قلبه بالرحمة ، وروحه بحب الخير ، لا مصرياً أبليتة المادة فعاش لاهوائه ومطامعه .

وأخيراً - ونحن بين يدي هذا البعث الجديد : هل صحت أرواح الأمهات فمكنهن على جيل الغد تربيته تربية صادقة ، فمن المدرسة الأولى ، وأطفالهن أمانة في أيديهن ، فعلمهن أن

بين الفلسفة وعلم الكلام عند المسلمين

لقد مضى عصر النبي ﷺ وعصر أبي بكر ، ثم عصر عمر بن الخطاب ، ثم بعض عصر عثمان رضى الله عنهم ، وأمر عقيدة المسلمين واضح لا لبس فيه ولا إبهام ، لأن مصدر العقيدة هو الكتاب والسنة .

ولقد كان الجميع يؤمنون بالقرآن كله ، المحكم منه والمتشابه ، أنه كتاب الله الذى أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وحيث إنهم قد آمنوا برسالة محمد بن عبد الله ، فإنهم لابد أن يصدقوا بكل ما جاء به .

إن فى القرآن الكريم آيات تدل على تنزيه الله وعلى نفي مشابهته للمخلوقات ، قال تعالى :
« ليس كمثله شئ » . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ،

يرعين هذه الامة ، وأن يسهرن على تلقين رجال الغد معانى الرجولة ، ويضعن تحت أعينهن صوراً حية من البطولة الصادقة .

حقاً إن العبء ثقیل على المرأة فى بناء هذه النهضة ، ولكنها ستنسى الابعاء يوم يطول البناء وترى ركنها يفرع الجوزاء .

لقد أحيا البعث الإسلامى أمة اختلفت عليها الادواء ، وتنازعتها مخابل الاهواء ، ونحزت فيها العمل ، واحتربت فيها الفوضى ، خفلت قوته من تلك الامة المهلهلة المنحلة أمة قوية فى أخلاقها ، فتيه فى عزيمتها ، دقيقة فى سياستها ، عظيمة بمبادئها ، شريفة ووضعها أمام الحق سواء . بكل هذا عزت وبكل هذا سادت وبكل هذا ملكت وحكمت .

فهل يخلق البعث المصرى الجديد - من تلك الامة التى تهدمت أخلاقها واضطربت سياستها وجشمت على صدرها الاطماع حتى أمهكتها - أمة تسود بأخلاقها ، وتعز بدينها وبمبادئها ، وتملك بإيمان رجالها .

أيها المصريون ، بل أيها المسلمون ، بل أيها الشرقيون ، إننا يوم نعود إلى الله بقلوبنا ونعز بدينه فى حياتنا ونخلص لوجه أعمالنا ونستاهمه الرشيد فى خطانا ونعبي لخير مصر والشرق كفاياتنا وننسى أهواننا ونشكر ذواتنا ، سنقلب وجه التاريخ لنعيد لذلك الوجود عهداً لم تحلم به أعظم العهود . محمد خليفة

وفيه آيات أخرى كثيرة تدل بظاهرها على ما لا يتفق مع آيات التنزيه ، كقوله تعالى :
 « يد الله فوق أيديهم » ، وقوله تعالى : « ولتضع على عيني » ، وقوله تعالى : « الرحمن على
 العرش استوى » .

ولكن هل شك مسلم في صدق آيات التنزيه والآيات الأخرى التي لا يتفق ظاهرها معها ؟
 أو هل تحدث في تعارض ظاهرها أحد من المسلمين في العصور الثلاثة التي ذكرناها ؟ كلا .
 لقد فهم المسلمون أن أصل الإيمان هو التصديق بأن الله سبحانه وتعالى : أرسل محمداً
 ﷺ للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنه أنزل عليه القرآن الكريم لتحصيل سعادتي الدنيا والآخرة ،
 وأنه أرسل قبله - عليه السلام - رسلاً مبشرين ومنذرين لمن بعثوا إليهم من الأمم ، وأن لهم
 كتباً أنزلها الله تعالى عليهم ، وأنه يجب الإيمان بهؤلاء الرسل كما يجب الإيمان برسالة محمد عليه
 السلام ، كذلك يجب الإيمان بأن الله خلق العالم ، وأنه مزده عن جميع النقص ، ومتصف
 بجميع الكمالات ، وأنه سيبعث الناس ، وسيحاسبهم على أعمالهم ، وسيجازيهم عليها بالإثابة
 إن كانت أعمالاً طيبة ، وبالعقوبة إن كانت سيئة . هذا هو محمل عقيدة المؤمن التي يجب عليه
 الإيمان بها ، والتي كانت سائدة في عصر الرسول - عليه السلام - وعصر أبي بكر وعمر وبعض
 عصر عثمان ، رضى الله عنهم . وبجانب الآيات التي تتخالف في ظاهرها بين التنزيه والتشبيه
 توجد آيات أخرى في القرآن الكريم تتعارض في ظاهرها في أن الإنسان مجبور في أفعاله
 أو مختار ، فإننا نقرأ في سورة واحدة هي « هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، آية تدل
 على اختيار الإنسان في أفعاله » ، « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » : ثم نقرأ فيها
 آية أخرى تدل على جبره في أفعاله « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ولقد احتج الدمشقي
 صاحب القول بالاختيار بالآية الأولى ، ويقال إن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -
 احتج عليه بالآية الثانية فأسكتته (١) .

ولكن هل عارض مثل هذه الآيات ببعضها أحد من المسلمين في العصور التي تحدثت
 عنها ؟ كلا فيما نعلم ، لأننا لم نر شيئاً من هذا قد ذكر لا في كتب المتقدمين ، ولا في كتب
 المتأخرين ، اللهم إلا ما ذهب إليه أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب كتاب
 « الملل والنحل » ، من أن قول بعض المنافقين في يوم « أحد » ، « هل لنا من الأمر من شيء » ،
 وقولهم « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا » ، وقولهم « لو كانوا عندنا ما ماتوا »

وما قلنوا ، ما هو إلا تصريح ، بالقدر ، ، وكذلك ما حكى عن المشركين فى قوله تعالى
 « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ » ، وقول طائفة منهم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » ،
 ما هو إلا قول ، بالجبر ، . على أن ما نقله الشهرستانى إنما كان من المنافقين والمشركين
 ونحن إنما نتكلم عن حال عقيدة المسلمين ، ولا شك أن كل مسلم كان يؤمن بالقرآن الكريم
 سواء منه آياته الدالة بظاهرها على ، الجبر ، وآياته الدالة على ، الاختيار ، .

لأنه لا يمكن وصف أفعالنا كلها ، بالاختيار ، وإلا كنا أشباه آلهة ، ولكن لنصحيح
 المسؤولية وتنفيذ الشرائع أعطينا قدرا من الاختيار يمكننا من القيام بما كلفنا به الشارع
 الحكيم من دون أن تكون لنا القدرة على كل شئ ، وبجانب هذا القدر من الاختيار نجد
 أنفسنا عاجزين عن تحقيق كل ما نريده لأنفسنا من المطالب الدنيوية المباحة ، لأن كل الظروف
 والملايسات لا تخضع لإرادتنا المحدودة ، وإنما هى خاضعة لإرادة عليا ، هى إرادة خالق
 الكون ومدبره ، فتلا الزارع يضع البذر فى أرضه وهو يريد أن تأتى بخير الثرات وأطيبها ،
 ويبدل ما فى وسعه من العناية بسقى الأرض وتنظيفها ، وتغذية النبات بمختلف الاسمدة ،
 ثم تأتى آفة سماوية أو أرضية تقضى على ما كان يؤمل من الجنى الطيب والخير الكثير ،
 فقدرة العبد لم تمتد إلا الى أشياء بسيطة هى وضع البذور ، ورى الأرض ، وتقيتها
 من الطفيليات النباتية ، ولكنها عجزت عن دفع ما كان بقدرة الله وإرادته . هذه العقيدة
 الصحيحة فى قدرة العبد وقدرة الإله وإرادتهما هى العقيدة التى كان يدين بها النبي ﷺ
 وأصحابه من بعده ، حتى جدت حوادث ، وقامت فتن ، كان لها ما كان من أثر كبير فى تغيير
 عقائد المسلمين . إنه بناء على العقيدة الإسلامية الصحيحة التى بينها كيف المسلمون حياتهم
 العامة والخاصة : يعملون ويرجون ، ويسعون ويتوكلون ، يحاربون ويذكرون ، حتى
 لا تتخذه نفوسهم ويؤمنون بأن النصر من عند الله ، إن ينصرهم الله فلا غالب لهم ، .

وفى مقال تال نذكر إن شاء الله ، كيف أن الرسول - عليه صلوات الله - وأصحابه
 من بعده تقدموا المنهج القرآنى اعتقادا وعملا بما حقق الغاية فى أقل زمن ، ثم نأخذ فى ذكر
 ما دخل على العقيدة الإسلامية من الآراء الفلسفية التى كادت تباعد بينها وبين معيها الأول
 الصافى ، وهو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، حتى يظهر لنا واضحا أنه لو رجع
 المسلمون إلى هذا المعين لتغير حال المسلمين ، وصلاح أمر المؤمنين .

على مصطفى النبراوى

فَتَوَى بِإِبَاحَةِ نَكْذِبِ رَسُولِ اللَّهِ
وَدَعَا الْأُمَّةَ إِلَى أَنْ تُنْسَخَ مَا نَشَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ

قاصتان خبيستان في مجلة دار القريب

في العدد الأخير (الرابع للسنة الرابعة) من مجلة دار التقريب بين المذاهب، مقال لرئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا في لبنان عنوانه : « من اجتهادات الشيعة الإمامية ، جاء فيه ما يأتي في ص ٣٦٨ :

« إن في كتب الشيعة الإمامية اجتهادات لا يعرفها الخواص من علماء السنة ، ولو اطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة وتفكيرهم ،

ثم أورد رئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا ثلاثة أمثلة من اجتهادات الشيعة ليقوى بها ثقة علماء السنة بالشيعة وتفكيرهم . ونحن نقول أوسطها . وهذا نصه بالحرف الواحد :

لا يجب التدين بقول الرسول في غير الأمور الدينية :

قال الشيخ محمد حسن الاشتياني في كتابه (بحر الفوائد في شرح الفرائد) ج ١ ص ٢٦٧ :
« إن الرسول قد يخبر عن الشيء باعتبار كونه شارباً ومبلغاً عن الله سبحانه ومأموراً بتبليغه إلى العباد ، وقد يخبر لا من هذه الحيثية ، بل يخبر عن شيء لا يدخل له بشريعة سيد المرسلين مثل كيفية خلق السماوات والأرض ، والخور والقصور ، وما إلى ذلك مما لا يرجع إلى الإخبار عن الأمر الديني . فما كان من هذا النوع فلا إشكال أنه لا يجب التدين به بعد العلم به . أي بعد العلم بصدوره عن الرسول - فضلاً عن الظن به . ،

هذا نموذج من اجتهادات الشيعة التي أوردتها رئيس المحكمة الشيعية العليا ليقوى بها ثقة علماء السنة بالشيعة وتفكيرهم . وقد أراد أن يزيد علماء أهل السنة علماً بهذا المجتهد الشيعي وكتابه الذي نقل منه هذه الفتوى الشيعية فقال في ص ٣٦٩ : « كان هذا الشيخ الجليل (يعني محمد حسن الاشتياني) من علماء القرن الثالث عشر الهجري ، وهو من كبار مراجع الشيعة الإمامية ، وكتابه هذا بحر الفوائد المعروف بحاشية الاشتياني على الرسائل يقع في مجلدين ، طبع في إيران بالطبع الحجري سنة ١٣١٥ هجرية ، وموضوعه الاصل الرابع من أصول الفقه ، أي الأدلة العقابية على الأحكام الشرعية ،

إذن فهذا الاجتهاد الشيعي أو الفتوى الشيعية لرجل يعده الشيعة الإمامية من كبار مراجعهم ، والنص منقول من كتاب له في أصول الفقه ، وهو يعد ما ثبت صدوره عن

النبي ﷺ من أمور الغيب كوصف الجنة ونخلق السماوات والارض ليس من الضروري تصديق النبي ﷺ به ، لانه في زعمه مما لا يرجع إلى الإخبار عن أمر ديني ، أى أن الغيب ، ليس عندهم من الأمر الديني ، و الإيمان بالغيب ، ليس عندهم من الإيمان الإسلامى ، والنبي ﷺ إذا أخبر عن مثل هذا من أمور الغيب - وإن ثبت العلم بصدوره عن الرسول - فإنه لا يجب التدين به ، أى بصدق الرسول فيما أخبر به من هذه الامور .

وهذه الفتوى الشيعة تنافى الاعتقاد بعصمة النبي ﷺ ، ومن العجيب أن يرتاب في عصمة خاتم النبيين من يؤمن بعصمة طفل دخل السرداب قبل ألف سنة وينتظر خروجه منه بعد مر كل هذه العصور !

إن الجراءة على الإسلام بمثل هذا القول الواضح المكشوف لم يسبق صدورها عن فرقة من فرق الإسلام مهما كان موضعها من دركات النار .

* * *

وفى هذا العدد نفسه (ص ٣٧٦ — ٤٠٢) مقالة أطول من لىالى الشتاء لكتاب نعتته المجلة بأنه ، الكاتب الكبير ، يدعو فى ص ٢٩٢ — ٢٩٣ منها إلى أن تفهم الامة الإسلامية من معنى قول الله عز وجل « وأمرهم شورى بينهم » ، أن لاية أمة إسلامية أن تؤلف جمعية تشريعية تملك أن تنسخ ما تشاء من أحكام القرآن ، لأن آية « ما نسخ من آية أو نفسها نأت بخير منها أو مثلها » لم ينته حكمها بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما تبادر إلى ذهن بعضهم ، كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الامة وحدها هى مصدر السيادة والسلطة ، وليس الله . « هكذا يقول كاتبهم الكبير بالحرف الواحد » . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم غدا التشريع إلى الامة انتهاء . لأن الله سبحانه — رحمة بالناس — هو الذى رد هذه السلطة إلى الامة حين قال « وأمرهم شورى بينهم » . ثم ألا ترى أن حق الله يفسره الفقهاء دوما بأنه حق الجماعة .

هذا نص كلام كاتبهم الكبير بالحرف . ومن المدهش تعليق تلك المجلة عايه بقولها : ولعل السيد الكاتب يتفضل بتوضيح رأيه فى النسخ وجواز أن يكون فى القرآن ، وأن يقع بحكم من الامة بعد الرسول ﷺ . ففى لم تكتف بهذا الكلام الواضح الذى يرمى إلى تقويض الإسلام من أساسه الأعظم ، ولا تزال تغرى صاحبه بأن يستأنف القول فيه لتزداد المجلة علما بهذه المعارف ، ولتعلن فى نشرها على قرائها منتهزة فرصة غفلة الناس عنها . م . خ

أثر العقيدة في نفوس المسلمين

يرى الناظر اليوم في أفق الإسلام طالعاً من السعد ينبثق ضوؤه من خلل السحاب ويلوح سناه من سحيف الظلام .

ويرى المتأمل اليوم في حال المسلمين أن نفوسهم توثبت إلى العمل ، وأن إحساسهم بالحياة قد شغل أفكارهم وعقولهم .

ذلك أن أعصابهم قد سرت فيها موجة من اليقظة نهبت المشاعر ، وأرهفت الاحاسيس وأن سراييدهم التي كانت بطيئة النبض قد جرت فيها دماء الحياة الفوارة فأكسبتها القوة ، وأورثتها الحركة ، ووهبت لها الفشاط .

وإذا شعرت الأمة بالآلم الذي يتمشى في عظامها ، وأحسنت بالداء الذي يفساب في كيائها فقد انبلج صباحها ، وانبتق ضوؤها ، وأشرقت شمسها .

وزن من يقارن الآن بين مسلمي القرن الماضي ومسلمي القرن الحاضر فإنه — من غير شك — يعلم أن جيل اليوم قد نفص عنه غبار الكسل ، وطرح عنه رداء الذل ؛ وأن أمته التي تمتد جذورها إلى أعماق الماضي لا بد أن تعود إلى مكانها من صدر الوجود ، ولا بد من ربيعها وإن طال الخريف .

حقاً إن أشبال الفاتحين الذين دوخوا الأمم وغيروا وجه التاريخ ، وأطاحوا الملوك وثلوا العروش ، قد هبوا الآن يطلبون عز الحياة بعز الممات ، ويفتشدون شرف البقاء بشرف الكفاح . وإن أسباب هذه اليقظة التي سرت سريان الكهرباء في نفوس المسلمين ، تلك العقيدة الدينية التي غرسها الإسلام في قلوب ذويه ، فأورثتهم القوة والثبات ، والمضاء والإقدام وذلك القانون السماوي الذي اجتمعت من نفوس بفيه خور العزائم وجبن القلوب ، والإقامة على الضيم ، وسلك بهم مسالك العز ، وسبل الكرامة ، وطرق البطولة .

ولمّا كان للأمة عقيدة ثبتت أصولها ، وقانون أحكمت آياته . فإنها تكون لقواد الإنسانية مثلاً مضروباً ، يلهم الصبر على مكاره الأمور ، والاستمسك في مزالق الفتنة ، والاستبسال في مواقف الحنة ، والاستشهاد في سبيل الغاية ، والطموح إلى المقصد وإن طال وقته وامتد زمانه .

وإن أمة ألفت على الأهم دروس الحضارة ، وبعثت في الشعوب أضواء المعرفة ، ووصلت إلى المدنية بعقيدتها ودستورها لن تغيب شمسها ، ولن يأفل نجمها ، وإن يخبو ضوؤها .

وإذا كان بعض من السحب كونه الإهمال في سمواتها، ولبدنه التواكل في آفاقها ، فإن نفحة من نسيم تلك الحياة النكاملة في نفوسها كفيلة بأن تذهب تلك الغيوم ، وترجع لها الصفاء والضياء .

لقد جاهد المسلمون الأولون على ضوء عقيدتهم وكتباتهم جهاد الأبطال المغاوير حتى وصلوا إلى رغباتهم من الفتح ، واستتب لهم هذا الملك الواسع الذي ترن في أجوائه كلمة التوحيد ، وترفرف فوق ربوعه راية الإسلام .

ولقد لحقهم في سبيل ذلك شدائد عظيمة ، وأهوال جسيمة ، فكان من الضروري بعد ذلك أن يأخذ ذلك الجيش المجاهد المكدود راحته ، وأن يستقر حتى يجدد قوته ، ثم يستأنف المسير إلى الغاية المرجوة والامل المنشود .

فكل ما شوهد من وقوف في حركة الجهاد الإسلامية في القرون الأخيرة إنما هو لناخه في الطريق كما يفيض المسافر بعد الضرب في القياض حتى إذا أخذ حظه من الراحة ارتحل بالزاد ، واستأنف المسير .

وإذا قال قائل : إن الفترة التي أناخ فيها المسلمون قد طال أمدها حتى استحالت إلى استنامة ، وإن استنامة الأمم مقدمة الزوال وسبيل الفناء .

إذا قال ذلك ، قلنا له : قد يكون ذلك صحيحاً لو أن الأمة الإسلامية لديها من مسببات الفناء ، وعوامل الزوال ، ومعاول الهدم ما لدى الأمم البائدة .

ولكن أمة يؤازرها الخلق ، وتظاهرها الفضيلة ، وتجملها العقيدة ، ويرشدوها الكتاب ، لن تطوى صحيفتها ، ولن تمحى آثارها ، ولن يتقوض بناؤها .

وإلا لكنى قرن واحد من القرون الخمسة الماضية التي وقفت فيها وقفة المدافع أمام هجمات الأعداء ، لدرجها في أكفان الموتى ، ودفنها في مقابر الأمم الزائلة ، ووضعها في سجل الذاهبين . إننا إذا رجعنا إلى التاريخ وقرأنا أخبار الشعوب التي مال ميزانها ، وأحصينا عدد السنين من ابتداء زوالها إلى مغيب شمسها ، ثم قابلنا بينها وبين الأمة الإسلامية التي يزعم بعض الاجتماعيون أنها شرعت نزول ، - إننا إذا فعلنا ذلك علمنا أن تلك الشعوب قد أسرعت إلى الفناء سرعة الماء من مصبه إلى منحدره ، وأن أسباب فنائها هو الحرمان من العلم والفضيلة ، والانغماس في الجبل والذيلة ، والتجرد من العقيدة الخالصة ، والدستور المستقيم . ذلك أن الأمم إذا هي لم تطر بجناحين من العلم والمعرفة ، ولم تستند على سنيين من التربية

والخلق ، ولم تسترشد بهديين من العقيدة الصافية ، والاحكام النافعة ، - إذا لم يكن لها كل ذلك كان انزلاقها سريعاً ، وسقوطها وشيكاً :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

وإن الامة الإسلامية قد توفر لديها من العلم والفضيلة ، والخلق والعقيدة ، والحكم والاحكام ، ما حومت به في سماء المعالي زماناً طويلاً ، وطارَتْ به في آفاق السكال دهرًا مديدًا ، وملكت به ناصية الوجود .

وإذا كان هذا شأنها فحال أن تتخاذل اليوم في مشيتها وفيها كل هاتيك المميزات ، ولو كان طريقها مملوءاً بالحسك والقنادر .

وإذا تسامل بعض الناس عن سبب تلك اليقظة الى اهتزت بها اليوم أعصاب المسلمين ، ونهبت منهم المشاعر والاحاسيس ، قلنا له : إن السبب هو احتكاك الامم الطامعة بالامم المطموعة فيها ، واعتداء الشعوب التوية على الشعوب الضعيفة ، وطرح العهود والمواثيق ، ونسيان الحقوق ونبد الواجبات .

كل هذا قد حرك عموهم بالتفكير في أقوم الطرق التي تتقي بها الخطوب ، وأنجع السبل التي يدفع بها العدوان ، وعاد بهم إلى الاعتصام بدينهم ، والاهتداء بدستورهم ، والاستمسك بهدي نبيهم . ولو لم يقرءوا في آيات كتابهم سوى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » - وقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » - وقوله : « إنما المؤمنون إخوة ، لكان ذلك كافياً في إنشاء وحدتهم ، وتدعيم قوتهم ، وتوحيد صفوفهم وتوحيد يصد كل اعتداء ، ويبدد كل لاواء ، ويرد كل عاصفة هوجاء .

وإذا لم يقرءوا سوى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » - وقوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » - وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » - أقول : إذا لم يقرءوا غير هذا لكان كافياً في دفعهم إلى الامام ، وهبوبهم في وجه من يحاول اغتصاب حقوقهم هبوب العاصفة الذارية ، والغارة الجاثمة .

وهام المسلمون اليوم أمام ما يعترضهم من النكبات ، وأمام ما يوجه إليهم من اعتداءات قد تقاسموا على الاثثار بأوامر كتابهم ، والعمل بكل ما يحثم عليه من جهاد وتضحية حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحيم فرغل

آراء وأحداث

إن من ينظر في تاريخ المسلمين في القرون الأولى، يرى فيه ظاهرة من ظواهر الأمم المتقدمة، وهي البحث الفكري والإنتاج العلمي. فقد كان همهم الدرس والبحث والنقد والابتكار، فقد ابتكروا علوما وجددوا فنونا، وما بين أيدينا من ميراث علمي في النحو والصرف والعروض والبلاغة والفقه وأصول الفقه وأصول الدين وعلوم التفسير والحديث والفلسفة، هو من إنتاجهم وابتكارهم.

ثم خلفت خلوف تركوا الإنتاج والابتكار والنقد، ووقفوا عندما ترك الأولون: لم يزيدوا حرفاً، ولم يقدموا رأياً، ولم ينتجوا قاعدة، هذا العقم في العقل والجذب في الفكر مرض من أخطر الأمراض يجب علاجه، لأن الأمم إنما تتفاضل بعقولها، وتتمايز بالإنتاج العقلي والبحث الفكري، والأمم التي تخصب عقولها ويكثر إنتاجها العلمي هي التي تعرف بمحاولات الطبيعة وتسير على هدى في هذا الوجود، والأمم التي تجذب عقولها ولا تثمر أفكارها، لا تفهم نفسها ولا ما حولها وتخط في هذه الحياة. وقد رأيت المجلة أن تطب لهذا الداء بفتح باب من النقد تعرض فيه فكرة ما وتتناولها الأفلام بالتنفيذ أو التأييد. وهذا فيه تمرين عظيم على البحث والإنتاج، ويدعو القراء إلى أعمال عقولهم، وكند أفهامهم لتبين الحق ومعرفة الصواب.

وقد بدأنا بنشر بعض بحوث لمدير المجلة في علوم البلاغة تحت عنوان :

« علوم البلاغة في الميزان »، وسيرى القارئ أنها لإبطال لبعض القواعد البلاغية التي قررها الأولون واعتمدها المتأخرون، وهو مما يدرس في دور العلم المختلفة من الأزهر والجامعة، ووزارة المعارف. ومن أجل ذلك ستوفر الدواعي على معرفة هذا النقد والنظر فيه والعمل على إبطاله أو تأييده، لأنه ينقد تراثاً علمياً عظيماً ورثوه عن آبائهم وهو عزيز عليهم، فهم يحامون عنه، ويذودون من رماه، ولأن ما يبطله عمل اتفق عليه علماء البلاغة فقل يند

الصواب عن هؤلاء جميعا ويعرفه واحد؟ ومن هم هؤلاء الذين أجمعوا عليه؟ هم المتقدمون من عهد السكاكي إلى الآن .

فلو كان رأى فرد أو جماعة لجاز أن يدخل فيه الخطأ ، أما وهو رأى العصور المختلفة والأجيال المتعاقبة ، فمن العجيب أن يدخل عليه الخطأ كل هذه حركات نفس ونزعات فكر تدعو الدارسين والباحثين إلى أن يستقبلوا هذا الباب بالاهتمام والنقد والتعليق ، وإذا كان ذلك ، أدركنا ما أردنا من تنشيط العقول وحفز الهمم للبحث والابتكار ، والله المستعان .

علوم البلاغة في الميزان

في علوم البلاغة العربية ، مجال للبحث ومواضع للنقد ، ففيها بعض الخطأ مما يجب التنبيه عليه وإصلاحه ، ليعتصم المفسرون على تنقية هذه العلوم ، ونحن سنمثل ببعض أمثلة من العلوم الثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

(١)

إنى لا عجب لهؤلاء السكاكين في البلاغة من المتأخرين ، يعتمدون إلى أسباب الحسن في الكلام التي هدى إليها المتقدمون ، فيعلمونها بغير علمها النفسية ، ويسوون بينها وبين غيرها ، حتى يصرفوا الذوق عن الإحساس بها وعن تذوقها ، كأنهم قد تواصلوا فيما بينهم على أن يفسدوا هذا العلم لإفسادها ، حتى لا يبقوا فيه شيئا صحيحا .

هُدَى المتقدمون - كعبد القاهر - إلى أنه قد يوجد شيء في النظم فيكسب الكلام حسنا وجمالا ، كالحذف فإنك تحس من الكلام ، المحذوف منه بعض أجزائه ، في بعض الحالات ، جمالا لا يكون إذا أنت ذكرت المحذوف ، ومثل لذلك بقوله :

قالت سمية قد غويت بأن رأيت حقا تناوب ما لنا ووفودا
غنى لعمرك لا أزال أعوده ما دام مال عندنا موجودا
وقوله :

تشاب حتى قلت داسع نفسه وأخرج أنيابا له كالمعاول
وقوله :

غضبي ولا والله يا أهلها لا أطعم البارد أو ترضى

وقوله :

وعلمت أنى يوم ذا ك منازل كعبا ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا

وقال عبد القاهر : هذا باب يشبه السحر ، لأنك تراك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأشد ما تكون بيانا إذا لم تبين ، إلا أن عبد القاهر بين أن فى الحذف حسنا ولم يبين سبب هذا الحسن وعلته ، واكتفى بأن يعرض علينا الشيء الجميل ، ويضع أيدينا على موضع الجمال فيه وهو الحذف ، وبين أننا لو ذكرنا المحذوف لما كان للكلام ذلك الحسن ، فأما العلة فى ذلك فلم يذكرها . ونحن إذا رجعنا إلى نفوسنا ، نجد أن العلة فى حسن الحذف فى هذه المواضع أمور نفسية ، وهى أن المحذوف تدل عليه قرائنه ، فإذا ذكر كان ثقيلًا موضعه ، لأنه تعريف لما عرف ، وبيان لما بين . وإذا حذف رفعت المؤنة عن السامع بذكره ، ورفعت الكلفة التى يكون عليها عندما يسمع حديثًا معادًا ، أو كلمة لم يجد فيها فائدة جديدة .

وبالجملة فالكلمة الخالية من الفائدة ، كالتقيل تقضى العين بوجوده ، فإذا لم تبصره فى موضع كان يتوقع وجوده فيه وجدت لذلك من الانس والمحبة ما يغمز القلب سرورًا . وإذا أردت أن تقبين شيئًا شديدًا بذلك ، فاستمع إلى رجلين أحدهما يطيل فى الكلام ويذكر ما لمست بحاجة إلى ذكره ويطيل فى غير طائل ، والثانى يهجم بك على الفائدة من أقصر طريق ، وكلما سار بك جدد لك فائدة . فإنك تجد للأول ثقلًا على القلب وضيقًا فى النفس ، وتجد فى الثانى خفة وتجديد سرور ولذة .

وشىء آخر ، وهو الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، فإن مطلوبه فى مثل :

قال لى كيف أنت ؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

معرفة حاله فإذا قال عليل — فقد هجم به على المطلوب وكفاه مؤونة الانتظار . هذا ما نجده فى نفوسنا عند ما نسر لحذف كلمة ، ونبحث عن علة هذا السرور وهذا الارتياح .

وشىء آخر - هذه الجدة التى تراها فى هذا الأسلوب ، فإن الناس قد اعتادوا الأسلوب الذى لم يحذف منه شىء لكثرة دورانه فى الكلام ، ولم يعتادوا الأسلوب الذى حذف منه أحد جزأى الإسناد ، لقلة دورانه فى ألسنتهم فإذا سمعوا الكلام المحذوف منه شىء ، سمعوا الجديد الذى لم يألوه ، والبعد الذى لم يعتادوه ، فاستمتعوا منه بما يستمتعون من الجديد

المبتدع ، والغريب المبتكر ، وليست هذه الجدة في السمع خسب ، بل هي جدة في الفكر ،
فقد كنت تتلقى المعاني من الالفاظ فعدت تتلقاها من العقل ، يدل عليها ويشير إليها ، وإن
ذلك ليروعك ويؤثر عليك وإن كنت لا تدري ماأماه ولا مصدره .

جاء السكاكي والخطيب ومن بعدهما ، وأبوا أن يكون للحذف مزية على الذكر ،
وجعلوا الحذف في موضعه كالذكر في موضعه ، وجعلوها حالين من أحوال اللفظ العربي
التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، فيحصلان البلاغة ، ثم ذهبوا يبحثون عن المقامات التي
تقتضى الذكر أو الحذف فقالوا : أما حذف المسند إليه فللاحتراز عن العبث بناء على الظاهر
أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من اللفظ أو العقل ، أو اختبار تنبيه السامع ، أو مقدار
تنبيهه ، أو صوته عن لسانك أو صون لسانك عنه ، أو تأتى الانكار عند الحاجة ، أو ادعاء
تعيته ، وجعلوا للذكر مقاما ، وهو أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه أو الاحتياط لضعف
التعويل على القرينة ، أو التنبيه على غباوة السامع ، أو زيادة الإيضاح والتقريب ، أو إظهار
تعظيمه أو إهانته أو التبرك بذكره ، أو استلذاذه ، أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب .

فأنت تراهم سوا بين الذكر والحذف عند المقتضى ، وقد كان يفهم من كلام عبد القاهر
أن للحذف مزية لا تكون لغيره ، ولو مشينا على ما مشى عليه عبد القاهر لعلنا اختصاص
الحذف بهذه المزية ، ودعانا ذلك إلى مراعاة الحذف في أساليبنا ما وجدنا إلى ذلك سبيلا .
ونراهم قد ذهبوا عن العلل الحقيقية لجمال الحذف — وهي ما ذكرناها — إلى العلل التي
ذكروها ، وبعض هذه العلل صناعية لا تخطر إلا ببال الذين توغلوا في صناعة العلوم
العقلية ، كتخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، وبعضها لا يخطر للبليغ
المتكلم ولا للسامع ببال ، أما العلل التي ذكرناها فهي علل نفسية قد يشعر المرء بآثارها ،
ولا يدركها ، ولكن الفلاسفي العارف بخفايا النفوس يدركها ويؤمن بها .

ولقد رغبت أن أحمل كلامهم ما ذكرته من المعاني فقد قالوا : . وأما حذفه فللاحتراز
عن العبث بناء على الظاهر ، أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ . . فقلت
قد قالوا الاحتراز عن العبث ، ، وهذا يؤدي إلى الاستئصال ، والحذف يؤدي إلى رفع
هذا الاستئصال .

وقد لحظوا في قولهم تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، أن الدلالة على
المحذوف عقلية ، والسكتي رأيهم يرعون في غير هذا الجانب . فقد قال صاحب المطول في شرح

ذلك : « فلاحتراز عن العبث ، إذ القرينة دالة عليه فذكره عبث ، لكن لا بناء على الحقيقة في نفس الأمر بل « بناء على الظاهر » ، وإلا فهو في الحقيقة الركن الأعظم من الكلام فكيف يكون ذكره عبثاً ، وقيل معناه أنه عبث نظراً إلى ظاهر القرينة وأما في الحقيقة فيجوز أن يتعلق به غرض ، مثل التبرك والاستلذاذ والتففيه على غباوة السامع ونحو ذلك ، ،

(٢)

لى من فلان ، صديق حميم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر . لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد . هذه الامثلة فيها جمال وبلاغة ، ويحس المرء بطرب لا يجده إذا قال فلان صديق الحميم أو فلان كالأسد أو كالبحر . وقد أحس علماء البلاغة هذا الجمال فذهبوا يحدون ويميزون ويعرفون أسبابه ، وأخيرا سموا هذا النوع الذى أحدث ذلك الجمال : « التجريد » ، وقالوا في تعريفه ما يأتى :

التجريد أن ينتزع من أمر ذى صفة ، أمر آخر مثله فيها ، مبالغة لسكاتها فيه ، فقولنا « لى من فلان صديق حميم ، يؤخذ منه أن فلانا بلغ من الصداقة حداً صح معه أن ينتزع منه آخر مثله في الصداقة ، وكذلك « لئن لقيته لتلقين به الأسد ، يؤخذ منه أنه بلغ من الشجاعة حداً يصلح معه أن ينتزع منه أسد مثله في الشجاعة ، وذلك لسكال الشجاعة فيه . وكذلك « لئن لقيته لتلقين به البحر ، يفيد أنه بلغ من الكرم حداً صح معه أن ينتزع منه بحر مثله في الكرم وذلك لسكاله في الكرم ...

وهذا تصور غريب لهذه الامثلة التى فيها هذا النوع من البلاغة ، فلم تجر عادة ، أن المرء إذا بلغ حداً من الكرم ، صح أن ينتزع منه بحر مثله في الكرم وذلك لسكاله فيه . وليت شعرى ما هذا الانتزاع ؟ أهو بطريق الولادة ، أم بطريق آخر كانتزاع الصخر من الجبل ، أم كانتزاع الثوب من اللابس .

هذه الحالة لاتدل على كرم ولاعلى مبالغة فيه ، فاعهد أن الكرم إذا بلغ في الكرم المبالغ العظيم ، انتزع منه بحر يساويه في الكرم .

وإن فهم هذه الامثلة على هذا الوجه يضيع بلاغتها ويفسد معناها ويجعله تصوراً كتصور البله والممرورين ، كريم يلد بحراً ، أو شجاع يشتق منه أسد ، وصديق ينتزع منه صديق . وقد كنا نفهم من هذه الامثلة قبل أن نعرف التجريد في علوم البلاغة أن فيها حذفاً :

لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، الأصل لتلقين بلقائه ، أى بسبب لقائه ، الأسد تخذف لقاء ، وإنما كنت تلقى بلقائه الأسد ، شبيهه لأنه فلسست تلقى بلقائه إلا أسدا ، وما الجمال فيه إلا من جهة أنه أعطاك التشبيه بطريق مكى عنه ، لم يصرح به ، وأنه صورته بصورة الأسد ، حتى كأنك تحسه وتراه . ولست تجد أحدا له ذوق فى البلاغة يفهم من هذه الأمثلة إلا ما قدمناه ، وهو المعنى الذى يخطر لأول نظرة ، ولكن علماء البلاغة يأبون إلا أن يحملوه تجريدا وتوليد شيء من شيء . ولم يلبه ، وانزع شيء من شيء لم ينتزع منه .

ومن عجب ، أن هذا المعنى المتبادر قد شعر به بعض العلماء فذكروه وأبان أن أمثلة التجريد مبنية على الحذف ، فأنكره العلماء المتأخرون وقاوموه ودفعوا فى صدره حتى لم يبق إلا هذا المعنى السخيف الذى ينكره الذوق وينبو عنه الفهم ويجعل الأسد متزعا من الشجاع والبحر متولدا من الكريم وذلك مبالغة لسكال هذه الشجاعة فى هذا الشجاع وكال الكرم فى هذا الكريم .

(٣)

« رأيت اليوم حاتما ، ولقيت مادرا ، وسمعت سحبان ، وكان فى المجلس باقل ، ، هذه مثل تدور على ألسنة المتكلمين ، والغرض منها التشبيه ، تشبيه الممدوح بحاتم فى الكرم ، وبسحبان فى الفصاحة ، وتشبيه المذموم بمادر فى البخل ، وباقل فى الفهامة - ولكن علماء البلاغة لا يقتصرون على ذلك بل يتأولون فى حاتم فينتزعونه من معناه وهو العلية على الرجل المعروف من طيء ، ويجعلونه كأنه موضوع للجواد سواء أكان ذلك الرجل الممدود من طيء أم آخر غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متأولا للفرد المتعارف الممدود والفرد غير المتعارف ، وهو من يتصف بالجود ، لكن استماله فى غير المتعارف يكون استعمالا فى غير ما وضع له فيكون استعارة .

ولما فعلوا ذلك ليحافظوا على الأصل الذى وضروه ، وهوان الاستعارة تقتضى إدخال المشبه فى جنس المشبه به ، يجعل أفراد قسمين : متعارفا وغير متعارف ، ولا يمكن ذلك إلا فى اسم الجنس ، ولا يمكن فى الأعلام لأن العلم وضع لذات مخصوصة لا يتناول غيرها ، فلهذا ارتكب هذا التأويل فيجعل العلم اسم جنس ليسكن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به .

ويرد هذا الذى ذهب إليه البيانون ، أنه ليس من أحد يتكلم بهذه الامثلة يقصد هذا الذى قالوه ، ولا يفهم أحد ممن يسمعون هذا المعنى الذى ذكروه ، فما من أحد يقول : رأيت اليوم حاتماً ، ويدور بخلفه أنه شبه ثم تأول حاتماً نزعاً من العلمية ، وجعله كأنه موضوع للكریم الجواد وصار له فردان : فرد حقيقى هو ذلك الجواد من طيء ، وفرد ادعائى هو ذلك الممدوح إلى آخر هذه الصورة .

وليس أدل على فساد هذا رأى من أنه دعوى لما لا يخطر بذهن متكلم أو سامع ، فنحن نشرح أقوال المتكلمين بما يريدون ويعنون ، وكل هذه السورة لا تخطر إلا بأذهان هؤلاء البيانين الذين اخترعوها .

ضع يدك على أى بليغ ما تختاره وسله : ماذا يريد بقوله : رأيت حاتماً اليوم ، فإنه يجيبك : أردت تشبيه هذا الكریم بحاتم فى جوده وكرمه .

وسله أهو تأول فى حاتم وأراد منه مطلق جواد ، وأنه صار يشمل حاتم طيء وهذا الجواد الممدوح ؟ فإنه ينفي ذلك كله ، ويقسم أنه لم يرد شيئاً من هذا ، ولم يرد إلا التشبيه بحاتم فى الجود .

على أنه إذا كان معنى حاتم الجواد فلا استعارة ، لأن الجواد يطلق على سبيل الحقيقة على الممدوح ، بخلاف أسد فى قولنا : رأيت أسداً يرمى ، فإنه لا يطلق على الممدوح على سبيل الحقيقة فكان استعارة . وهذا التكلف العظيم ليحافظوا على أصل اختراعه ، وهو أن الاستعارة تقتضى دخول المشبه فى جنس المشبه به . وهذا الأصل أوردوا هم عليه اهتراضاً ، وهو أنه كيف يدعى دخول المشبه فى جنس المشبه به ويقيم القرينة لتدل على أنه أراد المشبه لا المشبه به ؟ وأجابوا بأنه بعد الادعاء صار المشبه به فردان : فرد حقيقى وفرد ادعائى ، والقرينة قامت لتنفى الفرد الحقيقى وثبت الفرد الادعائى ، فدخلوا فى باب آخر من الإغراب لم يرده متكلم ولم يفهمه سامع .

فلسطين العربية الإسلامية

١ — إن فلسطين بلاد عربية منذ أربعة عشر قرناً ، وقد ظلت الموجات العربية قبل الفتح الإسلامي وبعده تتوالى عليها من آن لآخر ، وإن الصبغة العربية راسخة فيها كل الرسوخ ، وبرهان ذلك أسماء المناطق مثل : مرج ابن عامر ، وقرى ، بنى صعب ، وبنى زيد ، والحارثية والفستل ، ووادى على وجبل القيسية ، وبنى نعيم ، إلى غير ذلك من أسماء الأماكن والقبائل والحمائل والعشائر العربية في مختلف أنحاء فلسطين . وكانت في فلسطين أشد الخلات الإسلامية لمقاومة الصليبيين بقيادة صلاح الدين ومن جاء بعده من الملوك والسلاطين المجاهدين . حتى أجلوهم عنها وعن سائر بلاد المسلمين ، وبقيت إسلامية منذ ذلك التاريخ . وقد لبثت فلسطين تحت الحكم العثماني نحو أربعمائة سنة حتى احتلها الإنجليز سنة ١٩١٨

٢ — تبلغ مساحة فلسطين ١٠٤٢٩ ميلاً مربعاً ، تساوى ٢٧ مليون دونم ، وهي تؤلف القسم الجنوبي من سوريا و بلاد الشام .

أما حدودها الرسمية ، كما كان الحال في زمن الاحتلال البريطاني ، فمن الجنوب تحدها أراضي سيناء المصرية حتى رأس طابة على خليج العقبة ، ومن الشرق نهر الأردن وأرض مملكة الأردن ، ومن الشمال أراضي جمهوريتي سوريا ولبنان ، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط .

٣ — كانت فلسطين حين الاحتلال الإنجليزي عربية الصبغة ، وكان عدد سكانها ٧٥٠ ألفاً ، منهم حوالي خمسين ألفاً من اليهود ، فتكون نسبتهم إلى مجموع السكان نحو ٦٪ ، وجدير بالذكر أن عدد اليهود في فلسطين كان في سنة ١٨٤٥ اثني عشر ألفاً ، وفي سنة ١٨٨١ نحو ٢٥ ألفاً .

ومنذ وقعت البلاد تحت الاحتلال البريطاني ، فتح الإنجليز أبواب الهجرة اليهودية على مصاريعها ، حتى بلغ عدد اليهود في سنة ١٩٣٩ نحو ٤٠٠ ألف من ٤٠٠ ألف ، بمجموع سكان فلسطين . وتدل الإحصاءات الرسمية على أن عدد المهاجرين اليهود الذين وصلوا

فلسطين منذ قامت حكومة إسرائيل سنة ١٩٤٨ إلى منتصف سنة ١٩٥٢، نحو ٦٥٠ ألفاً، وما زالت عشرات الألوف منهم تصل فلسطين تبعاً، رغم ما يعانون من الازمة الاقتصادية وقلة المساكن، لانهم يريدون أن يصل عددهم إلى مليونين في وقت قريب .

ثورات عرب فلسطين :

منذ الاحتلال الانجليزي سنة ١٩١٨ ومأساة فلسطين العربية الدامية تمثل فصولاً يقوم البريطانيون فيها بدور الظالم المتجبر الغادر ، واليهود يمثلون دور الطامع الوقح . وقد ثار العرب على هذه المؤامرة الاستعمارية عدة ثورات دامية ، فكانت ثورة القدس سنة ١٩٢٠ ، ثم ثورة يافا سنة ١٩٢١ ، وكان من أشد ثورات عرب فلسطين ثورتهم سنة ١٩٢٩ ، بدأت في القدس ثم اشتعلت في الخليل وصفد ، ويافا ، وحيفا ، وغيرها من أنحاء فلسطين . وفي سنة ١٩٣٣ نشبت الثورة في يافا والقدس وحيفا ونابلس . وفي عام ١٩٣٦ كانت الثورة الكبرى والإضراب العام الشامل اللذان استمرا ستة أشهر كاملة ، ثم توقفت الثورة لتدخل ملوك العرب ، فلما فشلت مساعيهم وخاب الأمل فيهم ، عادت الثورة إلى الاشتعال سنة ١٩٣٧ واستمرت ملتهبة إلى صيف سنة ١٩٣٩ ، وفي هذه الثورات الدامية استعذب أهل فلسطين الموت في سبيل الله ، وضحوا بالنفس والنفيس ، وكم بذلوا من أرواح غالية ودماء زكية ، وكم لاقوا من عنت الإنجليز ومظالمهم ، ولسكنهم مع ذلك قد كبدوا البريطانيين وحلفاءهم اليهود خسائر كبيرة في الأرواح والأموال ، وأتلفوا للجيش البريطاني الكثير من قطاراته الحربية ومعداته العسكرية ، حتى اضطرت إنجلترا أن تبعث إلى فلسطين في سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٧ بجيش جرار وأسراب كثيرة من طائرات القتال والسفن الحربية ، وعلى رأس ذلك المارشال ديل والمارشال وايفل من كبار قادة جيشها .

٤ — وتقع فلسطين من البلاد العربية بموضع القلب ، لأن البلاد العربية تحيط بها من كل الجهات ، وموقعها العسكري الاستراتيجي ، من أهم المواقع ، وأشدّها خطورة : فهي مفتاح بلاد العرب ، وتتصل حدودها اتصالاً مباشراً بمصر ، وسوريا ، ولبنان ، والاردن ، والحجاز ، وإن قيام حكومة اليهود المعادية في أرض فلسطين تهديد دائم وخطر شديد على البلاد العربية كلها ، وذلك خطر ليس من الناحية العسكرية ، السياسية فحسب ، بل هو خطر

اقتصادي واجتماعي وديني ، لأن اليهود بفلسطين هم دعاة الشيوعية والفوضوية والإلحاد والإباحية . وأن الدول الاستعمارية المعادية للإسلام والعروبة قصدت من إقامة دولة لليهود في قلب بلاد العرب ، تمزيق وحدة العالم الإسلامي والعربي ، وفصل أجزائه بعضها عن بعض أو فصل آسيا الإسلامية عن أفريقيا الإسلامية .

هـ — أما الوضع الحالي في فلسطين فيلخص في أن عصابات اليهود المسماة ، بحكومة إسرائيل ، قد أصبحت مهيمنة على القسم الأكبر من مدن فلسطين وقراها وأخصب أراضيها ومزارعها وبساتينها ، التي أجلى عنها مليون عربي ، باتوا لاجئين مشردين في البلاد العربية ، ولم يتم ذلك بفضل قوة اليهود العسكرية ، وإنما نتيجة مؤامرة لإنجلترا وأمريكا وغيرهما من الدول الاستعمارية التي أقامت هذه الدولة المعادية في قلب الأمة العربية نكابة بالمسلمين والعرب . ويدل على ذلك ما صرح به بن غوريون رئيس وزراء حكومة اليهود حيث قال : « إن ما أحرزناه من النجاح ٩٧ ٪ منه يعود الفضل فيه للسياسة ، و ٣ ٪ منه فقط للجهود الحربية » .

و أما الأقلية العربية ، التي اضطرت للبقاء تحت حكم اليهود ، والتي يبلغ عددها نحو ١٧٠ ألفاً ، فهي تلاقى عتاً وقسوة ومعاملة شديدة من ساططات اليهود .

و أما القسم العربي الباقي من فلسطين ، فهو خاضع لسيطرة الجبرال جلوب الانكليزي ، وإن كان تابعاً في الظاهر لسلطة الأردن . وهذا القسم في خطر شديد ، لأن اليهود يطعمون فيه قبل أي قسم آخر ، وهم إن لم يجدوا أمامهم القوة الدافعة الممانعة فسيتمادون اعتداءهم وتوسعة مساحتهم على حساب البلاد العربية .

محمد صبري عابدين

من علماء الأزهر الشريف

وأمين ديوان الهيئة العربية العليا بفلسطين

لغويات

المعنى واللغز

(تابع مانشر في العدد الماضي)

٢

٣ — وقد تقع التعمية في الكلام من قبل تأليف الكلام وتركيبها ، فيوهم التأليف غير المراد وتختلط الاصوات ، فتصبح الكلمتان مثلاً كأنهم ما كلمة واحدة .

ومن أمثلة هذا قول الشاعر (١) :

دنانيرنا من قرن ثور ولم تكن من الذهب المضروب عند القساطر

فقوله (دنانيرنا) يوهم الدنانير الذهبية من النقد ، ولكن القارىء يعجب من قوله بعد : « ولم تكن من الذهب » ، فيلتمس للكلام وجهاً آخر . وقد يوحى إليه بالمعنى قوله (من قرن ثور) ، وأياً ما كان الأمر ، فالشاعر يريد (دنا) أى قرب (نيرنا) أى النير الذى لنا ، والنير : ما يوضع في عنق الثور أو الثورين في جر الفدان ، والفدان هو ما يعرف في لسان العامة بالمحراث ، أما المحراث في العربية فهو ما يحرك به النار . ويعرف النير في لسان العامة بالناف . ومما أذكره في هذا الموطن أن أبا الفتح بن جنى دخل يوماً ديوان الإنشاء في بغداد ، فوجد أحد السكتاب وبين يديه كانون فيه نار والبرد شديد ، فقال له السكتاب : تعال أيها الشيخ إلى النير ، فقال أبو الفتح : أعوذ بالله ، النير هو صماد البقر ، والصماد : سداد القارورة ، كأن النير سداد للثور يمنع من الانطلاق . وقد ذهب السكتاب في النار مذهب الإمالة ، ولكن أبا الفتح نحاً نحواً آخر تظرفاً . والقساطر جمع القسطر ، وهو الصير في الناقد للمال .

(١) انظر السان في (نير) والناج في (قسطر) .

وقوله : (لم تكن) كذا بالتاء وهو يناسب الدنانير ، وكأنه روى في النير أنه أداء ، فأنث ليتم الإلغاز ، وفي التاج : . لم يكن .

ومن أمثله أيضاً قول تميم بن رافع المخزومي :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم^(١)

والقاري يبحث عما قاله لعبد الله فلا يراه في البيت ، ويبحث أيضاً عن المسند إلى (سقاؤنا) ، ويبدو من قرن (هاشم) بعبد شمس أنه اسم رجل . وإنما يريد الشاعر : لما سقاؤنا ، وها : أى تخرق وتمزق ، فقوله (وها) فعل ، وحقه أن يكتب بالياء ، ولكنه كتب بالالف للإلغاز ، وقوله : (شم) أى شم البرق أى انظره عسى أن يعقبه المطر ، وهو مقول القول . وحاصل معنى البيت أنه كان مع صاحبه في وادي عبد شمس فتخرقت القرية التي فيها الماء وأعوزهما ما يشربانه ، فقال لصاحبه : شم البرق عسى أن نغاث بالمطر .

ومنها ما أنشده أبو زيد :

وأطلس يهديه إلى الزاد أنفه أطاف بنا والليل داجي العساكر

فقلت لعمر و صاحبي ورأيت ونحن على خوص دقاق عواسر^(٢)

الاطلس : الذئب ، وهو وصف من الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد ، وذلك لون الذئب . والخوص الدقاق يريد الرواحل التي قد جمدها السير ، وقوله (عواسر) فى ظاهره وصف (خوص دقاق) ، والعواسر من النوق التي ترفع أذنابها عند السير يكون ذلك من نشاطها ، وحينئذ فأين مقول القول ؟ وإنما يريد الشاعر : قلت لصاحبي : عوى الذئب ، فسر ، فلما التصق : عوى وسر ، نشأ الإيهام ، وقد كتب عوى بالالف للإلغاز .

ومنها قول الشاعر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا برديه تصادفيه سخيئاً^(٣)

ويقال : كيف تجد الماء سخيئاً ؟ إذا بردته . وهل هذا إلا ضرب من الإحالة ! وإنما يريد : بل رديه ولا تعافيه فستجدينه على غير ما ظننت ، ولما كانت اللام تدغم فى الراء فإن النطق

(١) أنظر اللسان فى (نير) ، والتاج فى (قسطر) .

(٢) أنظر المغنى فى (لما) وشواهد المغنى للبغدادى ٣٠٨/٢ والمزهر فى النوع التاسع ، والثلاثين

(٣) الخصائص : لإجراء اللازم غير اللازم .

يكون : برّديه ، وقد كتب هكذا كالنطق رغبة في التعمية . ويروى أن هذا البيت عرض على أبي عثمان المازني فأجاب :

أيها السائلون لي عن عويص حار فيه الأفكار أن يستبيننا
إن لأمّا في الراة ذات ادغام فافصلنها ترى الجواب يقيننا
ومنها قوله :

إن هندُ المليحةُ الحسنة وأى من أضمرت لخلّ وفاء ^(١)

ويقال : كيف رفع (هند) وهى اسم إن ؟ وما ناصب (وأى) ؟ والجواب أن (إن) أمر للواحدة من وأى أى وعد ، يقال فيه وأى بئى ، ويقال : يا هند لى ، وقد أكد بالنون فحذفت الياء لالتقاء الساكنين فصار (إن) وهند منادى ، وقوله (وأى) مفعول مطلق لقوله (إن) ، أما (المليحة الحسنة) فهما وصفان للبتادى .
ومنها قول الفرزدق :

يقلن هاماً لم تله سبيوفنا بأسيافنا هام الملوك القهاقم ^(٢)

والبيت فى ظاهره مشكل غير بين المعنى . وإنما المراد : يقلن بأسيافنا هام الملوك القهاقم ، ولكنه زاد فى (يقلن) الحرف (ها) وهو حرف التنبيه . ثم قال : مَنْ لم تله سبيوفنا ! وهو استفهام إنكارى ، فاختلط (ها) بكلمة (مَنْ) فنشأ (هاماً) ، ومن ثم جاء الإيهام والتعمية .

٤ — وقد تقع التعمية بعكس الضرب السابق . وذلك أن يؤتى بكلم يطلب أن يحل محلها عبارة لو فصلت لأدت معنى الكلام المسئول عنه ، ولكن التيسر بالعبارة الواحدة من اختلاط الأصوات وتصاقب الكلمات . فيقال مثلاً : ما مثل قولنا : قربت خشبتنا التى توضع على عنق الثور ، فيكون الجواب : دنانيرنا . وهذا الضرب يسمى التحاجى بالمقايضة ، وهو أن يؤتى بلفظ عوضاً عن لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد ، وعليه بنى الحريرى المقامة السادسة والثلاثين . ومن ذلك أن يقال : ما مثل النوم فأت ؟ وجوابه : الكرامات

(١) انظر المعنى فى مبحث الهزلة .

(٢) الأمالى للقالى ١ / ٢٧٠ .

والكرامات في الظاهر جمع الكرامة ، ولكنها تفصل إلى الكرى وهو النوم ، ومات وهو فعل الموت ، فتساوى المسئول عنه ، وهو : النوم فات .

وعما أورده الحريري :

يا من سما بذلك في الفضل وارى الزناد
ماذا يماثل قولى جوع أمـدّ بـزاد ؟

ومن أحاجيه قوله :

يا من يشار إليه في الـ قلب الذكى و البراءة
أوضح لنا ما مثل قو لك للمحاجى : دس جماعه ؟
وجوابه : طافية : وهى فى ظاهرها وصف مؤنث من طفا على الماء ، والمراد : طافئة ،
تخففت الهمزة فيهما .

هـ — وقد يقع المعنى فى الكلام من تقديم بعض أجزاء الكلم وتأخير بعض آخر
ومخالفة النظم المألوف . ومن أمثلة هذا قوله :

معاوى لم ترع الامانة فارعها وكس حافظاً لله والدين شاكر^(١)
أى لم ترع شاكر — وهى قبيلة من همدان — الامانة فارعها أنت يا معاوية .
ومن هذا قوله :

سألت ونحن فى البيداء عمرا على عجل ونحن نسير سيرا
فجاء به ولم ييخل علينا فقلت له : جزاك الله خيرا^(٢)
يريد : سألت عمرا سيرا ، أى سيرا بن جلد .
ومنه قوله :

من نبات السكروم جاءت سلافا لم يدسها برجله العصارا^(٣)
يريد : جاءت العصار سلافا لم يدسها برجله .

(١) الخصائص ٣٣٠/١ (٢) شرح الامية المعجم للصغدى ٢٢٦/١

(٣) المرجع السابق ٢٥٨/١

٦ — وقد تكون التعمية بإحلال الكلمة محل مرادفها . ومن هذا أن بعضهم سئل عن معشوق له فقال : هو أبو سفيان ، فقيل له : استعن عليه بينت بسطام . أراد العاشق أن معشوقه صخر في التمتع والقنوة ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب أبا معاوية رضى الله عنهما اسمه صخر . وأراد محاوره بينت بسطام : الصهباء . وهى الخمر . وقد كان لبسطام بن قيس ابنة تسمى صهباء .

ويقول صاحب كتاب كشف الاسماء : « ومن بديع عمل الترادف ما يحكى أن رجلا وقف على المأمون فقال له : مسامعى ولد الظبي عين ماء السلطان ، ففطن المأمون لمراذه واستدعى بالقرطاس وكتب إلى ناظر نهر الملك : اخترناك فصراً فذاك ، واختبرناك فصراً فذاك . وكان الرجل شكاً من ابن غزال ناظر نهر الملك ، فعزله المأمون . فقوله : (مسامعى) أراد : آذانى . وقوله (ولد الظبي) أراد : ابن غزال . وقوله (عين ماء السلطان) أراد : ناظر نهر الملك . وهذا يعد من غاية ذكاء الماسمون ، . فترى أنه كنى بمسامعى عن آذانى التى هى جمع أذن ، ثم انتقل من هذا إلى آذانى الفعل من الإيذاء ، وكأن هذا تعمية بمرتبتين ، وأراد بولد الظبي : ابن غزال ، علم الإنسان ، وقال : (عين) وأراد الناظر ، وأراد بماء السلطان نهر الملك . وهذا عجيب حقاً .

٧ — وعند المحدثين ضرب من التعمية يكون بقلب حروف الكلمة . ومن هذا قوله :

يا أيها العطار أعرب لنا عن اسم شيء قل فى سومكا
تنظره بالعين فى يقطرة كما يرى بالقلب فى نومكا

فقوله (بالقلب) يريد بقلب الكلمة (نومكا) وقلبها أن تبدى بعجزها ، فتأتى بالكاف والميم والواو والنون ، ويحصل من هذا كمثون ، وإن كانت الميم فى كمثون مشددة ، وهذا هو المطلوب .

٨ — ومن ضروب التعمية : التعمية ، فى الشعر . وهو أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً - وتطلب الاهتمام إليه وإلى تأليفه . وهذا صعب عسير . وقد عمد له أبو هلال العسكري فصلا فى ديوان^(١) المعانى ، وأبان طريقة استخراجها هناك ، ومن شام أن يتوسع فى هذا فليرجع إليه .

٩ — ومن ضروب ، النعمية : النعمية في الكتابة . فقد يلغز بالحركة والشدّة إلى معنى بعيد . ومن أقوى الأمثلة على هذا ما ذكره ابن خلدكان في وفيات الأعيان في ترجمة سديد الملك عليّ بن مقلد بن منقذ صاحب قلعة شيزر ، قال : « وكان موصوفاً بقوة الفطنة . وينقل عنه حكاية عجيبية . وهي أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر . وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس . فجري أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده ، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه . وفهم الكاتب أنه يقصد به شراً ، وكان صديقاً لسديد الملك ، فمكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى (إن شاء الله تعالى) فشدد النون وفتحها ، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمودة فيه وإيثاره لقربه ، فقال سديد الملك : لئن أرى في الكتاب ما لا ترون ، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب : أنا الخادم المقر بالإنعام وكسر الهمة من (أنا) وشدد النون ، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سرّاً بما فيه ، وقال لأصدقائه قد علمت أن الذي كتبت لا يخفى على سديد الملك ، وقد أجاب بما طيب نفسي . وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » فأجاب سديد الملك بقوله تعالى : « إنا إن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فكأن هذه معدودة من تيقظه وفهمه . هذا والعناية بكشف المعنى واستخراجه قديمة . وفي معجم الشعراء ^(١) للربزباني ذكر محمد بن مخلد الكاتب ، وقال فيه : « معصمي ، وكان من أحذق الناس بإخراج المعنى ، ومن المعنيين به أبو الحسن العروضي ، ذكره أبو هلال العسكري . ومنهم أبو المعالي الخطيري الوراق صاحب كتاب : « الإعجاز في الأحاجي والألغاز » يقول فيه صاحب الخزانة : « وهو كتاب تكل عن وصفه اللسان ، فيه ما تشبهه النفس وتلد الأعين » . وقد توفر على البحث في المعنى في العصور المتأخرة علماء العجم ، كتبوا فيه باغتهم ثم ترجموه إلى العربية ، وقد بقي لنا من كتبهم « كنز الاسماء في كشف المعنى » لقطب الدين المسكي الحنفي ، رحل إلى مصر سنة ٩٤٥ هـ وهو مخطوط في دار الكتب المصرية . ولصاحب الخزانة بحث جليل فيه في ج ٢ ص ١١٣ وما بعدها . والله الهادي إلى سواء السبيل .

محمد علي النجار

(١) ص ٢٦٤

الاستاذ بكلية اللغة العربية

الرَّحْتَارُ وَالرَّجْعُ الْفَاحِشُ حَرَامٌ كَالرِّبَا

تحدث مندوب د. الأهرام ، الخاص إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن الأزمة المستحكمة التي تعانيها في هذه الأيام المواد الغذائية الضرورية ، بسبب اختران بعض هذه المواد طلباً للربح الفاحش ، وطلب إلى فضيلته أن يوضح للناس حكم الشريعة السمحة في مثل هذا الإجراء ، وقد تفضل فضيلته بإجابة هذا الطلب وقال :

إن الاحتكار الذي حرمه الله عز وجل هو إمساك شيء من الأغذية وضروريات الناس ، والامتناع عن بيعها انتظاراً للغلاء ، حتى إذا ازداد اضطراب الناس إليها تحكمتحتكرها ببيعها بالسعر الفاحش الذي يفرضه عليهم .

وهذا العمل حرام شرعاً ، ولا يعد من البيع الحر الذي أحله الله ، ولذلك كان السكسب منه كسباً خيثئاً لا يباركه الله عز وجل ولا يرضى عن صاحبه .

إن مثل المحتكرين كمثل المرابين من جهة استغلال الفريقين حاجة الناس وتحكمهم فيهم بسبب هذه الحاجة . غير أن المحتكرين يزدادون عند الله إثماً من جهتين : إحداهما أن استغلال حاجة الناس إلى الأقوات والأغذية وما أشبهها أفظع من استغلال الحاجة إلى النقود . والثانية أن استغلال المحتكرين لأقوات الناس وضرورياتهم يعم ضرره جماهير الناس ، أما استغلال المرابين لحاجة من يحتاج إلى النقود فإن نطاقه ضيق يخص عدداً قليلاً منهم ولا يعم جماهيرهم ، فإذا كان المرابي يأكل ربحه من الربا ناراً في جوفه لاستغلاله حاجة عدد محدود من الناس ، فالمحتكر يأكل ربحه من الاحتكار لهيباً من نار الجحيم بقدر ما ينال جماهير الناس من أذى جشعه الذي لن يبارك الله له بشيء منه .

وقد صح في الحديث النبوى أن عاقبة المحتكر أن يضربه الله بالإفلاس ، أو بأخبث الأمراض وهو الجذام .

روى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في مسنده بإسناد صحيح ، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى المسجد فوجد طعاماً منشوراً ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قالوا : طعام جلب إلينا . قال : بارك الله فيه وقمّن جلبيه . قيل : يا أمير المؤمنين فإنه قد احتكر . قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر . فأرسل أمير المؤمنين إليهما فدعاهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين نشترى باموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ومن احتكر

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس ، أو بجذام ، . فقال فروخ عند ذلك : يا أمير المؤمنين أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود - أى إلى الاحتكار - فى طعام أبدا . وأما مولى عمر فقال : إنما نشترى بأموالنا ونبيع . قال أبو يحيى المكي راوى هذا الحديث : فلقد رأيت مولى عمر يجذوما .
وعما يلاحظ فى هذا الحديث ، أن النبى ﷺ سعى الاغذية العامة المعروضة للبيع طاهام المسلمين ، لأنه إذا كان للذى يشتريها لبيعها حق الثمن الذى يشتري به ثم يتقاضاه فى البيع ، فإن إباحتها فى السوق من حق المسلمين لأنها طعامهم وغذاؤهم ومن ضرورياتهم ، فيبيعها لهم بالثمن هو من حق رأس المال ، وأما إباحتها وعرضها فى السوق فهو من الحق العام الذى هو حق الامة ، واحتكارها اعتداء على الحق العام وهضم لحقوق الامة .

وفى مسند الإمام أحمد أيضاً عن سعيد بن المسيب أن معمر بن عبد الله بن فضالة القرشى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحتكر إلا خاطيء . . والخطأ فى الشرع الخروج عن سبيل الشرع ، وسبيل الشرع هو سبيل الله ، وبإياله من يخطئ . سبيل الله لأجل كسب حرام غير مشروع يستغل به ضرورات الامة فى غذائها وقوت عيالها ، فيستحق عليه ما أنذره به النبى ﷺ من الإفلاس أو الامراض الخبيثة ، ويعاقب عليه يوم القيامة بما يستحقه الذين يسخطون الله فى إيذاء مخلوقاته .

وروى الإمام أحمد أيضاً فى مسنده عن الحسن البصرى عن معقل بن يسار رضى الله عنه وهو من أهل بيعة الرضوان ، وهو الذى حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر بن الخطاب ، أنه لما ثقل المرض على هذا الصحابى الجليل جاءه أمير البصرة عبيد الله بن زياد يعوده ، فدار بينهما حديث ، ثم قال معقل رضى الله عنه : أجلسونى . ثم قال : اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئاً لم أسمع من رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم فإن حقاً على الله أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة » . فقال عبيد الله لمعقل : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غير مرة أو مرتين .

ومن هنا يعلم كل مسلم يتاجر فى المواد الغذائية والضرورية للمسلمين ، أن احتكارها ليس من البيع الذى أحله الله ، بل هو كسب حرام وأشد ضرراً على عامة المسلمين من المراهبة والعياذ بالله . والنبى ﷺ قد أنذر مرتكبه بالافلاس والامراض وبنار جهنم يوم القيامة . فليعلم المحتكر عاقبة عمله قبل أن يقدم عليه .

الغاية بِدْرِاسَةِ الْإِسْلَامِ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

لا أعجب لشيء عجبي لجل هذه الأمم الغربية باجتماعيات الإسلام وما فيه من مبادئ قوية للحياة الفارة والهناء الإنسانية ، ولالأمن والسلام الدولي والسلام المحلي . على حين أن هذه الشعوب الغربية الراقية قد بحثت كل شيء وتخصصت في كل شيء وبأغت الغاية في كل بحث إلا في شيء واحد ، هو دراسة الإسلام واجتماعياته وأدبياته وتشريعياته ، دراسة بأناة وإخلاص لمصلحة الحياة الإنسانية ، دراسة بريئة من التعصب المسيحي الذي خلفته الحروب الصليبية ودعمته مؤلفات باطلة منتشرة جعلت الهوة سحيقة بين الشرق والغرب ، وتركت آثارها التقليدية باقية في نفوس العلماء والباحثين بما بثته من ذلك في نفوس الناشئين في السكتب المدرسية . وعن هذه الهوة السحيقة بين الشرق والغرب . وتنافس الغرب في استعمار الشرق واستغلال خاماته وأسواقه وملايين الأيدي العاملة فيه ، نشأت تلك الحروب الطاحنة التي عاذ ضررها على الغرب بأكثر مما قد يكون عاد على الشرق ، والتي لا تزال تضمر للعالم شراً ما حقاً يأتي على المدنية كلها — (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ، كل ذلك بسبب العصبية الوراثة عند العلماء الأوروبيين ضد الإسلام ودراسته ، بينما هو دين اجتماعي بالمعنى الذي لا يوجد في دين آخر ولا في قانون ولا دستور من دساتير العالم .

فأين العلماء الباحثون الاجتماعيون من الأوروبيين والأمريكيين ؟ وأين الدراسات الجامعية لتفتح أسوار اللغة العربية ويدرسوا هذا القرآن الكريم ويبحثوا فيه عن عناصر السلام كما يبحثون الآن في طبقات الأرض عن عنصر الأورانيوم . ومعلوم أن اللغة العربية قد كانت لغة العلم في القرون الوسطى وما قبلها فلم لا تدرس ؟ .

ولعمرك الله لعنصر السلام والإصلاح في طبقات القرآن أدنى من أن لا من عنصر الأورانيوم في طبقات الأرض وأعم نفعاً وأعمق رحمة بالإنسانية وأدفع للشرفيا بينها .

والعبرة في البحوث العلمية والتشريعية وفي الاكتشافات إنما هي بهيار ما تؤدي للإنسانية من خدمة وما يبدو فيها من نفع عام ، ومتى يكون الميل إلى الخير أرجح من الميل إلى الشر في طبيعة البشر ؟

وإذا كان الفانون الرومانى فى سائر جامعات العالم ، يظفر بكراسى فيها ، وهو ما هو ، أفلا يظفر القرآن الإسلامى فى تلك الجامعات بمثل تلك الكراسى وتفتح له عيون وتصحو له قلوب وتدرس اللغة العربية فى تلك الجامعات كما تدرس اللغة اللاتينية فيها ليتمكن العلماء الباحثون المنصفون من دراسة هذا الكتاب السماوى الحديث دراسة سليمة من التخطى الشنيع الذى وقع فيه كثير من المستشرقين ، لعاملين كبيرين لم يذللوا فى الأوساط العلمية الأوروبية : أولها ضعف المستشرقين فى اللغة العربية ضعفاً يضحك القارئون لبحوثهم ، والثانى غلبة التعصب الصليبي فى تلك الأوساط . وثالث وهو ما فى نفوس الكثير منهم من الإلحاد والعدارة لأصل الأديان ، كل هذا حال بين المستشرقين وبين ما وجعوا أنفسهم إليه فخرجوا للناس فى أوربا بصورة مشوهة للإسلام تزيد فى بغضهم له ولاهله ، وبذلك ازدادت الفرقة بين الشرق والغرب .

ولو أن الجامعات العلمية خلعت عن أكتافها ثياب التعصب المسيحى ، واتجهت إلى هذا الركن من البحث فى الإسلام وعناصره وأهداف كتابه المقدس ، لرأت بعينى رأسها ما هى تجهله الآن ، وهو أن القرآن كتاب اجتماعى إصلاحى أكثر مما هو كتاب عبادة ودين بالمعنى الذى يفهمه البسطاء من العبادة والدين ، فأيات القرآن الاجتماعية أضعاف ، عشرات المرات ، من آيات الصلاة والصوم والحج ، إذ ضعفت عقول قوم عن هضم هذه العبارات وما فيها من أسرار للنفوس والمجتمع .

وبما أن الشرق والغرب الآن تلتحم فيهما العلاقات الدولية وترغمهما على الاتحاد والامتزاج والتضامن والتكافل فى درء الشيوعية والمبادئ الهدامة ، وبأخذان شكل جبهة واحدة ، والإسلام أشد إباء وصلابة ضد المبادئ الشيوعية ويعتقه الآن أكثر من أربعائة مليون مسلم . وقد جاء الوقت الذى يحتاج العالم إليه أشد ما يكون من احتياج .

فوجب نفى التعصب ضد الإسلام ، والانتفاع بمبادئه العالمية وكلها عالمية فى خدمة سعادة البشر ورفاهيتهم ، وهذا قول نبي من الأنبياء . ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ، فلا يجرمن قادة بريطانيا وأمريكا بغضهم للإسلام وازدراؤهم به أن يصيهم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط . وما الحربان العالميتان السابقتان منهم ببعيد . هذا لإرشاد القرآن .

ولإذا كان العالم الآن على فوهة بركان يوشك أن يضطرب فيلتهم أمما ويمسحها عن وجه الأرض ، كأن لم تكن موجودة من قبل ، فلماذا لا ياجأون إلى كتاب مقدس بين أيديهم ينذرهم ويدعوهم إلى السلام ويقول : والله يدعو إلى دار السلام ، ويقول : إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ١٠ - ٤٤ ، ويقول : قل أرأيتم إن أناكم عذابه بيانا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ١٠ - ٥٥ ، ويقول : فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، قل فانتظروا إنما معكم مانتظرون ١٠ - ١٠٢ ، ولا شك أن الحرب الآتية هي حرب إبادة كما يعلنون .

والمشكلة الإنسانية الآن ، هي المشكلة الشائعة في كل زمان ومكان ، وهي أن من يملك لا يعرف ومن يعرف لا يملك . فالمسلمون الآن في أيديهم دستور حكيم عالمي يكفل الأمن والسلام للبشر ، ولكنهم لا يملكون تنفيذه لا في بلادهم ولا بشه في الروح الدولية العامة لضعف نفوذهم السياسي أولا ولتغلب الإباحية الفاجرة في العالم المتحضر الغالب بتقاليده على الحياة العامة . والإباحية الفاجرة هي العدو رقم (١) للإسلام الذي جاء بصورة جديدة عميقة لا يعرف الهوادة في الشرور والفسق وما يسمونه الحرية الشخصية التي يعتنقونها في الغرب كما يعتنقون الطعام والشراب ، كذلك حققت كفة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ١٠ - ٣٢ ، ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ١٧ - ١٦ ، والله يأمر الناس بالرشد والإنصاف فيما بينهم أفرادا وأمما ، وينهاهم عن الفسق والإباحية الفاجرة وهم يعصونه ويحاربونه فسيدمرهم - إن لم يثابروا أمرهم - تدميرا كما دمر الأمم السابقة ، ونحن نعيش الآن في ديارهم وأرضهم ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٩ - ٣٠ .

وهنا أقرر وأنا مطمئن إلى صدق ما أقول أن الأمم الغربية لهذا العهد ترضى أن تسحق سحقاً تاماً بالقنابل الهيدروجينية والذرية ولا ترضى أن تغدير شيئا من أوضاعها الحالية في استغلال الشعوب الضعيفة واستعمارها وظلمها وفي نشر الإباحية الفاسقة والانحلال الأخلاقي الفاشي في حياتها الاجتماعية وإلغائهم بالمرأة في ميادين الرجال ... وقواعد الحياة الاجتماعية في الإسلام غير ذلك .

محمد عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

من ذكريات الميلاد

من الاحداث الكريمة ما يغير مجرى التاريخ الإنسانى ، ويبدل أوضاع الحياة ، ويعدل سلوك الناس ، وينقلهم من ضيق إلى سعة ، ومن قلق إلى دعة ، ومن حضيض إلى رفعة ، ومن ذل إلى عزة ، ومن فزع واضطراب إلى هدوء وأمن واستقرار .

ومن أنصع الحوادث التي مرت بالإنسانية ، ففهرتها بالنور والسعادة ، ونقلتها من الضلالة إلى الهداية ، ومن الظلم والفجور إلى العدل والتقى ، ومن حياة عابسة مضطربة مختلة الجوانب والاضطراب ، إلى حياة باسمية هادئة ناصعة الحدود مشرقة المعالم ؛ ميلاد الرسول الاكرم محمد بن عبد الله النبي الامى الذى أرسله ربه إلى الناس كافة . يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون .

لقد نشأ محمد صلوات الله عليه في بيت طاهر كريم كله صلاح وتقوى وعبادة وتدين . وكان يطلق على أهله أهل الله ، لأنهم جاوروا البيت الحرام وقاموا بأمره وأخذوا أنفسهم بخدمته ، ومن هنا كانت لهم السلطة الروحية التي فرضت على الناس احترامهم ومحبتهم ، وقذفت في النفوس تبجيلهم وهيبته ، وجعلت أقدارهم فوق أقدار الناس . وكان عبد المطلب جده يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيئات الامور وكان يقول دائماً : ان يخرج من الدنيا ظلم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الله . إلى أن هلك ظالم غشوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب في ذلك فقال : والله إن وراه هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته .

ولما ولد رسول الله سماه جده محمداً ، وقيل له كيف سميت به باسم ايس لأحد من آبائك وقومك فقال : إني لأرجو أن يحمد به أهل الارض كلهم .

واقصد تمثلت حياة الله ورعايته لنيبه ومجتهابه أتم تمثيل ، فقد مات أبوه قبل أن يولد ، فولد في كنف جده عبد المطلب . هذا الرجل البر التقي الذى توسم فيه الخير وتنبأ له بالمجد والعظمة . وتوفى كافلة عبد المطلب وهو في الثامنة من عمره . فقام على كفالته وتربيته عمه أبو طالب ، وانتقل من قلب عاطف رقيق إلى قلب عاطف رقيق ، اتسع له بالحب والعطف

والشفقة أكثر مما اتسع لابنائه ، فرعاه أحسن رعاية وحفظه أتم حفظ ، فكان لا يأكل إلا معه ويخصه بأطيب الطعام ، ولا ينام إلا إذا كان إلى جانبه ولا يسافر في تجارة إلا كان في صحبته وهكذا مما وعته صحائف التاريخ .

وأول عبرة تقتبسها من سيرته وسلوكه : الوفاء الحق الذى عز على الناس أن يأخذوا أنفسهم به وأن يردوا طباعهم إليه . فقد نشأ محمد يتيماً فقيراً وكان لذلك أثره في نظر الناس له وإقبالهم عليه ، فهذا اليتيم لا بد له من مرضع تقوم بأمره وتتكفل بحضائنه وتزويه في باديتها ، ليشتد جسمه ، ويشب عوده ، ويستقيم لسانه ، ويتسع أفقه ، وتقوى طبيعته في جو البادية الفسيح .

أقبلت النساء على مكة يلتمسن الرضعا في عام يجعل مجذب ، وعرض عليهن الأطفال وفيهم محمد . فلا تكاد مرضع تراه حتى تزوى عنه ولا تكاد رغبة تبدو فيه حتى تخمدوا دوافع المادة ومطالب الحياة وإلحاح الحاجة ، وأخذت كل امرأة وليداً توسمت فيه الخير ورجت من ورائه المنفعة . وبقيت امرأة فقيرة بائسة ، أجهدتها الحاجة وألح عليها الهوز في سنة شهباء أكلت الاخضر واليابس وجففت الضرع وأتلفت الزرع وأعطبت الثر ، تلك هى حليلة السعدية ، وبينما هى تنأهب للرحيل إذا بهاتف من أعماق نفسها يهيب بها ويستحثها أن يكون نصيبها هذا اليتيم الذى أجفلت عنه المراضع وفترت فيه رغبات النساء ، فاستجابت لهذا الهاتف وعادت إلى اليتيم فأخذته وهى أشد ما تكون حاجة إلى وليد ميسور الحال كثير المال . ولكن بركة هذا المولود وبين طالعه لم يلبث أن انهال عليها الخير لبناً يدر من ثديها وحياة تدب في ضرع ناقمها الهزيلة المسنة التى جففها الجوع والكبر منذ أمد طويل ، فرضيت واستقرت ونعمت حياتها ، ورأى الناس عليها مظاهر النعمة ، فكانوا يعجبون لما أصابها من نعيم بعد يؤس ورخاء بعد شدة ، وفطنت هى كذلك لنعمة الله عليها بهذا الرضيع الاغر الميمون النقيية ، فكانت أثيراً على نفسها حبيباً إلى قلبها محاطاً بالإكرام والرعاية من زوجها وأبنائها ، وكانت بنتها الشهباء تخرج به لتلاعبه وتنشد له الاناشيد المحببة .

وقد أرادت أمها ذات مرة أن تعنفها وتلومها على خروجها به في الحر الشديد ، فقالت يا أماء والله إن الشمس لا تصيبه أبداً ، فقد رأيت غمامة أظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت ، ومكث عند حليلة حتى تم فصله وأرجع إلى أهله .

على أنه بعد ذلك لم ينس الحليمة ما قدمت إليه من إكرام ، وما أسلفت له من رعاية ، لم ينس خدمتها وإخلاصها ، فوفى لها أكرم الوفاء وكافاً جميلاً وذكر معروفها وبذل لها مما يملك ما قرت به عينها واطمأنت نفسها .

فقد روى أنها وفدت عليه بعد أن تزوج خديجة وشكت إليه الجذب والفقر والحاجة فأعطاهما عشرين رأساً من الغنم وبسكرات ، وفي هذا أنصع الدلالة على ما يكن في فؤاده من تقدير كريم وعرفان صادق . وكانت بذتها الشياء من بين من أسر من بنى هوازن بعد حصار الطائف ، فلما جيء بها إليه رجع بذكرياته إلى الماسخى البعيد وإلى عهد الطفولة السعيد وإلى الزمن الجميل الذى قضاه معها فأكرمها وأعادها إلى أهلها كما رغبت وأحبت .

ذلك مثل كريم من أمثلة الوفاء النادر ، يجب أن يتدبره الناس ويتهذبوا عليه في حياتهم ويتأسوا به في دنياهم . ويجب حين تطوف بنا ذكرى مولد الرسول الأكرم أن نذكر أكرم صور الوفاء وأروع آيات الإخلاص ، فإنه لا يهيج الاحقاد ويورث نار العداوة بين الناس مثل كفران المعروف وإنكار الإحسان .

وهذه صورة أخرى من صور وفائه وإثابته ، فإن أهل مكة كان قد أصابهم جذب شديد وحلت بهم ضائقة ماحقة ، وكان عمه أبو طالب ذا عيال كثير فأآذته تلك الضائقة وأرهمه ما أرهمه الناس من شدة وضنك ، فلما رأى محمد ما حل به وكان قادراً على أن يمد له يد العون والمساعدة لم يبخل ولم يتردد ، فاتفق مع عمه العباس على أن يخففا عنه الحمل وينهضا معه بالعبء ، فأخذ العباس جعفرأ وأخذ محمد ﷺ عليا ، وقام بأمره وما زال عنده حتى بعثه الله نبياً فكان أول صبي آمن به وصدقه .

والعبرة الثانية التى تشرق من تاريخه وتنبجس من حياته ، الصبر على المكاره والثبات فى الحق وصدق الجهاد فى سبيل الله .

أودى فى نفسه وفى صحابته ، فلم يلب عوده للخطب يرهقه ، ولم يتزعزع ثباته للحدث المدلهم مهما برح الالم . وقال له عمه : يا ابن أخى إنا لانستطيع حرب هؤلاء القوم ولا طاقة لنا بخلافهم ، فترك ما أنت فيه ولك ما تحب . فقال تلك الكلمة الخالدة التى وعاءها سمع التاريخ : والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

فهذه السيرة العطرة وذلك التاريخ المشرق ، يحفل دائماً بأروع الامثلة في الصبر على الاحداث والنيات عند الخطارب وعدم الاحتفال للقوة الغاشمة مهما طغت واستبدت .

لانه يذهب إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الحق وإلى رب العالمين فإذا بهم يقابلونه أشنع مقابلة ويحيونه أشنع تحية ويغرون به سفهاءهم وصديانهم يرمونه بالحجارة حتى يدموا عقيقه ويجلس إلى جوار حائط متعباً مكدوداً ، ثم يتجه إلى ربه قائلاً : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي .

وبترك الرسول ﷺ مكة ويهاجر إلى يثرب فتظهر دعوته ، وتنتشر كلمته ، وتسرى في الآفاق شريعته ، ويداخل قريشاً الحقد والغیظ ، ويدب في نفوس الغتاة الجبابة مالا يستطيعون دفعه من الكراهية والحسد ، فیلتم جمعهم ويجمع شملهم وتتفق كلمتهم على أن يقوموا بعمل حاسم يقضى على الدعوة ويطمس ذلك التاريخ الحافل . وحالف قريشاً جميع القبائل الضاربة حولهم كما حالفهم يهود المدينة والمنافقون منها ، واختارت كل قبيلة أحسن رجالها وخير قادتها ، وزهرة أبنائها ، وخرجوا من مكة وعدتهم اثنا عشر ألفاً على رأسهم أبو سفيان بن حرب وفيهم خالد بن الوليد وعمر بن العاص .

هنا يتجلى إيمان محمد وحكمته وحسن تديره ، يتجلى إيمان قائد يعوزه السلاح وتنقصه العدة فإن أتباعه عراة إلا من لباس التقوى ، ضمفاء إلا من قوة الإيمان ، مجردون إلا من سلاح الحق والثقة برب العالمين ورضا أحكام الحاكمين . استشار الرسول أصحابه . فقال البعض : يا رسول الله ما لنا بهم من طاقة . نعطيهم ثلث ثمار المدينة ليرجعوا عنها . وصاح سعد بن معاذ بكل قوته قائلاً : يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو يبيعاً ، أخفين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

واستقر الرأي على عمل خندق حول المدينة . فأخذوا في الحفر ، وكان أبو بكر وعمر ينقلان التراب في ثيابهما لأنهما لا يجدان مكاناً ، ورسول الله يأخذ المعول فيكسر الحجر

الذى يعترضهم فى حفرهم ، ثم أخذ الجيش القليل يحرس الشلم ورسول الله يحرس ثلثته فى البرد القارس والجوع الشديد .

وفى هذا الوقت العصيب الشديد الذى يواجهه فيه المسلمون قوة عاتية طاغية باطشة بمحزة بالخيول والنبل والسلاح وخيرة الفوارس ، كان الرسول يطمئن المسلمين ويعدم بالنصر ويقول : والله لتفتحن الشام ، وتظهروا عليه ولا ينازعكم أحد ، وتفتحن اليمن ، وتفتحن هذا المشرق .

ويزيد على ذلك فيرسى إلى أبى سفيان قائلاً : أما بعد فقدماً غرك بالله الغرور ، ولقد ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم ، وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، وذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى .

ولقد حقق الله لنبه وعده بالنصر ، فأرسل على قريش وأحلافهم ريحاً قوية وعواصف شديدة ، كفأت قدورهم وقلبت أخبيتهم وقلعت خيامهم ، فانقلبوا راجعين من حيث أتوا ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . وهكذا كل ناحية من نواحي الرسول الأكرم تروع العالم بما فيها من جلال العبرة وسمو الموعظة وحسن الأسوة . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابه الأجداد .

عبر الحبيب محمود المسامحة
المدرس فى كلية اللغة العربية

أنى لك هذه؟!

قال عالم الصحابة عبد الله بن عمر بن الخطاب :

أهدى أبو موسى الأشعرى إلى عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (زوجة أمير المؤمنين عمر) طنفسة أراها تسكون ذراعاً وشبرا . فدخل عليها عمر فرأها ، فقال : أنى لك هذه ؟ قالت : أهداها إلى أبو موسى الأشعرى .

فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى نفض (أى تحرك واضطرب) ثم قال :

على بابى موسى الأشعرى ، وأتعبوه ! فأتى به وقد أتعب وهو يقول :

لا تعجل على يا أمير المؤمنين . قال عمر : ما يحملك على أن تهدى لنسائى ؟ ثم أخذها

عمر وضرب بها فوق رأسه وقال : خذها ، فلا حاجة لنا فيها . . .

تحديد الملكية في الإسلام

كان الفقه الإسلامى ولا يزال معيناً للحاكمين على تحقيق العدل بين الشعوب ، فاتحاً لهم باب النهوض بأمرهم بنور الحق الذى يستمدّه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكثيراً ما جددت فى الارض مشاكل اجتماعية بل علل فى جسمها مستعصية لو أن الفقه استشير فى حلها لوضح أنه الطيب النطاسى ولوقيت الامة كثيراً من الآفات .

ومسألة اليوم : هى تحديد ملك الاراضى ، أى منع الناس من الزيادة على قدر معين فيما يملكون ، واجبارهم على بيع ما زاد على هذا المقدار إن كان لهم ملك يزيد عليه ، فما رأى الفقه الإسلامى فى هذه المسألة ؟

قرر الإسلام حق ملكية الاراضى واحترمه ودافع عنه وأثبت للمالك حق الانتفاع بأرضه والتصرف فيها . فقد جاء الإسلام وأهل مكة والمدينة فى أيديهم دور وأراض يملكونها ، فاحترم الإسلام هذا الملك ورتب عليه آثاره . وفى صحيح البخارى أن قوله تعالى : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ، الآية » نزلت فى يهودى غصب الاشعث بن قيس أرضه فترافعا إلى النبي ﷺ فلما عجز الاشعث عن البيعة طلب يمين اليهودى ، قال الاشعث : إذا يخاف ويذهب بمالى ، فنزلت الآية . وقوله تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، يشير إلى أن أهل مكة أخرجوا بالهجرة من أرض كانوا يملكونها .

ولم يوقف الإسلام هذا الحق عند حد إلا عند الداعية ، فقد كان من الصحابة من أفرط فى الثراء كعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ولم يتعرض الإسلام له . فقد صاقلت إحدى زوجاته الاربعة وهى السيدة تماضر عن ربع ثمنها بثمانين ألف دينار . وسواء أكان سبب هذا الحق : الشراء أو التبرع أو الميراث ، أما إذا كان السبب هو الإغتمام والاستيلاء بسبب الغلبة فى الحرب فقد اختلف فيه المسلمون من عهد الصحابة فمنهم من يرى أنها مملوكة لأهلها الاول . ومنهم من يرى أنها ملك للجنود الفاتحين ، ومنهم من يرى أن رقبته ملك للدولة وللناس استغلالها وعلهم خراجها ، وفى ذلك تروى المأطرة المشهورة بين عمر وبلال رضى الله عنهما فى سواد العراق .

كذلك حق تملك الأراضي مقرر محترم بإجماع المسلمين وقد كان مكان مسجد المدينة ماسكا لبعض بني النجار فثأمنهم النبي ﷺ إياه .

لا يوقف الإسلام هذا الحق عند حد ولا ينتهي إلى غاية لأن الإسلام يأذن بحرية الكسب الحلال ويشجع عليه ويجعل عمل العامل له بعد أن يوفى لله حقه والدولة ضريبتها منه .

غير أن هذا الحق بطبيعته أمر مباح ، والمباح يظل على إباحته إلا أن تترتب على مزاولته مفسدة أعظم من المصلحة التي شرع من أجلها ، فعندئذ ينقلب المباح محظورا ، كبيع السلاح من أهل الفتنة حيث يعود محظورا لأنه إغانة على الفساد في الأرض ، وكإحراق فضلات الزرع في أرضه والريح شديدة ، فإنه يعود محظورا ، لأنه إضرار بالناس ، وهذا كله عمل بقاعدة : إزالة الضرر عن المسلمين ، التي قررها الحديث الكريم . لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، ، ومن هذا ما روى عن أبي حنيفة من الكراهة التحريمية لا كل لحم الخيل : فإنه رحمه الله عليه بأنه وإن كان مباحا في الأصل لكن يترتب عليه مفسدة تقليل آلة الجهاد .

فإذا كان الإفراط في تملك الأرض الذي هو حق مباح يترتب عليه مفسدة عظيمة وضرر كبير هو حرمان جمهور المواطنين من رزقهم وقوتهم الذي سبيله الزراعة واستثمار الأرض ، على حين ينفق الملاك فيما يفيد وما لا يفيد ويعيشون عيشة الترف والسرف والتبذير في المحرمات والشهوات أو يكتنزون ويحبسونه عن أفواه الجائعين أو مشاريع الخير ، انقلب ذلك المباح محظورا وملك ولي الأمر ساطة لإبعاد الناس عن مزاوله هذا الحق بقانون يستنه أو أمر يصدره ، بناء على ما قررنا من أن زوال الضرر أمر محتوم ينبغي أن تقيد تصرفات الناس به .

واعتبار الاملاك المجموعة في أيدي قلة مع حرمان الكثير منها مفسدة كبرى بنص القرآن ، حيث كرهها وجعلها من الآفات التي يجب إخلاء المجتمع عنها . فإن الله تعالى أمر بقسمة النىء على من ذكرهم في الآية الكريمة : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وعمل هذا بقوله : كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، يعنى والله أعلم قسمنا النىء في الوجوه التي بينا كيلا يكون المال ماسكا مجموعا في يد الاغنياء يتداولونه بينهم ويتقلبون به ويتصرفون فيه بمحض شهواتهم ولا يصل إلى الفقراء منه خير . فانتخاذ المال على هذه الصورة شر مستطير ومفسدة عظيمة ،

أمر الله بقسمة النية كي لا يقع الناس فيه . ونهى عنه نهياً صريحاً بقوله بعد ، وما نهاكم عنه فانتهوا . . وليس الأمر خاصاً بالنية ، بدليل قراءة الرفع في ، دولة ، أى لثلاث تقع دولة بين الأغنياء .

لذا فمكون الأراضى دولة بين الأغنياء ، مفسدة ينبغي أن تدرك باجتناب كل ما يوصل إليها ، فإذا كان حق التملك من غير تقييد بمحد معلوم يؤدي إلى تلك المفسدة وجب حظره والمنع منه لأن صاحبه أساء استعماله ، فظاهر ذلك الزوج بأكثر من واحدة فإنه حق أذن فيه الشرع وأباحه لسكنته رفع هذه الإباحة إذا ترتب على استعمال هذا الحق مفسدة الظلم ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . .

بقى علاج تضخم الملك بإجبار المالك على بيع ما زاد على القدر المعقول فما رأى الفقه فيه ؟

عرف الإسلام الإجبار على البيع دفعاً للضرر الخاص كبيع العقار للشفيع دفعاً للضرر سوء الجوار ، والإجبار على بيع ما للدين لفضاء دينه دفعاً للضرر عن الدائن ، والإجبار على قسمة المال القيمي ، وهى بيع من وجه ، لدفع ضرر تعطيل منفعة الشريك أو نقصها ، وعرف الإجبار على البيع دفعاً للضرر العام كبيع طعام المحتكر لحاجة الشعب إليه وامتناع مالكة عن البيع ، وكبيع أرض بجانب مسجد أو طريق ضاق أحدهما على الناس حيث يجبر صاحب الأرض على بيعها للدولة دفعاً للضرر يلحق مسجد العامة أو طريقهم ، ورووا في هذا أن أصحاب الأملاك الملاصقة للمسجد الحرام أجبروا على بيع أملاكهم للدولة ليوسع بها المسجد على عهد الصحابة ، فكان ذلك إجماعاً منهم على جواز البيع الجبرى دفعاً للضرر ، وبالتالي تحقيقاً للمصلحة العامة . وهذه الأحكام كلها وإن كانت مستثناة من شرط الرضا في العقود ، مبنية على قاعدة سد الذرائع .

وقد تقدم أن ترك المال دولة بين الأغنياء يتمتعون به في حلال أو حرام ويتحكمون به في إرادة الناس ويسلبونهم حريتهم ويحرم منه جمهور الأمة . قرر القرآن أنه شر مستطير ومفسدة كبرى كما بيناه ، فإذا لم يكن دفع هذا الشر إلا بإجبار المفرطين في الغنى على بيع أراضهم جاز ذلك ووسع على الأمر أن يفعله ، ونزوى في هذه المسألة أثراً عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يصلح شاهداً لها ودليلاً عليها .

روى أبو عبيد في كتاب الأموال وأبو يوسف في كتاب الخراج واللفظ لأبي عبيد قال : وكانت بجملة ربع الناس يوم القادسية فجعل لهم عمر ربع السواد وأخذوه سنتين أو ثلاثا قال : فوفد عمار بن ياسر إلى عمر ومعه جرير بن عبد الله فقال عمر لجرير : يا جرير لولا أني قاسم مشلول لكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم . ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين ديناراً .

وتفسير هذا الاثر مع ما روى عن عمر أنه لم ير قسمة أرض السواد بين الفاتحين : أن هذه الأرض كما صحح النووي في المنهاج قسمت أولاً بين الفاتحين وكانت قبيلة بجملة منهم ، ثم استردها عمر بعوض وأقر أهلها الأول عليها . والاثري فيد بصراحته أن عمر استرد الأرض من مالكمها لزيادة السكان حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء ، وإن كانت هناك أسباب أخرى وردت في الآثار .

هذا ولولى الأمر تحديد أعلى المقدار الذى يصح أن يبقى فى يد الغنى متوخياً فى ذلك العدل بين أفراد المجتمع .

هذا هو البحث كما استلمنا فى تخرجه نصوص الشريعة وأصولاً وضعها الأئمة وقواعد أحكموها وأشباهاً فرعوها والله يفتح لنا باب هدايته . **أحمد فهمى أبوسنة**
مدرس بكلية الشريعة

الطريقة الإسلامية فى قبول المنافع

روى الإمام أحمد أن عبد الله بن السعدى (وكان نزيلًا فى الأردن من أرض الشام) قدم على عمر بن الخطاب فى خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلى من أعمال الناس أعمالاً ، فإذا أعطيت العمالة (أى الراتب أو المكافأة) كرهتها ؟ قال ابن السعدى . — قلت : بلى ! قال عمر : فما تريد إلى ذلك ؟ قال : إن لى أفراساً وأعبداً ، وأنا بخير ، فأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين . قال عمر : فلا تفعل . لى كنت أردت الذى أردت ، فكان النبى ﷺ يعطينى العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه منى . حتى أعطاني مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر إليه منى : فقال النبى ﷺ : خذته فتموله وقصدق به . فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل ، نخذه . وما لا ، فلا تقبعه نفسك .

حاتم الأصم

كانت وفاته سنة ٢٣٧ هـ واسمه : أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان الأصم (١) . وهو من أهل بلخ (٢) ، وكان أوحده من عرف بالزهد والتقليل ، واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام مدون في الزهد والحكم ، وأسند الحديث عن شقيق ، وشداد بن حكيم البلخيين ، وروى عنه حمدان بن ذى النون ، ومحمد بن فارس البلخيان .

وكانت حكمه وعظاته تتألفها الرواة ، ويتحدثون بها في المجالس حتى تصل إلى بغداد ، وكان له كلام عجيب يسمو سمو النفس البشرية ، ويتعالى عن دركانها . قدم بغداد فاجتمع إليه أهله ، فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، أنت رجل أعجمي ، وليس يكلمك أحد إلا قطعته ، فلاي معنى هذا ؟ فقال حاتم : معي ثلاث خصال ، بها أظهر على خصمي ، فقالوا : أى شئ هي ؟ قال : . أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن له إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي فلا أنجاهل عليه . . وبلغ هذا الكلام أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ما أعقله من رجل !

وكما سمع أحمد بن حنبل بحاتم الأصم ، سمع حاتم به ، إلا أن حاتم سبق فضله فبدأ بزيارته ، وسعى إليه . قال أبو جعفر الهروي : كنت مع حاتم مرة ، وقد أراد الحج ، فلما وصل إلى بغداد قال : يا أبا جعفر : أحب أن ألقى أحمد بن حنبل ، فسألنا عن منزله ، ومضيئنا إليه ، فطرقت عليه الباب ، فلما خرج قلت : يا أبا عبد الله : أخوك حاتم ، فسلم عليه ، ورحب به . وقال له بعد بشاشة له : أخبرني يا حاتم ، فيم التخلص من الناس ؟ قال يا أبا عبد الله في ثلاث خصال ، قال : وما هي ؟ قال : أن تعطيهم مالك ، ولا تأخذ من مالهم شيئاً ، وتقضى حقوقهم ، ولا تستقضى منهم حقاً ، وتحمل مكروهمهم ، ولا تسكره أحداً منهم على شئ . قال : فأطرق أحمد ينسكت بأصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال : يا حاتم إنما لشديدة ، فقال له حاتم : وليتك تسلم ، وليتك تسلم !

(١) غلب عليه اسم الأصم لنادرة جرت بين يديه . جاءت امرأة ، فسألته عن مسألة فاتفق أن يخرج منها في تلك الحالة صوت ، فخرجت ، فقال حاتم : ارفعى صوتك - وأرى من نفسه أنه أصم - فمرت المرأة بذلك ، وقالت : إنه لم يسمع الصوت !
(٢) قاعدة خراسان .

بهذا تجرد حاتم من الأثرة ، واستعان بعزيمته وشجذ إرادته ، حتى استطاع أن يتخلص من شهوات النفس العارمة ، وقضى على نفسه أن تلتزم هذه الحدود الثلاثة ، ويتشوق إلى سماعها الإمام الورع التقي أحمد بن حنبل ، فيجدها صعبة على نفسه ، ويقول : إنها لشديدة !

ويقصده سائل فيقول له : على أى شيء بنيت أمرك ؟ فيقول : على أربع خصال ، يعتقدها المرء ولا يحيد عنها في اعتقاده ، ثم يحيل نفسه على تتبعها ، والعمل بها ، على ألا أخرج من الدنيا حتى استكمل رزقي ، ولا يأكله غيري ، وعلى أن أجلي لا أدرى متى هو ؟ وعلى ألا أغيب عن الله طرفة عين .

وكان اشتهر من أمره أنه يحوز المفاوز بغير زاد . فقال له رجل في ذلك ، فقال : بل أجوزها بالزاد ، وإنما زادى فيها أربعة أشياء ، قال : وما هي ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكا لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله ، وأن الأسباب والأرزاق بيد الله تعالى . وأرى أن قضاء الله نافذ في كل أرض الله ، فقال له الرجل : نعم الزاد زادك يا حاتم أنت تجوز به في مفاوز الآخرة .

وكان يحمل على نفسه ، ويتيسرها على ما يريد ، ولو كان في ذلك انقطاع الجسم ، وإعياءه ، ما دام ذلك يقربه إلى الله تعالى .

كان ظاعنا إلى مكة ، وجعل على نفسه — إن قدمها — أن يطوف حتى ينقطع ، ويصلي حتى ينقطع ، ويتصدق بجميع ما معه ، ولندعه يكمل لنا القصة فيقول :

« فلما قدمت مكة ، صليت حتى انقطعت ، وطفعت كذلك ، فتويت على هاتين الحصلتين ، ولم أقو على الأخرى ، كنت أخرج من هنا ويحیی من هنا ، » .

وكان يبلخ — والفصل شتاء — فسكت في بيته ثلاثة أيام مع أصحابه ، ثم قال : ليخبرني كل رجل منكم بتهمة ، قال : فأخبروني ، فإذا ليس فيهم أحد إلا يريد أن يتوب من تلك التهمة . ثم قالوا له : ما تهمةك أنت يا أبا عبد الرحمن ، فقال : تهمة ألا شفقة لي على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين ، وإذا برجل قد جاء ، ومعه جراب خبز ، وقد زلق ، وامتلأت ثيابه طينا ، وقال : يا أبا عبد الرحمن خذ هذا الخبز !

وكان في موضع التلف ، وموطن الجزع ، لا يتغير أو يتحول ، وفي ذلك يقول :

خرجت في سفر ، ومعى زاد ، فنقد زادى في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحداً .

وروى كأنما لا يسعى لرزق ، ولا يجشم نفسه مشقة الحصول عليه ، فقيل له : من أين تأكل ؟ فقال : « والله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون » .
وهو يعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، ولا تحالجه ريبة في ذلك ، مع أن له أربع نسوة ، وتسعة من الأولاد ، وفي ذلك يقول : ما طمع الشيطان أن يوسوس إلى شيء من أرزاقهم .

وكان حاتم من هؤلاء الأبطال الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ويحدثنا حديث الرجل المؤمن عن حادث طريف جرى له في إحدى الغزوات ، قال : لقينا الترك ، فكانت بيننا جولة ، فرماني تركى بهم ، فقلبنى عن فرسى ، ونزل عن دابته ، وقعد على صدرى وأخذ بلحيتى هذه الوافرة ، وأخذ من خفه سكيناً ليذبحنى بها ، فوحق سيدى ، ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه ، إنما كان قلبي عند سيدى ، أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : يا سيدى ، قضيت على أن يذبحنى هذا ، فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملسك . فبينما أنا أخاطب سيدى ، وهو قاعد على صدرى ، وقد أخذ بلحيتى ، إذ رماه بعض المسلمين بهم ، فما أخطأ حلقة ، فسقط عنى . فقامت أنا إليه ، وأخذت السكين من يده ، وذبحته بها ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند سيدكم ، حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وجاء إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أى شيء رأس الزهد ، ووسط الزهد ، وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : « رأس الزهد الثقة بالله ، ووسطه الصبر ، وآخره الإخلاص » .

ومن كلامه رحمه الله تعالى : لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحتزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحتز منه !

عبد الله قاسم صقر

من علماء الأزهر الشريف
ومدرس بالساحل الثانوية

حاجبة الشرق إلى حكم صالح

يدهش الناس . أن يروا الشرق قد تخلف عن الغرب في كل ناحية من نشاط الحياة ، الشرق ممبط وحى السماء ، الذى تلقى الأديان ديناً إثر دين ، فتفهمها ، وتمثلها ، وبشر بها ، ونشر ألويتها بين العالمين ، الشرق الذى عرف الخالق فعبده ، وإنسان العالم يسير قطعاناً ترحل في الجبال والودية ، أو الغابات والاحراش .

الشرق مهد الحضارة والمدنية الإنسانية ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، وعنها أخذت الدنيا وعليها تبلد العالم ، وتأثر خطى الشرق فيها فتمدن وتحضر ، بعد أن كان لإنسانه يأكل لحم أخيه الإنسان .

الشرق رب الفلسفات والثقافات . انبثقت فيه أصول العلم والمعرفة ، الشرق الذى يضم مصر مخزعة الكتابة ، ومدونة العلم ، ومعلمة البشرية ، ومنها ومن بابل وآشور وكلدنيا وفينيقيا ، ثم من الهند والصين ، أخذت أضواء العلم تبدد حجب الظلام ، كما أخذت أنوار المعرفة ترسل بأشعتها إلى كل مكان ، فرسمت للبشرية خطوط الخير والجمال ، ودفعت بها إلى النهوض والترقى ، ودانت الدنيا بإنسانيتها للشرق العتيد .

الشرق : الشرق فى روحانيته المتغلغلة المستقرة فى أعماق أعماقه ، وفى فلسفاته الدينية والمادية ، وفى تقاليدته السياسية القوية ، وعاداته الاجتماعية المثالية ، سيد العالم عصوراً تلو عصور ١١١

هو هو الشرق بعينه اليوم ، الشرق المتأخر عن العالم فى كل نواحي الحياة ١١ فالأديان التى رفعت من شأنه ، واهتز بها وساد ، هى قارة فيه لم تزايله ؛ وعلومه وفلسفاته ، وتقاليده وعاداته ، إن امتدت إلى غيره فإنها لم تهجره ؛ ترى ما السبب لإذن فى تأخره وأديانه هى أديانه ، وفلسفاته هى فلسفاته ؟ فلنواجه الحقيقة جادين ، لتتعرف إلى مواطن الداء ، حتى ننجح فى وصف الدواء !

* * *

أما الغربيون فقد ردوا تأخر الشرق عن ركب الحضارة إلى ذاتية أديانه : وطبيعة

فلسفاته ، ثم خصصوا فردوا ضعف المسلمين وتأخرهم إلى طبيعة مبادئ دينهم وعلومهم . وفاتهم أو فاتهم بعضهم أنهم من قبل ، قد نسبوا قوة الشرق ، وقوة المسلمين إلى ذاتية دينهم ، وطبيعة فلسفاتهم ، ثم إلى مافى مبادئ الإسلام من قوة وعزة ، ووسائل تربية قومية ، فهل تصبح أسباب القوة والعزة ، بذاتها وظروفها وكيفياتها ، هى نفس أسباب الضعف والذلة والتخلف عن ركب الحضارة ؟ ألا إن الحق لا يكون باطلا ، وإن الخير لن يكون شراً ، وإن يتصور ذلك ثقل مكتمل ، ولا بصيرة سليمة !!

وأما المستغربون الذين تربوا على لبان الغرب وأفكاره ، ورغبوا فى أن يظهروا أنفسهم فى مسوح الشرقيين الوطنيين المستنيرين المجددين ، فقالوا : إن تلك الأديان والفلسفات كانت أسباب قوة فى أزمنتها ، أما اليوم فقد تغيرت أحوال الشرقيين وظروفهم ، وتطوروا ، وتطورت بيئاتهم ، واقتضى ذلك التجديد فى الدين ؛ وفى التشريع ، لأن ما صالح بالأمس لبيئة لا يصلح اليوم لآخرى ، وهؤلاء الذين فسدت شرفيتهم باللقاح الغربى ، والذين لم يرضعوا لبان الشرق والإسلام ، فاتهم أن الطوائف ثابتة ، وأن ما بالطبع لا يتغير ، وأن التطور غير التغير ، وأن مشرع الدين ، ومنظم شرائع الإسلام دائماً خالد ، عليم بالطوائف والتطورات ، وقد اقتضت حكمته أن تواجه تشريعاته كل زمان ومكان ، فوضع لسكل حال حالا . ولكل داء دواء ، وتوخى صلاحية المبادئ للتطبيق ، وإن تطورت البيئات واختلفت الظروف والأحوال ؛ كما فاتهم ما أجمع عليه الربانيون ، والعلماء الإنسانيون ، من أن القانون الذى اتفق على صلاحيته ، لا يقلل من احترامه مخالفة البعض أو الكل لمبادئه ، لأن الجريمة قديمة فى طبع الإنسان ، ولولا وجود جرائمها فى طبائعه لساد الخير العالم كله . ولما كانت هنالك حاجة إلى تشريع أو تقنين . فمخالفة القانون . أو مخالفة الدين . لا تقدر فى القانون ، ولا تقطن فى الدين ، وإنما تقدر وتطعن فىمن التزموا بتطبيق مبادئه ، وتحكيمها فى حياتهم العامة !

وأما المستسلمون فقالوا : هذا قدر مقدور ، وعلينا الرضا بما قدره الله علينا . وفاتهم أن الله قد دعاهم إلى الاستمسك بأسباب القوة والعزة ، وتوعدهم بالنكال إن جنحوا إلى الضعف والذلة ، وأن الله لا يرضى بفساد ، ولا يأمر بفاحشة ، ولا يرضى لهم الكفر به ولا بنعمه ، كما لا يرضى أن يرتضوا لأنفسهم الظلم والاستعباد لغيره ، دعاهم إلى ذلك لأمرجلى لا غوص فيه . هو أنه اختارهم له جنوداً ، وجند الله هم الغالبون الأعزة وأهل السيادة . وهو ولى الذين آمنوا .

ولا ولاية لغيره عليهم وهم حزبه وحزب الله هم المفلحون . أصحاب الغلبة والعزة والسيادة !
وإذن ماذا نريد ؟ أريد أن أقول : إن فساد الحكم في الشرق ، في مبادئه . وفي أساليبه ،
هو سر البلاء . ومرد نكبة الشرق وآلام الشرقيين والمسلمين خاصة !!

إن الأديان والدساتير - مهما سميت مبادئها وتقررت صلاحيتها - لا تكون لها القوة
الدافعة إلى الترجية ، ما لم يوجد المؤمن بها القادر على التوجيه . إذن أن المبادئ وحدها
لا تسير ، ولا تفتح الميادين ، دون مؤمن متفهم ، ولهذا جاء إرشاد الله سبحانه لعباده ،
أن يوجدوا بينهم القدوة الحسنة ، على مثال القدوة التي أوجدها لهم ، ولقد كان لسكم في رسول
الله أسوة حسنة ، والقدوة الحسنة هي القيادة الرشيدة التي توجه المجتمع إلى الخير ، وتحمل
الأفراد بإسلوكلها الخاص ومنهجها في الحياة ، على ابتغاء ما تبتغيه من خير ، واستهداف
ما تهدف إليه من صالح الجماعة . والسيرة العملية للقائد . والقدوة ، أقوى تأثيراً في نفوس
الأفراد من قوة السيف ، وضغط الحديد والنار وبها يقرع القائد أشمخ آناف المخالفين
الذين يبتغون العاجلة ، ويفضلون مصالحهم على مصلحة الجماعة ، ولتنظر - رعاك الله ورعاني -
ماذا فعلت القدوة الحسنة في العام الخامس عشر من الهجرة ، عام الجماعة التي اجتمحت
أرض العرب ، الجماعة التي ألصقت أيدي المسلمين بالتراب . حتى سموها عام : عام الرماد
أو الرمادة ! ! هال الأمر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وفي يديه ذهب الدنيا وخيرها ،
ولو شاء نعيمها لأغرقه فيه أصغر أمرائه في الشرق أو الغرب ، ولكن الرجل أقسم بالله
لا يذوق سماً ولا عسلاً ، ولا لحماً ولا شحماً ، ولا يطعم غير ما يطعم المسلمون حتى يحيا الناس .
ولعل كلمته ، حتى يحيا الناس ، ترشدك إلى أنها كانت بجماعة ممية فتاكة ! وظل عمر مقبياً على
قسمه ، حتى هزل جسمه ، وشحب لونه ، واعرورق وجهه ، فاجتمع كبار الصحابة : سعد
والزبير وغيرهما من زعماء القوم ، وقرروا أن يحملوا الخليفة على التحلل من قسمه لأن
حياته ملك للمسلمين لا له . ثم ذهبوا إليه ، وخاطبه في ذلك سعد فقال : يا أمير المؤمنين
تبلغ ببعض الأدم لمصالح المسلمين ، خيانتك خير لهم وبركة ! فصرخ عمر في وجوهم قائلاً :
أوقد قلتموها ؟ ! لا والله لا أذوق شيئاً مما ذكرت ، لا أشبع الله بطن عمر إن أكلت
مالاً يأكل الناس ، بئس الحاكم أنا إن شيعت وقد جاع الناس ! ! إذن كنت إماماً ؟ وكيف
أصالح للناس قدوة ، إذ لم يمسنى ما مسهم ، ولم يصبنى ما أصابهم ؟ ! ثم انظر إليه وهو
يوصي عامله الأشعري بأن يكون خير قدوة للناس : وإياك أن تكون كالبهيمة مرت بواد
خصيب فجعلت همها في السمن ، ومادرت أن حتفها في السمن ، ولقد استقام له الأمر ،

فاستطاع أن يربط عزة المسلمين بأسباب السماء ، وكانوا خير أتباع لخير قدوة ، جعلوه مثالهم وإمامهم في كل شيء فمزروا به ؛ واعتز بهم جميعا دينهم ووطنهم ! !

وليس الحكم في الحقيقة غير هذه القيادة الرشيدة - لأنه كما يقولون : مأخوذ من حكمت الدابة أى ضبطت سيرها ، ووجهتها إلى الخير والرشد ، فإذا لم يكن الحكم كذلك فهو تحكم لا حكم ، تحكم يقوم على الاستعباد والاستغلال .

ومنذ صار حكم المسلمين تحكما ، أى منذ اعتقد الحكام أنهم أسمى وأرفع من المحكومين ، وأن الحكم حق وراثي لهم يرثونه مع المتاع والضياع عن آبائهم ، منذ صار الحكم ملكا لاصلة له بالدين . منذ ذلك الحين والشرق الإسلامى بصفة خاصة يعم في الانحلال ، والتحلل من المثل الرفيعة جريا وراء الملوك المنحلين ، والامراء الفاسدين ، فكانوا لقمة سهلة على المستعمرين . إن نظم الحكم في بلاد المسلمين عامة ، نظم فاسدة ، لا تتفق مع طبيعة الشرق ولا مقررات الإسلام في الحكم والقيادة ، هى نظم مسيحية ، أخذها المخدوعون من المسلمين عن الغربيين ، ليلتعدوا بها عن مقررات الإسلام في الحكم والتوجيه ، لأن ذلك في نظرهم « رجعية » وجود على الإلاف . وإنما في عصر نور وتجديد ، ولا يصح منا أن نقول ما عابه الإسلام على أهل الجاهلية « إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون » ، ولم يعلم هؤلاء أن الغرب قد أخذ الأسس التى بنى عليها حياته السياسية عن الإسلام ! هم لم يأخذوا الإسلام وإنما أخذوا منه ما ينفعهم على الرغم من عداوتهم للإسلام ، فما بالنا نأخذ عنهم أسوأ ما عندهم ، ونقتطع مما أخذوا أصله من عندنا ، وعندنا نحن الأصل الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد ثبت منذ عشرات السنين فساد الأثرة كنظام للحكم في الشرق الإسلامى ، كما ثبت ظلمه وخلقه للمشاكل بين المحكومين ، وكما ثبت فساد الحكم الذى يستند إلى الديكتاتورية البرلمانية ، سواء كان لونه ملكياً أو جمهورياً .

كذلك لا يستند الحكم في الشرق إلى العناصر الطبيعية ، فكما فقد عنصر القدوة ، فقد عنصر الاهلية ، ولا نغنى بالاهلية الكفافية والقدرة ، وإنما نغنى الاهلية الفطرية ، وهى أن يكون حاكم الإقليم من أبنائه وأهله ، كما فقد عنصر الانسجام والتجاوب بين الحاكمين والمحكومين . ولذا كان الإسلام هو الطابع العام للشرق فإن نظم الحكم فيه تتجافى مع نظام الإسلام . وسنعرض لذلك كله بالتفصيل في كلمة تالية ، والله يوفقنا إلى الحق ويهدينا إلى الرشد . **محمود فياصم**

مَوْلِدُ مَنْقِذِ الْإِنْسَانِيَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ

١

في فجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، أو التسع ليال مضت منه ، كما يذهب إليه الكثير من الباحثين (وذلك يوافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م) .

في هذه اللحظات الخالدة في تاريخ البشرية ، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي ، ولد الطفل الذي هتفت بذكره الأراجاء ، وسجل موافقه الرائعة التاريخ ، وأنصت لحديثه الدنيا ، واهتزت لأنباء جهاده في بلاد العرب وما حولها الأمراء والملوك والأكاسرة والقيصرة ، وآمنت بمبادئه وكبرت لشريعته الحياة والناس أجمعون .

ولقد ألهم الله أمه آمنة أن مصير العالم سيكون بعد قليل في يدي طفلها الوليد هذا ، وأن اسمه سيحتل الصفحات الأولى في سجل تاريخ الإنسانية ، وأن عصوراً جديدة توشك أن تبدأ ويكون بطلها الأول محمد بن عبد الله . . فأرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام ، فأناه فنظر إليه وحدته بما في قلبها وما تزدحم به مشاعرها من شتى البشرات ومختلف الذكريات ، فأخذ عبد المطلب طفله ودخل به السكبة ، وقام يدعو لله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، وقال لها : لقد سميت محمداً ليحمد في الأرض والسماء . . وفي اليوم السابع لمولده ختنه جده كما كان العرب يفعلون .

والتبس عبد المطلب لطفله مرضعاً من نساء البادية ، وكان من عادة العرب أن تلتبس المرضع لأولادها في البادية ؛ فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، وهي حليمة ابنة أبي ذؤيب ، وكان زوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وكان يكنى بأبي كبشة ، وكان إخوة محمد من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وخدامة بنت الحارث .

وأقام محمد مسترضعاً فيهم قريباً من أربع سنين ؛ وكانت حليمة تحدث أنه ما حملها على أخذ هذا الطفل اليتيم لتقوم برضاعه إلا لأنها لم تجد غيره ، وأنها قالت لبعلمها وهي في مكة

تبحث عن طفل تذهب به : ، والله إنى لا كره أن أرجع من بين صواحي ، ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه ، فقال لها زوجها : لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت إليه فأخذته ، وكانت حليلة ترى الخير والنماء والبركة منذ مقدم هذا الطفل إلى حياها ؛ وكان محمد يشب شباباً حسناً ؛ وكان رضاعه عامين فلما نفدا وفدت به على أمه بمكة ترجو أن ترجع به ليقم معها في البادية زمناً آخر ، فلما مضت أشهر معدودة من عودته مع حليلة ذهب ليلعب مع أخيه خلف البيوت ، وسرعان ما قدم أخوه إلى أمه حليلة يشتد ، وهو يقول لها ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعه ، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه ، فخرجت حليلة وبعلمها نحوه ، فوجداه قائماً منتقع الوجه ، فالترمته والتزمه أبوه ، فقالا له : مالك يا بنى ؟ ، قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى ، وشقا بطنى ، فالتسا شيئاً لا أدري ما هو . غففت حليلة وزوجها على محمد .

ولما عادت به إلى مكة ، قصت على أمه قصته ، فقالت آمنة للحليمة : إن لابنى لشأناً ، ولقد رأيت حين حملت به نورا خرج منى فأضاء لى قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل حاملة قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته ولأنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة .

٢

وأقام الغلام مع أمه فى كلامة الله وحفظه ، يلبثه الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته . فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة ؛ واستمر فى كفالة جده عبد المطلب يرعاه ويحبّه ، ويجلسه معه على فراشه فى ظل الكعبة وبنو عبد المطلب يجلسون حول الفراش ، لا يستطيع أحد منهم الجلوس عليه مع عبد المطلب وطفله محمد ، وكان عبد المطلب يقول : دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً .

ولما باغ الغلام ثمانى سنين مات عبد المطلب بن هاشم ، وورث مفاخره ابنه العباس ، وصار محمد بعد عبد المطلب فى كفالة عمه أبى طالب .

وكان أبو طالب سيداً من أجل سادات قريش وبنى هاشم ، وكان الناس يتنبأون أمامه بمستقبل جليل لهذا الغلام الصغير ، وأنه سيكون له شأن وأى شأن . ولما سافر بمحمد

إلى الشام في تجارته ، وقابله بجيرا الراهب قال بجيرا لاني طالب : ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

وحفظ الله محمدا وعصمه من أقدار الجاهلية ، وصار أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأبعدهم عن الفحش والدنس ، وأكثرهم أمانة ، حتى سباه قومه « الامين » .

وخاض مع قومه حرب الفجار وهو في الخامسة عشرة من عمره ، واشترك في حلف الفضول على نصرة المظلوم ، وتزوج خديجة بنت خويلد الاسدية وهو في الخامسة والعشرين من سنى حياته الميمونة ، وهدمت قريش الكعبة لتجدد بناءها واختلفوا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه فكان محمد الحكيم بينهم ، وارتضى حكمه الناس جميعا ، وكان إذ ذاك في الخامسة والثلاثين .

وكان يعبد الله على الخيفية البيضاء دين إبراهيم وإسماعيل ، ويتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد ، فلما بلغ الأربعين اختاره الله لرسالته العظمى ، واصطفاه ليحمل أمانة الله ووحيه إلى الناس كافة ، وليسكون خاتم المرسلين وخير النبيين ، ونزل عليه جبريل بالوحي وهو في حراء يوم الاثنين لسبعة عشرة ليلة خلت من رمضان (٦ أغسطس ٦١٠ م) وعمره إذ ذاك أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام . قال له جبريل :

اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، » وسمع الصوت مجلجلا في السماء : « يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل » .

وبلغ محمد قومه رسالة ربه ، فأمن من آمن ، وجحد من جحد ، وظل يدعو إلى الله سرا ، وهو في قومه ، ثلاث سنين ، أجابه فيها عدد قليل من الرجال والنساء والأطفال والمستضعفين ، ثم جهر بالدعوة ، وصمد لإيذاء قريش عشرة أعوام أخرى ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة مبشرا بدين الله ، وداعيا إلى شريعة الإسلام والحق والخير والمساواة .

٣

وانتصر محمد في المدينة في معارك كثيرة : انتصر في حربه مع المنافقين واليهود والذين يعملون على وأد الإسلام دعوة الحرية والظهر والسلام : وانتصر في حربه مع الشرك والوثنية ففتح مكة وحطم الاصنام والأوثان وجعل كلمة الله والتوحيد هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ؛ وانتصر في الحروب التي فرضتها عليه القبائل العربية فزق الحصار

تلو الحصار عليه وعلى جيشه الظافر ؛ وانتصر في الميدان السياسى انتصاراً باهراً ، فجمع العرب كلها فى وحدة واحدة وتحت ظلال سياسة إسلامية كريمة واضحة الأهداف والنزعات الإنسانية العالية : وانتصر فى ميادين الإصلاح والاجتماع ، فألف بين القلوب ، وداوى المزمّن من الامراض ، وأطفأ نزعات القلوب واستل ما طويت عليه من حقد وخصومة وإحّسن . وأقام اشتراكية بارعة تجمع بين الغنى والفقير برباط المحبة والتعاون والإخاء ويشترك الفقراء فيها الأغنياء ، والأغنياء الفقراء ، مشاركة فعالة ملهمة حافزة على العمل لخير المجموع الإنسانى وسعادته ، وأقام المجتمع الإسلامى على أصول متينة قوية لا يعترىها الضعف والوهن ، أصول تجمع بين النظام والحرية والشورى والإيثار والتضحية وحُب الجماعة وتقديس حقوق الفرد ، وبين العدالة والإنصاف والحرص على كرامة الناس وطمأنينتهم ورفاهيتهم وتقدير كل ذى كفاية وموهبة وكل عامل يعمل الواجب ويشعر بالمسؤولية ويقدر مصالح الناس وحقوقهم . وحارب محمد الفقر والجمل ، ودعا إلى أنبل الاخلاق وأسمى الفضائل وأكرم الأعمال ، وقضى على الفساد فى مختلف ألوانه ، وطهر الحياة من الأداران والآثام والفوضى والاستغلال ، ونشر دين الله ، وبشر بكتاب الله ورسالته ، ووجه العرب لدعوة الامم إلى هذه الشريعة المطهرة ، وتلك العقيدة السكرية ، فلم تمض أعوام قلائل بعد وفاته ، حتى فتحوا الشام ومصر والعراق وبلاد الفرس ، ثم أخذوا يسيحون فيما وراء هذه الاقطار ، داعين إلى كلمة الله ، محطمين للأغلال والوثنية والشرك والامتعباد ، ناشرين العدالة بين الامم كافة ، مضحين بكل عزيز لديهم فى سبيل إنفاذ البشرية وهداية الإنسانية ؛ كل ذلك بدافع الإخلاص لله ولرسوله الكريم ولكتاباه الحكيم .

فما أعظم هذا الرسول العربى الأسمى الذى بدّل سير التاريخ ، وحوّل مجرى الحياة ، وقضى على عصور الوحشية والجاهلية المظلمة ، وحارب كل استغلال جشع ، وإقطاعية مفترسة ، وهمجية متممرة ، ووثنية مضللة .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ما أضاء النهار وأظلم الليل ؛ وهدى به أمته إلى خير الأعمال والعقائد ، وإلى سعادة الاولى والآخرة ، إنه أكرم أمول ، وأجل مشرول ، وما توفيقنا إلا بالله ...

محمد عبد المنعم ههناجى

المدرس بكلية اللغة العربية

رَوْضَةُ الشَّعْرِ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ

عَلَّيْتُ بِالوَحْيِ لَا بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ
بِهِ طَلَمْتُ كَشْمَسٍ غَيْرِ آفَلَةٍ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ، مِنْكَ الْجُودُ مَقْتَبَسٌ
فِي بَيْتِهِ كَانَ فِيهَا الْجَهْلُ مَنْتَشِرًا
وَالْخُرُ رَأْنَجَمَةٌ وَالْفَسْقُ مَشْتَهَرٌ
كَنتَ الْبَعِيدَ عَنِ الْإِثْمَانِ تَبْغِضُهَا
كَنتَ الْعَفِيفَ عَنِ الْفَحْشَاءِ تَمْتَقُّهَا
وَالْخُرُ مَا عَرَفْتُ يَوْمًا لِسُكْمِ شَفَةِ
هَذِي بِدَايَتِكُمْ بِالْفَضْلِ نَاطِقَةٌ

* * *

وَفِي حِرَاءِ أَمِينِ الْوَحْيِ جَاءَكُمْ
وَضَمِكُمْ ضَمَّ لِعَدَدَادٍ وَتَهِيئَةٍ
وَلَابَنٍ (نُوفَلٍ) تَصْدِيقُ بَيْتِكُمْ
عَدَلْتُ قَبْلَ نَزُولِ الْوَحْيِ فَاحْتَكَمْتُ
فَاحْكُمْ بِهِ حَكْمُكَ الْمَأْمُورُ مِنْ خَطَا
فَفِي كِتَابِكَ أَسْمَى مَا يَهْدِينَا
وَفِي حَدِيثِكَ جِلَّ اللَّهِ مَلْهَمُهُ
وَمِنْهُمَا دَامَ نُورُ الْحَقِّ مَرْتَفَعًا
رَفَعْتُ لِلْحَقِّ فِي الدُّنْيَا مَنَارَتَهُ

محمد عبد القادر
واعظ القاهرة

مملكة تَقْلِي

١

في الركن الجنوبي من مديرية كردفان ، توجد منطقة جبلية ، تسكنها قبائل النوبا . وفي الركن الشمالى الشرقى من هذه المنطقة توجد جبال تقلى ، حيث نشأت مملكة تقلى في أواسط القرن السادس عشر ، تلك المملكة المجيدة التى أشرقت الإسلام في هذه الاصقاع الورة النائية .

وجبال تقلى تطلق على مساحة من الأرض ، يباغ اتساعها أربعين ميلا مربعا ، وتقع فيها الآن قرى كيريا Keraia ، والهوى el Hoi ، وتاسى Tasi ، وجوليا Juluia . ولهذه البلاد جاذبية ، حتى في فصل الجفاف ، حيث يكون كل شيء عاريا ، لا لون له . ولكنها تستعمل سحرا في فصل الأمطار ، عندما تنمو الحشائش القصيرة ، وتكتسى الأرض بشوب سندسى أخضر . وبجانب ذلك ، توجد الغابات السكيفة الناعمة الخضراء ، التى تنمو في سفوح التلال ، والتى تخترقها الاودية ، بينما تنتثر هنا وهناك بعض الزراعات التى تعرض أمام العين منظرا حيا جميلا . والمياه هنا ، ليست شحيحة ، بل يوجد كثير من المجارى المائية التى تنحدر في مسارب عميقة فوق الصخور . وتلقى هذه المجارى المائية ، بالأخوار الرملية ، في السهول الخلفية . وعقب سقوط الأمطار تبدو لنا مناظر المساقط المائية من بعيد .

وتنحدر جبال تقلى تدريجيا نحو الشمال ، حيث تتلاشى في سهل يمتد بعيدا نحو جيزان Geizan . كما تنحدر هذه الجبال انحدارا فجائيا نحو الشرق إلى دار الاحامدة ، وتمتد الوديان الخصبة من التلال إلى السهول مقدمة الماء والمرعى لقطعان الماشية والإبل في فصل الجفاف . ويزرع في هذه الوديان كثير من الحاصلات مثل الجوز الأرضي والدخن والقطن والذرة والشليك والبصل ...

ومنذ أربعمئة عام تقريبا ، وفي جبال تقلى ، أنشأ رجل فقير من إحدى القبائل النهرية ، هذه المملكة القديمة ، التى ذاعت شهرتها في السودان الشمالى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهذه المملكة هى موضوع البحث الذى نقده اليوم . ولقد نسل من ذرية هذا الرجل تسعة عشر ملكا ، حكموا البلاد حكما متصلا ، لم يقطعه شيء ، منذ ولى الحكم دجيل أبو جريدة ، وهو ابن ذلك الرجل الفقير د آدم النيل جيلي ، .

واستطاع ملوك تغلي ، في وقت من الاوقات ، أن يبسطوا سلطانهم ، على جبال النوبا الشرقية ، من ، أنب جبل ، في الشمال إلى ، تالودي ، في الجنوب . واعترف بسلاطنتهم ، كثير من القبائل العربية ، التي كانت تدخل هذه المنطقة من آن لآخر . واستطاع هؤلاء الملوك ، أن يقاوموا بنجاح الحكومة التركية في السودان سنين عديدة ، وظلوا على الدوام شوكة في جانبها . وبلغ من علو قدر هؤلاء الملوك ، أن الوافدين على مملكتهم من الشمال ، كانوا يخاطبونهم بقولهم : الله يطول عمرك ، . وكان لتشجيع هؤلاء الملوك للهجرة والاستقرار في سنى حكمهم الاولى ، أثر كبير في تعديل بعض عادات رعاياهم الدينية والاجتماعية .

وهؤلاء الملوك أدخلوا في الإسلام جماعات النوبا ^(١) التي كانت صارمة الوثنية ، والتي يقتضى إليها النوباويون الحاليون ، ثم لم يكتفوا بذلك بل صاهروهم ، واختلطوا تقريباً بكل العناصر في السودان الشمالى . ولم يبق عنصر نوباوى خالص الآن ، إلا القبائل التي تقطن جبال السكجاجة ، . وكان معظم الدم الخارجى في تغلي نفسها ، جعلى ، وغيره من دماء القبائل النهرية . كما نجد عنصر الفونج ، وغيره من الاجناس الاخرى الغربية الآتية من دارفور وماوراءها ، ومجموعات عربية صغيرة مستقرة من البديرية والجوامعة ، وبطون بأجمعها من قبيلة السكواهلة وكنانة .

وبالرغم من أن سكان مملكة تغلي كانوا مزيجاً من عناصر مختلفة ، فإننا نجد لهم طابعاً خاصاً يعزى إلى تأثير أجيال متتالية من حكم هؤلاء الملوك الوراثنين الاقوياء المطلقين . ولم تكن دولة هؤلاء الملوك ديمقراطية ، بل كانت أوتقراطية خالصة بسيطة . وكانت كل السلطة والقررة مركزة في يد الملك نفسه ، يدير مملكته بواسطة موظفين اثنين ، كانت وظيفتهما وراثية ، وأشهرهما يلقب « بالجندى » ، وكان يصرح لهذا الموظف فقط بمقابلة الملك ، في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار . ولم يكن يصرح لأحد بمقابلة الملك إلا عن طريقه ، كما أنه كان مسئولاً عن سلامة الملك ، يشرف على مجموعة « المسكوك » ، في الجنوب ، وعن طريقه ، تقدم هداياهم وما عليهم من ضرائب إلى الملك . أما الموظف الآخر فيلقب « بالسوكاراوى Sokarawi » . ولم تكن علاقة هذا الموظف بالملك وثيقة كعلاقة الجندى به ، وهو مسئول عن أجزاء المملكة في شمال وشرق تغلي . وبعض

(١) قبائل النوبا غير سكان بلاد النوبة التي في جنوب مصر .

ملوك تقلى كانوا يتخذون وزراء ، يلقون إليهم بكثير من السلطة ، وهؤلاء الوزراء من أقرباء الملك . وعبء انتخاب الملك ، إذا كان هناك أكثر من مرشح واحد ، يقع على عاتق الجندى ، ولم يكن أحد يستطيع الاعتراض على سلطة الملك المطلقة ، أو مركز عائلته الرفيع . ولم يكن نتيجة ذلك فقط ، الاتحاد الواضح بين أجزاء المملكة ، واختفاء الفوضى من أى لون كانت ، بل سحب ذلك أيضاً ، تجانس فى عادات وطرق معيشة الناس جميعاً . وكان هذا هو المعنى الجليل الذى خلد اسم تقلى فى العالم ، بحيث كان الشخص يفضل أن يدعى تقلاويا — إذا كان ثمت ما يدعوه إلى ذلك — على أن ينسب نفسه إلى قبيلته الرئيسية .

وسكان تقلى جميعاً يتصفون بالذكاء ، وهم فلاحون كادحون ، يجدون اللذة كلها فى زراعة محاصيل جديدة ، ولا يحتقرون الطرق المستحدثة التقدمية . وهم إلى جانب ذلك مشغوفون بالنعلم ، ويستحسنون الوسائل الطبية . ولم يكن خضوعهم التام للملك ، نتيجة أفق ضيق ، ولكن لطول ما لازمت الصفة الأرستقراطية التقليدية بيئتهم الحاكم . وهذا فى حد ذاته علامة على تميز جندهم ، ودليل على التقدم لا التأخر . ومثل هذا النظام ، الذى تعنى فيه السلطة تقدير المسؤوليات أكثر مما تعنى خلق أدوات جديدة ، يكون أسساً ثابتة لتقدم المملكة ورفاهية أهلها .

أما عن الإسلام فى تقلى ، فقد عرف الإسلام هنا على يد هذا الرجل الجلى الفقير ، الذى أسس المملكة ونسل منه ملوك تقلى الذين حكموا أربعمائة عام . والإسلام هو العنصر الفعال فى تطور تاريخ هذه المملكة . وليس من العسير على أى زائر لتقلى اليوم أن يتبين أهمية الإسلام فى حياة أهلها . فى كل قرية هامة يوجد مسجد ، وهو مكان لحفظ القرآن وللصلاة ، يقوم بينائه رجل محسن ذو مركز ملحوظ ، ثم يقوم نسله على خدمته من بعده . وجميع أهل تقلى دينون بطبعم . وتعتبر تقلى قلعة من قلاع الإسلام الحصينة ، ويتبع الأهالى كثيراً من الطرق الدينية ، ولكن أغلبهم يتبع طريقة الشريف يوسف الهندى . وإلى مقال قادم نتابع فيه الحديث عن هذه المملكة ، ذات الشأن الخطير فى تاريخ الإسلام بالسودان .

عبد المنعم محمد السنج

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

الكتب

درجات الناس

هو كتاب نفيس لفضيلة الامتاز الشيخ طه محمد الساكت ، وهو أعرف من أن نعرفه إلى قراء مجلة الأزهر ، لأنه من أركان تحريرها من سنين كثيرة ، وهو يتصل بقراءها في كل شهر حول سنة رسول الله ﷺ ، فإذا ألف كتابا ليتكلم فيه على درجات الناس فإن أول ما ينظر به إلى درجاتهم ، المقاييس التي قررتها سنن الإسلام ، وعمل بها أهله الأولون من الصحابة والتابعين .

والمؤلف : يرى أن سبب مصائب المسلمين ، أنهم فقدوا قاعدة التناصح والتواصي بين الراعي والرعية إلا رسوما ومظاهر لا تغني قليلا ، وقد ضرب الأمثلة لذلك من التاريخ وقرر قاعدة الإسلام ، كما تكونون يولى عليكم . وقال في درجات الأفراد ، ما قاله فيهم السنة المحمدية ، الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة ، ووصف المثل السكامل الذي رسمه الإسلام وقال إن السكامل درجات ، واللام أيضا درجات كما أن الأفراد درجات . وذكر فضل الصحابة والأدب معهم ، ونوه بمقام التابعين وأتباعهم . ولو شئنا أن نمضي في كل ما تعرض له المؤلف مما به صلاح الراعي والرعية لاحتجنا إلى نشر كتابه كله ، ولسكتنا نحيل القارئ عليه ، وننصح له بإطالة التأمل فيه . ومن مظاهر التقدم في الوعي الإسلامي أن هذا الكتاب تنشر منه الآن الطبعة الثالثة ، مع أن طبعته الأولى قريبة العهد بالناس . وقد جاءت هذه الطبعة في ١٢٧ صفحة كبيرة . فنحث القراء على مطالعته .

تاريخ العراق لابن سمند

والاسم الذي يعرف به تاريخ العراق لابن سمند هو (مطالع السعود) سجل فيه أحوال العراق في خمسة وخمسين عاماً ، من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢ ، وما مضى عليها في تلك المدة

من أحداث في حواضرها وعشائرها ، وفي عاصمتها بغداد والمنطقتين التابعتين لها في الشمال والجنوب ، وهما منطقة الموصل وتكريت وبلاد الكرد ، ومنطقة البصرة والمنتفك وعشائر العراق . وكان المقصود بهذا التاريخ تسجيل أحداث ولاية داود باشا الذي كان من وجوه كثيرة مشابهاً لمحمد علي في موقفه وآماله في مصر ، لكن ابن سند بدأ بتاريخ العراق من سنة ولادة داود باشا ، فذكر فيه أخبار الولاة الذين كانوا من سنة ١١٨٨ ، فجاء تاريخه حلقة ثمينة في سلسلة تاريخ العراق ، ولما كان المؤلف شاعراً ، فقد امتلأ تاريخه بشعره وشعر غيره ، فرأى الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدرس في الحرم النبوي الشريف في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، أن يحذف منه القصائد ليكون مقتصراً على الحوادث فجاء ، هذا المختصر جامعاً مفيداً . وكان الحلواني قد طبعه في الهند سنة ١٣٠٤ هـ ، وأصبحت نسخته الآن أندر من الخطوط ، فنولي رئيس تحرير هذه المجلة تحقيقه والتعليق عليه ، ووضع الفهارس المتعددة له ، ونشره أخيراً مصدراً بترجمة ابن سند ، وترجمة للشيخ الحلواني ، فجاء في ٢٣٠ صفحة حافلاً بما يصور حالة العراق في المدة التي استقصى أخبارها .

رسالة الصلاة للإمام أحمد

صلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مع قوم فرآهم يسيئون في صلاتهم ، ويسابقون إمامهم في الركوع والسجود والخفض والرفع ، فسكتب إليهم هذه الرسالة يعظم لهم أمر الصلاة ، وأنها حق الله على عباده ، وأن من أقام ما بينه وبين الله على وجهه الذي أمر به فهو على إقامة ما بينه وبين الناس أقدر ، ومن استهان بها فهو بما بينه وبين الناس أشد استخفافاً واستهانة . وبعد أن أورد لهم النصوص من سنة رسول الله ﷺ على ما ينبغي للمسلم من إقامة الصلاة وحسن أدائها قال في آخرها : « رحم الله امرءاً احتسب الأجر والثواب ، فبث هذا الكتاب في أقطار الأرض » .

ولإن فريقاً من الشباب الجامعي من ألفوا « لجنة الشباب المسلم » أرادوا أن يكون لهم نصيب من الدعوة الصالحة التي ختم بها الإمام أحمد رسالته ، فبادروا إلى طبعها طبعاً جميلاً ، وعهدوا بتصحيحها ومراجعتها إلى الأستاذ محمود محمد شاكر فجاءت في ٦٤ صفحة صغيرة . وهي مما لا يستغنى عن قراءته مسلم .

النشاط الثقافي للأزهر

المقارنة العلمية بين الشريعة والقوانين

وقد تفرعت إلى شعبتين أصليتين (شعبة الدرس) و (شعبة البحث)، والشعبة الأولى يقوم بها هيئات التدريس في الكليات والمعاهد، وأما الشعبة الثانية فتتولى البحث والإنتاج خارج النطاق المدرسي. وهي تنفرع إلى أغراض كثيرة، من بينها القيام بدراسة واسعة للمقارنة بين الشريعة والقوانين الوضعية في جميع المواضيع المشتركة بينهما، واستنباط الأصول الكلية التي يلزم التحاكم لها في الفصل بين السنة والبدعة، وتطبيق هذه الأصول على العادات الجارية، تطهيراً للشريعة مما ألصق بها وليس منها. وقد رأت اللجنة مراعاة التنظيمات الآتية:

- ١ — يعد للجماعة مكان مناسب يتسع لاجتماعاتها، ولنشاط اللجان المختلفة التي تؤلفها، بحيث يكون بمثابة (المجمع العلمي الأعلى للأزهر)
- ٢ — يزود هذا المكان بمكتبة كاملة، مجهزة بالمؤلفات القديمة والحديثة والصحف ليستعين بها الباحثون في مختلف المسائل.
- ٣ — رئيس المجلس هو رئيس الجماعة، وله نائبان وسكرتير فني.

- ٤ — أعضاء المجمع الاساسيون هم أعضاء الجماعة. ويحسن أن يضم إليهم أعضاء مندوبون أو مراسلون من مشاهير علماء مصر والعالم الإسلامي.

كان بعض أعضاء جماعة كبار العلماء قد اقترحوا، قبل نحو عشر سنين على مشيخة الأزهر، تأليف لجنة منهم للقيام ببحوث في المقارنة العلمية بين الشريعة والقوانين، وتألقت بالفعل لجنة لذلك. ثم تجدد هذا الاقتراح في عهد الشيخ مأمون الشناوى - رحمه الله - ولم تنته هذه الاقتراحات إلى عمل منظم، لأنها لم توضع موضع التنفيذ حتى الآن. وأخيراً تقدم بعض أعضاء جماعة كبار العلماء إلى المشيخة بمثل هذا الاقتراح، فعرض ذلك على الجماعة، ورأت جماعة كبار العلماء أن تحيل هذه المقترحات إلى اللجنة من أعضائها للبحث ودراستها. ومما تعنى به المشيخة كذلك محاربة البدع الضارة بعقائد المسلمين، وهي آخذة بسبيل ذلك من تعريف هذه البدع وتحديدتها وتعيين الطرق التي تحارب بها. وهي موقنة بأن العهد الجديد يؤيدها في ذلك ويعينها على إنفاذ الأمانة بما ابتليت به من بدع وخرافات، لأنها من صميم البرنامج الإصلاحى.

وهناك أمور ألحقت بالعقائد وليست منها، ومن أهم واجبات الأزهر، بيانها للناس، وإرشادهم إلى العقائد السليمة التي جاء بها الدين. ولهذا وذاك تألفت من جماعة كبار العلماء لجنة تسمى (لجنة تنظيم النشاط العلمى للجماعة)

الأدب العالمي في شهر

العربية في باكستان

قررت لجنة السكتب المدرسية في وزارة المعارف لمقاطعة ديهاولبور، من بلاد باكستان أن يكون تعليم اللغة العربية إجباريا في مدارس المقاطعة .

مؤتمر اللغة السنسكريتية

تحتفل مدينة بومباي (ثغر الهند) عند شول هذا الجزء للطبع بعقد مؤتمر لغوي عظيم يشترك فيه نحو مائتي عالم متخصص باللغة السنسكريتية القديمة ، لتيسير نشرها والانتفاع بها في حياة الهند الجديدة .

واللغة السنسكريتية بالنسبة إلى الهند تشبه من وجوه كثيرة اللغة اللاتينية بالنسبة إلى لغات أوربا .

ولما كانت الهند كثيرة اللغات بحيث لا يتفاهم أهل لغة منها مع أبناء اللغات الأخرى ، فقد كانوا في عهد الاحتلال البريطاني الذي انتشرت فيه اللغة الإنجليزية بين جميع المثقفين وأصحاب المصالح في الحكومة ، قد اتخذوا من اللغة الإنجليزية لغة مشتركة للتفاهم ، وفي الوقت نفسه كانت

جماهير المسلمين تعتمد في التفاهم — إلى حد كبير — على اللغة الاوردية . وفي مقابل ذلك تحاول حكومة الهند أن تستفيد من معارف المتخصصين بالسنسكريتية لاجل تعميمها وتيسير الانتفاع منها في الحياة العامة .

المبين والاعمال في المدارس

أقامت مدرسة القبة النموذجية الثانوية حفلا خاصاً لجملة من آباء التلاميذ عددها خمسة عشر والداً ، يختارون بالاقتراع ، للتشاور معهم في شئون المدرسة بمناسبة العام الدراسي الجديد . وقد كان من أعضاء هذه اللجنة — منذ العوام الماضي — الرئيس اللواء محمد نجيب ، وبالرغم من كثرة أعماله حرص على حضور هذا الحفل الذي خطب فيه ناظر المدرسة والدكتور مهدي علام وكيل كلية الآداب بجامعة إبراهيم ، ثم تكلم الرئيس اللواء محمد نجيب فقال :

« يلزني أن أحدث عن التعليم فإنه من أحب الموضوعات إلى قلبي لسببين : أولهما أنني بدأت دراستي بدراسة القرية والتعليم ، فقد كان التخصص يبدأ من أول المدرسة الثانوية في السودان حيث تعلمت ، وأردت أن أدرس

ولهذا فأما مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد . وأنا لإيماني بأن الدين أساس الاخلاق لا أمانع في تدريس الدين ، حتى الدين اليهودي ، بشرط أن يكون في أيد أمينة ، أيد تعتبر الوطنية من دينها فإن الدين شيء والتعصب الديني شيء آخر . وأنا أحب أن نقيم الاخلاق على تعاليم الدين .

السكريات العملية لا النظرية

اجتمع مندوب المصرى فى الإسكندرية بوزير المعارف وهو يقادر مصر إلى باريس لحضور مؤتمر اليونسكو ، فسأله عن بعض شئون التعليم والمعارف ، ولما سأله عن جاهدة محمد على التى لم يتم لإنشاؤها بعد ، قال له الوزير : من رأى أن نبدا بإنشاء السكريات العملية لا السكريات النظرية ، وذلك لأننا فى عهد يحتاج إلى التصنيع والإنشاء والنعيم وهذه السكريات تحتاج إلى معامل وورش لا يمكن أن تتم قبل عامين على أقل تقدير .

الفردية والوعى الاجتماعى

يقول الدكتور محمد جمال صقر فى مقال له عن عيوب المدارس المصرية : إن الأطفال فيها يجلسون فى الفصل جنباً إلى جنب كأنهم جمع لا رابطة تربط بين أفرادهم إلا مجرد الصدفة التى جمعت بينهم فى فصل واحد . والمعروف عند المدرسين وعند التلميذ أن

لمندسة فلم أمكن من ذلك ، ووجهت إلى قسم المعلمين فدرست فيه أربع سنوات وكان مما درسته التربية وعلم النفس . والسبب الثانى أننى أرى أن التربية والتعليم هما دعامة كل تقدم فى حياتنا .

ثم وجهه حديثه للمعلمين فقال : « إنكم من خيار الناس ، ولأنها لفرصة من خير الفرص ، أستطيع فيها أن أفصح عن بعض ما فى نفسى : لا شك أنكم أنتم الذين تصبون الاسس فى الأمة كلها ، وعلى أيديكم بناء أبنائنا ، وعلى قدر ما تكون متانة الاساس تكون متانة البناء ، فعليكم أنتم ببناء الأمة .

« إن التربية هى إعداد التلاميذ لحسن التصرف فى مواقف الحياة . ويجب أن يكون هذا هو هدفنا من التعليم . نريد من مدارسنا أن تخرج شبانا أقوياء أصحاب البنية قادرين على التفكير السليم متخلفين بالخلق الكريم . لا نريد شبانا ناعما كالذين يلبسون الفمضان المشجرة فإن فيهم طراوة ورخاوة ، إنما نريد شبانا خشنا يستطيع مواجهة مواقف الحياة ومصاعبها ، حتى يستطيع الوطن أن يعتمد عليهم . لا نريد أن يكتبى شبانا بمعرفة الفضائل بل يجب أن يتخذوها أساساً لسلوكهم .

« إن الدين أساس الاخلاق . ولقد تلقيت تعليمى فى السودان فى مدرسة كان يشرف عليها انجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ،

طويل. وهذا هو الذى كان! ألا نقرأ فى كتب التاريخ التى بين أيدي التسلايمذ يوما هذا العنوان: «مزايا الحملة الفرنسية على مصر»؟ أو هذا العنوان: «الإصلاحات التى تمت فى عهد الاحتلال»؟ وما ذا كانت السياسة الاستعمارية تملك أكثر من أن تسجل فى ضمير الناشئة أن الحملات الاستعمارية يمكن أن يكون لها مزايا، وأن تتم فى ظلمة إصلاحات ١٩.

ثم هذه العزلة المطلقة بين المدرسة وبين المشكلات الحية للشعب وللحياة القومية، وتحريم الدراسات السياسية والاجتماعية على المدرسة طوال هذا الأمد، وتحقير دين الشعب ومقوماته، حتى ليقف رجل ذو مركز خطير جدا اليوم فى وزارة المعارف، يقف يوما فى معهد التربية ليقول لطلابه الذين سيصبحون مدرسين: إن محمد ابن عبد الله كان مصروعا، وإن ما كان يسميه الوحي هو هذا الصرع الذى كان ينتابه.

إننا نخدع أنفسنا إذا اعتقدنا أن دنلوب، قد ذهب من وزارة المعارف، فإن شبح دنلوب لا يزال هناك.. بل إن أشباح دنلوب ما تزال قابضة فى كل مكان.

واجبنا هو ألا نستسلم للبساطة المريحة فى معالجة آثار الاستعمار الفكرى والروحى واقتلاع جذورها من الأساس، ولن نفتلح هذه الجذور إلا اليوم أن يصبح المشرفون على تنشئة الأجيال المقبلة من المؤمنين بمصر والمؤمنين بمقومات الشرف.

القانونين الأساسيين السائدين فى تنظيم العمل المدرسى والبيئة المدرسية هما: «على كل أن يعمل لنفسه»، و«على كل فرد أن يسعى إلى سبق زملائه ما استطاع». ونظام هذا قوامه لا يعد الفرد إلا لمجتمع تفتعش فيه الأنانية، وإثارة النفس على الغير، والعمل على استغلال الآخرين للمصلحة الذاتية، والتغالى فى حب الذات، وتسخير كل ما حول الفرد لإشباع الحاجيات الفردية، وما يستتبع ذلك من طرق باب الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى الغاية المرجوة.

أما التربية التى يجب أن نوجه إليها اهتمامنا، فهى التى تهدف إلى تنمية صفتين أو خاصيتين طالما ساد الاعتقاد بأنهما متعارضتان، وهما: الفردية، و«الوعى الاجتماعى»، كى نستطيع التوفيق بين إمكانيات الطفل ومطالب المجتمع، وبين الخبرة الفردية والمثل العليا الاجتماعية.

سياسة التعليم فى وزارة المعارف

يقول الاستاذ سيد قطب فى مقال له بجريدة الاخبار الجديدة: إن الإنجليز كانوا يدركون أنهم فى يوم من الأيام - قريب أو بعيد - سيجهرون على النخلى عن الإدارة المباشرة لجهاز مصر الحكومى، لذلك لم يكن لهم بد من تربية أجيال من «الإنجليز السمر»، تسير بسياسة التعليم فى وزارة المعارف إلى أمد

العجل إلى السلام في شهر ربيع

مصر والسودان

اتفقت مصر في الشهر الماضي مع جميع الأحزاب السودانية على ما يأتي :

تؤمن الحكومة المصرية بإيماناً ثابتاً بحق السودانيين في تقرير المصير، وفي ممارستهم له ممارسة فعلية في الوقت المناسب، وبالضمانات اللازمة .

ورغبة في بلوغ هذا الهدف تبدأ على الفور فترة انتقال تستهدف تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتي الكامل ، وتهيئة الجو الحر المحايد الذي لا بد من توافره لتقرير المصير .

ولما كانت فترة الانتقال هي تمهيد لإنهاء الإدارة الثنائية إنهاء فعلياً ، فإن هذه الفترة تعتبر تصفية لهذه الإدارة ، وتعلن الحكومة المصرية أن السيادة على السودان تظل محتفظاً بها للسودانيين إلى أن يتم لهم تقرير مصيرهم .

فرنسا والمغرب الأقصى

احتفل في المغرب الأقصى بمرور ربع قرن على ولاية سلطانها سيدي محمد بن يوسف فأذاع في أمته خطاباً رائعاً لهذه المناسبة قال فيه :

« إنني متأثر أشد التأثر بصداقة الفرنسيين إلا أنني أود لو ابتعدوا عن شئوننا الداخلية ، ثم ذكر معاهدة سنة ١٩١٢ التي تحتج

فرنسا بها في تحكيمها بالشعب المغربي وبلادهم فوصف تلك المعاهدة بأنها « ملابس طفل يراد فرضها على رجل كبير » . ثم قال :

ولا شك أن إخفاق فرنسا في التقدم بمقترحات فعالة تتفق مع روح العصر هو السبب في هذا التوتر الشديد الذي يسود شمال إفريقيا . وقد رفضنا مشروع الإصلاح الفرنسي لأنه يقوض دعائم سيادتنا ،

ثم استعرض المراحل التي مرت بها المفاوضات الطويلة مع الفرنسيين ، قائمهم فرنسا بأنها تحاول الإبقاء على الحالة السيئة الراهنة نصاً وروحاً . وسرد الاقتراحات الفرنسية للإصلاح مستدلاً بها على سوء نية الفرنسيين .

انضمام ليبيا إلى الجامعة العربية :

افتتح الملك إدريس السنوسي البرلمان الليبي ، وتلى خطاب العرش وفيه تنويه بالعلاقة الطيبة بين ليبيا وشقيقها الكبير مصر والدول العربية الأخرى ثم قال :

وسنعمل على الانضمام إلى الجامعة العربية وحضور وفد ليبي في الاجتماع الذي تعقدته الجامعة في شهر مارس المقبل .

وقد رأت الحكومات العربية أن فى ذلك تهديداً لها وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر، وستكون منه سابقة لأخذ اليهود تعويضات أخرى من بلاد يزعمون أن بنى جلدتهم اضطهدوا فيها أيضاً، ومنها النمسا وألمانيا الشرقية وهنغاريا ورومانيا وبولندا ... الخ.

وتقول الحكومات العربية فى مذكرة أرسلتها إلى ألمانيا الغربية : إن إسرائيل فى حالة حرب الآن مع سبع دول عربية ، فعلى الدول المحايدة — ومنها ألمانيا — التزام واجب الحياد، وعدم تقديم مساعدات لأحد الطرفين المتحاربين . وإن مساعدة ألمانيا لإسرائيل ستدخل بالتوازن الحالى فى الشرق الأدنى ، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان على البلاد العربية . ثم إن إسرائيل ليست وريثة حقوق اليهود المتضررين ، فكيف تكون طرفا فى تسوية مع ألمانيا على حقوق يهود لم يكونوا رعايا حكومة إسرائيل ، وكيف يحكم أى قانون خاص أو دولى على ألمانيا بدفع تعويض لإسرائيل التى لم تكن موجودة يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود . زد على ذلك أن حكومة إسرائيل لا تعترف بحق التعويض فى القانون الدولى ، ولو كانت تعترف بهذا الحق لدفعت تعويضات إلى اللاجئين العرب ونقا لقرارات الأمم المتحدة . ودعوى إسرائيل أنها تتقاضى هذه

تعويضات ألمانيا لإسرائيل

ومشكلة اللاجئين العرب

كان فى ألمانيا عند ما تولى هتلر السلطان عليها فى سنة ١٩٣٧ نحو ٥٣٠ ألف يهودى . فلما رسمت حكومة هتلر خطتها للتحرر من اليهود وتأثيرهم الفكرى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى على ألمانيا ، جمعت مؤلفات علماءهم فى الميادين العامة وأضرمت فيها النار ، ثم أخذ اليهود فى الرحيل إلى بلاد أخرى ، وأكثرهم تحول إلى فلسطين حتى بلغ عدد المهاجرين إليها من يهود ألمانيا ٣٠ ألف . ومع أن القائمين على السياسة الصهيونية كانوا مسرورين من نزوح بنى جنسهم عن ألمانيا ليستعمروا بهم بلاد العرب فى فلسطين فإنهم استغلوا هذا الحادث وبالغوا فيه وجسموا وقائعهم وملأوا الدنيا صراخاً بالشكوى . وأخيراً أحلوا أمريكا وإنجلترا وفرنسا على إرغام حكومة ألمانيا الغربية بتعويض اليهود الذين زعموا أن هتلر طردهم من بلاده ، متجاهلين أن القوانين المعمول بها لا تجبر أية حكومة على دفع تعويضات من غير طريق القضاء فى دعاوى شخصية لأشخاص كانوا من رعاياها . غير أن موقف ألمانيا الغربية السياسى فى الوقت الحاضر أجبرها على الإذعان فتقدمت بتعويض مقداره ٨٣٠ مليون دولار تعهدت بتسليمها إلى حكومة إسرائيل أقساطاً نقدية ومضروعات مما تحتاج إليه إسرائيل فى استعدادها الحربى والصناعى .

بقبولها تزويد إسرائيل بمبالغ نقدية كبيرة تحت ستار التعويضات وبكميات هائلة من الآلات الثقيلة لاستخدامها فى تقوية إمكانياتها الاقتصادية والحربية ، لا يحدونا إلى التفاؤل بمستقبل السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط . وإن الحكومة المصرية لتتأمل فى قلق بالغ إلى اتفاق التعويضات المقترح . ولما لعلى يقين تام أنه لاحق لإسرائيل بأية حال فى الحصول على تعويضات من ألمانيا نيابة عن يهود العالم أجمع ، إذ ليس ذلك من حقه ، كما أنه ليس من حق أى بلد إسلامى أو مسيحي الحصول على مثل هذه التعويضات باسم المسلمين أو المسيحيين فى جميع أنحاء العالم .

قضية كشمير

كما تصفها صحيفة أمريكية

وصفت صحيفة (باك جرانند فور تومورو) التى تصدر فى واشنطن قضية كشمير بقولها : إن الهند لم تعد تسكتفى بأن تجعل من غزو كشمير مادة للسخرية من الغرب ، بما تبديه نحوه من عدم المبالاة ، بل هى تحاول أن تجعل منه وسيلة لتحطيم الباكستان كأمة . ويجزى الأمم المتحدة عن القيام بعمل إيجابى حول هذه الازمة سيؤدى حتما إلى شعور سكان هذا الجزء وغيره من العالم بأن هذه الهيئة الدولية تسعى إلى حقه بما تتخذه لنفسها من سياسة عقيمة مرتجلة .

التعويضات لقاء ما أنفقته على إسكان نصف مليون يهودى طردهم النازى فهاجروا إلى فلسطين ، متقوضة بأن معظم هؤلاء قد هاجروا قبل حكم النازى أو بعد انتهائه ، ولم يكن لهم باعث على القدوم إلى فلسطين التى كانت أهلة بسكانها العرب ، فكان يجيئهم الاختيارى اضطراراً للعرب ، وبغياً عليهم ، واغتصاباً لوطنهم .

وقد عرض وزير الخارجية المصرية فى خطابه الذى ألقاه فى هيئة الأمم وجهة العرب فى هذه القضية فقال :

« إن بعض مشاكل الشرق الأوسط التى لم تستطع الأمم المتحدة أن تجد لها حلاً صالحاً إلى اليوم ستبقى دائماً موضع تفكير مصر والبلاد العربية قاطبة وانشغالها . ولا زال هذا هو حال اللاجئين العرب الذى يثير القلق ، ولن يكون أى مشروع جذراً بالانقذات إذا لم يكفل حلاً إنسانياً عادلاً لمثل هذه المشاكل . ولقد شردت تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون من العرب وانتزعوا من ديارهم فى فلسطين فى غير رفق ولا رحمة ، ولأول مرة فى التاريخ يحدث أن يشرّد سكان متوطنون فى بقعة ما ليحل محلهم أناس غيرهم بزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى .

ولقد وقع أخيراً الضغط نفسه على حكومة ألمانيا الغربية ، وإن خضوع هذه الحكومة

من أسباب ثورة ماو - ماو

زار نائبان بريطانيان من حزب العمال بلاد كينيا التي نشبت فيها الثورة المعروفة هناك بثورة ماو - ماو . ولما أخذوا يبحثان عن أسباب الاستياء التي دفعت الوطنيين إلى هذه الثورة أخذ عدد كبير من الأهالي يتصلون بهما ويفضون إليهما بشكاوى الإفريقيين من غطرسة المستعمرين وسوء استغلالهم للشعب وفرضهم عليهم رؤساء وأنظمة لا يطيقها البشر .

وهذان البريطانيان هما مستر فينبرد كواي ومستر ليزوى هيل . ولما وصلا إلى مدينة نيروبي في شرق إفريقيا أعانا استياءهما وامتعضهما من قيام السلطات الاستعمارية بالقبض على عدد كبير ممن اتصلوا بهما أثناء زيارتهما لكينيا .

وقد صرح مستر ليزوى هيل بأن من أسباب هذه الثورة ما يعانيه الأهالي من الجوع ، وانخفاض أجور العمال الإفريقيين ، وارتفاع الأسعار . ثم إن السلطات الاستعمارية تفرض على الأهالي والقبائل رؤساء وضيعة من منطى الاخلاق .

فإذا كان هذا بعض ما يقوله نائبان بريطانيان عن فساد الحكم الاستعماري حتى أدى إلى ما نسمع به - من جانب واحد - عن تفاصيل تلك الثورة ، فكيف لو تمكن سكان كينيا من بسط شكواهم وإذاعتها في العالم ١٩

• إن جهود الدكتور فرانك جريهام الشفوية لم تغلح في زحزحة نهرو عن موقفه إزاء كشمير ، وهو موقف يذكرنا بستانين ، كما أن موجة الاستياء من الكتلة العربية الآسيوية ومن أعضاء مجلس الأمن لم تجد من يعبأ بها ، وأن نيودلهي تقف من كل هذا ساكنة لا تتحرك بينما كراتشي قد بدأت تفقد صبرها . ويحاول نهرو - بأقصى استطاعته - ألا يسمح لامة إسلامية بأن تشاركه وقومه الهندوس في القارة الآسيوية ويساعده على ذلك أن اقتصاد الباكستان يعتمد على نهر السند الذي تغذيه أنهار كشمير الثلاثة ، فأتخذ من ذلك سلاحاً حاداً وورقة رابحة يلوح بها كيفما شاء مدعياً أنه يعمل بذلك على تنمية المصادر الطبيعية للبلاد .

• وبعد جهد طويل وافق نهرو على إجراء استفتاء في كشمير ، وهو يستخدم القوات الهندية وغيرها من وسائل القمع لتهيئة الجو لاستفتاء يحصل عليه كما يريد . وإن الهنود اتخذوا من هذه المسألة نكسة يتندرون بها على الأمم المتحدة . هذا بينما الأوال الأمريكية تستخدم لبناء السدود وتنظيم المياه بطريقة تقضى بالحرمان على الباكستان من الرى الذى يبق على حياة ساكنيها . وإذا نشب القتال بسبب ذلك فلن يقتصر على كشمير ، بل لا بد أن يعم الباكستان والهند جميعاً .

إنباء العلماء والسياسة

وزارة الإرشاد القومى :

تألفت فى مصر وزارة جديدة للإرشاد القومى ، والغاية منها توجيه أفراد الأمة وإرشادهم الى ما يرفع ، مستوهم المادى والأدبى ويقوى روحهم المعنوية وشعورهم بالمسؤولية ويحفزهم الى التعاون والتضحية ومضاعفة الجهد فى خدمة الوطن . وتزويد الرأى العام العالمى بأصدق البيانات والإحصائيات والأرقام والصور عن حقائق الامور فى مصر . وقد تكونت نواة هذه الوزارة من الإذاعة المصرية ، ومصلحة السياحة ، وإدارة الدعاية والإرشاد الاجتماعى ، ومراقبة الافلام والسينما ، وإدارة المطبوعات ، والمسكاتب الصحفية بهيئات التمثيل المصرى فى الخارج ، ومعرض وادى النيل ، ومؤسسة الثقافة الشعبية وقسم الدعاية الصحية ، ودار الاوبرا الملكية ومتاحف الحضارة المصرية ويبيت الأمة والفن الحديث ، والمتحف الحربى عدا المكتبة ، وأقسام الإنتاج السينمائى والفنى فى وزارات المعارف والصحة والزراعة والشئون الاجتماعية .

ولا يبعد أن تتطور هذه الوزارة عندما تسير فى عملها وتقدم لتحقيق رسالتها .

تعيين المدير وصناعته بمصر :

أسفرت بحوث بعثة التعدين الفنية الى أوفدتها مصلحة المناجم الى الواحات البحرية عن اكتشاف طبقات سمكية من رواسب أوكسيد الحديد الأصفر ويتراوح سمكها بين متر وعشرة أمتار ، وهى تختلف عن منطقة مناجم الحديد فى أسوان بأن أوكسيد الحديد فى أسوان أحمر اللون ، وأن سمك طبقاته الظاهرة فوق سطح الأرض أقل من سمك طبقات الواحات البحرية التى تبين أنها غنية بالحديد ، وهى ذات أهمية خاصة نظرا لاهتمام الحكومة المصرية الآن بتنفيذ مشروع مصنع الحديد والصلب . ويقدر خبراء مصلحة المناجم كمية الحديد الموجودة فى هذه المنطقة مبدئيا بنحو عشرين مليون طن .

وينظر أن توجد مناجم أخرى للحديد فى وادى الكريم ووادى سويحباب أم لصف ، ووادى أم حجاب ، ولعل حديد هذه المناطق مغناطيسى على شكل طبقات عمودية تتجه الى باطن الأرض ويتراوح سمكها بين ٣٠ سنتيمترا ١٥٠ مترا ، وترتفع عن سطح الأرض من ٥٠ الى ١٥٠ مترا .

هذه المياه وتذهب بها من منطقة بلدة جونجلى إلى النيل الأبيض لتزيد في حصيلة النيل فيستفاد منها في الري مدة التحاريق . وهذه القناة التي يراد شقها يبلغ طولها ٣٠٠ كيلو متر وعرضها ١٢٠ متراً وعمق المياه فيها خمسة أمتار وتصرفها اليومى ٥٥ مليوناً من أمتار الماء المسكبة في أثناء الفترة الحرجة وإذا ضمت هذه الحصيلة المائية إلى المنقول بواسطة بحر الجبل يزداد الماء الواصل إلى أسران أيام التحاريق بمقدار خمسة مليارات و ٢٠ ألف من الأمتار المسكبة في سنة متوسطة الإيراد .

ويشمل المشروع أيضاً توسيع قناة جونجلى أو تشق قناة أخرى بجوارها موازية لها لحل خمسة مليارات أخرى من الأمتار المسكبة تصرف من الخزان في الفترة الحرجة أيضاً لزيادة الماء الواصل لاسوان بمقدار ٣ مليارات و ٣٠٠ ألف متر في السنين المشحجة بالإيراد . وإذا تم هذا كله تصبح الزيادة المتوفرة في أيام التحاريق ٨ مليارات ونصف من الأمتار المسكبة ويقدر المسؤولون بوزارة الأشغال التكاليف الخاصة بهذا المشروع بنحو ٢٨ مليوناً من الجنيهات .

وقد دعت وزارة الأشغال لجنة دولية من كبار مهندسي الري مؤلفة من مستر ب. و. ه. بليجن الخبير الهولندي ، ومستر ز. ا. س رولف ممثل شركة بروس وهويت الانجليزية ،

ويحتمل أن توجد مناجم للحديد في الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء .

وقد قرر مجلس الوزراء الموافقة على مشروع لإنشاء مصنع للصلب والحديد تساهم فيه وتديره شركة تساهم فيها الحكومة المصرية والشعب المصري والممولون الأجانب ، على أن يكون ٥١ في المائة منها لمصر حكومة وشعباً ، والحكومة تقدم عن نصيبها في رأس المال ما يوازي قيمة المعدات واللوازم التي اشتريتها أخيراً من ألمانيا وتقوم بإعدادها في منطقة حلوان . وسيحدد إنتاج المشروع الكامل في أول مراحلها بما لا يقل عن ١٥٠ ألف طن من الحديد والصلب ثم يتوسع به في المستقبل تمشياً مع التطور الصناعي . وتحفظ الحكومة المصرية لنفسها بحق الأولوية في الحصول على ما تحتاج إليه من منتجات الشركة اللازمة لأغراضها المختلفة .

قنوات السمرد بأعلى النيل :

بين بلدة جونجلى (القريبة من بحر الجبل في جنوب السودان) ومنطقة الملاك (بين بحر السوبات والنيل الأبيض) مياه وأنهار كثيرة تضيق سدى فلا يستفاد منها في حصيلة مجرى النيل . وقد قامت وزارة الأشغال المصرية ومهندسو الري فيها من مصريين وأجانب بالتفكير في مشروع لشق قناة تجمع

وأخيراً أخذت الحكومة السعودية فى إنشاء محطة توليد كبرى فى خارج البلد الحرام وقد أوشكت أن تتم فيتيسر بها تنوير مكة كلها بالكهرباء، وسوف تخرج هذه المحطة فى الأشهر القريبة الآتية ٤٠٠٠ كيلووات ولا يمر وقت آخر حتى يزيد الإنتاج إلى ١٠٠٠٠. وتوجد غير هذه المحطة الكبرى ١٥ محطة فرعية صغيرة داخل مكة. ويبلغ طول الأسلاك الكبيرة المستخدمة فى هذا المشروع ٢٥ ميلاً، ولا يقوم على تنفيذ هذا العمل إلا مسلمون.

دنانير مصرية :

عثر عمال كانوا يحفرون لمصلحة الآثار المصرية تحت السور الأثرى لكيفية أبادير ويوحنا فى خارطة الشيخ مبارك بحى مصر القديمة (الفسطاط) على أربع دنانير ذهبية إسلامية نقش على وجهها بالخط الكوفى لا إله إلا الله لا شريك له، محمد رسول الله، وحجم الدينار ووزن ذهبه أقل من نصف الجنيه الإنجليزى، وقد باع العمال هذه الدنانير إلى أربعة من الصاغة وتجار من الحلى ثم اختلفوا فيما بينهم فافتضح أمرهم واستطاع البوليس أن يسترد دينارين من التاجرين اللذين اشترياهما. والمظنون أنهما من العصر الطولونى قبيل بحى الفاطميين. ولا يبعد أن تظهر فى تلك المنطقة نقود أخرى عندما يستمر الحفر تحت السور.

ومسترف. هنرى شون الخبير الأمريكى لزيارة المنطقة المراد شق هذه الترع فىها بين جونجلى والنيل الأبيض، وزودتهم بذاكرة عن هذا المشروع وضعها الدكتور محمد أمين ومسترف بإيدوج المفتش العام المساعد للنيل الجزيرى، ووزعت عليهم خرائط التقطت لمنطقة السدود من الجو، وتسلموا مذكرات أعدها الدكتور محمد مجاهد الأستاذ المساعد لعلم النبات بكلية العلوم عن نتيجة دراساته وبحوثه فى الحشائش والنباتات الموجودة فى منطقة السدود. ثم وزعت عليهم مذكرة بالقواعد التى سيجرى عليها بحث المشروع، وبرماج الرحلة إلى تلك المنطقة.

وبالفعل سافرت هذه اللجنة بطريق الجو لمعاينة مكان الحفر وطوله وطبيعة أرضه وصخوره وحشائشه، وصحبهم فى هذه الرحلة الخبير الفنى لوزارة الأشغال والمفتش العام للنيل الجنوبى وينتظر أن يفتنوا من مهمتهم فى أوائل شهر ديسمبر.

انارة مكة بالكهرباء

كانت مكة محرومة من الكهرباء فى زمن الحكم العثمانى ثم فى زمن الحكومة الهاشمية. وبعد التحاق الحجاز بالمملكة السعودية دخلت الكهرباء هذه المدينة الإسلامية المسكنة بما أقامه بعض الأمراء والأعيان من أجهزة توليد خاصة عقب تنوير الحرم الميكى بالنور الكهربائى.

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقة
٢٦٥	كيف بنى محمد الأمة الإسلامية	الاستاذ محمد عرفه مدير المجلة
٢٦٨	الانسانية بين النظام المهدى والنظام الاسرائيلى	» محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٧٤	موهبة النبي (ص) السياسية	» محمد محمد أبو شهبه
٢٧٨	في الفقه الاسلامى	الدكتور محمد يوسف موسى
٢٨٣	طوائف : بهائية وبكتاشية — ثم جماعة التقريب	الاستاذ محمد عبد اللطيف السبكى
٢٨٨	نظام الاسلام السياسى	» محمد الزواوى
٢٩٦	السنة — الحب الالهى	» طه محمد الساكت
٣٠١	أمن الخير أن تبني الأمة على الخزيمة	» م . ع
٣٠٤	أعمار زائفة	» الأكبر السيد محمد الحضر حسين
٣٠٦	تساع أهل السنة في الرواية عن مخالفاتهم في العقيدة	» م . خ
٣١٣	سماحة الاسلام في التعامل مع غير المسلمين	» لفضيلة الاستاذ الأكبر
٣١٧	المسر وورق اليانصيب	» » »
٣١٩	من صور الفداء في الاسلام	» محمد النزالى
٣٢٤	محموة الأرواح	» محمد خليفة
٣٢٦	بين الفلسفة وعلم السلام	» على مصطفى النرابى
٣٢٩	قاصمتان خبيثتان في مجلة دار التقريب	» م . خ
٣٣١	أثر العقيدة في نفوس المسلمين	» عبد الرحيم فرغل
٣٣٤	آراء وأحاديث	» م . ع
٣٤١	فلسطين العربية الإسلامية	» محمد صبرى طابدين
٣٤٤	لفسويات : للمعى واللفز	» محمد على النجار
٣٥٠	الاحتكار والربح الفاحش حرام كالربا	» حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٣٥٢	المنابة بدراسة الاسلام في جامعات العالم	الاستاذ محمد عبد السلام القبانى
٣٥٥	من ذكريات الميلاد	» عبد الحميد محمود المسلوت
٣٦٠	تحديد الملكية في الاسلام	» أحمد فهمى أبو سنة
٣٦٤	حاتم الأصم	» هبة الله قاسم صقر
٣٦٧	حاجة الشرق إلى حكم صالح	» محمود فياض
٣٧١	مولد منقذ الانسانية	» محمد عبد المنعم خفاجه
٣٥٧	روضة الشعر	» محمد عبد القادر
٣٧٦	مملكة تقلى	» عبد المنعم محمد الشيخ
٣٧٩	الكتب	
٣٨١	النشاط الثقافى للأزهر	
٣٨٢	الآداب والعلوم في شهر	
٣٨٥	العالم الاسلامى في شهر	
٣٨٩	أنباء العالم الاسلامى	

رئيس التحرير
محج الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠
في مصر والاردان
٣٠
للطبعة في مصر والاردان
٤٠
في الخارج
٦٠
للطبعة في الخارج
عن الجزء

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ
مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةٍ بَحْثِيَّةٍ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محج الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الثاني ١٣٧٢ - ١٩ ديسمبر ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْإِسْلَامُ وَالسَّلَامُ

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر، ولا يحول بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى، سواء أكانوا يسكنون معهم في وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطاناً أخرى من هذا العالم .

وإن منها ما ليس كذلك، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون، بل ربما وقف في سبيل التعاون البشري والإخاء الإنساني، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه . وإن مثل هذا الدين يكون شراً تنوء به الحياة لأن الاختلاف بين البشر في العقائد والأديان واقع ماله من دافع، وليست هناك قوة يمكنها رفعه، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة، وأراد محو الأديان الأخرى ما عداه، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها، كان محاولاً ما لا يكون، إنما الذي يكون هو الشقاق والتناوب والحرب المتأججة التي لا نحمد، والحكم الحق على هذا الدين أنه لا يصح أن يكون أتباعه مع أتباع دين آخر وطناً واحداً، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم، وهل أسوأ من وطن يتعاضد أبنائه ولا يقدررون على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه ؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازاً في هذه الدنيا؟ تعاضد الأمم الأخرى وتذكر نار الحرب، وتكدر السلم وتقف في طريق الغاية العظمى للإنسانية، وهي السلام الدائم على هذه الأرض .

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتقيه وعلى من لا يعتقونه ، فهو لا يدعو معتقيه إلى التورط في حروب تلو حروب ولا يكدر سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح . والدين الإسلامي أين مكانه ؟ أفیه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثاني ؟ فهو حرب على الأديان الأخرى بشن عليها الحروب ويغير عليها كلها وأتته فرصة ؟ إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامي من الأديان التي تدعو إلى السلم ، والذي يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين في دولته أو في دول أخرى . وذلك يتضح من أمور :

١ — أنه بيّن في غير ما آية ، أن الاختلاف في العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك فهو واقع لا بد منه ، ومحاولة تغيير سنن السكون عنام في عنام ، لا تجدى إلا السكد والنصب فيما لا يكون ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين . وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضى ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمت داع للحقد ولا للبغض .

٢ — أنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التي لا هوادة فيها ، لا إكراه في الدين ، فكل امرئ يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين ألا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقتاتلوا أمة ليخرجوها من دينها .

٣ — قوله تعالى : فإذا قيمت الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا تختموهم فشدوا الوثاق فإما منأ بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، أجاز في الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضاً فيطلقوهم بفداء ، وفي هذا تعليم عملي للمسلمين أن يعطوا مخالفهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد اعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم .

٤ — أنه أجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم في الدين ذمة ، وأن يسكنوا في وطن واحد .

٥ — أن الرسول بيّن حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هي مثل حقوق المسلمين ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، أى لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ — صرح تصريحاً قاطعاً لا يقبل الشك ولا التأويل ، أن الاختلاف في الدين لا يؤدي إلى عدم البر بالخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذي يؤدي إلى ذلك هو عدوانهم : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

٧ — أن القرآن دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتي هي أحسن ، وحصر مهمة الرسول في البلاغ :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ، « وما أنت عليهم بجبار » ، « ادفع بالتي هي أحسن السيئة » ، « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » ، « فإن تولوا فإنما عليك البلاغ » .

هذه القواطع والأصول التي ينبغي أن تكون محكة فتجمل أم الكتاب وكل ما خالفها من المقتضاه يرد إليها .

ولعل قائل يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام إلى السلم يعارضه ما ورد فيه من الدعوة إلى الحرب وقتال المشركين كافة : « يأياها النبي حرض المؤمنين على القتال » ، « فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » - « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » ، « يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم » ، « فليقاتل في سبيل الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » ، « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » .

أليست هذه الآيات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ويطلب أن تقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقاعوا عنها كما ورد .

قلنا إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداوة وحاربهم ووقفوا في سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ، بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغضى عن ناصبوه العداوة ، وأن يطلب من معتقيه أن يقفوا مكتوف الأيدي ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ، لأنه يخاف طبيعة الوجود والمبدأ القاتل : لكل

أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفي الإسلام حبا للسلام أنه يبيغيه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ، ولا يقدح في حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم . وهذا هو محل الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد والقتال وهي نارة تأتي مقيدة بالعدوان وتارة تأتي مطلقة عن التقييد لعلله . من الحال ، كأن يكون الكلام في قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعلله من النصوص التي تحرم قتال من لم يعتد ، وما كان الله ليترك هذه المسألة وهي تتعلق بمستقبل البشرية وسلام العالم ، دون نص قاطع وبيان واضح وقد جاء هذا البيان في قوله : تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » ، « لا إكراه في الدين » .

أعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ويسكيدون له ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هي تأليب دول العالم عليه وإفهامهم أنه حرب للسلام وللتعاون البشري والإخاء الإنساني ، ليقفوا منه موقف العداء ويحاربوه بكل سلاح .

إنهم يجهلون في أن يفهموا الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجارى روح العصر في الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه وعلى الإنسانية ، لأنه لو ترك وشأنه ، لورطها في حرب تلو حرب ، وفي نزاع دائم وخلاف مستمر ، لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجرائم الضارة والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذي يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة وأمين على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواه ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذي يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم في جهاد في غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظرم إلى العدو المتربص الذي يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

سَنَنْحُنْ

قبل نحو تسعة أشهر ، وكان قد مضى أربعة أسابيع على حريق القاهرة ، أراد صحفي مصرى أن يستثير برأى سياسى مصرى قادم من أمريكا حيث كان ينظر إلى مصر من بعيد فيحكم على ما يقع فيها وهو غير متأثر بالأعراض والأغراض التى يتأثر بها المتأثرون بالعادة والإلف ، فسأله الصحفي :

— ما الذى تراه من أحوالنا هنا ؟ إننا نحن الذين نعيش داخل الدوامة العنيفة من الأحداث الكبيرة التى تجرى فى الوطن ، لا نستطيع أن نرى كل شئ ، وأنت هنا تمتاز عنا بأنك تقف بعيداً ولكن عينك دائماً على الوطن ترى كل ما يحدث فيه .

والسياسى الموجه إليه هذا السؤال هو الاستاذ محمود فوزى وزير خارجيتنا الآن ، وكان إلى ذلك الحين مندوب مصر فى الأمم المتحدة . والسؤال أكبر وأخطر من أن يجيب عنه رجل رسمى كالاستاذ محمود فوزى ، ولذلك سرعان ما غير موقفه من سائله وقال له :

— أريد أن أسألكم جميعاً وأسأل نفسى معكم :

« من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هى وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ » .

وهذه الأسئلة التى وجهها إلينا وزير خارجيتنا ، بل مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة ، بقيت من ذلك الحين بلا جواب . ولأجل أن يلفت الاستاذ محمود فوزى الأنظار إلى خطورتها وجهه الى أمته السؤال الآتى :

« ما هو رأيكم - مثلاً - فى رجل تلتقون به فى الطريق العام ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، وتستوقفونه قليلاً وتسألونه عن اسمه . . فإذا هو لا يعرف اسمه . وتسألونه عن عنوانه وعمله ، فإذا هو بلا عمل ولا عنوان . وتسألونه عن وجهته ، فإذا هو (منطلق) فى الطريق ، منطلق إلى غير هدف محدد ، وبدون غاية يقصدها . ما هو رأيكم فى مثل هذا الرجل الذى

لا يعرف نفسه ؟ لقد أصبحت أعتقد أن سر أزماتنا جميعاً يرجع إلى جهلنا بأنفسنا ، وبت أعتقد أن ظروفنا لم تعد تحتل بعد اليوم أن تبقى نفوسنا سرّاً مغلقاً علينا . دعونا نحاول أن نعرف نفوسنا ، فإن هذا وحده هو المفتاح الذى يفتح أمامنا جميع المسالك ، وحاولوا أن تجيبوا عن هذه الأسئلة الأربعة تبنوا لنا جسراً عاقلاً نعبّر عليه مرحلة الخطر ! .

إن الأستاذ محمود فوزى لم يحاول الإجابة عن أسئلته الأربعة ، لكنه توسع في عرضها عرضاً سريعاً بمقال نفيس^(١) أظن اننى لم أقرأ عن المجتمع المصرى مقالاً أنفـس منه منذ عشرين سنة .

من نحن ؟

هذا السؤال وضعه الأستاذ محمود فوزى على لسان مصر حكومة وشعباً ، ويصح أن يوضع على السنة الاقطار الممثلة في جامعة الدول العربية ، وعلى السنة الاقطار التى يتألف منها العالم الإسلامى كله . . . وإذا أجيب عنه بجواب سديد كان مفتاح التوجيه السليم لكل مجتمع إسلامى وفي مقدمته مصر .

لقد مر علينا زمان في مدة الاحتلال البريطانى لمصر ، كان يقبـح فيه بعض الكتاب بالحدث عن الأمم التى احتلت مصر فيقولون : إن مصر وقع عليها الاحتلال من الرومان والفرس والعرب والكرد والشركس والترك والفرنسيـس والإنجليز . وهم لا يقولون هذا في معرض الشكوى من احتلال الفرنسيـس والإنجليز ، بل دليل أنهم في مقالات أخرى بما خطته أقلامهم يذكرون حسنات الاحتلال الفرنسى والإصلاح الذى تم في مصر مدة الاحتلال البريطانى . بل لعل هذه الحسنات الفرنسية وهذا الإصلاح البريطانى مما سجلوه بأقلامهم حتى في كتب الدراسة الابتدائية والثانوية . وهذا يدل على أنهم يريدون من سرد أسماء الأمم التى احتلت مصر أن ينقشوا في أذهان قرائهم من المصريين ولا سيما الطلبة أن العرب كانوا محتلين لمصر ، وأن مصر التى مر على عروبتهـا أربعة عشر قرناً لا تزال غير عربية ، وأن الذين تولوا الحكم في مصر من أبناء الأمم الإسلامية الأخرى كانوا يمثلون احتلالاً

(١) في مجلة آخر ساعة العدد ٩٠٥ الصادر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ .

أجنيباً ، متجاهلين ما كان بين هؤلاء وبين المصريين من وحدة العقيدة وآصرة الإسلام واتحاد الهدف من زمن الصحابة رضوان الله عليهم حتى الآن . فنشأ في مصر بسبب هذه الدعايات نشء إذا أراد أن يتساءل ، من نحن ؟ ، يمر في ذهنه طائف من الشكوك في أن مصر عربية ، وأن الإسلام دخيل طراً عليها . والطلبة الذين لا يجدون في مناهج تعليمهم ما يعرفون به حقيقة الإسلام ، معذورون إذا صدقوا أن الإسلام أثر من آثار الاحتلال .

يقول الرئيس محمد نجيب - سدد الله خطاه ، وحقق له أمانيه الصالحة - في كلمة له ألقاها في مدرسة القبة النموذجية الثانوية ، وقد نشرناها في الجزء الماضي (ص ٣٨٣) : « إن الدين أساس الاخلاق . ولقد تلقيت تعليمي في السودان في مدرسة كان يشرف عليها إنجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ، ولذا فأنا مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد . وأنا لا يمانى بأن الدين أساس الاخلاق لا أمانع في تدريس الدين ، حتى الدين اليهودي ، بشرط أن يكون في أيد أمينة ، وأنا أحب أن نقيم الاخلاق على تعاليم الدين ، . »

وأنا أقول للرئيس محمد نجيب : إن مدرسة القبة الثانوية ليس بها مسجد لأن الدعاية التي كانت منتشرة مع تيار العهد المنصرم ، كانت تنسكرك للإسلام وتربية النشء عليه ، وكان القائمون عليها يعتبرون العروبة والإسلام احتلالاً ، ولذلك فإن جميع الطوائف التي تعيش في مصر - من كاثوليكية أو أرثوذكسية أو يهودية - تعتنى في مدارسها بآداب دينها وعقائده ، وتبث ذلك في قلوب أبنائها ، حتى يجري في عروقهم مع دمائهم . أما المصلحون فأيتام ، ليس لهم من يحقق لأبنائهم أمنية الرئيس محمد نجيب التي أشار إليها في كلمته ، فلا عجب إذا أدهشه أن لا يرى في مدرسة القبة النموذجية الثانوية مسجداً ، ولو وجد فيها مسجداً لرآهم قد اتخذوه مخزناً للهملات ، ولو لم يشغلوه بالهملات لكان من المستبعد أن يكون في المدرسة تلاميذ تربوا على الخوف من الله والرجاء له واللذة بالوقوف بين يديه خلف إمام تعنى المدرسة بإشرافه عليهم في دينهم كإشراف عمرى الرياضة البدنية عليهم في ألعابهم اليومية .

إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحدث عن التعليم في المدارس المصرية حديثاً نشرناه في جزء صفر من هذه المجلة (ص ١٩٨ - ٢٠٠) فكان مما قاله : « إنه تعليم جاف

لايعنى بتكوين الإنسانية في الإنسان ، ولا الإسلامية في المسلم ، ولا الوطنية في ابن الوطن . ولا يصل حاضر الأمة بماضيها في طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، ثم قال : « ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها - فضلاً عن غيرهم - إلى تخريج أبنائهم في مدارس أجنبية ، يعملون أنها أسست لآبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون في قوميتهم ودينهم ، لكنهم اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغربية عنهم ، العارية من أمس حاجاتهم القومية والمالية ، فراراً من ناحية الضعف التي أزممت عللها في مدارسنا ، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر ،

وكل هذا متفرع عن الاصل الاصيل وهو أن القائمين على وزارة المعارف المصرية من نصف قرن إلى الآن لا يريدون أن يعترفوا بأن مصر بلد إسلامي ، ولو عرفوا ذلك واعترفوا به لربوا أبناء هذه الأمة تربية إسلامية ، لكنهم لا يفعلون ، لأنهم إذا تساموا « من نحن ؟ » قد يخطر على بالهم أن يجيبوا عن هذا السؤال بعشرين جواباً ليس فيها جواب واحد ينطقون به بشجاعة وصراحة قائلين : « نحن مسلمون » . ولو أنهم عرفوا بأنهم مسلمون وأنهم مؤتمنون على أبناء أمة إسلامية ، لاستعدوا الاستعداد التام لتربية التلاميذ المسلمين تربية إسلامية ، كما يربي التلاميذ الأرثوذكس في المدارس الأرثوذكسية تربية أرثوذكسية ، وكما يربي التلاميذ الكاثوليك في المدارس الكاثوليكية تربية كاثوليكية ، وكما يربي التلاميذ اليهود في المدارس اليهودية تربية يهودية . وإذا كان هذا لم يتحقق قبل الآن ، فذلك لأن البلد لم يكن فيه رجل قوى جهير الصوت كالرئيس محمد نجيب ينادى بأعلى صوته صادقاً بخلصاً : « إن الدين أساس الأخلاق ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

أما وقد قالها هذا المصلح السليم الطوية المخلص لأمته ووطنه ، فقد آن لوزارة المعارف أن تعلم أن هذا هو طريق العهد الحاضر في التعليم ، ومن الجناية على الوطن إضاعة سنة أخرى حتى نستعد لذلك في العام الآتي ، وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فينبغي أن تصدر الأوامر والمنشورات من هذه الساعة إلى نظار المدارس ومدرسيها جميعاً بملاحظة ذلك ومحاولة تحقيقه من صميم القلب وبكل الوسائل الممكنة على قدر الطاقة ، إلى أن ترسم له الخطط الثابتة من بداية العام الدراسي القادم ، وأن يعتبر المتلصك في هذا الأمر عضواً أشل فيبادر إلى بتره حالا .

لقد كنا فيما مضى لا نعلم « من نحن ؟ » بشهادة سياسى كبير من رجالنا .

أما الآن فيجب أن نعلم « أننا مسلمون » ، ويجب أن تقوم تصرفاتنا كلها على هذا الأساس ، وأن ترمى أعمالنا إلى هذا الهدف ، وأن نلاحظ ذلك فى كل حركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا .

* * *

ويأتى بعد ذلك موقفنا من أسرة العربىة ، ومنزلة الكرسى الذى يمثل مصر فى جامعة الدول العربىة ، والاثـر الذى تركه فىنا تكلمنا بلغة العرب وتأدبنا بالأدب العربى من زمن عمرو بن العاص إلى اليوم .

إن القومية فى القبيلة وحياة البادية مناطقها الانساب ، لأن حياة القبيلة قائمة على الانفراد والانزواء فى دائرتها فى أغلب الأحوال .

أما الحضارة فإنها بوثقة تذوب فيها الأصول والانساب ، والعبرة فيها لرابطة اللغة أولاً ، وللصالح المشتركة ثانياً . فسكان فرنسا - مثلاً - ليسوا جميعاً من أصل واحد ، والفرنسى فيها يكون فرنسياً ولو كان جده الثانى إيطالياً أو إسبانيا . ونابليون بونابرت - وهو من مفاخر فرنسا - مولود فى الجزيرة الإيطالية كورسيكا ، من أبوين كانا يتكلمان اللغة الإيطالية . بل يقال عن بسمارك إن أجداده من أصل صقلبى ، وكثير من سكان ألمانيا الشرقية تبحرو فى عروقهم الدماء الروسية . والكاشانى الذى هو اليوم فى مفاخر إيران عربى قرشى يعرف نسبه فى بنى هاشم . وكال أنانورك من سلانيك ، وقد يكون جده الثالث من أصل غير تركى . بل أكثر سكان الأناضول إما من أصل رومى أو من سلالة الحيثيين الذين تقول التوراة عنهم إنهم لإخوة السكنعانيين (أى الفينيقيين) ، وهؤلاء أصاهم من نجد العربىة ومن سواحل الأحساء على الخليج الفارسى . فهذه الاعتبارات التاريخية فى الأصول والانساب لم تمنع سكان أى قطر متمدن من أن يلتصقوا إلى قومية اللغة التى ولدوا يتكلمون بها ، ونشأوا متأدبين بأدبها ، وقد تكون لغتهم وآدابها حديثة عهد من بضع مئات من السنين . أما مصر التى تتكلم اللغة العربىة من أربعة عشر قرناً ، وتتأدب بالأدب العربى حتى صارت لها فيه الإمامة والقيادة ، فإنها لا تزال تتسامل « من نحن ؟ » . ويريد بعض حملة الأقلام فيها أن

يقولوا إن العربي لا يكون إلا أعربياً ، فإن لم يكن أعربياً فلا تكفى عراقته في العربية وآدابها أربعة عشر قرناً ليقول بملء فيه ومن صميم قلبه ، نحن عرب مصريون ، كما يقال في العراق ، نحن عرب عراقيون ، وكما يقال في سوريا ، نحن عرب سوريون ، .

إن الآسيوطى أسيوطى ومصرى لأن أسيوط جزء من الوطن المصرى ، والمصرى مصرى وعربى لأن مصر جزء من الوطن العربى ، والعربى المسلم عربى ومسلم لأن الوطن العربى جزء من العالم الإسلامى . وكذلك الأندونيسى المسلم أندونيسى ومسلم لأن أندونيسيا جزء من العالم الإسلامى ، والباكستانى المسلم باكستانى ومسلم لأن باكستان جزء من العالم الإسلامى . وكون الآسيوطى أسيوطياً ، لا يتعارض مع كونه مصرياً ، وكون المصرى مصرياً ، لا يتعارض مع كونه عربياً ، وكون العربى المسلم عربياً ، لا يتعارض مع كونه مسلماً . فكل فرد منا إذا اعتبر نفسه في مركز دائرة فإن بلده الذى ولد فيه هو الدائرة الصغيرة الأولى حول النقطة المركزية ، ومصريته هى الدائرة الثانية التى تلى الدائرة الأولى ، وعروبه هى الدائرة التى تلى مصريته وتشملها ، وجامعته الإسلامية هى الدائرة الكبرى الجامعة التى تحيط بذلك كله ولا تتنافى مع شئ منه .

من نحن ؟ هذا السؤال يجب أن لا يبقى بلا جواب . ومتى عرفنا من نحن ، عرفنا المشاركين لنا في المصالح ، والخارجين عنا فيها ، وعرفنا واجباتنا نحو ما ننتمى إليه ، لأنها في الواقع واجباتنا نحو أنفسنا . وهذه المعرفة التى يتم بها الجواب عن السؤال الأول من الأسئلة الأربعة التى وجهها الأستاذ محمود فوزى إلى نفسه وإلى أمته ، كفيلة بالجواب عن الأسئلة الثلاثة الأخرى ، فنعرف أين نحن ، وماذا نريد ، وما هى وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ وعلى معاهد التعليم كلها ، من يومنا هذا ، أن لا تسكتنى بأن تعرف من نحن ؟ ، بل تستعد لتعريف ذلك لأبناء الجيل كاهم من طلبة المدارس ، حتى إذا آمنوا بمصريتهم وعروبتهم وإسلامهم ، تجندوا للعمل بهذا الإيمان ، يوم يتولون أمانة الوطن في حكومته وأسواقه ومرافقه ومعاهده ، وكانت بذلك البعث الذى ينشده العهد الحاضر ، ويعمل لتحقيقه ؟

محِبِّ المِصْرِينَ الحُطَيْبِ

السنة

حقوق الأئمة كفاء

تقدير الكفايات - مثلاً في السياسة العليا -
جيش الأمراء - مكان الحب وابن الحب - طعن
في غير مطعن - الإسلام يحو العصبية - أروع
الأمثال في إكبار الفادة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : بعث النبي ﷺ بعثاً ، وأمر عليهم أسامة
ابن زيد ، فطعن بعض الناس في إمارته . فقال النبي ﷺ : « إن تطعنوا في إمارته فقد
كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل : وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب
الناس إلى » ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده ، رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري .

إذا كان من حقوق الأمة على بنائها أن يسخرها قواهم لخيرها ، ويحشدوا أنفسهم لعزها
ومجدها ، فإن من حقوق أقويائها الأمانة ، وعلمائها الاتقياء ، أن يكونوا موضع الثقة والعناية
منها ، والتجلة والإعزاز فيها ؛ كل له مقام معلوم ، ومكان محفوظ ، كفاء ما وهب الله له
من موهبة ، وما منحه من فضيلة ، وما آتاه من قوة في الحق ، وبصر في تقدير الأمور .

وبتقدير الأمم للكفايات وحدها ، دون أن يكون للعداوة أو المحبة أو غيرهما سلطان ،
في تولية أو حرمان - تستقيم أمورهما ، وتصلح شئونهما ، ويشتد بنيانها ؛ لأنها وقيت شر
التناسد والتحاقد ، والتقاطع والتباغض ، إلى غير أولئك من معاول الهدم فيها والقضاء عليها !

حسبك من السياسة الرشيدة أن تقدر الكفايات قدرها ، وتسند الأمور إلى أهلها ،
غير ناظرة إلا إلى المصلحة الخالصة وحدها ، فإذا صاحب الكفاية تقرير قاعدة من قواعد
الإصلاح ، أو تثبيت أصل من أصول التربية ، أو هدم عامل من عوامل الفساد - فذلك
منتهى السمو في سياسة الشعوب ، وغاية الرشد في قيادة الأمم .

وفي هذا الحديث من ضروب السياسة العليا، التي يهدي بها النبي ﷺ أمته إلى طريق السكال الإنساني، مثلاً: تأميره أسامة بن زيد حبه وابن حبه، على جيش عدته ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة من قريش، منهم كبار المهاجرين والأنصار، وفي طليعتهم الشيخان: أبو بكر وعمر، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح. بعث به إلى مشارف الشام، وهي حدودها مما يلي الصحراء. وكان هذا آخر جيش جهزه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وأول جيش أنفذه الصديق رضى الله عنه في خلافته؛ وتأميره أباه زيدا من قبله على جيش عدته ثلاثة آلاف كذلك، بعثه إلى مؤتة من مشارف الشام أيضاً، وولى عليه ثلاثة أمراء أولهم زيد؛ عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض ودفعه إليه، وقال: إن قتل زيد فأمركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فأمركم عبيد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل منهم، ومن هنا سمي هذا الجيش بجيش الأمراء.

ومن أعلام نبوته ﷺ أن ينمى الأمراء الثلاثة للناس قبل أن يأتهم خبرهم فيقول: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فأصيب — وإن عني رسول الله ﷺ لنذران — ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله تعالى له.

ولحكم بالغة لم يول خالداً أول الأمر، قد يكون منها أنه حديث عهد بإسلام؛ إذ لم يكن مضى على إسلامه قبل هذه الغزوة الأولى له أكثر من ثلاثة أشهر، فتوليته إذ ذاك لا تصادف من الجيش موقعاً وقبولا، وإذا اختلف الجيش فقل على النصر السلام!

وبعد أن شرف الله الأمراء الثلاثة بالشهادة في سبيله، نصر المسلمين على يد خالد نصرأ عزيزاً، وهزم عدوهم هزماً ذليلاً، وكانوا مائة ألف أو يزيدون.

جهز النبي ﷺ جيش الأمراء دفاعاً عن الإسلام، وتثبيتاً لقواعد السلام، وإرهاباً لأولئك الذين اعتدوا على حرمة المسلمين، وقتلوا رسول الله ﷺ، مع أن الرسل لا تقتل! وإشهاداً للعالم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وبأن أساس النصر ليس كثرة العدد ولا قوة العدد، ولكن النصر من عند الله العزيز الحكيم.

ثم جهز صلوات الله وسلامه عليه جيش أسامة قبيل وفاته ، وندب الناس لغزو الروم — وهم والفرس أعظم دول العالم حينئذ — وعقد بيده الكريمة لواء أسامة ، وقال له سر إلى موضع مقتل أبيك ، وأغر صباحاً ، وأسرع المسير تسبق الحير ، فإن ظفرك الله بهم فأقلّ اللبث فيهم .

وبينا أسامة يتأهب للرحيل اشتد برسول الله ﷺ وجهه ، وطمن قوم في تأميره على الجيش ، وعلى رأسهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي . فرد عليه عمر وأخبر النبي ﷺ ، فغضب غضباً شديداً ، ولم يمنعه مرضه أن يخطبهم غاضباً وأن يشكر عليهم الطعن في إمارته وإمارة أبيه من قبله ، وأن يوصي بإفناذ الجيش إلى الوجهة التي ولاها ... ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى فأنفذ الجيش أبو بكر بعد استخلافه تنفيذاً للوصية النبوية التي تكشف الغطاء عن عظمتها وجليل آثارها قريباً .

سار الجيش كما أمر رسول الله ﷺ ، وأمضى عشرين يوماً أو تزيد ، قتل فيها قاتل زيد أبي أسامة ، وأرهب فيها عدو الله ، ثم عاد بعدها سالماً غانماً معززاً منصوراً .

لم تقتصر إمارة زيد وابنه على هذين الجيشين العظيمين اللذين أشهدا العالم على عظمة الإسلام وعزته ، وبلوغه الذروة في كرمه وعدائه ، بل أمرهما النبي ﷺ على غيرهما من البعوث والسرايا ، وإن لم تبلغ مبلغ هذين الجيشين أهبة ووجوه وعديداً ، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمرهم عليهم ولو بقي لاستخلفه ، وهذا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يقول : إنه خرج فيما يبعث النبي ﷺ من البعوث تسع غزوات يؤمر عليهم مرة أبا بكر ومرة أسامة .

ولا يعني هذا أن نفصل أبناء هذه البعوث والسرايا ، فقد تكفلت بها كتب السير والمغازي ، وإنما يعني أن نتبين منها كفاية زيد وابنه ، وأن كلا منهما أهل للإمارة بحق ؛ وأن نتبين كذلك خبرة النبي ﷺ وثاقب نظره في الرجال وحسن اختيارهم . حتى إن العرب على مراسم للحرب وبلادهم فيها لم يستطيعوا أن يطعنوا في كفايتهما الحربية ، ومقدرتهما الفائقة التي جعلت من زيد أميراً فوق الأمراء ، بل رشحت أن يكون خليفة لخاتم الأنبياء ، على خير أمة أخرجت للناس . ثم جعلت من ابنه أسامة — وهو غلام حدث لم يجاوز الثامنة

عشرة — قرنا لابن بكر وعديلا له ، بل أميراً عليه وعلى المشيخة من المهاجرين والانصار ، ومنهم صاحب البلاء الحميد ، في البأس الشديد .

وإذا لم يكن للطاعنين مطعن في كفايتهما وحسن بلائهما ، فإن مطعنهم في أمر وراء الكفاية ، سنكشف الغطاء عنه على أثر المسامة بمكان أسامة وأبيه من العرب ، ثم من النبي ﷺ . كان زيد مع أمه في زيارة أخواله فأغارت خيل في الجاهلية على أبيات لم فاحتملوا زيدا في صبية معه وقدموا به إلى سوق عكاظ . وكانت خديجة أوصت حكيم بن حزام ابن خويلد أن يبتاع لها غلاما ظريفاً عربياً إن قدر ، فأعجبه كيس هذا الصبي وظرفه ، فابتاعه وقدم به على عمته ، ففرحت به وأكرمته . حتى تزوجها رسول الله ﷺ وهو عندهما ، فلما أعجبه ظرفه وأدبه استوهبه منها فوهبته له . فشب عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج في إبل لابن طالب بالشام مر بأرض قومه فعرّفوه ، ثم قدم أبوه وعمه وأخوه يقتدونه من النبي ﷺ بما يحب من الفداء ، فقال لهم أعطيك خيراً من ذلك : أخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، فقالوا جزاك الله خيراً فقد أحسنت وزدت على النصف . . فلما أخيره صلوات الله وسلامه عليه قال ما أنا بمختار عليك أحداً أنت منى بمنزلة الاب والعم ، فلما رأى أنه آثره على أبيه وعمه وأخيه خرج إلى حجر لإسماعيل وقال : اشهدوا على أنه حر ، وأنه ابني يرثي وأرثه ، فطابت أنفسهم بذلك لما رأوا من كرامته عليه .

ولم يزل يدعى في الجاهلية زيد بن محمد حتى نزلت الآية الكريمة « ادعواهم بآبائهم » فدعى زيد بن حارثة ، وشدد النبي ﷺ النكير على دعاه أحد إلى غير أبيه وهو يعلم . وللقضاء على هذه الدعوى المذكورة أحل الله تعالى للتبني أن يتزوج زوجة الدعي إذا طلقها وقضت عدتها ، وأمر نبيه أن يتزوج زينب بنت عمته أميمة ، وكان زوجها زيدا ، لمكانته عنده ، غير أنها كانت تتعالى عليه وتفخر بحسبها ونسبها ، وكان يشكوها إلى النبي ﷺ في قصة طويلة معروفة .

وورث أسامة أباه في الفضل والنبيل ، والكياسة والسياسة ، والكفاية في الإمارة وعظيم البلاء فيها . كما شارك أباه في حب النبي ﷺ له ، وثقته البالغة به ثم في عده من موالى قریش وعقائهم تبعاً لأبيه من قبل .

هذه عجالة خاطفة في تاريخ الحب وابن الحب ترينا مكانهما من النبي ﷺ ومن العرب ، وأن ما لصق بهما من العتق والولاء إن يكن ذنباً فلا يدلهما فيه ولا عيب عليهما به . وحسبهما أن الله أنعم عليهما ورسوله ، فأخرجهما من ظلمة الشرك ، ومذلة الرق .

أفرأيت كيف طعن الطاعنون في زيد وابنه ، وشق عليهم أن يكونوا تحت إمرة مولى من مواليتهم وعتيق من عتقائهم ؟ بله غلاما حدثا يتأمر عليهم ولما يبلغ العشرين من عمره لأنها الآلفة والكبر والعصية التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم لمحوها واجتثاث أصولها ، قولاً وعملاً وسيرة وهدياً ، لأنها من أشجار الفتن ، ومعاهد البلايا والمحن في كل أمة تنمى بها ! ومن أحق بأن يحمله شرف القضاء عليها من حبيبيه ، وأقرب الناس إليه .

يضاف إلى كفاية زيد وابنه ، وما صاحبها من بناء قاعدة المساواة بين الناس جميعاً ، وهدم دعامة الفخر بالاحساب والانساب — أن زيدا أعلم بالجهة التي انتدب إليها ؛ لأنه نشأ فيها ؛ ولأن قومه منها ؛ ثم إن ابنه أولى الناس بالقصاص من قاتل أبيه ؛ فاخياره أحياء لنفسه ، وأبعث لهمته ، وأجدر ألا يدخر منها في سبيل الله وسعاً ، وكذلك كان .

* * *

رأى هذا كله وأكثر منه كبار أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يطعنوا ولم يعترضوا ، وإن رغب بعضهم في أن يتوجه جيش أسامة وجهة أخرى لمحاربة المرتدين ، كما رغب بعضهم أن يستبدل بأسامة من هو أكبر منه سناً ، وأسبق في بلاء الحروب قدماً ، وهنا يضرب الصديق أروع الأمثال حزمًا وعزماً ، ويأبى كل الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة دون أن يغير في قضاء رسول الله ﷺ شيئاً ، ثم يزيد في إكبار القائد الحدث وإجلاله ، فيستأذنه في إبقاء الفاروق بجانبه ليكون له رده أو عوناً على مهمات الخلافة وأعبائها ، ثم يودع الجيش ماشياً ، فيقول له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لا تركبن ، فيقول الخليفة ، التي لم تزد الخلافة إلا تواضعاً وإنكاراً لذاته : والله لا تنزل ولا أركب وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ؟

* * *

أورأيت كيف يصنع الله لنيبه ؟ وكيف يهديه في سياسته ، وكل شأن من شئونه وشئون أمته ، التي هي أقوم ، ويجمع له في الأمر الواحد ما تفرق من قواعد الإصلاح ، ودعائم الرشد والفلاح ؟ والله أعلم حيث يجعل رسالته .

طه محمد الساكت

تطهير الأدلة الحكومية في تاريخ الإسلام

١ — الحكم في الإسلام :

الحكم في الإسلام جزء من شريعته ، وواجب لا يتم الدين إلا به . وينبغي أن يقوم هذا الحكم على العدل الذي أمر الله به ، فلا ينحرف عن دستور الإسلام الذي أنزله الله بالحق كما خلق السموات والأرض بالحق .

يقول الله عز وجل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، . » . ويعلق على هذه الآيات شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : « فالقصد من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط ، في حقوق الله وحقوق خلقه ... فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد . ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف . وقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا - يعني السيف - من عدل عن هذا - يعني المصحف ، «^(١) . ويقول المودودي « فالمراد من الحديد في الآية القوة السياسية . والآية قد بينت ما تبث الرسل لأجله ، وهو أن الله قد أراد بعباده أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله الله عليهم من البينات ، وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أي نظام الحياة الإنسانية العادل ، «^(٢) .

وإن الحكم الإسلامي ينبغي أن ينتهج كل طريق يوصل إلى العدل والقسط والحق . فما كان في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهو واجب الاتباع ، وما لم يوجد منهما بالنص ولكن وافق مقاصد الشارع وسائر روحه وقاس على أحكامه ولم يعارض فيها شيئاً فهو مقبول إذا اقتضته حاجة الناس . يقول ابن القيم « فإن الله أرسل رسوله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة الغيب وأسفر صبحه بأي طريق كان فم شرع الله ودينه ، ورضاه وأمره .

(١) السياسة الشرعية - طبعة دار الكتاب العربي ص ٢٤ . (٢) فتاوى الإسلام السياسية .

واقفه تعالى لم يحصر طرق العدل وأدله وأماراته في نوع واحد ، وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد . ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ، ولن تجد طريقاً من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها . وهل يظن بالشرعية الكاملة خلاف ذلك ؟؟ ولا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة ، بل هي جزء من أجزائها ، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلاً فهي من الشرع ، ^(١) .

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية بتأليف جلية في سياسة الحكم على أساس إسلامى . منها كتاب الاموال ، لأبى عبيد القاسم بن سلام وكتابا الخراج ، وأحدهما لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٩٢ هـ ، والآخر ليحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ، ويتعلقان ببحث السياسة المالية . أما السياسة العامة ففي مقدمة مؤلفاتها ، الاحكام السلطانية ، لأبى حسن الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، والاحكام السلطانية ، لمعاصره القاضى أبى يعلى ، ثم السياسة الشرعية ، فى إصلاح الراعى والرعية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، وكذلك الطرق الحكيمية فى السياسة الشرعية ، لتليذه ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ رضى الله عنهم أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢ — سمعة الحكم :

يقوم الحكم على دعامتين هامتين : عدل الحكم ، وعدالة الحاكمين بمعنى العدالة ، فى الفقه الشرعى .

فاستقامة الاوضاع على أمر الله ، واستقامة الافراد على أمر الله ، صنوان لا غنى بأحدهما عن الآخر : « الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » . يقول المودودى « إن الحكومة الإسلامية تتطلب وتقتضى أن يكون سائر أجزاء حياتها الاجتماعية ، وجميع مقومات بنيتها الإدارية من الرعية والمنتخبين والنواب والموظفين والقضاة والحكام وقواد العساكر والوزراء والسفراء والظفار لختلف

(١) اعلام الموقعين - ٢ - ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

دوائرها ومصالحها - تقتضى أن يكونوا من الطراز الخاص والمنهاج الفذ المبتكر ، وهى تطلب بسجيتها رجالا يخشون الله ويخافون حسابيه ، يؤثرون الآخرة على الحياة الدنيا ، (١) .

لذلك حرصت دولة الإسلام من أول أمرها على طهارة الحكم وتطهيره على مدى الأيام . وفى مناقب عمر بن الخطاب لابی الفرج بن الجوزى عن ابن سعد قال : كان عمر استعمل النعمان بن فضلة على ميسان وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليها بميسان يسقى فى زجاج وحتم
فى أبيات يقول فى ختامها :

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمننا بالجوسق المنهدم
فلما بلغ عمر قوله قال : نعم والله إنه ليسوءنى ، من لقيه فليخبره أنى قد هزلته .

فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله ، فقدم على عمر فقال : والله ما أحب شيئاً مما قلت ، ولكن كنت امرأة شاعراً وجدت فضلاً من قول فقلت فيه الشعر . فقال عمر : والله لا تعمل لى على عمل ما بقيت (٢) .

فالإسلام حريص على سمعة الحاكمين ، لأن أخطاء الأمير بقاء مشهورة ، والصغيرة منه كبيرة ، وهو محاسب على مجرد القول إن حوسب العامة على مقارنة العمل فقط .

والإسلام هنا لا يفرق بين الاخلاق الشخصية ، وبين القيام بالأعمال الرسمية ، لأن الإسلام لا يقيم الدولة لحفظ السكيا كائناً ما كان ، ولكنه يقيمها لإعلاء المثل العليا الإنسانية التى أتى بها الإسلام ، تأمرهم بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . يقول المودودى : ... ويبدو لمن أنعم النظر فى دستور الدولة الإسلامية وغايته الحكيمة ووضعيته الإصلاحية ، أن هذه الدولة لا يتولى أمرها إلا الذين آمنوا بهذا الدستور ، وجعلوه غاية حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين لم يخضعوا لبرنامج الإصلاحى ولم يظهروا تأييدهم لخطته العملية فحسب ، بل كان الإيمان بصدق تعاليمه قد تغلغل فى عروقهم وكانوا على معرفة تامة بروحه وطبيعته وما يشتمل عليه من التفاصيل والجزئيات ، (٣) ويقول : إن إعلاء كلمة الله

(١) منهاج الانقلاب الإسلامى .

(٢) مناقب عمر لابن الجوزى - أشهر مشاهير الإسلام - المجلد الأول - ص ٢٩٩ .

(٣) نظرية الإسلام السياسية .

والدعوة إلى القيام بها تحتاج إلى رجال ذوى صلاح يتقون الله في السر والعلن ، ممن لا يلهمهم عن العمل بالشرعية والاستمساك بعروتها شيء من مطامع الدنيا ، ولا تصرفهم عن ذلك العقبات والشدائد ، (١) .

ولقد كان الإسلام في أحكامه حريصاً في إقامة الاعتبار المعنوى والقانونى للشخص على الأساس الاخلاقى ، ففي رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى : « المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، وأسقط الفقه الإسلامى عدالة من اعتادوا بعض التصرفات ، أو اتمنوا حرفاً فيها مساس بالكرامات ، وفي علم الحديث بلغ « التعديل والتجريح ، مبالغه ، فكيف بمن يلى للمسلمين أمراً من الامور ؟؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الائمة متفقون على أنه لا بد في المتولى من أن يكون عدلاً أهلاً للشهادة ، (٢) .

٣ — نزاهة الحكم :

فرض القرآن الكريم النزاهة قاعدة للحكم الإسلامى ، فقال تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ، ولقد حذر الحديث الشريف من كل ما فيه شبهة أو ظنة ، ولو كان هدية لا رشوة ، أورد أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود أن النبى ﷺ استعمل رجلاً من الأزد على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى إلى . فقال النبى ﷺ : « ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى إلى ؟؟ فهذا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا !! والذي نفسى بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ، إن كان بعيداً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى لإبطيه وقال : « اللهم هل بلغت ؟؟ . قالها ثلاثاً . »

ولنما تتحقق نزاهة الحكم بأمرين مهمين : عدم استلاب شيء من بيت المال وعدم استلاب ما في جيوب الخلق استغلالاً للتفوذ .

ولقد وجه الانظار إلى الحرص على مال الدولة بوضوح وقوة صاحب « السياسة

(١) منهاج الانقلاب الإسلامى .

(٢) السياسة الشرعية ص ١٩ .

الشرعية، ^(١) حيث يقول: «وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ماله، فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء - ليسوا ملاكا كما قال رسول الله ﷺ: «إني - والله - لا أعطى أحداً ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت، رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، فهذا رسول رب العالمين، قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره، كما يفعل ذلك المالك الذى أبيع له التصرف فى ماله، وكما يفعل ذلك الملوك الذين يعطون من أحبوا، وإنما هو عبد الله يقسم المال بأمره، فيضعه حيث أمره الله تعالى».

وأورد أبو جعفر الطبرى ^(٢) عن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «والله الذى لا إله إلا هو (ثلاثاً) ما من أحد إلا له فى هذا المال حق أعطيه أو أمنعه... وما أنا فيه إلا كأحدهم، ولسكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ﷺ، وقد وعى تاريخ الإسلام خطوات عملية لتنفيذ ذلك، ومحاسبة المتولين للأموال المسالمة على ما تحت أيديهم، والحرص بكل سبيل على نزاهة الآداة الحكومية وكانت المحاسبة تتم عن طريق الرؤساء وفى مقدمتهم الخليفة، ثم تطورت بعد تدوين الدواوين وارتقائها واتساع دائرة الحكم فصارت فى يد جهات خاصة تتولاها.

يتبع

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

أول معرفة الأخطل بجرير

قال محمد بن سلام الجمحي: حدثني شيخ من ضبيعة قال: خرج جرير إلى الشام، فنزل منزلاً لبني تغلب، فخرج مثلباً عليه ثياب سفره، فلقبه رجل لا يعرفه فقال: بمن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أما سمعت ما قلت لغاوى بني تميم؟ (وأنشده مما قال لجرير)، فقال له جرير: أما سمعت ما قال لك غاوى بني تميم؟ (وأنشده). ثم عاد الأخطل، وعاد جرير في نقضه، حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغلبي: من أنت، لا حياك الله؟ والله لكأنك جرير! قال: فأنا جرير... قال التغلبي: وأنا الأخطل...

في الفقه الإسلامي نشأته - خصائصه

١ - تسكلمنا فيما سبق عن نشأة الفقه الإسلامي وتدرجه حتى وصل إلى كماله ، وعن دور التقليد الذي أخذنا بحمد الله في التخلص منه ، والآن نتسكلم عن بعض خصائص هذا الفقه . ومن المفهوم أن لكل من القوانين التي عرفها البشر ما يتميز به عن القوانين الأخرى ، وبذلك يكون له طبيعته أو طابعه الخاص .

وخصائص فقه الإسلام كثيرة ؛ ومنها ما يرجع إلى طبيعته نفسها ، وما يرجع إلى الأصول التي قام عليها ، وما يرجع إلى الوسائل التي يصطنعها في تقرير أحكامه في العقول والنفوس ، وما يرجع إلى الغاية التي يهدف لها ويرضاها الشارع الحكيم الأعظم للعالم كله . وليس من الممكن استيعاب هذه الخصائص ، ولو بإجمال في كلمة أو كلمات محدودة ؛ ولهذا لا بد من الاكتفاء بالكلام عن بعض هذه الخصائص ، ومن الرضى بالإجمال بدل التفصيل .

٢ - وأول خاصة للفقه الذي نعرفه للإسلام ، أنه يرجع في أصوله وأساسه إلى وحى الله تعالى ، هذا الوحى الذى يتمثل فى القرآن والسنة . وكان هذا ، لأن الإسلام جاء للعالم والإنسانية عامة بعد الديانات السابقة ، التي كانت محدودة في الزمان والمكان ، وبعد أن استفد كل منها أغراضه وأدى رسالته ، فأصبحت البشرية تحس الحاجة الشديدة لدين جديد ، يكون خاتم الأديان التي عرفتها . وكان هذا الدين هو الإسلام ، وكانت وسيلته — لتصل الإنسانية إلى ما ترجوه من حياة العز والكرامة والسعادة — بيان العقيدة الحققة وتقريرها ، وتشريع القوانين التي يصلح بها العالم على اختلاف الزمان والمكان ويسعد بها الفرد والجماعة . ولا عجب في هذا ، فلم يتنزل وحى الله بالإسلام ليكون ديناً للجنس دون آخر ، ولا لامة دون أخرى ، بل للعالم جميعاً على اختلاف ألوانه وأجناسه ومواطنه ، وعلى مر الزمن والقرون . ومن هنا كان لا بد أن تكون تشريعاته عن الله العليم بحاجات البشر عامة ، الخبير بما يصلحون عليه في العاجل والاجل من الزمان ، بل وفي الدار الأخرى أيضاً .

٣ - أساس هذا الفقه هو إذاً ما جاء في كتاب الله الحكيم وسنة رسوله العظيم ﷺ ، وفي هذين المصدرين الكريمين المقدسين نجد الأسس العامة ، بل التفصيلات في حالات كثيرة يجب فيها التفصيل ، لكل ما عرف العالم من قوانين حديثة عديدة :

المدنى المسالى ، الجنائيات ، الدستورى ، الدولى ، وغير ذلك كله من فروع القانون وأقسامه . وكل فقيه من فقهاء المسلمين ، رضوان الله عليهم جميعاً ، يرى نفسه مقيداً بنصوص القرآن وسنة الرسول ، ويجد فيهما غناء أى غناء ! فإن أعوزه النص من القرآن المحكم والسنة الثابتة الصحيحة ، كان له أن يجتهد مستهماً روح الإسلام وأصوله ومقاصده . نريد أن نقول ، بأن على المجتهد المسلم أن يدور دائماً فى ذلك الكتاب والسنة ، وأن لا يتعدى فى اجتهاده مسارهما ، وإلا فلا قيمة لما يخرج به من رأى يؤديه إليه عقل ناقص محدود القوى بطبيعته .

٤ — وقيمة أى قانون لا نجى من إحكام وضعه وحسن تنظيمه لحسب ، ولا يتحقق ما يرجوه من أهداف وغايات بتنفيذه على غير رضى ممن وضع لهم ، إنما يكون ذلك كله إذا كان تنفيذه والنزول على تشريعاته مرجعه إلى اطمئنان النفوس له والإيمان ببعده ، وإلى الاعتقاد بأن فى طاعة هذا القانون المثوبة وحسن الجزاء .

وهنا نجد الفقه الإسلامى بلغ الذروة من ذلك كله ، بما نرى من قيام كل تشريعاه على ركائز ثابتة من الدين والأخلاق ، وهذا يجعل النفوس تؤمن بها كل الإيمان وترضى بها كل الرضاء ، لا فرق فى ذلك بين المسلمين وغير المسلمين . فلا يحاول أحد من المؤمنين بها التفلت من شيء من أحكامها وإن لم يخف سلطان القانون والقضاء . وقد يكون من الخير أن نضرب بض المثل لما نريد بيانه ، ويكون فيها غنية عن كثير من المثل التى نراها على جعل الذراع لمن يريد : (١) لا يعيش الإنسان فى قريته أو بلده وحده ، بل له من أمثاله جيران يشركون فى كثير مما لا يستغنى عنه فى حياته . وهنا نجد القوانين الوضعية التى تختلف باختلاف من وضعت لها من الأمم والشعوب لا تعمل فى هذه الناحية أكثر من بيان ما للجار من حقوق على جاره ، ثم تقدير عقوبات لمن يخرج عليها . ومن ثم ، نجد خصومات كثيرة تجر من هذه الناحية ، ويصل الكثير منها للتضاء ، على أن هذا لا يمنع من بقاء العداء بين المتقاضين .

لكن الله العليم بما فطر عليه الإنسان من حب النفس والآثرة ، وبأنه لا يقبل تنفيذ القانون إلا بوازع قوى من ضميره يغرسه فيه الدين ، نراه يؤكد قبل كل شيء ما للجار من حقوق وما عليه من واجبات لجاره ، ويذهب فى هذا السبيل إلى حد أن جعل القيام بحق الجار أمراً مفروضاً يجىء بعد الإيمان بالله جل وعلا ، فيقول فى سورة النساء : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب » . ثم نرى الرسول ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، وفى حديث آخر : « فليكرم جاره » .

وبعد أن يقدر القرآن والسنة حق الجار هكذا على جاره ، تغدو مهمة الفقهاء والمشرعين هيئة يسيرة : فما عليهم إلا أن يبينوا هذه الحقوق ، وما يقابلها من الواجبات ، فإذ بالمؤمن بالله وكتابه ورسوله يسارع لإعطاء الجار حقوقه ، ما دام وحى الله - المتلو وغير المتلو - يأمر بإكرام الجار وليس غصب بإعطائه حقوقه . وحيث أننا لسنا في حاجة للقضاء ، إلا لمعالجة من لم يخاطب الإيمان قلوبهم وينزع ما فيها من عوامل الأثرة والظلم .

(ب) وجرى الأمر أيضاً على هذا المنهج الحكيم في فرض الزكاة والجهاد في سبيل الله والوطن . فإن الله ، جلت حكمته ، يعلم ما فطر عليه الإنسان - إلا من عصم الله من مصطفيه الأخيار - على الشح بالمال والنفس ، ولذلك ترى الشارع الأعظم يهدم لفرض الزكاة بأنها تطهر المال وتنمية وتركى النفوس . فقال : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » ، ثم ترى الرسول يقول : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملئوا منى ليلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » ، كما جاء في البخارى ومسلم . أما فيما يختص بالجهاد ، فنجد القرآن يقول : « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، ويقول : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » . وبعد ذلك ، نجد الرسول يؤكد هذا فيقول : « لغدوة في سبيل الله أو روحه ، خير من الدنيا وما فيها » ، ويقول : « تكفل الله لمن جاهد في سبيله ، لا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته ، أن يدخله الجنة أو يردده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة » .

وكان لهذا المنهج النفسى الحكيم لنشر الجهاد فرضاً على المؤمنين ، ونشراً للإسلام وزياداً عنه وعن الوطن ، أثره البالغ في تحبيب الاستشهاد إلى المؤمنين ، حتى إن جابر بن عبد الله يقول للنبي عليه الصلاة والسلام يوم أحد : « رأيت إن قتلت ، فأين أنا ؟ » ، قال في الجنة ، فألقى ثمرات في يده ثم قاتل حتى قتل .

• — وبعد ذلك ، فهناك خاصة أخرى للفقه الإسلامى تنصل من قرب بسابقتها . إن القانون الوضعى يمكن أن يعرف بأنه « مجموعة القواعد التى تنظم الروابط الاجتماعية ، والى تقرر الدولة الناس على اتباعها ولو بالقوة عند الاقتضاء »^(١) . ومن هذا التعريف يتبين أن من خصائص القانون جزاء من يبعد عن أحكامه ، إلا أن هذا الجزاء يكون دنوباً بطبيعة الحال ، لأن واضعه لا يملك شيئاً من أمور الآخرة وما فيها من ثواب أو عقاب ، بل لا يملك

(١) أصول القانون للأستاذين عبد الرازق السنهورى وأحمد حشمت أبو سبت ، ص ١٣ .

لنفسه نفعاً أو ضرراً في هذه الحياة الدنيا . ومن أجل ذلك ، لا جناح على من يستطيع الإفلات من هذا الجزاء الدنيوى ، اللهم إلا تأنيب الضمير .

كما أن القانون ليس له إلا غاية نفعية ، هى تنظيم المجتمع واستقرار أموره على النحو الذى يفهمه واضع القانون ، وهذه الغاية النفعية محدودة ، لأن عقل واضعه قاصر محدود . ومن ثم ، ترى القساون كثيراً ما يبيع أموراً لا تتفق مع الدين الحق والخلق الصحيح وفائدة المجتمع البعيدة ، مثل الزنا ، وشرب الخمر ، والقمار فى بعض صوره .

أما الفقه الإسلامى ، وهو قانون سماوى شرعه الحكيم العليم المحيط بالعالم كله ما كان منه وما لا يكون ، فهو يهدف لسعادة المجتمع القريبة والبعيدة والدائمة ، لا المنفعة العاجلة المحدودة فقط ، وهو يثيب ويعاقب فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى الخالدة . ولذلك يحس المؤمن به بدافع نفسى ووازع قوى يجعله يطيع ما يأمر به وينهى ، حتى ولو أمكن له أن يكون بنجوة من عقابه فى الدار الدنيا . وليس كهذا باعثاً على إثبات التشريعات فى رضى من النفس واطمئنان .

والتشريعات الفقهية تقصد لصالح الفرد والمجتمع فى كل آن ومكان ، وهذه غاية نفعية بلا ريب . إلا أنها تعمل على بناء مجتمع يكون مثالياً نقيماً بما يشوب الدين والخلق وبجافهما ، كما أنها تعمل أيضاً على أن يذبح الإنسان من نفسه للقيام بواجبه نحو خالقه ونحو نفسه وإخوانه فى الإنسانية .

٦ — وهنا نجدنا نصل إلى الحديث عن خاصة هامة أخرى للفقه الإسلامى ، وهى خاصة لها خطرهما هذه الأيام التى اشتجرت فيها الحرب بين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية ، ونعنى بهذه الخاصة النزعة « الجماعية » ، التى تسود الشريعة الإسلامية . ونريد بكلمة : « جماعية » ، معنى أوسع من كلمة « اشتراكية » ، التى أخذت معنى خاصاً هذه الأيام ، حتى يشمل الناحية المالية وغيرها من الحقوق والواجبات جميعاً . وهنا نجد كثيراً من المثل التى لها قيمتها : (١) إن للحكام وولاة الأمور أن يسمع لهم الشعب والرعية ، ولكن هذا الحق مقيد بأن يكون هدفهم المصلحة العامة للأمة جميعاً ، وفى هذا يقول الرسول : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وأكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، وهذه الكلمة الجامعة تعبر خير تعبير عن أصل من أصول الحكم والسياسة العامة للدولة ، إذ أنها تحدد بدقة العلاقة التى يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم .

(ب) ويروى أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى عام ٢٣٤ هـ . عن أبي عبيدة بن الجراح أن ناساً من أهل البادية سألوه أن يرزقهم من مال الامة ، الذى تحت يده ، فقال : لا ، حتى أرزق أهل الحاضرة أولاً ، فمن أراد بحجة الجنة فعليه بالجماعة ، وبمثل هذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يزيد بن الحصين يقول : « مر للجند بالفريضة : و عليك بأهل الحاضرة : وإياك والاعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدتهم ، . وهذا ليس معناه أنه ليس للبدو حق في بيت المال العام ، ولكن معناه أنه ليس لهم الحق في رواتب جارية في أهل الحاضرة بل على الدولة أن تعينهم في أوقات الشدة ، كما إذا دهمهم عدو أو أصابتهم جائحة في أرزاقهم ^(١) .

وربما جازلنا أن نشير بعد هذين المثلين ، تدليلاً على نزعة الفقه الإسلامى الجماعية ، إلى فرض الزكاة ، والحث على الصدقة وضروب البر المختلفة ، وترك عمر بن الخطاب سواد العراق والشام بيد أهلها على أن توضع عليهم الجزية والخراج ، بل تقسيمه بين الفاتحين ، وذلك ليكون ما يحصل من ذلك عوناً وذخراً للامة جميعاً .

(٧) وهذه النزعة ترجع فيما نعتقد إلى أن الإسلام يعتبر أن الإنسان وكل ما يراه من حقوق له هو ملك لله وحده ، وهو يمنح منها ما يريد للفرد لتحقيق الخير له وللجمتمع معاً على حين يرى القانون الوضعى ، وعلى الأقل في الماضى القريب ، أن الفرد هو كل شيء ، فسا يجعله من الحقوق له يعتبر أمراً طبيعياً ، ولا حرج عليه حينئذ إن أساء استعمالها أو إن لم ير أن للجمتمع حقاً مفروضاً عليه .

وبعد ، هذه بعض الخصائص التى تجعل للفقه الإسلامى طابعاً خاصاً يتميز به عن القوانين الأخرى ، وهى خصائص من شأنها أن تجعل من الفرض على المسلمين في هذا الزمن دراسته بقصد الانتفاع به والإفادة منه على وجه عملى . وفى الكلمة الآتية ، وهى تمة هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، بيان الغاية التى نراها حقيقة بالطلب من دراسة الفقه هذه الأيام ، وبيان الوسيلة التى نراها لبلوغ هذه الغاية ، وبالله العون والتوفيق .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

أَكْمَلُ رُسُلِ الْإِنْسَانِ

حديث لفضيحة الاستاذ الأكبر
في احتفال الأزهر بالمولد النبوي الشريف

يحتفل العالم الإسلامي اليوم بمولد الإنسان الكامل، الذي اختاره الله للخل أكمل رسالاته إلى البشر كافة، فكان هذا الحادث في تاريخ الإنسانية الحد الفاصل بين الحق بموهباً بأهواء المتغابين ومطامع المغالطين وأغراض الظالمين، فهو لذلك عرضة للتغيير والتبديل. وبين الحق الأبلج النقي من شوائب الأهواء والمطامع والأغراض، فهو لذلك ثابت خالد إلى يوم الدين. إنه احتفال بمولد الحق مجرداً خالصاً صافياً، وبدعوة الخير عامة شاملة كاملة.

إنه احتفال بآلة الإنسانية من عهد طفولتها ورعونتها، إلى ما ينبغي لها عند اكتمال نضجها وبلوغها عهد رشدها.

كل ذلك مما يحتفل به العالم الإسلامي اليوم، إذ يحتفل بمولد خاتم رسل الله محمد صلوات الله وسلامه عليه. وقد أكرمه ربه بما حلف به ولادته من أصالة النسب وصفاء الفطرة وسلامة الخلق. ثم استرضع في بني سعد بين أخبية البادية وآفاقها، فازدادت آصرته بالبيئة السعيدة البعيدة عن شوائب المجتمع. وكان كلما شب بعد ذلك ونما، اتسعت شهرته بين قومه بالأمانة والصدق والاستقامة في الطريق المستقيم، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال دعت السيدة خديجة بنت خويلد إلى الزواج بها، لما اشتهر به من كريم الفضائل ومعالى الأخلاق، فأجابها إلى ذلك، ورأى فيها من الكمال والوفاء ما قابلها عليه باحسن منه.

ولما قارب أمر الرسالة، جعل يختل في غار حراء للتعبد والعبادة ومناجاة الله عز وجل، فكانت زوجته السيدة خديجة، رضى الله عنها، تساعد على ذلك وترسل إليه زاده في هذه الخلوة القدسية بينه وبين ربه.

وأن أوان بعثته العامة الشاملة إلى الأمم كلها عند ما بلغ من عمره الشريف نحو الأربعين، فأوحى الله إليه في سورة الأنعام — وهي مما أوحى به إليه في مكة قبل الهجرة — «قل الله شهيد بيني وبينكم»، وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ، فهو صلى الله عليه وسلم

نذير برسائله لمعاصريه ، ولكل من تبلغه دعوته فى كل زمان ومكان تتلى بهما آيات هذا القرآن على ألسنة الأمم ، فتبلغ أحكامها وحكمها مسامع الاجيال ، ولأن رسالته عامة شاملة كتب رسائله المشهورة إلى ملوك الأرض فى زمنه : قيصر وكسرى وهرقل والمقوقس والنجاشى وملكى عمان وغيرهم ، يوجه فيها الدعوة إليهم وإلى أممهم بأن يدخلوا فى دين الله . وقد تحمل صلوات الله عليه فى سبيل أداء الرسالة وتبليغ الدعوة ما كان يتحمل أنبياء قبله من الآذى والجفوة والصد عن قبول الحق ، إلى أن استجاب له الانصار وبايعوه على الإيمان ، ثم نهضوا مع إخوانهم المهاجرين لمقاومة من يقف فى سبيل الدعوة أو يصد عن انتشارها ، فكتب الله النصر لدعوة الحق فى بدر ثم فى غيرها ، إلى أن فتح الله لرسوله مكة أم القرى ، وتم تطهير بيت الله الأعظم من لوث الوثنية ، ودانت العرب كلها لهذا الدين القيم ، فما انتقل صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى حتى كان سكان جزيرة العرب كلهم ، قد آمنوا إلا طائفة من اليهود والنصارى أبقاهم صلى الله عليه وسلم على دينهم ، ومنحهم ذمة الإسلام المتكفلة بحماية أنفسهم وأموالهم وشعائهم .

ولقد عمل أصحابه السكرام رضوان الله عليهم بهدائه وساروا على سنته السنية ، فضوا فى الدعوة بدمه إلى دين الحق ، ملتزمين ما التزمه صلى الله عليه وسلم من العدل والرافة والرحمة ومكارم الاخلاق ، لا يفرقون فى ذلك بين من اتبع دينهم أو خالفه ، عملاً بقول الله عز وجل فى سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وبذلك فتحت لهم الممالك ، واستجاب لدعوتهم الأمم ، ووجد شعوب الأرض فى هذه الدعوة كل ما كانوا ينشدونه فى مطالب الحياة من حقوق وموارث وآداب ومواعظ وأخلاق وحكم وإرشاد لا كل الأحكام فى الحرب والسلام ، وكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع الصالح فى هذه الحياة . ومع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا من جزيرة العرب ليحققوا الانقلاب العظيم ، الذى أراد الله أن يكون به الحد الفاصل بين الحق والباطل ، كانوا قلة بالنسبة إلى الممالك والامبراطوريات التى واجهوها بدعوتهم ، فإن الله عز وجل جعل الغلبة لهم منذ تعلموا من هدايتهم القرآنية أن العبرة فى الغلبة ليست للكثرة التى لم يلازمها الخزم والإخلاص للحق والصبر عليه ، وذلك فى قول الله عز وجل من سورة المائدة : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث ، » وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الكثرة إذا تجاوزت عن الحق والخير بأنها « غناء كغناء

السيل ، ، وقال الله عز وجل في سورة البقرة : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، .

لجعل فضيلة الصبر على إقامة الحق من أسباب الغلبة والنصر ، ولو كان القائمون بالحق الصابرون عليه قليلا عددهم عند مواجهتهم الكثرة من أنصار الباطل ، وبهذا ربي الإسلام من أبنائه الأولين كتلة حازمة لا تهاب الموت في سبيل عزتها والدفاع عن حقها ، فعاش المسلمون الأولون سادة قادة ذادة يحميمهم الحق ويحمونه ، وتجميلهم فضائل الأخلاق ويحملونها ، ويملاون الدنيا عدلا ورحمة ، وتحوطهم الدنيا بالعزة والغبطة الإعجاب .

ولما فشلت كثرة الباطل في قمع الحق الذي يثبت به صاحب هذه الذكرى صلوات الله عليه ، أراد المبطلون في زمن البطن الأول من أصحابه أن يفسدوا دعوة الحق بالانتساب إليها ، ودس العقائد الباطلة فيها ، فأفشوا في بعض الضعفاء دعوة تأليه على عليه السلام ، وبعض من ينتمى إلى آل البيت ، فكان أول من غضب لهذه الدعوة وبطش بالمبطلين من أصحابها ، على نفسه كرم الله وجهه ، ومن ذلك اليوم انفتحت جبهة أخرى للدفاع عن الحق الذي بعث الله به رسوله ، بقيام طائفة من أئمة الإسلام في كل زمان ومكان يفرقون بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغى والصدق والكذب ، وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء ، وبهم حفظ الله دينه الذي وعد بحفظه إلى يوم الدين .

إن ذكرى مرلد صاحب هذا الانقلاب الإنساني العظيم تذكرنا بكل ما كان لهذه الدعوة من أثر عظيم في عقول البشر وأخلاقهم ومداركهم ، وبالنجاح المنقطع الظير لمن عملوا بها في أنفسهم ، وتطوعوا لنشرها بين الناس ، وهى تدعونا إلى أن نرجع من جديد إلى هداية الإسلام كما كانت في صفائها وتقاها ، ليرجع لنا أثرها من العزة في أنفسنا ودولتنا والسعادة في بيوتنا وأوطاننا ، والكرامة بين شعوب الأرض .

صلى الله وسلم على معلم الناس الخير وعسى الله أن يهدى أمته للرجوع إلى هذا الخير ، في هذا العهد الطاهر المبارك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

افتحوا للفقهاء أبواب الحياة

الفقه مجموعة الاحكام التى تنظم علاقة الناس برهيم وعلاقة الناس بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، فهو حلول ومخارج من المشاكل التى مست المجتمع فأشقت الحياة وأضرت بنى الإنسان . وكما أن الطبيب المداوى لا يعالج من الأمراض إلا ما انتاب الاجسام ، كذلك الفقه ما كانت تشرع أحكامه إلا بقدر ما يحدث من قضايا وما يجد من جرائم وينشأ من مظالم ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز « تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا ، . وأحكام القرآن الكريم إنما نزلت بسبب حوادث وقعت فى عهد النبي ﷺ وأسئلة وجهت إليه ، وهكذا أمر الاحكام فى السنة الكريمة .

والمجتهدون من عهد الصحابة ما كانوا يجتهدون إلا فى حكم ما يجد من النوازل ، وكأول يكرهون الإفتاء فيما لم يقع ، ولهذا روى عن معاذ أنه كان إذا استفتى فى مسألة لم تقع يقول « أيها الناس ، لا تستعجلوا البلاء قبل نزوله ، ، ورى مثل هذا عن عثمان وعلى ، وكان بعضهم يقول « دعوها حتى تقع ، ولما فتحت الممالك على المسلمين ونشأ فيها المجتهدون كالآئمة الأربعة وغيرهم فصلوا باجتهادهم فى مشاكل هذه البلاد التى لم تكن فى الغالب موجودة فى منازل الوحي بحكم تغير العادات وكثرة مشاكل المدينة .

ولهذا رأينا القضايا التى ذكرت أحكامها فى الفقه تمثل عادات البلاد التى دون لها ، فالفقه الحنفى يمثل حياة العراق وبلاد العجم والهند ، والفقه المالكي يمثل حياة الحجاز والمغرب والاندلس ، والفقه الشافعى يمثل الحياة فى مصر ، والفقه الحنبلى يمثل الحياة فى العراق والشام ، والفقه الزيدى يمثل حياة اليمن ؛ وهكذا ، فمجموعة الاحكام المسأورة فى المذاهب المختلفة إنما هى أفضية وفتاوى لأمور كانت وطلب فيها رأى الشريعة ، ومع هذا فإن بعض هذه الاحكام تغيرت ظروفها وتبدلت لتبدل عللها ومقتضياتها ، وبعض الاحكام التى كانت راجحة فيما مضى للمصلحة التى دعت إلى تشريعها أصبحت مرجوحة لتغير وجه المصلحة فيها ، ولا نريد بهذا طبعاً الاحكام التى نص عليها الكتاب والسنة ،

وإنما نريد الأحكام الاجتهادية ، فإنه قد يتغير فيها وجه الاجتهاد لتغير الأسباب التي بنيت عليها . ومنذ المائة الرابعة . تقيد الفكر الفقهى نوعا ما ، فبعد أن كان الفقيه هو المجتهد المطلق الذى يستمد أحكامه من مصادرها الاولى : القرآن والحديث والإجماع وفتاوى الصحابة والقياس على المنصوص . أصبح يفكر فى دائرة نصوص إمامه الذى يقلده ويتقيد بأصوله وفروعه . وإذا جدد قضية لم يجد لها من قبله إمامه ولحقا النظر بالنظر ، ومع هذا استطاعوا على مر العصور أن يحلوا مشاكل المجتمع ويسعدوا حياة الناس ويظهروا عدل الله بينهم .

ومنذ عهد بعيد تعطل الفقه فى باب العقوبات فلم يعد يفصل فيها بأحكام الشريعة ، ومنذ عام سنة ١٨٨٣ تعطل عمل الفقه فى المعاملات المالية والتجارية وأصول التقاضى فلم يعد يفصل فيها إلا بالقانون الفرنسى المصرى فيما بعد ؛ فأصبح الفقه من هذا التاريخ عضوا أشل ومصباحا لا يضيئ. ولأسانا لا يتكلم ، لأن القضايا فى المحاكم لم تعد تستقضىه ، ولأن مشاكل الناس لم تستفتيه ، على حين جددت بين الناس مشاكل جمة وقضايا معقدة دعت إليها المدنية وانتشار العمران والحروب التى نشبت والانقلابات التى حدثت ، كمشاكل الطيران والكهرباء والبخار والأسلحة الحديثة وأساليب جديدة فى التجارة ومضاربات فى البورصة وشركات تعقد على أوضاع مختلفة ومصانع تؤسس ، وبشكل وضع من هذه حكم كان يستطيع شرع السماء أن يقوله وأن يستنبطه لو استفتى ، لكن استفتيت قوانين الناس ، والناس أفكارهم محدودة يؤثر فيها الزمان والمكان وتسخرها الأغراض والشهوات . ولو استشير الفقه لنتق لسانه بالعدل الإلهى ونشر مصباحه النور السماوى ، وبعد هذا يقول الناس إن الفقه مقيد ، إن الفقه مسجون ، ولو حل قيده ، وخرج من سجنه وسأله الفاضى والمفتى فى كل ما يرفع من القضايا والاستفتاءات وترافع بنظرياته المحامى لكان قادرا ولكان خيرا وبركة على الناس .

فإلى أن تقضى المحاكم بالشرع الإسلامى فى القريب إن شاء الله بفضل هذه النهضة المباركة الى قامت دعائمها على الإصلاح الشامل ، ولا يصالح آخر هذه الامة إلا ما صلح به أولها : إلى أن يكون هذا ، على الأزهر أن يمد له ؛ فيكتب الفقه من جديد ، ويقرأ القوانين الحديثة ليعرف ما جد من القضايا فيحكم فيها بأحكام الشريعة ، ويعرف ما فى القانون من نظريات أحكمها الأفكار المتلاحقة التى لو عملت فى محيط الفقه الإسلامى لانتجت أحسن الآثار . عليه أن يكون لجنة من رجال المذاهب المختلفة المبرزين فى فقههم ، ويضم إليهم عددا من علمية

رجال القانون المعروفين بالإيمان بالله والإخلاص لدين الله فيسكتبوا القسم المدنى وقسم المقوبات والمرافعات على ضوء ما جد من المشاكل ، ليحكموا فيها كلها بشريعة السماء . عليه أن ينشئ في كلية الشريعة كرسيا لدراسة النظريات القانونية على ضوء الفقه والموازنة بين الشريعة والقانون كما درس القما ، الفلسفة اليونانية في ضوء عقائد الإسلام وردوا الباطل منها .

بهذا نستطيع أن نستعد من الشريعة قانون البلاد ، وبهذا يمكن للفقہ أن يعيش . أما إن تركت كتبه في رفوف المسكنات يأكلها السوس ، وذهب الناس في حياتهم الهاجعة المأجعة يبعون حكم الجاهلية فال موت للفقہ والفناء له والاضلال للناس ؛ فافتحوا للفقہ أبواب الحياة .

أحمد فرهمى أبوسنة
مدرس بكلية الشريعة

القليل المتواصل والكثير المنقطع

روى المرباني في كتاب (الموشح) أن الأخطل أتى الغضبان بن القبعثرى الشيباني في السكوفة وكان سيد بكر بن وائل ، فسأله في حالة . فقال له ابن القبعثرى : إن شئت أعطيتك ألفين وإن شئت أعطيتك درهمين . قال الأخطل : ما بال الألفين وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتك ألفين لم يعطسكها غيرى إلا قليل . وإن أعطيتك درهمين لم يبق بكرى بالكوفة إلا أعطاك درهمين ، وكتبنا لك إلى إخواننا من أهل البصرة فلم يبق بكرى إلا أعطاك درهمين خفت عليك المؤونة وكثر لك التيل . قال الأخطل : فهذه إذن . قال : تقسمها لك إلى أن ترجع من البصرة ، وكتب له بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة .

الكتب الفلسفية

وَمَا اعْتَرَاهَا مِنْ تَحْرِيفٍ الْوَرَّاقِينَ

وسبيل صلاحها

في مصر الآن نهضة لإحياء كتب الفلسفة والعلوم القديمة ، تقوم بذلك وزارة المعارف إذ قررت أن يطبع كتاب « الشفاء » لابن سينا ، وسائر كتبه المنطقية والرياضية والإلهية والأخلاقية احتفالاً بذكرى مرور ألف سنة على وفاته ، ويقوم بذلك بعض دور النشر وبعض الأفراد كالاستاذ عبد الرحمن بدوى إذ نشر من كتاب المنطق لأرسطو خمسة كتب : المقولات ، والعبارة ، والقياس ، والبرهان ، والجدل . ويقوم به أيضاً في خارج مصر بعض المستشرقين كالأب بويج إذ نشر « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، و « تهافت التهافت » لابن رشد ، و « تفسير ما بعد الطبيعة » لابن رشد أيضاً ، وبعض كتب أخرى . وهذه جهود أشكر لهم ، لأنهم يعانون الأمرين من هذه الكتب الخطية القديمة . لأنها رديئة الرسم أحياناً وغريبة الاصطلاح أحياناً وقد يكون عدا عليها الدهر فأكلتها الأرضة ، أو أصابها بلل فحاربها بعض سطورها ، وإن أحدهم ليجت عن النسخ المتعددة من الكتاب الواحد في العالم فينسخها أو يصورها ، ويقابل بعضها ببعض ويبين مواضع الاختلاف في مطبوعه ، وهذا جهد ليس بالقليل فهو مضمن وفوق الطاقة ، يقر بذلك من كابد بعض الكتب الخطية القديمة .

ولأننى أذكر أننى علمت أن جامعة فؤاد الأول استحضرت مصوراً من كتاب المنطق لأرسطو عن مخطوط بياريس ، فذهبت إلى كلية الآداب ، وحاولت أن أنتفع به فلم أفلح لرداءة خطه وطمس سطوره . وقيل لى إن التصوير غير متقن ، فما هو إلا أن رأيت بعد ذلك بإخراج الاستاذ عبد الرحمن بدوى مطبوعاً أنيقاً ، وعلى ورق مصقول فأخذت أقرأ لا تعييني القراءة ، فكم من يد أسداها لمحجى العلم ، وكم من يد يسديها الناشرون ، وكم من يد تسديها

وزارة المعارف بتدليل السكتب العلمية القديمة ، وتيسيرها للقارئ والدارسين . لقد ذكرنا أنهم لم يألوا جهدا في تيسيرها للقارئ ، فهم يحرصون بأمانة على أن يجعلوا المطبوع صورة مطابقة للأصل من المخطوط ، وإن كانت هناك نسخ متعددة بينها اختلاف بينوه ، ولكن هناك معضلة في هذا الإحياء كله ، ليست معضلة كتاب واحد وإنما هي معضلة السكتب جميعا ، ذلك أن هذه الفسخ الخطية قد اعترأها المسخ والتشويه والتبديل ، فاماؤلف أو المترجم يخرجها صحيحة مبرأة من العيب . ولكن الحاجة تقضى بأن نعلم وتداول فينسخ منها ناسخ ، فيصحف كلها ويسقط كلها ويزيد كلها ، وتصبح نسخته هذه إماما فينسخ منها ناسخ فيعتريه ما يعترى الأول فيقع في خطئه ويزيد عليه مثل ، أو أكثر ، مما صنع الأول ، وهكذا تتعاوره السفاخ ويتداوله الوراقون حتى يعود خطأ بحثنا وباطلا صرفا .

فإذا حافظ الناشر على أوضاع هذه النسخة فهم يحافظون على الخطأ ، ويتحرون الفاسد . وكثرة ما يطبع من هذا القبيل ، وإنه في السكتب الفلسفية العلمية أكثر ، وفي السكتب الدينية والأدبية أقل ، ذلك لأن هذه قد اتصل سندها وكثرت العناية بها فكانت تقابل وتدرس وتحرقى حتى جاءت أقل خطأ وتحريفا ، أما الفلسفة فقد انقطع سندها وقل المشتغلون بها وكانت الناسخون لكتبها يجهلون ما فيها ، ومن هنا وقع النسخ والتغيير والتبديل والتحويل .

وإنى أريد أن أمثل لما قلته بكتاب المنطق لأرسطو ، الذى أخرجه الأستاذ بدوى . لقد ذكرت أنه قام بجهد عنيف مشكور حين أخرجه ، وحين أبرز هذه النسخة القديمة البالية ، في هذا الثوب القشيب .

لقد عكفت على قراءته فلم أفهم ، وعادوت القراءة فلم أفهم ، فأنكرت نفسى أولا ثم أنكرت النسخة ثانيا واتهمتها بالتحريف ، فقرأت على أن لا أتبع الالفاظ ولا أنقيد بالكتابات ، وإنما أفهم من السطور ومن بين السطور ، وأستخلص المعنى من مجموع الكلام ، فإذا ما استوى لى ذلك ، بحث عما كان يلزم من الالفاظ لتستوى العبارة ، فإذا التصحيف تارة ، وإذا الحذف تارة ، وإذا الزيادة تارة أخرى ، فإذا ما كمل ذلك فى الباب أو الفصل سهل فهمه ، وعذب مورده ، لا لإغلاق فيه ولا لإلغاز . وسأمثل :

ورد فى نسخة المنطق المطبوعة ص ٣١٠ فى أوائل كتاب البرهان ، وقد تجب ضرورة

ما يقدم فيعرف على جهتين ، فبعضها يحتاج من الضرورة إلى أن تتقدم فتتصور أنها موجودة ، وبعضها الأولى أن تفهم فيها على ماذا يدل القول ، وبعض الأشياء قد تدعو الضرورة إلى أن يتقدم فيعرف من أمرها كلا الصنفين .

وهذه عبارة تجدها قلقة مضطربة لا تكاد تفهم فإذا علمت أنه يريد أن يقسم مبادئ البرهان التي يجب أن تعرف قبل البرهان إلى ثلاثة أقسام : الأولى ما يجب التصديق بوجوده ، والثاني ما يجب تصور ما يدل عليه اللفظ ، والثالث ما يجب فيه الأمران جميعا ، علمت ما في العبارة من تصحيف وإن كان حقها : « وقد تجد ضرورة ما يقدم فيعرف على جهتين فبعضها يحتاج من الضرورة إلى أن يتقدم فيتصور أنها موجودة ، وبعضها إلى أن تفهم فيها على ماذا يدل القول » .

فاظن كيف وقع التحريف فسد طريق الفهم فلما أصلح تيسر فهمه . وورد في ص ٣١٣ : « وأما أن البرهان من أوائل غير مبرهنة فذلك أنه لم يكن يوجد السبيل إلى أن تعلم إذا لم يكن عليها برهان ، وذلك أن معنى أن تعلم الأشياء التي عليها برهان لا بطريق العرض إنما هو أن تقتنى البرهان عليها » .

فإذا علمت أنه يريد بهذا أن يبين أن البرهان لا بد أن ينتهي إلى أوائل ليس عليها برهان لأنه إذا كان عليها برهان لم يمكن أن تعلم إلا به فيتسلسل والتسلسل محال ، أدركت أن في العبارة تصحيفا وأنه يجب أن يقال بدل إذا لم يكن عليها برهان : إذا لم يقتن عليها برهان .

وقد تجد تصحيف الكلمات من فتح حرف فيها إلى كسره يجعل العبارة مغلفة لانفهم ، فإذا فتح الحرف بعد كسره عرف ما يراد منها كما ورد في الصفحة نفسها « وأما أنها أقدم فإن كانت عللا ، بكسر همزة فإن — وإذا كانت عللا فماذا ؟ » .

فإذا علمت أن أرسطو يشترط في مبادئ البرهان أن تكون أقدم من النتيجة ، واستدل على ذلك بأن المبادئ يجب أن تكون عللا لما قدمه ، فيلزم أن تكون أقدم ، لأن العلة أقدم من المعلول ، علمت أن حق العبارة « وأما أنها أقدم فإن كانت عللا ، بفتح همزة فإن أى فلأن كانت عللا » .

ومثال التحريف بالنقص ما ورد في ص ٤٦٢ : « وأما أن العلم الذى بغير ذوات وسط أترى هو واحد بعينه أم ليس كذلك ، . »

وفي العبارة نقص وحققها ، وأما أن العلم الذى بغير ذوات وسط والعلم ، الذى بذوات وسط ، أترى هما واحداً بعينه ، .

أى العلم بالمبادئ التى بدون برهان ، والعلم بالأشياء التى هى ببرهان ، أهما علم واحد أم جنسان مختلفان ؟ .

ومثال التحريف بالزيادة ما ورد في ص ٤٦٤ : « ومن التجربة عندما يثبت ويستقر الكلى فى النفس ، . »

وحققها : « ومن التجربة يثبت ويستقر الكلى فى النفس ، بحذف (عندما) ، وهذه بعض أمثلة وسيلنا أن نمثل ولا نستقصى . »

وإذا وقع هذا التصحيف والتحريف فى هذه الفسخة المطبوعة ، وهى منقولة عن نسخة منقولة من نسخة الحسن بن سوار ، وقوبلت بنسخة كتبت من نسخة عيسى بن إسحاق بن زرعة ، المنقولة من نسخة يحيى بن عدى فكان أيضاً موافقا — كما أثبت بآخر كتاب البرهان — ومعنى ذلك أن هذه النسخة أنجبها أصل فلسفى ، وهى نسخة الحسن بن سوار ، وزكاها عدل مقبول وهو نسخة عيسى بن إسحاق بن زرعة ، المنقولة من نسخة يحيى بن عدى ، وهما اثنان من الفلاسفة ، ولهما مرتبة عليا فيها ، فما بالك بنسخة لم تظفر بمثل هذا النسب العالى وبمثل هذه التزكية .

أرأيت أنه لا يغنى التصحيح الأول عن التصحيح الثانى ، وأنه لا يمكن الفهم إلا بهذا التصحيح المعنوى .

أرأيت هذا الجهد المضنى ، أرأيتموه يقل تعباً وعسراً عن رفع الانتقال وقطع الأحجار ، بل ربما كان قاطع الأحجار أبل ريقاً وأسهل طريقاً ، وكان صاحب هذا الجهد محبوس الانفاس ، منقبض العضلات ، مرهف الحواس خائفة أن يند عنه ما يوشك أن يقع فى شباك .

أرأيت جهداً أين من هذا الجهد ، وتعباً أجدى من هذا التعب .

لأنه لا تقل جدواه عن جدوى المعلم الأول أرسطاطاليس الذى ألفه ، ولا جدوى أبى بشر متى بن يونس الذى ترجمه . فإذا كان الأول قد ألف ، والثانى قد ترجم وبذلك سهلاه ويسراه للتعللين ، فإن الزمن قد جار عليه ، وغيره وبذله فلم يعد ينتفع به إلا بهذا الجهد الأخير الذى أزال النسخ والمسخ ، وعاد به كيوم ألفه المؤلف وترجمه المترجم .

إن التصحيح الأول عمل عضوى لا يحتاج إلا إلى عمل حاسة البصر . فالمصحح يقرأ النسخ المختلفة ويعرف مواضع الاختلاف ويذبه عليها . أما التصحيح الثانى فهو عمل عقلى شاق عميق يقتضى أن يكون صاحبه عارفاً بالعلم الذى يصحح فيه ، وقل فى زماننا من يعنى بهذه العلوم الفلسفية ، فقل من يعلم المنطق على طريقة أرسطو ، وقل من ينظر فى علم الطبيعة على طريقة الفلاسفة المتقدمين ، وقل من يعرف علوم ما بعد الطبيعة على وعورتها ، وقل من يصبر على هذه العلوم مع انصراف الناس عنها . وانقطاع السند فيها وعدم الجزاء المادى عليها ، ولأنه لا يتوفر على دراستها إلا من أوتى حظاً من حب الحكمة ملك عليه أمره ، فهو يصرفه فى بيداء الفكر وشعاب العلم ، يقضى فيها نهاره وليله يسعد بما فيها ، وإنه ليكتفى بذلك وبزهد فيما فى أيدي الناس من متاع وزخرف .

لا بد إذا من العالم بهذه العلوم الفلسفية ليصحح هذا التصحيح المعنوى ، ولكن لا بد من أن يحافظ على الأصل فيكتبه ويذبه على أن المعنى يقتضى كذا ويثبت ما يقتضيه فى أسفل الصفحة .

ولمّا أوجبتنا ذلك لأن المارء موكل به النسيان والغلط ، فربما زيف فهمنا صحيحاً ، وربما أصلح فأفسد ، وأزال التحريف فأوقع فى التحريف . ولعلنا أخرى وهى عدم التحكم فى القارىء فهو بذلك يقول لمن ينظر فى هذا الكتاب : هذا هو الأصل وما يقتضيه على هو كذا ولك الخيار فيما تأخذ وما تدع . وحبذا لو كتب خلاصة لكل باب يترجمه إلى لغة العصر لتكون أعون على فهمه .

هذا ما نراه فى إخراج الكتب الفلسفية ولعل وزارة المعارف تقتنع به وتراعيه لأنها إذا أخرجت الكتب الفلسفية بدونها ، تكون قد أحييت ولم تحي ويسرت ولم تيسر وأخرجت للناس كتباً شبيهة بأقوال المجانين لا نظام يجمعها ولا معنى يفهم منها كما قال أبو تمام :

عذلا شديدا بالجنون كأنما قرأت به الورهاء شطر كتاب

وأحب أن أنبه إلى أنه يجب إذا ظفرت وزارة المعارف بمن يصححون منها هذا التصحيح ألا تطلب منهم الكثير فإنهم لا يعنون بالكثرة، وإنما يعنون بالجودة، وكل قليل من الجيد فهو كثير لو لم يكن إلا أن يخرج أحدهم كتاب الشعر أو الخطابة أو البرهان لارسطو لكفاه ذلك، فبحسبه أن أخرج كتاب البرهان أو الشعر أو الخطابة مقروما مفهوما وبحسب الامة أن أظفر بذلك.

وأحب أيضاً ألا تضمن عليهم فتحاسبهم بالورقة أو بالملمزة بل تكافئهم مكافأة من يعلم قيمة علمهم وجدواهم، وما فيه من صعوبة، فهو خلاصة تعب العمر، وجهد الحياة.

ليس بكثير على رجل أنفق عمره في خدمة العلم والاشتغال بعلوم الأوائل حتى استوى له أن يصحح كتابا من كتب المعلم الأول، أو كتب ابن سينا أو ابن رشد، تصحيحاً يزيل غلط الدهور وخطأ الاحقاد، أن يأخذ من أموال الدولة ما يوازي تعب عقله ونصب فكره. وما يغني أن تعطى الدولة من يسر لها كتابا مما تود نشره من كتب العلم ما يكافئ عمله فهي ليست تشده وتبذل الجهد والمال في إخراجها للناس إلا للارتفاع به، ولا ينفع به ويتيسر فهمه إلا بهذا التصحيح المعنوي الذي قلناه.

إنه يجب أن تتغير نظرنا إلى العلم والعلماء فلا نستكثر على العلماء مالا نستكثره على من لا يعنون غناهم وينفعون نفعمهم.

إذا أراد المرء أن يعرف مقدار تقدم أمة في الحضارة نظر إلى ما ينفق فيها ويروج فإن كان الذي ينفق فيها المضحكات والمسائيات، فهي ذات نصيب قليل من التقدم والرقى، وإن كان الذي ينفق فيها الجد والعلم عرف أنها تعرف للعلم خطره، وللجد أثره، وخير للأمة المصرية أن تتجاوز الطور الأول إلى هذا الطور الأخير.

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

الحديث النبوي

مقاصده ، ألفاظه ، معانيه

تناولت في حديث سابق كلام النبوة من ناحية أغراضه ومرامييه ، واليوم أعرض له من جهة بلاغته .

ولعمر الحق إن يصفه واصف بأبلغ ولا أوجز ولا أدل من قوله « أما أفصح العرب ، يبدأني من قريش ، واسترضعت في بني بكر بن سعد » .

وقال له أبو بكر ذات يوم : لقد طفت للعرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ فقال ﷺ : « أدبني ربّي فأحسن تأديبي » .

وذكر أبو علي البغدادي في أماليه أن النبي ﷺ كان جالسا بين أصحابه فذشأت سخابة فقالوا : يا رسول الله هذه سخابة فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمكينا . قال : وكيف ترون رجاها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها . قال : وكيف ترون برقها أو ميمضاً أم خفياً أم يشق شقاً ؟ قالوا : بل يشق شقاً . فقال : فكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده فقال ﷺ : الحيا . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك . قال : وما يمنعني ؟ فأنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ^(١) .

والقارئ الكريم يستطيع أن يفهم من هذه الأحاديث كيف امتاز النبي ﷺ بهذه الفصاحة التي كانت موضع إعجاب أصحابه ودهشتهم ، وفهم أبو بكر نسابة العرب وراوية أخبارها وطوافها بالآفاق .

فهو صلى الله عليه وسلم كما يقول في الحديث الأول : من قريش وهي أفصح العرب لغة وأقومها منطقاً لأنها كانت تتخير من لغات الوافدين إليها في المواسم ما خف على اللسان وحسن في الآذان فلطفت لهجتها وجاد أسلوبها وزادت ثروتها . وكرمها القرآن فنزل بلغتها .

(١) الويمض : اللع الخفي . والخفي بالتخفيف : البرق الضعيف .

وهو صلى الله عليه وسلم قد استرضع في بني سعد بن بكر وكانوا من العرب الضاربين حول مكة يقبض فيهم أطفال قریش يطلبون نشأة الفصاحة ، وقد أجمع الرواة على أن لم اختصاصا وامتيازاً من بين العرب في الفصاحة وحسن البيان ومحمد صاحب الاستعداد الحصيب والفطرة العالية فكيف يبلغ من أدبهم .

وهو صلى الله عليه وسلم كما وصف نفسه في الحديث الثاني قد أدبه ربه وصنعه على كرائم ما يؤتى الناس من مبان ومعان جل مواهبها ، وذلك الركن الركين والسر السكين والغاية التي لا تدرك .

ثم هو تليذ القرآن وخصيصه وصفه ونجيه كما يقول وما ينعنى فإنما أنزل القرآن بلسان عربي . وهذا الكتاب نعم المؤدب والمهذب ، وللقارى فيه من العلم والأدب والبيان واللسان بمقدار ما له في القارى من تفرغ واتجاه وهل كان إلا للقرآن يتعمده ويهذب ويعلمه البيان .

وفي هاتين الناحيتين (مدارسة القرآن وتأديب الرحمن) موضع التفرد في رسول الله ﷺ فقد اصطفى له ما شاء من صور البيان كما اصطفاه على جميع الأنام وكانت له بلاغة : سجدت الافكار لآيتها ، وحسرت العقول دون غايتها ، ألفاظ يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصفها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها حدث من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله (١) .

ولا تتوهم أن بلاغة النبوة كانت من نوع ما قد يتوهم القارىء في بعض الحديث الأخير من غرابة وأن ذلك كان مصدر إعجاب الصحابة ، كلا فقد كان ﷺ أبعد الناس من الغريب والحوشى كما ترى فيما بعد ، وإنما هي مجازات في القواعد (الأسافل) وفي الرحي (الوسط) وفي البواسق (الأعلى) . والغرابة بالمجاز محمودة إذا كانت في صخرها وحاقها . وقد جعل الله غرابة كلام النبوة أحيانا في دقة معانيه ولطف استعاراته وتماسك لبنانه وتجامع كلماته ودقة تشبيهاته وإحكام تطابقها .

وربما أغرب حين يخاطب من ليس من قريش فيكون ما يتكلم به أو ما يكتبه غير مألوف لقومه ، ولكنه لغة المخاطبين وبغيره لا يفقهون فهو يحدثهم بما يفهمون . ولذلك وصف النبي ﷺ بأنه واضح في اللغة ومشتق فيها ، وروى المبرد في الكامل أنه ﷺ قال لأبي تميمه الهجيمي « إياك والمخيلة » فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة ؟ قال : سبل الإزار .

وإذا ، فقد صورت للقارىء بعض عوامل بلاغته ﷺ بمقدار ما أوردت الأحاديث الكريمة السالفة الذكر . ولا ريب أن عوامل بلاغته أكثر من ذلك ، ولكنه لست في هذا السبيل فإن السفر طويل وليس المجال بمستدع ذلك ، فتاريخ النبي وما يحف به من الأمور الجليلة ، بل إن شاء قائل أن يقول إن النبي ﷺ في غنى عن الإشارة ببلاغته وبيانه ، وإن من الفضول إرجاء الوقت في تصوير ذلك كان له ذلك . ولكنه لست أردت أن أوجه القارىء صوبها وأذكره بالواجب نحوها ، وأجدد في نفسه معاني تقديرها حتى لا يتخذ هذا الكلام السامى مهجوراً ، وحتى يلتبس أقرب الطرق إلى البلاغة في تفقه ذلك البيان العظيم من ذلك النبي الكريم ، وأعود إذاً بالقارىء إلى وصف كلامه صلى الله عليه وسلم وأجعل العمدة في ذلك ما يتناقله الأدباء من وصف الجاحظ له وهو الناقد البصير والواصف الخبير قال الجاحظ في البيان والتبيين (١) :

« هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف . قال الله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد جانب أصحاب التعبير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع القصر . وهجر الغريب والوحشى ، ورغب عن الهجين والسوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالصنعة ، وشد بالتأيد ، ويسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة . ولا زلت به قدم . ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ،

ولا أخفه خطيب ، بل يبرز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعلمه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخشلة ولا يستعمل المواربة . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أنصح عن معناه ولا أبين في غشواه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا وصف الجاحظ لكلام السيد الرسول ، وهي أوصاف عظيمة وإن كان في تصويرها شيء من الترهل في العبارة والتكرار ، وهي تلخص فيما يأتي مع شيء من التأييد .

(١) كان ﷺ موجز اللفظ يقصد إلى الهدف ويهdy إلى الجادة في القول كما هdy إليها في الفعل ، وهي من خصائص النبوة وآيات العبرة . ولهذا وصفت البلاغة بين الأدباء بأنها الإيجاز ، لأن كل متكلم يستعين على الإفهام ويردد في سياق الكلام لنقص علمه بحاجة السامع ، وعدم اطمئنائه إلى أنه وفي . ولهذا تكثر الإطالة في كلام الاعاجم ومن على شاكلتهم فأما العرب الخلف فمتنافسون في لمحة دالة وكلمة جامعة .

ومن قرأ لهذا الجاحظ الذي يضرب به المثل في البيان ، أو لامثاله من فرسان هذا الميدان كابن المقفع ، وأحمد بن يوسف ، وعبد الحميد من قبلهما ، أدرك فرق ما بينهم وبين التابعين في البلاغة وعلى رأسهم محمد بن عبد الله .

وهذا ما جعل السيد الرسول يتحدث بنعمة الله عليه فيقول : أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الكلام اختصاراً ، . وجوامع الكلم غير الاختصار كما قد يتوهم . وكان ﷺ يقول : نحن معاشر الأنبياء بكاء ، لأنهم يكرهون الفضول ، ويقصدون إلى الأهداف ، ويعمدون إلى الصراحة . ولما نصح جرير بن عبد الله قال له : إذا قلت فأوجز ، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف . . ولهذا قال : أبغضكم إلى الثرثارون المتفهمون ، . وقد أحصى العلماء كثيراً من الكلام المفيد السامى الذى يشتمل على كلمتين من كلامه كقولہ : الإيمان يمان ، الدين النصيحة . . الدين الماملة ، . العدة دين ، . السماح رباح ، وما إلى ذلك من الكلام العذب المغدق الخصب المتعلى بمحاسن البديع الطيبى .

ولعلك ترى في هذه المحاولة أن ذلك كان توفيقاً لا إقلاقاً ، وإصابة لا عجزاً ، وهو من الحكمة التي وصف بها الجاحظ هذا الكلام فقال : إنه لم ينطق إلا عن ميراث حكمة . على أنه كان يطيل في الحين بعد الحين كما قال الجاحظ أيضاً أنه يبسط في موضع البسط ويقصر في موضع القصر . وروى عن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد العصر فقال : « ألا إن الدنيا حلوة خضرة ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء . ألا لا يمنعن رجلاً مخافة الله أن يقول الحق . إذا علمه . » قال أبو سعيد : ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف .

وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم نوع من الاطناب يسمى « التوشيع » وقد تردد كثيراً فيها بجمال فائق وإحسان عظيم ، لأنه يتفق مع الإجمال ثم التفصيل ، لزيادة تقرير المعنى وإيصاله إلى السامع . وهو لإحكام لصناعة البلاغة ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه ، ولم يكن يسرد كسرهما .

وفي هذه المناسبة أقول : إن الجاحظ قد تورط فيما اعتقد فذكر أنه كان يستغنى عن إعادة الكلام ، وكان السامع في غير حاجة إلى المعاودة إلا أن يتكاف لتصحح بعض التأويل . وهذا التوشيع يجده القارئ الكريم في مثل قوله « عشر خصال من الفطرة الخ » وقوله « أوصاني ربي بتسع الخ » وقوله « سبعة يظالم الله الخ » وقوله « أربع من كن فيه الخ » وقوله « آية المفاقي ثلاث الخ » وهو مما يحمل السبك رصينا والاسلوب متماسكا .

هذا ولغلبة الإيجاز على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في غير تكلف ولا غنا . مع بلوغ الغاية كان إعجاب الأصحاب به وتعجبهم من سلاطه ، وفي الحق إن ذلك ناحية الامتياز الكبرى في بيانه صلى الله عليه وسلم فإن اجتماع الكلام بقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ، وإطراد ذلك في كل معنى وفي كل باب شيء لم يعرف لأحد قبله . فأما غيره فإنه يستهلك بالاختصار معنى الكلام ويستولى عليه بالتكلف . ومن شاء فليُنظر في المختصرات ومختصرات المختصرات فيما بين أيدينا من الكتب ليرى كيف يصنع الاختصار من تشويه الحقائق وتكلف ما يحول درن الفهم . « يتبع »

محمود النواوي

المفتش بالأزهر

الحكم التكليفي والرضي

- ١ -

من المعلوم أن الاصطلاحات العرفية والشرعية ترجع في أصلها إلى الأوضاع اللغوية . ولهذا يلزمنا أن نعرف الحكم في الوضع اللغوي ، ثم ننقل منه إلى الحكم الشرعي . فالحكم في اللغة : الصرف والمنع للإصلاح . وجاء منه ، حكمة الفرس ، وهي الحديدية التي تمنعه عن الجروح . وجاء منه ، الحكيم ، لأنه يمنع نفسه ويصرفها عن هواها . ومنه ، الأحكام ، أي الإتقان . وقد جاء في القرآن الكريم ، كتاب أحكمت آياته ، أي منعت وحفظت عن الخلط والكذب والباطل والخطأ والتناقض . و ، الحكم ، بمعنى الفصل والبت والقطع . وفي اصطلاح المناطقة إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً ، وإدراك وقوع النسبة أو لا وقوعها . وإذا كان الحكم هو الثمرة المطلوبة من منابع التشريع الإسلامي وأدلته ، فإن أنظار الأصوليين المستنبطين للأحكام الشرعية محصورة في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية - ولاجل ذلك جرت عادة الأصوليين أن يعرفوا الحكم الشرعي ويقسموه ثم يبينوا الحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه .

وقبل أن نبدأ السير في بيان هذه الحقائق المنقسم إليها الحكم الشرعي . ننبه إلى أن الأصوليين جرت عاداتهم بذكر تعريفات متعددة لكل نوع من أنواع الحكم بل قد اختلفوا في تعريف الحكم نفسه . وإنا لنأخذ أنفسنا في هذا البحث بذكر ما رجحه جمهرة العلماء أو واحد منهم ، ونعرض عن غير الراجح من التعاريف . وقد عرف الآمدى الحكم الشرعي بأنه ، خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية ، وهذا الخُطاب إما أن يكون متعلقاً بطلب أو لا يكون متعلقاً بطلب . فإن كان الأول فهو طلب الفعل أو الترك . وكل واحد منهما إما جازم أو غير جازم . فما تعلق بالطلب الجازم للفعل فهو الوجوب . وما تعلق بالطلب غير الجازم فهو التندب . وما تعلق بالطلب الجازم للترك فهو الحرمة . وما تعلق بالطلب غير الجازم للترك فهو الكراهة ، وإن لم يكن متعلقاً بطلب ، فإما أن يكون متعلقاً بخطاب التخيير

أو غيره . فإن كان الأول فهو الإباحة . وإن كان الثاني فهو الحكم الوضعي كالصحة والبطلان ونصب الشيء سبياً أو مانعاً أو شرطاً ، وكون الفعل عبادة وقضاء وأداء وعزيمة ورخصة . وهذا التعريف يقرب من قول بعضهم : الحكم عند الأصوليين خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تحذيراً أو وضعاً .

وعبارة الشاطبي واضحة في تقسيم الأحكام الشرعية ، إذ يقول الأحكام الشرعية قسمان : أحدهما يرجع إلى خطاب التكليف والآخر يرجع إلى خطاب الوضع . فالأول ينحصر في خمسة أنواع : الإباحة والنذب والكرهة والإيجاب والتحريم . والثاني ينحصر في الأسباب والشروط والموانع والصحة والبطلان والزائم والرخص . ومن هذا يعلم أن الأصوليين عرفوا الحكم بالخطاب الذي يطلب به الشارع من المكلف فعلاً أو تحذيراً بين أن يفعل وأن لا يفعل ، أو يجعل بخطابه شيئاً من الأحكام سبياً أو شرطاً أو مانعاً . فنحو قوله تعالى « أقيموا الصلاة » ، « إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، « ولا تقربوا الزنا » ، « وذروا البيع » ، « فإذا حللتم فاصطادوا » ، « أقم الصلاة لدلوك الشمس » ، كل هذه أحكام شرعية في نظر الأصوليين .

وللفقهاء معنى آخر للحكم . فهو عندهم الصفة التي هي أثر ذلك الخطاب . فالحكم الشرعي عندهم هو الوجوب للصلاة . والإرشاد لكتابة الدين . والحرمة للزنا . والكرهة للبيع وقت النداء . والإباحة للاصطياد بعد الإحلال . وسببية الوجوب لدلوك الشمس . وليست هناك ثمرة لهذا الخلاف ، ولا أثر على إثبات الأحكام .

والفرق بين الأحكام التكليفية والوضعية ، أن التكليفية ينظر فيها إلى ترتب الثواب على الفعل والعقاب على الترك ، وأما الوضعية فإنه ينظر فيها إلى اعتبار الفعل صحيحاً في نظر الشارع ومعتداً به أو ليس صحيحاً ولا معتبراً .

وقد أجمع أهل السنة على نفي الأحكام عند عدم الخطاب من الشارع ، ذهاباً منهم إلى عدم اعتبار حكم العقل في إثبات الأحكام . فالعقل لا يحسن ولا يقبح فلا يثبت به حكم . والعقل لا يوجب شكر المنعم .

وقد ذهبت المعتزلة إلى أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة . فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن إنقاذ الغرق والهللكي وشكر المنعم . ومعرفة حسن الصدق وقبح الكذب

ولإيلاء البرى . ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الذى يترتب عليه ضرر ، وقبح الكذب الذى يترتب عليه نفع . ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصلاة والحج وسائر العبادات .

ولا نرى من الخوض فى هذا الجدال عظيم فائدة تستحق منا مزيد المعاناة ، ولعل ذلك هو الذى حدا بمتقدمى الأصوليين إلى الإعراض عن الخوض فى هذا اللجاج الذى يكون ذكره فى مسائل علم الكلام أولى وارتباطه به أقوى .

ومقصد الشارع من تشريع هذه الأحكام وإلزام البشر بها إنما هو تحقيق سعادتهم فى العاجل والآجل . وقد وقع الخلاف فى علم الكلام بين طائفتين تزعم الرازى لأحدى تلك الطائفتين مدعىا أن أحكام الله ليست معلقة بعلة أبته ، كما أن أفعاله لا تعمل ولم يستطع هذا رأى أن يثبت أمام التطبيق العملى والنظرى فى الأحكام المعلقة فى الكتاب والسنة . فالقرآن الكريم ملئ بالأفعال والأحكام المعلقة . فإن الله تعالى يقول فى حكمة بعثة الرسل ، رسلا مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، . ويقول فى وصف خاتم المرسلين بأنه رحمة للعالمين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، . وفوق هذا فإن آيات القرآن التى تعرضت لمبدأ الخلق وحكمته ظهر فيها التعليل بوضوح وجلاء إذ يقول عز من قائل . وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، . ويقول . وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ويقول . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، .

وفى تعليل جزئيات الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة فيض عظيم ، لا يستطيع معارض أن يحجز نوره أو يحبس ضوؤه أو يصد شمس . ففي آية الوضوء يظهر التعليل واضحاً فى قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ، ويقول فى الصوم . كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، وفى الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفى القبلة . قولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ، وفى الجهاد . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وفى القصاص . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ، وفى الحمل على التفرير بوحدانية الله سبحانه وتعالى بأبلغ وجه وأفصح عبارة وأشرف ديباجة ، إذ يقول جل وعلا فى صدد ذلك . أأست بر بكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، ولو أطلقنا العنان لثقصى

أحكام الكتاب والسنة وتعاليلها لكننا ملزمين بأن نضع مؤلفاً بدلاً أن ندبج مقالة لمجلة الأزهر. ولعلى أوفق في مستقبل الأيام إلى كشف اللثام عن أسرار هذه التعليقات .

وجملة ما يمكن أن يقال فيها إنما حكم وأسرار ليست بباعثة للشارع ولا ملزمة له ، بل هي راجعة في الحقيقة إلى مصلحة العباد ، وتحقيق الخير لهم والله غنى عن العالمين .

ونعود إلى الرأي الثانى الذى تزعمته المعتزلة وهو أن أحكام الله وأفعاله معللة برعاية مصالح العباد ومعهم أكثر الفقهاء . ولما حلت رأى الرازى وخرجته على الوجه الذى بسطته فقد أصبح موافقاً لرأى المعتزلة ، وبذلك حقق علماء الأصول التوفيق بين رأى المعتزلة ورأى الرازى ، إذ أن ما قاله المعتزلة في تعليل الأحكام والأفعال راجع في الحقيقة إلى مصالح العباد ومنفعتهم لا إلى منفعة الله سبحانه وتعالى ، لأنه غير محتاج إلى الأفعال ليتكمل بها . ولا يستطيع الرازى أن ينكر أن العباد ينتفعون بهذه الأحكام ، وأن علمها تعود بالخير والنفع لهم ، وتمسكهم من الخلافة المصلحة في الأرض التى يباهى الله بها ملائكته ، والتى أشار إليها سبحانه بقوله « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسير بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، وفقنا الله إلى إدراك أسرار تشريعه وحكمه إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله المراعى

مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

يُصلح في إسلامه ما أفسده في كفره

كان عبد الله بن الزبيرى السهمى شاعراً من شعراء قریش ومن أشدهم عداوة للإسلام . ثم أسلم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فأحسن فقال :

يا رسول الملك إن لسانى رائق ما فتقتُ إذ أنا بُورُ
إذ أجارى الشيطان فى سنن الغيِّ ومن مال ميله مشبور
آمن اللحمُ والعظام بما قلت فففسى الفدى وأنت النذير

أزمة الأدب وحرية التعبير

يمتاز العالم في هذه الفترة الأخيرة من حياته مراحل خطيرة من التطور والانتقال ، نتج عنها انهيار في بعض القيم الخلفية والاجتماعية والسياسية ، وظهور قيم أخرى جديدة مؤسسة على الفهم الجديد الذي أحدثه التطور في شتى نواحي الحياة الإنسانية .

والادب كظاهرة أساسية من الظواهر البشرية كان في المقدمة ؛ بل كان الجهاز الحساس الذي يسجل كل هذه التغيرات . وقد اعتبر كثير من المؤرخين أن الادب مصدر أساسي من مصادر التاريخ الاجتماعي والسياسي لدولة من الدول ، ثم ابتداء هذا التقييم لوظيفة الادب يتسع حتى أصبح من المقرر أنه ليس تعبيراً ذاتياً يقوم به أفراد معينون يعبرون عن ذواتهم ، بل اتجه إلى معنى أوسع وأعمق ، إلى أنه تعبير اجتماعي ضخم لمرحلة تاريخية في حياة الإنسان .

ومن هنا أقيمت على عاتق الاديب مهمة اجتماعية ثقيلة ، وضعت في عنقه أمانة التعبير عن الجيل الذي يعيش فيه ، وأرغمته على أن تكون صلته بهذا المجتمع أكثر ارتباطاً ، وأشد حساسية . . واعتبر الكاتب غير محقق لرسالته كأديب ما لم يكن سراً صادقة لعصره !

وليس هناك شك في أن الادب ليس هو التاريخ ، ولا المذكرات أو اليوميات المسجلة للأحداث التي تجري في حقبة بعينها ؛ لأن هذا يجرده من دوره الأصيل ، وهو التعبير عن موقف الإنسان تجاه مشكلة من المشاكل والأسلوب الذي يتخذه في مجابهتها ، كاشفاً عن الإمكانيات التي تنطوي عليها الطبيعة الإنسانية ، ويتحول الفن أو الادب هنا إلى دراسة أوسع وأعمق يستفيد منها علم النفس الحديث وفروعه .

ومن زاوية أخرى يقوم الادب بتقرير وجهة نظر معينة تعبر عن اتجاه خاص للكاتب أو لجماعة يشترك معها الكاتب في الرأي والعقيدة ، وهكذا يساهم الادب ليس — فقط — في بناء التاريخ ، ولا في الدراسة المتعددة الجوانب للإنسان ، بل في الاتجاه الفكري أو المذهبي لطائفة من الناس ، وكلما كان الكاتب واعياً بمجتمعه أمينا على الحقيقة كان الرأي الذي يعبر عنه في صالح الجموع الإنسانية التي تشاركه حياته ، وأصبح بعيد الأثر في كل ما يحدث في التاريخ البشري من تقدم وارتقاء .

ولا يمكن للأدب أن يؤدي وظائفه هذه ما لم يكن صادقا ، بصيراً بالأمور لا تختفي عن وعيته حقائق الحياة التي تكون عادة مخبأة تحت كتل مكبسة من التضليل والتعقيد !

ونحن هنا نتكلم عن هذا اللون المخلص من الأدب ، فكلما كان الأدب خلصا ازدادت خطورته . وعلى هذا لم تكن مهمة هذا الأديب سهلة ميسورة في كل العصور والعهود . فلقد أدرك أصحاب السطوة ما للأدب من أثر ووقفوا على دوره المتعدد الجوانب . وابتدأوا يحاربونه إما بتحويله عن اتجاهه الطبيعي ، وإما باستغلاله لتحقيق أغراضهم ، وإما بقطع الصلة بينه وبين جمهور الشعب - الذي يمثل الجانب الآخر من التفاعل - بمصادرته وإقامة السدود في سبيله ، إما بالتشريعات القانونية وإما بالسيطرة المباشرة !

وبهذا أضافوا وظيفة أساسية من وظائف الفن المخلص ، هي الدفاع عن الحرية ، لأنه بغير الحرية لا يمكن لهذا الأدب أن يصبح له وجود .

والأدب الحر لا يخشى على حريته من حرية الآداب الرخيصة ، فعلى الرغم من أنه معلوم لأصحاب الاقتصاد ، أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ، إلا أن هذا لا ينطبق على الأدب ، وربما لا ينطبق على شيء من حياة الإنسان ، لأن هذا الأدب يؤمن بالجوانب الخيرة ، ويعتقد أنها أساسية في الإنسان . وتاريخ الأدب نفسه يمنح هذه الثقة ، فكل الآثار الأدبية الرفيعة التي بقيت واكتسبت صفة الاستمرار ، استمدت قدراتها هذه من توفر تلك الصفات فيها .

وفي هذه الفترة من حياتنا نتظر إلى آدابنا فنجد أنها تعاني أزمة شديدة ، ربما لم تعانيها فترة أخرى قبلها . ولقد أحس الكتاب أنفسهم هذه الأزمة ، بل ابتدأوا يعانونها . . وسواء كانوا مخلصين ، أو غير مخلصين فقد عقدوا المؤتمرات لدراستها ومحاولة القضاء عليها . . وليس الأمر بالسهولة التي تتصورها للوهلة الأولى ، فالاختلاف في الآراء يأتي تباعاً للاختلاف في الإخلاص لرسالة الأديب التي شرعها ، وليس هذا الإخلاص شيئاً مسلباً به بين الكتاب جميعاً . .

فنحن نعيش في أزهى العصور الإنسانية ، وأكثرها تقدماً . ففي عصرنا وقفنا على حقائق علمية كانت تبدو لاسلافنا ضرباً من الخرافة . وابتدأنا نحدد موقفنا من عالمنا تحديداً ربما يكون أقرب إلى الصواب من الذين قبلنا . وقد أعطينا للتراث الفكري القديم قيمة كبرى ، وأصبح على الأديب بل للثقافة أن يلم بهذا التراث قبل أن يخط سطرأ . . وأصبح

عليه أيضاً أن يلم بكل حقائق هذا العصر، وثقافة هذا العصر .. ومع أننا نقف على أكتاف هؤلاء الذين سبقونا، فما زال بين كتابنا المعاصرين كثير من الأرقام ...

على أنه يجدر بنا أن نذكر أن العراقيين الذين وقفوا في سبيل الكاتب في عصرنا - افتئاماً على الحق الدستوري في حرية التعبير - أكثر تعقداً من أية عراقيل أقيمت في سبيل كاتب من قبل . فكلما تقدمت البشرية في الثقافة وأوغلت في استغلال فهمها للقوانين الطبيعية، ازداد تقدم الاستبداد في ابتكار الوسائل المختلفة لحماية استبداده .. وكرد فعل طبيعي تشط الجواهر لرد هذا العدوان وهي أكثر ثقافة وأكثر وعياً من قبل .. وباختصار أصبح الاستبداد من التنبه بحيث صار وجود أدب حر مخلص شيئاً أشبه بالمستحيل !

ولكننا مهما غلونا في تقدير هذه العقبات، فإننا لا نستطيع أن ننسى أبداً، أنه في ماضى الزمن، قبل أن يسمع امرؤ عن حقوق الإنسان، كان الكاتب والمفكر يشنق أو يقتل لآفته الأمور . ومع هذا فقد وصلت للبناكل الآراء الطيبة التي تشترك بصخورها الصلبة المتينة في بنائنا الفكري حتى الآن .. ومعنى هذا أن هناك صراعاً دائماً بين المفكر الحر والاستبداد - على اختلاف أساليب أصحاب السطوة في الصراع خشونة ولعمرة - وإن على الكاتب أن يفترض بداءة أن الاستبداد سيقف في سبيله، وأن يهيئ نفسه لاستقبال كل طعنة وأن يعلم نفسه كيف يستطيع أن يكسب المعركة على الرغم من كل شيء ..

ومن غير هذا الصراع - بل هذه الخاصية التي يتمتع بها الأدب - يصبح الأدب شيئاً للهو والزينة، ويصبح أنفه من أن يلتفت إليه إنسان لا في هذا العصر ولا في أى عصر آخر من العصور القادمة ...

وأزمة الأدب المعاصر تعود - بالدرجة الأولى - إلى الكاتب نفسه .. فهما تكن السلطات قد درعت نفسها ضد الكتابة الحرة، فإن الأدب بإمكانياته الفريدة من حيث قدرته على الإيحاء والتوجيه تليحاً وتضميناً ورمزاً في أضيق الحلقات، يستطيع أن يحطم هذه الحصون مهما تكن قوتها .. وهذا ما لم يفعله أحد من الذين يتدبون أزمة الأدب المعاصر .. ولقد كان لويس السادس عشر ومن قبله أبوه وجده، مثلاً شيئاً للاستبداد، ومع ذلك فقد استطاع فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو وغيرهم أن يكتبوا، وأن يبالغوا الناس عن طريق الأدب والفلسفة والعلم !

وفي أقصى مراحل الاستبداد القيصري في روسيا وقف دسيتويفسكى الكاتب الروسى ينتظر دوره لتتزع المشنقة حياته .. ومع هذا فقد قرأنا لدستويفسكى وتولستوى وتورجنيف وتشيكوف .. واعتبرناهم عمالقة ، وكان عصرهم أزهى العصور الأدبية !

بقى شيء واحد يجب تقريره ؛ إن كتابنا - وقد يشمل هذا كتاب الغرب أيضا الذين يعانون الازمة - غير مخلصين لقضية الإنسانية ، من حيث هى تقدم وارتقاء فى جميع أركان الحياة . وقد يكون بعضهم مخلصاً لقضية أخرى غير هذه القضية ، ولكن طبيعة قضيته الخاسرة تجره إلى الخلف وتجعله من كتاب الازمة ، لانه بقدر ما يكون الكاتب صاعداً مع الصاعدين ، يكتسب الاستمرار والخلود ..

والواقع أن كتابنا المعاصرين يعتبرون من المتخلفين عن قضايا جيلهم ، وعن فهمها . وقد اتخذت أكثرتهم الجانب المنحل من المجتمع لتقف إلى جواره ، وتدافع عن أهدافه ومطامعه ، قانعة بالراحة والثروة وشيء من الجاه الحقيقى .. وها هى ذى الأوضاع قد زلزلت فى مصر ، وهى تزلزل فى جميع أنحاء العالم مؤذنة بالتغيير الضخم الذى يحدث لمصلحة المجموع . ويكتشف كتاب الازمة - بعد فوات الفرصة - أنهم كانوا فى الجانب الخاسر ، على أنه كيف يتأق للإنسان أن يصطنع الإخلاص وهو لا يكون فيه إلا طبعاً أصيلاً !! إن الازمة التى يعانيها الأدب العربى الآن ، أزمة فى الضمير الأدبى والثقافى عند الكتاب العرب قبل أن تكون أزمة الافتئات على حرية التعبير .. ولان نستطيع أبداً أن نتوجه بهذه الكلمة إلى أحد غير الكتاب لاننا - مهما نكون من البلاهة والغفلة - ما كنا لنطلب إلى الاستبداد الراحل أن ينتحر بالسلاح الذى فى يده .

أحمد عباس صالح

فى مسير الرسول من حنين إلى الطائف

قال الشاعر الانصارى كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وتر	وخير ، ثم أحجمنا السيوف
نخيرها ، ولو نطق لقات	قواطع من دوساً أو نقيفا
فلمست لحاصن ^(١) إن لم تروها	بساحة داركم منا ألوفاً
فتتزع العروش ببطن وج	ونترك داركم منا خلوفاً
ونزدى اللات والعزى ووداً	ونسلبها القلائد والشنوفاً

(١) الحاصن : المرأة العفيفة الكريمة .

الدعوة إلى التقشف

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يرسل ولاته إلى الأقطار الإسلامية ليعلموا (معلمين) قبل أن يكونوا (حاكمين) . ومن بواعث السعادة لمصر أن ربان سفيتها اليوم — وهو الرئيس القائد محمد نجيب — يبرهن في كل موقف من مواقفه على أنه المعلم الحكيم الذي يلاحظ مواطن الضعف في السكبان المصري ، فيرشد أمته إلى أقرب الطرق لمعالجة ضعفها بما يخرجها منه إلى موطن السلامة .

ولما وقف يخطب في حفلة لإرساء حجر الأساس لمبنى الإذاعة اللاسلوكية دعا جميع مواطنيه إلى اتباع سياسة التقشف وقال :

« إن التركة مثقلة ، ونحن نعيش تحت بناء منهار نريد أن نرفع أنقاضه ، ولم نرفع منه حتى الآن إلا التراب . وهذه الحالة ليس المسئول عن تحقيقها محمد نجيب وحده ، بل كل رجل في البلد يجب أن يتعاون ويتضافر ويعمل معنا لإقامة البناء سليماً متيناً .

إذن فنحن نعيش تحت بناء منهار ، والذي يقول هذه الكلمة هو الرجل الواقف على دخائل البناء الذي نعيش تحته ، فصاح بنا يدعو إلى النجاة .

إنه يعرف ما لا يعرفه أكثرنا ، أو على الأقل يعرف ما لا أعرفه أنا ، وبما أعرفه أنا عن بنائنا الذي نعيش تحته أن هذه الحركة المباركة لما قامت لأجل الإنقاذ كان ميزان مصر التجاري هكذا :

إن مصر استوردت من الخارج مصنوعات وأدوات وضروريات وكاليات في الأشهر الخمسة الأولى من سنة ١٩٥٢ تزيد قيمتها ٣٧ مليوناً و١٤٧ ألف جنيه عما صدرته إلى الخارج من حاصلات مصر ومنتجاتها ، فمجموع ما دخل في جيوب المصريين من المال ثماناً لقطنهم ومحصولاتهم الزراعية ومنتجاتهم الصناعية نقص ٣٧ مليون جنيه عما خرج من جيوبهم ثماناً لما استوردوه من منسوجات وحبوب وأغذية وأدوية وأدوات ومكنات وخمور ودخان وأحمر شفايف وأدوات زينة وتوافه سخيصة ، ولا يدخل في هذا النقص الخفيف ثمن كل ما أدخل خلصة وبطريق التهريب من حشيش وكوكايين وسموم أخرى منع القانون مرورها من الجمارك فلم يتناولها الإحصاء الرسمي ، وإن أمة تخسر في خمسة أشهر ٣٧ مليوناً هي فرق

ثمن ما تنفقه من أموالها في الخارج عن ثمن ما تصدره من محصولاتها إلى الخارج ، لى أشبه بمن يعيش تحت بناء منهار ، وإذا دعا محمد نجيب أمته إلى التقشف فينبغي لكل مصرى وكل مصرية أن يفهما من ذلك أن النجاة من انهيار البناء على رموس البتيع متوقف على الاستغناء عن هذه التوافه التى تعرضها المتاجر الكبرى فى أكرم موضع من أماكنها البارزة ، وتسلب عليها أنوار الكهرباء فتخادع صغيرات العقول من النساء وضعاف الأحلام والأخلاق من الرجال حتى يخرجوا ما فى محافظهم من الجنيات فيقتدوا بها فى بالوعات هذه المتاجر لتنتقل إلى بلاد الغرب تاركة وراءها هذا البناء المنهار الذى نعيش تحته . ولو أن هذا المعنى يلاحظه كل مثقف فى أوربا تعلم من بلاد الإنجليز استعمال شراهم الويسكى ، أو تعلم من بلاد فرنسا استعمال شراهم من الكويناك ، لحجل من نفسه إن لم يحجل من ربه ، ولضن بنقود مصر أن تتحول إلى الخارج عن طريق هذه الكؤوس التى يهدم بها السكير نعمة العافية عليه من الله ، كما يهدم بها هذا البناء الذى يعيش تحته وهو الذى نسميه الوطن .

٣٧ مليون جنيه خسرتها فى خمسة أشهر من أول يناير إلى آخر مايو من سنة ١٩٥٢ ، والجنابة على الوطن من هذه الخسارة واقعة على رأس كل امرأة تبذل أموال زوجها ووطنها فى توافه الزينة وسخافات المتاجر الكبرى ، وتقع على كل من يضع بين شفقيه سيجارة ليحرق ثمنها فى الهواء ، أو يقرب كأس الويسكى أو الكشيك من فمه ليكون ثمن ذلك إعانة منه لتجار الخمر وصانعيها فى البلاد التى تنكل بأهل تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، أو تصب وإبل العذاب على أهل كينيا .

إن دعوة الرئيس أمته إلى التقشف دعوة كريمة إلى التحرر ، من الكماليات والسخافات والتوافه . وهذا التحرر مصدر من مصادر السعادة ، ومرتبة عالية من مراتب تحرير النفس ، وإعدادها لحل أعباء المجد ، ومواجهة المصاعب عند وقوعها . وقد حاول الاسبرطيون هذا التحرر ، بالمرانة والاعتياد فكانوا به من أهل الكفاح والغلب . ونشأ عليه العرب بالفطرة ، فأهلهم ذلك لحل أعباء الرسالة الإسلامية والنجاح بها فى أقطار الأرض بما يعده التاريخ من المعجزات التى لا يعرف مثلها لغير العرب . وكما أن العربى كان يرى من البلاغة ، أن يحتزل من بيانه كل حرف يستطيع أن يؤدى غرضه بالاستغناء عنه ، كذلك كان يرى من التحرر ، أن يستغنى فى معاشه عن كل هنة يستقيم له العيش مع الاستغناء عنها . ولعلم كل شعوبى على وجه الأرض أن ذلك لم يكن من العرب عن قلة

وفاقة وحرمان ، بل لأنهم يرون فيه تمام حريتهم واكتمال إنسانيتهم . ألا ترى إلى معاوية رضى الله عنه يوم استقدم إلى الدار الخضراء في دمشق حرة من سيدات البادية وكريماتها العاقلات لتكون سيدة قصره وأم ولده ومنجبة ولى عهده ، فضاق صدر هذه السيدة الحكيمة - وهى ميسون بنت بحدل القضاية - بترف أهل المدن الذى يجافى طبعها العربى الحر ، ولا نزال إلى اليوم نترنم بقولها :

ليت تخفق لأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف

فهذه النظرة السليمة إلى الحياة هى مما أهل قوم ميسون بنت بحدل للنهوض بعبء الإسلام ، وتحقيق أهدافه ، وتربية الأمم عليه فى صدر الإسلام ، ففهم الناس منهم أن الإسلام دين الاعتدال فى كل شيء : الاعتدال فى الثروة والغنى ، والاعتدال فى الفقر والزهد ، والاعتدال فى الحب والبغض ، والاعتدال فى الراحة وبذل الجهد ، بل إنه - وهو دين - جاء يدعو إلى الاعتدال حتى فى الدين : لا رهبانية فى الإسلام ، ، ، إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ، ، الدين يسر ، ولن يغالب الدين أحد إلا غلبه ، ، ، إياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين . .

فالإسلام يدعو إلى الاعتدال فى الدين ، وفى المعيشة ، وفى كل شيء . والرئيس محمد نجيب إذا دعا إلى التقشف فإنه يدعو إلى مدلوله الإسلامى ، وهو ، التحرر ، من الكماليات والسفاسف والمظاهر السكاذبة والأعراض الزائلة ، ولا يعنى به مناه البرهमी الذى طرأ علينا باسم التصوف فأدى إلى تعذيب النفس بما لا فائدة منه ترتجى فى المجتمع الصالح .

إن محمد نجيب كان يصيح بنا وهو يرسى حجر الأساس فى بناء الإذاعة اللاسلكية لنصحو من غفلتنا ، ونفيق من سكرتنا . وهو لا يريد بنا أن نتقشف تقشفا برهيميا إلى الحد الذى كان عليه غاندى ، ولكنه يريد منا الاعتدال على طريقة الإسلام وبسجية العرب لوصل ما انقطع بين حاضرننا وماضينا ، ولنتدارك ما سيقع على رؤوسنا من انهيار البناء فى المستقبل إذا أصررننا على هذا السرف الذى انقضى عهده مع العهد البائد ، فالى العهد الجديد واعتداله أيها المواطنون .

محّب الدين الخطيب

رواية الحديث وندونه

الحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلق أو خلق ؛ أو هو أعم من أن يكون قول الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين وفعلهم وتقريرهم .

ولا يكاد يخلو صحابي من رواية شيء من الحديث النبوي قل أو كثير ؛ وقد اشتهر بسعة الرواية منهم طائفة حصرهم الذهبي في واحد وثلاثين ، منهم اثنان من أزواجه ﷺ . هما : عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما - وخلفاؤه الراشدون الأربعة رضى الله عنهم ، وأوسعهم رواية هلى ، ويلييه عمر ، ثم عثمان ، ثم أبو بكر .

وأكثر الصحابة رواية أبو هريرة ، فروايته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون ، ثم عبد الله بن عمرو . فله ألفان وستائة وثلاثون ، ثم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، فله ألفان ومائتان وستة وسبعون ، ثم عائشة ، فله ألفان ومائتان وعشر ، ثم عبد الله بن عباس ، فله ألف وستائة وسبعون .

وليس معنى ما سلف أن الخلفاء الراشدين دون أبي هريرة ومن يليه علماً بحديث رسول الله ﷺ ، فهم أدري بشأنه كله ، وغايته أنهم لم يكثروا من التحديث ، لمثل ما ذكره الذهبي بإسناده إلى قرظة بن كعب . قال : لما سیرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم . مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك أنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جوّدوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ ، وأنا شريككم ، فهو كما ترى تخرج من مزاحمة القرآن ، أو تخوف مما تجره كثرة الرواية من الشبهات . وقد صرح بأولى العلتين عروة بن الزبير فقال : كنا نقول : لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله ، فحوت كتبى ، فوالله لو ددت أن كتبى عندى . إن كتاب الله قد استمرت سريره . وصرحت بالثانية عائشة فيما ترويه عن أبيها رضى الله عنهما إذ أحرق صحيفة كانت عنده فيها خمسمائة حديث خشية أن يكون فيها حديث عن رجل قد ائتمنه ووثق به ولم يكن كما حدثه .

هذا ومن أسباب سعة الرواية طول الصحبة ، وهو من أسباب إكثار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ؛ وهو ، والرواية عن بعض الصحابة ، وطول العمر من أسباب إكثار أنس خادم رسول الله ﷺ . فقد أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ، وطائفة ، وجميعها مع قوة الحفظ من أسباب إكثار أبي هريرة . فقد كان مسكيناً من أصحاب الصفة يلزم النبي ﷺ على ملء بطنه ، فكان يحضر ما لا يحضر من إخوانه من المهاجرين والانصار ، ويعي ما لا يعون . وروى أبو هريرة عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب . وعن الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ، ونحوه يقوله عن نفسه ؛ والكتابة من أسباب إكثار عبد الله بن عمرو بن العاص . كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم . وقال : إنه كان يكتب عن النبي ﷺ وكنت لا أكتب .

هذا وليس بعجيب أن نرى التابعين وتابعيهم أوسع رواية من الصحابة . فإنهم جمعوا إلى ما تفرق من رواياتهم فتأروهم وآثارهم ، حتى كانت رواية سفيان بن عيينة نحواً من سبعة آلاف حديث ، وشعبة بن الحجاج - الذي يقول فيه الشافعي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق - عشرة آلاف حديث ، ولحماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً ، وإبراهيم بن سعد الزهري نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي ، ولسفيان الثوري - وهو أبوه من علماء الكوفة - ثلاثون ألف حديث ، ولهشيم بن بشير ابن أبي خازم نزيل بغداد عشرون ألف حديث ، وقد تصل رواية الرجل الواحد إلى مائة ألف ، كعبد الله بن وهيب بن مسلم ، وبعد هذه الطيقة بلغت رواية البخاري أربع مائة ألف ، ومسلم ثلاثمائة ألف ، لم يخرج منها إلا عشرة آلاف ، بل روى أن الإمام أحمد بن حنبل كان حفظه ألف ألف .

والروايات مضطربة في إباحة تدوين الحديث ، وصورة من هذا الاضطراب في كشف الظنون . وقد عرفت رأى الصديق في ذلك ، فيما روته عائشة ، من إحراقه الصحيفة لما سلف عنه رضي الله عليه ، وعلى أنه كان في صدر الإسلام كتابة للحديث ، كالذي سلف من كتابة عبد الله بن عمرو ، فالظاهر أنها لم تكن إلا مجرد التقييد دون ترتيب أو تبويب .

وفي أوائل السيوطي : وأول من دون الحديث ابن شهاب في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وفيه قال مالك في الموطأ : إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله - كتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم ، أن انظر فيما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سفته ، أو حديث عمر ، أو أخبار الخلفاء الأربعة وفقهاء الصحابة ، أو نحو ذلك فاكتبه لي ، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء ؛ فدون كثير من العلوم في خلافته ، رحمه الله .

وفي كشف الظنون : أنه اختلف في أول من صنف ، فقيل : الإمام عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج البصري (في سنة ١٥٥ هـ) . وقيل : أبو النصر سعيد بن أبي عروبة (في سنة ١٥٦ هـ) ، وقيل : ربيع بن صبيح (في سنة ١٦٠ هـ) ، ثم صنف سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس بالمدينة ، وعبد الله بن وهب بمصر ، ومعمّر وعبد الرزاق باليمن ، وسفيان الثوري ، ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة ، وحماة بن سلمة ، وروح ابن عباد بالبصرة ، وهشيم بواسط ، وعبد الله بن المبارك بخراسان .

ومن مظاهر الحرص آتخذ على التدوين والأخذ عن الشيوخ قول ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ ؛ ومن مظاهر عناية الخلفاء بالمحدثين ، أن الرشيد وصل أبا بكر ابن عباس المحدث السكوني بستة آلاف دينار . وعن أبي معاوية الضرير : محدث الكوفة ، : أكلت مع الرشيد فصب على يدي رجل لا أعرفه . فقال الرشيد : يا أبا معاوية ، تدرى من كان يصب على يديك ؟ قلت : لا : قال : أنا . قلت : أنت : يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . لإجلال العلم ؛ ووراء هذه العناية الديفية عناية أخرى أدبية فثل أبي نواس من الشعراء وإسحاق الموصلي من المعنّين والأدباء من رواة الحديث الآخذين عن الشيوخ ، فقد كتب أبو نواس الحديث عن عبد الواحد بن زياد وأزهر السمان وغيرهما ، وروى إسحاق الحديث ، ولقي أهله ، مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد وأبي معاوية الضرير وروح بن عباد وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

كَيْفَ بَنَى الْمُسْلِمُونَ مَجْدَهُمْ

ذكر التاريخ في أنصع صفحاته ، ذلك المجد الذى بناه المسلمون في مطلع فجرهم ومشرق شمسهم . وكتب بمداد العجب والفخر ، عن تلك الهمم العليا التى دفعت بالمسلمين إلى جوب البقاع والوهاد ، وطى المهامم والقيافى ، وإخضاع الممالك المترامية الأطراف فى أقل من ربع قرن من الزمان .

ولقد بينت الحوادث الخالدة أن ذلك المجد لم يكن وليد الحظوظ ، ولم تسقه المصادفات ؛ ولكنه كان محفوقاً بكثير من المخاطر ، مقروناً بشتى المتاعب والمصاعب .

ولولا الثقة بالنفس ، والاستهانة بالحياة ، لوقف المسلمون حيث بدءوا ، وماتوا حيث ولدوا ، وبادوا حيث وجدوا .

وإذا كان الإنسان كبير النفس ، وثاباً إلى المعالى ، فإنه يحلن فى الآفاق بأجنحة من الفخر ، ويبنى مجده على هامة الوجود .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجسام

اعتقد المسلمون فى مبدأ أمرهم أنهم خلقوا للكفاح والجهاد ، وأنهم وجدوا للنضال والجداد ، وأن الدين يتقاضاهم واجب الدفاع عن الوطن ، والزيادة عن حياضه ؛ فهبوا عاملين لا يرهبون الموت ، ولا يتهيبون المنايا ، ولا يحرصون على البقاء ، حتى حققوا المجد العريض ، وأدركوا الشرف الرفيع .

لقد أحبوا الموت فوهبوا الحياة ، وباعوا القليل فربحوا الكثير ، وهجروا الآكواخ فسكنوا القصور ، وشقوا زمناً قليلاً ، فسعدوا دهرأ طويلاً ، وذلك شأن العاملين ، ومآل المخلصين ، ونهاية المجاهدين .

ذلك كان شأن المسلمين أيام كان المسلم يعلم أن عليه واجبات يتقاضاها منه ربه ودينه ، ووطنه وأمته ، فيبادر إلى قضائها مبادرة الظأىء إلى ورد الماء ، ويندفع إلى أدائها اندفاع السيل فى مجراه ، والسهم صوب مرماه .

كانت نفوس الجماعة إذ ذاك ملتزمة ، والقلوب متصافية ، والمؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، فعلا شأنهم ، ونبه ذكرهم ، واستقام أمرهم ، وتلفتت نحوهم الأيصار والعيون ، تضي عليهم الإكبار والإجلال .

مضى ذلك العصر بخيره ، ومضى معه ذلك التراث الذى خلفه الآباء ، وكان مشار الإعجاب ، وموضع الفخر حقبا من الزمان .

مضى ذلك ، من يوم أن احتل البغض فى القلوب موضع الحب ، والشحنات والفرقة موضع الاتحاد والألفة ، والتدابير والتقاطع موضع التواد والتواصل .
« وإذا انفرط عقد الأمة ، وسرت فيها روح التخاذل ، فقد أفل نجمها ، وغابت شمسها ، وطويت صحيفتها . »

نعم ضاع ذلك المجد التليد من يوم أخذت الأمة بتلاييب الانفراط ، وأقام أفرادها من أنفسهم أمما متشعبة ، هم الواحد منهم أن يكون لنفسه عونا ، وللغريب على أمته ساعدا وعصدا ؛ ونسوا أن الأمم تحيا وتموت بأفرادها ، وترجع وتخف كفتها بأبنائها . فإذا أخذتهم الغيرة عليها ، وأشربت قلوبهم محبتها ، وعللوا أن المجموع هو الفرد المتكرر ، استطاعوا أن يبقوا أمتهم على الدهر تنصرع تحت أقدامها خطوبه ، وتتهار أمام قوتها صروفه ، وتمزق بسطوتها أحداثه .

ولذا ركبوا أهواءهم ولم يرعوا لامتهم كرامة ، ولم يروا لها حرمة ، فقد أسلبوها إلى الغناء ، ورموها بأيديهم فى مكان سحيق .

بالأمس وقف الإسلام وقفة ، كان ملء عين الدهر وبصره ، وتلا على الشعوب كتاب القوة من مبتدئه إلى خيره ، وخط فى أفق الوجود سطورا من الحكمة ، وعنها الأمم المعادية له وحذقتها ، واسترشدت بها واستضاءت بنورها .

أما أبنائها فقد استناروا بها حينما من الدهر ، بلغوا فيه أوج السعادة ، ثم طاف بهم طائف من التفريط ، شأن كل غالب يرتكز على قوته ثم يهمل أمرها ، ويعتمد على ظفره دون أن يرباه بالحطية .

طاف بهم ذلك الطائف وهم فى نشوة النصر ، وسكرة الظفر ؛ وقد نسوا أن هناك أمما مقهورة بسيفهم ، وعروشا مثلولة برماحهم ، وأن الموتور لا ينام عن وتره ، وأن ضعيف اليوم ربما يكون قويا فى غده .

نسوا ذلك فكان المصير ما نراه ، وكان المآل تلك الحسرة التى تحترق بنارها قلوبنا حزنا على ما فقدناه من مجد بناء الآباء بلبينات من فلذ الالكباد .

أيها المسلمون : لا ضئف بدائهم أبداً ، ولا قوة بياقية على الدهر ، ولكن الأيام دول ، والامم التى تتفتح عيونها تسترد شبابها ، والدول التى تنفبه عقولها تستعيد مجدها ، والشعوب إذا أنجبت شبابا يشعرون بالواجب يجتمع شملها ، ويتجدد بناؤها .

ومن كان مثل الامة الإسلامية التى تمشى إلى الحياة ، فى ضومين من دين قويم يهتدى بنوره ، ومجد رفيع تستمد منه القوة ، توشك أن تعود إلى ما كانت عليه يوم لاسلطان فى الوجود لاسلطائها ، ولا قوة فى الارض غير قوتها . أجل إن مثل الامة الإسلامية مع ميزاتنا لو أخذت بالاسباب التى أخذ بها السلف الصالح ، وانتهجت تلك الجادة التى انتهجها أولئك الابداد السابقون ، لخطت إلى بعيتها آميالا فى المدة التى يخطو غيرها فيها بضع خطوات . وما ذاك إلا أن هناك دافعا من الدين الإسلامى ، الذى طبع نفوس ابنائه بطابع العمل والكفاح ، وهناك أسس من المجد لا تزال قوية القواعد ، ولا تحتاج إلا إلى أيدى حاملة تقيم عليها ما تشاء من البناء ، وليس بعد ذلك إلا السعادة المبتغاة .

ليس بين المسلمين وبين استعادة مجدهم وقديم عزهم ، إلا أن يمشوا على جسر من وحدة الكلمة واتحاد المشرب ، وأخذ القوى بيد الضعيف ، وأن يكونوا كتلة واحدة غير متخالفة الاجزاء ، ولا متفرقة الأوصال .

ليس بينهم وبين الحياة الحققة إلا أن يرجعوا إلى تعاليم دينهم ، ويقفوا عند حدوده المشروعة ، ويتخلقوا بالاخلاق الكريمة التى كانت لآبائهم ، والتى مكنتهم من الغلبة والظفر ، كالشجاعة والإقدام ، ومباراة الامم فى الجد والكفاح .

إذا تداركوا أنفسهم بالتحدى بهذه الصفات ، وبرموها من كل خاق ذميم ، ونظروا بأعينهم إلى أسباب الفرة فاجتثوها من قلوبهم ، فقد وقفوا فى صفوف الامم الحية ، وساروا فى طريق الفلاح سيرا حثيثا ، حقق الله الآمال ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحيم فرغل البلبنى

المفتش بالازهر

المسئولية الحكومية في الاسلام

قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، ذلك بأن لكل شخص سلطانا يستوى في ذلك سلطانه على زوجته وأولاده، وسلطانه على خدمه وتابعيه وسلطانه على موظفيه ومرءوسيه. ولما كان كل سلطان تقابله مسؤولية تعادله، شمل الحديث سالف الذكر الناس جميعا، وكان يغير منازع أصلا من أصول القانون الدولي الخاص في العصور الحديثة. ولأنه لمن دواعي الفخر حقا أن تسبق الدولة الإسلامية الأمم جميعا في العمل بهذا الأصل القانوني، ولا أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب في مسؤولية الوالي: «والله لو عثرت دابة في العراق لرأيتني مسئولاً عنها». فقيل له: وما ذنب أمير المؤمنين في ذلك؟ فقال: «أمير المؤمنين مكلف بإصلاح الطرق وتسويتها ليمشي عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب، من ثم كان الولاية والحكام المسلبون لا يحجبون أنفسهم عن الرعية حتى يتسنى لهم سماع كل شك ومظلوم، فقد قال المصطفى ﷺ: «أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها إلي»، فإن من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة،

وبذلك أوجد نظام الحكم الإسلامي الأبواب كلها في وجه المحسوبية والرشوة، فحق الحق وأزق الباطل، وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم. وهكذا تميز هذا النظام بالعدالة الصحيحة. فالزم كلا من الحاكم والمحكوم بقدر متساو من الواجبات. فأما واجبات الحاكم قبل الرعية فإنها تتلخص في: (١) تنفيذ أوامر الشريعة الغراء في الحكم، مع إقامة العدل والعدالة بين الناس (٢) حفظ الحقوق الطبيعية للأفراد مثل حق الحياة وحق العمل وحق إبداء الرأي. لهذا كان الحاكم الإسلامي يباشر بنفسه حالة الولاية والعمال مباشرة دقيقة.

وأما واجبات الأفراد نحو الحكومة فتتلخص في أمرين هما:

(١) طاعة الحاكم ولو كان عبدا حبشيا أو مفضولا بأفضل منه، مادام لم يظلم، وما دام لم يأمر بمعصية.

(٢) حفظ الأمن ودفع الضرائب والزكاة.

والمدحش حقاً هو تكافؤ واجبات الأفراد مع واجبات الحكومة مما يقطع في الدلالة على أن نظام الحكم الإسلامى هو نظام دستورى بأوسع معانى الكلمة ، فكان الأمير يستمد سلطته من بيعة شعبه له . ومن ثم كانت مسئولية الأمير مسئولية كاملة بمعنى أنه مسئول أمام كل رجل من رجال الأمة . ومن الأمثلة الطريفة في ذلك أنه عندما تولى عمر ابن الخطاب الخلافة خطب الناس قائلاً : « يا أيها الناس ، إذا وجدتم فى خطأ فأعينوني ، فقال له أحد الأعراب : « والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيفونا ، فقال عمر رضى الله عنه : « الحمد لله الذى جعل فى الأمة من يقوم عمر إذا اعوج منه » .

وينفرد الحكم الدستورى الإسلامى بأنه يمنح الأفراد نوعاً من السلطة لا يتمتعون بها فى ظل أى نظام آخر ، فلم مثلاً حق حماية غير المسلمين ، وعلى الأمير أن يحترم هذه الحماية حتى ولو كان الرجل المحمى فى حرب مع المسلمين ، ويروى التاريخ فى ذلك أن أبا العاص ابن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ وابن خالها كان مشركاً ففرق بينهما الرسول فى مكة ، غير أن السيدة زينب لحقت بأبيها فى المدينة وهناك افتدت زوجها المشرك بالقلادة المهداة إليها من والدتها فى عرسها ، فرآها الرسول وقال : هذه قلادة خديجة . ولما وقف على حقيقة الأمر قال لابنته « أكرمى زوجك ، ولا تجعله يقربك حتى يسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .

وللناس أيضاً فى ظل النظام الإسلامى حق التمتع بجميع الحقوق العامة مطلقة غير مقيدة ، يستوى فى ذلك المسلم والذى . كما لهم أيضاً التمتع بالحقوق الخاصة من زواج وتعامل وتقاض ، فالفرد يستطيع أن يقاضى من يشاء ولو كان الأمير نفسه ، فقد روى أن يهودياً قاضى سيدنا علياً بن أبى طالب أمام أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب فى إمارته ، فنادى عمر علياً « يا أبا الحسن قف بجوار خصمك ، فامتعض على من المناداة عليه بأبى الحسن . وبعد الحكم سأله عمر عن سبب امتعاضه فأجاب على « لأنك أكرمتنى بالمناداة على بكنتى » . وبعد فهل هناك نظام أحق وأعدل من النظام الإسلامى الذى لو استقصينا مبادئه وأهدافه لرأيناه النظام المثالى الذى تنشده الإنسانية فى أرقى ما تصل إليه .

السيد كمال الشورى

مأمور الشهر العقارى

سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ حمزة بن عبد المطلب

أسد من أسود الله ورسوله ، وسيد من سادات المسلمين . ورث السؤدد عن آبائه ، واكتسب الفضل بإصداق جهاده ، وانحدرت إليه الشجاعة العربية في أصلاب أجداده ، فكان الشهم الأبى ، والفارس المعلم ، والبطل المغوار ، وحامى الذمار . ذلكم هو سيد الشهداء أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو أحد فروع الدوحة الهاشمية الباسقة ، وعم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، إذ أرضعتهما ثوية جارية أبي لهب ، وكان أسن من رسول الله بستين ، وقيل بأربع ، والاول أصح . وأمه السيدة هالة بنت وهيب ابن عبد مناف بن زهرة ، فهي ابنة عم السيدة الفاضلة آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كريم الأبوين طاهر المعدنين ، وما بالك بشخص يجتمع برسول الله في جده لأبيه ، وجده لأمه ، وجمع إلى شرف النسب شرف الإسلام والجهاد في سبيله ، لا شك أنه من خيار الناس في جاهليته وإسلامه .

وإسلامه ، : أسلم في السنة الثانية من مبعثه ﷺ . ولما أسلم فرح بإسلامه رسول الله ﷺ فرحا شديدا ، لأنه كان أعز قتي في قريش وأشد هم شكيمة . وإسلامه قصة ، ذلك أن أبا جهل عدو الله ورسوله مر بالنبي ﷺ عند الصفا فأذاه وسبه ونال منه ، ورسول الله يقابل سفهه بالصفح ، وجهله بالحلم ، وكان هذا المشهد على مرأى ومسمع من مولاة لعبد الله بن جدعان في سكن لها . ثم انصرف أبو جهل إلى نادى قريش بجوار الكعبة لجلس مع قرانائه القرشيين ، وكان حمزة رضى الله عنه من هواة الصيد والقنص ، وكان إذا رجع من قصه لا يذهب إلى بيته حتى يطوف بالبيت الحرام ، وفي روضة من روحاته مر على الصفا متوشحا سيفه ، متذكبا قومه فقالت له هذه المولاة : يا أبا الوليد - كنيته - لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آتفا من أبي الحكم بن هشام - تعنى أبا جهل - وجده هنا جالسا فأذاه وسبه ونال منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . وآتئذ تحركت عاطفة الرحم في نفس حمزة ، وأخذته الشفقة على ابن أخيه ، وهو من بنى هاشم كما تعلم ، وأدركته لحظة من لحظات التجلى الإلهي ، فذهب والدم يغلي في عروقه من شدة الغضب ، ولم يلو على شيء ،

حتى دخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم ، فقام على رأسه ورفع القوس وضربه فشججه شجرة منكرة ، ثم قال له : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فردَّ على ذلك إن استطعت . وقام رجال من بني مخزوم عشيرة أبي جهل لينصروه فقالوا لحمزة : ما نراك ألا قد صبأت — أى دخلت في دين محمد — فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله والذي يقوله حق ؟ والله لا أفزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال لهم أبو جهل : دعوا أبا عماره ^(١) ، فإنى والله قد سمعت ابن أخيه شيئا .

انتهت الملاحاة إلى هذا الحد . ولكن أمرا ذا بال أهم حمزة وأوقعه في حيرة من أمره ، حتى استبان له الحق ، ذلك أنه لما رجع إلى بيته تسور عليه الشيطان وصار يلقي إليه بالوساوس ويقول له : أنت سيد قريش ، اتبعت هذا الصابي وتركت دين آبائك ، الموت خير لك مما صنعت . وبات ليلة لم يبت بمنلها قط من وسوسة الشيطان وتلبيساته ، فلم يجد مفرًا من أن يلجأ إلى الله فقال : اللهم إن كان رشدًا فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا .

ولما أصبح ، غدا إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : يا ابن أخى ، لى وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلى على ما لا أدرى أرشد هو أم غى شديد . فأقبل عليه البشير النذير ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الإيمان بما سمعه من رسول الله ، وشرح صدره لذلك ، فلم يلبث أن قال : أشهد أنك صادق ، فأظهر يا ابن أخى دينك .

وقد ازداد رسول الله ﷺ بإسلام عمه حمزة عزة ومنعة بين قريش ، وخفت حدة إيذاء المشركين له ، وأمكن لصبح الدعوة الإسلامية أن يتنفس بعد ليل طويل . ولقد أكل كبد المشركين أن يروا المسلمين يخرجون إلى الكعبة وفي مقدمتهم السيدان الكريمان عمر وحمزة ليعلنوها حربًا شعواء على الشرك وأهله ، ويدعوا إلى عبادة الله وحده ، ونشر نور الهداية والعرفان .

حياة الكفاح والجهاد :

كانت حياة أسد الله حمزة بن عبد المطلب حياة الكفاح والجهاد ، فمن يوم أن أسلم بذل نفسه وماله في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية ، وما أن بدت السرايا حتى عقد له رسول الله (١) كان رضى الله عنه يكفى بأبى عماره وأبى يعلى ، ومما ولدان له [أسد الغابة] ، وقد سميت آفقا أنه كان يمكن بأبى الوليد أيضًا .

ﷺ اللواء ، ويقال إنه أول لواء عقد في الإسلام ، وأرسله على رأس سرية ليقطع على أبي جهل وغيره الطريق جزاء على عقوبتهم وإخراجهم المسلمين من ديارهم وأهلهم وأموالهم ، فقام بمهمته خير قيام ، وإن لم يقع بينه وبين المشركين قتال . وفي غزوة الأبواء كان يحمل لواء رسول الله ورايته البيضاء حمزة بن عبد المطلب ، ولا تسلم عما كان من أسد الله في غزوة بدر الكبرى التي فصل الله فيها بين الحق والباطل ، ففيها خرج من صفوف المشركين ثلاثة : عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، وطلبوا المبارزة ، فبرز إليهم ثلاثة إخوة من الأنصار ، فقال عتبة نريد أبناء عمومتنا . فندب لهم رسول الله عبيدة ابن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وثلاثتهم من بني هاشم ، ولم يلبث حمزة وعلى أن أجهزا على صاحبيهما وأعادنا عبيدة على صاحبه ، وحمل عبيدة إلى رسول الله تشخب ساقه دما ، فوسده رسول الله ﷺ ساقه وبشره بالجنة . ولما التجم الجمع : جمع المسلمين وجمع المشركين ، أبلى السيد حمزة في هذا اليوم بلاء مشهودا ، وأظهر من نفسه شجاعة منقطعة النظير .

ونطوى بعض صفحات من التاريخ لنصل إلى غزوة أحد التي ابتلى فيها المسلمون ، فقد قاتل فيها حمزة قتال الأبطال ، وما قرب منه أحد من الأعداء إلا قصمه بسيفه البتار . وروى أنه كان يقاتل يوم أحد بسيفين ؛ وبينما هو يحول ويصوّل في المعركة إذا استمكن منه وحشى غلام جبير بن مطعم فرماه بحربة التي لا تخطيء الهدف ، فخر شهيداً بعد أن أرضى الله وأرضى رسوله ، وهأنذا أدع وحشياً يحدث عن فعلته النكراء ، التي كفر عنها فيما بعد بقتل مسيلة الكذاب ، قال وحشى - وقد سئل عن مقتل سيد الشهداء حمزة - : سأحدثكم ما حدثت به رسول الله حين سأنى عن ذلك ، كنت غلام جبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لى جبير : إن قتلنا حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلماً أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتصره حتى رأيت في عرض الناس كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء ، ثم قال : فهزرت حربى حتى إذا رضيت عنها ، دفعها عليه فوقعت في ثغته حتى خرجت من بين رجله ، فذهب ليقوم نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات فأخذت حربى ثم رجعت إلى مكة فعتقت . . ومكث وحشى بمكة حتى فتحت على المسلمين ، فهرب إلى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليسلوا، عيئت عليه المذاهب، حتى هم أن يذهب إلى الشام أو اليمن، وبينما هو في هم قيض الله له رجلاً فقال له: ويحك، والله إن محمداً لا يقتل أحداً من الناس دخل دينه وشهد شهادة الحق، فخرج حتى أتى المدينة فوقف على مجلس رسول الله وشهد شهادة الإسلام، فلما رآه رسول الله قال: أوحشى أنت؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: خذني كيف قتلت حمزة لخديته، فلم يتالك رسول الله نفسه أن قال: ويحك، غيب عني وجهك فلا أرينك، فكان يحرص على أن لا يرى رسول الله وجهه، ورسول الله بشر وإنسان كامل الإنسانية، ثم هو رقيق القلب بالمؤمنين رؤوف رحيم، فلا عجب أن طلب من وحشى أن لا يراه لأن وجهه تتمثل فيه صورة مقتل حمزة وتمثيل المشركين به وبقتلى أحد، فيثير في النفس كوامن الآسى والحزن ولواعج الألم والحسرة على هؤلاء الشهداء الأبرار، وقد حزن رسول الله على عمه حمزة حزناً شديداً، ولا سيما وقد مثل به المشركون، فقد بقرت هند بنت عتبة - الموثورة من المسلمين من يوم بدر - بطن حمزة وأخذت كبده فلا كتبها فلم تستطع أن تستسقيها فلفظتها، وجدد أنفه وأذنه، وليس أدل على حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة، من هذه الكلمات التي قالها وهو واقف عليه: لن أصاب بمثلك أبداً، وما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا، وفي رواية أنه قال: رحمك الله يا عم، لقد كنت وصولاً للرحم، فمولا للخيرات، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في قبر واحد، فدفن عمه حمزة مع عبد الله بن جحش، ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب في قبر واحد، وذلك في سفح أحد، ولا يزال قبره معروفاً هناك.

وكان عمر سيدنا حمزة حين استشهد خمساً وخمسين سنة وقيل سبعا وخمسين سنة، فرضى الله عنه وأرضاه.

وبعد، فهذه صفحة مشرقة من حياة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، يتمثل فيها الطهر والوفاء، والشجاعة والإخاء، وبذل النفس في سبيل العقيدة، والثبات في مواطن الموت، والصدق عند لقاء الأعداء، والاستشهاد حيث تطيب الشهادة، فلا عجب أن لقبه رسول الله بأسد الله وأسد رسوله، وإن كان بحق «سيد الشهداء». وعسى أن يتخذ المجاهدون والمجاهدون في سبيل عقيدتهم وحررياتهم من هذه السيرة العطرة، أسوة حسنة يتأسون بها في حياة الكفاح والجهاد، وأن يستفيثوا بها في شق طريق الظفر والنصر، وحب الاستشهاد في سبيل الحق والمثل العليا، لكي يكتبوا في سجل الخالدين.

محمد محمد أبو شهيد

المدرس بكلية أصول الدين

موقف الإسلام من الشيوعية والرأسمالية

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

كتب مندوب ، الأهرام ، الخاص يقول :

كانت جلسة هادئة طيبة ، تلك التي جلسناها مع فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، في حفلة خاصة كان الشيخ الأكبر فيها ملتحق الأنظار ، وموضع التقدير ، وكان كل واحد يحب أن يستأثر به ليقف على جانية حكم من أحكام الشريعة في موضوع معين ، وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لاتبين موقف الإسلام من الشيوعية ، وحكمه على الرأسماليين ، ونظراته إلى الفقراء بين هذه وتلك ، وقد حمدت لفضيلته أن أثر الأهرام ، بعنايته فأجابني إلى طلبتي وتحدث إلى بقوله :

من مظاهر السكال في دين الإسلام وأحكامه ، أنه لم يعارض الفطرة الإنسانية في طبيعة من طبائعها ، وحتى ما كان فيه انحراف أو مظنة زلل من هذه الطبائع الإنسانية ، فإن الإسلام اكتفى بتعديله وتوجيهه وجهة خير ، مع إقراره أصل الفطرة ، ومحاولة تهذيبها وإصلاحها . ولما كان مبدأ التملك الشخصي ، من مقتضى الفطرة ، فإن الإسلام اعترف به وأقره ، لكنه جنح فيه إلى الاعتدال ، كدأب الإسلام في الأمور كلها ، واشترط أن يكون هذا التملك الشخصي بالأساليب المشروعة التي أحلها الله . ثم رتب عليه تكاليف شرعية ، هي نصيب الجماعة من أموال أصحاب الأموال ، كما حث أهل الغنى على الأخذ بأيدي أهل الفاقة ، حتى لا يكون في المجتمع الإسلامى إلا المحبة والتراحم والتعاون ، على البر والتقوى .

وكما أقر الإسلام مبدأ التملك الشخصي وجنح فيه إلى الاعتدال ، ونظمه تنظيمًا يسعده به المجتمع ، كذلك أقر مبدأ آخر من مبادئ الفطرة ، وهو تفاوت الناس في مواهبهم ومداركهم ومقدرتهم على الكسب لأنفسهم وعلى النفع للمجتمع ، فهذا التفاوت موجود في كل زمان ومكان لأنه من فطرة البشر ، ويرتب عليه التفاوت والتفاضل في المعاش ، لكن الإسلام مع إقراره هذا الأمر الفطرى ، شرع الأحكام لتعديل آثاره والتقريب بين طبقات الناس ،

وأوجد لهم مراتب أخرى يكتبونها من فضائلهم الأدبية والخلقية ، وجعل لذلك قيمة رفيعة في المجتمع الإسلامى ، بحيث يغبط أهل الدرجات العليا فى المال لإخوانهم من أهل الدرجات العليا فى الاخلاق والفضائل ، بحسب ما سنه الإسلام لاهله فى المجتمع الإسلامى .

ومن أعظم ما اتخذته الإسلام ، لحماية الفقراء من استغلال الرأسماليين وأصحاب الاموال تحريمه للربا وقطعه لدابر المرباة فى المجتمع الإسلامى . وهذه الحماية ، لا نظن أن أمة من أمم الارض — حتى ولا المحكومة بالشيوعية — تتمتع بمنحها فى نظام غير نظام الإسلام .

وتزعم الشيوعية أنها نزعَت عوامل الاستغلال ، ووسائل استعمال الثروة من أيدي الأفراد ، فحرمت عليهم امتلاكها ودفعت بها إلى الجماعة . والذي يتأمل فى الواقع ، يرى أن ما زعموا أنهم فوضوا أمره إلى الجماعة فى وسائل الإنتاج وتوزيع المنتجات والمصنوعات ، إنما تولته فى النظام الشيوعى هيئة قليلة العدد من الرجال المظلمين ، فبعد أن كان هذا التملك خفيف الوطأة بما هو معرض له من المنافسة وتعدد المسالكين ، أصبح فى النظام الشيوعى منحصراً فى إدارة واحدة ، يقوم عليها نفر قليل ، يتمتعون الآن بمعاش وقصور لا تقل نفامة وسرفا وخطرة واستعدادا عما كان فى قصور القياصرة ، بينما الجماعة كلها مجتدة فى السلم والحرب لتقضى حياة مئة على وتيرة واحدة لا تزيد عن حياة العمال فى البلاد الأخرى ، غير أن العمال يملكون فى البلاد الأخرى أمرهم ويستقلون بإرادتهم وتصرفاتهم ، فينتقل أحدهم من مصنع إلى مصنع إذا أراد . أما جمهور الأمة فى النظام الشيوعى ، فسلوب الإرادة ، ولا يملك حق الانتقال من مصنع إلى مصنع ، لأن المصانع كلها لا تتمتع بمزية التنافس ما دامت إدارتها فى يد واحدة ، تنصرف فى جميع العمال كما تنصرف فى المواد الخام . وبذلك تحول أغنياء البلاد المحكومة بالنظام الرأسمالى ، إلى رجل واحد فى النظام الشيوعى ، يتصرف بلا منافس فى كل ما فى البلاد من بشر وشجر وحجر ، كما تحول إقطاعيو البلاد الأخرى ، إلى إقطاعى واحد فى النظام الشيوعى ، فأضحى رعاياه محجوزين وراء ستار حديدى ، لا يدخل عليهم أحد ولا يتمكن من الانفصال عنه أحد .

هذا فى أمور العيش وحرية التملك ، وأما فى أمور الدين وحرية الدين ، فإذا كان أهل الديانات الأخرى يكون من اضطهاد الشيوعيين لهم فى كنائسهم والسيطرة على عباداتهم ، فإن المسلمين يزيدون على ذلك أن دينهم لا يتصرف على أنه دين عبادة ومسجد ، بل إن نظامه

المالى والاجتماعى هو من صميم الدين ، وحرمان المسلم من حريته فى نظامه المالى والاجتماعى ، يعد حرماناً له من عناصر مهمة هى أيضاً من كيان الدين ، وهى خير لكل مسلم من أى نظام آخر ولاسيما النظام الشيوعى ، الذى يضطهد كل الأنظمة المخالفة له ، ونظام الإسلام فى طليعة الأنظمة المخالفة له من كل وجه .

ولأن الإسلام فى اعتداله وكونه من الأصل لم تشرع أحكامه لمصلحة أى طائفة من الطوائف دون غيرها ، ولا أى طبقة من الطبقات دون غيرها ، بل لأن الله شرعها لجميع بنى الإنسان ، بتعديل طبائعهم وتهذيب فطرتهم بعد إقرارها والاعتراف بها ، وبذلك جمع التشريع الإسلامى فى نظامه الاجتماعى والمالى ، جميع الحسنات والمزايا التى توجد فى كل نظام آخر ، وجرده من جميع العيوب التى توجد فى أى نظام آخر . وكان من أعظم ما أسوء به إلى الإسلام ، إطلاق يد الأقوياء فى معاش الضعفاء ، حتى تجاوزوا حدود الاعتدال الإسلامى فى التملك والتسلط والاثرة ، بل لم يكتفوا بتجاوز حدود الاعتدال ، حتى خرجوا عن نظام الإسلام ، إلى ما حرمه من الاستغلال المحرم والبغى المنظم من الأقوياء على الضعفاء ، فانتزعت دعاة الشيوعية والمذاهب الباطلة هذه الحالة الشاذة ، التى كانت سائدة فى بعض بلاد المسلمين فاحتجوا بها عند قلىلى العلم بمزايا دينهم من عوام المسلمين ، أو المتعلمين تعليماً أجنبياً ، ومن هنا أصيب بعض أبناء هذه الملة بهذه النزعات التى انزلت بها أقدامهم عن طريق الإسلام ، فامتزجت بهم السجون ، وراح أهلهم وذوهم سادرن فى أحزان مؤلمة بسبب هذا الضلال الاجتماعى والجهل بدين الإسلام .

أما وقد من الله الآن بهذه النهضة التى أخذت فى القضاء على أسباب البغى والاثرة والاستغلال وانتزاعها من جذورها ، فقد زال ما كان يحتج به دعاة الأنظمة الباطلة والمافية للإسلام ، وانفتح الطريق واسعاً أمام المستنيرين من شباب المسلمين ، ليبحثوا فى الوعى القومى أن الإسلام باعتداله وعدالته ورحمته وتعاونيه ومواساته للجميع ، هو أكمل أنظمة الدنيا فى إسعاد الإنسانية ، لأن النظام الإسلامى أقر المبادئ المقررة فى فطرة الإنسان ، ثم هذب ميولها وعدل اعوجاجها ، وأحسن توجيهها إلى الحق والخير .

ولمى هنا شعرت أن الشيخ الأكبر قد وفى هذا الموضوع حق توفيقه ، فشكرته على عنايته واستأذنته على نشره فأذن مشكوراً .

ثورة الاسلام على الفوارق الجاهلية

درج الناس من قديم على أن يقيموا موازين، ويضعوا فروقا تكون أساس التمايز بينهم، ومعيار المفاضلة والترجيح عندهم، وسمات تحدد أماكنهم في بيئاتهم ومواقعهم من مجتمعاتهم. ولهذا يختلفون ويقاتلون، فهذا سيد وذاك مسود، وهذا شريف وذاك حقير، وهذا له الفضل والصدارة، حتى لتجب طاعته وتلبي إشارته، وذاك له الضعف والنخاف حتى لا تحترم إرادته ولا تستجيب رغبته.

طبيعة تأصلت فيهم، وبسببها تمكنت منهم، فأثرت في حياتهم وأقدارهم وموازينهم أثرا ليس بالقليل. لسكنهم يختلفون في هذه المقاييس اختلافا يرجع إلى طبائعهم واتجاهاتهم، وما يؤثر من المعاني، أو يفضلون من مظاهر الحياة وألوان الجاه. فبعض الناس يروعه ويفتنه لون الخلقة البشرية والسحنة الآدمية فيفضل الأبيض على الأسود، أو يؤثر الأحمر على الأصفر، مدفوعا إلى ذلك، وإن لم يشعر، بالشهوة الحيوانية والنزوة الطاغية والعصية الجنسية، التي تفسد الحكم وتسيء التقدير وتعكس موازين الاختيار والترجيح.

وبعض الناس لا يستهدفون في أحكامهم إلا الجاه والحسب والنسب فيحكمون بالفضل ويدثون بالطاعة، لمن يزعمون له حسبا وجاها ويتوهمون له نسباً وطهراً. يورطهم في هذا ما ألفوه من صفار وذلة، وما نشأوا فيه من هوان واستخذاء.

وغير هؤلاء يوقرون الغنى المكثرا، ويعظمون ذا المال المورس، وإن طفي وبني وملك الشح عليه أقطار نفسه، وشل منه عاطمة البر والمرحة.

وطبعي أن تختلف الموازين وتضطرب القيم وتضل العقول، ما دام راندها الهوى وانفعال النفس، وما دام العامل الذي يوجه الناس إلى هذه الأحكام هو المصيبة الجاهلة

والاندفاع الاحق والاعتماد على مظاهر لا يرضاها عقل سليم ، ولا تقرها فطرة صحيحة ، ولا يسندھا دين إلهي كريم .

ولو ترك الناس لما تضطرم به الالهواء ، وتنزع إلیه الشهوات ، لما أظلم سلام ولا أسعدهم أمن ، ولا سرى فيهم روح من الإخاء والترحام .

ولكن الله الذى جعل المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، ورضى لهم الإسلام ديناً والقرآن شريعة ومنهاجا ، لم يدعهم يتيهون فى هذا الضلال كما ناهت أمم ، ويخطون فى تلك الظلمات كما خبطت شعوب ، ضلت هداها وتبعته هواها وتحكمت منها عصبية الجنس أو صولة المال أو نزعة الجاه الزائف المكذوب ، بل إن الله تعالى بين للمسلمين فى وضوح وقوة وصراحة ، الحدود الواضحة والمعالم الصريحة والمميزات الحقة التى تستبين بها الخصائص وتميز القيم والأقدار ، وحارب مع ذلك المظاهر الخادعة التى يتوهمها الجاهلون مقاييس للفضل ، وموازين للتقديم والرجحان .

حارب الإسلام فوارق اللون والجنس أشد حرب ، لأنها تبيد الامم وتهلك الشعوب ، وتدمر الانظمة وتزور الاحقاد فى النفوس ، وتغرس الاضغان فى القلوب ، وتجعل المجتمع يعيش فى أتون مستعر من التفكك والانحلال ، ولأنها النزعة الآثمة التى تدعو إلى سيادة جماعة لجماعة وسيطرة فريق على فريق . ونبه الناس إلى أنهم من أصل واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأوحى إلى أتباعه أنهم لإخوة يوجب عليهم الإخاء أن يعيشوا متساوين ، ويدعواهم إلى العدل ورعاية الحقوق : د إنما المؤمنون إخوة .

فجبال التفاضل الحق والترجيح الصحيح فى نظر الإسلام ، هو التقوى والعمل الصالح ، ولقد خطب رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . وقال صلوات الله عليه لآبى ذر ، حين تلاشى مع آخر وقال له يا ابن السوداء : يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ،

ذلك أصل كريم من أصول الاجتماع تعتمد عليه سعادة البشر، وتقوم على دعائمه سيادة الأمم، فالكل في شرعة الحياة وتحت لواء القانون سواء .

أما ما تتورط فيه أمم ضلت القصد وغشى على أبصارها وبصائرهما، فأقامت حواجز سميكة بين الملونين، حتى شب ذلك الصراع العنيف في أفريقيا من أجل ذلك، فهو نسيان لحكم العقل ومجافاة لابسطة قواعد الإنسانية .

ما أعجب أمر هؤلاء الذين يزعمون أنهم أرباب المدنية وحماة الحرية، ثم تتملكهم النزوات الطائشة والعصبية الممقونة والمقاييس الظالمة الطاغية، فيجعلون للأبيض ما لا يباح للأسود، كأنما الطينة غير الطينة، والصانع غير الصانع . وتنشب من أجل ذلك الثورات الطاحنة وتسيل الدماء، فتخضب الأرض وتحيل جمالها إلى قبح مخيف، ومع ذلك يظل أولئك الطغاة البغاة سادرين في عدوانهم معنيين في ظلمهم الوحشي .

لينظر من أعشت المدنية الخادعة عينه، وليعرف من عميت عليهم الأمور، أن الإسلام قرر حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً، فقدس إنسانيته وكرم بشريته ولم يجعل فيه عبودية إلا لله الذي خلقه في أحسن تقويم، فهل من معتبر وهل من مدكر ؟

لم يجعل الإسلام كذلك، للأنساب قيمة في أوضاع الناس وميزان أقدارهم، فقيمة المرء عنده بما يقدمه لأمته من الخير، وما يتقرب به إلى ربه من العمل الصالح، والرسول الأكرم ﷺ كان يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وكان يقول : « يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً » وهو الذي يدعو الناس دعوة قوية حازمة إلى العمل بهذا الأثر الكريم : « لا يأتيني الناس بأعمالهم ونأتوني بأحسابكم » .

بهذه التعاليم السكرية والمبادئ القوية، قامت الدولة الإسلامية القوية، لا يظلم أحد أحداً، ولا يبغي إنسان على إنسان، فسعد الناس وعاشوا حيناً من الدهر كراماً أعزة . فلما نسوا تعاليم دينهم ورسالة نبيهم، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وسلط عليهم أعداءهم، ففرقهم شيعاً وأحزاباً ومزقهم طوائف وجماعات كلما دخلت أمة لعنت أختها .

هذا عمر بن الخطاب يجيئه رجل من أهل مصر فيقول : يا أمير المؤمنين سابت ولدأ لعمر بن العاص فسبقتة فضربني، وقال أنا ابن الأكرمين . فاستدعى عمرأ وولده فلما مثلاً بين يديه أعطى الدرة المصري، وقال له اضرب ابن الأكرمين كما ضربك . فلما قل قال له

ضع الدرة على صلعة عمرو فأثما ضربك بسلطانك . ثم التفت إلى عمرو وقال له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

فهل شفع لولد عمرو في دولة الإسلام نسبة أو أعفاه من العقوبة جاهه ؟ كلا .

وطلب سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ورهط من سادة العرب لقاء عمر بن الخطاب ، وطلبه معهم بلال وصهيب ، فأذن لها أولاً ، فغضب أبو سفيان وأخذته العزة وقال لأصحابه : لم أر كالיום قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابك ! فقال سهيل : أيها القوم ، إني أرى والله الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضباً فاغضبوا على أنفسكم . دعى القوم إلى الإسلام ودعيتهم ، فأسرعوا وأبطأتم . فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم . وهكذا انتصر الإسلام ورجال الإسلام لهؤلاء الذين يقال لهم عبيد ، وفضلهم على من يزعمون أنفسهم وجوه القوم ورؤساء الحى .

أما المال الذى جن به الناس جنوناً ، وفتنوا به فتوناً ، والذى أحصهم وأعمى عن الحق عيونهم ، وأظلم بصائرهم ، فلم يجعل له الإسلام أثراً في قيمة المرء ، ما لم يكن عوناً على غوث ملهوف ، أو عون مكروب أو فك عان أو البر بمحتاج .

والقرآن الكريم يحكى أن قارون قد وهبه الله من السكّنوز ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، فلما لم يبتغ فيما آناه الله الدار الآخرة ، ولما لم يحسن كما أحسن الله إليه ، عاجله الله بالعذاب وأغرقه في النكال : « غسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » .

وهذا عمر بن عبد العزيز بلغه أن ولدأ له اشترى خاتماً بألف درهم ، فكتب إليه يقول : « إذا أناك كتابي هذا فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن ، واشتر خاتماً بدرهمين ، واجعل فسه حديداً صيفياً ، واكتب عليه : رحم الله امرأ عرف قدره ، » .

هذه ثورة الإسلام على الأوضاع الظالمة ، وموازينته القويمة للحياة الحرة الكريمة .

نسأل الله أن يوفقنا للعمل بهديه ، والسير على نهجه .

عبد الحميد المسالوت

المدرس في كلية اللغة العربية

الإيمان يصنع المعجزات

لقد صنع لإيمان أبناء الصحراء في فجر الإسلام معجزات ما زالت تهز روعها عروش الشرق والغرب ، وما زال المسلمون يحثون أمام صورها خاشعين تنتفض مشاعرهم وترتعش أحاسيسهم من رهبة ذلك الإيمان الذي انطلق من المدينة شاعخاً جباراً لا تقعده لفحات الهجير ، ولا ترده نكبات الأعاصير ؛ لقد زلزل ذلك الإيمان الأرض تحت أقدام قريش في بدر فطار صناديدها .

طاروا وظنوا متون الجرد تحبسهم فلا تطير كساق الهارب الجرد

ثم دخل مكة بعد عشرة أعوام اغترب فيها عن مهده الأول دخلها قويا يحلم اللات والذرى على مرأى من عباد اللات والعزى . وأنى لهم حمايتها من تلك القوة العارمة : قوة الحق ، وقوة الإيمان بذلك الحق ؟

هذا هو الإيمان الذى صرع مسيلة الكذاب وهو فى منة من حراب قومه لم تثبت ساعة أمام حرارة الإيمان التى تسلفت عليهم أسوارهم ، وملأت بالرعب قلوبهم ، نفروا مستسلمين ، وخر دونهم صلف العناد .

هذا هو الإيمان الذى صنع المعجزة فى موقعة الجسر التى كانت بين العرب والفرس حينما نفرت خيول المسلمين من الفيلة فترجل أبو عبيد بن مسعود وتقدم وفى يده رمح وفى قلبه إيمان يضطرم ويدفعه لصراع الفيل الذى احتمت وراءه جيوش الفرس وطعنه بالرمح فى عينه طمئة أطارتها فضربه الفيل ضربة صرعه ، وقد شتت أبو عبيد بطمئته عزم الفيل فجال المسلمون بعده بسوفهم ولإيمانهم فى صفوف الفرس حتى كتب الله لهم النصر .

وذلك الإيمان هو الذى حمله المنيرة بن شعبة رسول المجاهدين المسلمين إلى ذى الجناحين أحد ملوك فارس حينما تقدم بين يديه وفى يده رمح يدك به البسط فيخرقها ثم قال للملك : إنا معشر العرب كنا أذلة بطؤنا الناس ولا نطؤهم ، ثم إن الله بعث منا نبياً فى شرف منا

وعندنا أنا سنملك ما ها هنا ونغلب عليه ، ولإني أرى ها هنا هيئة وبزة ما من خلقي بتاركها حتى يصيبوها أو يموتوا .

وقد صدق الله وفتح على المسلمين ذلك الملك الواسع فبات إيوان كسرى مصلى لسعد ولجيش سعد ، ورتت في أبياته آيات القرآن فحت صدى عزف القيان وامتلات جوانبه بالراكمين الساجدين بعد أن غصت أحيانا بالمختالين الجبارين ، وقد ملك العرب بإيمانهم وحده بلاد الروم وزلزلوا عروشهم وقوضوا ملكهم . فأين من المسلمين اليوم ذلك الإيمان الغازي الذي حملة الرعييل الأول فعناله كل جبار عنيد وانحنت أمامه هامات الأكاسرة وقطامنت عنده تيجان القياصرة ؟ أئنه ليصنع نفوسا جديدة تصقلها حرارته وتثقفها قوته ، ثم تخرج إلى الوجود شائخة تصنع ما صنع الأوائل ، وتبني الإسلام كما بنى المسكفون الصابرون ؟ ليس الإيمان حديثا يذيعه اللسان أو خطبة منمقة أو قصيدة منسقة أو ألفاظا مصقولة أو أساليب معسولة .

ليس هذا هو الإيمان الذي فتح به المسلمون البلاد وخفقت في ظله البنود فوق الصين والهند وبلاد الفرس وبلاد الروم ، واجتاز به طارق بحر الروم إلى الاندلس .

نريد إيمانا لا كإيمان المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

نريد إيمانا لا كإيمان العجائز اللواق أسلمهن الكبر إلى المحاريب يتبتلن بين يديها .

نريد إيمانا لا كالسراب يلمع حتى إذا حزبت الشدة لم نجده شيئا .

نريد إيمانا صارخا يغلى في كل قطرة من دمنا بحقنا في الحياة ، وبسيادتنا لأنفسنا .

نريد إيمانا برسالتنا في هذا الوجود كمسلمين من حقهم أن يعيشوا ، بل من حقهم أن يتزعموا ، وأن يقودوا وأن يسودوا .

نريد إيمانا عميقا بمجدنا الذي كان ، وبحقنا أن نعيده .

نريد إيمانا نصارع به ما صنع العلم من مدمرات ، ونرهب به الاجنحة في بطون الامهات ليس الإيمان وليد العلم والثقافة والبحث ، وليس الإيمان وقفا على المعاهد والجامعات ، بل رب جاهل يصنع إيمانه من المعجزات ما يعيي قادة الأمم وزعماءها .

أيها المسلمون :

عودوا إلى قلوبكم فقبوا لعل ومضة من الإيمان تعيش بين جوانبها فألهموها لتصنع على ضوئها المعجزات .

أيها المسلمون : أنتم الآن مثاث الملايين ، ولكنكم مستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنكم تعيشون بغير إيمان .

أيها المسلمون : إنكم تحبون الحياة ولن يجتمع حب الحياة والإيمان الذي يرخص الحياة . أيها المسلمون : إن القرآن وهو المصنع الأول للإيمان تجرى على اللسان آياته ، فلا تجاوبها من القلب الخفقات . وهذا هو المصنع الذي صنع فيه المسلم الأول قلبا تتهاوى عنده الأهوال ويتقاعس عن إدراك عزائمه الخيال .

إن القرآن لن يفشل أبدا في خلق النفوس القوية لو أنها عاشت له وتقدمت صادقة إليه . فلنمش بأرواحنا في روحانيته لملها تخلق من ضعفنا قوة ، ومن شبابنا فتوة ، ومن شعوبنا المشتتة أمة واحدة يحب الله أن يراها خير أمة أمتت عبدا تستعذب الكفاح في سبيل فكرتها وعقيدتها وتستعين بالموت لتشتري للإسلام الحياة .

محمد خليفة

المدرس في الأزهر

في يوم أحد

قال الشاعر الصحابي كعب بن مالك أحد بني سلمة من الأنصار يذكر موقف المسلمين في يوم أحد :

أحاييش ، منهم حاسر ومقنع	لجئنا إلى موج من البحر وسطه
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع	ثلاثة آلاف ، ونحن نصية ^(١)
جهام هراقت ماء الریح مقلع	فراحوا سراعاً موجفين كأنهم
أسود على لحم بييشة ظلع	ورحنا وأحرانا بضام ، كأننا

(١) النصية : الخیار والأشرف .

بين الفلسفة وعلم الكلام عند المسلمين

— ٢ —

لقد اتفقتنا في مقالنا الأول إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاءه من بعده إلى زمن فتنة عثمان رضى الله عنه ، كانوا يهتمون من أمر دينهم بشيئين : هما إصلاح القلب بالإيمان الصادق والاعتقاد الصحيح ، وإصلاح النفس بالعمل ، والأول وهو الإيمان الذى وصفناه هو الأصل للثانى أى العمل ، فإن الإيمان الذى لا يحمل صاحبه على العمل بما آمن به لا يعول عليه ، ولا يؤبه له ، ولا يسمى إيماناً ، وإن كنا سنرى بعد اختلاط العناصر الدخيلة على الإسلام والمسلمين بالمؤمنين المخلصين أن كلمة الإيمان قد تقلصت حتى أصبحت كالشجرة العقيم التى لا ثمر لها ، ولا فائدة ترجى من ورائها .

لقد حدد القرآن الكريم فى أول سورة البقرة « المتقين » ، بأنهم الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، وبأنهم الذين يؤمنون بما أنزل على محمد ﷺ وبما أنزل على من قبله من الرسل السابقين ، وبأنهم الذين يؤمنون بالآخرة . هؤلاء هم أهل الهدى من المؤمنين ، وهم أهل الدلاح ^(١) .

ثم بين فى موضع آخر أن المؤمنين هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وأنهم يتوكلون على ربهم ، وأهم الذين يقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله وأن هؤلاء هم المؤمنون حقاً ^(٢) .

فالقرآن بهذا قد جعل الإيمان مركباً من أمرين - كما قلنا - اعتقاد ، وعمل . فإذا انعدم أو انعدم أحد ركنى الإيمان ، وهما الاعتقاد القلبى ، والعمل الجسمى ، فلا يكون إيماناً . على هذا الدستور القرآنى انقضت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن تملذ لأصحابه من بعده .

وقد وقع خلاف فى بعض الحوادث التى لم يكن لها نظير فى عهد الرسول عليه السلام بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . من هذا اختلاف المسلمين فى موضع دفنه عليه السلام أ يكون فى مكة مسقط رأسه ، أم فى المدينة . كمال هجرته ؟ ثم أزال هذا الخلاف بينهم حديث

(١) الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من سورة البقرة (٢) الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الأنفال

رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء يدفنون حيث يموتون ، ثم اختلافهم في الإمامة بين المهاجرين والأنصار ، ثم انتهى بمبايعة عمر رضى الله عنه أبا بكر رضى الله عنه بالخلافة ، ثم اختلافهم في قتال مانع الزكاة ، فقال قوم بقتالهم ، وقال آخرون بعدم قتالهم ، ولكن حزم سيدنا أبي بكر في قتالهم قضى على هذا الخلاف .

هذا بعض ما وقع للمسلمين من خلاف بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه ، ولكن يلاحظ أن خلافهم كان في أمور عملية لم يقع مثلها في عصره عليه السلام ، ثم لم يلبثوا أن هداهم الله إلى الحق فيها وزال الخلاف ، لأن القلوب لم تزل منيرة بنور الإيمان ، مضيئة بضياء النبوة . وسرى أنه كلما تقدم بنا الزمن بعيداً عن عهد الرسول انتاب القلوب غيم ، والنفوس رين ، حتى غلظت وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ^(١) .

لقد رأينا أنه لم يقع في عهد أبي بكر رضى الله عنه شيء يمس ناحية العقيدة . وكل ما وقع في عصره من خلاف إنما كان على أحداث وقعت من غير أن يسبق لها نظير في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإذا عرف أحدهم نصاً من كتاب أو سنة يفيد الحكم فيما حدث ، وقفوا عند حد النص ، وإلا اجتهدوا حتى تستريح نفوسهم إلى حكم في الحادث الجديد . ولكن هنا في عهد عمر رضى الله عنه سمعنا من يعصى بالسرقعة ويتعمل بقضاء الله ، حيث تذكر بعض كتب الفرق ^(٢) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى له بسارق ، فقال له : لم سرقت ؟ فقال : قضى الله على . فأمر به فقطعت يده ، ثم ضربه أسواطاً . فاعترض عليه البعض في الحد ، حيث زاد في حد السرقعة الضرب بالسوط ، فقال عمر رضى الله عنه : القطع للسرقعة ، والجلد لما كذب على الله .

هذه واقعة جديدة على المسلمين الأولين ، ولكن يظهر أنها لم تقع ممن أسلم على يدي رسول الله ﷺ ، وإنما وقعت من أخلاط الأمم ودخلاتها على المسلمين الذين لم يتدبروا القرآن ، ولم تختلط حلاوته بقلوبهم ، ولم تستن به نفوسهم . وقد يكونون من أصحاب دين قديم قد أثرت حوله مثل هذه الشكوك في القضاء والقدر ، والتعامل به في فعل المعاصي ، كما يفعله ضعفاء الإيمان في زماننا ، أو الذين يحملون حقيقة هذا الأمر . فإن أغلب الناس

وهم الجمهور ، بل وبعض من يدعون العلم يظنون أن القضاء والقدر ملزمان لوقوع الأفعال من الناس ، وهو غير صحيح ، فإن من يعرف معنى القضاء والقدر كما عرفهما العلماء لا يخلط في الأمر ، ولا يتعلل بهما في فعل المعاصي .

فالقدر كما عرفه علماء الكلام خروج الممكنات من الدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء ، ، وأما القضاء فهو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة .

فالفرق بين القضاء والقدر ، أن القضاء في الأزل ، والقدر فيما لا يزال ، وأيضاً القضاء كما تقدم وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها .

ولقد رد القرآن الكريم رداً شافياً على من تعلل من المشركين بأن وقوع الشرك منهم بمشيئة الله قال تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تنبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ^(١) .

ثم قال تعالى في آية أخرى « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ^(٢) .

هاتان الآيتان قد تعلل بهما المشركون في فعل ما حرم الله ، وهناك آية أخرى تعلل بها المشركون في ترك ما أمر الله ، قال تعالى « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم إلا في ضلال مبين ^(٣) » .

إن هؤلاء المعاندين من المشركين ، والجهلة من المعاصرين يخلطون بين أمر معلوم لنا ، وأمر مجهول لنا ، أما الأمر المعلوم لنا فهو ما بينه الله سبحانه وتعالى من الشرائع على لسان أنبيائه ، وهو الذي كلفنا سبحانه وتعالى بأداء ما أمرنا به ، وترك ما نهانا عنه ، وأن من أدى ما أمر به ، وترك ما نهى عنه كان من أهل السعادة ، وأن من ترك ما أمر به ، وفعل ما نهى

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام . (٢) الآية ٣٥ من سورة النحل .

(٣) سورة يس الآية ٤٧

عنه كان من أهل الشقاوة ، وليس فيما كلفنا به سبحانه مشقة ولا عنت ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . هذا هو الأمر المعلوم لنا ، والمسؤولون عن أذاته ، وأما الأمر المجهول لنا فهو قضاء الله أزلا ، وقدره فيما لا يزال ، ولا شك أن علمنا بما أمر الله به ونهى عنه سابق على علمنا بما قضى الله وقدر ، لأن الأول وهو أمر الله ونهيه علم قبل وقوع الفعل المخالف على لسان الرسل . وأما الثاني وهو القضاء والقدر فلم يعلم إلا بعد وقوع الفعل المنهى عنه ، أو ترك المأمور به ، لكن إذا كان الواقع في مخالفة الأمر والنهى بمن خصهم الله بعلم من عنده حق اطلع على اللوح المحفوظ ، وعرف ما قضى الله به عليه ثم نفذ المقتضى به عليه فلا كلام لنا معه ، فإن مثل هذا له شأن آخر عند الله .

ومن هنا كان رد سيدنا عمر رضي الله عنه على من اعترض على ضرب السارق بأنه كذب على الله ، حيث إنه لم يعلم بالمقتضى عليه من الله قبل وقوع فعل المخالفة ، وإنما الذي يعلمه أن فعل السرقة مخالفة لما نهى الله عنه ، وكذلك كان رد القرآن الكريم على المشركين الذين تعللوا لفعل المحرم بمشيئة الله ، حيث قال تعالى لهم في الآية الأولى : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون ، أى تكذبون حيث لا يعلم بمشيئته إلا هو تبارك وتعالى ، وفي الآية الثانية رد عليهم بأن الرسل بلغوا بلاغا ميثنا ، وهذا ما كلف الله به عباده ، فهو أعلمهم على لسان رسله بالواجب عليهم ، فليس لهم أن يتعللوا بالمجهول وهو المشيئة على ترك المعلوم وهو ما شرع الله . وفي الآية الثالثة سفههم بأنهم في ضلال مبين حيث يتركون المعلوم ، ويتعلقون بالمجهول وهو مشيئة الله التي لا علم لهم بها ، ولا اطلاع لهم عليها . وهكذا نرى في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه أن بعض من دخلوا في الإسلام على جهل أو على نفاق أخذوا يثيرون الشكوك حول عقيدة المسابن الناصعة البيضاء الخالصة من كل الشبهات ، وهكذا كلما تقدم بنا الزمن بعيدا عن النبع الأول للإسلام ، نرى الشبهات تتكثر والخلافات تشتد والجدل يطغى ، وتصبح العقيدة الخالصة مخلوطة بتشويش المشوشين ، وشبهات المضللين ، ولكن من الخير أن ندرس شبههم ، ونعرف حيلهم ، حتى نتقي العقيدة مما علق بها ، وندفع عنها ما أحاط بها . وفي مقال قال إن شاء الله نتحدث عن آثار فتنة سيدنا عثمان في الآراء ، والفرق التي حدثت في المسلمين ، وكان لها الأثر العظيم فيما وقع بين المؤمنين .

على مصطفى القراني

المدرس في كلية أصول الدين

ذِكْرَاتُ تَهْزِئَاتِ عِرَاقِ النَّسَانِ

من بين الذكريات الخالدة على الزمن ، الباقية على مر الأجيال ، التي تهز مشاعر الإنسانية هزاً عميقاً متواصلاً ؛ ذكرى هذه الحرب المقدسة التي أعلنها محمد صلوات الله عليه على الفقر ، عدو البشرية للدود ، وخصمها الجبار ، الذي حارب الإنسان في حياته وسعادته وأمنه دون تردد أو إشفاق .

والفقر كثيرٌ أما يكون سببه توزيع الثروة بين الناس ، أو الجهل باستنباط الثروة واستغلالها ، أو جذب الأرض وقلة خيراتها .

ولقد نظر محمد ﷺ إلى مشكلة الفقر باهتمام شديد ، وسعى بنجاح تام إلى القضاء على هذا المشكلة بعقل المشرع وحكمة المصلح وإلهام الرسول ، مع صعوبة التغلب على الفقر في بيئته كبيئة الصحراء ، وفي مجتمع لا يعرف إلا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الأغنياء والفقراء .

كان الناس ينظرون إلى المال على أنه هو الوسيلة لحياة الرفاهية والترف ، ولاستعباد الفقراء ، وتسخير الضعفاء ؛ فخارب محمد ﷺ هذه الفكرة الخاطئة ، وأعلن أن المال إنما هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ، وواسطة المنكوب وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وكسوة العاري وإسعاد الناس ، وودعة الله في أيدي الأغنياء ، ومال الله استخلافهم عليه ؛ وجعل من سنة الإنسان المذهب في الحياة الإيثار لا الأثرة ، والإعطاء لا الأخذ ، والقناعة والرضا والشكر لا الجشع والطمع والسخط والجحود .

وكان الأغنياء لا ينفون في المال حقوق الله والفقراء والمساكين ، فطالبهم محمد ﷺ بما طالبهم به القرآن الكريم في قول الله تعالى : « فَآتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، ونهاهم عن البخل والإمساك والشح والتمتير ، فقال صلوات الله عليه : « إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا حِمَارَهُمْ » ، وقال الله تعالى : « وَمَنْ يَوْقُ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، ومدح المؤمنين الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ،

وفرض حق الضيف وابن السبيل، وجعل ﷺ البر واجبا، والإحسان فريضة، والصدقة شريعة اجتماعية، والزكاة أمراً محتوماً لمصلحة المجتمع كله. ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس وجعل أساسها الأسرة، وفرض على الرجل حقوقاً يؤديها من ماله لأسرته وأقاربه وأهله، وطالبه بأن يرعى أبنائه حق الرعاية، ويوفر لهم بهمله وجده وسائل الحياة الكريمة. وحث على القناعة والاقتصاد، فقال صلوات الله عليه: « طوبى لمن قنع بالإسلام وكان عيشه كفافا وقع به، وقال: « ما عال من اقتصد ».

وشرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات، فدعا إليها الرسول ﷺ وحض عليها ونادى بها، « وسنّ كذلك نشرعات العمل والإجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعقود الشركات والمضاربة وسواها، لكي تتداول الأيدي المال، ويعمل فيه الفقراء والأغنياء قصداً للربح والكسب الحلال، ومن ثم حرم الإسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، وقرر محمد ﷺ حرمة المال فقال: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه، ودعا إلى اكتساب الأموال من طرقها المشروعة فقال: « من لم يُبَيِّل من أين اكتسب المال لم يُبَيِّل الله من أين أدخله النار. » وعمل على حفظ كرامة الفقراء ففضل صدقة السر، وحضّ على ترك المنّ والأذى، وكره السؤال وحرّمه عن غير حاجة، وجعل اليد العليا خيراً من اليد السفلى.. وحبس محمد ﷺ الأموال - التي تؤخذ من الفئ -، والخراج، والجزية، والغنائم والعشر والركاز وسواها - على مصالح الفقراء، والتسكين لهم في الحياة والمعيشة، وحرر رقيق الأرض من العبودية، وطالب باحترام حقوق الرقيق الذي أسر في حرب مشروعة، وبالععمل على تحريره كاحرار العامل والخدام والمرأة من القيود والأغلال.

ودعا إلى توزيع الثروة توزيعاً عادلاً بإخائه بين الأنصار والمهاجرين، وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء في أموال الأغنياء، وبدعونه إلى العمل وحضه عليه حتى يأخذ الفقير حظه الكامل في الحياة مع مرور الأيام، ويتقسيمه العادل للبيئات بين أولى الأرحام وبغير ذلك من أسباب التسكين للفقير والمسكين والمحروم، ونهى عن كنز المال دون أداء حقوقه، وكره الاستكثار منه والتسكالب على جمعه، حتى قال رسول الله ﷺ لبلال: « اتق الله فقيراً ولا تلقه غنياً. »

وحدث على الجود والبذل والسخاء ، وكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه على : أجود الناس كفا ، وكما وصف في حديث البخارى ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، وتقول عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ، ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ، ... ودعا الناس إلى التعاون على دفع الضر عن الفقراء فقال : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى ، ونهى عن المحاباة فى كل شئ حتى فى اختيار الموظف ، فقال صلوات الله عليه : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً بمحاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله النار ، كما نهى عن الخيانة فى الأموال العامة فقال : « من استعملناه على عمل ورزقناه فما أخذ بعد ذلك فهو غلول ، أى خيانة به ، .

ولقد حبب محمد صلى الله عليه وسلم الناس فى الكسب الحلال المشروع ، ودعاهم إلى استنباط المجهول من وسائل الثروات ، وقال لهم : أنتم أعلم بشئون دنياكم . . وجعل بيت المال فى خدمة الناس والفقير ، من بينهم خاصة ، ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الأموال وإنما كان يضعها فى بيته وبيوت أصحابه ، وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان له أموال الصدقات ، ومعيقب بن أبى فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغانم ، وكان حذيفة ابن اليمان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرص تمر الحجاز . وكان يتخير ولاته وعماله ويقصد فى رزقهم ، فاستعمل عتاب بن أسيد الأموى والياً على مكة وجعل رزقه كل يوم درهماً ؛ وصالح صلوات الله عليه أهل فدك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء . وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوى بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والإخاء بين الناس حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجذب الذى كان غالباً على جزيرة العرب .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم إلى اصطناع الأيادى عند الفقراء ، يقول : « أكثروا من معرفة الفقراء ، واتخذوا عندكم الأيادى ، فإن لهم دولة ؛ قالوا : يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً ، فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة ، وجعل الرسول الأكرم فى كل معروف وكل عمل صدقة فقال : « كل معروف صدقة ، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة ، وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله يحب لإغاثة اللفهان ، ؛ ورفع من منزلة الفقراء ولم يجعل المال أساساً للحكم على الأشخاص .

ولقد قرر محمد صلوات الله عليه حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة ، وحارب الرق والاستعباد والاستغلال والفوارق الاجتماعية الظالمة بين الناس ، ورفع من الفقراء والمستضعفين ذوى الكفايات والمواهب حتى بلغوا أعلى المنازل في الدولة الإسلامية ، مما قلب الأوضاع في توزيع الثروات بين الناس وإنصاف الفقراء ، وفتح باب الأمل الواسع على مصراعيه أمامهم يدخلونه بقوة وعزم وكرامة وتفانٍ بالحياة .

وهكذا كان محمد صلوات الله عليه الإنسانية في أروع صورها ، والمثل الأعلى في أجد مظاهره ، والفائد المظفر الذى خاض معركة للسلام وانتصر فيها ، والنور الأبدى الخالد الذى هدى الحياة وأخرجها من الخوف والقلق والفوضى ، إلى الأمن والهدوء والاستقرار . وكانت حياته كلها كفاحاً مجيداً في سبيل الله والحق والمعروف وتقرير حريات الفقراء وكراماتهم ، وكانت جهاداً صادقاً وجهته الخير وإسعاد الناس ، ومن أجل ذلك توج هذا الجهاد بالنصر ؛ وهزت ذكرياته مشاعر الناس والجماعات والشعوب في كل مكان وجيل ، ولا تزال هذه الذكريات حديث الدنيا ، ونشيد الحياة ، وفرقان البشرية الظالمة إلى نبع هذا الوحي المقدس والناموس السماوى الحكيم .

لقد استطاع محمد صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والأغنياء إخواناً متحابين متآخين متعاونين ، وأن يقيم في المجتمع الإسلامى اشتراكية عادلة تؤمن بالمبادئ الروحية والمثل العليا وتجعلها أساساً من أسس الاقتصاد التعاونى الجماعى في الدولة الإسلامية الناشئة ، واستطاع بما بذره من بذور الخير في الأرض أن يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة والاضطراب والقلق بين الطبقات ... وكانت ثورة محمد الكبرى من أهدافها تحرير الإنسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف ، وكفالة حريته وحقه في الحياة الهائثة الكريمة وهدم كل الصروح التى أقيمت ظلاماً وبهتاناً بأيدي الإقطاعية والإقطاعيين الجائرين .

ولا تزال هذه المبادئ الحية الكريمة ينطق بها كتاب الله وسنة رسوله ، ويقوم عليها تراثنا الروحى الخالد الذى يُبعد مفخرة من مفاخر البشرية في نهضتها وتوثيقها إلى الكرامة والحرية .

محمد عبد المنعم فهاجى

المدرس في كلية اللغة العربية

لُغَوِيَّاتُ رَجُلٍ

البُذُورَةُ ، السُّطَّانِيَّانِ ، عَامُّ بَرَخ .

١ — يطلق أهل الحجاز في هذا العصر البُذُورَةَ على صغار الأولاد . وقد سمعت هذا من حجازي في القاهرة ، وحكى لي بعض الحاج أنه سمعه من أهل مكة حين حج . وقد أثار فضولي هذا الحرف ومنزله من اللغة العربيَّة .

ويلوح للباحث في بادئ الأمر أن البذورَة جمع البذر ، وهو أوَّل ما يخرج من الزرع والبقل والنبات . فشبهه صغار الذريَّة بهذا الذي ينجم من الزرع وينمو حتى يستوى ويؤتى أكله ؛ إذ كان الأولاد ينمون ويتنقلون من طور إلى طور حتى يستووا رجالا . والجمع الوارد للبذر : بُذُورٌ وبُذَارٌ . وإلحاق التاء لصيغة الجمع كثير ؛ كالعمومة والخمولة والفحولة في جمع العم والخال والفحل ؛ وقالوا : الحجارة والبيكارَة والفحالة والسُعْطامة والجمالة في جمع الحجر والبكر والفحل والعظم والجل . وهذا لتأنيث الجمع كما يؤنث المفرد ؛ نحو القصعة والخُجْرة والسُغْرُفة . وهذا التخريج فيه متنع ورضي لمن شاء .

وقد سنح لي تخريج آخر حين وقفت على النص الآتي في ذيل ^(١) الأماي للقال : « يُدعى عليهم ، فيقال : قطع الله بُذَارَتهم . والبُذَارَةُ من البذر ، كأنه أراد النسل ، وفي اللسان (بذر) : « والبُذَارَةُ : الفسل ، . وذلك أن يكون البُذُورَةُ أصابها البُذَارَةُ فحولت إلى البذورَة . وتحويل الفعل إلى الفُعُولَة يجري في لسان العامة ؛ يقولون في السُعْطَالَةِ - وهي أجرة العامل - : السُعْطُولَة . يقول أحدهم : إذا قت لي بسكدا فلك سُمُولَة كذا .

٢ — وذكرني هذا الحديث بحديث أفضى به إليّ بعض أصدقائي الذين أدروا فريضة الحج ، قال : مررت مع غلام حجازي على مجزرة ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : هنا تذبج الطليان . والطليان جمع الطلي ، وهو الصغير من أولاد الغنم .

وهذا المثال والذي قبله يحفزنا إلى دراسة اللغة الحالية للجزيرة العربية وتعرف ما بقي فيها من الفصحى؛ فقد يكون في ذلك غناء كبير لدارسى اللغة . فعمى أن ينشط لهذا بعض الجماعات فينفقوا على من يقوم بهذا الامر ويضطلع به من العلماء .

٣ — وبحضرتي في هذا المقام قصة نبأى بها صديقي الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى . فقد كان في تونس - حماها الله ودفع عنها كيد الاعداء - في رحلة عليية ، وضمه مجلس فيها ، وكان قد اثنى كلمة سمعها هناك ، وهى (بَرخ) يقولونها في الكثير الموفور . يقولون : السكر برخ عندنا ، فذكر هذه الكلمة وتجارى فيها مع الحاضرين ، ورأى بعضهم أنها تمت بسبب إلى العبرية ، وذكر هو أيضا أن في موطنه الاصلى ومسقط رأسه د محلة أبو على ، من أعمال الزقازيق يقال : هذه سنة برخة للسنة يرجى فيها الخصب والخير . ولقد شعرت حين أورد لى الصديق الكريم هذه القصة أن للكلمة د برخ ، صلة بمادة البركة في العربية ، وعمادها كثرة الخير ووفرة ما يشتهى .

ولقد وجدت في اللغة مؤيداً للاستعمال السابق لكلمة د برخ ، و د برخة ، في بلاد العرب ، وفي قرية د محلة أبو على ، . ففي اللسان : د يقال : كيف أسعارهم ؟ فيقال : برخ أى رخيص . والتبريخ : التبريك ، . وفي القاموس : د البرخ : النماء والزيادة ، والرخيص من الاسعار (عمانية) . وقيل : هى بالعبرانية أو السريانية ، . وقد آثرت في صدر المقال أن أورد العبارة د عام برخ ، فأعدل عن د سنة ، لما أن السنة توهم الجذب والازمة . وانظر قوله تعالى : د ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ، . وانظر الروض الأنف ١/١٩٢

هِنْدِيّ ، هِنْدِكِي

النسبة إلى الهند هِنْدِيّ ، وجمعه هندود ، يقال : رجل هِنْدِيّ ، ورجال هندود ، كزنجي وزنوج ، وقد ورد في النسبة إلى الهند هِنْدِكِي ، ويقال في جمعه الهنداك والهنداكّة ، قال أبو طالب في لاميته ^(١) .

بنى أمة مجنونة هندكية بنى جمع عبيد قيس بن عاقل

(١) انظر سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ١/١٧٨

وقال كثير عزة :

ومقربة دم وكت كأنها طهاطم يوفون الوفار هنادك

فالهنادك : رجال الهند ، والطهاطم جمع الطهطم ، وهو الاعجم لا يفصح .

ويستعنى النظر هذان الوجهان من النسبة ، وبالخرى الوجه الثانى منها ، وهو الذى فيه الكاف ، إذ كان هذا غير مألوف فى النسبة العربية ، بل هو مجهود فى الإضافة والنسبة فى اللغة التركية ، وإن كانت الكاف عندهم مكانها جيم . ولقد سرت هذه النسبة فى كلمات كثيرة فى لسان العامة . ومن هذا التمرجى لمن يقوم بأمر المريض ، وهو منسوب إلى تمر ، وهو النبض ، كما أخبرنى بذلك من يعلم هذا الشأن ، فهو الذى يقوم بحس النبض . ومنه الكسفتجى . وهو نسبة إلى كفتن ، وهو فى اللغة الفارسية مصدر معناه تقطيع اللحم . وقد تضاف علامة النسبة هذه إلى كلم عربية ، قالوا : السفرجى فى النسبة إلى السفرة . وقهوجى فى النسبة إلى القهوة . ومثل هذا كثير غنى عن الإيراد .

ويبدو أن هذا دخل فى لسان الناس الذين يتكلمون بالعربية من قديم ؛ ففى رسالة الغفران ذكر أبى الفرج الزهرجى ، وذلك إذ يقول أبو العلاء : « وأما أبو الفرج الزهرجى فعرفته بالشيخ تقسم أنه للأدب حليف ، وللطبع الحثير أليف ، وظاهر أنه منسوب إلى الزهر على اصطلاح الأتراك .

وقد كانت مسألة « هندكى » لغرابتها فى العربية موضع بحث عند لغوي العرب .

١ — فىرى ابن جنى أن الكاف فى هندكى ليست زائدة ؛ إذ ليس هذا من موضع زيادتها فى قانون الصرف . فهندكى نسبة إلى هندك لا إلى هند ، وإن لم ينطق بهندك . وهذا كما قالوا : تهايم فى النسب إلى تهامة ، على نيّة النسب إلى تهم أو تهمم وإن لم ينطق بهما . وعلى هذا فهند وهندك - وإن كان هذا الأخير لا يظهر إلا فى النسب - من مادتين مختلفتين لا من مادة واحدة ؛ إذ كانت الأولى ثلاثية ، والثانية رباعية . وإذا كان معناهما واحداً كان هذا من تداخل الثلاثى والرباعى ، كدمث ودمثر ، وسبط وسبطر . وقد عقد ابن جنى لهذا باباً فى الخصائص . وإنى أسوق إليك كلام ابن جنى فى سر الصناعة (حرف الكاف) :
فأما قول كثير .

ومقربة دم وكت كأنها طهاطم يوفون الوفار هنادك

فقال محمد بن حبيب : أراد بالهنداك رجال الهند ، فظاهر هذا القول يقتضى أن تكون الكاف زائدة . ولو قيل : إن الكاف أصل ، وإن هندی وھندی أصلان بمنزلة سبط وسبطر لكان قولاً قوياً ، وهو الصواب . ويقول ^(١) أبو حيان بعد أن أورد بيت كثير : « نخرجه أصحابنا على أن الكاف ليست زائدة ؛ لأنه لم تثبت في زيادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا عليه ؛ وإنما هو من باب سبط وسبطر ، .

٢ - ويرى ^(٢) أبو حيان أن هذه العلامة اللاحقة (كى) علامة النسب ، وأنها سرت إلى العرب من لسان الحبش ، وقد كان قسماً بهذا اللسان وصنف فيه . وهاك مقالة هذا الخبر الضليع : « والذي أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب إن كان تكلم به فإنما سرى إليه من لغة الحبش ؛ لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض . والحبشة إذا نسبت ألحقت آخر ما تنسب إليه كافاً مكسورة مشوبة بعدها ياء . يقولون في النسب إلى قند : قندكى ، وإلى شواء : شواءكى ، وإلى الفرس : الفرسكى . وربما أبدلت الكاف تاء مكسورة ؛ قالوا في النسب إلى جبر : جبرتى . وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة ، المسمى بجملاء الحبش عن لسان الحبش . وكثيراً ما تتوافق اللغتان لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ وفي قواعد من التركيب نحوية ؛ كحروف المصارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية ، .

وإننا لنحمد لأبي حيان - وهو من جلة النحاة واللغويين ، وكانت وفاته سنة ٧٤٥ هـ - عنايته بغير لغة العرب ، ونزوعه إلى موازنة اللغات . فقد رأيت أن له تأليفاً في اللغة الحبشية ، وفي ثبت كتبه : « منطق الخرس في لسان الفرس ، و « الإدراك لسان الأتراك ، . وهذه النزعة قليلة في علماء العربية ، وإنما استولت على العلماء الغربيين في العصر الحديث ، وكان لهذا أجل الآثار وأعظم الجدوى . وما زال الشرقيون متخلفين عنهم في هذا المضمار ، ولو نهجوا نهجهم لكان لهم من الآثار ما يفوق آثار أولئك الغربيين .

على أن ما ذكره أبو حيان عن لغة الحبش من النسبة بالمقطع (كى) لا يعرف الآن على ما أخبرني به من اطالع على الكتب المصنفة في هذا اللسان ؛ وكذلك النسبة بالتاء .

والمعروف أن الجبرتي منسوب إلى الجبرت . وفي مستدرک التاج : « وبقي هنا على المؤلف « جبرت » ، وهو بلد الحبش . وينسب إليه أقوام من العلماء ، ولكن أبا حيان غير ظنين فيما يروى وينقل ، وإن كان المعروف عن هذه العلامة (كى) أو (جى) أنها من سمات النسبة عند الأتراك .

هذا ، وإبدال الياء جيما معروف في العربية ، في النسب وفي غير النسب . وذلك لما بين الحرفين من تقارب المخرج ؛ إذ كانا من وسط اللسان . ويقول أبو عمرو بن العلاء ^(١) : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيميج . فقلت : من أيهم ؟ قال : مرج . أراد : فقيمي ، ومرى . وفقيم قبيلة من العرب ، وكذلك مرة . وقال هميان بن قحافة أحد الرجاز في وصف الإبل :

تشير بالأيدي عجاجا راججا يطير عنها الوبر الصهايجا
العجاج : الغبار ، والصهايج أراد : الصهاى من الصهبة وهى من الألوان .

ومن هذا ما يعرف بمعجزة قضاعة ، يحولون الياء جيما مع العين ، يقولون : هذا رابع ، خرج معج ، يريدون : هذا راعى خرج معى . ومن هذا الرجز المشهور :

خالى لقيط وأبو عالج المطمان اللحم بالعشج

يريد : أبو على ، وبالعشى . ويقول ابن السكيت : بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما ، ويقول أبو عبيد البكرى في اللآلى : وبنو تميم يجعلون ياء النسب جيما . ويبدو لى أن بعض العرب نسب إلى الهند على هذه اللفظة فقال : هندج ، بإبدال الياء جيما ، ثم توهم من جاء بعد أن الجيم من سنخ الكلمة ، فألحقها ياء النسب ، فقال : هندجى . وأبدلت الجيم كافا ؛ لما بينهما من تقارب ، وقد قالوا ^(٢) : مر ريتج ويرتك إذا ترجج ، وأخذته شك في بطنه وسج : إذا لان بطنه ، وريح سيهوك وسيهوج : شديدة .

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

العلية في فلسفة هيوم

يقوم مذهب هيوم على الوجدان الخالص ، فالمعرفة عنده بمجموعة إدراكات . وتداعى المعانى ، هو القانون الذى ينشئ العلاقات بين المدركات بالتشابه أو بالتقارن فى الزمان والمسكان أو بالعلية . وعلاقة العلية ذات قيمة كبيرة فى العلوم الطبيعية .

ولكن ما مقدار معرفتنا للعللة ؟ أليست هى الحادثة السابقة التى نشاهدها قبل حدوث معلولها ؟ ثم ، أليس من الضروري أن نشاهد الحادثتين مما حتى نحكم بأن إحداها علة والآخرى معلول ؟

الواقع أن هيوم ينكر العلية سواء أقلنا عنها إنها موجودة كامنة فى الأشياء المادية أو النفسانية أو قلنا إنها رابطة ضرورية بين الأشياء أو المظاهر النفسية . فكل ما هناك — على حد تعبيره — هى حوادث مفككة متفرقة يلى بعضها بعضا ، لا نلاحظ بينها أى رباط أو أى عقدة وإن ظهرت لنا متجاورة .

هذا هو الموقف السلبى القاسى الذى وقفه هيوم من العلية . قد يكون من المفيد فى سبيل فهمه أن نعرف ما قاله الفيلسوف مالبرانش قبله وما قاله الفيلسوف كانت بعده . فما هو موقف مالبرانش من العلية ؟ إن ذلك القسيس المتبتل لم يشأ إلا أن يدخل الله فى كل شئ ، كما كان التراجيديون اليونان يفعلون حين يضعون الله فى المواقف التى تخرج عليهم . فالله عند مالبرانش هو علة معرفة الأجسام وعلة لمعرفة النفس .

فهذه الأجسام التى نراها بما لها من صفات أولية أو ثانوية ، أو بعبارة أخرى هذا الامتداد ومظاهره ، لا ترتبط أحراره ببعض ارتباطا ضروريا . وهذه النفس ومكوناتها والجسم المتصل بها ومكوناته ليس فيهما ما يحملنا على أن نعتقد أن الأول علة للحالات الثانى ولا أن الثانى علة لأحوال الأول ، ويؤيدنا فى ذلك مبدأ التمييز الديكارتي الذى يقول إنه ليست هناك علة بالمعنى الصحيح لا فى الجسم ولا فى النفس ولا فى صلة النفس بالجسم ، فالذى يوجد إذن هو تتابع ليس إلا لأحوال الجسم وأحوال النفس ، وليس ارتباطا ضروريا بحال

من الاحوال . الله هو العلة الوحيدة لان القوة صفة قدسية لا يمكن أن تحمل إلا على الله سبحانه وتعالى ، فهي صفة الخالق ذاته في طبيعته تكماني ، وليس هناك موجود إلا الله سبحانه وتعالى نرى بينه وبين معلوله ارتباطا ضروريا ، فمن المستحيل كما يقول مالبرانش أن تؤثر الموجودات المخلوقة بعضها في بعض ، سواء أكانت مادية أم روحية .

ولكن ما هي هلة حركة جسم معين ؟ يجيبنا مالبرانش بنظريته الجديدة في العلة وهي نظرية العلة المناسبة فيقول إنه علته الصحيحة الفعالة هي إرادة الله لخلقه وحفظه في مكان معين بالنسبة إلى أجسام أخرى أو حفظه في عدة أمكنة مختلفة بالنسبة لأجسام ثابتة ، وأن علته المناسبة هي حركة الاجسام الاخرى التي تتقابل معه ، وقولنا في كلتا الحالتين صحيح بشرط أن ندرك تماما أن علة الله الفعالة وعلة الجسم المناسبة تسييران وفق قوانين ثابتة رسمها الله ، قوانين بها يوفق الله بين عمل الجسم غير الفعال وعمله الفعال .

هذا هو حل مالبرانش لمشكلة العلية ، حل يشبه إلى حد كبير ما أورده هيوم في كتابه المسمى Inquiry وإن اختلفت النتيجة المستخلصة عند هذا الاخير عنها عند الاول . فهوم وإن اعترف بأن مالبرانش قد وصل بنقده إلى أسى درجة ، إلا أنه ينكر عليه بعد ذلك ولوغه في عالم خرافي لا يمكن أن يستخلص منه شيء مؤكد ، ويظهر هذا من تسليمه بالقوى التي انتزعها من الاجسام والاشياء الإنسانية ، فهو حين سلم بها ، سلم بها في كائن أسى هو مصدر القوى الظاهرة سواء في الاجسام أو في الانفس . وهذا عيب في نظر هيوم يظهره بوضوح في إحدى فصوص كتابه ، حين يقول : « إن جميع الحوادث تبدو مفككة متفرقة ، لحادث يلي حادثاً آخر ، ولكننا لا نلاحظ أبداً أى رباط أو أى عقدة بين هذه الحوادث فهي تظهر متجاورة ولكنها ليست أبداً مرتبطة ، وبما أنه لا يمكن أن يكون لدينا معنى عن شيء لم يظهر أبداً لا للحس الخارجى ولا للشعور الباطنى ، فالنتيجة اللازمة لذلك أنه ليس لدينا أى معنى عن الرابطة أو عن القوة وأن هذه الالفاظ لا معنى لها على الإطلاق كلما استعملت في الحجج الفلسفية أو في الحياة الجارية » .

من هذا النص تبين لنا النتيجة القاسية التي يقف عندها هيوم ، وهي إنكار العلية إنكاراً

مطلقاً ، ولكن الواقع غير هذا ، فهيوم لا يصل إلى هذا الحد من الإنكار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا يريد أن يقع فيما وقع فيه مالبرانش ، فكيف إذن يفسر موقفه ؟

سيعرف الجواب بعد ذكر بعض الأمثلة . إذ رأينا حادثة معينة نتجت عنها حادثة أخرى ، فهل نحكم من أول مرة أن الحادثة الأولى علة والآخرى معلول ؟ إننا مهما أوتينا من سرعة الحاطر ودقة الانتباه فلن نستطيع ذلك ، ولكن إذا ما تجدد الحادث الأول ونشأ عنه دائماً الحادث الآخر فإنه يمكننا أن نسمى الحادث الأول علة والثاني معلولاً . فاستنتاجنا للعللة والمعلول يأتي بعد تتابع الحادث الأول والتتابع الذي لزمه به الحادث الثاني ، لأننا إذا نظرنا إلى الحوادث ذاتها من الناحية الموضوعية لما وجدنا فارقاً البتة بين الحالة الأولى والأحوال الأخرى ، فكثرة البلياردو مثلاً لا تكاد تمس كرة أخرى حتى تبدأ الأخيرة في الحركة وهذا هو ما يحدث بعينه في كل مرة لا أزيد ولا أقل ، هذا من الناحية الموضوعية ، ولكن الأمر سيتغير لو نظرنا إلى نفوسنا وما يمتريها من أثر هذه الحوادث . ويذكر هيوم في ذلك نصاً يقول فيه : « الحالة الأولى التي رأينا فيها حركة ناتجة من احتكاك كرتي البلياردو مشابهة تماماً لآلية حالة يمكن أن تقع لنا مرة أخرى إلا في أننا كنا عاجزين في الحالة الأولى أن نستنتج حادثاً من حادث آخر ، الأمر الذي أصبحنا قادرين عليه بعد مرحلة طويلة لتجربة ثابتة ، فليس لدينا أي معنى عن القوة ، أو أي معنى عن الرابطة الضرورية ، أو أي معنى عن عليّة موضوعية ، وكل ما هنالك هو تغير النظر بعد تكرار الحوادث وفعل هذا التكرار في نفوسنا .

فصدر العلية إذن ، مصدر نفساني ، وفي هذا يقول هيوم : « ليس هناك بين حالة واحدة وعدة حالات من المفروض أنها جميعاً متشابهة ، أي فارق ، إلا في أن العقل بعد التكرار يتوقع حين ظهور حادث معين ، وبفعل العادة فقط ، قرينته المعتاد . فالرابطة التي نحس أو نشعر بها رابطة عقلية ، والانتقال التعمودي للمخيلة من موضوع إلى قرينه المعتاد ، هو الشعور أو الإحساس الذي نشقت منه معنى القوة أو الرابطة الضرورية ، ففكرة العلية ، مصدرها نفساني داخل هو الإيمان بالنوقع ، ومن ذلك نستطيع أن نصل

إلى تعريف العلة عند هيوم وهو : العلة شيء يتبعه شيء آخر وظهوره ينتقل بالعقل إلى هذا الشيء الآخر .

ليس لمعنى العلة إذن أى أساس للظواهر فى ذاتها أو فى طبيعتها ، فشكل ما فى العقل حين يفكر فى مشكلة العلية هو ما ذكره وما ذكره فقط من حدوث ظاهرة أخرى وتوقع الظاهرة الثانية بعد تكرار الأولى ، ففكرة السببية إذن ذاتية محضة وهى خدعة من الخيال الذى يميل إلى فرض رابطة بين الأشياء ، والحوادث ليس لها وجود إلا فى العقل الذى يدركها ، ومن هذه الفكرة توصل هيوم الى القول بأن للعالم الخارجى وهم باطل ، ونزل بموله على العالم المادى ، فليس فى الكون إلا أفكار ندرناها ومن الخطأ أن نفرض وجود ما لا نعلم ، وعلى كل حال فهذا مبحث آخر خارج عن موضوعنا .

هذا هو نقد دافيد هيوم للعلية ، إذا نحن قارناه بتقدم كانت ، رأينا الأخير يفرض تنالاً بين الظواهر وليس فقط بين تأثراتنا الشخصية بهذه الظواهر ، وأن التابع فى ظهور الشخصية ليس له أى قيمة موضوعية ، ما لم يكن هناك تنال بين الظواهر ، وهذا معناه أن الظواهر تسير على قاعدة أساسية هى : أن حادثاً ما يلى آخر ، وأن الحادث الثانى لا يمكن أن يسبق فى الزمن الحادث الأول أو بمباراة أخرى لا يمكن أن يرجع التالى إلى الوارد قبل المقدم ، فبدأ العلية عند هيوم — على حد قول كانت — إنما هو تعبير آخر عن القاعدة الأساسية للتفكير التى تعين الزمن كنظام موضوعى بين الحوادث (كقبل وبعد) ، وأن هذا النظام ليس نتيجة لأفعال مخيلتنا ولتداعى الأفكار فيها ، كما تصور هيوم ، بل إن حوادث الخيلة والتمييز بين (قبل وبعد) مبنى على القاعدة التى تسلم بضرورة هذا التمييز ، أى أن أولية العلية ما هى إلا تعبير آخر عن تعيين الفكر لخاصيات الزمن أو هو عبارة عن رفع طبيعة الزمن إلى مرتبة يمكنه فيها أن يكون أساساً للنظام الداخلى .

وبعد ، فهذا مقال فى نقد العلية عند فيلسوف الإنجليز دافيد هيوم ، لا أحب أن أوضحه أكثر من هذا ، فإنى أخشى ما خشيه هيوم من قبل : إذا ما أظهرته فى أنوار مختلفة أن يصبح أكثر غموضاً وأكثر تعقيداً .

الرئيس يزور الأزهر

أقام سكان حي الأزهر وأصحاب المتاجر في شارع العظم معالم الزينات احتفالاً بالرئيس المصلح اللواء محمد نجيب في زيارته للأزهر يوم ٧ ربيع الأول ١٣٧٢ (٢٥ نوفمبر) وفي منتصف الساعة الحادية عشرة وصل الرئيس فاستقبله فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار العلماء وجلسوا حول منصة أقيمت في صدر الفناء الكبير الذي يقع في مبنى الأزهر الجديد أمام كلية الشريعة وقاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر ، وقد ركبت إلى جوانبها مكبرات للصوت . وبعد ابتداء الحفل بأى الذكر الحكيم وقف فضيلة الأستاذ الأكبر وخطب قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين .

وبعد وقد تفضل الرئيس اللواء محمد نجيب بزيارة أهل العلم وطلابه ، وهم الذين يرجى أن يكون المستقبل بهم مشرقاً زاهراً ، وإننا إذ نشكره اليوم فإنما نشكره شكر الأرض الكريمة إلى الغيث النافع ، ونؤكد بهذه الزيارة ما عرفناه فيه من عنايته بدين الإسلام ، وتصريحه بأنه دين النظام . وتحضرنى في هذه المناسبة قصة موزة : تلك أن القاضى أبابوسف كان جالساً ذات يوم إلى جانب الرشيد ، فدخل يهودى ورفع قضية على الخليفة ، فقام القاضى أبو يوسف من مكانه وقال لليهودى : اجلس إلى جانب خصمك ، وجلس أمامهما وحكم لليهودى على الخليفة ، ثم قال القاضى : إني لا زلت أستغفر الله من أن خطر بنفسى أن يكون الحق مع الخليفة . وإني أعود فأشكر للرئيس هذه الزيارة الكريمة ، وأدعوه ولرجال الجيش البواسل ، وأسأل الله له ولهم التوفيق والسداد .

ولما جلس فضيلة الأستاذ الأكبر وقف مندوب الطلبة الأزهريين وألقى كلمة حيا فيها الرئيس باسم الطلاب وختمها بقوله : « إن هذا اليوم ليوم تاريخى عظيم يسجله الأزهريون بمزيد من الفخار والزهو » .

وعلى أثر ذلك قام الرئيس اللواء وألقى كلمة قال فيها :

يا أبناء الأزهر ،

السلام عليكم ورحمة الله .

جئت اليوم لتحية الأزهر ، وأنتم أبناءه وحملته رسالته وحماة تقاليده ، فأتهم بهذا حملة رسالة الإسلام ، وقادة الأمة إلى الخير ، ومنافذ رحمة الله للعالمين .

وإن الأزهر ملاذ اللغة العربية ، ومعاد الشريعة الإسلامية ، وواجب كل عرب أن يصون الأزهر ليصون به لغة القرآن . وواجب كل مسلم أن يرفع رايته لترتفع به راية الإسلام .

ولقد كان الأزهر وما زال هو الجامعة الإسلامية العظيمة ، تهفو إليه أرواح المسلمين في كل موطن ، وتنطلق إليه آمالهم من كل مكان ثم يفدون إليه من كل قطر من أقطاره ، ويفتخرون من مناهل معارفه وعلومه ، ليرجعوا بعد ذلك إلى بلادهم وأهلهم كما قال الله سبحانه وتعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

ولقد وقف الناس أمام الأزهر طائفتين : طائفة ترى فيه موطن أمل ، وموضع رجاء ، فهي تحرص عليه وتعيته على بلوغ غايته . وطائفة أخرى ترى فيه حصناً منيعاً دون غاياتها الاستعمارية ، فهي تكيد له حتى تصرفه عن الهدف السامي الذي أرادته الله له . ولكن الأزهر بفضل الله ، وجهود أبنائه ، وغيره الغيورين من أبناء الوطن العزيز ، سيصل إلى غايته من نشر رسالة الإسلام ، وجمع شمل المسلمين ، وحملهم على أن يتعارفوا ويتآلفوا ويتناصروا حتى يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالمهر والحمى .

ولأنى ، وأنا أحبي الأزهر الشريف ، لا أحييه تحية الغريب للغريب . فإن الحركة المخلصة التي قام بها الجيش ، ليست إلا معنى من معاني الإصلاح الذي ينشده الإسلام ، والإسلام دين الحرية ودين العدل ، والأزهر هو القائم برسالة الإسلام ، والحفيظ على هذه الرسالة في نفوس المسلمين . ولذلك أشعر وأنا أحبي الأزهر أنني فرد من أفراد الأزهريين ، لأننى فرد من أفراد المسلمين .

إن الإسلام يحب الحرية ويقدمها ، ويكره الذين يختارون الضعف والعبودية ، وأنتم أعلم بقول الله في كتابه العزيز (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا

كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) .

إن الإسلام يحب العدل ويحرص عليه ويأمر به (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

ولقد اكتويتنا واكتوت مصر معنا بنار العبودية ونار الظلم ، وكان الملك السابق يكاد يدعى أنه الإله من دون الله . واستباح لنفسه ما حرّمته شرائع السماء المقدسة ، فبغى وظلم وانتكح الحرّمات وسفك الدماء في استهتار بالغ بإرادة الشعب ، وخروج آثم على أوامر الله ، ولم يكن بد من أن يوقف الشعب ، مثلاً في جيشه ، هذا الطغيان ، فقام بحركته التي يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون ، وتوידها مبادئ الإسلام الذي يرفع الأزهر رايته ويؤدى رسالته .

والآن وقد ذهب الطاغية إلى غير رجعة ، وتخلصت الأمة من الكابوس الذي كان يحجم على صدرها ، ويكاد يحبس أنفاسها ، نتجه إلى الله جلّت قدرته أن يوفقنا جميعاً إلى ما يعلى راية الخير ويثبت دعائم الحق ويأخذ بيد أمتنا إلى الحرية الشاملة والعدالة الكاملة والاستقرار السعيد العزيز .

وأن أماننا سبلاً كثيرة للإصلاح وتوفير أسباب الحياة الماجدة للشعب الكريم ، ولما لوائقون أننا وأبناء الوطن العزيز بد واحدة ، ولأننا بفضل توجيه الأزهر للأمة وإرشاده إياها ، سنستعين بالصبر على عزائم الأمور ، وسنكون كما يوجه القرآن الكريم (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وكانت هذه الكلمة الجامعة تقابل في كثير من مواضعها بالهتاف المدوى والتصفيق الشديد.

ثم نهض فضيلة الأستاذ الشيخ سليمان نوار شيخ كلية اللغة العربية وألقى كلمة جامعة حيا فيها الرئيس وبارك عهده الميمون وقال : إن علماء الأزهر على بكرة أبيهم يقساندون في نصرة هذا العهد لأنه عهد الحرية والكرامة والنور والعرفان .

وعلى أثر ذلك وقف الرئيس ، فتهللى هتاف انطلاّب واشتد تصفيقهم ، غيا العلّاء والطلاب ، واستقل سيارته وانصرف بين مظاهر التكريم والإجلال .

مَمْلَكَةُ تَقْلَى

- ٢ -

قدمنا في الجزء الماضي من هذه المجلة للمملكة تقلى ، بعرض جغرافى وتاريخى عام لهذه المملكة الإسلامية . والآن نواصل الحديث عما مبتدئين بذكر تاريخ تقلى ، قبل أن ينشأ البيت المالک فيها .

يقطن تقلى اليوم شعب مكون من خليط من قبائل كثيرة ، ومزيج من الدماء المختلفة . ويرجع ذلك إلى هجرة الكثيرين إليها ، بعد أن تأسس فيها البيت المالک ، واستقر هؤلاء المهاجرون بتقلى . وتوضح آثار هذه الدماء المختلفة ، فى شعب تقلى اليوم .

ومنذ أربعمئة عام ، كان سكان الجبال الشمالية الشرقية ، عنصراً جنسياً واحداً ، يحيا حياة منعزلة فى ثلاث مناطق هى (١) ترمى Tirmi فى أم طلحة ، (٢) جبال السكجاجة ، (٣) تقلى نفسها .

وكان هؤلاء القوم وثنيين ، يحيون حياة بسيطة بدائية ، تحت سلطة زعمائهم الوراثيين ، الذين اتخذوا " تيجال آرو ، Tegal'arro قاعدة لهم ، وهى تقع قريبة من قرية د الهوى ، الحالية . وكان سكان الجبال الشمالية الشرقية ، يعرفون باسم د الهمج ، . وسلالة هؤلاء السكان ، موجودة اليوم ، فى جبال السكجاجة ، نقيصة من الدم الغريب . ولقد انقرض هذا العنصر ، لدرجة كبيرة ، فى سائر جهات تقلى الأخرى ، إلا أن دماءهم تسربت إلى معظم سكان هذه الجبال الشمالية الشرقية .

وسكان السكجاجة يعتقدون الإسلام ، ومن المحتمل أن يكونوا قد أسلموا منذ ثلاثمئة عام ، إلا أنهم ما زالوا يمارسون كثيراً من عاداتهم القديمة ، وإن تكن القرون قد غيرت قليلا من مظاهر حياتهم . وزراعتهم قليلة ، أهمها القمح ، يزرعونه فى جبالهم ، التى قلما يخاطرون بالابتعاد عنها . ويتكلم قليل من سكان السكجاجة ، العربية ، بينما نرى أن سكان تقلى ، جميعهم يتكلمون العربية .

وقد عفت الايام على لغتهم الاصلية تماماً ، وقل أن تجد اليوم متحدثاً بها . وكان « الجندى » يسيطر على قبائل السكجا كجة ، وهو وارث سلطات رؤساء القبائل . ولما تأسس البيت المالك الجعلى ، ظل هذا الجندى يشغل منصبه في عهدهم . وإذا استئلفنا الديانة والملبس ، فإننا نجد أن سكان السكجا كجة اليوم ، في حياتهم وعاداتهم ، يشابهون أولئك الذين عمروا الجبال الشمالية الشرقية منذ أربعمئة عام . ولقد وجدهم هناك ذلك الرجل الجعلى الفقير ، الذى أسس البيت المالك ، ونسل منه ملوك تقلى . ورواية نسب هؤلاء السكان مشوشة مضطربة ، وإن كانت ذريتهم تعترف بهذه النسبة ، وتحفظ بها ، في أغانيها وقصصها . ويمكن أن نتبع آثارهم في خرائب منازلهم في « تيجال آرؤ » ، و « ترمى » ، حيث نجد الحصون التى أقاموها لصد المهاجمين . ونستنتج من ذلك ، أنهم لم يكونوا قوماً مسلمين ، كما هم الآن . وكان سلاحهم القذف بالحجارة ، والرمى بالسكاكين والحراش ، من خلف هذه الاسوار التى أقاموها .

ويجمل بنا أن نقف قليلاً ، لنعرف من هم هؤلاء الغزاة ، الذين بنيت هذه الحصون لردهم . كان هناك خوف ، في ذلك الوقت ، من غزاة يأتون من الشمال أو الشرق ، لأن سكان الجبال ، كانوا دائماً متناحرين . وتذكر الرواية أن سكان الجبال الشمالية الشرقية ، كانوا متحدين تحت زعامة واحدة . ولكن الأرجح أن كل جماعة منهم كانت تحيا حياتها الخاصة تحت زعامة رئيس محلى . وذلك يفسر لنا نشوب العداوات بينهم . وتنسب الرواية لهؤلاء الرؤساء المحليين سلطة واسعة . وفي « تيجال آرؤ » ، تسكون بيت تقلى القوى ، الذى نشر نفوذه فيما بعد .

ومعرفتنا بأصل هؤلاء القوم محدودة . وبين سكان السكجا كجة و « السكوالب » ، اليوم عداوات وإحن تفسر لنا شيئاً من تاريخهم القديم . وبين الجماعتين كثير من التناقض ، مرده إلى اعتناق سكان السكجا كجة الإسلام منذ أمد بعيد ، بينما السكوالب وثنيون حتى اليوم . ويمثل سكان « تاكام Takam » ، و « تورجوك Turjok » ، و « تاجوى Tagoi » ، حلقة متوسطة بين الجماعتين السالفتين ، لأنهم اعتنقوا الإسلام حديثاً . ويقال إن هؤلاء السكان ، الحديثي الإسلام ، يرجعون هم والنوبايون في الجنوب إلى أصل واحد . وعلى كل حال فهذه أمور لا زالت تحتاج إلى مزيد من العناية والبحث . غير أن الشئ

الذى نستطيع أن نؤكدده ، هو أنه كان يعيش فى تقلى ، فى بداية القرن السادس عشر ، قوم بدائيون وثنيون ، وقد كانوا متشابهين فى كثير من الوجوه مع سكان النوبا ، وهم يختلفون الآن فيما بينهم اختلافاً كبيراً ، نتيجة للهجرات التى ندفقت إلى بلادهم ، بعد أن بدأ عهد الملوك . ونحن لا نعرف هل كان لهذه الجماعات اتصال بالعالم الخارجى أم لا . وبين هؤلاء الناس ، وفى هذا التاريخ ، بدأت مملكة تقلى بداء متواضعاً بسيطاً .

وفىما يختص بنشأة البيت المالك فى تقلى ، تفص علينا الرواية ، أن شخصاً يدعى د محمد الجعلى ^(١) ، قدم الى تقلى من الشمال ، حوالى عام ١٥٣٠ م ، وأسس فيها البيت المالك ، الذى حكم تقلى . ويحتمل أن يكون محمد الجعلى هذا ، واحداً من الوعاظ الذين كانوا ينتشرون فى الأرض ، ليذمروا العقيدة الإسلامية ، مع موجة الفتح الإسلامى ، التى أعقبت تأسيس مملكة سنار عام ١٥٠٤ م ، ويحتمل كذلك أن يكون هذا الجعلى طريد قبيلته النهرية ، أو مجرد سائح مغامر ، يبغي المخاطرة وكل ما نعرفه عن ذلك الرجل ، أنه كان فقيراً ، تملئ جوانحه بالشفقة والرحمة .

ولقد وفد ذلك الرجل إلى تقلى ، وبصحبه رفيق له يدعى د أبو هياما Abu Hayama ، ووصل الرجلان فى تجوالهما ، الى التلال الصغيرة ، التى اعتصمت بها الرئاسة الوثنية فى د تيجال آرو ، ويوجد فى هذه التلال الآن قرى د الهوى ، و د كيريا . ولما التقى رجال الجبال ، بالرجلين الوافدين ، قادوهما إلى زعيمهم كابر - كابر Kabr- Kabr ، فقدموا له فروض الطاعة والصداقة ، ولما رق الزعيم لخالهما ، عاملهما بمنتهى التكريم ، فهدأ لذلك بالهما ، وقر قرارهما على الاستيطان فى مهجرهم ذاك الجديد ، وعزما على التعريف بالإسلام بين هذه الجماعات الوثنية ، وأخذوا يعلماهم الصلاة ، وأصول العقيدة . ووضع ، منذ البداية ، أن الرجلين قد نجحا فى مهمتهما .

وانتشرت الديانة الجديدة سريعاً بين الناس ، وتماسكت قلوبهم ، وتوطد بذلك مركز د محمد الجعلى ، بين هذه الجماعات ، وكانت شففته ورحمته وسلوكه العام ، مما جعله يحتل مكاناً محترماً ، ومركزاً فريداً بينهم ، وأضحى الرجل وله تأثير روحى كبير عليهم .

(١) يقال إنه من قبيلة الجروعية إحدى قبائل الجعليين .

ونزوج د محمد الجملي ، من ابنة د كابر — كابر ، المذكور ، وولد له منها ولد يدعى « أبو جريدة ، ولما بلغ أشده ، ورث عن أبيه خلقه الكريم ، وساعد أباه ، في نشر الدعوة الإسلامية ، في المناطق المجاورة . ولما مات د كابر — كابر ، اختار كبراء المجتمع حفيده د أبو جريدة ، رئيساً عليهم ، وهو بعد حديث السن ، ودعوه في نفس الوقت د جيلي Geili ، ^(١) وعلى هذا فنحن نرى أنه حوالي عام ١٥٦٠ م تأسس البيت المالكي في تقي في شخص د جيلي أبو جريدة ، ومنذ ذلك الوقت ، وذريته من بعده ، تحكم البلاد حكماً متصلاً لم يقطعه شيء . ولا شك أن قوة هؤلاء الملوك وشهرتهم التي أحرزوها ، ترجع إلى طول ما حكموا ، وإلى طول ما كاثفوا في سبيل نشر الإسلام . وعندما تولى د جيلي أبو جريدة ، الإمارة ، لم تكن مملكته تتكون إلا من تلال تقي نفسها ، وربما الكجاجة أيضاً ، أي المناطق التي كانت خاضعة لجده (كابر — كابر) .

ولقد كان لجيلي أبي جريدة ، شخصية قوية أهلته - رغم أنه أجنبي - لكي يترفع على كرسى زعيمهم القديم . ومما يذكر بالخير لجيلي ، أنه هو الذي أكل تحويل تقي إلى الإسلام ، وهو العمل الذي بدأه والده . كما أنه حقق أطاعه ، فيما وراء المناطق المجاورة ، ونشر فيها الإسلام . وعمل كذلك على تقوية نفوذه الشخصي ، بجلب الجماعات من الشمال والشرق ، وتوطينهم في مملكته . وشعر هؤلاء المهاجرون ، أن حياتهم وكيانهم ، مرتبطان بهذا البيت الجديد فأزروه مخلصين . وبني جيلي مسجداً لا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، كما بني حوشاً له في « الهوى » التي تبعد عن « تيجال آرو » بمقدار نصف ميل إلى الشمال . وترك جيلي بعد وفاته مملكة راسخة القواعد ، قوية البنيان ، وإليه يعزى الفضل الأكبر ، فيما أحرزته ذريته من بعده من قوة وسلطان . ودفن جيلي بحوشه الذي ابتناه لنفسه بالهوى . ويمكن الآن تتبع آثار هذا الحوش . وانتهى حكم جيلي عام ١٥٨٥ م .

وإلى مقال قادم ، نتابع فيه التاريخ لهذه المملكة ، ذات التاريخ المشرق ، في نشر الإسلام في السوادن الشمالي .

عبد المنعم محمد الشبني

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

(١) جيلي معناها بالنوبارية الأحمر ، وكانوا يلقبونه بذلك إشارة إلى أنه من دم أجنبي ، وليس من شجرة الحكماء الأصليين .

نداء فضيلة الاستاذ الاكبر

إلى العالم الاسلامي

بما يجب عليه لإخوانه المسلمين في تونس والجزائر والمغرب الأقصى

ومختلف الأسلحة وهي تغتال الأحرار بأساليب قطاع الطرق ، وتحصد أرواح المدنيين العزل من السلاح كما يفعل الجبناء ، وتأخذ لأصحابها - من المسلمين الأمنيين في تونس والجزائر ومراكش - النار الذي عجزوا عنه في شرق فرنسا لما وطئت أرضهم سنا بك خيول الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية .

يقول نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، أى لا يظلمه إذا كان في ولايته وتحت سلطانه ، ولا يخذله إذا مسه الظلم من عدو له ينبغي عليه . نحن المسلمين العالمين بقواعد الإسلام - وهو دين السلام - قد فتحنا أبوابنا ووطأنا رحابنا للفرنسيين وغير الفرنسيين من أمم الأرض ، فأقاموا بيننا مراقبهم ومدارسهم ، وقصدوا أسواقنا بمصنوعاتهم ومنتجاتهم ، ولقوا من حسن معاملتنا ورحابة صدورنا وسلامة قلوبنا ما لم يروه في أى بلد آخر . كل ذلك على أمل منا بأن يحسنوا معاملتنا كل من له علاقة بهم من إخواننا

أذاع فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالي على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صباح يوم الخميس ٣٠ ربيع الأول :

أيها المسلمون الآمنون في أوطانهم ، المتمتعون من الله عز وجل بنعمة العافية والاطمئنان . إن دماء إخوانكم في الإسلام تناديكم من الحدود الغربية لمملكة ليبيا إلى أقصى جبال الأطلس لتكونوا عوناً لأهلها على درء الظلم عنهم ، ووضع حد للبغي على حقوقهم الإنسانية والوطنية ، وتمكينهم من أن يعيشوا في ديارهم أحراراً أكراماً آمنين . إن إخوانكم هؤلاء هم ذرية الأبطال الذين كانوا مع طارق بن زياد في إيصال رسالة الإنسانية والحضارة والآداب والعلوم والعمران إلى غرب أوروبا ، وفيهم سلالة اللاجئين من الأندلس فراراً بدينهم ولإنسانيتهم من مظالم دواوين التفتيش عند خروج المسلمين من ذلك الفردوس المفقود . وهذه أسلاك البرق وموجات الأثير تنقل اليكم بين كل ساعة وساعة صدى قذائف المدافع الرشاشة

بهذا تحكم الشريعة المطهرة ، وبهذا تتأدى دماء المسلمين المسفوكة في جناح الإسلام الغربى . ومن حق هذه الدماء وأهلها على المسلمين أن يبادروا لها باسعاف المنكوبين وتضميد جراح المجروحين ، ومعاونة الأيامى والأيتام والمنكوبين . والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه .

زائر عظيم مصر :

استقبلت مصر فى هذا الشهر بعظيم الحفاوة وبالغ الإكرام حكومة وشعباً ، زائرين عظيمين : أرفعها ملك ليبيا ، فكان من نتيجة زيارته زيادة التقارب والتآلف ، ويوشك بعد ذلك أن تنضم ليبيا إلى جامعة الدول العربية . والثانى : العقيد أديب الشيشكل زعيم النظام القائم الآن فى الدولة الشقيقة سوريا ، فكان من نتيجة زيارته التفاهم بين مصر وسوريا على أهم ما يهم البلدين والعروبة من وسائل الاتصال والتعاون على النهوض بالقومية العربية وتنظيم قواها الادبية والاقتصادية والدفاعية حتى تبلغ إن شاء الله المكانة اللائقة بها بين الأمم . وكنا نود أن نسهب فى تفاصيل هاتين الزيارتين لو أن مجلة شهرية كمجلة الأزهر يحتمل نطاقها هذا الواجب .

وسنشير بعد الآن إلى ما سيكون من نتائج لهذه الزيارة فى تطور العلاقات بين مصر وجاراتها وتعاونها معها على ما فيه الخير والمصلحة .

فى الدين ، وأن يقوموا لهم بحقوق الإنسان على أخيه الإنسان ، وأن يحترموا حريتهم ويحافظوا على كرامتهم .

واننا لا نزال على أخلاقنا وآداب ديننا مع جميع الأمم . ومن ينكر علينا أو على طائفة من إخواننا فى الدين ما يجب عليه أن يرعاه من حقوقهم الإنسانية والوطنية والمالية فإن أقل ما يجب على المسلمين حينئذ ألا يتعاونوا مع أهل البغى فى تجارتهم وصناعاتهم ومرافقهم ، وأن يكون أول ما يفعلونه مقاطعة مدارسهم ومعاهدهم وكل وسائل التعاون معهم وأسباب الاتصال بهم .

والولاية فى الإسلام هى النصر . والتعاون والاتصال من أوثق مظاهر الولاية ، والله عز وجل يقول فى كتابه العزيز : « ومن يتوهم منكم فإنه منهم ، ولو أنهم قائمون لآبناء ديننا بحقوقهم ، يحافظون لهم على كرامتهم وحريتهم فإن المسلمين من أصدق أمم الأرض عهداً مع غيرهم من الأمم . ومن كان منه لإخواننا المسلمين عكس ذلك من البغى والظلم كما هو جار الآن من الفرنسيين فى شمال إفريقيا فإن أقل ما يتحقق به الواجب الشرعى على المسلمين فى جميع بقاع الأرض مقاطعة أهل البغى فى جميع وسائل التعاون وأسباب الاتصال ، إلى أن يعرفوا لإخواننا فى الدين حقوقهم الإنسانية والوطنية والمالية ويقوموا بها حق القيام .

الكتب

(طبقات فحول الشعراء)

لمحمد بن سلام الجمحي

محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ - ٢٣١) إمام من أئمة العربية وأدبها وتاريخها وأنسابها . أخذ العلم عن فحول أهله الذين نبغوا في دولة بني أمية ، ولا سيما علماء البصرة منهم ، وكان من مفاخر صدر دولة بني العباس ، وأخذ عنه كبار أئمة الأمة ممن عاصروه . وهو ينتسب إلى ولاء بني جهم ، وولائه فيهم لقدامة بن مظعون الجمحي ، وكان أبوه سلام من شيوخ العلم ، وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث ، وابنه وابن أخته كل هؤلاء كانوا من العلماء .

وكتاب « طبقات الشعراء » سبق إلى طبعه المستشرق يوسف هل سنة ١٩١٣ - ١٩١٦ من مخطوطتين للشنقيطي نقلتا عن أصل في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة لعله مختصر أو ناقص ، ثم وقع في يد السيد أمين الخانجي السكتي دشت اطلع عليه الأديب الضليع المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر قبل أكثر من ربع قرن وجمع منه أشنتان من أصل قديم لهذا الكتاب القديم كانت جيدة الخط حسنة الضبط محررة اللفظ يقل فيها الخطأ ، ويظن الأستاذ محمود شاكر أنها ترتد إلى القرن الخامس الهجري ، وما وجده منها أوراق متتابعة أو مفرقة من أول النسخة وأوسطها وآخرها ، فنقل منها نسخة بخطه وبقيت من آخرها أوراق لم ينقلها لعلها لا تتجاوز عشرين ورقة ، ثم تصرف السيد أمين الخانجي بالأصل العتيق فلا يعلم أين هو الآن ، ولكن النسخة التي نقلها عنه الأستاذ محمود شاكر ، مضافاً إليها علمه وبصيرته النافذة في الأدب والشعر ، ومقارنته هذا الأصل بكل ما نقله المؤلفون كابن الفرج الاصبهاني في الأغاني والمزبان في الموشح عن طبقات الشعراء الجمحي ، قد رد إلينا هذا السكز النفيس بأكمل ما يمكن أن تصل إليه يد العلم والتحقيق .

فطبقات خول الشعراء للجمعي في طبعتها الجديدة التي صدرت في هذا الشهر من دار المعارف بتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر في أكثر من سبعمائة صفحة كبيرة تمتاز بجودة الاصل الذي اعتمد عليه في الإخراج ، وما فيه من زيادات على الاصل المختصر المحفوظ بمكتبة عارف حكمة بالمدينة ، ثم تمتاز برجوع الاستاذ محمود شاكر إلى أمهات كتب الادب القديمة التي نقلت عن طبقات الجمعي ، فقارن المنقول فيها بالاصول الموجودة ، وتدارك النقص بما حفظته تلك النقول من زيادات . وقد وهب الله الاستاذ محمود شاكر روحاً تتجاوب مع أرواح شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في لغتهم وديابجهم والمعاني التي يتألق وميضها في شعرهم البليغ ، فهو يفهم عنهم كل ما في كتاب طبقات الشعراء للجمعي من نصوص كما يفهم أحاسيس نفسه وخطرات فكره وعواطف قلبه ، وليس هذا بكثير على شارح قصيدة الشماخ الغطفاني التي يصف بها القوس العذراء ، بقصيدة تعد آية من آيات البعث والإحياء للمعاني العربية الاصيلية بلغتها التي تستمد من لغة الإنجاز^(١) .

أما شرح الاستاذ محمود شاكر لطبقات الشعراء فإنه بذاته كتاب آخر نفيس ، قد حفل بوجوه التحقيق ، وآلآء الفوائد ، ودقيق الملاحظات . خذ لذلك مثلاً قول ابن الزبير في يوم أحد (ص ١٩٩) :

ليت أشياخي يسدر شهدوا ضجر الخزرج من وقع الاسل
حين ألفت (بقناة) بركا واستحرق القتلى في عبد الاشل

فإن جميع كتب الادب تحرف فيها البيت الثاني بلفظ « حين ألفت بقاء بركا ، وبقاء لم ينشب فيها القتال يوم أحد ، والذي يقوله ابن هشام (٣ : ٦٦) أن قريشاً أقبلوا حتى نزلوا بجبل بطن السبخة من (قناة) مقابل المدينة . فترجح أن تكون (بقاء) محرفة عن (بقناة) وقول ابن الزبير بعد ذلك (ص ٢٠٠) :

فقبلنا النصف من سادتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

يتحرف في كتب الادب : (فقتلنا النصف) و (فقتلنا الضعف) ، قال الاستاذ محمود شاكر : إن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين ٧٠٠ قتل منهم ٧٤ من الشهداء . ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين فإن عدة

قتلى بدر من المشركين ٧٠ أو ٧٤ وإنما أراد ابن الزبير أنهم قتلوا من المؤمنين في أحد مثل الذى قتله المسلمون منهم في بدر فانتصفوا منهم ، والنصف العدول والانتصاف .

وفى شرح الأستاذ محمود شاكر لقول جزء أخى الشماخ يرثى عمر بن الخطاب (ص ١١١) وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبتي أزرق العين مطرق يقول : وقد ماء علمائنا يقولون فى النمر يشبه أن يكون سمى سبتي لجرأته . وأنا أرى أنه مأخوذ من الإسبات وهو أن تطرق الحية فلا تتحرك . والمسبوت الدليل إذا بقى كالنائم يغمض عينيه فى أكثر أحواله ، وذلك صفة النمر . ولا معنى للجرأة هنا فإنه أراد الذم وسائر البيت دال عليه .

وقول ابن رواحة (ص ١٨٦) وقد أخذ بزمام نافة النبي ﷺ فى عمرة القضاء :

خلوا بنى الكفار عن سبيله خلوا ، فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

نسبه ابن هشام لعمار بن ياسر مستدلاً بأن المشركين لم يقرؤوا بالنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، ثم تهاوى المؤلفون على سقطة ابن هشام كما فعل الشيعى فى كتاب وقعة صفين ص ٣٨٦ . قال محمود شاكر : ليس المراد بالتأويل فى البيت تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤدى إليه نأ الله لنبيه ومصير المؤمنين إلى ما وعدم به كما فى قوله تعالى : هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله . . وفى قول ابن رواحة إشارة إلى ما كان فى عمرة الحديبية - قبل عمرة القضاء بسنة - ورؤيا النبي ﷺ أنه دخل البيت آمناً وأخذ مفتاح السكبة ، فلما رجع بصاح الحديبية كره ذلك من كرهه فأنزل الله : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق فمن عام قابل أمر رسول الله أصحابه أن يعمروا عمرة القضاء . . . فهذا هو التأويل ، وما صارت إليه موعدة الله لرسوله .

وفى ص ٣١٩ صحح قول أبى الفرج فى الأغاني (٨ : ٦) : قال محمد بن سلام : ورأيت اعرابيا من بنى أسد ، فقال الأستاذ محمود شاكر : ولم أعرف جريرا أجباً بنى أسد ، والصواب بنى أسيد ، بتشديد الياء على التصغير . ثم أورد الأدلة على ذلك ، وصحح أخطاء أخرى فى الأغاني .

وفى ص ٣٩٠ رد على الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٧٨ - ١٧٩ قوله : ويقال للرجل المفرط الطول : يا ظل النعامة ، واستشهد الجاحظ بقول جرير : فضح العشيرة يوم يسلمح قائما ظل النعامة شبهة بن عقال

فقال الأستاذ محمود شاكر : وقول الجاحظ في إفراط الطول ليس بشيء ، فالنعامة طويلة العنق متنفخة الوسط دقيقة الساقين وظلها لا يطول . وربما كان له وجه لو قال إنه أراد قبح المنظر . وأرى أن النعامة هنا (أى في شعر جرير) خشبتان ينصبهما الربيعة أو الصائد في ريد الجبل ويلقى عليهما الثمام ليستظل به من الشمس أو المطر ، وهي خليقة أن تكون مختلطة الظل قبيحة . والجاحظ جرى قادر ، ولكنه يخطئ الخطأ يتوارثه الناس من بعده ثقة بعقله .

وفي ص ٣٩٥ انتقد مصححي دار الكتب لتحريفهم في الأغاني ٨ : ٨٤ قول الفرزدق :
سقى أريحاء الغيث ، وهي بغيضة إلينا ، ولكن كي ليستقام هامها
فزعروا أن د كي ليستقام ، تحريف . ويقول الأستاذ محمود شاكر : هو صواب محض جاء في الشعر (واستشهد بشعر لابن قيس الرقيات) .

وفي ص ٤٦٨ صحح لابن سلام الجمحي ما رواه عن مرور الفرزدق بنى الرمة وهو ينشد :
أمنزاني مى سلام عليكما هل الأزمن اللاني مضين رواجع
فولى الفرزدق وهو ينشد :

ودرية لو ذو الرميعة رامما بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح
فقال الأستاذ محمود شاكر : وقد روى في ديوان الفرزدق ١٤٧ أن الفرزدق مر به وهو ينشد في اللربد :

أمنزاني مى سلام عليكما على النأى والنأى يود وينصح
قال : وهذه الرواية أشبه بالصواب ، لأنها هي التي ذكر فيها ناقته صيدح فذكرها الفرزدق في بيته .

هذه نماذج من تحقيقات الأستاذ محمود شاكر وله مئات من أمثالها في شرحه على طبقات الشعراء لابن سلام . وقد ألحق به فهرساً للأعلام والقبائل ، وآخر للأماكن ، وثالثاً للغزوات والأيام ، ورابعاً لقوافي الشعر ، وخامساً للأرجاز ، وسادساً لشعراء الطبقات على حروف المعجم ، ثم فهرست الكتاب . ولو أن كل أصل من أصول الأدب والعلم في تراث العرب والإسلام يقيض له من يعنى بتزيين المكتبة العربية به مصححاً محققاً خدوماً مشروحاً كما فعل الأستاذ محمود شاكر بطبقات الشعراء لكان ذلك بعثاً ل ذخائر الأمة وإحياء لثرات عقولها .

الى الاسلام من جديد

هذا الكتاب حلقة من سلسلة اطلعنا حتى الآن على ست عشرة حلقة منها ، في بعضها بحوث اقتصادية لطيفة كتبت بلغة الخطابة ، قارن فيها المؤلف نظام الإسلام الاجتماعى والاقتصادى بغيره من الانظمة ولا سيما الشيوعية والرأسمالية فأحسن فى المقارنة وأجاد على قدر ماوسعه علمه . وتعرض فى بعض هذه الحلقات لما لا يفهمه ولا يعلمه من علوم الشريعة الإسلامية فسقط فى هاوية من الكفر لا يقبله منها إلا الرجوع إلى حظيرة الملة بالنوبة إلى الله عز وجل من التعرض لما يحمله . ونضرب المثل لذلك برسالة (الصلاة كما فرضها الله فى القرآن) وهى فى ٦٢ صفحة ذهب فيها إلى أن فريضة صلاة الصبح غير فريضة صلاة الفجر ، وإلى أن صلاة القيام (فرض) يومى دائم ، وأن صلاة الظهر ليست من فرائض الصلاة الإسلامية ، وأن صلاة المغرب أربع ركعات لا ثلاث ، وصلاة الفجر أربع ركعات ، وصلاة الصبح أربع ركعات ، وفريضة القيام أربع ركعات ، وفريضة الجمعة أربع ركعات ، وأن من الفروض نافلة الليل وهى أربع ركعات ، وأن سجدة التلاوة أربع . وهذه الصلوات الرباعيات المفروضة فى زعمه تصلى مثنى مثنى . وقد أصيب هذا المؤلف بهذا الحلل القادح فى دينه لأنه ينكر سنة رسول الله ﷺ ويغضها ويحاربها ويبادل فى صحتها بلا علم ولا دراسة ولا اطلاع . وفى كتابه الجديد ، إلى الإسلام من جديد ، نموذج من هذا الهديان . ولا ندرى هل هو كافر بالتاريخ كما هو كافر بالسنة المحمدية ، فينكر - مثلاً - ما يعلمه الناس عن الاسكندر المقدونى وسقراط وسولون وبوليوس قيصر وقسطنطين وشارلسكان وشارل مارتل والحروب الصليبية والاخبار المدونة عند الإنجليز عن تاريخ ملوكهم وتوسعهم الاستعمارى ، والاخبار المدونة عند الفرنسيين عن القديس لويس وجاندارك وقيام الجمهوريات الفرنسية وسقوطها . فإن كان كافراً بكل ما تعرفه الامم عن ماضيها فإننا ندعـوله بالشفاء من هذا المرض الذى أصيب به وحده . وإن كان مصدقاً بتاريخ البشر ، وما دوتته الامم من أحداث ماضيها وأقوال عظمائها وأعمالهم ، فإن ما عند المسلمين من سنة نبهم أوثق صحة وأعظم تمحيصاً وأكثر تحقيقاً من كل ما بذلته أمم الارض من تحقيق فى تدوين التاريخ . ومن فنون الجنون أن يكون الرجوع إلى الإسلام من جديد ، قائماً فى مذهب مؤلف هذا الكتاب على أساس إنكار سنة

رسول الله ﷺ بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، ولو كان فهمه للقرآن سليماً لعلم أن السنة من أعظم ما أقره القرآن ، والذي ينكر إقرار القرآن للسنة لا يجوز له أن يثق بفهمه للقرآن ، فما بالك بحكم الناس عليه . ولا ندرى هل إنكاره للسنة المحمدية متفرع عن اعتقاده بأنه لو كان معاصراً للنبي ﷺ لكان غير مطيع له فيما صح صدوره عنه وأمره به ، أم أنه يقف هذا الموقف من أوامر رسول الله ونواهيه لإقحامه نفسه من الهندسة إلى علم لا معرفة له به .

ولعل القارئ يحب أن يعرف من هو هذا المؤلف الذي أسقط عن المسلمين صلاة الظهر ، وفرض لهم فرائض غير التي عرفها المسلمون من نبيهم ﷺ ، وأحدث لهم هذا التغيير في هيئتها وأعداد ركعاتها بهندسة تنافي فقه الإسلام وما تواتر من شريعته وعبادته . إنه مساعد كبير مهندسى التليفونات الأستاذ نجيب متولى ، وكان في الحلقات السالفة من سلسلة مؤلفاته يخجل من المسلمين أن يواجههم باسمه ، فلما ذاع الآن في أقطار الأرض اسم قائد حركة الإصلاح في مصر أباح منكر السنة المحمدية لنفسه أن يدخل تعديلاً على اسمه كالتعديل الذي أدخله على فرائض الصلاة الإسلامية فوضع على كتابه الجديد اسم (محمد نجيب) ، وهذا التعديل يسمى « تدليساً » ، في اصطلاح علم السنة الذي ينكره هذا المؤلف . أما اسم كتابه الجديد (إلى الإسلام من جديد) ، فقد استعاره من كتاب مشهور تكرر طبعه في مصر بهذا العنوان وهو من تأليف أحد مفاخر مسلمى باكستان الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى كان ضيف مصر منذ عهد قريب ، غير أن كتاب الأستاذ أبى الحسن الندوى يدعو للإصلاح والخير ، وقد أصبح اسم كتابه من أسماء الاضداد بعد إطلاقه الآن على كتاب يدعو صاحبه إلى إمامة سنة رسول الله ﷺ وتعطيل العمل بها .

فهارس البخارى

لم تعز أمة على وجه الارض بتحقيق ما صدر عن إنسان من أقوال وأفعال ، ولا يتمحيص ما نسب إلى عظيم من عظماء التاريخ ، بل لم تبذل أمة من الجود الكريمة الحكيمة للتثبت من صحة أى جانب من جوانب تاريخها وأحداث ما فيها ، كما اعتنى أصحاب رسول الله ﷺ بضبط ما سمعوا ورأوا من أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله وأحواله ،

وكما يحص التابعون لهم بإحسان روايات أسانذتهم من الصحابة وضبطوها وحفظوها وأدوا أماناتها لمن تلام من تلاميذهم إلى أن دون الزهري ثم مالك وطبقتهما ذلك التراث العظيم وهو لا يزال غصنا كما قطف ، صافيا كما خرج من ينبوعه ، فكان تدوين مالك في الموطأ عن نافع ما حدثه به عالم الصحابة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، يكاد يشبه تناول الأمين الأمانة من أمين آخر كما يتناول الناس الأشياء من يد إلى يد سليمة كاملة نقية يرضى عنها الله ورسوله . وقد سن الصحابة والتابعون وتلاميذهم لهذه الأمة سنة في تحرى العدالة والضبط عند من يأخذون عنه سنة نبينهم ﷺ لانهم مؤمنون بأنها دين وأن من الدين التثبت من صحة صدورها كما هي عن صاحب هذا الدين الذي توعده من يكذب عليه متمعداً بأن يتبوا مقعده من النار .

ومن أحفل صحاح الحديث النبوى وأكثرها عناية بالمتن والسند ، صحيح الإمام البخارى ، وكان أئمتنا السابقون يحفظونه بأسانيده ويحفظون غيره من أمهات دواوين السنة فلا يحتاجون إلى فهارس تدلهم على مواضع الحديث في هذه الكتب ، إلى أن ضعف الحفظ فعنى العلماء بتأليف الفهارس وكانوا يسمونها (الأطراف) ومنها كتاب الأطراف للحافظ المزى في ثمانية مجلدات وأطراف الصحيحين لابن خلف الواسطى ، وأطراف الكتب الأربعة (أى السنن) للحافظ ابن عساكر ، وأطراف العشرة للحافظ ابن حجر ، وآخرها ذخائر المواريث لعبد الغنى النابلسى . ومن الفهارس مفتاح الصحيحين لأحد علماء الترك وبراى السارى لأحد علماء الهند ، وحتى المشتغلون بالعلوم الإسلامية من المستشرقين ألفوا مفتاح كنوز السنة ، وتقوم (اليونسكو) الآن بالإتفاق على طبع فهرس لجميع ألفاظ السنة ومواضع وجودها في كتب الحديث وقد صدر منه فى ليدن بهولندة ثمانية عشر مجلداً ولا يكاد يبلغ نصف الكتاب .

وأما الآن كتاب على جيد خاص بأحاديث صحيح البخارى ألفه فضيلة الاستاذ المحقق المتيقن الشيخ رضوان محمد رضوان وقسمه إلى أربع فهارس : الأول للأحاديث المسندة وهى معظم الكتاب فأورد الحديث القصير بتمامه ، وأخذ من الطويل قطعة منه تدل على الباقي ثم ذيله باسم راويه من الصحابة وذكر عقب ذلك مواضع تكرير الحديث فى الكتاب وقد نبأغ فى بعض الأحاديث سبعة مواضع أو ثمانية أو تزيد . وهذا الفهرس فى ٤٤٠ صفحة كبيرة . وبعده فهرس للأحاديث المتعلقة نحاً فيه نحو ما صنعه فى الفهرس الأول ، والفهرس الثالث للآثار . والرابع لكتب صحيح البخارى وأبوابه التزم فيه أرقام الأجزاء والصفحات

في الطبعة الأميرية سنة ١٣١٤ والطبعة التي أخذت عنها بالتصوير الشمسى . وإلى جانب ذلك دل على أرقام أجزاء وصفحات فتح البارى طبعة الخشاب سنة ١٣٠٨ ، وشرح السكرمانى طبعة سنة ١٣٥٢ ، وشرح القسطلانى . وهذه الفهارس المتممة للفهرس الاول بلغت صفحات الكتاب ٦٠٠ صفحة من القطع الكامل لجزى الله المؤلف بالمشوبة والرضا على ما بذل من جهد وتعب فى إتمام عمله تيسيراً للباحثين وخدمة لسنة سيد المرسلين ﷺ .

هوائف إسلامية - للشيخ إبراهيم على أبو الخشب

هى مجموعة من الهوائف الصاخبة عرضت لفضيلة الاستاذ المؤلف فى أوقات مختلفة وظروف متنوعة فانساق فى تسجيلها كما ينساب الماء فى النهر هادئ السير متبذ الحركة والانتقال . وقد عالج فيها بعض الموضوعات الدينية أو المشاكل الإسلامية فصورها بريشة الادب لانه أصبح الوسيلة العظمى فى لغة التخاطب للعقول الناضجة والاذهان المستنيرة . فجاء الكتاب فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير ، فنلفت إليه أنظار القراء والمتأدبين .

السجل الثقافى لسنة ١٩٥٠

اعتادت إدارة التسجيل الثقافى منذ ثلاث سنين إصدار كتاب سنوى حافل بعنوان (السجل الثقافى) تؤرخ فيه حركة الطباعة والنشر والصحافة والمحاضرات والهيئات والمؤتمرات والتعاون الثقافى والمهرجانات والمسابقات والمناحف والحفائر والمعارض والمسرح والسينما . وقد صدر عنها الآن المجلد الثالث من هذه السلسلة التى تعد مرآة لنهضة مصر فى العلم والادب والفن وكل ما يتصل بالثقافة من إنتاج فكري ونشاط أدبى فى سنة ١٩٥٠ ، فلاحظنا فيه تقدماً على أخويه السابقين بالتوسع فى بعض الأبواب ، وإضافة أبواب جديدة لم يتسع لها السجل فى سفره السابقين ، وتقديم نبذة موجزة بين يدى كل باب تشرح ما يحتويه الباب وطريقة تسجيل المادة فيه حتى يسهل الأمر على من يريد أن يتصفح السجل فى عمومته وشموله قبل أن ينتقل إلى تفصيل القول فى كل باب من أبوابه .

وقد دعا القائمون على هذا العمل العلى الشاق أهل الفضل من رجال الفكر والثقافة لأن يعاونوهم فى استكمال ما قد يستشعرونه فيه من نقص ، وذلك بما يقوى الرجاء فى أن يطرد التوسع فى أسفار السجل الآتية مع إطراد التقدم الثقافى فى المجتمع المصرى ، حتى يكون أصدق مرآة له فى الحاضر والمستقبل .

معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى

قال الجلال السيوطى فى الإتقان عند كلامه على غريب القرآن : « إن أولى ما يرجع إليه فى ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة . وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبى طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق ، وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه ، ونقل السيوطى فى موضع آخر من الإتقان قول الإمام أحمد بن حنبل « بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا » . قال الحافظ ابن حجر وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث بن سعد رواها عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وهى عند البخارى عن أبى صالح كاتب الليث وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس . وقال قوم : لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير . قال ابن حجر : بعد أن عرفت الوسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك .

ولما اطلع الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي على هذه الحقائق ، أراد أن يجمع ما يمكن جمعه من صحيفة ابن أبى طلحة بعد أن أصبحت مفقودة فكف على صحيح البخارى متقصيا كلماته كلمة كلمة ، فتصيد منها الحرف الغريب من القرآن وأرصده فى جزاة ، حتى إذا أوفى على الغاية من الاستقصاء والتحرى وتكاملت الجزئات أقبل عليهن يرتهن وينظمهن على أوائل حروف المادة التى منها اللفظة الغريبة وبوبها حتى خرج له من ذلك هذا المعجم جامعا لكل ما جاء فى صحيح البخارى من تفسير الغريب ، بعضه من صحيفة ابن أبى طلحة عن ابن عباس وبعضه عن غير ابن عباس . والبخارى لم يرو فى صحيحه كل الصحيفة وإنما روى ما يتعلق بشرح معنى اللفظ الغريب . وعلى كل حال فهذا المعجم لغريب القرآن يعد من أقدم معاجم العربية ، وقد جاء فى ثلاثمائة صفحة من حجم صفحات هذه المجلة ، وغيت بنشره دار إحياء الكتب العربية بحروف جليلة مضبوطة . فنلفت إليه الانظار .

معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام

هي إحدى رسائل المفكر الإسلامى الكبير أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان ، استعرض فيها معضلات الاقتصاد وذكر كيف أن الاقتصاديين بالغوا فى تعقيدها وهولوا فى أمرها ، ولو رجعوا فى دراستها وحلها إلى أساليب الفطرة على المنهج الإسلامى ، لتمكنوا من اكتشاف سبيل الإنسانية إلى السعادة . وقد أورد فى هذه الرسالة ما يقوله أهل المذاهب الاقتصادية المختلفة عن معضلات الاقتصاد وطريقته فى حلها وقارنها بأساليب الإسلام مبينا أنه هو أسلوب الفطرة وهو الأليق بالإنسانية ، وأن الآخرين أوجدوا المعضلات وضخموها بسبب المذاهب التى يزعمونها لحل تلك المعضلات .

وكانت الرسالة مؤلفة باللغة الاوردية ، ونشرت بها وبالعربية لأول مرة فى باكستان ، ثم أعيد نشرها الآن فى مصر ، بعناية لجنة الشباب المسلم ، مع تحسين فى أسلوبها العربى ، فجاءت فى ٧٦ صفحة من القطع الصغير . فلمت الانظار إليها .

حقوق المرأة فى الاسلام

كتيب لطيف بقلم الفاضل الاستاذ عبد القادر شيبه الحمد بناء على الآية القرآنية ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، فأفاض فى تفاصيل حقوق المرأة وامتيازاتها فى الإسلام ، وأن ذلك كان نعمة لها فى ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وهى قريرة العين به ، حتى انطلق أقزام العقائد من بلاد الغرب لتفريق الصفوف ، وتمزيق الشمل ، فاستطاعوا بوسائلهم الحبيثة أن يصلوا إلى أعماق ما يريدون ، وارتفعت أصوات فى كل بلد تردد أفكار المحتلين ورغباتهم ، وتميزت من هذه الأصوات أصوات تحمل فى صداها ثورة لنساء الإسلام يرددها أذعياهم الإسلام ليفسدوا على الامة مجتمعها وعلى نساء المسلمين نهائهن وسعادتهن .

والرسالة على إيجازها حافلة بالمعلومات القيمة والآراء الصحيحة والنصيحة للمرأة المسلمة والامة كلها ، وهى فى نحو مائة صفحة صغيرة . فنحث الشباب من أبناء المسلمين وبناتهم على تدبر ما فيها من حقائق .

الْعَمَلُ السَّالِمُ فِي شَهْرِ رَجَبِ

تعديل الوزارة المصرية

سقوط دستور ١٩٢٣

عدلت الوزارة المصرية يوم ٢١ ربيع الأول (٩ ديسمبر) فتولى وزارة الخارجية الدكتور محمود فوزى سفيرنا فى لندن بدلا من الأستاذ فراج طابع ، وتولى وزارة التجارة والصناعة الدكتور حلى بهجت بدوى وكيل البنك العقارى بدلا من الدكتور محمد صبرى منصور الذى عين وزيرا للتموين . وتولى وزارة الشؤون البلدية والقروية الأستاذ ولیم سليم حنا الأستاذ بكلية الهندسة بدلا من الأستاذ عبد العزيز على الذى عين حارساً على أموال الملك الخالوع . وتولى وزارة الشؤون الاجتماعية الدكتور عباس عمار مدير اليونسكو فى مصر بدلا من الأستاذ فؤاد جلال وزير الشؤون الاجتماعية الذى تولى وزارة الإرشاد الفوى بدلا من الأستاذ فتحى رضوان الذى عين وزيرا للدولة وتولى وكالة الخارجية إلى أن يحضر الأستاذ محمود فوزى من لندن . وما لفت النظر فى هذا التعديل أن كتاب استقالة الوزارة افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأن الذين رشحوا لتعيينهم فى الوزارة الجديدة كانت دعوتهم بالتليفون فلاقى الخارجيون والداخلون للنظام على التعديل وزارى .

أذاع الرئيس اللواء محمد نجيب من منزله بحلبيه الزيتون فى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة من صباح الأربعاء ٢٢ ربيع الأول (١٠ ديسمبر) بيانا تاريخيا أعلن فيه باسم الشعب المصرى سقوط دستور سنة ١٩٢٣ لأن البلاد كانت قبل قيام الجيش بثورته قد وصلت إلى حال من الفساد والانحلال أدى إليها تحكم ملك مستهتر ، وقيام حياة سياسية معيبة ، وحكم نيابى غير سليم ، فبدلا من أن تكون السلطة التنفيذية مسؤولة أمام البرلمان كان البرلمان هو الخاضع لتلك السلطة الخاضعة لملك غير مسئول ، وكان ذلك الملك يتخذ من الدستور مطية لاهوائه ، ويجد فيه من الثغرات ما يمكنه من ذلك بمعاونة الذين كانوا يقومون بحكم البلاد .

والآن بعد أن بدأت حركة البناء وأصبح لزاما أن نغير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد التى يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات ، ولكى نؤدى الأمانة التى وضعها الله فى أعناقنا لا مناص من أن نستبدل بذلك الدستور دستورا جديدا يمكن للأمة أن تصل إلى أهدافها حتى تكون بحق مصدر السلطات وإن الحكومة آخذة فى تأليف لجنة تضع

محاربة الغرب لأصدقائه (وسادته) من اليهود فإن خسارة فلسطين لا تعد إلا جزءاً هاماً من العالم العربي الذي يمتد من الدار البيضاء إلى بغداد، ولكن على إسرائيل والدول الغربية أن تواجه سبعين مليوناً من العرب لن ينسوا هذه المأساة إلى الأبد. ولا يستطيع مخلوق أن يتحكم في المستقبل أو يقرر مصائر البشر كما يريد. وإن العاصفة الدرية المقبلة ستكون بمعونة الله عاتية وستقتلع كل شيء يعترضها في طريقها.

وشعر ممثلو الدول العربية والإسلامية بأن الدول الضالعة مع اليهود جادة في إصدار قرار من اللجنة السياسية بالموافقة على اقتراح الدول الثمان المحايدة، فقامت سوريا في اللحظة الأخيرة بمحاولة لمنع أخذ الأصوات على ذلك، إذ اقترحت أن تعرض قضية فلسطين على محكمة العدل الدولية. وينهض الاقتراح السوري على نقط أربع تريد سوريا أن تعرضها على محكمة العدل وهي:

١- هل من حق اللاجئين الفلسطينيين العودة إلى أوطانهم الأصلية ومزاولة حقوقهم المدنية ومصلحتهم المالية؟
٢- هل من حق إسرائيل إنكار هذه الحقوق؟

٣- هل من حق الدول التي لا يتبعها اللاجئين أن تفاوض من أجل هذه الحقوق؟

مشروع دستور جديد يقره الشعب ويكون منزهاً عن عيوب الدستور الزائل.

وختم الرئيس بيانته مناشداً الجميع بأن ينسوا أشخاصهم، وأن يذلوا من أنفسهم ما يضمن للوطن القوة والسعادة والمجد، متحدين متكاتفين، فلا مصالح شخصية، ولا أهواء حزبية بعد اليوم.

قضية فلسطين والاعتراف بالمتحرمة

دفعت بريطانيا بمثل ثمان دول من الدول المحايدة، كهنولندا والدانمرك والنرويج وكندا إلى تجديد الاقتراح في هيئة الأمم المتحدة بدعوة إسرائيل والدول العربية إلى الدخول في مفاوضات مباشرة للاتفاق على مسألة فلسطين. وعقب تقديم الاقتراح وقف مندوب إسرائيل فأيدته. ثم وقف السيد أحمد الشقيري الأمين العام المساعد للجامعة العربية فقال: «إن هذا الاقتراح يقضى على القرارات السابقة التي اتخذتها الهيئة بعودة اللاجئين العرب إلى وطنهم وتدويل القدس وغير ذلك مما ضربت به إسرائيل عرض الحائط. وفي الوقت الذي يعلم فيه اللاجئين العرب أنهم لن يعودوا إلى ديارهم، ويرفض فيه اليهود إطاعة قرارات الهيئة، يعرض علينا هذا الاقتراح العجيب الذي لا يهدف إلى السلام. إن العرب إذا فقدوا فلسطين كلها بسبب

٤ - هل لأعضاء الأمم المتحدة الحق القانوني في الاتفاق على هذه الحقوق ؟

ومن عجيب التصرف الصادر عن الدول الممثلة في اللجنة السياسية لهيئة الأمم - وهي تعد زعيمة الحضارة البشرية في هذا العصر - أنها لم تبال بهذه الأسئلة الأربعة الواضحة وضوح الشمس ، وكان عندها الجرأة العجيبة بأن أجازت اقتراح الدول الثمان التي يسمونها « المحايدة » ، ورفضت الاقتراح السوري باستفتاء محكمة العدل في هذه الأسئلة الدامغة . لقد صدق السيد أحمد الشقيري ساعته قال إن الغرب يحابي أصدقائه (وسادته) من اليهود في قضية فلسطين ، وإن الغرب يقدم للتاريخ دليلاً جديداً على هذه الحقيقة .

ولما انعقد مجلس النواب الأردني في اليوم التالي لحظية أحمد الشقيري في الأمم المتحدة اتخذ قراراً باستنكار موقف بريطانيا في الأمم المتحدة من قضية فلسطين واللاجئين العرب وأرسل برقية احتجاج إلى الحكومة البريطانية باسم جميع النواب الأردنيين على ذلك الموقف الذي ينطوي على الاستهتار بالعدالة وحقوق الإنسان ، ثم قرر المجلس تحديد جلسة خاصة لمناقشة سياسة بريطانيا في الأردن .

وفي ساعة الظهر من يوم الاثنين ٢٧ ربيع الأول (١٥ ديسمبر) استدعى وزراء خارجية

الحكومات العربية - في جميع عواصمها - ممثلي بريطانيا المعتمدين لديهم وقدموا لكل منهم شبه احتجاج شديد اللهجة على موقف بريطانيا الجديد من قضية فلسطين والتحيز الظاهر من وفدها في الأمم المتحدة لإزاء الصهيونيين في القرار الذي أصدرته اللجنة السياسية للهيئة بدعوة العرب وإسرائيل للدخول في مفارقات مباشرة ، غير مبالية بقرارات الأمم المتحدة السابقة بشأن إعادة اللاجئين إلى ديارهم ، وتعويضهم عن ممتلكاتهم ، وتدويل مدينة القدس . وقد اتهمت الحكومات العربية في مذكرة الاحتجاج الحكومة البريطانية بأنها هي التي وضعت القرار ودفعت به إلى الدول الثمان التي تقدمت به باسمها ، ثم إنها هي التي قامت بالضبط السياسي على الكثير من الحكومات لتوافق على هذا القرار الذي جاء مخيباً لآمال الحكومات العربية في الأمم المتحدة ، وقد تجنبت فيه الأمم المتحدة مبادئ ميثاقها وعدالة القضية المعروضة عليها . وإن بريطانيا بتحيزها هذا للصهيونيين أرادت أن تظعن الحكومات والشعوب العربية طعنة جديدة . وأعلنت الحكومات العربية في ختام مذكرتها أنها غير مستعدة لإطلاقاً لتنفيذ القرار الظالم ، وتطلب من الحكومة البريطانية تصحيح الوضع عند عرض موضوع فلسطين من جديد على الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

قطارات الرحمة

أبدى رجال القوات المصرية على اختلاف أسلحتها استعدادهم التام للتنازل عن «التعيين» المخصص لكل واحد منهم يومياً لمدة خمسة أيام فتقدم كميانه كلها إلى إخوانهم اللاجئين من عرب فلسطين . أما قطارات الرحمة فستمر بكل بلدة وكل قرية لجمع التبرعات وستقام ساحات شعبية فى القرى لهذا الغرض الإنسانى العظيم .

انتحار الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا

فقد الاستعمار الفرنسى وعيه فعمد إلى أساليب الانتحار فى الشمال الإفريقى ، وكان آخر ما صدر عنه من بنى تأليف العصابات لاغتيال الأحرار والعاملين على تحرير وطنهم . وفى فجر ١٦ ربيع الأول (٤ ديسمبر) بينما كان المجاهد التونسى فرحات حشاد زعيم اتحاد نقابات العمال التونسيين وعضو الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة يجتازاً بسيارته الطريق من تونس إلى سوسة انهمر عليه الرصاص من مدافع رشاشة أطلقت عليه من سيارة كانت تتبعه فأصابته فى مواضع عديدة من جسمه . وقد عقد الأمير الشاذلى نجل ملك تونس مؤتمراً صحفياً انهم فيه عصابة البذخاء الفرنسية باغتيال فرحات حشاد ، وقال : إن الكفاح بين تونس وفرنسا الآن أصبح علنياً .

كان الرئيس اللواء محمد نجيب قد قال بحماسة بالغة فى جمعية الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية : « من العار أن نطلب المعونة للاجئين العرب من كانوا سبياً فى النكبة التى حلت بهم » .

والرئيس محمد نجيب إذا قال كلمة الخير بادر إلى التفكير فى تحقيقها ، وقد كان تحقيقها بمشروع (قطارات الرحمة إلى اللاجئين من عرب فلسطين) ، وقد ساهمت فى تنفيذ هذا المشروع البنوك والمصارف المالية وكل من يقدر على المساهمة فى هذا العمل الإنسانى . وما وصل خبر هذا المشروع إلى البلاد العربية الشقيقة التى تؤوى ألوفاً من هؤلاء اللاجئين المشردين عن وطنهم المحبوب ظلماً وعدواناً حتى شرعت فى اقتفاء أثر مصر فى القيام بمثل هذا العمل العظيم الذى سيتولاه فى مصر الجيش المصرى من بداية العمل إلى نهايته دون حاجة إلى اشتراك الكويزكرز التابعة للأمم المتحدة كما اقترح ذلك بعضهم ، ودون حاجة أيضاً إلى اشتراك الهيئات النسائية كمبرة محمد على وغيرها ، فالجيش المصرى وحده هو الذى سيتولى هذا الأمر فى مصر وسيعمل على توفير الأغذية والكساء والأغطية للاجئين وعلى جمع أدوات البناء ليتولى اللاجئون بأنفسهم إنشاء البيوت لهم ولاسرهم . وقد

الحداد هذه كانت أروع ما في ذلك الاحتفال وقد أبرقت الهيئات المصرية الكبرى : الإخوان المسلمون والشبان المسلمون والحزب الوطني الجديد وحزب العمال وجماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية والحزب الاشتراكي ولجنة تحرير المغرب وحزب الفلاح برقية إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة وسكرتيرها العام والاتحاد الدولي لعقابات العمال يحتجون على الطريقة التي ابتدعتها فرنسا في الاغتيال ، وعلى الارهاب المسلح الذي تقوم به السلطات الاستعمارية في تونس والجزائر والمغرب الأقصى .

ثم كان يوم الخميس ٢٤ ربيع الاول يوماً مشهوداً في المدرج الكبير بمدينة الأزهر الجامعية احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي الناشم من تونس إلى أقصى المغرب ، ومع أن المدرج يتسع لأكثر من عشرة آلاف مستمع لم يبق فيه موضع قدم لشدة ازدحامه بعلماء الأزهر وأبنائه ورجال الهيئات الإسلامية .

وقد ألقى كلمة الأزهر في هذا الاجتماع العظيم وكيل المشيخة الشيخ عبد اللطيف دراز فقال : إني باسم الإسلام وباسم رجال الدين أحمل فرنسا ما نأق به من عنف وما ترتكبه من فظائع تأباه الإنسانية بل تأباه البربرية . وطالب أن يقف المسلمون في جميع بلاد

وما كاد نبأ اغتيال الزعيم التونسي يطرق مسامع الناس حتى أعلن ثمانون ألف عامل تونسي الإضراب العام ، وأغلقت الحوانيت والمتاجر العربية ، وخرجت مئات الألوف في مواكب حداد واحتجاج . ومع فرض نظام عدم التجول فإن الاضطرابات اتسع نطاقها وأدت إلى مقتل عدد كبير من الفرنسيين والمجاهدين التونسيين ، واجتاحت الثورة مدائن كثيرة في مناطق شتى ، وتجاوزت حدود تونس إلى الجزائر ، وقامت المظاهرات الدامية في وهران ، وقتل المدير العام لإدارة الأمن في الجزائر ، ثم اخترقت الثورة حدود الجزائر إلى المغرب الأقصى فقامت الاضطرابات في الدار البيضاء وغيرها من المدن ، واضطرت السلطات الفرنسية إلى إزال الدبابات الحربية في الشوارع واستعملت المدافع الرشاشة .

وهكذا أراد الاستعمار الفرنسي أن يجمع الثورة التونسية باغتيال زعيم العمال ، فكان كالذي يحاول إطفاء الحريق بالبنزين .

وبرى القراء في الحيز الذي ذكرنا فيه احتفال القاهرة بافتتاح مركز التدريب النقابي أن عمال مصر الممثلين في ذلك الاحتفال ، وعلى رأسهم الوزير محمد فؤاد جلال ، وقفوا حداداً على روح الشهيد فرحات حشاد ، وقال الوزير : إن وقفة

لأداء صلاة الغائب على شهداء تونس والمغرب
تلبية لنداء اتحاد علماء المساجد وأداها القائدان
مع المصلين . وبعد الانتهاء من صلاة الغائب
صافح العقيد الشيشكلي الأستاذ الخطيب
وحياه شاكرآ ، كما صافح فضيلة الأستاذ
الأكبر وكبار المصلين .

وفي مساء ذلك اليوم (الجمعة) عقدت
هيئات إسلامية ووطنية مؤتمراً كبيراً في دار
الشبان المسلمين خطب فيه الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر وممثل للإخوان المسلمين
وممثل للشبان المسلمين وممثل للحزب الوطني
وممثل للحزب الاشتراكي ، ثم تكلم الأستاذ
هبد الرحمن عزام والدكتور محمد صلاح
الدين ، والسيد بشير الإبراهيمي .

وفي الختام قرر المؤتمر الاحتجاج الشديد
على اغتيال الزعيم العمالي فرحات حشاد وقتل
المئات من الوطنيين الأحرار وتضامن
الشعوب العربية والإسلامية مع شعوب
شمال أفريقيا في نضالها وتكوين لجنة دائمة
للمؤتمر برئاسة الدكتور محمد صلاح الدين
لوضع برنامج مفصل لهذا التضامن ومناشدة
الحكومة المصرية والحكومات العربية
والإسلامية تقديم المساعدات اللازمة ،
والضغط على الحكومة الفرنسية من النواحي
السياسية والاقتصادية والثقافية لتعترف
بمقوق شعوب المغرب ومناشدة الشعوب
العربية والإسلامية بمقاطعة البضائع والمعاهد

الأرض على قلب رجل واحد مع تونس
والجزائر والمغرب ضد هذا الاستعمار الغاشم
حتى تتحقق لهذه الشعوب حريتها . وتلاه
شيخ علماء الجزائر السيد البشير الإبراهيمي
فدعا إلى الانصراف عن الكلام والتصفيق
إلى العمل في البلاد الإسلامية كلها لتحريرها
ولإخراج البغاة منها . ثم تكلم السيد الفضيل
الورتلاني والأستاذ محي الدين القليبي فوصفا
جرائم الاستعمار وأساليبه في شمال إفريقيا .
ثم قرر المجتمعون استنكار فظائع الاستعمار
ومطالبة الحكومات العربية والإسلامية
بتنظيم سياسة اقتصادية يكون هدفها الاستغناء
عن معاملة الدول الاستعمارية .

وفي يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول أدى
الرئيس اللواء محمد نجيب وضيف مصر
العقيد أديب الشيشكلي صلاة الجمعة في الجامع
الأزهر ، فكانت خطبة الجمعة على منبر الأزهر
عن فرنسا وما تحصد من أرواح أهل المغرب
وما تهرقه من دماهم ، وعن التعصب الجفسي
في جنوب أفريقيا وما يلقاه (الملونون)
من ظلم الأوربيين .

ثم أعلن الخطيب وجوب التعاون بين
شعوب الإسلام ، لأن الإسلام قام على أساس
أن العقيدة هي الوطن ، فإذا أصيب المسلمون
في مغارب الأرض بظلم فقد أصيب المسلمون
في مشارقها بما أصيب به إخوانهم في مغاربها .
وبعد أداء الفريضة اصطفت جماهير المصلين

بمرور العام الرابع على إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يسمونه «حقوق الإنسان»، وإنه ليحق للشرق أن يضحك - وشر البلية ما يضحك - لاشتراك أبناء الاحتفال بإعلان حقوق الإنسان مع أبناء الدبابات والرشاشات التي تحصد بني الإنسان في شمال أفريقيا لتمنعهم من المناداة بأنه إذا لم يكن لهم ولجميع الشرقيين النصيب الأول في «حقوق الإنسان»، فإن هذه الحقوق تكون حينئذ من الأكاذيب.

وفي الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء ٢٨ ربيع الأول لبي أعضاء جماعة كبار العلماء دعوة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لاجتماع عقدوه لبحث ما يجب على المسلمين إزاء موقف الاستعمار من الاقطار الشقيقة تونس والجزائر والمغرب وبعد أن استعرضت الجماعة الحالة القائمة الآن في هذه الاقطار، والاعتداءات المتكررة من فرنسا الباغية عليها منذ عهد بعيد، وبعد تداول الرأي فيما يجب على المسلمين إزاء ذلك تقرر بالإجماع ما يأتي:

١ - استنكار ما يقوم به الاستعمار الفرنسي من كبت الحريات وإراقة الدماء واغتial الأحرار الذين يطالبون بحقوقهم الطبيعي والإنساني في بلادهم.

٢ - إعلان هذا الاستنكار إلى جميع الدول الإسلامية، وإبلاغه إلى جميع ممثلي

الفرنسية واعتبار قضايا تونس والجزائر والمغرب وحدة لا تتجزأ.

وبينما كانت مصر والشرق الإسلامي كله على مثل هذه الحالة من الغضب لتونس والمغرب على ما ترتكبه فرنسا فيهما من همجية، كانت اللجنة السياسية في هيئة الأمم المتحدة تعمل على تأييد الاستعمار الفرنسي برفض مشروع قدمته الكتلة العربية الآسيوية في مشكلة تونس، فنال هذا المشروع ٢٦ صوتاً منها أصوات الدول العربية الآسيوية وهي ١٣ وأصوات الكتلة السوفيتية وهي خمسة وأصوات الصين وأثيوبيا وجواتيالا ولبيريا وسيام ويوغوسلافيا. وعارضته ٢٧ دولة منها (تركيا) وأمريكا وبريطانيا وإسرائيل وبقية أعوان الاستعمار.

ومن العجيب أن الضمير العالمي في أوروبا وأمريكا مصاب بخدر قوي، فهو يكتفي بوقفه المتفرج تجاه هذه المآسي، بل إن إنجلترا وبلجيكا الاستعماريتين تتعاونان مع فرنسا على هذا البغي، وتحاولان معها خنق صوت الحرية التي نزع هذه الدول أنها من دعائها.

أما العالم الإسلامي الذي تغل في أئمة أهله نيران الغضب على هذا البغي، فإنه كان يقرأ مع أخبار شمال أفريقيا أخباراً أخرى من احتفال الأمم الغربية يوم ١٠ ديسمبر

عشر ألف طالب جامعا وليعلموا سخطهم على الاستعمار؛ وبعد خطب حماسية قوية أُلقيت فى هذه الجوع . قرر الطلبة المجتمعون تأييد الشعب المغربى فى كفاحه ، واعتبار عدوان فرنسا على المغرب وانجلترا على مصر وأفريقيا والتدخل الأمريكى فى الشرق الأوسط حملة استعمارية واحدة ، واعتبار معركة المغرب امتداداً لمعركة التحرر التى بدأت فى فلسطين والقنال ، واعتبار تموين أمريكا لفرنسا بالسلح اعتداء أصلياً . والسمى لإنشاء وحدة اقتصادية بين جميع البلاد العربية ، وتكوين جبهة من الشباب الشرقى بالجامعة لمسكافة الاستعمار بأنواعه ومطالبة وزير المعارف باغلاق جميع المعاهد الاستعمارية فى مصر .

وطلبت جمعية الهلال الاحمر المصرى رسمياً من السفارة الفرنسية فى القاهرة تصريحاً بسفر بعثة من سيدات الهلال إلى تونس والمغرب للقيام بأعمال الإغاثة والإسعاف للمصابين بالحوادث التى تقع هناك ، ونكتب هذا والمجلة على وشك الصدور ولما ترد السفارة الفرنسية على هذا الطلب الإنسانى .

وأدى مصدر رسمى مسئول بأن وزير الخارجية المصرية (وكذلك كل وزير للخارجية فى الدول العربية الشقيقة) استدعى سفير أمريكا ، وأوضح له مدى الأثر السئ الذى يحدثه استمرار العدوان فى تونس ومراكش

الدول الأجنبية فى مصر ، وإلى جميع الهيئات الدولية ، ونشر ذلك فى العالم كله بمختلف الوسائل .

٣ — دعوة الامة المصرية وسائر الأمم الإسلامية إلى القيام بالواجب الدينى والإنسانى حيال فرنسا الباغية وموقفها العدوانى فى شمال إفريقيا ، وأقل ما يتحقق به هذا الواجب الآن أن يقاطعوها مقاطعة تامة فى تجارتها وصناعاتها ودور تعليمها .

٤ — دعوة الجامعة العربية والحكومات الإسلامية إلى مقاطعتها سياسياً ، وإلى منع الاستيراد منها .

٥ — دعوة هيئات الخدمة الإنسانية إلى المسارعة بإسعاف المنكوبين وتضميد جراحهم

٦ — دعوة الشعوب الإسلامية فى الأقطار كافة إلى الاكتتاب العام لمساعدة هؤلاء المجاهدين وتخفيف ويلاتهم . وقد افتتح أعضاء الجماعة - فعلاً - قائمة الاكتتاب فيما بينهم ، على أن تودع المبالغ المكتتب بها تحت إشراف حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس الجماعة ٧ — ان يوجه فضيلة الاستاذ الأكبر

رئيس الجماعة نداء عاماً إلى المسلمين فى جميع الاقطار ينبههم فيه إلى ما أوجبه الله تعالى عليهم فى هذا الموقف (وقد نشرنا النداء فى مكان آخر). وفى صباح الأربعاء ٢٩ ربيع الاول اجتمع الحرم الجامعى بالجيزة نحو خمسة

أفريقيا لأفريقيين

دخلت ثورة كينيا على الاستعمار البريطاني في شهرها الثالث وقد تبين للرأى العام العالمى أن ما كان يزعمه الاستعمار البريطانى من أن ثورة كينيا همجية وتافهة إنما هو زعم لا يقوم على أساس ، وقد أذاعت وكالات الأنباء برقية من لندن نفسها بأن ثوار كينيا يسعون للاتصال بثوار شمال أفريقيا على الاستعمار الفرنسى ، وبالمتذمرين من قوانين الاضطهاد العنصرى في جنوب أفريقيا ، ليتفقوا جميعاً على التعاون للخلاص النهائى من الاستعمار توطئة لتقرير مبدأ إفريقيا لأفريقيين .

وقد اعترفت (التيمس) بأن حوادث كينيا تعتبر مرحلة من مراحل السكفاح التى تقوم بها الحركة الوطنية فى أفريقيا ، وأن هناك أوجه شبه كثيرة بين هذه الحركة والحركة الوطنية على ساحل الذهب فى غرب أفريقيا .

وقد بدأت تنتشر بعض المعلومات الصحيحة عن زعيم الاتحاد الأفريقى فى كينيا وإسمه (جومو كنيانا) ويسميه الوطنيون « الروح المشتعل » وهو قوى البنية فصيح اللسان وكان مدرساً فى مدارس كينيا ، وتلاميذ كينيا بمجدونه كما بمجد المسيحيون المسيح . وقد زادت شهرته وتعلق الشعب به بعد اعتقاله فى سجون الإنجليز ، فلم يقدم اعتقاله شيئاً .

والجزائر ، وقد وعد السفير الأمريكى بأنه سيرفع الأمر إلى حكومته فوراً .

وبدأ وزير الخارجية المصرية من يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الأول فى مقابلة ممثلى الكتلة الآسيوية ، فاجتمع بكل من القائم بأعمال سفارة أندونيسيا ، ثم بممثل الباكستان وسفير الهند وممثل الحبشة ، وسيقابل كلا من سفير إيران والافغان ، وكان الجميع يجمعين على رأى واحد فيما يتعلق بقضايا البلاد العربية ، وقضايا شمال إفريقيا .

احتضار الاستعمار البريطانى

أعلن فى مجلس العموم البريطانى أنه ابتداء من آخر سنة ١٩٥٢ يصبح من حق المستعمرات البريطانية أن تقترض مباشرة من بنك النعمير والإنشاء الدولى . ومن المعلوم أن أكثر أموال هذا البنك أمريكية .

وحينئذ نهض أحد أعضاء المجلس وقال : « أننا بذلك نترك المستعمرات تبيع شهادات ميلادها لدولة أخرى » .

فقال مستر أوليفر ليتلتون وزير المستعمرات جواباً على هذه الكلمة وكلمات أخرى فى معناها : « إننا لم نعد نملك شلناً واحداً نبذره فى أرض مستعمراتنا . بل لقد أصبحنا مدنين لهذه المستعمرات بمبلغ ٩٦٤ مليون جنيه أخذناها مقدماً . وليس فى استطاعتنا أن نمنع نشوء مشروعات جديدة بأموال غيرنا فيما وراء البحار ما دمنا لا نملك المال اللازم لإنشاء تلك المشروعات بأنفسنا » .

الأدب والعلم في شهر

تعميم التعليم

فإذا زادت كمية مدارس وزارة المعارف إلى ضعف عددها الحاضر سرت العسوى التي تشكو الأمة منها في المدارس الموجودة إلى الجديد منها الذي يخوفون البلاد من تبعاته المالية . وحذا لو يعلم رجال وزارة المعارف أن تفكير قادة الرأي في الأمة منصرف إلى (الكيفية) وشكواهم تدور حول الداء المزمن في المدارس منذ أريد منها تخريج آلات لمسكنة الحكومة غير معني بتأحية التربية والاخلاق العملية في تكوينهم ، ولا بتأحية إعدادهم للاضطلاع بمرافق الوطن الأخرى في خارج الحكومة .

فال المطلوب الآن أن تفسخ مدارس وزارة المعارف مع العهد الجديد بتغيير تلك الأسس كلها ، وأن يكون الأساس الأول في مناهجها التربية والاخلاق وأن يستعد الشباب المتعلم للكفاح في سبيل إصلاح المجتمع وإسعاده كما يستعد لإصلاح شئونه الشخصية وسعادته الذاتية ، وبذلك يكونون صالحين للنهوض بأعباء الوطن في مرافقه واتجاهه الصالح نحو التقدم . فهل لوزارة المعارف أن تلبى هذا الطلب حتى تكون مدرسة العهد الجديد ملائمة لروح العهد الجديد ؟

تصبح البلاد الآن من جمود وزارة المعارف العمومية على الأسس القديمة التي رسمت لتخريج موظفين لا لتخريج رجال علم وعمل ، وتشكر الصيحات بمطالبة الوزارة بأن تعنى بالتربية والاخلاق والدين ، وبتأريخ أبحاد العروبة والإسلام كمنهايتها بالألعاب الرياضية على الأقل ، ليتم بذلك اتصال حاضر الأمة بماضيها ، وليكون منه بدء تحول بالمدارس من مصانع لتخريج موظفين ، إلى معاهد لتخريج رجال مثقفين مهذبين يعرفون واجبههم نحو وطنهم وقوميتهم ودينهم وناصريهم والنهضة التي سيعيشون معها وتعيش معهم .

ولم إلى الآن لم نسمع لوزارة المعارف صوتاً في الاستجابة لهذه الدعوة الصادرة من ضمير العهد الجديد . وكل ما يتحدث به رجالها كلام عن تعميم التعليم وما يحتاج إليه من أموال ، ليخففوا رجال هذا العهد من التبعات التي ترتب على هذا التعميم حتى يشمل جميع أطفال الوطن الذين في سن التعليم . فتفكير رجال وزارة المعارف لا يزال منصرفاً إلى (الشكل) و (الكمية) مع بقاء الداء كما هو ،

فن المكتبات :

السياسية المعتمدة من سوريا والهيئات الاهلية والخيرية غير الحكومية في البلاد العربية .
ومدة هذه الحلقة من ٨ إلى ٢٠ ديسمبر (٢٠ ربيع الاول إلى ٣ ربيع الآخر) ، ومن أهم ما يدرس في هذه الحلقة موضوع التكافل الاجتماعي وأثر التنمية الاقتصادية في وسائل التكافل . وإن وفد مصر في هذه الحلقة برأسه الدكتور محمد عرض محمد وأعضاءه الدكتور عزيز المراغي والاستاذ محمد أبوزهرة والاستاذ أحمد حسن إسماعيل ينضم إليهم مستشارون والمحققان العسكري والثقافي بدمشق . وقد دعى للاشتراك في هذه الحلقة الاستاذ سيد قطب .

نظم معهد التربية المعلمين بجامعة إبراهيم حلقة دراسات مسائية بين طلبة المعهد لدراسة فن المكتبات ، ويقوم بإعداد هذه الدراسات والإشراف عليها مستر جامي الخبير الأمريكي في فن المكتبات والاستاذ حسن رشاد ، وسيدعى بعض رجال التعليم لتلقى الاسس العلمية والعملية التي تكفل النهوض بالمكتبات المدرسية .

حلقة الدراسات الاجتماعية

مسئولية تحقيق الأهداف :
في يوم السبت ١١ ربيع الاول زار الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب كلية الطب بجامعة إبراهيم ، وخطب في الطلبة فقال :
أبناء الطلبة ، بل جنود الطلبة : لأنكم أهم من الجنود ، لأن الجنود لهم مهمة معروفة ، أما أنتم فلكم مهمة الخصا في أنكم مسئولون مسئولية تامة عن تحقيق مبادئ وأهداف هذه الحركة .

إن ألمانيا ليست أحسن منا ، إنها هزمت في حربين ، لكنها قامت ونهضت من جديد . ونحن في أشد الحاجة إلى ما قامت من أجله (الرسالة النبوية الشريفة) وهي جمع صفوف العرب وغيرهم من الذميين الذين يعيشون

عقدت حلقة الدراسات الاجتماعية دورتها الثالثة في دمشق ، وقد قامت بتنظيمها جامعة الدول العربية بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة . وكانت حفلة الافتتاح بمدرج الجامعة السورية بدمشق . واشتركت في هذه الحلقة جامعة الدول العربية والجمهورية السورية والمملكة الأردنية والمملكة العراقية والمملكة العربية السعودية والجمهورية اللبنانية والمملكة اليمنية ومملكة مصر والسودان والمملكة المتحدة الليبية . وحضرها ممثلون وخبراء من المنظمات والوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة وهي هيئة العمل الدولية وهيئة التغذية والزراعة وهيئة الصحة العالمية وهيئة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة (اليونسكو) ووكالة لإغاثة اللاجئين . ومراقبون من الإمارات العربية والبعثات

الوطن آله كبيرة :

احتفل بافتتاح مركز التدريب التقني بالقاهرة . وعند بدء الاحتفال اقترح أحد العمال الاشتراك بالحداد على الزعيم العالي التواصي الشهيد فرحات حشاد ، فوقف الجميع دقيقةتين سادهما الصمت الرهيب . ثم خطب الوزير محمد فوزي جلال فقال : إن أروع ما في هذا الاحتفال وقوفنا حداداً على روح زميل كريم ذهب ضحية الاستعمار ، فبدت روح التضامن قوية بين العمال العرب في أوطانهم . ثم قال :

نحن نجتمع هنا ليكون كل منكم رسولاً إلى زملائه في أنحاء البلاد ، فها الأمة إلا بمجموع من العمال ، ولا مكان في هذه الدولة لمن لا يعمل . هذا هو شعار العهد الحاضر في سعيه لبناء الدولة من جديد . انني أتمنى أن أرى اليوم الذي يصبح فيه العمال وأصحاب الأعمال طرفاً واحداً شعاره : حكمة معاوية الخالدة : « لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، والشعرة هنا هي مصلحة العمل ، حافظوا على هذه الشعرة ولا تقطعوها .

« انني أحب الرجل الذي يتمسك بحقه ولا يتنازل عنه ، وأحب أيضاً ألا ينسى حق الوطن فلا يضيعه . إن الوطن آله كبيرة ، والعامل الذي يعمل ينفع بني وطنه ، وينفع نفسه وغيره من العمال إذا حافظ على هذه

معهم . فنحن كذلك في حاجة الى جمع الصفوف لنعمل يداً واحدة لمصلحة واحدة هي مصلحة مصر والسودان .

إن النظام يوفر الوقت ، ويكسبنا احترام العالم . إن النظام معناه « العمل » ، وأنتم تعلمون أنه بغير عمل لا يستطيع الانسان أن ينجح .

لكل إنسان أن ينتقد ، على أن يصف العلاج لموضوع نقده . وافترضوا أنفسكم من قادة الحركة تستطيعوا أن تنتقدوا عمل حريبتكم وثقوا أن كلا منكم يستطيع أن يكون محمد نجيب ، فأما ألم أنهض إلا باستعداد الأمة وتضامنها .

إن رسالتكم ليست تحقيق هذه المبادئ فقط ، ولكن أن تكونوا أيضاً لساناً للدعاية عن هذه المبادئ ، فتعلموا كل من يحيط بكم .

إن الكتائب السماوية جميعاً نخضنا على المحبة والوثام والنظام ، فليس هناك عمل بدون نظام .

وثقوا أن كل ما تطلبونه سيجاب لكم ، ولكن في حدود مقدرة الدولة . فأنتم تعلمون كيف تركوا مصر . ولهذا فنحن في حاجة للاقتصاد ، والتقشف . وثقوا أننا لو اقتصدنا قليلاً فسنكسب فيما بعد كثيراً . والسلام عليكم ورحمة الله .

إلا بعد تثقف عميق بكل ضروب الثقافات من فلسفية وغير فلسفية ، ولم يكن عندهم هذا التخصص الذى نشق به فى العصر الحديث والذى يجعل طالب الأدب لا يعرف فلسفة ولا كيمياء ولا طباً ولا قانوناً وشريعة ، فانهصر فكره فى دوائر ضيقة ، ولم يعد من الممكن أن يكون متموجاً أو ملوناً بكل حظوظ الثقافة كما كان أدباء العصر العباسى ،

أثنا عشر ألف أثر عربى

كان الأستاذ كانون رشمائز أستاذ اللغات السامية بجامعة لوفان قد قام مع عبد الله فلبى برحلة فى بلاد العرب الجنوبية للبحث عن آثار العرب القديمة برعاية الملك ابن سعود ، فنتظماً ١٧٥٠ ميلاً ، ثم دخلاً مناطق عربية لم تطأها قدم أعجمى قبل الآن ، وعثراً فى هذه الرحلة على اثنى عشر ألف أثر عربى يرجع بعضها إلى عهد ملوك سبأ . وتقوم الآن أكاديمية النقوش والذخائر الأدبية فى باريس على دراسة هذه النقوش وكتابة تقرير عنها .

مخطوطات طورسينا

ألقت جامعة الاسكندرية لجنة لتنظيم دراسة صور المخطوطات والوثائق الأثرية التى اشتركت بعثة الجامعة فى تصويرها مع بعثة الآثار الأمريكية فى دير سانت كاترين فى طورسينا . وتعد هذه المخطوطات والوثائق

الآلة ورعى حقها حتى يقبل أصحاب الأموال على استغلال أموالهم فى الصناعة .

أدباء السلف والأدباء المعاصرون

يقول الدكتور شوق ضيف فى تعريفه بكتاب « الهوامل والشوامل ، لأبى حيان التوحيدي ومسكويه (فى فصل نشرته مجلة الكتاب) « أصبحنا فى عصر السرعة ، وأصبحنا لا نكاد نسأل حتى نجيب . فلم تعد عندنا هذه الصفات التى كان يتحلّى بها الأسلاف ، صفات التؤدة والروية والتعمق فى المسألة وتشقيتها ، حتى لتصبح كأنها شجرة ذات فروع ، وما تزال غصون تمتد فى الفروع إلى ما لا نهاية .

« قرأت هذا الكتاب وخيل إلى عقب قراءته كأننا لا نستطيع أن نجارى فى عصرنا الحديث هؤلاء الناس الذين سبقونا ، لأننا مشغولون بالدعوى العريضة ، وبإلقاء الأحكام ونحن نرمى بهذه الأحكام يميناً وشمالاً ، لا نكاد نتدبر أنفسنا ولا نتدبر ما نقول .

ويظهر أن المسألة لا ترجع إلى السرعة كما زعمت ، بل ترجع إلى أننا لا نتعب أنفسنا فى فهم المسائل وتبينها ، وكشف جوانبها وبواطنها وظواهرها ، إنما نكتفى بما نعرفه من الخارج وما تمر عليه أفكارنا .

« وقد نكون مختلفنا عن الأسلاف لأن الأديب منهم لم يكن يزعم لنفسه هذا الوصف

أصغر جمهورية إسلامية .

ظهرت للوجود في الشهر الماضي جمهورية جزائر مالديف الواقعة في المحيط الهندي ، وهي تبعد ٤٠٠ ميل عن سيلان . وكانت في ثمانية القرون الماضية تحكم بنظام الملكية حكما عادلا هنيئاً ، والمسلمون في هذه الجزائر وادعون يلتزمون الحق ويعيشون للخير وليس عندهم سجون وأكثر ما يتجرون به السمك يتقايضون بالزائد منه للحصول على ملابسهم وضرورياتهم من سيلان .

في سبيل الاستعمار المضموم

أوشكت أن تتم ست سنوات على الحرب الاستعمارية المشؤمة التي تخوضها فرنسا في الهند الصينية .

وقد بلغت خسائر الفرنسيين هناك حتى الآن ١٢٠٠ ضابط و ٣٠٠ ألف جندي . ولا نعلم كم بلغت خسائرهم في الأموال ، لكن الذي نعلمه أن الاعتمادات الفرنسية لهذه الحرب في ميزانية العام القادم هي ٣٩٠ مليون جنيه استرليني أى نحو ربع مجموع النفقات العسكرية في فرنسا .

أهم مجموعة تاريخية من نوعها في العالم من حيث تنوعها وكثرة موضوعاتها وغزارة مادتها وتعدد اللغات المكتوبة بها فهي تبلغ أثنتي عشرة لغة . وفيها غير السكتب الدينية المسيحية بعض المخطوطات اللغوية والادبية والفلسفية والجغرافية والتاريخية والطبية ، علاوة على الفرمانات والوثائق القانونية التعليمية . ومن كتبها نسخة مخطوطة من الانجيل بالعربية الفصحى تعد فريدة في نوعها وقد سميت فيها الانجيل الاربعة مصاحف كمصحف لوقا ومصحف متى الخ ، ويظن أن هذه الترجمة العربية القديمة تصحح أخطاء لا تخلو منها الاناجيل بتراجمها العربية المتداولة وكان الامر يكتون قد حاولوا شراء هذه المخطوطة بمبالغ ضخمة فرفض ذلك القائلون على الدبر .

ويقتظر أن تستغرق دراسة مخطوطات طورسينا سنوات عديدة ، وهي تقتضى الاستعانة بالخبراء العالمين . إلا أن جامعة الاسكندرية تحفظ لمصر الفضل الاكبر في إظهار أهمية هذه المخطوطات والعناية بها .

طرائف علمية وأدبية

بركان فيزوف :

في المائة من الحالات تحسنت إلى حد كبير ، وكان أكثر المتحسنين من المصابين بمرض الشيزوفرنيا وقد عادوا جميعاً إلى منازلهم ، منهم ١٠٢ فقط أمكنهم العودة إلى أعمالهم . وإن حالات العنف والسودان والميل إلى الانتحار خفت كثيراً في أكثر الحالات وأصبح من السهل قيادة هؤلاء المرضى وبدأ أكثر من نصف المصابين يهتمون بما حولهم غير أن ١٠ في المائة منهم زاد انطوائهم على نفوسهم . ورغم هذه النتائج الحسنة فإن الخبراء لم يستطيعوا تفسير ما يحدث للمصاب عقب الجراحة وإن أفنوا بأن تغيير أي عمل بشخصيته . ولهذا ينصحون ألا تجرى هذه الجراحات إلا بعد استنفاد الوسائل الأخرى وفي الحالات العنيفة التي يتعذر فيها التعامل مع المريض وتنهال كل الآمال في إمكان علاجه .

الورق من قصب القصب

صرح وزير التجارة الأمريكية بأن ورق الصنف المصنوع من قصب السكر يضارع في جودته الورق المصنوع من لب الخشب إن لم يكن أفضل منه . وأن تسكليف الورق المصنوع من القصب ستكون زهيدة .

ترتفع قمة جبل فيزوف ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وترقد على سفحه عشرات القرى الجميلة ، وأشهر ثورات هذا البركان في القرنين الأخيرين وقعت في سنوات ١٧٧٩ و ١٧٩٣ و ١٨٣٤ و ١٨٥٥ و ١٨٦٧ وأخيراً في سنة ١٩٤٤ . وقد انتشرت سيول الحمم التي تدفقت في ثورته سنة ١٧٧٩ إلى مسافة ١٥٠٠ قدم ، وقطعت في سيرها حوالى ثلاثة أميال ونصف ميل قبل أن تنتهى إلى ساحل البحر . ويتوقع بعض الجيولوجيين أن تتجدد ثورة هذا البركان عما قريب فتدمر القرى القائمة في جواره من سفح الجبل .

مراكز الإدراك في المخ :

تمكنت إدارة المحاربين القدماء في أمريكا من إتمام دراسة استمرت سنتين على ١٥٠٠ مريض بالأمراض العقلية أجريت لهم جراحات في الفصوص الامامية للمخ ، وهى مراكز الإدراك في الإنسان ، وفي هذه الدراسة اشترك ١٢٨ من الخبراء في شتى الأمراض العقلية وقالوا في تقريرهم إن ٤٠

وهذا الغطاء الجديد للرأس هو (عمامة) من البلاستيك تشتمل على أجزاء إضافية لوقاية الاكتشاف والرقبة والوجه وأعلى الصدر ، ولا يزيد وزن هذه المجموعة الواقية على رطل واحد ، وهي كالصلب في مناعتها إن لم تزد عليه ، وتكاليف كل خمس وأربعين عمامة من هذا الاختراع الجديد تعادل تكاليف خوذة فولاذية واحدة مع التفوق في الخصائص الوقائية . وقد نشر مع هذه الكلمة صورة لهذه العمامة الجديدة ، فتبين منها أنها في منتهى الجمال والهيبة ، ويعتينا منها نحن المسلمين على الخصوص أنها توافق تقاليدنا والمألوف عندما إلى درجة أن شكلها يصلح في الوقت نفسه لأن نقبسه لحياتنا المدنية فضلا عن الحياة الحربية في الميدان ، ولذا كانت العمامة الحربية تصنع من البلاستيك والمواد الصالحة للوقاية من الرصاص والشظايا ، فإن هذا الشكل إذا اتخذ للحياة المدنية ومن نسيج لطيف مرشح فإنه بلا شك يصح أن يتخذ أساساً لوحدة الأزياء التي ينشدها من يدعو إليها . ونحن نلفت أنظارهم إلى هذه الكلمة في الأهرام ، وإلى الصورة المنشورة معها ، وإلى الوصف الشيق الذي وصفت به هذه العمامة التي تعد أحدث ما وصلت إليه العقول فيما يتباق بغطاء الرأس في البلاد المتحضرة .

وأن الكميات الموجودة في أمريكا من فضلات قصب السكر تفي بجميع حاجات أمريكا المتزايدة من الورق .

معجم بأسماء المجرمين .

تقوم مصلحة الشرطة في سكوتلاند يارد بإعداد ونشر معجم مطول لأسماء وتراجم المحتالين والنصابين العالميين على غرار الكتاب السنوي للشاهير المسمى (من هو ؟) ، ليستفيد منه زوار الجزائر البريطانية من الأجانب المنتظر حضورهم حفلات التوبيخ ، فيكون لهم من معرفة هذا العنصر الخطر من البشر ما يحميهم منه . وقد شاركت في تأليف هذا المعجم إدارات تحقيق الجرائم في إنجلترا ودول الكومنولث وفي أمريكا وفرنسا .

عمائم هربية للمجند

في جريدة الأهرام - من بداية الانقلاب الأخير حتى الآن - ركن عسكري عنوانه « سلاح الغد »، يحرره كاتب من رجال الجيش يرمز لاسمه بكلمة « صاروخ » ، وقد نشر في العدد الصادر يوم ١٢ المحرم (١١ أكتوبر) كلمة عن أحدث ما ظهر من التطور في صناعة غطاء الرأس للوقاية من الرصاص والشظايا والقنابل بدلا من الخوذات الفولاذية المعروفة إلى الآن .

فهرس

الجزء الرابع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٣٩٣	الاسلام والسلام	الاستاذ محمد عرفة مدير المجلة
٣٩٧	من نحن ؟	» محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٠٣	السنة : حقوق الأكفيا	» طه محمد الساكت
٤٠٨	تطهير الاداء الحكومية في تاريخ الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٤١٣	في الفقه الاسلامي	الدكتور محمد يوسف موسى
٤١٨	أكل رسالات الله	خطبة لفضيلة الاستاذ الاكبر
٤٢١	افتحوا للفقه أبواب الحياة	الاستاذ أحمد فهمي أبو سنة
٤٢٤	الكتب الفلسفية وسبيل إصلاحها	» محمد عرفة
٤٣٠	الحديث النبوي : مقاصده ، ألفاظه ، معانيه	» محمود النساوي
٤٣٥	الحكم التكليفي والوضعي	» عبد الله الراعي
٤٣٩	أزمة الادب وحرية التعبير	» أحمد عباس صالح
٤٤٣	الدعوة إلى التشرف	» محب الدين الخطيب
٤٤٦	رواية الحديث وتدوينه	» محمود فرج العقدة
٤٤٩	كيف بنى المسلمون مجدهم	» عبد الرحيم فرغل البليبي
٤٥٢	المسؤولية الحكومية في الاسلام	» السيد كمال الشورى
٤٥٤	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب	» محمد محمد أبو شبة
٤٥٨	موقف الاسلام من الشيوعية والرأسمالية	حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر
٤٦١	ثورة الاسلام على الفوارق الجاهلية	الاستاذ عبد الحميد محمود السلوت
٤٦٥	الايمان يصنع المعجزات	» محمد خليفة
٤٦٨	بين الفلسفة وعلم الكلام	» على مصطفى الغرابي
٤٧٢	ذكريات تهز مشاعر الانسانية	» محمد عبد المنعم خفاجي
٤٧٦	لنويات : البنورة ، الطليان ، برخ ، هندكي	» محمد علي النجار
٤٨١	العلية في فلسفة هيوم	» سعيد زايد
٤٨٥	الرئيس يزور الأزهر	قلم التحرير
٤٨٨	مملكة تقلى	» عبد المنعم محمد الشيخ
٤٩٢	بيان إلى العالم الاسلامي عن قضايا المغرب	فضيلة الاستاذ الاكبر
٤٩٤	الكتب	قلم التحرير
٥٠٤	العالم الاسلامي في شهر	»
٥١٣	الادب والمعلوم في شهر	»
٥١٨	طرائف علمية وأدبية	»

رئيس التحرير
محج الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
في مصر ٢٠
للطبعة في مصر ٢٠
في الخارج ٤٠
للطبعة في الخارج
من الجزء ٥

مجلة الأناضول

مجلة شريفة جامعة

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محج الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٢ - ١٥ يناير ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العاجلة والآجلة

الآن ، وقد أخذنا نصالح ما أفسده الدهر من كياناتنا القويمة - في حكومتنا ، ومجتمعنا ، وفي تعاوننا مع الدول العربية الشقيقة ، ومع البلاد الإسلامية والاسيوية - وبدأنا نواجه الغرب مدافعين عن حقوقنا ، ومحاولين أن نحدد مكاننا من الأمم ؛ فقد آن لنا أن نباشر الإصلاح من أساسه ، فنحدد موضع دائنا ونحسن تشخيصه ، لنتمكن من معالجة ضعفنا في مصدره الأول .

لقد نقلتُ في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٣٩٧) قولَ وزير خارجيتنا الاستاذ محمود فوزى في تشبيه مجتمعنا العجيب برجل تلقاه في الطريق العام وهو يعدو بأقصى سرعة لكنه لا يعرف إلى أين هو منطلق ، ولا يعرف من أين هو آت ، وإذا سأله عن عمله وعنوانه فإذا هو بلا عمل ولا عنوان ... !

إن الاستاذ محمود فوزى وصف لنا حالتنا - وهي تنطبق على الفرد ، وعلى الأمة ، وعلى الدولة - كما رأى ذلك بعينه لما عاد إلينا من أمريكا قبل عشرة أشهر . فهل لنا أن نتساءل عن السبب الأول في ذلك ، ولماذا بلغت بنا الحال حتى إلى أن نجهل من نحن ؟ وأين نحن ؟ وماذا نريد ؟ وما هي وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟

هذه الجاهالة المضاعفة أجددُ بها أن نقلقنا ، ونقض مضاجعنا ، وأن نحمل في نومنا بأسبابها وعواقبها بعد أن نشغل أيامنا في التفكير بذلك إلى أن نجد لنا من هذه الحالة فرجا

ومخرجاً . ولست أدري كم عدد الذين أخذوا يفكرون في هذا الأمر منذ قرأوا في الشهر الماضي كلمة « من نحن ؟ » ، وكم عدد الذين تواصلوا بتفكيرهم إلى اكتشاف موطن الداء فينا حتى صرنا إلى ما وصفنا به الاستاذ محمود فوزي .

أما أنا فيخيل إلى أن ما نحن فيه الآن عقوبة من الله لنا معشر المسلمين - أفراداً وجماعة وحكومات - لانتنا خرجنا عن فطرة الإنسانية وسنن الإسلام بإيثار (العاجلة) على (الآجلة) وكان من حقنا - بقدر ما نحن مسلمون - أن نعتاد في أنفسنا وفي تعاون بعضنا مع بعض إيثار الآجلة على العاجلة ، لأن الآجلة خير وأبقى وأدوم ، وإن لم يكن فيها لإغراء العاجلة وزخرفها ووميضها الذي يخطف الابصار والبصائر .

أسس رجل نشيط من غير المسلمين جريدة الأهرام ، فلما مات صارت إلى أخيه ، ومات أخوه فصارت إلى ابنه وكان قاصراً ، ثم مات الابن فصارت إلى الحفيد ، وهي الآن في السنة الثامنة والسبعين من حياتها . وأسس رجل من المسلمين أكثر منه نشاطاً جريدة المؤيد فعاشت معه ثم ماتت بموته . وأسس رجل نشيط من غير المسلمين مجلة الهلال ، فلما مات ازدادت بعده قوة وحيوية وانتشاراً . وأسس رجل من المسلمين أكثر منه نشاطاً مجلة المنار فعاشت معه ثم ماتت بموته . ولو شئت أن أضرب عشرات الأمثال لاسعفتني الواقع بأكثر مما أريد . فلماذا هذا ؟ لماذا تنقص أعمار أعمالنا ومشروعاتنا ومؤسساتنا بعد أن تتجاوز سن الطفولة وتصير في طور الأيد والقوة والنضوج ؟ في ظني أن المرض مزدوج ، فالذين يؤسسون المؤسسات يعيشون في جو (العاجلة) فلا يرمون لمؤسساتهم خطة طويلة الأمد ، ولا يعدون لها من يخلفهم عليها ويضمن بقاها . والذين كان ينتظر منهم العون على استمرارها من أعيان الملة يعيشون لأنفسهم في جو (العاجلة) فلا يبذلون بمؤسسات أبناء ملتهم ، ولا يعتبرونها من تراث الملة ومن ثروتها ، ولعلمهم يسرون بموتها عند موت صاحبها . فنحن أمة يعيش أفرادها - ولا سيما خاصتها - للساعة التي هم فيها ، محاولين أن يغنموا فيها كل ما يستطيعونه من مغنم مهما كان لونها أو ريحها أو طعمها ، على قاعدة أحد ملوك فرنسا حين قال : إن الدينار لا ربح له ، فلا يضيره سوء مصدره .

وقس على الدينار الجاه والمنصب والوجاهة والتقدم

إن من أعجب العجب أن يكون فينا - نحن المسلمين - الاذكياء الذين يؤثرون الكسب العارض المنقطع لأنه كثير خلاف ، على الخير الدائم النبيل لأنه قليل لا يريق له . وأن

تتعجل جماعاتنا بالشئ قبل أوانه انخداعاً منها بالمظهر ، ثم لا تنعظ بعد ذلك إذا عوقبت بحرماته ، وقد كانت حكومتنا إلى عهد جد قريب تشبه ذلك الرجل الذى تحدث عنه الأستاذ محمود فوزى وصوره لنا وهو يمدد منطلقاً بأقصى سرعته ، مع أنه لا يعرف لماذا يمدد ، ولا أين هو منطلق ، وسبب ذلك أنه لم يرسم لاتجاهه خطة يعرف بها أين يكون مصيره فى العام الآتى ، وبعد خمسة أعوام ، وبعد جيل .

لقد كان لبطرس الاكبر قيصر روسيا وصية تتناول أهداف دولته فى قرون ، فالتزم العمل بها خلفاؤه ، ثم جاءت الشيوعية فهدمت كل أوضاع القيصيرية إلا خطتها العامة المرسومة فى وصية بطرس الاكبر ، فإنها تعمل إلى هذه الساعة على تحقيقها بكل عناية وأمانة واهتمام ، أكثر مما كان يفعل ذلك القيصرية أنفسهم .

والإنجليز تتداول الحكم فى بلادهم أحزاب متباينة الأغراض ، ووزارات مختلفة المشارب ، ولكنهم فى سياستهم العامة وأهدافهم القصوى سائرون فى طريق واحد لا يحدون عنه ويستلمون تصرفاتهم من قواعدهم وتقاليدهم مكتوبة فى السطور أو محفوظة فى الصدور فلا ينقض جيل عمل الجيل الذى سبقه ، ولا يسن جيل للجيل الذى سيخلفه سنة الاعوجاج عن طريقه القويم ، أو الشك فى أغراضه القومية الماثورة ، وأهدافه الثابتة التى يتواصلون بها كابر أعين كابر .

كلهم فى عاجلتهم يعملون لما رسموه لآجلتهم ، لا يحولهم عن ذلك نفع شخصى زائل ، ولا طمع ذاتى خسيس . إنهم يعيشون لأمتهم ، فنعرف لهم أقدارهم ، وهكذا يكمل اللاحق ما بدأ به السابق ، ويتعاون السابق مع معاصريه ، واللاحق مع أبناء جيله بكل إخلاص بعيدين عن الانانية وانتهاز الفرص المعيبة للوجهة السكاذبة والسكسب الحرام .

إن اضطراب سير مجتمعتنا ودولتنا ناشئ عن اضطراب سير أفرادنا ، ولا سيما خاصتنا : يتولى وزارة المعارف زكى أبو السعود فيقرر مشروع تأليف دائرة معارف عربية تستوفى أرقى ما وصل إليه العلم من المعارف الكونية والفكرية ، منضياً إلى ذلك أشمل ما وصلنا إلى معرفته من تراث سلفنا وتاريخ أمتنا وتراجم أعلامنا والتعريف ببلداننا ومذاهبنا وكل ما يتعلق بنا وثقافتنا . ويأتى بعد زكى أبى السعود وزير آخر للمعارف يكبر عليه أن يحقق مشروعاً قرن باسم سلفه ، فيميت ذلك المشروع ويدفنه مكفناً بالحسد والحقد والشتم ، ويرضى لآلمته أن تستمر فى حرمانها العلمى . ويعمد اليهود قبل أن تصير لهم دولة إلى تأليف

دائرة معارف إسرائيلية ، على فقرهم فيما نحن أغنياء به من الابداع العلمية والخلقية والحربية والعمرانية ، فبتم لهم هذا العمل الضخم بتعاونهم ، وتساندهم ، وبإكمال آخرهم ما بدأ به أولهم وهذه هي دائرة المعارف اليهودية موجودة في أيديهم ، وإن ما دونوه فيها كان مما أعان ساستهم على نشر الفكرة الصهيونية وتثبيت الإيمان بها في شبابهم وبناتهم حتى قامت لهم دولة من العدم بعد أن عاشوا أذلاء محكومين لغيرهم أكثر من عشرين قرناً .

كل الناس في الأمم الأخرى يعيشون لمجموعهم ، والفرد منهم يعظم وينبل بإخلاصه للمصلحة العامة والحياة المالية والمجد القومي والهمم الوطني . وأفرادنا - ولا سيما الخاصة منا - يعيش الواحد منهم لنفسه مستهزئاً بالمبادئ النبيلة ، معطلاً القواعد الصحيحة الراسخة من رسالات الله ، ومحاولاً أن يختلس من مجتمعه وأمته ودولته أقصى ما يستطيعه من مال أو جاه أو منصب ، حتى أصبحت قاعدة الإسلام ، طالب الولاية لا يولى ، أرخص في نظرهم من قطعة النقود النحاسية التي بطل التعامل بها . ولو أن الذكي من أذكياتنا أخاص النية لله فيما يعمل ، واكتفى بأن يعرف الله ذلك له وإن لم يعرفه الناس ، لكافأه الله بالحلل الطيب الدائم أضعاف ما طمع باختطافه من حرام لا يدوم .

لم يبلغ الطمع بالحرام في شخص أكثر مما بلغ في طريد مصر قبل أقل من نصف سنة : هذه قصوره قد خلت منه ، وهذا حرسه الذي كان يقيمه كالهاليق إلى جانب قصوره لم يستطع أن يمنع عنه نفقة الله عند نزولها به ، وهؤلاء الذين كانوا يتملقونه ويتلفون إليه بأكثر مما ينفق به الحمار قد انقلبوا عليه ، وهم الآن يملأون صحفهم بالزراية عليه وحكاية ما يعرفونه أو يبتسكرونه من قالة السوء فيه . ولو أن هذا الحادث الجسيم الذي شاهدناه بأعيننا وقع في أزمان المعجزات السابقة للإسلام لكان معجزة من معجزاتها ، ومع ذلك فإنه - في الواقع - آية من آيات الله على أن الذين يحبون (العاجلة) يذرون الآخرة ، لا شك أن وجوههم ستكون عند الله بأسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة . ولما كان الله يملئ لهم وهم سادرون في غيهم ، كانوا يذرون وراهم يوماً ثقيلاً ، والله قادر على أن يبدل أمثالهم تبديلاً .

إن القدر المشترك الذي تتم به القناعة والرضا من المعاش ميسور للذين ينشدونه بجدهم وكفائهم ولتقائهم وإخلاصهم ، ثم إذا صاروا إلى ربه صاروا إليه بوجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربه ناظرة . وما زاد عن العيش المعتدل من نعيم العاجلة ومغائرها - مما لا يصيبه المرء

إلا بتوضيحية شيء من أخلاقه ، والحيف من دينه ، والنقص من آجله - فإنه لا يخفى على الناس وإن ظنه يخفى عليهم :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن غاها تخفى على الناس تعلم

على أنه لو خفي شيء من ذلك على الناس فإن الله لا تخفى عليه خافية ، وعنده مما أنزل بفاروق شيء كثير لغيره من الفواريق . وكما أنذر الله من يحب العاجلة بأن له جهنم يصلها مذموما مدحورا ، فإن سنة الله مضت في أهل العاجلة أن يجعل لهم العقوبة في الدنيا أيضا فلا يدفعها عنهم ذكاؤهم ولا أحابيلهم ولا أنصارهم ولا أموالهم ولا الذين يتملقونهم صادقين أو كاذبين .

إن الإسلام ليس بشهادة الميلاد ، وإن رسالته من الله عز وجل بقواعده وسنته إنما بعثها لإقامتها وتحقيقها والتعامل بها ، وفي طليعة قواعد الإسلام وسنته أن يكتفى المسلم بالقدر المعتدل من نعيم الدنيا ، وأن يترفع عما يتزاحم عليه صغار الأحلام من سفاسف الوجاهة والمظاهر ، وأن يؤثر بعد ذلك مرضى الله عز وجل في آجل خيراته ، على مساخطه في عاجل المغائيم من هذه الدنيا الفانية . ومن ضحى بهذه السفاسف إثارة لآجل رحمة الله ورضاه ، عظمه الله في عيون الناس ، ورفع مقامه في الدنيا فضلا عما وعده في الآخرة . وكلما كثر في هذه الأمة الإسلامية عدد الذين يؤثرون الآجلة على العاجلة ، اقتربت بهم الأمة إلى مرضى الله وإعزازه ، وسهل على أهل النيات الصالحة من ولادة الأمور لإنشاء الدولة القوية التي تعزز الملة بها ، ويأس الأعداء من تسخيرها لمآربهم الاستعمارية . ولا تصلح الدولة وتقوى وتعزز إلا بصلاح الأمة ونظافة سرائرها وسلامة أهدافها ، ولا تصلح الأمة وتصفو سرائرها وتسلم أهدافها إلا بإيثار الأفراد - ولا سيما الخاصة منهم - الآجلة على العاجلة . بهذا مضت سنة الله في أسلافنا الصالحين من زمن الصحابة إلى دولة بني أمية فالصدر الأول من دولة بني العباس ، وفي الفترات المتعددة بعد ذلك من تاريخ الإسلام . وإن لم تفعل فإن الله لنا بالمرصاد ...

محج الدين الخطيب

خَصْبُ الْعُقُولِ وَجَدِيحٌ

لا أعرف شيئاً في الوجود أسنى قيمة ، وأعظم مقداراً من العقل فهو الذي ميز الإنسان من سائر الحيوان ولولاه لكان من الحيوان ما هو خير منه .

لم يتميز عنه بالقوة البدنية فإن من الحيوان ما هو أقوى بدنأ منه كالثور والجل ، ولم يتميز عنه بحدة الأناب والاظفار فإن من الحيوان ما هو أحد منه أنياباً وأظافر ، وإنما تميز عنه بهذه اللطيفة الربانية التي هي العقل .

به استحق خلافة الله في الأرض ودانت له أحجارها ونباتها وحيوانها ، ولو أعطى النمل للعقل وزاد على الإنسان بمقدار خردلة منه لسكانت له الخلافة في الأرض ولاستعبد الإنسان واستخدمه في مصالحه كما يستخدم الإنسان سائر الحيوان ، والامة التي تسمو عقول أبنائها على عقول أمة أخرى تسخرها في مصالحها كما تسخر هي الحيوانات التي هي أقل منها عقلاً وأنقص إدراكاً ، لقد خلق الله الإنسان ولا صوف له ولا شعر ولا وبر يتقى بها الحر والبرد ولا أنياب له ولا أظفار تحميه من افتراس جوارح الطير وسباع الحيوان وليس له من قوة الجسم ما للجمل والحصان والثور ولكن وهبه الله العقل فكان سداداً من عوز وعوضاً عن الجميع .

ولو سئلت بماذا تشير على امتك بعد طول ما جربت وكثرة ما قرأت من كتب الحكمة والفلسفة والاجتماع لقلت إن أول ما أشير به أن تعنى بمقولها وأن تنميتها وتزكيتها وتبلغ بها أقصى ما قدر لها من قوة ونماء .

وإني لأعجب للآدم التي تعنى بقوة أجسامها ولا تعنى بتقوية عقولها ، لو خيرت بين أن نخصب الصحارى المحيطة بمصر حتى تصير جنات وارفة الظلال وتجذب عقول أبنائها أو نخصب العقول وتجذب الصحارى لاخترت خصب العقول ولوأجذبت الأرض والبلاد . إن خصب العقول يخصب الجلب من الأرض ، وإن جذب العقول يجذب الخصب منها وإذا بقيت على خصبها لم يحتفظ بها وغلبه عليها النخصبون عقولاً والأقوياء بعقولهم ، قال الأصمعي لصبي من الأعراب أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنتك أحق ؟ فقال لا إني أخاف أن يجنى على حقى جناية تذهب بمالى ويبقى على حقى . وقال النبي ﷺ ما اكتسب

المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى . وقال الحسن البصرى ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استغفده به يوماً ما ، واعترف أهل جهنم بأنه ما جنى عليهم إلا ضعف عقولهم وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ، وقالوا العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو ، وإن الجاهل ليلبغ من نفسه ما لا يبلغه أعداؤه منه .

ما يلبغ الأعداء من جاهل ما يلبغ الجاهل من نفسه

ولكل قوة فى الجسد طريق لتربيتها ، فإذا مرنت بلغت كمالها ، وإذا أهملت بقيت كائنة مستورة ناقصة .

والعقل من قوى النفس له طرق لتنميته وإكماله قد عرفها اليونان فى القديم ، فأتجوا العلوم والمعارف ، وهذه ثروتهم باقية على الدهر ، وقد عرفها علماء الإسلام فى قرونه الزاهية فشغفوا بالعلم والفلسفة وأتجوا فيهما ، وقد هدى إليها علماء أوربة فى عصر النهضة فأتجوا هذه المخترعات وغيروا وجه الأرض بمبتكراتهم .

ومن الطرق لتنمية العقل تكليفه بأعمال عقلية يستخرج بها المجهولات من المعلومات كمسائل الحساب والهندسة ومسائل العلوم الصعبة كمسائل التوحيد والاصول ودراسة المنطق الذى يبحث فى قوانين الفكر التى توصل إلى المجهول وكيف يحتز عن الخطأ فيها ، وبما لا شك فيه أن علماء المسلمين كانوا يرفون هذه السبل لتنمية العقل ويستعملونها ، قال ابن خلدون وكان شيوخنا يقولون : إن الهندسة للذهن كالصابون للثوب تغسل وسمته وتزيل أدرانته . وقد بدأت النهضة فى أوربا عند ما بدأوا يبحثون عن المنطق وطرق ابتكار المجهول من المعلوم ويناقشون المنطق القديم ويريدون أن ينقدوه ويزيدوا عليه — وإنى أريد من الأمم الإسلامية أن يعملوا العقل قوة من قواهم يعملون على تربيته وإثرائه كما يتمرنون على المصارعة وحمل الأثقال والرياضة البدنية فليست حاجتهم إلى تنمية عقولهم بأقل من حاجتهم إلى المصارعة وحمل الأثقال بل يجب أن يعلموا أن حاجتهم إلى عقولهم أشد حاجة . وليست مصائبنا الاقتصادية والسياسية والأخلاقية إلا من هدم نمو ملكة الابتكار والاستنتاج فبنا بالقدر اللازم لهذه الحياة المشيكة .

إن منا من يدرسون علم الاقتصاد والاجتماع والتربية ولكن ليس منا من يتنبأ بالآزمات قبل وقوعها ويهدى أمته إلى طريق الخلاص منها ، بل إننا نخلق الآزمات بأيدينا ونضر أنفسنا بأكثر مما يضرنا به أعداؤنا .

ولعل الفارى يعجب من ذلك وسأضرب أمثالا له :

نحن الآن فى أزمة اقتصادية شديدة يتخوف منها ولاية الامور وقد غلت الاسعار وبلغت خمسة أمثال أو عشرة أمثال ما كانت عليه قبل الحرب الاخيرة وهذا من صنع أيدينا ومن أنه ليس عندنا ماسكة الابتكار بالقدر الذى ينجينا فى هذه الحياة المشتبكة المرتبكة .

كنا نعيش بميزانية قدرها أربعون مليوناً قبل الحرب الاخيرة وكانت تكفيها وتسد حاجة الدولة فزادت بعدها إلى مائتى مليون بالتدريج ، وهذه الزيادة أكثرها من دخل غير ثابت كرسوم الجمارك ، وكان ينبغى ألا ترتب عليها نفقات ثابتة خوف أن ترجع الامور إلى حالها ويذهب الإيراد غير الثابت ويبقى المصروف الثابت لا نجد له دخلاً إلا الاحتياطي أو الاستدانة .

كان ينبغى أن نعلم أن هذه الحالة شاذة وطارئة والشاذ لا يجعل مقياساً ، وإنما تبنى الامور على الاصول المطردة وعلى الاعم الاغلب .

ولكن وقعنا فى الخطأ وذهبنا نستكثر من الموظفين والمصلحة الواحدة اشتقت منها مصالح عدة وجعل لكل منها إدارة وكتاب ومستشارون الخ ، وزيدت رواتب الموظفين وبذلك ألقيت هذه الزيادة فى المرتبات فى السوق وهى أموال استهلاكية وقلت السلع المطلوبة عنها فغلت الاسعار وتضخم النقد ولو أننا عشنا بميزانيتنا القديمة وزدنا زيادة يسيرة فى مصاريف الاستهلاك وضممنا الزيادة الكثيرة فى الميزانية إلى مدخر الحكومة أى الاحتياطي وأنفقنا منه فى مشاريع منتجة لسكانت فرصة انتهزناها وكنا الآن من أغنى الأمم وكنا بذلك نجنب الامة غلاء الاسعار وتضخم النقد الناتج من طرح مال فى الاستهلاك لا يجد السلع التى يريدونها ولا نقينا تلك الازمة المقبلة الناشئة من انخفاض فى الدخل غير الثابت الذى وظف عليه نفقات ثابتة .

كنا نزيد فى الموظفين وفى مرتباتهم وكلما زدنا كلما اندفعوا إلى السوق يستهلكونها فيها وكلما فعلوا ذلك زاد التجار أثمان سلعمهم وكلما زادوها شكوا الموظفون وكلما شكوا الموظفون زدنا فى المرتبات . وهكذا وقعنا فى هذه الحلقة المفرغة أو فى هذا الدور الذى يزيد الاول فى الثانى ويزيد الثانى فى الاول حتى يصل إلى أن يرهقنا .

وقد وقعنا فى دور آخر وهو أن الدولة تزيد فى رسوم الجمارك لتدبر المال لزيادات

الموظفين وكلما زادت السلع وكلما زادت السلع شكوا الموظفون فتعتمد الدولة إلى زيادة رسوم الجمارك وهكذا .

أرايتم كيف نصنع قيودنا بأيدينا أرايتم كيف تخلق الازمات وما نحن أولاء ، ندعو الامة إلى النقشف وكيف تستجيب لصوت العقل وفيها هذا المال الكثير المطروح الاستهلاك ، إنه لا منفذ لنا إلا أن نعود بميزانيتنا إلى مثل ما قبل الحرب أو قريب منها في المصروفات ونحذف كل زيادة جدت عليها ، إلى أعلم أن هذا فطام والفظام شديد ، ولكنه هو الدواء الوحيد .

أتدرون ماذا فعلت أمم أخرى أكثر منا تجربة وأوسع عقلا وأبعد نظراً ، خرجت لإنجلترا من الحرب الثانية مدينة للدول الأخرى بالبلايين من الجنيهات لأنها كانت تنفق في كل شروق شمس من أيام الحرب اثني عشر مليوناً من الجنيهات ، وكان يظن الناس أنها لا تجد وفاء ، وأنها عاجزة عن السداد فإذا فعلت حتى خرجت من هذه الضائقة ، لقد فرضت على نفسها النقشف وأبقت القيود على الاستهلاك التي كانت في زمن الحرب كما هي ولم ترحم نفسها بعد أن كابدت سبع سنين شداداً ذاقته فيها الحرمان بل مدت هذا الحرمان طواعية إلى أيام السلم وانتهزت غلاء منتجها في البلاد الأخرى وأرسلت بها إليها وحرمتها على نفسها ، وهل تجد فرصة ذهبية كهذه وتضييعها ، إن متر الصوف الذي كان يباع بنصف جنيه أصبح يباع بأربعة جنيهات فلم لا تحرمه على نفسها وتبيعه في أسواق العالم ، إنها أبقت نظام البطاقات فلا تأكل ولا تلبس إلا بقدر معلوم ونظام محدود .

وكانت العاقبة أن وفات كثير من ديونها وتخلصت من عون أمريكا واجتازت هذه الازمة بسلام .

هاتان أمتان إحداهما خرجت من الحرب دائنة للأخرى بأربعمائة مليون جنيه ، والثانية خرجت مدينة لها ولازم أخرى بآلاف الملايين ولكن العقل بدل الحال ، وغير المسأل . وقبل ذلك ارتكبت غلطة كبيرة في أيام الحرب وذلك أن عند البنك الأهلي تصرىحا من الحكومة المصرية بأن يصدر أوراقا نقدية بضمان الخزنة البريطانية ، فلما كثرت جيوش الحلفاء بمصر في أيام الحرب واحتاجت إلى المئونة والكسوة ، كفت البنك الأهلي بإصدار أوراق مصرية نقدية ، وأخذت هذه الأوراق ونزلت بها إلى الأسواق مشترية : إلى سوق اللحم والخضر والفاكهة ، وكان مهما أن تحصل على حاجتها ولا تبالي بما تدفع من ثمن

فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاحشاً ؛ ولقي المصريون من جرائه عسراً وعنتاً ، كان يجب على الحكومة المصرية أن تدرك هذه النتيجة فتطلب من القيادة أن يكون تمويل الجيوش عن طريقها ، فقتترى هي بمالاً يؤدي إلى رفع الأثمان وتوزيعاً عادلاً بين الأمة والجيوش .

وهناك مثل آخر :

ارتفع ثمن القطن عقب الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٩ حتى بلغ خمسين جنيهاً للقنطار الواحد ، وقد حسد مصر بعض النواب البريطانيين في مجلس العموم ورأى أنها قد جنت من قطنها ما يسدد ديونها ولم يدر أن هذه الثروة الضخمة لم تلبث حتى تسربت إلى أيدي أخرى كانت أحزم وأعقل وأعلم بالعواقب ، لأن المصريين جعلوا الأثمان في هذا العام الشاذ قاعدة وقاسوا عليها ولم يعلموا أنها نتيجة لإنفجار المغازل طول الحرب ، فقاسوا عليها ما يأتي من أعوام ، واندفعوا في شراء الأرض التي تزدج لهم القطن الذي يبيعون قنطاره بخمسين جنيهاً فغلت أثمانها لكثرة الطلب ، ورأت شركات الأراضي في ذلك فرصة فباعت ما تحت أيديها من أرض وقبضت بعض الثمن وأجلت باقيه ، فلما جاءت السنة التالية هبطت أثمانها إلى خمسة جنيهات فأصبحوا مدينين بدين لا يجدون له وفاء ، فرجعت إلى الشركات أراضيها وفازت بما عجل من ثمنه ، وربما نزع ما لهم من عقار تليد ، ثروة لم تمسك بأيدي المصريين إلا ريثما دخلت خزائهم ثم خرجت كأنما قد عنوا بقول الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لسكن يمر عليها وهو منطلق

لهذا كله أهيب بأمي أن تعرف للعقل قيمته التي لا تعلقها قيمة لشيء آخر فتسعى لاستكمالها فيها سعى من يعلم أنه إن حرمه هلك ، ولا تطمئن إلى شيء حتى تبلغ بعقولها مبلغ أرقى أمة في العالم .

لم يحرص الإسلام على شيء كما حرص على أن يستعمل المسلمون عقولهم وينموها ويعيشوا بضياء عقولهم في ظلمات هذا الوجود .

وماذا كان يفعل في التنفير من الجهل والحق أكثر من قوله : « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

وماذا كان يفعل في بيان شرف العقل والعلم أكثر من قوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وهل هناك ما يحض على استعمال العقل وتحريك الفكر أكثر من قوله ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها . .

« ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا . .

« قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين . .

وما أكثر ما تقرأ في ختام الآيات أفلا يعقلون ، بل أكثرهم لا يعقلون ، ولقد ارتضى الله أن يحكم العقل بينه وبين خلقه ، فكثيراً ما تحاكم في القرآن إليه ورضى حكمه .

ولقد بغض في إهمال العقل وعدم استعماله وكره أن يكون أداة مهملة يطفئه صاحبه ويمشي في الظلمات وقد جعله الله نبراساً يضيء له أينما سار . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، « إنما أطيننا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السيلا . .

« إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، والظاهر أن الإسلام أراد من المسلم أن يعمل عقله ولا يهمله ولو أدى إلى خطأ ، ويدل على ذلك أنه جعل للباحث الذي يبحث واستقصى أجري إن أصاب ، وأجرأ إن أخطأ فأثابه على خطئه ولم يجعل للكسلان الذي أراد السلامة شيئاً من الاجر .

هذا الهدى الإلهي حجب السالفين الأولين من المسلمين في عقولهم فخرصوا عليها واستعملوها وكانوا يعضون التقليد في الدين . فقد قال ابن مسعود : أغد عالماً أو متعلماً ولا تغد إمعة فيما بين ذلك - والإمعة هو المحق بدينه الرجال - وقال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تقاد ، وإنسان يقلد ، ولكن خلفت خلفاً أهملوا عقولهم ورضوا بالتقليد في أمر دينهم وديارهم واستناموا إلى الكسل العقلي فلا يقرءون إلا السهل ، ولا يقفون أمام مشاكل الحياة يغنون حلها بل يهربون منها ما دامت تكفهم تفكيراً وعملاً عقلياً ، ولو مررنا عقولهم على العمل والابتكار لوجدوا لذتهم في العمل العقلي الصعب ولبحثوا عن المشكلات لحلها جرياً وراء اللذة العقلية .

إن العقل الذي كان يعيش به أسلافنا في حياتهم المهله البسيطة لا يكفيها اليوم لتعيش به في حياتنا الصعبة المعقدة فلا بد من ترتيبته وإنمائه وتعويده حل مشكلاتنا لتعيش سعداء .

لا أدري لم لم يفهم علماء المسلمين من هذه النصوص الكثيرة أن العناية بالعقل وتربيته وإنمائه حتى يبلغ مرتبة النظر الصحيح وحتى يمرن على العمل الفكرى ويأنف من التقليد فرض من فرائض الإسلام كالصلاة والصيام والحج، أكانوا يريدون نصوصاً أصرح من هذه وأؤكد، إن الأوامر الدالة على وجوب ما ذكرنا لم تبلغ مبلغ الأوامر الدالة على وجوب النظر وعلى تحريم التقليد وعلى المحافظة على أعمال العقل وإنماء الفكر.

إنهم لو هدوا إلى ذلك لكان هناك علم واسع يشبه علم المنطق ويزيد عليه في معرفة ما يؤدى إلى السكسل العقلى والركون إلى التقليد لتجنب، ومعرفة ما يؤدى إلى النشاط الذهنى والآنفة من التقليد لتتبع، ولكان من وراء ذلك كله إنماء العقول في البلاد الإسلامية حيث جعل فرضاً متعبداً به يأثم تاركه ويناب فاعله.

أريد أن ألفت المسلمين إلى عقولهم ليعلموا أن فيها كنوزاً خيراً من كنوز الدنيا جميعها. وما بالك بكنز إذا ملكته صاحبه جعل كنوز الدنيا كلها وكنوز الآخرة كلها تحت قدميه.

أريد أن يتدارك المسلمون ما فاتهم من العناية بعقولهم، وأن يعلموا أنه واجب تحتمه عليهم ظروف الحياة القاسية ليتخلصوا من شرورها وآثامها كما يوجب عليهم دينهم الذى ارتضاه الله لهم.

إننا فى هذا العصر الجديد نريد أن نرقى فى كل شيء، نريد أن نرقى فى الزراعة، والصناعة والتجارة، وفى مستوى المعيشة، ولن نرقى فى شيء من ذلك إلا إذا رقيت عقولنا وارتفعت إلى مستوى أعلى من المستوى الذى هى عليه الآن.

إن كل رقى يأتى من الخارج يدوم ما دام ذلك الخارج، فإذا زال زال.

أما الرقى الذى يبقى فهو ذلك الرقى الذى يأتى من داخلنا ومن عقولنا فتستثير العقول وتثير لنا طريقنا وتوحى لكل فرد منا بما يجب عليه فى هذه الحياة فإذا كل شيء فى حركة وكل شيء فى تقدم، وكل شيء فى نظام، هذا هو الطريق ولا طريق سواه.

محمد معروف

عضو جماعة كبار العلماء

نَفْحَاتُ الْفِرَاقِ

ولم لا أكتب عما يجيش بالخواطر من نفحات القرآن ، وما لها من الأثر الواقعي في تهذيب النفس ، وتربية الخلق ، وأغذية العقل ، وحياة القلب ؟ ؟

أليس ذلك أليق بنا ، وألزم لنا ، وأجدى على الناس مما يفشره آخرون من باطل القول بنسخ القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ ، وبأن الدين لا يتصل بالسياسة والحكم ، وأن الناس يملكون التحلل من نصوص القرآن طواعية لما يرونه مصلحة لدينام ؟ ؟

كنا نربأ بتلك الأفلام عن فتنة الناس في دينهم بهذه النزعات التي أثبتت من قبل ، ثم قبع في وكرها ولم يعد لإيقاظها اليوم سبب مفهوم .

وكنا نغبط ونطمئن لما يطلع علينا به أولئك الكرام الكاتبون ، حتى حملت إلينا عنهم مجلة تسمى نفسها «رسالة الإسلام» ، وتسمى نفسها «لسان القريب» ، فباعدت بيننا وبين الثقة فيما يكتبون ، وأوحت إلينا - بمسكها في ترويض الضلالات - أنها نصبت نفسها للتفريق لا للتقريب ، وأنها لا ترى بأساً من تشكيك المسلمين في أحكام القرآن ، وإطلاق العنان لكل من كتب فيها ولو كانت كتابته أباطيل .

أنستطيع أن نقول لأولئك الأفاضل : وقروا كتاب الله ، ولا تهتكوا حرمانه ، ولكم في مجال الفكر متسع ، فأشرعوا أفلامكم فيما ينفع ، لا فيما يضر ؟ ؟ ولكن كأن قائلهم يقول وهو واثق من شذوده :

كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات

وبعد ، فما بنا من حاجة إلى الانصراف عما نحن بسيله ، والانسياق وراء هذه النزعة ، ونحن نتجه بالقارىء إلى ما أهدفنا إليه .

استنفذ البحث في جوانب القرآن جهوداً وجهوداً من العلماء ، وسائرته الأجيال قروناً وقروناً من الزمن ، فما استعصى عليهم هديه ، ولا ضاقت بهم رحابه ...

وقد عنى القرآن أى عناية بالتربية الخلقية ، والاتجاه بالإنسانية نحو مثلها العليا ، وإحاطتها بسياج من الإرشاد ، لا وهن فيه ، ولا إرهاق ، ولا سآمة منه ، وإن تردد على الأسماع بكرة وعشياً .

وما نحن - وقد عشنا والحمد لله فى أحضان القرآن - وإن كانت نزعتنا الدينية لم تبلغ مبلغها من السكال ، نرى القرآن مغرباً للأسماع ، تنصت لإييه وكأنها تلتهمس فيه كل حين من نشوة القلب شيئاً غير الذى سبق لها أن وجدته ، وتقبل عليه وكأنها تحس فى طيه نفائس مكنونة غير الذى وقفت عليه من جهود الباحثين طوال القرون .

ولا نزال نعهد فى القرآن إذا خلى ما بينه وبين القلب من هو الحياة ، وإذا تهيأت له النفس صافية من شوائب الغرور : كأنه والحالة هذه فى مطلعها الجديد سحرأ ، وجاذبية ، وطرافة .

وما تستطيع فطرة إنسان أن تتعاطف على الإعجاب به ، إلا أن تكون فطرة منقوصة ، أو مدخولة بالآفن ، أو سادرة فى تبعية غاشمة جهلاء ...

ومن المسلم به أن للقرآن فى خطاب الإنسان مسالك تتنوع بتنوع المقام والغاية : فأنت تراه مرة يشتد باللائمة فى تعنيفه ، ويصفه بما فيه من نقائص ، وبما يلزمه من هنات ، وتراه يذكره بما نسى من ضعفه وهوانه ، ويمن عليه بما يغمره من فضل الله ونعمائه مع شكره للنعمة ، وصلفه عن تقدير الفضل وشكرانه .

ذلك التجبیه ليقم عليه الحجة ، ويكفه عن غلوائه ، ويلفته إلى الجانب الإلهى لفته فيها استكانة ومذلة ، وفيها ترضية وتقرب ، وفيها آدمية وادعة دائماً أمام جبروت إلهى وسلطان . يلهج القرآن فى ذلك بأن الإنسان ظلوم كفار ، وأنه يطغى أن رآه استغنى ، وأنه مختال غفور ، وأنه يصمر خده للناس ، ويمشى فى الأرض مرحاً ، وإن كان لا يخرق الأرض ولا يبلغ الجبال طولاً ، وهكذا ، مما يعاب فى نظر الإسلام ، وفى نظر التربية الحقة .

وحينما ينظر القرآن فى الإنسان إلى جانب العقل الذى آثره الله به ، وينظر إلى مقوماته الأخرى التى رفعتة على غيره إلى تعاليم الخلافة فى الأرض عن ربه يسلك فى خطابه مسلكاً لينا ، فيه رفق ، وترويح ، وفيه تلطيف يثير به الحماسية السكرية ، ويستنهض به الوجدان الحى ، ويندبه ندباً لا قهر فيه إلى النجمل بالسكال الخاقى ، والترفع عن المہانات .

ووسيلة الكتاب العزيز في هذا الجانب إما خطاب صريح ، أو تعريض وتلويح .
فأنت تراه يرفع من شأنه إذ يناديه : يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الآية ،
« قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ، الآية ، يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، ، « قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، وهكذا مما يكثر مثله في نسق القرآن .

فهذه نداءات هينة ، فيها تفاهم ، وإيقاظ للشاعر ، وهو توجيه مسؤول ، لا يظفر به
المرء إلا إذا قصد القرآن أن يستدرجه إلى الهداية ويستلن جانبه إلى الخير لنفسه ، ولم يتركه
تكتشفه الأخطاء ، وتحيط به الرذائل ، ثم يستبد به اليأس ، ويحشم على صدره القنوط .

وإن يكن ذلك منوطاً بالسياق اللفظي ، أو متصلاً بالمصطلحات الفنية في طرق الدلالة
وما يحيط بها من تعليقات ، فقد سما القرآن عن الوقوف عند المصطلحات فيما تخيره من
أسلوب التعريض والتلويح ، وعمد في التربية بهذا الأسلوب إلى الإيحاء ، واعتمد على روحانيته
في الدعوة التهذيبية لا في الأحكام والتكاليف العملية .

ويجب - فيما أفهم - أن نلاحظ هذه الروحانية ، وألا نتجاهلها كوسيلة في التربية : بل
في التربية المثالية التي لا تكاد تدرك بالنظم الوضعية . وعلماءنا لا يمانعون - فيما أعلم - أن
لكلام الله إشعاعاً نيراً ، ونفحاً أريجاً ، ولعل فينا من يستمع فيحس للآيات إشعاعاً يدخل
إلى القلب فيصحو من غفوته ، ويحس بنفحة السياق تنضوع في جنبات نفسه ، وحنانيا صدره
فيه شط منه الوعي ، وتنشع الحساسية المعنوية ، وتتركز في القلب بجوى القرآن ، ويكون
من أثر هذا الإيحاء في التربية والتهذيب نصيب ، أي نصيب ؟

وقد تبدوا لك هذه الظاهرة في كثيرين ممن لا علم عندهم ولا تعلم : تنش وجوهم للقرآن
وتبدو عليهم ملامح التدفق لحلاوته ، حتى ليفصح بعضهم عما يخالج شعوره ، وأحسب أن
هذا التأثير هو ما سماه الأعرابي حلاوة وطلاوة ، حينما راعه القرآن بقوته ورقته ، وما ،
فأعلن شهادته : إن هذا ليس من قول البشر . وليس يستكثر هذا الوصف من يذكر أن
القرآن نزل ليسمع قبل أن يكون متلوا ، وأنه للتأثير بأسلوبه وروحانيته أكثر مما هو مجرد
التلاوة والتعبد بها ، حتى كان خصومه من قريش يدركون ذلك بليقتهم ، ويخشون على
أنفسهم وأتباعهم أن يحمل القرآن فيهم عمله ، فكانوا يتحاشون سماعه ، ويتناجون بالتحذير
من ذلك ، وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ، واغفلوا فيه لعلمكم تغفلون .

ولدينا أمور تؤكد ما نقول إن كان بحاجة إلى التأكيد : منها - أن النبي ﷺ كان يتهاونت حين النزول على تلقف ما يسمعه من جبريل ، فأمره الله أن ينصت قبل أن يتلو . ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه ... ، ، لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . .

وإذا كان ذلك للتعظيم ففيه الدلالة الواضحة على أن الإنصات مطلوب من يسمع ، كما طلب إلى النبي ﷺ أن يرتل القرآن ترتيلا ، وكما طلب إلينا مع ذلك كله أن نتدبر آياته ، وليس للإنصات ، والتدبر ، والترتيل من حكمة واضحة سوى التفرغ لسماعه والإقبال على تفهمه ، وهذا مجال تنساب فيه الروحانية والعظمة إلى النفس انسياها .

ألم يطلب إلينا النبي ﷺ أن نحسن القرآن بأصواتنا ؟ ولقد كان هو نفسه يطرب لسماعه من صوت جميل ، كما حدث عن نفسه لآبي موسى الأشعري إذ سمعه يقرأ في جوف الليل فأصغى إليه في إعجاب ، ثم ذكر ذلك صبحاً لآبي موسى فقال له : « لو علمت أنك تسمعي لحبرت لك تحبيراً ، يريد تجويده بصوت أحسن مما سمع الرسول وطرب له . ولقد كان نكير القرآن شديداً جديداً على كفار قريش إذ رآهم يقاومونه بعواطف متحجرة ، ويستقبلونه بصدور حائقة ، وليس يحول بينهم وبين الاستجابة له إلا أن يحاولوا توجيه نفوسهم ، أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ، وأنتم سامدون ؟ فاسجدوا لله واعبدوا . .

وكذلك : من الأمور التي تؤكد ما نقول ، أن القرآن يعتمد على الإيماء - إلى جانب ما سلف - من طريق بارزة أكثر . وهي : ضرب الأمثال ، والإشادة بالأنبياء والصالحين والتثويه بشأن الأزمنة والامكنة التي جعل الله لها اعتباراً أرجح من سواها .

فن الأمثال ، ألم تركب الله مثلاً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها - الآية ، إلى أن قال : ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . .

وواضح أن ليس القصد بمجرد المقابلة بين شيء حسن وآخر قبيح ، بل ما يوحى به ذاك التمثيل ، ويستدعيه من فطنة ومتابعة ؛ وهكذا في بقية الأمثال ، ومن أجل ذلك امتن الله علينا بضرب الأمثال ، وعاب علينا أننا لا نهتدي بهديها لأننا نكون حينئذ في معزل عن محيط العقلاء ، ولأننا من ذوى الأبواب . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، وما يذكر إلا أولو الأبواب . .

وكذلك في قصصه لسير الانبياء وذكر مناقبهم وذكر الصالحين الذين سبقوا ، فهو حين يصفهم بقوله ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، أو بقوله ، والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ، لا يقصد مجرد خبر عنهم ، فليس القصد التاريخي غاية أولى للقرآن . وإنما يوحى إلينا أن نعمن في الآيات مثل ما أمعنوا ليتجلى من أسرارها ما تسكن إليه النفس ويزداد به الإيمان ويتم عليه الخلق الكريم .

وكذلك إذا نوه بشأن الاوقات والاماكن ، فإنما يوعز إلينا بما لها من فضل ، ويحثنا على انتهازها فرصاً نغتنم العمل فيها ؛ فهو يذكر الفجر ، والليالي العشر ، ويذكر الصبح ، والضحى ، والعصر ، والليل . ويذكر الغدو والآصال الخ ...

فإذا رجع الإنسان إلى كل هاتيك النواحي ، ولحظ أنها منوطة بفضل ، وأن لها من أجل ذلك اعتباراً خاصاً تبين له أنه يعيش في إطار من نظام التربية ، وأنه واجد من وسائلها ما يحصن به نفسه كل حين إذا لم تغلب عليه شقوته .

وإذا فطن المرء إلى أن الإسلام وفر لاهله العظة ، ورجع بهم مرة إلى سير السابقين ، وإلى ضرب الامثلة ، أو دفعهم مرة أخرى إلى اغتنام الاوقات والاماكن التي لها اعتبار خاص كالمساجد ومجالس العلماء ، تبين له أن هذه معالم هداية تجتمع الامة عليها في نهارها أو ليلاها ، وترتبط بها كتوثيقات وعهود بينها ، فتكون مستمدة منها تقوية للصلة ، وأرتباطاً في الشعور والاتجاه .

وهكذا سيظل القرآن يبيننا منارة وضادة وإن أعشى ضوؤها عيوناً رمداء ، وسيظل روضة فياحة وإن زكت لنفحها أنوف .

عبد المظيف محمد السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السنّة

تخبر العالمين

أساس الاختيار - القوة والامانة - تولية الأقارب - الحرص
على الولاية - الإنقاذ من الطغيان - خيار الأئمة وشرارهم

عن أبي موسى رضى الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عبي ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله أئمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ؛ فقال : « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه . »

وعن أسيد بن حضير رضى الله عنه أن رجلا من الانصار خلا برسول الله ﷺ ، فقال : ألا تستعملنى كما استعملت فلاناً ؟ فقال : « إنكم ستلقون بعدى أثره ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض . » رواهما الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

عرضنا في الحديث السابق لهدى النبي ﷺ في تقدير الأكفيا من صحابته ، والاستعانة بهم على بناء أمة قوية رشيدة ، جذيرة بأن تكون من أمم الأرض جميعاً موضع القدوة والإمامة ، مصداقاً لقول بارئها جل ثناؤه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس . »

ونعرض في هذين الحديثين لهدية صلوات الله وسلامه عليه وحسن سياسته في تخيير عماله ، وتوجيه كل منهم إلى الوجهة التي أعده الله لها ، والانتفاع بالموهبة التي مازاه الله بها ، وكل ميسر لما خلق له .

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، فهو صلوات الله وسلامه

عليه - بشهادة ربه - معلم أمته الاول ، وإمامها الامثل ، وقائدها الاعلى ، وأسوتها الحسنة ، في كل ما جاءت به شريعته الباقية الدائمة ، وما دعت إليه رسالته العامة الخالدة : من إقامة دينهم ، وولاية أمرهم ، وسياسة دولتهم ، ورعاية مصالحهم ، في الحضر والسفر ، والسلم والحرب ...

لا جرم أن هذه أعباء جسام ، وشئون عظام ، لابد أن يعاون الإمام الاعظم فيها ولاية وأمره ، وقواد وعمال ، وقضاة وهداة ؛ يمثلونه في حفظ الدين وسياسة الدنيا عامة ، وفيما وسد إلى كل منهم خاصة ، ولئن قضى ربك أن يجعل عباده درجات ، وأن يقسم بينهم الكفائيات ، لقد قضى - بشهادة المعصوم عليه السلام - أن يكون أصحابه أوفى الناس من الفضائل والمكارم حظاً ، وأعظمهم سداداً ورشداً ، كما هدى خاتم النبيين ، لفضائل الرسل السابقين أولئك الذين هدى الله فيهداهم اقتده .

وكان صلوات الله وسلامه عليه أدرك الناس بأصحابه ، وأعلمهم بما يصلح له كل منهم ، وبما يجدر به أن يتولاه ويحسن البلاء فيه ، قرب شيخ وقور يصوم النهار ويقوم الليل ، ويُسْتَسْقَى بوجهه الغمام ، لا رأى له في الحرب ؛ ورب فتى محنك ضرغام ، يقود الجيوش ، ويخوض المعارك ، وينازل الفرسان والابطال ، لا خبرة له بإدارة الاموال وحساب الخراج ؛ ورب قوى في الدين ، راسخ في اليقين ، لا يغنى في ولاية أمر يسير ، غناء من هو أقل منه شأنًا ، وأضعف منه يقيناً . ومن هنا كانت معرفة الرجال ، وتوزيع الولايات والاعمال ، على ما تقتضيه المصلحة الخالصة والسياسة الراشدة - من أخص صفات الانمة الهادين ، والولاية المقسطين ، وفي المقام الاول منهم أنبياء الله ورسله ، فقد عرفهم الله سبحانه طبائع النفوس ، وسياسة البشر ، وكل ما تحتاج إليه الدعوة ؛ ليدعوا إلى الله على بينة وبصيرة .

* * *

على هذا الاساس جرت سياسته عليه السلام في شئون الدولة الإسلامية . ومن عرف أن خلقه القرآن ، يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، ويتأدب بأدبه - علم أن هديه في الإمارة والولاية على الجيوش والبلدان والصدقات وغيرها من مرافق الدولة ، هو هدى القرآن الكريم نفسه ، الذي يفرض أول ما يفرض تحقيق خلتين لا مناص منهما للنجاح في الاعمال وأدائها على وجهها كاملة غير منقوصة ، نانكم القوة ، والامانة ، وإن شئتم فقولوا : الحفظ ،

والعلم ، كما قالت ابنة الشيخ الكبير (١) في شأن موسى عليه السلام : « إن خير من استأجرت القوى الأمين ، وكما قال قبلها الصديق عليه السلام لملك مصر : « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ علم » .

* * *

والقوى على الأمر الذي يسند إليه هو العليم به ، البصير بمدخله ومخارجه ، القدير على إحكام خطته ، وإنفاذ سياسته ، على مقتضى العلم والحكمة ، والمصلحة العامة ، وإيثار الحق والعدل على نفسه وأهله والناس أجمعين .

وليس القوى بالفظ الغليظ ، ولا بالمتكبر الجبار ، الذي يتسلح بسلاح العظمة والجبروت ساعة من نهار ، ثم يلقيه مهزوما أمام الشهوات والاهواء . ولقد رأينا رأى العين أن أصلب القادة عودا ، وأقوم الهداة طريقا ، أرقهم قلبا ، وألينهم جانباً ، وأولاهم بالرعية حباً « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

والأمين على الأمر هو الحفيظ عليه ، والحريص على أدائه كما حمل ، الذي يدرك بإخلاصه لله عز وجل ، ثم بصدقه ونصحه وكياسته ، ما لا يدرك الخائن بإخلاصه لنفسه ، ثم بكذبه وغشه وشطارته (٢) .

والإمام الأعظم ونوابه ومن يعاونونه في سياسة الدولة من بطانته وأهل مشورته ، أحوج الناس إلى التخلق بالقوة والأمانة ، والحفظ والعلم ، والتطبع بها حتى تكون منهم بمنزلة الخليقة الثابتة ، والسجية المتأصلة ، ولا تغير لهم أن يتنحروا عن سياسة الأمة طائعين ، قبل أن ينحيهم الأقوياء والامناء يوماً ما مكرهين مدحورين .

* * *

ومن دقائق السياسة النبوية التي يمجدها أو يحلها من لا يقدر النبي ﷺ قدره ، ألا بولى العمل أحداً سأل أو حرص عليه ، ولا سيما إن كان من يغني غناه كفاية ورشداً ، بله من يفضلّه ويزيد عليه . وذوو الكفايات في العهد النبوي أكثر من أن يحصيه العدد . ومن هذه الدقائق التي تطالع الناظر في السنة النبوية أنه صلوات الله وسلامه عليه إن

(١) المشهور أنه شعيب النبي الموصول عليه السلام ، وعليه أكثر المفسرين .

(٢) شطر فلان على أهله من بابي قتل وظرف : ترك موافقتهم وأعيامهم لؤما وخبثا .

آنس من السائل رفقاً ولطفاً وكان في سؤاله أقرب إلى العرض والاستشارة ، تلطف في إجابته وبين له وجه الممذرة في الرد ؛ وإن آنس منه إلحافاً وحرصاً اقتصر على إجابته بمجرد الرد ؛ ليعلمه أن الحق بالحوال والحرص على الأمر قلما يواتيه التوفيق والرشد ، وأن من آتاه الله الإمارة عن غير مسألة أعانه عليها ، ومن آتاه الإمارة عن مسألة وطلب وكله إليها ، ومن وكله الله إلى غيره فالويل له !

وما قصة أبي موسى الأشعري ، وأسيد بن حضير الأنصاري ، رضى الله عنهما إلا شاهدان من الشواهد التي لا تحصى على صدق هذا الهدى الحكيم النبوي :

قدم على أبي موسى رجلان من أبناء عمومته الأشعريين فقالا انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن لنا إليه حاجة ، ولم يخبراه ما هي ؟ ولم يسألها عنها . وما إن ذهب بهما إليه صلوات الله وسلامه عليه حتى سألاه أن يؤمرهما على بعض البلدان التي جعلها الله تحت يده ، فقال النبي ﷺ : ما تقول يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس ؟ كأنه يلومه في أمرهما ، فاعتذر له أبو موسى مقسماً بمن بعثه بالحق لإنهما لم يطلعا على ما في أنفسهما ، فقبل عذره وصدقته ، وقال لهما إنا لن نستعمل على عملنا من أرادته ، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى . فبعثه على اليمن ، ثم أتبعه معاذ بن جبل ، فكان كل منهما على عمل مستقل ، وكانا يتزاوران ويتعاونان ويتذاكران قيام الليل ...

ولم يول هذين الأشعريين عملاً حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى صلوات الله عليه . وكذلك الحرص على الأمر مع الإصرار عليه لا يزيد طالبه إلا بعداً عنه .

ولقد كان خيراً منهما أسيد بن حضير رضى الله عنه ، وهو نفسه الذي خلا برسول الله ﷺ ، وفلان الذي يعنيه هو عمرو بن العاص رضى الله عنه ، كما قال صاحب الفتح ، وكأنه كفى في الموضوعين ولم يصرح رمزاً إلى معان من الأدب واللفظ لا تخفى على ذي لب .

لم يكن أسيد حريصاً على طلب الولاية ولا مصرأ ، بل كان إلى العرض والاستشارة أقرب منه إلى الطلب والحرص ، ولذا لم يحبه الرسول ﷺ بما أجاب به الأشعريين ، وإنما أقهمه بلطف أن مصلحة المسلمين العامة — وهي مقدمة على المصالح الخاصة — تقتضى ألا يوليّه العمل ، لا غمطاً لحقه ، ولا نقصاً لفضله ، ولا إيثاراً لغيره عليه ، فقد علم الناس من هم الأنصار ، ومكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقد كان أسيد من أفاضلهم

وأسبقهم إلى الإسلام ، وحسبه شرفاً أنه أحد النقباء ليلة العقبة ، وأنه ممن ثبت يوم أحد ، وأن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن يقدم أحداً من الأنصار عليه . بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار عمراً للكفاية النادرة في الحرب وعظيم بلائه ودهائه فيها ، وسياسته في ولاية الأمور ، وفتوحاته وبلاؤه في الإسلام أشهر من أن تذكر . وما أجدره بشهادة عمر رضى الله عنه وقد رآه ذات مرة يمشى فقال ما ينبغي لآبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميراً . وما كان اختياره صلى الله عليه وسلم عمراً أو تأميره إياه على العمرين والسابقين من أصحابه ليقدمه عليهم في الفضل ، إنما هي مصلحة المسلمين فوق كل شيء . ومن القضايا الثابتة أن للزينة لا تقتضى الافضلية .

ثم زاد أسيدا طمأنينة بأن الإيثار للهوى وللحفظ الديني لن يكون في عهده صلى الله عليه وسلم ، وإنما يقع بعده حينما تفتح لهم الدنيا ويتنافسون فيها ، وإن عليهم حينئذ أن يصبروا ويرضوا خشية الأحداث والفتن ، وسيلقونه صلى الله عليه وسلم على حوضه المورد راضياً عنهم . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ولإخباره صلى الله عليه وسلم بهذا ونحوه من أعلام نبوته .

* * *

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده يولون الأقوياء الامناء شئون الدولة ، ويؤثرون مصلحة الأمة على ما سواها لا يباليون أن يكون الأمير صغيراً أو كبيراً ما دام للإمارة أهلاً ، وحسبنا ما قدمنا في أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، في الحديث السابق . غير أن العمرين رضى الله عنهما بالغا في الحزم والورع واتقاء الشبهات فأغلقا في وجه الأهل والاقارب باب الولايات ، حتى فتحه ذو النورين رضى الله عنه ، فلما هوتب في ذلك أجاب بأن له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فقد ولى أولى الكفاية من أقاربه ، وبأن الخليفين بعده منعاً أقاربهما في الله عز وجل وأنه يعطى أقاربه في الله عز وجل ، ولئن كان كل منهم على هدى ونور من ربه ، إن طريقة الخليفين أحكم وأحزم ، وطريقة ذى النورين - على شاكلته - أرق وأرحم . أما الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فهو المؤيد المصوم الذى لن تحوم حوله شبهة ولن يقترب من ساحته هوى .

* * *

إن الحرص على الولايات والتنافس فيها ، وتولية غير ذوى الكفايات والأمانة ، كل ذلك أدى إلى سفك الدماء وهتك الأعراض واستباحة الأموال ، وظهور الفساد فى البر والبحر ! بل أدى إلى قتل الكفايات وإهدارها ، والطمع فى رئاسة الأعمال وسياسة الأمم بالرشا والنفاق والدهاء والمكر !! وإنه ليؤذن لأولى الكفايات حينئذ أن يطلبوا الإمارة ويحرصوا عليها قصداً إلى الإصلاح ما استطاعوا . بل يجب عليهم الطالب والحرص وجوبا لا رخصة فيه إذا لم يكن من ولايتهم بد . وحق عليهم أن يذهبوا على أنفسهم إذا لم ينبه عليهم أحد . ومن هنا قال الصديق عليه السلام لملك مصر « اجعلنى على خزائن الأرض » وربما أوحى الله إليه أن اطلب ذلك من الملك لتؤدى رسالتك كما أداها أبأؤك من قبل ، وقد جعلت الملك طوع يمينك جزاء ما اتقيت وصبرت !

بل إن حقاً محتوما على القادرين من الامة وأولى الغيرة فيها والحرص عليها أن يتقنوها من الفساد والطغيان ما استطاعوا إلى الإنقاذ سبيلا ، ثم لا يمكنوا من ولايتها ورعايتها إلا قويا آمينا حفيظاً عليهما ، يهديها إلى الحق ، ويبصرها طريق الرشد ، ويفتح لها أبواب المجد والكرامة ...

وعلى ولى الامة الذى تخيرته قائداً لها وإماماً ألا يألو جهداً فى اختيار العاملين المخلصين فى نصحتها وإعلاء كلمة الله فيها ، ولن يكون إلا كما وصف الفاروق رضى الله عنه إذ قال : لا يصلح أن يلى أمور الناس إلا حصيف العقل ، وافر العلم ، قليل الغرة ، بعيد الهمة ، شديد فى غير عنف ، لين فى غير ضعف ، جواد فى غير سرف ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، واستشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض صفوته فى قوم يستعملهم ، فقال له عليك بأهل العذر ، قال ومن هم ؟ قال الذين إن عدلوا فهو ما رجوت ، وإن قصرُوا قال الناس اجتهد عمر . والقول الفصل فى خيار الولاية وشرارهم مارواه مسلم عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم » وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قال قلنا يا رسول الله أفلا ننايذهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، ؟

طه محمد الساكت

أَسَاسُ الشُّعُورِ بِالمَسْئُولِيَّةِ

أخشى أن تصبح كلمة « المسئولية » في عرفنا كلمة مستكرهة ، لكثرة ما استخدمت أخيراً في أوضاع معينة ، توحى بعض المعاني الرهيبة أو المهيبة .

فأكثر ما تستعمل هذه الكلمة اليوم في وضع يشعر المسئول فيه بشيء من القلق والخوف ، إما توقعا لمجازاة مادية ، كمرقف المتهم أمام القاضي ، وإما توقعا لحرمان أدبي ، كمرقف الممتحن أمام لجنة الامتحان .

لكن الواقع أن فكرة المسئولية ، في أساسها ومنبتها ، ليست لها هذه الدلالات المزججة وإن كانت في بعض أطوارها وملابساتها تحوم حولها هذه المعاني .

تفصيل ذلك أن المسئولية صفة تلازم صاحبها في فترة ممتدة ذات طرفين : بداية ونهاية ؛ وأن لها في كل طرف منهما معنى خاصاً ، ودلالة معينة . فالمسئولية تبدأ حين يطالبك الواجب ، ويناديك منادى العمل ؛ وتنتهى بعد أن تقدم حسابك عما صنعتته في جواب ذلك الدعاء . وبين هذين الطرفين برزخ يطول أو يقصر على حسب المدة المقدرة لإنجاز عملك .

ها هنا إذاً ثلاث مراحل : مرحلة نداء الواجب إيانا ، ومرحلة إجابتنا لهذا النداء ، ومرحلة المحاسبة والتقدير لقيمة هذه الإجابة .

ولنكتف الآن بالمرحلة الأولى من هذه المراحل ، وهي مرحلة مطالبة الواجب لنا بالعمل . وسنرى أن فكرة المسئولية في هذه المرحلة توحى إلينا معنى القوة لا الضعف ، وأنها تبعث فينا شعور السيادة واليد العليا ، لا شعور الرهبة أو الهوان .

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعداً منحدرأ ، فيما شئت من العوالم التي تشاهدها في السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولاً واحداً عن حاله فضلاً عن حال غيره ؟ هل تسأل الجبال الراسيات عن استقرارها وثباتها ، أو الرياح المتحركة عن حركاتها وتقلباتها ، أو البدر عن استدارته واستنارته ، أو الشمس عن ضوئها وحرارتها أو البحر لماذا هو ملح أجاج ، أو النهر لماذا هو عذب فرات ، أو الطير لماذا لا تعيش في الماء ، أو الأسماك لماذا لا تسبح في الهواء ؟؟ .

إن هذه العوالم كلها ليست مسئولة عن شيء ، لأنها لا تملك شيئاً ؛ فلقد حددت لها الفطرة طريقاً معيناً هي مسيرة فيه ، ميسرة له ، لا خيرة لها في السير على خطها المرسوم ، ولا حيلة لها في الخروج عن مدارها المعلوم . ألا يكون من العبث والحالة هذه أن يطلب إليها سلوك سبيل هي سالكتها حتماً بغير اختيارها ، أو ترك مجال هي ناركته حتماً بغير إرادتها ثم ألا يكون من أسفه السفه أن يطلب إليها التحول عما هي ملجأة إليه في كلا الحالين ؟

إن كل إلزام أدبي يفترض فيمن يوجه إليه الخطاب أن يكون ذا شخصية مستقلة ، تعمل لحسابها الخاص ، لا لحساب الطبيعة القاهرة . وذلك يقتضى أول كل شيء أن ينطوى المسئول على إمكانيات متعددة ، وأن يكون أمامه مسالك متنوعة ؟ ويقتضى بعد ذلك أن يكون له من قوى التفكير والرتوى ، والمقايسة والموازنة ، ما يمكنه من الترجيح بين الطرائق الممكنة المعروضة عليه ؛ ثم أن تكون له الحرية بعد ذلك ، في التصميم على قبول ما يشاء ورفض ما يشاء من هذه الحلول ؛ وأخيراً أن تكون له القدرة على تنفيذ ما قدره في عزمه ، وأجمع عليه أمره . فكل شيء كان نصيبه الطبيعي الحرمان من هذه المؤهلات كلاً أو بعضاً ، وكل شيء ثبتت براءته من الحول والطول ، كان حرياً بأن يأتي بحل أمانة التكليف ، وأن ينفض يده من كل مسئولية . وهذا كله لو تأملته ينطوى في معنى الآية الحكيمة : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » .

من ذا الذي يستأهل إذاً أن يتصدى لحمل هذه الأمانات ، ويدعى لنفسه القدرة على التزام النهوض بها ، وعلى الوفاء بالتزاماته ، من بين سائر العوالم التي يقع عليها حُسْنُنا ؟ لا شك أنه هو الكائن المجهز بجهاز يستطيع أن يصرفه باختياره ذات النين وذات الشمال ، في استقامة واعتدال ، أو في انحراف واعوجاج . لا شك أنه هو الكائن المزود بمؤهلات الخطاب ، وقوى الفهم والبيان ، والحرية والإمكان . ذلكم هو الإنسان ، بما هو ذو عقل وإرادة واقتدار ... فهو إذاً الذي رشحته فطرته لهذه الأعباء ، فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة ، وصاحب نفوذ وسلطان ، ومصدر إنشاء وابتكار . وهذا هو معنى ختام آية الأمانة : « وحملها الإنسان » .

الشعور بالمسئولية إذاً شعور نبيل ؛ لأنه شعور بالاستقلال والتحرر من أسر الطبيعة ، شعور بالقدرة على تغيير معالم الأشياء ، وعلى معالجتها بالبريمة والإرادة المبتكرة ، شعور بالكرامة التي كرم الله بها بنى آدم ، وبالفضل الذي فضلم به على كثير من خلقه .

والمسئولية إذاً صفة يستمدها كل امرئ من فطرته الإنسانية قبل أن يتلقاها من واضعي الشرائع والقوانين ، وهي كما قلنا صفة لازمة للإنسان بما هو ذو عقل وإرادة واقتدار ؛ وليست صفة له بما هو مقهور مجبور ، مسير مسخر . ومن عجيب أمر الإنسان أنه يجمع هذين الوصفين المتناقضين في علاقته بالسكون : إنه سيد مسود ، وحاكم محكوم ، ولكن في ميدانين مختلفين فهو في عالم المادة وعالم الحياة ، وعالم النفس ، لا يخرج عن أن يكون جزءاً من هذه العمارة الكونية ، خاضعاً لنواميسها وقوانينها : ديا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ، ، ألا تراه حين يثب في الهواء لا يلبث أن يعود إلى الأرض قسراً عنه ؟ لأنه من حيث هو جسم مادي يخضع لقوانين المادة ، التي من أوائلها قانون الثقل والجاذبية .

أولاً تراه في تنفسه وهضمه ونبضات قلبه ، وفي نموه واكتياله ، وشيخوخته وهرمه كائناً حياً ككل كائن حتى تسرى عليه قوانين الحياة ؟ ثم ألا تراه حين يأخذ النوم : كيف تساوره الأحلام ؟ وحين تتقلب عليه المؤثرات : كيف يسر ويحزن ويخاف ويأمن ، ويرضى ويغضب ؟ لأنه ذو نفس تسرى عليها أحوال النفوس وأعراضها الجبلية . الإنسان في هذه الميادين كلها أسير طبيعته ، وسجين فطرته . . . لا جرم وضعت عنه فيها كل الاحمال والأعباء ، لأنه يستوى هو وسائر الأشياء .

لكن له من فوق هذه الميادين ميداناً أعلى ، يملك فيه حريته ، ويمر فيه سلطانه ، تقرر فيه مسئوليته ، ذلك حيث تسلس له الطبيعة قيادها وتمسكه زمامها ، وتمهد له سبلها المختلفة يفتق منها وينتخب : تحليللاً أو تركيباً ، تعميراً أو تدميراً ، وذلك حيث تأذن له قواه البدنية والنفسية وعلامته الخاصة والعامة ، أن يتصرف فيها قبضاً أو بسطاً ، رفعا أو خفضاً قطعاً أو وصلًا يؤاسى ويأسو ، أو يجرح ويقسو ؛ يألف ويؤلف ، أو يتجبر ويتكبر ، يضيع أمانته أو يصونها ؛ يحمي أو طانه أو يخونها ! يرفع رأسه إلى السماء طلباً للمثل العليا ، أو ينكس بصره إلى الأرض سعياً وراء زخرف الدنيا .

الإنسان في هذا كله وفي سائر تصرفاته الاختيارية سيد مسئول ، ومسئوليته مشتقة من سيادته ، إنه سيد بتسويد الله له منذ جعله خليفة في الأرض ، فسكنه منها واستعمره فيها ، وإنه مسئول بموجب هذه السيادة أن يؤدي حقها .

كم من مرة سمعنا الكلمة المأثورة : « إن من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم » ، غير أننا هندسمع هذه الكلمة كننا نفهمها على صورة ضيقة ، وفي نطاق محدود ، إذ كان يبدو لنا أن صاحب المال ، أو صاحب الجاه هو الذي ينبغي أن يعد نفسه في نعمة ، لقدرته على قضاء حاجة المحتاجين . أما الآن فإننا نفهمها في أوسع معانيها ؛ ونستطيع أن نناشد بها الناس جميعاً قائلين : « إن من نعم الله عليكم ، حاجة المجتمع ، بل حاجة الكون إليكم ، ذلك أن مطالب الحياة والصحة ، والعلم والقوة ، والأمن والرخاء ، والعدل والبر ، والرحمة والإحسان ، وسائر القيم الكبرى ، والمثل العليا ، لاغنى لها طرفة عين عن تضافر القوى البشرية ، وتماسك أيديها وسواعدها ، وتعاون عقولها وقلوبها . فنحن جميعاً شركاء في المسؤولية ، لا فضل لكبير على صغير ، ولا لقوى على ضعيف : كل على قدر وسعه ، وفي حدود متناوله ، مطالب بنصيب قل أو كثر ، في عمارة هذا الكون بالصلاح والإصلاح . وإن كل سهم تبخل به عزيمة من العزائم ، تنقص به لبنة أو لبنات في بناء المجتمع الصالح ، الذي يطالب منا لإقامته بمقتضى خلافتنا في الأرض ، والذي لولا يد الإنسان ما ارتفع له بفيان ، بل لولاها ما تغير وجه التاريخ في هذا العالم . فقديماً قال بعض الحكماء : « أروني ما ذا أضافت العجاوات إلى ما وهبته لها الطبيعة ، منذ نشأة العالم إلى اليوم ! .. بينما نرى الإنسان قد غير وجه الأرض ونقب في أحشائها ... واليوم وقد أمضى العقل الإنساني ألوف السنين في بحث وتنقيب ، لا يزال معيته جارياً لم ينضب ، ولا يزال يبتكر الجديد المفيد . لأنه لا شيء يقف أمام العقل الإنساني ، ولا شيء يضع حداً لكشفه وابتكاره ، إلا شيء واحد ، هو كسله وتراخيه ، »^(١) .

هكذا كل شيء في الكون يتادينا منذ نشأتنا بأننا مسئولون ، لا بمعنى أننا متهمون محاسبون ، بل بمعنى أننا مقصودون مأمولون . وإن من أكبر دواعي الفخار الإنسانية أن تكون هي محط هذا السؤال العالمي ، ومناطق ذلك الأمل الكوني .

وهكذا يتبين لنا أن المسؤولية في أساسها ليست خطاب تعنيف وتخويف ، وإنما هي

(١) الفيلسوف بروسوبه في الفصل الثامن من كتاب « معرفة الله » .

لقب تشریف ، وخطاب تکلیف ، وهی تشریف من حیث هی تکلیف ؛ إذ لا یکلف بحمل الاعباء إلا من هو أهل لحملها .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
نعم لأننا بفطرتنا مسئولون ، لا سؤال اتهام ومناقشة حساب ، بل سؤال التماس ودعاء ورجاء . وليس الإنسان المسئول هو الذى يلتمس ويرجو ، بل هو المدعو المرجو ...
فالمصالح المادية والادبية تلتبس منه أن يقوم بأدائها ، والقيم الاخلاقية والاجتماعية والروحية تدعوه أن يتدخل بإرادته وعزيمته لتحقيقها ؛ ثم تاشده مؤهلاته ومرشحاته نفسها أن يسرع إلى تلبية هذا النداء السرى العميق ، الذى تبسطه الكائنات بلسان حالها ، قبل أن تبسطه الانبياء والرسل بلسان مقالها : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

دكتور محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء



العربية

رمز وحدة العالم الإسلامى فى الثقافة والمدنية

قال العلامة الألمانى المحقق يوهان فك Johann Fuck فى خاتمة كتابه النفيس عن (العربية) الذى ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار .

« إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمى - أساسياً - لهذه الحقيقة الثابتة ، وهى أنها قد قامت فى جميع البلدان العربية — وما عداها من الاقاليم الداخلة فى المحيط الإسلامى — رمزاً لغويا لوحدة عالم الإسلام فى الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربى التالذ الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر . وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطئ الدلائل ، فستحفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هى (لغة المدنية الإسلامية) ما بقيت هناك مدنية إسلامية ، .

طريق الإفادة من الفقه الإسلامي

١ — بعد أن ألمعنا بنشأة الفقه الإسلامي وتدرجه حتى وصل إلى نضجه وكماله ، وبعد أن عرفنا شيئاً من خصائصه التي تجعله نظاماً فريداً يصلح له أمر المسلمين والعالم كله - نقول بعد هذا وذاك ، ما هو الطريق للإفادة من هذا الفقه في حياتنا العملية والقانونية؟ وبخاصة وقد نالت الصيحات من الراغبين حقاً في الإصلاح بوجود أن تكون الشريعة الإسلامية أساس ما تحكم به الأمة من قوانين على اختلاف فروعها .

ولكي نعرف السبيل للاستفادة من هذا الفقه ، يجب أولاً أن نعرف الغرض من هذا الفقه ، والغاية العليا التي ننشدها منه ومن دراسته . ثم ننظر ، بعد ذلك ، في الطريق التي سرنا عليها الآن في دراسته لنرى إن كنا نسير في هذا على الجادة المستقيمة ، أو قد أخطأنا السبيل .

٢ — والفقه الإسلامي قانون من القوانين التي عرفها البشر ، إلا أنه يمتاز بأنه قانون إلهي في أسسه العامة وأصوله التي قام عليها . والقانون لأمة من الأمم ، سواء أكان سماوياً أم وضعياً ، من شأنه أن يعمل على ما يأتي :

- (أ) حماية عقائد الأمة وتقاليدها الطيبة .
- (ب) صيانة الأخلاق الفاضلة والمثل العليا الصالحة للفرد والجماعة .
- (ج) توجيه الأمة للخير بصفة عامة .

وما صرنا إلى ما نحن فيه من بلاء يتمثل فيما نحسه من انحلال الأخلاق ، والزيف في العقيدة والإلحاد في الدين ، والسير دون هدى ورقابة من الضمير المستقيم ، إلا بسبب ما فرض علينا من قوانين غريبة أو غريبة عنا ، قوانين لم توضع لنا ، بل لم تصلح لمن وضعت لهم من الأمم البعيدة عنا بعقائدها وتقاليدها وأخلاقها ، فأصبح من الواجب رفع هذا الإصر عنا ، وأن نتخذ لنا قوانين مستمدة حقاً من كتاب الله وسنة رسوله .

٣ — إذآ ، يجب أن تكون دراسة الفقه الإسلامي ، في الأزهر وفي غيره من المعاهد الدينية في الأقطار الإسلامية ، قائمة على وجه يؤدي لتحقيق هذا الغرض منه ، وموصلة إلى

الغاية التي فنشدها من الدراسات الإسلامية بصفة عامة ، أى إلى أن يكون التشريع الإسلامى هو القانون الذى تحكم به الأمة المسلمة فى مصر وغيرها .

أما أن نجري فى دراستنا للفقہ فى الأزهر ومثله من المعاهد الدينية ، على طريقة لا يمكن أن تؤدى لما نرجو بل لما نريد ، ثم نلجج فى كل مناسبة بالمطالبة بتطبيق التشريعات الإسلامية فذلك صنيع لا يليق بالمصلحين الجادين فى طلب الإصلاح . ذلك بأن العقل والمنطق السليم يقتضيان على من يريد الإصلاح حقاً ، أن يحدد الغاية التى يريد ، وأن يرسم لها الوسائل والطرق التى تؤدى إليها .

٤ — يجب أن نكف عن تردد : « صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان » ، من غير أن تقدم بأى عمل يثبت عملياً هذه « الصلاحية » ، وبجائزها للناس ؛ فقد عرف علماء القانون فى الغرب للشريعة الإسلامية قدرها ، وأقروا بذلك فى أكثر من مؤتمراً ومؤتمراتهم . ومن هذه المؤتمرات ما كان فى « لاهى » ، عام ١٩٣٨ ، وكان من قراراته : اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها غير مأخوذة عن غيرها ، وأنها مصدر من مصادر التشريع ، وأنها حية صالحة للتطور (١) .

علينا أن نكف عن الكلام ، وأن نبدأ العمل الذى كان يجب أن نبدأ فيه منذ زمن طويل . إن علينا بيان الفقہ الإسلامى فى مراجعه الأولى الأصيلة ، ولن يكون ذلك إلا بنشر هذه المؤلفات نشرأ علمياً صحيحاً ييسر دراستها والإفادة منها للباحثين . وبعد ذلك يجي دور نشر أمهات كتب الفقہ التى عرفها العالم الإسلامى قبل قفل باب الاجتهاد وركود التفكير الإسلامى فى كل نواحيه . وهنا يجب أن يكون هذا العمل شاملاً لكل المذاهب الفقهية المعروفة ، ومنها المذهب الظاهرى وسائر المذاهب الموجودة والمندرسه ، فإن فى هذه المذاهب من الآراء ما قد يؤدى لنا فائدة كبرى فى النهضة التى نريدها .

٥ — ثم - وهذا هو الأمر المهم - لابد من تغيير منهج الدراسة فى الكلية التى يدرس فيها قسم المعاملات من الفقہ فى المرحلة العالية بالأزهر ، وهى كلية الشريعة . ولا نعى « بالمنهج » ، مواد الدراسة ، ولكن الطريقة التى يدرس بها الفقہ . إنهم يدرسون ما يدرسون من الفقہ فى هذه الكلية دراسة مذهبية فى الغالب من الأمر ، بينما الواجب أن يدرس

(١) من المنجل أن نحتاج لشهادة الأخرس لشرعنا ، وأن نمر لذلك ونلجج به كثيراً .

دراسة مقارنة . نريد دراسة مسائل قسم المعاملات من الفقه دراسة يقارن فيها المذاهب بعضها مع بعض ، ثم تقارن كلها باعتبارها وحدة ، مع القانون الحديث . وفضل الدراسة المقارنة ، في الفقه وفي غير الفقه ، فضل معروف لا ينكره أحد من الذين يعرفون طرق البحث العلمية المنتجة ، وإذا فلا نطيل الكلام في هذه الناحية .

وقد أدرك رجال الجامعة ، وبعض الأزهريين ، أن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى ، وهي في الفقه لازمة جدًّا لازمة ، وبها وحدها نستطيع أن نعرف نحن وغيرنا مقدار ما عندنا من كنوز في التراث الفقهي الذي خلفه لنا أسلافنا الأجداد .

٦ — ومن الواجب أن يخصص بعض الاساتذة بكلية الشريعة أنفسهم داخل الكلية لدراسة المعاملات المالية الحالية ، هذه المعاملات التي تجري في الأسواق والبنوك ، وتتناول كل محاصيلنا الزراعية من القطن والحبوب وغيرها . ولدراسة هذه المعاملات الحالية على ضوء الكتاب والسنة والفقه الإسلامي ، يجب أن نعرفها أولاً كما تجري الآن .

وسبيل هذه المعرفة دراسة علم الاقتصاد السياسي ، كما يدرس على الأقل بكلية الحقوق ، فن هذا العلم تقف على ما يحصل في سوق البضاعة الحاضرة وسوق العقود وأسواق الحبوب^(١) ومنه نعرف أن كثيراً من هذه المعاملات ما قد يتفق مع شريعة الله ، ومنها ما ليس كذلك لأنها تدخل في باب الغرر أو بيع الإنسان مالم يقبض ، وهذا وذاك يمانهى عنه الرسول ﷺ وما جاء به من تشريع .

٧ — وهناك مع ذلك كله واجب آخر على رجال القانون هو العمل على استقلال التشريع عندنا فلا يكون تابعاً للتشريع الغربي ، فقد آن لنا - إن كنا مسلمين ومصريين حقاً - أن نحقق هذا الاستقلال في التشريع ، ليسكون لنا تشريع يتفق مع ديننا وقوميتنا وتقاليدنا ومصالحنا .

وهنا ، نترك الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري يتحدث في هذه الناحية ، إذ يقول^(٢) : « فإذا قُدر لنا أن نستقل بفقهمنا ، وأن نفرغه في جو مصرى ، يشب فيه على قدم مصرية وينمو بمقومات ذاتية ، بقي علينا أن نخطو الخطوة الأخيرة فنخرج من الدائرة

(١) هذا ليس عسيراً ، فقد أخذت نفسى به هذه الأيام ووصلت فيه إلى ما أردت بفضل الله تعالى .

(٢) من الكلمة الانتاحية لكتاب النظرية العامة للالتزامات ، الجزء الأول في نظرية العقد .

القومية إلى الدائرة العالمية، وتؤدي قسماً مما تفرضه علينا الإنسانية ضريبة في تقدم الفقه العالمي، .
 ٨ — ومن أهم الوسائل في الوصول إلى ذلك، كما يقول أيضاً في هذا الموضع الأستاذ السهنوري، العناية بالشريعة الإسلامية : شريعة الشرق ووحى إلهامه، وعصارة أذهان مفكره، نبتت في صحرائه، وترعرعت في سهوله وودياه، فهي قبس من روح الشرق ومشكاة من نور الإسلام. يلتقي عندها الشرق والإسلام، فيضيء ذاك بنور هذا، ويسرى في هذا روح ذاك، حتى ليمتزجان ويصيران شيئاً واحداً. هذه هي الشريعة الإسلامية، لو طُتت أكنافها وعبدت سبلها، لكان لنا في هذا التراث ما ينفخ روح الاستقلال في فقهاء وفي قضائنا وفي تشريعنا، ثم لاشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد ففضيء به جانباً من جوانب الثقافة العالمية في القانون، .

٩ — ثم نرى بعد ذلك، الكاتب والقانوني الكبير يعمل على الإفادة حقاً من الفقه الإسلامي فيما يضع من قوانين، وفيما يقوم به من دراسات في كلية الحقوق. يعمل على الإفادة من الفقه الإسلامي بكل ما في وسعه، ويلتمس العون على ذلك من يتوسم فيه القدرة على العون، ويدفع طلابه إلى دراسة هذا الفقه والإفادة منه، ويتمنى أن يرى أمهات كتب الفقه الإسلامي مذكورة ومدروسة على الوجه العلي الصحيح.

ونستطيع أن نقبين هذا كله من قوله: ^(١) أما جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذي يبنى عليه تشريعنا، فلا يزال أمنية من أعز الأمنيات التي تحتلج بها الصدور وتطوى عليها الجوارح. ولكن، قبل أن تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن. ونرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامي مصدراً من المصادر الرسمية للقانون الجديد، ما يعاون على قيام هذه النهضة، .

ومن أولى بالقيام بدراسة الشريعة الإسلامية، في ضوء القانون المقارن من رجال الأزهر متعاونين مع رجال القانون المخلصين للإسلام وشريعته ! ليسكون من وراء هذه الدراسة جعل الأساس الأول للتشريع الحديث هو الفقه الإسلامي.

١٠ — وحتى يحين الوقت الذي يكون فيه الفقه الإسلامي هو المصدر الأساسي الأول

(١) الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، نظرية الالتزام، ص ٤٨ بالهامش.

- بل الوحيد - للقانون ، أو إلى أن يحين الوقت الذى تكون الشريعة الإسلامية هي القانون فى مصر وسائر البلاد الإسلامية ، ونرجو أن يكون ذلك قريباً بفضل الله تعالى وجهود الأزهر والعلماء من الإخوان المسلمين ، علينا أن نعمل على تقنين الفقه حسب التقنين الذى نعرفه للقوانين العديدة ، أى جعله فى مواد تناسب روح العصر ومستعدة من الكتاب والسنة والروح الإسلامية فيما لا نص فيه . وبذلك ، لا يضل الباحث بين الآراء المختلفة التى تزخر بها كتب الفقه التى لا يكاد يحصرها العاد ، وبذلك يخرج الفقه الإسلامى إلى وضوح النهار والحياة العملية بعد أن ظل قروناً طويلة فى بطون الكتب .

ولنا أسوة فى السوابق التى عرفها تاريخ الإسلام الحديث ، ومن تلك السوابق المجلة العلية ، وأعمال المرحوم قدرى باشا فى كتبه العديدة المعروفة . والله يوفق للخير ويعين عليه ، متى طلبناه وسلكنا له سبيله الصحيحة .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

الحق مغضبة

قال أبو سليمان الخطابى فى كتاب (العزلة) : أخبرنى أحمد بن إبراهيم بن مالك قال حدثنا الدغولى أن سليمان بن معبد قال :

قلت للأصمعى : ما قول الناس « الحق مغضبة » ؟

فقال . وهل يسأل عن مثل هذا إلا رازم (أى ضعيف هزيل) . قل « ما يُكعُّ أحد بالحق إلا عرم له » (أى اشتد وبدت شرسته) .

قال أبو سليمان : وأنشدونا عن الربائى :

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المنصح

نشأة كتب الأمال وخصائصها

إن هناك نوعاً من التأليف تعرف بالأمالى ، وهى ثمرة من ثمار أساليب التعليم والتثقيف فى الإسلام ، ووليدة نهج أئمة الحديث فى تلقينهم وطرق تحملمهم مما سنفصله بعد .
قال حاجى خليفة فى كشف الظنون :

« الأمالى جمع لملاء وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً يسمونه « الأمالى » . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها فى علومهم ، فاندurst لذهاب العلم والعلماء ، وإلى الله المصير . وعلماء الشافعية يسمون مثله « التعليق » .
وذكر ابن النديم فى الفهرست :

« ولابى العباس مجالسات وأمال أملاها على أصحابه فى مجالسه تحتوى على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعانى القرآن والشعر ، رواها عنه جماعة . »

فهذا الضرب من التأليف لذن يسمى بالأمالى وبالمجلس أو المجالسات وبالتعليق . وهى كثيرة متنوعة أشهرها أمالى ثعلب أو مجلس ثعلب ، وأمالى الزجاجى ، والقالى وابن الشجرى ، والمرضى ، والخفاجى ، وكل هذه مطبوعة سنصفها إن شاء الله ونذكر خصائصها .

أما ما لم يكن مطبوعاً فهو كثير ، يصادف ذكره الباحث فى معجم ياقوت وخزانة الأدب للبغدادى والمزهر للسيوطى وغيرها .

مثل أمالى ابن الأبيارى ، وأمالى جعظفة ، وأمالى ابن الحاجب ، وأمالى الصولى ، وأمالى المرزوقى .

نشأتها

مقدمة :

للغرب أساليب مختلفة فى تعليم أبنائهم تعليمياً أدبياً ، وتثقيف فلذة أكبادهم تثقيفاً لغوياً .

أول تلك الاساليب ترويتهم الشعر وتلقينهم الاخبار شفاهما ، اعتماداً منهم على الحفظ لا على الكتابة .

فقد كانت العرب في جاهليتها أمة تغلب عليها الامية فهي لا تقرأ ولا تكتب ، وكان كل عربي بطبيعته راوياً فيما هو بسبيله من أمره وأمر قومه ، وأكثر ما كانوا يروونهم الشعر . لانهم يعتبرون الشعر ديوانهم ، وسجل مفاخرهم ، ومرآة عاداتهم وأخلاقهم .

ولهذا الاسلوب في التعليم محاسنه وله مساوئه :

أما محاسنه فإنه الطريق الوحيد الذى به حفظ كلام العرب وأخبارهم وأشعارهم ، وبعبارة عامة أدبهم .

وأما مساوئه فإن ما حفظ ونقل شفاهما اعتوره النقص والزيادة والتقديم والتأخير ووضع لفظ موضع آخر . إذ لا يعقل أن الناس - كيفما قويت ملكة الحفظ فيهم - يضبطون كل ما يسمعون بلا تغيير ولا تبديل . وإلى هذا يرجع الاختلاف الذى لا يكاد يخلو منه نص قديم أو شعر جاهلى .

هكذا كان شأنهم في التعليم والتأديب عصر الجاهلية .

فلما جاء الإسلام جرت العرب على مثل عاداتها من رواية الاشعار ونقل الاخبار وحفظ الانساب والايام ، بل توسعوا في ذلك أول عهدهم بالإسلام لحاجتهم في الرد على شعراء المشركين ، الذين كانوا يهاجمون النبي ﷺ وأصحابه . فأخذ كل فريق من أنصار الإسلام وأعدائه يدافع عن أحسابه وأنسابه ويشيد بذكر قومه .

وهناك سبب آخر دعا إلى العناية برواية الشعر ، وهو حاجتهم إليه في تفسير القرآن والحديث . فقد كان ابن عباس يقول : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب » .

وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً . وقد ذكر صاحب العمدة أن عائشة رضى الله عنها كانت كثيرة الرواية للشعر .

بيد أن كل ما حفظوه وتناقلوه لم يدون فيه شيء ، ولم يكن فيه إسناد ، حتى انقضى عهد الخلفاء الراشدين فلم تكتب قصيدة ولم يدون خبر ، بل كان عمدتهم في ضبط آدابهم الحفظ والرواية ، هذا عدا ما دون من المصاحف لبعض الصحابة وشيء يسير من الحديث .

ويحسن بنا قبل أن نترك هذا العصر وننتقل إلى العصر الأموي أن نشير إلى أنه في هذا العهد - عهد الخلفاء الراشدين - وجدت أول صورة من صور المعاهد العلمية ، وأول شكل من أشكال الأمكنة التي تلقى فيها الدروس ، وتروى فيها وسائل التهذيب والتعليم وهي المساجد ، فقد كان مسجد المدينة منتدًى أدبياً تلقى فيه القصائد ويفشد فيه الشعر فيروى ويسمع ، كما كان موطناً للعبادة وتلاوة القرآن ، فقد اتخذ الرسول ، صلوات الله عليه ، معهداً للتدريس والتلقين والتثقيف والتعليم .

روى البخارى عن أبي واقد الليثي قال : بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فوقفا فرأى أحدهما فرجة في الحلقة فجلس ، وجلس الآخر خلفهم .

لا جرم أن يكون المسجد مركزاً للثقافة الإسلامية في أوسع معانيها واختلاف ضروبها ، فذلك أمر طبيعي ، لأن الباعث الأكبر على نشر العلم حينذاك كان ديقياً ، فأما كن العبادة مدارس ، وبيوت الله معاهده ، ورجال الدين هم القائمون بمهمة التعليم في حلقات ومجالس ، فإن المدارس بمعناها الفنية لم تعرف إلا في القرن الرابع الهجري .

ذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، عن قرّة أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس ، جلس إليه أصحابه حلقة حلقة .

وقال أنس : كان الصّحابة إذا صلوا الغداة قعدوا حلقة حلقة يقرءون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن .

وعن أبي معاوية السكندى قال : قدمت على عمر بالشام ، فسألني عن الناس فقال : لعل الرجل يدخل المسجد كالبعير النافر ، فإن رأى مجلس قومه ورأى من يعرفهم جلس إليهم ؟ فقلت : لا ، ولكنّها مجالس شتى ، يجلسون فيتعلمون الخير ويذكرونه . قال : لن تزالوا بخير ما دمتم كذلك .

ولما خرج ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجّره فدخل المسجد ، فإذا هو بحلقتين : إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله ، والآخرى يتعلمون ويعلمون . فقال النبي ﷺ : كل على خير ، هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعظم وإن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً ، فجلست معهم .

فلما كان عصر الدولة الاموية تعددت سبل التعليم ، وتنوعت وسائل التربية الادبية اللغوية . فكانت الرحلة الى البادية لانه في هذا العصر قد شاع اللحن حتى لوث السنة الخاصة فتشدد الخلفاء في تربية ابناءهم على الف الملكة العربية ، فكانوا يرسلونهم الى البادية ليروضوهم على الفصاحة ، وينشئوهم تنشئة الاعراب الفصحاء ، كما فعل معاوية بن ابي سفيان في تربية ابنه يزيد ثم استحضار معلمين أو مؤدبين للتعليم والتأديب ليخرجوا ابناءهم في الاعراب واللسن ، كاتخاذ عبد الملك بن مروان مؤدباً لابنه ، واتخاذ هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي مؤدباً لولده .

ويذكر الراغب الاصفهاني في محاضرات الادباء أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بنى أمية من يقول لهم : ما أشد مامراً بكم في الحبس ؟ فقالوا : ما فقدنا من تأديب أولادنا . ويلاحظ الباحث في هذا النقط من التأديب - وهو ما يعرف في هذه الايام (بالدروس الخصوصية) - أن ولى الامر يضع للتؤدب أحياناً المهج الذى يسير عليه في تربية ابنه والبرنامج الذى يدرسه .

روى الجاحظ في (البيان والتبيين) أن عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الصمد مؤدب ولده : ليسكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنى لإصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينيك فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقييح عندهم ما استقيحت . وعلمهم كتاب الله ، ولا تتركهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه . ثم روم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه . ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للسمع . وتهديم بنى ، وأدهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجنبهم محادثة النساء . وروهم سير الحسك . واستزدنى بزيادتك إياهم أزدك . وإياك أن تسكل على عذر منى لك ، فقد اتككت على كفاية منك . وزد فى تأديبهم أزدك فى برهم إن شاء الله تعالى .

فهذه من أجل الوصايا وأنفعها ، وأولى أن تكون دستوراً للتؤدبين يحتذونه ، ونموذجاً فى طريقة التأديب يفتهمونه .

ومن أساليب التعليم أيضاً فى ذلك العصر الكتاتيب أو المكاتب بالمعنى المعروف اليوم ، وهو المكان يعلم فيه الصبيان .

فقد ذكر ابن خلكان في ترجمة أبي مسلم الخراساني أنه نشأ عند عيسى بن معقل ، فلما ترعرع اختلف هو ووالده إلى المكتبة .

وقد هجا بعضهم الحجاج فقال : كان هو وأبوه معلمين بالطائف . وكان عبد الحميد الكاتب معلم صبية .

وهنا يجدر بنا أن نقول كلمة عن لقب « معلم » ، و « مؤدب » ، والفرق بينهما في ذلك العصر الغابر . يظهر أن لقب (معلم) كان أحط الرتب العلمية في عرف ذلك العصر ، وذلك : أولاً — لأنه كثيراً ما يقرن بتعليم الصبية قال ابن خلكان في ترجمة عبد الحميد الكاتب « وكان في الكتّابة وفي كل فن من العلم إماماً ، وكان أولاً معلم صبية » .

ثانياً — ما ذكرناه من أن الحجاج وأباه قد هجيا بهذا اللقب .

ثالثاً — أننا نجد في كتب الأدب ذكر لقب المؤدب بجانب العظماء كأبناء الخلفاء والخاصة من كبار الدولة حتى بعد هذا العصر ، فيقولون مثلاً إن أبا إبياد كان مؤدب المعتصم ، وكان أبو حفص النحوى مؤدباً لآل طاهر .

وذكر ابن خلكان أيضاً في ترجمة الكسائي أنه كان يؤدب الأمين بن هرون الرشيد ويعلمه الأدب .

وقال في ترجمة ابن السكيت : وكان يؤدب أولاد المتوكل .

رابعاً — ما ذكره الجاحظ نفسه في (البيان والتبيين) بعنوان (باب في ذكر المعلمين) يساعدنا أيضاً على التفرقة بين مؤدب ومعلم . فقد قال الجاحظ في مفتتح هذا الفصل : من أمثال العامة : « أحق من معلم كتاب » ، فرى هنا أنه أضاف هذا اللقب إلى الكتّاب ثم قال : والمعلمون عندى على ضربين منهم رجال أرتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن الكسائي وقطربا وأشباه هؤلاء يقال لهم حق .

والرأى عندنا في حلة الجاحظ على المعلمين والتهكم بهم أن يرد ذلك أمور منها مسامرة الجاحظ للعامة في اعتقادهم ومجاراتهم في فكرهم ، لأن الجاحظ كتّاب الصحف في عصرنا يحرصون أشد الحرص على أن يقرأ العامة كتاباتهم ، فهم يهتمون الاهتمام كله لارضائهم والحصول على إعجابهم وكذا كان الجاحظ .

وفىها وربما كان أقواها ، احتقار العرب للمهن التى لا تظهر فيها أعمال الرجولة التى تتجلى فى الحروب والغزو وركوب الخيل إلى غير ذلك . وليس بمستغرب أن ينظر العرب هذه النظرة إلى طائفة تصرف معظم أوقاتها فى مصاحبة الصبية وتحت سقف البيوت ، بدلا من معايشرة الرجال وانفاق للساعات الطوال على صهوات الخيل وقرع السيوف . والعرب مثلهم فى ذلك مثل فرسان العصور الوسطى الذين حسبوا أن أعمال التعليم إنما تليق بالربان والقسوس فاستغنوا عن القراءة والكتابة بأعمال الفروسية والحرب .

أضف إلى ذلك أنه ربما اضطر الناس إلى احتقار معلمى الصبيان لما كان يبدو من بعضهم ما يدل على صغر النفس والمسكنة وسخافة العقل والخطورة على الصغار .

ذلك كان الوجه المظلم فى مركز المعلم ، أما الوجه المميز فلا بد من إظهار حقيقته أيضاً للمعلمين ، واعترافاً بشرف مهنتهم ، وتقديراً لعظيم جهودهم . فإنه كما اختلفت المعاهد العلمية بين كتاب وجامع ومدرسة ، اختلفت أيضاً درجات المعلمين وتباينت مقاماتهم . فمن معلم صبية إلى شيخ فدرس فأستاذ فمعيد . مما سفينه بالتفصيل فى مطاوى هذا البحث .

فإن من الشيوخ الافاضل والائمة المبرزين ما لا ينكر فضلهم على المجتمع الإنسانى علماً وخلقاً ، ويكفى أن نذكر أن الإمام مالك بن أنس طلبه الخليفة هارون الرشيد ليأتى إليه ، فأجاب : أن العلم يؤتى ، فانتقل الرشيد إلى منزل مالك خاشعاً . تبجيلاً للعلم وأهله .

ومن وسائل التأديب والتعليم فى هذا العصر الاموى ما ذكرناه فى عصر الخلفاء الراشدين وهى الجوامع والمساجد فى صورة أوسع وشكل أعم .

أما فى العصر العباسى وما يليه من الأعصر فسيجيء الكلام عليه فى المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بسككية الآداب

جامعة القاهرة

الطالح بن عبيد الله

سيد من سادات المسلمين وأجوادهم ، وأحد السابقين الأولين الذين أسلموا على يد الصديق أبي بكر رضى الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ؛ مكارم من حظى بواحدة منها استحق التكريم والتمجيد والثناء العاطر ، فكيف بمن حظى بها كلها ؟

ذلكم هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى التيمى ، من أكرم بيونات العرب وأشرافها وأشجعها . وأمه الصعبة بنت الحضرمى من أهل اليمن ، وهى أخت العلاء بن الحضرمى . وأهل اليمن أرق الناس قلوبا وأفئدة ، وأحكمهم رأيا ، فلا عجب أن كان طلحة رضى الله عنه شجاعا مغوارا ، يعاف الفرار ويثبت فى مساقط الموت ، وأن كان رجلا رقيق القلب رحيمًا كثير الجود والبر والخير ، معروفًا بالحكمة وإصالة الرأى ، وذكر الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » أنه كان يقال إن طلحة بن عبيد الله من فقراء قريش ، وقد بسط الله الرزق لطلحة حتى بلغت غلته من ماله كل يوم ألف درهم ، وبسط هو يديه للإنفاق ، فلم يرضن بمال الله على عباد الله حتى كان يعطى من غير مسألة ، وتلك شيمة الكرماء . روى الحميدى فى الفوائد بسنده عن قيس بن أبى حازم قال : صحبت طلحة بن عبيد الله ، فما رأيت رجلا أعطى للجزيل مال من غير مسألة منه . وكانت له يد مشكورة على الدعوة الإسلامية استحق بها أن ينفعته رسول الله بخير الألقاب وشريف الصفات .

روى أبو بكر بن عاصم بسنده عن طلحة أنه قال : « سماني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض ، ويوم حنين طلحة الجود » . وما ذلك إلا لكثرة جوده وبره . وقد صارت هذه الأوصاف سمات له فى العصر الذى كانت تسوده الصراحة وقول الحق . ويندر - إن لم ينعدم - فى ذلك العصر المداينة والإسراف فى إضفاء الألقاب بدون مسوغ . وكان مما قاله على كرم الله وجهه عند وقعة الجمل : « منيت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة بن عبيد الله ، وأشجع الناس الزبير ، وأطوع الناس فى الناس عائشة ، وأسرع الناس إلى قتة ، يعلى بن منية ... » ، وسمع على رجلا ينشد :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال : ذلك أبو محمد طلحة بن عبيد الله ، وكان طلحة رضى الله عنه رجلا آدم - وقيل أبيض - حسن الوجه ، كثير الشعر ، ليس بالجعد القطط ولا السبط ، لا يغير شيبه ، مربوعا إلى القصر أقرب ، رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعاً . وهذه الصفات الأخيرة من أمارات القوة والجلادة والتحمل . ومن المواقفات اللطيفة ما قيل من أن طلحة تزوج أربع نسوة أخت كل منهن عند النبي ﷺ : أم كلثوم بنت أبي بكر ، أخت عائشة . وحمنة بنت جحش ، أخت زينب . والفارعة بنت أبي سفيان ، أخت أم حبيبة . ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة .

إسلامه

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وما أن عرض عليه الرسول الإسلام حتى سارع وأذعن ولم يتلعم ، ولم يكتف الصديق بإسلامه فحسب ، بل بذل نفسه وماله في سبيل الله ، ونصب من نفسه داعية إلى الإسلام . وكان له من دماثة خلقه وحلو شئائه وبره وكرمه ورجاحة عقله وعلوه بأنساب قریش وما فيها من خير وشر ما أعانه على القيام بهذه المهمة الشاقة الجليلة ، فأسلم على يديه نفر من السابقين الأولين ، ومن هؤلاء طلحة بن عبيد الله . وكان طلحة رجل أسفار بسبب تجارته ، فساقته الأقدار إلى سوق بصرى ، والتقى هناك براهب من الرهبان فسمع منه البشارة بظهور نبي آخر الزمان وأغراه باتباعه وحذره من أن يفوته شرف السبق إليه ، ففعل طلحة مسرعا حتى قدم مكة فأتى أبا بكر فدعاه أبو بكر إلى الإسلام وصحبه إلى رسول الله ﷺ فشرح الله صدره للإسلام . روى محمد بن عمر الواقدي بسنده عن محمد بن طلحة بن عبيد الله قال : قال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلت : نعم أنا . فقال : هل ظهر أحد بمسد ؟ قلت : ومن أحد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحره ^(١) وسباخ فإياك أن تسبق إليه . قال طلحة فوقع في قاي

(١) ومصدق ذلك من كتاب الله [الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل] الآية ١٥٧ من الاعراف . وقوله [وإذا قال عيسى بر مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد] سورة الصف الآية ٦ .

ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت . هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم ، محمد ابن عبد الله الامين قد تنبأ وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال : فخرجت حتى قدمت على أبي بكر فقلت : اتبعت هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلق لى فادخل عليه فاتبه ، فإنه يدعو إلى الحق فأخبره طلحة بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة . وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر بذلك ، (١) .

ولم يَسلم أبو بكر وطلحة رضى الله عنهما من أذى جبارة قريش ، فقد كان نوفل ابن خويلد بن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - يأخذهما فيشدهما في جبل واحد ولا تستطيع بنو تيم أن تمنعهما منه ، فلذا كان يقال للصديق وطلحة « القرينان » وحسبهما شرفاً أن يلزما في قرن واحد في سبيل العقيدة والدين ، وحسب طلحة فخراً أن يكون قريناً للصديق وصنوا له .

روايته الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد جمع طلحة إلى شرف الصحبة شرف الرواية عن رسول الله ، فقد أخذ عنه كثيراً من الأحاديث النبوية التي هي مبعث الهدى والعلم ، وحفظها ووعاها وبلغها لمن جاء بعده . وروى عن طلحة بنوه : يحيى وموسى وعيسى ، وقيس بن أبي حازم وأبو سلمة بن عبد الرحمن والاحنف ومالك بن أبي عامر وغيرهم .

جهاده في سبيل الاسلام

ذكرنا آنفاً أن طلحة بن عبيد الله من السابقين الاولين الذين سارعوا إلى الإسلام . ولما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة هاجر إلى المدينة . ولما آخى رسول الله بين المهاجرين والانصار إخاء الارتفاق والمودة والنصرة آخى بينه وبين السيد الجليل أبي أيوب الانصارى ، وقيل آخى بينه وبين كعب بن مالك . وقد ساهم في بناء صرح الإسلام الشاخص بنفسه وبماله . وكانت له مواقف مشرفة لا تنسى له ما بقى مسلم على وجه الأرض .

وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، إلا بدراً . وقد اختلف في سبب تخلفه عنها ، فقال الزبير بن بكار : إن تخلفه كان بسبب اشتغاله بتجارة له في بلاد الشام . وقيل : إن السبب في ذلك أنه كان يتجسس الاخبار للمسلمين .

قال الواقدي : بعث رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ، ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر . (١) وهذا الخبر الثاني هو الصحيح ، ولهذا ضرب له رسول الله صلوات الله عليه بسهمه وأجره من بدر .

وقد روى ابن سعد وموسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : لم يشهد طلحة بدرأً وقدم من الشام بعد رجوع رسول الله من بدر ، وكلم رسول الله ﷺ في سهمه فقال : لك سهمك ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك . فلولاً أن خروجه كان في مصلحة الدعوة الإسلامية لما ضرب له رسول الله بسهمه وأجره . وإذا كانت البطولة تقاس بكثرة حضور المواقع والغزوات وإجادة الطعان والزال ، فإنها تقاس أيضاً بالثبات حين يشتد الهول ويعظم الخطر وتحقق بالشخص أسباب الموت . ورب يوم إذا وزن بعشرات الأيام رجحها وزاد عليها . ولئن كان طلحة شهد المشاهد كلها عدا بدرأً فله من هذه الأيام يوم مشهود وهو يوم أحد ، فإنه لما دارت الدائرة على المسلمين بسبب مخالفتهم أمر الرسول ، ونادى مناد : أن محمداً قد قتل ! وفرّ أناس من لم قدم ثابتة في الإسلام لهول الموقف ، ووقع هذا النبأ على نفوسهم ، لم يثبت مع النبي ﷺ إلا عصابة قليلة من عصمهم الله من الفرار ، منهم الشهم الوفي طلحة بن عبيد الله ، فقد وفى بنذره حين يمز الوفاء وفدى رسول الله بنفسه ودافع عنه دفاع الأبطال ، حتى قطعت لإصبعه وشلت يده ووجد بجسمه بضعة وسبعون جراحة ما بين طعنة أو رمية أو ضربة . روى البخاري بسنده عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي ﷺ . وفي مسند الطيالسي من حديث عائشة عن أبي بكر قال : أتينا طلحة بن عبيد الله فوجدنا به بضعا وسبعين جراحة وإذا قد قطعت أصبعه .

وقد كان رسول الله ﷺ يعلم من طلحة جلده وصبره عند اللقاء ويدخره لوقت اشتداد الكرب والبلاء . روى الإمام البيهقي في الدلائل بسنده عن جابر قال : نهزم الناس عن رسول الله يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله : فقاتل عنه . وصعد

رسول الله ومن معه ، ثم قتل الانصارى فلقموه فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله الاول . فقال رسول الله مثل قوله : فقال رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل وأصحابه يصعدون تم قتل فلقموه ، فلم يزل يقول مثل قوله الاول ، ويقول طلحة أنا فيحبسه ، فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة ، فغشوهما ، فقال رسول الله : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كانوا قبله ، وأصيبت أنامله فقال : « حس » ، فقال رسول الله : لو قلت « بسم الله » لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء . ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون .

ولما نهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد ظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع لسكثرة ما نرف من دمه ، فطأ له طلحة بن عبيد الله على ما به من جراح فنهض به حتى استوى عليها ، فحينذاك قال الرسول - فيما رواه الترمذى عنه - : « أوجب طلحة » .

وقد عرف رسول الله ﷺ لطلحة هذا اليوم المشهود ، فقد روى أن ناسا من أصحاب رسول الله قالوا لأعرابي جاء يسأل عن قضى نخبه : «^(١) سل رسول الله ، فسأله في المسجد فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم طلع طلحة من باب المسجد وعليه ثياب خضر فقال رسول الله : أين السائل ؟ قال : ها أنذا . فقال « هذا من قضى نخبه » ، وفي رواية ابن أبي حاتم ما يفيد أن هذه القصة كانت عقب الرجوع من أحد «^(٢) . كما عرف الصحابة لطلحة هذا اليوم . وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد قال « ذاك يوم كان كله لطلحة » . وكان على كرم الله وجهه إذا سئل عن طلحة قال : ذاك امرؤ نزل فيه قول الله تعالى « فنهض من قضى نخبه ومنهم من ينتظر » .

وفي غزوة تبوك وكانت وقت الجهد والحر وقلة الظهر خطب رسول الله ﷺ حاثا على الانفاق ، فجادت أريحية طلحة بمال كثير .

(١) النخب النذر والعمد . والمعنى وفي بعده . وقد كان طلحة ممن عاهد رسول الله على الموت يوم أحد فوفى بالعمد . ويطلق النخب على الموت . وقد فسر الآية الكريمة بكل من المعنيين . وحمل الآية على المعنى الاول هو الذى يوافق هذه الرواية . (٢) تفسير ابن كثير جزء ٦ ص ٥٢٧ ط المنار .

ولما علم رسول الله ﷺ أن بعض اليهود اجتمعوا في بيت سويلم اليهودي يتآمرون ويثبطون الناس عن الخروج في جيش الرسول ، نذب لهم طلحة في نفر من أصحابه وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت ، فامثلوا أمر الرسول وقضوا على الشر قبل استفحاله . فلهذه الحياة الحافلة بصعائف من البطولة وجلال الأعمال وأنها لمثل يحتذى لمن يفتد الرجولة الحق والوفاء .

وفاته

كان طلحة رضى الله عنه ممن خرج مع السيدة عائشة أم المؤمنين إلى البصرة لينثروا من قتل عثمان رضى الله عنه . وكان ما كان من أمر موقعة الجمل . وقد لقي على طلحة قبيل الموقعة خاجه وذكره بأشياء من سوابقه وفضله — وكان الرجل يفتد الحق . ويطلبه ولم يكن خروجه إلا عن اجتهاد منه لا عن هوى وشهوة — فابلى أن استجاب لعل واعتزل القتال والصفوف ، فلم يلبث أن جاءه سهم فوق في ركبتيه وانتظم المم مع ساقه خاصرة الفرس لجمع به حتى كاد يلقيه وهو يقول : إلى عباد الله ! فأدركه مولى له ، فركب وراءه وأدخله البصرة فأت بها . ويقال إنه مات بالمعركة ، وإن عليا لما رآه بين القتلى تألم وجعل يمسح التراب عن وجهه وقال : « رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز على أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء » . ثم قال : « لوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » .

وقد عاش طلحة حميداً ومات شهيداً . روى أبو القاسم البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فليتنظر إلى طلحة بن عبيد الله ، وكفى طلحة جزاء » وفقاً أن يكون جاراً لرسول الله في الجنة . روى الترمذى بسنده عن علي كرم الله وجهه قال : سمعت أذنأى رسول الله ﷺ يقول : « طلحة والزبير جارأى في الجنة » ، والزبير كان ممن ثبت مع رسول الله يوم أحد ووفى بئذره ، وقد كانت وفاته يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة وكان عمره حين استشهد اثنتين وستين سنة وقبل أربعاً وستين سنة . فسلام عليه في الأولين ، ولسان صدق له في الآخرين ، وأمان له من مولا يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟

محمد محمد أبو سهرية

المدرس بكلية أصول الدين

تَبَدُّدُ الْمَخَافِ

مِنْ إِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ

من طول ما هجر الناس الروح الدينية في المجتمع ، وتغلّبت الإباحية في ثوب براق من الحرية الزائفة في الأمم المتقدمة ، وانتقلت هذه العدوى إلى الشرق مهد الأديان والأنبياء ، وقعت الوحشة بين الناس ودينهم ، حتى عند بعض المتدينين أنفسهم ، فكيف بمن نشأوا بعيدين عن التربية الدينية في إباحة وحرية من كل قيد إلا ما تقيدهم به قوانين بلادهم بحسب ما يلتزمون من ذلك ظاهراً ويتحللون منه باطناً في سلوكهم الشخصي ، ويعود ذلك بالضرر الويل على ما في أيديهم من مصالح الوطن وحقوق الشعب .

وهذا هو حال كثير من أبناء هذا الجيل بين سمعنا وبصرنا يتولى المرء منصبا من مناصب حماية الآداب وهو في دخيلة نفسه شر معول على الآداب ، ويتولى الأمانة على أموال الدولة وهو اللص الذي يختلس خفية من هذه الأموال ، كل ذلك لأنه لا يحمل في نفسه عقيدة ولا إيمانا يحملانه على حرمة الواجب وحق الوطن .

ومن قبل هذا العهد الذي وفدت إلينا فيه وافدات الغرب وعدواه كان إسناد الوظائف والمصالح إنما يوكل أولا وقبل كل شيء إلى الرجل المتدين الأمين ، وكان الرجل إذا وقعت منه شائنة أو عرف بسوء الخلق أو اقتراف المعاصي نزع من عمله ، علماً بأن استقامته في العمل لا تكون إلا عن استقامته في نفسه ودينه ، ومن ليس له دين ليست له أمانة ، ومن هنا كانت لا توجد اختلاسات في المصالح ولا في أموال الأمة ، ولا يقع فساد مثل هذا الفساد الذي برزت قروونه في الثلاثين السنة الأخيرة واكتشفته النهضة الحديثة في كثير من المصالح وفي كثير من الشخصيات التي تحتال في حلل الثقافة والتربية الغربية اللادينية .

وإبليس الاستعمار الرجيم هو أول من وضع في مصر أن مقياس الموظف ليس خلقه الشخصي وإنما هو نشاطه وعمله ، وكل إنسان حر في شخصه وأخلاقه الخاصة به . مبدأ وضعه الاستعمار في مصر منذ وضع أقدامه فيها فنبت وامتدت أغصانه في جميع المصالح وأصبح هو المعيار الذي تقاس به قيم الموظفين في الحكومة ، ومنه سرت المقاييس في قيم الناس

ودرجاتهم عامة بعد أن كانوا يقاسون بالصلاح والتقوى والأمانة والعفة إلى آخر الفضائل الدنيوية ، ولا يبلغ الرجل درجة الاحترام بين مواطنيه إلا بذلك .

فأصبح ناس من الحكام في مصر بعد الاستعمار مباشرة يجاهرون بالمعاصي والفسوق وقلة المبالاة بالآداب الدينية ، والحكام هم قدوة المواطنين ، فانزوى الدين وآدابه وأهله ، وضعفت القيمة الروحية ، وكسدت سوق الفضائل ، وعاد ذلك بالضرر القادح على الأمة ومصالحها ، حيث ارتفعت دولة الأشرار الفساق وفي يدهم مصالح العباد ، وفي ذلك مكسب ضرورى للاستعمار لاجل أن يلجأ إليه المواطنون بالشكوى من حكاهم هؤلاء المستبدن المستهترين ، وتوسع هوة الخلاف بين أبناء الوطن ، ويتسلط المستعمر الغريب ، وقد حصل .

وصدق الله العظيم فيما حكى عن بلقيس : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » . كذلك صار جانب الدين والخلق والأمانة والعفة في مصر دليلاً معدوماً منذ حل بها الاستعمار ، وما سلبت أمة دينها وأخلاقها إلا حلت الوحشة والفرقة بين أبنائها ، وحل التخاصم والتنازع محل التراحم ، حيث ذهب لمة ما بين الناس وهى الدين ، لأن الدين رحم بين أهله .

وإذا ضربنا المثل بما كشفته لجان التطهير في أيامنا هذه من فساد امتد إلى إضرار الجيش الذى كان من حقه عايناً أن يفدى بأرواح الأمة بدل إضراره وإدخال الغش عليه ، وهو فى حرب مع العدو ، بتقديم الأسلحة الفاسدة إليه ، واختلاس فروق الثمن إلى جيوب الموردين للأسلحة ، ضربناه لاسوأ الأثر فى انتزاع الروح الدينية والخلقية وروح الأمانة من الأمة بيد الاستعمار الأثيمة ، فماذا ينتظر القارىء بعد ؟

ولعل المثل البارز لقلة الدين الذى خلق فى جو الصحف العالمية ، وأصبح حديث المنتديات عن مصر ، وسيكون مادة للسمر والروايات فى مستقبل الأيام والقرون ، مثل الطاغية السابق الذى أغرق فى الفسوق والعصيان ، هو أكبر ما ينمى به على سلب مصر من شرفها الأخلاقى وروحها الدنيوية الكريمة التى لو كانت كسابق عهدها فى التمسك بالدين وآدابه حينما كان يتقد العلماء على أعواد المنبر فى خطبة الجمعة أعمال السلطان ، فيقوم السلطان ويقبل أيديهم ويبكي إليهم وينيب ، لكان لمصر شأن غير هذا الشأن ، ولكان الدين له السلطان على نفوس الكافة من حكام ومحكومين ، ولبرزت آدابه وأحكامه الرحيمة الحكيمه ناصعة

تتلقفها الشعوب والأمم حينما يرونها رحمة للعالمين ، لأن الناس لم يعرفوا بعد سلطان الإسلام حينما يكون نافذاً نفوذاً سليماً صحيحاً يوزع العدل بين البشر على السواء ، ويحارب الجمل والفقر والمرض ، ويرفع الإنسانية من أرحال المبادئ المتضاربة المثيرة للحروب وزلزلة الأمن العام .

وما ظهور الشيوعية واستفحال أمرها واتهامها كثيراً من الشعوب ووقوفها على قدم وساق لحرب العالم إلا نتيجة اضطهاد الدين في الغرب والإفراط في الانحلال الخلقي حتى بلغ الذروة ، وتطور في روسيا بأسباب اقتصادية وخلقية إلى هذا الوحش المخوف .

ولو أن الذين مقتوا الدين في الغرب وسامتهم طقوسه وألوانه ولم يهضموا تعاليم القسس والسكبان بدل أن يكفروا بالدين كله وينطلقوا في أعنة الانحلال وهم يعلنون أن الدين ضرورة اجتماعية لا يصلح بدونها البشر ، كانوا يبحثون عن دين آخر ، ولعل أحدث دين وهو دين الإسلام كان أقرب إلى متناولهم وليس فيه ما يمتنون ، فلا كهانة فيه ولا سيطرة لرجال الدين ولا احتكار لتفسيره ومعانيه .

وكله دين متفق مع الفطرة ومع المبادئ التي اهتدى إليها البشر بعد الدماء المستبحرة من الحرية والعدالة والمساواة وسائر الفضائل البشرية السليمة وعدالة الحكم التي لا تعرفها الأمم ودعم الالفة بين أبناء الوطن الواحد بله أبناء الإنسانية حتى يشعر العالم بأنه جسد واحد فترفع الخصومات ويقضى على الحروب وتنضافر إمكانيات العالم في خدمة الإنسانية . ولا زال الباب مفتوحاً لذلك قبل أن تفشب الحرب العالمية الثالثة . ومصر وأزهرها الشريف هما صاحبا الاختصاص العالمي في دراسة الإسلام وأنه دين السلام ودين الرحمة للإنسانية ، فكيف يخاف منه إذا طالب به مطالب ، فلا بد من عقد مؤتمر عالمي من رجال الاجتماع والاقتصاد ورجال السلام ومقاومة الحروب ورجال الدين الإسلامي من مصر وغيرها لدرس الإسلام كدستور عالمي للبشر يخفف ويلات الحروب ويدفع في صدر الشيوعية وليظهر به تبديد هذه المخاوف التي تمتدور الأجانب في مصر حينما يسمعون بالدعوة إلى إحياء العمل بالإسلام فيظنونهم وحشاً سيخرج عليهم يأكلهم ، فهل يرضى علماء المسلمين أن يعتقد الناس في الإسلام أنه وحش مخوف بينما هم يعتقدونه بحق أنزل رحمة للعالمين .

محمد عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

الحديث النبوي

مقاصده ، ألفاظه ، معانيه

٢ — والكلام النبوي شيء جل عن الصنعة ، لأن الصنعة إنما تعوز ما فقد الحسن الذاتي فاحتاج إلى تجميل عرضي ، فأما الكلام الصادق في بلاغته الذي يجري مع النفس سهولة ويسرا ، فهو غني عن كل ذلك . وليس معنى هذا أن الكلام النبوي خلا من المحسنات ، ولكنها تجيء عفواً في كلامه فتكون حسناً على حسن ، كقوله « أسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله » . وقوله للأَنْصار « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلثون عند الطمع » ، وفي هذا الحديث مقابلة وجمع في غاية الحسن ونهاية الإفادة ، وغيره كثير في كلامه ، ولكنه لا يوصف بصفته ، والتنزه عن التكلف متصل بذلك إلا أن التكلف أوسع دائرة ، فهو صلى الله عليه وسلم ما كان يعاني جهداً ولا مشقة ، ولا كان يعد لموقف من المواقف كما كان غيره من الخطباء أو الكتاب أو الشعراء ، بل كان يقتضب في المناسبات — وكل حياته صلى الله عليه وسلم مناسبات طارئة — ، وهذا من المعاني العجيبة في صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فقد كان يقع الأمر وهو في أصحابه في سفر أو حضر فيقف موقفه فما يشعر الناس إلا وقد هدأت نفوسهم وتحولت اتجاهاتهم ونسوا رعوناتهم وانقادوا للسيد الكريم صلى الله عليه وسلم وكان يحضر أحياناً بعض الخصوم للد أو الخطباء الوافدون يعد كل موقفه بين يدي هذا الزعيم الأعظم عدته من متخيرات الأغراض والألفاظ والمعاني ، فربما أوجز وربما أطنب ، والرسول ومن حوله يسمعون ، فإذا سمع الفصل والقول الجزل ، والحكمة البالغة ، والعذوبة السائلة في كلام محمد صلى الله عليه وسلم خر لها رأسه ورءس السامعين ساجدين ، ما استطاع أحد أن يأخذ عليه ما أخذ على غيره من عثرة لسان أو خفة جنان ، ولا كلمة كان ينبغي أن يكون غيرها ، ولا جملة زادت أو نقصت عن حاجتها .

ذلكم هو محمد المحدث الملمم ، والمؤيد الأعظم ، وكان ذلك عاملاً أعظم من سواء في نشر دعوته ، وصيرورة سمعته ، لأنه في قوم لد يتفاخرون بالبيان ، ويتحدون برجاجة الأحلام . والبلاغة أكبر مظاهرها ، وأعظم ظواهرها .

لقد كان حديثه في الاضطراب سكناً للنفوس ، وفي الضلال هداية ، وفي الفقر غنى ورضا ، وفي المرض سلامة وعافية . ولهذا كانوا يزعمون أنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه ، ولعمر أبيهم لقد كان سحراً حلالاً يفرق بين الضلال والهدى ، وبين الشقي والسعيد .

٣ — ولهذا كله كان ﷺ في غنى عن أن يستعمل الغريب والوحشى ، فهو إنسان يرفض الإيجاش ، ويتودد بالإيناس ويكره الأذى ، ولا يحب أن يشق . وفي الغريب والوحشى إيجاش وأذى ومشقة ، وإنما يحتاج إليه أحق قد حاد عن القصد ، أو جاهل لم يجد ما يستعمله من اللفظ العذب ، أو جاف جلف لا يبالى أن يقسو في قوله كما يقسو في فعله .

وقد نزه الله محمداً ﷺ من كل ذلك ، وسخر له لغة العرب يتخير منها ويتصرف فيها ويبدل سيئاتها حسنات ، كما فعل ذلك في كل الجهات . ومن قرأ له ولغيره من الكتاب قبله أو معه أو بعده ، وكذلك من الخطباء والشعراء ، رأى كيف كان وصفه في البيان ، ووضعه من هذا الميزان ، فلا غرو أن يصفه الجاحظ بأنه شدد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وبأن الله ألقى على كلامه المحبة ، وجمع له بين القبول والمهابة ، لأنه سهل في إدراكه وفهمه ، صعب على طالع لحاقه ودركه .

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

٤ — على أنه ﷺ كان يحمى تلك العذوبة عن كل ما ينزل بمستواها إلى حد التبذل ، وإنما هو في الحد الوسط . وإنما المبذل لا يتفق مع البلاغة في كلام العامة فكيف يكون في كلام سيد الأمة .

وعلى أتقى أستطيع بعد ذلك أن أعود بك إلى ما أشرت إليه في جملة ما سبق من أنه ﷺ استعمل الغريب الفسبى ، والوحشى الإضافى ، معنى ذلك أنه كان يخاطب غير القرشيين بلغتهم توفيقاً من الله وتعلماً ، واستكمالاً لأدوات البلاغ ، في البلاغة التى هى إيصال المعنى إلى السامع من أقرب طريق وأوضحه . وتلك ميزة خاصة أيضاً له ، وهى مما كان مثار العجب بين أصحابه . وفي البيان والشفاء وغيرهما من كتب الأدب الشيء الكثير من ذلك الباب .

قال القاضى فى الشفاء : إنه علم السنة العرب ، يخاطب كل أمة بلسانها ، ويحاورها بلغاتها ويأريها فى مزع بلاغها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه عن شرح كلامه . ومن تأمل حديثه وسيرته علم ذلك ، فليس حديثه مع قریش والانصار وأهل نجد والحجاز ككلامه مع ذى الشعار الحمدانى^(١) وطهفة النهدي^(٢) الخ ، ما عدد . وأورد على ذلك عدة شواهد منها

(١) مالك بن نخط ذميم بنى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين .

(٢) سيد بنى أيضا .

في كتابه إلى همدان « إن لكم قراءها ^(١) ووماطها ^(٢) وعزازها ^(٣) تأكلون علافها ^(٤) وترعون عفاهها ^(٥) ، ثم لك أن ترجع إليه ولإي غيره من كتب السير وإلى البيان والبيان إن شئت التوسع في ذلك .

٧ — على أن في كلامه ﷺ من قيود الدين والآداب والمنطق ما كان جديراً أن يحدث ضيقاً في مجال البيان ، أو ضحكاً في معترك الحجاج . فإن التحلل من القيود ضرب من اليسر على المتكلم شاعراً أو كاتباً أو خطيباً أو محاوراً . ولكن السيد الرسول مع هذه القيود لم تقع له في كلامه زلة ، ولم يسمع بما هو أعم منه نفعاً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فوائده . كان ﷺ يتقيد بالصدق فيما يقول ، وبمجانبة الخيال والحلافة ، وبما يعرفه الخصم إذا كان في مقام خصومة ، ولسكنه مؤيد ملهم ومبلغ معزز مكرم . ولعل قد أطلت على القارئ الكريم ولكني لا أترك المجال حتى أقرى ذهنه بشيء من أدب النبوة : فما لم يشارك فيه ﷺ ما أورده من قوله « يا خيل الله اركبي » ، « حمى الوطيس » ، « مات خف أنفه » ، « كل الصيد في جوف الفرا » ، « هدنة على دخن » ، « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين » .

ومن أدعيته الفخمة المفخمة المعبرة عن كل ما في نفوس المؤمنين الصادقين :
 « اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك ، فأعطنا منها ما يرضيك عنا .
 « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .
 « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ،
 ومن عمل لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع .
 ومن بارخ المجاز والتشبيه في قوله :

« بحث في نفس الساعة » ، « اليد العليا خير من السفلى » ، « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، « الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » ، « أنتم الشعار والناس الدثار » ، « الناس معادن : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .
 ولو شئت أن أعرض لبعض مطولات الأحاديث أو الخطب إذآ لطلال المدى . وامتنع الشوط ، وضاق النطاق ، فإلى فرصة أخرى إن شاء الله .

محمود التوازي

المفتش بالأزهر

(١) ما اوتفع من الأرض . (٢) ما اطمان منها . (٣) ما صلب .
 (٤) ما تأكله المشاة . (٥) ما صفا منها .

هل للمرأة أن تبأثر الوظائف العامة حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

عادت مسألة المرأة إلى الظهور ، على مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية ، وعادت المرأة نفسها تنادى بأن لها حقوقا معينة ، ومن هذه الحقوق أن تكون عضواً في البرلمان ، ووكيلاً للنائب العام ، وضابطاً من ضباط البوليس ، ومحضراً يعلن الأحكام ويباشر عمليات الحجز التحفظي أو الحجز على مختلف أنواعه . وهي تقول في هذا المقام : إنه ليس بدعا في تاريخ الأديان ، ولا في فقهه التشريع أن تبأثر مثل هذه المهام الاجتماعية والسياسية ، وخاصة في هذا العصر الذي استطاعت المرأة فيه أن تظفر من الحقوق العامة بحق المساواة والحرية . ويمكن أن يقال في مقام التدليل على صحة هذه الدعوى إن الحكومة قد وافقت أخيراً على أن تنشئ المرأة حزبا سياسيا ، وهذه الموافقة فيها اعتراف ضمني بأن الحكومة قد أقرت المرأة على وجهة نظرها . ولكن فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر يرى أن في هذا قلبا للأوضاع المنطقية ، وأن المرأة قد جاوزت في هذه الدعوى القدر المحدود لها بحكم طبيعتها في الحياة العامة .

وقد استهل فضيلته حديثه في هذا الموضوع الخطير بالسؤال عن الغاية التي تهدف إليها المرأة من وراء هذه الدعوى ، وقال : هل تريد أن تهجر البيت لتقضى وقتها بين الاندية والمجتمعات والمحافل السياسية في مناقشة القوانين ، وفيما يجب أن يفرض من العقوبات ويرسم من الحدود ، وما إلى ذلك من مسائل التشريع والتقنين . إن كان هذا مقصدها ، فهل لها أن ترشد أهل الصواب والمنطق والحق في أي عصر إسلامي كان هذا ؟ وفي أي عهد من العهود التي ازدهرت فيها تعاليم الإسلام وانتشرت أحكامه ومذاهبه تولت المرأة شئون الولاية العامة ؟!

ثم استورد فضيلته فقال : إن الشريعة الإسلامية تحرم اختلاط المرأة بالرجال . والدعوى بمنح المرأة حقاً سياسياً إنما هي وسيلة من وسائل الاختلاط تريد المرأة في هذا العصر أن تتذرع بها لتكسو اختلاطها بالرجال ثوب المصلحة العامة ، وهذا عمل لا تقره الشريعة الإسلامية ، وليس جائزاً في أي مذهب من مذاهبها ، لأن الشريعة قد فطنت إلى

ما ينجم عن اختلاط المرأة بالرجل من مضار اجتماعية وخيمة ، ومن شرور لوقلنا إنها محتملة الوقوع لكان ذلك الاحتمال كافيا لمنعها ودرئها . وإذا كانت المرأة تريد في سبيل تبرير دعوتها أن تلجأ إلى السباب وإلى الفضيحة من أقدار سلف العلماء والطنن عليهم والنيل من كرامتهم وتحقير شأن من يريد أن يبصرها بالصواب والرأى السديد ، فإنما تكون قد أقامت الدليل القاطع على أنها لا تصلح عضوا في معترك الحياة ، لأن مثل هذا الطريق لا يلجأ إليه إلا من ضعفت حجته واختلطت عليه موازين الأشياء ومقاييس الأمور .

ولقد سبق أن أفتت لجنة الفتوى في الأزهر ، فتوى شرعية بينت فيها بمختلف طرق التبيين : على مختلف الآراء الفقهية ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات ، وفصلت لها نوع الولاية ، وعرفت أن الولاية العامة هي السلطة الملزومة في شأن من شئون الجماعة ، كولاية سن القوانين ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك ، وقالت : إن الشريعة الإسلامية قد قصرتها على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة ، وزادت على ذلك في مقام التبيين أنه لم يثبت أن شيئا من هذه الولايات العامة قد أسند إلى المرأة ، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال ، وقد كان في نساء الصدر الأول مثقفات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال ، كأمهات المؤمنين ، وسأقت قصة سقيفة بني ساعدة ، في اختيار الخليفة الأول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ بويع أبو بكر البيعة العامة في المسجد ، ولم تشارك امرأة مع الرجال في مداولة الرأى ، في السقيفة ولم تدع لذلك .

وقد أفاضت لجنة الفتوى في بيان أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بما يجب أن تمتنع منه المرأة من الوظائف العامة ، ودعمته بالبراهين القطعية ، والأسانيد التاريخية ، والأدلة اليقينية . وكان المأمول أن تقف المرأة عند حدودها التي رسمتها لها الشريعة الإسلامية ، في بلد إسلامي ، ودولة إسلامية ، وأن تعمل من جانبها على أن تسترشد بما يراه أهل الرأى من الفقهاء في أمرها ، فتلزم بيئتها في رعاية زوجها وكنفه ، ولكنها عادت مرة ثانية إلى المناداة بوجوب منحها حقوقا سياسية معينة ، ومع أن الشريعة الإسلامية قد أفسحت لها الطريق في كل ما يتعلق بمسائل الولاية الخاصة ، وقد ساوتها بالرجل في هذا النوع من الولايات ، إذ جعلت لها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والرهن والإجارة ، وغير ذلك من مختلف ضروب التصرفات ، وأجازت لها الوصاية على الصغار والولاية على المسال والنظارة على الأوقاف ، إلا أنها لم تقنع بما رسمته لها الشريعة الإسلامية وأرادت أن تدفع

نفسها بنفسها ، وأن ترسم الطريق حسب أهوائها وغاياتها ، لتتولى وظائف الدولة التي تدخل في نطاق الولاية العامة ، كسن القوانين ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام . الخ .

ولإذا كانت الشريعة الإسلامية قد جعلت القوامة على النساء للرجال ، وقد قال الله تعالى : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، ، وجعلت حق طلاق المرأة للرجل وحده ، ومنعتها السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأمونة ، وجعلت لها حق حضانة الصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعة والجهاد ولم توجب عليها شيئاً من ذلك . أقول إذا كانت الشريعة الإسلامية قد رسمت لها حدودها وبينت لها مهمتها فما بالها تريد أن تخرج على أحكامها لتزج بنفسها في انتخاب تدافع فيها وتدفع ، وتختلط في ميدانها بالجماعات والافراد من الرجال ، وهي بطبيعة أئوتها غير مأمونة ولا معصومة . وما بالها تريد أن تثير حولها الزواجر وتخوض المعامع ، في الوقت الذي كفتها فيه الشريعة مؤونة السكفاح وجنبتها مواطن الزلل ، ورسمت لها من الحدود ما يتكافأ وطبيعتها في ميدان العمل المنتج المفيد لها وللجماعة التي تعيش فيها .

وأعتقد أنه من المستحسن أن أسوق بعض ما رأيته لجنة الفتوى في مقام التدليل الفقهي على منع المرأة من الاشتغال بوظائف الولايات العامة ، فقد استندت إلى ما رواه البخاري في صحيحه وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي في سنده والترمذي في جامعه . قال البخاري : حدثنا عثمان بن الهيثم ، قال : حدثنا عوف عن الحسن البصري عن أبي بكرة ، قال : لقد نفعني الله بكلمتين أيام الجمل ، لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن فارس ملككت ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، ، وقد ذهبت اللجنة في استنتاج المراد من هذا الحديث وفي استنباط دلالة العامة مذهب صدق فقالت : إن الرسول ﷺ لا يقصد بهذا الحديث مجرد الإخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم لأن وظيفته عليه الصلاة والسلام بيان ما يجوز لأئمه أن تفعله حتى تصل إلى الخير والفلاح ، وما لا يجوز لها أن تفعله حتى تسلم من الشر والخسار ، وإنما يقصد نهى أمته عن مجازاة الفرس في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة ، وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم وانتظام شملهم على الامتثال ، وهو أسلوب القمع بأن عدم الفلاح ملازم لنولية المرأة أمراً من أمورهم .

ولا شك أن النهى المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة في أى عصر من العصور أن تتولى أى شئ من الولايات العامة ، وهذا العموم تفهده صيغة الحديث وأسلوبه كما يفهده المعنى الذى من أجله كان هذا المنع .

وهذا هو ما فهمه أصحاب الرسول ﷺ وجميع أئمة السلف ، لم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قوما ولا شأنا من الشئون العامة ، فهم جميعاً يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة الإمامة الكبرى والقضاء وقيادة الجيوش ، وما إليها من سائر الولايات العامة .

هذا الحكم المستفاد من هذا الحديث ، وهو منع المرأة من الولايات العامة ، ليس حكماً تعبدياً يقصد مجرد امتثاله دون أن تعلم حكمته ، وإنما هو من الأحكام المعللة بمعان واعتبارات لا يجهلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعى الإنسان : الرجل والمرأة ، ذلك أن هذا الحكم لم ينط بشئ وراءه ، إلا نؤنثه ، التى جاءت كلمة « امرأة » فى الحديث عنواناً لها ، وإذا فالأنوثة وحدها هى العلة فيه .

وواضح أن الأنوثة ليس من مقتضاها الطبيعى عدم العلم والمعرفة ولا عدم الذكاء والفتنة ، حتى يكون شئ من ذلك هو العلة ، لأن الواقع يدل على أن للمرأة علماً وقدرة على أن تعلم كالرجل وعلى أن لها ذكاء وفتنة كالرجل ، بل قد تفوق الرجل فى العلم والذكاء والفهم . ؟ فلا بد أن يكون الموجب لهذا الحكم شيئاً وراء ذلك كله .

إن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت لأجلها ، وهى مهمة الأمومة وحضانة النشء وتربيته ، وهذه قد جعلتها ذات تأثير خاص بدواعى العاطفة ، وهى مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها فى الأشهر والأعوام من شأنها أن تضعف قوتها المعنوية ، وتوهن من عزيمتها فى تكوين الرأى والتسك به والقدرة على الكفاح والمقاومة فى سبيله ، وهذا شأن لا تنسكه المرأة من نفسها .

ولا تعوزنا الأمثلة الواقعية التى تدل على أن شدة الانفعال والميل مع العاطفة من خصائص المرأة فى جميع أطوارها وعصورها .

فقد دفعت هذه الغرائز المرأة فى أسنى بيئة نسوية إلى تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة .

وآيات من سورة الاحزاب تشير إلى ما كان من نساء النبي ﷺ وتطلعن إلى زينة الدنيا ومتعتها ، ومطالبتهن الرسول أن يغدق عليهن بما أفاء الله به عليه من الغنائم حتى يعشن

كما تعيش زوجات الملوك ورؤساء الأمم ، لكن القرآن قد ردهن إلى مقتضى العدل والحكمة ، من ذلك : يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما .

وآية أخرى من سورة التحريم تحدث عن غيرة بعض نساءه عليه الصلاة والسلام ، وما كان لها من الأثر في تغليبهن العاطفة على العقل ، مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على الرسول ﷺ ، وقد ردهن القرآن إلى الجادة : إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير .

هذه هي المرأة في أسمى البيئات النسوية ، لم تسلم من التأثير الشديد بدواعي العاطفة ، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة ، مع كمال إيمانها ونشأتها في بيت النبوة والوحي ، فكيف بامرأة غيرها لم تؤمن إيمانها ، ولم تنشأ نشأتها وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟

فالحق أن المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال في الحكم ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بنقصان العقل ، ورتب عليه كما جاء في القرآن الكريم أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل .

ويحمل القول في هذا كله أن المرأة لا يجوز لها أن تباثر عملا من أعمال الولاية العامة مطلقاً ، ولا يجوز لها كذلك أن تغشى الأندية والمحافل والمجتمعات العامة مهما كان السبب الذي يدفعها إلى ذلك ، لأننا أمة إسلامية ، والإسلام يلزمها هذه الحدود ، ولا يجوز لها أن تتعداها .

الغريب

على أحول من خالد

يأتى (أحول) من الحيلة أى حسن التدبير فى الامر وإصابة المخرج فى الضيق ، فيكون اسم تفضيل ، فيقال : هو أحول من فلان ، أى أبصر منه بالخروج من المأزق ، والانسلال من المشاكل . ويصاغ منه التعجب فيقال : ما أحول فلانا ! والتعجب والتفضيل من بابة واحدة ، كما هو واضح جلى . وفى اللسان (حول) : يقال هو أحول منك أى أكثر حيلة ، وما أحوله ! .

وهناك أحول من الحول فى الدين ، وهذا لا يصاغ منه تفضيل ولا تعجب ؛ إذ كانت هذه الصفة لأصل الوصف . فلا يقال فى هذا المعنى هو أحول من فلان . وإنما يقال : هو أشد حولا ، ويقال : ما أشد حوله ! ولا يقال : ما أحوله ! ومثل هذا أسود ، يكون من السواد فلا يصح منه تفضيل ولا تعجب عند أكثر النحويين ، ويكون من السؤدد أو السيادة فيصح منه التفضيل والتعجب ، فيقال : هو أسود من فلان ، وما أسوده ! وفى اللسان (سود) . وفى حديث ابن عمر : ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية .

وقد دعانى إلى هذا البحث أنى وجدت فى كتاب « الوسيط فى تاريخ أدباء شنقيط » ، للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطى فى ترجمة محمد بن السالم أنه كان شاعرا رقيق الالفاظ سلسها وكان يرى نفسه أفضل من شاعر شنقيطى آخر يدعى الاحول ؛ وكان إذا سمع الناس يطرون هذا الشاعر الاحول يقول : أنا أشعر منه وأحول . فتعقب ذلك عليه مؤلف الكتاب وقال : (١) وكان القياس أن يقول : أشد حولا ؛ لأن أفعال العاهات لا يأتى منها التعجب

ولا اسم التفضيل ، وإنما جرى في ذلك على مصلح العامة ، والشاعر لم يذهب إلى مذهب إليه ابن الأمين أن يكون أحول من الحول الذي هو من العاهات ، وإنما يريد أحول من الحيلة ، وهذا من المحامد وسمات الكمال والميز ، وليس من العاهات والمثالب ، والموطن موطن افتخار وبأو ، وتعظم على من يتافسه . فما أتى به هو عين الصواب والسداد .

لما تزورنى أزورك

يكثر مثل هذا التأليف ، ولا يحس القائل لهذا حرجا في القول ، ولا شناعة في الكلام وهذا منسك لا يسوغ في العربية ، وذلك أن لما هذه - وتسمى الحينية لأنها في معنى حين - تختص بالماضى فلا تدخل على المضارع ، وهي تقتضى تعليق حدث على حدث آخر ، ويقال فيها : حرف وجود الوجود ، أو حرف وجوب لوجوب ، ومعنى ذلك أنها تدل على وجود الثانى لوجود الأول ، أو وجوب الثانى لوجوب الأول ، ويقول صاحب المغنى : الثانى من أوجه لما أن تختص بالماضى ، فتقتضى جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما ؛ نحو لما جاءنى أكرمته .

ويبدو أن الخطأ في دخول لما على المضارع قديم فاش ، فقد جاء في كلام أحد جلة العلماء الفهماء في النحو ، الذين لا يعزب عنهم أمر لما وما يطلب فيها ، وذلك هو أبو بكر الشنوانى في كتابته على القطر فهو يقول (١) : « فإن قلت . قد ورد في الحديث أن إبليس لما يحى له بعض أولاده ويقول له : ما تركت حتى فرقت بين الرجل وامرأته بدينه منه ويقول : نعم أنت ، وقد حكى هذا القول عنه السجاعي المتوفى سنة ١١٩٧ هـ في كتابته على القطر ولم يعقب عليه ، ولم يرفيه ما يستوجب النكير . وهذا على حين أن السجاعي في حاشيته على ابن عقيل في مبحث عوامل الجزم يقول عند قول الأشارح : ولم ولما ، وهما للنفى ، ويختصان بالمضارع ما نصه : « : وخرج بهذا لما الحينية - وهى الرابطة لوجود شيء بوجود غيره - والتي بمعنى إلا - وتسمى الإيجابية - فإنه لا يحفظ دخولها على المضارع أصلا ،

(١) انظر حاشية السجاعي على القطر في آخر باب الفاعل .

لو كلها سميت شيئاً حفظته لكنت أعلم الناس

قد يتردد هذا الأسلوب ، وقد يحتاج إليه في تأدية مثل هذا المعنى . ولكنه أسلوب مجاف للعربية ناب عنها . ذلك أن لو للشرط ، وكلما أيضاً تفيد الشرط والتعليق ، ولا يدخل الشرط على الشرط . وتصحيح هذا الأسلوب أن يقال : لو أنه كلها سمعت شيئاً الخ

وقد وقع مثل هذا التركيب في شعر لابي العباس أحمد بن سريج أحد أعلام فقهاء الشافعية المتوفى سنة ٣٠٦ هـ ، والذي وصف بأنه المجدد للأمة أمر دينها على رأس القرن الرابع . وذلك حيث يقول :

ولو كلها كلب عوى ملئت نحوه أجابوه إن الكلاب كثير
ولكن مبالاني بمن صاح أو عوى قليل لاني بالكلاب بصير

ويقول أبو حيان في الارتشاف ^(١) : إن أبا العباس في هذا ركّب ما دخلت عليه « لو » تركيباً غير عربى . ولم يذكر السبب في هذا الحكم . والظاهر عندى هو ما ذكرت آنفاً ، وهو كراهة دخول الشرط على الشرط .

وقد أورد ابن السبكي في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » ، في ترجمة ابن سريج كلام شيخه أبي حيان والرد على ابن سريج ، ولم يرض كلام شيخه ، وتصدى لتصحيح كلام ابن سريج . وسأسوق كلامه على طول فيه ، فهو لا يخلو من الفائدة : « ^(٢) ولم يبين - يريد أبا حيان - وجه خروج أبي العباس من اللسان في هذا . فإن أراد تسليط لو على الجملة الاسمية فهو مذهب كثير من النحاة ، منهم الشيخ جمال الدين بن مالك ؛ جوزوا أن يليها اسم ، ويكون معمول فعل مضمر مفسر بظاهر بعد الاسم . قال في التسهيل : وإن وليها اسم فهو معمول فعل مضمر مفسر بظاهر بعد الاسم . وربما وليها اسمان مرفوعان . انتهى .

(١) انظر الورقة ٢٩١ ب من مخطوطة دار الكتب المصرية تحف رقم ١١٠٦ نحو .

(٢) الطبقات ٢ / ٩٠ .

ومثال ما إذا ولها اسم ما روى في المثل من قولهم : لو ذات سوار لطمتني ، ويقول عمر - رضي الله عنه - : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! وقال الشاعر :

أخلأى لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب
وقال آخر :

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجسوار إلى بني العوام
وقال آخر :

فلو غير أخوالى أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرائن ميسما
فالاسماء التي وليت أو في كله معمولة لفعل مضمر يفسره ما بعده ؛ كأنه قال : لولطمتني ذات سوار لطمتني . وكذا تقول في قول ابن سريج : ولو كلما كلب ... المعنى : ولو كان كلما كلب عوى . ويدله على ذلك قوله تعالى : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لامسكنم خشية الإنفاق ، ولا يلزم من رد أبي حيان لهذا المذهب ودعواه أنه غير مذهب البصريين أن يكون مردوداً في اللسان ، وإن أراد حذف الجواب إذ التقدير : ولو كان كلما عوى كلب ملت نحوه كي أجابوه لسمت أو تعبت أو نحو ذلك لأن الكلاب كثير ، فقد نص هو وغيره على جواز حذف جواب أو لدلالة المعنى عليه . وعليه قوله تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على النار ، وشواهد كثيرة .

وأغلب الظن عندي أن الأمر وراء ما ذهب إليه التاج ، وإنما المانع هو دخول الشرط على الشرط ، وهذا غير سائغ في العربية ، إذ يوجب معاملة في الكلام وتعقيداً ، فكل الشرطين يحتاج إلى شرط وجواب ، ولم يعمد اجتماع ما يدنو من هذا إلا في الشرط والقسم ، وعقد الكلام فيهما على حديث الشرط ، فأما القسم فإنه يشد من خبر الشرط ويؤكدده ، كما تقول : والله إن جئتني أكرمك . وقد أنكر أبو حيان هذا التركيب ونفاه عن العربية ، ولم يختص ذلك بمذهب البصريين ، كما فهم التاج ، وأبو حيان من أكثر النحاة لإحاطة بمذاهب النحاة وأجمعهم لذلك ، وقد حشر في كتابه الارتشاف من الآراء في النحو ما لم يجمع في كتاب . وما كان يعنى عليه مذهب ابن مالك ولا ما ذكره التاج ، وإنما رأى في هذا التركيب ما لا يتفق مع المزاج العربي عند الجميع .

محمد علي النجار

الاستاذ بكلية اللغة العربية

النفسي

بسم الله الرحمن الرحيم :

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . »

هذه الآية أوضح ما تكون في ارتباطها بما قبلها أن تكون مرتبطة بقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا ، فإنه يراد بتصوير حالهم هذه أن تلك حال تنافي في وضوح مع زعمهم الإيمان . فإن أول ما يقتضيه الإيمان متى حل في القلب ، وأشرق نوره على النفس الكف عن الإفساد في الأرض فإن الإفساد شر مستطير ، لا يمكن أن يكون من شخص حل في قلبه نور الإيمان فكأنه يقول « يقولون آمنا وهم مفسدون » ، وإذا نهوا عن الإفساد بالغوا في التبريء منه ، ولو كانوا مؤمنين كما زعموا لما كان ذلك شأنهم .

ولما سلك في التعبير ذلك الأسلوب فقال وإذا قيل لهم (بالبناء للمفعول) دون أن يسند الفعل إلى فاعله :

أولاً — لأن مصدر القول المعبر عن النهي عن الإفساد ليس مصدرا واحدا ، فقد يصل آذانهم هذا النهي مرة من رسول الله وأخرى من أصحابه ، وقد يفهمون هذا النهي مرة من صريح القول وأخرى بما كانوا يقابلون به من ناحية الرسول وأصحابه من تجهيم وإعراض . وثانياً — للدلالة على أن ما سلكوه من أسلوب في الدلالة على برائتهم مما نسب إليهم إنما هو أثر لخيبتهم التي كانت عن مفاجأتهم بأن ما حاولوا إخفاؤه ، وما أسدلوا عليه أستار نفاقهم معلوم للرسول وأصحابه ، ولو بنى الفعل للمعلوم وأظهر الفاعل لربما توهم أن ذلك الأسلوب الذي سلكوه لبرائتهم ، إنما كان عما أحسوه من شدة ما ووجهوا به من قائل

معين ، وبهذا يتبين أن بناء الفعل للفعول أبدى حال المنافقين وصور ذعرهم بأنه لكشف أstarهم لا لشدة مواجهتهم . هذا وإنما عبر بقوله « لا نفسدوا » بدل أن يقول مثلاً « نهوا عن الفساد » ليم إسناد فعل الإفساد لهم إسناداً مدلولاً عليه بالعبرة لا بالإشارة ، فإنه قد يفوت إذا عبر (نهوا عن الفساد) التنصيص على إسناد الإفساد لهم .

وعلق بالفعل الذى هو الإفساد قوله « فى الأرض » ، إذانا بأن الإفساد مهما ضاقت حدوده ، فإنه لا بد يوماً أن يتعدى الحدود إلى ما وراءها ، فقد يعم ويشمل إن لم يشتد فى الاحتياط له . لذلك جعل ظرف إفسادهم ، الأرض كلها مع أنهم فى بقعة محصورة . وتراه أطلق كلمة الإفساد دون أن يحدد له صورة ليشير إلى أن كل مخالفة لما شرعه الله سواء كان ذلك راجعاً إلى الشخص نفسه أو إلى المجتمع ، فهو إفساد ، إذ الكذب إفساد ، وإيذاء الجار إفساد ، والسرقة والقتل إفساد ، وهكذا لا تجد مخالفة لتشريع الله إلا وهى إفساد . وتدهش حين تسمع ردهم على نهيمهم عن الإفساد إذ تراهم قد بالغوا فى الرد فخصروا أنفسهم أولاً فى الإصلاح مبالغة المفجوع المفاجأ بكشف أstar حقيقته ، فتراهم لم يقتصروا على أن يقولوا (إنا مصلحون) ، بل قالوا (إنما) ، ثم أكدوا الجملة بكونها اسمية ليدلوا بذلك على أن شأنهم فى الإصلاح ثابت لازم ، ولما كان ما هبوا به عن براهم باطلا لا يمت إلى الحق والواقع بصلة ، ترى القرآن قد وضع فى الرد عليهم جملة صدرها بأداة الاستفتاح إذانا بأن ما قالوه يجب أن يهمل إهمالاً ، فلا يتصل الرد به ، بل يجب أن يكون وصفهم بالإفساد قضية مبتدأة مقررة حتى يتلقاها السامع غير مشغول النفس بما قالوه فى براهم لأخذ من النفس حيزاً كاملاً مطمئناً فقال : (ألا إنهم هم المفسدون) ، مؤكداً الجملة بعدة تأكيدات ، أولاً بتصديرها بإن ، وثانياً بتأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل حتى يتم إلصاق الخبر بالمبتدأ . وثالثاً باسمية الجملة ، ورابعاً بإفادة قصرهم على الإفساد فى مقابل قصرهم أنفسهم على الإصلاح . ولما كان الرد عليهم بتأكيد إفسادهم فى مقابل تأكيدهم أنهم هم المصلحون مما يفيد تقابلاً بين الحاليين واخلأ يستدعى عجباً كيف يصفون أنفسهم بأنهم لآحال لهم إلا الإصلاح وهم لآحال لهم إلا الافساد . أراد القرآن أن يزيل هذا العجب بقوله (ولكن لا يشعرون) . فإ كان قولهم الذى قالوه إلا عن غباء حاط إحساسهم وشمل مشاعرهم فأمسوا لا يدركون من شأن أنفسهم شيئاً ، شأن

الذين غلف الباطل قلوبهم وأظلم نفوسهم حتى صار الباطل في تقديرهم حقاً والخطأ في ميزانهم صواباً والإفساد عندهم إصلاحاً فبحق هم غير شاعرين بأنهم مفسدون .

ويصح أن يكون لقوله تعالى : (وهم لا يشعرون) معنى آخر ، وهو أنهم لا يشعرون بأن غيرهم عالم بحالهم علماً مؤكداً ، وأنهم مفسدون بمعن في الإفساد ، أو أنهم - جهلاً منهم - لا يشعرون بأن الله عالم بشأنهم وما هم عليه من سوء . وقد يكون في المعنى الثاني من تسوية واستئصال أعذارهم ما ليس في المعنى الأول ، إذ قد يكون لهم بمقتضى المعنى الأول في ظنهم الإفساد إصلاحاً وتقديرهم الخطأ صواباً ما يخفف المؤاخذة عنهم ، ولكن المعنى الثاني فيه أنهم أتوا الفساد قاصدين الإفساد عالمين بأنهم مفسدون ، ولكنهم حارلوا ستر حالهم بصور نفاهم ، وظنوا أن تلك الأستار المبهلة قد تعدت على الناس حالهم وتخفى عنهم أمرهم . وفي المعنى الثالث تصوير جهلهم البالغ ، حتى ظنوا أن ربهم غير عالم بحالهم ، وهو تحديد لنزول تفكيرهم إلى أسفل الدرجات وأعماق الوهيدات ، وعلى أى حال فإن أنسب هذه الوجوه الثلاثة بشأن المنافقين إنما هو الوجه الثاني . ففيه أنهم مستحقون لغضب الله ، وأنهم أغبياء إلى حد أنهم لا يفرقون بين ما يدركه الناس منهم وما لا يدركون .

وإلى هنا يكون القرآن قد عرفنا شأن المنافقين من غباء وإفساد ، وهم بذلك يكونون أضر الطوائف بالمجتمع ، يفسدون العلائق بين الناس ويقلبون ما بينهم من تواد إلى تباعد ، وما بينهم من اتصال تقاطعاً ، فيبطل التعاون فيما بينهم ؛ إن المنافقين هم الطائفة التي تلقاك بوجه وتولى عنك بوجه آخر ، هم الطائفة التي لالسنتها إذكاء الفتن وإشمال الإحن وإثارة الاحقاد وتقوية الخصومات ونشر ريح العداوة حتى يبطل بين أفراد المجتمع الإيناس وتقتلع الطمأنينة من القلوب ، ويصبح كل واحد من أفراد المجتمع محتاطاً من أخيه ، ينامرون ويستيقظون على مخافة وشفاق واحتياط وافتراق .

وإن أول ما كان يجب على ذوى الأمر في الأمم والشعوب هو تطهير المجتمع من أمثال هؤلاء حتى يتم للأمة هناؤها ورخاؤها وسعادتها ونعيمها .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأبعدنا عن الشقاق واملأ نفوسنا بالحبة والوفاق .

حامد محيسن

عضو جماعة كبار العلماء

المسلمون في مفترق الطرق

تسرع الأمم الحية، وتخف الشعوب الناهضة إلى التماس العبرة واقتباس العظة مما تسوقه الأحداث المطيفة وتمنحض عنه الأيام من وقائع ومفاجآت، لتقف في معترك الحياة قوية الجانب منيعة البنيان خفاقة العلم، كاملة الهيبة، لا يتمكن منها عدو، ولا يتحكم فيها دخیل ولا يبسط عليها ظالم يد الظلم، ولا يمد إليها سيف البغي والعدوان.

والأمة التي تمر بها الخطوب وتحل بساحتها المحن، فلا تثير من حفيظتها، ولا توقظ من غفوتها، ولا تلهب من غيرتها وحاستها، هي أمة متبلدة الحس، فائزة النفس لا تستحق البقاء، لأن منطق الوجود يحتم عليها أن تشعر وأن تفعل بما يجري حولها من الظواهر.

هكذا علمنا التاريخ، وقص علينا الزمن. فالأمة تمر وتسود وتبقى وتخلد بمقدار ما يتغلغل فيها من مضاء العزم وذكاء القلب وفقاء الفطرة، وما يسرى في دمه من شجاعة ويوجهها من إيمان بالله واستعصام بالفضائل.

فإذا ضعف فيها الإيمان وتزلزلت الثقة وتحللت الرجولة ونال منها الخول وألقت عن كاهلها العبء واستسلمت للماضي تعيش على أطيافه وتتغنى بأطلاله وتسبح مع خياله، سكن في نفسها معنى الهزيمة، وربض في حياتها روح الذل، ولازمها دائماً مظهر الضعف والاستسلام، فتوارت في زحمة الحياة، وتخلفت عن ركب الوجود، وأصبحت هدفاً لكل رام وغرضاً لكل صائد.

ولقد أئذ الرسول الأكرم - صلوات الله عليه - المسلمين بهذه الحالة حين قال: يوشك أن تنداعى عليكم الأمم كما تنداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: أمن قلة نحن يا رسول الله؟ فقال: بل أتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ولينذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.

إن للمسلمين في ماضيهم المجيد عبرة أي عبرة، ولهم كذلك مثل عليا ترع الناس بجلالها وجمالها.

لقد كانت لهم دولة قامت على الخلق وتحصنت بالعدالة وسادت في ربوعها الحرية والإخاء والمساواة، وأشرق عليها نور العطف والترحام . فكان المسلم على قلب أخيه المسلم : يفرح لفرحه ، ويأسى لأساءه ، ويدبر له فيما ينوبه من مهام العيش ومشاكل الحياة ، إذا مرض عاده ، وإن افتقر عاد عليه ، وإن غاب سأل عنه ، وإن مات تبع جنازته وتعمد أسرته ، وإن زاعغ عن الحق أذكره به وحمله عليه ، وإن تحرف عن الهداية بصره بالسبيل القصد وسدده على النهج الواضح .

وكان لهم ولاية ورعاة يستشعرون في أعماقهم خوف الله فيما ولاهم ، ويتمثلون رقابته فيما عهد إليهم من أمانة ، ويلوح لهم دائماً دستور عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لحشيت أن يسأل عنه آل الخطاب » .

كانت للمسلمين دولة قامت على الأمانة والعفة ، فلا يطمع حاكم ولا محكوم فيما ليس من حقه أن يأخذه ، وكانت عفتهم في هذا مضرب المثل ، حتى أيرى أنه قد أتى عمر ابن الخطاب بتاج كسرى عقب فتح فارس ، فاستعظم الناس قيمته لما كان يحوى من جواهر . وجعل عمر ينظر إليه متعجباً . ثم قال : والله إن قوما أدوا إلينا مثل هذا لأمناء ، فالتفت إليه على بن أبى طالب وقال : يا أمير المؤمنين ، إنك عفت فعفوا ، ولو رعت لرعتوا .

كان أسلافنا رضى الله عنهم يوقنون أن أساس عزة المسلمين هي قول الحق تبارك شأنه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، وبهذا الشراء أو بهذه العقيدة انطلقوا يحملون الراية ويخوضون المعامع ، لا يحرصون على دنيا ولا يلتفتون إلى حياة ، وبهذا ذكروا المماقل واقتحموا الحصون ونلوا العروش وصرعوا التيجان ، وتغلبوا على خصوم أقوىاء أشداء ، وامتلكوا أراضهم وديارهم ووقفوا في ساحاتهم يرددون قول رب العالمين : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين ، فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

فلما بدل المسلمون ما بهم ونسوا الخلال والآداب التي ملكوها بها الدنيا ، والتعاليم التي بهروا بها العالم ، لما نسوا سماحة دينهم ورسالة نبهم والشائئ التي يجب أن يتحل بها جندي الإسلام ، لما نسوا التقى والورع وحرصوا على الشهوات والمطامع ، تسرب الدخيل إلى صفوفهم فأشاع فيها الخصام والفرقة ، وتمسكن العدو منهم فألقى بينهم العدواة والبغضاء ،

وتركهم شيعاً وأحزاباً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويفشّر بعضهم سيئات بعض . وهكذا تقسمتهم المحن وتناشثهم الفوائل وأصبحوا غرضاً للزمان يرميهم بذبله ويقذفهم بسهامه .

لماذا يتصايح المسلمون الآن بالشكوى ويجأرون بالانين ؟ لماذا يقفون في المعترك الدولي يلقون لكمة إثر لكمة ، ويستقبلون عدواناً بعد عدوان ، ويستصرخون خصومهم أن ينجدهم فلا يرون منهم نجدة ، ويتلفتون إلى أعدائهم أن يعينوهم فلا يحسون منهم من عون أو نصير ؟ لماذا ضعف المسلمون وغلبوا على أمرهم وملّسوكوا زمامهم ومواردهم ومصابير أمورهم لمن لا يحس في قلبه رحمة لهم ، ولا تتردد في فؤاده عاطفة من الاحترام والحب نحوهم ؟ ليس لذلك من سبب إلا ضعف الإيمان وانحلال العزم وفتور النفس والاغترار بالدنيا والبعث عن الله .

ليس لذلك من سبب إلا أننا تعودنا أن نقول فحسن القول ، فإذا اتجهنا إلى العمل خارت قوانا وتفككت أوصالنا وشاع فينا التخاذل والنكوص ! .

هؤلاء إخواننا في الدين يلقون ألواناً مضيئة من الإعانت والإرهاق ، فإذا صنعنا لهم وماذا قدمنا من أجلهم ؟ . هؤلاء إخواننا في تونس والجزائر ومراكش وفي فلسطين يسامون الخسف ويلقون الذل والهوان والعسف ، يسفك العدو دماءهم ، ويمزق أشلاءهم ويهتك حرمانهم ، ويقف في الميدان الدولي وقد تلطخ وجهه بجريمته فما يندى له جبين من الحجل ، وما يخفت له صوت من الحياء .

ها هي ذى قراهم تدمر وأرزاقهم تسلب وقادتهم وزعمائهم يقتلون ويسجنون ، وشبانهم يتساقطون صرعى تحت وابل الرصاص المتهمر من الأيدي الغادرة المجنونة ، فإذا صنعنا لهم مما يعين به الأخ أخاه ، ويسعد الجار جاره ؟

إن العقلية الاستعمارية لم تعتبر بما مر عليها من عظات الحياة وعبر الأحداث وضربات القدر . لقد كانت بالأمس تستصرخ الدنيا وتستنجد العالم ليعينها على عدو أذلها وعبت بمقوماتها ومقدساتها ، وكانت تصور الظلم وآسيه بصورة تقشع لها الجلود ويشيب منها الولدان ، فما بالها لم تنفض عنها بعد غبار الهزيمة والعار ، تحاول أن تمثل دور الظالم الطاغية الذي يستمتع بمنظر الدماء المسفوحة ، والأعراض المفضوحة ، والجلود الممزقة .

إنه لا ينبغي أن نخطب هؤلاء الناس باسم السلام العالمى ولا الأمن الدولى ولا القوانين التى يحتّمون بها ويدعون أنهم حاملو لوائها ، لأن هذه الكلمات لا وزن لها فى نفوسهم ولا تقدير لها فى مجتمعاتهم ، ولا ينبغي أن نخطبهم باسم العاطفة الإنسانية والرحمة البشرية التى تسكن كل قلب وتسرى فى كل نفس ، فقد صفرت قلوبهم من العاطفة وخلت نفوسهم من الرحمة ، وأصبحت كاللحجارة أو أشد قسوة .

فهؤلاء الذين تمردوا على إنسانيتهم وثاروا على بشريتهم ، ولبسوا جلود الوحوش الكاسرة والذئاب العاوية ، لا يجدى لديهم المنطق ولا ينفع عندهم الاتجاه إلى الشهور والإحساس .

إنما منطقهم الذى يفهمونه واللغة التى تفزعهم وترهبهم هى لغة القوة أو لغة المقاومة المصممة المعاندة التى لا تضعف ولا تلين .

لقد هب المسلمون فى كل مكان وتيقظوا لأساليب الاستعمار ودسائسه ومكائده التى يدبرها فى كل مكان ، ولن يغضوا عيونهم بعد اليوم عن القذى ، ولن يطووا صدورهم على الهوان . وعندما تنطلق الصيحة من أقصى الشرق فسيتردد صداها فى أقصى الغرب .

فلنقف على أقدامنا نستمّد القوة من صدورنا وإيماننا ، ولنتمسّ الحلول من وحى تفكيرنا وعقولنا ، وليكن شعارنا دائماً فى كفاحنا وجهادنا ، قول الله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

بهذا نأخذ فى الحياة وضعنا الكريم الذى نفشده ، ومكاننا اللائق الذى نصبو إليه . ونستطيع أن نفخر حقاً بأننا مسلمون تجرّى فى دماتنا العزة الإسلامية ، وتملكنا الفضائل الدنيّة الكريمّة . والله الهادى إلى سواء السبيل .

عبدالمجيد محمود المسالوت

المدرس بكلية اللغة العربية

الإشاعات والأراجيف

الإشاعات سلاح خطر يفتك بجسم الأمة ويفرق بين أهلها ، ويسىء ظن بعضهم ببعض ، ويؤدى إلى بغض المحكومين للحاكمين وعدم الثقة بهم ، فقد تنشر الإشاعة وتلصق بالحاكمين تهمة ، فيسمعها المرء من مصادر متعددة ، وتكرر على ذهنه فيصدقها للتوكيد والتكرار . وأسرع الأمم تصديقاً للإشاعات هى الأمم الجاهلة ، فهى بسذاجتها تصدق ما يقال لها وليست فيها قدرة النقد والتحيص ، وقد تحمل الإشاعة تكذيبها ولكنهم لا يفتنون إلى هذا التكذيب .

أما الأمم العالمة ، فهى أبعد الناس عن تصديق الإشاعات وعن أن تروج فيهم ، فالمتعلمون فيها إذا ألقيت إليهم إشاعة كاذبة محصوها وعرضوها على النقد فيبين لهم كذبها وزيفها ، ولكن العلماء الممحصين قليل ، والكثرة البائرة أجهل من أن تمحص وأضعف من أن تنقد ، ولذلك كانت الإشاعات سلاحاً حاداً شديد الفتك . وقد أدركت الأمم فتك هذا السلاح فحاربت أعدادها به ، وافتنت فيه وجهدت فى أن تقي أمتها شره .

ومن قبل ذلك أدرك المسلمون الأولون خطورة هذا السلاح ومضاه ، وقد حاربوا وحاربوا به ، وكانوا إذا حاربوا به أحكوه ، وإذا حاربوا به فلقوه ، لعلهم بقوته وفتكه وإدخاله الرعب والفرع والشك والشبهة فى نفوس الأمة التى تبلى بها .

يحدث التاريخ أن المنافقين أشاعوا الشائعات حول امرأة طاهرة الذيل عفيفة الإزار ، وهى السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبي ﷺ ، اتهموها فى عفتها وهى حصان رزان ، ماترن بريبة ، قد ربيت فى بيت كريم ، بيت أبى بكر الصديق ، وخرجت منه إلى بيت كريم ، مبيط الوحى ومنزل التوبة ، ومثوى الأبرار الصالحين وهو بيت محمد ﷺ ، وكانوا يريدون بهذه الإشاعة إثارة الشكوك فى نبوته ﷺ ، فيقول القائل إنه كسائر الناس تنهم نساؤه ويطنن من خلفه ، ولو كان نبياً لكان أكرم على الله من ذلك ، ولأعلمه بما يدور فى بيته ، ولكن ما لبثت هذه الإشاعة أن قضى الله عليها ، فقد نزل القرآن ببرأتها مما رميت به ، وتوعد الذين جاموا بالإفك بأشد أنواع العذاب ، ورسم للمسلمين سياسة حكيمة فى إشاعات السوء

وموقف المؤمنين منها ومن مروجيها ، فما نزل في برامة السيدة عائشة : « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » . وما توعد به الذين أشاعوا الفاحشة : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » . وما طلبه من المؤمنين الذين يسمعون إشاعات السوء : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكن في ما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » .

فقد علم الله المؤمنين كيف يحاربون الإشاعات والأكاذيب ، وكيف يتقونها فطلب أن يرجع المسلمون إلى ما علموه من سيرة من قيلت فيه الإشاعة ، وألا يتركوا ما علموه من نزاهته وصلاحه ، إلى ما لم يعلموه من هذه الأكاذيب ، وأن يغلب المؤمنون حسن الظن ، ويظنوا بأنفسهم خيراً فيكذبوا ما قيل وأن يقفوا من هذه الأكاذيب موقف الناقد الفاحص والقاضى العادل ، فلا يصدق إلا بيقين ، ولا يحكم إلا ببينة .

وأخطر شيء في الإشاعات هو التحدث بها وترديدها والإفاضة فيها إذ بذلك يمكن للإشاعة من أن تفسد العدد الكثير ، وتعين الأمة بذلك عدوها عليها ، وتؤدي لإفساد ذات بينها ويدها ، ويكون نصيبها في ضررها أكثر من نصيب عدوها إذ هو يخلق الإشاعة ويرى بها وهنا ينتهى عمله ، والأمة تتولى الباقي فتضر نفسها أكثر مما يضرها عدوها .

لذلك جعل الله من أعظم ما تتقى به الإشاعة عدم تلقيها بالالسة ، وعدم الإفاضة فيها ، وقتلها في مهدها : « لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » . فليت أمتنا السكرية تعمل بهذه السياسة الرشيدة لفلّ سلاح الإشاعات ، وترجع إلى ما علمته من نزاهة القائمين بالحركة ، ومن تعريضهم أرواحهم حين قاموا بثورتهم ، ثم قيامهم بالإصلاح في الأداة الحكومية ، ثم ما علموه من تحديد الملكية ، وكل ذلك يكسبهم أعداء حائقين ، ولم يبالوا بذلك في سبيل الخير والإصلاح ، فهم لا يعملون لأشخاصهم ، وإنما يعملون للخير والمصلحة

العامه ، ويجب ألا يكونوا سريعي التصديق ، وأن يطالبوا مروّجى الإشاعات بالحجة والدليل ، ويجب أخيراً ألا يعينوا عدوهم عليهم بترديد الأراجيف والإفاضة في الإثم والبهتان .

وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه ، من حرب الإشاعات عنتاً كثيراً ، كانوا إذا خرجت سرايا النبي ﷺ أرجف بها مروّجو الأراجيف ، فيقولون هزمت وقتلت ، ليكسروا بذلك قلوب المؤمنين .

فتوعدهم الله أعظم وعيد ، وأنزل فيهم عقوبات هي أشد ما أنزل في مواطن وهي قوله : « لئن لم يفتنه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » . فهل سمع سامع بعقوبات أشد وأنتكى من هذه العقوبات ، وإنها لا تزال قائمة يصحبها القانون الإلهي على ناشري إشاعات السوء ومروّجى الفتن والمرجفين في الأمة .

وقد اضطر المسلمون في عصر النبي ﷺ أن يحاربوا بالإشاعات ، وكان ذلك في واقعة الخندق ، وهي واقعة تألب فيها الشرك على الإسلام ، فقد تألبت اليهود وقريش وغطفان وجاءوا في العدد والعدة ، وحاصروا المدينة ، وإذا أردت أن تعلم ما كان المسلمون فيه من هول ، فاقرا قوله تعالى في وصفه : « إذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » .

في هذه العسرة وهذا الضيق ، جاء نعيم بن مسعود الغطفاني إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فأمرني بما شئت ، فقال رسول الله : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة من اليهود ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا صدقت ، لست عندنا بهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تقدرّون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا للحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونون لديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تاجزوه .

فقالوا له : لقد أشرت بالرأى ، ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لآبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وأنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عني قالوا : نعم ، قال فعلوا أن معشر يهود ، قد قدموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمننا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم . فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم قال مثل ذلك لغطفان ، ثم أرسل أبو سفيان يستنهض اليهود للقتال فقالوا : لسنا نقاتل حتى تعطونا رهناً من رجالكم فقالت قريش وغطفان إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وأبوا عليهم . فقالت اليهود إن ما حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فخذل الله بينهم واختلف أمرهم ، وكان أن أرسل الله عليهم ريحاً شديدة فى ليلة شاتية شديدة البرد ، فأصبحوا مرتحلين ونجى الله المسلمين .

لقد كان نعيم بن مسعود أرد على المسلمين من مائة ألف سيف تنافح عن المسلمين - فإذا كان المثل يقول إن من الرجال من هو بألف فإنى أقول إن نعيم بن مسعود بأمة أو بجيل من الناس .

وقد فعل السير ستافورد كريس سفير لإنجلترا فى روسيا ما فعله نعيم بن مسعود فما زال يخوف روسيا من ألمانيا ويذكر لها ما طلبته من الصلح معهم على حرب روسيا ، حتى أوجسوا شراً من ألمانيا ، وظهر ذلك منهم ثقافتهم ألمانيا ، ووقعت معهم فى حرب أعجزتهم قتلاً وأقنت رجالهم وعدتهم وسلاحهم ، وخف بذلك الضغط على بريطانيا وكسب الحلفاء النصر . وإذا تأمل المرء يجد أن المصريين قد أتوا فى كثير من حروبهم من الإرجاف وقالة السوء ، فقد كان يرجف فى واقعة عرابى ، بأن جيشكم قد هزم وعرابى قد سلم فتفعل فيهم ما يفعل الداء بالجسم المريض ، ويقع الرعب ثم يقع التسليم .

الآن قد علمت قوة الإشاعات والأراجيف فما أحراكم بالخذل منها وعدم تمكين عدوكم منكم بتصديقها والإفاضة فيها .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

الرَّحْمَةُ وَأَنْتِ شَارُهَا

الرحمة صفة تنكشف بنتائجها ، وتدرّك بمظاهرها ، وتعرف بآثارها ، وهي تضاف للخلق كما تضاف للخالق ، وإن كانت بالنسبة لله قديمة باقية ، وبالنسبة للعبد حادثة فانية .
وسأبين بعض آثارها بالنسبة للخالق والخلق . راجياً أن يكون فيها عظة وذكرى ،
والذكرى تنفع المؤمنين .

إن رحمة الله وسعت المنين من الكافرين ، فحبا الله عنهم بها بعد الإسلام ما اجتروه قبله من السيئات ، وما حملوه من الآصار ، وما تلبسوا به من الأوزار .
وشملت التائبين من المذنبين ، فطهرهم بها من الذنوب ، وأقالهم من العثرات ، وتجاوز لهم عن التبعات . قال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » .

واكتفت السابح في الماء ، والسانح في الهواء ، والسارح في الغبراء ، فسخر لهم بها الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والحر والبرد ، وغير ذلك من أسباب الرزق ووسائل الحياة ، ولوازم البقاء .

وعمت العصاة إلى أجل ما ، فلم يؤاخذهم الله حين التلبس بالمعصية ، ولم يماجلهم بالعقوبة غب اقترافها . ولكنه بوسع رحمته ، وعظيم لطفه ، أمهلهم عسائهم يدركون قبج عصيانهم ، وتركهم عسائهم يثوبون إلى رشدهم ، ويقرعون باب الله نادمين ، ووسعت كل شيء في هذا الوجود ، فأغدق الله بها النعم السابقة ، والعطايا الشاملة ، والمنن الوارفة ، التي لا يبلغها الوصف ، ولا يحيط بها الحصر : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » .

أعطى الخلاق بالإفضال نعمته	وأرسل الغيث للأكوان يروبها
وأخرج النبات من يبس بقدرته	سبحانه واهب الدنيا وما فيها
من يحفظ الكون لولا فيض رحمته ؟	ومن يقوم على الأفلاك يحميها ؟
لولا الحفي من اللطاف يمسكها	جاء الفناء بماضى العزم يربها

وأما رحمة العبد : فأول آثارها الكف عن الاعتماد على أموال الناس ودمائهم ،
وحقوقهم وأعراضهم ؛ وما ذاك إلا أن صاحب الرحمة يكون طاهر النفس ، صافي القلب ،
يراقب الله فيما يورد ويصدر ، وبخافه فيما يأتي ويذر ، وإذا ذلك يسمو عن الضرر والضرار ،
ويتبرأ عن الشرور والآثام ، ويجعل الخير وجهته في جميع الأحوال .

ولإذا وقع منه ما يؤدي الغير بدون قصد قادته نفسه إلى الاعتذار ، وحملته على التحلل
من خطئه . وهذا منتهى الخلق الكريم الذي يورث صاحبه عز الحياتين ، ونعيم الدارين :

لو أننى خـيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
كل الامور تبـيد منك وتنقضى إلا التـناء فإنه لك باق

وإذا لم يكن للرحمة التي تسكن قلب الإنسان غير هذا الأثر المحمود ، لكفى بها فضيلة
تتق بها الأخطار التي يئو بها الظالمون ، وينوء بها المظلومون .

وثاني آثارها نادية العبد ما فرضه الله عليه من زكاة ، لأن الرحاء لا يستطيعون أن يقبضوا
أيديهم عن إخوان قد أحرق الجوع أحشاهم ، ومزقت الفاقة أجسادهم ، وأذاب البؤس
نفوسهم ، ولكن الرحمة تبسط بالعطاء أيديهم ، فيتقاطر منها الإحسان كما يتقاطر الحيا على
الزهر الذابل فتعود إليه النضرة والحياة :

لو وفا بالزكاة من جمع الدية يا ، وأهوى على اقتناء الخطام
ما شكا الجوع معدم أو تصدى لركوب الشرور والآثام
خصها الله في الكتاب بذكر فهي ركن الأركان في الإسلام
بدأت مبدأ اليقين وظلت حياة الشعوب خير قوام

وثالث آثارها : أنها تبعث صاحبها على إغاثة الملهوف ، وإعانة المكروب ، وإبلاغ
حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، لأنه يرى أن السعادة في هذه الحياة ليست عبارة عن المتع
والملاذات ، ولكنها تقوم على التعاون مع بني الجنس على قطع مراحل الحياة ، وإمدادهم
بما آناه الله من مال وجاه ، وعلم وسلطان . فما لاشك فيه أن الشخص الذي تدفعه الرحمة
إلى إسداء الجليل لا يكون مخلوقا لنفسه ، ولكنه يكون مصدرا لإسعاد أمته ، ومن كان هذا
شأنه فإنه يكون محط الرجاء ، وموئل العفاة .

ورابع آثارها : أنها تحمل صاحبها على إكرام جاره ، وتذكره بحقوقه وواجباته ، فلا يطيب خاطره أن يراه في العوز والفاقة . ثم يتجاهل أمره ، وينض عنه طرفه ؛ ولكن الرحمة تحرك في نفسه عاطفة الخير ، وتبسط يده إليه بالكرم والجود .

ولقد عني الدين الإسلامي بشأن الجار أيما عناية حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « مازال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه » ، وقال : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع » .

وإن تلك العناية العظيمة بالجوار لتحمل في طياتها أبلغ الحسـم ، وأجل المصالح ، وأعظم الفوائد ، ذلك أنها تعقد بين الجيران أواصر المحبة ، وتخلق من شنتهم قوة ووحدة ، وتلك بغية الشرائع ، ونهاية المقاصد .

وبالجملة فصاحب الرحمة مجبول على حب المصلحة ، مفطور على بذل الخير والمنفعة ، معوان للبائسين . ولكن يجب ألا تكون الرحمة سبباً في الخروج عن حدود الدين ، وأداة لتسكب الطريق المستقيم .

وليبيان ذلك نقول : إن الحاكم مثلاً يجب عليه أن يقتص من الظالم وأن يعاقب المجرم ، فإذا دعت الرحمة إلى الإغضاء عن السارق ، أو حملته على التجاوز عن الزاني ، فإنه يكون جاهلاً بمعنى الرحمة ، ملوماً أمام الحق والعدل ، لأنه إذا رحم فرداً بترك عقوبته فقد قسى على الجماعة ، وأضاع حقوقها وواجباتها ، ذلك أن الجرائم تفسو بينهم ، وتشيع الفاحشة في أوساطهم ، وتسود الفوضى ويختل النظام ، وتعرض الأمة بتمامها للقضاء .

ولهذا قال الله تعالى : « لكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » . وقال : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » .

فالرحمة الممدوحة هي التي تكف الإنسان عن الأذى ، وتدفعه إلى أن يؤدي ما عليه من واجبات ، وتحمله على فعل الصالحات وترك السيئات .

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرحمة ، ونهى على قساة القلوب فقال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . وقال : « ارحوا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . وقال : « لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي » .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتاً من خلقي : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فنظرت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : لا أضرب غلاما بعدها أبداً ، فقال : « أما لو لم تفعل للفتحك النار ، » .

وكان للحيوانات نصيب من حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رحمتها والرفق بها . فقد روى أن رجلاً أضجع شاة ليذبجها بشفرة كليلية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا أحدثت شفرتك قبل أن تضج بها ، ؟ » .

وبعد فهذه كلمة في الرحمة نسوقها إلى القراء المناسبة ما تقوم به الحكومة من بعث النفوس إلى الرحمة بالبؤساء والمحاييج ، والفقراء والمساكين ، والمهاجرين والمشردين ، راجين أن تكون نافعة لمن تقبلها بقلب سليم ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم .

عبد الرحيم فرغلي البلينى
المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية



ضمائر المتقاضين في القضاء الاسلامى

في صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما بروايات متعددة وألفاظ متقاربة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، وعسى أن يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر فأفضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار قليلاً أخذاً أو ليركها ، » .

عُمر بن عبد العزيز والقرآن

القرآن الكريم هو دستور السماء الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الغيث الإلهى الذى تنزل من لدن الرحمن الرحيم على الأرض الجذبة الماحلة ، فأحيا موتها ، ورد عليها شبابها . ولا يستقيم لمسلم لإسلام أو يتم إيمان ، بدون رابطة له مع القرآن المجيد ، ولذلك قال رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » .

ولقد كان لرسول الله صلوات الله عليه مع القرآن نبأ أى نبأ ، فهو ربيع قلبه ، ونور سبيله ، وسمير وحدته ، وزينة بجمعه ؛ يسمعه - وعليه أنزل - فإذا القلب الواجف والروح الخائف واللسان الذاكر . وفى الحديث أن عبد الله بن مسعود قرأ على الرسول قوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » ، ثم التفت إليه ابن مسعود ، فإذا عينا الرسول تذرفان ... وصلوات الله عليه ، فهو القائل : شيتنى هود وأخوانها ... وهو القائل : إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين ... وهو القائل : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

وحينما كنت أتتبع سيرة الإمام العادل ، والخليفة الخامس ، عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فى مصادرهما ومظانها ، لفت نظرى كلمات وأخبار ومواقف لعمر بن عبد العزيز مع القرآن الكريم ، ورأيت أن جمعها من شتاتها ، والربط بينها ، ونظمها فى سلك واحد من المقال ، وسيلة من وسائل التخليل والتمجيد ، وطريقة من طرق التأديب والتهذيب ، وباباً من أبواب التذكير والتحذير ...

* * *

لعل أول ما نطالع فى سيرة هذا الإمام التقى العادل من صلة له بالقرآن بعد أن حفظه وهو غلام حدث أنه يروى عن أبيه عبد العزيز بن مروان عن أبى الدرداء قوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا خشى أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمنى بترك المعاصى

أبدأ ما أقيمتي ، وارحمي بترك ما لا يعينني ، وارزقي حسن النظر فيما يرضيك عني ، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، وورّ به بصري ، واشرح به صدري ، واجعلني أنلوه كما يرضيك عني ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لساني ... فيكون هذا الدعاء الذي ترويه كتب السيرة أو التاريخ شاهداً على أن عمر بن عبد العزيز يعرف للقرآن قدره ، وإذا نسيه ذكره ، وإذا غفل عنه تاب إلى ربه واستغفره .

ثم نشاهد عمر بن عبد العزيز في موقف آخر مع القرآن الكريم : لأنه يدمن القراءة له ، ويديم المذاكرة له ، فهو يألف المصحف ، ولا يكاد يمر عليه يوم دون أن يتناوله ويتلوه فيه جانباً من القرآن ، سواء أكان يريد تثبيت ذلك الجانب إن كان محفوظاً من قبل أو يريد استدكاره واسترجاعه إذا كان قد ندى عنه . وها هو سعيد بن عامر يحدثنا عن إسماعيل ابن أبي حكيم قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يدع النظر في المصحف كل يوم ، ولكنه لا يكثر . وفي رواية أخرى : كان عمر بن عبد العزيز قلماً يدع يوماً يقرأ في المصحف بالغداة فلا يطيل .

ولعل عدم الإكثار ، أو عدم الإطالة ، مما يستوقف النظر هنا . ولكن الراجح أن عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه كان يستمدى في ذلك بقول الرسول عليه صلوات الله : « اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه » . فهو يهرع إلى القرآن ما دام هادئاً فارغاً ، وما دام لا يجد من معوقات الحياة ، أو اختلاف الأمور أو الأشخاص ما يصرفه عنه .

ويؤكد هذا المعنى أن عمر كان إذا سمع القرآن شغله المعنى أكثر مما يشغله اللفظ ، واستبد به التفسير أكثر مما تستبد به متابعة الترتيل أو روعة التلحين ... حدثت الغلابي قال حدثني رجل أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قرأ عنده قارئاً مرة ، فقال له مسلمة ابن عبد الملك - وكان حاضراً - : لحنت . فقال عمر : أما شغلك معناها عن الحن ؟ ... وحدثت عثمان بن عبد الحميد ابن لاحق قال : سمعت أبي قال : قرأ رجل عند عمر ابن عبد العزيز سورة ، وعنده رهط ، فقال لبعض القوم : لحن . فقال عمر : أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن .

وليس هذا فيما يظهر تسويغاً من عمر للحن في كتاب الله ، فحاشاه أن يفعل ، ولكن لعله أراد ألا ينجعل القارئ من جهة ، وأراد أن يخفف من مجابته بنقد الناقد من جهة أخرى .

ولكنه رأى من أسلوب الناقد ما أفهمه أنه غفل عن تتبع المعنى والتأثر به ، واكتفى بإحصاء الهنات والمفوات ...

* * *

والإجابة الحاضرة عن معنى آية من آيات القرآن عقب السؤال عنها لا تيسر على وجهها إلا لرجل ألب القرآن تلاوة ، وتدبرا ، واستيعاء . ويلوح لنا أن عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه كان من ذلك الصنف الممتاز الذى طالت صحبته للقرآن الكريم ، واستطاع من وراء ذلك أن يفقه معانيه ، وأن يستحضرها حين السؤال عنها ، دون الحاجة إلى استنباه المراجع أو المظان ... وماك بعض الشواهد السريعة على ذلك ، وهى بعض الزهرات المنتورة فى سيرة ذلك الخليفة التقى .

حدث محمد بن كعب القرظى قال : اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز ، فكلمنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقلنا : نحب أن تسأل عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى : « وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » . قال : فسأله ونحن نسمع . فقال عمر : سألت عن التناوش ، وهو التوبة ، طلبوها حين لم يقدرُوا عليها .

وهذا تفسير جميل لا تستوحش منه أقوال المفسرين فى كلمة « التناوش » ، ففى كتاب (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني : « النوش التناول ... وتناوش القوم كذا تناولوه . قال : وأنى لهم التناوش ، أى كيف يتناولون الإيمان من مكان بعيد ، ولم يكونوا يتناولونه من قريب فى حين الاختيار والانتفاع بالإيمان ، إشارة إلى قوله : يوم لا ينفع نفساً إيمانها ... الآية » .

وقال الزمخشري فى كشافه فى تفسير الآية : « التناوش والتناول أخوان ، إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب ... وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون ، وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت ، كما ينفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا » .

والتوبة قريبة من الإيمان ، فقد قال الراغب أيضاً : « التوب ترك الذنب على أجل الوجوه ، والكفر رأس الذنوب ، وفى التوبة رجوع إلى الله ، والرجوع إليه خضوع له وإيمان به !! ...

ومن جبل تفسيره للقرآن أنه سئل — كما حدث إبراهيم بن زيد — عن قول الله تعالى :
 « أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » ، فقال : لم تكن إضاعتهما أن تركوها ، ولكن أضعوا
 للمواقيت . وسياق الإجابة يدل على أنه أجاب حين سئل ، دون استنباه أو رجوع ، وذلك
 يدل على صلته الدائمة بالقرآن ومعرفته له وأنسه به .

وهذا تفسير طريف آخر لبعض آيات القرآن الكريم ، ذكره عمر بن عبد العزيز ،
 ولمح فيه من ألفاظ القرآن ما قد يغيب عن سواء : كتب إليه بعض عماله يقول : يا أمير
 المؤمنين إني بأرض قد كثرت فيها النعم ، حتى لقد أشفقت على من قبلي من أهلها ضعف
 الشكر ... فكتب إليه عمر يقول :

إني قد كنت أراك أعلم بالله ، إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمد
 أفضل من نعمه . لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل فقد قال الله تعالى :
 (ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)
 وقال الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها
 وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
 وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) وأى نعمة أفضل من
 دخول الجنة ؟

والظاهر أن عمر رضى الله عنه لا يريد بذلك التهوين من شأن النعم الإلهية ، ولكنه
 يحث على مداومة الحمد المصحوب بالشكر وحسن العبادة ، وذلك خير مقابلة للنعم ، وإذا
 تذكرنا أن التوفيق للحمد على وجه نعمة أخرى كبرى ، فقد عرفنا كيف تتصل النعم وتدوم .

* * *

ويلوح من سيرة عمر بن العزيز ومواقفه مع القرآن المجيد أنه رضى الله عنه كان يقبل
 عليه بالسمع والبصر والفؤاد ، ويبدأ في تلاوته يقظ القلب حاضر اللب طاهر الروح ؛
 ولذلك هو ينتبه لفواصله ، وتتبع تنقلاته ، ويتأثر بألوان عباراته ، ويندج في جوه الروحي
 السامى ، فينال من حسه ونفسه وشعوره الشيء الكثير ؛ فهو مثلاً يقرأ قراءة الفاهم ، ويسمع
 سماع المتابع ، ويدرك ما يناسب كل آية من تجاوب أو تعليق . حدث وكيع عن صالح بن
 سعيد المؤذن قال : بينما أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء ، فأذنت بالعشاء الآخرة ، فصلى ،
 ثم دخل القصر فقلما لبث أن خرج ، فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس فاجتبي ، فافتتح

(الأنفال) فما زال يرددها ويقرأ ، كلما مرّ بتخويف أضرع ، وكلما مرّ بآية رحمة دعا ، حتى أذنت الفجر !!

وهو يهتز قلباً وقالبا إذا استبان أنوار الجلال القدسي أو ملاح القدرة الإلهية في التعبير القرآني ... حدثت بجدل الشامي عن أبيه — وكان صاحباً لعمر — قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يتلو على المنبر هذه الآية : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » ، حتى ختمها ، فقال على أحد شقيه يريد أن يقع . يعني أنه فعل ذلك من شدة تأثره بما تلا .

وهو كثير البكاء حين يتلو القرآن ، وإنما البكاء ترجان حسي عما يحتاج في صدره ، وما يصطلي به كبده من زفريات :

حدث الفضيل بن موسى عن مقاتل بن حيان قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقراً : (وقفهم لمنهم مسئولون) لجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها — يعني من البكاء وشدة التأثر .

وذكر أبو المليح عن ميمون بن مهران قال : قرأ عمر عبد العزيز : (ألهاكم التكاثر) فبكى ثم قال : (حتى زرتم المقابر) ما أرى المقابر إلا زيارة ، ولا بد أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار ... والله ما ألطف ذلك التأويل ، وما أجمل استنتاج ذلك المعنى الرقيق المؤثر من الآية الكريمة ... أرأيت كيف يلح من كلمة « زرتم » ، أن البقاء في القبور إنما هو بقاء الزائر ، والزائر يخفف زيارته عادة فلا تطول وهي مهما طالت قصيرة ، ولا بد له من عودة وإلى أين العودة هنا ؟ إلى الجنة أو النار !

وقد روى عن عبد الأعلى بن عبد الله الغزي أنه رأى عمر يوم الجمعة صعد المنبر فخطب فقراً (إذا الشمس كورت) حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى : (وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلفت) بكى وأبكى أهل المسجد ، حتى ارتجح بالبكاء . قال الغزي : حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه !! ..

وليس ذلك بمعجب ، فعمراً عندما تلا تصور ، وبلغ به التصور حده ، فكأنه يرى أهل الجنة وهم يتزاورون فيها ، ويرى أهل النار وهم يصطرخون فيها .. وإذا لم تكن الحيطان قد بكت حقيقة — إن أردت المراجعة — فلا أقل من أن تفهم أن هذه اللحظة بما فيها من جلال وخشية واستغراق جعلت الغزي يرى كل شيء حوله باكياً !! ..

وقال محمد بن الحصين : حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز — وهو أمير المؤمنين —
وقرأ عنده رجل : (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) فبكى عمر حتى
غلبه البكاء وعلا نحيبه فقام من مجلسه فدخل بيته ، وتفرق الناس .

وروى سعيد بن أبي عروبة أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه : اقرأ : قال : ما أقرأ ؟ .
قال : اقرأ سورة (ق) . فقرأ حتى بلغ : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد) فبكى ، ثم قال : اقرأ ، اقرأ يا بني . قال : ما أقرأ ؟ . قال اقرأ سورة (ق) . حتى
إذا بلغ ذكر الموت بكى أيضاً بكاء شديداً ؛ يفعل ذلك مراراً .

ولعله يشير بذلك الموت في آخر الخبر السابق إلى قوله تعالى بعد الآية السابقة : (ولم
أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص) . أو إلى قوله
تعالى بعد ذلك في السورة نفسها أيضاً : (إنا نحن نحيي ونميت وإنا المصير) ففي كل منهما
إشارة إلى الموت . .

وأخبر رجل من بني ضبة قال . شهدت رجلاً يقرأ عند عمر بن عبد العزيز ، فكلما
انتهى إلى هذه الآية : (فن الله علينا فوقانا عذاب السموم) بكى عمر حتى اشتد بكاءه ،
ثم ازداد بكاءه ، فلم يزل يبكي حتى غشى عليه

والظاهر من سيرة عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه أن أسرته كانت تشاركه الشعور
بجلال القرآن ، وتتجاوب معه في ذلك الحزن العميق والالام البالغ إذا جاء ذكر الحساب
والعقاب ، ولا عجب فقد كانت ذرية مقودة بزمام الحق والإيمان .

حدث أبو مودود قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم : وما تكون
في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه . .
فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة (زوجته) جلست تبكي لبكائه ، وبكى
أهل الدار لبكائهما ، فجاء عبد الملك (ابنه) فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون ، فقال :
يا أبتى ، ما يبكيك ؟ قال : خير يا بني ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني
لقد خشيت أن أهلك ، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

وهذا خبر نجعله خاتمة هذه المواقف ، ولعله جدير بأن يكون خاتمتها ... لقد بكّت عليه زوجته فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاته بكاء شديداً موصولاً ، فلما أرادوا أن يصدوها عن ذلك أبت وقالت فيما قالت :

رأيت ذات ليلة قائماً يصلى ، فأتى على هذه الآية : « يوم يكون الناس كالفرش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، فصاح : واسوء صباحاً ! . ثم وثب فسقط لجمل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدأ فظننت أنه قد قضى ، ثم أفاق إفاقة فنادى : يا سوء صباحاً ! . ثم وثب فجعل يحول في الدار ويقول : ويلى من يوم يكون الناس فيه كالفرش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ... قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، حتى أناه الإذن للصلاة ؛ فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي ، فلم أملك رد عبرتي !! .

* * *

رضوان الله عليك أيها الإمام التقي الصالح ، بقدر ما أعليت من شأن القرآن ، وأقبلت عليه ، واحتفلت له ، وبقدر ما حزنت لوعيده وتحذيره ؛ وأعلى الله مكانك بين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أحمد الشرباصي

مبعوث الأزهر إلى الكويت

سر نجاح حركة الجيش

قال الرئيس محمد نجيب في حديث له نشرته الأهرام : « لقد قامت حركتنا على تكرار الذات ، فليست لي ولا لأحد من زملائي مطامع شخصية سوى مصلحة البلاد العليا . ولعل هذا هو سر نجاح الحركة ، وهو السر الذي نعمل اليوم على إشاعته في البلاد ليعمل الجميع متعاونين في خدمة غرض واحد وهو نهضة البلاد وعظمتها ، .

الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

كتب مندوب « الأهرام » ، الخاص يقول :

هذه مسألة لم يألف الناس أن يتحدثوا فيها ، إذ الحيوانات عندهم لاحقوق لها ، وهي عجائوات لا تفصح ، وخرساء لا تبين ، ونحن نضربها ضربا مبرحا أليما ، حتى لنكاد نمزق أجسادها بالسياط ، ونحمل عليها ما يرهقها ، وما يثقل كاهلها . وغابتنا أن نحمل ثقلنا ولا يعيننا ما ذا تكون . ولقد أراد فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعطى هذه الناحية بعض عنايته : إذ الحيوانات خلق مثلنا ، وعالم تتعاون معنا في هذه الحياة .

قال فضيلته : وهل جهل هؤلاء الذين يعنفون الحيوانات أنهم يخالفون قواعد دينهم ويخرجون على تعاليمه السمحة ؟

ثم استطرد فضيلته فقال : لقد أقام الإسلام هدايته على أساس الرحمة المخفوفة بالحكمة ، والرحمة تبعث النفوس مبعث الرفق والإحسان ، والحكمة تقف بالرحمة عند حدود لو تجاوزتها انقلبت إلى ضعف ورعونة . وعلى هذا الطريق الوسط جاءت الأحكام والآداب الإسلامية الخاصة بالتصرف في الحيوان .

فقد أذن الإسلام في قتل الحيوان المؤذى - كالكلب العقور والفأر - لكنه أمر بالإحسان في قتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان في كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل » . وأذن الإنسان في ذبح الحيوان للاستمتاع بالطيب من لحومه ، لكنه أمر بالإحسان في ذبحه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح » . وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .

وقد ذكر أئمة المسلمين آداباً اقتبسوها مما جاءت به الشريعة في أصول الرفق بالحيوان ، فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « من الإحسان للذبيحة أن لا تجر الذبيحة إلى من يذبحها ، .

وقال ربيعة الرأى أحد فقهاء المسلمين وأئمتهم في المدينة : من الإحسان أن لا تذبح ذبيحة وأخرى تنظر إليها .

ونص الفقهاء على أنه يستحب للذابح أن لا يحد شفرته بحضرة الذبيحة ، وأن لا يصرعها بمنف .

وأباح الشريعة صيد الحيوان ، ولسكنها منعت أن ينصب الحيوان غرضاً (أى هدفاً) ليرمى بالنبال والرصاص ، وفي صحيح مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً ، أى لتتعلبوا به الصيد والرمية . وفي صحيح مسلم أيضاً أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه ، وجعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً .

ومن الرفق بالحيوان تجنب أذيته في بدنه بنحو الضرب الاليم . وورد النهى عن خصاء البهائم ، كما جاء في شرح معاني الآثار للإمام الطحاوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يخصى الإبل والبقر والغنم والخيل . وحتى لو دعت الضرورة إلى ذلك في الحيوان الذى يخشى عضاذه ، فإنه إذا وجد طريق لمنع أذاه من غير طريق الخصاء فإنه لا خلاف في منع الخصاء حينئذ ، لأنه تعذيب ، وقد نهى الشارع عن تعذيب الحيوان .

ومن الرفق بالدابة أن لا يتابع السير عليها متابعة ترهقها تعباً ، فقد روى مسلم وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظاً من الأرض .

وورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيم في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت ، فذهب بعض أهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان وقال : إنه أمر بقطع القلائد من أعناق الإبل مخافة اختناق الدابة بها عند شدة الركض ، لأنها تضيق عليها نفسها ورعيها ، وكراهة أن تتعلق بشجرة فتخنقها أو تعوقها عن المضى في سيرها .

ومن المحظور وقوف الراكب على الدابة وقوفا يؤلمها ، فقد ورد في سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله إنما ينزعها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس » .

وحرمت الشريعة الإسلامية الإساءة إلى الحيوان بتحميله من الانتقال مالا يطيق ، وكان الصحابة ، رضى الله عنهم ، يعرفون أن من حمل دابة ما لا تطيق حوسب على ذلك يوم القيامة ، حتى روى عن أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، أنه قال لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاضني عند ربك ، فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك .

ولا يجوز الحمل على ما لم يخلق للحمل كالبقرة ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : لا خلاف في أن البقر لا يجوز أن يحمل عليها ، وذهب كثير من أهل العلم إلى المنع من ركوبها نظراً إلى أنها لا تقوى على الركوب ، إنما ينتفع بها فيما تطيقه من نحو إثارة الأرض وسقي الحرث . ومن الرفق بالدابة أن لا يركبها ثلاثة أشخاص يكون عبئهم عليها ثقيلاً . أخرج ابن أبي شيبة عن السكندی أحد علماء التابعين في السكوفة ، أنه رأى ثلاثة على بغل فقال : لينزل أحدهم فإن رسول الله ﷺ لعن الثالث .

وأخرج الطبري عن علي رضى الله عنه أنه قال : « إذا رأيتم ثلاثة على دابة فارجموهم حتى ينزل أحدهم » .

وبجمل هذه الآثار على حال ما إذا كان ركوب الثلاثة يرهق الدابة ، فإن كانت تطيق ذلك كالناقة ، أو البغلة ، يركبها رجل وصبيان مثلاً ، فليس به بأس ، ولا سيما ركوبها في مسافة قصيرة ، وهذا ما كان من النبي ﷺ حين قدم مكة راكباً على بغلته ، فاستقبله أغيلة من بني عبد المطلب ، فحمل واحداً بين يديه والآخر خلفه .

ومن الفنون التي يسلكها قساة القلوب في تعذيب الحيوان تهيج بعض الحيوان على بعض كما يفعل بعض الكباش والديوك وغيرها ، وهو من اللغو الذي حرّمته الشريعة ، لما فيه من إيلام الحيوان وإلغائه في غير فائدة ، وفي سنن أبي داود والترمذى : « نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم ، والتحريش بينها لإغراء بعضها ببعض » .

وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : « كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا حمة (وهي طائر قد يسمى الحمة) معها

فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش (أى ترتفع وتطل بجناحيها) فلما جاء رسول الله ﷺ قال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : « من أحرق هذه ؟ قلنا : نحن ، قال : إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار ، .

ونص علماؤنا على حرمة تمكين الصبي من التلمس بالطير على وجه فيه لإيلاام له .
وروى الطبراني والبخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى حماراً موسوماً على وجهه فقال : « لعن الله من فعل هذا ، .

وقال المقداد بن معدى كرب : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لطم خدود الدواب .
وفي صحيح مسلم أن امرأة كانت على ناقه فضجرت فلعتها ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بإعراء الناقة مما عليها وإرسالها ، عتوبة لصاحبها ، وفي رواية أنه قال : « لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة ، .

ووردت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل سقي الحيوان وإطعامه ، وعدهما من عمل الخير الذي تنال به الزلفى عند الله ، فجاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة ، .

وفي صحيح البخاري أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فإلّا خفه ، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكره الله فغفر له . قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ . فقال : « في كل ذات كبد رطبة أجر ، .

وفي صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذبت امرأة في هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض ، .

وقرر الفقهاء وجوب القيام على سقي الدابة وإطعامها ، وصرحت طائفة منهم بأن القضاء الإسلامى يجبره على ذلك إذا قصر فيه ، فإن لم يتم للدابة بما يجب عليه من حسن تغذيتها وسقيها ، باعها ولى الأمر ، ولم يتركها تحت يده تقاسى .

وفي سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر ببعير قد لحق ظهره ببطنه ، فقال : اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة (أى التى لا تقدر على النطق) فاركبوها صالحة ، وكلاهما صالحة .

وبلغ من تأثير الصحابة والمسلمين الأولين بهذا الادب فى الرفق بالحيوان أن كان عدى ابن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : لمن جارات ولهن حق ، روى ذلك النسوى فى تهذيب الاسماء .

وبلغ من أدب إمام الشافعية أبى اسحاق الشيرازى فى الرفق بالحيوان أنه كان يمشى فى طريق يرافقه فيه بعض أصحابه ، فعرض لها كلب ، فزجره رفيق الإمام أبى اسحاق ، فنهاه الإمام وقال له : أما علمت أن الطريق يبنى وبينه مشترك . ١

ولإذا كانت جمعية الرفق بالحيوان فى إنجلترا قد تأسست سنة ١٨٢٤ ، فإن الإسلام أيقظ عاطفة الرحمة بالحيوان فى قلوب جميع المسلمين فأسس منهم - منذ بضعة عشر قرنا - أعظم وأقدم جماعة فى الدنيا للرفق بالحيوان ، فضلا عن الرفق بالإنسان ، ولا يشذ أحد منهم عن ذلك إلا بعد أن يكون قد شذ عن آداب دينية وأوامر شريعة .

وفاة حرم فضيلة الأستاذ الأكبر

انتقلت إلى ساحة رحمة الله الواسعة السيدة البارة الصالحة حرم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر ، بعد أن عاشت معه ربع قرن فى سيرة فاضلة كانت فيها المثل الأعلى للزوجة المسلمة فى البيت الإسلامى السعيد .

وقد مشى فى تشييع نعشها قبل ظهر يوم الجمعة ١٦ ربيع الآخر الرئيس اللواء محمد نجيب والوزراء والعلماء والأعيان وممثلو الهيئات الإسلامية . وأوفد صاحب السمو وصى العرش حضرة التشرىفاق لإبلاغ عزاء سموه وسائر أعضاء الأسرة .

أنعم الله الفقيدة برحمته ورضوانه ، وأحسن عزاء حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وأمتع المسلمين بحياته المباركة وتوجيهه الصالح فى هذا العهد الصالح .

بين الفلاسفة وعالم الكلام عند المسلمين

— ٣ —

لقد انتهينا في مقالنا السابق من الكلام عند عقيدة المسلمين في عصر سيدنا عمر ، وأشرنا إلى ما جد في عهده من التعلل بالقدر في فعل بعض المعاصي ، مثل ما حصل من الرجل الذي سرق ، متعللاً بقدر الله ، وأن عمر رضى الله عنه قطع يده للسرقة ، وضربه للكذب على الله . وقد وعدنا بأن نبدأ حديثنا من وقت فتنة عثمان رضى الله عنه ، أو بعبارة أقرب إلى الحقيقة ، فتنة المسلمين . . وزيد من هذه الفتنة طبعاً الثورة التي انتهت بشهادة أمير المؤمنين ذى النورين رضى الله تعالى عنه .

إن من يستعرض تاريخ الدين الإسلامى يرى أن أصحاب الديانات الأخرى غير الإسلامية لم ينسوا موقف الدين الإسلامى منهم حين رأوا - في زعمهم - أنه قد اعتدى على سلطانهم وثار على دينهم ، ولما لا بد من محاربته ، والوقوف في سبيل نشره ، فرد كيدهم بسيفه ، بعد أن لم يقتنعوا بحجته . فلما عجزوا عن مقاومته بسيفهم ، وردده بحرا بهم ، أخذوا يدبرون في السكيد له ، فتروى بعض كتب التاريخ ^(١) أن يهودياً دس لآبى بكر السم في شئ من الطعام وكان السم لسنة ، ثم مرض قبل وفاته بخمسة عشر يوماً بسيفه ، وهكذا توفى أبو بكر رضى الله عنه نتيجة لحقد اليهود على الدين الإسلامى . وإذا تركنا أبا بكر الخليفة الإسلامى الأول إلى عمر ، الخليفة الثانى ، رأينا أن صاحب دين آخر هو الدين المجوسى قد ثار لدينه منه رضى الله عنه ، وهو أبو لؤلؤة المجوسى من أهل نهاوند ، قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس ، وكان عمر يخرج في السحر ليوقظ الناس للصلاة ، فلما مر به طعنه ثلاث طعنات كانت سبباً في موته ^(٢) . وهكذا قضى أصحاب دينين على خليفتين من خلفاء المسلمين ثاراً لدينهما من الدين الإسلامى الذى غلب أمره على جميع الديانات التى تخالفه .

لكن ما وقع لآبى بكر وعمر رضى الله عنهما على يدى رجلين غير مسلمين هل يسوغ لنا أن نحكم على قاتلى عثمان رضى الله عنه بأنهم من غير المسلمين ، مع أن كتب التاريخ قد ذكرت من بينهم محمد بن أبى بكر ؟ الحق أن محمد بن أبى بكر رضى الله عنه كان ممن دخلوا على عثمان

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ١٩٤ . (٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٢١٢ .

لقتله ولكنه خرج ولم يشترك معهم ، وإنما قتله رجال آخرون كما روته كتب التاريخ ^(١) ، وإذا علمنا أن الثوار أتوا من الكوفة والبصرة ومصر ، فليس بالبعيد أن يكون لمن يضمرون للإسلام الشر من غلبوا على أمرهم من أهل الديانات المخالفة النصيب الأكبر في هذه الثورة على الخليفة الإسلامي الثالث .

وإنما قلنا النصيب الأكبر لأن بعض المسلمين ممن خلصت نيّتهم ، واستضاءت طوبيتهم بنور الإيمان قد خدعوا - حرصاً على تحقيق العدالة المطلقة بين المسلمين - بتليب هؤلاء الجبناء فثاروا معهم على الخليفة ، ولكنهم لم يلوثوا طهارتهم بدنس الاشتراك في قتل خليفة المسلمين . ومن هنا نعرف أن أصحاب الديانات الأخرى مازالوا ولا يزالون يسددون ضرباتهم القاتلة للقضاء على الإسلام وأهله ، ولكن الله حافظه ، ولن تضع الحرب أوزارها بين أهل الديانات المختلفة حتى تقوم الساعة ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ^(٢) . إن موت الخليفة الإسلامي لا يؤثر على قوة إيمان المسلم الصادق ولا يفت في عضده ، لأن إيمانه بأن كل نفس كل ذائقة الموت ، حتى محمد صلوات الله عليه وآله ما هو إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وإيمان المسلم بهذا جزء من عقيدته ، ولهذا كان يصح أن يكون قتل عثمان رضي الله عنه أمراً عادياً كوت زميلية : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكنه لم يكن كذلك لأنه ترتب على موته - بخلاف موت زميلية - صدع وحدة المسلمين ، وانشقاق صفوفهم ، وتفرق كتبهم ، بما بقي أثره حتى يومنا هذا ، لقد قامت إثر هذا الحادث المشؤم حروب عظيمة أضعفت من شأن المسلمين مما جعل مجالا لغير المسلمين في زيادة الكيد للدين الإسلامي ، تارة باستعمال السيف مع الخارجين على الحكم ، وتارة بإثارة الشبه حول العقيدة الإسلامية الناصعة الخالصة .

بعد هذه الفتنة مباشرة قامت حرب ضروس بين المسلمين جعلت جماعهم صفين ، ثم صيرتهم يكفر بعضهم بعضاً ، فنشأت فرقة الخوارج التي يكفر كل من عداها من المسلمين ، وكذلك فرقة الشيعة التي تكفر كل من عداها أيضاً من المسلمين ، ومن هنا أصبحنا نسمع أن مسلماً يكفر مسلماً لخلاف في الرأي الذي لم يرد به نص صريح في الدين الإسلامي ، ونسى المختلفان قوله تعالى : ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا ^(٣) . ثم شاع القول بالكفر بارتكاب الكبيرة ، أي أن من يرتكب كبيرة من الكبائر من المسلمين يصبح كافراً ويخلد في النار خلود أهل الكفر ، لأن الإيمان اعتقاد وعمل ،

(١) مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٣٣ (٢) الآية ١١٨ من سورة هود (٣) من الآية ٩٤ - سورة النساء

فن لم يعمل بما أمر به الله ورسوله ، فقد انهدم نصف إيمانه ، فلا يكون مؤمنا بل يكون كافرا وجزاء الكافر الخلود في النار .

وكان الخوارج هم أصحاب هذا الرأي . وفي هذا الوقت الذي كانت تنادى فيه الخوارج بأن مرتكب الكبيرة كافر لعدم تحقق أحد جزأى الإيمان فيه وهو العمل ، وجدت طائفة تقول بأن الإيمان هو التصديق القلبي فقط وليس العمل جزءا منه ، وبالعالم متطرفون حتى قالوا لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، بل ذهب بعض الغلاة منهم إلى أن الإنسان إذا آمن بقلبه وأتى من الأعمال ما هو ككفر كالسجود للشمس والقمر والصنم فلا يكون سجدته لها كفرا في نفسه ، ولكنه علامة الكفر ^(١) .

بعد أن قام الخلاف على مرتكب الكبيرة وهل هو كافر كما قالت الخوارج ، أو مؤمن كما قالت المرجئة ، جر هذا الخلاف إلى خلاف آخر كان وجوده أمرا طبيعيا لا بد منه ، وقد نشأ هذا الخلاف من السؤال التالي : هل الإنسان عنده القدرة على أن يأتي ما يشاء من الأعمال ويترك ما يشاء منها ؟ حتى نحكم عليه بأنه كافر إذا أتى من الأعمال ما يخالف مقتضى الإيمان بناء على ما ذهب إليه الخوارج ، أو نحكم عليه بأنه ما زال مؤمنا وإن أتى من الأفعال ما يتنافى مع إيمانه على رأى المرجئة ؟ من هنا نشأت مشكلة جديدة هي مشكلة الجبر والاختيار . وهي : هل الإنسان مجبور على أفعاله ، ولهذا لا نحكم عليه بشيء ؟ أو أنه مختار في أفعاله وعنده الاستطاعة عليها ، وإذن لا بد من الحكم عليه ؟

هذه هي المشكلة الثانية (مشكلة الجبر والاختيار) التي كانت نتيجة للمشكلة الأولى وهي الحكم على مرتكب الكبيرة بالإيمان أو الكفر .

وفي المقال التالي إن شاء الله نبدأ بالكلام على أصحاب القول بالجبر ، ثم على أصحاب القول بالاختيار ، وما أساس هاتين المشكلتين ، حتى يتأتى لنا حصر المشاكل التي قامت حول الدين الاسلامي بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه ، ثم كيف نمت هذه المشاكل وزادت من شأنها الفلسفة بعد أن ترجمت إلى المسلمين ؟ ثم كيف اختلف علم الكلام بالفلسفة ، حتى أصبح عند المسلمين تراث كبير من علم الكلام .

على مصطفى الغرابي
المدرس في كلية أصول الدين

تطهير الأدلة الحكومية

— ٢ —

روى ابن عبد الحكم ^(١) أن المسكاتب دارت بين الخليفة عمر بن الخطاب ووالى مصر عمرو بن العاص بشأن حصيلة جباية أموالها : يقول الخليفة : ... أما بعد فإنى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه ، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها هددا وجلدا وقوة فى بر وبحر ، وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوم وكفرهم فعمجت من ذلك ، وأعجب ما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحط ولا جذب . ولقد أكرت مكاتبك فى الذى على أرضك من الخراج ، وظننت أن ذلك يأتينا على غير نزر ، ورجوت أن تفيق فترفع إلى ، فإذا أنت تأتيني بمعاريض تعبا بها لا توافق الذى فى نفسى ، ولست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ، وقد رد عمرو بن العاص مدافعا عن سياسته وعن أمانته وتعددت بين الخليفة وواليه المسكاتبات .

وكان (ديوان الزمام) ويشبه ديوان المحاسبة اليوم — من أعظم النظم التى أدخلها الخليفة المهدى ، كما كان (ديوان الخراج) أيام بنى أمية أهم دواوين الدولة . ويقصد بديوان الأمانة أو الزمام ، أن الدواوين تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان ، فيتخذ دواوين الأمانة ويولى على كل منها رجلا . وقد أنشأ العباسيون (ديوان النظر) أو المسكاتبات والمراجعات : وينقسم إلى ديوان الجيش وفيه الإثبات والعطاء ، وديوان الأعمال ويتولى الرسوم والحقوق ، وديوان العمال ويختص بالتقليد والعزل ، وديوان بيت المال وينظر فى الدخل والخرج ^(٢) .

ولقد كانت تقارير ديوان المحاسبة فى مصر محرومة من القوة التنفيذية والسلطة الجزائية حتى صدر أخيراً المرسوم بقانون بإنشاء مجلس تأديبى لمحاكمة الموظفين المسؤولين عن المخالفات

(١) فتوح مصر ص ١٥٨ . (٢) النظم الإسلامية - النسخة المفصلة ص ٢٢٢ - ٢٢٣

المالية . كما صدر من وقت قريب مرسوم بقانون الكسب غير المشروع ، وصدر أخيراً مرسوم بقانون بتعديله ، وبمقتضى ذلك يرد الكسب غير المشروع ويعاقب صاحبه .

وهذه الناحية الإيجابية فى ضمان نزاهة الحكم سابقة فى تاريخ الإسلام . فقد سن الأمويون نظاماً غاية فى الدقة للإشراف على جباية الأموال ، وفى عهد عبد الملك بن مروان كان يعمل تحقيق دقيق مع الجباة وموظفى الخراج عند اعتزالهم أعمالهم الإدارية ، وكان للتحقيق أماكن خاصة تسمى « دار الاستخراج » ، وينتهى الأمر بالإقرار بأسماء من أودع عندهم الموظفون ودائعهم وأموالهم ، ويرد إلى بيت المال حقه المسلوب ^(١) .

ولم تقتف نزاهة الحكم فى الإسلام عند ضمان حقوق الدولة من أن تضيع ، فلربما لو ثلث الحاكمون أنفسهم دون أن يمسوا من بيت المال - بطريق مباشر - درهما ولا ديناراً ، وذلك باستغلال نفوذهم . فيستلبون الأموال من جيوب الشعب بدلاً من استلابها من خزانة الدولة . كان عمر بن الخطاب يرى الدابة السمينة لولده فيقول : ما أشبعها إلا بجاه أنك ابن أمير المؤمنين !! ويصدرها ويردها لبيت المال . وخرج ابنه عبد الله وعبيد الله إلى البصرة ، فأعظاهما أبو موسى الأشعرى مالا مما تحت يده للمسلمين ليتاجرا فيه ، فيرجعا رأس المال ويكون لهما الربح . فلما علم عمر سألها : أكل الجيش أسلفه ؟؟ ثم أمرهما أن يؤديا المال وربحه . وقبل بعد لآى أن يجعله قراضاً فيأخذ لبيت المال رأس المال ونصف ربحه .

ولقد سن عمر بن الخطاب طريقاً عملياً لتطهير الاداة الحكومية من كل كسب يُشك في مصدره . فعرف عنه (نظام المقاسمة) ، وذلك بعمل لحصاء دقيق لثروة الولاية قبل توليتهم ، والتي لا تسمح بها روايتهم ^(٢) . يقول البلاذرى « كان عمر يكتب أموال عماله إذا ولاهم ، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربما أخذه منهم . فسكرت إلى عمرو بن العاص :

(١) السيادة العربية لنان فلون ص ٢٧ - ٣٢ - تاريخ الاسلام السياسى ج ١ ص ٦١٤ - النظم الاسلامية

النسخة المفصلة ص ٢٧٠

(٢) إلا إذا ثبت عليهم أنها كانت من طريق غير مشروع فإنها ترد كلها .

« إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر ، فكتب إليه عمرو « إن أرضنا أرض مزدروع ومتجر ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فوجه إليه محمد بن مسلمة ليقاسمه ماله ^(١) .

ولقد استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة فقدم المدينة بمال فقال له : ما هذا يا عتبة ؟ قال : مال خرجت به معي واتجرت فيه . قال : ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه ؟ فصيّره في بيت المال .

وعلى هذا النحور دّ معاوية بنفسه إلى بيت المال نصف الثروة التي جمعها ، ليعطيه له الباقي . وكذلك شاطر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص على ماله ، وشاطر أبا هريرة أيضاً . وشاطر خالد بن الوليد على ماله ، حتى الخفين أخذ منهما واحدا وترك الآخر وصادر غيرهم أيضاً ورد أموالهم إلى بيت المال ^(٢) .

ودلالة هذه العمريات واضحة على نزاهة الحكم الإسلامي التي لا ترعى « محسوبيات » ، وهي قائمة على السبق في الإسلام ، ولا تسمح بوجود « أرستقراطية دينية » ، من أى نوع من الأنواع . بل إن الحكم الإسلامي كان يحاسب هؤلاء الصحابة الأكرمين بأشد مما يحاسب غيرهم ، فالحكم أمر خطير ، والصعوبة شأنها جليل ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين كما يقولون ، لذلك ضاعف الإسلام العقوبة على الأحرار ، وضاعف العذاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم . ولئن كان الفرد العادي له حصانات وضمانات في حالة اتهامه ، فإن الرجل العام شأنه أن يتقى مواطن الشبهات من بعيد ، لذلك أخذته سياسة الشرع في سمعته ونزاهته بما لم تأخذ به غيره من عامة المسلمين .

ودلالة هذه العمريات أيضاً أن الحكم الإسلامي في سائر الأرجاء ، ليس تحكم والحجاز ، كقطر غالب في بلاد مقهورة ، وليس استعلاء العرب المسلمين على غيرهم من غير العرب وغير المسلمين . ولو كان لا يبيح للحاكمين من البلد الفاتح أن يعبثوا بأموال البلد المفتوح ،

(١) فتوح البلدان ص ٢٢٧ النظم الإسلامية ، النسخة المفصلة ص ٢٦٩

(٢) الطبرى - في مواضع متفرقة منها قصة خالد ج ٤ ص ٥٦ و ص ٢٠٥ (طبعة الحسينية) - أشهر مشاهير

ولترك الخلفاء صاهم العرب المسلمين يستنزفون دماء الشعوب ما دامت لا تتكلم العربية ولا تدين بالإسلام!!! ولكن الإسلام ليس حكم د أفراد، أو د أجناس، أو د أقطار، وإنما هو د حكم المثل العليا الإنسانية، في كل البقاع.

وقد يكون استغلال النفوذ لا بكسب المنفعة بالمال، ولكن بكسب المنفعة بتولية ذوى القرابة والحظوة. ولقد نهى الشارع أيضاً عن ذلك في الحديث: «من ولى من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله، وفي رواية: «من قلد رجلاً عملاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة أَرْضَى منه، فقد خان الله. وخان المؤمنين، — رواه الحاكم في صحيحه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (١) ... فيجب على ولى الأمر أن يولى على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل... ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب، بل ذلك سبب المنع، ففي الصحيحين: «إننا نولى أمرنا هذا من طلبه... فإن عدل عن اللاحق الأصح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة أو صداقة، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو الرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على اللاحق أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون»، ثم قال: «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم، . (يتبع)

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

دُستور الدولة في نظر الإسلام

أهل التقنين الحديث قصدوا بالدستور مجموعة القواعد التي ترسم نظام الحكم في الدولة ،
بيان نوع الحكومة ومصدر السلطات ، ومن يتولاها ، وكيفية تكوينها ، واختصاصاتها ،
وبيان حقوق الشعب على الدولة وواجباتها عليه .

وقصارى القول أن هذه القواعد تنظم العلاقات بين الحاكم والمحكوم على وجه يصون
مصالح الدولة والرعية وتعتبر أساساً للقوانين الخاصة التي يحكم بها الناس في منازعاتهم المالية
والجنائية وشئون الأسرة . وهذه المبادئ من المقررات الأولى في نصوص الكتاب والسنة
وعمل الخلفاء الراشدين المهديين ، بل ألف علماء المسلمين كتباً في أصول الحكم ونظام الدولة
الإسلامية لم يصل إلى إحكامها وسموها عباقرة الساسة في القرنين التاسع عشر والعشرين ،
وإن كانوا لم يعطوا لهذا النظام اسم الدستور .

فإذا تبينا مضمون القانون الدستوري وغايته ، وأردنا أن نوازن في رأى الإسلام بين
الدستور المصرى الذى أسقط فى آخر عام ١٩٥٢ دستور يصلح أساساً للحكم فى بلد
مسلم ، وجدنا أن الأول تضمن أحكاماً كان يجب أن تعدل ، ونقصاً ينبغى أن يكمل .
ويتبين هذا فى الخطوط الرئيسية الآتية :

الحكم فى الدولة الإسلامية يقوم على أصول أربعة :
الأصل الأول - الإسلام أساس الحكم .

إن القوانين فى كل دولة تنبج الوجهة التى يحددها قانونها الأساسى وتأتثر بالنظام الذى
يضعه . وهناك حقائق يسلم بها المنصفون .

الأولى : أن القرآن أمر المسلمين أن يحكموا فى قضاياهم وفى سياسة أمورهم وفى تقاليدهم
بما أنزل الله ، قال تعالى : « فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ، والرد إلى الله ورسوله هو العمل بما جاء فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة .
الثانية : أن شريعة الإسلام مقصدها السامى هو قضاء مصالح الخلق والوفاء بحاجاتهم
كما يقول تعالى لئيبه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وكما يرشد إليه النص على الغرض
من شرع الأحكام المختلفة ، كالزواج والقصاص والطهارة والصلاة ، وأن هذه الشريعة
أمرت بتحقيق العدل بين الناس والإحسان إليهم ورفع الحرج عنهم ما استطاع الحكام
إلى ذلك سبيلاً « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ،

سوت بين المسلمين وغيرهم في الحقوق ولم تنهم عن البر بغيرهم ما سألهم ، وأمرتهم أن يتركهم وما يدينون .

الثالثة : أن مصر بلد مسلم وأن أهلها توارثوا الحكم بالشرعية منذ فتحها عمرو بن العاص ولهم في الأحكام الإسلامية فقه وقضاء وفتاوى ساهم في بنائها عباقرة الفقهاء كالليث بن سعد والشافعي والطحاوي وابن القاسم وابن الهمام والعز بن عبد السلام ، واستطاعوا بفضل مرانة الإسلام وسهولته أن يحلوا مشاكل المجتمع المصرى قرابة أربعة عشر قرناً ، وورثوا المصريين ثروة قانونية عز على الزمان أن يجود بمثلها ، وهى من تالد مجدهم الذى يفاخرون به أعظم من مفاخرتهم بحضارتهم القديمة وملسكهم العريض ، وصارت أحكام الإسلام محببة إلى قلوب المصريين ، مألوفة لهم لأنها الشرعية التى أحس الشعب بساحتها ورضيها لنفسه ديناً .

هذه الحقائق هى التى صنعت الأصل الأول : الإسلام أساس الحكم ، وهى التى تحتم أن يكون من دعائم دستور الدولة ليكون حكمها وقوانينها وتقاليدها مطبوعة بالطابع الذى يرتضيه سواد الأمة الأعظم ويرتاح إليه ويعده طابعه القومى الاصيل .

الأصل الثانى - : الأمة مصدر السلطات ، : هذا الأصل يتناول السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية وهو من صميم الإسلام ، لأن أساس الحكم فى الدولة هو الشورى كما يدل عليه قوله تعالى فى مدح المؤمنين ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ، ورئيس الدولة يتولى سلطانه برأى الأمة وسلطته ليست مطلقة بل مقيدة برأى مجالس الشورى المؤلف من أهل الحل والعقد . على هذا جرى عمل السلف من المؤمنين :

أما الأول - فقد أجمع المسلمون على أن يكون للدولة رئيس مستجمع لصفات الاهلية التى تمكنه من الحكم بأن يكون كامل العقل سليم الدين ، عالماً بأحكام الله ، صاحب رأى يسوس به الأمة سياسة رشيدة ، وجرى عملهم فى عهد الخلفاء الراشدين على أن يكون تعيينه برأى أهل الحل والعقد وفى علماء الأمة ووجوهها ورؤساء جماعاتها .

فقد انتخب أبو بكر يوم مؤتمر السقيفة بعد أن قال فيهم أثره المشهور : لا بد لهذا الامر من إمام ، فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله ، . واستخلف أبو بكر عمر بعد أن استشار أعيان الصحابة وقد أشرف على الناس فى مرضه وقال ترضون من استخلفت عليكم ؟ فلم يخالفوا ، ولما طعن عمر رأى حصر الشورى فى الزعماء الستة الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، لعلمه أنهم رؤساء الناس وأنه لا يخالفهم أحد ، وكذلك تمت الخلافة لعلى ببيعة جمهور الأمة . وأما ولاية العهد التى كانت فى الأمويين والعباسيين فلا حجة فى عملهم بل فى

عمل العصر الاول ، على أن خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا يأخذون البيعة لأولادهم حرصا على جمع السكلمة ، وفى ذلك ضرب من الشورى .

وأما أن سلطة الحاكم مقيدة برأى الامة فلأن رئيس الدولة يستمد سلطته من أهل الشورى ، ولهذا كان لهم عزله إذا خرج عن الجادة . ولما ولى أبو بكر خطب الناس فقال : إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينون وإن رأيتم فى اعوجاجا فقومونى ، ودأب الخلفاء على اتخاذ مجالس للشورى يصرفون أمور الدولة بعد استشارتهم ، وقدوتهم فى ذلك عمل النبي صلى الله عليه وسلم . ونحن نعلم أنه استشار أصحابه فى مشاهد كثيرة كبذرو أحد والخندق .

ومجلس الشورى وليد رأى الامة لأن ارتفاع أعضائه إلى تلك المسكنة إنما كان بتقديم قبائلهم لهم وثقتهم فيهم ورضاهم عنهم . ولم يكن للخلفاء إجبار أهل الشورى على رأى معين ، بل على العكس كانت لأهل الشورى السكلمة على الخلفاء . وهذا المجلس بمنابة البرلمان الذى بيده عمل القوانين ومراقبة الحكومة ، فإذا كانت الشورى فى سلف المسلمين أساسها الشريعة وجب أن يكون البرلمان على هذا النحو فى القوانين التى يسنها والآراء التى يشير على الحكومة بها . والإسلام لم يحدد وضعا معيناً لأهل الشورى بل ترك تنظيم ذلك لأفكار الساسة .

ومما يجدر التنويه به بكثير من الإعجاب طريق الإسلام فى الانتخاب وهى أخذه برأى الرجال أهل الحل والعقد الذين يفهمون مصاير الأمور ويفرقون بين من يستطيع أن يرعى مصالح الدولة بعلم وعدل وأمانة ومن لا يستطيع .

أما انتخاب المرأة والانتخاب المباشر فعمل الساف لا يدل على اعتبار الإسلام لهما لأن الناس فى كل عصر منهم الخامل والجاهل والضعيف الذى يمكن أن تستغل إرادته بالمغريات ، والمرأة لم تخلق للولايات العامة ولا تصلح لها . وعن هذا الاصل الثانى يتقرر أن الحكم الإسلامى ليس استبدادياً .

الاصل الثالث - تحقيق مصالح الأفراد والضمانات التى تحميهم من السلطة الحاكمة ، كما قال رسول الله ﷺ ، الإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، وقال عمر رضى الله عنه : إنما مثل العرب مثل جبل آنف اتبع قائده فليظن قائده حيث يقوده ، وفى سبيل ذلك ينبغى أن يتضمن الدستور أموراً :

(١) الحرية : بأنواعها فى الاجتماع والإمامة والتليم وإبداء الرأى وفى الاعتقاد وإقامة الشعائر والتلك والحرية الشخصية ، كل ذلك إذا لم يصادم المصالح العليا للوطن وعقائد الامة . وقد وضع عمر رضى الله عنه مبدأ هذه الحرية بقوله : كيف تستعبدون الناس وقد ولدتم

أهماتهم أحراراً ، . ولما أراد المنصور أن يحمل الناس على موطنى مالك ، قال له مالك : « إن الصحابة تفرقوا فى الامصار وأذاعوا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز التى اعتمدتها وأخذ الناس بها فتركهم ، وقال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » .

(ب) تقرير : الحرمات كحرمة النفس والمال والعرض والمسكن قال ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام » ، وقال أيضاً : « من غصب شبراً من أرض طوقه الله بسبع أرضين ، وهو يعم الحاكم وغيره ، وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ، .

(ج) المساواة : فى الحقوق المدنية والسياسية ومعناها أنه لا تفريق بسبب الجنس والنسب والحسب والدين قال ﷺ فيما روى البزار : كلكم بنو آدم وآدم من تراب ، وقال : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ، وقال فى أهل الذمة : لهم مالنا وعليهم ما علينا ، .

الأصل الرابع — واجب الدولة على الأفراد الإذعان لأوامرها فى إقامة مرافق الآمة
لما أن تأمر بما فيه معصية الخالق ، قال النبي ﷺ : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وعلى الجملة ينبغى أن يتضمن الأصل الثالث والرابع تقرير الإلتزامات التى تحقق النظام الاجتماعى بين الأفراد والجماعات وتساهم فى بناء الشعب بناءً قوياً من ناحيته المادية والادبية تحقيقاً لقول النبي ﷺ : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، وبه يلتزم الفرد بالتعلم والعمل وإتقانه وبذل عونه لإخوانه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتلتزم الدولة بإعانة العاجزين وجباية الزكاة وفرض الضرائب التصاعدية والمنع من تضخم الثروة فى أيدي فريق وحرمان الآخرين .

هذه هى أصول الدستور كما يراها الإسلام لتكون أساساً للحكم صالح يحقق سيادة الدولة المستمدة من حقوق الآمة وسيادتها ، فهل لنا ونحن على أبواب بناء دستور جديد أن نطمح فى حكومتنا المصلحة أن تضمنه هذه الأصول ؟ ذلك ما تهفو إليه قلوب الملايين « ربنا آتانا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشداً » .

أحمد فهمى أرونة
المدرس بكلية الشريعة

المصونات الأدبية وأثرها في النقد

شهد تاريخ النقد العربي خصومات عدة مخدمة منذ العصر الجاهلي أ كسبته كثيراً من الحيوية ، كما أضافت إليه قدراً كبيراً من الآراء والأفكار النقدية ، التي ربما لم يكن من الممكن الوقوف عليها لولا وجود هذه الخصومات العنيفة ، وربما كانت طبيعة النقد بوجه عام هي أن ينمو ويزدهر كلما احتدمت هذه الخصومات وعنفّت . ولست أود هنا أن أفصل تاريخ هذه الخصومات فهذا يحتاج إلى كتاب بأكمله ، وإنما سأنتقل نقلاً سريعة حتى أصل إلى أعنف هذه الخصومات في رأيي ، وهما خصومتان شهدهما القرن الرابع الهجري وحده ، وهما في جبين هذا القرن أو في جبين النقد العربي بعامه درتان لامعتان ؛ أولاهما - الخصومة حول أبي تمام والبحترى كما سجلها الآمدي في كتابه « الموازنة » ، والآخرى - الخصومة حول المتنبي كما سجلها القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه .

ومن المستفيض في كتب الأدب القديمة أن النابغة كان يضرب له في سوق عكاظ قبة حرام وينصب عليها حاكماً بين الشعراء الذين كانوا يأتون إليه كل عام يحتكون في شعرهم ، وكان عمله أن يجعل منهم طبقات بحسب إجادتهم . واختصام امرئ القيس وعلقمة إلى زوجة الأول للفصل بين شعرهما في وصف فرسيهما أيهما أجود ؟ معروف . ومعروف أيضاً أن قصة الاختصام هذه قد انتهت بطلاق زوجة امرئ القيس لأنها قدمت عليه علقمة ، وكثير من هذا الاختصام قد شهدته مجالس الخلفاء والأمراء والقواد الأمويين . ولسكتنا نلاحظ أن هذه الخصومات وإن كانت تأخذ صورة جدية ويسمى إليها الشعراء سعيًا كما كان شأنهم في مجلس السيدة سكينة ، فإن المحصول النقدي من القواعد والمبادئ والنظريات لم يصل إلى حد الضخامة ، ولم يؤلف فيه كتاب كما سنرى في كتابي الآمدي والجرجاني .

فوجود شاعرين متبايزين في اتجاههما الأدبي وفي الصنعة الشعرية هما أبو تمام والبحترى لم يخلق بينهما خصومة لا تتعدى شخصيهما ، وإنما خلق هذه الخصومة بين الناس حولها ، بحيث نجدهم ينقسمون فريقين متميزين ، فريق يناصر المذهب الجديد مذهب أبي تمام ويدافع عنه وفريق يؤيد مذهب البحترى وينافح دونه .

وعند ما أقول المذهب الجديد عند أبي تمام فإنني أقرر بذلك حقيقة كبرى هي أن أبا تمام كان صاحب مذهب فني جديد . وليس المقصود بالمذهب هنا بطبيعة الحال مجرد الطريقة ، وإنما أعنى المذهب بمفهومه الأوسع عند ما يدل على أسس ثابتة وقواعد مقررة كلها تتألف لإظهار فكرة جديدة . وعلى ذلك فقد كان أبو تمام صاحب مذهب فني جديد بهذا المعنى ، وكان له أنصار يؤازرونه ويتشيعون له . وكان للبحرئى مذهب أيضاً لا يقل في ثبات أسسه وتقرير قواعده عن مذهب أبي تمام ، بل ربما كان في عهده أكثر منه ثباتاً وقوة ، وكان له من الأنصار - بالتالى - عدد أضخم . كان البحرئى هو القمة الفنية التي يتمثل فيها بكل وضوح مذهب « عمود الشعر » ، أو نستطيع أن نسميه نحن « مذهب الطبع » ، وكان أبو تمام على عكس ذلك في مذهبه الجديد الذي نستطيع أن نطلق عليه « مذهب الصنعة » . وهاتان التسميتان الجديدتان تلخصان ما بين المذهبيين من اختلاف في الاتجاه وبعد ما بينهما من افتراق .

وطبيعى أن يختلف الناس حول شاعرين من أبرز أعلام الشعر العربى لهذا السبب من تباين مذهبيهما ، وطبيعى أيضاً أن يمتد هذا الاختلاف إلى إبداء الرأى وإعلانه ، وطبيعى كذلك أن تشبك هذه الآراء وتعارض فتأخذ صورة من صور المحاجة والتناظر ؛ هؤلاء يتشيعون لشاعرهم ويبينون محاسن مذهبه ، وأولئك يتعصبون لمذهب شاعرهم ويظهرون محاسنه ، وهؤلاء وأولئك يندون على الشاعر الآخر عيوبه ويحسون عليه زلاته . وعلى هذه الوتيرة تأخذ الخصومة مجراها .

والناقد الحصيف الذى يرقب التيارات المتدافعة هو الذى يتنبه لما يتخلل هذه الخصومات من أفكار قيمة وآراء سديدة فيسجلها . ولكن الآمدى لم يسجل ما استخلصه من أفكار هؤلاء وهؤلاء ، وإنما هو أعطانا في كتابه صورة أطرف من ذلك بكثير ؛ فقد نقل إلينا الخصومة كما جرت بين المتخاصمين ، فكنا نرى الرأى والرد عليه من الطرفين المتخاصمين ، فيتوافر لدينا بذلك الحكم والبيئة أو النقض له والحجة . ولذلك استمر الآمدى في تصوير هذه الخصومة هذا التصوير الطريف حتى استفدها ، ولكنها لم تكن بهذه الصورة طريفة ممتعة لحسب ، بل ربما كانت العائدة فيها والدسم أكثر بكثير ؛ فمقد استطعنا من تتبع هذه الخصومة أن نخرج بالناصر أو الأسس - كما سميتها - التي يقوم عليها كل من المذهبيين ، كما عرفنا محاسن كل مذهب منهما وعيوبه . وربما كانت هذه هي الغاية التي هدف إليها الآمدى من كتابه ، فقد ذكر لنا أنه لن يفصل في هذه المنازعات وإنما سيركها للقارىء

الحصيف يستخرج منها ما يشاء ، فيرضى عن هذا المذهب أو ذاك كما يحلوه . وحسنا فعل الآمدى لأنه لو أبدى رأيه وتدخل في الخصومة لما كان يعدو أن يكون واحداً من أولئك المتعصبين لأبى تمام أو للبحترى . وهناك اتهام يسرى في كتب النقد الحديثة ، أو بعبارة أدق في الكتب التى تناول النقد القديم بالدراسة ، يذهب إلى أن الآمدى كان يتشيع لمذهب البحرى ويتعصب له على مذهب أبى تمام . ولست أدرى وقد طالت عشتري لهذا الكتاب كيف يجوز هذا الاتهام والآمدى لم يخرج في كتابه على المنهج الذى رسمه له منذ اللحظة الأولى . فإذا كان في هذا المنهج يحصى أخطاء أبى تمام وعيوبه فليس معنى ذلك أنه يتعصب عليه ، اسبب بسيط هو أن منهجه أيضاً فيه باب لإحصاء أخطاء البحرى وعيوبه سواء بسواء .

ومهما يكن من شيء فإن كتاب الآمدى ليس تفصيلاً لخصومة أدبية بين شاعرين فقط وإنما هو تصوير دقيق للتيارين الأدبيين اللذين كانا يتجاذبان الناس في القرن الثالث الهجرى وحتى منتصف القرن الرابع تقريباً . ونستطيع أن نلخص العمل الذى تم في هذا الكتاب في أمرين :

أولاً - أنه يمثل منهجاً أدبياً عملياً في نقد الشعر ، يستعرض الآراء السابقة ، ثم يتركها جانباً لبناء رأى شخصى جديد .

ثانياً - الاعتماد في الحكم على الذوق الشخصى والخبرة الطويلة .

ثم يحفل القرن الرابع أيضاً بخصومة لا تقل في عنفها عن تلك الخصومة حول الطائيين ، وهى الخصومة التى كانت بين المتنبى ومن يعارضون مذهبه .

ونحن نعلم أن الصاحب بن عباد كان من زعماء هذه الخصومة البارزين ، وقد ألف رسالة مشهورة في الكشف عن مساوى المتنبى عبر فيها عن رأيه ورأى أستاذه ابن العميد . ومهما يكن سبب تأليف هذه الرسالة أدبياً أو شخصياً بين الصاحب والمتنبى ، فالذى لا شك فيه أنها اشتملت على وجهات نظر في النقد قيمة إذا هى جردت من عنصر المبالغة والتحامل .

وقد تنقل المتنبى بين الاقطار الإسلامية ، فكان يثير في كل قطر خصومة ، حتى إننا نستطيع أن نذهب إلى أن الخصومة حوله تعد أفصح الخصومات ميداناً ، وأوسعها رقعة ، وأكثرها انتشاراً . وربما كانت أسباب هذه الخصومة في كثير من الأحيان شخصية ، وإنما

كان شعره يتخذ تكة الليل منه . وربما قيل إن المتنبي لم يحن عليه مثل كبره وعجرفيته ، وأقول إنه لم ينفع المتنبي مثل كبره ، ولم يخدم أدبه مثل عجرفيته .

وقد عاصر القاضى الجرجاني تلك الخصومة ورأى وسمع وقرأ الكثير ، وكان من هذا الذى قرأه رسالة الصاحب . ورغم صلة الود الوطيدة بين الجرجاني والصاحب ، فإن ذلك لم يمنع الجرجاني - وهو القاضى العدل المنصف - من أن ينتصف للمتنبي . وإذا كان هناك من يغالى أيضاً فى الانتصار للمتنبي ، فقد رأى الجرجاني أن مهمته تتحدد فى دفع هذا الغلو سواء عند المناصرين أو المعارضين .

وقد قسم الجرجاني وساطته أقساماً ثلاثة :

القسم الأول - وقد أفرده لمبادئ عامة فى النقد جرتة إليها المحاولة التى سينتهى إليها فى الدفاع عن الشاعر . ويمكننا أن نلخص هذه المبادئ فيما يلى :

أولاً : أن الخطأ فى الشعر داء قديم لم يسلم منه شاعر ، وأن هذا الخطأ وحده ليس سبباً كافياً لإسقاط شاعر كبير ، بل هناك مقومات فنية أخرى هى محل الاعتبار .

ثانياً : لا بد من توافر أربعة عناصر فى الشاعر حتى يصل إلى درجة الفحولة وهى : الطبع والرواية والذكاء والفطنة .

ثالثاً : مجانية التكلف والركون إلى الطبع وترك الصنعة الممقونة والاكتفاء منها بالقليل .

رابعاً : توسط الأسلوب بين السهولة التى تتحدربه إلى الضعف والركاكة ، وبين التصعب الذى يميل به إلى العورة والوحشية .

خامساً : تقسيم الالفاظ على رتب المعانى .

سادساً : وأخيراً أن يكون الشاعر جيد المطلع ، حسن التلخيص ، محبوبك الخاتمة .

القسم الثانى - وهو القسم الأكبر ، وفيه يتبين لنا منهجه فى الوساطة - أو إن شئت فى الحكم - بين المتنبي وخصومه ، وتطبيقه لهذا المنهج . ويمكننا أن نلخص أفكاره الماضية فيما يلى :

أولاً : أن الشعراء يقع لهم الحسن كما يقع السيئ ، وأن المتنبي كسائر الشعراء فى ذلك .

ثانياً : لا تذهب سيئات الشاعر بحسناته ، ولا ضعفه بقوته .

القسم الثالث والآخر - وربما كان أكثر قيمة من سابقه لما نجده فيه من نقد عملي تصحبه الحججة ويسنده الدليل والتعليل .

ثم يختم الجرجاني وساطته بفصل أخير يعرض فيه لما عابه اللغويون على المتنبي . وفي هذا الفصل وحده نسمع صوتاً لأنصار الشاعر من اللغويين أنفسهم وعلى رأسهم ابن جني .

وقد يطول بنا المقام لو أتينا وقفنا مع القاضي الجرجاني في كتابه فصلاً فصلاً ، ونحن لم نهدف منذ اللحظة الأولى إلى هذه الدراسة - وأرجو أن تتاح لها فرصة قريبة - وإنما كان هدفنا أن تبين أثر الخصومات الأدبية التي احتدم أوارها حول الأدب العربي والشعراء العرب في نهضة الحركة النقدية ونموها وازدهارها . ولو تصورنا أن تاريخ الأدب العربي خلا من أبي تمام والبحترى والمتنبي لما كان من الممكن أن نحصل على هذه الثروة الضخمة في النقد الأدبي ، وذلك التراث الحى الذى خلفه لنا الآمدى والجرجاني وأضرابهما كدعبل والاصمعى والصولى وغيرهم .

وربما شهد النصف الأول من القرن العشرين لونا من هذا الصراع وهذه الخصومة الأدبية بين مدرستين شبيهتين في وضعهما بمدرستى أبى تمام والبحترى وأعنى بهما المدرسة الاتباعية وكان مثار الخصومة فيها شوق ، والمدرسة الابتداعية وكان على رأسها شكرى والعقاد . هذه المدرسة تمثل مذهباً وتلك تمثل مذهباً آخر ؛ فكان لا بد من اختتام بين المذهبين ، وقدم كل منهما الحجج التى هى بمثابة الأسس التى يقوم عليها المذهب ، وجادل ونافح من أجلها ، فنتج عن ذلك أيضاً بطبيعة الحال حركة نشطة في ميدان النقد الأدبي وانتعاش وازدهار من جديد .

وهكذا كانت الخصومات دائماً بداية لنهضة النقد الأدبي . وكفى نود أن تستمر خيوط هذه الخصومة الأدبية التى مثلها الجيل الماضى وخبا أوارها ، كفى نود أن تعود جذعة من جديد ، والكسب فى هذه الحالة للأدب العربى والنقد معاً .

فالى الناهضين بالأدب والنقد : هل من خصومة ١٩ .

عز الدين اسماعيل

مدرس اللغة العربية فى كلية الآداب - بجامعة ابراهيم

الْجُنَّةُ فِي صِرَاطِ الْإِسْلَامِ

درست الفنون العسكرية ، وأصول القتال وأساليبه في الكلية الحربية ثم في كلية أركان الحرب . ثم قرأت - فيما أقرأ - ما كتب عن السيرة النبوية الشريفة ، ولم أكن في قراءتي هذه إلا طالباً لثقافة عامة في ناحية من نواحي التاريخ .

وفيما كنت أقرأ غزوة بدر ، قرأت قول رسول الله ﷺ للمسلمين بعد أن عدل صفوفهم استعداداً للقاء قريش : « إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل واستبقوا نبلكم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

ومعنى « فانضحوهم » ادفعوهم عنكم بالنبل ، « واستبقوا نبلكم » أى لا ترموها على العدو وهو بعيد عنكم بل انتظروا حتى يقترب .

هنا تملككتي الدهشة والعجب ! . . إن ما قاله الرسول الكريم هو نفسه مبدأ من المبادئ العسكرية التي درستها ، والتي يدرسها العسكريون في جميع أنحاء العالم في ناحية أصول الدفاع ضد هجوم العدو . فإن النبي ﷺ كان يعنى بما يقول أمرين هامين هما :

أولاً - تأخير قذف السهام من القسي حتى يقترب الأعداء وهذا معنى قوله : « واستبقوا نبلكم » .

ثانياً - منع استعمال السيوف إلا إذا أصبح العدو قريباً منهم ، وهذا معنى قوله : « ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

وأصول الحرب الحديثة ، التي وضعها العسكريون الذين تعلموا فنون الحرب واتخذوها صناعة وعاشوا لها ، تقضى على المدافع الذي يقف يترقب هجوم عدوه ، عليه أن يتبع المبادئ الآتية :

١ - كبت الزيران وعدم إطلاقها على العدو المهاجم حتى يقترب ويصبح من القرب بحيث يمكن معه أن تصيب كل رصاصة رجلاً منه فتقتله .

فالبندقية المستخدمة في الجيوش حديثاً يمكن لرصاصها أن يصل إلى مسافة ألف ياردة على الأقل ، ولكن أصول الدفاع تقضى ألا تطلق إلا إذا وصل العدو إلى مسافة مائتي

ياردة حتى تضمن إصابته إصابة قاتلة ، وحتى لا تترك له فرصة للإفلات من الفخ بحيلة من الحيل ، ولا شك أن نيران المدافع عندما تكون شديدة لها أثر مروع في نفوس المهاجمين ، فتتحطم روحهم المعنوية وتضعف قدرتهم على القتال ، ومن ثم كان كبت النيران أفضل من الضرب على مسافات بعيدة يطيش معها رصاص المدافعين ويذهب أكثره في الهواء ، فضلاً عن أنه ينبه العدو إلى مكان المدافع فيحتاط لآمره ، وقد يلجأ إلى الخدعة والحيلة ليفوت على المدافع غرضه ويفسد عليه خطته .

وهكذا أراد الرسول بقوله « واستبقوا نبلكم » ألا يطيش سهم من سهام المسلمين ، بل يكون كل سهم برجل من المشركين ، كما أراد أن يقوم المسلمون بنبالهم قومة ورجل واحد ليلقوا الرعب والهلح في نفوس المهاجمين .

٢ — استخدام السلاح الأبيض عندما يصبح المهاجمون بين المدافعين ويستحيل عملياً إطلاق البنادق ، وهذا ما عناه الرسول في قوله : « ولا تسالوا السيوف حتى يفتشوكم » .

ولقد زادني تأملاً ودهشة وإعجاباً أن تصدر هذه التعليمات من محمد ﷺ وهو لم يتعلم الحرب ، ولا درس فيها في أية مدرسة عسكرية ، ومع ذلك تسبق إرشاداته العسكرية بألف وثلاثمائة عام الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة ، والتي يدعى دهاء الحرب أنها من صنعهم ووضعهم .

وهكذا خرجت من هذه المقارنة بعزم أكيد على أن أعود إلى حيث بدأت في قراءة السيرة النبوية الشريفة وأنابع قراءتها إلى نهايتها بإمعان ، فأصبحت غايته منها البحث الدقيق والموازنة والمقارنة ، لا مجرد طلب الثقافة العامة في ناحية من نواحي التاريخ .

وسرعان ما اكتشفت من الأمور ما جعلني أومن بأن غزوات الرسول ﷺ حوت من فنون الحرب ، وأساليب القتال ، وآيات حسن القيادة ما يحكي العقول العسكرية ، وأن جيش الإسلام الذي خاض هذه الغزوات سجل في التاريخ أنه لا يقل عظمة عن جيوش العالم وأن ، محمداً ، قائد هذا الجيش سجل في تاريخ الفنون العسكرية أنه قائد فذ بارز لا يتسامى إليه أحد من قواد الحروب ، مع أنه لم يتعلم فن الحرب ولم يتخذ القتال صناعة .

ولست بحاجة إلى الحديث عن سر مشروعية القتال في الإسلام ، فليس هذا من غرضي ، ولم يعد هناك من ريب في أن الدين الإسلامي قام على الحجة والبرهان ، وظهر على كل

الاديان بقوة البيان وإعجاز القرآن ، لا بقوة السيف والقهر والجبروت ، لا إكراه في الدين ،
 قد تبين الرشد من الغي ، ، وقد تظاهرت الأدلة والبراهين على أن الإسلام لم يسل السيف
 في وجوه أعدائه إلا بعد اعتدائهم وبغيتهم على النبي وأصحابه ، ووقوفهم في طريق الدعوة إلى
 الحق يصدون عن سبيل الله وصراطه المستقيم ، فلم يشرع القتال حباً في دنيا أو طمعاً في مال
 أو رغبة في سيادة ، وإنما شرعه لرد الظلم ودفع الأذى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
 وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، .
 وقال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، .
 إلى آخر ما نزل في مشروعية القتال من آيات الكتاب الحكيم .

ولعله من المناسب هنا أن نقدم لموضوعنا بالحديث عن جيش الإسلام وعن قائده
 جيش الإسلام :

جيش الإسلام .

كان هذا الجيش من العرب الذين نشأوا في الجزيرة العربية ، ولقد وهبتهم طبيعة بلادهم
 الصحراوية صفات طبيعية جعلتهم جنوداً بالفطرة ، ثم جاء الإسلام فتناول هذه الطبيعة
 بالتهذيب والتوجيه ، فخرج للعربي من المدرسة الإسلامية جندياً مثالياً يتصف بهذه الصفات
 الطبيعية التي تعد من خصائص الجنديّة :

١ — صفات الإبدان :

وهذه ناحية هامة لها أثرها في القوة العسكرية ، وهي تقوم على أمرين :

أولها — الزهد والتعشف وأثر الطبيعة في صحتهم وفي هذا يقول ابن خلدون :

« أما أهل البدو فما كولههم قليل في الغالب ، والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار
 لهم ذلك عادة . أما علاج الطبخ بالتوابل والقواكه فإنما يدعو إليه ترف الحضارة ، وهم
 بمعزل عنه ، فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب مزاجها من ملاءمة البدن .
 وأما أهويتهم (أي الجوع) فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا أهلين ،
 أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ظاعنين . ثم إن الرياضة موجودة فيهم لسكثرة الحركة في
 ركض الخيل أو الصيد أو طلب الخاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم

ويجود ويفقد إدخال الطعام على الطعام فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد من الأسراض ،
فقتل حاجتهم إلى الطب ، ولهذا لا يوجد الطيب في البادية بوجه .

هذا وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يعد أسلم طريق للمحافظة على صحة
الابدان : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » ، أى أن المرء لا يأكل إلا إذا
أحس بالجوع ، وإذا أكل خفف ولم يسرف .

وإن لا كتفاء العرب بالقليل من الطعام وقوة احتماله وصبره على الظم والجوع لأرا
هظما في جعله جندياً من الطراز الاول ، فهو إذا خرج للقتال حل معه طعاما بسيطاً حتى
إذا أحس بالجوع فحسبه بضعة تمرات تقوم بأوده وتكفيه طويلا .

وقد قال نابليون : « إن الجيوش تمشى على بطونها » ، أى أن الجيش إذا تأخر عنه طعامه
ضعف عن القتال . ولهذا لم تكن مسألة طعام الجيش في صدر الإسلام مما يعد في هذا الزمن
من أعقد المشكلات .

وثانيتها — الرياضة ، كان العربي رياضياً بطبيعته ، فهو خير بركوب الخيل فهم
وسيلته في تنقله وسفره إلى جانب سفينة الصحراء ، وكان يمتاز بالخيل حتى لقد قيل لبعض
الحكام : أى الاموال أشرف ؟ فقال : فرس يتبعها فرس في بطنها فرس .

وكان سباق الخيل من أحب الألعاب عند العرب ، كان الرجل يراهن صاحبه في المسابقة ،
يضع هذا رهنا وهذا رهنا ، فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه .

ومن رياضتهم السباق على الاقدام والمصارعة ورمى النشاب (النبال) واللعب بالسلاح ،
إذ يحتاجون إليه في الدفاع عن أنفسهم . ويروى أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بالحرب
في المسجد أمام الرسول عليه السلام ، فأنكر عليهم عمر بن الخطاب ذلك ، وأهوى إلى الحصاة
ليرميهم بها ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « دعهم ياعمرو » ، وهذا يدل على تقديره
لاهمية هذا الفن . (يتبع)

بوزباشى أركان الحرب

محمد جمال الدين محفوظ

الكتب

صحيح ابن حبان

بتحقيق الشيخ أحمد شاكر

من نعم الله على هذه الأمة الإسلامية في دينها ، بل من نعمه عز وجل على الإنسانية في حسن توجيهها إلى الحق محضاً وإلى الخير صرفاً ، أن أصحاب خاتم رسل الله ﷺ حفظوا عنه ماحله إلى الإنسانية من رسالات الله ، ثم نقلوه إلى السكلة العدول من أتباعهم ، ثم أداء هؤلاء بعناية وضبط إلى الحفظ الأمانة من نوانغ تلاميذهم ، فكان ذلك هو الأساس الذي قام عليه تدوين السنة في الموطأ والسكتب التي صنف بعدة ، وأعظمها صحيح البخارى (١٩٤ - ٢٥٦) ومسلم (٢٠٦ - ٢٦١) ، لأن هذين الإمامين الجليلين التزاما في اختيار الصحيح شروطاً دقيقة كان بها ماخر جاء في كتابيهما أعلى أنواع الصحيح درجة ، ولم يلتزما استيعاب الصحيح كله ، بل تركا كثيراً من الصحيح الذي على شرطهما ، والصحيح الذي هو أقل درجة من شرطهما .

وقد تبعهما في صنع كتب تقتصر على صحيح الحديث ، كثير من الحفاظ الأئمة الكبار ، منهم إمام الأئمة شيخ الإسلام محمد بن إسحاق بن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١) ، وصحيح ابن خزيمة من تراث المسلمين الذي فرطوا فيه فعدت عليه عوادي الفتن والجهل فلا نعلم له الآن وجوداً ، ولعل الله يظفر أهل الفضل بخطوطات منه فيقوم العلماء ببعثه ونشره .

ومن الذين ألفوا في الصحيح الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان التميمي (حوالى ٢٨٠ - ٣٥٦) وهو من تلاميذ الإمام ابن خزيمة ، فصنف كتاب (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع) ، من غير وجود قطع في سندها ، ولا ثبوت جرح في ناقلها) وهو المعروف بين علماء الحديث باسم (التقاسيم والأنواع) واشتهر على السنة اللاس باسم (صحيح ابن حبان) ، وقد قال ابن حبان في مقدمة صحيحه : ولعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ

من اسبجباب إلى الإسكندرية ، ولم نرو في كتابنا هذا إلا عن مائة وخمسين شيخاً ، لا أقل أو أكثر .

ولعل معول كتابنا هذا يكون على نحو من عشرين شيخاً من أدرنا السن عليهم ، واقتنعنا برواياتهم عن رواية غيرهم ، على الشرائط التي وصفناها .

قال السخاوى فى شرح ألفية العراق (ص ١٤ طبعة الهند) عند الكلام على ابن حبان فى صحيحه : « ومذهبه لإدراج الحسن فى الصحيح ، مع أن شيخنا (يريد الحافظ ابن حجر) قد نازع فى نسبته إلى التساهل إلا من هذه الحيثية . وعبارته إن كانت باعتبار وجدان الحسن فى كتابه فهى مشاحة فى الاصطلاح ، لأنه يسميه صحيحاً ، وإن كانت باعتبار خفة شروطه فانه يخرج فى الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس ، سمع من فوقه ، وسمع منه الآخذ عنه ، ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع ، قال السخاوى : « ويتأيد بقول الحازمى : ابن حبان أمكن فى الحديث من الحاكم . وكذا قال العماد ابن كثير : قد التزم ابن خزيمة وابن حبان الصحة ، وهما خير من المستدرک بكثير ، وأنظف أسانيد ومتوناً . وعلى كل حال فلا بد من النظر للتمييز . وكفى فى كتاب ابن خزيمة أيضاً من حديث محكوم منه بصحته وهو لا يرتقى عن رتبة الحسن . بل وفيما صححه الترمذى من ذلك جملة ، مع أنه بمن يفرق بين الصحيح والحسن ، .

وكان أصل صحيح ابن حبان معتبراً فى حكم المفقود كصحيح ابن خزيمة ، غير أنه بقيت منه بقايا ، منها قطعة من الجزء الأول فى مجاميع كتب مصطفى فاضل باشا رقم ٢١٧ بدار المكتب المصرية ، وكانت فى الأصل ملك ولى النعم الحاج ابراهيم سرعسكر عدد ١٢٦ ، ولعلها من المكتب التى جاء بها من الشام ، وهى ناقصة ومخرومة بين الورقتين ٦٩ و ٧٠ وعدد أوراقها ٧٢ ورقة ، وهذه القطعة واضحة الخط جيدة الضبط تغلب عليها الصحة ، والظاهر أن كاتبها من أهل العلم بالحديث ، ولعله أحد تلاميذ الحافظ ابن عساكر ، لأنه لما ذكر سلسلة رواية هذا الجزء عن العلماء إلى مؤلفه وقف عند رواية ابن عساكر ، وهذا مما يرجح أنه هو شيخه الذى روى عنه المكتب . والراوى الأول لهذا الصحيح عن ابن حبان هو أبو الحسن محمد بن أحمد الزوزنى ، وقد نبه العلامة الشيخ أحمد شاكر على خطأ السيد مرتضى الزبيدى شارح القاموس (فى مادة بحث) فجعل الزوزنى هذا هو أبو العباس الوليد بن أحمد خلافاً للثابت فى الورقة الأولى من هذه المخطوطة ،

وفي السماعات ونصوص أخرى . وقد وقع سبق قلم من الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على ص ٢٥ من مقدمته فذكر أن البحاثي شيخ الزوزني ، وهو تلميذه .

ومن بقايا أصول صحيح ابن حبان الجزءان الثاني والثالث من نسخة أخرى نفيسة محفوظة في مكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية رقم ٣٤٧ عدد أوراق كل منهما ٢٢٢ وهما بخط أحمد بن يحيى بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن عساكر فرغ من كتابتهما تجاه الكعبة المشرفة فأتم الجزء الثاني في ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣٩ والجزء الثالث في ٢٣ رجب من تلك السنة وقراها في العام نفسه في الحرم الشريف تجاه الكعبة على عالين أحدهما قطب الدين أبو بكر محمد بن المكرم (وهو ابن صاحب لسان العرب) و وفاة قطب الدين في سنة ٧٥٢ ببيت المقدس وهو من تلاميذ الإمام ابن القيم . والظاهر أن ابن عساكر هذا ليس من آل عساكر الدمشقيين . وعلى هذين الجزئين سماعات عليية على طريقة السلف لعلماء أجلاء خرجت النسخة من تحت أيديهم صحيحة مخدومة معتنى بها ، فضلا عن العناية التي بذلها كاتبها وهو من العلماء المتثبتين . وهذان الجزءان نصف الكتاب .

ومن بقايا أصول هذا الكتاب الجزء الثالث من نسخة أخرى جرى بصورته الشمسية من القسطنطينية ، وهو جزء نفيس بالغ الغاية في الإتقان والضبط مكتوب بخط الحسن ابن علي الحوزي في سلخ المحرم ٦٠١ ، وعليه سماعات كثيرة تأثر بعضها بما يشبه البلبل . وقد أفاض الشيخ أحمد شاكر في وصف هذه السماعات وعنى بالترجمة لأصحابها كمعادته في استيفاء ما يتعرض له من البحوث .

وأنت ترى أن هذه القطع من أصل صحيح ابن حبان تنقص الجزء الرابع وأكثر الجزء الأول ولا يكتفى بها في نشر الكتاب كاملا ، زد على ذلك ما قاله السيوطي في تدريب الراوي (ص ٣٢) من أن « صحيح ابن حبان ترتيبه مخترع ، ليس على الأبواب ولا على المسانيد ، ولهذا سماه (التقاسيم والأنواع) ، وسببه أنه كان عارفاً بالكلام والنحو والفلسفة ... والكشف من كتابه عسر جداً ، وقد رتب بعض المتأخرين على الأبواب ، . وهذا العالم المتأخر الذي رتب على الأبواب هو الأمير علاء الدين أبو الحسن علي بن بلبان الفارسي المصري (٦٧٥ - ٧٣٩) من تلاميذ أبي حيان الاندلسي والحافظ الدمياطي والبهاء ابن عساكر . وكان عظيم المنزلة أيام المظفر بيبرس ، وعين مرة للقضاء ، وله غير ترتيب صحيح ابن حبان ترتيب المعجم الكبير للطبراني . وقد سمي ترتيبه لصحيح ابن حبان (الإحسان ،

في تقريب صحيح ابن حبان) وهو لم يصنع فيه غير الترتيب والتبويب المستحدث ، لم يخرم منه كلمة ، ولم يسقط منه حرفاً . أثبت الكتاب كله بنصه في مواضعه من الكتاب الجديد ، حتى الخطبة وما بعدها وخواتيم الأقسام ، أثبتها كلها في مقدمة (الإحسان) فكان كتابه كما كان أصله (صحيح ابن حبان) .

ومن كتاب (الإحسان) نسخة جيدة متقنة يمكن الثقة بها والاطمئنان إليها ، موجودة بدار الكتب المصرية (٣٥ حديث) في ٩ مجلدات من الأول إلى السادس ثم الثامن والتاسع . ثم مجلد من نسخة أخرى يكمل النقص الذي بين السادس والثامن وكتب عليه أنه الجزء الرابع ، وهو أكبر حجماً من أجزاء تلك النسخة ، وهذه الأجزاء كلها من خطوط القرن الثامن ، وهي غير مؤرخة ولم يسم من كتابها إلا كاتب الجزء الرابع الذي اعتبر السابع وهو يوسف ابن علي بن محمد المعروف بصلاح السعودي ، ويؤكد الشيخ أحمد شاكر أن الأجزاء الأخرى (غير السابع) هي نسخة المؤلف الأمير علاء الدين الفارسي نفسه ، وأنها ليست بخطه بل بخط أحد النسخين نقله من مسودة المؤلف ولعله بإشارته وإشرافه .

على هذه الأصول الجيدة اعتمد الشيخ أحمد شاكر في تحقيق صحيح ابن حبان بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان ، والشيخ أحمد شاكر أعلم من نعلم بهذا الفن وأقدرهم على تحقيق أصوله وحسن إصدارها وإتقان نشرها . وأما الآن الجزء الأول من صحيح ابن حبان في ٣١٥ صفحة كبيرة تضمنت ١٣٨ حديثاً منه وكانت في ٢٢٤ صفحة من الجزء الأول في الأصل المخطوط . وفي أول الجزء مقدمة للشيخ أحمد شاكر في التعريف بالكتاب ومؤلفه ومرتبته ووصف الأصول التي اعتمدها وما فيها من سمات . يليها ٩ صور شمسية لبعض صفحات تلك الأصول . والذين اطلعوا على تحقيق الأستاذ وتعليقاته على الطبعة الثانية من مسند الإمام أحمد وغير ذلك من الكتب ككتاب الخراج ليعبي بن آدم القرشي ورسالة الأصول للإمام محمد بن إدريس الشافعي لا يحتاجون إلى التنويه بالمجهود العلمي العظيم الذي يقوم به لكتب أئمة الملة مما لا مطمع الآن في الزيادة عليه .

وقد نبه في كل حديث إلى ما وقع فيه من اختلاف النسخ ، وذكر الحكمة في ترجيح ما رجحه ، مع المقارنة بمواضع الحديث في الكتب المشهورة ، وقد يستقصى ما يتعلق به في المسطبان الأخرى بأقصى ما يتمكن منه العالم الصار الكثير الاطلاع . وربما علق على الحديث بنواطر علمية تفيد جمهور المطالعين ، كتعليقه على الحديث ٢١ في تأييد النخل

بقوله : « وهذا الفرق بين شؤون الدين وشؤون الدنيا إنما هو في أمور الصناعات والامور المادية والتجارب وما إليها ، ليس فيما يتعلق بالاحكام والآداب والاخلاق ونحوها مما يتصل بأموال الناس في الدنيا ومعاملاتهم وكل شأهم ، فهذه من أمور الدين يقينا . ولكن الملحدون في عصرنا ^(١) ، والذين طغت على عقولهم التربية الافرنجية والعقائد الدخيلة . . يلعبون بالاحاديث التي وردت في هذا المعنى ليخرجوا بها كل شيء من شؤون الناس من حكم الدين ليأخذوا بأحكام الأهواء والشهوات ويخلصوا من قيود الإسلام الخ ،

ومما صحح به الاصل ما علق به على الحديث ٣٢ في بدء الوحي وقد جاء فيه « ثم انطلقت خديجة حتى جاءت به ورقة بن نوفل وكان أخا أبيها ، فقال الشيخ أحمد شاكر : هكذا وقع هنا في أصل العلاء الفارسي وفي مخطوطة ابن عساكر « وهو خطأ أو وهم من بعض الرواة دون عبد الرزاق ومخالف للثابت المعروف من عمود النسب » ثم استوفى بيان هذه الحقيقة . وفي الحديث نفسه « فقالت له خديجة : أي عم » ، فصححه من روايتي أحمد والبخاري « أي ابن عم » ، وأفاض في بيانه .

ووقع في اسم الاخوين علي ومحمد ابني الحسين بن ابراهيم بن الحر اختلاف في لقبهما « ابن إشكاب » في الحديث ٢٩ و« ابن إشكيب » في الحديث ٣٦ فأشار الشيخ أحمد شاكر إلى مواطن استعمال هذا اللقب في الكتب الأخرى وقال : الظاهر عندي أن هذا لقب أجمعى مما تنطق الالاب فيه بالإمالة فصح فيه الالف والياء .

وفي الحديث ٤٩ الخاص بالإسماء كلام مدرج لابن حبان هو مبتدأ وخبر ، وهو قول ابن حبان « ذكر شد البراق بالصخرة في خبر بريدة ورؤيته موسى عليه السلام يصلي في قبره ، ليسا جميعاً في خبر مالك بن صعصعة ، فظن كاتب ترتيب الأمير الفارسي أن قول ابن حبان « ذكر شد البراق بالصخرة » عنوان فكتبه بالأحمر ، وقد نبه الشيخ أحمد شاكر إلى هذا الخطأ ، وإلى خطأ آخر وهو كتابة لفظ « ليسا » برسم « ليثبنا » .

وتكلم على الحديث ٧٢ المروى تارة عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة ، وتارة عن ابن أبي مليكة عن عائشة مباشرة ، فأثبت تلقى ابن أبي مليكة عن عائشة مباشرة وعنهما بواسطة

(١) المجلة : كذاك المجتهد الذي أباح للمسلمين أن لا يؤمنوا بما ثبت صدورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب (انظر ص ٣٦٩ في الجزء الثالث من هذه المجلة في سنها الجارية)

القاسم بن محمد وقال : إن هذا الحديث من المزيّد في متصل الأسانيد ، وقد سمعه ابن أبي مليكة مرتين إحداهما من عائشة والآخرى من القاسم عنها حدث به عليّ الوجيين كما سمع .

وصحح لابن حبان نفسه في الحديث ٨١ ما اتفقت عليه الأصول الثلاثة في سند أحمد ابن علي بن المثنى عن محمد بن مسروق عن محمد بن بكر ، وهو البرساني ، لحقّق الشيخ أحمد شاكر أن ، محمد بن مسروق ، خطأ وصوابه ، محمد بن مرزوق ، وهو محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي من شيوخ مسلم والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة وأبي يعلى وغيرهم .

وحقّق في الحديث ٩٤ شخصية ، أبي بكر بن نافع العمرى ، فقال هو عندهم اثنان مترجمان في التهذيب والميزان وغيرهما أحدهما أبو بكر بن نافع مولى عبد الله بن عمر والظاهر أن ابن حبان ظنّ أنه هو الراوى هنا أو وقعت له الرواية هكذا إذ وصفه بأنه ، العمرى . والثاني أبو بكر بن نافع مولى زيد بن الخطاب وهو الذى وقع في رواية البخارى هذا الحديث في الادب المفرد (ص ٦٨) قال ، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، قال : حدثني أبو بكر بن نافع ، واسمه أبو بكر ، مولى زيد بن الخطاب . الخ ، والبخارى فرق بين الترجمتين في كتاب الكنى رقم ٩٧ و ٩٨ وفرق بينهما صاحب التهذيب (١٣ : ٤١ و ٤٢) وجزم بأن راوى هذا الحديث هو الثانى ، ونحو ذلك صنع الذهبي في الميزان (٣ : ٣٤٩) فذكر الترجمتين الخ وبعد أن استقصى القول في ذلك وعد بزيادة البحث عما إذا كان أبو بكر بن نافع شخصيتين أو شخصية واحدة .

ونبه في الحديث ٩٦ إلى أن عبد الله بن عياش بن عباس عن أبي عبد الرحمن الحبلى ، خطأ وأنه سقط من بينهما ، عن أبيه ، ثم خرج الحديث بعناية وتحقيق مبيّنا صحة ما ذهب إليه . والحديث ١٠٤ ، إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ، تحرف فيه لفظ « أسند » بلفظ « اشتد » وسقط من أحد الرواة قوله ، إلى غير أهله ، فنبه عليه الشيخ أحمد شاكر وردّه في التعليقات إلى أصله المحفوظ في صحيح البخارى ومسنّد أحمد .

وحديث رؤيا الظلة التى تنطفئ السمن والعسل ، وهو الحديث رقم ١١١ ، سقطت منه في الأصل جملة في قريب من سطرين فنبه على ذلك وأثبت النقص بين حاصرتين من رواية مسلم بالاسناد الذى عند ابن حبان .

وسقط من الحديث ١١٤ اسم الراوى الذى أخذ عنه شيخ ابن حبان فوجده الشيخ أحمد شاكر في تاريخ ابن عساكر (١ : ١١٢) .

وحقق في الحديث ١٣٢ صحة سماع الحسن البصري من الاسود بن سريع خلافاً للكلمة قالها على بن المديني فتابعه في ذلك العلماء وقد بعضهم بعضاً استنباطاً من أخبار لم تثبت ، فنقل الشيخ أحمد شاكر نصاً عن السري بن يحيى وجهه البخاري في تاريخه الكبير والصغير عن إثبات سماع الحسن من الاسود وتابع على ذلك يونس بن عبيد والمبارك بن فضالة .

وهكذا جاء الجزء الاول من صحيح ابن حبان بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد شاكر مصححاً منقحاً مقارنة بروايات الأئمة معلقاً عليه بملاحظات وتحقيقات عليّة عظيمة النفع ، مطبوعاً بمطابع دار المعارف طبعاً نفيساً على ورق خاص ممتاز . وقد طبعت منه نسخ قليلة لقلة الخواص الذين يعنون باقتناء هذه الطبقة من مؤلفات السلف ، وقد قصد من طبعه لإحيائه . ولعل من يهمهم تعميم مثل هذا الأثر النفيس يساهمون في طبعه طبعة شعبية يعم بها نفعه كما سبق مثل ذلك في مسند الإمام أحمد . والله الموفق .

المدخل الفقهي العام

إلى الحقوق المدنية

الفقه الإسلامي كنز من كنوز العدالة المطلقة في الحكم بين البشر في كل ما يتقاضون فيه من حقوق والتزامات وعقود ، وفي كل ما يختلفون عليه من علاقات بعضهم ببعض . وقد انتبه لذلك علماء القانون العالميون ، وأعلنوه معترفين به في مناسبات كثيرة لعل آخرها القرار الإجماعي من أعضاء المؤتمر الذي عقدته في يوليو سنة ١٩٥١ شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة وبحثت فيه موضوع الفقه الإسلامي في أسبوع أطلقوا عليه اسم (أسبوع الفقه الإسلامي) برئاسة المسيو ميو أستاذ التشريع الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس ، ومما جاء في قرار المؤتمر الإجماعي : « إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة (حقوقية تشريعية) لا يمارى فيها . وإن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الأصول الحقوقية هي مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها . » وقد أعلن المؤتمر رغبةً في أن يظل (أسبوع الفقه الإسلامي) يتابع أعماله سنة فسنة ، ويأملون أن تؤلف لجنة لوضع (معجم للفقه الإسلامي) يسهل

الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة .

وبينما الغرب يوجه مثل هذه العناية للفقه الإسلامى ، فإن الجامعة السورية فى دمشق كانت تقوم من جانبها أيضاً ببعض ما يجب على المسلمين لفقههم وتشريعهم من دراسة وحسن عرض . وأما الآن مجلد ضخم فى ثمانمائة صفحة كبيرة هى الجزء الأول من (المدخل الفقهى العام إلى الحقوق المدنية) يشتمل على مقدمة تعريفية وتاريخية للفقه الإسلامى ، وعلى النظريات الإسلامية فى مبادئه ، وشرح قواعده الكلية ، مع مقارنات مهمة بالفقه الأجنبى والقانون المدنى ، قام بتأليفه العالم الجليل الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا أستاذ القانون المدنى والشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق بدمشق ، وقد سبق له طبعه مرتين ، وأما الآن الطبعة الثالثة فريدة ومنقحة مشتملة على فهارس عديدة وفهرس أبجدي مهم . وهو مطبوع بمطبعة الجامعة السورية أجمل طبع وأتقنه . ولو أن كل علمائنا المشتغلين بالفقه الإسلامى - بحثاً وتدریسا - يبذلون مثل هذه الجهود أو بعضها فى تحرير بحوث الفقه ، والإشارة إلى مراجعها ، ومقارنة المذاهب بعضها ببعض ، ومقارنتها كلها بالنشريع الأجنبى إن أمكن ، لاستطعنا فى سنين قليلة أن تهیه الأسباب لتأليف موسوعة الفقه الإسلامى التى تمنى مؤتمر باريس والقائمون بأسبوع الفقه الإسلامى فيه أن يقوم بها من يعينهم الأمر وفقاً للأساليب الحديثة .

وإذا كان هذا المجلد البالغ ثمانمائة صفحة كبيرة هو المجلد الأول من المدخل الفقهى العام إلى الحقوق المدنية ، وهو كما ذكرنا يشتمل - بعد المقدمة التعريفية والتاريخية للفقه الإسلامى - على القواعد الكلية التى كانت تسمى أصولاً ، كقاعدة الامور بمقاصدها ، و الضرر يزال ، و اليقين لا يزول بالشك ، ... الخ ، فإن ذلك يدلنا على أن الأستاذ المحقق الجليل الشيخ مصطفى الزرقا قد وطن نفسه على تنظيم الحقوق المدنية من الفقه الإسلامى تنظيماً مبسوطاً منقحاً مقارناً ستخرج منه إن شاء الله مجموعة عظمى فى الفقه تجلو جماله وتعلن كآله وتبرهن للإنسانية على أن الفقه الإسلامى هو الجدير بأن يكون مصدر التشريع لا للدسليين وحدهم - فهذا أقل ما يجب عليهم لأنفسهم ودينهم وتعميم العدالة فى أوطانهم - ولكر للإمام كلها ودول الغرب فى مقدمتها . ونحن ندعو له بأن يمد الله فى حياته حتى يودى مهمته الإنسانية .

اللوئو والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

امتاز المسلمون بنحري الصحيح مما أثر عن رسول الله ﷺ من أقواله ، وأفعاله ، وما أقر عليه الصحابة مما صدر عنهم ليكون قدوة لغيرهم . وأعلى الصحيح من سنة رسول الله ﷺ مرتبة ما اتفق عليه الإمامان العظيمان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ - ٢٥٦) وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١) في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة .

وقد سبق لبعض المؤلفين الجمع بين ما اتفق عليه الشيخان ، ثم قام أخيراً حضرة الفاضل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بإصدار هذا الكتاب (اللوئو والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) في ثلاثة أجزاء من القطع الكامل ، التزم فيه ذكر نص حديث البخارى الذى هو أقرب النصوص انطباقاً على نص الحديث الذى اتفق فيه مسلم معه ، وهو التزام شاق لم يتقيد به قبل الآن أحد من أئمة ، أو قال ، إن هذا الحديث متفق عليه . وقد ضرب الاستاذ فؤاد عبد الباقي المثل لذلك بأن الحافظ ابن حجر - وهو أستاذ الدنيا فى علم الحديث - قرر فيما قرره أن المراد بموافقة مسلم للبخارى موافقته على تخريج أصل الحديث عن صحابيه ، وإن وقعت بعض المخالفة فى بعض السياقات . ولما وضع الإمام النووى - شارح صحيح مسلم - كتابه (الأربعون النووية) وابتدأ بحديث الاعمام بالنية ، وأشار إلى أنه ما اتفق عليه الشيخان لم يذكر أقرب نصوص البخارى إلى نص مسلم ، بل ذكر أول نص أخرجه البخارى فى صحيحه ، وبينه وبين الحديث الذى أخرجه مسلم بعض المخالفة فى السياق .

فالتزام مؤلف كتاب (اللوئو والمرجان) ذكر نص حديث البخارى الذى هو أقرب النصوص انطباقاً على نص الحديث الذى اتفق فيه مسلم معه جعل لكتابه مزية ظاهرة يشكر على ما بذله فى سبيلها من مجهود ، وبما يسر ذلك عليه أنه سبق له تأليف كتابين لم يطبعا بعد ، أحدهما (جامع مسانيد صحيح البخارى) والآخر (قرة العينين فى أطراف الصحيحين) ومن الكتاب الثانى اهتدى إلى الأحاديث المتفق عليها مع إحصائها وحصرها ، ومن الأول وقف على النص الذى التزمه فى (اللوئو والمرجان) .

ومزية أخرى لكتاب (اللوئو والمرجان) هى أن من سبقه إلى جمع ما اتفق عليه البخارى ومسلم وهو الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى مؤلف كتاب (زاد المسلم) بلغ عدد

جميع أحاديثه ١٣٦٨ حديثاً بينما الأحاديث التي أوردتها مؤلف (الؤلؤ والمرجان) بلغت ٢٠٠٦ زد على ذلك امتياز (الؤلؤ والمرجان) بجمال الطبع ودقة الضبط وترقيم الأحاديث والتعليق عليها بالضروري من الشرح والتفسير .

وقد مضى في ترتيبه على ترتيب صحيح مسلم في أسماء كتبه وأبوابه مع أرقامها ، وأخذ من صحيح البخارى نص الحديث الذى وافقه مسلم عليه . وبين عقب سرد كل حديث موضعه من صحيح البخارى بذكر اسم الكتاب وعنوان الباب مع الأرقام التى قام على أساسها كتاب (مفتاح كنوز السنة) .

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن التزام المؤلف ما التزمه من ذكر نص حديث البخارى الذى هو أقرب النصوص انطباقاً على نص الحديث الذى اتفق مسلم معه إنما كان باقتراح ناشر الكتاب السيد محمد الحلبى مدير دار لإحياء الكتب العربية التى تألفت فى طبعه وإصداره ، فجزاه الله والمؤلف على العناية بسنة رسول الله ﷺ أفضل الجزاء .

غوة دمشق — للأستاذ محمد كرد على

غوة دمشق مجموعة كبيرة من قرى عاصمة الشام كانت تتسع وتقبض باتساع العمران وضيقة واستتباب الأمن والعدل أو اضطرابهما ، ويقدر طولها الآن بنحو ٢٠ كيلو متراً وعرضها بين ١٠ و ١٥ كيلو متراً ومساحتها ٥٣ ألف فدان ، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما شمالها ، فإن جباله عالية جداً والمياه العذبة خارجة من تلك الجبال وتمتد فى الغوة فى عدة أنهر فتسقى بساتينها وزروعها ، ويصب باقياها فى بحيرتى المريج والهيجانة . والغوة كلها أشجار وأنهار متصلة قل أن يكون بها مزارع للاستغلال إلا فى مواضع يسيرة . قال ياقوت بعد أن طاف المعمور فى زمنه : والغوة بالإجماع أنزه بلاد الله وأحسنها نظراً ، وهى لإحدى جنات الأرض الأربع ، وهى : الصفد ، والأبلة ، وشعب بوان ، والغوة - وهى أجملها - قال ابن قيس الرقيات :

أحلك الله والخليفة بالغـوة داراً بها بنو الحكم
المانعو الجار أن يضام فما جار دعا فيهم بمهضم

وقال :

أقهرت منهم الفراديس فالغـوة ذات القرى وذات الظلال
قال الراعى :

ونحن كالنجم يهوى فى مطاله وغوة الشام من أعناقها صدر

وأعلم الناس اليوم بالغوطة ومحاسنها الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق . وقد أحسن كل الإحسان بكتاب ألفه في كل ما يخطر على البال ، وكل ما يصل إليه البحث ، من أحوالها في ماضيها وحاضرها . مستعينا بمصادر جلية بلغ عدد المخطوط منها ٣٨ كتابا والمطبوع في أوربا والشرق الإسلامي ٧٦ كتاباً ، مضافاً ذلك إلى خبرته الشخصية بزراعتها وعمرانها وبقاعها لأنه ابنها الناشئ فيها ، فذكر حدودها وبساتينها وقراها وسكانها وأديانهم والفصيح في كلام أهلها والطرائق الزراعية فيها ، ثم وصف منزهاتها وثمارها وزروعها وأنهارها وربها ، وتمليك الأرض فيها وجبلاتها وأمواها وما يتعلق بها من الحكم والإدارة والعلم والآداب ، وما قام فيها من مدارس وخواتم وربط وزوايا وألم بمدنيتها والأخلاق والعادات فيها وعوامل خرابها في السكوارث والحوادث ، وقراها الدائرة والقصور والجواسق والديورة التي كانت فيها قديماً .

وكتاب كرد علي عن الغوطة من منشورات المجمع العلمي وفيه فهرس للأعلام ، وثان للآدم والقبائل والبطون ، وثالث للأديان والمذاهب ، ورابع للكتب ، وخامس للبلدان والقرى والجبال والأنهار ، وسادس لفصول الكتاب ومباحثه ، وسابع لمنتوجات الغوطة من نبات وأزهار وغير ذلك .

ولو أن كل بقعة من بقاع الوطن العربي والعالم الإسلامي يعني أفاضل أهلها بتدوين المعلومات الجغرافية والتاريخية والعمرانية والأدبية المتعلقة بها كما فعل الأستاذ محمد كرد علي في كتاب الغوطة لسكان ذلك من دلائل وفائنا لأوطاننا ومحبتنا لها والتعبير عن هذا الوفاء وهذه المحبة بلسان العلم الخالد أهله بخلوده .

أحوال النفس - لابن سينا

وثلاث رسائل أخرى له

نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني هذه المجموعة في أحوال النفس لابن سينا ، وقال في أحد فصول التصدير إن ابن سينا طلب معرفة النفس من صدر شبابه كما تحدث في رسالة القوى النفسانية التي ألفها للأمير نوح بن منصور الساماني فكانت أول مؤلفاته .

ولإذا كان قد استهل حياته الفكرية برسالة النفس فقد اختتمها أيضاً بعد أربعين سنة من تأليف ذلك الكتاب برسالة صغيرة في النفس الإنسانية ، وألف فيما بين ذلك كثيراً

من الرسائل النفسية ، والفن السادس من طبيعيات الشفاء يعد أو في ما كتب في هذا الباب ، وهو يصور جملة آرائه وقد نقل بعضه بتمامه في كتاب النجاة ، ولأنه جمع أطراف هذا العلم المتفرق جعله هو - أو غيره - تأليفاً منسقاً مترابط الأجزاء في رسالة (أحوال النفس) المتزعة من كتاب الشفاء ، فجعلها الدكتور الاهواني أول هذه المجموعة معتمداً في تحقيقها على ثلاثة أصول : الأول في برلين والثاني بمكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية - وفي مكتبة جامعة فؤاد الأول صورة شمسية لسكل من هذين الاصلين - والثالث بمكتبة رضا رامبور في الهند وتوجد صورته الشمسية في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وهناك ترجمة فارسية لهذه الرسالة تختلف عنها بعض الاختلاف وعنوانها (در روان شناسی) أى د في معرفة النفس ، وقد اطلع عليها الناشر . والمقدمة التي تكلم فيها على هذه الأصول واستعرض فيها موضوع الرسالة بلغت ٤١ صفحة ، ثم أنبت بعد المقدمة نص رسالته (أحوال النفس) وهي في ١٦ فصلاً (من ص ٢٥ إلى ١٢٢) .

وثاني رسائل هذه المجموعة (مبحث عن القوى النفسانية) وهو الذي كان المستشرق صمويل لانداور قد نشره في سنة ١٨٧٥ وأعاد نشره بمطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٣٢٥ الأستاذ ادوار فنديك الذي كان مفتشاً بالمعارف ، وهو ابن الدكتور كرنيليوس فنديك أحد أركان جامعة بيروت الأمريكية في عهدهما الأول ، وقد اختار له عنوان (هدية الرئيس للامير) ولم يعتمد الدكتور الاهواني في هذه الطبعة الثالثة على مخطوطات جديدة ، ولكنه اكتفى بتصويب ما فيها من أخطاء بالذوق العربي ومعرفة سياق الكلام ، وحذف جميع الاختلافات الموجودة بالهامش ، والرسالة في عشرة فصول (من ص ١٤٧ إلى ١٧٨) .

وتليها (رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها) كان الدكتور محمد ثابت الفندى قد طبعها بمطبعة الاعتماد وكتب عليها أنها الطبعة الثانية ، ورجع في نشرها إلى ثلاث مخطوطات : اثنتان منها في مكتبة طلعت والثالثة في برلين . فأعاد الدكتور الاهواني طبعها بمجموعته دون الرجوع إلى الاختلافات مرجحاً قراءته الخاصة ، وهي في ثلاثة فصول وخاتمة (من ص ١٨١ إلى ١٩٢) .

وآخر المجموعة رسالة في الكلام على النفس الناطقة كان الدكتور الاهواني نشرها في مجلة السكتاب (أبريل ١٩٥٢) معتمداً على مخطوطة ليدن المصورة في المعهد الفرنسي بالقاهرة وأعاد طبعها في هذه المجموعة (من ص ١٩٥ إلى ص ١٩٩) .

النشاط الثقافي بالأزهر

في السنوات الأخيرة ، اضطر الأزهر إلى إسكانهم في أماكن أخرى : ففي معهد القاهرة يسكن منهم حوالي ٥٠٠ طالب ، وليس من المصلحة الاستمرار على ذلك ، لأن مسكن الطلبة يتوسط أماكن الدراسة . وفي بيوت وشقق مستأجرة يسكنها حوالي ٧٠٠ طالب ، ويدفع الأزهر إيجاراً سنوياً عن هذه المساكن يبلغ ١٠٢٠٠ جنيهه ، واضطر الأزهر بعد ذلك إلى إسكان الطلبة في الفنادق حتى بلغ عددهم فيها ١٠٥٠ من الطلاب ، وهم موزعون على ٢٦ فندقاً ويتكفون في إقامتهم ما حوالى ٤٢ ألف جنيه في السنة . وإلى جانب فداحة هذا المبلغ فإن إقامة طلاب العلم في الفنادق قد تعرضهم إلى الاتصال بأخلاق الناس ولا تهيئ المجال للإشراف عليهم على النحو الذى ينبغي .

ولقد كان هناك مشروع لإنشاء (مدينة لطلاب البعث الإسلامية بالأزهر) ، ووردت لهذا الغرض تبرعات مقدارها ٢١١٠٠ من الجنيهات مودعة ببنك مصر . ولما كان طلاب البعث الإسلامية أمانة في عنقه ، وهو المسئول عن توجيههم ولإعدادهم الإعداد الدينى الصالح الذين نزحوا إلى الأزهر

بعثة من علماء الأزهر إلى جنوب السودان أصدرت مشيخة الأزهر قراراً يقضى بإيفاد بعثة من علماء الوعظ إلى السودان برئاسة فضيلة الاستاذ الشيخ على جعفر ، على أن يكون مقره في الخرطوم . أما علماء البعثة فقد تقرر أن تكون دائرة نشاطهم العلمى والثقافى الدينى في جنوب السودان .

وقد قدمت مشيخة الجامع الأزهر إلى الرئيس اللواء محمد نجيب مذكرة خاصة بفتح اعتماد إضافى لمواجهة تكاليف طلاب جنوب الوادى بالأزهر .

مدينة الأزهر للبعوث الإسلامية

كان طلاب البعث الإسلامية إلى الأزهر يقيمون جميعاً - قبل أن يزيد عددهم على النحو الأخير - في أروقة الأزهر ، وهى ٢٩ رواقاً كل رواق لاهل قطر من الاقطار الإسلامية : كالشاميين ، والمغاربة ، وأهل الحرمين ، والهنود ، والترك وغيرهم . ولأبناء الاقاليم المصرية أيضاً أروقة يوزعون عليها . وهذه الأروقة مؤلفة من غرف ومبان أنشئت في أوقات مختلفة .

ولما تضاعف عدد طلاب هذه البعث

للفرض الذي وفد هؤلاء الطلاب من أجله ، فضلاً عن أنه يخفف عنهم أعباء المعيشة بتنظيم وجبات الطعام لهم من هذا المكان الواحد ، على أن تخصص تكاليف الطعام من إعاناتهم الشهرية ، وإذا أخذ في تنفيذ هذا المشروع من الآن فإنه يمكن جنى ثمرته في أول العام الدراسي المقبل بإذن الله .

إجازة نصف السنة :

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر قراراً بأن تبدأ لإجازة نصف السنة لطلبة الكليات والمعاهد الأزهرية من يوم ٢٨ ربيع الآخر

مصادرة مجلد الأزهر في تونس :

تلقينا من وكلاء (مجلة الأزهر) في الديار التونسية إشارة تلفونية ثم رسالة مفصلة عن مصادرة الفرنسيين في تونس نسخ الجزء الماضي من هذه المجلة ، وهذه بشارة لنا ولاقطار العالم الاسلامي بأن إدارة الحماية الفرنسية في ذلك القطر الشقيق قد بلغت من الوهن والجزع وسوء التدبير إلى درجة الخوف من مجلة دينية تمثل أقدم معاهد العلم في العالم وأعظم جامعة دينية للمسلمين . وإذا كان نطاق الحرية الفرنسية قد ضاق وتقلص حتى صار لا يحتتمل مثل مجلة الأزهر الشهرية فلا شك أن هذا نذير للاستعمار الفرنسي بأنه في الذماء الاخير من حياته ، وأنه في أيامه الاخيرة ، ومن يعيش يره .

من أجله ، وإن يتحقق هذا بطبيعة الحال إلا إذا كان الإشراف عليهم إشرافاً دقيقاً متصلاً ، لذلك أبدت مشيخة الأزهر للرئيس اللواء محمد نجيب رغبتها في إنشاء مدينة جديدة للبعوث الإسلامية تفتطم جميع الطلاب الوافدين من مختلف البلدان الإسلامية . ولما كان مجموع ما ينفق على إسكان الطلاب في الوقت الحاضر ٥٢٢٠٠ جنيه كما تقدم ، فلو أضيف هذا المبلغ إلى ما جمع من تبرعات بلغ ذلك ٧٣٣٠٠ من الجنيئات ، وبهذا المبلغ يمكن إنشاء مبان خفية (على نظام المعسكرات) في الأرض الفضاء المملوكة للحكومة في تلال الدراسة أو صحراء التباسية التي لا تبعد عن الأزهر بأكثر من ١٥ دقيقة مشياً على الأقدام ، على أن تكون هذه المباني من طابقين وتنسج لأربعة آلاف طالب ، فالطابق الاول يعد لصالات الطعام وقاعات المذاكرة وحجرات الألعاب الرياضية والمرافق العامة . والطابق الثاني للنوم فقط ، على أن تكون بجدرانه دواليب للوازم الطلبة ، ويلحق بهذا البناء مغسل للملابس ، ومطبخ لإعداد الطعام ومقصف ليقدم لمن يشاء من الطلاب المشروبات الساخنة والمنلجة والسكراسات والاقلام وما إليها .

وبهذا يتيسر الإشراف على طلبة البعث الإسلامية بالأزهر إشرافاً متتجاً محققاً

الأدب والعلم في شهر ربيع

وظيفة المدرسة

يقول الدكتور أحمد عبدالسلام السكرداني :
 « إن أهم تقدم حدث في عالم التربية في عصرنا الحديث ، هو أن عملية التربية والتعليم لا يمكن أن تتم كما ينبغي ، وأن تؤتي الثمرة المرجوة من إيصال المعلومات ونقل المعرفة للتلاميذ ، ومن التكوين الخاق الصحيح لهم ، إلا إذا اتخذت الدراسة في المدرسة اتجاها عمليا يستغل نشاط التلميذ وفاعليته ، ويستغل كذلك تعاون التلاميذ بعضهم مع بعض في تحقيق أهداف لهم يحسونها بأنفسهم كجماعة ، أي أن التربية لا تتم على وجه صحيح إلا إذا جعلنا من المدرسة مجتمعاً حياً صغيراً يعد الفرد للحياة في المجتمع الطبيعي الذي سينغمس فيه عندما يكبر . تلك هي (وظيفة المدرسة) وهذا أحدث الاتجاهات في كيفية اضطلاعها بمهمتها كما ينبغي . وإن (المدرسة المصرية) بوجه عام لا تزال بعيدة كل البعد عن فهم مهمتها على هذا الأساس .
 قلنا : ومن العجيب أن يعلن هاتين الحقيقتين رجل من رجال التربية والتعليم في مصر ، ووجه العجب فيه أن لا يدعو زملاءه ورجال الوزارة على تحويل اتجاه وزارة المعارف إلى هذه الوجهة مادام مؤمناً بها ، ولعله بنشره هذه الحقيقة في جريدة

الاهرام أراد أن يخلص ذمته وينبه رجال هذا العهد إلى موضع الداء في كيان مصر ، إلا أن هذه الطريقة في تخليص الذمة لا تصلح في عهد النهضة والإصلاح الذي دخلنا فيه ، ولا بد لتغيير الأساليب الفاسدة من إعلان فسادها بصوت جهر ودعوة خالصة لوجه الله .

النظام في المدارس

خطب الرئيس اللواء محمد نجيب في زيارته لكتيبة المشاة الحادية والعشرين بشكنات العباسية ، فكان مما قاله : « لقد كنا في أيام المدارس الأولى نحترم النظام كل الاحترام ، حتى جاءت مظاهرات سنة ١٩١٩ فأفسدت كل شيء ، وبدأت مدارسنا تحترق النظام ، مع أن ثورة سنة ١٩١٩ بدأت سليمة قوية حتى أقضت مضاجع الإنجليز ، إلا أن حب الزعامة بين الأفراد أفسدها ، فأصبح في البلد أكثر من زعيم وأكثر من رئيس ، ولم يترك هذا الفساد ركناً إلا دب فيه ، حتى وصل بالزعماء إلى المهارات في الأعراض ، وحتى أصبحوا كالأطفال يوم العيد : يحرون وراء إشارات الإنجليز للفوز بالوزارة ، كما يفعل الأطفال بالأراجيح . »

التعليم الديني في المدارس :

قابل وفد من الاتحاد العام للهيئات

وبعض ما يلزم المشروع للتعجيل بتحقيقه . وما دامت هذه المدارس ستنشأ من جديد فنلتفت الانظار إلى ضرورة تأسيسها على الاخلاق العملية والتهديب الإسلامى .

البعثات السعودية بمصر

وصل إلى القاهرة بطريق الجو ١٣٠ طالبا سعودياً لإتمام تعليمهم في مصر ، وسيلحق ٣٠ منهم بالكلية الحربية ، و ١٥ بكلية الطيران ، و ٢٥ بمختلف الكليات ، و ٢٠ بسلاح المهمات ، و ١٠ بسلاح الصيانة . وكان يوجد في مصر - قبل وصول هذه البعثة - نحو ٢٥٠ طالباً سعودياً موزعين في مدارس مصر وجامعاتها .

وقد استقبل البعثة الأخيرة في المطار الرئيس اللواء محمد نجيب ، وكان في انتظاره هناك الأمير نواف رئيس الحرس الملكى السعودى والشيخ عبد الله الفضل سفير المملكة السعودية وطائفة من رجال البلدين الشقيقين . وقد خطب فيهم الرئيس محمد نجيب فقال :

« أرحب بمقدمكم وأشكر الملك السعودى على التفضل بإرسالكم إلى ديارنا التى هى دياركم ، وأرجو أن تعتبروا أنفسكم مواطنين مصريين لأنكم فى الواقع مصريون ولأننا فى الواقع سعوديون . أو الصحيح أننا إخوان لا فارق بين مصرى وسعودى ، .

إن وجود ٤٠٠ طالب سعودى في مصر دليل على أن الحجاز وبقية البلاد العربية السعودية آخذة فى التوسع العلمى ، وسيكون لذلك أثره فى السنين الآتية إن شاء الله .

الإسلامية الرئيس اللواء محمد نجيب ، وقدم إليه مذكرة بجمل التعليم الدينى مادة أساسية فى جميع مراحل التعليم ، للنهوض بالامة نهوضاً يوفر لها العزة والخلق والقوة والنظام . ونحن لا نزال على ما أعلنه غير مرة ،

وهو أن التعليم - ولا سيما بطريقة شحن الذاكرة كما هو متبع فى مدارس وزارة المعارف - لا يفيد فى السمو بنفوس الجيل إلى المستوى الذى يرجوه هذا العهد وأنصاره من كل الطبقات مالم يقترن بالتربية الإسلامية العملية ، وقد كانت طريقة صاحب الرسالة الإسلامية ﷺ تعتمد أولاً على التربية ثم على التعليم ، فتقرير التعليم الدينى مادة أساسية إذا اتبع فيه طريقة شحن الذاكرة كما هى الحال فى العلوم الأخرى لا نظن أنه يؤدى مهمته ، فالتربية الإسلامية أولاً هى التى تكون الجيل الصالح .

مدارس التحرير

يفكر المسئولون فى الجيش المصرى بعدة مشروعات ثقافية لرفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية بين رجال الجيش .

ومن هذه المشروعات لإنشاء مدارس لتأهيل ضباط الصف والجنود للشهادات العامة ، وستسمى هذه المدارس « مدارس التحرير » ، وينتظر أن يفتح الرئيس اللواء محمد نجيب أولى هذه المدارس فى هذين اليومين وهى تضم خمسمائة طالب ، وقد ساهمت وزارة المعارف فى هذا المشروع بالمدرسين

إنشاء العمل الإسلامي

دستور الباكستانه الجدير

خطب في مدينة بشاور السيد عبد القيوم خان رئيس وزارة ولاية الشمال الغربي لباكستان فقال: إن الإسلام أساس الوحدة، إذ يؤلف بين جميع الطبقات في أي قطر إسلامي، على الرغم مما قد يكون بين هذه الطبقات من تفاوت في الثقافة والثروة، ولهذا ينبغي للبلاد الإسلامية أن تجعل دستورها موافقاً لأحكام الإسلام ليسكون أكثر تحقيقاً لمبادئ الإنسانية.

والآن، والبرلمان الاتحادى الباكستانى فى صدد دراسة التقرير الذى قدمته لجنة المبادئ الأساسية لوضع الدستور، ومدى ما ينبغي أن يكون لمبادئ الإسلام من أثر فى كيان الدولة السياسى، فإن الولايات الخمس التى تتألف منها دولة باكستان وتصل بينها مسافات شاسعة وتختلف لغاتها وثقافتها، فإن أقوى رابطة تؤلف بينها هى رابطة المبادئ الإسلامية السليمة التى دفعها إلى إنشاء وطن موحد.

دستور اسلامى لاندونيسيا

تقوم الآن لجنة ذات صفة تشريعية

فى أندونيسيا بدراسة فكرة الاخذ بالقواعد الأساسية فى الإسلام ليسكون منها دستور لهذه الأمة التى أوشك أن يبلغ تعدادها مائة مليون نسمة. وأهم هذه القواعد أن تكون الزكاة مورداً مالياً لإنشاء منظمات ومنشآت تعنى بالعجزة والشيوخ واليتام.

وقد سبق القائمون على دولة الباكستان إلى الاخذ بفكرة الدستور الإسلامى لدولتهم التى ستسكون جمهورية، وتعداد سكانها يبلغ أربعة أضعاف سكان القطر المصرى.

ميثاق اجتماعى للدول العربية

نوهنا فى الجزء الماضى (ص ٥١٤) بحلقة الدراسات الاجتماعية التى عقدت دورتها الثالثة فى دمشق من ٨ إلى ٢٠ ديسمبر (٢٠ ربيع الاول إلى ٣ ربيع الآخر).

وزيد الآن على ذلك أن التوصيات التى وضعتها الحلقة خلال مؤتمرها الأخير قد أحييت إلى الإدارات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى الامانة العامة لجامعة الدول العربية، لإعدادها فى شكل (مشروع ميثاق اجتماعى) شبيه بالمعاهدة الثقافية القائمة بين الدول الأعضاء، وستعرض على مجلس

وقائد الجناح عمر الجبال ، اجتماع حضره أكثر من خمسمائة شخص يمثلون توريدت والبلاد المحيطة بها ، واستمر الاجتماع زهاء خمس ساعات ، وفى هذا الاجتماع الحاشد وقع السلاطين والزعماء والأعيان والتجار على وثيقة تضمنت موافقتهم على اتفاقية القاهرة بين مصر وشمال السودان ، وعلى وحدة شمال السودان وجنوبه ، والمطالبة بجلالة الانجليز فى خلال ثلاث سنوات وإحلال السودانيين محلهم ، على أن يشغل الجنوبيون جميع الوظائف التى تخلو فى الجنوب ، وعلى أن يبذل كل جهد فى رفع مستواهم بإنشاء المدارس والمستشفيات وغيرها من المشروعات .

تذير

بعث مستر ريتشارد كروسمان النائب الاشرافى البريطانى الذى يزور الشرق الاوسط الآن برفقة الى لندن قال فيها : « إذا لم تتخذ بريطانيا وأمريكا قراراً حاسماً لحل مشكلة اللاجئين فإن الدول العربية ستنفجر فى وجوهنا واحدة بعد الأخرى ، وإن ثورتها هذه ستحدث فجأة وبطريقة تجلب كوارث فادحة كما حدث لنا فى إيران . وإذا حدث هذا فإن بريطانيا ستفقد كل الأمل الباقى فى زيت الشرق الاوسط والقواعد الحرية الموجودة فيه . »

وحدث مستر كروسمان الحكومة البريطانية بعد ذلك على أن تقلل من اهتمامها بالزيت

الجامعة العربية هذا الميثاق خلال دورة شهر مارس لإقراره وحيثئذ يصبح ملزماً لجميع دول الجامعة .

التبشير فى جنوب السودان :

ألقى الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى خطبة فى بلدة (جوبا) وهو يودع الألوف من سكانها عن أقبلوا لتوديع البعثة المصرية قبل سفرها شطر الجنوب ، وبما قاله فى خطبته « لأننى أعلن للعالم - بصفتى وزيراً مسؤولاً - أن الإرساليات التبشيرية فى جنوب السودان إنما تقوم دعوتها على مخالفة التعاليم المسيحية نفسها ، فقد ثبت أن رجال تلك الإرساليات يتجرون بالدين المسيحى ، كما أنهم يتجرون بالاستعمار . لأنهم يحاربون الإسلام لصالح المستعمر ، ويمنعون المسلمين من تأدية شعائر دينهم . ولو كانوا يدعون إلى المسيحية الخالصة لما فعلوا هذا لأن المسيحية لا تعارض غيرها كما أن الإسلام لا يعارض غيره . »

ثم قال الباقورى : « إن الاستعمار قد طال أمدته فى جنوب السودان ، فتاريخه يرجع إلى خمسين عاماً ، ولكنه لم يكن إلا سلاحاً مسموماً ضد أهل الجنوب . وانظروا إلى الجنوبيين بعد هذا الدهر الطويل من الاستعمار ، ما زالوا عراة جوعاً ! »

وثيقة جنوب السودان

لما وصلت البعثة المصرية إلى (توريدت) فى جنوب السودان عقد الصاغ صلاح سالم

وبعد أن تقوم الوحدة بتحويلها بحيث تنفق وظروف البيئة التي تخدماها ، على أن يشرف على كل وحدة إدارة تنشأ بعاصمتها برئاسة مدير يعاونه أخصائيون في مختلف فروع الخدمات التي تقوم بأدائها .

وسيسمى المدير في رسم السياسة العامة للإصلاح الاجتماعي في منطقته بمجلس من الأهالي في المديرية أو المحافظة ، مع الانتفاع بمجهود المتطوعين من الأفراد والجماعات في تنفيذ هذه السياسة الحكيمة .

ومما يذكر لهذه المناسبة أن الدولة العثمانية في السنوات القليلة السابقة للحرب العالمية الأولى كانت أحوج البلاد الإسلامية إلى هذا النظام اللامركزي ، لاختلاف أقطارها في اللغة والجنس والاحتياجات المادية والفكرية . وكان الأمير صباح الدين ابن أخت السلطان عبد الحميد أحد المقتنعين بضرورة العمل بهذا النظام إليه ألف الرسائل بالدعوة وتأسست في البلاد العربية (سوريا ولبنان والعراق والحجاز واليمن) فروع لحزب اللامركزية الإدارية العثماني الذي كان مركزه العام في القاهرة برئاسة رفيق بك العظم ومن أعضائه السيد رشيد رضا وكان أحد كاتبي سره رئيس تحرير هذه المجلة . ولو أن الدولة العثمانية عملت بهذا النظام لتجددت به حيويتها وضمنت به بقاء العناصر التي انفصلت عنها ولما

والخطط الاستراتيجية ، وتقف جهودها على حل مشكلة مليون لاجئ مشرد ، وعلى إجابة الأمانى القومية للشعوب العربية .

اللامركزية

والإصلاح الاجتماعي بمصر

تتجه الجهود في مصر الآن للعمل بالنظام اللامركزي في جميع أنحاء الوطن ، لتربية الشعور في كل منطقة بالمسئولية عن إصلاحها الاجتماعي ، ووضع حد للتواكل الناشئ عن استئثار العاصمة بالشئون كلها ، وتجاهل التفاوت في الظروف والأحوال بين مختلف المناطق . وسيكون من آثار هذا النظام انحصار مهمة العاصمة بأنها مقر الجهاز الذي يرسم السياسة العامة لتنفيذ المشروعات الاجتماعية ، أما تفاصيل التنفيذ فتقوم بها كل منطقة بنفسها مراعية ظروفها وحاجاتها ، وتستمد العاصمة جميع المناطق بالموظفين الفنيين والإداريين الذين يتولون التنفيذ الأخير .

والمنتظر أن تسمى كل منطقة بالوحدة الاجتماعية يخدم كل منها عدداً معيناً من السكان يختلف باختلاف تركيزهم ، ويقدر هذا العدد بحوالى ٣٠٠٠٠ نسمة في المناطق الريفية و ٥٠٠٠٠ نسمة في المدن ، وتقوم كل من هذه الوحدات بتنفيذ سياسة الإصلاح الاجتماعي التي تقررها الوزارة بعد أن تقوم بأقلتها الإدارة الإقليمية بالمديرية أو المحافظة

تولى دراسة المشروعات التى تقدم إليها وإعداد البيانات الصحيحة عنها ودراسة الاحتمالات التى تكسبها، واقتراح مشروعات جديدة ووضع الخطط التنفيذية اللازمة لها، وقد تقرر إنشاء مجلس دائم لتنمية الإنتاج القومى فى المشروعات التى تتصل بوزارات المالية والأشغال والزراعة والتجارة والصناعة ليكون الارتباط وثيقاً بين مشروعات الوزارات الأربع ووزارة التكوين. وبذلك ينهض الإصلاح وتدخل مصر فى طور جديد إن شاء الله .

إذاعة أذان الظهر

تقرر إذاعة أذان الظهر من دار الإذاعة بالقاهرة، وتعتذر دار الإذاعة ببعض الموانع التى تحول دون إذاعة أذان الاوقات الخمسة كلها، وهى تقول إنها تذيع أذان الاوقات الخمسة فى طول شهر رمضان وأيام العيدين والجمع وبعض المواسم الدينية، وبمجموع هذه الايام ٩١ يوماً فى العام .

وجمهور الأمة يجيب على اعتذار دار الاذاعة بأنه مادام يمكن إذاعة أذان الاوقات الخمسة فى ٩١ يوماً فهذا دليل على إمكان الاستمرار فى هذه الاذاعة فى كل أيام السنة وليس هذا بالكثير على وطن أكثر من تسعة أعشاره مسلمون .

بقى الأتراك وحدهم مضطربين فى نزعاتهم الفكرية كما هى حالهم اليوم. وإننا نذكر هذه الحقائق لنبرهن على بعد نظر القائمين على العهد الحاضر وحسن تفكيرهم فيما تنهض به البلاد، وتشعر معه بكرامتها وبمسئوليتها وبمكائنها فى إدارة دولاب المجتمع .

مشروعات السنوات الخمس

رأى القائمون على توجيه العهد الجديد فى مصر أن الحاجة ماسة إلى وضع نظام يكفل لبرامج الدولة الدوام والاستمرار، مع توجيه هذه البرامج توجيهاً يحقق الخير لأفراد الشعب جميعاً، فقررُوا وجوب قيام أداة للتخطيط والتنسيق حتى لا تأتى المشروعات مرتجلة ولا متعارضة وحتى يمكن تفادى الإسراف فى الإنفاق وتوفير الجهود والوقت والمال، مع زيادة الفائدة التى يمكن الحصول عليها من الأموال المخصصة للخدمات العامة وتنفيذ المشروعات .

ولما كان كثير من المشروعات الحكومية يحتاج فى تنفيذه إلى أكثر من عام، ونظراً لعدم وجود خطة مرسومة لهذا التنفيذ، فقد استدعى الأمر فيما مضى إحداث تعديلات مرتجلة تمشياً مع مقتضيات الظروف وأحوال الميزانية مما ترتب عليه تعثر المشروعات والسير بها فى غير الطريق المستقيم. لذلك تقرر تشكيل أداة للتخطيط والتنسيق

فهرس

الجزء الخامس — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٥٢١	الماجلة والآجلة	الاستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
٥٢٦	خصب القول وجديها	» محمد هرة مدير المجلة
٥٣٣	نفحات القرآن	» عبد الطيف محمد السبكي
٥٣٨	السنة - تخير العاملين	» طه محمد الساكت
٥٤٤	أساس الشعور بالمشئولية	الدكتور محمد عبد الله دراز
٥٤٩	طريق الافادة من الفقه الاسلامى	» محمد يوسف موسى
٥٥٤	نشأة كتب الامالى وخصائصها	» عبد الوهاب حمودة
٥٦٠	السيد طلحة بن عبيد الله	الاستاذ محمد محمد أبو شهبة
٥٦٦	تبديد المخاوف من إقامة دين الله	» محمد عبد السلام الغبانى
٥٦٩	الحديث النبوى	» محمود الزواوى
٥٧٢	هل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٥٧٧	لغويات : على أحوال من خالف	الاستاذ محمد على النجار
٥٨١	الفقير	» حامد محسن
٥٨٤	لللدون في مفترق الطرق	» عبد الحميد محمود المسلوت
٥٨٨	الاشاعات والاراجيف	» محمد هرة
٥٩٢	الرحمة وآثارها	» عبد الرحيم فرغلى البلينى
٥٩٦	عمر بن عبد العزيز والقرآن	» أحمد الشرياهى
٦٠٣	الرفق بالميوان في الشريعة الاسلامية	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٦٠٨	بين النلفة وعلم الكلام	الاستاذ على مصطفى الغرابى
٦١١	تطهير الاداة الحكومية	» محمد فتحي محمد عثمان
٦١٥	دستور الدولة في نظر الاسلام	» أحمد فهمى أبو سنة
٦١٩	المصومات الادبية وأثرها في النقد	الاستاذ عز الدين اسماعيل
٦٢٤	الجندي في صدر الاسلام	يوزباشى أركان محمد جمال الدين محفوظ
٦٢٨	السكرت	قلم التحرير
٦٤٠	الفتاى الشافى في الأزهر	»
٦٤٢	الادب والموم في شهر	»
٦٤٤	أنباء العالم الاسلامى	»

رئيس التحرير
عبد الله بن الخطاب
الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والسودان
٣٠ للطلبة في مصر والسودان
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
من الجزء

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَرِيعَةِ جَامِعَةِ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد عبد الكريم
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامعة الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السادس - في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٢ - ١٥ فبراير ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقَائِقُ

كانت مصر — إلى فجر يوم الأربعاء غرة ذى القعدة من العام المنصرم (٢٣ يولية) — كأنها القصر شاخ الذرى ، نغم البنيان ، عظيم الأركان ، ضخم الجدران . لكنه لضعف الأساس الذى كان قائماً عليه ، واطول ما اعتراه من إهمال المستبدين به عصراً فعصرأ ، وانصرافهم عن تعهده بالإصلاح والتجديد ، كثرت فى جدرانه الصدوع المنذرة بقرب انهياره ، وأوشك أن يتداعى . لجأوا له بأبرع النقاشين يرأبون صدوعه بالجلس وبما هو أوهى من الجلس ، وينقشون ظاهر جدرانه بأجل النقوش وأبدعها وأزهاها : يخادعون بذلك أمتهم وغيرها من الأمم ، وما يخدعون إلا أنفسهم .

وهكذا اطمأنت قلوبهم للغش والرياء ، فأغروا بهما كل من يتعامل معهم ، أو يروجو حباهم ، أو يطمع فى الزلقى إليهم . حتى إذا أوفى الغش والرياء فى المجتمع المصرى على غاية الغايات ، وبات ذلك هو الأصل المعروف والمتعامل به ، أما الاستقامة على الحق والتعامل بالنصيحة والصدق فذلك هو الأمر الشاذ والعمل المنكر — حيثئذ تدارك الله كنهاته برجال قويت نفوسهم بسلاح الأخلاق ، واطمأنت قلوبهم لقواعد الدين ، تخلمهم ذلك على المغامرة بتجريد سلاح الأمة لإنفاذها من الغش الخفى والرياء المخجل ، وحاولوا انتشال

هذا الوطن المسكين - المظلوم من فراغته ، المعضوم الحق من أقويائه وأذكيائه - فاجشوا شجرة الغش والرياء في اليوم الرابع من ذى القعدة (٢٦ يولية) وألقوا بها في عرض البحر لتتلف بها أمواجه في بقاع أخرى إلى غير رجعة . وكان ذلك إيذاناً من الله بتحويل دفقة السفينة المصرية وشراعها عن اتجاههما الخاطئ ، إلى الوجهة السليمة التي يوشك أن يتحول بها كل عامل في هذا الوطن — بمداركة أو مواهبه أو جوارحه — إلى عضو نافع سليم ، في شعب نافع سليم ، يسبح الله بحسناته في هذه الأرض ، ويتعبد له بالإحسان في كل ما يحسنه من عمل صالح ، ويعلن شكره لمولى النعم على نعمه بحسن استعملها فيما خلقت له ، إلى أن يأتي يوم لا تذهب فيه قطرة واحدة من مياه النيل إلى البحر المالح ، بل تستعمل كلها في رى الصحارى القاحلة شرقاً وغرباً ، وتثار المعادن الجافة والسائلة من جوف الأرض لتسكون في أيدي شبابنا حراباً ومدافع ، وفي حقولنا فتوسا ومحارث ، وفي مصانعنا آلات ودواليب دائبة الحركة بالثروة والسعادة والعزة والرضا .

إن النظام الذى كان قائماً في العهد البائد ، إنما كان قائماً على دعائم كثيرة من الباطل والشر ، وقد تعاونت على حياطته ورعايته وضمان استمراره عناصر من عناصر الرياء والغش سيحللها التاريخ ، وسيحمل كل عنصر منها مسئولية ما كان يحمله من دعائم ذلك العهد ، وما كان يتولاه من نظامه الفاسد . وأخطر بقايا تلك الشجرة الحبيثة وأشدّها ضرراً تلك الجذور التي كانت تمتد في الثرى ، وطالما مثلت في هذا المجتمع أدوار الغش والرياء ، وبقيت تطمع بأن تعود فتعمل ، ليعود بها عهد الرياء والغش فيحيا من جديد .

تلك هي أحزاب العهد البائد التي بذرت بذور الفتنة والشقاق في الصحف وقرائها ، وفي معاهد العلم وبجامع الوطن ، وفي البيوت والأسر ، حتى فرقت بين الأخ وأخيه ، والاب وبنيه ، والمدرس وزملائه ، والطلبة في فصولهم ، والقرويين في حقولهم ، وحتى أودت بكيان البلاد ، ومزقت وحدتها ، وشنت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفي السياسة وأدعياء الوطنية .

والآن — وقد تمت كلمة ربك بانتهيار الطاغوت الأكبر وهو أعز ما كان يباطله وطغيانه ، وبتمزيق شبكة الغش والرياء التي كان يستعين بها في تقييد نشاط الحق ، ويتحكم بخيوطها في الحد من حرية الفضائل ، فقد آن للحق أن ينشط من عماله ، وأن يتخلص من ضعفه وهزاله . وأن للفضائل أن تحرر من قيودها ، وتطلق من معتقلاتها وبجونها ، فتعود

إلى هذه الأمة سبحانه الموروثة عن سلف عظيم ، لتتجدد بها أجداد خلدها جهاد عظيم في تاريخ عظيم .

والحق لا ينشط مجرداً ، مالم يتول ذلك منه أهله وأوليأؤه .

والفضائل لا تتحرر بنفسها ، إلا إذا نهض لها بذلك أنصارها وجنودها .

إن الإسلام دين الحق ، والحق من عند الله ، و هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، . وقد آن للمسلمين أن يحملوا في أوطانهم لواء الحق ، وأن يربوا عليه أنفسهم وأبنائهم وتلاميذهم ، وأن يُهدوا له الجيل الذى سيخلفهم على أمانات الله . وبداية إعداد الجيل لذلك أن نجعل له من أنفسنا قدوة في الإيمان بالحق والعمل به . يأبى الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ، . وهذا الخلق ، أى شهادة المسلم لله ولو على نفسه أو والديه والأقربين ، قد اضمحل وزال في عهد الرياء والغش ، لأن الشهادة لله ولو على النفس من أخص خصائص الحق والقوامين عليه ، والحق لا يجتمع مع الرياء والغش في نفس واحدة ، فلما تعامل المسلمون بالرياء والغش أعرضوا عن الحق فأعرض الله عنهم .

وبانهيار صرح الرياء والغش يجب أن يقوم للحق صرح جديد في عهد جديد يكون منه بعث للإسلام في فضائله العليا ، وأعلالها إقامة الحق وتربية النفس عليه ، وتكوين كيان الجيل الآتى على أساسه ، حتى يكون المسلم ، وحتى يكون كل مسلم ، من الشهداء لله بالحق ولو على نفسه أو والديه والأقربين .

إننا يوم نتجح في تربية الجيل الآتى على الحق ، سيمشط عدد المحاكم المصرية وقضاتها ووكلاء النيابة والمحامين وضباط البوليس وجنوده إلى أقل من عشر عددهم الآن ، وستقتصد الدولة كل ما تنفقه في هذا السبيل وأمثاله ، وسيخفف عبء الضرائب عن عواتق أفراد الأمة ، وسيتاح لهذا الشعب أن يستعمل فضل أمواله فيما ينتج ويشمر وينفع من مرافق ومشروعات ، وفيما يقوى به كيانه فيعتز ويسعد .

لقد كانت مصر قبل مائة وخسين سنة في أحط عصر من عصور الإسلام ، وكان أرق عصورها في الإسلام هو العصر الأول الذى لم ير المصريون أسعد لهم منه ولا أكرم ولا أعدل ، فبلغ من احترامهم له ولعجاظهم به أن اندمجوا في نظامه ، وآمنوا بحقايقه ،

وتسألوا عن لغتهم حباً منهم بلغته ، وبذلك صاروا هم أهل وسادة مرافقه وقادة أموره . ثم استعجم الإسلام في مصر وأخذ يخرج عن طريقه شيئاً فشيئاً حتى ابتعد عن المحجة ، فبدأ أثر هذا الابتعاد في ضعف الأمة وانحطاطها في آخر الحكم العثماني ، وكان أسوأ أحوالها في تاريخ الإسلام هو ما كانت عليه قبل مائة وخمسين سنة ، فعاقبها الله بالاحتلال الفرنسي ، ثم بتسلط أسرة محمد علي ، وبما منيت به البلاد في عهد هذه الأسرة من مصائب الاحتلال البريطاني . وفي خلال هذه المائة والخمسين من السنين اتخذت مصر لنفسها كياناً آخر ، واتخذت لسياساتها نظاماً آخر ، وتفتتت في نظامها إلى أن صار إلى ما نعرفه إلى يوم الناس هذا ، وصار الغالب عليه ما وصفناه من رياء وغش عم جميع الطبقات حتى تدارك الله مصر بهذا العهد الذي بدأنا نفكر فيه بما يجب علينا له ، وبما ينبغي لنا أن نرسمه لأنفسنا من خطط للسعادة والطمأنينة والعيشة اللائقة .

لقد اخترت لمقالى هذا عنوان « حقائق » ، والحقائق لا يخاف منها إلا مبطل أوجبان . ترى هل كنا في المائة والخمسين سنة الأخيرة في أنظمة ومعيشة وأخلاق أصلح مما كنا فيه قبيل حملة نابليون على مصر ، أم أسوأ مما كنا فيه ؟

وهل كانت الأمانة في نفس المصري أقل يومئذ ، فارتقينا في ظل الأنظمة الأوربية والحدوبية ؟ أم كانت الأمانة قبل ذلك أعظم فأنحطت نفوسنا في ظل الأنظمة التي تعاقبت علينا في المائة والخمسين سنة الأخيرة ؟

أنا معترف بأن العصر الإسلامي الأخير الذي أعقبته الحملة الفرنسية هو أحط عصور الإسلام في مصر ، ومع ذلك فإن العلماء الفرنسيين الذين صحبوا الحملة الفرنسية وشاهدوا بأعينهم أمانة المصريين وأخلاقهم في ذلك الوقت قد شهدوا لهم بأنهم كانوا أرقى مما صاروا إليه في ظل الأنظمة التي تعاقبت على مصر في المائة والخمسين سنة الأخيرة ، وهذه الحقيقة يجب أن تعلن على رموس الأشهاد لاستفيد منها في تعيين طريقنا نحو المستقبل .

عقد المسيو جومار - أحد مهندسي الحملة الفرنسية التي قدمت مصر مع نابليون - فصلاً علمياً عن تخطيط القاهرة بجلته الحملة في المجلد التاسع عشر من كتاب (وصف مصر) ، فكان مما جاء فيه أن بولاق كانت مرفأ القاهرة في الشمال ، كما كانت الفسطاط (مصر القديمة) مرفأها في الجنوب ، فكانت بولاق فرضة تجارة الوجه البحري ، وكانت مقرأ لجرمك القاهرة .

وبما لفت نظر مسيو جومار كثرة الوكائل التجارية في بولاق ووفرة الغلال التي كانت تسكدس على ساحل النيل بلا حراسة وبغير أن توضع في مخازن .

قال مسيو جومار : إن الثقة بين الناس في مصر كانت على أتم ما يكون بحيث لم يكن ثمة خوف من أن تمتد يد إلى تلك الغلال ، وهذا يدل على أن الصدق والأمانة كانا من فضائل الخلق المصري .

هكذا يشهد للبصريين شاهد عيان من الفرنسيين المحتلين ، وقد سجل شهادته في أعظم أثر علمي تفتخر به تلك الحملة ، أو يفخر به الفرنسيون من بعدها حتى اليوم .

وهكذا كانت مصر في أحط عصورها الإسلامية ، وأما عصر الإسلام الأول فيها فإن مصر من عشرة آلاف سنة إلى الآن لم تر أسعد لها منه ولا أعدل ولا أكمل ، ولذلك اندمجت فيه وكانت من خيرة أهله .

والآن وقد قوض الله عهد الطغيان ، فإن مصر التي تبلغ نسبة المسلمين من أهلها ٩٢ في المائة تحب أن ترجع إلى إسلامها كما كان يوم أحبته في المائة السنة الأولى من تاريخ الفتح الإسلامي . وأعظم عظماء الأرض وأنبل أبطال التاريخ هو الذي يعمل على تجديد ذلك العهد الزاهر من عهود مصر يبعث أخلاقه وعدالته وبساطته ورفقه والمحبة الصادقة بين جميع سكان الوطن من كل المشارب والمذاهب ليتعاونوا على الأخذ بأرقى وأدق ما وصلت إليه أمم الأرض من علومها وصناعاتها ووسائل تنظيم أعمالها وتحسين مرافقها وتجميل عمراتها حتى نأخذ من كل شئ أحسنه ، وحتى نكون من أعرق الأمم في ذلك ، ومن أكثرها انتفاعاً بالعلوم الصناعية والحقائق السكونية والأساليب الإدارية ، فنبقى مسلمين بأخلاقنا وأحكامنا وطريقتنا في تبسيط الوسائل ، ونكون مع ذلك سباقين إلى التقدم في علوم السكون جميعاً .

إن وزارة المعارف - بمنهجها الحاضرة التي فشلت في كل شئ - إنما هي عنصر من عناصر العهد البائد ، فينبغي لها أن تسارع إلى إصلاح نفسها والتذوق بمنهجها وأساليبها العقيمة في أعماق بئر تدفن فيها الحباثت ، لتبنى نظامها الجديد على تخريج جيل يؤمن بالأخلاق والفضائل التي لا يمكن الإيمان بها إلا عن طريق التربية الإسلامية الأصلية ، وانتشيع بحجة عظماء الإسلام الأولين ، وتقمص أرواحهم ، واتخاذهم قدوة وأسوة في تجديد عهدهم الأول الذي أحبته مصر منذ عرفته فترجمت عن محبتها له بالاندماج فيه والامتزاج به بشغاف قلبها .

وإن مدرسى المعاهد والكتليات الأزهرية يجب عليهم أن يقودوا حركة التجديد في الأخلاق ، وأن تكون لكل مدرس منهم رسالة علوية قدسية يؤديها في فصله وبين تلاميذه بإيمان وخشوع كموقفه بين يدي الله عز وجل في صلاته ، لأن القيام بذلك من أعظم العبادات التي يقوم بها المسلم في العهد الجديد ، لتحويل أبناء الجيل عن قاذورات العهد البائد إلى أخلاق الإسلام وفضائله التي يجب أن تكون شعار هذه الأمة ودثارها بعد اليوم ، وبذلك نستحق الحكم الصالح ، وتجاوب قلوبنا مع قلوب القائمين عليه .

إنما انهار العهد البائد ، وقوض الله صروحه ، لأنه لم يقيم على أساس من الأخلاق ، ولأنه تبدل من الصدق والأمانة بالرياء والغش ، فكان الناس يمثلون هيئات الفضائل وأشكالها ويحسنون الحديث عنها وهم ينطوون على أضدادها ، وقد صدق الله عز وجل في قوله الحق « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

حُب الدين الخطيب

التعليم الأجنبي - والتعليم القومي

يقول حكيم البراهمة وشاعرها رابندراناث تاغور :

« التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا ، ورأى أن التعليم ينبغي أن يكون كالآكل ، بمعنى أنه عندما يسبغ الآكل اللقمة الأولى تنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلئ ، ويتمكن حينئذ عَصِيرُهَا من أن يؤثر كما يجب ؛ ونقيض ذلك التعليم الأجنبي : فإن اللقمة الأولى تؤذِن الطاعم بخلع سطرى أسنانه ، أو تزلزل فمه ، وفي اللحظة التي يبتدئ يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة - وإنما هي من السكر وقابلة للهضم - يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون مشبعته قد ذهبت . »

ولما قرأنا هذا خطر على بالنا أن نستفتي وزير المعارف وجميع رجال وزارته : هل التعليم في مدارسنا من النوع الأول ، أم من النوع الثاني ؟

بِمَاذَا نَبْدَأُ

قد تغير العهد القديم، وجاء على أنقاضه عهد جديد، يريد الإصلاح فيلتفت حوله فإذا كل شيء بحاجة إلى الإصلاح. نحتاج إلى الإصلاح في المال والاقتصاد وفي الزراعة والصناعة وفي رفع مستوى المعيشة وفي التربية والتعليم، فيسائل المصلحون أنفسهم: بمَاذَا نبدأ؟ فالعقل يقضى بأن يقدم الأهم على المهم، وبأن يقدم ما لا نجد منه بداً على ما نحن واجدون منه بداً. ويقضى بأن تقدم في الإصلاح ما لو إذا أصلحناه أصلحت المرافق الأخرى، وما لو أهملناه لم يستقم لنا إصلاح في جميع المرافق.

فبِمَاذَا نبدأ؟

الحق أقول إنه يجب البدء بإصلاح نفوسنا قبل كل شيء والعناية بذلك عناية من يعلم أنه إن حرمه هلك، إنه يجب أن نصلح أول ما نصلح المصريين أنفسهم.

إن مصر عبارة عن شيئين المكان والسكان، والسكان مقدمون في العناية على المكان، وأولى السكان بالإصلاح الإنسان، وذلك لأنه إذا أصلح أصلح مامعه من السكان وأصلح المكان، وليس إذا أصلح غيره صلح هو. وأول ما يجب إصلاحه في الناس أنفسهم، وهذا يشمل إصلاح العقول وإصلاح الأخلاق، فإذا صلح هذان في الإنسان أصلح البدن كله، وإذا صلح الإنسان أصلح كل ما يحيط به. وإذا أهمل إصلاح الإنسان لم ينفع إصلاح ما عداه، وسأبين ذلك بأمثلة:

١ — أراد محمد علي أن يصلح الصناعة في مصر فأدخل كثيراً من الصنائع وجلب لها العمال ليتعلموها ويصنعوا، فحييت الصناعة ما حيي محمد علي، فلما مات ماتت الصناعة بعده. ولو بدأ محمد علي فحسب الصناعة إلى السكان وعرفوا ما فيها من مزايا مالية تعين على المعيشة فاندفعوا إليها بشوق من نفوسهم وأعانتهم الدولة بما تريد المعونة به، لبقيت الصناعة ما بقي الشوق في نفوسهم وما بقي متوارثاً يرثه الخلف عن السلف.

٢ — أرادت الدولة أن تصلح مياه الشرب في القرى فتقمها وتطهرها اتقى سكانها من البلهارسيا والإنكلستوما والأمراض التي تسببها المياه الملوثة، فكان السكان يعافونها ويشربون من مياه الترع والقنوات ويرونها أصح لأجسادهم وقيسون قياساً مشاهداً لديهم

فيقولون إنها تفيد الزرع من القمح والذرة ، فكيف لا تفيد الإنسان ؟ ولو بدأت الدولة فمرفقهم ما تحمل هذه المياه الملوثة من جراثيم تضر بالأجساد وأن المياه المظهرة خير منها وأصح ، لبحثوا عنها بأنفسهم ، ولعرفوا بر الحكومة بهم لاذ سبيلها لهم وقربتها إليهم .

٣ — بنت الدولة مراحيض في بعض القرى وطلبت من السكان أن يقضوا حاجتهم فيها ، ولا يقضوها في المياه والموارد لئلا يتقوا أضرار ذلك ، فكانوا يقضونها ويذهبون إلى ما ألفوا .

٤ — ظفرت الامة بالدستور سنة ١٩٢٣ وقد اعترف فيه لها بأنها مصدر السلطات ، وبأن الحكومة مسئولة أمام مجلس النواب ، واعترف لها فيه بالحريات ، ولكن هل انتقلت السلطات من الملك إلى الامة حقاً ؟ أكانت الحكومة مسئولة أمام مجلس النواب حقاً أم كان النواب مسئولين أمام الحكومة ؟ هل احترمت الحريات والكرامات ؟ هل عاشت الامة في ظله خيراً مما كانت ؟

لا ، لم يكن شيء من ذلك .

ذلك أننا عطينا بكتابة دستورنا في السطور ، ولم نعن بكتابتها في الصدور ، ولو كتبناه في صدورنا ، ونقشناه على قلوبنا ، وآمننا به وبأنه لا حياة كريمة ولا تقدم لنا إذا خولفت نصوصه وانتهكت حرمانه ، لما رضينا بأن يخالف وأن تنتهك حرمانه .

قال قائل : إن بريطانيا ليس لها دستور مكتوب فقلت كيف وهو مكتوب في أربعين مليون نسخة ؟ فعجب ، فقلت إنه مكتوب في صدر كل بريطاني ، ونقشه إنما هو في هذه الكتابة لا في كتابته في الأوراق والصكوك .

كل هذه المشروعات أخفقت لأنه بديء بالنتيجة قبل المقدمات ، وكان الأولى أن يبدأ بالمقدمات قبل النتيجة .

وهذا كله قد عرفه النبي ﷺ حين قال : ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

أصلحوا القلوب بإصلاح العقول وإصلاح الأخلاق وتهذيبها يصلح لكم كل شيء . إن العقل جعله الله مصباحاً يستضيء به الإنسان في هذه الحياة ، فدعوا لكل إنسان مصباحه ، وأمدوه بالزيت النقي حتى يضيء له طريقه ويبصره ما ينفعه في هذه الحياة .

وأول ما يجب أن يربى عليه المرء خلقياً هو الكرامة الإنسانية . ومن اعتقاد المرء بهذه الكرامة تنبعث كل الفضائل والخيرات ، وتحارب كل الشرور والآثام ، فإذا ما آمن المرء بكرامة نفسه وكرامة الناس حوله ، طلب الحرية لنفسه وطلب المساواة بين الناس جميعاً وأبى أن يسيطر عليه أحد من الطغاة والمستبدين ، وطلب مثل ذلك للناس . يجب أن يؤمن الناس بذلك ويحبوه كما يحبون الحياة أو أكثر من الحياة ، وأن يفضلوا الموت مع الكرامة على الحياة مع الذلة ، وما استعبد قوم ورضوا بالذلة والعبودية إلا بعد أن فقدوا إيمانهم بالكرامة الإنسانية ؛ هذا الإيمان بالكرامة هو الدرع الواقى للأمة من استعباد الظالمين واستبداد الجبارين ، ولن تنفع القوانين والدساتير في وقاية الأمة من التحكم والاستبداد إذا فقدت هذه الكرامة .

وإن الأمة التي تؤمن بكرامة نفسها تحول كل حاكم مستبد إلى حاكم عادل ؛ لأنها تؤمن بكرامتها وتعرف حقوقها ، وتأبى أن يمتدى عليها معتد وأن يستذلها مستذل ، وكلما حاول ذلك أحد ردت به بسيوفها وبكل ما تملك من قوة ؛ والأمة التي لا تؤمن بهذه الكرامة تحول كل حاكم صالح إلى حاكم مستبد ، لأن الظلم من شيم النفوس ، وليس يرد عنها إلا المقاومة ، فإذا فقدت رتع الحاكم لأنه أصبح مخلى بينه وبين هواه ، وهذا معنى ماورد : « كما تكونوا يولى عليكم » .

هذه هي الروح السائدة في العالم ، وهذه هي التربية الحديثة التي تأخذ بها الأمم لأنها يؤيدها العلم والاختبار .

وسأخذ الناس العجب حينما أبين لهم أن هذا هو الإسلام وأن هذه هي التربية الإسلامية ، وأن الله بعث محمد بن عبد الله ليربى الأمة الإسلامية على ما ذكرنا من الكرامة وما يتبعها من الحرية والمساواة .

إن أول ما يميز المسلم من غيره الشهادة - لا إله إلا الله محمد رسول الله - ومعنى هذه الشهادة التي جعلت فرق ما بين المسلم والكافر هو الكرامة الإنسانية ، فإن المرء إذا اعتقد أن لا إله له إلا الله ، فلا معبود له يستحق العبادة والخضوع والرجاء والسؤال إلا الله ، لأنه ليس من ينفع أو يضر ، أو يعز أو يذل ، أو يحيى أو يميت ، أو يرزق أو يمنع إلا الله . نقول إذا اعتقد المرء ذلك فقد آمن بكرامته ومساراته للبشر ، فلا يخضع ولا يذل ، ولا أعنو جهته ، ولا يخشع صوته إلا لله ، ومن أراد ذلك ممن يساوونه من الناس أبى ذلك عليهم

ووقف دونه . ولم يكتف الإسلام بذلك بل ذكر أخبار الملوك الظلمة ، والظغاة المستبدين واستعبادهم أممهم وإرسال الرسل إليهم ليخلصوهم من الهوان ، ويعيدوا إليهم كرامتهم الإنسانية ، فذكر بنى إسرائيل واستعباد فرعون إياهم .

« وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ، وذكر محاورة موسى لفرعون في دعوى الألوهية والتسخير ، وهى محاورة يجب أن تكتب على كل قلب لتكون وقاية له من فقد الكرامة والارتكاس فى مهاوى الذلة والاستعباد : « فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى اسرائيل . قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذا وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلنى من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل . قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الاولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين . قال أولو جئتكم بشئ مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين . »

وقد ذكر الله هذا الحوار البديع ليوحى إلى الناس ضعف الإنسان ومساوانه لغيره من الناس ، فإذا تمرد وبغى وخرج عن طوره وجب إقناعه بالحجة ، فإذا لم يقتنع وجبت مقاومته ومحاولة الخلاص منه ، وقد ذكر الله هذه المقاومة فى كثير من سور القرآن وبين أن العاقبة للشعب المقاوم والدمار والهلاك للطاغية المستبد ، بشرط واحد : وهو أن يصبر الشعب على المقاومة : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا غافلين ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ، شارق الأرض ومغارها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ، وبين فى القرآن أن إرادة الله وعونه وحمايته ، للغلوب المستضعف ليغرس الأمل فى النفوس ، والإيمان بالغلب فى القلوب :

« إن فرعون عـلا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم

ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ، وزيد أن ننم على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، ، ولم يكتف القرآن بما ذكرنا بل ذكرها كلمة خالدة ناطقة بكرامة الإنسان : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . »

أرايتم التربية الإسلامية كيف كانت مبناه على الكرامة الإنسانية ، وكيف كانت تربي الأمة على التخلص من المستبدن الظالمين ، وكيف كانت كلمة التوحيد مخلصه للآدم من الداء الويل المبيد للآدم وهو الذل والاستعباد ، كما هي مخلصه من سوء الآخرة وعذابها بشرط أن يفهم معناها على وجهه ، وأن يربي المرء عليها حتى تختلط بلحمه ودمه .

ولا يظن ظان أنني أحمل كلمة التوحيد فوق ما تحتمل وأفسر الربوبية والعبودية بأكثر من معناها ليتسنى الوصول إلى ما أريد ، فإن ذلك كان يعنيه النبي ويعني أكثر منه ، فقد ورد عن عدى بن حاتم أنه قال أنيت رسول الله ﷺ وفي عنق صليب ، فقال لي يا عدى ألقى هذا الوثن من عنقك ! وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة « برأه » ، حتى أتى على هذه الآية : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، قال قلت يا رسول الله : إنا لم نتخذهم أربابا ، قال : بلى أليس يحلون لكم ما حرم الله عليكم فتحلونه ، ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه ، فقلت بلى ، فقال : تلك عبادتهم .

ولو شئت أن أقول إن جل ما في الإسلام يدور على تثبيت هذه الكرامة الإنسانية لقلت ، فإن الإسلام كله يؤيدني في ذلك .

استبكر سادة قريش أن يجلسوا مع النبي ومعه ضعفاء المسلمين من أمثال صهيب وعمار وبلال ، وقالوا للرسول اطرد هؤلاء الأعبد ونحن نستمع إليك ، فأنزل الله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من أين رأينا هؤلاء الضعفاء مقلبين بدأهم بالسلام تطيبنا لنفوسهم وغرنا للكرامة في قلوبهم ، وهل كان عتاب النبي ﷺ في أمر الأعمى الذي جاء وهو مشغول بكفار قريش ،

ويرجو أن يهديهم الله تخاف أن يشغل به عنهم فيفوت ما يرجوه، فأنزل الله هذا العتاب وسجله على وجه الدهر في هذه الآيات : « عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة » .

نقول هل كان هذا العتاب القاسى إلا ليدكر دائماً بالكرامة الإنسانية وبكرامة هؤلاء الفقراء خاصة كلما قرأه قارئ أو تدارسه دارس .

وهل أمر الإسلام بالرفق في الأمور كلها وبغض في العظاظة والغلظة ، فقال الله في كتابه الكريم : « ولو كنتم فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وقال النبي ﷺ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، حتى إنه أمر بالرفق بالعبيد والإماء وقال لابي ذر وقد قال لآخر يابن السوداء :

« يا أبا ذر أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية » .

نقول هل فعل الإسلام ذلك إلا ليحفظ على الأمة عزتها ويبقى لها الكرامة الإنسانية ؟ وقد خطب عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة فقال : « إذا رأيتم في اعوجاجا فقوموني » ، فقام إليه رجل وقال : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيفنا » ، فقال « الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من لو رأى في اعوجاجا لقومه بسيفه » ، فهل كان فرح عمر بذلك وحده الله عليه إلا لأنه استوثق من أن الأمة فيها خلق العزة والكرامة الإنسانية ، وأنه يحفظها هذا الخلق على ألا تقر لظالم ، ولا تعنو لمستبد .

ولما كان مما يهدر الكرامة الإنسانية استعلاء قوم على الآخرين بالجنس والدم أو باللون أو بأعراض خارجة من المال والجاه والسلطان ، أبطل الإسلام ذلك كله وأهدر تلك المقاييس الفاسدة التي درج الناس على أن يقيسوا بها الناس ، ويميزوا بها الرجال ، وأنزل في كتابه العزيز تلك الآية الذهبية التي هي أصل عظيم من أصول الاجتماع الإنساني والإصلاح البشري ، والتي أهدر فيها تفاضل الناس بالأحساب والأنساب والمال والجاه والسلطان ، ووضع مقياساً خيراً من ذلك كله وهو التقوى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وجاءت السنة الكريمة بشرح هذا الأصل فقال النبي ﷺ : « كلهم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ومن أسرع به عمله

لم يبطيء به نسبه ، ، « يا معشر قریش لا یأینئ الناس بأعمالهم وتأتونی بأنسابکم ، ، « یا فاطمة بنت محمد لا أغنی عنک من الله شیئاً ، .

ولم تسکن هذه التعالیم کلمات متلوة علی اللسان ، لا تتأثر بها القلوب كما هی عند المسلمین الیوم ، بل تأثرت بها قلوبهم ، وانطوت علیها صدورهم .

یحکی التاریخ أن سهیل بن عمرو وأبا سفیان بن حرب ورهطاً من سادة قریش طلبوا الإذن علی عمر بن الخطاب وطلبه معهم صهیب وبلال من ضعفاء المسلمین ، فأذن لها أولاً ، فغضب أبو سفیان وأخذته العزة ، وقال لأصحابه لم أر کالیوم قط یأذن لهؤلاء العبيد ویترکنا علی بابہ ! فقال سهیل إنی أرى والله الذی فی وجوهکم ، إن کنتم غضاباً فاغضبوا علی أنفسکم ، دعی القوم إلى الإسلام ودعیتهم فأسرعوا وأبطأنتم ، فكیف بکم إذا دعوا یوم القيامة وترکتهم ! . وهذا هو السر فی أن الإسلام دیننا جميعاً ولكنه نفعمهم ولم ینفعنا ، إننا أخذناه علی طرف اللسان ، ولم یتجاوز الآذان ، أما هم فقد تغافل فی الضمائر وأشربته نفوسهم واختلط بلحمهم ودمهم بمبادئه السامیة فكانت لهم العزة فی هذه الأرض .

أیها المسلمون : غیروا نظرکم إلى الدین وغیروا فهمکم إیاه ، لا تفهموه تعالیم جافة ، ولا تفهموه جزئیات مبعثرة لا رابطة تربطها ، ولا تفهموه معنیاً بإزالة الحدث والخبث دون أن یكون معنیاً بهذه الحقائق العالیة ، بل افهموه علی حقیقته : تعالیم مشمرة ، وقواعد باقیة یراد بها تغیر النفوس وقلب الاوضاع الباطلة ، والاصطلاحات الظالمة التی تؤدی إلى استعلاء طبقة علی طبقة ، واستغلال طبقة لغيرها من الطبقات . جاءت لرفع ذلك لیعیش الناس سعداً ، وقد فطن لذلك أمم الغرب فطبّقوها فی حیاتهم ، فضمنوا السعادة لا کبر عدد من أهمهم ، وكانوا أحظى بها من المسلمین الذین تنزلت علیهم ولم یفطنوا لها ولم یأخذوها مأخذ الجد والحزم ، وهذا هو تغیر الدین وتبدیلہ وتحریف الکتاب وتأویلہ والمروق منه كما یمرق السهم من الرمیة .

ربوا علیها الرضيع ونشّوا علیها الصغیر ، وأرضعوها لأطفالکم مع اللبن تعیشوا أباة حماة کراماً لا یطغى علیکم طاغ ، ولا یستبد بکم مستبد ، وکلنا أرادہ منکم ذو سلطان وجد من یقول له : قف مکانک ، إنی هنا أحی حقیقتی ، وأذود عن کرامتی .

إذا الملك الجبار صعر خده مشیناً إلیه بالسیوف نعاتبہ

محمد عرفه

عضو جماعة کبار العلماء

نَفَحاتُ الْفِرَاقِ

البيت العتيق :

من آثار النبوة ، أن لله خواص في الأزمنة ، والامكنة ، والأشخاص .

ولإذا كانت لنا كلمة سابقة عن شيء من هاتيك الخواص في أشخاص أشاد القرآن بذكرها وفي أزمنة رفع الله من شأنها حتى أقسم بها ؛ أقف اليوم خاشعاً في إكبار ، وهائماً في إجلال ، أمام بقعة من البقاع آثرها ربك بفضلته ورضوانه ، وأضنى عليها من حمايته وسلطانه ، فكانت في عين الزمن حلية الدنيا ، وكانت في حساب العقل متنفس الحياة .

بقعة : اختصها ربك بالإيثار فساها بيته ؛ وإن كان الملك كله ملكه ، والمساجد كلها بيوته ، فأى بيت هذا ؟ ذلك هو البيت العتيق (الكعبة) .

وإن في وصفه بالعताفة لإيذاناً بأصالته في الشرف ، وسبقه على ما بعده ، إذ يكون معهوداً قبل أن يعهد غيره ، ومشهوداً له بالرسوخ فيما هو من خصائصه .

وسواء أكانت العताفة لأنه موضع بيت كان مطاف الملائكة قبل آدم ، أم كانت عتاقته تبدأ من عهد آدم إلى زمن الطوفان ، أم كانت عتاقته لأنه بنى في عهد إبراهيم - عليه السلام - فهو على أى قول رجح من هذه الأقوال أول بيت في الأرض كان للعبادة .

وليس في هالم التاريخ ، ولا فيما أثر عن الأنبياء وما بنوه من المعابد بيت يسبقه .

ثم كان المسجد الأقصى من بعده - كما أطبقت الروايات - ولكن بأزمنة تختلف فيها التقدير ، وبالبيت العتيق هتف القرآن غير مرة ، وركز في الأذهان أنه المهبط الذى تخيرته هناية الله أول ما تخيرت ، وربطت به تاريخ البشرية في رحلة من مراحلها الحية ، وجعلته أساساً للقومية الجديدة في الشرق ، ومنازة تشع بضوئها في جنبات الدنيا . إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مبارك ، وهدى للعالمين .

وحسبنا هذه الآية وثيقة لتاريخ البيت ، وستضيف إليها الآيات من بعد ، مناقب أخرى جددت على الأيام .

وكان تلك المناقب كانت آمالاً تداعب الإنسانية منذ فجرها الأول ، وتشدها منذ صبوتها الصالة ، لتأنس بها في مهامه دنياها ، وتركن إليها كلما هبت من حولها الأعاصير في حياتها الطولى .

حتى إذا ما حان لكل منقبة من مناقب البيت موعدها المقدور عند الله ، برزت في عالم الوجود ، وتم بها جانب من جلال البيت على ما شاء صاحب البيت له من جلال . إبراهيم أبو الأنبياء يؤثر لطفه لإسماعيل ، ولزوجه هاجر عزلة عن الناس ، حتى يقضى الله فيهما أمراً كان مفعولاً ؛ فما يروق له سوى المسكان الفقر بالمشوى القصى ، فيدع أمانته هذه في جوار بيت الله ، وعلى جانب تلك البقعة الميمونة ، مطمئناً إلى صيانتها ، مؤمناً بحسن رعايتها ، وليس عليه إلا أن يدعو ربه مستعظفاً لها ، قبل أن يولى وجهه عنهما ، ربنا لأنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا .

وهذه دعوات الوالد الواله ، يوجهها في قلب إبراهيم لذع الفراق للولد العزيز ، وللزوجة الأثيرة ، ويلطفها على نفسه المحرورة غلبة الرجاء في رعاية الله لجيرة بيته الحرام ، ثم يأخذ سبيله ، ويدع جانباً من قلبه ، ويتجه إلى ما يتجه إليه من شئون ، وإذا عاد فإنما يعود لمأما وهو في حله وترحاله يتملكه الإشفاق ، ويلزمه الحذب ، فتظل دعواته صاعدة من قلبه ، جارية على لسانه ، ولمن ياترى دعاؤه ؟ للبلد كله من أجل البيت ، ولقطان البلد من أجل إسماعيل وهاجر . فتراه مسوقاً بعاطفة رحمة وموجهاً بإلهام غيبي إلى الضراعة حيناً بعد حين فهو يجار مرة : « رب اجعل هذا بلداً آمناً ، وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكروا » ، ثم يعود أخرى ، ويحدد إلى الله دعاؤه ، ويوثق رجاءه أن يرعى رب البيت هذا البلد ، وأن يجنبه ما كان يرى - في غير مكة - من جملة ضاربة ، وطغيان مستبد ، وأصنام جائئة ، وكفر متوطن ، يوم كان يرى ذلك من أبيه آزر وقومه فيشتد عليهم في نكيره ، ويقول : « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ... لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين » . ويوم كان يقرع سمع أبيه بقوله : « إني أراك وقومك في ضلال مبين » ، فهو اليوم يسأل ربه في لفة ورجاء : « رب اجعل هذا البلد آمناً ، واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام » ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم .

أليست الدائرة التي دعاها إبراهيم مقرأ للبيت الذي آثره مأوى لولده وزوجه ، بعد أن سبق له العلم بأنه بيت كريم على صاحبه ، وأنه محفوف بحراس من السماء ، وأن له سياجا من رعاية الله ، حتى ذكره في دعائه بوصف ينم عن قداسته « عند بيتك المحرم ، أو ليس إبراهيم صديقا نبيا ، ترفع الحجب دون دعواته ؟ »

هنا يتجلى عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا ، ويشاء الله أن يشب لإسماعيل بعد أن لقيت أمه في رعايته ما لقيت أيام الطفولة أو بعد أن احتمل والده ما احتمل من صروف ، وبعد أن أبطأ عليه الأمل في الولد ، ولم تبق له إلا بقية من عمر ، يغلب عليه الظن أنها أيام قصار .

وقد كان إبراهيم يتصابر على ذلك الحظ المتباطيء في الذرية ، وهو راض عن هذا بالدأب على رسالته ، وكان يواجه من أمره صعابا ، ويتخذ من صبره على المسكاره عدة للنجاح وأسبابا ، وإذا كان من أولى العزم فليس يقل النصيب من قوته ، ولا ينال من عزيمته ، وإنما هو على أكمل ما تكون شخصية النبوة ، حتى ليمتحنه ربك مرة أولى في نفسه أيام شبابه ، يوم ائتمر عليه عباد الاوثان ليصرفوه عن دعوتهم ، فأضرموا له نارهم ليحرقوه وينصروا آلهتهم من نسكهم وتقبيحهم ، بما كان يواجههم به وهم في كثرة ، وهو في قلة ، وهم يظنونهم ضائنا بشبابه مطاوعهم في السكف عن رسالته ، ولكنه يرخص حياته في جنب الله ويجود بنفسه ، بينا المرة في شبابه يضن بالتافه من عرض الدنيا ، فما بالك بالحياة ؟ فلتوقد نيرانهم في غير تريث ، وليطرح فيها إبراهيم في غير رفق ولا رحمة ، وليقف الطغاة حول نارهم ليشتروا فيما نزل بإبراهيم ، غير أن ربك ينصر من أسلم وجهه إليه ، ويعز من أعز دينه ، وانتصر لربه ، فلم يعظم على قدرته أن تكون النار بردا وسلاما على إبراهيم ، وأن يحبط كيد الكائدين ، ويعلمهم الاخسرين .

ثم تقتضى حكمة الله أن يمتحنه على الشيخوخة مرة ثانية في ولده لإسماعيل ، وهو الموهوب له على الكبر ، الممنوح له بعد حرمان ، فيوحى إليه فيما أراه الله من منامه أن يتقرب إلى ربه بذبح ولده وأن يودعه إلى غير لقاء ، والمرء في كبره أحوج إلى البنين ، وأعطف على الولد ، ولكن إبراهيم إن يكن والدا حنوناً فهو نبي صديق ، وخصائص الرسالة أملك للإنسان من عواطف الأبوة ، فلم يتم نفسه في صدق رؤياه ، ولم يتردد في تنفيذ ما أمر الله ، وكذلك لم يعص الولد البار في تمكين والده من رقبته ، ولم يعوقه عن المبادرة إلى طاعة مولاه .

ونحن نعلم أن الحرص على الحياة غريزة ، وأن حداثة السن تغرى بالعصيان ، وأن العناد أو التمدل فطرة في الأحداث ، فلم لا يبدو من إسماعيل شيء من ذلك إذ أفضى إليه والده بما رآه في منامه ، وصارحه بما ليس أشد من وقته على السمع ؟؟ ولكنها ذرية بعضها من بعض .

وهنا يتمثل لطف الله في قضائه ، وحكمته في تربيته ، فيفتدى — سبحانه — الولد لآبيه بذبح عظيم من عنده ، وينادى خليله في تزكية وثناء . " أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين . "

وهذا الوفاء تبين لإبراهيم وولده إسماعيل من أمرهما وبرهما ما كان مطوياً عنهما ، من دخائل النفس ، وتجلت لإبراهيم حظوة عند ربه له ولولده كان يأملها ويرجوها فيما كان يدعو به لنفسه ولذريته ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ثم يكون من تدير الله أن يجعل من شباب إسماعيل المفدى نصيباً لإقامة البيت الذي أوى إليه رضيعاً ، واحتفى به طفلاً ، وشب في جواره يافعاً ، وأن له أن يقف إلى جانب أبيه في إبراز ما كان في حجب الغيب ، وطالما احتاج بنفس إبراهيم ، ولهج به لسانه ، فعمد الله إليهما " أن طهرا بيتي للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود . "

وفي مثل ما كان لإبراهيم ينشط إلى الدعاء والرجاء كانت نشاطه هو وإسماعيل إلى الاستجابة لهذا التكليف في رحابة صدر ، وأكرم وفاء ، وأفسح أمل ، وأطيب دعاء . " ولذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت الثواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم . "

كانت هذه الدعوات الخاشعات أنشودة إبراهيم وإسماعيل وهما ينهضان بالبناء ، وما أشق البناء بالصخور ، وتناوله باليد ، وفي قلة من الأعوان ؟ وما أشفق الوالد ، إذ يرى ولده مجهداً معه يتكلف الأمر الذي لا يطيقه أثرابه إلا في عنت وسامة ؟ وما أعطف الولد الرحيم وأشد وجهه على أبيه الشيخ ، إذ يراه مكدوداً في شأن يخشى أن ينال من شيخوخته ، وهو أحوج إلى الاستكانة ، وإلقاء العبء ، ولكنه مع ذلك مأخوذ بالقبلة له ، وأخذ بالمضى فيه ؟

تجواب العاطفة بين الشيخ والفتى فيجب إلى نفسيهما ما قد يكرهه غيرهما ، ويسهل عليها ما يشق على سواهما ، ويريان من اليسير الهين ما قد يكون في ذاته غير يسير ولا هين ، بل ولا من اليسير والهوان في شيء .

وهل نرى إبراهيم وإسماعيل ذاكرين لشخصيهما في هذا الموقف ؟ أو شاعرين بما يلحقهما من عنائه ؟ أو حاسبين لشيء مما هنالك أدنى حساب : إلا أنهما يقومان بأمر الله ، ويرفعان بناء ترمقه عين الزمن ، وستستظل به الإنسانية في حياتهما المستأنفة ، وتستشف الدنيا من خيره في أطوارها القابلة ؟ ؟

لم يكن إلا ذلك : شعور حق ، وأمل وصدق ، واطمئنان بالله ، وثقة في رضوان الله ، وليس بعد الله جانب تستمد منه القوة ، وتلتمس منه المعونة ، فلتسكن الغبطة شاملة للشيخ وولده ، بدلا من كل تقدير آخر ، ولتنبثق الدعوات على لسانهما أوسع مما كانت ، فهما يسألان الله القبول ويسألانه تثبيتهما على الإسلام ، ويسألانه تخليد الإسلام في أمة من ذريتهما ، وأن يرهبهما مناسكهما في البيت ، وحول البيت الذي عهد إليهما بناءه وتطهيره من كل رجس يشينه ، وأن يديم عليهما توبته ، ويسألانه أن يبعث في الأمة المسلمة من ذريتهما نبيا منها ، يكون رسولا إليها ، يتلو عليهم آيات الله ، ويعلمهم الكتاب وما فيه من أحكام ، وما يتضمنه ويتصل به من حكمة ، ويزكيهم من كل شائبة تنقصهم .

فظهر الغبطة عند إبراهيم وإسماعيل دعاء شامل لا يخصهما ، بل يتسع لهما ولبن بعدهما عن إ شاء الله ، وذلك شأن الظافر ببيغيته : إذا زكت نفسه ، واستقامت وجهته ، تراه لا يختص نفسه بحب الخير ، وطلب المزيد ، بل يفسح رجاءه لبنيه كما أفسح لنفسه ، ويفسح لغيرهم كما أفسح لنفسه ولبنيه ، وتراه يزداد على النعمة شكرا لا بطرا ، ويشهد لإقباله على الله ، ولا يعرض عن ربه مفتونا ولا أشرا .

دعوات ينفع منها عطف الأبوة ، وتشف عن روح النبوة ، وتجذب الفكر إلى التأمل ، وتثير الخواطر نحو ما تنطوى عليه من غايات .

ومن لهذه التجوى مثل إبراهيم المبارك ؟ ؟ أليس قد أكرمه ربه في نفسه فأتاه برشده من قبل ، ورفع في الأكرمين عنده حتى أيده (أمة قاتلة لله حنيفا ، ولم يك من المشركين ؟)

ألم تشف دعواته المبكرة عما تدخر له الأقدار بعد ؛ فكان من ذريته شجرة أينعت في النبوة ؟

حقاً : « إن إبراهيم — كما شهد الله — لحليم ، أوّاه ، منيب ،

وإذ آن لدعوات إبراهيم أن تبرز إلى عالم الوجود ، ولصبح المنى عنده أن يفبلج ، ولساعة الإجابة أن تدق . هبط وحى ربك بالامر المرتقب ، وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ايشهدوا منافع لهم ، . ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها ، وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا نفثهم — يزيلوا ما بهم ويتنظفوا — وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق » .

وبهذا الأمر صدع إبراهيم ، وأعلن في الملأ أن البيت أصبح مثابة للناس وأماناً .

وحان لهذه الحياة أن ترتسم على صفحاتها خطوط لم تكن ، وأن تقوم على جوانبها المظلمة معالم الهداية شائعة ، وأن تشرق جوانبها المترامية بقبس وضاء من نور السماء .

وحان للبيت الفراغ أن يعمر بأفئدة من الناس تهوى إليه ، ولمسكه أن تنهض لاستقبال عهد خصب تترادف عليها ثمراته ، ولم يكن لها في حساب . . لها بقية .

عبد اللطيف محمد السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسي

جاء في تقرير النائب الفرنسي مسيو موتيه الذي رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلماني في برن سنة ١٩٢٤ :
« من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوّغه قانون ، وكثيراً ما ظهر بمظهر القضاة والغلاظة ، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف . وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها . والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التي تفتحلها لنفسها الأمم المستعمرة . وقد أراد المستعمرون أن يسدّوا على أعمالهم ثوباً شرعياً قانونياً فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم بحجة نشر المدنية والعلوم ، والحقيقة أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لمصلحة بلادهم » .
ثم ختم كلامه بقول لاروشفوكو : « النفاق حكمة تقدمها الرذيلة للفضيلة بكل احترام » .

التطهير

١ - التطهير في الاسلام

عناية الإسلام به - مبلغ الشرائع الوضعية منه - المبايعة على ترك الموبقات
رجال تخرجوا في مدرسة التطهير - درجات الناس في الوفاء بالعقود

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه - وكان شهد بدرآ ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة -
أن رسول الله ﷺ قال ، وحوله عصاية من أصحابه : « يايعونى على ألا تشركوا بالله
شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم
وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف . فن وفى منكم فأجره على الله ؛ ومن أصاب من ذلك
شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ؛ ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله ،
إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أشرنا فى الجزء الثانى من هذا العام لإشارة مجملة إلى التطهير فى الإسلام ، ثم بدا لنا أن
نفصلها فى هذا الجزء وما يليه إن شاء الله ؛ ليعلم من لم يكن يعلم كيف عنى الإسلام ورسول
السلام بالتطهير عناية ما كانت لتخطر لأحد على بال .

لقد عنى الإسلام بالتطهير بطننا وظهرا ، وسرا وجهرا ، وحسا ومعنى : فى النيات
والسلوك والعقائد والأعمال والأحوال ، وسائر شعبه وشرائعه كلها ، جليها ودقيقها ، فرضها
ونقلها ، فى الأفراد والجماعات والرجال والنساء والأطفال ، والأمم والشعوب ، وفى السفر
والحضر والسلم والحرب . لم يدع صغيرة ولا كبيرة فى هذه الشؤون عامة وخاصة إلا جعل
التطهير أساسا لها أو مرتبطا بها . وهل الإسلام إلا أوامر تمشى ، ونواهٍ تجتنب ؟ وما الأوامر
فى الإسلام إلا الفضائل أو الخير ممثلا فى شعبه ومناهجه ودرجاته ، وما المناهى فيه إلا الرذائل
أو الشر ممثلا فى ضروبه وأبوابه ودركاته .

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن ضروب التطهير قديما وحديثا فى الشرائع الوضعية كافة ،

لم يبلغ معشار ما بلغه في الإسلام ، بل لم يبلغ فيها ما يبلغه القشر من لبه ، ولا الزبد من زبد ، وأين تدبير العباد الضعفاء وتطهيرهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، من تدبير الحكيم الخبير وتطهيره ، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً ١٤

إن التطهير في الإسلام - إلا ما تدعو الضرورة إليه - أمر اختياري يوكل إلى العبد حتى يزكى نفسه بنفسه من غير جبر ولا إكراه ، وما هو إلا الإرشاد والبيان ، والدعوة والبرهان : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، « قد أفلح من زكاه . وقد خاب من دساها » .

وأما التطهير في الشرائع الوضعية فإنه إجباري ، يوكل أمره إلى ذوى النفوذ والسلطان ، يتولونه بالعنف والقوة ، ويأخذون فيه بالشدّة والظنة . ولا يستوى تطهير أسس على الطوع والاختيار ، وآخر أسس على الكره والاضطرار .

وفي هذا الحديث الجامع يروى عبادة بن الصامت ، رضى الله عنه : كيف بايع النبي ﷺ هذه العصابة المطهرة من أصحابه ؟ وكل أصحابه أطهار كرام : بايعهم النبي ﷺ على التطهير من ستة خبائث هن جماع الموبقات ، وأصول المملكات ، من وقين فقد وفى شراً مستطيراً ، وأعد إعداداً كريماً ، يرشحه لأن يكون عضواً حياً في خير أمة أخرجت للناس . والعصابة - ومثلها العصابة - هي الجماعة بين العشرة والأربعين .

* * *

ذكر البخارى لعبادة رضى الله عنه منقبطين من أجل مناقبه ، ليرينا أى إنسان كان راوى هذا الحديث ؟ ذكر أنه شهد بدرأ . وحسبك في فضل أهل بدر ما جاء في الصحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ... لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، وذكر أنه أحد النقباء ليلة العقبة .

وجملة القول في أخبار العقبة - وهى في طريق الذهاب من مكة إلى منى - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما يؤس من قومه أخذ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج يدعوهم إلى الله تعالى . وقبل الهجرة بعامين لقي ستة من الخزرج ، فعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم

القرآن ، فأسلموا وحملوا الإسلام إلى المدينة . ويذكر بعض أهل السير والمغازي أن منهم عبادة . . فلما كان العام المقبل لقيه من الأنصار اثنا عشر رجلا : خمسة من السابقين وسبعة غيرهم أسلموا جميعا . وهذه هي البيعة الثانية ، وكان فيها عبادة يقينا . فلما كان العام الذي يليه قدم من المدينة جم غفير من الأوس والخزرج وبايعه منهم سبعون رجلا وامرأتان ، واختار منهم - اقتداء بالقرآن - اثني عشر نقيبا أحدهم عبادة ، وجعلهم كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم . وهذه هي البيعة الثالثة .

وكانت يبعثهم في العقبة على الإيواء والنصرة ، وأن يمنعه ﷺ عما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، لا على التطهير من هذه الموبقات الست التي ينظمها هذا الحديث ، كما ظن كثير من المحدثين وأهل السير ، وإنما كانت المبايعات التي في الحديث هنا بعد فتح مكة ، وبعد أن نزلت آية المستحنة : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك ، فبائع النبي ﷺ النساء ثم بايع الرجال . ومرجع الالتباس على من ذهب إلى أن هذه البيعة كانت في العقبة قبل الهجرة أن عبادة بايع البيعتين جميعا ، إلى غيرهما من المبايعات ، وكانت بيعة العقبة من أجل ما يتمدح به ، ولذا أشار إليها البخاري في هذا الحديث ، وكان يذكرها عبادة تنويها بما من الله عليه ، فلما أشير إليها في مقدمة البيعة التي هنا ، وهي على مثل بيعة النساء ، توهم من لم يقف على جليلة الأمر أن بيعة العقبة وبيعة الفتح سواء .

* * *

وإذا كان عبادة راوى هذا الحديث واحداً من المخرجين في مدرسة الطهر والتطهير والتحرر والتحرير ، لحق علينا أن نأتي على بعض صفاته وأخباره ؛ لتبين كيف تربى المدرسة الطاهرة أبناءها ؟ وكيف توثق الشجرة الطيبة أكلها كل حين بإذن ربها ١٩

أتى الله عبادة رضي الله عنه بسطة في العلم والجسم ، والقوة والشجاعة والصلابة في دين الله عز وجل ، ومن أجل ذلك كان يحمله الفاروق رضي الله عنه ويكرمه ، حتى بلغ من إجلاله إياه أن قال له على أثر مقدمه من الشام لنزاع بينه وبين معاوية : إرجع إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك ، وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك على عبادة . ومن إجلاله إياه أنه أمد عمرو بن العاص بأربعة آلاف في فتح مصر ، فلما أبطأ عليه الفتح أمدّه بأربعة آلاف أخرى ، وأمر على كل ألف واحداً من أربعة : عبادة ، والزيبر بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلة بن مخلد ، وكتب إليه : قد أنفذت إليك أربعة آلاف على كل

ألف منهم رجل مقام ألف ، فصار معك اثنا عشر ألفا ، ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ^(١) .
 وشهد رضى الله عنه بعد بدر أحدا ، وبيعة الرضوان ، والمشاهد كلها .
 أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المحامع

* * *

عاهد النبي ﷺ صحابته وأمنه - أول ما عاهد - على التطهير من رجس الشرك في كل صورة من صورته ؛ لأنه منبع كل بلاء ، وموطن كل داء ، لا يرفع معه إلى الله عمل ، ولا يزكو في أرضه نبت ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ، وقد اتفقت رسالات الله كلها على أن الشرك أكبر الكبائر ، وأشد الموبقات ، وأعظم الظلم ؛ لأنه جحود للرب ، وإهدار للعقل ، وإمعان في كفر النعم والمنعم ، واستحباب للعمى والضلال المبين .
 وعاهدكم على التطهير من السرقة ، قليلا وكثيرها ، ولعن السارق ، لأنه يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الجبل فتقطع يده ^(٢) والسرقة كسب خبيث غير مشروع ، مضیعة للشرف والمروءة ، مجلبة للخزي والعار ، مزرعة للبسطة والدناءة والكسل ، موجبة للعنة والنكال في الدنيا والآخرة .

وعاهدكم على ألا يقربوا الزنى : لأنه كان فاحشة وساء سبيلا . وكان فاشيا في الجاهلية على أنحاء شتى . وهو أعظم الجرائم متكا للأعراض ، ونشرا للأمراض ، وهدما للبيوت والأمر ، وقتلا للأحساب والأنساب ، وخيانة للأمانات ، ومقتا عند الله والناس ! وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر أو العار ، وشاع فيهم وأد البنات إسرافا في الكراهية لمن دون ذنب جنينه . والوآد هو قذف البنت في حفرة أعدت لدفنها بالحياة . وفي هذه الجريمة الشنعاء يقول تبارك وتعالى : تبكيها لصاحبها ، وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ، جريمة تقشعر من ذكرها الأبدان . وتشيب من هولها الولدان ، وتصف أفزع مصورة لقسوة الإنسان !! وهي بعد ذلك قطيعة للرحم ، وعدوان على المخلوق الضعيف الذي لا يملك أن يدفع عن نفسه شيئا ، واتهام للخلاق الرازق ذى القوة المتين ، من بيده مفاتيح الرزق وخزائن السموات والأرض - بأنه عاجز عما تكفل به !! واجتماع هذه الجرائم البشعة

[١] ليس عجبا أن يعد الواحد منهم ألفا بالقول ، فباب المجاز واسع ، وإنما عده ألفاً بالحساب والفعل وبناء الحكم المنطقي .

(٢) لأن سرقة ما لا قطع فيه تجرى على ما فيه القطع . ومنهم من أخذ بظاهر الحديث فجعل القليل والكثير سواء في إقامة الحد .

في قتل الولد هو سر التخصيص في النهي وإن كان القتل كله منكرا ، ولكن كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، ونظير هذا الزنى بحليلة الجار ، ونسكاح امرأة الأب ، وكلاهما إلى الفاحشة قطيعة وسوء أدب ، وهذا هو سر إضافة « المقت » ، في قوله تباركت أسماؤه ، ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يا نبي الله : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خالقك ، قلت ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى ؟ قال أن تزاني حليلة جارك .

* * *

وإتيان البهتان هو اختلاق الزور والكذب الذى يهت من يرى به ويدمسه لشدة هول وفظاعته ! وخص الأيدى والارجل بالذكر ، لأنهما الاداة في معظم الأفعال ، إذ هما العوامل أو الحوامل للمباشرة والسعى ، وقد يعاقب الشخص بجرمة قولية فيقال هذا بما كسبت يداك وإن كان الكاسب هو اللسان ، وقيل كفى عن الذات بالأيدى والارجل لأنها بينهما ، فالمعنى لا تأتوا بهتان تنشئونه من قبل أنفسكم ، أو من قبل ضمائركم وقلوبكم .

وأظهر ما يكون البهتان في نساء الجاهلية ، وكانت لإحدها ن تلتقط المولود وتقول للرجل هذا ولدى منك زورا وإفكا ! ومن هنا استدل بعض المحققين على سبق بيعمة النساء ، وسوق بيعمة الرجال على منهاجها .

ثم يختم النبي ﷺ مبايعته بالوصية البليغة الجامعة ، التى تنهى عن كل قبيح ذكر أولم يذكر ، كما تنضمن الأمر بكل حسن جميل من مكارم الاخلاق التى بعث لإتمامها صلوات الله وسلامه عليه .

والتقييد بالمعروف مع أنه صلوات الله عليه لا يأمر إلا به ، لتنبه أمته على أنه لا طاعة لمخلوق وإن عظم في معصية الخالق جل وعلا ، وفى هذا أبلغ رد على من زعم أن طاعة أولى الأمر واجبة من غير قيد ولا شرط .

وبعد أن وفى رسول الله ﷺ هذه الأمور الست التى عاهدكم عليها ، بين لهم أن الناس فيها فرق ثلاث . فرقة توفى بعهد الله إذا عاهدت فجراؤها إلى الله عز وجل ، ونعما هو ، وفرقة تقصر ثم تطهر ، وفرقة إلى الله أمرها ، وفى علمه عاقبتها .

وإذا ضاق المقام عن بيان هذه الفرق فوعدنا الجزء الآتى بعون الله ومشيئته .

طه محمد الساكت

أزمة الفقه الإسلامي

١ — شجعتى تقبل كلمتى الماضية فى هذه المجلة : « طريق الإفادة من الفقه الإسلامى ، بقبول حسن ، من المعنيين بحق بما فيه صلاح الأزهر وإقداره على أداء رسالته ، ومن الذين يعنون بما فيه الخير للعالم الإسلامى بعامة ، على أن أتقدم بكلمة أخرى فى هذا الشأن ، كلمة أخرى فيها الصراحة الواجبة فى معالجة مشاكلنا وإن آلم هذا بعض الناس :

إن صاحب هذا القلم الضعيف ظل سنوات طويلة يكتب فى إصلاح الأزهر ، وفيما يتصل من 'قرب أو 'بعد بالشئون الإسلامية العامة ، وهو يائس من أن يكون لما يكتب أثر أو صدق قوى لدى أولى الأمر وبخاصة فى الأزهر . ذلك ، بأننا كنا فى عهد استشرى فيه الفساد وعم جميع مرافق الأمة ، فلم يكن يلقى المؤمن بما يكتب سميحاً ولا تقديراً من القائمين على الحكم وأصريف شئون الأمة .

والآن ، وقد انبجح فى هذا العهد الحاضر المبارك فجر جديد قوى نوره حتى صار ضوءاً يسير فى الإصلاح على هدهد ، وصار ناراً تحرق الفساد والمفسدين ، صار من الواجب أن نكتب ونبدل بما نؤمن به من آراء ، وأن نكتب بقوة فى سبيل الإصلاح . وبخاصة ، ونحن نرى أن الثورة التى نعيش الآن فى نعمتها لم تمس حتى الآن بعصاها السحرية الأزهر ، فتخرجه عن الطريق الذى ظل فيه دهرأ طويلاً إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه إن أراد الخير لنفسه وللعالم الإسلامى كله .

٢ — وبعد هذا ، ماذا نريد أن نقول ؟ نريد أن نقول إن الفقه الإسلامى فى أزمة حادة عتيقة منذ زمن بعيد ، زمن يقدر بالآلاف من الأعوام ، وقد اشتدت هذه الأزمة حتى أصبحنا لا نحس بها فتلتمس السبيل للخروج منها ، وحتى تناسيناها واستغنينا إلى ما نحن فيه ورضينا به .

ولكن هذه الأزمة أخذت تنفجر ، أر على الأقل أصبحنا نلح فى الافاق بواحد

انفراجها . فقد أحسننا بها ، ومتى أحس المريض بمرضه يأخذ طبعا في الطَّـبُّ له وعلاجه حتى يبرأ منه ويعود صحيحاً سليم الجسم . وكان من بوادر قرب انفراج هذه الازمة ، أن صار إحياء هذا الفقه الإسلامي ، كما نعرفه من كتاب الله وسنة رسوله ، ثم الدعوة في إلحاح من سائر الاقطار الإسلامية ، قضية عامة ومشكلة تشغل الدولة والمصلحين المسلمين ، وذلك لعمى أماره قاطعة على أننا صحونا حقاً بعد نوم طويل .

٣ — وكل دأزمة ، في أية ناحية من نواحي العلم والحياة ، لها بلا ريب أسبابها وأعراضها وعلاجها ، وهكذا نجد دأزمة الفقه ، ما نجد لاية أزمة أخرى ؛ نغنى الأسباب التي أحدثتها ، والأعراض التي عرفناها منها ، ثم العلاج الذي به يكون البرء أو الشفاء والتخلص منها .

ولذا كانت أعراض المرض تظهر أولاً للعين المشاهدة الملاحظة ، ثم يحى الطبيب للفحص عن أسبابه ، فإن علينا أن نتعرف أولاً أعراض الازمة التي يمر بها فقه الإسلام . إن أعراض هذه الازمة ترجع في جماعها إلى أمرين :

١ — الانصراف عن هذا الفقه شيئاً فشيئاً حتى أطرحناه جملة في تشريعاتنا وقوانيننا الحديثة ، وكان ذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى ما قبل إنشاء المحاكم الأهلية ، إذ عمد رجال القانون عندنا إلى الأخذ عن القوانين الغربية وبخاصة القانون الفرنسي اللاتيني .

٢ — استنكار كثير من الناس ، وبخاصة أولى الأمر ورجال القانون الصيحات التي أخذت تتجاوب في أنحاء العالم الإسلامي ، والتي تنادى بوجوب الرجوع للشرعية الإسلامية في تشريعاتنا الحديثة ، وكان من أثر هذا الاستنكار ، أن عمد الداعون للفقه الإسلامي إلى الاستشهاد بآراء علماء القانون في الغرب في صلاحية الفقه الإسلامي للتطور وأن يكون من مصادر التشريع الحديث . وهذا الاستشهاد نفسه أماره على استشراف الداء واشتداد الازمة ، حتى نحتاج في تقوية ثقتنا بأنفسنا وتشريعاتنا الأصلية إلى الاستجداء بأقوال الأجانب عنا !

٤ — وبعد أن عرفنا أعراض هذه الازمة الخطيرة ، لابد أن نحاول التعرف الاسباب التي أدت إليها ، ليسكون من الميسور بعد ذلك الأخذ في علاجها بما يستأصل هذه الاسباب ، فيعود لفقه الإسلام مكانته الملحوظة بين التشريعات والقوانين العالمية ، وليتأتى له أن يسهم بأوفر نصيب في تقدم الدراسات الفقهية في العالم كله لخير الإنسانية عامة .

والكلام فى هذه الأسباب طويل ، ويتشعب هنا وهناك ، ولكنها ترجع فى رأينا إلى إهمال القائمين على دراسة وتدريس الفقه فى الأزهر لإهمالاً شفيفاً للدراسة التاريخية والدراسة المقارنة . وهذا ما تكلمنا عنه بإجمال فى السكلمة الماضية ، ونود فى هذه الكلمة أن نتناوله بشيء من التفصيل .

• — إن الدراسة العلمية الحديثة للفقه أو القانون وغيره من ضروب العلم المختلفة ، تتميز باتجاهين خطيرين : الاتجاه أو البحث التاريخى ، والبحث المقارن ، وقد كان الأمر قبل ذلك مقصوراً ، إذا اكتفينا فى كلامنا الآن على القانون ، على أن تدرس كل أمة نظمها القانونية لمعرفة أحكامها وتطبيقاتها على الحوادث والحالات الفردية الموجودة ، ولا تعدى ذلك إلى دراستها التاريخية لمعرفة نشأتها وتطورها ، ووسائل هذا التطور .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان علماء القانون فى أمة من الأمم يتناولون بالدراسة نظمها القانونية وحدها ، ولا يمدون بحوثهم إلى دراسة مثيلاتها فى الأمم الأخرى غافلين عن قيمة الدراسة المقارنة وخطورها ، هذه الدراسة التى تعرف أن أى ضرب من ضروب المعرفة فى أمة ما ، ليس إلا جزءاً من كلٍّ : هو المعرفة الإنسانية العامة التى تسهم فيها الأمم كلها بنصيب قليل أو كثير .

٦ — ولما اتصل العالم والشعوب بعضها ببعض ، اتجه العلماء فى دراساتهم إلى التاريخية والمقارنة ، ومن ذلك عرفوا أن الشعوب تتشابه إلى مدى بعيد فى ظروف نشأتها وتطورها وفى وسائل معالجتها وتنظيمها لشمونها وأحوالها الاجتماعية ، وقد عرفوا ذلك كله من الدراسة التاريخية .

كما عرفوا من الدراسة المقارنة مقدار ما بين الأمم من تشابه ، بل تماثل فى نواح عدة ، فى تقاليدها وأنظمتها القانونية ، وأن بعضها أفاد من بعض فى هذا السبيل . وكان من أثر هذه الدراسة المقارنة ، أن ظهرت أصالة بعض الشرائع بالفلسفة للبعض الآخر ، فكان لتلك فضلها غير المنكور .

٧ — وقد أتى على الشريعة الإسلامية حين طويل من الدهر كان الفقه يدرس فيه دراسة قيمة لا ينقصها البحث المقارن بين مذاهبه العديدة ، ماخذه منه حتى الآن وما اندرس بفعل الزمن ، وفى هذه الفترة المجيدة ، التى كان الجهل والظلام يسودان فيها على العالم الغربى ، وضع علماء الفقه الأصلاء الاجلاء نظمه وقواعده التى تتسع لكل ما جد ويجد

من النوازل والحوادث ، وهذا بفضل ما قامت عليه هذه النظم والقواعد من أصول قوية ومرنة تسمح بتطور الفقه حسب الزمان والمكان ، مع بقائه دائماً يسير في فلك كتاب الله وسنة رسوله .

ولكن هذه الفترة يطويها الزمن الذي لا تنقطع عجلته عن الدوران ، وتتوالى السنين والأعوام ، وإذا بفقهاء المسلمين يفقدون الحيوية والاصالة ، وإذا بهم يجمدون على ما وصل إليهم من تراث فلا يعملون على تنميته ، بل ولا على تجليته وعرضه للناس عرضاً طيباً ، وإذا بالفقه الإسلامى لا يعيش إلا بين جدران الأزهر لا يحس بالعالم ولا يحس العالم به ، وإذا بعلماء القانون الوضعى يولون وجوههم شطر أمم غربية عنا بنظمها وتقاليدها وعاداتها فيأخذون عنها لنا ، يأخذون عن هذه الأمم لنا نحن المسلمين الاغنياء بترائنا الفقهى لو عرفنا الاستفادة منه .

٨ — فإذا ما أنشئت كليات ، منها كلية الشريعة التى تقوم على دراسة الفقه وعلومه وأدواته ، قلنا الآن بدأ الأزهر يفيق من غفلته ويستيقظ من نومه ، وقلنا وقال الناس معنا الآن يبدأ الفقه الإسلامى استعادة حيويته وأصالته ، والآن سيكون لنا من خريجي قسم تخصص المادة أو الاستاذية ثروة فى الفقه تظهر الناس على خصائصه التى تميزه عن سائر القوانين والشرائع ، ثم بعد قليل سيكون للقارئ العربى بحوث أصيلة مقارنة تكره رجال القانون من المصريين وغيرهم من الغربيين على الاعتراف لفقه الإسلام بمسكاته ، ثم يكون من أثر ذلك الاتجاه الرسمى الجاد إلى الاستفادة منه فى تشريعاتنا وقوانيننا الحديثة حتى يكون أخيراً هو المصدر الاول لتلك القوانين .

ولم نكن مسرفين فى الامل ، ولا متجاوزين حد الممكن بل الميسور فيما رجونا ؛ فإن خريجي أقسام تخصص المادة أو الاستاذية . نشأوا فى ظروف غير ظروف شيوخهم الاجلاء ، وأعدوا الزمان غير زمانهم ، والمفروض أنهم حذقوا من أساليب البحث ما لم يحذقه أسانذتهم ، فليس كثيراً عليهم إذأ أن يحققوا ما رجونا وانتظرناهم . ولكن ، والامر مؤسف مؤلم ، لم نر شيئاً ذا غناء تحقق من هذا الذى رجوناهم منهم . فلماذا ؟ وعلى من تقع التبعة ؟

٩ — إنى أرى أن التبعة فى ذلك لا تقع عليهم وحدهم ، بل ربما كان نصيبهم منها

ضئيلاً ، ولكن أكبر جانب من هذه المسؤولية تقع على عاتق المسؤولين عن الأزهر بعامة ، وعن كلية الشريعة بخاصة ^(١) ، وذلك لأمور :

(١) ان الخريجى هؤلاء المتخصصين رسائل نالوا بها درجاتهم العلمية ، فأين هذه الرسائل ؟ إن أكثرها لا يزال مخطوطاً لم ير نور الشمس ، ولا أعرف فى الفقه رسالة مطبوعة إلا رسالة واحدة عن « العرف والعادة فى رأى الفقهاء » ، وهى رسالة تم عن بحث جيد وعرض طيب ووصل صاحبها الفاضل إلى نتائج محدودة لها أثرها . وكان من الفرض على الكلية أن تعمل على نشر سائر الرسائل ، فإن هذا واجب عليها بلا ريب ؛ ليعرف رجال القانون أن الأزهر قد تغير وتطور فى البحث ، وعزم على المشاركة فى تقدم الدراسات الفقهية .

(٢) ان كثرة هؤلاء المتخصصين ، إن لم نقل لإنهم جميعاً ، ظنوا خطأ أنهم بفيلهم الدرجات العلمية بعد رسائلهم التى تقدموا بها قد عملوا كل الواجب عليهم ، وكان من هذا أن أعفوا أنفسهم من البحث والإنتاج ، على حين أن درجة الدكتوراه نفسها من جامعة من الجامعات لا تعتبر إلا جوازاً للوصول إلى التدريس فى كلية من الكليات . ثم على صاحبها بعد ذلك أن يأخذ نفسه بالبحث والإنتاج فيما تخصص فيه ، إلى درجة أنه ليس له أن يتشوف إلى ترقية فى كليته إلا جزاء إنتاج جديد .

(٣) ومن المعروف أن المقرر دراسته من الفقه أو الأصول فى فرقة من فرق كلية الشريعة لا يتسع عام واحد بل أكثر من عام لدراسته واستيعابه ، وهنا يجد المدرس المجال فسيحاً أمامه لاختيار موضوع من موضوعات المقرر لدراسته فى هذا العام ، ثم يختار آخر لدراسته فى العام التالى فى الفرقة نفسها ، وهكذا حتى يتم دراسة جميع المقرر دراسة جادة عميقة ، وعليه أن يذيع بحثه لكل موضوع مطبوعاً يقرأه الناس ويفيدون منه . ولكن الأمر يسير فى كلية الشريعة ، وغيرها من كلياتها الأزهر ، على غير هذا المنهج المستقيم ، وتسير الترقيات للمدرسين على قاعدة مرور الزمن وحدها ، بلا نظر إلى الكفايات والإنتاج العلى الاصيل . وبذلك تعظم الخسارة ويطول نوم الأزهر ، ونظل نحن الأزهريين نعيش على هامش الحياة ، ونظل الصلة منقطعة أو تكاد بين الفقه الإسلامى والقوانين الأخرى ورجالها .

(١) إنى أتكلم هنا عن الفقه وحده ، ولذلك خصصت بالحديث عن المسؤولية كلية الشريعة ، فالأمر كذلك فى الكليتين الأخرين فيما يختص بكل منهما .

١٠ — وأخيراً ، كان من قدر الله الرحيم بالإسلام وتراثه العلى أن اتصل الغرب بالشرق ، وكان علماء الغرب الطائفة التى نعرفها باسم « المستشرقين » ، وهذه الطائفة تقاسمت التراث الإسلامى فيما بينها ، فكان منهم من توفّر على الجانب الفقهى منه . ثم كان من ازدياد الصلة بين الغرب والشرق ما جعل الجامعة ترسل كثيراً من أبنائها لجامعات أوروبا ، وكان من هذه البعثات كلية الحقوق ، وكان من هؤلاء من كتبوا رسائلهم فى موضوعات فقهية إسلامية أو موضوعات تتصل بالفقه الإسلامى من قرب ؛ فعرف كثير من رجال القانون فى الغرب جانباً غير قليل من فقه الإسلام ، وعرفوا له بسبب ذلك قيمته السامية بين سائر القوانين ^(١) .

وهنا ، كما يقول الأستاذ الكبير على بدوى ^(٢) ، نكاد نلص الوسيطة السامية الفعالة للكشف عن أسرار الشريعة الإسلامية ، ولإبراز مبادئها فى ثوبها العصرى ، ووضعها فى المستوى الجدير بها بين الشرائع الأخرى . تلك الوسيطة التى يجب أن تتوفر وأن تقوى فى البيئة العلمية الإسلامية على وجه عام ، والتى يجب أن نعمل على توفرها وتقويتها فى البيئة العلمية المصرية على وجه خاص ؛ وهى تفقه رجال القانون فى علوم الشرع الإسلامى من جانب ، ووقوف علماء الشريعة على مبادئ القانون العصرى وأساليب بحثه من جانب آخر . فإذا تم تبادل الثقافتين الدينية والمدنية ، وامتزاج العقليتين الشرعية والقانونية ، جاءت الجهود متضامنة والمعونة مزدوجة ، وقامت الصلة بين الشريعة والقانون ، وأخذ الفقه الإسلامى مكانه فى العلم الحديث .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(١) وهنا نشير أيضاً إلى الأثر الطيب الذى أحدثته اتجاه كثير من طلاب الدكتوراه فى كلية الحقوق بمصر إلى رسائلهم فى موضوعات فقهية إسلامية ، لحصلت الصلة المباشرة بيد رجال القانون وبين الفقه الإسلامى ، وهى صلة نرجو وتوقع أن تزيد كثرة .

(٢) ص ٧ من كتابه : أبحاث التأويل العام للقانون ، الجزء الأول ،

عَلَّمَ التَّوْحِيدَ

لقد علّمت في السكّاية الشرعية في دمشق ، والسكّاية الشرعية في بيروت ، والسكّاية الشرعية في بغداد ، منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، وكلها قد أنشئ على غرار معاهد الأزهر ووكلياته وكلها يتبع مناهج قريبة من مناهجه — فسكنت أعجب من القائمين عليها كيف يهملون (علم التوحيد) . ويسمون باسمه ، ويقيمون مقامه (شيئاً) هو أبعد عن التوحيد ، من الأرض عن السماء ، مع أن التوحيد من الدين ، بمقام الروح من الجسد ، وأنه أول أغراض الرسل جميعاً — وأعظم مقاصد القرآن ، ولأجله بعث الانبياء ، وشرعت الديانات .

والذي يقرأ اليوم على أنه توحيد بما اشتملت عليه العقيدة الفلسفية وأمثالها (ولا أستثنى من ذلك رسالة الشيخ محمد عبده) لا يكاد يقوى عقيدة ، ولا يثبت إيماناً ، ولا يبعث في النفس خشية الله ، ودوام مراقبته ، ولا يدفع إلى إخلاص في عبادة ، ولا يذيق صاحبه حلاوة الإيمان . يخاطب العقل بالمنطق ، وكان من حقه أن يخاطب القلب بالشعور ، وربما انتهى إلى جدل عقيم لا يلد فائدة ، ولا ينتج نفعاً ، وأعجب ما فيه رواية شبه أقوام انقروا ، وتلقين الطالب ضلالاتهم (وكفرياتهم) التي لم يبق اليوم أحد على ظهر الأرض يعرفها أو يقول بها .

ولقد كان المسلمون الأولون ، وهم أئمة الدين ، وصفوة المؤمنين ، لا يعرفون من علم التوحيد ، إلا الآيات التي أنزلها الله في القرآن ، أقبلوا عليها تلاوة خاشعة ، وعلما وفهما ، فأعطاهم الله بها إيماناً ثابتاً ظهر في كل حركة من حركاتهم ، وسكنة من سكناتهم ، وكانوا يعلمون أن للإيمان شعباً تجمع مطالب الخير والحق كلها ، فسكانوا متمسكين بشعبه جميعاً ^(١) من تنزيه الله عن الشريك ، وإخلاص العبادة والدعاء له ، وابتغاء الخير منه ، والاستعانة (فيما وراء الأسباب) به وحده ، إلى ما يبدو أنه أيسر أعمال الخير وهو إماطة الأذى عن الطريق . وكانوا لا يأتون المحرمات ، لأنه (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ولا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن ، وكيف يزني وهو (مؤمن) بأن الله مطلع عليه ، وناظر إليه ؟

[١] أحسن مرجع في هذا المعنى مقالات الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب في الفتح .

هل يستطيع أن يزني من يعلم أن أباه أو أستاذه ، قائم في شباك ينظر إليه ، وكانوا أهل نظافة وطهارة في ثيابهم ، وأجسادهم ومساكنهم ، وألسنتهم لا يدنسونها بالحناء ، وأعمالهم لا يوسخونها بالغش والرياء والفسوق والعصيان ، لأن (النظافة من الإيمان) .

وكان في عصرهم مخالفون من كل نحلة ومذهب ، فما ضرهم في إيمانهم ومناظرتهم لخصومهم أنهم لم يدرسوا علم الكلام ، ولم يعرفوا منطق أرسطو ولم يقرءوا النسفية ولا ما يشبه النسفية ، وما احتاجوا أن يسلكوا في جدال هؤلاء المخالفين والرد عليهم غير مسلك القرآن . ومر على ذلك القرن الأول ، وهو خير القرون ، وشيء من الثاني ، ثم نعمت في الأمة طائفة المتكلمين من المعتزلة ، وقد أجمعت كلمة العلماء في عصر نشأتهم على إنكار بدعتهم ، وتقبيح نحلتهن على ما كان لهم من إخلاص في نية الذب عن الإسلام ، وثبات في مواقف الدفاع ، وإصرار بصناعة الجدل ، وما كان لهم من سعة علم وحدة نظر ، وروعة بيان .

واتفق أن إماماً من أئمتهم ، ولساناً من لسانهم ، ترك الاعتزال ورجع إلى الجماعة ، ولكنه حل معه تفكيره وأسلوبه وطريقته ، وهو أبو الحسن الأشعري ، فلم تتحول هذه الطريقة حتى تصير سلفية قرآنية ، ولكن تحولت طريقة السلف به فصارت منطقية عقلية ، واختفى بذلك التوحيد الذي كان مصدره ومرده ، إلى آيات القرآن لا يعرف غيرها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ونشأ علم الكلام ، الذي يعتمد على منطق أرسطو .

والغريب أن هذا العلم الذي نسميه خطأ بـ (علم التوحيد) وندرسه في مدارس الدين ونشغل به الطلاب ، ونأخذه على أنه طاعة من الطاعات ، وقربة من القربات قد كرهه علماء الملة وأئمة الاسلام ، ولما وصل المصري الذي أرسله ابن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده يتكلم في شيء يشبه علم الكلام اليوم بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثال ذلك من المتشابه ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته ، مع أن ما ضربه لأجله هو ما تتملى به كتب علم الكلام الذي نسميه علم التوحيد .

ومالك لما سئل عن ذلك عد السؤال بدعة ، وجوابه مشهور معروف ، ونهى أبو حنيفة ابنه عن مناظرة رجل كان يناظره في القدر وأمره ألا يعود ، ومنع أصحابه من الصلاة خلف رجل كان يتكلم في خلق القرآن وآخر كان يرد عليه ، فقبل له الأول ينكر قدم القرآن ، فما بال الآخر ؟ قال : ينازع في الدين ، والنزاع في الدين بدعة ، وروى عنه النهي عن الصلاة خاف أصحاب الكلام ، وقال الشافعي : حكى في أهل الكلام أن يضربوا

بالجرید والنعال ویطاف بهم فی العشائر والقبائل ، ویقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على كلام أهل البدعة ، ونقل عنه أنه قال : « لأن یلقی العبد الله بكل ذنب خلا الشرك خیر له من أن یلقاه بعلم الكلام . وقال : إذا سمعتم الرجل یقول الاسم هو المسمى أو غیر المسمى فاشهدوا أنه من أهل الكلام . »

وقال أحمد بن حنبل : علماء الكلام زنادقة . وقال : لا یصلح صاحب الكلام أبداً .

* * *

وقد یقول قائل : إن هذا كله فیمن جاء بما ینخالف نصوص القرآن وظواهره من المعتزلة وأشباههم . فسا یقول هذا القائل فیما روى عن جماعة نعدم اليوم من أكابر علماء أهل السنة والجماعة ، مارسوا علم الكلام حتى صاروا الاثمة فیہ ، وصرنا نأخذ عنهم أكثر ما نملا به كتبنا التي ندرسها فی معاهدنا وکلیاتنا ، ثم ندموا واستغفروا ، وتابوا وأتابوا ، أولهم الأشعری ذکر فی کتاب (الإبانة) وهو آخر کتاب ألفه ، أنه رجع فی عقائده إلى مذهب أحمد بن حنبل ^(١) ، ورجع الغزالی إلى مذهب السلف ، ذکر ذلك فی کتابه (إلهام العوام) وأعرض عن تلك الطرق جملة حتى مات والبخاری علی صدره ^(٢) والرازی قال :

ولقد تأملت الطرق الكلامية ، والمتنائج الفلسفية ، فسا رأيتها تشقی علیلا ، ولا تروی غلیلا ، ورأيت أقرب الطرق طریق القرآن . اقرأ فی الآیات « الرحمن علی العرش استوی » و « إلیه یصعد الکلم الطیب » و اقرأ فی النبی « لیس کئله شیء » ، « ولا یحیطون بشیء من علمه ، إلی أن قال : ومن جرب مثل تجربتی عرف مثل تجربتی . »

وهو القائل :

نهاية إقدام العقول عقـال وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جئنا فيه قیل وقالوا

والشهرستاني یقول فی الفلاسفة والمتكلمين :

[١] التعلیم والارشاد للحلی ص ١٧٠ طبع مصر ١٩٠٦ . [٢] شرح الفقه الأكبر للملا علی القاری ص ٥ طبع مصر ١٣٢٣ .

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرقى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأبو المعالى الجوينى قال : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغنى إلى ما باغ ما اشتغلت به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الحضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت فى الذين نهونى عنه . والآن إن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لابن الجوينى .

إلى أن قال — وهأنذا أموت على عقيدة عجائز أهل نيسابور .

وقال الخسروشاهى وهو من أجل تلاميذ الفخر الرازى لبعض الفضلاء : ما تعتقد ؟ قال : ما يعتقده المسلمون . قال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ قال : نعم . قال : أحمد الله على هذه النعمة . فإنى والله ما أدرى ما أعتقد . وبكى حتى اخضلت لحيته .

وقال الخونجى عند موته : ما عرفت شيئاً مما حصلته سوى أن الممكن مفتقر إلى المرجح . ثم قال : الافتقار وصف سلبى . أموت وما عرفت شيئاً .

وقال آخر : أضطجع على فراشى وأضع الملحفة على وجهى ، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندى شيء منها .
فأين بعد هؤلاء ؟ وهؤلاء أعلام الكلام فى الإسلام ؟

* * *

هذا هو علم الكلام الذى نشغل به اليوم ، نشغل بالصفات وهل هى عين المساهية أو شيء زائد عما . والأعراض وهل تبقى زمانين ، والطفرة والاستطاعة وخلق القرآن وأشياء آخر قرأتها من قديم ونسيتها والله الحمد ، وليس بعض من يسمون أنفسهم بالسلفيين على خير من هذه الحال ، فهم يشتغلون بالمنتشابه الذى ضرب عليه إمام السلف الصالح عمر بن الخطاب ، ولا دأب لهم إلا الكلام فى اليد والوجه والاستواء يشكرون التأويل وهو من سنن العرب فى كلامها ، والقرآن أنزل بلسان العرب ، ولا يعرفون كيف يخرجون مما أدخلوا نفوسهم فيه من هذه المضايق ، فيقع الجهلة منهم بالتجسيم وهم لا يدرون ،

ويأتون على ادعائهم السلفية بما لم يعرفه السلف من مثل قولهم : الله بآن من خلقه . وإلزامهم صغار الطلبة والمبتدئين بحفظ ذلك واعتقاده .

فهل هذا هو التوحيد الذى بعث الله به محمداً ؟ هل هذا هو الطريق الذى سلكه النبي ﷺ فى الدعوة إلى الله ؟ أم مبتدعون نحن أم متبعون ؟ ومصلحون نحن أم مفسدون ؟

إننى أرجو من أستاذنا وصديقنا العلامة الأديب المصالح السيد الخضر ، شيخ الإسلام علما ومنصبا أن يأمر بتعديل المناهج وإلغاء هذه الكتب جملة واحدة . وأن يجعل علم التوحيد مقصورا على إفهام الطلاب آيات التوحيد فى القرآن ، على إفهامها ولم أقل على تفسيرها ، لئلا يدخل من باب التفسير شيء مما فى تفسير الفخر وأمثاله وأن يتولى ذلك مدرس حاضر القلب ، قوى الإيمان ، من المسلمين الصادقين ، والعلماء العاملين ، يعلم بفعاله أكثر مما يعلم بقرآله ، ويصلح بصلاح نفسه أكثر مما يصلح بنجاح درسه ، وأن يكون المنهج منهج الرسول فى تلقين التوحيد لمن كان يفد عليه من الكفار ، يقيمون اليوم أو الأيام ، ويسمعون الحديث أو الأحاديث ، فينصرفون وهم مؤمنون ، وهم عارفون بالإسلام ، وهم دعاة إلى الله ، وما تعلموا منطق أرسطو ، ولا ناقشوا فى رؤية الله فى الآخرة ، ولا لقنوا أنه بآن من خلقه !

وأن يتفرغ بعد ذلك بعض كبار الطلبة لدراسة علم الكلام الذى ينبغى أن يوضع من جديد ، العلم الذى يرد على الخصوم الأحياء من الشيوعيين والقوميين الملحدين والقاديانية والاحمدية والهائية والتيجانية ، يدرس مقالاتهم المعادية للإسلام ، ويبين ضعفها وفسادها ، ولا يشتغل إلا بالشبه الدائمة المنتشرة وإلا كان عرنا للعدو علينا ، ومذيعا لاضلالاتهم فينا ، وينبغى أن تعين الطوائف التى يجب الرد عليها فى مطلع كل سنة مدرسية . وأن يترك الرد على الجهمية والمعتزلة والمشيبة وما لا أذكره الآن من الأقاب المخالفين — إلى الأبد !

وبذلك نكون قد دعونا إلى الإيمان ، ودافعنا عن الإسلام .

على الطنطاوى

فاضى دمشق

خير نظام للحكم

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

كتب مندوب ، الاهرام ، يقول :

أثيرت في الايام الاخيرة بحوث حول نظام الحكم ، كيف يكون ، وعلى أى وضع يقوم ؟ والحق أن هذا الموضوع من الدقة والخطورة بحيث يصح أن يستأثر بشيء كبير من عناية الباحثين . وقد كانت فرصة طيبة تلك التى أتيت لى فى مساء أمس ، إذ التقيت بفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وتحدثت إلى فضيلته فى هذا الموضوع الحيوى ، وكان الاستاذ الأكبر صريحاً على عادته فتحدث إلى يقول :

تجتاز مصر فى أيامها التاريخية الحاضرة أعظم انقلاب اجتماعى مر بها منذ قرون ، لأنه الانقلاب الوحيد الذى ينشد لمصر النظام لتتمكن من الاستقرار عليه والاستمرار فيه إلى الأبد .

وما يلاحظ فى هذا الموقف أن التطورات الماضية لم تكن نتيجة طبيعية للوعى القومى ، ولذلك كان الوطن يفاجأ بها مفاجأة ، وكان نظام الحكم الذى يترتب على تلك المفاجآت يفرض على البلاد فرضاً ، إما من استعمار قاهر ، أو من مستبد متغلب . ولذلك قلنا كان يلاحظ فيه حاجة الأمة واقتناعها ، والأساليب التى ترافح إليها وتعتبرها منتزعة من روحها وذوقها ومن المبادئ التى آمنت بها ، ونشأت عليها ، وترجع بذكرياتها وتقاليدها إلى ما حفظه التاريخ من مفاخرها وأمجادها ، لذلك كان نظام الحكم فى مصر فى العصور الاخيرة بعيداً عن أمنية الاستقرار ، وكان مؤيدا بالقوة القائمة عليه ، لا بالاقتناع به والطمأنينة له والإيمان بصلاحه .

والآن وقد عازمت مصر على أن تختار نظامها بمحض إرادتها ، فمن سعادتها أن يكون نظامها المرتجى منتزعا من مثلها العليا التى تؤمن بها ، وترتاح إليها ، بوازع من النفس وإيمان من القلب ، لا بوازع من سلطان القوة الصماء ، ونصوص القانون الذى كثيرا ما شكّا أقطابه مواطن الضعف فيه .

ولقد أخذ كل عالم بمزايا نظام من الأنظمة الأجنبية يعرض على الرأى العام مزايا ذلك النظام محاولاً إقناع الأمة بالأخذ به . إن هذه الأنظمة - مع كثرة عيوبها وما يحف بها من مواطن الضعف - لا يتعاملون بها مع كل من يتعامل معهم من الشعوب القوية والضعيفة والمشاهد من حالهم أنهم مع الشعوب القوية في عداة متواصل ، ومع الشعوب الضعيفة في بغى مخجل ، وما هكذا يكون أصحاب المبادئ الإنسانية السليمة ، والنظم البريئة التي يراد منها سعادة المجتمع في عصر يفترخ بمحضارته وعلومه . فالوصف النظرى الذى نسمعه من فصحاءنا وخطبائنا لبعض تلك النظم الأجنبية عنا ، لا نرى آثاره في البلاد التي اخترعته وعملت به وقبّلت جميع الأوجه في تعديله وترقيعه وتحويره لينتج لها السعادة ، فكان أملها منه في السعادة كآمل الظمان بالمراب ، فكيف بنا ونحن الأجانب عن تلك النظم المخترعة لغيرنا ، ولو حاولنا استعارتها لكانت لنا كما تكون الالبسة التي تستعار للممثلين .

إن الدعاة لتلك الأنظمة قرروا في مؤلفاتهم وأعلنوا في صحفهم ، أنها كل لا يتجزأ ، وهم يدعون هذه الأمة إلى أن تأخذ بهذا الكل الذى لا يتجزأ شامت أو أبت ، والأمة لها نظام فطرى نظيف ينظر إلى الحق من حيث هو حق وإلى الخير من حيث هو خير وتدين لله بقول خاتم رسله : « أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، » وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رسالته المشهورة إلى أبى موسى الأشعرى وإلى علي البصرة : « آس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطعم شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

هذا النظام الفطرى الذى يقيم الحدود على الكبير والصغير سواء ، لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى ، وحث على استئصال الإصالح ، واختيار الأمثل فالأمثل للولايات العامة والوظائف ، وأوجب على ولى الأمر أن يقلد أعمال المسلمين لمن يحده صالحاً منهم ، فقد قال النبي ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً . فولى رجلاً وهو يجد من هو أصالح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله ، وفي رواية أخرى لهذا الحديث : « من قلد رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » . وقد جاء كذلك عن عمر بن الخطاب أنه قال : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . ومعنى هذا أن النظام

الذى يكفل المساواة بين جميع الأفراد فى الحقوق والواجبات ، ويجعل من الواجب على كل من ولى شيئاً من أمر المسلمين أن يوجه فى موضع وفى كل عمل من الاعمال أصلاح من يقوم به ويؤديه الاداء الصحيح ، فإن عدل عن الاحق الاصلاح الى غيره ، بسبب قرابة او صداقة او موافقة فى بلد أو مذهب أو طريقة ، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة ، أو لضيقته فى قلبه على الاحق ، أو لعداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

وهو النظام الذى يشعر الحاكم والمحكوم بأنهما سواء ، وهذا أبو عبيدة الجراح يضرب لنا أروع الامثال فى هذا الباب ، فقد فتح بلد حمص ، فجاءوا له بطعام فاخر صنع له خصيصاً فإكان منه إلا أن سأل : أهذا الطعام قد أطعم منه الجيش ؟ فقالوا : كلا ، وإنما هو لك . فقال . ردوه ... فإنى لا أأكل طعاماً لم يأكل الجيش منه !!!

وقد جاء فى الآثار أن بعض خلفاء بنى العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك ، فقال أدركت عمر بن عبد العزيز ، فقبل له يا أمير المؤمنين : أنفرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتم فقراء لا شيء لهم . وكان فى مرض موته فقال : يا بنى ... والله ما منعكم حقاً هو لكم ولم أكن بالذى أخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وإنما أنتم أحد رجلين ، إما صالح ، فإله يتولى الصالحين ، ولما غير صالح ، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله ، قوموا عني ...

هذه هى الامثال التى تضرب فى معنى العدالة فى ولاية أمور الناس ، وكلها تجمع على أن الإسلام دين إنسانى محض ، وهو نظامنا الذى تؤمن به ، خلافاً للأنظمة الأجنبية عنا ، وإن العمل به ليحول هذه الأمة إلى كتلة فولاذية مؤمنة بنظامها كإيمانها بسكبتها وقرآنها . والامر أعظم وأخطر من أن ترتجل فيه الخطط والنظم .

ونحن لا ندهو الأمة وأهل الحل والعقد فيها إلا إلى التروى والتفكير والدرس والمقارنة . مع العلم بأن مصر لا تعلم منذ عشرة آلاف سنة إلى الآن حكماً عدل ولا أراف ولا أسعد من الحكم الذى بسط جناح رحمته عليها فى المائة السنة الأولى من الفتح الإسلامى ، ودليل عدله ورأفته وسعادته أن مصر باختيار منها تحولت إليه بأرواحها وقلوبها وألسنتها ، فكانت الدرة المتألقة فى تاج الوطن العربى والإسلامى ، ويرجو لها كل محب لها أن تبقى كذلك إن شاء الله إلى ما شاء الله .

نشأة كتب الأمل وخصائصها

— ٢ —

تحدثنا في المقال السابق عن معاهد التعليم في صدر الإسلام والدولة الأموية . والآن نتحدث عن العصر العباسي وما يليه فنقول :

أما في العصر العباسي وما يليه من الأعصر فقد استمرت تلك الوسائل ، وزيد عليها معاهد جديدة . وهي :

المدرسة — : فما لاشك فيه أن المدارس من منشآت هذا العصر ، غير أنه بين المؤرخين خلاف في تحديد الزمن الذي ظهرت فيه .

يقول (زيدان) في الجزء الثالث من كتابه « تاريخ المدن الإسلامي » : « وقد أجمع المؤرخون تقريباً على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه السلطان السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري . ومن الغريب أن يقتضى العصر العباسي ويتم نقل الكتب وينضج العلم على اختلاف موضوعاته ولم يفتش المسلمون مدرسة ، أو أن يفتشوا المدارس ولا يرد ذكرها في تاريخهم » .

ثم يقول (زيدان) : « على أننا رأينا فيما ذكره المسلمون عدة مدارس أنشئت في نيسابور عاصمة خراسان قبل نظام الملك منها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة (٥٤٠٦ هـ) ذكر ذلك ابن خلكان ، والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقي المتوفى سنة (٥٤٥٠ هـ) بنيسابور ، والمدرسة السعدية بنيسابور بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي ، ومدرسة بنيت للأستاذ أبي إسحق الاسفراييني . وكل هذه المدارس بنيت قبل بناء المدرسة النظامية ببغداد » .

وهنا نقول لزيدان : إذا كان الأمر كذلك فكيف جاز لك أن تقول « قد أجمع المؤرخون على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك » ؟

أما كان الأجدر أن تصاغ العبارة في أسلوب يقلل من هذا الازدحام أو يردّه أو يصرح بنقده - على أننا نرى أن (زيدان) إنما نقل القول ببناء هذه المدارس عن شيخ الإسلام السبكي ولم يشر إليه مما سنبينه بعد .

والدليل على ذلك العبارة الآتية فهي بنصها مذكورة في كتاب «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي .

يقول «زيدان» : «ولعل السبب في اشتها أسبقية نظام الملك في إنشاء المدارس الإسلامية أنه أول من بنى مدرسة كبرى في بغداد وجعل التعليم فيها بالمجان وفرض لتلاميذها الأرزاق» .

ونحن نقول إنما يرجع السبب في إنشائها إلى استرضاء الشعب بنشر التعليم الديني وإجراء الأرزاق على الأساتذة والتلاميذ ولتأييد المذهب السني والقضاء على مذهب الشيعة .

وقد ذكر شيخ الإسلام السبكي «في طبقات الشافعية الكبرى» في ترجمة نظام الملك فقال : «وشيننا الذهبي زعم أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس» ، وليس الأمر كذلك ، فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعيد الإستراباذي الواعظ الصوفي ومدرسة رابعة بنيسابور ببيت الأستاذ أبي إسحق الأسفراييني . وقد قال الحاكم في ترجمة الأستاذ : لم يبن بنيسابور قبلها يعني مدرسة الأستاذ مثلها . وهذا صريح في أنه بنى قبلها غيرها ، ثم يقول السبكي : «وقد أدت فكرى وغلب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة» ، فإنه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أولا ، والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم .

وذكر ياقوت في «معجم الأدباء» أن أحمد بن عبد الملك بن أحمد (٣٨٨ - ٤٧٠ هـ) كان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية .

وذكر المقرئى : أن أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، فبئيت بها المدرسة البيهقية .

ومهما يكن من شيء فإن العصر العباسى هو الذى أنشئت فيه المدارس ، بمعنى أما كن خصوصية لدراسة العلم رتبت فيها الدروس على درجات ورتبت وظائف للطلبة والعلماء وظائف (أى مرتبات) وجعلت منهم طائفة يبيتون في المدارس بما يشبه النظام في مدارسنا . هذا في المشرق . أما في مصر فقد قال ابن خلكان :

لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب بالديار المصرية في القرن السادس الهجرى لم يكن بها شيء من المدارس فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة

للإمام الشافعي وبنى مدرسة مجاورة للشهد الحسيني بالقاهرة ثم مدرسة للحنفية وبنى مدرسة للشافعية ومدرسة للمالكية - ثم اختفى أثره في ذلك بنو أيوب في ممالكهم بمصر والشام ثم سلاطين الماليك من بعدهم .

من ذلك يتبين أن المسلمين سبقوا الأوروبيين في إنشاء المدارس بأكثر من (٥٠٠ سنة) .
قال نيكلسون ، في كتابه ، التاريخ الأدبي للعرب :

« بينما كانت المبادئ الأولى للتعليم في أوربة المسيحية خلال القرن العاشر الميلادي محصورة بين القسوس والرهبان ، كان كل فرد في الأندلس تقريباً يستطيع أن يقرأ ويكتب ، ويعبر « هيوارد » في كتابه - تاريخ الأدب العربي - عن مدرسة بغداد النظامية بأنها الجامعة النظامية .

وكذا نيكلسون ، يعبر عنها بالكلية النظامية ، وأحياناً بالأكاديمية النظامية .

وبودنا لو نطيل البحث في كل هذه المدارس وبرامجها ونظمها وأثرها لولا أن هذا ليس بموضوع بحثنا .

وعلى الرغم من كل هذه النصوص التاريخية التي يبين فيها فضل العرب وسبقهم في هذا المضمار مما يبرهن على أن الشرق أستاذ الغرب وأن الغرب مدين للشرق دين التليذ لاستاذة ، فإننا لا نعدم باحثاً غير منصف مثل (أندريه سيرفيه) يقول في كتابه « الإسلام وعلم النفس عند المسلمين » :

« إنه لا فضل للعرب على العلم والتعليم والحضارة ، إذ لم تأت أعمالهم بشيء حسن ، فالحياة العربية كانت مجدية تقريباً لم تسكد تنمر ، .

ولإزاء هذا الرأي الخاطئ آراء أخرى منصفة لمستشرقين اعترفوا بفضل العرب وقدرهم خير تقدير . من أولئك المستشرق الانجليزى (استانلى لين بول) والاستاذ الأمريكى (درابر) في كتابه « النزاع بين الدين والعلم » .

ومن أساليب التعليم التي لها الأثر في هذا العصر مجالس الإدياء والشعراء فقد زادت فيه تلك المجالس ، وكان المسجد أكبر معهد لها . فكان مسجد عمرو في مصر ، ومسجد البصرة ، ومسجد الكوفة ، والحرم المكي ، والحرم المدني ، وغيرها من المساجد كمسجد ابن طولون ، والجامع الأزهر تقوم مقام السكليات والجامعات في عصرنا .

فكان يجلس الإمام في قبة بجانب سارية من ساريات المسجد ويجتمع الطلبة حوله . فكننت ترى هنا حلقة لعلوم الدين ، وهناك حلقات لعلوم العربية ، وحلقات لعلماء الكلام ، وحلقات للشعر والأدب .

ففي سنة (٢٥٣ هـ) رحل الطبري إلى مصر وأملى في مسجد عمرو شعر الطرماح عند بيت المال في الجامع . وحكى المرزباني في كتابه « الموشح » أن مسلم بن الوليد كان يملئ شعره في المسجد .

وكان أبو العتاهية يجلس في المسجد وحوله الناس . وقال أبو محمد اليزيدي . كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية وكننت أنا وخلف الأحمر يجلس جميعا إلى أخرى .

ومن هذه المجالس أيضاً مجالس للنظرة ، فكانت تعقد في الدور والقصور وفي المنازل وأفئيتها وفي مجالس الخلفاء وبحضرة الإمراء . وقد حكمت لنا بعض كتب النحو مناظرات بين العلماء في المسائل النحوية والصرفية واللغوية . وقد جاءت فصول ممتعة منها في الجزء الثالث من كتاب « الاشياء والنظائر » للسيوطي .

والآن وقد وصلنا إلى هذا الحد ، يجدر بنا أن نقتل إلى نشوء كتب الامالى وخصائص كل . فكتب الامالى ثمرة من ثمار تلك المجالس التي ذكرناها ، ونتيجة لنظام الرواية التي تشعبت طرقها وتطورت حياتها وهي صورة لا بد منها لعدم وجود الطباعة .

فلنبداً أولاً ببيان ما طرأ على الرواية من تغيير وتبديل . وذلك :

أولاً : أن الرواية أصبحت صناعة علمية عرف بها نفر وهم الذين إليهم ينتهى الإسناد في الأدب ، إذ لا إسناد في الروايات يكاد يرجع الى عرب الجاهلية . ومن رجال الرواية الذين كونوا الطبقة الاولى حماد الراوية المتوفى سنة (١٥٥ هـ) وهو أول من خص بلقب الراوية من الادباء ، وكأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة (١٥٤ هـ) ، وكأبي عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة (٢٠٩ هـ) ، وكالاصمى المتوفى سنة (٢١٤ هـ) . فهؤلاء عمد الرواة ، وعندهم أخذ الادباء .

ثم ظهرت الطبقة التي أخذت عن هؤلاء ، وقد رأت هذه الطبقة أن ما بعث على الإسناد في الحديث قد تحقق في الأدب من افتعال اللغة والتزيد في الاخبار والصنعة في الشعر ، فلذا

أوجبوا الإسناد فى الأدب . وهذا أثر من آثار الحديث فى الأدب ، فلو لا الحديث وإسناده لما خلصت اللغة من شائبة الكذب والتدليس .

ثانياً : قد عنى المحدثون بعلم الرجال أتم عناية وأكملها ، فحاکم فى ذلك علماء الأدب ، فجرحوا من جرّحوا وعدلوا من عدلوا ، فالجرح والتعديل انتقلا من الحديث إلى الأدب .

فعدلوا الخليل بن أحمد وأبا عمر بن العلاء ، وجرحوا قطرباً .

ثالثاً — أن الراوية الأدبية ضعفت فى القرن الرابع حين كثرت الكتب . فأصبح الإسناد من يومئذ مقصوراً على تلقى الكتب وروايتها بالسند عن مؤلفيها ، لأن العلم قد نضج وكملت فنونه ، فقلما يظهر كتاب لإمام فى فنه . إلا سارع الناس إلى قراءته عليه ، أو يقرأ عليه وهم يسمعون . فكان أبو العباس ثعلب لإمام السكوفيين المتوفى سنة (٢٩١ هـ) يحفظ كتب الفراء كلها . والفراء أملى هذه الكتب هذه الكتب كلها من حفظه إلا بعض أوراق استعان فيها بالمراجعة — كما يذكر ابن خلكان — وكان مقدارها ثلاثة آلاف ورقة . وهنا لا بأس بأن نستطرد إلى تحديد معنى ثلاث كلمات تصادفنا كثيراً فى كتب الأدب .

الكلمة الأولى : « الوراقون » ، والثانية « الورقة » ، والثالثة « المجلد » ، أو « المجلدة » .

أما الوراقون : فهم الذين صنعتهم الوراقة .

والوراقة كانت حرفة احترافها كثير من العلماء ، وهى انتساخ الكتب ، وتصحيحها ، وتجليدها ، والتجارة فيها ، فهى تقوم مقام الطباعة فى عصرنا هذا ، بل أكثر منها ، إذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب — أو ينسخ تحت إشرافه — ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه ، وقد كان ابن النديم صاحب كتاب « الفهرست » ، وراقاً .

ذكر ابن خلكان فى ترجمة (الفراء) نقلاً عن الخطيب فى تاريخ بغداد : أن الفراء لما اتصل بالأمم أن أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية ، وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ، وكل به من يخدمه ويقضى له حاجاته ويؤذنونه بأوقات الصلاة ، وصير له الوراقين والزعماء الامناء ، فكان يملى والوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود فى سفتين (وهو يريد بالحدود التعاريف ، كحد المعرفة والنكرة ، وحد

النداء والترخيم . وهذه أمور لم يعتد بها سيويوه كثيرا في كتابه ، لأنها أثر من آثار المنطق والفلسفة في النحو) .

فبعد أن فرغ الفراء من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب المعاني . قال الراوى : وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا ، فلم يزل يمليه حتى أتمه .

ولما فرغ من كتاب المعاني خزنة الوراقون من الناس ليسكبوا به وقالوا لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم . فشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك . فقالوا : إنما سحبتك لتنتفع بك ، وكل ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب ، فدعنا نعيش به .

فقال : فقاربوهم تفتعوا ويقتفعوا . فأبوا عليه . فقال سأريكم ، وقال للناس : إني عمل كتاب معان أتم شرحاً وأبسط قولاً من الذى أملت .

فجلس على فأملى (الحمد) فى مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا نحن نبليغ الناس ما يحبون ، ففسخرا كل عشر أوراق بدرهم .

وكان سبب إملائه (كتاب المعاني) أن أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفراء : أن الأمير الحسن لا يزال يسألنى عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب ، فإن رأيت أن تجمع لى أصولاً وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت . فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً فى القرآن . وجعل لهم يوماً ، فلما حضروا خرج إليهم ، وكان فى المسجد رجل يؤذن فيه وكان من الفراء ، فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ، ففسرها حتى مر فى القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل ، والفراء يفسره ، وكتابه هذا نحو ألف ورقة .

وقد سقتنا هذه القصة لأنها صورة واضحة من الصور التى كان عليها الإملاء .

وذكر (منز) فى كتابه « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » : « وقد قيل إن من آفات العلم خيانة الوراقين ، وكان العلماء الذين يحرصون على سلامة العلم يفسخون كتبهم بأنفسهم إن استطاعوا ، .

أما الورقة : فقد قدر ابن النديم فى الفهرست ما ذكره من المؤلفات بعدد الاوراق ، ويريد بها الورقات السلمانية ، منسوبة إلى سليمان بن راشد الذى كان والياً على خراسان فى أيام هرون الرشيد ، ومقدار ما فى الصفحة من هذه الورقة عشرون سطراً . وكان قدر كتاب الاغانى المطبوع فى واحد وعشرين جزءاً بخمسة آلاف ورقة من ذلك الغرار .

أما المجلد : فى اصطلاحهم . فقد ذكر ابن خلكان فى تاريخ أبى محمد اليزيدى النحوى عن أبى حمدون الطيب بن إسماعيل قال : شهدت ابن أبى العتاهية وقد كتب عن أبى محمد اليزيدى قريباً من ألف مجلد عن أبى عمرو بن العلاء خاصة فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة . لأن تقدير المجلد عشر ورقات .

والآن يمكننا أن نأخذ فى الحديث عن كتب الامالى وموعدها المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

أقدم الخرائط الرمزية من اليمن

جاء فى مجلة المقتطف (م ٦٩ ص ٤٥٩) : إن أقدم الخرائط الرمزية خريطة مغفورة على حجر من القرن التاسع قبل المسيح وجدت فى بابل . ويظهر من شكلها أنها من جنوب بلاد العرب ، مما يدل على قدم العمران هناك . وقد ظن الدكتور ويدر أن خريطة الاصطخرى — أول جغرافى العرب — التى صنعها فى القرن العاشر الميلادى بنيت على هذه الخريطة . ومن المحتمل أيضاً أن بطليموس بنى خريطته عليها فى إيصاله لإفريقية بآسيا عند الاوقيانوس الهندى .

صَدَى قَاصِمَتِي مَجْلَّةُ دَارِ التَّقْرِيبِ

لما اطلعنا في العدد الرابع للسنة الرابعة من مجلة دار التقريب (ص ٣٦٩) على فتوى مجتهد الشيعة محمد حسن الاشتياني التي نقلها رئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا عن الاصل الرابع من أصول الفقه الشيعي في كتاب (بحر الفوائد) للاشتياني المذكور، ومضمونها الإباحة للمسلم بأن لا يؤمن بما ثبت صدوره عن النبي ﷺ من أمور الغيب مثل كيفية خلق السموات والارض ووصف الجنة، بدعوى أن هذه الأمور الغيبية لا تدخل لها بشريعة سيد المرسلين ٤١.

وفي ذلك العدد نفسه من مجلة دار التقريب (ص ٢٩٢ - ٢٩٣) دعوة للمجالس التشريعية والنيابية في العالم الإسلامي بأن تنسخ ما تشاء من آيات القرآن وأحكامه بدعوى أن النسخ في القرآن لم يفته حكمه بوفاء الرسول ﷺ، بل إن آية «وأمرهم شورى بينهم»، نقلت حق التشريع من الله إلى الأمة، فالله عز وجل «كان هو المشرع ابتداء»، ثم غدا التشريع إلى الأمة انتهاء ٤١.

لما اطلعنا في مجلة دار التقريب على هاتين القاصمتين الخبيثتين، رأينا أن من أول واجبات كل مجلة إسلامية في العالم - وعلى رأسها مجلة الأزهر - أن تستنكر هذه الجراءة على الله ورسوله. ولا ريب في أننا أدبنا بعض ما يجب على كل مسلم بما كتبناه في ص ٣٢٩ - ٣٣٠ من الجزء الثالث لهذه السنة بعنوان «قاصمتان خبيثتان في مجلة دار التقريب»، وبما نشرناه لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء في ص ٢٨٣ - ٢٨٧ بعنوان «طوائف»، ولمضيلة الأستاذ المحقق الشيخ محمود النواوي المفتش بالأزهر في ص ٢٨٨ - ٢٩٥ بعنوان «نظام الإسلام السياسي»، وهو نفس العنوان الذي كان لمقالة الدعوة إلى نسخ القرآن في مجلة دار التقريب.

وكنا نتوقع من مجلة دار التقريب أن تعتذر في أول جزء يسدر منها بعد الجزء الذي تلتطخ بتيك المقاتلين، بأى عذر يقبله أهل العقول، ولكنها آثرت السكوت، واكتفت

بفشر مقالة الدكتور محمد يوسف موسى بعنوان « في سبيل القرآن والسنة » التي علق فيها على القاصمتين بقوله (في العدد الاول ، السنة الخامسة ، ص ٨٠) :

« في هذين الرأيين تعرض خطير لأقدس ما يحرص عليه المسلمون ، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسوله الحكيم الذي لا ينطق عن الهوى . ومن أجل هذا ليس من الممكن أن يمر المسلم بهما كما يمر بكثير من الآراء الخاطئة المنتشرة هنا وهناك ، بل يجدد من الواجب الديني والعلمي مناقشتها مناقشة موضوعية لا هدف لها إلا معرفة الحق » .

ثم قال عن موضوع النسخ : « وهذا الرأي على خطأه الواضح له عرق قديم في تاريخ الفكر والآراء . لقد قال من قبل برأى قريب منه نجم الدين الطوفي » .

قلنا : ورأى الطوفي يدور حول تقديم المصلحة على النص ، متجاهلاً الحقيقة التي برهن عليها أئمة الإسلام وآخرهم معاصره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي أنه ليس في الشريعة الإسلامية نص صريح يخالفه العقل الصحيح أو المصلحة الشاملة . وقد تطرأ مصلحة شاذة تخطر الموت من الجوع على من لا يجد إلا لحم الميتة ، أو خطر الموت بالغصة على من لا يجد ما يسوغها به إلا الخمر ، فحينئذ يعمل في أمثال هذه الحالات الشاذة والخاصة بقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ، مقيدة بالحدود الضيقة في القاعدة الأخرى : « الضرورة تقدر بقدرها » . ورسالة الطوفي في هذا الموضوع كانت مجلة المنار قد نشرتها وعلقت عليها في المجلد التاسع . ثم أعادت نشرها مجلة دار التقريب نفسها بالعدد الاول من صفها الثانية ، ورد عليها علامة النجف الشيخ محمد الحسين كاشف الغطا .

ولئلا يتخذ بعض القراء بالطوفي (٦٥٧ - ٧١٦) ، على بعد ما بين مذهبه ومذهب الداعية إلى نسخ القرآن ، نذبه إلى أنه أحد الأذكياء المتلاعبين بالمذاهب والمقائد ، ولد في قرية طوف من قرى منطقة صرصر على نهر عيسى بالعراق في طريق الحاج من بغداد ، وانتقل إلى الشام أيام شيخ الإسلام ابن تيمية فلم يجد فيها لاهمه العسكرية مرتعاً ، فخرج منها وهو يهجو أهلها ، ثم حضر إلى مصر وانتفضح بها ، وحكم عليه قاضي الحنابلة سعد الدين الحارثي بالتعزير والضرب والحبس بسبب عقائده الباطلة وإطالة لسانه على أم المؤمنين عائشة

وقوله في صاحبي رسول الله ﷺ وخليفتيه على أمته سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا على ابن أبي طالب رضى الله عنهما :

كم بين من شك في خلافته وبين من قيل إنه الله !
وهو الذى يصف نفسه بقوله (على ما جاء في كتاب الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ٢ : ١٥٥) :

حنبل رافضى ظاهرى أشعري ، إنها لإحدى الكبائر
ونقل الحافظ ابن حجر كلاما له يدل على جهله بالسنة ، ثم نقل الرد عليه من قول الحافظ ابن رجب بما لا يتسع المقام لبسطه .

ونقل ابن حجر أيضاً قول ابن مکتوم في ترجمة الطوفى من تاريخ النجاة : « قدم علينا في زى الفقراء ، ثم تقدم عند الحنابلة ، فرفع إلى الحارثى (قاضى الحنابلة بمصر) أنه وقع في حق عائشة فعززه وسجنه . . ثم أطلق فسافر إلى قوص ، » .

ونقل ابن حجر عن الصلاح الصفدى أنه لما حوكم أخرجوا بخطه هجواً في الشيخين . (أبى بكر وعمر) وبعد حبسه أطلق وتوجه إلى قوص فنزل عند بعض النصارى .

وقال الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة : وذكر بعض شيوخنا عن حدثه أنه كان يظهر التوبة ويترأى من الرفض وهو محبوس . قال ابن رجب : وهذا من نفاقه ، فانه لما جاور في آخر عمره بالمدينة صحب السكاكيني شيخ الرافضة ، ونظم ما يتضمن السب لإبى بكر . ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها .

وانظر ترجمة الطوفى في الدرر الكامنة (٢ : ١٥٤ - ١٥٧ طبع حيدر آباد الدكن بالهند) وفي شذرات الذهب لابن العماد (٦ : ٣٩ - ٤٠ طبع القاهرة) .

وعلى كل حال فان هذا الحنبلى الرافضى الظاهرى الأشعري المتلاعب بالمعتقد والمذاهب ، لم يزد في رسالته موضوع البحث على أن المصلحة تقدم على النص ، أما دعوة المجالس النيابية والتشريعية في البلاد الإسلامية إلى أن تنسخ ما أشاء من القرآن فلا نظن أن في السكره الارضية صحيفة تنسب إلى الإسلام تبلغ بها الجرأة إلى أن تعلن ذلك وتفسره .

ثم علق الدكتور محمد يوسف موسى (ص ٨٤) على كلام المجتهد الشيعى محمد حسن الاشتياني بقوله : « ومن العجب أن يضرب المثل بخلق السماوات والارض وأحوال

الدار الآخرة لما لا يجب التدين به من أقوال الرسول وإن علمنا بصدوره عنه ، بدعوى أن ذلك لا دخل له بشرية سيد المرسلين ! إن مهمة الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، تقوم - أول ما تقوم - على إثبات وحدانية الله ووجود الدار الآخرة وتفهم من أرسلوا إليهم شيئاً من أحوال هذه الدار ليسهل عليهم التصديق بها ، فكيف لا نجعل ذلك مع كيفية خالق العالم من الشريعة التي جاء بها رسولنا عليه الصلاة والسلام ؟ لو أن الكاتب ضرب الأمثال لما لا يجب التدين به في رأيه من أحاديث الرسول بشيء مما يعرف بالتجربة كأمر هذا العالم الذي نعيش فيه ^(١) لكان له بعض العذر ، ولكن خلق العالم وأحوال الدار الآخرة وأمثال ذلك ، من الأمور التي لا يمكن أن تعرف بيقين إلا بوحى من الله ، لأنها من عالم الغيب لا عالم الشهادة ، فكيف نفهم أو نتصور أن الرسول كان يجازف ويقول في شيء من ذلك برأيه ؟ وهذا ، فضلاً عن أن هذه الأمور جاء بها القرآن ، فهل نقول : لا يجب التدين أيضاً بما جاء عن ذلك في القرآن ، وهو كثير ؟!

ومن صدى قاصمتى مجلة دار التقريب أن رصيفتنا القديمة (مجلة العرفان) الغراء وهي لسان الشيعة في جبل عامل ، رأت الطريق المختصر للخروج من ورطة الفتوى الشيعية بأن تبرأ من هذا المجتهد الشيعي ، أي الاشتياني ، فقالت في الجزء الثاني من المجلد ٤٠ ص ٢٢٨ : « ونحن لا نعرف شيئاً عن هذا الاشتياني وعن آثاره ، بالرغم من كثرة الكتب المخطوطة والمطبوعة طبع لإيران عندنا ، بل نعلم أن مراجع الشيعة في القرن الثالث عشر هم : الميرزا حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٢ ، والميرزا حبيب الله المتوفى سنة ١٣١٤ ، والشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى سنة ١٣٠٦ . ولو سلمنا أن الاشتياني قال ذلك فيكون شاذاً عما يعتقده الشيعة ، وسواء كان الاشتياني أو الشيخ محمد جواد مغنية فقولها ليس حجة على الشيعة . وهذا قول حسن نفسكر رصيفتنا مجلة (العرفان) عليه ، ولكن أين هذا الكلام من دعوى الشيخ مغنية بأن مثل هذا الاجتهاد الشيعي لو اطلع عليه الخواص من علماء السنة لقويت ثقتهم بالشيعة وتفكيرهم ؟! » .

وأهم ما نعتبره صدى لقاصمتى مجلة دار التقريب رسالة مطولة حملها إلينا بريد العراق من أحد كبار مجتهدى الشيعة في هذا العصر وهو الشيخ محمد مهدي الخالصي ، وكنا نود

(١) مجلة الازهر - أي كسالة تأبير النخل وشئون الصناعات والمهن .

لو اقتضت رسالته على هذا الموضوع ، إذن لنشرناها بحذافيرها ، ولكنها تعرضت لامور كثيرة في غير موضوعنا هذا ، وفي كل سطر منها فقرة لو نشرناها لاضطررنا إلى الجواب عليها بمقال أو أكثر ، فبعد أن نكون مع الاشتياني ومغنية ودار التقريب ، ننقل إلى مناقشات عقيمة ليس من خطتنا الخوض فيها إلا عند الضرورة ، وإنما نحن الآن في موقف دفاع ، نستنكر فيه كل منكر في الدين ، لأن مجلتنا تأسست يوم تأسست لبيان الحق في مثل هذه المواقف .

ومما يدخل في موضوعنا من رسالة العلامة مجتهد الشيعة الخالصي أنه نقل لنا نص كلام الاشتياني في كتابه بحر الفوائد مطولا غير مختصر . والخالصي كان ينتظر منا قبل أن نكتب ما كتبناه أن نطلع على كتاب الاشتياني لتثبت بما عرى إليه فيه . ولكن إذا كانت مكتبة رصيفتنا مجلة (العرفان) ليس فيها كتاب الاشتياني ولم يسمعوا باسمه ، فإن من تكليف التعجيز تكليفنا بأن نكون أكثر اطلاعا على كتب متأخرى الشيعة من الشيعة أنفسهم . ومع ذلك فإن حملتنا لم تكن على الاشتياني ولا على كتابه ، بل على الكلام الصريح المنشور في مجلة دار التقريب منقولا لها من قاض شيعي كبير يعرضه على أهل السنة على أنه نموذج ممتاز من اجتهادات الشيعة التي يباهون بها عند أهل السنة ، فكان موقفنا من ذلك هو الموقف السليم الذي لا ينبغي غيره لأمثالنا . وسواء عندنا بعد ذلك أكان هذا الكلام من قول الاشتياني أو مغنية أو المجلة نفسها ، لأننا لم نكن في معرض الحكم على الاشتياني بالذات ، بل في معرض الحكم على كلام صريح ، وقد تطفنا كثيرا في الحكم عليه .

على أننا باطلاعنا على النص المفصل الذي نقله المجتهد الخالصي رأينا أن الاشتياني يعتبر أحاديث رسول الله ﷺ في أمور الغيب لا تخبر عن الأمر الديني ؟! كأن الإيمان بالغيب ليس عنده من صميم الإيمان الإسلامي ؟! ويجزم بأنه لا إشكال في أنه لا يجب التدين به ؟! بعد حصول العلم به ؟! فضلا عن الظن به ؟! ، ولما رأى نفسه قد تورط وأسرف وأشقى على الشفيع ، استدرك على نفسه فقال : نعم ، لا يجوز إنكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبي فيكون كفرا ، وهذه هي الفقرة التي أهملها الشيخ مغنية وتعلق بها الخالصي . وفيما عدا ذلك فإن ما نقله الشيخ مغنية كان أمينا فيه . بقي أمر الجمع بين قول الاشتياني عن الحديث الثابت صدوره عن النبي ﷺ في شعب الإيمان بالغيب بأنه لا إشكال في أنه لا يجب التدين به بعد حصول العلم به ، وقوله لا يجوز إنكاره بعد ثبوته ، فقد وقف مريديه على صراط أدق من الشعرة فوق واد من أودية الجحيم بتحريضه

لإبائهم على عدم التدين بما صح صدوره عن النبي ﷺ من أمور الغيب ، وفي عدم تجويزه إنكاره بعد ثبوته . وهو موقف لا نعرف مسلماً يحسد عليه هذا المجتهد الاشتياني الذي أثنى عليه المجتهد الخالصي مستنكراً براءة مجلة (العرفان) منه فقال عنه : « إنه من تلاميذ الشيخ المرتضى الأنصاري في النجف وأكبر علماء طهران عاصمة إيران طيلة ملكية ناصر الدين شاه ، أي مدة خمسين سنة ، وكتابه (بحر الفوائد) من أنفس الكتب في أصول الفقه وهو مشهور بين العلماء » .

ثم يقول مجتهد الشيعة العلامة الخالصي في رسالته إلينا : « وأما مجلة رسالة الإسلام ، فأنا أعرف بعض كتابها وأشكرهم على حسن نيتهم ، وأطلب منهم أن يواظبوا على التحصيل والدراسة ، ويتنوعوا عن نشر مجلتهم ، إلى أن يتقنوا ما في دين الإسلام ، فإنها غير خالية من بعض القول ، والاستاذ مغنية سلمه الله غير معذور في نقله صدر عبارة الاشتياني وطرحه تمام كلامه حتى نقلته مجلة رسالة الإسلام جهلاً ، وأوقعت مجلة الأزهر في هذا الخطأ العظيم (كذا) الذي لا يرد عقابه إلا حسن النية والاستغفار ^(١) ولا تحسبوا أن علماء العراق يكتبون شيئاً في رسالة الإسلام لأن المقالات التي تنشر فيها يكتبها غالباً مبتدئون في التحصيل لأن علماء العراق استولى عليهم اليأس من المجلات والنشرات ، لما يرونه فيها من الشذوذ ، ولم أجد في رسالة الإسلام إلا مقالا لعالم واحد فحسب ^(٢) » .

وبما تعرض له المجتهد الخالصي في رسالته إلينا دعوة الأزهر ومجلته إلى السعي في جمع الكلمة . وهي فرصة طيبة نتيج لنا الكلام في موضوع جمع الكلمة وأمنية التقريب : نحن بقدر ما نؤمن باستحالة التقريب بين مذهبين دينيين — حتى لو كانا من أصل واحد كالشافعي والحنفي — فإننا نؤمن كذلك بضرورة تعاون جميع أهل المذاهب المنسوبة إلى الإسلام على كل ما فيه مصلحتهم الدنيوية والاجتماعية ، كمقاومة الاستعمار ، وكالتعاون على ما يصلح المسلمين في أخلاقهم ومعايشهم وأسباب تقدمهم . أي أن التعاون في المصالح

[١] مجلة الأزهر — إذا كنا نستحق العقوبة التي لا يرد لها إلا الاستغفار بعد ثبوت حسن النية ، لأننا تعرضنا لقدس الأنداس بما تحدثنا به عن الاشتياني وفتواه ، فما الذي يستحقه الاشتياني لتقرير أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث في أمور التيب لا يجب على المسلم التدين به لانه لا يتجبر عن الأمر الديني ؟
أننا نرجو المثوبة من الله على موقفنا من الاشتياني ، ولبحسب الخالصي نفسه على موقف الاشتياني من النبي صلى الله عليه وسلم وما صح عنه من أحاديث الايمان بالغيب الألهي .

[٢] مجلة الأزهر — لعل المجتهد الخالصي يعير إلى رد كاشف الخطأ على الطوف .

الاجتماعية والمعيشية والخلفية مطلوب بين أهل المذاهب الإسلامية ، أما التقريب بين المذاهب نفسها بفتح الاندية لذلك واصدار المجلات لهذه البحوث خاصة فإنه يدعو الى عكس ما يراد منه .

ومما لا يختلف فيه انسان أن جميع فقهاء الشافعية والحنفية المعاصرين لنا لا يملكون أن يقربوا بين هذين المذهبين - وهما من أصل واحد - في أى حكم فقهي تحكم الشافعية بأن لمس الزوج المتوضىء يد زوجته ينقض وضوءه ، وحكم الحنفية بعكسه . وتحكم الشافعية بأن خروج الدم من المتوضىء لا ينقض وضوءه ، وحكم الحنفية بعكسه . فلو حاول بعض الشافعية والحنفية أن يقربوا بين المذهبين بغير ما هو مقرر فيهما لخرجوا بذلك عن المذهبين ولاحدثوا به مذهباً جديداً لا يعترف لهم به الشافعية ولا الحنفية

أما التعاون الآخر الذى يتناول مصالح أهل المذاهب الإسلامية في شئونهم الأدبية والعلمية والاجتماعية وعزتهم المالية فنحن من أقدم دعاة . وانضرب المثل لذلك في هذا المقام بأن فقيد العلم الشيخ أبا عبد الله الزنجاني لما قدم من إيران الى مصر للمرة الثانية قبل نحو سبعة عشر عاماً اقترح رئيس تحرير هذه المجلة على مولانا صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر إقامة حفلة تكريم له في دار الهداية الإسلامية ، للتوصل الى المودة المطلوبة بين أهل القبلة ، وكانت الحفلة التى أقيمت له في جمعية الهداية الإسلامية يومئذ عظيمة جداً وحافلة بأهل الفضل ، وخطب فيها مولانا الأستاذ الأكبر والشيخ أبو عبد الله الزنجاني ، وكان كاتب هذه السطور هو الساعى في ذلك ، ولا يزال الى هذا اليوم مغتبطاً بما فعل . أما العبث بالمذاهب بدعوى التقريب بينها فلم يأت يوماً بخير ، ولا يرضى عنه العلماء من أهل كل مذهب ، ولا يترتب عليه إلا لإحداث فرقة أخرى . وموقفنا نحن من كل ذلك هو موقف من يدرأ المفسدة عند وقوعها من أى جهة وقعت ، ولذلك تأسست هذه المجلة قبل نحو ربع قرن ، وعلى ذلك هي اليوم وبعد اليوم إن شاء الله .

وقبل أن نختم هذه الكلمة - نقدم الشكر للأستاذ الخالصى على هدية لمكتبة المجلة وصلت إلينا منه ، وهى مؤلفاته ، ومنها (إحياء الشريعة في مذهب الشيعة) وكتابه (الشيخية والباية) ومراسلته الى قوام السلطنة لما أراد رضا فهلوى شاه نحو الشيعة من إيران وإقامة المجوسية والباية دينا للإيرانيين ، وغير ذلك من الرسائل ، فنكرر الشكر له .

محج الدين الخطيب

فصل الدين عن الدنيا

إن صَحَّ في دِينٍ لَا يَصَحُّ في دِينِ الْإِسْلَامِ

فصل الدين عن الدنيا ، تلك الأسطورة التي عرفت في أوربا في القرون الوسطى ، وأصبحت فكرة عامة تأثر بها الكتاب عندنا واقترضتها هناك في ذلك التاريخ تصرفات القسوس والباباوات ، لا يوجد مثلها في المجال الإسلامي ، لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين يدعون لأنفسهم الوساطة بين الله والناس ، ولا أن يبدؤهم الجنة والنار يمنحون منهما كيف شاءوا ، ولا أن ما يربطونه في الأرض يرتبط في السماء ، ولا رسوم مالية في الموت ولا في الحياة ، ولا معمدان ولا اعتراف ولا أي لون من هذه الألوان التي أخذت على الأحرار أنفاسهم فضايقوا بها ذرعا ولم يفتوها منها إلا بقرار فصل الدين عن الدنيا في سنة ١٨٧٠ متذرعين بما قيل عن المسيح سلام الله عليه من قوله « إن مملكتي ليست من هذا العالم » وقوله « أعطوا ما لله الله وما للقيصر لقيصر » ، وإنما الإسلام دستور إصلاحى اجتماعى عالمى ليس فيه عصبية لأحد على أحد ولا لطائفة على أخرى ، ولا شعب يرفعه فوق شعب ، ولا جنس يعلو به على جنس ، فهو الدين الخالى من ألوان العصبيات جميعها ، وأية أمة تعتنقه وتقيم مبادئه وحدوده تكون هي الأمة الفضلى التي تستحق الزعامة على العالم الإسلامى جميعه لا زعامة أوتوقراطية ، ولمكنها زعامة ديمقراطية حقة بالمعنى الذى ينشده أول من تكلموا في الديمقراطية .

فالإسلام الذى يدرس الآن فى الأزهر وفى سائر المعاهد الدينية والذى هو مستمد صراحة من القرآن الكريم ونصوص السنة المحمدية التي هي شرح وبيان للقرآن ، وأعمال الخلفاء الراشدين ، وأفهام الصحابة وفقههم فى تلك النصوص ، واجتهاد المجتهدين فى ذلك ، كل ذلك مدون فيما يسمى كتب الفقه الإسلامى ، مفصل إلى فصول وأبواب وكتب فى جميع شئون الدولة وسياستها الداخلية والخارجية ، وكل معاملته تقع بين اثنين على نحو أوسع وأدق وأعدل من كل قانون فى العالم للبشر ، لأنه ينتهى إلى أسس ليست من وضع البشر ، ولم تتأثر بأهواء بعضهم على بعض ومطامع بعضهم ببعض .

وأول حجر أساسي في صرح الإسلام ؛ هو إفراد الله بالعظمة ، واستواء جميع البشر بعد ذلك في سلك المساواة التامة ، لا فرق بين ملك وصعلوك . وحسب العالم دليلاً على نصاعة مبادئ الإسلام ثورة مصر هذه الصارخة التي دلت على أن الخروج على الإسلام ومحاربة أهدافه وانتهاك حدوده ومبادئه شر مستطار حيث وضعوا في دستور الدولة أن الملك غير مسئول وأن ذاته لا تمس ، تلك المادة التي حاربوا الله بها ، حيث جعلوا لله شريكاً آخر من البشر غير مسئول والله يقول : لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فكان من نتيجة ذلك ما حصل في الأمة من طغيان وفجور من تلك الذات التي قدسوها وأشركوها بالله في عدم المسؤولية طغياناً أصبح في تاريخ مصر وصمة لا تزول ، ولولا ما قبض الله لمصر من هذا الجيش الكريم الأبى الذي أنقذ مصر لرسفت في قيود الذل والطغيان والاستعمار إلى ما شاء الله .

والحجر الثاني في بناء الإسلام ؛ هي الشهادة لمحمد بن عبد الله بأنه رسول الله الذي أرسله للبشر كافة معلماً ومبشراً ونذيراً ، وهذه الذات التي تجب الشهادة بذلك هي شخصية مثالية تاريخية أشادت بكل ما سبق من رسالات الله ، فكتب عنها الكتاب المسلمون والأجانب آلاف الكتب في فضائل أخلاقها ومعاملتها المثالية ، وقدرتها التي قلبت بها التاريخ البشري وأخرجته من وصمة عبادة الأحجار والأوثان إلى نور الحرية والمساواة .

ووجب أن يقال بحق في محمد بن عبد الله نبي الإسلام أنه أبو التاريخ العالمي الحديث ، وصاحب الفضل في تحرير العقل البشري من خرافات الجاهلية وعقائدها الضالة ، وأول عامل على نشر تعميم تعليم القراءة والكتابة ومحاربة الأمية ، وأول موجه للقوى الحربية على أساس الإصلاح الإنساني ، ومحاربة الضلال والفساد في الأمم المجاورة ، حتى نجح نجاحاً باهراً في قلب الدنيا إلى شيء آخر خلاف ما كانت عليه من قبل .

والدعاة الثلاثة في الدين الإسلامي العالمي هي ما يسمى بإقامة الصلاة في اليوم خمس مرات ، أولها قبل طلوع الشمس من مشرقها بساعة ونصف ودعا إليها الإسلام بحث وحض شديدين ليوقظ البشر من سباتهم إلى العمل والنشاط ، ووزع الأربعة الأخرى على أوقات الناس في الحياة اليومية وجعل ذلك فرضاً عاماً على الذكر والأنثى واشترط لها الطهارة التي كانت سبب تعويد الناس على النظافة العامة التي أصبحت بعد هذا التشريع الديني

أهم شئون المتحضرين وقد كانوا قبل لا يعرفون النظافة ولا الحمامات ، حتى كانت تفتك بهم الأمراض والعلل ، ولا يعرفون كيفية الوقاية منها ، وما انتشرت الحمامات في أوروبا ونظمتها إلا عن طريق الأندلس في الإسلام ، وهبطت بذلك فيها إحصائيات الأمراض والعلل والوفيات ، فالعالم المتحضر مدين في تاريخ حياته الصحية للإسلام في الأندلس ، ويعترف له بذلك المنصفون .

وفرض الإسلام هذه الصلاة على الكافة ، وفرض أن تكون جماعة على الرجال يصلونها في مساجد عامة مفتوحة للكافة ديمقراطية الوضع لا يتقدم فيها غنى على فقير ولا حاكم على محكوم ولا كبير على صغير ، يؤم الناس أفقهم ولو كان أفقرهم ، ويتلو على أسماعهم في الصلاة الجهرية ما شاء الله من القرآن . فرض الإسلام إقامة هذه الشعائر كل يوم خمس مرات ، وفرض كل أسبوع اجتماع الكافة من أهل الحى أو القرية أو الخط من الرجال أعيانهم وحكامهم وأمرائهم ، وأغنيائهم وفقرائهم ، وكبارهم وصغارهم ، تتزاحم أكتافهم وتصطفك ركبهم بعضهم إلى بعض من جميع الطبقات يسمعون قبل الصلاة إلى الخطيب الذى يعظمهم في شئونهم الحاضرة التى تمس حياتهم وأحوالهم اليومية ، فينشأ على ذلك صغيرهم ويدوم على ذلك كبيرهم ، فيتمرسون على الامتزاج والاتلاف فى أخص عبادة يؤدونها للرب ، فى أظهر وأقدس مكان يجتمعون لله فيه .

وأية فرحة للشعب تجمهعه قسرا أو تخطط أفراداه بعضهم إلى بعض فيتعرفون أحوال أنفسهم وشئون جيرانهم وإخوانهم وتمتلى أعيانهم بمختلف أحوال مخالطتهم من حال يرثى لها أو خلق يوعظ فيه صاحبه . يتعلم فى تلك المدرسة الاخلاقية الصغير من الكبير والجاهل من العالم والفاسق من التقي : تفاعل أخلاقى ما قام فى جماعة إلا صلح أمرها ونضجت فيها الحياة الاجتماعية على أحسن مثال ، وتألقت فيها القلوب ، وتماطفت فيها القوى ، واستغنى بها الفقير ، واستجود بها البخيل ، وتكملت بها أسرة المجتمع . فأية عملية هذه وأية مدرسة اجتماعية ربى بها الإسلام شعوبه وألف بين أبنائه وأخضع الكافة للكافة وأنزل الحاكم إلى المحكومين ودفع الغنى إلى البصر بالفقراء وأسمع الصحيح أنين المريض وأخضع الطائش برويته خشية الخاشع وتقاه .

فهذه الصلاة التى ينظر الناس إليها كأهون شئ وأبسطه فى الإسلام وهذه بعض آثارها

وأفعالها في المجتمع . فهل يمكن فصل الدين عن الدنيا وهذه أخص عبادة فيه أنزل العتاة الجبارين والاغنياء المنكوبين من صياصيمهم وقصورهم إلى الامتزاج بأصحاب الاكواخ والبائسين في بيوت الله على مائدة عبادة الله سبحانه ، وأى اجتماع مائدة أصنى للقلوب من ذلك .

فكيف تتجافى عقول أناس عن دين هذه آثاره في المجتمع وأى زعيم لإصلاحى أو حاكم سياسى لا يتشبث بهذا الدين الذى يساعده على ما يروم الإصلاح والرعاية .

إن هذه المساجد التى ينظر الناس إليها وقد أهملت وأصبحت مهجورة ذات منظر مؤسف كثيب من إهمالها وفرشها بالحصر البالية أو تركها بلقعا بلا فراش ، هذه المساجد كانت أعظم أثر في الأمة من برلماناتها الآن لأنها كانت مصدر تعليم الأمة وإرشادها ، ومبعث الرحمة بين أفرادها مهبط الوحى بالعواطف الرقيقة قلوب مرئىيها ، يدخلها الجناة الاجراميون فيسمعون عظة من عالم متواضع فتفعل فيهم ما لا تفعله قوانين الحكومة ويبتجونها . فهل يفصل هذا الدين الكريم عن الدنيا ويعزل ، وهل هذا الدين هو الذى يقال فيه ذلك .

محمد عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

إنما يقدر المرء عمله

روى عبد الله بن هبيرة أن أبا الدرداء كان قاضياً بالشام ، فكتب إلى سلمان : د هلم إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، فأجابته سلمان : د كتبت تدعوني إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد . ولعمري ، ما الأرض تقدر المرء وليكن المرء يقدره عمله . وقد بلغنى أنك جلست طبيباً تدأوى (أى واعظاً تعظ) ، فإن كنت طبيباً مبرئاً فطوباك ، وإن كنت متطبياً فاتق الله لا تقتل إنساناً فتدخل النار .

الحزبية في القرآن الكريم

ما أشبه القرآن الكريم بالسكنز الفريد المجيد - والله المثل الأعلى - ، وهذا السكنز يضم في أرجائه مختلف اللآلئ وشيت الجواهر ، وكل ناظر فيه بالنعم والتدبر يستطيع أن يحصل منه على بعض هذه الفرائد ، وتختلف حظوظ الناظرين فيه والعاكفين عليه من هذه الخرائد ، ولكن الجميع لا يستقصون جوانبه ولا يحصون عجائبه . ومن غرائب القرآن أنك تسابع كثيراً من ألفاظه في متباين استعمالاتها ، فتتري للفظ معنى عاماً واسعاً ، يشمل استعمالاته أو يغلب عليها ، ويمكنك من هذه المتابعة للفظ من الألفاظ أن تتعبد لاستعماله في الغالب قاعدة أو ما يقاربها ، ولا يشترط أن تكون تلك القاعدة موجودة بنصها وفصها عند كل استعمال ، بل تكون هي أو ما يشير إليها أو يذكر بها من قريب أو بعيد .

وللحزبية ، وما تفرع من مادتها في القرآن الكريم ، حديث قد يدخل في هذا التقعيد أو يدنو منه ، وقد تابعت استعمال « الحزبية » في التنزيل ، ورأيت أن أعرض له بالبحث ، لعل في ذلك من الفائدة ما يتلاءم مع مناسبات الزمان ، وإلا فهو على الأقل تذكير بحديث القرآن . وقبل أن نعرض للحزبية في القرآن يحسن أن نعرض معانيها في اللغة ، فقد تتعاون المعاني اللغوية مع الاستعمالات القرآنية لتلك المادة على إيضاح ما نريد استنتاجه من ذكر ألفاظ الحزبية في الكتاب الحكيم ..

نلاحظ أن معنى الحزبية الغالب في اللغة يدل على التفرق والانقسام والاختلاف ، والشدة والغلظ أحياناً ، فقد جاء في القاموس : « الحزب بالكسر الورد والطائفة والسلاح وجماعة من الناس ، والأحزاب جمعه ، وجمع كانوا تآلبوا وتظاهروا على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه ، وإن أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب هم قوم نوح وعاد وثمود وهن أهل مكة الله من بعدهم ، وحازبوا وتحزبوا صاروا أحزاباً ، وقد حزبتهم تحزيباً ، وحزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه ، والإمم الحزابة . . وأمر حازب وحزيب شديد جمعه حزوب ، والحزابي والحزبية مخففان الغليظ إلى القصر كالحزاب

بالكسر ، والحزب والحزباء بكسرهما الأرض الغليظة وجمعه حزباء وحزابي . .
وحازبته كنت من حزبه . .

وفي النهاية لابن الأثير : طرأ على حزبي من القرآن فأحببت ألا أخرج حتى أقضيه .
الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد . والحزب التوبة في ورود
الماء . . . وفي حديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كيف تحزبون القرآن . . . اللهم اهزم الأحزاب وذلهم . . . كان إذا حزبه الأمر
صلى ، أى إذا نزل به مهم أو أصابه غم . . . ومنه حديث على نزلت كرائه الأمور
وحزائب الخطوب ، . . . ومنه حديث الإفك : ومضت جنة تحارب لها ، أى
تتعصب وتسمى سعى جماعتها الذين يتحزبون لها . . . ومنه حديث الدعاء : اللهم أنت
عدي إن حزبت . . . (١)

وما هو ذا الراغب الأصفهاني في كتابه (مفردات القرآن) يشير إلى المعاني اللغوية
العامة لكلمة (الحزب) في القرآن الكريم فيقول : « الحزب جماعة فيها غلظ ، قال عز
وجبل : « أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ، « وقوله تعالى : « ولما رأى المؤمنون
الأحزاب ، « عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي ﷺ . « فإن حزب الله هم الغالبون ، «
معنى أنصار الله . وقال تعالى : « يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يدوا
لو أنهم بادون في الأعراب ، .

* * *

والقاعدة العامة ، أو المعنى الغالب في استعمال القرآن لكلمة (الحزب) هو الدلالة
على الانحراف إلى السوء والشر ، والرمز إلى الباطل والسفه ، فلا يرد هذا اللفظ إلا في
مواطن الفسوق والإجرام ، اللهم إلا إذا أضيفت كلمة (الحزب) إلى الله فإن المقام يكون
مقام خير وتبشير ، في الحال أو الاستقبال ، وأما إذا أضيفت إلى غيره فهي سوء وضلال ،
في الحاضر والمآل .

وكان القرآن يشعرنا بذلك أن الحزبية البعيدة عن صراط الله سيئة أيا كانت ، وكأنه قد
استعمل كلمة (الحزب) في موطن النسبة إلى الله لمجرد المشاكلة ومجاراة السياق ، على حد

(١) لم ننقل عن القاموس والنهاية كل ما ورد بهما عن المادة ، بل قطفنا من كل منهما الجزء
الكافي للموضوع .

قوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » . ولذلك نرى تعبير القرآن « حزب الله » يأتي في سياق التعرض لحديث « حزب الشيطان » ! .

وفي القرآن الكريم ذكر لأربعة أصناف من أحزاب الشر والضلال : الأول منها أتباع الشيطان مطلقاً ، والثاني القوم الكافرون الضالون قبل محمد صلوات الله عليه وسلامه . والثالث الأحزاب الذين تألبوا عليه في غزوة الخندق وأذاقهم الله ببقوته ما أذاقهم من النكال والوبال . وقد خص الله سورة من سور القرآن الكريم باسمهم ، وكان ذلك أيضاً من بين الإشارات إلى خطرهم وسوء تحزبهم ، فهم يحتاجون إلى التنبيه الجلي لتحذر منهم الحذر القوي ، والصنف الرابع هم شذاذ اليهود والنصارى الذين عارضوا الإسلام ، ووقفوا في طريقه معاندين أو مفترين . . ويجمع هذه الأصناف كلها جامع الشر والسوء والضلال كما أسلفنا . هذا هو التصوير العام لحديث الحزبية في القرآن ، وما يستفاد منه من سمات عامة أو غالبية ، ومن حق البحث علينا بعد ذلك أن نذكر شواهد هذا التصوير من القرآن الكريم . يقول الله تعالى في الآية السادسة من سورة فاطر : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . فقد أخبر الله جل جلاله هنا أن الشيطان لنا عدو مضل مبين ، وأن حزبه على فساد وإلى سوء معاد ، ووعظنا بأن نتخذة عدواً ، لأنه - كما علمنا - عدونا الذي لا عدو أعرق في العداوة منه ، واتخاذة عدواً يكون بخالفته في العقائد والأعمال ، لأنه يدعو حزبه - وهم شيعته ومتبعو خطواته - إلى ورود موارد الشقوة والهلاك ، وهل هناك أشقى من يفتنى إلى عذاب السعير المقيم ؟ .

وقريب من هذا قول الله تعالى في سورة المجادلة : « استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » . وقد نتعرض لهذه الآية فيما نستقبل من البحث . وهاتان الآيتان تشيران إلى الصنف الأول من أصناف الأحزاب في القرآن .

ولنتقل إلى الصنف الثاني منها . يقول الله تبارك وتعالى في الآية الخامسة من سورة غافر : « كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب » .

والأحزاب : هنا هم الذين تركوا طريق الرحمن وخالفوا الرسل ، وهم عاد وثمود ، وفرعون وغيرهم ، وقد وصف القرآن هؤلاء الأحزاب بأوصاف سيئة ، فهم طغوا وبغوا

على رسلم، وحاولوا ليتمكنوا منهم ويعذبوهم أو يقتلوهم، وهم قد جادلوا بطلين، وهم قد أرادوا بذلك محاربة الحق؛ فما كانت عاقبة هؤلاء الأحزاب؟... فأخذتهم فكيف كان عقاب، ١٩. ويقول الله سبحانه أيضا في الآيتين الثلاثين، والحادية والثلاثين من سورة غافر: «وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد». والأحزاب في الآية الأولى قد فسروا في الآية الثانية؛ وهم قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، من الذين كفروا وتمردوا وعصوا الرسل، فوصفهم سيء، والجزاء أليم، فشكل حزب منهم كان له يوم دمار، وقد فصل القرآن الكريم لنا ذلك في مواطن كثيرة.

ومما يدخل في هذا الصنف ما أشار إليه القرآن في قوله في الآية السابعة والثلاثين من سورة «مرجم»: «فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من عذاب عظيم». والآية وردت بعد قصة سيدنا عيسى عليه السلام، والمراد بالأحزاب هنا الذين تحزبوا على الأنبياء، لما قصوا عليهم قصة سيدنا عيسى اختلّفوا فيه من بين الناس، ولذلك أُنذِرهم بالويل في يوم شديد. ومثل ذلك الآيات التي وردت في سورة الزخرف وهي: «ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم، فاختلف الأحزاب من بينهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم». وفي الآية الحادية عشرة من سورة (ص) نجد القرآن يقول: «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب». وبعدها في الآية الثالثة عشر يقول: «وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب». والآية الأولى جاءت بعد آيات تصور جهالات الكفار على الرسول وعنادهم معه، فهي تقول على لسانهم: «ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق، أنزل عليه الذكر من بيننا... فرد الله عليهم قائلا: «بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب، أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب، أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليقرّوا في الأسباب، وهذا استنكار من الله لطريقتهم السيئة؛ ثم أرشد رسوله ألا يبالي بهم، ولا يكثرث بهم، ولا يهتم لعنادهم، فقال: «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب». ما هم إلا فئة من الكفار المتحزبين على رسل الله، وهم مهزومون مكسورون عما قريب، فلا تبال بما يقولون.

أحمد الشرباصي

مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت

«يتبع»

آراء وأحاديث

بدأ حضرة السيد الأديب البهائي صاحب التوقيع د. م. ع. ، يكتب سلسلة أحاديث تحت هذا العنوان ، فاستلهم بما يدل على نفوذ ودقة وحرص على الاختراع والجددة ، وهي ناحية خطيرة في الإصلاح العلمي لا يهدى إليها إلا الفحول ، ولا يوفق لها إلا كل كامل من أهل البحث . لأنها ناحية لو لم يكن فيها إلا تحرير الفكرة وفتح باب الاستقلال لسكنى بها يدأ طولى بيضاء على العلم .

ولقد نعى حضرة الكاتب على من خلف بعدهم من تركوا الإنتاج والابتكار والنقد ، ووقفوا عندما ترك الأولون فلم يزيدوا حرفاً ، ولم ينقدوا رأياً ، ولم ينتجوا قاعدة .

وعد ذلك العقم مرضاً خطيراً لا بد من علاجه . فإنما تتفاضل الأمم بالعقول ، وتمتاز بالإنتاج ، فكلما خصب العقل في أمة وكثر الإنتاج فيها انتفعت بركات الحياة وثمراتها ، وسارت في هذا الوجود على هدى .

إن جديراً بالآزهر أن تصلح مناهجه تمشياً مع دعوة التحرر ، وأن يحسن لطلابه التخير . ولو لم يكن في ذلك الإصلاح الذى أناشدهم الله أن يحقه إلا إصغاء إلى تلك القضية العادلة الحكيمة ، العلم أكثر من أن يحاط به ، نخذوا من كل شيء أحسنه ، لكان في ذلك ما يكفى لتحقيق إصلاح المناهج ، وتغيير الأوضاع فيما يدرسون .

إن عاراً على الأزهر أن يسبق في ميدان التجديد الصالح ، وهو السباق إلى المكارم . وإن التجديد الصالح هو أساس النشاط الفكري ، والمظهر المشرف للحياة العلمية العقلية الرشيدة ، وهو صورة من صور التقدم والثوب . فأما الجلود على التقليد ، فشئ نأباه النفوس السكرية وتهمجه العقول السليمة .

نجدير به أن ينشط لهذه الدعوة ويعيرها ما تستحق من تقدير ، فيجمع أهل الحل والعقد من رجاله للنظر في مناهجه ، ونبد ما لا يتفق مع حاجته كلياته ومعاييده . وجدير به أن يكون

لجاناً من المنفوقين للتأليف فيما يحتاج إلى تغيير في الأسلوب أو طريق البحث . ولقد تفتحت أذهان الطلاب مع حضرات أساتذته إلى هاته الناحية ، فأخذوا يبرمون ببعض المؤلفات ، ويشكون من عدم مناسبة أساليبها ولا لياقتها في هذه الأوقات ، وهو شيء يبشر بروح طيب كريم ، ويدعو ولاية الأمور لالتماس العلاج والاستطباب .

نشكر لحضرة السيد الباحث أنه جراً أقلامنا على تناول تلك الناحية ، ونرجو أن يدخل الأمر في حده العملي الجدى ، وألا يكون مجرد إرجاء للوقت في أقوال نظرية تخلو من تحقيق الغاية المثمرة وبالله التوفيق .

علوم البلاغة في الميزان

هذا أول عنوان عملي بدأ به الكاتب الكريم بحوثه ، وسأستميحه وحضرات القراء الكرام عذراً إذا جمع بي قلم قد سئحت له فرصة أن ينفث على هذا القرطاس أولاً خواج كانت مكتوبة وأفكاراً كانت محجورة ، لأن هذه الفاتحة الكريمة من حضرة الكاتب أنشطت عقلاً وحررت حبساً ، فالشيء يذكر الشيء ، وإن كان فضيلة الكاتب يعجب من الكاتبين في البلاغة في بعض مناهجهم في البحث فذلك عندي شيء يسير ، فما ضر البلاغة لو أنهم تعوجوا في تعليل لذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير على أن يستقيم اتجاههم العام وتحقق ثمرة الدراسة في الجملة لطالب البلاغة . البلاغة التي جعلوها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . والبلاغة التي وصفها الأولون بأنها : إصابة المعنى والقصد إلى الحجة ، . والتي وصفوا بها الفرزدق لأنه لقي الحسين بن علي في مسيره إلى العراق فسأله الحسين عن الناس فقال الفرزدق : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من السماء . والتي وصف بها شبيب بن شيبه لأنه يقول عند باب الرشيد وقد سئل عن الناس كيف رأيته فقال : رأيته الداخل راجياً ، والخارج راضياً . والتي يمثلون لها بقول على رضي الله عنه وقد قيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فلم يتلعم ، ولكنه قال : مسيرة يوم للشمس . قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مسيرة دعوة مستجابة . هذه البلاغة التي أعيان على الناس دركها ، وعز عليهم مطلبها ، حتى تكون هناك طبيعة صافية ، ونفس دراكه ، وتغلغل في مزاوله أساليب الافذاذ من الفصحاء والبلغاء في النثر والنظم ، وفقه ذلك وإدراكه ، ومحاولة محاكاةه . هذا الفن الجميل ، وهذا المعنى الجليل قد اشتراه أولئك القوم في دعواهم أنهم رجاله وأنهم تناولوه في كتبهم بالبحث والاخضاع لقواعد الأصول والمنطق ومصطلح

اليونان وأهل الفقه . وقد أفلسوا في كل مؤهل للبلاغة إلا هذه المصطلحات وبعض أصول تترامى أشباحا هزيلة ، لأنه لا غذاء لها ولا منبت صالحا يحفظها ، وإنما هي أشياء تكلم الشيخ عبد القاهر بما يشبهها ، ونقل عنه السكاكي بعضاً منها فأخضعه لضوابطه وتحقيقه ، والبلاغة شيء يأتي أن يخضع إلا للذوق أو ينال إلا في رائع النثر والنظم .

انظر كيف صرنا نضفي هذه الانقلاب على من حقق في دراسة السعد وشروحه ، وما حقق السيد في بعض تعليقاته ، وما كتب عبد الحكيم السيلاكوقي ، أو العصام ، أو السمرقندي أليس هذا أعجب العجب ، لأنه تحريف مناف للحق كل المنافا ؟

لقد صرنا نعدّ فهم هذه الاصطلاحات الوصفية والمباحكات اللفظية عملاً عظيماً نجز به العلماء لأنهم يستطيعون فهم معنى من عبارة معقدة ، ويرجعون الضمير ، ويبينون المشار إليه في جملة ، ويقدرّون مضافاً أو مضافين ، ويمجرون استعارة بالكناية على مذهب الخطيب والسكاكي والعصام والقوم .

ولقد كان أول من حمل لواء هذا الابتداع في الانحراف بالبلاغة عن كنهها ، ووضعها في غير موضعها ، ذلكم الرجل المتكلم الاصولي المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ ، ثم الخطيب القزويني من بعده ، فقد وجدا فيما يتدارس العلماء والمتكلمون شيئاً له اختصاص بمعرفة إعجاز القرآن الكريم يسمى البلاغة ظناً أنها على ذلك النحو الذي رسمه الشيخ عبد القاهر في كتبه دراسة توجيهية كان عمادها الذوق وفهم أساليب البلاء ممزوجاً بشيء مما هدى إليه من القواعد في سنن الخاصة من العرب والمتأدبين ، فشغلا بهذه القواعد ومباركتها والبحث فيها والزيادة عليها وضبطها . ثم ادعى السكاكي بذلك الاجتهاد والمذهب الخاص ، وأخذ يناقش التمداء في اصطلاحهم ويجادلهم في تقسيمهم ، ويرى أن الأقسام أحياناً قد تزيد على الحفظ وأن له طريقاً في تقليل الضبط ، وأن الربيع يطلق على الله سبحانه ، وأن المراد بعيشة راضية صاحبها ، وما إلى ذلك من نواحي الاقتصاد ليجعل للخطيب مجالاً في مناقشته ، ثم للسعد والسيد في تأييد الخطيب أو الدفاع عن السكاكي ، ثم ليترك الجميع عبارات يتنافس الاواخر في تحريرها وتفتيحها وتفسيرها كما يفسر الكتاب والسنة وكلام العرب ، لأنها أقوال رجال برزوا في المنطق والفصول ، وأئمة هم عندهم الفحول الفحول .

والفخر كل الفخر لمن خدم كلامهم وقدم للناس أقوالهم . وهكذا اتسع الخرق على الراقع واندست البلاغة تحت هاتيك البرقع ففسى الناس معالمها ، وجعل الدارسون أصولها

وحقائقها . لأن رجال العلم والمشفرون عليه يقولون إن هذه هي البلاغة . ورحم الله البلاغة . بدأ السكاكي والخطيب يحصران البلاغة في حظيرة هذه الأوراق التي كتبها ، أما السكاكي ففي مفتاحه الذي وضعه في العلوم العربية كلها لا في البلاغة وحدها ، وأما الخطيب ففي تلخيصه وإيضاحه . ولو وقف الأمر عند ذلك الحد لوجد طلاب العلم منفسحا من الزمن يسرون فيه مع الاستعداد الخصب على ضوء ما بقي من توجيهات ، إلى مذاكرة الأدب وخصائص لغة العرب ، حتى يتكون الذوق ويصح تصور الإعجاز ولو إلى حد ، وحتى تتكون ملكة الأداء ويقع التفريع بين الصحيح والتقسيم في صور الأداء ، ولكن شروح المفتاح وشروح التلخيص قد تعهدا بالبقية من الزمن والعمر مع البقية من الذوق والفهم فأضاعاها على طلاب العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم جاء الأزهر المعمور يحدد ما درس من كتبهم ، ويحيي معالم معارفهم ، وقد جاز ذلك يوم كانت مدرسة الألفاظ هي المدرسة القائمة ، ولم تكن بين أيديهم مدرسة البلاغة الأدبية في كتب أبي هلال وابن الأثير والنعماني وابن رشيق والجحى . أو كتب قدامة ومن على شاكلته من أهل التفلسف الذي لا يعطى معالم البلاغة ولا يحجبها بحجب جملة بين المصطلح الشريف وشرح ألفاظ المتن ثم ألفاظ الشروح ثم اختيار الحواشي وترجيح واحدة على أخرى ثم التقارير وما حوت من معارف في كل شيء عدا البلاغة .

فلئن شاء القارئ من غير رجال الأزهر ، أو أراد رجل الأزهر ، أن يحدد العهد بطرق بحثهم لإجمالاً في هذه المناسبة ليتصور كيف جنى هؤلاء ومن تبعهم من حيث لا يقصدون ولا يحسبون على بلاغة العرب ، ودراسة الرحيق المختوم من أساليب الأدب ، فليذكر بعض ما يجعلني به الخاطر الآن من مقدمات ووسائل في دراسة المسائل : فالبلاغة المقصودة بالدرس لها أصل هو الفصاحة ، كما حكم الإمام السكاكي .

فأما الشيخ عبد القاهر فهو يسوى بين الفصاحة والبلاغة في كتابه ، ثم هذه الفصاحة تكون في عدة أشياء : المفرد ... الخ ، ثم هي في المفرد خلوصه ، ثم تفسير الفصاحة بالخلوص لا يخلو عن تسامح ... ثم لماذا ؟ لأن أحدهما وجودي والآخر عدمي . ثم تخوض الحواشي والتقارير في معركة الوجودي والعدمي ، والفرق بينهما ، ويطول المقام جداً حتى يسهحون بنقلك إلى أصل البحث : ما المراد بالمفرد ، وهل يشمل المركب غير المفيد ، هل المركب غير المفيد داخل في الكلام . وكيف ولماذا . ثم ما التافر وهل هو ذوق ،

أهو كما يقول بعضهم يرجع إلى المخارج أو الصفات وكيف تكون «أعهد» في «الم أعهد» فصيحة . ما معنى الغرابة ، وما المراد بالمسرج ، وماذا قال المرزوقي في المسرج ، وهل «أزمان» في قول العجاج اسم امرأة . وهل الكراهة في السمع قسم مستقل يجب الاحتراس عنه لتحقيق الفصاحة ... ؛

ما اعراب مع فصاحتها وما الفساد الذي يترتب على بعض وجوه الاعراب ، ومن المنتصر في معركة الاعراب ، ما المثال الفذ ، للتعقيد المعنوي . هو بيت العباس بن الاحنف الذي ذكره عبد القاهر . ألم نجدوا في الادب غيره ، ولكن استغفر الله هل فرغوا من مناقشتهم في فهم العبارات ؟

وهكذا تسير في هذه المقدمة لتصوير البلاغة وحصر «واديها» بالعمليات الحسائية ، وولادة أبوابها بالطرق الطبية الفلسفية ، ثم وضع أسمائها وكتابتها على شهادات الميلاد حتى لا تضيع ولا تفنى ، وما يعترى ذلك من بحوث نفيسة قد يجود بها السعد في الشرح المطول لأنها من ذخائر المعارف ، وكنوز المصطلح الشريف . وكانت تدرس في عام طويل قبل النظام ، فإذا انتقلت إلى أول أبوابها «الإسناد الخبري» ، فما الإسناد ، وما محترزات القيود ، وهل الإسناد مرادف للحكم ، وما معاني الحكم الخ الخ . ثم ما المراد بالخبر ولماذا ، وما الفائدة ، وما المراد باللازم ، ولماذا كان لازماً . ويقول السكاكي إن الأولى بدون الثانية تمتنع ، ولكن الثانية بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المحمول المساواة ... وتسير طويلاً حتى تصل إلى أن الإسناد منه حقيقة عقلية وبجاز عقلي ، وما قيود كل وما محترزات وما صور كل منهما حتى لا يلتبس بالآخر ؟ ومعركة عبد القاهر والرازي في أن هل كل بجاز عقلي له حقيقة ؟ فيقول الرازي لا بد لكل فعل من فاعل ، فإن ظهر وإلا فهو الله سبحانه .

وهكذا حتى ينتهي باب الإسناد وهو أحد الأبواب الثمانية للبعاني وحدها وهو أقلاها ، وما خرجت منه فيما يسمونه البلاغة بأكثر من أضرب الخبر على مقتضى الظاهر أو خلاف مقتضى الظاهر ، ثم الحقيقة الفعلية والمجاز وقرينته .

فإذا صرت إلى الباب الثاني : أحوال المسند إليه ، فما المراد بالأحوال ؟ وهل الحال هو الأمر الداعي الذي تقدم التنويه به ؟ وما الداعي إلى تقديمه المسند إليه ، ولماذا عبر

في جانب المسند إليه بالحذف ، وفي جانب المسند بالترك . وهل صورت لك دراعى الحذف تصويراً يميز لكل واحد . وهل مثلوا كل داع على حدة فتجدد المعلومات ، أم لملك مخير في تصور النكات وهي لا تتراحم . والذكر لماذا ؟ لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول . وهل الأصل نكتة بلاغية . وما الفرق بين المعانى الأولية والمعانى الثانوية . ثم التعريف . . ولماذا يكون بالاضمار . . ولماذا يكون بالعلمية ، وما العلمية ، وهل القيود للاحتراز ؟ أم لعلها لتحقيق مقام العلمية فهو مقام خطير . . وهكذا تسير على ذلك المنوال من المسند إليه وتمر بهذه المباحث النفيسة وفيها سلب العموم عند المناطقة ، وهل يشمل سلب العموم عموم السلب ويصدق عليه ، وما مذهب ابن مالك في ذلك .

هكذا هكذا تسير ، فلا نخرج من هذه البلاغة بفنونها الثلاثة إلا وقد مرت بعدة بحوث في مختلف العلوم ولا سيما المنطق والمقولات (السكيف والالين والمنى الخ) .

وهل تستطيع أن تعلمه كذلك إلا وقد درت في كل فن من تلك الفنون وأخذت منه بطرف صالح . هذا إلى ما يحشون به ذهنه من ألفاظ (ثبوت النسبة واللايونها : الغير والالين) المعنى المصدرى والإسمى ، هل البسيطة والمركبة ، وجود الشيء ووجود الشيء للشيء وغير ذلك لا استقصيه الآن ، ولكى لعمر القارىء الكريم أكتب من الذاكرة لا من مرجع أمانى من طول ما زاولت هذه الكتب فضضحت على منها بالشيء الكثير .

وبعد فهل بعد هذا الغنا . والدرس كان يزاوها بليغاً ، وكانت له ملكة نقد في الظم والنثر ، أو مقدرة على كتابة أو خطابة أو شعر كما تعطيه عبارة (البلاغة العربية) ؟ لا والله إنها لتبعد عن البلاغة بما تضيق من وقت في غيرها ، وبما تحشو به الذهن من كلماتها وجملتها ومتى كان واحد من هؤلاء بليغاً يحسن التعبير عما في الضمير ؟ وهل فاقده الشيء يعطيه ؟ إن العمليات نفسها قد دلنا على الحقائق ، فهل آن لكم أيها الناس أن تدرسوا البلاغة الأدبية التي لا ترجع إلى الحكم العقلى ومصطلحاته ؟ هل تلتمسون ذلك في الأدب نثره ونظمه وفيما بين أيديكم من كتاب الله وسنة رسول الله ؟ وهل آن أن تتعلموا حكومة الذوق التي لا تخطئ ولا تحيد ، وهل آن أن تقرءوا إن شئتم التوجيه كتب العسكرية والآمدى والجمعى وابن الأثير الجرزى وابن رشيق القيروانى حتى تكونوا لأنفسكم نقداً وذوقاً ، ثم تكتبوا مثل ما يكتبون ؟ اللهم وفقنا ونصرنا الحق وأما المناقشة مع السيد الكريم صاحب التوقيع د . م . ع . جزاء الله خير الجزاء فإلى العدد المقبل إن شاء الله حتى تستمر هذه المساجلة النافعة

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

شرعت بلدية الكويت فى إنشاء طريق داخل مدينة الكويت وخارجها واستعانت فى ذلك بمهندسين رسموا الخرائط التى تتفق مع التقدم العمرانى . وقد اعترض أحد الشوارع المراد أنشاؤها خارج الكويت مسجد جديد لم يبنه واقفوه إلا بناء بدائياً وهذا المسجد يدخل جزء كبير منه فى الشارع لو مر على استقامته . ومما لا شك فيه أن الشارع المستقيم يسهل سير المارة والسيارات أكثر من الذى يتخلله انحراف واعواج . وفى إمكان البلدية إذا أزيل هذا الجزء من المسجد أن تصل باقيه بقطعة من الأرض أعظم مساحة من الجزء المزال وتسكفل بممارته على نظام أحسن مما هو عليه .

ولما كان الإقدام على مثل هذا العمل يتوقف على العلم بجوازه شرعاً — وعلمناؤنا يختلفون فى ذلك — فزجرو لإفادتنا .

وبهذه المناسبة نرجو أن تكون الفتيا عامة فيما نتخذه نحو جميع المساجد والمقابر التى تعترض الطريق المزمع لإنشاؤها مع العلم بأننا لا نهدف إلا المصلحة العامة المتفقة مع تقدم الكويت ، والتى تستوجب إنشاء وإصلاح الطرق على هيئة تسكفل الأمن والنظام .

مدير بلدية الكويت

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ونفید بأنه قد جاء فى الجزء الثالث من حاشية ابن عابدين على الدر المختار من كتب الحنفية أنه إذا كان الطريق ضيقاً والمسجد واسعاً لا يحتاج إلى بعضه جازت الزيادة فى الطريق من المسجد لأن كلا منهما للمصاحبة العامة ، وهذا هو المعتمد وعليه متون المذهب .

وجاء في كتب المالكية أن ما كان لله فلا بأس فيه أن يستهان ببعضه في بعض ، ومعنى هذا أنه يجوز توسيع الطريق من المسجد والمقبرة ، كما يجوز توسيع المسجد من الطريق والمقبرة وتوسيع المقبرة من الطريق والمسجد ، تراجع حاشية العدوى على الحرثى على متن خليل في باب الوقف .

وجاء في اختيارات ابن تيمية الخنبلي أن جمهور العلماء جوزوا تغيير صور الوقف للمصلحة ، وأنه إذا كانت هناك حاجة فإنه يجب إبدال الوقف بمثله ، أما من غير حاجة فإنه يجوز الإبدال بخير منه لظهور المصلحة ، ثم قال : ونقل صالح ، عن أحمد ، أنه ينقل المسجد لمنفعة الناس .

ومن هذه النصوص يتبين أنه متى كانت الحاجة ماسة إلى أخذ جزء من المسجد لتوسعة الطريق واستقامته تيسيراً على المارة والسيارات فإنه يجوز أن يؤخذ ذلك الجزء من المسجد للطريق العام .

وإذا كانت إدارة البلدية مع هذا قد التزمت في موضوع السؤال بتعويض المسجد بأكثر مما يؤخذ منه ، والتزمت أيضاً بإعادة بناء المسجد أحسن مما كان عليه فإنه يجوز بالأولى .

هذا - وكما يجوز ذلك في المسجد أخذاً من هذه النصوص - يجوز أن يؤخذ من المقابر ما يوسع به الطريق ولكن بعد أن يقل رفات الموتى إلى المكان الذي يجعل مقبرة ، كما نص على ذلك الفقهاء .

هذا هو الحكم الشرعي في هذه المسألة على المذاهب التي قدمنا نصوص فقهاها - وعلى ولاية الأمر أن يقدروا هذه المصلحة العامة الواضحة ويعملوا على وفقها بالظرر إلى المساجد والمقابر والطرق العامة .

وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

٢٢ يناير سنة ١٩٥٣

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

يوجد في سوريا أيتام وفتيات غرباء ، أصلهم من أبناء المملكة العربية السعودية ، وقد أمر الله البعض من محسنى المملكة بأن يهتموا بالامر الذى يكفل سعادة هؤلاء الأيتام الفقراء أبناء السبيل يبحث أن يبني لهم ملجأ فى دمشق يكون مأوى لجمع شمل الفتيات الغربيات اللواتى لا أزواج لهن ولا كاسب يعولهن ، وللأطفال الذكور أيضاً الذين لم يبلغوا سن الرشد ، فهل هناك مانع شرعى من دفع الزكاة الشرعية بهذا السبيل . نرجو الإفادة .

فهد بن مازن

مندوب الحكومة العربية السعودية لمقاطعة

إسرائيل بدمشق - بالسفارة السعودية

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن صرف الزكاة فى إنشاء الملاجىء والإنفاق فى مصالحتها جائز شرعاً ، لأن ذلك من الإنفاق فى سبيل الله ، الذى جملته الله تعالى مصرفاً من مصارف الزكاة فى قوله سبحانه : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . وذلك أن سبيل الله ، علم يتناول كل ما هو من وجوه الخير والبر ، وجاء فى كتاب بدائع الصنائع للسكاسانى فى فقه الحنفية (وأما قوله تعالى « وفى سبيل الله » فهو عبارة عن جميع القرب ، وقال الفخر الرازى فى تفسيره الكبير ، واعلم أن ظاهر اللفظ فى قوله « وفى سبيل الله » لا يوجب القصر على الغزاة ، فلهذا المعنى نقل الفقهاء فى تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله « وفى سبيل الله » علم فى السكلى (١ . هـ .

وظاهر أن ذكر تكفين الموتى وما عطف عليه إنما هو لمجرد التمثيل لبعض وجوه الخير التى تتناول هذا وغيره . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

٤ فبراير سنة ١٩٥٣

رئيس لجنة الفتوى

مَلَكَهْ تَقْلِي

- ٣ -

انتبهنا في مقالنا السابق ، إلى أن د جيلي أبا جريدة ، ترك بعد وفاته ، مملكة راسخة القواعد ، قوية البنیان ، وخلفه على عرش المملكة ، ابنه د سابو Sabo ، الذى نقل قاعدة ملكه من د الهوى ، إلى د تودم To'dim ، ومن القاعدة الجديدة ، واصل د سابو ، نشر الإسلام ، وتوسيع ملكه ، وسار على سياسته من بعده ، ولده ، د جيلي مُحمّارة ، و د جيلي أبو شَهِيرَا ، وكذا حفيده د جيلي عوان الله ، ، وقد اعتلى كل منهم العرش على التوالي ، ودفنوا جميعاً ، فى حوش د الهوى ، حيث ترقد رفات د جيلي أبو جريدة ، ويمكن اليوم مشاهدة أطلال مقارهم ، ومقابر من يلوذ بهم من الأقرباء والوزراء .

ونحن نعرف القليل عن الحياة الشخصية لهؤلاء الملوك الأوائل ، غير أننا نعرف الكثير عن اتساع المملكة فى عهدهم ، وتقلّى - مثل روما - لم تشيد فى يوم واحد ، ولقد نما نفوذ هؤلاء الملوك ، أول الأمر بطيئاً ، ثم لم يلبث أن أصبح لهم السطان المطاق فيما بعد ، وسر نجاحهم كامن ، فى احتضانهم الدعوة ، إلى الإسلام ، وكانت أهداف هؤلاء الملوك مزدوجة ، فهم يريدون نشر العقيدة الإسلامية من جهة ، وهم إذ يفعلون ذلك ، فأما يمكنون لنفوذهم الشخصى من جهة أخرى ، واستطاعوا أن يظلموا بسلطانهم تقلّى ، وما جاورها من التلال ، وساروا فى نفس الدرب الذى سلكه د جيلي أبو جريدة ، من تشجيع الهجرة إلى بلادهم ، وعن طريق ذلك ، احتكوا بالعالم الخارجى ، وجذبوا إلى تقلّى كثيراً من رجال الدين والتجار والمغاسرين من كل نوع ، وكانت أيام هؤلاء الملوك ، باختصار ، عصر هجرة عربية إلى السودان ، وعصر عزة ونخى لهؤلاء العرب .

ولقد وفد على تقلّى ، بعض مبعوثى ملوك الفنج ، من رجال الدين ، للتعريف بالإسلام وكان من بين هؤلاء د حسن واد حسونة ، و د ناج الدين البحارى ، ، وزار كلاهما تقلّى فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان هدفهما من هذه السياحة مزدوجاً : المتعة الروحية بنشر الإسلام فى هذه الأوكار الوثنية ، والحصول على الكسب المادى بالمتاجرة فى هذه الاصقاع .

وكان من عادة ملوك تغلي ، إذا قدمهم أحد هؤلاء الدعاة الإسلاميين ، أن يعينوا له منطقة وثنية ، لتكون ميداناً لنشاطه التبشيري ، وذلك في مقابل بعض الفوائد المادية ، التي يحصل عليها من السكان دون إكراه ، وكثير من رجال الدين هؤلاء ، ومن التجار ، كانوا يقررون الاستيطان في تغلي ، وكانوا يمنحون الملك بعض المال ، باختيارهم ، في نظير حمايته لهم .

وبهذه الوسائل ، استطاع ملوك تغلي ، نشر العقيدة الإسلامية في ديارهم ، كما استطاعوا بذلك أيضاً توطيد أركان مملكتهم : لانهم أخذوا حماة العقيدة الجديدة ، وأخذوا يضمون للملكهم ، الجبال تباعاً ، وتزواج المهاجرون الجدد ، مع أهل البلاد الأصليين ، ولا زالت الذراري الناتجة عن هذه المصاهرات ، موجودة في كل الجبال الشمالية الشرقية ، في هيئة قبائل وعشائر ، ومنهم الآن ، مشايخ القرى ، في تلك الجهات .

وقبل مضي وقت طويل ، قويت مملكة تغلي باديء ذي بدء ، بهذه الوسائل السلبية لدرجة مكنت الملوكة ، فيما بعد ، من توسيع نطاق مملكتهم ، بالقوة الحربية ، وبالرغم من أن مملكة تغلي ، قد أصبحت بغير حاجة ، إلى مهاجرين جدد ، إلا أن سيل الهجرة لم يتوقف ، ومن هؤلاء المهاجرين ، تكون الجنس الخليط الذي يقطن تغلي اليوم .

ولم يكند ينتصف القرن السابع عشر ، حتى كان لملوك تغلي ، السيطرة التامة ، على كل الجبال الشمالية الشرقية ، ولما كان هؤلاء الملوك على علاقة حسنة بملوك سنار ، فانهم استطاعوا ، أن يضووا تحت لوائهم المهاجرين من الفُنج ، وكان من هؤلاء مكوك رشاد ، و د ناجوى ، و د قدير ، ، ويمكن أن نرجع نجاح هؤلاء الملوك في سياهم إلى عدة اعتبارات : منها أنهم أظفوا الأرض بظلال القانون والنظام ، وهى عناصر لم تكن موجودة من قبلهم ، ومنها طرقتهم فى الاستعمار ، ومنها شجاعتهم الشخصية ، ومنها - وهو أهم هذه الاعتبارات جميعاً - أنهم جاموا معهم بالإسلام ، واستطاعوا بكل ذلك ، أن يجعلوا لبيتهم مركزاً محترماً مرموقاً ، بين مواطنيهم ، وظل العرش وراثياً فى ذريتهم ، مدة أربع مائة عام ، وقليل من البيوت الحاكمة ، من نهيات له أسباب العزة والمنعة ، كذلك البيت الذى استطاع بوسائله أن يوجد مجتمعاً متحداً سعيداً .

وخلف د جيلى عوان الله ، ابنه د جيلى أبوقرون ، الذى حكم من عام ١٦٤٠ إلى عام

١٦٦٥ م . ومعلوماتنا عن هذا الملك قليلة . ولقد تزوج من « أجيم شيلا ، ابنة الملك « الرباط ابن بادی ، ملك سنار . وقد أحضرت هذه الأميرة معها كثيراً من الانباع ، أحلتهم في حوش « بالولا ، التي انسجبت إليها عقب وفاة زوجها . ومعظم التفتيح في تقلى من هذه الحاشية وسلالتها ^(١) . وكان هذا الزواج الملكي سبباً في تقوية أواصر الصداقة بين سنار وتقلي ، غير أن هذه الصداقة ، ما لبثت أن انفصمت عراها ، عندما هاجم « بادی الثاني أبو ذقن ، مملكة تقلي في عهد « أبي قرون » .

وكان لأبي قرون هذا ، ولدان ، من هذه الأميرة السنارية ، وكلاهما قد اعتلى العرش . وعاشت الأميرة عمراً طويلاً ، ولعبت دوراً هاماً ، في تاريخ مملكة تقلي ، سنعرض له فيما بعد .

وفي منتصف القرن السابع عشر ، ازداد سلطان ملوك تقلي ، وأصبحوا حكاماً طغاة ، فأخذوا يجبون الضرائب من يمر بمملكتهم ، وكل مسافر لا يتفق معهم على هذه الضريبة يكون معرضاً لنقمته . وقد عرّض « جيلي أبو قرون ، بسياسته الخرقاء ، نفسه وبملكته للخطر ، عندما عامل صديقاً لملك سنار معاملة سيئة ، وزاد على ذلك ، أنه تحدى علناً ملك سنار ، معتقداً أن في جباله المنعة والعصمة . وقبل ملك سنار التحدي ، وسار هو ورجاله صوب جبال النوبة ، فوصلوها ، وذبحوا كثيرين من أهلها ، وأسروا كثيرين ، ثم تقدموا حتى وصلوا تقلي لخاصروها ، وكان الملك « أبو قرون ، قد حصنها ضدهم ، غير أنه عامل المحاصرين معاملة كريمة ، مما دفع ملك سنار ، إلى فك الحصار . واتفق الطرفان على جزية سنوية ، تؤديها تقلي إلى سنار . وبذلك أصبحت تقلي تابعة أو خاضعة لسنار ، ولم تعد كما كانت دولة مستقلة ذات سيادة . وساد الوئام بين المملكتين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، على اعتبار أن ملوك سنار سادة لملوك تقلي .

وتوفي الملك « جيلي أبو قرون ، ودفن في « كيريا ، وخلفه على العرش ابنه الأكبر « محمد ، الذي بنى قلعة في « تاسي » واستقر هو وخلفاؤه في هذه القلعة مدى قرنين من الزمان . وخلف « محمد ، أخوه « عمر أبو زنتير ، وهو أول ملوك تقلي ، الذين يذكرون ، فتذكر معهم الصفات السيئة . فالظلم والقسوة والطغيان ، كانت السمات العامة لعهد ،

(١) مثل عائلة « اريد ، ومنها عمدة « بالولا ،

لذا كرهته رعيته . وقد كانت أمه تخشاه ولا تثق به ، فعملت على إقصائه عن العرش ، واستخلاصه لحفيدها د اسماعيل ، ابن ولدها د محمد . ويقال لها أعدت طبقاً من الطعام ، ودست له فيه سمّاً ، وقدمته له . ولما اكتشف د عمر ، السم ، طار صوابه ، وذبح ثلاثين من عبيده ، ظناً منه ، بأنهم هم الذين دسوا له ذاك السم .

وأنارت هذه المذبحة نيران الثورة عليه ، فى تقلى كلها . وطرده هو وأتباعه عنوة واقتداراً ، ونصب لإسماعيل بدله ، ملسكا على تقلى . ودارت حروب بين لإسماعيل وعمر ، كان عمر الخاسر فيها . وذهب إلى سنار يفشد معونتها ، عملاً بنصيحة أمه التى كتبت سراً إلى قريبها ملك الفيج ، تطلب منه فيه حجز عمر ومنعه من العودة إلى تقلى ، بل وقتله إذا أمكن .

ولما وصل د عمر ، وأتباعه إلى سنار ، استقبلهم الملك د بادى الأحمر ، ملك الفنج استقبالا كريماً ، وكان الملك آنذاك مشغولاً بشورة إحدى القبائل فى الجهات النائية من مملكته فرغب إلى د عمر ، أن يذهب للقضاء على هذه الثورة ، مؤملاً الخلاص منه فى هذه الثورة ، ورضخ د عمر ، لذلك ، مع إدراكه قلة الفرصة فى النجاح ، ولكنه استطاع أن يخضع الثوار وعاد ظافراً إلى سنار ، فأغدى عليه الملك الهدايا ، ووعد - غير صادق - بمساعدته على استعادة عرشه المسلوب ، وترك د عمر ، سنار بناء على هذا الوعد ، وعول الملك على إغراقه فى مياه النيل الأبيض عند عبوره ، وقد كان ، وأغرق بحارة د بادى الأحمر ، القوارب ، فذهب د عمر ، وأتباعه إلى قاع أليم ، ما عدا اثنين من أتباعه ، نجوا من الغرق ، وبما شطر تقلى يقصان مأساة د عمر .

والى مقال قادم ، نعرض فيه بإذن الله حلقة جديدة من حافات هذا البحث ؟

هدى المنعم محمد الشيخ

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

قضية فلسطين

فيصل ألمانيا الغربية بمبادئها في اتفاقية التعويضات لإسرائيل

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر

قال مندوب ، الأهرام ، الخاص :

أتيج لي أن أقضى بعض الوقت مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الحضر حسين ، شيخ الجامع الأزهر ، وهو رجل أحبه وأثره المودة والتقدير ، لما جبل عليه من صفات الرجل المؤمن ، وكان على غير عادته ، إذ كان يبدو غضبان أسفا . وقد أعرب حقا عن ألمه البالغ حين تحدث إلى في مسألة لإسرائيل والتعويضات التي رأت ألمانيا الغربية أن تمدّها بها . قال الشيخ الأكبر في عنف وغضب :

لو أن المؤرخين أرادوا أن يؤرخوا أسوأ مثل لأقبح حادث أسى به إلى الإنسانية ومبادئها في القرن العشرين ، لما وجدوا أبغ من تاريخ هذا الحادث المروع الذي تألّبت فيه بعض دول الغرب وعاونت على إخراج أهل فلسطين الشرعيين من بيوتهم وبساتينهم وحقوقهم ومتاجرهم ومصانعهم ، ليحلوا محلهم فيها أقواما من اليهود الغرباء الذين كانوا أشتاتا في مختلف أقطار الشرق والغرب ، من بلاد روسيا إلى أقصى أودية اليمن وجبالها .

هذا الحادث الإنساني الأليم الذي كان من نتائجه أن العنصر اليهودي المتعرب الذي كان تعداده في فلسطين سنة ١٩١٤ أقل من عشر السكان الشرعيين ، فما زال يتزايد هذا العدد شيئا فشيئا بالخشود التي كانت تضم لإيهم من المهاجرين غير الشرعيين ، الذين حملتهم الحركة الصهيونية بمعاونة المحتلين على مزاحمة أهل البلاد الحقيقيين في مساكنهم ، وضيقوا عليهم الخناق في ممتلكاتهم ومعايشهم وحريتهم ، حتى لقد أصبحوا الآن أصحاب الدولة في البلاد ، بينما أضحي أصحاب البلاد مشردين فيها تحت كل نجم : يعانون آلام البرد والزمهرير شتاء ، ولهب القيظ صيفا ، حتى صاروا في حالة من الضنك والهوان والبؤس والشقاء توجب الإشفاق والرحمة ، من قلوب تشعر من معاني الرحمة بما لا تشعر به قلوب كبار ساسة الغرب .

إن إسرائيل الباغية على أهل فلسطين لا تزال في حالة حرب مع مصر والدول العربية والأمم الإسلامية ، بسبب تلك الجريمة التاريخية ، وكان ينبغي على الحكومات المحايدة ، وفيها ألمانيا الغربية ، أن تلتزم الحياد التام بين العرب وإسرائيل ، فلا تدين إحداهما على الأخرى ، ولا تبسط يد واحدة لتغل يد الأخرى ، ولكن بما يؤسف له كثيرا أن ألمانيا الغربية قد أدخلت بهذا الحياد الذي كان واجبا عليها أن تلزم نفسها به ، فجاءت تمثل فصلا جديدا في هذه الرواية المخجلة للضمير الإنساني ، إذ تقدمت بمبلغ ٨٣٠ مليوناً من الدولارات تعهدت بأن تسلمه إلى حكومة إسرائيل ، أفساطا مقسطة ، بعضها مال وبعضها عتاد من منتجات مصانعها ، بدعوى تعويض اليهود - الذين قيل إن هتلر قد طردهم من بلاده - عن الخسائر التي تسكبدها ، مع أن هؤلاء اليهود الذين طردوا من ألمانيا كانوا رعايا ألمانين .

والقوانين الدولية لا تلزم أية حكومة بدفع تعويضات من غير طريق القضاء ، في الدعاوى التي تقام من أشخاص كانوا من رعايا تلك الدولة . وفضلا عن ذلك فإن إسرائيل التي يراد دفع هذه التعويضات إليها ليست هي التي تستحقها ، وكان الوضع السليم يقضى على ألمانيا بدلا من أن تدفع هذه التعويضات ، أن تفتح أبوابها ليعود إليها كل يهودي يثبت أنه أخرج من ملك كان له في ألمانيا ، وأن يعود إلى فلسطين كذلك كل عربي يثبت أنه أخرج من ملك كان له في فلسطين ، أما العدول من ذلك إلى أن تعطى ألمانيا الغربية مئآت الملايين من الدولارات لإسرائيل ، وهي في حالة حرب مع مصر والدول العربية والعالم الإسلامي ، فإن ذلك يعد من ألمانيا الغربية إخلالا بقواعد الحياد ، ويصورها في صورة الضالع مع أحد الطرفين المشتبكين في حرب ضروس بجمال ، وتعهده الدول العربية تهديدا لها ، وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر ، بينما هي تعيش الآن على الصدقة والاستجداء ، وسيكون هذا العمل من ألمانيا الغربية سابقة تستعين بها إسرائيل على أخذ تعويضات أخرى من بلاد يزعمون أن بني جلدتهم اضطهدوا فيها أيضا ، ومنها النمسا وألمانيا الشرقية وهنغاريا ورومانيا وبولندا . الخ . . .

ويجب أن تعلم ألمانيا الغربية أن مساعدتها هذه لإسرائيل ، ستخل بالتوازن الحالي في الشرق الأدنى ، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان جديد على البلاد العربية ، بينما الذين يدعون أنهم الأوصياء على السلام العام واقفون يتفرجون على هذه المهزلة التي لم يسبق لها نظير في العالم .

إن إسرائيل ليست ورثة لحقوق اليهود المزعوم أنهم تضرروا من حكومة هتلر ، لذلك لا يجوز أن تعتبر طرفا في تسوية مع ألمانيا الغربية ، على حقوق يهود لم يكونوا يومئذ من رعايا إسرائيل ، بل لم تكن حكومة إسرائيل هذه موجودة في الدنيا يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود .

وحكومة إسرائيل هذه لا تعترف بحق التعويض في القانون الدولي ، ولو كانت تعترف بهذا الحق الموهوم بالنسبة لليهود الألمان الذين كانوا قبل وجودها ، لكار ينبغي لها أن تعترف بالحق الأبلج المسائل أمام أعينها وأعين رجال حضارة القرن العشرين للاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم وبساتينهم وحقولهم ومتاجرهم ومصانعهم ، وقررت الأمم المتحدة التعويض لهم ، فهزأت إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة ، وألقت بها في سفلت المهملات .

إن يهود ألمانيا الموجودين الآن في فلسطين وتزعم إسرائيل أنها تتقاضى التعويضات من ألمانيا الغربية باسمهم ، قد هاجر معظمهم إلى فلسطين قبل اضطهاد هتلر لليهود وقسم كبير منهم جاء إلى فلسطين بعد انقضاء حكم النازي في ألمانيا ، وقد جاءوا إلى فلسطين في الحالتين عند ما كانت فلسطين آهلة بأصحابها الشرعيين من العرب ، فكان مجيئهم الاختياري إلى فلسطين اضطهادا منهم للعرب وبغياً عليهم واغتصاباً لوطنهم ، حتى بلغ عدد العرب الفلسطينيين الذين شردوا من وطنهم الشرعى تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون نسمة نساء ورجالا ، أطفالا وشيوخا ، فانتزعت منهم ديارهم في غير شفقة ولا رحمة ، ولأول مرة في التاريخ يشرد سكان متوطنون في بقعة ما ، ليحل محلهم أناس غيرهم يزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى .

إن النازي غير موجودين اليوم ، فأعيدوا المشردين الألمان إلى وطنهم في ألمانيا ، وأعيدوا المشردين من عرب فلسطين إلى وطنهم فلسطين ، وإلا فإن دعوى الإنسانية والحق في بلاد الغرب المتقدمة تكون من أكبر الأكاذيب التي سيسجلها التاريخ لتحجل منها الأجيال الآتية مادام للإنسانية ومبادئها أنصار صادقون في العالم .

الخَوْبَاءُ

اختر بين هذين الأمرين

هذا نمط جديد استحدث في كلام الكتاب . وفي صحيفة المصري الصادرة في ١٩٥٢/٦/٢٣
 « على أن يكون للسودانيين حق الاختيار بين الوحدة أو الانفصال في استفتاء حر خال من
 كل شائبة » . وقول الكاتب : « أو الانفصال ، الصواب في هذا الموطن أن يقال :
 « والانفصال ، بالواو لا بأو ؛ فإن لفظ « بين » لا يضاف إلا إلى متعدد ، وأولاحد الشيئين
 أو الأشياء ؛ كما هو واضح مستبين .

واستعمال « بين » مع الاختيار ، غير معروف . وإنما يقال : اختر أحد الأمرين ،
 أو اختر من الأمرين ما تشاء ، أو اختر الأمرين ما تشاء على حذف « من » ؛ وذلك على حد
 ما جاء في قوله تعالى : «^(١) واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » والاصل : اختار من
 قومه ... ، وكما قال الشاعر :

إخترتلك الناس إذ رئت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل
 وقال الفرزدق :

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع
 وإنما تأتي « بين » مع صيغة التخيير ، تقول : خيرته بين الأمرين ، وكان ذلك لأن
 التخيير يتضمن الترديد ؛ فإذا قلت : خيرتك بين أمرين فكأنما قلت : أرددك وأميلك بين
 الأمرين . فأما الاختيار فجزم بالاختار واقتصار عليه ، فلا موطن فيه للفظ « بين » . وفي
 المصباح : « خيرته بين الشيئين : فوضت إليه الاختيار ، فاختر أحدهما ، وتخير » . وقد
 يقال : أنت بين أمرين فاختر أحدهما ، أو اختر بحذف المفعول ؛ كما قال الأعشى :
 فقال : ثكل وغدر أنت بيدهما فاختر وما فيهما حظ لختار

إني مقدر لك جهدك وإخلاصك للعلم

يكثر هذا الأسلوب في معرض عرفان الفضل وتعظيم صاحبه وتبجيله . وفي كلمة وزير المعارف عند افتتاح المجمع اللغوي يخاطب أعضاء المجمع ^(١) : تشرفت بحضور هذا الاجتماع وإني أتهنئ هذه الفرصة لاحتياكم وأرحب بكم ، وأهشكم بثقة حضرة صاحب الجلالة الملك وبتقدير الحكومة المصرية لفضلكم ومكانتكم ، .

وقد فرط من قوم الإنكار على هذا الأسلوب ، وأوجبوا الأخذ من الثلاثي (قدر) فيقال : إني قادر لك جهدك وفضل سعيك . وذلك ليكون وفق قوله تعالى ^(٢) : وما قدروا الله حق قدره ، ولأن الثلاثي في هذا المعنى هو الوارد في المعاجم التي بين أيدينا .

فقد جاء في القاموس في سرد معاني القدر ، التعظيم ، وزاد التاج : « وبه فسر قوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره ، والقدر مصدر الثلاثي ، كما هو معروف . وفي اللسان : « وقوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق تعظيمه . وقال الليث : ما وصفوه حق صفته . وجاء في اللسان في موطن آخر ما يومهم ورود قدر — بالتشديد في معنى التعظيم . وذلك حيث يقول : « وقوله : وما قدروا الله حق قدره خفيف ولو ثقل كان صواباً ، فقد يسبق إلى الهم أنه يريد التخفيف والتثقيل في الفعل ، وإذن فقد ورد قدر ، وهذا بعيد عن مراد صاحب اللسان ، وإنما يريد التخفيف والتثقيل في المصدر في قوله « حق قدره ، ويعنى بالتخفيف تسكين الدال ، وبالتثقيل فتحها . وذلك لأن الحركة — أيا كان نوعها — أثقل من السكون . ويدل لذلك قوله عقب هذا : « وقوله : ^(٣) إنا كل شيء خلقناه بقدر مثقل ، ولا معدل عن أن يراد بالتثقيل هنا التثقيل في القدر .

على أن البحث قد هدى إلى أن التقدير في معنى التعظيم عربي صحيح لا مجال لإنكاره . وليبيان ذلك يحسن الرجوع إلى المعنى الأصلي لمادة (قدر) الذي تفرع عنه التعظيم . ذلك لأن هذه المادة لا تفيد في أصلها هذا المعنى ؛ كما هو ظاهر فأصل هذا أن يقال : قدر الشيء إذا حرزه ليعرف مبلغه ويقول أبو حيان : « أهل ^(٤) القدر معرفة الكمية . يقال : قدر الشيء إذا حرزه وسبره وأراد أن يعلم مقداره ، وظاهر هذا أن يأتي فيما لا يقع تحت

(١) أنظر مجلة المجمع ، صدر الجزء الاول .

(٢) آية ٩١ سورة الانعام ٦٧ سورة الزمر . (٣) آية ٤٩ سورة القمر

(٤) انظر أفعال ابن القوطية ٢٣١ ، ومستدرك التاج في المادة فقلعن تهذيب الأفعال لابن القطاع

(٥) انظر البحر ٤٣٩/٧ .

الحس ويناله الحزر والسبر . وهو يأتي فيما لا يقع تحت الحس من المقول بالقياس على المحس . تقول : قدرت فلاناً وفضله ، أى عرفت مبلغ أمره ومقداره فى فضله أو عله . ويستوى فى هذا بحسب أصله أن يعلم منه الكمال فى ذلك أو النقص والتقصير ، ولكنه تعورف فى معرفة الكمال وكثر إيراد فى مقام المدح والتعظيم ، وصار هذا كما يقال : عرفت قدر فلان ، فى معرض التنويه به والإعلاء من شأنه .

وفى كتابة الشهاب على تفسير البيضاوى فى آية الأنعام ، وقد فسر البيضاوى الآية فى الأنعام بمعنى : ما عرفوا الله حق معرفته ، والآية فى سورة الزمر بمعنى : ما عظموا الله حق تعظيمه : فسر هنا بما عرفوه حق معرفته ، وفى الزمر بما قدروا عظمتهم فى أنفسهم حق تعظيمه لأنه فى الأصل معرفة المقدار بالسبر ، ثم استعمل فى معرفة الشيء على أتم الوجوه حتى صار حقيقة فيه ، كما قالوا : رحم الله من عرف قدره - أى نفسه وحقيقته - ومعرفة الله لما لم تكن إلا بصفاته فسر فى كل محل بما يليق به .

ويرى بعضهم أنه مأخوذ من القدر ، وهو شرف الإنسان ومكانته ، ألا تراهم يقولون : فلان قدر ، وفلان لا قدر له بين قومه . فعنى قدرت فلاناً : عرفت قدره وفضله .

وأعود بعد هذا إلى صيغة والتقدير ، فهل جاءت فى معنى حزر الشيء وسبره وتعرف مبلغه ؟ إنها إذا جاءت لذلك ساغ أن تسمى للتعظيم بالأتساع والاستجازة ، كما جاء ذلك فى « القدر » . والجواب على هذا السؤال بالإيجاب ، كما يقولون . فقد قال أبو جعفر النحاس : « معنى ^(١) قدرت الشيء ، وقدرته : عرفت مقداره ، وأيضاً فقد جاء فى معانى التقدير - على ما فى اللسان - التفكير فى تسوية أمر . وسبر الشيء يرجع إلى هذا ، ومنه قوله تعالى فى سورة المدثر : « إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، أى قدر فى نفسه قوله وعرف مبالغه .

فإن أراد القارىء استظهاراً على ما ذكرت من تسوية التقدير فى معنى التعظيم فذلك له ، وحكمه مستط ، ذلك أنه قرئ فى الآية : « وما فدروا الله حق قدره ، بتشديد الدال فى الفعل ، قرأ ذلك عيسى بن عمر الثقفى والحسن البصرى ، وهما منهما فى بحرى الفصيح والمعنى فى الآية التعظيم . ويقول أبو حيان فى البحر فى تفسير آية الزمر : « وما قدروا الله حق قدره أى ما عرفوا الله حق معرفته ، وما قدروه فى أنفسهم حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وساواوا بينه وبين الحجر والخشب فى العبادة ، وقرأ الأعشى : حق قدره ، بفتح الدال ، وقرأ الحسن

وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة : وما قدرُوا - بتشديد الدال - الله حق قدره - بفتح الدال - أى ما عظموه حقيقة تعظيمه ، وفى الكشف : « وقرئ بالتشديد على معنى : ما عظموه كنه تعظيمه ، وفى البيضاوى : « ما قدرُوا عظمتهم فى أنفسهم حق تعظيمه ، حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به ، وقرئ بالتشديد » .

البندار — تاجر الجملة

تاجر الجملة فى هذا العصر يراد به التاجر الكبير الذى يأخذ منه السلع تجار دونه فيبيعون . وهو يجمع مقادير كثيرة من السلع ويكون كثير المال الذى يقبله فى التجارة . وقد وقفت على كلمة تؤدى هذا المعنى ، وهو البندار . والبندار كلمة فارسية ، ومن معانيها فى الفارسية الثرى والمحتكر . وقد دخلت هذه الكلمة العربية ، وتصرفت العرب فيها فأدخلوا عليها أل ، وجمعوها على البنادرة . وفى اللسان : « البنادرة دخیل وهم التجار الذين يلزمون المعادن . وفى الثوارد : رجل بندرى ومبندر ، ومبندر ، وهو الكثير المال » . ونرى فى التاج الص الآتى : « وفى كتاب ابن الصلاح فى معرفة الحديث : البندار : من يكون مكثراً من شئ يشتره منه من هو دونه ثم يبيعه ، وهذا يثبت ما رأيت من أن البندار معناه تاجر الجملة ، كما يثبت وجود هذا الضرب من التجار فى المدنية الإسلامية فى عصورها الغابرة .

هذا الرجل يقتنى الطيور غواية فيها

يستعمل الناس مادة (غوى) فى معنى الهوى والميل فهم يقولون فلان غاو للدوسبق ، أى يميل إليها بطبعه ، وينزع بشوقه إليها . وقد أنكر على هذا الاستعمال ، وأوجب الباحثون أن يستعمل فى مكانها الهوى وما اشتق منه ، وأحب هنا أن أدون نصاً وجدته فى آخر ديوان ابن قزمان الاندلسى صاحب الزجل والمبرز فيه وفى النسخة أنه : طالعه أضعف عباد الله وأقوام طمعاً فى رحمته أحمد بن محمد الهراس ، لطف الله به وسامحه سنة ٦٨٣ ، وهذا النص هو : « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبى بكر القطان بصفد المحروسة ، استحساما له وغواية فيه ، فنراه استعمل الغواية فى معنى الميل ، كما هى فى الاستعمال الشائع الآن ، وهذه النسخة مطبوعة . بالفروتستات عن صورة نسخة مخطوطة ، وقد تم طبعها فى برلين

سنة ١٨٩٦ .

محمد على النجار

الاستاذ بكلية اللغة

وَحْمَةُ اللَّهِ

سَبِيلُهَا إِلَى النَّصْرِ

حين يفكر الإنسان في حال هذه الأمة ، وما تفتش بينها من أدواء مهلكة وأمراض قاتلة ، لا يلبث أن تملكه الحسرة وتغالبه الدمة ويحس في أعماقه بالألم الدفين والهم اللاذع ، فنحن أتباع دين كريم يدعو إلى القوة البانية المشيدة ، ويوصي أصحابه بالعزة ، ويحذرهم من الضعف والاستكانة والذلة . والله تعالى يقول : « والله العزة ولسوله وللؤمنين » ، ورسولنا صلوات الله عليه يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . والتاريخ الصادق الأمين حافل بروائع المثل التي ضربها أسلافنا العظام حين تجردوا من مطامع الدنيا وطهروا أنفسهم من رجسها ولم تلهم طيبات الحياة ومفاتيح العيش عن الجهاد في الله والفناء في سبيله فعزوا وفازوا ، وكانوا قادة الدنيا وسادة العالم .

ومن العجب أننا نطالع في أسفار التاريخ هذه المثل ، ونؤمن بها ونعتز بما تحوى من صور البطولة والعظمة ، ولكننا لا نحاول أن نأخذ أنفسنا بهذا السلوك ، ولا أن نحمّلها على التحلى بما كانوا عليه من فضائل . ولذلك ضعف شأننا وهان أمرنا ، وتمزقت وحدتنا وتحللت قوتنا وحل بيننا الخصام محل الوثام والتدابير مكان التآلف ، وأصبحت لقمة سائغة لا تغص بها الخلق ، وغنيمة سهلة لا تكلف النهازين المستغلين عناء ولا مشقة .

لماذا لا نلتمس الدواء من ماضينا ؟ ولماذا لا نصلح آخر هذه الأمة بما صلح به حال أولها ؟

إن عبر الحياة وأحداثها ناطقة بأن العباد الذي تقوم عليه الدول وتحيا به الشعوب عزيزة الجانب منيعة السلطان نافذة الكلمة ، هو الوحدة : وحدة الجود ، وحدة المشاعر ، وحدة القلوب وحدة الأهداف والغايات . كما أن التفكك والانحلال واضمحلال الشخصية وفناء المقومات وضياع النفوذ وانهايار السلطان لا يتسرب إليها إلا من قبيل الفرقة والتنازع ، ومن هنا حرص الإسلام أشد الحرص على تأكيد الوفاق في نفوس الناس ، وأندر المتنازعين بالغسل وذهاب الرج .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، . . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، .
 « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، .

فإذا اتحدت الأمة وتآلفت فيها القلوب وتآخمت النفوس ، وعاشت متماسكة مترابطة كالبيضان المخصوص يشد بعضه بعضاً ، استطاعت في سهولة ويسر أن تعمل وأن تنتج وأن تخيف العدو الطامع وترهب الخصم المساور ، وتسير في موكب الحياة شاحخة سعيدة لا يشغلها توزع النفوس بالخصومات الفاجرة ولا اشتغال القلوب بالاحقاد الثائرة . ولا نزوع الناس إلى الانتقام الغادر .

إذا اتحدت الأمة صفت النفوس من المواجهد والاضغان ، وطهرت القلوب من الحسد والتباغض ، وشعر كل فرد بأنه عضو في هذا الجسد القوي يجب أن يصونه ويحافظ على سلامته .

ولقد ضرب الرسول الأكرم صلوات الله المثل الرائع في هذا المعنى ليقترن به كل من يريد أن ينجح في دعوته ويوفق في رسالته ، فإنه حين جهر بالدعوة وصدع بأمر ربه لم يغفل المعنى الذي تقوم به الجماعات وينجح به الدعاة . لم يغفل الرابطة التي يجب أن تقوى بين المجاهدين وتتوحد بين العاملين . بل ألف بين قلوب لم تكن تعرف الألفة ، وآخى بين نفوس طالما تمرت على الإخاء ، وربط بالحب بين أفئدة أنكرت الحب حقبا متطاولة من الزمان ، وجعل المسلم يؤمن حقيقة أنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ويجب له ما يجب لنفسه .

ولما دخل المدينة قضى على كل ما كان يتسمر فيها من فتنة ، وبغش بين قبائلها من عداوات مدمرة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وجعل المتخاصمين المتدابرين من الأوس والخزرج جسماً واحداً وقلباً واحداً وكتلة واحدة يظلمها الحب ويكتنفها الإخاء . فلم يتدر أن يطمع فيهم عدو ولا أن يمشى بين صفوفهم دخيل ، ولم يستطع غريب أن ينقض عليهم دعوتهم أو يكيد لهم في صفوفهم . وحذرهم أشد التحذير من أن يصيخوا إلى دعاة الفرقة ، وأبواق الشتات الذين يبيغون فيهم الفتنة . « يا أيها الذين آمنوا إن طغيوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، .

أليست بين أيدينا هذه العظات البالغة هادية لامة ؟ ألسنا نعتز بأننا سلالة هذه الصفوة التي عرفت ربها فنصرها ، وأعزت دينها فأعزها ، وقامت بحقه فأمدتها بالعون والنصر والتأييد . ؟ بلى ولكنتا استسلمنا لما يتردد في نفوسنا من شهوات طاغية ، وخضعنا لما

يستبد بنا من أهواء متبعة ودنيا مؤثرة وأطماع خلافة ورغبات متقدمة في اللذة والاستمتاع ، استسلمنا للشياطين المضلة التي توسوس في صدورنا بالنفرك وتصدع الشمل ، وتدعونا إلى السكيد والختل والتباغض والتحاسد . ومن العجب أننا نقف بعد ذلك متباكين متصايحين . تمر بنا صور الحياة فلا نأخذ منها العبرة ، وتطوف أحداث الوجود فلا نتنبه إلا على القوارع المدوية والصيحات المجلجلة ، فإذا استيقنا من الغاشية واستيقظنا من السبات العميق وجدنا الركب قد سار ونحن خلف القافلة ، ووجدنا الدنيا كلها مشغولة بالكفاح والعمل ، ونحن ما زلنا ننفض عن عيوننا غبار النوم والسكسل .

يجب أن نشق هذه الصدور وأن نغسلها من إدران الضغن والموجدة ، يجب أن نظهرها من الاطماع التي ألحت عليها فأظلمتها ودنست أرجاءها وجوانبها . يجب أن نعودها الطهر والمحبة فقد لعبت من طول ما كرهت ، وشقيت من كثرة ما عانت من البغض والخصام . لقد جرب الناس الخلاف والشقاق فلم يحصلوا إلا على الضنى والمذاب والشقاء المقيم ، وجربوا العكوف على الشهوات والإقبال على اللذات والحرص على المطامع والغايات ، وجربوا الإثم والعصيان والبعد عن الله والاقبال على الدنيا . أفأآن لهم أن يجربوا الطاعة الخالصة والاخوة الطاهرة والحب في الله ؟ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون .

إن العدو لا يأتي المسلمين من قلة عدد ، إنما يهدم بناءهم ويمزق وحدتهم ويفرق جمعهم ويشقت صفوفهم بتباذهم واختلافهم ، وتفرقهم في الأهواء والمشارب ، وتوزعهم في الأغراض والمطامع . فما أحوج المسلمين في هذه الفترة العصيبة إلى أن يوحدوا صفوفهم ويربطوا بين قلوبهم برباط الإخاء والحب حتى يخرجوا من هذه المعركة الحامية فائزين منتصرين .

عبد الحميد محمود المسلموت
المدرس في كلية اللغة العربية

تطهير الأداة الحكوميّة

في تاريخ الإسلام

— ٣ —

العدل في الحكم :

يقول الله عز وجل : « إن الله يأمر بالعدل ، ، ويأمر سبحانه وتعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ، وفي الحديث الشريف : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » .

ولقد كان (الخليفة) يفتح قلبه للشاكرين من عماله ، وهو ما يعرف اليوم بالشكوى بالطريق الإداري .

أخرج الطبري في التاريخ ^(١) عن أبي فراس قال : خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولست أريد أن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي ، فوالذي نفس عمر بيده لا أقصه منه . فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرايتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأذّب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ؟ قال : إني والذي نفس عمر بيده ، إذن لا أقصه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنهم ، ولا تمنعهم حقوقهم فتسكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

واقعد اعترم عمر رضي الله عنه رحلة يحجوس فيها خلال ديار الإسلام بنفسه ليتفقد أحوالهم ويتسمع شكواهم ، فقال : « لئن عشت إن شاء الله لاسيرن في الرعية حولا ، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي ، وأما هم فلا يصلون إلي . فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا ، ^(٢) .

(٢) الطبري ج ٥ ص ١٨ .

(١) ج ٥ (طبعة الحسينية) ص ١٩ - ٢٠ .

ولقد كان الفقه الدستوري القديم في الغرب يرتضى من العدل صورة سلبية تسكن في منع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد، ولكن الفقه الدستوري الآن لا يتنعم إلا باتجاه إيجابي يلزم الحاكم فيه أن يهيئ الظروف للفرد كي يمارس حقوقه . فنصت وثيقة حقوق الإنسان الاخيرة الصادرة عن هيئة الامم المتحدة ، مثلاً ، على ما لم تتضمنه سابقتها وليدة الثورة الفرنسية ، ففي المواد ٢١ : ٢٤ نصّ على حق كل فرد في أن يجد عملاً بشروط عادلة وأجر مجزٍ ، وفي حمايته من البطالة ، وفي تكوين نقابات ، كما نص على حقه في الغذاء والسكن والعلاج الطبي والتمتع بمستوى اجتماعي يضمن له ولاسرتة الراحة في الحياة ، والضمان ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة .

والإسلام قد قرر هذا العدل الاجتماعي ووجهه إلى هذه النزعة الإيجابية قبل أربعة عشر قرناً . روى أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة عن الرسول ﷺ : ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة . اقموا إن شئتم قول الله : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فأيمما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه ، - رواية البخاري . ولقد جاء في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يطلب إليه أن ينظر في أمره لأنه خال من وسائل الكسب ولا شيء عنده يستعين به على القوت . فدعا الرسول ﷺ بدعوى يد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيها ، ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان عينه له ليعمل لكسب قوته ، وطلب إليه أن يعود بعد أيام ليخبره بحاله ، فعاد الرجل يذكر حسن حاله ويشكر رسول الله عليه الصلاة والسلام . وفي هذا أبلغ دلالة على التزام الدولة التزاماً إيجابياً بكفالة الحقوق الاجتماعية . ولقد نذب الغزالي في الإحياء ، ولى الامر أن يزود العامل بآلة العمل ، فلتنجار آلة النجارين ، والحداد مثل ذلك وهكذا ^(١) .

وكتب خالد بعد فتح العراق : أيمما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام . .

(١) في هذا تفصيل في كتاب [الاسلام : لا شيوعية ولا رأسمالية] للاستاذ الهبي الخولي صفحة ٧٠

ومرة ثانية نقول : هكذا كان يحكم المسلمون دولتهم ، ويرعون رعيتهم ولو كانوا على غير دينهم !!!

وحين تلقى عمر شكاية يهودى طاعن فى السن يسأل الناس لىنى بالجزية والحاجة فى شيخوخته ، لم يرفض عمر الشكوى ، شكلاً ، لأنها خارجة عن الاختصاص ، فلم تكثف دولة الإسلام قط بالاتجاه السلبى الذى يقنع بحماية الحقوق من العدوان ، دون العمل على تهئية السبيل للتمتع بهذه الحقوق . ولذلك بادر عمر بالفرض للشيخ الذى من بيت مال المسلمين قائلاً : « ما أنصفناك . أكلنا شبيبته وتركناك عن الشيخوخة ، !! ووضع عنه الجزية (١) . وعمر أيضاً هو الذى راعى أن يكون الأجر مجزياً ، حين رفض أن يقيم الحد على خادم يجمعه من يعمل عندهم .

ولقد عرف تاريخ الإسلام « القضاء الإدارى » حيث يشكو الرعية من سوء استعمال السلطة .

فقد كانت هناك محكمة علياً هى (محكمة المظالم) ، وكانت تستأنف أمامهم الأحكام القضائية الصادرة من قضاة أول درجة ، كما كان يطعن فى القرارات الإدارية سواء بسواء ، وينقل إلينا أبو الحسن الماوردى اختصاصات هذا النوع من القضاء :

١ — النظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد والجماعات على الولاية إذا انحرفوا عن طريق العدل والإنصاف ، وعمال الخراج إذا اشتطوا فى جمع الضرائب ، وكتاب الدواوين إذا حادوا عن إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة .

٢ — النظر فى تظلم المرتزقة - أى موظفى الدولة - إذا نقصت أرزاقهم ، أو تأخر ميعاد دفعها لهم .

٣ — تنفيذ ما يعجز القاضى والمحاسب عن تنفيذه من الأحكام .

٤ — مراعات إقامة العبادات ، كاللحج والاعياد والجمع والجهات (٢) .

وهكذا جعلت السلطات الإدارية تحت رقابة المحاكم ، وجعلت العبادات من مهام الدولة العامة التى تسأل عنها قضائياً أمام أعلى قضاء ، ذلك أن دولة الإسلام دولة ربانية

(١) الخراج لأبى يوسف

(٢) الأحكام السلطانية ص ٧٢ - ٨١

الفطرة السليمة عند ديكارت

يرى ديكارت أن الفطرة السليمة مملكة قادرة على تمييز الحق من الباطل وعلى الانتهاء إلى الحق ، فهي — بعد — لم تحجب فيها بذور المعرفة بالأخطاء . فن يرد تقرير شيء محقق في العلوم يجب أن يبدأ من جديد ، فيطرح جانباً كل ما علق بذهنه من معارف ، ويشك في جميع مناهج العلوم وأساسياتها ، مثله في ذلك مثل البناء يزيل الانقاض ، ويحفر الأرض ، حتى يصل إلى الصخر الذي يقيم عليه بناءه . وأساسنا هنا ، هو الفطرة السليمة مجردة وخالصة من كل شائبة . والفطرة السليمة ، واحدة في جميع الناس ، مقسمة بينهم بالتساوي ، وعتوية على بذور المعرفة ، وليست صفحة بيضاء كما تصور المدرسيون . فهي تملك بالقوة — منذ البداية — ما سيكون — بعد — في الفكر بالفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الفطرة السليمة واحدة في كل الناس ، فما هو السبب في اختلاف آرائنا ، وتشعب وجهات نظرنا ؟ إن السبب ، جد بسيط : إن الاختلاف ينشأ من توجيه الأفكار إلى وجهات مختلفة ، وعدم اتحاد نظرات كل منا إلى الأشياء . فليس يكفي

عبادية ، تقوم على رسالة لها شعائرها ودعائمها التي تميز شخصيتها . هذه الرسالة هي أن عبادة الناس لله ، التي قامت عليها الأديان المنزلة ، هي القاعدة الرشيدة التي بها تتصلح أحوال البشر في سياستهم واجتماعياتهم واقتصادياتهم ، فإن الروح في ظل دين الله تطمئن بعبادة ربها ، والناس حين يرجون الله واليوم الآخر تمحى من مقاييسهم الفردية ، و « النفعية » و « الإباحية » ، ويفقدون مرتبطين بشرع الله ، وهو رحمة للعالمين أجمعين . فكيف لا تكون العبادات بهذه المنزلة في أنظمة الدولة ، وهذه هي منزلتها في فكرتها ورسالتها ؟ .



بهذا كانت الحكومة الإسلامية طاهرة في جهازها لأمانة أفرادها ، مطهرة في إدارتها لسلامة أوضاعها : عدالة في الأحكام ، وعدل في النظام ، الذين إن مسكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، و « عاقبة الأمور » .

محمد فقي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

إذن أن يكون للبره فطرة سليمة بل أن يحسن استخدامها . والتسرع في الأحكام ، سبب آخر من أسباب اختلاف الآراء .

فالفطرة السليمة صادقة بطبيعتها ، وجودها معلوم قبل أى وجود ، وكذا علمها أوضح من علم أى وجود ، فهو قائم على البدهة ويهديننا إليه النور الفطرى ، ذلك النور الذى تحجبه آثار المجتمع والاختطأ الكشيرة التى تكدست أمامه . فالعلم إذن هو ما اشتملت عليه النفس وما عدا ذلك يعد وهماً خادعاً . وإذا نحن استمعنا إلى صوت الطبيعة فينا تبين لنا الصواب من الخطأ ، وفعلنا ما فعله « أودكس » ، ذلك الرجل ذو الفهم العادى الذى لم تفسد أحكامه بالاعتقادات الباطلة ، والذى لا تزال فطرته السليمة على حال نقائها الطبيعى .

وما دامت الفطرة السليمة واحدة فى كل الناس ، وأن السبب فى اختلاف مراتب اليقين بين العلوم هو اختلاف المناهج التى يسلكها الباحثون ، أيقن ديكارت أنه لو اتبع كل باحث المنهج الرياضى لبلغت نتائج العلوم حالة مستقرة ثابتة ، واتفق اختلاف العلماء ومجادلاتهم . وأساس المنهج الرياضى هو الاستنباط ، وتسبقه عملية أخرى هى الحدس ، الذى به يستطيع كل إنسان أن يرى بالبدهة أنه موجود وأنه يفكر ، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط ، وما إلى ذلك من الحقائق الماثلة .

ويضع ديكارت أربع قواعد لتدبير العقل هى : اليقين ، والتحليل ، والتأليف ، والإحصاء التام . أما اليقين فهو « ألا يقبل المرء شيئاً على أنه حق ، ما لم يعرف يقيناً أنه كذلك ، فينبغى أن يتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر ؛ وألا يدخل فى أحكامه إلا ما يتمثل أمام عقله فى وضوح ، بحيث لا يكون لديه أى مجال لوضعه موضع الشك » . فالتهور ، إذن ، أحد مصادر الخطأ عند ديكارت ، وهو عبارة عن الجزم بحكم قبل تبين وجه اليقين فيه ، وتصديق النتائج قبل تحقيق المقدمات .

وأما التحليل فهو أن « ينبغى للبره أن يجرى كل مشكلة يريد حلها إلى أكثر ما يمكن من الاجزاء لئلا تسنى له حلها على أحسن وجه مرضى » ، فعليه أن يرجع إلى الحقائق الفطرية على حال تفاوتها الأولى وبساطتها ، فهى « كامنة كمن النار فى الحجر الصوان » .

والتأليف هو أن « يسير المرء أفكاره بنظام بادئاً بأبسط الامور وأسهلها معرفة ، ثم يتدرج قليلاً قليلاً حتى يصل إلى حقيقة أكثر تركيباً ، ويفرض — أحياناً — ترتيباً بين الامور التى لا يسبق بعضها البعض الآخر بالطبع » .

أما الإحصاء التام فهو : « أن يعمل المرء في كل الأحوال لإحصاءات كاملة ومراجعات شاملة ليكون على ثقة من أنه لم يغفل شيئاً » . والغرض من هذه القاعدة واضح الفائدة فيها بكل العلم ، وذلك بالمرور — بمحركة فكرية متصلة — على كل الموضوعات التي تتصل به ، والإحاطة بها في إحصاء كاف منهجي .

وهذه القواعد الديكارتية التي وضعت لتدبير العقل تضيف صاحبها إلى طائفة الفلاسفة الاسمين ، الذين ظهروا في القرن الرابع عشر ، واعتبروا التجربة أساساً للمعرفة ، فكانوا بذلك أول الخارجين على فلسفة أرسطو . فالمعاني السككية — في نظره — أسماء جوفاء ، ويجب الاستماعة عنها بتلك الطبائع البسيطة وعن منطق أرسطو بمناهج الرياضيين .

يلزم من ذلك أن ليس هناك حقائق منطقية ضرورية ولا أحكام مطلقة ، ويكون لدينا سبب آخر للشك في العقل شكاً حقيقياً لا منهجياً . ويستبعد ديكارت بالفعل الحكم الارسطي مثل أسناد محمول إلى موضوع أو وصف شيء بشيء ، ويستعيض عنه بمعنى آخر هو « أن الحكم اعتقاد الإرادة بوجود خارجي لموضوع فكرة ما ، فليس في العقل سوى الطبائع البسيطة يضم بعضها إلى بعض أو يفصل بعضها من بعض وليس في العلم سوى « قوانين » . فالإرادة هي أساس المعرفة عند ديكارت ، ولا يقع الخطأ على الحقيقة ذاتها بل يأتي من الحكم عليها . ويشبه أبو الفللفة الحديثة في هذا أفلاطون والايقوريين في مثلهم المشهور وهو أنه إذا رأى إنسان الشمس في حجم التفاحة فليس هذا خطأ بل الخطأ هو الحكم بأنها كذلك ، أي أن الخطأ يأتي من تدخل الإرادة . . . ينتج من هذا أن الأحكام عند ديكارت تتكون من عنصرين : ملكة الذهن التي ترى الصورة الذهنية وتبينها ، وملكة الإرادة التي توافق أو ترفض هذه الصورة الذهنية ... فالذهن المحدود قد يرى الصور الذهنية على غير حقيقتها ، وتسرع الإرادة في الحكم بأنها كذلك قبل التأمل في الحقيقة هو الذي يقعنا في الخطأ .

وهناك موضوع آخر يعرض للذهن حين يكتب المرء عن الفطرة السليمة ، هذا الموضوع هو النفس . فالطبيعة الإنسانية مؤلفة من نفس وجسم وهما جوهران متضادان بل متمايزان فالنفس روح بسيط مفكر . والجسم امتداد قابل للقسمة ، وقد يشك الإنسان في وجود جسمه والأجسام جميعاً دون أن يتأثر بذلك الشك وجود فكره ونفسه ، ولم يسبق ديكارت أحد في هذا البرهان من الفلاسفة اليونانيين الذين قالوا بتمايز النفس عن البدن ، وإن سبقه الفيلسوف الإسلامي ابن سينا في كتابه الإشارات حين قال : « ولو توهمت ذاتك قد خلقت

أول خلقها صحيحة العقل، والهيئة وفرض أنها على الجملة من الوضع والهيئة بحيث لا تبصر أجزاءها ولا تلبس أعضائها بل هي منفردة ومعلقة لحظة ما في هواه طلق، وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت لنهايتها، ويرجع أن يكون ديكارت قد اطلع على ترجمة الإشارات اللاتينية .

ولكن، كيف يفسر قوله باتحاد النفس والجسم اتحاداً جوهرياً، مع ما ذكرناه قبلاً من تمييز النفس والجسم إلى حد التضاد ؟... الواقع أنه يدعى هنا مكرهاً بشهادة الوجدان، وأن مذهبه ثنائى لا يطبق الوحدة بحال، فهو في مواضع كثيرة يتكلم عن النفس والجسم كأن النفس حالة في الجسم مجرد حلول، وهو يعين لها مكاناً ممتازاً هو الغدة الصنوبرية، حيث تقوم بوظائفها، فكلاً أرادت شيئاً حركت الغدة المتحدة بها الحركة المطلوبة، لإحداث الفعل المتعلق بتلك الإرادة، أما الجسم فيؤثر في النفس بأن يبلغ إليها الحركات الواقعة عليه والحادثة فيه فتترجمها هي ألواناً وأصواتاً وروائح وطعوماً ورغبات وآلاماً، هكذا رتب الله الأمور لخير الإنسان وحفظ كيانه .

يلجأ ديكارت إذن إلى الله، ليتوج به مذهبه إذ لا يلوح أن باستطاعة العقل الإنسانى أن يتصور بجلاء وفي نفس الوقت تمايز النفس والجسم واتحادهما، إذ أن ذلك يقتضى تصورهما شيئاً واحداً وشيئين، وهذا تناقض، وهذا تناقض، .

يظهر مما تقدم، أن ديكارت قد حرر العقل من سلطان الوجود، وأعلن أن الفكر يكفي نفسه ولا يخضع لشيء سواه، فالعقل في ذاته هو القانون الأكبر والواحد لا يسلم بشيء إلا أن يعلم أنه حق، أى إلا أن يعقله هو ويركبه بأفكار واضحة جلية هي في الواقع أفسكار سهلة، فإن استعصى عليه شيء أنكره .

وديكارت بذلك قد قلب الوضع الطبيعى الذى يجعل العقل الإنسانى تابعاً للوجود، واحتاجاً إلى التعلم، وأقام الفردية على أساس فلسفى، وكانت من قبل أقرب إلى التردد منها إلى الحق، تلك الفردية التى تجعل الشخص يظن نفسه أهلاً للحكم على الأشياء، كأن ليس هناك عقول غير عقله، ويجعل من نفسه أيضاً مركزاً تدور حوله الأسرة والمجتمع، فتورث بذلك الفوضى العقلية والاجتماعية .

نظم الحكم في الشرق

نظم الحكم القائمة الآن في الشرق الإسلامى نظم تجافى طبع الشرق الروحى ، ولا تتفق مع مقررات الإسلام في الحكم والقيادة الخيرة الرشيدة ، هى نظم تلقفها المخدوعون من بنى الشرق المسلم عن الغربيين ليحكموا بها بلاد المسلمين ، وغاب عن هؤلاء المخدوعين أن الغربيين عند ما يهرتهم مبادئ الإسلام في الحكم ، تعلقوا بها واستمدوا منها كل ما يقوم مجتمعهم المنحل في السياسة والاجتماع والاقتصاد ؛ هذه المبادئ التى تضع الامة في المحل الارفع ، وتضع في قبضتها كل مقدرات الحكم ، إذ هى تعين حكامها عن رضى واختيار ، من ذرى الكفاية والإيمان والصلاحية ، ولها ، بل عليها أن تراقب تصرفات الحكام ، ولها حق إمضائها أو تعديلها أو إلغائها ، ولها أن تقوم الحاكم إذا اعوج ، وتسدده بالنصح إن أخطأ ، وتحمله على الجادة إن مال أو جنح ، ولها عزله إذا لم يرهو لناصح ، ولج في عتوه وفجوره ، واتصلت حلقات ظله ، فإن أبى الاستقامة على المحجة والعدالة ورفض أن يعتزل ، هولته بقوة السلاح ونصب الحرب له ، ما دامت ترى ذلك في مصلحتها .

ولا غرو ، فالحكم في الإسلام خدمة عامة ، لا سيادة على العامة ، والحاكم مجرد وكيل عن الامة في القيام بقيادتها وتدريب مصالحها ، ومباشرة كل سلطاتها التى لا تستطيع الامة أن تقوم بها مجتمعة ، وبالضرورة ليس للوكيل سيادة على الموكل ، ولا من حقه الاقتيات عليه ، واغتصاب حقه ، أو استعباده واستغلاله ، ضرورة أنه خادم رفيع الشأن له أجر خدمته ، وبالجملة فقد وضع الإسلام أنظمة الامة فوق رأس الحاكم ، وسلطها عليه ، وكلفها بمراقبته وقرر مسئوليتها عن كل تصرفاته (١) .

وجد الغربيون ذلك وأكثر منه في الإسلام ، فأدركوا سر قوته ، وسر قوة المسلمين الذين يتبعون شرعيته بإحسان ، وآمنوا بأن نهضتهم ، وإصلاح مجتمعهم ، مقرونان بالعمل بهذه المبادئ القوية القويمة .

(١) راجع بحوثنا [الفقه السياسى للإسلام] في أعداد السنتين الماضيتين من هذه المجلة .

ولكن ليس دن المستساخ عند أوروبا المسيحية المتعصبة ، أن تنقل إليها مبادئ الإسلام على أنها مبادئ الإسلام ، وإلا كان ذلك كفراً ، أو إلحاداً على الأقل ، في نظر رجال الكنيسة والعامة الذين يتأثرون بهم ، ولم يقف ذلك في وجه المفكرين من رجال العلم السياسى والدستورى ، الذين وجدوا منقذاً لهم في نظرية التعاقد الإغريقية التى تقرر أن الحبكم فى الاصل تعاقد بين الحاكم والمحكومين - على وجه ما من أوجه التعاقد - ؛ وهنا دسوا مبادئ الإسلام القوية ، فى نظريات التعاقد ، بل هم فى الواقع خلقوا بها نظريات تعاقدية جديدة ويظهر ذلك بوضوح فى فلسفات السياسيين المتحررين الذين دعوا إلى هدم الملكية القائمة فى بلادهم كنظام للحكم ثبت فساد وظلمه ، وخلق له المشاكل بين المحكومين ، وتفريق وحدتهم يجعلهم طبقات يتمايز بعضها على بعض بالألقاب والاحساب ، ويجعل الشرف وراثياً ، لا يدخل لعمل الشخص وسلوكه فى تحصيله ؛ ونخص بالذكر من هؤلاء الفلاسفة المتحررين « روسو » الفرنسى صاحب كتاب « العقد الاجتماعى » ، الذى قرر : أن الامة هى مصدر السلطات ، وهى سيدة الحاكم الذى يستمد منها قوته وعزته وسلطانه ؛ ثم يقرر فى نفس الكتاب : أن محمداً قد أقام نظاماً سياسياً بارعاً لحكم دولته ، وقد كان ذلك سر قوة خلفائه الذين اتبعوه فى حكم المسلمين ما داموا ملتزمين لنظامه . . ولو علم أولئك المخدوعون أن مبادئ « روسو » التى حطمت عرش البربون ، مبادئ قاصرة بالنسبة لمبادئ الإسلام الحقيقية فى الحكم على الأقل لأن « روسو » يعتبر أن أفراد الامة قد تنازلوا عن شئ من حرياتهم وحقوقهم ليجعلوا من مجموع هذه « التنازلات » سلطة ممتازة للحاكم . بينما الإسلام لم يعترف بشئ من هذا التنازل إطلاقاً ، إذ التعاقد فيه قائم على أساس الوكالة ، فالحاكم وكيل خاضع لسلطان الاصيل ، وسيادة الموكل على وكيله ثابتة ، والحاكم خادم للامة لا سيد عليها ، وشرط دوام حكمه ، أن يتوجه به إلى صالح المحكومين ؛ فإن جعل نفسه سيداً ، أو وجه الحكم لصالحه وصالح خواصه ، فسد الحكم ، وزالت عنه صفة الوكالة ، أو أزيلت عنه . وفى هذا يقول عمر رضى الله عنه : « مثلى وإياكم كمثل والى اليتيم منه ومن ماله . . » وواضح أن والى اليتيم لا سيادة له عليه ، ولا ماله ، وإنما هو راع وموجه للخير ، وناصح أمين ، يأخذ أجر رعايته وتنميته للبال إن كان فقيراً ، وعمر أيضاً هو القائل : « إن من استرعاه الله على المسلمين فقد وجب عليه ما يجب على العبد لسيد » الخ

أقول : لو علم الخدوعون بالغرب من رجالنا ما في مبادئ الإسلام من قوة وجمال وحيطة لصالح الشعوب ، لسعوا إلى الإسلام وينابيعه الصافية الطاهرة قبل أن يذهبوا إلى الاستجداء من موائد الغربيين وهي من فتات موائد الإسلام ! ولكنه الجهل بالإسلام ، وحب تقليد أهل المدنية ..

وإن من أهم ما يشترطه الإسلام لصلاحية الحكم قيام الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، وتحقيق التجاوب العاطفي بينهما ، وتبادل الشعور بمسئولية كل منهما عن الآخر ، فإذا لم يكن هناك توافق وانسجام بين الحاكم والمحكومين ، وإذا لم يتحقق التجاوب العاطفي بينهما ، وإذا فقد الطرفان الشعور بالاشتراك في المسئولية عن الصالح العام للدولة ، فسد الحكم وتوزعت الميول ، وتعددت الأهداف ، فيستبد الحاكم بالحكم ، ويحقد المحكوم على الحاكم ومن هنا تقوم الثورات نتيجة لفساد الحكم وضياح الغاية منه ، وهي تحقيق الصالح العام للدين والدولة ؛ ولهذا أوجب الإسلام التضامن الجماعي بين كل فرد وفرد وبين كل فرد والجماعة ، وحمل كلاهما من مسئولية الحكم مثل ما يحتمله الآخر . وفي ذلك جاء قول الرسول الكريم صلوات الله عليه : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ، ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويفغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، وقوله : « من ولي من أمور المسلمين شيئاً لم يحطهم بنصحه ، كما يحوط أهل بيته ، فليتبوا مقعده من النار » .

ولتحقيق الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، يجب أن يكون الحاكم واحداً من الشعب الذي يراد حكمه ، غير غريب عنه ، لأن ابن الشعب أعرف بتقاليده ، وأدرى بمصالحه ، وهو أعطف عليه من الغريب ، وهو أرحم به منه ، لأن الغريب لا يهتم من الشعب إلا أن يحكمه ، ويسعده ، ويستغل كل إمكانياته ؛ ثم إن همة الغريب عن الشعب تنجبه حتماً إلى تدهيم حكمه ، وتثيت مركزه . واصطناع الأعوان والأنصار ، ولا يتأتى له ذلك إلا بتفرقة وحدة الشعب ، وضرب بعض المحكومين ببعض ، وغالباً ما يضحي بمصلحة الدولة والصالح العام في سبيل الوصول إلى غايته هذه ؛ وكثيراً ما يعتمد الرشوة وشراء الذمم ، فتنفسد الأخلاق تبعاً لفساد الحكم ، ولا يهتم الحاكم الغريب كل هذا ما دام يسيطر على الجميع .

وللى هذا المبدأ الجميل يرشد القرآن الكريم عن طريق الإيحاء ، فالقرآن يتحدث عن

أولى الأمر فيقول : «... أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» ، «ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم» . ولما كان الحاكم محدوداً من أولى الأمر في نظر العلماء ، وجب أن يكون من المحكومين ، وهذه إشارة قوية لها دلالتها ، ولقد كان المسلمون الأولون يتركون حكم الأقاليم لأهلها ، ويكتفون بالإشراف العام ، ومراعاة تنفيذ أحكام الإسلام .

ولدينا إشارة إرشادية تعليمية ، فيما قصه الله علينا من أنباء الرسل عليهم السلام «وإلى عاد أخاهم هوداً» ، «وإلى ثمود أخاهم صالحاً» ، «وإلى مدين أخاهم شعيباً» ، «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين» . هذه سنة الله في إرسال الرسل . وهم الهداة المعصومون ، المرهون بعناية الله ، وتأيد الوحي . وقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يختار الرسل من أبناء الشعوب الذين يرسلم إليهم ، لأنهم أعرف بأحوالها ، وأدخل من غيرهم على عواطفها ، والرسل قادة ربانيون ، ونماذج يبعثهم الله للاقتداء بهم وجرياً على هذه السنة الربانية في اختيار الرسل يجب أن يكون حكام كل شعب من الشعب نفسه ، لأن ذلك أدنى إلى تحقيق المصلحة ، وأوقع في نفوس المحكومين ، وهو طريق تحقيق الانسجام والتفاعل الوجداني بين الشعب وحاكمه .

وكذلك يجب أن يكون الحاكم مؤمناً بما تؤمن به أغلبية المحكومين ، ليتوحد الهدف ، وتماثل الميول ، وتتجه في اتجاه واحد ، وعندئذ يمكن التعاون بين طرفي الحكم في سبيل تحقيق صوالح المجموعة كلها ؛ وتوفير أكبر قسط من السعادة للمحكومين وهو هدف الحكم .

فإذا كان الحاكم غير مؤمن بما تؤمن به الأغلبية ، كأن يأتي مثلاً من صفوف الأقلية أياً كان لونها ؛ أو كان مؤمناً بما لا تؤمن به الأغلبية ، فإن حكمه لا بد أن يكون قائماً على التجبر والقمع وكتب الحريات ، وإشاعة المظالم ، مضيقاً لحقوق الشعب ، اعتماداً على بطش السيوف ، وضغط الحديد والنار ، وزحمة الجيوش .

ومثل هذا النوع من الحكم الذي ينعدم فيه الانسجام والتعاطف بين الحاكم والمحكومين حكم فاسد لا يقره الإسلام بأى حال من الأحوال ؛ إذ الحكم في الإسلام - كما قررنا من قبل - خدمة عامة ، تهدف إلى تحقيق أكبر قسط من السعادة للمحكومين ؛ وطريقه الحق

والعدل ، وهو يعتمد على الإيمان العميق بمقدسات واحدة ، يلتزم ما تفرضه الحاكم والمحكوم على السواء ؛ ثم هو يستند إلى التقاء القلوب على حب الخير للجميع ، وقوة التعاطف الأخرى في ظلال الشعور بالمسؤولية المشتركة عن صالح الدين والدولة ...

وطبعي أن الحكم في الشرق الإسلامي لا يقوم على هذا النمط الإسلامي ، فهو إما حكم ملكي أو توراتي ، أو ملكي دستوري ، أشبه بالديكتاتوريات التي تقوم على الغلبة وقوة السيف ؛ أو هذه الديكتاتوريات ، أو حكم أوليغاركي يقوم به جماعة من التجار الذين يسمون أمراء في بعض البقاع ؛ أو حكم جمهوري ديكتاتوري ، أو حكم في الجملة يستند إلى ما يسمى في العصر الحديث « الديكتاتورية البرلمانية » التي يقولون إنها شر أنواع الحكم .

وفي كل لون من هذه الألوان الحكومية ، تحتق أصوات الشعوب ، وتضيق مصالحها ، وسط ضجيج الجيوش ، وجور السلطان ، وضغط المظالم ؛ ولا يتصل لون منها بأى سبب بالإسلام من قريب أو بعيد .

وقد آن لنا - نحن علماء المسلمين - أن نتحسس شيئاً من ماء الحياة في وجوهنا ، حتى نكشف عن تأييد هذه الأنظم الباغية ؛ وقد آن أيضاً لزعماء العلماء ، وكبار قادة الفكر الإسلامي ، أن يطلبوا في إلحاح من المشرفين على مقدرات الحكم في الشرق الإسلامي - كل في محيطه - أن يديروا حكمهم على منهج إسلامي .

يا قوم : إن الوعي الإسلامي قد استوى اليوم على سوقه ، وروحه تسرى في الشرق الإسلامي قوية ، تدفع إلى التحرر من جمود الدعاة ، وظلم الحكام ، وأقسم إن لم تسرعوا إلى العمل الجسدي المنتج ليحرقنكم التيار ، وليفلتن من أيديكم الزمام ، فسارعوا إلى تحصين التحرر بالدين الصفي الخالص من شوائب الأهواء ، وأهواء الطوائف ، واهتفوا بالناس جميعاً : حكموا الإسلام في مشاكلكم وحياتكم ، فإن الشرق في حاجة إلى حكمه الصالح ، ولقد أفلح من تزكى ، وتعلمن نبأه بعد حين .

محمود فياض

مدرس التاريخ الإسلامي

بكلية أصول الدين

ما شرب البليدة بالبصرة

دماء مہر افۃ تفور فوق رمال الصحراء ، وأجسام مبعثرة تشهد على ظلم الإنسان نجوم السماء ، وأشلاء مرقۃا قذائف الطغاة ، ورموس عبثت بها الأهوال ، ونفوس شواها سعير النضال .

إنها دماء التونسيين أحفاد طارق وجند طارق ، إنها أجسام الذين أفزعت صیحات جدودهم فرنسا فتمنعت فی الأرض نفقا یقیها سیوف الغزاة وبأس الغزاة ، إنها أشلاء أبناء الفاتحين الذين أترعوا الأرض عدلا وحرية .

فماذا دمی المسلمین ؟ أم قلة حیث تداعت علیهم الاكلة ؟ أم هم کثر کفناء السیل ؟ إن النفس لتتمزق حشرات کما سمعت أنات الشعوب الإسلامية وقد جرح الطغاة عزتها ، وطحن الغدر کرامتها ، وسحق البغی سلامتها وحق لها أن تتمزق ویدمیها الأسف علی تلك العزة الإسلامية الی انهارت فی المغرب واستسلمت للطغیان منذ قرون ، منذ هزت الدسائس والفتن عرش غرناطة رويداً رويداً ، حتی انکفأ وسقط تاج أبی عبد الله آخر ملوکها ، وخرج منها متعثراً یلم فی یده المرتعشة أذیال الخیبة ووراءه رنات الأمی تشیع ذلك الأمل المتهدم .

إن ما یعانیه المغرب الیوم صدی لاحداث الماضی البعید ، اختفی فی غضن الزمن حیثاً لیظهر عاصفاً یحتاج من لم توقظه العبر .

لقد نسی المسلمون خروج أبی عبد الله من غرناطة ووقوفه متحسراً یلقی علی (الحمراء) نظرات الأسف ثم یسترجمها مبلة بالدموع .

لقد نسی المسلمون منظر أبی عبد الله حین أغمض عینیہ لیعیش لمحۃ بین ذکریات (الحمراء) وقصرها المنیف وظلها الوارف ، ثم فجعهما فإذا رماح الاعداء حوله ، وإذا السیوف تظلل رأسه الی مجها التاج ، وإذا النذر أصبح فیہ : إلی صحراء المغرب ، إلی صحراء المغرب ...

لقد نسى المسلمون وقفته حزينا على تلك الصخرة التي وثب عليها طارق من قبل معترأ بإيمانه وإيمان أصحابه الذين مزق بهم ناج (لذريق) وداس بهم لآلهه ، وقد لمعت فيها قطرات دم الشعب الأسباني التي استنزفها الطاغية واستنزف معها حيوية شعبه ، فلما رفرفت عليهم رحمة الإسلام أعادت إليهم حيويتهم المسلوكة .

لقد نسى المسلمون وقفة أبي عبد الله على تلك الصخرة التي فقدت صلابتها تحت قدميه ، فلانت ، ثم ذابت ، فانساخ في ذراتها ذلك الطريد الذي أسلمته ظروفه إلى حالة ، ظلمات القبر أهون منها على نفوس الأباة .

إن أمواج الزمن تحمل إلينا من أغوار الماضي البعيد تلك الصيحة التي أرسلها أبو عبد الله بين يديه إلى أحد ملوك أفريقية :

مولي الملوك ملوك العرب والعجم	رعبا لما مثله يرعى من الذم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لم	جار الزمان عليه جور منتقم
هي الليالي وقاك الله صولتها	تصول حتى على الآساد في الأجم
كنا ملوكا لنا في أرضنا دول	نمنا بها تحت أفنان من النعم
فلا تم تحت ظل الملك نومتنا	وأى ملك بظل الملك لم ينم

حقاً لقد أيقظته مهام الردى ، وأفاق على سقوط مملكته وتداعى عرشه ، وانتبه على أجراس الكنائس تدق فتمحو صلصلتها صوت الاذان الذي دوى في الاندلس ثمانية قرون .

لقد صك المسلمون في الماضي البعيد أسماعهم عن صرخات النجدة وأصوات الاستغاثة التي هنف بها الاندلسيون ، فلم يستجب لهم شعب إسلامي ، ولم تتيقظ الحمية في نفس ملك من ملوك المسلمين حين نادته الاندلس الجريحة .

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا	إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمت	فلم يزل منك عز النصر ملتصبا
وفي بلنسية منها وقرطبة	ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الإشراك مبتسما	جدلان ، وارتحل الإيمان مبتسما

ولم يلها أحد من أصحاب التيجان المزيفة حين دعت وأهابت به أن ينتشلها من بطش العتاه :

نادتك أندلس قلب ندامها واجعل طواغيت الصليب فداها
وهكذا أخذت تستجد بمن ماتت في نفوسهم حب النجدة حتى مضت من الوجود تاركة
وراءها صحائب من الدموع لن تجف أبداً .

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشبه المذابح التي تلتطخ دماؤها أرض تونس بمذابح محاكم
التفتيش في الأندلس ، وما أشبه استنجد مسلمي المغرب اليوم باستنجد مسلمي الأندلس
بالأمس . فهل هي صرخات ضائعة في أودية كما ضاعت صرخات الأمس ؟ وهل ماتت
أحاسيسنا ففقدنا النخوة ، وأودعنا في بطون التاريخ القديم الشهامة والرجولة .

إن شجاعة أفلاننا حين نكتب ، وقوة منطقنا حين نخطب ، وجراتنا في أقطارنا على
الثورة وتحن بمنأى عن رحي المعارك الدائرة ، كل ذلك لا يحسب له العدو حساباً ، وكل
ذلك لا يعيد للصريع حياته ، ولا يضمد للجريح جروحه ، ولا يرد كيد الطغاة في نحورهم .
لقد ضيع مسلمو الأندلس حين قعدوا عن الكفاح وقد استنفرتهم أخوة العقيدة
وازورت أعناقهم عن تلبية نداءها وهي مثخنة بالجراح . وكان الله عاقب الاحفاد بجريمة
الأجداد ، جريمة إثارة الحياة على حب الله ، جريمة خذلان المسلم للمسلم ، جريمة السكوت
على عدوان اللادينيين على أرض كانت محاريب لعباد الله ثمانية قرون .

فأسأل بلنسية ما شأن مرسية	وإن شاطبة أم أين جيان
قواعد كن أركان البلاد فما	عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفة البيضاء من أسف	كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية	قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما	فيهن إلا نواقيس وصلبان
يا من لذلة قوم بعد عزهم	أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
يارب أم وطفل حيل بينهما	كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت	كأنما هي يا قوت ومرجان
يقودها العاج للسكره مكرهه	والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد	إن كان في القلب إسلام وإيمان

هذه صورة أندلسية دامية يصورها أحد شعرائها فيصور ذلك الانقلاب الذي أتى على المسلمين وعلى آثار المسلمين وعلى أعراض المسلمين .

إنها صور الماضي التي ظلت حية في التاريخ ، حتى انعكست على المغرب اليوم مكبرة تكشف عن الانسانية المعذبة بين أهوال التشكيل والعسف ، فكم من رضيع مسلم حرّمته وحشية الفرنسيين صدر أمه التي جادت الموت بروحها ، وضنت على الفرنسيين بكرامتها . وكم من كهل أدمت القيود أعقابه ، وحطمت الاغلال أصلا به ، فلم يرجمه أولئك الذين أسبغ عليهم منذ سنوات رحمته .

لو أن لفرنسا ضميراً لتزق حين رأى جنودها يتسكرون بل يقتلون من حووم وقذائف الألمان تحصدهم وأطعموهم حين استولت النازية على أقواتهم وآووم وغوائل برد الصحراء تلتهمهم .

وأخيراً ماذا يكون موقف مسلمي اليوم من تلك الأحداث ؟ أهو موقف الاسترجاع ؟ أهو موقف القاعد الذي ينتظر دوره وهو مؤمن بأنه سيؤكل كما أكل الثور الأبيض . أيها المسلمون ، أفيقوا قبل هبوب العاصفة ، وأجمعوا شنائكم لردوا عن كيانتكم التآمر الدنيء ، تأمر الاطماع ، وتأمر الاستغلال ، تأمر القضاء على الحريات .
أيها المسلمون :

إن الأخوة الاسلامية هي السلاح الوحيد الذي يقضى على ذلك التآمر ، ويمزق نيات المتآمرين ، على أن تكون الأخوة قلبية تجمع بين هذه الشعوب المتباعدة الاقطار ، وتكتل قواها أمام كل من تسول له نفسه النيل من ضعيفها أو قوياً .
أيها المسلمون :

إذا فاتكم أن تعيشوا في الدنيا أعزة كراما ، فكن يفوتكم أن تموتوا بين معامع الحرب سادة أشرافا تكتبون بدمائكم الطاهرة أعظم صفحات من البطولة الخالدة .
أيها المسلمون :

إذا كانت قد أيقظتكم صيحات تونس فلتتهف قواكم وجميع ألوان أسلحتكم : لييك يا تونس . ثم أذنوا في الوجود : لقد تيقظنا ، ولن نسمح بعد اليوم لقوة في الدنيا أن تمس قداسة أرضنا .

محمد خليفه

المدرس في الأزهر

الدعوة

إلى عقد المؤتمر الاسلامى فى القاهرة

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر

كتب مندوب الأهرام يقول :

يعد اجتماع المؤتمر الإسلامى فى مدينة القاهرة حدثا تاريخيا له دلالات وأهميته ، ولعل أولى نتائجه أن الأمم الإسلامية سوف يتاح لها أن تجتمع فى صعيد واحد ، لتتدارس ما يعتورها أو ما كان يعتورها من مختلف العوامل لنقول كلها كلمة واحدة ، ولنضع نظاما واحدا من شأنه توحيد الجهود لمقاومة العدو المشترك ، سواء أكان هذا العدو مرضا وفقرا وجهلا ، أم كان مستعمرا يجثو فوق رؤوسنا وصدورنا بعدده وعدته وخيله ورجله .

وقد رجعت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لأقف منه على ماقد يعرض على هذا المؤتمر فى اجتماعه المقبل من امهات المشكلات المشتركة بين الأمم الإسلامية . والحق أن فضيلته قد تردد كثيرا فى إجابتي الى ما طلبت ، وذكر لى أن من الخير أن لا نتحدث عن مثل هذه المشكلات قبل أن يتخذ المؤتمر فيها قرارا عمليا قد يكون له أثره المرتقب . ولكنى شرحت له أن هذا الاعتبار وإن كان اعتبارا له قدره إلا أنه لا يصح أن يقف حائلا دون الاعداد والتمهيد ، فقال فضيلته .

زعماء المسلمين

لقد تقرر أن يجتمع كبراء المسلمين ، وزعمائهم فى مؤتمر عام يعقد فى القاهرة ، كما عقد فى مدينة كراتشى فى العام الماضى ، للتفاهم أو للتفكير والبحث فى « التعاون ، على البر والتقوى . واستطرد فضيلته فقال مقائل : فهل لنا أن نمدد لذلك بالتفكير فى أنفسنا ، ثم فى بحوثنا عن سبل الانتفاع الصادق بهذه الرابطة التى عقدها الله بين قلوب خمسائة مليون مسلم على الحق والخير ، وأباح بهما لهم جميعا سبل التعاون على الانتفاع بكل ما فى أوطانهم من نعمة مدخرة . إن التفكير فى ذلك من مصلحتنا ، ومن أسباب سعادتنا . ولا سيما إذا استلهمناه من روحنا الأصيلة ، ومن مبادئ ميثاقنا الآقوم ، معتبرين الأخوة التى عقدها الاسلام بيننا خطوة الى الإنسانية التى تشدها الأمم اليوم وتمنأها ، ولكن العصبية القومية ، والاختلافات الوطنية والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب تحول بينهم وبين ذلك .

ولو وقفنا نحن إلى شيء من ذلك لضربنا المثل به لأم الأرض ، فستكشف بضوته مسالكها إلى السعادة والتعاون في أسنى معانيه .

وهنا سكت فضيلته قليلاً ثم عاد يقول :

المسلمون أسرة واحدة

كانت الإنسانية في بدء تكوينها أسرة واحدة ، تتعاون كما تتعاون الأسرة الواحدة ، وترحم كما ترحم . ثم تكاثرت واتسعت . فطرات عليها العصبيات والاختلافات والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب .

وما زالت هذه العصبيات والاختلافات تنمو وتستفحل حتى نشأت عنها العداوات والإحن بين الأسر ، فالمجازر والمذابح بين القبائل ، حتى إذا تمكنت الأثرة والأمانية من النفوس ، وانتقلت من القبائل إلى الشعوب ، جاء الإسلام وهذا المرض الانساني في مقياس واسع بين الروم والفرس ، فكان من أعظم رسالات الله إلى الإنسانية على لسان خاتم النبيين دعوة الأمم للرجوع بالإنسانية إلى وحدتها الأولى متألفة بميثاق جديد ، وهو ميثاق الحق حيثما كان والخير كيفما يكون .

رسالة الإسلام

جاء الإسلام بهاتين الكلمتين ، الحق ، والخير ، باسطاً يده إلى أمم الأرض لا فرق بين أصفر وأحمر وأبيض وأسود ، فكل من دخل منهم في ميثاق الحق والخير ، كان أخاً للداخلين فيه ، لا فضل في ذلك لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بقدر مبادرته في الاستجابة لهذا الميثاق الانساني ، وتجنبه كل ما يخالفه أو يخل به .

روى الحسن بن أبي الحسن البصري ، أن خطيب قريش سهيل بن عمرو أحد بني عامر ابن أوى ، وأبا سفيان بن حرب بن أمية ، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وغيرهم من أشرف قريش كانوا بباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان في بابه أيضاً بعض الموالى كصهيب وبلال وغيرهما ممن شهد بدرأ فخرج إذن عمر للوالى ، وأخر عنهم أولئك الأشراف ، فامتعض بعض هؤلاء وقال أبو سفيان لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد وتركنا على بابهم لا يلتفت إلينا . فقال سهيل بن عمرو وكان من ذوى أحلامهم : أيها القوم ، إنى أرى والله الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فعلى أنفسكم فاغضبوا . دعى القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتهم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم .

هذه هى أخوة الإسلام التى رفعت الضعفاء جزاء مبادرتهم فى الاستجابة لدعوة الحق والخير ، وسأوت بلالا وصهيباً وأمثالهما بأشرف قريش وساداتها ، بل قدمتهم عليهم .

الإخاء في الإسلام

وفي ظل هذا الميثاق الإنساني الأعظم كان الإسلام قد عقد الإخاء بين الأوس والخزرج ، فكانوا جميعاً أنصار هذا الحق ، ودعاة هذا الخير ، ثم عقد الإخاء بين الأنصار والمهاجرين بما لم يسبق له نظير في تاريخ الإنسانية لما تمتعاه الإنسانية من التواصي والتراحم والتعاون في أسمى معانيها . وأن هذا المثل الإسلامي الأعلى لا يزال مضروباً للناس جميعاً - وفي مقدمتهم المسلمون - ليعودوا إليه فيعظموها به ، وليأخذوا بمبادئه فيقووا ويسعدوا .

الحق والخير من مبادئ الإنسانية الأولى في الأزل ، وسيبقىان جديدين إلى الأبد ، وميثاق الحق والخير مدعو إلى الأخذ به كل إنسان يعرف قدر الإنسانية ، والذي يستجيب لدعوته التي نادى بها الإسلام يضمن بذلك السعادة لنفسه وذويه ، والإسلام لا يطلب منه جزاء على ذلك . وأول من ينبغي لهم أن يستجيبوا الدعوة الحق والخير وإحياء ميثاقهما هم المسلمون ، وسيجدون أنفسهم وبلادهم وأممهم بعد ذلك قد استحالت خلقاً آخر غير الذي كانت فيه .

وتعال نتسامل

وتعال نتسامل : ما بالنا نحن المسلمين لا نفكر في ذلك ، وما بالنا لا نحسن إلى أنفسنا بالرجوع إلى مبادئ الإسلام الطيبة ، وأساليبه الحكيمة الطاهرة في الأخوة والتعاون ، ألسنا نعلن في كل يوم أن الناس بخير ما تعاونوا ؟

لماذا نستحسن التعاون على قروش في مواد البقالة ، ولا نجرب التعاون على السعادة بمخاديرها في مواد الحياة ومبادئها ؟

لقد دعانا الإسلام لنكون إخوة متعاونين ، لا على الأمور الصغيرة كفتح دكاكين البقالة وحسب فإن هذا التعاون مطلوب بعد الإيمان بمبدأ التعاون الإسمى فيما هو أسمى من ذلك وأوسع نطاقاً وأعظم آفاقاً .

نحن الآن أمة لا يقل عددها عن خمسمائة مليون أو تزيد ، فما أقوانا وما أسعدنا لو تعاونوا على كل ما نشترك في الانتفاع به من معادن نفوسنا ومراقتنا ومدخراتنا ، وما أكثرها وأعظمها وأثمنها ! بل لماذا لا نتعاون في آلامنا وأوصابنا ، وأوجاعنا ، وما أشدها ! وفي آمالنا لحاضرنا ومستقبلنا ، وما أوسع آفاقها !

لقد أنعم الله علينا بدولتين جديديتين مستقلتين الباكستان وأندونيسيا وفيهما أكثر من ربع

عدد المسلمين في العالم ، وأنعم علينا بتطهير أرض الكنفانة من أسوأ أنظمة وأبشعه ، وأنعم علينا باليقظة في كل مكان ، والاستعداد للأخذ بما هو أحسن ، حتى نصل إلى الاستقرار والطمانينة والرضا بالحق والإقبال على الخير ، وفي ميثاقنا الإنساني الأول الذي أنعم الله به علينا في أكرم رسالاته ما يحقق ذلك كله لنا على أتم الوجوه وأجملها ، فلماذا لا نمد يدنا إلى هذا الماء النير العذب الصافي فنفترق منه ؟ وفي أوطاننا الإسلامية من أقصى أندونيسيا إلى آخر دنيا المسلمين كل أنواع المعادن والمحصولات والمنتجات والمواد الأولية ، فلماذا لا نتعاون مع إخواننا من أهلها على تبادل هذه المنافع ، ولما كمال ما ينقصنا من أوطان إخواننا الذين يكثرون ذلك عندهم ؟ لماذا لا نعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً في تبادل منافعه بالحق والخير ، مع الاعتراف لأهل كل بقعة بأن الأقربين لها أولى بالمعروف ، وأن عليهم أعباءها في مقابل ذلك ، ثم علينا معاونتهم ولنا عليهم أن يكونوا في عوننا ؟ ولماذا لا نفتتح لهم قلوبنا ليفتحوا لنا قلوبهم ، وبذلك نحصل على مفاتيح الخير كلها في السماوات والأرض ؟

ميثاق الإنسانية

إن عقبة واحدة واقفة في طريق تحقيق ذلك ، وهي أننا تناسينا ميثاق الإنسانية الذي عقدته رسالة الإسلام بين الأصفر والاحمر والاسود والابيض ، وقد علمنا الاستعمار في داخل فصول مدارسنا التي تنفق عليها من أموالنا بأن المسلمين أجانب عن المسلمين ، وإن الإسلام نفسه شبح خفيف يجب أن تنسكركم حتى للأخلاق التي جاء يدعو إليها ، وللبل العلي في التاريخ التي ضربها أبطال التاريخ الإسلامي للعالم بما بنوا من أمجاد ، وبما أقاموا من حق ، وبما نشروا من دعوة الخير ، فنشأ أبنائنا ومعاصرونا غرباء عن هذا الجو ، متخوفين من فتح نوافذهم إلى ناحيته ، ولهذا بقي المسلمون متقاطعين فيما بينهم ، ومقاطعين لميثاقهم الإنساني الأعظم ، ومتجافين عن أخلاق دينهم التي بعث الله نبيهم ليتعم مكارمها ويجمع الإنسانية بها .

مدارسنا وروح الاسلام

وإذا كانت مدارسنا لا تحب أن تعلم هذه الأشياء لابنائنا ، فلماذا لا يقوم سليمو النية من أفاضلنا وأذكيائنا ومتفهمينا بدراسة روح الإسلام من ناحيتها التعاونية والتعاملية ، ويحاولون استنباط معادن الخير منها لننتفع بها في أزماننا الحاضرة ؟

اهتيا الزوجة في الشريعة الإسلامية

جاء الإسلام فوضع لنا قواعد لبناء هذا المجتمع على أساس صالح ، ليخرجنا من ظلمات التعاسة والشقاء إلى نور السعادة والهناء ، قال تعالى « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » وقال « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

ومن هذه القواعد ما جاءت به الشريعة الغراء لتنظيم الأسرة ، لأنها أساس المجتمع ونواته ، فإذا صلحت صلح المجتمع كله وسار قدما نحو التقدم والرفاهية .

وأول لبنة في بناء الأسرة وتكوينها هي الزوجة الصالحة التي تسعد زوجها وتوافقها وتطيع رغباته وتشاركه أفراحه وأحزانه وتجعل من بيتها جنة فينانة وعشاً جميلاً يأوى إليه الزوج فينسى همومه وآلامه ومتاعبه وأسقامه . هذه الزوجة هي التي عناها الله بقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ،

ولكن أين هي هذه الزوجة المثالية ، وما مقياس هذه السعادة الزوجية ؟

هل هو الثراء ، أم الجاه ، أم الجمال ، أم الأخلاق الفاضلة ؟

أفكار تختمر وتردد في ذهن كل إنسان يرغب في الزواج ، فالبعض يفضل الغنى لأن الثراء في نظره هو كل شيء في الحياة ، فيعتقد أن زواجه من غنية سيسعده ويؤدي به إلى العيش الرغيد من غير جهد أو تعب ، والبعض الآخر يرى في الجمال مبتغاه وغاية مناه لأنه رجل شعوزي يسمع بمشينوس تمثال الجمال فيريد أن يراها في بيته تقدم له الطعام الشهى وتجاذبه أطراف الحديث الطلي وتسرد له العبارات المزوقة والألفاظ المنمقة ، وفريق ثالث يرى أن سعادته هي في الزواج من كريمة أحد (الباشاوات) أو الوزراء أو من عائلة معروفة الحسب والنسب ليصل إلى غرضه كترقية أو تعيين في إحدى الوظائف أو افتخار على غيره من الاقران الذين يتقصهم هذا الجاه الجديد والمصاهرة السعيدة ، وهناك فريق رابع لا ينظر إلى هذه الاعتبارات جميعها فيجعلها ذُبر أذنه وتحت قدمه ، ويفضل عليها الزوجة ذات الخلق والعدل والدين ويرى فيها المثل الأعلى للزوجية الصالحة التي يسعد بها ويعيش في ظلها الوارفة .

أوضح لنا الإسلام أى هذه الطرق أولى بالسلوك ، وأى هذه الاعتبارات أحق بالنظر ، فبين لنا أن الجمال طلاء زائل وعرض حائل ، وأنه إن لم تزينه الأخلاق الفاضلة كان نكبة نكبة وطامة كبرى تدفع الزوجة إلى الطغيان والفساد والاستهتار بالحياة الزوجية ، ولذا حذرنا منها الرسول ﷺ وشبهها بالنبات الاخضر الجذاب وسط الدمن والاسواخ والقاذورات فقال : « إياكم وخضراء الدمن . قيل : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسنة في المنبت السوء . كما بين لنا أن الغنى وحده — من غير أخلاق تحدد من طغيانه — لا يصلح أساسا للزوجية ، فهو يدفع الانسان إلى البطر والغرور والكبرياء ، والتعالى على الزوج وامتهان كرامته ، قال تعالى : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى . »

وكذلك الجاه يفسد الزوجة إن لم يكن لها من عقلها ودينها وأخلاقيها رادع يقفها عند حدها ، ويشعرها بأنها وإن كانت أنسب وأحسب من زوجها ، إلا أنها صارت زوجته ، وواجب عليها طاعته ورضاه ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا الفساة لحسنهن ، فعمى حسنهن أن يردنهن . ولا تزوجوهن لاموالهن فعمى أموالهن أن تطفن . ولكن تزوجوهن على الدين ، ولامة خرماء سوداء ذات دين أفضل . » وقال : « ألا أخبركم بخير ما يكون للمرأة الصالحة إذا نظر إليها سرتة ، وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته . » وقال : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة ، » « تنسك المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك . »

وروى أن سيدنا عمر رضى الله عنه نهى الباعة عن مذاق اللبن بالماء ، فخرج في إحدى الليالي يتفقد الرعية ، وإذا به يسمع امرأة تقول لا بنتها : ألا تمزقين اللبن بالماء فقد أصبح الصباح ؟ فقالت البنت : كيف ذلك وقد نهى عنه أمير المؤمنين ؟ قالت : قد فعل الناس فافعل مثلهم ، فما يدرى أمير المؤمنين ؟ فقالت : إن كان عمر لا يعلم ، فإنه عمر يعلم . ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فسر سيدنا عمر لذلك ، فلما أصبح دعا عاصما ابنه وقال له : يا بني اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ووصفها له . فذهب عاصم فإذا جارية من بنى هلال ، فقال له عمر : اذهب يا بني فتزوجها فما أحرأها أن تأتى بفارس يسود العرب . فتزوجها عاصم بن عمر فجاء من نسلها عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين .

فعمر رضى الله عنه قد اختار هذه الفتاة زوجا لابنه لصلاحها وتقواها ، ولمراقبتها الله في سرها ونجواها ، وهى صفة قلما توجد إلا فى ذرى الصبائر الحساسة والنفوس العالية التى عرفت الله حق معرفته خفايته فى السر والعلن ، وأحسست به فى تصرفاتها ، وأدركت أنه مطلع عليها ، وهو ما قصده المصطفى ﷺ بقوله : « عبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فالإسلام إذن قد جمل أساس اختيار الزوجة هو تقواها وصلاحها وتمسكها بدينها ومراقبتها الله وتحليها بالاخلاق الفاضلة والطباع الكريمة ، وهذا لا يعنى ألا تجمع الزوجة مع الاخلاق الكريمة الجمال أو الغنى أو الجاه قال ﷺ : « إن أفضل المؤمنين إيمانا هو أحسنهم خلقا » ، « خير ما يعطى العبد خلق حسن » ، « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

محمد فهمى الطماوى

مفتش تحقيقات بالشئون الاجتماعية

الجزائر فى سنة أشهر

بلغ عدد الذين اعتقلتهم السلطات الفرنسية فى الجزائر فى السنة الأشهر الأخيرة ٨٩٠ من أنصار حزب الشعب ، وحكم فيها بالسجن لمدة سنة على ٣٢٥ متهما سياسيا ، وأبعد ١٨٥ لمدة سنة ، وحرم ٣٠٥ من الحقوق المدنية والسياسية لمدة سنة ، وهذه الاعتقالات قاصرة على المحكوم عليهم ولا تشمل الوطنيين المسجونين بلا محاكمة أو حكم .

الكتب

تاريخ مدينة دمشق

للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ)
نشره الجمع العلمي العربي بدمشق . بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
المجلد الأول ٨٥٩ ص . ك

الحافظ أبو القاسم بن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) إمام من كبار حملة العلم الإسلامي ، ولد في دمشق في بيت من أكبر بيوت الحديث والفقه والفضاء ، فتضلّع وارتوى من العلم منذ نشأته الأولى إلى أن كان - كما قال عنه السبكي في طبقات الشافعية - رأس بيت معمور بالأئمة والمحدثين ، بل كانت أمه كذلك من آل القرشي وكان منهم قضاة دمشق مدة طويلة . وفي سنة ٥٢٠ بدأ رحلته إلى العراق في طلب الحديث ، ثم حج في السنة التالية ، واستأنف رحلته بعدها إلى العراق وخراسان ونيسابور حتى بلغ سرخس في أعماق المشرق ، ولقي علماء الافطار وكتب عنهم ما تفردوا به حتى بلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم ألفاً وثلاثمائة شيخ ، والذين أخذ عنهم الشعري وأربعين ، ومن شيوخه بضعة وثمانون امرأة . ثم عاد إلى العراق فدمشق وقد أوفى على الثالثة والثلاثين من سنه فتبوأ أربكة التحديث في تلك العاصمة المليئة بالعلماء والحفاظ ، واستمر بعد ذلك قرابة أربعين عاماً يؤلف ويدرس ويعلّم على طالبي المعرفة حتى ملأ الدنيا علماً من مؤلفاته الكثيرة ، ونبغ على يده طائفة كبيرة من العلماء الذين تتلمذوا له في تلك العشرات من السنين . ولما دخل السلطان المجاهد الفاتح نور الدين محمود ابن زنكي مدينة دمشق ، بلغه خبر (تاريخ مدينة دمشق) الذي اشتغل ابن عساكر بتأليفه ولم يكن قد أتمه فكان السلطان متشوقاً لإكمالها ، وحنه على ذلك فراجع العمل فيه إلى أن أتمه ، فجاء حافلاً بتراجم أعلام الإسلام الذين أنجبهم دمشق أو دخلوها من صدر الإسلام إلى

القرن السادس الهجري . وهو بلا ريب أوسع تاريخ كتب في الإسلام لاية عاصمة من عواصمه ، ولا نعلم كتاباً أكثر منه تخليداً لمسائر خلفاء هذه الملة وأئمتها ونوابغ عظمائها في الحرب والسياسة والعلوم والآداب والرواية والصلاح ومكارم الاخلاق . والمرجح أنه ألفه في عشرين سنة ، مع اشتغاله بالتدريس والتأليف وغيرهما . وطريقته فيه كطريقة الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في إيراد كل خبر بسنده إلى مصدره ، وابن عساكر كالطبري حريص على تزويد قارئه بوجهات النظر المختلفة - حتى ما يعتقد المؤلف نفسه أنه من الاخبار الضعيفة ، أو من روايات المخالفين له في النحلة . وعنده أن إيراد الخبر بسنده يفيد من بعض الوجوه حتى لو كان ضعيفاً ، ثم على من يريد أن يفتنح بأى خبر أن يقف أولاً على منزلة رواته ليعرف درجة الخبر الذي جاءوا به . وابن عساكر استمد أخبار كتابه من مصادر ذهب الدهر بكثير منها فحفظ لنا تاريخ دمشق ما اقتبس منه .

وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر معجم تراجم لعظماء الإسلام مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء بدقة ، إلا أنه بدأ بمن اسمهم أحمد تبعاً باسم النبي ﷺ ، ثم تابع لإثبات التراجم مرتبة سلسلة ، حتى أنه راعى الترتيب في أسماء الآباء والاجداد . والذين اشتهروا بكنيتهم ولم تعرف أسماؤهم أفرد لهم قسماً مستقلاً ، وبعده قسم للذين اشتهروا بنسبتهم ، ثم خصص قسماً للنسوة والإماء والشواعر . والذين ترجم لهم ذكر ما عرفه لهم من ثناء ومدح ، وما فيهم من هجاء وقبح ، وما ذكره العلماء فيهم من تعديل وجرح ، وحكى ما نقل عنهم من جحد ومزح ، وأورد بعض ما وقع له من رواياتهم ، وتعريف ما عرفه من موالدهم ووفياتهم .

وهذه المجلدة التي تم طبعها الآن من تاريخ مدينة دمشق بلغت ٨٥٩ صفحة بالقطع الكامل ، ومع ذلك فإنها استوعبت نحو نصف مقدمة التاريخ ، وقد أورد فيها المؤلف الأحاديث والأخبار عن أولية دمشق وفضائلها والثناء على أهلها ، وأنها صفوة الله من بلاده ، إلها يجتبي خيرته من عباده ، وفيه أخبار جهاد الصحابة فيها ، وتاريخ فتحها ، وما يتعلق بذلك . وفي المجلدة الثانية التي لم تنتشر بعد بقية المقدمة عن خطط دمشق ووصف مسجدها وما كان عليه من قبل وبناء الوليد بن عبد الملك له ، وما في دمشق من مساجد وآثار ومعالم . ثم يأتي بعد ذلك معجم التراجم وسيكون بمجلدات كثيرة .

وقد عهد المجمع العلمى العربى بدمشق فى إخراج هذه المجلدة الأولى وتصحيحها وتحقيقها إلى الأستاذ الفاضل السيد صلاح الدين المنجد مؤلف (خطط دمشق) المطبوع فى بيروت سنة ١٩٤٩ ، وكتاب (دمشق القديمة) المطبوع بدمشق سنة ١٩٤٦ ، و (خطط دمشق القديمة) الذى نشرته مديرية الآثار العامة بدمشق سنة ١٩٤٧ . فقام بهذا العمل خير قيام ، واستعان فى بعض مواضعه بأهل العلم والتخصص ، وقد أحضر له المجمع العلمى صورة شمسية لخمس الأجزاء الأولى من الفسخة المقروءة على المؤلف ابن عساكر سنة ٥٧١ والمحفوطة فى مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة برقم ٧١٤ تاريخ (١٠٦٧٠ ع) إلا أن تصويرها كان غير جيد فضلاً عن أن أصلها فيه آثار الرطوبة والأرضة والتزيم ، وهذه الأجزاء الخمسة الأولى تبلغ النصف الأول من هذه المجلدة الأولى التى تم طبعها . ومن حسن الحظ أن خمسة الأجزاء التالية لها والمتممة للمجلدة الأولى من مطبوعة المجمع العلمى بدمشق توجد الآن فى المتحف البريطانى ، وقد سعى المجمع العلمى بدمشق بتصويرها فى فلم تم تكبيره بدمشق ، وهى جيدة واضحة الخط ، فتم بالاعتماد عليها تحقيق المجلدة الأولى مع المقارنة بمخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة كبردى وغير ذلك .

وكان الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله قد بدأ باختصار تاريخ دمشق هذا ، وطبع منه فى دمشق سبعة مجلدات إلى ترجمة عبد الله بن يسار ، كما أن الشيخ أبا الفتح الخطيب (والد رئيس تحرير هذه المجلة) قام باختصاره وتوجد منه فى المكتبة التيمورية خمسة مجلدات مذكورة فى فهرسها الخاص بمكتب التاريخ ، ومنه جزء فى مكتبة جامعة برنستون مذكور فى فهرس مخطوطاتها ص ١٩٢ ، وفى مكتبة دار المتح بالروضة جزآن من أوله برقم ٧٤٥ ، ونعتقد أن هذا المختصر لم يتم .

أما هذه الطبعة التى قام على تحقيق المجلدة الأولى منها الأستاذ صلاح الدين المنجد فقد بلغت العاية من الجودة والإتقان ، وقدم لها الأستاذ العلامة محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بمقدمة قال فيها : « قد يكون تاريخ دمشق أوسع تواريخ المدن ، وهو أيضاً من أوسع المصادر فى تراجم الرجال ، حتى ليجرّد منه كتب على حدة فى موضوعات مختلفة ، كولاية دمشق مثلاً ، وقضائهما . وشعرائها ، ومنه يستخرج أحسن تاريخ لبلد أمية سكنت ، معظم التواريخ عنه . . . الخ . . . وبعد مقدمة الأستاذ كرد على نأتى مقدمة الأستاذ المنجد ،

وفيها سلسلة نسب أشهر رجال بنى عساكر ، وسلسلة بنى القرشى أحوال الحافظ ابن عساكر ، وخريطة للعالم الإسلامى فى زمن المؤلف مشار فيها إلى المعروف الآن من المدن التى رحل إليها فى طلب العلم إلى ما وراء خراسان من البلاد التى تقع الآن فى حكم روسيا ، وذلك فى خلال ترجمة كتبها الأستاذ المنجد للذوائف ف وقعت فى نحو أربعين صفحة كبيرة .

ثم زين محقق الكتاب هذه المجلدة بالساعات العلمية التى وجدها فى آخر الأجزاء الباقية من المخطوطة المقروءة على المؤلف ، وألحق بها فهرساً هجائياً لشيوخ ابن عساكر الذين سماهم بأول كل خبر من أخبار هذه المجلدة ، وفهرساً للأحاديث مرتبة بحسب أوائلها ، وفهرساً للأمم والقبائل والأرهاب والجماعات ، وفهرساً للأشعار ، وفهرساً للبلاد والمدن والقرى والأماكن والجبال والأنهار ، وفهرساً للأعلام من الرجال والنساء ، وفهارس أخرى متعددة غير ما ذكرنا . ويقول الأستاذ المنجد : « لقد بذلنا الجهد فى إخراج هذه المجلدة ، ومع ذلك فما استعسر علينا كثير . وكان علماءنا الذين جلسنا إليهم يحارون أو يتوقفون مثلنا . وهذا التاريخ من مفاخر التراث العربى ، فليفضل من يجد فيه خطأ أو خللاً بتصحيحه ، فإنما هو ملك للمسلمين والعلماء عامة ، .

فشكراً للجمع العلمى العربى بدمشق ، ولحقيق هذه المجلدة الأستاذ صلاح الدين المنجد . ونرجو الله أن يوفقهم إلى الإسراع فى إصدار المجلدات التالية ، فإن الناس فى تعطش إلى ما فى الكتاب من تراجم ، ولا سيما ما لم يسبق نشره من مختصره . وماذا يضير لو أنهم سارعوا ببقية حرف العين وما بعده على أن يعودوا بعد ذلك إلى المجلدة الثانية أو الثالثة فما بعدهما ؟ .

ما وراء الآيات — للأستاذ أحمد محمد جمال

مطبعة مصطفى الحلبي ، ١٨٠ ص جابر

الأستاذ أحمد محمد جمال من أفاضل أدباء الحجاز ، وقد انتشرت له قبل الآن مؤلفات فى التاريخ والشعر والأدب . وكتابه هذا (ما وراء الآيات) بمجموعة أحاديث له أذاعها من محطة الإذاعة السعودية اقتبسها من قصص القرآن ، وأدارها فى الغالب على ما اشتهر

في كتب التفسير عن أسباب النزول ، ثم استخلص منها ما يقتضيه المقام من فوائد وعبر وملح وإرشاد . غير أن أسباب النزول التي يوردها المؤلفون في التفسير يتساهلون فيها كتساهل بعضهم في إيراد الإسرائيليات ، وحتى الذين يذكرون أسباب النزول مروية بأسانيدھا التي وصلت إليهم رأينا أكثر ما أورده من هذه الأسانيد منقطعاً ومنها ما بين وقت النزول وأعلى راولها نحو مائة سنة أو أكثر ، ومع انقطاع هذه الأسانيد فإن في بعض رواها ضعفا . والمفسرون الذين يوردون أسباب النزول بأسانيدھا يكون أمرھا إلى من يقف علیھا ليحكم على تلك الأخبار بما تستحقه في قواعد الجرح والتعديل . ونضرب المثل لذلك بآية الحجرات التي قيل إنها نزلت في بني المصطلق ، فقد اجتمع فيما رواه من أخبار سبب نزولھا انقطاع السند وضعف الرواة كما نبه عليه القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص ٩٠ - ٩٣) وترى أدلة ذلك في التعليق عليه . وطريقة السلف في التحدث عن مثل هذه المسائل إما نقل سبب النزول بسنده ليقين الواقفون عليه درجة صحة الخبر من ذلك ، أو أن يتولى المؤلف ذلك بنفسه على طريقة أهل الجرح والتعديل حتى إذا تبين له أن سبب النزول الذي ذكره لا يثبت على طريقة علماء الحديث صرف النظر عن بناء الأحكام عليه وإيهام القارئ أنه صحيح ثابت .

وعلى كل حال فإن النية في هذه الأحاديث حسنة ، وما استخلصه الأستاذ أحمد محمد جمال من إرشاد وعبرة نافع مفيد وهو مشكور عليه . وكما أحسن في أحاديثه من محطة الإذاعة أحسن كذلك في جمع هذه الأحاديث في كتاب مستقل ، فشكر آله .

التربية في القرآن - للأستاذ محمد عبد الله السمان

مطبعة دار الكتاب العربي ، ٧٧ ص نصف القالين

يقول مؤلف هذه الرسالة في خاتمة المقالة الأولى منها : إن آيات القرآن من أولھا إلى آخرھا دستور شامل للتربية الصحيحة والتوجيه السليم ، وهذا ما حدا بالمستشرق (كارليل) أن يقول :

« إن الإحساسات الصادقة الشريفة ، والنيات الطاهرة الكريمة ، تظهر في فضل القرآن ، الفضل الذي هو أول وآخر فضل وجد في كتاب فتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها ، .

ثم استعرض المؤلف آيات القرآن في تربية الأمم ، وفي تربية الدعاة ، وفي تربية النفس ، وفي الفضائل — ومنها السمو الخلقى ، والائزان ، والبروى ، والاعتدال ، وبقطة الضمير ، وآداب السلوك ، وضرية الإنسانية . وفي الرذائل — ومنها : الغرور ، والمكابرة ، والتفادى فى الغى ، والآنانية ، والنفاق : وكفران النعمة . ثم دروس فى الحياة ، والتربية العامة .

وهى رسالة لطيفة يجدر بشباب الأمة وجمهورها أن يتدبروا ما فيها من آيات الله فى تربية النفس الإنسانية ليزدادوا بها علماً ، بل ليعملوا على التربية الإسلامية عملاً ، إلى أن تكون من صميم سجاياهم وأصيل فطرتهم ، ثم ليسكونوا بعد ذلك قدوة فيها لكل من يتصل بهم ، وبهذا يكون المسلم المأدب بأدب القرآن كتاباً معروضاً على أنظار الناس يقرأون به حقائق الإسلام فى أسواقهم وبيوتهم ومجتمعاتهم .

تفسير جزء عم

لخصه من التفسير المعتمدة الأستاذ محمد توفيق عبيد

المكتبة العربية بدمشق ، ٤٤ ص قالين

إن السور التى تضمنها جزء عم هى السور القصار التى تتلى فى الصلوات غالباً . وقد آثر الأستاذ محمد توفيق عبيد تقديمها بتلخيص تفسيرها تلخيصاً وسطاً بين الإيجاز والإسهاب ، مستمداً ذلك من تفاسير البيضاوى والجلالين والشيخ محمد عبده ، ثم قابله على تفسير الذى فى وغيره . وقد جعل السور بخط جلى من خطوط المصاحف فى وسط التفسير مشكولة الآيات مرقمة ، فجاءت جميلة الطبع ، مصقولة الورق ، تفى بحاجة الجمهور ، جزاءه الله خيراً .

رد على كتاب السقيفة

للأستاذ عبد الله الحضرى ، مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ، ٢٣٨ ص جابر

قال الله عز وجل مخاطباً أصحاب رسول الله ﷺ : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، فألف رجل من أهل النجف اسمه محمد رضا المظفر كتاباً عنوانه (السقيفة) ليقول فيه لأصحاب محمد ﷺ : كنتم شر أمة أخرجت للناس . وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، فأراد النجفي مؤلف كتاب (السقيفة) أن ينقض هذه الحقيقة التي أيدها الواقع والتاريخ فكانت من أعلام النبوة ، لجاء محاولاً إقناع قرائه بأن شر القرون قرن أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

إن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا معصومين ، فإنه لا معصوم بعد رسول الله ، ولكنهم كانوا بأجمعهم عدولاً أخياراً بشهادة الله ورسوله لهم ، وكانوا أفضل جيل عرفته الإنسانية من آدم إلى هذا اليوم ، وقد مضى في طريقهم التابعون وتابعو التابعين فكانوا المثل العليا للحق والخير ، ولذلك استجابت لدعوتهم الأمم ، ودخلت في الإسلام على أيديهم ، وهذا العالم الإسلامي كله من ثمرات دعوتهم وبركتهم وجهادهم في الله حق جهاده وقيامهم بتبليغ رسالات الله على ما يرضى به الله .

وقد صدر في الرد على كتاب النجفي هذا الكتاب للأستاذ عبد الله الحضرمي ، وتسكرم فأهداه إلينا في هذا الشهر . وفي اعتقادنا أنه خير من الرد على هذه الكتب السخيفة تأليف كتب مختصرة ومتوسطة ومطولة في تاريخ عصور الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، ونشر رسائل في تراجم أعلامهم مستمدة من كتب الثقات وأئمة السنة وأعلام الدين ، وبذلك يرد الحق إلى نصابه ، وينشأ شباب الإسلام عارفين بفضل الصحابة والتابعين على العالم الإسلامي وعلى الإنسانية كلها ، ولو كره الذين في قلوبهم مرض .

الرسالة الجامعة — المنسوبة للحكيم الجريطي

نشرها المجمع العلمي بدمشق ، بتحقيق الأستاذ جميل صليبا ، جزءان ١١٦٤ صفحة قالبيين
الحكيم الجريطي المنسوبة إليه هذه الرسالة الجامعة هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطي القرطبي الأندلسي ، وجريط هي (مدريد) عاصمة إسبانيا الآن ، وكان الجريطي إمام الرياضيين بالأندلس في القرن الرابع الهجري ، وقد ترجم الأوربيون كتابه في الاسطرلاب باللاتينية ، وكتابته في الفلك الذي نقله عن بطليموس — وهو يبحث في الكرة السماوية المسطحة — ترجمه باللاتينية هرمان سكوندوس ، وقد اشتهر الجريطي بكتابه (رتبة الحكيم) في الكيمياء و (غاية الحكيم) في السحر والطلسمات .

والرسالة الجامعة المنسوبة اليه بقيت منها نسخ مخطوطة : إحداها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وثانية في المكتبة التيمورية ، وثالثة في طهران ، ورابعة في المكتبة الوطنية بباريس ، وخامسة في دار الكتب المصرية ، وسادسة في مكتبة أحد الإسماعيليين في السليمانية من بلاد الشام .

والظاهر أن نسبة هذا الكتاب إلى الجريطي نشأت عن وهم توهمه مؤلف كتاب كشف الظنون ، وأسلوب الكتاب أشبه بأسلوب رسائل إخوان الصفا منه بأسلوب كتب الجريطي ، وأبوابه هي أبواب رسائل إخوان الصفا ، وعدد الرسائل في الكتابين واحد وإن اختلفت الفصول فيهما . بل قد وردت عبارات من إخوان الصفا في هذا الكتاب متفقة بالحرف ، ونبه على ذلك محقق الكتاب في مواضعه . . إلى غير ذلك من القرائن الكثيرة على أن (الرسالة الجامعة) متممة لرسائل إخوان الصفا .

والذي نقل رسائل إخوان الصفا من المشرق إلى الأندلس هو الكرماني تلميذ الجريطي كما يقول القاضي صاعد في طبقات الأمم ، والكرماني توفي سنة ٤٥٨ هـ والقاضي صاعد توفي سنة ٤٦٢ هـ ، فيحتمل كثيراً أن تكون (الرسالة الجامعة) التي قلنا إنها متممة لرسائل إخوان الصفا قد جاء بها الكرماني إلى الأندلس مع ما جاء به من الكتب الفلسفية عند رحلته إلى حران وبلاد الجزيرة والعراق .

وتتفق الرسالة الجامعة مع رسائل إخوان الصفا في أنهما يتضمنان صورة ما بلغ إليه العلم بالرياضيات والطبيعات والفلسفة في القرن الرابع ، ولو كان الغرض من رسائل إخوان الصفا والرسالة الجامعة هو العلم المحض لما كان هناك داع إلى خفاء اسم مؤلف هذه الرسائل ، سواء أكان واحداً أو أكثر ، غير أن دراسة هذه الرسائل تدل على أن لكتابها - أو لكتابها - أغراضاً أخرى دينية تخالف رسالة الإسلام في صميمها ، وسياسية تضمر ما تنكره الدولة القائمة في ذلك الحين ، والشعر يدعو دائماً إلى التستر ، والخير لا يتستر أحد منه .

وان الدكتور حسين الهمداني - أحد دعاة الإسماعيلية المعاصرين لنا ، وقد كتب محقق الرسالة الجامعة اسمه محرراً بالخاء : الحمداني - كان يقول قبل نحو ربع قرن : إن رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة ، والقرآن كتاب العامة ، والظاهر أن مؤلفي رسائل إخوان الصفا والرسالة الجامعة كانوا يدعون إلى هذا المعنى القبيح ولذلك تستروا وكتبوا أسماءهم .

وعلى كل حال فنحن في هذا العصر نستفيد من الرسالة الجامعة ورسائل اخوان الصفا
أمرين اثنين : أحدهما معرفة المستوى العلمى فى القرن الرابع الهجرى ، والثانى التتقيب
عن المرامى الاحلادىة والسياسية التى كان يضمها مؤلفو الكتابين ويدسونها فى مطاوى
القضايا العلمية فيفسدون العلم بذلك من حيث يريدون افساد الدين .

ومن حسن حظ الرسالة الجامعة — مع أنها الآن فى طبعها الاولى — أن تحظى
من العناية والتحقيق بمالم تحظ بمثله رسائل لإخوان الصفا على شهرتها وتكرر طبعها فى الهند
أولا وفى مصر أخيرا ، وقد جاءت الرسالة الجامعة فى مجلدين كبيرين أولهما فى ٧٣٠ صفحة
والآخر فى ٤٣٣ صفحة من قطع صفحات هذه المجلة ، وموضوعات المجلدين كموضوعات
رسائل إخوان الصفا ، والغرض فى الكتابين واحد ، وأهل المذهب الإسماعيلى يرفعون
مقام هذين الكتابين فوق مقام كل كتاب آخر فى الأرض ، أما غيرهم من علماء الشرق
والغرب فلا يرون لهما فائدة أكثر من الدلالة على تطور التاريخ العلمى والفكرى فى
حقبة من الزمن .

بجمل تاريخ حاضرة الصعيد (أسىوط)

اطلع فضيلة الاستاذ الشيخ سيد على الطوبجى من علماء أسىوط على بحث فى إحدى
الصحف الكبرى عن ماضى أسىوط وأعلامها ، فبدا له أن يتوسع فى الموضوع لتدارك
ما فات تلك الصحيفة ، لكنه اقتصر فيما نشره على الجزء الاول فى ٥٧ صفحة واعدأ
بأن يرجع إلى ذلك فى أجزاء أخرى . وما سرده فى هذا الجزء لم يتعمد فيه الترتيب ،
بل أورد فيه من خواطره المتعلقة بماضى أسىوط البعيد والقريب وأبنائها المعاصرين
والذين سبقوهم . وقاعدته فى السرد أن الواو لا تقتضى ترتيبا . والمعلومات المشحونة
فى الجزء الاول تفيد الباحثين فى تاريخ أسىوط ، ولعل المؤلف عند نشره الاجزاء الاخرى
يلتزم فيها التبويب والتقسيم بحسب التسلسل الزمنى والموضوعى ، فتكون الفائدة به أتم ،
والانتشار له أعم .

هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة

للشيخ على محفوظ ، مطبعة دار الكتاب العربى ، ٥٤١ ص قالين

كان العلامة المخلص الصالح الشيخ على محفوظ رحمه الله أبا الوعاظ ومؤسس الوعظ
السليم فى الديار المصرية . ولد رحمه الله فى محلة روح من أعمال طنطا وتلقى علومه

في الجامع الاحمدى ثم في الأزهر الشريف ، وتخرج منه سنة ١٩٠٧ ، ثم اشتغل بالتدريس ونال عضوية جماعة كبار العلماء سنة ١٩٣٩ ، وانتقل إلى رحمة الله يوم ٣ ذى القعدة ١٣٦١ (١١ نوفمبر ١٩٤٢) وله كتب نافعة من أهمها (هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة) ولا يزال الوعاظ والمرشدون ينتفعون به إلى يومنا هذا وبين أيدينا الطبعة الخامسة منه قام أنجاله بنشرها .

وفي هذا الكتاب التعريف بالدعوة والحاجة إليها ، والسنن العامة في دعوة الرسل إلى الدين ، وهدية صلوات الله عليه في الدعوة وفي تربية أصحابه ، وواجب العلماء في الوعظ والإرشاد ، وقد ألم بتاريخ الوعظ الديني قديما ، وبآداب الداعي ، وبالكثير من المواعظ الدنيوية ، وبطرق الوعظ من ترغيب وترهيب ، وبمناذج من مواعظ القرآن والسنة النبوية ، وفي الكتاب محاضرات وخطب علمية ودينية وخلقية واجتماعية ، وما ينبغي أن يراعى في وضع خطب المنابر ، مع إيراد نماذج جيدة منها . فالكتاب كما ترى سفر نفيس جدير بما حظى به في طبعاته السالفة من إقبال عليه من جميع الطبقات .

نظرية الأنساب في الميزان

هو بحث قيم قام به العالم المحقق الأستاذ عبد الوهاب حمودة ونشره في مجلة كلية الآداب ، ثم فصل منه نسخاً مفردة أهدى إلينا نسخة منها . وقد بحث فيه عن معنى كلمة « النسب » ، في اللغة وما بينها وبين لفظ « سبب » ، من علاقة ، وما كانت تطلق عليه في أول استعمالها وكيف تطورت بعد ذلك . وانتقل إلى موقف المستشرقين من أنساب العرب وآراء كل فريق منهم ، وأفاض في بيان مذهب من ذهب منهم إلى أن الامومة هي الأصل في الأنساب ، وهو مذهب نقضه وأثبت خطئه كثير من علمائنا قبل نحو نصف قرن لمناسبة انتشار رسالة بنسدى صليبا الجوزى . وانتهى الأستاذ حمودة بعد استعراض أدلتهم إلى القول بأن الامومة « لم تكن قانوناً شائعاً عند جميع القبائل ، ولكن لا مانع في رأينا من أن يسكون العرب قد مروا قديماً في هذا الدور ، وكان للام عندهم اعتبار ومركز ممتاز . وأنت ترى أن الأستاذ على تسامحه مع القائلين بالامومة عند العرب بنى رأيه على الظن والاحتمال في دور قديم ليس لدينا ما نقطع في حقيقة ما كان عليه .

ثم عقد فصلاً ذكر فيه رأيه في الأنساب معتمداً على آراء لبعض المستشرقين وعلماء

الإسلام ، وافتتح هذا الفصل بالإشارة إلى ما في بعض كتب الأنساب من تخليط ووهم واختلاف . وفي اعتمادنا أن هذا الحكم على كتب الأنساب كان ينبغي أن يتناول التفصيل والتمييز ، ولعلنا نقرب من الصواب كثيراً إذا علمنا أن الأنساب لا تتناول كل أفراد القبائل ، وإنما يقتصر نسب القبيلة على أعمده من بيوتها المشهورة دون المغمورة . وما أثبتته علماء النسب من أنساب البيوت المشهورة قريب جداً من الواقع ، وليس لأعيان أمة من أُمم الأرض ما لأعيان الأمة العربية من المعرفة بأنسابها ، وإذا وقع الخطأ في ذلك فإنما يقع في النقص لا في الزيادة ، لأن التاريخ والوعي القومى يحفظان أسماء المشهورين بالرياسة أو الفروسية أو الكرم أو الشعر والخطابة والحكمة ، وقد تخفى عنهما أو نسقط من حفظهما أسماء المغمورين من رجال سلسلة النسب فتجىء السلسلة ناقصة عما هي عليه في الواقع ، ومن المستبعد وقوع الزيادة بتسمية رجال لم يكونوا في الواقع من آباء تلك السلسلة . أما جمهور العامة ممن ينتمى إلى قبيلة من القبائل فإنهم يكتفون باتنائهم إليها في الجملة ولا يعرفون لبيوتهم سلسلة أنساب كما يعرف الأعيان ذلك لأبائهم وسلفهم .

وما أشار إليه الاستاذ حمودة من تخليط أو اختلاف فكثيراً ما ينشأ عن وفاة أب من آباء بيت معروف النسب ، فتزوج زوجته في قبيلة أخرى وينشأ ابنها الصغير من زوجها الأول في بيت زوجها الثاني فينسبه من لا يعرف ذلك إلى زوجها الثاني ، كما نسبوا قضاة إلى معد مع أن نسبه متصل عند قومه من حمير الذين يعرفون آباء مالك بن عمرو بن مرة ابن زيد بن مالك بن حمير . وقد يقع الاختلاف بسبب نزوح قبيلة عن ديار القبائل التي تجمعها بمن صلة النسب إلى ديار قبائل أخرى غريبة عنها ، فتنسج بهم وتشاركها في سلمها وحربها ، فينشأ أبناء المتحالفين بمتزجين كامتزاج المتسلسلين من أصل واحد ، فينسبهم من يعرف نسبهم إلى أصلهم الأول ، ويلحقهم من يحمل ذلك بالقبائل التي طاروا عليها . وعلى كل حال فإن هذا الاضطراب يكون في جمهور العامة ، أما أعيان القبيلة فيحفظون أنسابهم حيثما ارتحلوا .

وفي رأينا أن نسب كل قبيلة يرجع فيه إلى العلماء من أبنائها إن بقيت لهم مؤلفات تحفظ أنسابهم ، فقبائل حاشد وبكيل من همدان حفظ لنا الهمداني أنسابها في الجزء العاشر من كتابه (الأكليل) بدقة وأمانة لا نظير لها ، وما اطلعنا على نسب همداني في كتاب من الكتب وعارضناه بما ذكره الهمداني في الأكليل إلا وجدناه عند الهمداني صحيحاً مضبوطاً لا غبار عليه وأنساب قبائل كلب القضاعين توسع فيها ابن الكلبي في جمهرة النسب

التي اختصرها ياقوت ، وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المختصر . وإنك لا تعارض ما نسبته ابن الكلبي لبيت من بيوت قومه في الجهرة بما حفظه العلماء ودونوه في كتبهم الأخرى إلا ظهر لك علم ابن الكلبي وجودة حفظه إلى أقصى غاية .

ولو حفظ لنا الدهر كتبنا القديمة في الأنساب - وفي طليعتها مؤلفات الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومؤلفات الهيثم بن عدى الطائي ، ومؤلفات أبي الوزير محمد بن مطرف العبدى ، ومصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيرى ، ومحمد بن حبيب البغدادى ، وكتب ابن خداع ، والمفقود من أجزاء كتاب أنساب الأشراف وأخبارهم للبلاذرى ، لحصلنا من هذا التراث العظيم على تحقيق دقيق فى أنساب العرب نحل به أكثر ما يشكل علينا من تخليط وهم واختلاف .

هذا فى القبائل المعروف أعيانها بالرياسة والفروسية والبلاغة والكرم فى الأدوار التاريخية من ماضى العرب . أما العصور العريقة فى القدم فالعلم بأنسابها علم لإجمالى ، وما يحمله التاريخ من أسماء آباء النسب فى تلك العصور أكثر بكثير من الذى حفظه لنا . ثم إن الأمم التى أباد الله سلطانها وأزال ملك رؤسائها كعاد وثمود وقوم شعيب والمعيفيين والسبأيين ، فإن جماهير عامتهم انغمست فى الأمم التى نهضت بعدهم وورثت السيادة عليهم ، فهم موجودون بدمائهم وأنسابهم ، ومنقرضون بأنسابهم وأصولهم منذ انقرضت دولهم واضمحلت سلطاناتهم . ونظن أن المفقود من أمهات كتب الأنساب ، إذا جاد الدهر بظهور شيء منه وتناولته يد البحث والنشور بالطبع والتحقيق ، ستمحص به أنساب العرب وتعرف قيمتها وتنبأ مكانها فى تراثنا من آداب العرب وتاريخهم .

قصة المولد النبوى — لنافع الجوهرى الخفاجى

العلامة نافع بن الجوهرى الخفاجى التلبانى (١٢٥٠ — ١٢٣٠) من أفاضل رجال الأزهر المتأخرين ، كان كثير التأليف ، ومن مؤلفاته هذا المولد الشريف الذى سعى بفضله فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى عن نسخة بقلم المؤلف ، وتولى تصحيحه وكتابة مقدماته ، وهو من مطولات الموالد فقد بلغت صفحاته ١٢٨ صفحة فشكراً لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى على مجهوداته فى سبيل نشر العلم .

الأدب العلمى فى شهر

وصارت تعتبر الفهم والتصرف فى التعبير من أسباب النجاح لا من أسباب السقوط ، فإن من يتخرج من هؤلاء الطلبة الثانويين بعد ذلك ويدخل الجامعات يصبح مستعداً للبحث والاستنباط ، لأن البحث والاستنباط من ثمرات الفهم والتحرر من قيود وزارة المعارف فى مدارسها .

الجامعى الصالح

يقول الرئيس السابق على ماهر فى حديث له مع جريدة المصرى : « إن السبيل إلى إيجاد الجامعى الصالح هو أن نتمنى فى نفوس أبنائنا الطلاب الاستعداد الدائق للتربية الذاتية ، وأن نجلب إليهم مواصلة الدرس ومتابعة الحياة فى تطورها ، وأن ندرهم على الملاحظة والتجربة ، والانهاء من امتثال المعارف إلى خلق الجديد المبتكر . وأن نغرس فى نفوسهم التمسك بالواجب ، ونحضرهم بالمعاني الروحية السامية والمبادئ الخلقية القويمة . »

وفى اعتقادنا أن هذه الامنية لا تتحقق إلا بانقلاب أساسى فى الاساليب الجامعية المتبعة الآن فى مصر ، وأن تغيير النية التى ينوبها الطالب عند التحاقه بالجامعة كما تتغير

المنهجية فى التعليم الابتدائى

استقر رأى فى اجتماع اللجنة العليا للتعليم على إلغاء تعليم اللغات الأجنبية خلال المرحلة الابتدائية الإجبارية ، على أن يكون للتلميذ الذى يرى فى نفسه الكفاءة والمقدرة للالتحاق بعد ذلك بالمرحلة المتوسطة أن يتقدم لامتحان يحيز للناجحين فيه الالتحاق بها إذا كانت سنه بين العاشرة والثانية عشرة .

رسالة الجامعة :

يرى الدكتور محمد محفوظ وكيل جامعة الإسكندرية أن رسالة الجامعة لا تقتصر على تخريج باحثين ومستنبطين ومستغلين لجميع قوى الطبيعة وخباياها .

قلنا : ولن يتيسر ذلك للجامعات المصرية ، حتى لو أرادته وحرصت على تحقيقه ، ما لم يتحول طلبة المدارس الثانوية من يباغات يحفظون نصوصاً وأعلاماً وأرقاماً ليرددوها فى الامتحان بحروفها ، تحقيقاً لخطوة وزارة المعارف التى لا يرضى مفتشوها بغير ذلك . فإذا سمحت لهم وزارة المعارف بإطلاق أرجلهم من قيود الحفظ الحرفى لمواد مناهجها ،

وهيات لآبناء هذه البلاد الفرصة للتزود بقدر من الثقافة يدفع بعجلة حياتهم دائماً إلى الامام .

ولا شك أن معهد الدراسات الإسلامية سيمه اشباب هذا القطر أيسر السبيل إلى التسامح بذخيرة الإيمان وفضيلة العدل ، فتسند إليهم مناصب القضاء والتدريس والوعظ . وليكن شعارهم دائماً قول الله تعالى « وقل رب زدني علماً ، وإن الله القدير » يرفع الذين أوتوا العلم درجات ، .

وخطب الاستاذ محمود حماد فكان مما قاله : « إن الإسلام ليس ديناً لحسب ، إنما هو دين ومدنية وحضارة . وما من شك في أن حضارتنا القائمة الآن مدينة للإسلام بتصيب وافر ، .

مدرسة اسلامية في كارديف :

ينتظر أن يساعد الأزهر في تشييد مدرسة إسلامية للجالية الإسلامية الكبيرة التي تقطن في كارديف بانجلترا ، وستكون هذه المدرسة بجوار مسجد (نور الإسلام) وقد صمم بناؤها من طابقين على الطراز العربي ، وقدر لتقعات البناء ٣٥ ألف جنيه استرليني تجمع من التبرعات التي يشرف عليها الشيخ عبد الله الحكيمى . وستكون المدرسة ذات خمسة فصول تتسع لنحو ١٢٠ إلى ١٥٠ تلميذا وتستغرق عملية البناء أربعة عشر شهرا .

النظرة التي ينظر بها المدرس بالجامعة إلى مهمته كما كان متبعاً حتى الآن . لجامعتنا لم تخرج فيما مضى الجامعى الصالح لأنها لم تكن تعلم أنها أقيمت لذلك وفتحت أبوابها لتحقيقه .

الدراسات الإسلامية في الصومال :

يقول الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الإسلامية في مدينة مقديشو عاصمة الصومال الإيطالى : إن الجهد الموفق الذى بذله العلماء مبعوثو الجامع الأزهر إلى بلادنا ظهر أثره الطيب في نفوسنا جميعاً ، فقد رفعوا مكانة بلادهم في روعنا وفي قلوبنا ، وفي ضوء السعى المشكور والعمل الدائم تم افتتاح معهد الدراسات الإسلامية الذى كان أمنية جميع سكان الصومال منذ أمد طويل ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة كبيرة حضرها نائب الحاكم العام الإيطالى والاستاذ محمود حماد العضو المصرى في المجلس الاستشارى للأمم المتحدة وقناصل الدول وأعضاء البعثة الأزهرية وجميع ذوى المكانة .

وقد خطب نائب الحاكم الإيطالى العام فقال : « إن تأسيس هذا المعهد كان تنفيذاً لمشروع السنوات الخمس المتعلق بفتح الثقافة في الصومال ، وكان مقدراً أن يفتتح في العام الدراسى القادم ، غير أن معونة الحكومة المصرية وجهود حضرات العلماء مبعوثي الأزهر الشريف قد بكرت بافتتاح المعهد ،

إنباء العِلم الأصيل

قواعد الحكم

في فترة الانتقال

أعلن القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش - باسم الشعب - أن حكم البلاد في فترة الانتقال سيكون وفقاً للأحكام الآتية :
جميع السلطات مصدرها الأمة .

المصريون لدى القانون سواء فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

الحرية الشخصية وحرية الرأي مكفولتان في حدود القانون ، والملكية حرمة وللنازل وفق أحكام القانون .

حرية العقيدة مطلقة ، وتحمي الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية ، على ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب .

تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

لا يجوز إنشاء ضريبة إلا بقانون ، ولا يكلف أحد بأداء رسم إلا بناء على قانون ، ولا يجوز إعفاء أحد من ضريبة إلا في الأحوال المبينة في القانون .

القضاء مستقل لا سلطان عليه بغير القانون وتصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الأمة .

يتولى قائد الثورة بمجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير

التي يراها ضرورية لحماية هذه الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافه ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

يتولى مجلس الوزراء سلطة التشريع .

يتولى مجلس الوزراء والوزراء - كل فيما يخصه - أعمال السلطة التنفيذية .

يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر في السياسة العامة للدولة

وما يتصل بها من موضوعات ، ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير في وزارته .

واللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش قد أعرب

بعد إعلان هذه القواعد عن إيمانه بضرورة قيام نظام دستوري ديمقراطي كامل الأركان

أثر فترة الانتقال ، وبضرورة توفير حياة حرة كريمة ومستقبل مشرق باسم للجميع وعلى الجميع أن يساهموا في بنائه .

الجمعيات التعاونية وانهاض القرية :

يدرس كبار التعاونيين في مصر مشروعاً يهدف إلى أن تتولى الجمعيات التعاونية

سلطات المجالس القروية في القرى التي ليس لها مجالس ، وذلك لأن للتعاونيين وأنظمتهم

من المقسدة على الاضطلاع بهذه المهمة ما ليس لغيرهم في القرى المصرية .

السودانيون يقررون مصيرهم

إذا كان ميلاد الدولتين الإسلاميتين باكستان والهندونيسيا ، وخروج الفرنسيين من بلاد الجمهوريتين الشقيقتين سوريا ولبنان ، سيكون في نظر الاجيال الآتية أعظم الأحداث في تاريخ الإسلام والعروبة في هذا العصر ، فان نجاح قائد مصر إلى الخير الرئيس محمد نجيب ، في خطواته السديدة التي كان آخرها حل معضلة السودان بتوقيع الاتفاق عليها بين الجانبين المصري والبريطاني في يوم الخميس ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٣٧٢ هـ (١٢ فبراير سنة ١٩٥٣) ، لن يكون أقل شأنًا ولا أهون خطراً من ميلاد دولتي باكستان والهندونيسيا فضلاً عن جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان . ولا ريب أن الفوز المتواصل الذي يلقاه رئيس مصر في أعماله إنما هو انتصار للأخلاق ، ومعجزة من معجزات الحكمة عند ما يحسن أصحابها استعمالها ، ويعالجون المشاكل بهدائها وعلى ضوئها .

إن القصة التي بدأت بمغامرات غوردون وكيتشنر ، وحسبت باتفاقية سنة ١٨٨٩ م ، انتهت أخيراً في يوم الخميس ١٢ فبراير من هذا العام ، فلم يبق على إخواننا السودانيين إلا أن يستعرضوا خاتمتها في ثلاثة أعوام ، والاعوام الثلاثة في حياة الأمم كلعج بالبر

ثم يصدر البرلمان السوداني إن شاء الله قراره التاريخي الذي يعرب فيه عن رغبته في اتخاذ التدابير للشروع في تقرير المصير ، فتسحب حينئذ القوات العسكرية - المصرية والبريطانية - من السودان فور صدور ذلك القرار ، في مدة لا تتعدى ثلاثة أشهر . وإن التدابير التفصيلية لعملية تقرير المصير - بما في ذلك الضمانات التي تكفل حييدة الانتخابات وأي تدابير أخرى تهدف إلى تهئية الجو الحر المحايد - ستخضع لرعاية دولية ، وستقبل الحكومتان - المصرية والبريطانية - توصيات أية هيئة دولية تنشأ لهذا الغرض . وبعد انسحاب القوات المصرية والبريطانية من السودان في خلال الأشهر الثلاثة التي تلي الأعوام الثلاثة تقوم الجمعية التأسيسية بتقرير مصير السودان (الشامي والجنوبي) بوصفه وحدة لا تتجزأ ، كما تقوم بإعداد دستور جديد للسودان يتواءم مع القرار الذي يتخذ في هذا الصدد ، وتسن معه قانوناً جديداً لانتخاب برلمان سوداني دائم .

وسيتقرر مصير السودان إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة ، وإما باختيار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام . وقد تعهدت الحكومتان المصرية والبريطانية من الآن باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان ، وستقوم

تعارضاً مع مسؤولياته يرفع أمره إلى الحكومتين
للمصرية والبريطانية ، وعلى كل منهما أن تبلغ
ردها على ذلك فى خلال شهر واحد من
تاريخ الإخطار الرسمى ، ويكون قرار اللجنة
نافذاً إلا إذا اتفقت الحكومتان المصرية
والبريطانية على خلاف ذلك .

وهناك لجنة أخرى مختلطة للانتخابات
تشكل من سبعة أعضاء : ثلاثة منهم سودانيون
يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته ، وعضو
مصرى ، وآخر بريطانى ، وعضو من الولايات
المتحدة الأمريكية ، والسابع هندى . ويكون
تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكومة
كل منهم ، ويرأس اللجنة العضو الهندى .
ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناء على تعليمات
الحكومتين المصرية والبريطانية .

ولتهيئة الجو الحار الحاد لقرار المصير ،
تشكل لجنة للسودنة تتألف من عضو مصرى
وآخر بريطانى ترشح كلا منهما حكومته ، ثم
يعينهما الحاكم العام ، وثلاثة أعضاء سودانيين
يختارون من قائمة تتضمن خمسة أسماء يقدمها
إليه رئيس وزراء السودان ، ويكون اختيار
هؤلاء الأعضاء السودانيين وتعيينهم بموافقة
سابقة من لجنة الحاكم العام ، وفى هذه اللجنة
عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة
السودانية للعمل بصفة استشارية بحث دون
أن يكون له حق التصويت .

وهكذا سيمضى العمل فى فترة الانتقال ،
إلى أن تنقضى السنوات الثلاث بتوفيق الله
وعونه على أحسن حال إن شاء الله .

كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة
لتنفيذ هذا القرار .

والفترة التى تمر بين هذا الحادث التاريخى
الجديد (١٢ فبراير ١٩٥٣) ونهاية السنوات
الثلاث تعد (فترة انتقال) يهد فيها لتصفية
الإدارة الحاضرة فى السودان وإنهائها لإنهاء
فعلياً ، ويحتفظ إبان فترة الانتقال بسيادة
السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير مصيرهم
بإرادتهم واختيارهم .

وفى إبان فترة الانتقال يمارس الحاكم
العام سلطاته الدستورية وفقاً لقانون الحكم
الذائق بمعاونة لجنة خماسية تسمى " لجنة الحاكم
العام " ، وهى تشكل من اثنين من السودانيين
ترشحهما مصر وبريطانيا بالاتفاق بينهما ومن
عضو مصرى وآخر بريطانى ، واتفق على أن
يكون العضو الخامس باكستانياً ، ويتم رسمياً
تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية .
وقد اتفقت الحكومتان المصرية والبريطانية
على أن لا يمارس الحاكم العام السلطات
الخولة له بمقتضى قانون الحكم الذائق على أية
صورة تتعارض مع المبدأ الأساسى للسياسة
المشتركة للحكومتين فى الاحتفاظ بوحدة
السودان بوصفه لإقليماً واحداً .

وسيطل الحاكم العام للسودان مسؤولاً
مباشرة - أمام الحكومتين المتعاقدتين - فيما يتعلق
بالشئون الخارجية ، وأى تغيير يطلبه البرلمان
السودانى بمقتضى المادة ١٠١ من قانون الحكم
الذائق فيما يتعلق بأى جزء من ذلك القانون .
وكل قرار تتخذه اللجنة ، ويرى فيه الحاكم

مذبحة الدار البيضاء

هي المذبحة الشنيعة التي دبرها مع دار الإقامة الفرنسية العامة في مراکش الفرنسيون المتوطنون هناك ، فقتل فيها يومي ٧ و ٨ ديسمبر الماضي أكثر من ألف مراكشي مسلم راحوا ضحية التعصب والحقد والطمع والانحطاط في المبادئ الإنسانية .

ولما وصل خبر هذه المذبحة إلى باريس عقد فريق من أصحاب الضمائر من الفرنسيين اجتماعاً خطيراً في « دار المثقفين الكاثوليك » ، وحضر هذا الاجتماع مئات من الساسة والصحفيين والاسانذة والطلاب ، ورأس الاجتماع الكاتب الفرنسي الشهير مسيو فرانسوا موريالك فخطب مندداً بالاستعمار الفرنسي في مراکش ، ونادى بضرورة لإنعام النظر في مذبحة الدار البيضاء وقال : يجب على الفرنسيين أن يصرحوا بالحقيقة مهما كان ثمنها .

وخطب مسيو أندريه دوبيرقي المستشار السابق للاتحاد الفرنسي فقال : لم يبق في شمال أفريقية من أثر لسياسة فرنسا الغاشمة غير الخوف والحقد والتعصب العنصري . وإن أفراد الجالية الفرنسية في شمال أفريقية قطعوا علاقاتهم بفرنسا التي لم تهتمهم في شيء ، كما أنهم لا يرون في المغاربة أصحاب البلاد إلا أنهم أداة للاستغلال .

وخطب مسيو بيير كورفال أحد مستشاري الاتحاد الفرنسي سابقاً فأفاض في استنكار السياسة الفرنسية . ثم تلاه مسيو روبر بارا سكرتير الجمعية فقدم للجمعية ملفاً بوثائق خطيرة عن مذبحة الدار البيضاء التي بلغ عدد القتلى فيها ألف مراكشي ، وقد استخدموا رجال المطافئ لغسل الشوارع من الدماء الغزيرة ، لطمس معالم هذه الجريمة .

ثم خطب القسيس الأب ديوم الذي عاش ١٥ عاماً في المغرب ، والمسيو شارل أندريه جوليان الأستاذ بجامعة السوربون ثم مسيو فرانسوا ميتيران الوزير السابق فنددوا بهذا الاستعمار الممجى وجرائمه الشنيعة .

التعويضات الألمانية لإسرائيل

أوفدت ألمانيا الغربية وفداً إلى مصر ليعبر عن شعور بلاده بالأسى والحزن لما حل باللاجئين العرب ، وليفاوض ذوى الشأن في مصر للوصول إلى الوسائل التي تؤدي إلى استمرار العلاقات الودية بين ألمانيا ودول الجامعة العربية ، والتقليل من أثر التعويضات الألمانية لإسرائيل .

وقد اجتمع الوفد الألماني بممثلي الدول العربية ، وكان الاجتماع في وزارة الخارجية المصرية ، وأعلن وزير الخارجية المصرية في الاجتماع الأول أن « العرب من جانبهم

أقرت تلك القواعد الجمعية الدستورية ، ونشرت اللجنة تقريرها في ديسمبر عام ١٩٥٢ وأعطيت مهلة ليتسع الوقت لبحث ذلك الدستور حتى ٢١ يناير ١٩٥٣ ، وقد قام الدستور الجديد على أساس (الصلة بين القوانين الباكستانية والشرعية الإسلامية) ، ونص فيه على أنه : « لا يجوز إصدار تشريع يخالف للكتاب والسنة » ، وجعل لأعضاء المجلس التشريعى الاعتراض على أى قانون يخالف الإسلام . ونص الدستور على أن تؤلف اللجنة من أعضاء عالمين بالشرعية الإسلامية لا يزيدون عن خمسة ، فإن اختلفت اللجنة فلرئيس الدولة الخيار فى إصدار القانون أو رده للمجلس ، وإن أجمعت اللجنة على أن القانون يخالف للإسلام وجب على رئيس الدولة إعادته إلى المجلس لمقترح النظر فيه على وجه يبينه .

فسأله مندوب البلاغ :

هل رجع الباكستانيون عند وضع الدستور إلى الدساتير المختلفة للأمم ، واستعانوا بها على إنشاء دستورهم ؟ أم أنشأوه كله جديداً مستمداً من روح الباكستان والإسلام ، ومن التقاليد والعادات والخلق الباكستانى ؟ فقال السفير :

« لقد رجعوا بالطبع إلى دساتير الأمم المختلفة ، واستعانوا فوق ذلك بخبراء من الأجانب . ولكن للروح الإسلامية ، وللطابع الإسلامى ، وللبادئ الإسلامية فى دستور الباكستان مكانا كبيراً ومنزلة تكاد تسيطر عليه وتسوده . »

قرروا الوقوف فى وجه اتفاق ألمانيا مع إسرائيل على التعويضات .

وأجاب رئيس الوفد الألمانى ممبراً عن شعور بلاده وما ترجوه من توثيق العلاقة العظيمة مع البلاد العربية ، واعتذراً بأن ألمانيا تواجه بعد الحربين العالميتين كثره من المصاعب والمتاعب لكنها رغم ذلك مستعدة لمساعدة العرب فى كل ما يقوى صناعتهم وينشط اقتصادياتهم ، وأن تزود العالم العربى بالمشورة الفنية فى جميع الميادين مع ما تتطلبه هذه المشورة من أمور أخرى .

وقد استقر رأى على تأليف ثلاث لجان فرعية لبحث التفاصيل الفنية ، المتعلقة بالصناعات والمشروعات والتقويل على أن يشترك فى كل لجنة أعضاء يمثلون الفريقين . والسائد فى الجانب العربى أنه فى حالة الوصول إلى اتفاق فإن قرار المقاطعة العربية سيطبق على كل هيئة أو شركة ألمانية يثبت للعرب أنها تعامل مع إسرائيل .

دستور باكستانه الجديد

تحدث سفير مصر فى الباكستان الدكتور عبد الوهاب عزام إلى مندوب جريدة البلاغ عن دستور باكستان الجديد ، والنحو الذى نحتته تلك الدولة فى ذلك فقال :

« فى عام ١٩٤٩ نشرت (لجنة الأصول) فى الباكستان تقريرها متضمناً (القواعد) التى يوضع عليها دستور الباكستان ، وقد

محطة للمحجر الصحي بمكة

كان حجاج الشرق الذين يقصدون جدة من طريق باب المندب تفرض عليهم المراقبة الصحية ذهاباً وإياباً في محجر صحي أقدم في جزيرة كمران تجاه ثغر الحديدية اليمنى من أيام الدولة العثمانية . فلما زال الحكم العثماني عن اليمن احتل الإنجليز جزيرة كمران وأصبح محجرها الصحي خاضعاً لهم وللهولنديين .

وقد أنشأت الحكومة العربية السعودية الآن محجراً جديداً في جدة لحجاج الشرق ، ليحل محل محجر جزيرة كمران الذي كان يستقبل زهاء مائة ألف حاج . والمحجر الحجازي الجديد يتألف من محطة حجر صحي ، ومستشفى للأمراض المعدية ، ومستشفى عام ، ومعمل . وستساهم الهيئة الصحية بتزويده بالأجهزة والمعدات الإكلينيكية . وسيشرف على هذه المحطة الدكتور صبرى الفار الخبير المصرى فى شئون الحجر الصحي موفداً من المكتب الصحى الإقليمى .

ومحطة جدة الجديدة ستكون أول محطة من نوعها خاضعة لسلطة الحكومة السعودية .

الخطر الاسرائيلى

قالت جريدة المصرى فى مقالها الافتتاحى : « لقد آن للدول العربية أن تعترف بالحقيقة التى طالما صعب عليها الاعتراف بها ، وهى أن إسرائيل أصبحت خطراً حقيقياً علينا ، وأن هذا الخطر يزداد يوماً بعد يوم ، ويتراعى

فى صور شتى وأساليب مختلفة . وإن أعظم مظهر لهذا الخطر ما تؤديه شهادة الأرقام والإحصاءات من أن هذه الدولة تعمل ليل نهار ، وتقيم عملها على ضوء العلم والنظام ، وتجنّد قواها كاملة استعداداً لمدوان جديد على نمط واسع . ولا يستطيع قمع هذا الخطر على حقيقته إلا إذا قورن جهده لإسرائيل الدائم المنظم بمثل فى الدول العربية . وعلى كل عربى أن يكلف نفسه عناء هذه المقارنة ويستخلص منها - ولو لنفسه خاصة - النتائج المنطقية الصحيحة ، فهو إن فعل ذلك استيقن من حقيقة الخطر الإسرائيلى الذى أسلفنا الإشارة إليه ، وأخشى ما نخشاه أن يستنمى العرب إلى كثرة عددهم وموافقة بعض الظروف الحاضرة لهم ، فى حين أن الكثرة العددية لا خطر لها إذا كانت جاهلة ، أو غير منظمة ، أو غير معدة للعمل . أما الظروف فإنها قد تتغير فجأة من النقيض إلى النقيض ، وعلى كل حال فإن القوة تهيم بالظروف الملائمة ، والضعف يحرم صاحبه من الظروف الحسنة ويحيلها إلى ظروف سيئة . »

رئيسى لبنان يزور الرياض

زار رئيس الجمهورية اللبنانية الملك عبد العزيز آل سعود فى عاصمته الجديدة (الرياض) فاستقبل بحفاوة عظيمة . ولما اجتمع الرئيس اللبنانى بالملك السعودى بعد ظهر اليوم الاول من وصوله إلى الرياض لبثا معا ما يقرب من ساعة ، وتناول الحديث العلاقات بين

ثم ألغى فى هذا العام نظام الحكم الوراثى وأعلنوا الحكم الجمهورى كما ذكرناه فى جزء ربيع الآخر ، وكان آخر رؤسائهم الزعيم المصلح الحاج عبد المجيد ديدى رحمه الله ، ثم كان الآن أول رؤساء جمهوريتهم الزعيم الوطنى محمد أمين ديدى الذى يجمع بين العلم والأدب ومزايها الحكم الصالح .

قانونه صماية الآداب

تبحث وزارة العدل الآن فى تعديل القانون الخاص بحماية الآداب بحيث يحقق الغاية التى سن لبلوغها وأنشئ مكتب الآداب من أجلها . وقد طلبت من بعض رجال الأمن موافقتها بفتائج خبرتهم فى هذه الناحية حتى يحى التعديل المطلوب محققاً لما يستهدفه العهد الجديد من رفع مستوى الأخلاق إلى أقصى حد ممكن .

تحريم الخمر فى إيران

كما تعتنى حكومة مصر الآن بمكافحة المخدرات ومطاردة من يبيعها أو يشتريها أو يحملها ، فكذلك يحاول مجلس النواب الإيراني مطاردة الخمر ، فوافق ٨٨ من أعضاء المجلس على اقتراح قدمه ١٦ نائباً يقترحون فيه منع استعمال وشراء واستيراد وبيع وصنع المسكرات التى لعن الإسلام شاربها وصانعها وبائعها ومشتريها ومن يرضى بها . وكذلك طلبوا فى اقتراحهم تحريم الأفىون ، والمتنظر أن تصدر الحكومة الإيرانية مشروع قانون بذلك فى خلال ستة أشهر .

الدول العربية ، وضرورة توثيق الروابط الاقتصادية والثقافية والدفاعية بين دول الجامعة بشرط أن يكون فى ذلك ما يضمن استقلال الدول العربية وما لا يتعارض مع حريتها وابتعادها عن الخضوع لهذا المعسكر أو ذاك .

جزائر مالديف

نشرنا فى جزء ربيع الآخر من هذه السنة (ص ٥١٧) خبر إعلان الحكم الجمهورى فى جزائر مالديف الإسلامية ، ونزيد الآن أنها دخلت فى الإسلام فى سنة ١٤٤٨ للهجرة على يد رجل صالح من المغاربة اسمه الشيخ الحافظ ابن البركات ، وكان حاكم هذه الجزائر بوذياً فدعاه هذا الشيخ إلى دين الإسلام وعرفه بحجاسنه وحقائقه فاستجاب له ، وأسلم معه سائر سكان هذه الجزائر التى يبلغ عدد أهل بالسكان منها ٢١٥ جزيرة ويتبعها أكثر من ألف جزيرة أخرى خالية من السكان . وظلت هذه الجزائر مستقلة حتى احتلها البرتغاليون فى سنة ١٩٦١ هـ ثم أجلاهم عنها السكان المسلمون فى شهر ربيع الأول سنة ١٩٨١ بجهاد زعيم من زعمائهم ولوه بعد ذلك هليهم وهو السلطان الغازى محمد نسكرافان ، والمالديفيون يعتبرون يوم تحررهم من الاحتلال البرتغالى عيداً قومياً . وفى سنة ١٩٦٦ احتل هذه الجزائر قوة من بلاد مالابار ، ثم تحررت منهم بعد سبع سنوات بقيادة السلطان حسن عز الدين . وقبل ٢٢ سنة تحولت حكومتها إلى حكومة دستورية ،

فهرس

الجزء السادس — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بـ
٦٤٩	حقائق	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٥٥	بماذا تبدأ	» محمد عرفة مدير المجلة
٦٦٢	فقهات القرآن	» عبد اللطيف محمد السبكي
٦٦٨	السنة : التطهير في الاسلام	» طه محمد الساكت
٦٧٣	أزمة الفقه الاسلامي	الذكركتور محمد يوسف موسى
٦٧٩	علم التوحيد	الاستاذ علي الطنطاوي قاضي دمشق
٦٨٤	خير نظام للحكم	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٦٨٧	نشأة كتب الامالي	الاستاذ عبد الوهاب حمودة
٦٩٤	صدى قاصمى مجلة دار التقريب	رئيس تحرير المجلة
٧٠١	فصل الدين عن الدنيا	الاستاذ محمد عبد السلام القباني
٧٠٥	الحزبية في القرآن الكريم	» أحمد الشرباصي
٧٠٩	آراء وأحاديث : علوم البلاغة	» محمود النساوي
٧١٥	الفتاوى	لجنة الفتوى
٧١٨	مملكة تقلى	الاستاذ عبد المنعم محمد الشيخ
٧٢٢	قضية فلسطين وتمويضات الألمان لاسرائيل	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٧٢٥	لنرويات	الاستاذ محمد علي النجار
٧٢٩	وحدة الأمة — سبيلها إلى النصر	» عبد الحميد محمود المسلوت
٧٣٣	تطهير الاداة الحكومية	» محمد فتحي محمد عثمان
٧٣٥	الفترة السليمة عند ديكارت	» سعيد زايد
٧٣٩	نظم الحكم في الشرق	» محمود فياض
٧٤٤	ما أشبه القيلة بالبارحة	» محمد خليفة
٧٤٨	الدعوة إلى عقد المؤتمر الاسلامي	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٧٥٢	اختيار الزوجة في الشريعة الاسلامية	الاستاذ محمد فهمي الطماوي
٧٥٥	السكرتير	قلم التحرير
٧٦٧	الأدب والعلوم في شهر	»
٧٦٩	أنباء العالم الاسلامي	»

رئيس التحرير
عبد الله بن عبد العزيز
الاستاذ الشيخ
في مصر والشرق
للطبعة في مصر والشرق
في الخارج
للطبعة في الخارج
تمت الطبعة

مجلة لان في
مجلة شهرية بجماعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد عبد العزيز
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامعة الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السابع - في غرة رجب ١٣٧٢ - ١٥ مارس ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَانَتَانِ

أما أولاهما فخمسة مائة مليون مسلم منتشرون في بقاع الأرض كالأيتام الذين لا راعي لهم ، ولا يجدون من يحدد ارتباطهم العملي بالإسلام وأخلاقه وقواعده وسننه ، بعد أن صارت بيوتهم غير إسلامية ، ومعايشهم غير إسلامية ، وروابط الصداقة والتعاون والتعامل فيما بينهم غير إسلامية ، ويحتمهم كاه غير إسلامي ، وحتى أهدافهم قد انحرفت عن أهداف الإسلام ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيهم مرة أخرى لأنكرهم ولأنكر نسبتهم إليه . . .

ترى هل أخلاق الإسلام وقواعده وسننه جاءت لتكون خاصة بالجيل الذي صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل المنتسبون إلى الإسلام الآن في حل من أن ينكسروا لتلك الأخلاق ، وألا يعملوا بتلك القواعد ، ولا يلتزموا تلك السنن ؟

أنا لا أنكر أن المساجد حافلة وقه الحمد بالمصلين ، بل لأنها على كثرتها يضطر المئات من المصلين إلى افتراش الحصر والجيب في خارج أبوابها ليصلوا الجمعة مع الذين سبقوهم إلى الصلاة في داخلها ، وبين كل حين وآخر يحتفل المسلمون بإنشاء مساجد جديدة ، ومع ذلك فإن المجتمع الإسلامي لا يتعامل فيه الناس بأخلاق الإسلام ، ولا يعترفون بقواعده ، ولا يلتزمون سننه .

إن الأئمة الأربعة وغيرهم من أعلام الفقه الإسلامى اختلفوا فى كثير من أحكام العبادات كنواقض الوضوء وإسبال الأيدى فى الصلاة أو عقدها ، لأن النصوص التى اعتمدوا عليها فى استنباط تلك الأحكام متعددة فى أحوال مختلفة ، أو هى ليست من الصراحة والقوة بالدرجة التى تمنع الخلاف عليها فى المذاهب الفقهية .

أما النصوص التى تلزم المسلمين بأن يكونوا أمة صدق ، وبأن يقيموا الحق ، وأن يتعاونوا على الخير ، فإنها أصرح وأوضح وأقوى من جميع النصوص التى اعتمد عليها أئمة الفقه فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع فى العبادات . فكيف استباح جواهر المسلمين — إلا من عصم الله — هذا التساهل المشاهد الآن فى أخلاق الإسلام ومنها الصدق وإقامة الحق والتعاون على الخير ، مع أن الكثيرين من الذين يتساهلون فى ذلك يتشددون فى الأحكام المختلف عليها بين المذاهب لأنها من أمور الدين ، أما الأخلاق فأكثرهم يحسب أنها من أمور الدنيا ، وأن لهم أن يتصرفوا فيها بحسب ما يظنونه مصلحة لهم . نعم إن التشدد فى أحكام العبادات ضرورى لكل مسلم حتى ما اختلفت المذاهب على أدلته من النصوص ، ولكن كيف يجوز لعامة المسلمين فى بيوتهم وأسواقهم وجماعاتهم أن يعتبروا الأخلاق من أمور الدنيا لا من أمور الدين ، وكيف يستبشرون التحلل من أوامر الله فيها مع أنها أصرح وأقوى من أدلة الفروع الفقهية المختلف عليها بين الأئمة ؟

اللهم إن هذا منكر يجب على المسلمين معالجته عمليا بكل ما يزيله من العالم الإسلامى ، ويطهر هذه الأمة منه ، حتى تعود كما كانت أمة صدق ، وحتى تعود فيها كلمة الحق ، وتعم جميع أفرادها بسجايا الخير . وبهذا الإصلاح يعود المسلمون مسلمين ويرد إليهم اعتبارهم بين الأمم ، ويصلح الله لهم به دنياهم ، وتعرف شعوب الأرض إلى الإسلام بمشاهدة أخلاقه معمولاً بها فى جماعات المسلمين وأفرادهم .

وهنا يحسن بنا أن نتساءل : من الذى يتولى معالجة هذا المنكر حتى يزيله ، ويرد المسلمين إلى إسلامهم حتى يكونوا من أمة نبيهم حقا ؟ .

كنت أعتقد منذ طفولتى أن هذا الواجب فى أعناق علماء الإسلام ، وأنهم ورثة المقام النبوى فى معالجة كل ما كان يعالجه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من نقائص الناس ومواطن ضعفهم . لكننى سمعت الكثيرين منهم فى فترات كثيرة من حياتى يعتذرون بأنهم

ليس لهم من الأمر شيء ، وأن هذه الأمانة في أعناق ولاية الأمر ، وهذا نقف مرة أخرى لتسأل : ما هو هذا الأمر ، لنعرف من هم ولايته ؟

إن الأمر ، في الإسلام وأمة الإسلام هو الإسلام نفسه وأخلاقه وقواعده وسننه . ويوم كان أمراء المؤمنين وولايتهم وعملهم هم الذين يرتقون منابر الإسلام ليقوموا بمهمة التوجيه للمسلمين ، ولما كانوا يؤمنون المسلمين في دينهم كما يؤمنونهم في دنياهم ، كانت المسؤولية يومئذ في أعناقهم مباشرة ، ومع ذلك فإن وريثة مقام النبوة من علماء المسلمين لم يكونوا يتصلون من هذه المسؤولية ، وكان كل واحد منهم يقوم بتصيبه الذي يطيقه منها .

وأما بعد أن انحصر أمر ، الإسلام ورسالته وقواعده وأخلاقه وسننه في وريثة مقام النبوة من علمائنا ، فقد انحصرت فيهم ولاية هذا الأمر ، ولن يخاصهم من مسؤولية ذلك في يوم الحساب الاكبر أى عذر يعتذرون به .

إن هذه الأمة الإسلامية ، أمانة الله ، في أعناق علمائها ، فعليهم أن يعدوا أنفسهم لقيادتها إلى الإسلام وأخلاقه والعمل بقواعده وإحياء سننه ، بأن يجعلوا لها من سيرتهم قدوة تقتدى بها ، ومن إيمانهم الصادق مصباحاً تستنير به ، ومن توجيههم الحازم اتجاهاً تسير به إلى أهداف الإسلام بصدق وعزيمة وأمانة وإخلاص .

ولأقطع الحجة على الذين يقولون منهم : ليس لنا من الأمر شيء ، أتحدث إلى سادق شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية الإسلامية فأسألهم : أليس الأمر ، لكم قيم من وضعهم الله تحت أمانتكم من شباب المسلمين الذين أقبلوا على معاهدكم ليتلقوا منها رسالة الإسلام ، ثم ليكونوا خلفاءكم في بيئاتهم على وريثة مقام النبوة ، يوم تشهد لهم معاهدكم بأنهم صاروا من العلماء ومن وريثة الانبياء ؟

نعم يا أسيادي ، إن هؤلاء الطلبة ، أمانة الله ، في أعناقكم ، وفي أيدي المتعاونين معكم من أساتذة الأزهر والمدرسين فيه ، وإن أمثالهم من طلبة العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، أمانة الله ، في أيدي أساتذتهم من علماء المسلمين في كل بقعة من تلك البقاع .

لأنها لأمانة ثقيلة في ميزان الله ، وعظيمة المسؤولية في يوم الحساب . . .

وإذا كانت الأمانة - بوجه عام - قد تهيئتها السماوات والأرض يوم عرضها الله عليهن ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، فإن جزءها الذي اتعن الله عليه سادتنا العلماء من شيوخ

الكلية والمعاهد والمدرسين فيها وفي أمثالها بكل بلد ، لا شك أنه أثقل ما في أمانات الله وأعظمها خطراً ومسئولية .

إن الرعاة الذين سيعهد إليهم بعد سنوات قريبة بالإشراف على مئات الملايين من المسلمين هم هؤلاء الألوف وعشرات الألوف من طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية في مصر وأمثالها في الأوطان الإسلامية الأخرى . وإن كانت قد فانتنا الفرصة فيما مضى لإعداد هؤلاء الرعاة الإعداد الصالح لرعاية الشعوب الإسلامية بلا تهرب من هذه المسؤولية ولا تعطل بالمعاذير للتخلي عنها ، فقد آن لنا أن نشعر اليوم بثقل مسئوليتنا من هذه الناحية ، وأن نتذكر أن المعاهد الإسلامية ينبغي أن تكون - قبل كل شيء - دور إعداد وتربية وتكوين خلق وتوجيه ملي ، ثم هي بعد ذلك معاهد تعليم . والصحابة في عصر النبوة كانوا يتلقون الأخلاق والفضائل وحسن التوجيه من المبعوث إلى الإنسانية ليتعم مكارم الأخلاق ، أكثر مما كانوا يتلقون العلوم كما صرنا نفهمها في عصور الانحطاط . وقد ثبت أن الصحابة والتابعين كانوا يتلقون الآيات القليلة من القرآن فيتقنون تلاوتها ، ويتدبرون أغراضها في أوسع آفاقها وأبعد مراميها ، ولسكثرة تكرارها لتدبرها كانوا يحفظونها أتم الحفظ وأجوده ، وفي خلال ذلك يتخلقون بكل ما فيها من أخلاق ، ويعملون بكل ما فيها من توجيه وأحكام ، حتى إذا استوفوا ذلك على أتم الوجوه وأكملها في هذه الآيات القليلة ، انتقلوا منها بعد ذلك إلى آيات أخرى غيرها . قالوا : فكنا نتعلم العلم والعمل به . وإذا تعلموا العلم والعمل به ، حملوا رسالتهم إلى كل مكان حلوا فيه ، فعملوه لجميع من يتصل بهم من إخوانهم المسلمين ، وحملوهم على العمل به كما التزموا هم العمل به في السر والعلن والمنشط والمكره . وبذلك ورثوا مقام النبوة في الإسلام . أما العلم الكثير الذي ينظر إليه كبضاعة للتصدير للقنية ، فإنه هو العلم الذي لا ينفع ، وكان رسول الله ﷺ يستعين بالله من هذا النوع من العلم كما يستعين من الشيطان ، وطالما قال ﷺ : أعوذ بالله من علم لا ينفع . فالعمل بالعلم ، والنحاق بما يرشد إليه من فضائل يجب أن يكون في مقدمة ما يعنى به المدرس في نفسه أولاً ، ثم في توجيه أبنائه الطلبة إليه ، ومراقبة عملهم به ، كما يراقب الأب الحكيم ابنه الحبيب وكلما صدر ذلك عن المدرس من صميم القلب ، وتأييد عليه به بعمله به ، رسيخ ذلك في قلوبهم ، وتشبعت به نفوسهم ، وجرى مع دمائهم في عروقهم ، لا سيما إذا اقتنعوا بفائدته

لهم في معترك الحياة . وما ينبغي لنا معرفته أننا مقبلون على زمن ينحط فيه ويفشل في الحياة كل من عامل الناس بالاخلاق الملتوية ، ويرقى فيه وينجح في الحياة كل من عامل الناس بالاخلاق المستقيمة . وإن الاخلاق الإسلامية هي العنصر المطلوب بعد الآن في المجتمع ، والمجتمع سيبحث بمصباح ديوجين عن المتخلفين بأخلاق الإسلام ليأتمهم على مصالحه ومرافقه وخيراته . وكما رأينا أصحاب الاخلاق الملتوية ممن وصلوا إلى المقامات العليا في عهد قريب قد سقطوا الآن في أقفاص محاكم الجنايات ، أو فتحت دفاتر حسابهم عما اقترفوا فيما مضى من آثام ، فإن السنين الآتية لن يكون فيها لأمثال هؤلاء مجال للعمل ، وإن العمل كله سينشده له المجتمع عمالاً من المتخلفين بالاخلاق التي كان يبتهج بها رسول الله ﷺ ويمتلىء قلبه بحبة لاهلها وسروراً بهم .

إن على أسانذة السكيات والمعاهد الازهرية أن يرغبوا طلبتهم في معرفة تراجم أصحاب رسول الله ﷺ وفضائلهم وما كانوا عليه من أخلاق ، ويطعموهم في أن يكونوا مثلهم فيها ، بل عليهم أن يفهموهم بأن على المسلم أن يكون له في رسول الله ﷺ وأخلاقه السامية أسوة حسنة كما أرشد الله المسلمين إلى ذلك ، ومن أولى من طالب العلم الإسلامى بأن يطلب الاسوة والقُدوة لنفسه وقلبه وعقله وأخلاقه بكل ما كان عليه رسول الله ﷺ من سجايا وفضائل ؟ والسيرة المحمدية يجب أن تعرف لا للتحدث بها من اللسان إلى الاسماع ، بل للنأسي بها حتى تترجم بالاخلاق والاعمال ، فيتلقاها الناس بالمشاهدة والنظر ، والتعامل بها والعمل . حتى إذا تخرج طلبة الازهر وهم متحلون بهذه الحلية ، استطاعوا أن يقودوا الامة الإسلامية ويعدلوا بها عن طريق الشيطان إلى مرضاة الرحيم الرحمن ، وبذلك يتحول المسلمون من غشاء السيل ، ويطهر الله قلوبهم من جرائم الوهن ، ويملا صدور الامم مهابة لهم ، فتذبوا المسكانة الكريمة التي أرادها رسول الله ﷺ لامته .

الاخلاق قوة ، والمسلمون ضعفاء الآن في كل شيء ، لانهم نشأوا وتكونوا أيتاماً ليس لهم من يحسن القيام عليهم في إعدادهم الخلق وتوجيههم الإسلامى . ولن يكونوا مسلمين حقاً إلا إذا تخلقوا بأخلاق الإسلام ، وإن لم يتول علماء المسلمين هذه الامانة ، في أمة محمد فمن ذا الذي يتولاها فيهم ؟

يا أسيادى شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ، ويا إخوانى من أسانذتها ومدرسيها : إن الأمر جد ، والزمان قد استدار ، ويوشك أن يكون كميئته يوم بعث الله محمداً ﷺ بالحق والخير ، فأصبحت هذه المهمة هى مهمتكم الأولى . وإذا لم تعتبروا أنفسكم ولادة هذا الأمر ، فى جماهير المسلمين ، فأنتم بلا شك ولادة الأمر كله فى طلبتكم وأبناء كلياتكم ومعاهدكم . وإن الدرس قد يؤخذ من الكتب ، أما التكوين الخلقى والتوجيه الإسلامى فتنبه قلب المدرس المؤمن بأخلاق الإسلام والذي يشعر بخطور الأمانة التى ائتمنه الله عليها .

أيها المدرس الأزهرى ، أنت قائد ، والذين تتصل بهم من طلبتك الأزهريين هم جندك ، فسلحهم بأخلاق الإسلام ، واملأ قلوبهم وأرواحهم برسائله ، وادفعهم بإيمانك وحكمتك إلى ميادين الجهاد ومعقل النصر ، وإن الله سيكتب بجهادكم الصادق الظفر الكامل للفضائل فنزول بها الرذائل التى أوهنت المسلمين وأطمعت بهم الأمم . إنك أيها المدرس المسلم على ثغرة من ثغور الإسلام ، لحذار أن يؤتى الإسلام من قبلك !

* * *

وبعد فهذه إحدى الأمانتين ، وقد اتسع القول فيها لأنها عظيمة فى مصير الإسلام وأهله ، وثقيلة فى موازين الله عز وجل . وسأتحدث عن الأمانة الأخرى فى الجزء الآتى إن شاء الله .

محبة الدين الخطيب

عليه السلام

لما تقلد الخاقانى الوزارة أرسل إلى الإمام محمد بن جرير الطبرى بمال كثير ، فأبى أن يقبله ، فعرض عليه القضاء فامتنع . فعاتبه أصحابه وقالوا له : لك فى هذا ثواب ، وتحب سنة قد درست . فأنهزم وقال : قد كنت أظن أنى لو رغبت فى ذلك لهيتمونى عنه .

دِفَاعٌ عَنِ الْأُذْهِرِ

شر ما تبلى به أمة من الأمم شك بعضها في بعض ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، فكما أشار عليها أولو الأمر فيها شكوا في مشورتهم ، وأسأوا بها الظن ، وذعبوا يلتمسون الأسباب والعلل للتفلت منها .

ولما نحس تدبيرا خفياً يعمل في الظلام للتفريق بين الأمة وعلماء الدين فيها ، ويذر بذور الشك في أقوالهم ونصائحهم وفنائهم . لقد سارت الأمة منذ عهد بعيد منذ مجيء الإسلام على حسن الظن بهم والتماس مشورتهم في كل حادث جد وفي كل خطب نزل ، وكانت تأتمر بأمرهم وتصدر عن رأيهم ، وكانوا يحذرونها من أعدائها ويؤرونها مكرهم ودسائسهم ، ويعرفونها كيف تتقى حباثلهم وتأمن مكرهم ، ولم يخف ذلك على أعدائها فسمعوا في غرس الشك في قلبها وخلقوا سوء الظن بهم ، لتنفرد عن علمائها وينفرد أعداؤها بها .
« ولما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

وقد أصابوا بعض النجاح في ذلك ، فلا يخطئك أن ترى في بعض الصحف تشويها لهم وإساءة ظن بمشورتهم . ونحن إذا التمسنا العذر لبعض السكاكين ، فلا نجد عذرا لبعض علماء الدين الذين يذرون الريب والشكوك في العلماء ، ويصورونهم بصورة من باعوا دينهم وضمايرهم لدنيا يصيبونها أو عرض يفتنونه ، وقد رأينا منهم من يطعن في قدماء العلماء ومحدثهم ، فإذا رأى فتوى في أمر هو مجال الاجتهاد طعن فيهم إذ لم يأخذوا بالرأي المخالف ، وإذا كانت الفتوى صحيحة ليست باطلة ، جعل الباعث عليها سيئاً ، والآخر تسوء بسوء الباعث عليها حتى العبادات نفسها . قال رجل في مجلس الأمير : سبحان الله ، استعظما لأمر وقع من بعضهم ليغرى به الأمير ، فقال بعض العلماء : ما علمت أن سبحان الله معصية إلا في هذا اليوم .

وإذا رأى العلماء ينزلون على الأمر الواقع حين غزا نابليون مصر وتغلب عليها نعى عليهم ذلك ، كأنما كان يريد بعد أن سقطت المقاومة أن يقاوموا ويحملوا المصريين على المقاومة ليبيدهم أعداؤهم ، وإن حكم الشرع والعقل بأبي ذلك - قال الشاعر القديم :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله هوانا وإن كانت قريبا أوأصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

وقد رأينا الألمان في الحرب الثانية يغزون الممالك فلا تقف أمامهم إلا أياما ، وكانوا أعظم المحاربين شجاعة وإقداما ، ولسكنهم لما سقطت مقاومتهم خضعوا للأمر الواقع ، وساروا على حكم الوقت ، فحُكِّم قوادهم واستجابوا لما يفرض عليهم .

فهل كان يطلب من علماء الدين في عهد احتلال الفرنسيين غير ذلك ؟ وهل كان يطلب منهم أن يقودوا الأمة إلى حتفها بعد أن سقطت مقاومتها ؟ لا ، إن العقل يقضى بمسيرة الأمر الواقع ، والعمل على التخلص والصبر حتى تتمكن الفرصة كما كان ، فقد جاءت الفرصة وأخرج نابليون والفرنسيون من مصر .

هذا مرض يجب أن يطب علماء الدين له ، ويجب أن يعنوا به ويتعرفوا أسبابه وعلمه ، فليس ذلك يمس أشخاصهم فحسب ، وإنما ذلك يمس المصلحة العامة وخير المجتمع .

إن العلماء هم الهداة المرشدون بحكم الدين ، ولأنه لا يقبل قولهم ولا يسمع نصيحهم إلا إذا وثق بهم ، وهذه الحملة المدبرة عليهم تفقد هذه الثقة .

لأننا نعلم أن صلة العالم المسيحي بالبابا وبرجال الدين فيهم صلة تجعلهم إذا أمروهم بأمر نفذوه في بلدان العالم المختلفة .

ولأن اليهود في جميع العالم يرتبطون برباط وثيق ، ولأن الأمر ينزل عليهم من هيئتهم العليا ، فإذا هو قول مطاع وحكم منفذ ، وهذا سر قوتهم ونجاحهم ، إن قادتهم يروون في الأمر فتبين لهم وجوهه المختلفة فيختارون ويضعون الخطة ولو لمئات السنين ، ويعلمون اليهود في جميع بقاع الأرض بذلك ، فيأخذون جميعا في التنفيذ ، فليست هناك آراء مرتجلة ولا عمل وقفي ولا رأى شخصي ، إنما هو الرأى المدروس المتفق عليه الذى هو أمنية الأجيال والقرون .

أما نحن فلا نزال على عتبة الباب ، ولا نزال متفرقين مختلفين لا يعلم بعضنا شيئا عن بعض ، ولا يزال بعضنا ينزع الثقة من بعض ، حتى نصير بددا متفرقين ، لا نجتمع على رأى ولا نستجيب لنداء .

إن الأمر جد خطير ، يجب أن يلتمس له الدواء لإعادة الثقة وحسن الظن ، ولعل هذا هو الذى دعا الرئيس اللواء محمد نجيب إلى أن يستقرى التاريخ حتى يعثر على مواقف مشرقة لعلماء الأزهر من وقوف في وجه ظالم أو عمل على رفع مظلمة ، أو إنقاذ الأمة من جبار متعنت ، فيسجلها في خطبه العامة ويشيد بها في مواقفه التاريخية ؛ فقد ذكر في خطبته في عيد التحرير في يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ ما يأتى : « لقد أرادت مناهج التربية والتعليم في الماضى أن تطمس هذه الصفحة المشرقة من تاريخ بلادنا لينشأ أبناءنا على الذلة وليستقر في أذهانهم

أنهم كانوا عبيدا أبدا ، لذلك أراى اليوم مطالبا بأن أعلن أن أجدادنا كالأخوة من أجل الحكم الصالح ، وأنهم جاهدوا فى سبيل الدستور الصحيح منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فقد عزل الشعب فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٣ واليا معيننا من قبل السلطان ، فقال الوالى لى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ، فرد عليه علماء الأزهر ، وكانوا وقت ذاك نواب الشعب ، إن للشعوب طبقا لما جرى به العرف قديما ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الإسلامية ، الحق فى أن يقيموا الولاية ولهم أن يعزلوه إذا انحرفوا عن سنن العدل ، وساروا بالظلم ، لأن الحكم الظالمين خارجون على الشريعة ، فحركتكم التى تحتفلون اليوم بعيدها كما ترون ، ووصول الأسباب بجهد أجدادكم ، فما قاله الأجداد فى سنة ١٨٠٣ قاله الأحفاد فى ٢٣ يوليو الماضى ، . وفى خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور أشار إلى إحدى الثورات الدستورية التى قامت فى مصر بقيادة الشيخ أحمد الدردير والشيخ الشرفاوى ، وقد قال الرئيس إن هذه الثورة قام بها شعب مصر قبل أن يستتب الأمر لثورات أوروبا الكبرى .

هذامان سجله للرئيس اللواء محمد نجيب مغتبطين له ، مقدرين هذا الشعور النبيل ، وهذا التوجيه النافع ، فإذا يجب على علماء المسلمين أن يعملوه ، وماذا يجب أن يساعدوا به فى إعادة الثقة بهم . إن البون بينهم وبين النظام الواجب شاسع ، ولكن ذلك لا يمنع من جعله غرضا سائيا يسعون للوصول إليه ويلتمسون له الأسباب ، إن الثقة بهم هى التى تجعل قولهم مقبولا وأمرهم مطاعا ، وإن تنال هذه الثقة إلا بأن يؤمن رجال الدين بأنهم لم يخلقوا لأنفسهم ، وإنما خلقوا لهداية أمتهم ، وأنهم مسئولون عنها إذا زاعت أو ضلت ، وبأن يعملوا على مقتضى هذا الإيمان ، فيجب أن تجدهم أمتهم إذا اشتجرت الآراء ، وعمت الأهواء ، ناصحين هادين ، ويجب أن ترى فيهم تضحية بأموالهم ومناصبهم وأبروارهم إذا اقتضى الأمر فى سبيل خيرها وإنقاذها ، يجب أن تعلم فيهم أنهم لا يجنبون عن قول الحق ، ولا ينكصون عن نصره الصدق .

ويجب أن يتحللوا من ذلك الواجب الذى يفرض على المرء ألا يتحدث عن أعماله ولا يركز نفسه ، فما عليهم أن يتحدثوا عن أعمالهم ، ويدينوا خدماتهم وتضحياتهم ماداموا يداقون عن أنفسهم ويردون قول خصومهم ، وما داموا يرجون من وراء ذلك إعادة الثقة أو توطيدها برجال الدين ليتمسكوا من بذل النصيحة ومن توجيه الأمانة إلى خير العمل وعمل الخير .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

نَهْكَاتُ الْفِرَاقِ

— ٣ —

٢ — البيت العتيق :

« وأذن في الناس بالحج »

صدع إبراهيم بالامر ، وامتد في الآفاق نداؤه ، وتحقق لمكة رجاؤه ، فأصبحت وجهة للقصاد بعد أن طالت عزلتها ، وهوت إليها أفئدة من الناس وإن بعدت عليهم شقتها ، وتوافد الناس عليها من كل حذب ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

وكان قد اندمج إسماعيل في العروبة فنشأ على لسانها ، وشب بين ناشئتها ، واثقلت فيه روحانية الآبوة بخصوبة الأمومة المصرية ، واشتمل عليه الطابع العربي في ميزانه المحمود : من نجابة ، وصراحة ، وصدق ، ووفاء .

وهذا التكوين كانت شخصية إسماعيل طرازاً جديداً للرسالة الدينية في طور حديث من التاريخ ، وكان مهيباً للبعث في الأمة العربية . . على غير ما كانت تتمجه الرسائل من قبل « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ثم يبدو توجيه القدر المحتوم في تلقيع العروبة القديمة بما يخفف من جفوتها ، ويلطف من خشونتها لتساير حياتها القابلة في سبيل التدرج .

بدا ذلك في إصهار إسماعيل إلى العرب ، فكانت ذريته - العرب المستعربة - وكانت بعد : قبائل ، تبتدى منه ، وتتأصل به ، وتمتد فروعها في جنبات مكة ، وفيما حولها ، حتى لتزخر بهم مكة يوماً فيوماً ، وغمر الله البلد الماحل بما رزق أهله من الثروات مجلوبة إليهم على أيدي من هدام الله لتلبية أذان إبراهيم بالحج . وتلك دعوة من دعوات الخليل .

تعارف الناس بفضل البيت ، وتوارثوا قداسته ، وأصبح تاريخه عندهم مطلع تاريخ

العرب المستعربة . . وأصبح كذلك في تقديرهم - وهو حق - منقبة من مناقب الشرف الموثل لإسماعيل وذريته من بعده .

وعندى - وهو استطراد حسن - أن انتساب العرب لإسماعيل بنسب محفوظ ، وارتباطهم بالبيت في تاريخ مصدوق كانا من بواعث العزة التي عرفوا بها ، ومن أسباب الخصال المحموده التي لم تكن لسواهم ، فإن يكن هذا في البيئة العربية الأولى فقد وضع في بنى إسماعيل أكثر ، وقوى اعتزازهم بذلك منذ أصبح نجمهم في تألق ، ونجم الآخرين في أفول ، ومنذ أصبح لهم لدلال بأبوة إبراهيم وإسماعيل ، وأصبحت لهم منقبة بالبيت الذي أقيم فيهم ، ولا يزال بينهم ، فن حقمهم أن يتساموا بالنسب الكريم ، ومن الحق عليهم أن يتسابقوا إلى المسكارم : حماية للشرف الموروث ، وإعلاء للجدد المعروف ، وتعزيزاً للسيادة الموهوبة .

بلغنا السماء مجئنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

وقد تأصل في العرب إذا امتدح الواحد منهم نفسه أن ينحاز إلى أعراقه الأولى ، حتى ينفى إلى إسماعيل لو يستطيع ، وإلا يستطع خسبه أن يصعد في النسب الضارب في العروبة إلى غاية ، ولم يكن فيما تعارفوه أذكى لأحدهم من نسب معترف به وإن صغرت يده من المال ، ولا أخزى من نسب منكور وإن كانت الدنيا في قبضته ، وكل ما هناك من شمائل محمودة أو شائعات مرذولة فردده عندهم إلى أصل كريم ، أو نسب لثيم .

ويخيل إلى أن هذا من وحي الفطرة ، فإننا نشهد من أنفسنا نزوعاً إلى ما نزعوا إليه فشعور الواحد منا بعراقته ، واحتسابه المجد في عرومته وخمولته قد يدفع به إلى النبالة فيما يقول أو يعمل ، بل فيما يفكر ويتخيل ، وكثيراً ما يصرفه ذلك عما يחדش مجده الذي يعتز به ولو كان في صنيعة بنجوة من الرقباء .

كما أن استكانة المرء إلى هوان منبته ، وضالة نسبه واختفاء معالنه قد تزهده في الترفع ، وتبعده عن المسكارم ، وتؤيسه من المجد ، وليس يغنى عن كرم المحتد مظهر زائف ، ولا يمنع الإناء من رشحه طلاؤه بالتقوية بل قد تكون الحداثة في الظهور مغربة بالإسفاف ، فإنها كالنكسة شرها أخل وأنكى من المرض الهاجم .

من يمن يسهل الهوان عليه ما لجرح يبيت إسلام

. وعلى تأييد هذا جاءت تعاليم الإسلام فيما أوصت به عند اختيار الزوجة ، وفيما حذرت منه : مخافة الافتتان بخضراء الدمن — المرأة الجميلة من أصل سوء — فإن للنسب شأنًا مراعى ؛ غير أن الإسلام لم يجعل كرم النسب شفيعاً للمسيء ، ولا لؤم النسب مسوغاً للعدوان والتحقير ، ولا مانعاً من التزكية بالدين ، والعلم ، والخلق ؛ والميزان الحق في نظر الدين مع ما للأنساب من أثرها في توجيه الإنسان إنما هو العمل ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وأعود - بعد الاستطراد - فأقول : ظل بيت الله والعرب من حوله هم أهله ورعاته تربطهم به رابطة الوطن ، ورابطة التاريخ ، فهو منارة في أم القرى ، وهو وثيقة تاريخهم التي لا يماريهم فيها أحد . وتربطهم كذلك رابطة الدين منذ دعاهم إبراهيم وبعث فيهم إسماعيل . فليس بدعا أن يدين العرب على تعاقب الأزمان بأن يقيم مجدهم في الحفاظ عليه ، وأن سيادتهم في الالتفاف حوله والانتساب إليه .

ثم يتناول العهد ، وتتصدع القومية العربية من بعض جوانبها ، وتجرفهم ضلالات حاقت بهم ، وتنطوى على الأحداث صفحات من التاريخ ...

ولكن شيئاً واحداً ظل شاخصاً فيهم ، مهيأً عندهم : ذلك - هو البيت العتيق - يدأبون على رعايته وعمارته ، ويتعمدون الحجيج إليه بالسقاية وكرم الوفادة ...

ولإذا اختصموا في البيت ساعة ما ، وتنازعوا الأولوية به ، وتقاسموا الأمر في قبائلهم فهو على أى حال في ولد إسماعيل ، لا يدعيه غيرهم ، ولا ينتزعه أحد من أيديهم ، ولا يستطيع منافس حائق أن يصرف الناس عنه وإن توفرت له القوة أو تمكن له السلطان . ولم تكن رعاية الله لبيته لتدع أصحاب الفيل ينالون من قداسة البيت ، أو يقتربون منه مع بالغ قوتهم وكثرة حشدهم ؛ بل نزل بهم ما نزل من هلاك ، وبقي بيت الله المحرم مثابة للناس وأمانا .

فإذا اضطربت حياة العرب لأسباب ناجمة فيهم ، أو اندلعت بينهم الحرب نزاحاً على غرض ، أو إدراكاً للنار ، فسكهم عزل من هذا الصخب ، وأرضها وسماؤها ، وطيرها ونباتها ، والملازمون لها ، واللاجئون إليها : كل أولئك في حماية البيت ، لا تمتد إليهم يد ، ولا يلحقهم إيذاء .

ذلك لعرفانهم أن الله أفاء على مكة في حدودها المعلومة لهم ظلاً ظليلاً من حمايته ، وجعلها من أجل بيته حرماً آمناً بينما يتخطف الناس من حوله .

وعلى هذا النمط المفكك يعيش أهل مكة ومن إليهم : بين اعتزاز بترائهم ، واضطراب في مجتمعهم ، وبعد أن كانت لهم تقاليد تتصل في أولها برسالة إبراهيم ثم إسماعيل أخذت تقاليدهم تنسع وتضيّق ، وتصيب وتخطئ ، حتى انخرقت عن الرشد ، وتحكمت فيهم الجهالة ، ولم يبق البيت لله وحده كما ورثوه ، وإنما أصبح مباءة للوثنية التكراء ، والاباطيل الفاحشة ، وأصبحت الحياة في مكة مذعورة قلقنة ، وصارت كذلك أو أشد من ذلك فيما حوّلها ، حتى سئمت نفوس من طول ما أعنتها ، وفزعت إلى الله خواطر تلتمس من لدنه رحمة تنقذهم من هذا البلاء ، وتكشف عنهم غضبة السماء .

وكان هذه الأمنية كانت تردداً لدعوات إبراهيم من قبل .

وكانها كانت من قدر الله - سبحانه - على موعد تتمثل فيه بغية إبراهيم وإسماعيل ، وتحقق أنشودتهما قديماً : ربنا وإبعث فيهم رسولاً من أنفسهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويزكّيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ولأن كانوا من قبل لقي ضلال مبين ، .

حان ذلك الموعد المقدور . لتستأنف مكة يقظتها بعد فترة مديدة ، وتنفض إلى رسالتها في وثبة فتية جديدة .

وها هو ذا : محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه - من صميم العرب ، ينهض بين عشيرته ليعلم فيهم رسالته ويدعوهم ، ويتلو عليهم آيات الله ويزكّيهم ، ويردد في الخائفين من جديد ما هتف به إبراهيم ، والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، .

بدأ البيت الحرام يستعيد شأنه قوياً ، ويسترد مجده قشياً ، ويشجى في ضوء الاسلام ما له عند الله من قدر ، وما لزيارته بين فرائض الله من مقام وخطر .

وإنك لتلاحظ هذا - أولاً - في أن الله واجه عباده بإيجاب الحج عليهم جميعاً ، والله على الناس حج البيت ، وفي هذا التعميم لأول ما ترى لإشعار بأن حج البيت يبلغ مبلغ الصلوات فيما عرف المسلمون من تأكدها وتعلقها بذهة كل مسلم دون استثناء ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، .

فإذا ما قصر الوجوب بعد هذا التعميم على المستطيع بقوته وماله ، فإنما هذه رحمة بذوى الأعداء ، وتخفيف عنهم أن يتكلفوا مالا يطيقون ، والله سبحانه رحمن رحيم ، يسلك بعباده سبيل التيسير فيما شرع لهم من دين ، فهو يكلفهم بالمقدور ، ثم يعفى من التنفيذ صاحب العذر المقبول .

ونلاحظ هذا - ثانياً - في أن إيجاب الحج متبوع بقوله تعالى : ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ، وهذا مقام التهديد لمن ترك الحج إلى بيت الله ، وقد بولغ في التشذيع عليه حتى اعتبره القرآن في حيز الكفر ، وسبق التهديد له مساق التهديد بالكفر وأهله ، . . وكفى بذلك إفصاحاً عن شأن البيت وأهمية الحج إليه .

أرأيت أن القرآن الكريم لم يقف من شأن البيت عند إيجاب الحج ، والتهديد القوي على تركه ؟ بل يواصل التنويه إلى كرامة البيت على الله ، ويتابع الإشادة بذكره في الكتاب ، حتى ليبلغ من شرف هذه البذية في تلك البقعة أن يردد الله ذكرها ، وذكر البلد المحمى بها ، في سبع وخمسين آية من آياته ، وتراها مثورة في ست عشرة سورة من سور كتابه العزيز .

وتأخذك الروعة إذا تفهت إلى إبداع الله فيما صنع بتلك الآيات وهذه السور . . ففي الآيات ترديد لذكر البيت موصوفاً بصفات كريمة متعددة : فهو البيت المحرم ، وهو البيت العتيق ، والبيت المعمور ، والبيت الحرام ، وهو أول بيت وضع للناس بيك : مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وهو البيت مضافاً إلى الرب ، رب هذا البيت ، ، وهو البيت مضافاً ومستغنياً بالإضافة عن كل وصف وثناء ، وطهر بيقى ، .

وكذلك توصف مكة وما حولها من أجل البيت بأوصاف كريمة متعددة . . فهي البلد الأمين ، والحرام الآمن ، وبها الصفا والمروة من شعائر الله ، وهناك عرفات : ملتقى الحجاج من كل صوب ، وموقفهم الرهيب في وقت محدود ، ومنه الإفاضة إلى المشعر الحرام ، وفيه ذكر الله مطلوب ، وطيب مشهود ؛ ثم تنتهي تلك المواقف إلى البيت وكان البدء منه ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله ، إن الله غفور رحيم ، .

لكل وصف من تلك الأوصاف معنى ، وفي كل مناسك من هاتيك المناسك حكمة ، فإن لم نخط بتفصيلها علماً ، فحسبنا أنها ذكريات صادقة لما شهدته أسلافنا بتلك البقاع ،

وأنها معالم ناطقة بالأوضاع الأولى لتاريخ الإسلام ؛ والتاريخ تعوزه كثيرا الدلائل المادية وتفيده ، وحسبنا أنها مشاهد حية لما سبقنا إليه تاريخ الأوائل ، وليس من الأمور الثانوية أن يحدد الإنسان المتدين سالف ذكرياته التي يركز بها عقيدته ، ويدعم بها يقينه ، ويشد بها أواصره الدينية بأواصر من سبق ، ويدلى بها إلى من لحق ؛ ولعل ذلك مما يشمل قول الله عز شأنه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، فليس يبعد أن يظل الحبل معدودا بين الأوائل والآخر ، فهو من جانب السلف ذكريات كريمية ، ومن الخلف تبعية لقدوة مستقيمة ، وجميعهم على تقوى من الله ، وعلى نهج مما رسم لهم دين الله ؛ فإذا تناوبوا على الهدى فهم معتصمون بحبل الله جميعا . ألم يكن من دعاء إبراهيم عليه السلام « رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين » .

فهو يسأل التوفيق للأخذ بما أخذ الصالحون من قبله ، ويسأل التوفيق أن تكون له الذكرى الطيبة - وهي اللسان الصدق في الآخرين ، لتسكون به القدوة للخلف ، كما يحب هو الاقتداء بالسلف ؛ وهذه هي الصلة القويمة أو الحبل الممدود بين السلف والخلف .

ثم انظر ثانيا فيما أبدع الله بتلك السور التي اشتملت على هذه الآيات ؛ فهي ست عشرة سورة ، منشورة بين سور القرآن : الأربع عشرة والمائة ، من سورة البقرة في أوله إلى سورة قريش في آخره .

ويبدو لي - فيما أفهم - أن الحكمة في نثرها وتناول ذكر البيت على هذا النحو : أن يكون البيت شاخصا في كل مرحلة من مراحل القرآن ، وأن تسكون ذكراه جارية على لسان القارئ ، ماثلة في ذهن السامع ، كلما تنقلا في النلاوة والسماع من روحه إلى روحه ، وبهذا تتمزج بالخواطر دائما روابط الأخوة التي تجمع المسلمين حول البيت من عام إلى عام ، والتي تفهم إلى جهة البيت في صلواتهم الخس أينما كانوا ، فتقوى فيهم المحبة إذا فطنوا ، وتؤكد قوميتهم الدينية إذا حرصوا وتذكروا دائما أن البيت هو قطب الدائرة الإسلامية ، ومشرق نورها ، وليس أوضح من هذا الصنيع القرآني في توجيه الناس إلى تقدس ما قدس الله ، وإلى وصل البيت كما وصله الله . وإن أمة تسير على هذا النهج هي الأمة التي تمنّاها إبراهيم وإسماعيل من ذريتهما ، وهي الأمة التي بعث فيها محمد بن عبد الله ؛ ومن أجله ، وباتباع هديه كانت خير أمة أخرجت للناس .

، الحديث ، وصول ،

عبد المظيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ، .

لما كان الغرض من هذه الآية والآيات قبلها بيان حال المنافقين وما أدى إليه نفاقهم وزعمهم أنهم آمنوا وما آمنوا ، إلى تناقضات واضطرابات ؛ تناقضات بين أقوالهم وأفعالهم ، واضطرابات في أساليبهم وأقوالهم . فلما قالوا آمنا وما آمنوا وجه لإيهم الهى عن الفساد ؛ لأن ما هم عليه من إفساد يناقض زعمهم أنهم مؤمنون ؛ ولما بالغوا في أنهم غير مفسدين بحصر أحوالهم في الإصلاح وجه لإيهم طلب أن يؤمنوا بإيماننا كي إيمان الناس ، وفي ذلك الطلب إظهار لباطلهم وكشف لغبايهم وبيان أنهم نازلون في جدلهم وحججهم إلى درك منخفض . فمكان الإيمان المطلوب منهم كي إيمان الناس ، وكأنه يقال لهم لا نريد منكم إيماننا تفوتون به الناس ، أو يكون فيه مالا تطيقون ، أو يكون منه إرهاب لكم ومشقة عليكم ؛ لا نريد إلا أن تكونوا كالناس ؛ وفي ذلك بيان لأن الموازين التي يطالبون بوزن أعمالهم بها مبصرة واضحة أنهم كلفوا ، وحدود ما كلفوا به ظاهرة نيرة ، فلا هم يستطيعون دعوى مالا يطيقون ، ولا هم يستطيعون التخلص بمزاعمهم مما به يؤمرون ؛ أى إن كنتم صادقين في أنكم آمنتم فلا نطلب منكم إلا إيماننا كي إيمان الناس . غير أن المنافق الذى مرن على المخادعات وبالغ في الحيدان عن الجادة حتى جف ماء الحياء من وجهه ، من ذلك شأنه لا يعدم مخلصا مما يواجه به من الحجة ومنفذا مما يُغَلُّ به من دليل ، إذ المبطل الذى لآحياء له جرى جدا على المجادلة بغير الحق ، سمح فى المواجهة بالباطل .

لذلك نرى هؤلاء المنافقين لم يعدوا مخلصا مما حاق بهم من حجة واضحة وطلب محدد ، فتراهم وردهم على ما طلب منهم هو « أنؤمن كما آمن السفهاء » وهم فى هذا يحتمل أن يكون مرادهم بالاستفهام والإنكار هو إنكار إيمان غير إيمانهم ، أو إنكار إيمان بمائلون به

إيمان الناس ، فيكون المعنى على الأول : أليماننا إيمان سفهاء حتى تطلبوا منا غيره أو أنطلبوا منا إيماناً كإيمان الناس ، وهؤلاء الناس سفهاء فتطلبون منا إيماناً كإيمانهم ؟ إيماننا إيمان صحيح لا نرضى غيره . أو هؤلاء الناس سفهاء لا نرضى أن يكون إيماننا كإيمانهم ، وهكذا المأزوم بالحجة تراه لا يجد مخلصاً حين يحزبه الأمر وأضيق به الحجة إلا أن يلجأ إلى بذى القول ورعى مخاطبه بالعيب والسفه . وإنك لتشهد ذلك كثيراً فيمن يضيق عليهم الخناق في الجدل ؛ فإن أسفتهم تطول بفاحش القول وتوسع أفواههم بالهراء الذى لا يغنى ولا يفيد .

ولما كان ذلك هو ردهم الذى لم يكن إلا تخلصاً من خناق الحجة وفراراً من حصار البرهان ، ترى القرآن الكريم قول الحكيم العليم فى رده عليهم قد فصله بالألا الاستفتاحية لئلا نأخذ بأن قولهم هذا مما لا ينبغي أن يتصل به رد . لذا فصل الرد بالألا الاستفتاحية عن جوابهم كأنه قول مستقل وقضية مستأنفة استئنافاً ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . هكذا ترى الأسلوب مؤكداً بتأكيدات عدة : أكد أولاً بيان ، وثانياً بإعادة الضمير ، إنهم هم السفهاء ، وثالثاً باسمية الجملة إذ لا يكون فى مقابل ما ردوا به إلا ذلك القول المستأنف المؤكد الذى قطع عن جوابهم قطعاً ، إنهم هم السفهاء ، وإن السفهاء قد لبسوا منها شعاراً ودثاراً ، وحاطتهم من جميع جوانبهم ، وحاق بهم من كل نواحيهم ؛ فإنه لا سفه بعد أن يكونوا على الحال التى هم عليها ، تلك الحال المعلومه لمن حولهم من كذب وفساد وتردد ، مرة إلى هؤلاء وأخرى إلى هؤلاء ، ثم لا يزالون يجهلون أن أمرهم مستور على الناس وأنهم لا يزالون يظنون أن مزاعمهم يستطيعون رواجها ، وأن دعاوهم لا يزالون يفهمون لقناع من حولهم بها ، ولكنه الجهل هو الذى غشى عقولهم وغبر آفاق نفوسهم ، فأصبحوا وقد جمدت مشاعرهم وتبلدت إحساساتهم فلا يدرون حقيقة أحوالهم . لهذا ترى القرآن يقول : إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون .

ويحتمل أن يكون المعنى : لا يعلمون أن من حولهم يعلمون أحوالهم ، أو لا يعلمون أن الله عليم بكل شيء فهو عليم بخفي شئونهم وظاهرها ، أو لا يعلمون أنهم سفهاء نتيجة غيائهم وتبلدهم . كل محتمل ، ولكن أنسب هذه الوجوه أن يكون المعنى ولكن لا يعلمون أن الله عالم بشأنهم ؛ إذ لو أدركوا ذلك لتكشف عن أذهانهم غباؤها ، ولتفق عن قلوبهم أغلفتها ، ولتقشع عن أنفسهم ظلامها ، فجهاهم بشأن ربهم جر عليهم نواحي الجهل كلها ، فجهلوا بغبايهم

أنهم سفهاء، وجعلوا أن الناس بحالهم يعلمون نتيجة جهلهم بالله وما يجب له من علم محيط بالسر وأخفى، ألا بحق إذ جعلوا شأن ربهم لأنهم هم السفهاء ولكنهم يجهلون .

وهكذا شأن المنافقين في المجتمع يرمون غيرهم بدانهم في قحة وتبجح، إذ أنهم بانحرافهم عن الجادة ومرانهم على الكذب والادعاء أصبحوا لا يبالون؛ وإن أزموا بالحجة فزعوا إلى البذاءة والشتائم، لأنهم إذ يواجهون بحقيقة باطلهم، وإذ تحوطهم الحجة ويحصرهم البرهان ترى ما خيلوه في أنفسهم من حجج ومعاذير ظانين أنهم يستطيعون أن يواجهوا بها مخاطبيهم ترى ما خيلوه لأنفسهم وما زوروه من قول زائف، تراه عند المواجهة يفر من بين أيديهم خجلاً مقسماً بأستار الخزي فما هو إلا أن يواجهوا حتى ترى أيديهم قد صفرت من الخجج وساحانهم قد خلت من المعاذير، وما كان في كل عصر من العصور من ضرر بالمجتمع إلا بأمثال هؤلاء المنافقين . وإنه ما من أمة طهرت من أمثال هؤلاء إلا كانت خطواتها إلى الامام واسعة، وتدرجاتها في مدارج السكال قوية مسرعة . وإننا لا يهمنا في تلك المناسبة من أمل يحقق وأمنية تتم، إلا أن يطهر الله شعبنا وشعوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من ذلك العنصر، عنصر المنافقين الخبيث المتن ريمحه المؤذى جواره المعطل لمن هم فيه من شعوب عن السير إلى الغاية . ألا قاتل الله المنافقين .

«وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون» .
قد بينت الآيات السابقة حالهم حين ينهون عن سوء وحين يؤمرون بخير، وأنهم في هذا إنما يلجئون إلى المبالغات في التبرؤ شأن المفجوع الذي فوجئ بالكشف عما حاول ستره أو إلى البذاءة والسفه انفجاراً عن ضغط الحجة وأزمة البرهان؛ وفي هذه الآية يبين القرآن سيرتهم وما هم عليه من غير نهى ولا أمر ليسكون ذلك تعليلاً لما يردون به عند المواجهات إذ أن من حاله هو تلك الحال، وأنهم يلقتون الناس بوجوه مختلفة فإن لقوا المؤمنين قالوا لهم إنا مثلكم مؤمنون، وإذا لقوا لأخوانهم الشياطين قالوا لهم إنا معكم في عقيدتكم وتقريركم ما آمننا ولا صدقنا ولكننا بهم مستهزئون . وانظر إلى ما سلكوه في الإخبار عن أنهم مستهزئون بالمؤمنين؛ فتراهم قد أكدوا وبالغوا في التأكيد، فجاءوا بأداة الحصر، وجاءوا بالجملة اسمية تطيننا لشياطينهم على أحوالهم، ويحدثون شياطينهم عن مقابلة المؤمنين بأنهم مستهزئون ولم يصدقهم فيما أخبروهم عن واقع أمرهم، ألا لأنهم إنما يقولون ذلك وقاية لأنفسهم، وبعداً بها عن المؤاخذه والإيذاء، ولكن لا يريدون أن يخبروا عن حقيقة ما في نفوسهم

إبقاء على الاحتفاظ بشأنهم أمام إخوانهم ، ألا وإنهم مهما حاولوا فليسوا بمخفين شأن أنفسهم ، ولا مقيمين لها وزناً في نظر شياطينهم ، فهم نازلون نازلون وصاغرون صاغرون مهما حاولوا . وإذا نظرت إلى الأسلوب وتمعنته وجدت فيه عجائب البلاغة وآيات الإعجاز : يعبر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة ، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة ، إيذاناً بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالموثمين ولا طمأنينة منهم إليهم ، فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم ، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم في عرض طريق أو في مكان عمل عن مصادفة . أما شأنهم مع شياطينهم فهم إليهم يركنون وإليهم يتسارون ويتحدثون ؛ لذلك هم بهم يخلون ولكن للمؤمنين منهم لقاء عارض وتقابل عن مصادفة ، هذا أولاً . وترى القرآن يحدد ما في نفوسهم فتراهم إذ يتحدثون المؤمنين لم يزيدوا عن أن يخبروا بأنهم آمنوا غير مؤكدين ولا مبالغين ، وإذا تحدثوا إلى شياطينهم أكدوا وبالفاء في التأكيد وعللوا فقالوا إنا معكم ، ثم يجيئون عما يرد عليهم في ذلك القول إذا كنتم معنا فما قولكم لهم آمنوا ؟ فجواب هذا إنما نحن مستهزئون ، فيؤكدون ويدفعون ما يرد من اعتراضات على أخبارهم ومحدثاتهم ليقوا على منزلتهم في نفوس شياطينهم . نعم ما أعلى ذلك الأسلوب وما أروع ! يحدد حال هؤلاء تحديداً يكشف للسامع واقع حالهم وحقيقة أمرهم ، وهكذا المنافق مهما حاول ستر ما خبأ في نفسه لا بد أن تغلبه جوارحه التي مضط عليه في توجيهها ، فمرة يدل عليه ما يبدو في وجهه من بشر أو عبوس أو تقطيب أو انبساط ، وأخرى يغلبه لسانه بما يهتك أستاره ويكشف عما في نفسه كما تراه ها هنا ، إذا لقوا الذين آمنوا لم يزيدوا عن قولهم آمنا وإذا خلوا إلى الشياطين قالوا مؤكدين إنا معكم ودافعين ما يرد بقولهم إنما نحن مستهزئون بتأكيد التعليل أيضاً وتثبيت الدليل ، وبهذا وأمثاله يفتضح أمر المنافقين .

ومهما تسكن عند امرئ من خائفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإن الله يعلم بأن المنافقين في كل شعب مفضوح أمرهم مكشوف سترهم ، ولكنهم إنما يعيشون في المجتمع في منازلهم بين أفراد الشعب لإهمال الشعب نفسه ، وإن الأمم لتختلف في مواقفها إزاء أمثال هؤلاء ؛ فمن أمة تسارع إلى استئصالهم حتى يطهر المجتمع وتزال من طريقه العوائق والمعطلات ؛ ومن أمة لا تدبى بذلك فتزيد في طريقها الاشواك وتعظم في سبيلها إلى غايتها المعوقات . فاللهم رشاداً وتوفيقاً إلى تمييز المنافقين من المخلصين تمييزاً يبعد فيه عن الهوى ويحاذي فيه الغرض حتى يكون تمييزاً صحيحاً ليجزى كل فريق بما يعمل وبما يستحق .

قال الله تعالى : الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .

لما وضحت الآيات السابقة شأن المنافقين وما هم عليه وما يقابلون به المؤمنين وما يقابلون به الشياطين ، كان لابد أن يكون للسامع سؤال : إذا كان هذا شأن هؤلاء فكيف تركهم الله ولم يعاقبهم ؟ فكان الجواب : الله يستهزئ بهم ، وليس مهمامهم ولا تاركهم ، ولكن لما كان شأن القوى مع الضعيف والمتمكن مع المزعزع والمحيط علماً بكل الشئون مع الجاهل بكل شيء ألا يهتم بإساءة المسمى وسفه السفه فلا يهتم بمعالجة ذلك الضعيف بالعقوبة لأنه إذا مرت فرصة فلهذه فرص أخرى لإذ كل الشئون خاضعة له فيوجه العقوبة إلى المسمى فيما يشاء من زمان وكما يشاء من مكان وعلى ما يشاء من حال ، فعبر القرآن عن شأن الله مع هؤلاء بالاستهزاء على سبيل الكفاية ، لأنه يراد هنا من الاستهزاء لازمه وهو عدم العناية بما يأتيه هؤلاء لأنه محيط بظروفهم قادر على شئونهم جميعها متمكن من جميع نواحيهم ، فهو مدخر لهم عقوبة منسية فيما يحدد لها من زمن وما يشاء لها من مكان وما يخصص لها من مال . ذلك هو ما يراد التعبير عنه بالاستهزاء ، فهو مما لا يعبر به في جانب الله ؛ ولذلك تراه قد أتبع الاستهزاء بهم بمدد لهم في طغيانهم إذ المعنى من قوله : ويمدهم في طغيانهم ، أى يطيل لهم وجودهم في مهاوى الطغيان حتى تكون أخذته لهم أخذة رابية ، وإيلاء العقوبة لهم إيلاءاً ممضاً إذ طول الزمن بهم في الطغيان مما يوجب غرورهم بأنفسهم ويخطر ببالهم أنهم قد مكّن لهم ، فإذا أصابهم الصاعقة وهم في غرورهم وظن تمسكهم كانت أقسى عليهم وأمر . وقوله : ويمدهم ، حال من الضمير في يمدهم ؛ أى أن الله يطاول هؤلاء في الطغيان حال كونهم عمين عن وجه الصواب ونور الحق ، فهم في سيلهم حائرون ، ألى المؤمنين يتحازون أم إلى الكفار الشياطين يتعينون ؟

وهكذا شأن المنافق ذي الوجهين : تراء دائماً معوج السير حائر الاتجاه ، إن سار خطوات يميناً سار مثلما شمالاً ، وإن تقدم خطوات رجع إلى الوراء أخرى ؛ ذلك لأنه لم يستقر في نفسه عزيمة بهذا ولا عقيدة بذاك ، ولم أطمئن نفسه للاستمسك بمبدأ من المبادئ ، فهو مروع القلب حائر النفس زائغ البصر لا يطمئن لأحد في المجتمع ولا يطمئن أحد في المجتمع إليه ، فلا يجدون لأنفسهم متجراً إلا الإيقاع بين الناس وجمع أحطاب الفتنة وإذكاء نارها ؛ ألا قاتلهم الله وطهر منهم كل الشعوب حتى تعيش أمانة مطمئنة . اللهم حقق وأنت العليم الخبير .

السنن

٢ - التطهير في الاسلام

من المثل العليا في التطهير - رجال ونساء يجودون بأنفسهم لله عز وجل
- ستر الله وكنفه - الأدب مع الله - الخوف منه والرجاء فيه .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وطلحة شمر ببرا ، وهو أحد النقباء ليدبر
العقب ، أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو عصابة من أصحابه : « يا معشر
على ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأثروا
ببرهانه تقربوا بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ؛ فمن وفى منكم
فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب
من ذلك شيئا ثم ستره الله ، فهو إلى الله ، إنه شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » ، فبايعناه
على ذلك . رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري .

بعد أن عاهد النبي ﷺ أصحابه وأتمته على التطهير من هذه الموبقات الست : أصول
الزنازل ، وجماع المآثم - بين أنهم في الوفاء ببيعة على ثلاث درجات ، بين كل درجة ودرجة
من التفاوت والفضل ما لا يقدره إلا الله عز وجل ، بل إن أهل الدرجة الواحدة في الفضل
والمنزلة ليسوا سواء .

أما أهل الدرجة الأولى فقد وفوا بعهد الله كاملا غير منقوص ، فوفى الله لهم بعهده
وضمن لهم على لسان رسوله أجرا عظيما ، هو النعيم المقيم ، والمقام الكريم ورضوان من الله أكبر
« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

وأما أهل الدرجة الثانية فهم الذين اقرءوا من هذه الموبقات شيئا ما هذا الشرك الأكبر ،

فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، غير أن الله طهرهم بإقامة الحاكم الحجة عليهم ، إذ يقطع يد السارق ، ويجلد أو يرمي الزاني ، ويقتل القاتل ، ويجلد القاذف . وهكذا كانت العقوبة ماحية لذنوب صاحبها مطهرة له ، حتى يلحق بالسابقين ، ولا حرج على فضل الله سبحانه ؛ وأما أهل الدرجة الأخيرة فهم الذين اقترفوا من هذه الموبقات شيئاً - ما عدا الشرك كذلك - إلا أن الله تعالى سترهم ، فإن تابوا وأحسنوا فإن الله يتقبل توبتهم فضلاً منه وكرماً ، وإلا فأمرهم مفوض إلى ربهم ، إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم .

وليس عجباً أن يغفر الله لمن تاب إليه وأناب ، ولو بلغت ذنوبه عنان السماء ، أو أدركته منيته قبل أن يعمل بعد توبته عملاً صالحاً ، وحسبنا من الشواهد الكثيرة على هذا ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه في الحديث القدسي عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل قال : « يا بن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ؛ يا بن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ؛ يا بن آدم ، إنك لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا أشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »^(١) ، وما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فسأله : هل له من توبة ؟ فقنطه من رحمة ربه ، فكمّل به المائة ؛ ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقربه من رحمة ربه ، ليعلم أنها أوسع من ذنبه ، وأمره أن يهجر هذه الأرض التي عصي الله فيها إلى أرض سماها له ليعبد الله بها مع قوم عابدين . ولكنه قضى نحبه في نصف الطريق ! فاختصمت في شأنه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان قضاء الله الرحيم ، الذي يغفر الذنوب العظيم ، للأولين على الآخرين »^(٢) .

ومن هذا القبيل قصة السكفل ؛ أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل يسمى السكفل وكان لا ينزع عن شيء ، فأتى امرأة علم بها حاجة فأعطاها ستين ديناراً ، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت ، فقال ما يبكيك ؟ فقالت لأن هذا عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة ! فقال أنت تعلمين هذا من مخافة الله تعالى ؟ فأنا أخرى بذلك ، فاذهبى ولك ما أعطيتك ، وواجه

(١) العنان : السحاب وزنا ومعنى ، وقراب الأرض بالضم ويجوز الكسر : هو ما يقارب مثلاً .

(٢) اكتفينا بمعنى الحديث إجمالا لشهرته في مواطن كثيرة ، وأقربها رياض الصالحين ،

لا أعصيه بعدها أبداً ؛ فات من ليلته ! فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر لكفلك .
فعجب الناس من ذلك حتى أوحى الله لى نبي زمانهم بشأنه .

بل ليس عجبا أن يغفر الله تعالى لمن شاء من عباده الذين ماتوا قبل أن يتوبوا مما اجترحوا
من كبائر الإثم - إلا الشرك - وليس لنا أن نحكم على أحد معين من أهل التوحيد بالنار
بالغة ما بلغت ذنوبه وسيئاته ، فإن هذا سوء أدب مع الله عز وجل وافتيات على شئونه ،
وانتهاك حرمة الله . وفي الصحيح أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله تعالى :
« من ذا الذى يتألى على ألا أغفر لفلان ؟ » فإني قد غفرت له وأحببت عمله ! ، وجاء
في الصحيحين وغيرهما أن بغيا رأيت كلباً فى يوم حار يطيف بئر قد أدلع لسانه من شدة العطش
والحر فزعت له موقها [خفها] فلاته ماء وسقته ، فشكر الله لها وغفر لها به ؛ وروى
مثل هذه القصة عن رجل كان يمشى بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فشرب منها فإذا
كلب يلهث الثرى من العطش ! فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى
فلا خفه من البئر وسقى الكلب ، فشكر الله له وغفر له بما صنع . وأعجب من هذين ما رواه
الشيخان وغيرهما عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال : بينما رجل يمشى
بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله تعالى له ، فغفر له .

وأكبر الظن أن هؤلاء جميعا تداركهم الله بفضل منه ورحمة قبل أن يتوبوا ، وجاز
أن يكون الله قد من عليهم فوقهم للتوبة حين وفقهم لهذا الصنيع الذى شكره لهم ، وجعله
مع التوبة سبب مغفرته ورضوانه .

وأيا ما كان الامر فلا تزال للبلوك أسرار ، ليس من أدب العبيد أن يتجسسوا عليها ،
بله أن يقتحموا حماها .

وإذا لم يحل لأحد أن يحكم على آخر من أهل القبلة بهذاب الله وسخطه ، فلا يحل له
كذلك أن يحكم لأحد بالغة بما بلغت حسناته وخيراته ، بنعيم الله ورضوانه ، ما عدا
المبشرين بالجنة على لسان المعصوم صلوات الله عليه وسلامه ، فإن الأعمال بالخواتيم ،
ولا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه .

غير أن ستر الله لعبده وكنفه عليه فى الدنيا أمانة على كنفه عليه ورضاه عنه فى الآخرة
ومن دلائل هذا ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه [ستره ورحمته] فيقرره

بذنوبه ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فإن قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته .

ولا يغرن أحدًا ما توسوس به نفسه ، أو ما يخمدعه به شيطانه ، من سعة فضل الله تعالى وعظيم رحمته ؛ فإن ذلك من الحق الذي يراد به الباطل ، ومن الخير الذي يتوسل به إلى الشر والأذى ! فمن تلا قوله تعالى : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » ، وقد قيل إنها أرجى آية في القرآن الكريم ، فليتل بعدها ، « وإن ربك لشديد العقاب » ، ومن روى أحاديث الرجاء في الله فليرو معها أحاديث الخوف من الله ، ومن أحسن الظن به سبحانه فليحسن الأدب معه ؛ فإن قوما غرهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ^(١) .

وبجمل القول في هذا المقام أن يتأدب العبد مع ربه بأدب الخوف منه والرجاء فيه ، فلا يطغى خوفه حتى يقتط من رحمته ، ولا يطغى رجاءه حتى يتهاون في طاعته ، فإذا أحس بقرب قدومه على مولاه فليغلب الرجاء فيه ، وليحسن الظن به ، وليوقن أنه قادم على أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

ويعد ، فالتناس في التطهير أو التطهير من الموبقات على طبقات ، لا يحصيها إلا من فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات :

فهم من قوى إيمانه ، وعظم يقينه ، حتى جاد بنفسه - في سبيل تطهيرها - لله عز وجل ، ومن هؤلاء ما عز بن مالك الأسلمي رضى الله عنه . أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ، إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني ، فردده . فلما كان من الغد أقام فقال يا رسول الله إني قد زنيت ، فردده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه ، فقال هل تعلمون بعقله بأساً ؟ تسكرون منه شيئاً ؟ فقالوا ما نعلمه إلا وفي العقل ، من صالحينا فيما نرى . فأنابه الثالثة فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم .

ومن هؤلاء امرأة من جبينه ، أتت رسول الله ﷺ وهي حبل من الزنى فقالت يا رسول الله ، أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبي الله ﷺ إليها فقال أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتى بها ففعل ، فأمر بها فشددت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال

(١) اقتباس من آثار الحسن البصري ، وليس حديثاً كما ظن بعض أهل العلم .

عمر : أتصلى عليها وقد زنت ؟ فقال ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل ؟ !

وأعجب من هذه امرأة من غامد - بطن من جبهة - قالت يا رسول الله : إنى قد زنت فطهرنى فردها ، فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى كما رددت ما عزا فوالله إنى لحبل ، فلما رآها لا تريد السر على نفسها أمر بالإحسان إليها حتى تلد وترضع ولدها وتقطعه حتى جاءت به وقد أكل الطعام ، فدفعه إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فرجمت ، وكان من رجمها خالد بن الوليد فنضح الدم على وجهه فسبها ، فسمع النبي ﷺ سبه إياها فقال : مهلا يا خالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له .

وصاحب المكس - أو الماكس - هو الذى يجبى الضرائب من الناس بغير حق . والمكس من أتيح المعاصى والذنوب الموبقات ؛ لكثرة مطالبات الناس له وظلامتهم عنده . وفى مسند الإمام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ : لا يدخل الجنة صاحب مكس ، قالوا هو العشار الذى يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية ، كان يأخذ من التجار إذا مروا به مكساً باسم العشر . وأما من يعشرهم ^(١) على ما فرض الله سبحانه فحسن جميل ، وقد عشر جماعة من الصحابة للنبي ﷺ ، وللخلفاء بعده ، فكانوا يأخذون عشر ما سقته السماء ، وعشر أموال أهل الذمة في التجارة .

وأعجب من هؤلاء جميعاً رجل تلقى امرأة تريد الصلاة فغشيها وقضى حاجته غضباً ، فصاحت ! فانطلق ؛ فانطلق خلفه عصابة من المهاجرين فأخذوا رجلاً دلت عليه غلطاً فأتوها به ، فقالت نعم هو هذا ، فلما أمر النبي ﷺ به ليرجم قام صاحبها الذى وقع عليها فقال يا رسول الله أنا صاحبها ؛ فقال لها اذهبي فقد غفر الله لك ، وقال للرجل قولاً حسناً ، وأمر بالذى تجملها أن يرجم ، فرجم ، وقال : لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم ! ^(٢)

ومن الناس من لم يقدر على تطهير نفسه جهراً ، أو قدر عليه ولكنه آثرستر الله تعالى فطهر نفسه فيما بينه وبين ربه سرّاً ، ومنهم من تولى الله تطهيره بما ابتلاه من ضروب المحن والبلايا ! وإذا ضاق المقام عن استيفاء البيان فهو هذا الجزء التالى وبه الخاتمة إن شاء الله تعالى .

طه محمد الساكت

[١] عشرهم يعمرهم بالضم عشرّاً بضم الدين : أخذ عشر أموالهم ، ومنه العاشر والعشار بالتشديد اه عتار .

[٢] راجع كتاب الحدود في تيسير الوصول وغيره .

كيف ننصر على أنفسنا

تنظيم العلاقة بين الإرادة والغرائز

يخطئ الذى يزعم أن الإنسان فى هذه الحياة مخلوق أعزل ، قد شد وثاقه إلى عجلة الكون ، وسخر تسخييراً بطبيعته وطبيعة الأشياء ، كما يخطئ الذى يزعم أن الإنسان فى هذا الكون سيد مطلق اليدى ، يتصرف بملء حريته فى طبائع الأشياء وطبيعة نفسه .
وعبثاً حاولت بعض المذاهب الفلسفية أن تصوره لنا فى أحد هذين الطرفين :
فالحقيقة ، كما قلنا ونقول ، إن الإنسان مسير غير معاً ؛ ولكنه يقوم بهذين الدورين فى ميدانين مختلفين .

وليس من العسير علينا فى كثير من الشئون ، أن نقبض ما هو من عمل الطبيعة القاهرة ، وما هو من عملنا الحر المستقل ؛ غير أن هناك حالات خاصة تلبس فيها المعالم ، وتشبه فيها الحدود ، ويدق الفصل فيها على غير الناقد البصير ، ومن هنا يميل أكثر الناس فيها إلى التنصل من مسئولياتهم ، وإلقاء عبئها على كاهل الطبيعة ، زاعمين أنهم كانوا من نوعين بحركة قسرية لا حيلة لهم فى وقفها ولا تصريفها .

تلك هى الحالات التى يلتقى فيها عمل الغريزة وعمل الإرادة ، ويكون هذا استمراراً لذلك حق يخيّل للمرء فى بادئ الرأى أنه كان معطل الإرادة أو مسلوبها ، وأنه كان يتحرك حركة آلية ليست من صنعه ولا من كسبه .

لا جرم كان من أول مهمات المربي الحكيم - حين يتولى قيادة الإرادة وتربيتها على أخذ الأمور بالقوة والحزم - أن يكشف الغشاوة التى تحيط بهذه المنطقة المختلطة المشتبهة ، وأن يبصر العقول بكنه الحركات النفسية والجثائية التى تدور فى فترة هذا الاتصال ، ليعرف كل امرئ إلى أى حد تنتهى حركة الفطرة فيه ، وسلطانها عليه ، وعند أى نقطة تبدأ حركة اختياره واقتداره ، وسلطانها ومسئوليته .

ولسوف يرى المطلع على وجهة نظر الإسلام فى ذلك أنها نظرة بريئة من عنف البرهمية

وجفاف البوذية ، وغرور أدياء الصبر والجلد في الفلسفة الإغريقية ، وأنها في الوقت نفسه منزهة عن ميوعة اليسوعية ^(١) وخور الجبرية ، ورخاوة الكسالى في كل ملة ونحلة .
 فيينا يذهب الفريق الأول إلى إنكار الغرائز ، والمسكبرة في سلطانها ، ودعوى القدرة على محوها واستئصالها ، وبينما يميل الفريق الثاني إلى التسليم لها ، والانهمام أمامها ، والنزول الكلي على حكمها ، تقف الدعوة الإسلامية على الجادة الوسطى مشرفة بنظرها على جانبي الطريق ، فتعترف بسلطان النزعات الجبلية إلى حد محدود ، ثم تترك المجال للهمم والعزائم في الوقوف بتلك النزعات عند حدها ، ومقاومة الاسترسال معها في غير ضرورتها الملية ، وصدق منزل هذه الشريعة الحكيمة في وصفه لدعوته : قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني .

فلننظر الآن في الصلة بين هذين العالمين حين يلتقيان : عامل الجبلية وعامل الاكتساب الإنساني . ولنبز الخط الفاصل الذي رسمه الإسلام بينهما ، حتى جعلهما لا يبغيان ، ولنتأمل كيف كان الإسلام في تطبيقه لهذه الحدود على طائفة من الانبعاثات والانفعالات ، قد وضع أوضح منهج عمل لتربية الإرادة ، وتدريبها على التزام موقف الحكمة والهدى ، والنبات أمام تيار الهوى .

وإليك مثلاً من ذلك :

١ — في كظم الغيظ ، والحد من الغضب .

كلنا نعرف أن ظاهرة الغضب ظاهرة مزدوجة : فيسيولوجية وبسيكولوجية : أعنى أنها عضوية نفسية في وقت واحد . ألسنا نرى الانفعال النفساني فيها تصحبه ثورة دموية ، تغلي منها مراحل الصدر ، وترفع بها حرارة الجسم ، وقد تقلص منها عضلات الوجه ... في أعراض تشبهها ... ثم يتبع ذلك لواحق أخرى ، كالجر بالقول ، والبطش باليد ، إلى غير ذلك ؟

ها هنا يتدخل الفرقان السماوي فيفصل هذه الظواهر إلى شطرين اثنين : تاركا الشطر

الأول منهما لحكم الجبلة الذى لا سلطان لنا عليه ، ولا مسؤولية علينا فيه . أما الشرط الثانى ، وهو شرط اللاحق ، فان هذا التوجيه الحكيم ينبهنا إلى أنه - فيما عدا الحالات المرضية الشاذة ، التى يأخذ الغضب فيها صورة تشنجية لا يسيطر عليها العقل ولا الإرادة - شئ نصنعه نحن باختيارنا ، داخل فى نطاق مسؤوليتنا ، حتى لو فرض أن جهاز النطق وجهاز الحركة يقومان بوظيفتهما إذ ذاك بطريقة آلية اندفاعية ، فان نوع الكلام ونوع الحركة يقيان خاضعين لشئ من التفكير والإرادة ، بحيث نستطيع أن نوجههما الوجهة التى نريدها . ولذلك يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب ، ما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا ، أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ونحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا . ذلك أن قصارى الثورة الغضبية - حين تندفع إلى التعبير عن نفسها بالقول أو بالفعل أو بهما معا - أن تكون كالشحنة الكهربائية التى لا بد لها متى اندفعت أن تفرغ ، فلا سبيل إلى كبت حركتها ، ولكن لنا سبيلا إلى اختيار المجال الذى تفرغ فيه ، وذلك بوضع جهاز « مائة الصواعق » فى مكان ما . وهو كما نعلم جهاز لا يوقف التيار الكهربائى بل يستقبله ويتلقاه ، ثم يحوله بعيدا عن هدفه الأول . فكذا نستطيع أن نتصرف فى موقف الغضب ، لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ، وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه .

فلنستمع إلى شئ من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، لمدى هذه القوى النفسية فى حدودها الطبيعية ، وفيما وراء تلك الحدود .

ففى اللحظة التى يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة تنفس بها عن صدورنا ، لا يأمرنا الرسول الحكيم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الانفعال ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يغلى فى الصدر ، وتخفيف الضغط الذى كان يولد فيه الانفجار ؟ أليس كل ما يجىء وراء هذه الكلمة يعد نافلة وتزييدا تستطيع الطبيعة أن تستغنى عنه ؟ فإذا ما دفعنا حدة الغضب إلى شئ أكثر من القول ، وانبعثت

فينا نزعاً قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوي يساير هذه الحركة الطبيعية أيضاً في مبدئها ؛ ولسكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيداً عن هدفها ، فاستمع له عليه الصلاة والسلام حين يقول : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعده ، فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع » (١) .

هل نجد أيسر وأسرع ، وأدق وأنجع من هذا العلاج الروحي البدني معاً ؟

٢ — في الحب والبغض :

هذا الفرقان الحسكيم بين نصيب الغريزة ونصيب الإرادة ، نجده بصورة واضحة في ظاهرتي الحب والبغض ، وهما حالتان نفسيتان ، وليدتا أسباب يبدو لنا بعضها ويخفى عنا بعضها ؛ فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرها ، أو إلى تقارب الأذواق والآراء أو تباعدها ، أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأياً ما كان فهما من صنع الله مقلب القلوب ، وكذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية التي لا تنكر : قررة عين ، وإشراق جبين ، وانفساح صدر وراحة ونعيم ، في لقاء من تحب ومناجاته ، وأضداد ذلك في لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة الذي رفعت عنا فيه الأقدام ، ولسكننا في غالب الأمر نضيف إليها آثاراً من صنعنا ، إذ نفرق في المعاملة بين من نحب ومن تبغض ، ولا نسوى بينهما في الحسك ؛ بل نكيل لهما بكيلين ، ونزن بميزانين : فنحاي من نحب ، ونغضى عن هفواته ، وتحمّل على من نكره ونغضى على حسناته . وهذا هو الجور الذي نهانا الله عنه ؛ إذ يقول عز شأنه : « وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى ، ويقول : « ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، هكذا حملنا الإسلام مسؤولية عملنا ، وعافانا مما ليس من كسبنا : فلم يكلفنا اقتلاع عاطفة الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ، ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا في ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل حق العدل بين زوجاته ، ثم يقول : « اللهم هذا جهدي فيما أملك ، ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » (٢) .

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب .

(٢) رواه ابن ماجه وأصحاب السنن .

٣ — في انفعالات الحزن :

وترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون فاندفعوا في هلع هالع ، وجزع خالع ، اعتذروا بشدة الصدمة الأولى ، وبعبجزم فيها عن الصبر والتحمل . كلا إنها حجة داحضة ؛ والله الحجة البالغة ؛ فإن للحزن أثرا طبيعيا لا جناح فيه ؛ وإنما السبيل على قول المهجر ، وفعل السكر ، الذى تبرأ منه الفطرة .

ها هنا أيضا نجد فى مشكاة الشريعة من الاضواء الباهرة ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود . فى الاثر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبى صلوات الله عليه دخل على ابنه إبراهيم وهو يعالج سكرات الموت . فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرغان الدموع . فقال له عبد الرحمن بن عوف : « وأنت يا رسول الله ، ! فقال : « يا ابن عوف . إنها رحمة ، إنها رحمة . ثم قال : إن العين تدمع . والقلب يحزن . ولا نقول إلا ما يرضى ربنا . ولأننا لفراقك يا إبراهيم محزونون ، . هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التى ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التى تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها من محض عملنا ، واقعة تحت مسئوليتنا .

٤ — فى غريزة النشهى والنمى .

ولذلك مثلا آخر من هذه الطبائع ، المستهضة علينا فى نفسها ، الخاضعة لإرادتنا فى توابعها ولواحقها . تلك هى غريزة التشوف والتطلع ، التى أودعها الله فى فطرة الإنسان لحكمة بالغة ؛ فهى التى تحفزه إلى طلب ما به قوام حياته المادية والمعنوية . فليس من الصواب مكافئتها ، بل ليس فى الطاعة اقتلاعها ؛ فإن الطبع غلاب كل مغالب . ولسكننا على الرغم من ذلك نستطيع معالجتها من طريقين : إما بتحويل اتجاهها ، وإما بوقف آثارها . ومعنى تحويل الاتجاه أن نستبدل بالهدف الأول ، الذى اتجهت إليه رغبتنا بادية ذى بدء ، هدفا آخر يلهينا عنه ، ويعوضنا منه . بحيث يكون مثلنا فى معالجة أنفسنا مثل مؤدب الطفل حين يراه شديد الشغف بلعبة خطيرة . فالسياسة الرشيدة فى هذه الحال لا تعتمد على كبت إرادة الطفل كبتا كلياً ، بل تقدم له لعبة أخرى تشبهها أو تفضلها . غير أنها تكون عديمة الخطر . وكلما كان الاستبدال لما هو أنفـس قيمة وأجزل نفعا ، دل ذلك على حصافة عقل المربي وكأل رشده .

وهكذا علمنا القرآن كيف يكون موقفنا أمام إلحاح رغباتنا الجامحة : خطوراً يأذن لنا أن نشبع رغبتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحلال بالحرام ، والطيب بالخبث . وهذا هو علاج الجمهور والعامّة . وطوراً يلفتنا عن هذا الوضع الرخيص كله ، ويصرف هممتنا عن محقرات الأمور وسفاسفاتها ، موجهاً إياها نحو معالي الأمور وأشرافها ، وهذه هي رتبة الصفوة والخاصة . وأياماً كان فإنه لا يأمرنا بترك التثبي والتثني لإطلاقاً ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التثني . فلنستمع له حين يقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، ثم يقول : « واسألوا الله من فضله . » وهذا نفسه هو الأدب الذي أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه ؛ إذ قال له : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقى . » وما أجمل الوصية الذهبية التي يقول فيها الرسول العظيم : « خصلتان من كانتا فيه كتبته الله شاكراً صابراً . ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً : « من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبته الله شاكراً صابراً . ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فاته منها لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً ^(١) . »

هذه هي سياسة تحويل الاتجاه .

وأما سياسة وقف السير فانها تتبع في ظروف خاصة ، كأنها استثناء من القاعدة ؛ وحتى في هذه الحالات الخاصة ، ليس المطلوب منا أن نسكت صوت رغبتنا ، وأن نحملها قسراً على الجود والخود ؛ فالله أرحم بنا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به ؛ وإنما العلاج هو أن ندع جهاز الغريزة يدور حول نفسه ، ولا نقدم له المادة التي يطلبها . وتلك هي السياسة التي رسمتها شريعة الصوم ، فطاماً لنا عن المشتبهات لإطلاقاً في أوقات معلومة . تلك هي سياسة قمع الهوى التي يقول فيها الكتاب المجيد : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المساوى ، . »

ولا أطيل في سرد الأمثلة وتعداد الشواهد ؛ فكل غرائزنا ونزعاتنا على هذا النمط ،

(١) رواية الترمذى في صفة القيامة .

لم يجعل الله لنا سبيلا عليها في تكوينها ولا انبعاثاتها الطبيعية ، ولكنه جعل لنا عليها سلطانا في ضبطها ، وتوجيهها ، وتنظيم آثارها العملية .

* * *

والى القارئ العجيب صورة حسية ملموسة ، لعله يكون قد لمحها من خلال هذا البيان :
فليتصور جهازاً متحركاً ، يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية :

(١) مفتاح المحرك (السكوتناكت) .

(٢) دفعة التوجيه (الدريكسيون) .

(٣) الرباط (الفرملة) .

وليفترض أن مفتاح المحرك في اتصال دائم بالمحرك ، وأن المهندس أو السائق لا يستطيع ، لأمر خارج عن إرادته ، منع هذا الاتصال ، وأنه ليس في متناول يده إلا « الدفعة » ، و « الرباط » - فهل يخفيه ذلك من مسؤولية المصادمات والتردى في الحفر التى فى الطريق ، على حين أنه كان فى استطاعته أن يستعمل : إما « الدفعة » ، للتحويل عن الخطر ، وإما « الرباط » ، لوقف العجلات عن السير ، مع بقاء المحرك يدور على نفسه .

ذلك هو مثل الوسائل الخارجة عن ملكتنا (القاب الذى مفتاحه بيد الله) ، والوسائل التى خولها الله لنا فى قيادة أعمالنا (العقل والإرادة) ، وهذه الوسائل الأخيرة هى الفيصل بين طبيعة الكائنات الحية المسخرة لغرائزها ، وطبيعة الإنسان المسيطرة على قواه ، المسئول عن حسن سيرها . فلو تناول الإنسان كل ما اشتهى ، ومد يده وسمعه وبصره إلى كل ما يهوى ، وترك نفسه كالكرة أمام صولجان عواطفه ، يطيعها طاعة عمياء ، دون تروى ولا توقف ، ولا تنظيم ولا تنسيق ، فأى ميزة يمتاز بها عن الحيوان الهائم على وجهه ، الذى لا عقل له ولا عقال ؟

ألا فلنفكر فى صلة النسب بين هاتين السكمتين : كلمة « العقل » ، وكلمة « العقال » ، فإن العقل ما هو إلا عقال معنوى ، وقيد أدبى ، جامع مانع ، جالب دافع ؟ فيه نقيذ حركاتنا ونحجزها عن الشرود والوقوع فى مهاوى الخطأ والضلال ، وبه نقيذ شوارد العلوم والمعارف التى تهدينا سواء السبيل . وإن هدى الله هو الهدى .

محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

أزمة الفقه الإسلامي

نظرية السبب في العقد

١ - نحب ونحن نتكلم عن طريق الإفادة من الفقه الإسلامي وعن الأزمة التي يعانيها منذ قرون طويلة ^(١) ، أن نؤكد أن هذا الفقه غنى كل الغنى بأحكامه وحلوله التي جاء بها لمختلف المسائل والمشاكل التي كانت في عصوره المختلفة ، ولكن مما ينقصه أن يقوم الفقهاء والمعيون بالدراسات الفقهية في هذا الزمن بأمرين :

(١) العمل على أن يتطور د الفقه ، - في حدود الكتاب والسنة وأصوله المعروفة - ليعيش في كل عصر مع الزمن ، لا على هامشه كما هو الحال الآن بكل أسف ، وأن يكون هذا على غرار ما كان من الصحابة والفقهاء الأولين ، فإن هذا التطور في فقه الإسلام بدأ منذ عصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، بل منذ عهد عمر بن الخطاب نفسه حين كان الإسلام غزاً وقوياً ، وحين كانت تعاليم الرسول صلوات الله عليه لا تزال حارة دافقة خصبة تحس بها قلوب المسلمين جميعاً ^(٢) .

نعم إن الأحداث التي حدثت بين عصر الرسول وعصر الفاروق ، كانت من الكثرة والقوة والسعة والعرض بدرجة استلزمت هذا التطور ؛ فليس يقاس الزمن بالطول فقط ، بل بالعرض أيضاً ، وربما كانت الفترة القصيرة منه أحفل بالأحداث من الفترة الزاهية في الطول إلى مدى بعيد ، ولعل الفترة التي مرت منذ ثورة الجيش المصري المباركة مصداق ما نقول هذه الأيام .

(ب) استخلاص النظريات الفقهية العامة التي تندرج تحت كل منها طائفة عديدة

[١] راجع المحدثين المساجين : جمادى الأولى وجمادى الآخرة .

[٢] مثل تطور الفقه في فجر الإسلام كثيرة ، ونشير هنا إلى بعض ما كان من ذلك أيام سيدنا عمر ابن الخطاب : إضاء الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاث طلاقات ، إسقاطه سهم المؤلفة فلهم من الصدقات ، وعدم قسمة أرض العراق ونحوها بين الفاتحين .

من الحلول والاحكام التطبيقية ، بدل أن يظل الفقه الإسلامى على ما نعرف من كثرة التفريعات ، دون العناية بتأصيل النظريات العامة .

وهذا على عكس ما يتميز به الفقه الغربى هذه الايام ، نعى العناية باستخلاص النظريات وتأصيلها ، ثم دوران البحوث عليها ، وأخير أيجىء التطبيق والتفريع .

وليس هذا الذى ندعو إليه هنا بجديد كل الجدّة ، فقد عنى غير قليل من الفقهاء بهذه الناحية ، وإنما الجديد هو أن نستأنف عمل هؤلاء السابقين ، ونستطيع أن نذكر من بين هؤلاء الفقهاء الاجاد : ابن رجب الحنبلى صاحب القواعد الفقهية ، وابن مَجَزَى المالكي صاحب القوانين الفقهية ، وابن نجيم الحنفى ، والإمام جلال الدين السيوطى الشافعى ، وكلاهما صاحب كتاب فى الاشباه والنظائر .

٢ — وبعد أن أشرنا إلى هذين الامرين اللذين يجب العناية بهما هذه الايام أشد عناية ، نذكر أن كبير رجال القانون فى مصر وهو الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى ذكر فى بعض دروسه فى قسم الدكتوراه بكلية الحقوق من جامعة القاهرة منذ بضعة أسابيع ، أن الفقه الإسلامى لم يعرف نظرية السبب فى العقود .

وللأستاذ الكبير كل العذر حين يذهب إلى هذا الرأى ، فإن أحداً من رجال الفقه الإسلامى فى مصر لم يحاول التعمق فى البحث والتنقيب فى التراث الفقهى الإسلامى فى هذه الناحية ، مع أنه من الحق أن نؤكد أن جرثومة هذه النظرية نجدناها واضحة فيما ترك بعض الفقهاء القدامى ، وإن كنا قد أغفلنا متابعتهم فى البحث قروناً طويلة فى هذا السبيل . ولولا هذا الإغفال من جانبنا ، الذى كان نتيجة السكسل والقناعة العلمية بما لدينا من قديم لعرفنا أن الفقه الإسلامى عرف هذه النظرية فى أسسها وأصولها العامة ، بل وفى كثير من فروعها وتطبيقاتها ، هذه النظرية التى عرفها البحث القانونى فى الغرب منذ عصور طويلة .

٣ — ذلك ، أنه من الحق أن نقرر أن رجال الفقه والقضاء فى الغرب قد عنوا بهذا البحث الدقيق منذ قرون طويلة . وكان من هذه العناية ، ومما امتازوا به من الروح التحليلية والفلسفية ، أن تكونت عندهم نظرية لسبب العقد أو الالتزام بعامة .

نجد هذا لدى الرومان فى عصورهم المختلفة ، ولدى الفقهاء الفرنسيين وغيرهم فى الزمن

القديم والحديث ، ثم لدى رجال القانون فى مصر متأثرين ومستلمين رجال القانون فى أوربة^(١) .

٤ — ومن أجل ذلك ، ومن باب التطبيق لما ندعو إليه من ضرورة استخلاص النظريات العامة فى الفقه الإسلامى ، رأينا أن نحاول بهذه الكلمة والتي بعدها إن شاء الله تعالى بيان ما قد يكون من الثغرات الفقهاء المسلمين لاعتبار سبب صحيح للعقد أو الالتزام ، وذلك ليترتب عليه أثره الشرعى ، ثم مقدار عنايتهم بهذه الناحية .

وهنا ، نذكر أنه إن فات هؤلاء الفقهاء أن يبحثوا « سبب العقد » فيما تركوا لنا من تراث فقهى مجيد ، فإنه لم يفهم بحث ذلك فى علم أصول الفقه . وقد كانوا بحاجة لهذا البحث ما دام السبب الصحيح شرعاً يعتبر شرطاً لا بد منه فى العقد والالتزام ، إن لم نقل يكاد يكون ركناً من أركانه . وبخاصة ، وهذا يعم جميع أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ، فكل من ضروب المعاملات لا بد له من سبب شرعى يختلف باختلاف العقود والتصرفات .

٥ — وبحث السبب فى العقد يتطلب منا أن نعرض لهذه النواحي :

- (١) تعريفه ومعانيه وما يراد منه فى الفقه .
 - (ب) الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ليسكون سبباً صحيحاً شرعاً يجب رعايته .
 - (ج) حكم التصرف المجرد عن السبب ،
- ٦ — فمن ناحية تعريفه ، نستطيع أن نذكر أن « السبب » فى باب العقود هو « الغرض المباشر المقصود فى العقد » ، وذلك أخذاً من كلام علماء أصول الفقه حين يتكلمون عن السبب أو الغرض أو المقصد .

ذلك ، بأنه من أصول الشريعة الإسلامية « أن كل فاعل عاقل مختار إنما يقصد بعمله غرضاً من الأغراض ، حسناً كان أو قبيحاً ، مطلوب الفعل أو الترك أو غير مطلوب شرعاً » .^(٢) ولهذا ، وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن القصد فى العقود معتبرة ،

[١] يرجع فى ذلك إلى النظرية العامة للوجبات والعقود فى الشريعة الإسلامية ، للدكتور صبحى عمهاني ، ج ٢ : ٨٢ وما بعدها ؛ الوسيط للأستاذ السهورى ، ص ١٧ وما بعدها ، ص ٣٥ وما بعدها ، ص ٤٧١ وما بعدها . وانظر أيضاً ، فى نظرية السبب بصفة عامة ، نظرية الالتزام فى القانون المدنى المصرى ، للدكتور أحمد حشمت أبو سنيح ، مطبعة مصر عام ١٩٤٥ م ، ص ١٦٦ وما بعدها .

[٢] الموافقات للشاطي ، ٢ : ٢٢٧

وأنها تؤثر في صحة العقد وفساده وفي حله وحرمة ، بل أبلغ من ذلك ، وهي أنها تؤثر في الفعل الذي ليس بمقدّر تحليلًا وتحريمًا ؛ فيصير حلالاً تارة وحراماً تارة باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحاً تارة وفاسداً تارة باختلافها ، ^(١) .

ونتيجة هذا كله ، أن يكون لكل فعل أو تصرف أو عقد غرض أو سبب يجب قصده ، وأن كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لا يشرع ، كما يقول الإمام القرافي . أو كما يقول أيضاً في موضع آخر ، وكل تصرف كان ، من العقود كالبيع أو غير العقود كالتغريرات ، وهو لا يحصل مقصوده ، فإنه لا يشرع ويبطل إن وقع ، إلى آخر ما قال ^(٢) .

ولذلك ، امتنع بيع الحر ونكاح المحرم ، والإجارة على الأفعال المحرمة ، وتعزير من لا يعقل الزجر كالسكران والمجنون ، فإن مقاصد أو أسباب هذه العقود والتصرفات لا تحصل بها ، والامر واضح كما نرى .

٧ — على أن للسبب إطلاقاً ومعاني عديدة مختلفة فيما بينها ، فلا ينبغي لنا أن نخلط بينها ، إذ لكل منها معنى خاص قد لا يكون هو المراد هنا ، وهذه الإطلاقات - كما يذكر الإمام الغزالي - ^(٣) هي :

(١) ما به يحل ويحرم المال وغيره من موضوعات العقود ، وهذا كالبيع والإجارة والزواج وغير ذلك من العقود ، فالعقود على هذا تعتبر أسباباً ظاهرة لحل أو حرمة موضوعاتها التي ترد عليها .

(ب) الفعل المباشر الذي يؤدي إلى نتيجة ما ، كالرمي بالسهم أو الرصاص ، فإنه يعتبر سبباً لما ينتج عنه من القتل ، وإن كان هذا قد حصل بالإصابة فعلاً لا بمجرد الرمي الذي يخطئ هدفه ، فهي على التحقيق سبب لعللة القتل . ومن هذا القبيل حفر البئر الذي يعتبر سبباً لموت من يتردى فيه ، وإن كان السبب الحقيقي هنا هو التردى في البئر لا حفره ، ولكن سبباً لحصول الهلاك عنده .

[١] إعلام الموقعين لابن القيم ، ٣ - ٤ ، ٩٦ .

[٢] الفروق ، ٣ - ٢٥٤ ، وانظر أيضاً ص ١٧١ - ١٧٢ .

[٣] المستصفي ، ١ - ٩٣ - ٩٤ .

(ج) ما يحسن إضافة الحكم إليه ، مثل ملك النصاب يعتبر سبباً لوجوب الزكاة ، دون حلولان الحول عليه وإن كان هذا شرطاً لا بد منه لوجوب الزكاة . فهنا ، نرى أن ملك النصاب هو سبب وجوب أداء الزكاة ، ومرور العام على هذا الملك شرط ضرورى لوجوبها .

٨ — وبعد الغزالي المتوفى عام ٥٠٥ هـ نجد غيره من الاصوليين قد تكلموا فى السبب وما يطلق عليه لغة ، ثم على ما يراد به فقها ، وعلى منزلته من الحكم الشرعى . ومن هؤلاء سيف الدين الآمدى المتوفى عام ٦٣١ هـ ، إذ يقول : « والسبب فى اللغة عبارة عما يمكن التوصل به إلى مقصود ما ، ومنه سمي الحبل سبباً والطريق سبباً ، لإمكان التوصل بهما إلى المقصود . وإطلاقة فى اصطلاح المتشرعين على بعض مسمياته فى اللغة ، وهو كل وصف ظاهر منضبط دل الدليل السمعى على كونه معرفاً لحكم شرعى » (١) .

ومن هؤلاء الاصوليين أيضاً ، أبو إسحاق الشاطبى المتوفى عام ٧٩٠ هـ إذ يذكر أن المراد بالسبب ما وضع شرعاً لحكمة يقتضها ذلك الحكم ، كما كان حصول النصاب سبباً فى وجوب الزكاة ، والزوال سبباً فى وجوب الصلاة ، والسرقة سبباً فى وجوب القلع ، والعقود أسباباً فى إباحة الانتفاع أو انتقال الاملاك ، وما أشبه ذلك (٢) .

٩ — ووضح مما تقدم ، أنه لا يراد بالسبب الذى نحن الآن بصدد بحثه فى العقد شىء من هذه المعانى التى يطلق السبب عليها بصفة عامة فى اللغة وأصول الفقه . وإنما المراد به هنا ما سبق أن ذكرناه من أنه الغاية أو الغرض المباشر المقصود فى العقد ، أى الذى دفع المتعاقدين إلى عقده . وهذا المعنى واضح من الشذرات التى نقلناها عن الفقهاء ، الآن عند ما أردنا تعريفه .

ونعتقد أخيراً ، أنه من الحق أن تؤكد ما قررناه سابقاً من أنه يمكن بشىء من البحث والاستقصاء استخلاص نظرية فى « سبب العقد » من الفقه الإسلامى ، هذه النظرية التى تقوم على وجوب تعرف إرادتى طرفى العقد والغرض أو المقصد الذى يستهدفانه من العقد . وفى الكلمة الآتية تمام الحديث إن شاء الله تعالى ، بالكلام على شروط السبب والحكم الشرعى للتصرف المجرد منه .

الدكتور محمد يوسف موسى

(١) الأحكام ، ١ - ١٨١

(٢) الموافقات ، ١ - ١٨٥ .

شهر التصرفات بين الفتن والنو والشريعة

الغاية من التقنين الوضعي في كل أمة تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات في المعاملات الجارية بينهم ، وتدير أمور الناس بما يحقق الصالح العامة والخاصة ويدرك الضرر عن المجتمع ، وهذا بعينه هو مقصد الشرع الإسلامي . بيد أن الأساس في التقنين أفكار الناس وعقولهم في نطاقها الضيق المحدود بحدود الزمان والمكان ، وقد تؤثر فيه الأغراض والأهواء ، ثم إن العقول بطبيعتها خاطئة ما لم يعصمها نور من الله .

أما الأساس في الشريعة فوحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما نزل إلا ليكون منارة للعقول يهديها في مشاكل الحياة الهائجة التي طالما ضل في علاجها أئمة الاجتماع والاقتصاد والسياسة عند ما سلكوا غير سبيل الإسلام كضلال الملاح في بحر لجي ، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

إن يد ذلك الشرع البصير قد غلت عن تدبير أمر الناس في مصر منذ عشرات السنين في الأمور المالية والجنائية ، وكتم فيه عن توجيههم برأى السماء ، وترك التدبير لآراء استعمارية مفروضة بقوة المدفع وقوة التقليد الاعمى ، حتى بلغ بنا الأمر على مر السنين أن كان البعض منا يقول : إنما الوحي من أوروبا لا من الله .

فالمفروض علينا الآن لنرد الحياة القانونية إلى الإسلام في انسجامه واعتداله ، أن ننظر إلى القوانين الوضعية المدبرة لبحث مواضع التجديد فيها أو ما يظن تجديدا ، ونوازن بينه وبين آراء المجتهدين المستمدة من نور الكتاب والسنة ، فنرى أيها نقره وأيها نعدله وأيها نلغيه ، لنعود بقوانيننا إلى الصراط المستقيم .

ومسألة اليوم هي تختم القوانين المصرية شهر بعض التصرفات وإعلانها بتسجيلها في مكاتب الشهر العقاري لترتيب آثارها عليها . فقد جاء في المادة ٩٣٤ ، ١٠٥٣ من القانون

المدينى والمادة ٩ من قانون الشهر العقارى أن جميع التصرفات الواردة على العقار التى من شأنها إنشاء حق من الحقوق العينية الأصلية كالمالك فى البيع ، وحق الحبس فى الرهن ، والحبس فى الوقف ، أو التى من شأنها نقله أو زواله ، لا تترتب عليها هذه الأحكام إلا إذا شهرت بتسجيلها فى سجل الشهر العقارى . وهذه النصوص شاملة للعقود العوضية وعقود التبرعات كالهبة والوصية ، كما أنها شاملة للرهن والإيجار الزائد على ثلاث سنوات . والمادة الأولى من قانون الوقف تنص على أن الوقف لا يصح إلا إذا صدر به إسهاد أمام المحاكم الشرعية وضبط فى سجلاتها . ومقصود القوانين السابقة أن أحكام هذه التصرفات لا تثبت بين المتعاقدين أو فى حق الغير إلا بالتسجيل ، اللهم إلا فى عقد الرهن فإن التسجيل فيه شرط لتنفاذه فى حق الغير ، وهو نافذ فى حق المتعاقدين من حين العقد . وقد أبانت المذكرات التفسيرية أن العقود مالم تسجل ليست إلا التزامات شخصية تترتب عليها الحقوق التى من شأن هذه التصرفات إفادتها ، كالتمهيد بإتمام التصرف والمطالبة بيباقى العوض واسترداده إن لم يتم التصرف . وأبانت أيضاً أن الوقف بدون إسهاد باطل .

ونحن نعلم من المنصوص فى الفقه أن التصرفات تترتب عليها آثارها بمجرد الإيجاب والقبول ، أو الإيجاب فقط فى الإرادة المنفردة دون اشتراط كتابة أو تسجيل . والذى دعا المقتنين إلى القول بضرورة التسجيل هو ما شوهد من التحايل فى العقود والتلاعب بالحقوق وعدم احترامها بغية ابتزاز أموال الناس وإضاعتها عليهم ، فقد يبيع إنسان داره أو يرهنها ويقبض المال ، ثم يبيعها أو يرهنها لشخص آخر جاهل بالتصرف الأول . وقد يقف أرضه على مسجد ، ثم يعيث بالوقف فيبيعها أو يغتصبها غيره وتتعدى إقامة الدليل على الوقف وهكذا أسرف الناس فى تجاهد الحقوق ، فرؤى شهر التصرفات العقارية ليسكون عاصما من هذه الخيل ؛ فأصبح مريد الشراء أو الرهن لا يقدم إلا بعد علمه بخلو العين من الحقوق العينية ، وأصبح المالك والمرتهن آمنين من طغيان الغير على أحقهما . والفقه لا يعترض على صيانة الحقوق ، لكنه يعترض على الوسيلة التى اتبعت فى تلك ، ولكى نعرف رأيه ينبغى أن نتبين التكييف الفقهى للتصرف الذى لم يسجل .

يتبين من العرض السابق لما حوته النصوص والمذكرات أنه تصرف استوفى أركانه وشرايطه ، غير أن أحكامه لا تترتب عليه إلا بالتسجيل ، بمعنى أنه إن سجل نفذ وإن لم يسجل بطل ، ومثل هذا الوضع يحكم عليه الفقه بأنه تصرف موقوف على التسجيل ، ويتبين فى الوقف غير المسجل أنه باطل .

والشريعة : ترى أن هذه التصرفات قبل التسجيل صحيحة نافذة ترتب عليها آثارها بمجرد انعقادها شفاها أو كتابة ، وولى الأمر لا يستطيع أن يحكم على العقود النافذة إجماعاً بأنها موقوفة بقوة سلطانه كما جاء في قوانين التسجيل ، نعم نستطيع في الوقف أن نصوب اعتبار واضح القانون الإشهاد من شروط صحته ، وذلك بأن يحكم عليه عند عدم الإشهاد بالبطان أخذاً برأى من يذهب إلى بطلان الوقف كله كشرح وأحمد بن صالح وإحدى الروایتين عن أبي حنيفة ، ويحكم عند الإشهاد بصحته أخذاً برأى الجمهور .

أما في عقود التملك وعقد الرهن فاعتبارها موقوفة بأمر الحاكم غير جائز لانه خروج على إجماع الفقهاء القاضى بترتب الملك على عقود التملك وحق الحبس على الرهن فور حصولها إلا لمنازع شرعى كبيع الفضولى .

ونظرة إلى متقدمى الفقهاء ترىنا كيف وقفوا أمام مثل هذه المشكلة الاجتماعية : فقد كثرت ادعاء الملكية لعقارات أو منقولات في حوزة ملاكها الذين طالت مدة وضع يدهم عليها ، وربما حكم للمدعين بحجج زائفة تقدم منهم ، وكان في ذلك خطر على الحقوق التى يجب أن تصان ؛ لأن وضع اليد المدة الطويلة ، من غير اعتراض من أحد عليه مع التمكن من الاعتراض قرينة عرفية على صحة اليد وكذب الدعوى ، فأجاز الفقهاء للحاكم علاجاً لهذه المشكلة أن يمنع القضاة من سماع دعوى العقار بعد مضى المدة الطويلة .

نقل الحموى في حاشية الأشباه عن يحيى المنقارى أن سلاطين آل عثمان أمروا قضاتهم في جميع ولاياتهم أن لا يسمعوا دعوى بعد مضى خمس عشرة سنة سوى دعوى الوقف والإرث ، ونقل في الفتاوى الحامدية عن المذاهب الأربعة عدم السماع بعد نهى الحكم . وسندهم في المنع من مثل هذه الدعاوى هو أن لولى أمر الدولة تخصيص القضاء بالزمان والمكان وبنوع من القضايا .

وهذا المبدأ عمل به المقنن المصرى في دعوى الزواج فنع من سماعها إلا إذا كان الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية وحصل في سن معينة للزوجين ، وهذا المنع كلف الناس عن مباشرة الزواج إلا بالشرطين السابقين فابتعدوا بذلك عن أضرار صحية واجتماعية بالغة كالعدم والشقاق بين الزوجين والطمع في مال القصر ، وأخذ به أيضاً في الوقف قبل صدور القانون الأخير حيث نص في لائحة ترتيب المحاكم الشرعية على أنه لا تسمع دعوى الوقف غير المسجل .

فلو أن واضع القانون المدني أخذ بهذا المبدأ ففزع من سماع الدعوى بالتصرفات غير المسجلة لو تقي بالمصالح المرجوة من غير خروج على الشريعة .

وبعض إخواننا من فقهاء سوريا يرى أن العقد غير المسجل باطل بعد أن صدر قانون التسجيل ، وكان قبل ذلك صحيحاً شرعاً ، لكن لولى الأمر أن يأمر ببطلان العقود الصحيحة للمصلحة . واستدل على هذا المبدأ بفتوى أبي السعود مفتى آل عثمان في أوائل القرن العاشر الهجرى عند ما سئل عن وقف على أولاده هرباً من الديون ، هل يصح وقفه ؟ فأجاب بأن وقفه باطل ، والقضاة ممنوعون من قبل السلاطين عن تسجيله وعن الحكم به صيانة لأموال الدائنين .

ففهم المستدل من الفتوى أن الوقف الصحيح ينقلب باطلاً بأمر ولى الأمر ، فأخذ منه مبدأ عاماً هو أن التصرف الصحيح يصير باطلاً بأمر الحاكم للمصلحة الداعية ^(١) . لكن أمر الحاكم لا يجعل الصحيح فاسداً إلا بمسند من تقليد لأحد الفقهاء أو اجتهاد ، على أن العقود المجمع على صحتها كالبيع والرهن والزواج لا يصح الاجتهاد المؤدى إلى بطلانها ، لأن الاجتهاد في مقابلة الإجماع باطل .

وأما فتوى أبي السعود ببطلان وقف المدين فليست مستمدة من الأمر ، بل هي ترجيح لمذهب المالكية ، وأمر السلاطين بالمنع من القضاء بصحته تخصيص للقضاء بهذا المذهب ، لأن المصلحة كانت في العمل به ، ومن الأصول المقررة جواز ترجيح مذهب معين ، والأمر باتباعه للمصلحة ، ومذهب المالكية ببطلان وقف المدين بدين مستغرق أو غير مستغرق إذا كان الباقي بعد الوقف لا يكفي للوفاء به . ويمكن أن تكون الفتوى وأمر السلاطين عملاً بإحدى الروايتين عن أبي حنيفة ، وهى القول ببطلان الوقف .

أما ببطلان العقود الصحيحة بمجرد الأمر من غير أن يكون له مسند من تقليد أو اجتهاد فلا يمكن أن يكون مبدأً فقهاً يستخدم في تدبير أمور الناس ، وإلا لدخل على الشريعة من قبل الحكام التبديل والمحو والزيادة والنقص والعياذ بالله ، ولا سيما أنهم لم يرتفعوا إلى مرتبة المجتهدين الذين يعرفون وجه المصلحة والاستمداد من الأدلة ، وكثر منهم الظالمون الذين يجولون طريق المعدلة . والله أعلم بأحكامه .

أحمد فرهمي أبوسنة
المدرس بكلية الشريعة

حَقِيقَةُ الْوَجُوبِ وَالنَّهْيِ

وعدنا القارئ في مقالنا السابق بمواصلة بحث الأحكام التكميلية والوضعية . وها نحن أولاء نفي بهذا الوعد فنبداً بذكر الواجب وما يتعلق به من أبحاث ، مع ذكر الخلاف بين اصطلاحى الحنفية والشافعية في الفرض والواجب ، حتى يزول ما يعلق بالذهن من شبه حين النظر في بعض المسائل الفقهية التى يقع فيها الخلاف بين الشافعية والحنفية .

تعريف الواجب لغة وشرعاً : الوجوب فى اللغة يطلق بمعنى السقوط ، وفيه يقال « وجبت الشمس » ، إذا سقطت . « وجب الحائط » ، إذا سقط . وقد يطلق بمعنى « الثبوت والاستقرار » ، ومنه قوله عليه السلام « إذا وجب المريض فلا تسكين باكية » أى استقر ، وزال عنه التزلزل والاضطراب .

وأما الوجوب فى العرف الشرعى فقد ارتضى فيه الغزالى تعريف القاضى أبى بكر الباقلانى إذ يقول « هو الذى يذم تاركه ويلام شرعاً بوجه ما » ، لأن الذم أمر ناجز والعقوبة مشكوك فيها لجواز العفو ، ويشمل التعريف : الواجب المعين ، والواجب النخير ، والواجب الموسع . فإنه يلام على تركه مع ترك العزم على امتثاله . ولا فرق بين الواجب والفرض عند الشافعية بل هما من الألفاظ المترادفة كالحتم واللازم .

تفرقة الحنفية بين الفرض والواجب : وفرق الحنفية بينهما ، فخصوا الفرض بما يقطع بوجوبه ، وخصوا الواجب بما لا يدرك إلا ظناً . ولا ينكر الشافعية انقسام الواجب إلى مقطوع ومظنون . فيرجع الأمر إلى مجرد الاصطلاح ، وقد اشتهر بين العلماء أنه لا مشاحة فى الاصطلاح إذا ما فهمت المعانى وتميزت الحقائق واتضحت .

ويقرب تعريف القاضى أبى بكر من تعريف الآمدى إذ يقول « الوجوب الشرعى عبارة عن خطاب الشارع بما ينتهض تركه سبباً للذم شرعاً فى حالة ما » ، وشرح هذا التعريف بقوله : إن القيد الأول وهو « خطاب الشارع » يمنع من خطاب غير الشارع . والقيد الثانى وهو « انتهاض تركه سبباً للذم شرعاً » يخرج بقية الأحكام الشرعية . والقيد الثالث

وهو وجود الذم في حالة ما ، يجعل التعريف شاملاً للواجب الموسع إذا ترك في أول الوقت بدون عزم على الامتثال وأداء الفعل فيما بعد ، كما يشمل ترك الواجب المخير .

تعريف الفرض ، نظر الخفية في الفرض والواجب : والفرض في اللغة يطلق بمعنى التقدير ، قال تعالى (فنصف ما فرضتم) أى قدرتم ، وبمعنى القطع ؛ قال تعالى (نصيباً مفروضاً) أى مقطوعاً محدوداً . ويطلق الفرض على ما يعطى بغير عوض ، تقول العرب : ما أصبت منه قرصاً ولا فرضاً ، ويطلق بمعنى الإنزال كقوله تعالى (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أنزل . ويطلق بمعنى التبيين ؛ قال تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى بينها . ويطلق بمعنى الإحلال ؛ قال تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى أحل الله له .

وقد رتب الخفية أحكاماً مختلفة لكل من الفرض والواجب بناء على قطعية الدليل بالنسبة للفرض وظنيته بالنسبة للواجب ، وهما هي عبارة البردوى حيث يقول : وأما الفرض فحكمه اللزوم علماً وتصديقاً بالقلب وهو الإسلام . وعملاً بالبدن وهو من أركان الشرائع ، ويكفر جاحده ويفسق تاركة بلا عذر . وأما حكم الوجوب فلزومه عملاً بمنزلة الفرض لا علماً على اليقين لما في دليله من الشبهة حتى لا يكفر جاحده ويفسق تاركة إذا استحق بأخبار الآحاد . فأما متأولاً فلا ، لأن الدلائل نوعان : مالا شبهة فيه من الكتاب والسنة ، وما فيه شبهة ، وهذا أمر لا ينسرك . وإذا تفاوت الدليل لم ينسرك تفاوت الحكم وبيان ذلك أن النص الذى لا شبهة فيه أوجب قراءة القرآن في الصلاة وهو قوله تعالى : فاقروا ما تيسر من القرآن . وخبر الواحد فيه شبهة يعين الفاتحة فلم يجوز تفسير الأول بالثاني بل يجب العمل بالثاني على أنه تكميل لحكم الأول مع إقرار الأول . وكذلك الكتاب أوجب الركوع وخبر الواحد أوجب التعديل فيه . والمتنبع لكتب الفقه الحنفى يرى فروقاً كثيرة وأحكاماً متباينة لكل من الفرض والواجب .

نظر الشافعى في الفرض والواجب : وإذا ذكرنا الفرض والواجب عند الخفية وبيننا وجهة نظرهم في الاختلاف بينهما ، فيحسن بنا أن نذكر وجهة نظر الشافعى في الفرض والواجب . وقد جعلهما الشافعى في نقطتين مترادفتين لمعنى واحد منسكراً للفرقة بينهما . وقال هما مترادفان ويطلقان على معنى واحد وهو الذى يذم تاركة ويلام شرعاً بوجه ، سواء

ثبت بدليل قطعى أو ظنى ، واختلاف طريق الثبوت لا يوجب الاختلاف فى حقيقة الفرض والواجب ، وتخصيص اسم الفرض بالمقطوع والواجب بالمظنون تحكيم ، لأن الفرض هو التقدير مطلقاً سواء أكان مقطوعاً به أم مظنوناً . وكذلك الواجب هو الساقط سواء أكان مظنوناً به أم مقطوعاً . فيمكن تخصيص كل واحد بقسم تحكماً . وبجمل القول فى هذا النزاع أن وجوب العمل فى الواجب عند الشافعى مثل وجوب العمل فى الفرض ، والتفاوت بينهما فى ثبوت العلم وعدمه . وعند الحنفية التفاوت بينهما ثابت فى وجوب العمل أيضاً حتى كان وجوب العمل فى الفرض أقوى من وجوبه فى الواجب ، ولم ير الشافعى وبقية الأئمة فرقاً بين الفرض والواجب إلا فى الحج استناداً إلى دليل شرعى يوجب التفرقة ، فقد ورد عن الشارع فى بعض أفعال الحج أن تركها مفسد له فسميت أركاناً ، وفى بعضها أن تركها غير مفسد له ويجبر بدم فسميت واجبات .

نظر الحنفية فى النهى : ولما فرق الحنفية بين الفرض والواجب جعلوا النهى موجباً للتحريم إن كان ثابتاً بطريق القطع ، وموجباً لسكرامة التحريم إن كان ثابتاً بطريق مظنون . وعلى ذلك تكون الأحكام التكليفية عندهم سبعة : واجبة ، ومفروضة ، ومندوبة ، وحراما ومكروهة كراهة تحريم ، ومكروهة كراهة تنزيه ، ومباحة .

عبد الله المراعى

مدير المساجد بوزارة الأوقاف

التربية بالقُدوة

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة :
 « إن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته . وإياك أن تزيع فيزيغ عمالك ، فيكون مثلك عند الله كمثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعمت فيها تبتغى بذلك السمن ، وإنما حثفها بسمنها » .

نشأة كتب الأمل وخصائصها

- ٣ -

أَمَلِي تَعَلَّبُ

تعلم هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني المعروف بتعلم ، إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث .

ولد سنة مائتين ، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة وهو في سن السادسة عشرة .
روى ياقوت عنه وهو يتحدث عن نفسه :

« حذقت العربية ، وحفظت كتب الفراء كلها ، حتى لم يشذ عنى حرف منها ، ولى خمس وعشرون سنة ، وكنت أغنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره ، فلما أتقنته ، أكتب على الشعر والمعاني والغريب » .

وقد ظهرت كل أنواع هذه الثقافات في أماليه ظهوراً واضحاً ، فهي تمثل بحق ضروب دراسته وألوان ثقافته .

عاش أبو العباس ثلث دهوراً طويلاً ما بين سنتي (٢٠٠ ، ٢٩١ هـ) وقضى حياة حافلة بخدمة النحو واللغة والأدب في بيئته بلغت فيها المنافسة بين البصريين والكوفيين غايتها إذ ذاك .

شيوخه :

لقد طلب أبو العباس كل علم من أهله ، فجلس إلى ابن الأعرابي في اللغة ، وتلقن على سلمة بن عاصم النحو ، وروى كتب أبي زيد الأنصاري عن ابن فجة ، وكتب الأصمعي عن أبي نصر ، وكتب أبي عمرو عن ابنه عمرو . فاجتمع له بذلك علم واسع صحيح ، جعل شيوخه أنفسهم يلجئون إليه .

قال ياقوت : كان ابن الأعرابي إذا شك في شيء يقول لتعلم : ما عندك يا أبا العباس في هذا ؟ ثقة بغزارة حفظه .

ومن شيوخه كذلك محمد بن حبيب ، وفيه يقول : حضرت مجلسه فلم يُبْمَل ، وكان والله حافظاً صدوقاً .

ومنهم محمد بن عبد الله بن قادم ، وكان من أعيان أصحاب الفراء .
ومنهم ابراهيم بن اسحاق بن بشير الحربى ، حدث أبو عمر الزاهد قال : سمعت ثعلباً مراراً يقول : ما فقدت ابراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة .
ومنهم ابراهيم بن المنذر الحزامى ومحمد بن سلام الجعفى والزبير بن بكار .
ومنهم أبو الفضل العباس بن فرج الرياشى البصرى .
وكان لأبى العباس ولوع بأن يحضر مجالس العلماء للإفادة منهم .
قال ياقوت فى معجم الادباء نقلاً عن الصولى :

قال أبو العباس ثعلب : لم أسمع من جماعة كلمهم قدرأيته وتمكنت منه ، ولو أردت ذلك ما فاتنى عنهم جميع ما أطلب ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام واسحاق الموصلى وأبو توبة ، والنضر بن حديد . وإنى لأذكر موت الفراء ذكراً جيداً ، وأنا فى السكتئاب .
ويروى الخطيب البغدادى فى تاريخه أن ثعلباً قال :

كنت أحب أن أرى أحمد بن حنبل فصررت اليه ، فلما دخلت عليه قال : فيم تنظر ؟
فقلت : فى النحو والعربية . فأشددنى أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما مضى	ولا أن ما تخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعن	ذنوب على آثارهن ذنوب
فيألت أن الله يغفر ما مضى	ويأذن فى توباتنا فنتوب

وكان مع اشتغاله بعلوم العربية لا يزال به حنين ينازعه إلى علوم الدين .

قال أبو بكر بن مجاهد ، كما ذكر صاحب نزهة الالباب :

كنت عند أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب فقال لى : يا أبا بكر ، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمر ، فليت شعرى ماذا يكون حالى فى الآخرة ؟

تلاميذه :

وأما تلاميذه فكثير ما هم ، وأشهرهم هو أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد ، كان من أكابر أهل اللغة وأحفظهم لها ، وكان يعرف بـ غلام ثعلب .
وكان يشاركه في هذا اللقب محمد بن علي بن الحسين أبو طالب النحوي ، كان يسمى كذلك غلام ثعلب .

ومن كان يسمى (ثعلبا) من النحويين محمد بن عبد الرحمن النحوي .

كان ثعلب يتولى زعامة مدرسة السكوفة ، على حين كان المبرد يتزعم أهل البصرة .
وكل منهما كان علما وإماما في صناعة العربية ، فأحدث ذلك بينهما من المنافسة ما حفظه التاريخ وسجله الشعر .

حكى ابن السراج قال : كان بين المبرد و ثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافسة ، وكان أهل التجميل يفضلون المبرد على ثعلب .

مؤلفاته :

حفظ التاريخ لابن العباس أكثر من أربعين مؤلفا في فنون العربية والقرآن ، بيد أن كثيرا منها عدت عليه عوادي الأيام ، فيما عدت على التراث العربي الضخم .
ونحن نكتفي هنا بذكر ما نرى له صورة في أماليه :

١ — إعراب القرآن .

٢ — القراءات .

٣ — معاني القرآن .

٤ — معاني الشعر .

٥ — اختلاف النحاة .

٦ — كتاب الفصيح ، وهو أشهر كتبه .

الامالي :

وتسمى أيضا د مجالس ثعلب ، و د مجالسات ثعلب ، .

اشتملت (أمالي ثعلب) على ضروب شتى من علوم العربية ، وحفظت لنا في مطالعها

كثيرا من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين ، وهى فى هذه البابة من أهم الوثائق العلمية فى بيان مذهب المدرسة الكوفية ، على أن ثعلبا كثيرا ما يستعرض فى أثناء هذه المجالس أو الامالى بعض آراء مدرسة البصرة .

وهو كذلك كثيرا ما يعرض لتفسير بعض آيات من القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، ويذكر أقوال العلماء واللغويين فى ذلك ، مجادلا آراءهم ، مخطئا لهم أحيانا ، ومنتقدا أحيانا أخرى .

وله مختارات من الشعر تنفيء بما منح ثعلب من حسن الاختيار ، وجمال الذوق ، ويلبس الباحث فى أراجيزه التى اختارها ، وهى كثيرة وبعضها نادر ، أنه لغوى متمكن ، وعالم مدقق ، وراوية ثبت .

وأسلوب ثعلب فى أماليه أنه أحيانا يبدوها هو بذكر خبر أو بيت ثم يستطرد منه إلى فنون شتى من علوم العربية ليس بينها وحدة ولا ارتباط ، إلا أنها من اللغة العربية وآدابها . وأحيانا أخرى يتقبل الاسئلة من طلابه فيجيب الجواب السديد تارة ، ويتردد تارة أخرى ، وأحيانا يقول : « لا أدري » .

على أننا لا ندرى تاريخ تلك الامالى ، وفى أى الايام كان يجلس لها ، كما سنرى ذلك فى بعض الامالى الاخرى كما مالى ابن الشجرى أو أمالى المرتضى .

والذى نأخذ على ثعلب فى أماليه ، أنه لم يبرأ بما وقع فيه بعض الرواة من ذكر أخبار هى أشبه شئ بالاساطير ، ولم يعن هو كما لم يعن غيره بنقد النص وقطيعه على الممكنات العقلية أو الآراء العلمية ، كالذى ذكره فى مطلع الجزء الثامن :

حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى ثعلب قال :

حدثني عمر بن شبة قال : حدثني عبيد بن جناد ، حدثنا عطاء بن مسلم عن أبي جناب السكلي قال :

أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب بها : بلغنا أنكم تسمعون نوح الجن ؟ قال : ما تلقى حراً ولا عبداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك .

قلت : فأخبرني ما سمعت أنت :

قال : ممعتم يقولون :

مسح الرسول جبينه فله بريق فى الحدود
أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

فنى أن ثعلباً قد تقبل الفكرة الشائعة عند الرواة للشعر بأن للجن شعراً ، ولم يأخذ بأى مقياس من مقاييس النقد التى وضعها علماء الحديث ، مع أنه بمن عرفوا الحديث ، ووقفوا على مناهج النقد عند علمائه .

ونحن نرى أن هذا الشعر من وضع الشيعة ولا جرم ، وهم فى ذلك يحتذون حذو من وضع منهم الأحاديث على لسان الرسول صلوات الله عليه ، وهى كثيرة . فإذن قد جنت المذاهب وتطرفها على الشعر كما جنت من قبله على الحديث .

وأمالى ثعلب فى جملتها ، قد رواها جماعة - كما ذكر ابن النديم - منهم أبو بكر بن الأنبارى وأبو عبد الله اليزيدى ، وأبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، وابن درستويه ، وابن مقسم .

أما المطبوعة التى بين أيدينا فهى من رواية أب بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المقرئ العطار . وفى هذه النسخة زيادات لابن مقسم من تفسيرات ينص هو عليها منسوبة إليه وهذه الامالى اثنا عشر جزءاً ، وقد طبعت فى (٦٦٦) صفحة .

نماذج منها

الاجزاء فى القرآن :

عن محمد بن يعقوب السمرقندى رحمه الله أخبرنا محمد بن الحسن بن مقسم ، ثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ثنا محمد بن يعقوب السمرقندى ، ثنا أبو بكر الحنيدى عبد الله بن الزبير ، ثنا أبو الوليد عبد الملك بن عبد الله بن شعوة ، عن اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، عن حميد الأعرج أنه حسب حروف القرآن فوجد النصف الاول من القرآن يفتى الى خمس وستين آية من سورة الكهف عند قوله تعالى : هل أتبعك على أن تعلن مما علنت رشداً . قال لأنك لن تستطيع ، وهو الربع الثانى ، والسدس الثالث ، والثمن الرابع ، والعشر الخامس وصارت دمعى صبرا ، من النصف الآخر الى أن تحتم القرآن .

والثلث الاول ينتهى الى بعض إحدى وتسعين آية من براءة ، عند قوله : د كذبوا الله ورسوله سيصيب ، إلا الباء من سيصيب ، وهو السدس الثانى ، والتسع الثالث ، وصارت الباء من سيصيب من الثلث الاوسط . والثلث الاوسط الى بعض ست وأربعين آية من

سورة العنكبوت ، عند قوله تعالى : « إلا بالتي هي أحسن إلا ، وهو السدس الرابع ،
والتسع السادس ، وصارت « الذين ظلموا ، من الثلث الآخر إلى أن تختم القرآن .

النحو السكوفي :

وأنشد :

اسمع حديثاً كما يوماً تحدثه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
رفع . وقال : زعم أصحابنا أن (كما) تنصب ، فإذا حيل بينهما رفعت ، وغيرهم يقول :
(كما) ترفع ، قال هشام : تقول أفعل كما يفعلون ، قال : يزعم البصريون أنها لا تعمل كما
تعمل كي . قال : وأصحابنا يقولون (كما) مثل (كي) قال الكسائي : أمثل ذلك ، أيتك كي
فينا نرغب ؟

تفسير القرآن :

قال أبو العباس في قوله : « يأياها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ، .
قال : قالوا للنبي ﷺ اطرد صهييا وسلمان وبلا لا - وهؤلاء قد سبقوا إلى الهجرة -
حتى نتبعك . فأنزل الله هذا .

وهذه رواية غريبة لم ترد في تفسير من التفاسير التي بين أيدينا ؛ لا في الطبري ،
والكشاف ، والفخر ، وأبي السعود ، والنيسابوري ، والذسفي ، والقرطبي ، وأبي حيان ،
وابن كثير ، والبيضاوي ، والجلالين ، والبغوي ، والطبرسي ، والآلوسي ، والاحكام
للجصاص ، ولا ابن العربي ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ، فهذه ثمانية عشر تفسيراً لم نجد
فيها الرواية التي ذكرها ثعلب .

فضلاً عن أن النقد الموضوعي لهذه الرواية يجعلنا لا نتقبلها بسهولة ، وذلك أن السورة
مدنية بالإجماع ، وهؤلاء أسلموا بمكة ، فان كان هناك حديث عنهم فليكن في مكة ،
وقد وردت هذه القصة في صدد آيات مكية وهي في سورة الانعام عند قوله تعالى
(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) .

روى أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم عن عبد الله بن مسعود
قال : مر الملاك من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وخباب ونحوهم
من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أراضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء من الله عليهم

من بيننا؟ نحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ طردهم منك فلعلك إن طردتهم أن تتبعك . فأنزل فيهم القرآن (وأنذره الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم - إلى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين) . وروى مثل ذلك أيضاً في سبب نزول آية سورة الكهف وهي مكية كسورة الانعام والآية هي (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية . وهذا هو الواقع وهو المعلوم من السيرة النبوية ومن سنة الله تعالى في خلقه المبينة في آيات كثيرة من كتابه .

وهو أن أول أتباع خاتم الرسل عليه السلام هم كأتباع من تقدمه من إخوانه الرسل ، أكثرهم من الضعفاء الفقراء ، وأن أعداءه كأعدائهم هم المترفون من الأكابر والرؤساء ، وأن هؤلاء الأعداء المستكبرين عن الإيمان كانوا يحتقرون السابقين إلى الإيمان ويذمونهم بل يسومونهم سوء التعذيب .

وتارة يقترحون على الرسل طردهم وإبعادهم . قال تعالى في سورة هود حاكياً قول الملأ - أي الأشراف - من قوم نوح (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) . وقد حكى الله عن كفار قريش أنهم قالوا في هؤلاء الضعفاء السابقين إلى الإسلام (لو كان خيراً ما سبقونا إليه) .

على أن الإنصاف يقتضينا أن نعترف لأبي العباس ثعلب بما في أماليه من محاسن كثيرة مما يدل على الاستقراء والتتبع وسعة الاطلاع وطول الباع . من ذلك ما يذكره من السكليات في جانب معاني القرآن التي تطبق على جميع الآيات ، مثل قوله :

(لا يجليها لوقتها إلا هو ، نقلت في السموات والأرض)

قال : كبر عليها على أهل السموات والأرض . . . قال : وكل شيء لم يعلم فهو ثقيل . . . وهذا الرأي عندى في التفسير خير من رأى الراغب في مفرداته . وكقوله في قوله عز وجل (نظن أن يفعل بها فاقرة . كلا) .

الفاقرة : الداهية ، من فقرت أنفه ، أى حززت أنفه . و (كلا) في القرآن كله ، أى ليس الأمر كما يقولون ، الأمر كما أقوله أنا .

ومهما يكن من شيء فهذه الآمال جديدة بالبحث والدرس والقراءة والاطلاع ،

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة

آراء وأحاديث

علوم البلاغة في الميزان

كتبت في العدد الماضي من مجلة الأزهر الغراء تعليقاً على مقال كاتب فاضل في هذه المجلة أيدت فيه حضرته فيما ذهب إليه في وجوب التجديد في البحث ، واستطردت إلى بيان واجب الأزهر الشريف وحظه من تلك الناحية ، وأنه أولى الناس بأن يجدد في مناهجه ، ويغير في مؤلفات الأولين ما لا يناسب الزمن أو لا يحقق الغرض ، أو لا يكون على شريعة الصواب .

ثم انتقلت مع حضرة الكاتب الفاضل (مسامرة لاتجاهه) إلى ناحية من نواحي البحث وتكلمت في البلاغة كما هي في المكتب التي تدرس في الأزهر منذ قرون ، فأثرت مسائلها ونثرت مباحثها ، وأبنت معانيها ، ودعوت إلى وجوب نسخها ، والاستبدال بها ، ضمناً بالوقت ، والتماساً للحق .

ثم أعود اليوم إلى ما وعدت من التفاهم مع حضرة الكاتب الفاضل فيما أخذ على حضرات الكتّاب في البلاغة من تعليقات في الحذف والذكر ، ثم تصوير للتجريد البديعي . وقصدت مع واجب الوفاء أن يظل باب البحث مفتوحاً لي ولمن شاء ، فإن البحث في الفنون العلمية والاختذ والرد حريٌّ أن يحدث في الأذهان حركة ، وأن يبعث فيها نشاطاً منشوداً ، وربما نبه القائمين بالأمر إلى حفز الهمم على الإصلاح والتجديد إن شاء الله .

* * *

بدأ حضرة الكاتب الكريم يعترض على ما كتب الأولون من تعليل الحذف بغير علته النفسية إذ قالوا إن الحذف يكون للاحراز عن المبت بناء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ الخ .

ولا بد لي قبل التفاهم أن أبين للقارئ الكريم كيف سلك هؤلاء الكاتبون بعد الشيخ عبد القاهر في بحثهم للبلاغة ، وكيف عللوا بهذه العلل التي تسوى بين الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتشكيك وما إلى ذلك .

أما أساس بحثهم ومسلكهم بالعلل فقد كان هو ما كتب الشيخ عبد القاهر من النكات التي يسميها علل النحو ، إلا أنه كان يعتمد قبل ذلك على الذوق ثم يحاول أن يجعل له أساساً وقاعدة تكون حكماً عند التخالف ، وقل أن يقع التخالف عند المتذوقين ، فالذوق المعنوي كالحسي لا يقاب الحلو مرأً ولا العذب الفرات مالحاً .

ونظير ذلك معرفة النظم وما فيه من اتزان وغير اتزان ، فإن العارف بالذوق لا بد أن يعرف البيت الصحيح من الممسور إذا عرض عليه ، ولكن الوزن بالفعليات جعل حكماً عند الخلاف ، وقل أن يقع الخلاف إلا أن يكون بين ذائق وغير ذائق ، فإذا رجعا إلى حكم الاوزان اعترف غير الذائق بصحة قوله . فالشيخ عبد القاهر جعل البلاغة تأخى معاني النحو بين الجمل وجعل معاني النحو هي تلك التي سماها القوم أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال من الحذف والذكر . الخ الخ .

وتكلم الشيخ في أبواب من تلك المعاني قصد بها أن يعبد الطريق أمام الأديب المتذوق ليتعلم فلسفة البحث في التراكيب لتكون عدة له إذا جادله من لا يحسن ما يحسن ومن لا يتذوق ما يتذوق . ولم يستوعب جميع تلك الابواب ، وما كان له عند الحق ولا لاحد أن يستوعب ولا أن يحاول إلا أن يتكلف مالا يستطيع ولا يحسن ، ونعوذ بالله أن نتكلف ما لا نستطيع ولا نحسن .

أما القوم من بعده وإمامهم السكاكي فقد حصروا حصراً منطقياً ليحوزوا البلاغة من أقطارها ، ويجمعوا النكات من أطرافها .

وقالوا إن الكلام العربي إما خبر أو إنشاء ، ولا بد من مسند ومسند إليه وإسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو شبهه ، وكل إسناد وتعلق فهو إما بقصر أو بغير قصر ، والجملة مع غيرها إما معطوفة عليها أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما على قدر

المعنى أو زائد عليه لفائدة أو أقل ، فلا بد عندهم من تفصيل الاحوال فى هذه الابواب الثمانية وبيان العلل لكل الاحوال .

وأحوال المسند إليه الذى فى ضمنه بحث اليوم هى الباب الثانى من الابواب الثمانية ، وقد حصروها فى الحذف والذكر ، والتعريف بأقسامه الستة والتسكير ، والوصف ، والتوكيد ، والبيان ، والبدل ، والعطف ، والفصل بضمير الفصل ، وليكون القارىء الكريم على بيته نامة بالاشياء ، فليعلم أن الشيخ عبد القاهر لم يذكر من هذه المباحث إلا ثلاثة :

١ — الحذف : فقد ذكر صوراً منه جارية فى كل أنواعه غير مقيدة بالمسند إليه مع سياقة روائع من النظم تصلح لبنات متينة لتكوين الذوق السليم ، على أن القوم من بعده قد وزعوا الحذف على ما يصلح من الابواب الثمانية ، ولم يذكر الشيخ الذكر .

٢ — التقديم والتأخير : ذكر صوراً منهما تدور مع كل مجال فى المسند إليه وغيره ومع الاستفهام والخبر وفى النكرة والمعرفة ، وحقق فروق ما بينهما فى آيات من القرآن الكريم وآيات من الشعر الجليل .

٣ — التعريف والتسكير : ذكر منهما صوراً مطلقة أيضاً ، وفيها فروق سليمة واضحة ، وتطرق إلى فروق فى القصر لها مجاها العمل الأدبى الجليل .

أما القوم فقد أطالوا وأجالوا ولم يعلموا بالعلل المشعرة إلا أن يتبعوا الإمام عبد القاهر ، ولم يكن ذلك قاصراً على علل الحذف والذكر ولكنه مطرد شامل .

ولو أنهم أنصفوا إذا تعرضوا ما عرض الإمام من النماذج ، ولبحثوا عن نظائرها لجحدوا العهد بالأدب وبالذوق .

مسألة الحذف والذكر

هذه هى الناحية التى ناقش الكاتب الكريم بعض عليها . فإن السكاكى إمام المتأخرين قد ذكر للحذف عللاً عدة قد يتداخل بعضها مع بعض ، فذكر الاحتراز عن العبث ، وتخيل العدول إلى أقوى الدليلين : العقل واللفظ . وإيهام تعهير اللسان أو تطهيره عن اللسان أو تأتى الإنكار ، أو التعيين حتمية أو ادعاء أو اتباع الاستعمال الخ . ثم أتى للذكر بعلل

منها قصد التخصيص والاحتياط وزيادة الإيضاح الخ . وتبعه من بعده في الجملة . والكاتب الفاضل يناقشهم الحساب فيقول إنهم يعللون الحسن بغير العلل النفسية وأنهم لم يسلكوا مسلك الشيخ ولا وفقوا للتعليل النفسى المقنع .

وإنى أؤيده في أنهم لو اتبعوا الشيخ لأفادوا وأفادوا ، فتد جاء بأمثلة شافية للنفوس كببت الكتاب (١) :

اعتاد قلبك من ليلي عوائده وهاج أهواك المكنونة الطلل
ربع قواء أذاع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضل

وكقول القاسم بن عقيل المرى يمدح زفر بن أبي هاشم وقومه :

هم حلوا من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حين شاموا
بناء مسكارم وأساءة كلم دماؤهم من السكب الشفاء

وقد ذكر غير هذا وغير ما ذكره حضرة الكاتب صورا من النظم لها أثرها في تهذيب اللسان والقلم والذوق كدأبه .

ولكننى أناقش حضرة الكاتب مناقشة لا تخلو من طرافة لاندماجها في سلك طريق القوم كما شاء حضرته ، ولتكن المناقشة في ناحيتين : ما مسلكه في التعليل ، وما ناقش به السكاتبين في البلاغة . أما ما سلكه من التعليل ففيه ما يأتي :

(١) سلك مسلك التعليل النفسى ، وهو كما بينه في آخر الكلام : معنى يشعر المرء بأثره ولا يدركه ، ولكن الفلسفى العارف بخفايا النفوس يدركه ويؤمن به .

وإذا كان ذلك فلماذا لم يطبقه على قولهم الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر . أو تخيل العدول إلى أقوى الدليلين . أليس ذلك لازما لقوله إنه إذا ذكر مع القرينة كان كالثقل الخ . ولا يضره أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة (بناء على الظاهر) وكلمة (تخيل)

[١] راجع ١١٢ فما بعدهما من دلائل الإعجاز طبع المنار . قواء : لا أنيس به . المعصرات : السحاب . وأذاع بالشيء : ذهب به .

فإن ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف ، فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطقياً على الواقع كل الانطباق .

وفي الحق إن المتكلم لا ينطق بالبلاغة في حذفها وذكرها ، إلا مستمداً من ذوق سليم ينشأ كما قلنا من مزاولة الآراكيب التي تجعله يضع الهناء مواضع النقب . ويقول : كاذب ما قالت العرب .

وأذكر في هذا المقام قول البحرى ينعى على بعض العلماء في عصره :

كلتمونا حدود منطقكم في الشعر يكفى عن صدقه كذبه
والشعر مسح تكفى إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

ولم يكن ذو القروح يلجج بالمناطق : ما نوعه وما سببه ؟

٢ — أورد حضرته ثلاث علل للحذف جعل الثاني منها الهجوم بالمخاطب على المطلوب دفعة ، وهذا المعنى يلزمه الوجه الأول وهو دفع الاستئقال والاستكراه ، فإن من هجم بك على المطلوب فقد دفع عنك ثقل الفضول الذى تقضى به العين . على أننى كنت أحب ألا يورد في هذا المقام البيت الذى أوردوه .
وهو قوله :

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دأىم وحزن طويل

فإن القريب من النفس أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر وإن اشتغال المريض بشأنه جدير أن يحول دون مراعاته لحال السامع ، وإذا كان المريض مشغولاً بأمره عن احترام الزائر والاعتدال له وتحييته الخ ، فأحرى ألا يفكر في الهجوم به على المطلوب .

٣ — العلة الثالثة للحذف في كلام حضرته الجدة والطرافة ، وهو يقول : إن الناس لم يعتادوا الأسلوب الذى حذف منه بعض أجزائه .

وأستطيع أن أقول لحضرته إن الناس اعتادوه كثيراً ؛ اعتادوا أن يحذفوا المعلوم ، وأن يتركوا ما تدعو المقامات إلى حذفه ، والبلاغة تصرف عقلى أولاً ثم ذوق وممارسة ثانياً ، وللعامة القدر المعلى في ذلك ، ولهم بلاغة عجيبة الأسلوب ، وأذواق في التخاطب ، وكثيراً

ما يصلح بعضهم لبعض عبارة تصدر ، وكثيرا ما تسأل مريضا ما شكواك ؟ فيقول : رأسى . أو رجلى ، أو بطنى ، ولا يزيد . وبقول لاحد من زارك ؟ فيقول سعيد . وبراك تنتظر القطار فيقول لك إذا جاء ولم تره : انظار . لضيق الفرصة ، ويقول إذا رأى العقرب : عقرب فإذا قلت : أين ؟ قال : فى الحائط . وكل ذلك مشتمل على حذف . والدليل على ذلك من كلام حضرة السكاتب نفسه ، فهو يقول فى العلة الاولى : إن الكلمة الخالية من الفائدة كالثقل الخ .

والثقل غير محبوب وفى الطباع العمل على التخلص منه ، فإن الناس يحبون الخفة والركة ، فليس من الإنصاف أن نجرد حتى العامى من الذوق وحسن التخيير ، وإن لهم بلاغة تكون أحيانا مادة لآئمة الأدب والبيان . قالوا إن أباتا تمام كان يصنع قصيدة فأرتج عليه فى أنثائها ، حتى كان بالطريق فسمع سائلا متسولا يقول : بياض عطاياكم فى سواد مطالبنا . ففتح ذلك له مجال القول وقال :

وأحسن من نور يفتحه الصبا بياض العطايا فى سواد المطالب
وسار فى القصيدة .

وأما مناقشته فيما يرد به على السكاتبين فى البلاغة فإنه يقول :

إن السكاكى والخطيب ومن بعدهما أبوا أن يكون الحذف مزية على الذكر الخ .
ففى كلام حضرته بحث ، لما يأتى :

١ — إن أراد عدم المزية مطلقا حتى تكون منزلة الذكر كمنزلة الحذف لا فرق بينهما أبدا ، فذلك ما لا يدل عليه كلامهم ولا يتعرضون له ، وليس من دأبهم فيما كتبوا أن يعقدوا موازنات بين حال وأخرى ، وإنما يكتفون بإيراد العلال والتوجيهات التى تناسب كل معنى ، فالحذف لسكذا والذكر لسكذا والتعريف لسكذا والتنكير لسكذا ... الخ .

وأما أن مسلك الحذف أدق أو سيئه أغض أو غير ذلك فقد أعفاهم الله منه لأنهم لم يراعوا فى جانبه ولم يحاولوه .

٢ — بقى الوجه الثانى : وهو أنه ليس للحذف مزية ، على معنى أنه يجوز أن يكون

لذكر مزية كما أن الحذف مزية ، وهذا المعنى هو الواقع وإن كانت عبارة الكاتب لا تهدي إليه أولاً ، وهو معنى صحيح لا غبار عليه ولا معنى لإنكاره على الكاتبين في البلاغة .

إن الذكر في موضعه وضع صحيح بليغ له مزية بحيث لو حذف المذكور لنقص الجمال . وكلام حضرة الكاتب في مبدئه وهو ما نقله عن الشيخ وأقره ، من أنك تحس في الكلام المحذوف منه بعض أجزائه في بعض الحالات الخ ، ومعنى ذلك أنه (الحذف) في بعض الحالات لا يكون حسناً إذا كان المقام المذكور فيكون الذكر هو الحسن . وقد أجمع الأدباء والبلغاء على أن الذكر مقامات لا يسد غيرها أبداً مسدها ، بل إنها قد تدق جداً وتخفى على غير الفحول ، كالذكر في سورة الرحمن ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، وفي قصيدة مهمل التي تكررت فيها : على أن ليس هدلاً من كليب .

وهم ما يزالون ينوهون بالذكر في قوله سبحانه ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، فيقولون إن ذكر اسم الإشارة مرة ثانية مع إمكان أن يقال ، والمفلحون ، مع صحة المعنى لأنه أريد استحضار صفاتهم والإشارة إلى أنها أساس الفلاح كما يدل عليه الذوق العربي . ونظيره عكسا قوله سبحانه ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون .

ومن هذا الباب قوله سبحانه ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، .

وانظر إلى جمال الذكر وروعه في قول المتنبي :

وما عفّت الرياح له محلاً عفاه من حسدا بهم وسارا

ولو قال من حسدا بهم وسارا لصحّ الكلام مع ثقل الحذف ، للحاجة إلى المحذوف كما يشهد به الذوق .

فالذكر في موضعه بلاغة كالحذف ، غير أن الحذف قد يكون فيه من اللطائف التي قل أن يهدي إليها في جملتها وعلى وجهها إلا المذاكي القرح والجياد السبق .

هذا ولاتى أخشى أن يكون القلم قد اشتط على القارئ الكريم فأدع بقية المناقشة إلى مجال آخر ، إن شاء الله .

محمود النواوي

المفتش بالأزهر

حقوق الإنسان في شرعية الإسلام

«... يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ،
ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع
عنهم إصْرَهُم والأَغْلَالَ التي كانت عليهم ،
[من سورة الأعراف]

مقدمة :

جرنا الحديث في مقالنا السابق ، تطهير الاداة الحكومية في تاريخ الإسلام ، إلى أن نقول
عند الكلام عن العدل :

« ولقد كان الفقه الدستوري القديم في الغرب يرتضى من العدل صورة سلبية تسكن في
منع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد ، ولكن الفقه الدستوري الآن لا يقتنع إلا باتجاه
إيجابي يلزم الحاكم فيه أن يهيء الظروف للفرد كي يمارس حقوقه . فنصت وثيقة حقوق
الإنسان الأخيرة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة مثلا على ما لم تتضمنه سابقتها وليدة الثورة
الفرنسية ، في المواد ٢١ - ٢٤ نص على حق كل فرد في أن يجد عملا بشروط عادلة وأجر
مجز ، وفي حمايته من البطالة ، وفي تكوين نقابات ، كما نص على حقه في الغذاء والسكن
والعلاج الطبي والتمتع بمستوى اجتماعي يضمن له ولاسرتة الراحة في الحياة ، والضمان ضد
البطالة والمرض والعجز والشيخوخة .

والإسلام قد قرر هذا العدل الاجتماعي ، ووجه إلى هذه النزعة الإيجابية قبل
أربعة عشر قرنا ، ا . هـ

العدالة السياسية :

ذلك أن الإسلام لم يكتف فقط بتقرير أصول العدالة السياسية بل تعداها إلى تقرير
أصول العدالة الاجتماعية . لأن العدالة السياسية وحدها لا تغني قليلا في شعب عامته
من الجائعين المحرومين « فمن العبث الكلام عن الحرية الفردية أو قدرة الفرد على التأثير

في نظام المجتمع الذي يعيش فيه ، فلا حرية لمن لا يمتلك شيئاً . والذين لا يتغذون تغذية
صالحة أو يرهقهم العمل المضني لا يرون في حق الاستمتاع بالنقد سوى نوع من الترف
لا قبل لهم به ولا رغبة لهم في تذوقه لأنهم أحوج إلى ملء بطونهم منهم إلى تحريك ألسنتهم ،^(١)
والإخاء لا يقوم بين مترف ومحروم ، والمساواة أمام القانون يصعب تحققها ما دام في استطاعة
أحد المتقاضين بماله من جاه و ثراء أن يأتي بالأدلة ويستعين بالدفاع ويستقدم الشهود .
وفي بعض أُمم العالم تعد وظائف ومهن معينة مقصورة على طوائف بالذات ، كما أن التعليم
ترتفع نفقاته في المرحلتين الثانوية والعالية . وفي بعض الأمم يقصر حق الترشيح على من يدفع
قدرًا معيناً من الضرائب ، فضلاً عن أن كثيراً من الناس لا يشتركون في الانتخاب
لظروف اقتصادية .^(٢)

فالعدالة السياسية وحدها لا تكفي إلا إذا كانت مقرونة بالعدالة الاجتماعية ، والعدالة
الاجتماعية وحدها لا تكفي إلا إذا كانت إيجابية تعنتقها الدولة فكرة وعقيدة ، وتحققها
تشريعاً وتنفيذاً ، وتحاسب عليها سياسياً وقضائياً .

هذا والعدل السياسي في الإسلام وطيد الأركان ، فمعد وكلت شريعته اختيار الحاكم
إلى الأمة إذ جعلت أمر الرعية بين أفرادها شورى ، وجعلته مسئولاً مسئولاً سياسية
عن كل تصرفاته ؛ وهذا هو الإمام مالك رضى الله عنه يعلق على خطبة أبي بكر حين
استخلف ، إذا أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني ، فيقول فيما أورده السيوطي :

« لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط ،^(٣) . كما أن الحاكم الأعلى مسئول
مسئولية قانونية - مدنية وجنائية - فهو يؤخذ في فقه الإسلام بالقصاص والأموال ، وإذا
كان أمر الحدود دون القصاص اليه - لاشتراط الإمام لاستيفائها - فإننا نجد بالنظر إلى قوله
تعالى « فاجلدوا . . . » أن الخطاب موجه لجماعة المسلمين ، وما الإمام إلا نائب عنه
في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود ، وهي صاحبة الحق أولاً وبالذات ، فعليها تنفيذ حكم الله
فيه إذا أصاب حداً من حدود الله . ولقد جاء في مذهب الشافعية : يقيم عليه الحد من ولي
الحاكم عنه كما قال الفقهاء . وجاء في استيفاء الحد : ويستوفيه من الإمام بعض نوابه^(٤) .

(١) المذاهب السياسية المعاصرة - آدم - ص ٨٧

(٢) النظام الاشتراكي - البراوى - ص ١٤٦ : ١٥٢

(٣) أشهر مشاهير الاسلام - م ١ - ص ٩١١ - ١٢٠

(٤) فقه القرآن والسنة - شلتوت - ص ٩٦ ، ٩٧ .

ومن ميزات العدل الإسلامي : أنه عدل إنساني للناس أجمعين ، إذ أن رسالة الإسلام رحمة للعالمين ، على اختلاف الأجناس والبلدان والأديان . ومن ميزاته كذلك أنه مرتبط بعقائد الناس ، ومن ثم يتحدد الناس بإقامته : فيفتحه العالم المجتهد وبسوس الحاكم ويقضى القاضي ويحكم المختصمون عن إخلاص ويقين ، وهذا أدعى لأن يأخذ العدل حقه وينال التشريع مكانته ، ولا تنفصل فكرة العدالة - عن الفسكرة الأخلاقية كما حدث عند غيرنا فيما يفرضه أوزفلد كوله ، كانت فلسفة القانون في مبدأ الأمر جزءاً من علم الأخلاق ولكن كلنا انفصلت فكرة العدالة عن الفسكرة الأخلاقية ، بحيث تظهر الأولى في صورة قوانين محدودة تنشرها الدولة وتلزم الناس بها إلزاماً - انفصل العلان اللذان يدرسانها انفصالا تدريجياً وتميز أحدهما عن الآخر وقد وضع (كانت) حداً فاصلاً بين قانونية الفعل وأخلاقيته بأنها العمل بمقتضى القانون في الظاهر ،^(١) .

ونحن في هذه السمكيات نعرض للعدل الاجتماعي في شريعة الإسلام ، وللاتجاه الإيجابي في تقرير حقوق الإنسان المعاشية ، لنسبط من روائع صنع الله جانباً يغفل عنه الكثيرون وينكبون على التماسه عند الفلاسفة والمشرعين شرقاً وغرباً ، ولا يخطر ببالهم - مجرد خاطر - أن في الإسلام غام ، بل ربما لا يفكرون قط أن الإسلام اتجه مثل هذا الاتجاه في قليل أو كثير . ونحن بعد ذلك نعرض هذا الجانب ليستيقن الناس ويزداد الذين آمنوا إيماناً أن الله يأمر الناس بمبادئه ليفتنعوا بهدايته وشريعته ، لا ليزدان ملكه بطاعة الطائعين . وأن الله تعالى يأمرنا بمبادئه وطاعته لا لنسكن أرواحنا لحسب بل لتطمئن أجسادنا أيضاً بالطعام واللباس والسكن ، وأن الله تعالى يجازينا على طاعتنا في الدنيا حياة طيبة ، ثم مردنا في الآخرة إلى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

العدالة الاجتماعية :

بين الله في كتابه حدوداً كالفصاح في القتل ، وقطع اليد في السرقة وغيرها من العقوبات . ومن الطبيعي أن يسلك الإسلام سبيل التشريع القانوني بعد أن سلك سبيل التوجيه الفسكري عن طريق العقيدة ، والتدريب العملي عن طريق العبادة .

ولكن تشريع الإسلام القانوني لا يكاد يذكر حتى تثب إلى أذهان الناس صورة مشوهة عن الأبدى المقطوعة والأبدان المرجومة وهكذا . وحقيقة أن رحمة الله للعالمين التي يطالب

بها كل داع إلى الإسلام ليست مجرد الاستفتاء بتنفيذ العقوبات ، ولكنها ما سنت العقوبة إلا بعد أن سلكت سبيل الوقاية كما يقول فرنسيس آيفانج ، إذا كانت غايتنا هي مصلحة المجتمع وجب أن يكون الغرض من العقاب هو الوقاية . وأى وسيلة تحقق هذا الغرض يجب أن تعتبر صالحة من الوجهة الاجتماعية . فإذا كان في إمكاننا أن نستبعد أسباب الإجرام وظروفه - سواء - أكانت هذه الأسباب ترجع إلى البيئة أم إلى الشخص نفسه فهي الوسيلة المثالية التي يجب علينا أن نتخذها . ولقد قامت بالفعل عدة محاولات في هذا السبيل عن طريق الخدمات الاجتماعية ... ولكن لو أن جميع الظروف المتعلقة بالبيئة قد أصبحت مهياة على خير وجه ، يبقى علينا أن نفكر في الأسباب النفسية التي تؤدي إلى ارتكاب المخالفات (١) .

فكما يقرر الإسلام توقيع القصاص في القتل ، فهو يقرر أيضا استئلال عوامل البغضاء بين الناس التي تنتج من الخلافات العصبية أو الحزبية أو الطبقية . وكما يقرر الإسلام قطع يد السارق فهو يقرر حقوق الفرد المعاشية ويقرر مسئولية الدولة لضمانها . وكما يقرر الإسلام رجم الزاني أو جلده يقرر تيسير سبل الزواج ، وصيانة الحرمات بستر العورات وغض الأبصار والنهي عن الخلوة ؛ وهكذا يسير التشريع الاجتماعي بجانب التشريع الجنائي أو يسبقه .

وسنعرض في الجزء الآتي إن شاء الله لمحات سريعة خاطفة عن تقرير الإسلام للضرورات المعيشية للأفراد ، ولإلزام الدولة مسئولية ضمان هذه الحقوق ، لتبين حقيقة النظام الإسلامي في أسسه الاجتماعية الأصلية ، بعد أن صارت معرفة الناس مقصورة على جانب العقوبات وحده .

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

جِيلُ يُؤْمِنُ بِالْإِخْلَاقِ

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

قال مندوب جريدة الاهرام الخاص :

حضراً من الاول فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر اجتماعاً عاماً انتظم عديداً من ذوى المناصب العامة المختلفة ، من ضباط الجيش ورجال القانون والهندسة والطبابة ، كان خطباء الاجتماع يتسابقون فى تعداد الصفات التى يجب أن تتسلح بها لنواجه المستقبل الحافل بحسام الامور . فتوجه فضيلته بالحديث الى قائلاً :

إن الامم الناهضة تحتاج نفوسها الى الغذاء الجيد ، من الاخلاق والسجايا ، لتقوى به على مواصلة النهوض الى المعالى ، كما تحتاج أجسامها الى الغذاء الجيد من الطعام ، لتقوى به على مواصلة السكفاف فى سبيل المعاش ، والشجاعة غذاء من أغذية الامة فى طور التحرير ، لا يتهاون به إلا صغار النفوس ، والذين يستعذبون موارد العبودية ، وإن لم تفرض عليهم ، وأصل الشجاعة أن تعرف الحق : حق الله ، وحق الامة ، وحق المواطنين ، وحقك الشخصى ، فتوطن نفسك على أن تكون صادق العزم فى إعطاء كل ذى حق حقه بالعدل والإنصاف .

وقد أوصى المسلمين بأن يكونوا أهل الشجاعة فى مواقف الدفاع عن الحق ، ما داموا يرجون لهذا الحق العزة والاستعلاء ، فقال عز وجل فى سورة النساء : ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليماً حكيماً ، فأرشدهم الله الى أنهم بما يرجون من إقامة الحق ومعونة الله عليه ، ينبغي لهم أن يسكنوا أبعد من أعداء الحق عن الوهن والضعف ، لأن المؤمن الذى يرجو الحق ويعيش له ويعد نفسه لإعلانه ونصرته ، يجب أن يكون من أبعد الناس عن الوهن فى سبيله ومن هنا يتبين لنا أن الشجاعة العسكرية وليدة الشجاعة الادبية ، لأن كلا نوعى الشجاعة منبعث عن الولاء للحق ، وتوطن النفس على إقامته ونصرته . وإن الرجل الشهيم الذى يوطن نفسه على الدفاع عن الحق ويؤدى الشهادة الصادقة على نحو ما علم دون أن

يهاب ذا جاء أوسطوة ، لا يقل عن البطل الصنديد في موقفه بساحة الحرب أمام فيران العدو مدافعاً عن حق أمته وملته ووطه .

واستطرد فضيلته فقال :

إن المسلم الذي يعلم أنه لم يكن مسلماً إلا بشهادة الحق ، لا إله إلا الله ، يوطن نفسه على ألا يشهد إلا بالحق ولو على نفسه وعلى والديه في كل المواقف ، متمثلاً دائماً في ذهنه أمر الله عز وجل للمسلمين ، ولا تسكتوا الشهادة ومن يكتتمها فإنه آثم قلبه .

ولما ربي الإسلام أبنائه على إقامة الحق ونصرتة ومحبتة والشهادة به والإعانة عليه ، ربي فيهم بهذه السجية ، خلق الشجاعة في النفوس فأخرج منهم أمة لانتساب الخطوب ، وترى الموت في سبيل لإعلاء كلمة الحق خيراً من ألف حياة يقضيها صاحبها في مشاهدة الباطل يمشي في الأرض مرحاً .

انظروا إلى قول الخليفة الأول أبي بكر الصديق في وصيته لقائده العظيم خالد بن الوليد ، احرص على الموت توهب لك الحياة ، فبافتحام موارد الموت في سبيل إقامة الحق تبرهن الأمة على أنها جديرة بالحق ، وبهذا نكون من أهل الحياة ، وأن الشهداء من رجالها أحياء عند ربهم ، وأحياء في قلوب عباده ، والذين لم ينالوا منهم نعمة الشهادة يتمتعون بالحق وبما يفيضه عليهم الحق من نعمة الحياة . وإلى هذا المعنى يشير الفارس الشاعر حصين بن الحمام أحد بني سهم بن مرة :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

جلس القائد المجاهد الشهير مسلمة بن عبد الملك مع أخيه الخليفة الأموي هشام ذات ليلة ، فقال له أخوه الخليفة :

« يا أبا سعيد هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ » فأجاب مسلمة : « ما سلت في ذلك من ذعر يذبه إلى حيلة ، ولم يغشني فيها ذعر سلبني رأيي ، فقال له هشام : « هذه هي البسالة » .

ولما كان الحكم والسلطان في إسبانيا للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، رفع أحد التجار قضية على الخليفة إلى القاضي الأكبر في عاصمة الأندلس (قرطبة) وهو العالم الفقيه الورع ابن بشير ، فحكم ابن بشير للتاجر على الخليفة ، ولم يكتف بإصدار الحكم بل كان

حريصاً على سرعة تنفيذه ، فذهب إلى الخليفة يخبره بنص الحكم الذى صدر عليه ، وينذره بالاستقالة من القضاء إن لم يبادر الخليفة بالتنفيذ .

وحتى فى أحط أدوار الدولة العبيدية بمصر دخل الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى على الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى - وكان الأفضل وزير مصر للمستنصر والمستعلى والآمر - فتكلم الطرطوشى موجهاً الموعظة والنصيحة للملك الأفضل . ولاحظ فى أثناء موعظته أن إلى جانب الملك رجلا لا يؤتمن على الدولة ولا تهمه مصلحة الملة ، فغنى الطرطوشى موعظته بالحديث عن ذلك الرجل غير المؤتمن وأشار اليه بيده ، فلم يكن من الملك الأفضل - لما استشعره من صدق الإمام الطرطوشى وغيرته على الحق وشجاعته فى إعلانه - إلا أن أمر ذلك الرجل الجالس إلى جانبه بأن يتنحى عن ذلك المقام .

ثم قال فضيلته :

إن الأمة الضعيفة المستكينة لا تستحق الحياة ، وهى لا تقوى وترتقى وتعتز إلا إذا شاع فى أفرادها - ولا سيما شبابها ، خصوصاً المثقفين منهم - خلق الصدق ، ومحبة الحق ، وتوطين النفوس على نصرته ، والصرامة فيه ، والدفاع عنه . ومن هذا الخلق يولد الجيش الباسل الذى لا يغاب ، بل من ذلك الخلق يولد الجيل الفاضل الذى لا يطمع فى حق غيره ولا يطمع غيره فى حقه . والحق شطر الإسلام ، بل هو عظامه التى تقوم بها بنيته ، أما الشطر الآخر فهو الخير ، وهو فى مقام اللحم وللشحم من بنية الاسلام . ولم يرد فى الإسلام أمر ولا نهى إلا وهو يرجع إلى شعبة من شعب الحق أو إلى شعبة من شعب الخير . والمسلمون لن يعودوا كباخوانهم الذين حلوا لواء الحق ونشروا قانونه فى الأرض إلا إذا تضلعوا من معين الحق وارتووا من موارد الخير ، فأصبحوا يعرفون بين الأمم بأنهم أمة الحق والخير ، وحينئذ يكون منهم الجيش الغالب الظافر الذى يقتحم كل عقبة تحول بينه وبين الحق ، ويحتاز كل مخاضة تمنعه من الوصول إلى أهداف الخير . وكما ينبغى أن يجهز الجيش بالدبابات والمدافع الضخمة والطائرات النفاثة والقنابل الذرية ، فإن كل هذه المعدات لا تنفعه ان لم يستمد جنوده وضباطه من أمة تربت على الصدق ، وآمنت بالحق ، ووطنت نفسها على محبة الخير . بل ان تجهز الأمة بسجية الصدق ، وتربيتها على الإيمان بالحق وعلى الإيمان بالخير ، هو الذى ييسر لها الاسلحة من كل نوع ، والانصار من كل أمة ، وهو الذى يملا

بالحية والحرمة لها قلوب الأمم جميعاً . وهكذا الاخلاق لا تزال معيار الأمم ، وهى مفتاح الأمانى المغلقة وهى السبيل إلى استرداد الحقوق وتيسير السبل اليها .

إن لإعداد شباب الجيل بسجية الصدق ، وتربيتهم على الإيمان بالحق وعلى محبة الخير عنصر من عناصر الإسلام .

ولقد صرنا الآن إلى عهد قام بالاخلاق ، وهو فى حاجة إلى الاستعانة بجيل يؤمن بالاخلاق . والمصانع المصرية لتربية الاخلاق هى معاهد العلم التى يتوقف عليها نجاح هذا العهد ، ويكون لامتنا منها الجيش الظافر الذى هى بحاجة اليه فى مصيرها القريب وكل يوم تضعه معاهدنا العلمية ، وتحجم فيه عن البدء فى مناهجها الصالحة يكون خسارة على الأمة ، وعلى حقوقها .

إن الامر جد ، والوقت أثمن من أن يضيع بغير عمل .

اللحن فى العربية كذب وذنب

روى الشيخ عبد الوهاب خلاف أنه سمع الشاعر حافظ إبراهيم يتلو شعراً فى مجلس الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى فلحن فى حركة العين من أحد الأفعال ، فغضب الشيخ الشنقيطى وقال له : كذبت !

والشيخ الشنقيطى مسبوق إلى مثل هذا الموقف بالإمام الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فإن لسانه عثر مرة بشيء من اللحن فراجع وقال : « أستغفر الله » ، فسأله حين سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار فقال : من أخطأ فى العربية فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ، وقد قال الله عز وجل : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » .

ويروى الخليل بن أحمد أنه سمع أيوب السخيتانى يحدث بحديث فلحن فيه فقال : « أستغفر الله » ، يعنى أنه عد اللحن ذنباً .

لِغْوِيَّاتِ كِتَابِ رَبِّهِمْ

وهبك الله النعمة والخير الكثير !

يكثُر استعمال وهب متعدية لمفعولين كما ترى ، كأنها مرادفة في المعنى والعمل لاعطى . ويشيع هذا في ألسنة الفقهاء في الحديث عن الهبة ، وهم يحملون من صيغها الشرعية وهبتك كذا ، وهبت لك كذا . والوارد في فصح الكلام تعدية الفعل إلى من يملك الموهوب بحرف اللام ، فيقال : وهبت لك مالا ، كما قال سبحانه وتعالى : « يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، وقال سبحانه : « فهب لي من لدنك وليا ، .

وتعدية الهبة ومتصرفاتها إلى مفعولين موضع بحث قديم . ومن المنكرين لها إمام النحاة سيديوه . فهو يقول في الكتاب ١٦٠/١ بعد كلام جرى له : « إنما تجرى ذا كما أجرت العرب . ومثل ذلك عددتك وكنتك ووزنتك . ولا تقول : وهبتك ؛ لأنهم لم يعدوه ، ولكن وهبت لك ، ، وسيديوه يريد أن يقول إن الأفعال : عدَّ وكال ووزن تتعدى في الأصل إلى من يُفعل الفعل له بحرف الجر ، تقول : عددت لك الدراهم ، وكلت لك الحب ، ووزنت لك القطن ، وقد تعدى هذه الأفعال بحذف حرف الجر ، فتقول : عددتك الدراهم ، وكنتك الحب ، ووزنتك القطن ، إذ ورد هذا عن العرب ، ومن ذلك قوله تعالى : « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ، والأصل وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، فحذف الحرف وعدى الفعل بنفسه ، فأما وهب له مالا ، فإن العرب لم يحذفوا فيه الحرف فلم يقولوا : وهبه مالا . كما قالوا كلتك الحب في كلت لك الحب . وسيديوه يرى العمل على ما جرى عليه العرب وأطراح ما أطرحوه .

فن ثم قال في ختام بحثه : « ولا تقول : وهبتك لأنهم لم يعدوه ولكن وهبت لك ، . وقد أورد السيراني في شرحه لسيديوه رأيا للبرد أنه يجوز أن يقال : وهبتك مالا ، ولا يجوز

وهبتك ؛ لأن الصيغة الأخيرة تحتل أن الهبة واقعة على المخاطب ، وهذا في أيام الأرقاء والموالي ، أما في عصرنا فلا يخطر هذا الاحتمال . ويعزز السيرافي رأى المبرد بأنه سمع من العرب نحو وهبتك مالا ، فكانت صيغة وهب كصيغ عد . وكال ووزن : سواءً في القبول والاستساعة .

ولأن أنقل هنا كلام السيرافي فهو جد نفيس قال ^(١) : « وكان المبرد يقول : إنما قالوا : عددتك ووزنتك وكتلتك في معنى عددت لك ووزنت لك وكتلت لك لأنه لا يشكل . ولم يقولوا وهبتك في معنى وهبت لك لأنه يجوز أن يهبه . فإذا زال الإشكال ^(٢) زال ، وهو أن تقول : وهبتك الغلام أى وهبت لك ^(٣) . وإنما ذكر سيبويه كلام العرب أنهم يحذفون حرف الحذف في عددتك ووزنتك وكتلتك وإن لم يذكر المعداد والمكيل والموزون ؛ كما قال عز وجل : « وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون » . ولا يجوز مثل ذلك في وهبتك لأن ما كان أصله متعديا بحرف لم يحذفه وإن لم يكن لبس إلا فيما حذفته العرب ، ألا ترى أنه لا يجوز مررتك ولا رغبتك على معنى رغبت فيك . وحكى أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب : انطلق معي أهبتك نبتلا ، يريد : أهب لك نبتلا . وهذا يؤيد قول أبي العباس ، وكان ابن الشجري رأى ما استقر عليه السيرافي من جواز وهبتك مالا فذكره من غير تعقيب إذ يقول ^(٤) : « يقال : وهبت لك درهماً ، ووهبتك درهماً ؛ كما تقول : وزنت لك الدرهم وزنتك الدرهم ، وكتلت لك البرّ وكتلتك البرّ ؛ كما جاء في التنزيل : وإذا كالوهم أو وزنهم أى كالواهم أو وزنوا لهم » .

والقارىء يخرج من هذا البحث باستساعة أن يقال : وهبتك الله النعمة والخير الكثير .

التليذ المجد لا يخفق إلا في الندرة

تستعمل الندرة في السنة الناس بضم النون . ولا يكاد يخطر ببال قارىء أو متكلم فيها غير ذلك . ولشد ما يعرفه العجب إذا رأى ضم النون موضع بحث وبجمل أخذ ورد ، وأن الجمادة فيه هو فتح النون : الندرة .

(١) انظر شرح السيرافي ٢ — ٣٨٠ نسخة التيمورية ، (٢) كذا . وكأن الأصل : زال المنع .

(٣) هذا من كلام السيرافي لامن كلام المبرد (٤) انظر أمالي ابن الشجري المطبوعة في الهند ١/ ٤ .

ففي القاموس : « ولقيته ندره ، وفي الندره مفتوحتين ، وهو يريد فتح الحرف الأول مع سكون الثاني ؛ كما هو اصطلاحه . ونرى مثل هذا في اللسان بفتح نون الندره بضبط القلم . وفيه زيادة على ما في القاموس : « ويقال : إنما يكون ذلك في الندره بعد الندره إذا كان في الأحياء مرة . »

وكان الندره في الأصل : المرة من ندر الشيء إذا زال عن مكانه وخرج عن مستقره ، فن هذا كان مفتوحاً على حد اسم المرة . وفي الجهره لابن دريد ٢ / ٢٥٨ : « كل شيء زال عن مكانه فقد ندر ، يندر ، ندرا ، فهو نادر ، فيقال : ضربه على رأسه فندرت عينه أي خرجت من موضعها . وسمي نوادر الكلام ، لأنه كلام ندر فظهر من بين الكلام . »

ويبدو أن جريان الألسنة بضم نون الندره وتشكيب جادة الفتح في ذلك قديم انتهى عليه السنون والأحوال حتى أضحي لا يعرف سواه . وبلغ من هذا أن صار ضبط الندره فيما يعني بضبطه بضم النون تحفظاً على الصواب ، وتحرزاً من الخطأ المردى . فهذا التاج السبكي يعرض في كتابه الخالد « جمع الجوامع » ، حرف « الندره » ، فيضبطها بالضم ، فقد جاء في أوائل كتاب السنة : « وفعله ^{صلى الله عليه وسلم} غير محرم ، للعصمة ، وغير مكروه للندرة ، فيقول شارحه الجلال المحلى في حديثه عن الندره : « بضم النون بضبط المصنف » ، يريد أن التاج السبكي ضبطها كذلك بضبط القلم . وقد وثق المحلى بالتاج أن كان ضليعاً في العلم بحرا ، أخذ العربية عن أبي حيان وغيره من أعلام عصره . وكانت وفاة التاج سنة ٧٧١ هـ ، ووفاته الجلال المحلى سنة ٨٦٤ هـ ، وكان ^(١) علامة فهما ، ويؤثر عنه أنه كان يقول : فهمي لا يقبل الخطأ .

ونرى لغوياً معاصراً للسبكي يذكر الفتح في الندره ، ويضم إليه الضم على أنه لغة . ذلك هو الفيومي صاحب المصباح ، فهو يقول : « وندر العظم من موضعه : زال . ويتمدى بالهمزة . والاسم الندره بالفتح ، والضم لغة . » . ويتبعه صاحب المعيار إذ يقول : « ندر الشيء ، ندوراً ، كقعد قعوداً : سقط وخرج من غيره ، ومن بين أشياء فظهر . ومنه النوادر والاسم الندره كضربة ، وكغرفة ، لغة ، ولا أدري علام اعتمد صاحب المصباح في إثبات ضم النون لغة . وقد يكون مرمى له هذا من نطق الناس بضم النون تخالفاً لغة ، وضمه

(١) انظر في هذا : حسن المحاضرة .

إلى ما وجدته في دواوين اللغة . وهو في ذلك أحق بالعدر من ابن السبكي الذي اعتمد على سمعه وما لقنه من الشيوخ فضبط (الندرة) بالضم .

وقد وقع هذا الخطأ في طبعة المخصص لابن سيده ؛ ففيه : د ويقال لقيته الندرى ، وفي الندرى وندرى أى في الندرة يعنى بين الايام ، وفيه ضبط (الندرة) بضم النون . وبعد فإن النفس بعد هذا لا تركز إلى الضم في هذا الحرف ، وأرى أن تعود الألسنة الفتح ، وهو الصواب .

العبيط

يقال العبيط في لسان العامة ، لذى الغفلة والبله . وهذا المعنى لا يبين في معانيه اللغوية . فإن العبيط في اللغة يقال للدم الطرى ، وللحم السليم من الآفات الذى لاداء فيه ، ولا يقال لذى البلاءه . وقد تصدى لغويان لتخريج الاستعمال العامي وبيان أصله في العربية ، فبرى الأستاذ حسن العدل في رسالته : د أصول الكلمات العامية ، أن الاصل في ذلك : الهييت ، وهو الجبان الذاهب العقل ؛ قال طرفة بن العبد :

الهييت لا فؤاد له والتبيت عقله قيمه

فأبدلت الهاء عينا ، والتاء طاء . وهذا تخريج قريب ونظر صحيح .

ويرى الأستاذ عبد القادر المغربي في بحثه المنشور في مجلة المجمع اللغوى ٢٩٣/٣ أن العبيط مقلوب البعيط ، وهو فعيل من قولم : بعط في الجهل إذا أبعد فيه وأغرق ، فالبعيط هو المغرق في الجهل ، وقلبه العامة إلى عبيط . وهذا التخريج فيه بُعد إذ لم يرد في المادة بعيط ، وقياس الوصف منه باعط .

وقد بدا لى تخريج ثالث . ذلك أن العبيط يقال للطرى غير النضيج . وجاء في الحديث : فقامت لحماً عبيطاً ففسر بالطرى غير النضيج ، والابله ذو الغفلة يشبه بالغفج الذى لم ينضج ، وما زلنا نقول في المدح : هذا رجل ذو نضج ، وفي الذم : هذا رجل غير ناضج ، واهه الموفق للصواب .

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة

الإسلام في أمريكا

قالت جريدة « أخبار اليوم » بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٥٠ تحت عنوان « أمريكا مستعدة لقبول الإسلام » ، ما يلي :-

« زار كامل عبد الرحيم (بك) سفير مصر في واشنطن فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في خلال هذا الاسبوع ، وتحدثنا في موضوعات كثيرة ، وكان أهم هذه الموضوعات ما قاله كامل (بك) ، عن أن الشعب الأمريكي استمع له في الشهر الماضي ، في محاضرة دينية ألقاها في إحدى الكنائس الأمريكية ، عن الدين الإسلامي ، وأظهر المستمعون اهتماماً كبيراً بهذه المحاضرة ، وعلق السفير على ذلك بقوله : إن الشعب الأمريكي على استعداد لفهم حقيقة الدين الإسلامي ، إذا ما عيّنت السلطات الدينية في مصر بهذه الناحية الهامة ، وقد وعد شيخ الأزهر بدراسة الموضوع ... » .

وها هو ذا قد مضى على هذا الوعد ثلاث سنوات تقريباً ، ولم نعلم ما الذي استقر عليه قرار مشيخة الأزهر بعد ، ولأننى أود شكر (سعادة) السفير على محاضرته تلك أولاً ، وتفكيره بهذا الأمر الجليل ثانياً ، وعرضه على الاستاذ الاكبر ثالثاً .

ثم أود القول ، بأن تاريخ العناية بالقرآن الكريم ، يبين لنا أن نفرأ من المسيحيين في الشرق والغرب ، قد عنوا عناية كبيرة بالقرآن الكريم ، فدرسوه ونقلوا ما تيسر لهم نقله إلى لغاتهم ، ودرسوا علومه وتفسيره ، ونقلوا من كل ذلك الشيء الكثير ، ولقد أفرد الاستاذ الفيكونت فيليب دى طرازى ، فصلاً كبيراً في كتابه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » ، عن كل ذلك .

ويتبين مما نقله الاستاذ طرازى ، أن كثيرين من رجال الطوائف المسيحية ، أخذوا من القرآن الكريم طائفة من الشرائع وجعلوها في شرائعهم فقد قال حضرته :

« أقبل فريق كبير من أئمة النصرى وعلماهم ومفسريهم ، على دراسة القرآن ، فدققوا النظر في سوره وآياته . وأمعنوا وتعمقوا في نوايسه وشرائعه ، ثم كتبوا عنه الشيء الكثير أو القليل في تصانيفهم وفتاويهم ، واتخذوه دستوراً في بعض القضايا والفرائض الدينية .

وتفرغ بعض جثالة النساطرة وأساقفتهم لإنشاء قوانين مدنية للمتهم ، استمدوها من أحكام القرآن وسننه ، ومن أقدمهم الجائليق حنيشوع الاعرج (٦٨٦ - ٧٠١ م) ، ولميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ - ١٢٠٠ م) ، عدة أحكام مدنية استخلصها من القرآن ، وجرى بموجبها أبناء ملته ، وجاء بعده أبو النرج ابن العبرى (المتوفى سنة ١٢٨٦ م) خلف فصولاً متمعة في الشرائع والفرائض اقتبسها من القرآن ، وقد أثبت زبدتها في تاريخيه المدنيين ، ولا سيما في مؤلفه المشهور بـ « الكتاب الهدى » وهو دستور تمشى عليه أبناء ملته في العصور الغابرة وما برحوا يسيرون بأحكامه حتى اليوم .

ووفق الأستاذ فليب طرازي يسرد أسماء الذين نقلوا الشرائع عن القرآن الكريم ، والذين درسوا علوم القرآن وحققوا فضل القرآن على العرب جميعاً والعالم أجمع ، إلى أنه قال :
ولما انتقلنا من الشرق إلى الغرب رأينا رهطاً من زوايج المستشرقين ينافسون المسلمين في درس القرآن وشرحه وتحليله ، ويعتنون بتدوين تواريخه واكتناز مخطوطاته ويكرسون إلى ترجمته وطبعه ، ومن ذلك أن المستعرب بابا غانينى طبع القرآن في مدينة البندقية منذ القرن السادس عشر ، وعدت طبعته العربية هذه بأكورة طبعات القرآن برمتها ، ونشرت مطبعة ليدن هولندا سنة ١٦١٧ سورة يوسف وهى السورة الثانية عشرة من سور القرآن ، وهى أول طبعة عربية أبرزتها مطابع أوروبا بالشكل الكامل .

* * *

ولقد نقلت كل ما تقدم ، لأسائل نفسى ، وأسائل أولياء الأمور : ما الذى عملناه نحن لنشر الإسلام ، وإذاعة مبادئه العادلة في العالم ؟ إن بعض كبار رجالنا من ذوى رأى ، يهتزون اهتزازات عصبية ، إذا قلنا إننا نود تشريعاً إسلامياً ، ليعرف الناس فضل الإسلام في العالم ، وانقضى على المبادئ الشيوعية الهدامة ، ومع أن هؤلاء المفكرين مسلمون جغرافياً فالظاهر أنهم لا يعلمون شيئاً عن أسرار الإسلام وسننه ومبادئه ، ولو أنهم درسوا قليلاً من الشريعة الإسلامية ، ومن سير مشرعى الإسلام ، أو أصحاب المذاهب الإسلامية ، لحنجولوا من عنجهيتهم السخيفة ، وها هو ذا سفير مصر في أمريكا يقول إنه حاضر عن الإسلام ، في عقر دور المسيحية ، فإذا لقي ١٩ لقد لقي كل ترحيب وكل عناية ، مما جعله يطلب من رجال الأزهر العمل على نشر الإسلام في تلك الربوع ، التى وجد فيها استعداداً لقبول مبادئ الإسلام السمحة ، وشرائعه الحكيمة .

وإذا شكسكننا في أقوال السفير ، لانه مسلم ، فها هي ذى أقوال وأفعال المسيحيين أنفسهم ، بل ها هي ذى مأخذهم عن الإسلام لينتخذوها شرائع لهم ننقلها عن رجل مسيحي فاضل اشتهر بأنه مؤرخ . مدق ، فإذا بعد هذا كله ١٩ ألا يحق لنا بعد هذا كله ، أن نطالب بأن يكون التشريع الحديث ، تشريعاً مطابقاً لأصول الإسلام وسننه وقواعده ، ومعلوم أن الإسلام جمع فضائل وقواعد الشرائع الإلهية السابقة وهي : اليهودية ، والنصرانية . ويحضرني في هذا المقام كلمة سمعتها من عمى السيد محمد رشيد رضا رحمه الله عن ناظرة للمدرسة السنية وكانت بريطانية في عهد دنلوب صاحب المبادئ الاستعمارية الهدامة للوطنية ، فقد رأت تلك الناظرة الفضلى أن العمل جار على خروج البنات المسيحيات من الدرس في أثناء إلقاء الدروس الإسلامية ، فاعتضت على ذلك ، وقالت ما معناه : « إننى لا أوافق على خروج البنات القبطيات من حصة الدروس الإسلامية ، لأننى لم أر في برامج تلك الدروس ما يخالف الشريعة المسيحية ، بل إننى أرى أن الآداب التى تتضمنها تلك الدروس ، تتفق تمام الاتفاق مع الآداب المسيحية » . فلم بذلك دنلوب فهاج وماج وعمل على تحجيه تلك الناظرة وإعادتها إلى بلادها بعد ما قال لها : « لقد جئت لمحاربة أعمالنا كلها بانحصاد العنصرين ١١ » .

إن التشريع الإسلامى ، وإن العمل بآداب الإسلام ليحترم المسيحية والمسيحيين أشد الاحترام ، وحسبك أن تعلم أن القرآن الكريم يحرم على أتباعه سب ما يدعون من دون الله ، أيا كان ذلك المدعو أو المذموم ، عملاً بقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون » . (١٠٨ الأنعام) .

فالشريعة التى تقول لاتباعها : دعوا كل عامل وما يعمل خسابه ليس عليكم وإنما حسابه عند ربه ، والشريعة التى عومل المستظلون برأيها خير معاملة ، والشريعة التى رد رجالها الأموال الأميرية إلى المستظلين بحكمها يوم يعجزوا عن حمايتهم ، لى شريعة مثالية تليق أن يستظل الجميع تحت رايها ويتمتعوا بعدها الفخارى وفضائلها السامية ، فهل يحرم مع هذا على أهلها الاحتكام إلى أحكامها مع أن بعض الطوائف الأخرى أخذت شرائع لها منها كما بينا فيما تقدم نقلا عن الأستاذ فيليب دى طرازى .

تفكروا يا أيها القوم والله ولى التوفيق .

محى الدين رضا

الفتاوى

خطبة الجمعة بغير العربية

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

إن بلادنا تحتوى على اثنتى عشرة مقاطعة ، وفيها زهاء ثلاثين مليون مسلم يقيمون شعائر الإسلام ، مع أن اللغة المستعملة عندنا غير العربية .

فالسؤال الأول — هل يجوز إلقاء خطبة الجمعة بلغة غير عربية ، إذ الذين امتلأت بهم المساجد لا يستفيدون من الخطبة بالعربية شيئاً ، مع أن الخطبة إنما جعلت لاطرف الإنذار والتبشير ، وإن لم يجز إلقاؤها فإلما منع ؟

ثانياً — هل يجوز تفسيرها بغير العربية بعد إلقائها قبل الصلاة ؟

الطلبة السنغاليون بالجامع الأزهر
عنهم أبو بكر أحمد محمد مختار
والقاسم البيهقي

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه لا يشترط في خطبة الجمعة أن تكون باللغة العربية عند أبي حنيفة وهو رأى عند الشافعية لأن المقصود من الخطبة هو الوعظ والإرشاد وذلك إنما يحصل باللغة التي يفهمها السامعون .

وبناء على ذلك ترى اللجنة — تحقيقاً للغرض من الخطبة — أن يتعين إلقاؤها باللغة التي يفهمها القوم .

ولا يفوت للجنة في هذا المقام أن توصي قادة الشعوب غير العربية أن يبذلوا جهودهم في تعليم الناس اللغة العربية ليتيسر لهم فهم القرآن وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام والانتفاع بما فيهما من أحكام وآداب ، ولتحقق بذلك رباط التفاهم بين المسلمين في جميع الأقطار وهو أقوى مظاهر الوحدة التي حث عليها القرآن .
وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم .

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد الفتاح العناني

(مجلة الأزهر) نزيد على الشطر الأخير من الفتوى أن شيخ الإسلام ابن تيمية نبه في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) إلى أن طريقة سلف هذه الأمة من أيام الصحابة والتابعين ، قامت في جميع بلاد الإسلام على إرشاد الأمم الإسلامية إلى أن تكون العربية لغتهم ، للحكمة التي أشارت إليها الفتوى ، أي تيسير فهم القرآن والحديث النبوي مباشرة بقدر الإمكان .

ومن ذلك يفهم أن سياسة الإسلام في هذا الباب هي نقل الأمم إلى الإسلام لتفهمه بنفسها من لغته مباشرة ، لنقل الإسلام إلى الأمم بترجمات قديتشتب بها الرأي وتختلف الفهوم وبضيق الغرض الأول من وحدة المسلمين وتثيبت الاخوة بينهم ، وعلى كل حال فإن الغرض من خطبة الجمعة فهمها بأى حال .

زكاة المال الشرعية غير الضرائب

والصلاة فريضة بدنية لا تغنى عنها فدية

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

أرجو إفادتي في أمر زكاة المال الآن التي قدرها الشارع باعتبار أنها ربع العشر ، في حين أن الاموال المقول عنها هي نتيجة محصول أطيان وإيجار مساكن تؤخذ عنها الضريبة سنوياً ، خصوصاً وأن الضرائب لا يستهان بها الآن .

كما أرجو إفادتي عما إذا كان هناك قول يدفع شيء من المال نظير ما فات المرء من صلوات لم يؤديها ، وإن وجد قول ففي أى مذهب ؟ وفي حالة ما إذا لم يؤديها لعدم قدرته على الاداء مع ملاحظة أن القدرة شرط التكليف فكيف يدفع عن اليوم الواحد أى الخمس الفرائض أو عن الفرض الواحد ؟
 الشيخ عبد الحكيم محمد خليفة
 شارع سعد زغلول — بنى سويف

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد عن السؤال الاول — بأن زكاة المال واجبة متى بلغ المال نصاباً وحال عليه الحول ، ومصرف هذه الزكاة مبين في قوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... الآية .

أما الضريبة التى تقاضاها الحكومة من أصحاب الاموال فلا علاقة لها بالزكاة ، ولا تغنى عن إخراج الزكاة الواجبة .

وهن السؤال الثانى — بأن الصلاة من الفرائض البدنية التى فرضها الله تعالى تهدياً للنفوس كما قال تعالى : وإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فلا يجوز للمرء تركها بحال من الأحوال .

وقد راعت الشريعة السمحة فى أدائها التيسير على الناس ففرضتها من قيام على القادر عليه ، فإن عجز عن القيام أداها من جلوس ، فإن لم يستطع ذلك أداها مستلقياً على ظهره أو مضطجاً مع الإيماء والإشارة برأسه أو بغيره إن لم يستطع الإشارة بالرأس ، فإن لم يستطع أداها بوجهه من الوجوه فقط سقط التكليف بها .

ومن هذا يتبين أن من استطاع الصلاة بوجهه من الوجوه التى بينها ولم يؤديها فهو آثم ، ولا يغنيه عن ذلك فدية ولا أى عمل من الغير .

وهذا هو ما تفتى به اللجنة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى
 محمد عبد الفتاح عنانى

٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢

لِمَاذَا صَارَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْمُسْتَعْرِمِينَ ؟
الْإِسْلَامُ يَحْفُضُ عَلَى التَّمَسُّكِ وَالْتِرَاطِ وَالْإِقْبَابِ الْقُلُوبِ

حَدِيثُ فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

تفضل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فادلى بالبيان التالى إلى جريدة (الاهرام) ونحن ننقله عنها . قال :

إن مصر وجميع أقطار العالم الإسلامى تحتاز الآن دوراً من أعظم أدوار التاريخ ، وكلما أدرك أهلها واجبه ، ووطنوا أنفسهم على القيام به ، وبذل التضحيات الثينة فى سبيله ، عجل الله لهم بشمراته الطيبة ، وكافأهم بأضعاف ما كانوا يأملون . والإسلام قد تكفل لاهله بالتوجيه السليم إلى كل ما يقيم لهم الكيان القوى ، والمجتمع الصالح ، والدولة العادلة المهيبة . ولو أنهم لم ينحرفوا فى العصور الاخيرة عن التوجيه الإسلامى فى أنفسهم وجماعاتهم وحكوماتهم ، لما وجد الاستعمار سبيلاً إليهم ، فقد أراد الإسلام لاهله أن يكونوا أقوياء بالإيمان الصحيح والأخلاق السكريمة والعمل الصالح ، وأقوياء بالاستعداد الحربى والتأهب دائماً للدفاع عن كيان الأمة وحقوقها . وقد كانوا بالفعل هم أهل العزة فى الأرض ، والهيبة فى هيون الأمم ، عند ما كانوا منقادين لهذا التوجيه الإسلامى وعاملين به . فلبسوا تهاونوا به فى المئات الاخيرة من السنين ، وقصروا فى الاستعداد من كل نواحيه ، لتقصيرهم فى معرفة الحقوق التى أتاحها الإسلام لهم ، والواجبات التى أوجبها عليهم ، طمعت دول الاستعمار حينئذ فى استعبادهم واستغلال خيراتهم ، وتذرعت بأرهمى الأسباب لبسط سلطانها عليهم ، وكان ما قد حدثنا عنه التاريخ من استيلاء الهولنديين على جزائر أندونيسيا قبل نحو ثلاثمائة

سنة ، ومحاولة البرتغاليين السطو على سواحل العالم الإسلامى ، وتوغل الإنجليز فى الهند وغيرها ، واستيلاء فرنسا على الجزائر ثم على بقية بلاد شمال أفريقيا . وهذا كله لتقصير المسلمين فى معرفة ما لهم من الحق - وقوما عليهم من الواجبات التى بينها الإسلام لهم ، ثم لتأولهم فى متابعة التوجيه الإسلامى أفراداً وجماعات وحكومات . ولقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى ذلك بنور الله عز وجل من وراء العصور الكثيرة ، ويصدر فى بيانه لأمته عن وحى صادق من الله فيما أنذرهم به ، وذلك فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ثوبان مولى رسول الله وقد رواه عن ثوبان أيضاً الإمام أبو داود فى الباب الخامس من كتاب الملاحم من سفته أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت . .

فالمسلمون لما وهنت قلوبهم فى العصور الأخيرة لإيثارهم توافه الدنيا على المثل العليا ، ولتهيبهم الموت فى سبيل حقائقهم وحقوقهم ، نزع الله حيفئذ من صدور الأمم ما كان يملأها من مهابة المسلمين بسبب ما شاهدوه من موت همهم وانحطاطهم فيما كان أسلافهم يمتازون به من سمو الخلق وعلو النفس والغيرة على الحقوق والحقائق ، فأصبح المسلمون بسبب ذلك كالغثاء التاف الذى يطفو على سطح الماء فى الأنهار ومجارى السيول . وحيفئذ طمعت فيهم الأمم المستعمرة ، وتداعى لالتهايمهم كما يتداعى الجائعون إلى التهام الطعام . ثم كان ما كان من جشوم الاستعمار كالكابوس البغيض على صدور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإن كان المحتل يجد فى من يفتنى إلى الإسلام قلوباً يقلبها بأصبعه كما يشاء ، وألسنة يحركها فى أغراضه كما يريد ، فإن تلك القلوب وتلك الألسنة - إلا من عصم الله أصبحت مأمورة بالشعور الذى يربها الحقوق وأى العين ويمنعها من أن تستخدم إلا فى صالح المحتل وتمسكته من احتلال ما شاء . وفى الأمثال البديعة : أن أشجاراً رأت فأساً ملقى بجانبها ، فانزعجت منه ، فقالت لها شجرة منهن ، لا تخافوا منه ، فإنه لا يكسرنا إلا إذا دخل فيه عود منا .

والآن وقد أخذت اليقظة تدب في أرواحنا وانتشرت الدعوة بيننا إلى معرفة حقوقنا والاستمسك بها والتعويل على الدفاع عنها بأى ثمن ، فند أصبح من الواجب على كل فرد منا أن ينتظم في صفوف هذا الدفاع في كل مكان . وقد رأى المسلمون بعد الحرب العالمية الأخيرة كيف أن الله عز وجل كافأ أهل كل قطر لإسلامي هب للدفاع عن حقوقه ، فوجه الظفر بأمانيه ، والتوفيق بالحصول عليها بأسرع مما كانوا يأملون . وإن قيام دولتي أندونيسيا وباكستان أعظم شاهد ملموس في هذه السنوات على صدق ما وعده الله به الذين يجاهدون في سبيل حقوقهم من المسلمين . ومن سنة الله في هذه الأمة أن يعلى مقامها ، على قدر ما تعرف من حقوقها وتؤديه من واجباتها . والدنيا كلها بين حق وواجب ، وما ضاع حق سعى له أهله من طرقه المعقولة الحكيمة ، ولم يخيب الله أمة قامت له بما يجب عليها .

لغة العرب وعلومها

قال (فريتاغ) الألماني في مقدمة معجمه الكبير في اللاتينية والعربية :

« ليست لغة العرب أغنى لغات العالم وحسب ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتى عليهم العتة ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجاياء والأخلاق ، أقام بيننا — نحن الغرباء عن العربية — وبين ما ألفوه فيها حجاباً لا نقبين ما وراءه إلا بصعوبة » .

والعلامة فريتاغ يقول هذا عن تراث أمة أباد الدهر أغلى تراثها وأجوده ، فكيف به لو شاهد وشاهدنا معه كل ما ألفه العرب والمسلمون من بدء التأليف إلى الآن ؟

الْحُبْنَةُ فِي صَبْرِ الْإِسْلَامِ

— ٢ —

ومن لم يرو رحمة من دم العدى إذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطى القنا الخطى في الحرب حقه ويبرى بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة وإن مات لا يجرى دموع النواذب

٣ — خبرتهم بعلم الفلك وهلم القيافة :

نشأ العرب في البادية وحياتهم كلها ترحال وانتقال من مكان إلى مكان وراء الرزق والمرعى ، وكانت لهم تجارة بالقوافل . ولم يكن عندهم آلات للرصد يستخدمونها في سيرهم بل كانوا يعتمدون على الطبيعة وعلى ما فيها من ظواهر وكواكب وأفلاك ، وصارت عندهم خبرة بمسالك الصحراء ودروبها ، السهل منها والوعر ، لكثرة ما تنقلوا فيها ، وكانوا أعلم بأماكن المياه ومواردها لشدة حاجتهم إليها في أسفارهم .

وكان من علومهم « القيافة » ، وهي تتبع آثار الأقدام والخوافر وكانت لهم فراسة في هذا ذاعت فيهم .

٤ — حدة البصر وقوة السمع :

لا شك أن حاستي الإبصار والسمع كانتا عند العرب مكتملتين لجميع عناصر القوة ، فقد كانت حواس العربي طليقة تعيش على تبييتها ، لم تصطدم بما يضعفها أو يؤثر في قوتها من مظاهر المدنية من أنوار وضجيج وغير ذلك .

ويقرن بحدة البصر براعتهم في رمى القوس ، والقصة التي نرويها الآن خير دليل : خرج أعرابي للصيد فصاد ضباً فعلقه على ظهره ثم مر بجناه ليس فيه إلا عجوز ، فجلس فلما أمسى حضر شيخ كبير يسوق لبلا كثيرة فلما رآه رحب به وأكرم مثواه ثم ناموا ، فانتهاز الأعرابي هذه الفرصة وقام إلى الإبل فربط أحدها ببيمه وخرج تتبعه سائر الإبل ، وأسرع

الرجل في سيره يرجو أن يصل إلى مكان أمين بينه وبينه مسيرة ليلة ، فلما طلع الفجر أبصر ذلك المكان فإذا عليه سواد ، فلما دما وجد الشيخ قاعداً وقوسه في حجره فقال : أضيفنا ؟ قال : نعم . قال : استخر نفسك عن هذه الإبل . فقال : لا .

فأخرج الشيخ سهماً وقال : انظر بين أذني الضب المعلق في ظهرك . ثم رماه فصدع عظمه من دماغه ثم قال : ما تقول ؟ قال : أنا على رأيي الأول ... فقال انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فسكأنا قدر يده ثم قال : ما رأيك ؟ فقال : إنني أحب أن أستثبت . قال : فانظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه ، والرابع والله سيكون في بطنك . ثم رماه فلم يخطئها . فلم يسع الأعرابي إلا أن يرد الإبل لصاحبها وهو خائف يرتعد .

● — صفاء الذهن :

كان ذهن العربي صافياً كصفاء الطبيعة من حوله ، مشرقاً كالإشراق الشمس والنور ، لم يصطدم بما يغبر صفحات العقول ، ويكدر مرايا الأفكار من دخان الحضارة . وإذا تحققت هذه الصفة في الجندى كان أقدر من غيره على فهم الاوامر ، وعلى تدبير الحيلة ، وحسن التصرف ومعالجة الأمور ...

بهذه الصفات الفطرية التي ذكرناها دخل العربي المدرسة الإسلامية ، فتناول الإسلام هذه الطبيعة ، وهذه المواهب بالتهذيب المستبصر ، والتوجيه الصحيح ، ناشداً فيهم أعلى الفضائل على ما سنذكره فيما يلي ، حتى أخرج من هذا العربي جندياً عظيماً ، وبطلاً قاهراً ، وفارساً مغواراً .

١ — الفضائل ومكارم الأخلاق :

تولى رسول الله ﷺ إرشاد العرب الذين دخلوا المدرسة الإسلامية ، إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، ولقد تجلّى ذلك بكل معانيه في معاملته لهم بأخلاقه وفضائله ، فكان لهم خير أسوة يحرصون عليها الحرص كله ، والأسوة خير مرشد ، على أنه لم يكلمهم إلى ذلك فحسب ، بل كان يتعهدهم بالإرشاد إلى الخلال الحميدة ويمرهم على الأخذ بها حتى تصير ملكة وخلقاً ، وحتى يتنافس فيها المتنافسون .

انظروا إلى قوله : ثلاث من كن فيه استوجب الثواب ، واستكمل الإيمان : خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل .
ولإى قوله : إن أحبكم إلى وأقربكم منى منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكثافاً ، الذين يالفون ويؤلفون .

ولقد غرس النبي في المسلمين مبادئ قوة العزم والرأى واستقلال الفكر ، والاعتماد على النفس ، ولم تلبث ثمار هذا الغرس أن ظهرت وأبهرت ، فلم يجد عليه الصلاة والسلام في أصحابه ضعفاً في مواقف الجدد ، لم يجد همهم فائز ، وعقولهم قاصرة كما وجد موسى عليه السلام في بني إسرائيل ، ذلك الخور الفاضح حين ذهب بهم إلى العدو فإذا بهم ينكصون على أعقابهم ويخاطبونه بلسان الخائن الجبان : اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون ، كلام لم يجد من أصحابه مثل هذا ، بل وجدهم يةولون ، اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكم مقاتلون .

٢ — الشورى :

لما كان استقلال القائد بالرأى ، يشعر باستبداده وترفعه ، وعدم مبالائه أو تقديره لرجاله ، وبورث الغضاظة ويستثير الحفيظة ، اقتضت شريعة الرسول الحكيمة أن يعامل أصحابه بمبدأ الشورى ولا سيما في أمور الجهاد ، إذ أن ذلك يشعرهم بمكانتهم عنده ، واعترافه بصحة رأيهم وشدة إخلاصهم ؛ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية (وشاورهم في الأمر) قال النبي ﷺ : إن الله ورسوله غيان عنها ، ولكن جعلها رحمة في أمتي ، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا .

ولقد جعل الله تعالى الشورى أساساً للحكم في الإسلام وأمر نبيه بها ، وامتنح القائمون بها في قوله (وأمرهم شورى بينهم) . فأخذ الرسول يسوس المسلمين بها ، بل كان ينزل معهم إلى أبعد من ذلك ؛ روى أنه كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله على ذبحها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال الرسول : وعلى جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفوني ، ولكنني أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراء متميزاً بين أصحابه .

يوز باشى أركان الحرب

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

رَسُولُ اللَّهِ فِي الطَّائِفِ

تمر كتب السيرة على رحلة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف مروراً عابراً مما جعل كثيراً من المسلمين القارئ لها يفهمون أن هذه الرحلة كانت من الرحلات السهلة الهينة ، ويعتقدون أنها كانت رحلة إلى ضاحية من ضواحي مكة ، مع أنها كانت أقصى رحلة وأشقها على رسول الله ، وأشهد أنني كنت ممن يفهمون هذا الفهم الذي وجدته عند كثير من المنقذين حتى حضرت إلى مكة في العام الماضي وتقرر أن يكون عملي في الطائف ، وكنت إلى تلك اللحظة أعتقد أنها على بعد يسير من مكة ، ولكن بعض العارفين أخذ يعطيني فكرة عن الطائف فعرفت منه أن السيارة تقطع إليها من مكة ما يقرب من ١٥٠ كيلو متراً فدهشت وتساءلت : وهل قطع الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الطريق الذي نقطعه الآن ؟ إننا كنا نظن أنه ذهب إليها وعاد منها في يوم أو في ضحاها !! قال : إن الرسول قطع المسافة إلى الطائف من طريق أخصر من هذا قليلاً لا تسير فيه السيارات الآن وهو يقرب من مائة كيلو متر يقطعه الناس اليوم سيراً على الأقدام أو ركوباً على الدواب !! قلت لإنها مسافة طويلة جداً عما كنا نظن ، وإنها لرحلة شاقة ومتعبة لابد أنها أخذت أياماً قاسية من حياة الرسول ﷺ .

ثم رجعت إلى كتب السيرة فوجدت ابن هشام يذكر عن هذه الرحلة : ولما هلك أبو طالب - بعد وفاة خديجة - نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج إليهم وحده .

إذن كان الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة في أزمة نفسية ، وكان في شدة بلغت أوجها بعد أن فقد النصيرين : الزوجة التي كانت تلقاه في البيت بصدر حنون وقلب شفيق فتزيل عن نفسه المجاهدة المتعبة كثيراً من الهم والتعب ؛ ثم تبعها العم الذي كانت تخشاه قريش فتمنع عن محمد - كارهة - كثيراً من سفاهتها . فوجد الرسول نفسه بعدهما في أتون اتقدت ناره ،

وتشعب لهيبه ، وأصبح بمكة وقد انطلق عليه سفهاؤها وتناولوه بالإيذاء والاعتداء فإذا رجع إلى بيته وجد الحزن يخيم على جوانبه ، فثارت في نفسه ذكرى الزوج الوفية فتمتلىء نفسه من الهم ، وتفيض عينه من الحزن ، ويبحث حوله عن نصير في الخارج أو مواس في الداخل فيعز عليه النصير والمواسى ، ويفسك في الدعوة التي حمله الله أمانتها - وهل يفكر إلا فيها - ويحاول أن يجد لها متنفساً بعد أن ضيق القرشيون عليه الخناق ولم تعد مكة بيئة صالحة لنشر دعوته ، فإلى أين يذهب وقد بلغ الأمر منتهاه ؟ وفكر الرسول فوجد أنه في الجنوب الشرقى من مكة قوم من ثقيف يقطنون د الطائف ، وبينهم وبين قريش عداة ربما يساعد على احتضان دعوته وهم إن استجابوا كانوا نعم العون والنصير .

ولابد أن الرسول مرت به حالة من التفكير العميق في هذه الرحلة ونتائجها ، وإن الإنسان ليتصور الحالة النفسية التي كان الرسول يمر بها في هذه الآونة : كيف يذهب ؟ وهل يستجيب له هذا الخى من العرب بعد هذا السفر الطويل ؟ إن هذا هو الأمل !! ولكن كيف يكون موقفه إن تسكروا له ؟ ! ثم كيف تسكون عودته إلى مكة حينئذ ؟ ! وماذا يفعل الشامتون ؟ ! لابد أن الرسول قد فسر في هذا كله ومرت بنفسه فترات من الأمل المشرق له ولدعوته حيناً ، فتنبسط أسارير وجهه ، وتشرق جنبات نفسه ، ويتصور المستقبل الباسم للإسلام ، وحيناً تمر به صور اليأس من استجابتهم ومن النتائج المرة التي تتبع إعراضهم فتمتلىء نفسه همأ وحزناً وخوفاً من هذا المستقبل القاتم !! ولكن هل يستسلم لهذا الجانب المظلم ويقعد خوفاً من إعراضهم ومن النتائج المؤلمة التي ترتب عليه ؟ كلا !! إنه عليه الصلاة والسلام لا يترك فرصة أمامه لدعوته إلا انتهزها ، وليسكن بعد ذلك ما يكون من مصاعب ومشاق فكل شيء يهون احتمالاً في سبيل دعوة التوحيد .

وجاء الوقت المحدد نخرج الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف وحده وبدأ رحلة المشاق والمتاعب ليس معه أحد إلا ربه الذي يرعاه ويحفظه ، لقد تصورت الرسول سائراً بين الجبال يحمل عبء الدعوة وهو ينقل خطاه صاعداً فوق الجبال أو هابطاً منها ، تصورته حيناً كنت أنظر لما حولى من السيارة التي تنهب في الأرض نهبا إلى الطائف .

نعم تصورته عليه الصلاة والسلام وحيداً يقطع هذه المسافة تحت ثقلين من تعب النفس وتعب الجسم . إذا رأيت عربياً يسير هنالك في بطن الجبل يعلى ويهبط ، قلت : ألم يكن الرسول نضمه الجبال كهذا الرجل ؟ كان يسير في الشمس المحرقة وفي ظلمات الليل البهيم ، لا يؤنسه شيء إلا تفكيره في ربه واتصاله بخالقه وحارسه . من كان يظن حين يراه

أنه يحمل أمانة ربه ١٩ ومن كان يظن حين ينظر إليه أن ينظر إلى المثل الأعلى للإنسانية إلى الرجل الذي اختاره الله ليبليغ رسالة السماء وليكون خاتم الأنبياء ١٩ من كان يظن حين ينظر إلى هذا الرجل العربي — كأي عربي تضمه هذه الجبال — أنه ينظر إلى الرجل الذي سبزه العالم بأسره وأن لفظ الخلود سيقترن بمبادئه واسمه ؟ من كان يفكر من رآه أن هذا الرجل سيجذب الملايين إليه وإلى دعوته، وأن هذه الملايين من خارج الجزيرة ستؤمن به قائداً ومنقذاً وشفيعاً ؟ ١٩ من كان يفكر أن هذا الرجل العربي الذي يسير وحيداً في فيافي الجزيرة القاحلة سيحيي مواتها ويجعلها مهوى الأفتدة في جميع أنحاء العالم، ويجعل لغتها التي تحاصرها الجبال فلا تخرج إلى ما وراءها — لغة طالية خالدة تنعصب لها دول وشعوب، وتطرق المجامع الدولية، وتبعثها موجات الأنهر من كل ناحية، وتصبح بفضل لغة شعوب ولسان حضارات ١٩ نعم من كان يظن حين ينظر إلى هذا الذي يسير مثقلاً بالهموم أنه سيفعل كل هذا ١٩ كانت هذه خواطر مرت في سريعا سرعة السيارة التي أركبها ، وقلت لا أشك في أن كل من رآه مر عليه كأي عربي يمر عليه بالليل والنهار؛ ولم يكن يعلم أية نفس يحمل هذا الرجل ، ولا أية رسالة يؤديها ١١ .

قطع الرسول ﷺ هذه المسافة الطويلة المتعبة ، ولا شك أن الأمل كان يدفعه في كل خطوة من خطواته ، الأمل في أفق جديد لدعوته ، ولا شك كذلك أنه كان مع هذا الأمل شيء غير قليل من الخوف ، الخوف من الفشل ؛ كان الرسول يؤمل أن تتضمن إليه ثقيف وتصر دعوته ضد أعدائه وأعدائها بعد أن عز عليه النصير فيهم ، ولكن هذا الأمل كثيرا ما كان يختفي أمام عوامل القلق والخوف من إعراضهم وصدودهم ، وهذه حالة لم تمر بحياة الرسول قبل ذلك ولا بعده ، فقد كان يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ، ولكنه لم يتكلف سفرا كهذا السفر ، ولم يلجأ مع ذلك إلى أعداء قريش كما لجأ هذه المرة ، وقد سافر بعد ذلك إلى المدينة ، ولكنه لم يخرج إليها إلا بعد أن اطمأن إلى مركزه فيها وأرسل طلابه يعلمون أهلها الإسلام فسكنوا محل الرعاية والعناية ، ومكث مدة تسكونت فيها جماعة إسلامية تفوق أصحابه بمكة ، فلم يكن إذن حين سافر للمدينة محل خوف أو قلق من المصير المجهول ، ولكنه كان مطمئنا إليها عازما على الإقامة فيها .

وأقبل الرسول عليه الصلاة والسلام على الطائف ، وعمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة ، ^(١) أقبل عليهم الرسول ونفسه متجهة إلى الله أن

يهديهم سواء السبيل ويهدي بهم من وراءهم من قومهم ، ولكن قلوبهم كانت مغلفة ، ونفوسهم كانت متكبرة ، حتى ليقول له أحدهم في سخرية واستهزاء ، وكأنما عز عليه وهو السيد الكبير أن يرى هذا القرشي اليتيم رسولا من الله يدعو إلى هذا الأمر العظيم فيقول له : « أما وجد الله أحدا يرسله غيرك » ، (١) كأنما ظن أن الرسالة تتبع الجاه والمال ، فاهما أنها ملك وسلطان ، وقد جهل المغرور أن « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وكانت هذه نعمة سائدة في الناس حينئذ حكاهما القرآن ورد عليها حين قال « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! ! أم يقسمون رحمة ربك ؟ ١٤ » ، وكان هذا الرد من الثقيف الكبير الذي يحمل كل معاني الاستخفاف والاستعلاء صدمة لآمال الرسول عليه الصلاة والسلام في القوم ، وصدق الله العظيم « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ، « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ، وكانت نتيجة مريرة على نفسه العظيمة ، فقد قطع الآمال الطويلة والأمل يحذوه ، ومن ورائه قريش لا بد أنها ستقرب في لفة أمر هذه الرحلة بعد أن تعلم بها وتنوق إلى فشلها ، حتى تشمت كما تحلو لها الشماتة ، وتزداد في عتوها . والرسول عليه الصلاة والسلام يحس كل هذا ويقدره حتى لنجدته يقول لهؤلاء الثلاثة المتكبرين من ثقيف بعد أن يئس منهم : « إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباخ قومه عنه فيذترهم ويجرئهم ، عليه » ، (٢) .

إن الرسول قد لقي إعراضا وصدودا من كثيرين قبل ذلك ، ولكنه ما كان يحسب لأي إعراض سابق ما حسبه لهذا الإعراض ؛ كان يدعو الناس في موسم الحج ووراءه الصادون عن دعوته ينفرون الناس منه ، وما كان يقيم لهم وزنا ولا حسابا ، أما هذه المرة فتختلف ظروفها وأوضاعها ، لقد ترك مكة حزينا لفقد النصيرين واشتداد الإيذاء عليه ، وسافر طويلا إلى أعداء قريش والتجأ إليهم لعالمهم ينضمون إليه ويدخلون في دينه ، ولكنهم لم يستجيبوا فإذا تفعل قريش إذن ؟ وما مبلغ فرحها وشماتها ؟ إنهم لا شك سيشتدون ، وسيزدادون عليه جراءة ، ومن هنا كان حزن الرسول وخوفه من إذاعة الخبر .

كل المصائب قد تتمر على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء

عبد المنعم النمر

مبعوث الأزهر وأستاذ التفسير بدار التوحيد بالطائف

الحُكْمُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ

خلق الله سبحانه النوع الإنسانى لعلمارة الأرض وإصلاح الكون ، وركب فيهم عقولا وجعلها مناط التكاليف ، وخلق فى الإنسان غير القوة العقلية القوة الشهوانية والقوة الغضبية وغيرهما من الغرائز النفسية التى تضعف سلطان العقل وتقلل من شأنه ، بل تتغلب وتنتصر عليه فى بعض الأحيان ، ومهما سما العقل واكتمل فما هو بمستطيع أن يهذى المرء إلى جميع ما يحتاج إليه فى تحصيل السعادة الدنيوية فضلا عن الآخروية ، لقصوره عن إدراك هذه المنزلة ، فسكان لا بد للعقل من هاد يكل هدايته ، ويرسم له الطريقة المثلى فى الحصول على السكالى الدينى والدنيوى ، وكان هؤلاء الهداة رسلا مبشرين ومنذرين يصطفيهم الله بمن زكت فطرتهم وكملت عقولهم ويفيض عليهم من أنواع وحيه ما يشاء ، فياخذون بزمام العقل ويدلون على المنهج الواضح والصرائط المستقيم ، وهؤلاء الرسل يستمدون هدايتهم من المشرع الأعظم ، وهو الله سبحانه وتعالى العليم بما كان وما يكون ، الخبير بالنفس البشرية وغرائزها وطبائعها ، الحكيم فى كل شئونه وتصرفاته ، المنزه عن العبث واللغو والهوى والشهوة ، فلذلك كان تشريع الله عادلا كل العدل صادقا غاية الصدق ، لا يطرُق ساحته خلل أو نقض أو إبطال ، وصدق الله حيث يقول « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ، وهذا فرق ما بين شرع الله وقوانين الإنسان .

وقد اقتضت حكمة الله أن تكون رسالات الأنبياء السابقين محدودة بالزمان والمكان ، فجاءت شرائعهم ملائمة لزمان خاص ، وبيئة خاصة . فلما بلغت البشرية كمالها العقلى وسن الرشد وجأرت إلى الله تطلب الغوث مما حاق بها من صنوف الفساد فى الحياة الدنيوية والخلقية والاجتماعية ، اقتضت رحمة الله أن يرسل خاتم النبيين وسيد البشر محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشريعة هى خاتمة الشرائع ، فجاءت على أتم وأكمل ما تكون شريعة فى الوفاء بحاجات البشر لتحصيل السعادة الدنيوية والدنيوية .

وجعل هذه الشريعة هى المهيمنة على الشرائع السماوية السابقة فما وافقها فهو الحق

وما خالفها فهو مما تزيده المتزيدون ؛ قال سبحانه ، أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . . والشرعية الإسلامية هي الشريعة العامة للبشر كافة الباقية على وجه الدهر إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ؛ وصدق الله حيث يقول ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا . . وفي الحديث الذي رواه البخاري ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة . . وهي التشريع الذي ارتضاه الله لإصلاح الكون ، والحكم بها بين الناس واجب محتم ، وهذا قول الله لنبيه محمد ﷺ ، وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ؛ وقد شدد الله التنكير على من لم يحكم بما أنزل الله ورصفه بأشنع الصفات وأعظمها إثما فقال ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وفي آية ثانية ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، وفي آية ثالثة ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، ^(١) ، والآية الأولى - وكذا الثانية والثالثة عند من يحمل الظلم والفسق على أعلى أنواعهما - محمولة على من فعل ذلك مستخلا له طيبة به نفسه راضيا به قلبه فهو الكافر ولا محالة وهو الظالم ، لأنه وضع الأمور في غير موضعها ، وهو الفاسق لأنه فسق عن أمر ربه وتمرد على شرع الله وخرج بعمله من حظيرة الدين الحق إلى مباءة الهوى والباطل .

روى ابن جرير عن علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق ، وروى مثل ذلك عن عكرمة .

وهذه الآيات وإن ذكرت في القرآن الكريم في سياق الكلام عن التوراة والإنجيل والحكم بما أنزل الله فيهما ، والرد على من لا يرتضون حكم الله من اليهود الذين يحرفون الكلام عن مواضعه ، ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً من الرشا وابتغاء الجاه ورضا الناس ^(٢)

[١] الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

[٢] ذكر الرواة أن السبب في نزول الآيات ما حدث من أن يهوديا ويهودية دنيا وكانا محصنين وكان حكم التوراة الرجم ولكنهما كانا شريفيين فلم يقيموا عليهم الحد ، وقد احتكم اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحاجهم وبين لهم أن حكم الله الرجم ، فلم يجدوا بداً من النزول على رأيه . وقيل إن السبب ما كان بين بني قريظة والنضير من عدم التساوى في القتلى وإعراضهم عن حكم الله إلى اتباع الهوى والشهوة .

إلا أن حكمها عام ، إذ لفظها عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإلى القول بعموم الآيات وأنها ليست خاصة بأهل الكتاب ذهب كثير من السلف ؛ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنها عامة في اليهود وغيرهم ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال : « نعم القوم أنتم ، ما كان من حلو فهو لكم ، وما كان من مر فهو لأهل الكتاب » ، وكأن ابن عباس يرى أن حكم الآيات يشمل المسلمين ويرد على من يقول لأنها في أهل الكتاب خاصة (١) .

وروى الحاكم وصححه وعبد الرزاق وابن جرير عن حذيفة رضى الله عنه أن الآيات الثلاث ذكرت عنده ، فقال رجل : إن هذا في بني إسرائيل خاصة ، فقال حذيفة : نعم الاخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم كل حلو ولم كل مره ، والله لتسلكن طريقهم حذو النعل بالنعل ، (٢) وأخرج عبد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى : « ومن لم يحكم ... ومن لم يحكم ... » قال : فقلت إنها نزلت على بني إسرائيل ، ولم تنزل علينا ، قال : اقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال : « لا بل نزلت علينا ، ولعل مراده بنزولها على بني إسرائيل أنها نزلت في شأنهم .

وكان الشعبي يرى تفريق الآيات على حسب الطوائف الثلاث ، روى ابن جرير عن الشعبي في قوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال هذا في المسلمين « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، قال هذا في اليهود « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ، قال هذا في النصارى .

نعم روى عن بعض السلف أن الآيات في أهل الكتاب وليس شيء منها في أهل الإسلام ، ولعل مراد هؤلاء أنها نزلت في شأنهم وقصتهم ، لا أن حكمها ليس عاما شاملا ، فإن من عمل من المسلمين بمثل عملهم فقد استحق أن يوصف بمثل ما وصفوا به ، بل المسلمون إن عدلوا عن الحكم بما أنزل الله فهم أحق بهذه الأوصاف من أهل الكتاب ، لأن شريعتهم وافية باقية ، وأدلة الأحكام عندهم متوافرة ، فليس لهم عذر في الحكم بغير شرع الله وقد جعل الله سبحانه وتعالى الحكم بغير ما أنزل الله جاهلية جهلاء وضلالة عمياء فقال في شأن اليهود الذين لا يرتضون حكم الله « أحكم الجاهلية يبغون » ، ومن أحسن من الله

(١) تفسير المنار جزء ٦ ص ٤٠٣ .

(٢) تفسير الألويسى جزء ٦ ط . منير

حكما لقوم يوقنون ، ^(١) وصدق الله فلا أحد أصدق ولا أعدل من الله حكما عند ذوى اليقين والتفكير . وللشيخ العلامة ابن كثير فى تفسير هذه الآية كلام حسن أحببت نقله عسى أن يكون فيه وازع وعظة قال : ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المشتغل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل الى سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملوكهم ، جنكز خان ، الذى وضع لهم ، الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام من مجرد نظره وهواه ، فصارت فى بزيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ^(٢) .

فالحكم بما أنزل الله والدعوة إليه أمانة فى عنق كل مسلم وسيسأله الله عنها يوم القيامة ، وعلى كل مسلم أن يحجر به ويطالب أرى الأمر بالعمل على تنفيذه ، وذلك عن طريق الحجة والإقناع وإثبات أن خير الشرائع لحكم الناس وصلاح الأحوال هو الإسلام الذى ارتضاه الله للناس كافة والذى أقام دولة الإسلام الأولى التى كانت ولا تزال مضرب الأمثال فى العدل والتراحم والأمن والسلام .

وإذا كان الله سبحانه قيض لهذه الأمة من أبنائها الأحرار الغيورين على مصالحها من رفع عنها نير الظلم والاستبداد ، وأراد تحريرها من أى سلطان أجنبي عنها سواء أكان فى السياسة أم فى الثقافة والتشريع والأخلاق ، فمن حقنا عليهم أن نرغب اليهم فى أن تكون القوانين التى تحكم بها تتفق هى وأمة إسلامية لها الصدارة بين الدول الإسلامية .

ولقد قدر لى أن أكون مبعوث الأزهر للتدريس ببلد الله الحرام ، وقد هيا لى ذلك الالتقاء بكثير من رجالات الإسلام فكانوا يأخذون على مصر أنها لا تهتدى بهدى الإسلام فى كثير من شؤونها ، ويستكثرون على مصر بلد الأزهر العتيق ومنازة العلم والإسلام

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة .

(٢) تفسير ابن كثير جزء ثالث ص ١٧٤ ط المنار .

أن يكون فيها كل هذا اللهو والفجور والمظالم والمخازى التى يندى لها جبين الانسانية الفاضلة ونحن الآن على مفترق الطرق ، فإما إلى طريق يحفظ لمصر مكانتها بين أربعمائة مليون مسلم ينظرون إليها كما ينظر الطير إلى اللحم ويحسون عليها كل كبيرة وصغيرة ، والطريق إلى ذلك سهلة قريبة لمن يتناول الامور بحمد وعزم ، وإما إلى طريق أخرى تضيع علينا ما كسبناه فى مئات السنين ، وهذا ما لا نحبه ولا نرضاه .

نحن لا نريد قوانين تحمى الإلحاد والإباحية والرديلة وما إلى ذلك من عوامل الهدم والفناء للأمم ، وإنما نريد تشريعاً يدعو إلى الإيمان والحق والعدل والفضيلة ، ويقرر القيم الاخلاقية العالية ، ويظهر المجتمع من أمراضه وأدراجه ، ويحيط الأعراض والدماء والاموال والعقول بنسياج من الحفظ والرعاية ، نريد تشريعاً يقضى على الشفاعات السيئة والآثرة والرشوة والكسب الحرام والظلم واستغلال النفوذ والسلطان ، ويهدف إلى تحقيق العدل فى كل شأن من شؤوننا ، نريد حكماً يقوم على الشورى الحققة التى نوه بها القرآن الكريم منذ قرابة أربعة عشر قرناً ، وأثنى على المتمسكين بها فى قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وأمر الله بها رسوله فى قوله « وشاورهم فى الامر » .

وكل هذه الاصول الفاضلة لن نجد لها ممثلة بأجلى صورها إلا فى شرعة الإسلام الحققة ، وبحسبنا قول رسول الرحمة وهادى الامة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وفقنا الله جميعاً الى ما فيه إقامة الحق والعدل .

محمد محمد أبو شهبة
المدرس بكلية أصول الدين

أمر الله والقائمون عليه

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « لا يقيم أمر الله إلا رجل لا يضارع ، ولا يصانع ، ولا يتبع المطامع . ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا يثقف غربه ، ولا يكظم فى الحق على حربه » .

الحاكم في الإسلام

كانت الحكومة في صدر الإسلام لمحمد ﷺ ، وكان المؤمنون يخضعون له عن رضى وإذعان ، وانقياد وقبول ، فهو الذى يقضى بين المتخاصمين ، ويؤلف بين المتنافرين ، ويقرب بين المتباعدين ، ويقيم الحدود ، وينفذ الأحكام ، والأمر كله له دون منازعة أو خلاف . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ، وعلى الرغم من أنه كان أميناً على الوحي ، منفذاً لكلمة الله فيما ينزل به جبريل ، لم يكن فيه استبداد الرؤساء ، ولا كبرياء المصلطين ، ولا زهو الحكام ، إنما كان يضع نصب عينيه فى كل حالاته أن مهمته الإنقاذ من التردى ، والانتشال من التورط ، والهداية إلى الصواب ، والإرشاد إلى ما يجب أن يكون ، وأنها رسالة ألقىت مسئوليتها على عاتقه من الله الذى له ملك السموات والأرض ، وحين يمثل تكليفه إياه ، ويستجيب لإلزامه له . بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، لا يجد نفسه بحاجة إلى الامتحان عليهم ، لتأخذه العنجهية ، ويهزه الصلف ، لأنه أسدى معروفًا ، وقدم غنما يحصلون فائدته ، ويحنون ثمرته : « وإنك لعلى خلق عظيم » . لهذا فإن أول ما أدرك العرب من معاني الشورى كان بما رأوه من النبي الكريم ، الذى لم يكن يأبى أن يعرض المسألة على أصحابه يناقشونه غير متبرم بمناقشتهم ، أو حاقر لجدهم . وقد حصل فى بدء استعدادهم للملاقاة المشركين ببدر أن نزل بعيداً عن البئر المسماة بهذا الاسم ، وقال له أحدهم : أهو وحي نزل عليك ، أم رأى رأيته ؟ فقال : بل هو رأى ، فقال : انزل على الماء لئلا يحول العدو بيننا وبينه ، وبذلك تضعف شركتنا ، وتفتر همتنا ، وتلحق بنا الهزيمة والانكسار ، ولم يسعه صلوات الله عليه إلا أن يقول لصاحب هذا رأى : نعم ما رأيت ! .

وهكذا كان ييادهم المشورة ، ويظهر من التبسط معهم ، وخفض الجناح لهم ، ما يدل على أن شأنه شأن الأب الحانى على ولده ، والراعى الشفيق برعيته ، وصدق الله العظيم « حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

والامر الختم من الكتاب العزيز أن نطيعه وأن نطيع من بعده أولى الامر منا ،
والتصريح في الآية الشريفة بأولى الامر « منكم » ، دليل على أن قيام الحاكم في الامة يقود
زماما ، ويتحمل أعباءها ، ويرد عدوان القوي ، وظلم المتعسف ، وطمع الجائر ،
من الواجب على أهل الرشد ، وأصحاب الحصافة .

ولذلك لم يلبث المسلمون أن انتخبوا أبا بكر رضى الله عنه ، ووسدوا إليه زمام
السلطان بعد أن ارتفع الصادق الأمين إلى الرفيق الأعلى ، وهنالک قضى على الفتنة ، وحارب
المرتدين ، ونشر ألوية الأمن ، وجاء في إثره عمر بن الخطاب فنهج نهجه ، واهتدى بسيرته ،
وتتابع الخلفاء والولاة بعدهما ، ونظموا الملك ، ودنوا الدواوين ، ووزعوا الاختصاصات
بين الموظفين ، فقام كل منهم بما عهد إليه ، وانصرف إلى مصلحة الرعية في حدود استطاعته .
فوجود الحاكم للشعب ، وتمسكه مقاليد الأمور في الامة فضلا عن كونه من ضرورات
العمران ، وحاجة الاستقرار ، ولوازم النظام السياسية يوجبها الدين لأنه يهتم بالإصلاح
ويعنى بالسكينة ، ويرعى الحقوق ، ويكره النزاع والخسومة ، ويرغب إلى الناس أن يلتزموا
حدودهم ، وينصرفوا إلى البر والمعروف ، والعمران والتقدم ، وهذه أشياء لا تتم من غير
راع يكاؤها ، وسلطان يحرسها ، وقوة حازمة تصونها ، وعقل كبير يدبر شؤونها ، ويصرف
أمورها . ولا بد أن يكون من هؤلاء الذين يحبون العدل ، ويؤثرون الإنصاف ، ويميلون
إلى إيصال الحقوق إلى أربابها ، وأن يعطى من سيرته وسلوكه ، وأخلاقه وآدابه ، وزهده
وورعه ، وتدينه وتقواه ، ورأيه وكياسته ، وعلمه وفضله ، واعتدال ميزانه في تقدير الأشياء
وحل المشاكل ، وفهم المعضلات ، ما يجعل الناس يلتفون حوله ، ويبالغون في الولاء له ،
والتمسك به ، والعطف عليه ، ليعيش في دنيا من قلوبهم ، وملك من أفئدتهم ، ويؤازروه
في المحن ، ويواسوه في الشدائد .

وكذلك كان المسلمون مع الملوك والرؤساء في مختلف العصور والأزمنة ، يجعلون طاعتهم
من الدين ، والرضا بأحكامهم من أوجب الواجبات . غير أنه « لا طاعة لخلق في معصية
الحق » ، كما يقول صاحب الشريعة المطهرة هداانا الله بهديه .

ولذلك رسم القرآن الدستور الذى يحكمون به ، والقانون الذى يسرون على ضوئه ،
ويعملون بمقتضاه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، ومن أجل ذلك
كانوا يلاحظونه ، ويتبعون هديه ، ويستترشدون به في كل عمل يعملونه ، أو أمر يقدهون ،

عليه ، بل كانوا أسبق من العامة إلى الاختلاف إلى المساجد ، وحضور الجماعات ، وقد حدث - في الاندلس - أن شغل الخليفة الناصر عند بنائه مدينة الزهراء ففاته صلاة الجمعة ، ثم انتهى إليه أن الإمام المنذر بن سعيد خطب على المنبر وجاء في خطبته الاستشهاد بقوله تعالى « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، ، فلما بلغته الخطبة علم أنه المقصود فبكى واستغفر ولم ينقطع عن الجمعة والجماعات إلى أن مات .

وليست ولاية المسلمين ، وتملك زمام أمورهم بالشئ الهين عند الله سبحانه ، لأنه تكليف قبل أن يكون تشريفاً ، ولا يدرك معنى هذا التكليف إلا من يتصور موقف « الخليفة الثاني ، في السياسة والحكم ، والسلطان والرعاية ، والعناية والإصلاح .. وكيف أنه كان يبذل جهده وتفكيره ، وراحته ونومه ، ليوفر السعادة للأمة ، والرخاء للناس ، والطمأنينة للشعب ، غير مدخر من وقته وعافيته ، ورأيه وتدبيره ، بما يسمح لنقد الناقد ، ولوم اللائم .

ومع ذلك قال عند موته لمن أشار عليه أن يجعل الخلافة بعده لابنه عبد الله : حسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحداً منهم عن هذه الأمة يوم القيامة ١ . وما أظن وراء هذا كله من العدل والإنصاف ، والسهر على المصلحة ، والتفاني في خير الناس ، والدأب على إرضاء مطالبهم ، وإشباع رغباتهم ، وتوفير الأمن والسلامة لهم ، غير أنه الورع والتقوى والمبالغة في مراقبة الجبار الذي لا يأمن مكره إلا الكافر ، ولا ينسى رهبة عذابه إلا الجاحد ...

ولعل المنتبِع لسيرة هذا الرجل — بالذات — يعرف إلى أى مدى كان يرسم بتاريخه السياسة والملك ، والحكومة والسلطان ، والتدبير والرأى ، حتى لا تجعل الولاة والقضاة ، والأمراء والخلفاء ، تلك المراكز سبيلاً إلى المغالمة السافلة ، والمطامع الدنيئة ، والشهوات المرذولة ... لأنهم مسئولون أمام الله عن الفقر الذى يصيب المعوزين ، والمرضى الذى تعمل معاوله في أجسام المرضى ، والجهل الذى ينشر الجرائم ، ويشيع الفساد ، ويغرى بالفوضى .. والواحد منهم مؤاخذه يوم العرض على رب العالمين بحساب هو من أشق ما يكون ، « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

ابراهيم علي أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

الفرض العلمى

- ١ -

إذا تأملنا فى تاريخ الحركة الفكرية ، وعلى الأخص فى القرون الحديثة ، نجد أن لكل قرن - على وجه التقريب - ميزة خاصة به تميزه عما عداه من القرون . فإذا أمكن القول بأن القرن السابع عشر هو قرن التكوين العلمى الصحيح فى الغرب ، إذ كان للعقل فى حركاته العلمية نصيب كبير ؛ يمكن القول إن القرن الثامن عشر - على العكس من ذلك - يقيد ، بقدر غير قليل ، حرية العقل من الميدان العلمى .

ولقد كان للفرض العلمى نصيب كبير فى نظريات المنهج والمنطق فى القرن السابع عشر ، بعكس ما كان له من قيمة محدودة فى القرن الثامن عشر ، فلم يكن يرجع إليه إلا فى أحوال اضطرارية . وسنستعرض هنا آراء عالمين مبرزين هما ديكارت فى القرن السابع عشر ونيوتن فى القرن الثامن عشر ، ثم نذكر حالة الفرض العلمى فى القرن التاسع عشر ، على أن نفلح فى إعطاء القارى فكرة عن الفرض .

تعطى الفلسفة الديكارتيه للعقل كامل الحرية فى البحث والاستنتاج فى ميدان ما وراء الطبيعة ، وهى حين تعرج إلى البحث فى مجال الطبيعة لا تضعف هذه الحرية وإن حددت اتجاهاتها ومرماها . وأبو الفلسفة الحديثة يؤمن - بصفة عامة - بنوع واحد من الفروض هى الفروض الاستنتاجية ، فإن المتأمل للجزء السادس من كتابه « مقال عن المنهج »^(١) ، يرى أنه بعد أن أوضح قوانين الحركة وطبيعتها التى تكون من الامتداد المتجانس أجزاء العالم المختلفة ، رأى أنه بين الحركات العامة الآلية أو الميكانيكية الخاصة بالأجسام المختلفة توجد مرحلة لا يمكن للاستدلال العقلى المحض أن يجتازها ، فلا بد من إجراء تجارب مختلفة للتيقن من أن تطبيقاً معيناً لقانون عام ألزم أو أنجح من تطبيق غيره . ولكن العقل قبل أن يصل إلى هذه المرحلة التجريبية يفرض التطبيقات الممكنة نظرياً للمبادئ العامة

(١) نقله إلى العربية الأستاذ محمود الحضرى ، ونشرته المطبعة السلفية .

وبخيار بينها قبل أن يحاول تحقيق إحداها ، هذا الفرض الاول فرض استنتاجى لأن الظواهر تستنتج منه . هذا ملخص رأى ديكارت فى « المقال عن المنهج » ، يصعب على القارى أن يستخلص منه رأى ديكارت الحقيقى فى الفرض ، فمن الجائز أن يكون قد اعتبره فى الطريق إلى القانون العلمى ، ومن الجائز ألا يُعتبر قانون علمى بأى معنى من المعانى .

غير أننا إذا قلبنا كتابا آخر من كتبه ويسمى « مبادئ الفلسفة » وجدناه يقول : « إن المعرفة الفرضية لعل الطبيعة كافية كما لو كانت هناك معرفة صحيحة بهذه العلل ، إذ أن الطب والميكانيكا وغيرهما من الفنون التى تستخدم قوانين الطبيعة لا تعمل إلا على تطبيق بعض أجسام محسوسة على البعض الآخر ، ونصل من هذا إلى نتائج محسوسة أيضاً ، ثم يستطرد قائلاً : وهو ما سنفعله لو درسنا ما ينتج عن علل تخيلناها ، ولو أنها خاطئة ، كما لو كانت صحيحة ، وذلك لأن النتائج تتشابه لو نظرنا إلى الآثار الحسية » . وموقف ديكارت هنا ، موقف من تأكد من قوانين الحركة بأنها قوانين مطلقة للعالم ، ولكنه حين انتقل من المجال العام إلى المجال الخاص لم يرجع للتجربة فقط بل إلى القول إن الطريقة التى تسير عليها الطبيعة لا يمكن معرفتها ، إذ لا يمكن معرفة أى طريقة اختارها الله فى هذا المجال .

هذا هو رأى ديكارت فى الفرض .

أما نيوتن فإنه يبدو لأول وهلة معارضاً لذلك الحرية الفكرية التى نادى بها ديكارت وللفروض على اختلاف أشكالها ، فهو يقول : « الفروض لا تخترع » .

وعلى كل فليس عنده ما يدعو إلى الإيمان بضرورة الفروض أو إلى الاقتناع بموقف فرضى لا يتحول إلى قانون طبيعى . وموقفه هذا ناتج عن طريقته فى الكشف عن التفسير الصحيح للطبيعة وخاصة فى الكشف عن مبدأ الجاذبية للعام . فهو بعد أن تأمل حركة التفاحة الساقطة وفحصها بعقله ، انتقل من هذه الظاهرة الخاصة إلى ظاهرة الجاذبية ، وفرض أن هذه الجاذبية تشابه تماماً حركة القمر بالنسبة إلى الأرض ، وأنه فى اللحظة التى يصل فيها العقل إلى القانون الحسابى الجبرى لهذه الجاذبية فإنه يكون قد اقترب جداً من كشف قانون عام فى الطبيعة له على الأقل عمومية قوانين ديكارت . فنيوتن يفرض أن الاجسام يجذب بعضها بعضاً كما تجذب الأرض القمر ، ثم يتوصل - بعد تحليل تجريبي ورياضى كامل

لظواهر النظام الشمسى - إلى أن القانون الحسبان المذكور يسمح بتفسير كل حركات أجسام هذا النظام ، وفي هذه اللحظة ، أى بعد التحليل ، يصبح الفرض قانونا طبيعيا صحيحا .

ولكن من الواجب أن نعرف أن نيوتن يتجه في بحثه نحو القانون الطبيعى لثقلته الكاملة فى الآلة الرياضية التى يستخدمها وهى آلة حساب اللانهايات ، ولثقته التامة فى الآلات التى يعرف بها الطبيعة الظاهرة ويستنتج الخفية ، وأن الفرض الذى دعمته التجارب المختلفة وعبرت عنه العمليات الرياضية الدقيقة لم يعد فرضا بل أصبح قانون الله للطبيعة فهو إذن لا يهدف الفروض الاستنتاجية من العلم بل يقبلها ، بشرط أن تقترب من الظواهر المختلفة للطبيعة ، وبشرط ألا يكون للفرض وجود فى ذهن عالم الطبيعة لأنه لا يفرض بل يثبت ويبرهن فقط .

ولقد بدا أثر نيوتن فيمن جاء بعده ، فأوغست كونت (فى أوائل القرن التاسع عشر) يفتقد الحركة الفرضية للعقل ولا يسلّم إلا بما تقرره الملاحظة والتجربة ... ولكن من ناحية أخرى نرى جون هرشل Herschel يبحث العلماء على ألا يوقفوا فروضهم على عتبة الباب بل يتجاوزوا ذلك ويذهبوا إلى تفسير داخلية الأجسام وتركيبها العنصرى . وهذا لازم فى رأيه ، فهناك من الظواهر ما هو خفى على الحس ، ولا يمكن تفسيره ما لم نحاول أن نخمن ما وراء الحس ، فالفرض التخمينى متضمن فى حركة العقل الاستقرائية ، فالبحث عن عناصر الأجسام وعن مكوناتها موجه إلى التكوين الداخلى للمادة عامة لا إلى طائفة خاصة من الأجسام .

(٢) وبعد ، فما هى الفروض ؟ الفرض من ناحية ماهيته هو الفكرة التى يرى المرء قبل دخوله فى مشكلة عقلية أنها ما يحتمل أن تكون هى الحل أو النتيجة ، أو هو الشئ الذى نفكر فيه ونظن أنه الحسل الذى يصح أن يكون ، فنعمل على تحقيقه بإثبات صحته أو بطلانه ، وفرض الفروض - كما يقول العلامة ميل - يبعث على الملاحظة وعمل التجارب وهو شئ ضرورى فى تقدم العلوم ، بل يمكن القول إنه ما من مسألة عقلية أو مشكلة علمية إلا ولها نصيب من الفرض .

وهناك مفهومات مختلفة لكلمة الفرض : فهناك الفرض الرياضى . ونجده عند أقليدس منذ القدم ، وقد استعمله أفلاطون فى محاورته Menon ، وفيها يقول (عند ما رأى نفسه

أمام مسألة هويصة من مسائل الهندسة ، لم يستطع حلها بطريق الاستنتاج المباشر) : « لرجع إلى فرض ، أو لنبحث فرضيا هذه المسألة ، . ويعرف أرسطو الفروض بأنها « المبادئ التى تبني عليها قضية ما » . فلوحاولنا مثلا أن نبرهن على تساوى زوايا المثلث المتساوى الاضلاع رجعتنا - حتما - فى برهاننا إلى تساوى الاضلاع كشيء مفروض مقبول نحاول أن نتجه منه إلى شيء مطلوب ... فهناك إذن معنيان رياضيان للفرض : فرض بمعنى قضية صحيحة هى مبدأ البرهان ، وفرض بمعنى قضية لم نقطع بصحتها بل نسلم بها مؤقتاً دون برهان ثم نحاول باستخلاص نتائجها البرهنة على صحتها .

وهناك أيضاً الفروض الطبيعية ، وهى إما استنتاجية وإما تكوينية ، فالاستنتاجية هى التى إذا سلمنا بها ، سلمنا كذلك وبمقتضاها ، بالظواهر المشاهدة فى مجال معين ، والفروض الاستنتاجية إما أن تكون فروضاً لا يجزم بصحتها ولا يخطئها وهى موجودة عند ديكارث فى الكتاب الثالث من مبادئ الفلسفة فهو يقول « لى يدرك كل شخص أنه حر فى أن يقرر ما يشاء بصدده ما كتبته ، أرجو أن يعتبر ما كتب كمجرد فرض ، ربما كان بعيداً كل البعد عن الحقيقة ، .

ويزيد على ذلك فيقول « وإنى سأضع بعض فروض أعتقد أنها كاذبة ولكن كذبها لم يمنع من أن تكون نتائجها صادقة ، وإما أن تكون فروضاً موجزة أو ملخصة وتوجد عند إرنست ماخ ودويم ، والفرض هنا عبارة عن تلخيص الظواهر الملاحظة ملاحظة جيدة ، كما أن وظيفة النظرية العلمية منحصرة فى إيجاز القوانين المسلم بها فى العلم وجمعها فى عبارة بسيطة ، وإما أن تكون فروضاً مفسرة وهى التى توجد عند نيوتن ، وهى فروض توضع لى تصبح قانوناً علياً .

أما النوع الثانى من القروض الطبيعية فهى الظروف التكوينية وهى التى تبحث فى الأشياء وفى حقيقة الظواهر الداخلية .

(٣) بقى أن نتكلم عن شروط الفرض ، فليس كل ما يفترضه الإنسان بالفرض المقبول ، وليس كل تخمين برأى شديد ، فلا بد لى يكون الفرض علياً يصح قبوله واستخدامه كوسيلة من وسائل التفكير ، ألا يكون خيالياً يستحيل تحقيقه ، وألا يتعارض مع الحقائق العلمية المسلم بصحتها ، وأن يكون قضية قابلة للبرهنة على صحتها أو فسادها وإلا تركنا الحبل على

الفارب للتخمينات والظنون ، كما يجب ألا يتأثر الباحث في فرضه برأى أو نظرية مرجحة لم
تصل بعد إلى مرتبة القوانين ، وألا يكون متحيزاً لآراء تصدر عن أشخاص متنازين ، فقول
العلامة أديسون عن الأرواح : لو أن هناك أرواحاً تخاطب لكنت أول من يخترع آلة
لتخاطبتها ، . هذا القول لا يصح اتخاذه أساساً للبحث في عالم الأرواح ولو أنه صادر عن
عالم كبير .

ولكن ، يجب التمييز بين الاعتقاد المسمى الصحيح الذى وصل إليه الفسك البشرى بعد
البحث والتفكير المنطقى قروناً عديدة حتى أصبح حقيقة لا تقبل الجدل ، كالاقتاد فى كروية
الأرض مثلاً وغير ذلك من الحقائق التى يصح اتخاذه أساساً لفروض تفرض لحل مشكلات
علمية ، وبين المعتقدات التى نشأت عن أساطير أولية تدارها الناس جيلاً بعد جيل حتى
أصبحت عند العامة فقط حقائق لا تقبل الشك .

وبعد ، فهذه آراء فى تاريخ الفرض وماهية وشروطه . وفى المقال القادم إن شاء الله
سنتكلم عن تحقيقه ومراحل هذا التحقيق .

سعيد زابر

الحياة

قال الهادى الأعظم ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة : إذا لم تستحِ
فأصنع ما شئت ، .

وقال علقمة بن علاثة لأبى ﷺ : يا رسول الله عظمى . فقال له ﷺ : استحي
من الله استحياءك من ذوى الهيبة من قومك ، .

فَضْلُ الرَّسُولِ عَلَى قَوْمِهِ

متى نعود إلى وضعنا في التاريخ ؟

• إن العرب دخلوا التاريخ من الإسلام .

كلية سديدة رشيدة ، لم يقلها مسلم أو عربي ، ولكن قالها منصف غربي :
كلية لا يسع المفكر إلا أن يتحسس معانيها في نفسه . وأن يدير مغزاها على نواحي
حسه ، كلما أراد أن يستشعر فضل محمد ﷺ على العرب وفضل الإسلام على المسلمين .
حقا إن الإسلام كان هو الطريق الذي دلف منه العرب إلى التاريخ ، فقبوعوا أولى
صفحاته واحتلوا مسرح الوجود قرونا ، فثلثوا فوقه الأدوار الأولى ، وتزعّموا القافلة البشرية
فقدادوها من زمامها في رفق ولين إلى معارج الرقي والتقدم والمعاني المثالية الرفيعة .

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية . ولم يكن لهم في التاريخ العالمي شأن يذكر . طوقتهم
الجغرافية بدول كبرى جبارة كالفرس والرومان والأحباش . دعته هذه الدول ذات البطش
والجبروت تارة برعاة الإبل ومرة بالخفاة العراة . . فما هو إلا أن بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بهذا الدين الخنيف فأخذ يروضهم عليه ، ويعلمهم بتعاليمه السامية ، ويحتفر لهذا
الغيث الإلهي مجاريه ومساربه في أعماق هذه النفوس المتأنية ليبتدر فيها البذرة الأولى لكلمة
طيبة ، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . . أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى
ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وحث على الوحدة في جميع أشكالها وصورها ، وحذر
من الفرقة . ومن كل ما يقرب إليها من قول أو عمل . ودعا إلى توحيد الكلمة كما دعا إلى
كلمة التوحيد تماما . وأبرز الفضائل النفسية والفكرية والعملية صورة مجلوة واضحة في إطار
من البلاغة القرآنية التي أخذت بمجاميع القلوب أخذا . وسدت على المعاندين منافذ القول
سدا . أئذ وبشر ورغب وأرهب . واستعمل من وسائل الإقناع والتربية ما دلت العلوم
النفسية والتربوية الحديثة على أنه كان ضربا من ضروب الإعجاز ، هو الذي بعث في الأميين

فصبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، فإذا بقي بعد وفاة الرسول من نصر ومن أمر؟
 بقي شيء كثير ، فلم تسكن رسالة الإسلام موضوعية ودستوره ينادى د قل يا أيها الناس
 إلى رسول الله إليكم جميعاً (١) ، ولم يسكن لأصحاب النبي وورثته الذين رباهم تربية إسلامية
 سليمة أن يتركوا الجهاد ليركوا أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر ، ويتحينون الفرص
 للانقضاض عليه واقتلاع جذوره من شبه الجزيرة ، فلم يكن بد من أن تندفع خيل الله كالسيل
 الجارف من شبه الجزيرة إلى ما والاها فتدك بسنابكها القوية عروش القياصرة والأكاسرة
 فيعمد ظل الإسلام من الصين شرقاً إلى الاندلس غرباً بسرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ ،
 ويتوطد للإسلام ملكه وجلاله في عهد الدولة الأموية ، ثم تتوطد حضارته وتزدهر
 في عهد الدولة العباسية ، ويحدث الإسلام باسم العرب والمسلمين مدينة خدمت العلم والثقافة
 والفقه والقانون والفلسفة والطب والفلك والموسيقى والطبيعة والكيمياء ، ودفعت الإنسانية
 بكلتا يديها إلى الامام أشواطاً ، وكان منها القبس الذي قبسته أوروبا في العصور الوسطى
 فكان أساساً لنهضتها هاته التي تدل بها اليوم على الإسلام ناسية أنها منه مأخوذة وأنها كانت
 عليه في يوم من الأيام تليدة . وهكذا تفاعلت مبادئ الإسلام وتعاليمه بما طبعت عليه
 النفس العربية من خصائص ومزايا فأحدث هذا التفاعل تلك العجائب . وهكذا أثبت العرب
 بالإسلام وجودهم ، وكان منهم الخليفة الذي يتحدى السحاب أن ينزل في أرض لا يجي إليه
 خراجها ، والقائد الذي تقول له الشعراء :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النظف التي لم تخلق

وصدق الله وهو يقول لنبيه عن القرآن والإسلام : وإنه لذكر لك ولقومك (٢) . . .

* * *

ترى هل خرجت الأمة العربية الإسلامية اليوم من التاريخ ، فهي على هامشه بعد
 أن كانت في صلبه ٩١ .

كانت هي الوسط المحمى فاتقضت منها الحوادث حتى أصبحت طرفاً
 فليس للعرب اليوم بين أمم الأرض خطر : يحكمون ولا يحكمون ، ويساسون

(١) سورة الاحراف الآية ١٠٨ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل أن في ضلال مبين^(١) .

استجاب لله وللرسول من استجاب . وآمن بهذا الدين من آمن . من أهل الحق والخير الذين استثار الإسلام بجماله وجلاله ما كان كامنا في نفوسهم من حمية للحق والخير والجمال . تبطنوا الإسلام قبل أن يلتحفوه ، بحبه خفقت قلوبهم لتدفع الدماء إلى عروقها نابضة بحرارة الإيمان وحرارة الحياة معا قدامتهم وأعصابهم ومشاعرهم امتزج الإسلام فكانوا الشراة الذين باعوا أنفسهم لله . اعتنقوه دينا ودولة . مصحفاً وسيفاً . عقيدة وجهاً . رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار . إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ،^(٢) عز جانبهم بالإسلام ، وعز بهم جانب الإسلام ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحملون على الرجس والاثوان حملة تستحيل بها الجزيرة العربية قبيل وفاة الرسول لإسلامية خالصة بيضاء واضحة ليها كنهارها وينفض الرسول يده من ثلثائة وستين صنما كانت حول الكعبة يحطمها وهو يقول :
« جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

لم يفس ﷺ قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى أن يخط بكفه الشريفة الخطوط الأولى في خريطة الامبراطورية العربية الإسلامية التي صيرتها فجاً بعد أكف المقادير حقيقة واقعة تسامت الخلود . وتحدى الزمن وتقرض نفسها على التاريخ فرضاً . فكتب كتبه التاريخية المشهورة إلى هرقل والمقوقس وكسرى والنجاشي وغيرهم يدعوهم بدعاية الإسلام ليسلموا ، فإن تولوا فعلمهم لإثم غيرهم ، ثم قال - وكأه يزيد هذه الخريطة إيضاحاً - « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله » .

فإذا كان النصر في حياة النبي قد تم للإسلام والمسلمين في داخل الجزيرة العربية ونزل على الرسول قوله تعالى « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا

(١) الآية . من سورة الجمعة وقريب منها الآية ١٦٤ من سورة آل عمران . لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا الآية .

(٢) الآية ١١١ من سورة التوبة

ولا يسوسون ! كثرة في العدد وقلة في العدد ، تصدق فيهم نبوءة نبيهم حين قال « ستنداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فقال قائل : أمن قلة يا رسول الله ؟ قال : كلا ، أنتم يومئذ كثرة ، ولكنها كغناء السيل ، ولينزعن الله مهابتكم من صدور أعدائكم ، وليلقين في قلوبكم الوهن ، ، قالوا : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت ، .

فإذا كان ذلك صحيحاً فمن أى طريق خرج العرب من التاريخ ؟ إنهم خرجوا من نفس الطريق الذى دخلوا منه : الإسلام . فالإسلام قوة وعزة ، ونحن فى ضعف وذلة . الإسلام وحدة ووفاق ، ونحن فى فرقة وحزبية عماية . الإسلام نظام ، ونحن فى فوضى ضاربة الاطواب . الإسلام عمل وجهاد ، ونحن فى نوم وكسل . الإسلام إيثار ، جميل ، ونحن فى أثره ، مقبته . الإسلام علم ومعرفة ، ونحن فى جهل وأمية . أعرضنا عما أنزل الله ، فأعرض الله عنا ، وصدقت فينا آيته « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١) .

عبد الفتى عوصه الراجحى

بعض الجرائد

جرائد ما خط حرف بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لأربابها كأنها أول لمبريل
حافظ إبراهيم

أَسْرَارُ الْإِسْلَامِ

في تعدد الزوجات

تقوم في هذه الأيام حملة شعواء على أحكام الإسلام بحجة الانتصاف للمرأة والانتصار لها . ويقود هذه الحملة قوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا يدركون منه إلا رسمه . ولقد تمادى هؤلاء القوم في عدوانهم ، ولجوا في طغيانهم ، حتى جرءوا المرأة على منازلة الرجل في ميادين الجدل من غير استحياء ، ومهاجمة الشرع في شق المواقف من غير خجل ، وهي التي كانت عن كسب تهاب الرجل وتخشاه ، وتحفظ الشرع وترعاه . ومن تلك الأحكام التي صارت غرضاً لسهام الغاوين ، وأضحت مقصداً لمرماها ، حكم تعدد الزوجات في الدين الإسلامي .

فلقد طلعت علينا بعض الصحف اليومية ذات مساء تفشراً آراء طائشة ، وأفكاراً ضالة تدعو إلى وجوب تقييد الرجل بزوجة واحدة تمشيًا مع حضارة العصر في نظرهم ، وتتهجم على آيات الكتاب وسنة الرسول ، فتؤولها تأويلًا يمليه الهوى ، ويدبجه براع الإلحاد ، وينشره دعاة السوء .

ولقد رأيت من واجبي - إزاء هذه الحملة - أن أبين حكمة هذا التشريع على صفحات هذه المجلة الغراء ، عسى أن يرد الله بها النفوس السادرة ، ويرشد بها العقول الغاوية ، ويهدي بها الأفكار الخائنة . فأقول :

ثبت بداهة أن كل أمة يزيد عددها ، يرتفع - في الغالب - بمجدها ، ويسطع في سماء العز نجمها ، ويرهب لدى الأمم جانبها ، وتسعد في حاضرها ومستقبلها .

وبعكس هذا آمة أضيفت بالعقم الجنسي ، فإن نجمها يأفل ، ومجدها يبيد ، وشأنها يهون وظلها يتقلص حتى تمحى من قائمة الوجود .

وإن أنجح الوسائل إلى نمو الأمم وكثرتها كثرة ثورتها القوة والعز ، وتكسبها الشرف والمجد ، هو - بلا شك - تعدد الزوجات الذي أباحه القرآن ، وأرشد إلى سره نبي الإسلام حيث قال : « تناكحوا تناسلوا تكثروا » .

ومن أسرار ذلك التشريع : أن الله سبحانه وتعالى قد أجرى سنته أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، لما يقوم به الرجال من مهام الأمور : كتدبير أمور الدول وصيانتها ، وتنظيم الجيوش وإعدادها ، ومواجهة الأخطار وصدّها ، وإحباط الفتن وقمعها ، وغير ذلك من شئون الحياة التي لا يستطيعها غير الرجال ، والتي تسبب لهم الوهن والضعف ، وتسلم أجسادهم في النهاية إلى الردى والفناء .

فلو أنه حظر على الرجال تعدد النساء في هذه الأحوال ، وهن محتاجات إلى الأزواج في ضرورة الكفالة والتحصين ، لكانت فتنة في الأرض وفساد كبير .

ومن أسرار ذلك التشريع : أن المرأة غير مستعدة للنسل في كل آن ، لأنها عرضة للبرص والضعف ، والكبر واليأس ، والعقم وقد أسباب النسل .

فلو منع تعدد الزوجات لظل الرجل محروماً من الولد ، معذباً بلظى الشوق إليه ، أو وقعت الزوجة في أضرار العراق . وما ذلك شأن العدل ولا شرعة الإنصاف .

ومن تلك الأسرار : أن بعض الرجال تغلب الشهوة على طباعهم إلى حد لا يصبرون معه على ملامسة النساء ، وقد تكون الزوجة مريضة ، أو غائبة ، أو حائضاً ، أو نفساء . فلو منع تعدد الزوجات لوقع الرجل الذي هذا حاله في الفاحشة وساء ميوله ؟ .

ومن الأسرار المهمة : أن صاحب الزوجة الواحدة إذا كان يبغيها لدمامتها أو بذاتها ، والزمناه بها دون سواها ، فإن العشرة تسوء بينهما ، والهدوء ينقلب إلى ضده ، ويصير البيت جحيماً لا راحة فيه .

ولا علاج لمثل هذه الحالة إلا بإباحة التعدد الذي يصون الحقوق والنفوس ، ويحقق الصفاء والهدوء .

مما تقدم يتضح ما في إباحة التعدد من حكم سامية ، وفوائد هامة ، يتوقف عليها نظام الحياة ، وتقتضيها ضرورات الوجود .

وقد أدرك بعض الأوروبيين تلك الأسرار وغيرها في هذا التشريع الجليل ، فنصبوا من أنفسهم دعاة لتعميمه حتى إن الكاتب الإنكليزي الكبير (برناردشو) قال في كتابه الحياة الزوجية عند الكلام على تعدد الزوجات في الدين الإسلامي :

« إن الدولة الإنكليزية تضطر حسب تقدمها المطرد إلى اتخاذ الإسلام ديناً لها قبل انقضاء القرن العشرين ، » .

وجاء في جريدة (لندن تروث) الإنكليزية بقلم بعض الكاتبات الإنكليزيات ما ترجمته :
 « لقد كثرت الشاردات من نباتاتنا وعم البلاء ، وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذ كنت
 امرأة أراى أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن . وماذا عسى أن يفيدهن
 بئى وحزنى ، وتوجمى وتفجى وإن شاركنى فيه الناس جميعا ، لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع
 تلك الحالة الرجسة . والله در نبى الإسلام ، فإنه رأى الداء ووصف الدواء الكامل للشفاء ،
 وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة ، وبهذه الوسطة يزول البلاء لا محالة ،
 وتصبح نباتاتنا بنات بيوت ، فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء
 بامرأة واحدة .

أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا
 كلا وعالة على المجتمع الإنسانى ؟ ! فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد
 وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون .

وإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار ، ألم تروا أن حال خلقها تنادى بأن عليها
 ما ليس على الرجل ، وعليه ما ليس عليها ، وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة
 بيت ، وأم أولاد شرعيين .

هذا هو رأى غير المسلمين فى بعض أحكام الإسلام ، أما أبناؤه فإنهم يدأبون
 على التقليل من شأنه ، والعمل على محاربة أحكامه بكل ما ملسكوا من وسائل وأسباب .

وإن من المطاعن التى وجهوها إلى إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام قول بعضهم :
 إن الرجل الذى يجمع بين زوجتين يعتبر فى نظر المجتمع آثماً ، لأنه يخلق العداوة بين أبنائه ،
 والبغضاء بين نسائه .

وأقول : إن ما يشاهد من هذه العداوة والبغضاء لم يكن مصدره تعدد الزوجات ،
 بل مذئوّه جور الرجل على زوجاته ، وعدم عدله بين أولاده . ومن كان هذا شأنه لا يبيع
 له الإسلام من هذا التعدد شيئاً .

ويجدر بنا بعد هذا أن نذكر الدليل على جواز التعدد من كتاب الله تعالى فنقول :
 الدليل عليه قوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،
 فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا ، .

نزلت هذه الآية قاضية بجواز الجمع بين الأربع من النساء ، وقد بين النبي ﷺ المراد منها حيث قال لغيلان الصحابي الذي أسلم وتحتة خمس نسوة : « أمسك عليك أربعاً وفارق واحدة » .

فدل كلام المصطفى ﷺ على أن معنى الآية . « فانسكحوا مثنى ، أو ثلاثاً ، أو رباعاً ، على التخيير لا التحتميم » .

وإن الله سبحانه وتعالى قد أباح الجمع بين النساء ، ولكنه لم يطلق القول بإباحته ، بل حظه على من خاف من نفسه عدم العدل بينهما ، وأمره بالاعتصام على واحدة ، مبيحاً له أن يمسك ما شاء من الإمام المملوكات . فقال جل وعلا : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » .

ولما كان تمام العدل بين النساء لا يمكن لبشر أن يحققه ، وكان اشتراطه منافياً لسماحة الدين ، لما فيه من شدة الحرج ، تجاوز لنا سبحانه وتعالى عن بعض الأمور كالحجة القلبية وسائر ما لا يدخل تحت الاختيار ، وحتم علينا العدل في بعضها ، كالملكيت والإنفاق والسكنى ، وسائر ما يدخل تحت الاختيار . فقال جل وعلا : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

أى محال أن تقدرُوا على تمام العدل بين الزوجات بحيث لا يقع جور ما ، ولو حرصتم على إقامة العدل وبالغتم فيه ، فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور ، فتذروها كالمعلقة التى ليست بذات بهل ولا معلقة .

وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل فيما يدخل تحت الاختيار ، ثم يقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » ، يعنى فرط محبته لعائشة . وبعد فهذه هى أسرار التشريع الإسلامى فى إباحة تعدد الزوجات لضرب بها فى وجوه الملاحظة الذين يحاولون التيل من سماحة هذا الدين ، والخط من شأنه .

وقد فاهم أن الإسلام كالطود الشاخ لا تزلزله العواصف ، ولا تؤثر فيه التوازل . كيف وقد أنزله الحكيم العليم ، ودعمه الرسول الأمين ١٩ .

عبد الرحيم فرغل البلىنى
أستاذ بكلية الشريعة

التشريع الاسلامى

فى دراسات أعلام الغريبين وقرارات مؤتمراتهم

يقول الدكتور أنريكو أنساباتو فى كتابه (الإلام وسياسة الخلفاء) :

إذا كان الإسلام فى شكله ثابتاً لا يتغير ، فإنه - مع ذلك - يساير مقتضى الظروف ويستطيع أن يتطور معها دون أن يتضاد معها مرت عليه الأزمان ، فهو لذلك يحتفظ بحيويته وبمرونته ، ولا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الإسلامية ، ولأن يغفل شأنه ، أو أن تمسه يد بسوء . إنه أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً ، وانها لشرعية تفوق الشرائع الأوروبية فى كثير من التفاصيل .

والقانونى الإيطالى (بيولا كازيللى) الذى كان مستشاراً ملكياً لوزارة العدل ورئيساً للجنة قضايا الحكومة زمناً طويلاً هو القائل :

« يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية ، فهى أكثر من غيرها اتفاقاً مع روح البلد القانونية » .

وفى سنة ١٩٣٢ قرر المؤتمر الدولى المنعقد فى لاهى للقانون المقارن أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن ، وبهذا صارت مصادر القانون المقارن أربعة وهى : القوانين الفرنسية ، والقوانين الألمانية ، والقوانين الانجليزية ، والشريعة الإسلامية

وفى سنة ١٩٣٨ انعقد مرة أخرى المؤتمر الدولى للقانون المقارن وأعلن أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة بذاتها ليس لها صلة بالقانون الرومانى ولا بأى تشريع آخر .

وليس بين الغريبين العارفين بحقائق الشرق من لا يؤمن بكلمة جيبون الشهيرة : « القرآن مسلم به من حدود الأوقيانوس الاطلانطيكى إلى نهر الغانج بأنه الدستور الاساسى ، ليس لأصول الدين فقط ، بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التى عليها مدار حياة نظام النوع الإنسانى وترتيب شؤونه » .

الكتب

الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الأمير جعفر الحسني جزاء في ١٥٠٠ ص قالين

العلماء هم الناس . ومن العناصر الأصلية في تاريخ كل أمة معرفة حال علمائها ومستواهم الخلق في أداء رسالة العلم ، وكلما كثرت المراجع التي تثير طريق المؤرخ وتبين له عمل العاملين لإصلاح حال المجتمع من راع ورعية ، كان ما يسجله من حقائق التاريخ أعمق بحثاً وأدسم مادة وأوضح بياناً لحقائق الأشياء ؛ لأن تقدم الأمم ونهوضها نتيجة لعوامل كثيرة من أهمها أمانة العلماء في أداء رسالتهم لا متهم ، كما أن تدهور الأمم وانحطاطها نتيجة لعوامل أخرى من أهمها كفر العلماء برسالة العلم ، وجهلهم أقدار أنفسهم ، وقصور همهم عن بلوغ ما أراد الله لهم من مرتبة ورائة النبوة .

وكتاب (الدارس في تاريخ المدارس) لعبد القادر بن محمد النعيمي (٨٤٥ — ٩٢٧) أحد نواب القضاة الشافعية بدمشق من أمتع الكتب في تاريخ معاهد العلم في عاصمة الشام وتراجم علمائها في نحو خمسة قرون (من القرن الخامس الهجري إلى عصر المؤلف في القرن العاشر) ، ويجوز لنا أن نعتبره متعمداً لتاريخ الحافظ ابن عساكر الذي وصفنا المجلد الأول منه في الجزء الماضي ، وقد جمع فيه النعيمي ما تشنت في الكتب السابقة له عن تاريخ العلم ومعاهده وشيوخها ، ومن أهم مراجعه ابن الأثير وأبو شامة وابن خلكان وابن شداد والبرزالي والذهبي وابن الكتبي والصفدي والحسيني وابن كثير والحسباني وابن قاضي شهاب وقد جاء في مقدمة الكتاب ص ٣ بلسان تلميذ من تلاميذ المؤلف لم يصرح باسمه قوله : « قلنا رأيت غالباً أما كن الخير الموقوفة بدمشق الشام أندرسنت ... فتح لي أن أشرع

بجمع تراجم يحي لها ذكرنا ... فاذا شيخنا الامام المؤرخ المحقق المدقق يحي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النعمي الشافعي قد سبقني إلى جمع ذلك ، ولكنها عنده في مسودتها إلى الآن ، فسألته في تبليغها على طول الزمان ، فتعلل على بضعف الحال وهم العيال ، ثم أمرني بتعليق ذلك ناسجاً على منواله ، فقابلت أمره بامثاله ، غير أني ربما اختصرت تراجم متصدرها الاعلام اعتماداً على الطبقات وتواريخ الإسلام .

إذن فنحن في هذا الكتاب أمام كتاب هذب أحد تلاميذ العليبي واختصره بعض الاختصار من كتاب شيخه ، والنخطوط المتداولة من كتاب العليبي كلها من هذا المذهب أو المختصر ، أما أصل العليبي فلم يعثر عليه إلى الآن ، والذين قاموا باختصاره منهم شمس الدين محمد بن طولون وعبد الباسط العلوي وأحمد البقاعي وآخرهم الشيخ عبد القادر بدران المتوفي في القرن الرابع عشر الجارى ، وأغلب الظن أن الشمس بن طولون هو صاحب هذا التهذيب أو الاختصار لأنه أقربهم من المؤلف .

ومعاهد العلم الدمشقية الموصوفة في هذا الكتاب نحو ثلاثمائة وخمسين بين مدرسة ومسجد وخانقاه وكلها بما كانت تدرس فيه العلوم ويتخرج فيه العلماء . وإن مدينة واحدة من مدن الاسلام يكون فيها مثل هذا العدد من معاهد العلم لبرهان على أن رسالة الاسلام رسالة علم ، ولا غرو فإن المسلمين يتوارثون عن نبيهم ﷺ ما رواه ابن قتيبة في غريب الحديث أن ساعة من العالم على فراشه يتفكر في علم الله تعالى أحب إلى الله من عبادة العابدين أربعين عاماً . وفي هذا قال الامام الشافعي رحمه الله : الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة .

وكان المجمع العلمي العربي بدمشق قد عهد قبل خمس عشرة سنة إلى ثلاثة من أعضائه بمعارضة نسخ هذا الكتاب وبيان اختلافها . ثم قام الامير جعفر الحسني من أعضاء المجمع بتحقيق الكتاب والاشراف على طبعه فاستعان على ذلك بخمسة وثمانين مرجعاً بين مطبوع ومخطوط . وألحق به فهرساً بأسماء المؤلفات المذكورة في نص الكتاب ، وفهرساً للأمكنة والباق والمساجد والمدارس والمعاهد ، وفهرساً للأعلام من رجال ونساء وجماعات . وقد بلغ الكتاب بفهارسه ألفاً وخمسمائة صفحة من قطع صفحات هذه المجلة . وكما أنه

مرجع من أوفى المراجع في تاريخ العلم والعلماء في إحدى عواصم الاسلام مدة خمسة قرون ،
فهو كذلك مرجع من أوفى المراجع في الخطط وتاريخ العمران إلى العصر العثماني الذي
انحطت فيه الأمة وبلادها ودرست معالم العلم فيها على ما ذكره المؤلف .

فشكراً للجمع العلمي العربي ورجاله على مساهمتهم في نصيب كبير من مهمة البعث
والإحياء العلمي مدفوعين إلى ذلك برغبة صادقة من خدمة العلم احتساباً لوجه الله ، ولذلك
تأتى أعمالهم وعليها طابع التجويد والاخلاص .

أسماء جبال تهامة وسكانها

وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه

لعرام بن الأصم السلي

نشره وجبها الحجاز الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف زينل

بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

لما كان حفاظ السنة وأئمتها يطوفون البلاد ليلقوا الشيوخ المسنين من رواة الحديث
الأوليين فيتلقوه عنهم ليدونوه ويحفظوه ، كان حفظة اللغة وأئمتها يقومون للغة القرآن بمثل
هذه العناية فيقتلون في البادية ليلقوا علماء الأعراب فيحفظوا عنهم مفردات اللغة وشواهدا
من الأشعار والأمثال ، وليتعرفوا منهم أسماء بقاع الجزيرة العربية من جبال وأودية ومنازل
ومياه ، وأسماء ما فيها من نبات وشجر ، فيدونوا ذلك في السكتب قبل أن يموت العلم
بموت أهله .

ومن المراجع العربية في القدم للواد الجغرافية في الوطن العربي هذا السكتب النفيس
من علم عرام بن الأصم أحد علماء الأعراب من بني سليم ، وهو كما يقول ابن النديم في
الفهرست أحد أقران أبي الهيثم الأعرابي وأبي الحبيب الربيعي وأبي الجراح العقيلي ، وكانت
الأيام قد جمعت بهذا العالم الأعرابي عالماً من أهل الحضرة في صدر القرن الهجري الثالث ،

وعو أبو الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندي ، فلقى للعالم الحضري عن العالم
الاعرابي كل ما في هذا السكتيب من المعلومات ، وكان يستملها منه فيملها عليه ، ثم تلقاها عن
أبي الأشعث الكندي تلميذه عبيد الله بن عمرو الأنصاري الوراق المعروف بابن أبي سعد
(١٩٧ - ٢٧٤) وتلقاها عن ابن أبي سعد تلميذه عبيد الله بن عبد الرحمن السكري المتوفى
سنة ٣٢٣ ، وأخذها عن عبيد الله السكري تلميذه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيراقي القاضي
(٢٩٠ - ٣٦٨) .

وكتاب عرام السلي كان المظنون أنه فقد مع ما فقد من تراثنا القديم ، غير أن العلماء
كانوا يتعززون عن ذلك بانتشار نصوصه في معاجم البلدان ، ولا سيما كتاب معجم ما استعجم
لابن عبيد السكري علامة الأندلس ، ثم ظهرت مخطوطة من هذا الأصل في المكتبة السعيدية
بميدان أباد (مجموعة رقم ٣٥٥ حديث) كتبت سنة ٨٧٦ ، ولكنها بخط نسخي غامض ردى
وكثيرة التحريف والتصحيف ، ومخطوطة ثانية نقلت عنها بخط الشيخ إبراهيم حمدي مدير
مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة ففسخ صورة منها الشيخ سليمان الصنيع من أفاضل
المملكة العربية السعودية ، وقد عني بمراجعتها وتحقيق بعض مواضع منها ، وكذلك وجد
عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف مخطوطة ثالثة نقلها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى الباني
عن الأصل الهندي ، وأنت ترى أن الأصل في هذه النسخ واحد وهو المحفوظ في المكتبة
السعيدية بميدان أباد ، فعهد وجها الحجاز وعينا أفاضلها الشيخ محمد نصيف والشيخ
يوسف زينل إلى حضرة الفاضل المحقق الأستاذ محمد عبد السلام هارون بأن يحقق هذا
السكتيب ويعني برده إلى أصله بقدر الطاقة ، فقام بذلك خير قيام مستعيناً بمعاجم البلدان
وكتب اللغة وغيرها ، فجاء في ١١١ صفحة من قطع الجاير مزيناً بفهرس للبلدان والأماكن
وآخر للأعلام ، وثالث للقبائل والطوائف ، ورابع للنبات والشجر ، وخامس للحيوان ،
وسادس للقوافي ، وسابع للغة ، فشكراً للناشرين الكريمين على سعيهما بإحياء هذا الأصل
القديم خدمة خالصة منهما للعلم ، وهذا هو دأب الشيخ محمد نصيف حفظه الله في مواصلة
السعي والعمل والإحياء في كتب العلم النافعة .

كنوز الأجداد

الاستاذ محمد كرد علي

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق - في ٤٣٨ صفحة قالبين

الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العربي بدمشق من رجال هذا العصر الذين عاشوا للعلم ودأبوا على خدمته من ستين سنة إلى الآن . وكان مما عني به في عشرات السنين دراسة تراجم علماء هذه الأمة وقادة الأدب والفكر في مختلف الأمصار والأعصار ، وتسجيل أعمالهم ، وجرد تركتهم ، ووصف ما خلفوه لنا وللإنسانية من تراث خالد على الدهر . وكتابه هذا (كنوز الأجداد) يتضمن تراجم بضعة وخمسين إماماً من أئمة الدين والعلم والأدب كتبها الاستاذ المؤلف في سنوات مختلفة ونشر كثيراً منها في مجلة المجمع العلمي العربي أو في أوائل بعض المؤلفات التي تولى الاستاذ كرد علي نشرها وترجم لأصحابها . وأكثر ما يعنى به في ترجمة الرجال وصف علمهم وأدبهم ونواحي اختصاصهم والتعليق على ذلك في مواطن العبرة من أعمالهم . وقد أحسن كل الإحسان بجمع هذه التراجم في هذا الكتاب النفيس الذي يضارع أجود كتب التراجم المشهورة كوفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان وإرشاد الأريب لياقوت .

وقد تولى الاستاذ صلاح الدين المنجد وضع ثلاثة فهارس له أحدهما للكتب المذكورة فيه ، والثاني للأعلام والثالث للبلدان ، وفاته أن يفرد الفهرس الاسامي لأسماء المترجم لهم والدلالة على مواضع تراجمهم من الكتاب ، أما إدراج أسمائهم في عامة أسماء الأعلام فلا يغنى عن ذلك الفهرس .

الكتاب الذهبي لمهرجان ابن سينا

نشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية في ٤٦٣ صفحة قالبين

(و ٦٩ صفحة القسم الأفرنجي)

كانت الأمة العربية قد احتفلت بمرور ألف سنة على عشرين من أعلام الأدب والفكر وهما أبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري ، ثم اشتركت لجتان من مصر والعراق في إقامة

مهرجان ذهبي في بغداد لمرور ألف سنة على وفاة أبي علي بن سينا ، فعقد في هذا المهرجان عشر جلسات : واحدة افتتاحية ، وأخرى ختامية ، وثمان بينهما للدراسة والبحث التي فيها ثلاثة وثلاثون بحثاً وتسع محاضرات ، وقد دارت مناقشات حول أصل ابن سينا ونسبه وتاريخ مولده وعقيدته وعلاقته بالشيعية والإسماعيلية ، وهل فلسفته ملحدة وتصوفه ستر لهذا الإلحاد . وقد تبين من النقاش بما لم يبق معه مجال للشك أن ابن سينا نشأ في وسط إسماعيلي وأنه تأثر بدعاة الإسماعيلية وتعاليمهم التي كانت منتشرة في عصره . وإن البحث القيم الذي ألقاه الأستاذ عباس العزاوي في اليوم الثالث من أيام المهرجان بعنوان « ابن سينا وأثره في التصوف » ، من أجود ما قيل في هذا المهرجان وأكثره تحقيقا . والحق أن ما عرض في هذا المهرجان من بحوث عن ابن سينا قد ألم بجميع نواحي حياته وإنتاجه . ولذلك أحسنت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية كل الإحسان بجمع هذه البحوث كلها ونشرها في كتاب ذهبي نفيس جاء في ٥٣٠ صفحة من قطع هذه المجلة .

تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان

للأستاذ مسعود الندوي - نشرته لجنة الشباب المسلم - في ١٦٠ ص

إن اتساع نطاق التعاون بين مسلمي باكستان والهند وإخوانهم في الاوطان العربية والبلاد الإسلامية ، منذ قامت للإسلام هذه الدولة الجديدة في ربوع الهند ، قد أشعرت الفريقين بالحاجة إلى زيادة التعارف . وقد كان من نتائج ذلك ظهور هذا الكتاب اللطيف بقلم الأستاذ مسعود الندوي معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية في باكستان وصاحب مجلة الضياء التي كانت تصدر بالعربية في مدينة لكنو ومترجم مؤلفات الداعية الإسلامي الكبير أبي الأعلى المودودي من الأوردية إلى العربية . وآخر أعماله العلمية النافعة هذا الكتاب (نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان) ذكر فيه بداية دخول الإسلام إلى القارة الهندية وتطور انتشاره ، ثم محارلة الملك أكبر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السكيد للإسلام بتقليص ظله ، وظهور المجاهد المصلح المجدد أحمد السر هندي ووقوفه في وجه ذلك الملك الطاغية حتى تغلب عايه بإخلاصه وعزمته وتقواه ، وقيام العلماء

بعده بمثل هذا الجهاد وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحق الدهلوى وولى الله الدهلوى وقلاميده ، ثم الإمامان الشهيدان السيد أحمد بن عرفان والشيخ اسماعيل حفيد ولى الله الدهلوى ، فاستعرض المؤلف حالة مسلى الهند الدينية في العصور الثلاثة الماضية وما طرأ عليها من شرور وما يسر الله لها من قيام العلماء الاعلام الأبرار لإرجاع الناس إلى سنة نبيهم وتعريفهم بدينهم والسير بهم في طريقه المستقيم ، إلى أن تأسست معاهد العلم الإسلامية النافعة وفي مقدمتها مدرسة ديوبند ثم ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها ، وموقف مسلى تلك الديار وحركاتهم السياسية والتحريرية التى قاموا بها على بصيرة من الله ، وما كان يعترضهم من ضلالات مبثوثة وأباطيل ألبست لباس الدين وليست منه ، ثم انتهى هذا الكفاح الإصلاحى بقيام دولة باكستان ، فانبرى حينئذ أهل النزعات المختلفة فى التعصب لنزعاتهم ومحاولة التأثير على الأمة لاستمالها اليهم ، وموقف دعاة الإسلام الصحيح من ذلك كله ، وما قاموا به لدين الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة واليقظة والموعظة الحسنة فككتب الله لهم التوفيق بأكثر مما كانوا يرجون .

إن هذا الكتاب على إيجازه يقدم للمسلمين فى الاوطان العربية والاقطار الإسلامية صورة صحيحة لحيوية الإسلام وتطورها فى القارة الهندية ، وقد كتب مقدمته رئيس تحرير هذه المجلة معرفاً قراءه بصديقه القديم الاستاذ مسعود عالم . وقد تولت نشره لجنة الشباب المسلم المؤلفة من أفاضل أبنائنا الجامعيين فى مصر ، وقد سبق لها نشر الكتاب النافعة التى نوهنا بها غير مرة . والكتاب محتوم بفصل عقبى به للجنة على ما ورد فيه ، ملخصة أبوابه ، ومشيئة إلى مواطن العبر منها . وهو بلا شك كتاب طريف لا نعرف فى العربية كتاباً يغنى عنه فى باب .

أحاديث الثلاثاء بدار السلام

نشرتها دار السلام للنشر — فى ٧٢ ص قالبين للقسم العربى ، و ١٤٠ ص للقسم الفرنسى

فى مصر مرافق ومعاهد وندوات للعلم قد لا يعرف المشتغلون بالعلم شيئاً عنها ، ومنها ندوة اسمها « دار السلام » تألفت من فريق من الفرنسيين والشرقيين للبحوث الفلسفية

والمصوفية على اختلاف مصادرها البرهمية أو المسيحية أو الإسلامية أو غيرها ، وقد أهدى إلينا من أعمالها كتاب بالعربية والفرنسية عنوانه «أحاديث الثلاثة بدار السلام سنة ١٩٥١» ، اشتمل على النص الفرنسى والترجمة العربية لمقال كتبه المستشرق الأستاذ لويس ماسينيون بعنوان «قيمة الكلمة الانسانية كشهادة» ، وقد عنى فى هذا المقال بتحديد الطريقة الحسنة لقراءة الكتب السماوية ، والذين يعرفون الأستاذ ماسينيون يعرفون مشربه الصوفى ونظراته من هذه الجهة إلى المأثور من أقوال الخلاج وأمثاله ، وبهذا المشرب ومن هذه الجهة ينظر إلى التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية ، وقد لا يوافق علماء جميع هذه الديانات على فهمه وتفسيره وتلقيه لسكل ذلك ، وقديما افرق الطريق الصوفى عن الطريق الشرعى حتى عند أهل المنبع الأول للتصوف وهم براهمة الهند ، ومن باب أولى فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، غير أن هذا لا يؤيس المتعلقين بالتصوف من مواصلة السير فى طريقهم على أمل أن يتفاهموا ويتقاربوا مهما اختلفت نسبتهم الدينية ، ولعل هذه هى مهمة دار السلام وأحاديث الثلاثة فيها .

ويأتى بعد مقال الأستاذ ماسينيون فى هذا الكتاب بحث مستفيض للأستاذ لويس غارديه عنوانه «البحث عن (المطلق) فى التصوف المسيحى والتصوف الإسلامى والتصوف الهندى» ، وهو ينقسم إلى خمسة أبواب أولها فى «التعطش نحو المطلق» ، والثانى عن «اليوغا الهندى فى شكله الكلاسيكى» ، والثالث عن «حالات الانفراد والتجربة الصوفية» ، والرابع «التجربة الصوفية فى نظر ابن سينا» ، والخامس «معرفة الله ومحبه عند الفلاسفة والمتصوفة» ،

إن الفرنسيين الافاضل الذين يشتغلون بهذه البحوث لا يشتغلون بها باعتبار أنها بحوث تاريخية ، بل يظهر من كتاباتهم أنهم هم أنفسهم صوفيون وأصحاب دعوة ، ومن أغراض دعوتهم أن يكون فيها تجاوب بين متصوفى أهل الديانات المختلفة ، ونحب أن نقول فى هذا المقام إن الإسلام هو الإسلام ، والتصوف الذى ينحرف عن ظاهر نصوصه لا يجوز أن يسمى تصوفا إسلامياً ، بل إن الإمام الشافعى كان يكره هذه التسمية ، وله فى ذلك كلمة مشهورة رواها عنه الحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء وأبو الفرج بن الجوزى فى صفة الصفوة ، والإسلام دقيق جداً فيما ينتسب إليه وما يخرج عنه ، وأكثر ما يسميه المستشرقون تصوفاً إسلامياً لا يلتقى مع الإسلام فى طريق .

فاتح مصر عمرو بن العاص

الأستاذ صابر عبده إبراهيم من شباننا الأفاضل المعروفين بنشاطهم ولتأجهم ، وقد سبق له قبل ست سنوات نشر سلسلة من الرسائل في تراجم الصحابة رضى الله عنهم كان لها جميل الحظوة بين شباب المسلمين . وهو الآن يستأنف نشاطه بالشروع في سلسلة أخرى أهدي إلينا الحلقة الأولى منها عن فاتح مصر العظيم (عمرو بن العاص) رضى الله عنه ، وقد اعتذر المؤلف عن الإحاطة بسيرة هذا الصحابي الجليل بأن أعماله وجهاده ونبوغه وعبقريته ليس من المعقول أن يتسع لها كتاب كهذا الكتاب ، لأن تاريخه في الجاهلية والإسلام حافل بعظائم الأعمال التي تدعو إلى البحث والنظر في سر القوة الكامنة في هذا الرجل القوي . ومع ذلك فإن المؤلف استعرض من سيرة هذا الداعية الأول إلى الإسلام في مصر ما وسعه المقام من عظيم أعماله ، فجاء كتابه في ١٢٥ صفحة . فنرجو لهذه السلسلة الجديدة من (أعلام الصحابة) ما لقيته السلسلة السابقة من الإقبال عليها والانتفاع بها .

الققعقاع بن عمرو التميمي وبلاؤه في الإسلام

للأستاذ عبد الله قاسم صقر

الققعقاع بن عمرو من أفاضل الصحابة وشجعانهم وأهل الرأي والعدالة فيهم ، وقد كانت له مواقف في الجهاد الإسلامي مدة الخلفاء الراشدين استعرض الأستاذ عبد الله قاسم صقر أخبارها في كتب التاريخ ، وسجلها في كتاب بلغ ٩٢ صفحة مرتبة بحسب تاريخ وقوعها ، وعنى بما للققعقاع من الشعر فأوردته وفسره ، فكان كتابه بذلك كتاب تاريخ وأدب . جزاه الله خيراً .

الأدب والعمل في شهر

انحطاط التعليم الثانوى

أولا رفع مستوى التعليم الثانوى وشهادة التوجيهية بصفة خاصة .

سياسة التعليم فاطمة

حتى فى التعليم الصناعى

زار وزير التجارة والصناعة الغرفة التجارية فى القاهرة ودارت بينه وبين أعضاء مجلس إدارتها أحاديث مهمة ، منها أن أحد الأعضاء أشار إلى مشكلة الحاجة إلى الكتبة التجاريين إذا حتم القانون على تجار مصر جميعاً وعددهم حوالى ستمائة ألف تاجر أن يسكوا دفاتر قانونية ، فأجاب الوزير :

« إن التعليم الفنى فى مصر قد مات . وكما نشكو فى مصر من أن الطبقة المتوسطة فى المجتمع قد ماتت نشكو أيضاً من أن التعليم الفنى الذى يخرج رؤساء عمال فنيين أو كتبة تجاريين غير موجود . وليس فى مصر مدارس تخرج من الفنيين من هم بين مركز المهندس والعمال . وكل المدارس الصناعية فى مصر

قال الدكتور محمد عوض محمد مدير جامعة الاسكندرية فى حديث له مع مندوب جريدة المصرى : « إن الجامعات فى مصر كلها مزدهمة ازدهاما شديداً لا يتفق ورسالة التعليم الجامعى وهى تخريج قادة الأمة فى مختلف الميادين .

« ويكاد الاجماع ينعقد على أن التعليم الثانوى بحالته الراهنة لا يؤهل للتعليم الجامعى ، وليس جميع الحاصلين على شهادة التوجيهية بقادرين - لا من حيث الاستعداد ، ولا من حيث دراساتهم - على الالتحاق بالجامعات . وبانحطاط المستوى العلمى للطلاب لم يكن هناك مفر من انحطاط مستوى التعليم الجامعى أيضاً ، حتى لقد انتشر فى كثير من الاقسام الدراسية بكل الكليات - بدلا من إلقاء محاضرة - أن يملئ المدرس إملاء على الطريقة التى تتبع فى المدارس الثانوية . فن الضرورى

معلم المدرس وضابط الجيش

في خطبة ألقاها الرئيس اللواء محمد نجيب عن التعليم قال : « نظريتي في التعليم هي أنه السبيل إلى إعداد المواطن الصالح الذي يحسن التصرف في الأمور ، ويكون له من الغيرة الوطنية قدر وفير . ولهذا أعتقد أن المعلم هو الثروة الأولى في هذا السبيل . فالمعلم يعد المواطنين ، والضابط يعلمهم الجهاد . وأنا أضع التعليم في المحل الأول من عنايتي ، فإن رجال التعليم لا يقلون في نظري عن ضباط الجيش وجنوده ، بل إن المعلمين بمثابة جنود المقدمة أو الفرسان لأنهم يضعون الحجر الأول في سبيل إعداد جيل سليم . والمعلم في حرب طول حياته ، الأمر الذي يجعل له عندنا مكانة خاصة . »

الكتب في المدارس الأهلية

كانت وزارة المعارف توزع كتب الدراسة على تلاميذ المدارس الأميرية التابعة لها . وفي الأيام الأخيرة قرر مجلس الوزراء أن يكون نظام الكتب شاملاً المدارس الأهلية أيضاً فتوزع على تلاميذها كما توزع على تلاميذ المدارس التابعة للوزارة .

تخرج موظفين للحكومة فقط ، مع أن عصب الصناعة في العالم هو « الاسطى » أو « العامل المتعلم » . وأعتقد أن هذا سببه أن سياسة التعليم الصناعى في مصر سياسة خاطئة ، وأنه يجب أن يكون التعليم الصناعى في مصر وفقاً لأحدث النظم في البلاد الصناعية ليخرج عمالاً فنيين مهرة .

مكتبات في المساجد

دعا الرئيس اللواء محمد نجيب المواطنين إلى قضاء جانب من أوقات فراغهم في المساجد ، وعلمت (الأهرام) على هذا التبا بأن وزارة الأوقاف تحسن صنعاً لو نظمت - بمعاونة وزارة المعارف - مكتبات علمية وأدبية تزود بها المساجد ، فتعجب إلى المواطنين قضاء أوقات فراغهم فيها وتقرن العلم بالدين .

والمسجد في التاريخ الإسلامى معهد علم ، وجمع أدب ، وكان في بعض أدوار التاريخ محكمة للقضاء العام ، وداراً للشورى ومركزاً للقيادة والاستعداد للجهاد . ولم تسقط منزلة المسلمين وتحط أخلاقهم إلا منذ اخترع لهم إبليس هذه المفاهى وحشرهم فيها ، ففسدوا دنياهم وآخرتهم . ومن العجيب أن جميع أمم الأرض لا تسكر المقاهى في أمة منها كما تسكر في بلادنا معاشر المسلمين !

أَنْبَاءُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ

نصرفات الإنجليز في السودان :

من دواعي الأسف الشديد أنه قبل أن يحذف الممداد الذي كتبت به الاتفاقية التي عقدت بين مصر وبريطانيا بشأن السودان ، أخذت ترد إلى مصر من مختلف أنحاء السودان شكاوى صارخة من المعاملة السيئة التي يعامل بها الإداريون البريطانيون في الأقاليم الجنوبية من السودان بعض الزعماء الذين وقعوا اتفاقات مع مصر وكثيرين غيرهم من الأهلين وقد ورد في هذه الشكاوى أن زعماء ورجالا عديدين ألقوا في غياهب السجون ، وإن الإداريين البريطانيين في السودان عادوا إلى سيرتهم الأولى من اللينجاء إلى التهديد والوعيد ، وجميع هذه الأعمال لا تتفق في شيء مع ما تنص عليه الاتفاقية التي قالت مصر عقب توقيعها : إن العبرة في تنفيذها تنفيذاً دقيقاً وسليماً .

وقد صرح الرئيس اللواء محمد نجيب تعليقاً على هذه الحقائق بأن الإداريين البريطانيين خرجوا على الاتفاقية ، وأقاموا الدليل الملموس على عدم توفر حسن النية عندهم . قال : « وهذا ما يحملنا من غير شك على عدم

الثقة بهم والاطمئنان إليهم في إبرام أية معاهدة معهم . »

ثم قال بلمحة قوية : « لقد اختار الحسياني النسيان والزعيمان الكبيران السيد عبدالرحمن المهدي والسيد علي الميرغني المندوبين السودانيين في لجنة الانتخابات ، ووافقنا على اختيارهما ، ومع ذلك فقد اعترض الجانب البريطاني على هذا الاختيار من غير ما سبب ، وبلا أدنى موجب ، ويترتب على هذا الاعتراض تأخير إجراء الانتخابات في حين كان الواجب على الجانب البريطاني أن يوافق هو الآخر على اختيار هذين المندوبين ما دام أصحاب الشأن الأول هم الذين اختاروهما ثم ووافقنا نحن على هذا الاختيار . »

وقال : « لقد وردت إلينا من مصادر رسمية وغير رسمية أنباء عن ازدياد حوادث العنف والاضطهاد . وطلب الكثيرون من المواطنين السودانيين العمل على إيقاف هيئة دولية للتحقيق في هذه الحوادث . كما وردت أنباء عن محاولات يعمد هؤلاء الإداريون البريطانيون إلى اتخاذها دون حساب ولا مبالاة ، وذلك بتعيين موظفين بريطانيين في وظائف ثابتة كالوظائف القضائية وغيرها ،

الامر بصفتهم أصحاب الحماية على أراضي مسقط وعمان، وعرضوا الالتجاء إلى التحكيم في هذه المسألة، فعقب على ذلك متحدث باسم وزارة الخارجية السعودية بأن حكومته تطلب استفتاء سكان المنطقة في أمر تابعيتهم لأنهم أهل الحق في ذلك، ولا ترى الالتجاء إلى تحكيم أحد. ومع أن بين الحكومتين اتفاقاً على وقف كل نشاط عسكري في هذه الجهة، فإن ممثلي الحكومة البريطانية في الخليج الفارسي قاموا بإجراءات سريعة فخلقت طائراتهم على الواحة بقصد التأثير على أهلها، وساقوا قوات مسلحة من الجنود الذين جلبوهم من بعض البلاد العربية لإلزام الأهالي بالخضوع.

ولما لم تجد الاتصالات الودية لمنع هذا التعدي قامت الحكومة السعودية — عملاً بالمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة — بتوسيط الولايات المتحدة الأمريكية في الأمر. وإن الحكومة السعودية تستند في ملكيتها لهذه المنطقة إلى التاريخ والواقع، وإلى أن سكان واحة البريمي يدينون بالطاعة للحكومة السعودية هم وآباؤهم وأجدادهم من قبل، وقد ظلت هذه المنطقة تحت حكم السعوديين إلى المدة التي غاب فيها والد الملك عبد العزيز عن قلب الجزيرة وهي مدة إحدى عشرة سنة، ثم عاد ابنه الملك عبد العزيز بعد تلك الفترة وبسط سلطانه على البريمي وغيرها، وما زال الأمر على ذلك من ٥٢ عاماً بلا منازع.

لإبقائهم في السودان أطول مدة ممكنة، وهذا عمل لا يجوز الإقدام عليه، بل ولا التفكير فيه، إلا بواسطة لجنة الحاكم العام التي تنص عليها الاتفاقية.

ثم ختم الرئيس تصريحه بلهجة الحزم والعزم الشديدين قائلاً: «لننسا إذا اتفقنا، فإن رجولتنا الحققة هي التي تصون هذا الاتفاق وتنفعه بخلافه. ونحن رجال نعرف حق المعرفة كل مالنا فنحصل عليه، وكل ما علينا فتعطينه لصاحبه. ولست أدري كيف تتوفر الثقة عندنا وتذبح الطمأنينة في نفوسنا لنعمل اتفاقاً آخر مع الإنجليز وهذا موقفهم العجيب من اتفاقية أبرمت بيننا وبينهم يوم ١٢ فبراير الماضي، أي لم يمض بعد شهر واحد على إبرامها، وهذا ما يجب أن يكون واضحاً من جانبنا لهم، فليتدبروا الأمر، ولنسا بعد ذلك ما نريد».

واحة البريمي

هذه الواحة واقعة بين أراضي المملكة العربية السعودية وأراضي عمان ومسقط المحمية من الإنجليز. ولما زار سلطان مسقط وعمان في المدة الأخيرة العاصمة البريطانية ووقع مع حكومتها اتفاقية جديدة، أخذت تنتشر من لندن الأخبار عن اختلاف على واحة البريمي، وعن تدخل الإنجليز في هذا

الوحدة العربية :

يظهر أن مبدأ الاتحاد ، فى مصر سيكون خطوة نحو الوحدة العربية والتعاون بأسلوب أقوى بين الشعوب الناطقة بالضاد . ولذلك دلائل متعددة أحدها قول البكباشى جمال عبد الناصر لمدير القسم العربى بإذاعة صوت أمريكا صباح يوم ١١ جمادى الآخرة (٢٥ فبراير) : « إن الشعوب العربية قاطبة - كشعوب - تشعر بالرغبة التواقة الى الوحدة وأقول لك عن مصر صادقا : إننا نعد أى عربى نزيه مخلص أخا لنا وواحدا منا . وتجاه هذا الشعور السارى فى صفوف الشعوب العربية جمعاء فإنه ينبغى للأمم الصديقة أن تلمس هذه الرغبة المشتركة بين العرب وألا تنتقص منها أو تستخفها ، وألا تحاول وضع العراقيل فى سبيل تحقيقها . »

وقال له أيضا : إن أمة قوية فتية كالولايات المتحدة قادرة على استرداد ما كان لها من منزلة شريفة بيننا وفى أرجاء العالم العربى قاطبة إن هى وعت وأدركت الرغبة الصادقة لشعوب هذه المنطقة ، وفهمت عزم هذه الشعوب على أن تعيش إلى جانب الأمم الأخرى وتتعامل معها تعامل الأحرار المستقلين . وكما قال لكم الرئيس اللواء محمد نجيب فإننا نرى فى الواقع تشابها كبيرا بين هذه المرحلة من تاريخنا

فى مصر والمرحلة الأولى من تاريخ تحرير أمريكا ، لا من الحكم الاجنبى فحسب ، بل تحريرها أيضا من الفوضى والفساد فى الداخل .

من هو الأجنبى فى البطل العربية ؟

صدر مرسوم جديد فى سوريا يتناول تنظيم بعض أمور الجيش فى الحرب والسلم ، ومما جاء فيه أنه يحظر على العسكريين الزواج من أجنبيات . وتنص هذه المادة على أن المرأة العربية لا تعتبر أجنبية .

تعاون المسلمين جميعا :

عادت من باكستان البعثة العسكرية المصرية التى زارت تلك البلاد الإسلامية أخيرا ، وفى الاحتفال باستقبالها خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فقال : « لقد سرنى كثيرا ، ما سمعته عن النهضة المباركة فى باكستان ، مما يفسر له صدر كل مصرى . وأرجو الله أن يحقق آمالنا ، وأن يقرب اليوم الذى نجد فيه جميع أبناء البلاد الإسلامية والعربية متكاتفين ، حتى تقف جميعا جبهة واحدة أمام الخطم الكبير من الاطماع . »

المسلمون فى الحكم الشيوعى

برهن الشيوعيون فى ظل حكمهم الذى بسطوه على بخارى وخيوة والقرىم والفقاس وسائر الأقطار الشرقية الداخلة فى نطاق حكمهم

في مدارسها ثم أعادتهم إلى بلادهم وعلى رأسهم المدعو (أفندي كاييف) السكان التتري الذي كتب في أحد مؤلفاته يقول : « أيتها اللغة الروسية العظيمة ، إنني أركع تحت أقدامك ، وأسألك أن تنشرى فوق جناحيك ، لأن جناحيك رحمة وبركة » .

الاصطلاح يبدأ بالاعمال

شكا السيد سامي الصلاح رئيس الوزارة اللبنانية السابق إلى مندوب جريدة الاخبار الجديدة ما يلقاه رجال الحكم من الصعوبات بسبب فساد الاخلاق فقال عن الحالة في لبنان : « إن إصلاح الحال من المحال : فالترية السياسية عندما بحاجة إلى معالجة سريعة ، والحاكم بينما لا يستطيع أن يحكم بدون تأييد قطاع الطرق ومهربى الحشيش ، والزعيم بينما لا يتزعم إلا بنفوذ أصحاب أندية القمار والمشردين والمطاردين أمام القانون . ومن هؤلاء وهؤلاء يستجدي الحاكم والزعيم نفوذه وسلطانه .. ولعنة الله على الزعامة التي لا تأتي إلا عن هذا الطريق ، وباضعية الحكم الذي لا يتحقق إلا بتأييد هؤلاء وهؤلاء . إن الرجال الذين تعاونوا مع الانتداب .. ثم تعاونوا مع عهد الاستقلال .. ثم تعاونوا مع الشيخ بشارة الخورى .. هم اليوم - بأنفسهم - أبطال هذه الأيام » .

على أنهم أشد ملل الأرض تعصباً لعقائدهم واضطهاداً لعقائد غيرهم .

فقد جاء في كتاب انتشر في الشهر الماضي بقلم البروفسور والتر كولارز من علماء تشيكوسلوفاكيا وصف مطول لحالة دول آسيا الوسطى ، وكانت حتى في العهد القيصرى تدين بالإسلام وتعتز بالثقافة الإسلامية . فسردهم البروفيسور كولارز - بصراحة - قصة التوغل الشيوعى في هذه الدول وشرح كيف تحامل الشيوعيون على الإسلام واعتدوا عليه وحالوا دون نشر الثقافة الإسلامية في أوطانها الصميمة التي ظهر منها أعلام الإسلام كالإمام البخارى ، ثم حملوا شعوب هذه الدول على نبذ اللغة العربية ، وفرضوا عليهم الحروف اللاتينية ، ثم اللغة الروسية ، واعتقلوا قادة المسلمين ورجال الدين والفكر ، وصادروا المصاحف والكتب الدينية ، وألغوا مناهج التعليم الإسلامى ليحولوا دون نشوء أجيال أخرى مؤمنة بهذا الدين . ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا اللغة الروسية هى اللغة الرسمية في هذه البلاد الإسلامية من سنة ١٩٣٩ إلى الآن ، وبسبب ذلك فقدت تلك البلاد طابعها الإسلامى ، ونشأ شياها الأحداث لا يدرون شيئاً عن الاسلام ولا يشعرون بعلاقة بينهم وبين المسلمين أو الماضى الإسلامى . بل إن روسيا دربت عدداً كبيراً من أبناء المسلمين

الروتين الحكومى

خطب الاستاذ محمد فؤاد جلال (وزير الإرشاد القومى) فى قاعة يورت الأمريكية ، فكان مما قاله عن إصلاح الإدارة الحكومية : « إن أداة الحكم هى ذلك المخلوق الخطير المترامى الأطراف الذى أنشئ جهازه منذ أكثر من مائة عام وظل يتسع شيئاً فشيئاً . والثورة (يعنى تطور العهد الجديد) إما أن تقتل الروتين ، وإما أن يقتلها الروتين . وليس هناك حل وسط . ولذلك اتجهت الثورة إلى قلب الأوضاع فى نظم الأداة الحكومية قلباً أساسياً يجعل من هذه الأداة المعوقة أداة فعالة تستهدف ما تستهدفه الثورة نفسها ، بل تصبح جزءاً منها . وهنا لانجد الأمر هيناً كما وجدناه فى الخطوات السابقة التى لم تسكن فى ذاتها هينة . فان الأداة الحكومية قد وضعت لنفسها نظماً وقوانين وتقاليد بالمثون والشروح والحواشى ، وجعلت لنفسها دهاقنة وكهاناً لا تقلت من بين أصابعهم الدقيقة شعرة ، فأصبحت دولة داخل دولة ، بل أصبحت هى الدولة ، وكأنها غاية فى ذاتها ليست وراها غاية من الغايات . وواقع الأمر أن الأداة الحكومية وسيلة لتحقيق الغايات ، وإذا لم تفلح فى تحقيق الغايات فلا كانت ولا كان لها وجود . »

نواة الجيش الاقليمى

أخذت مصر فى افتتاح معسكرات لتدريب الشباب تمهيداً لجعلها نواة لجيش مصر الاقليمى ،

ولما افتتح الرئيس اللواء محمد نجيب معسكر إمبابة التى خطبة قال فيها : إن الله يحب الأقوياء ويكره المستضعفين . وهذه باكورة معسكرات التدريب العسكرى يقوم عليها نفر من خيرة شباب ضباطنا ليتعهدوا شبابكم بالتدريب على حمل السلاح واستخدامه ، وعلى رياضة النفس والجسم على تحمل المشاق واجتياز المصاعب ليعبدوا الشباب إعداداً قوياً للدفاع حين يحزب الأمر ويدوى النفير أن « انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله . »

تشجير مصر

قاد الرئيس اللواء محمد نجيب حركة مباركة لتشجير بقاع مختلفة من الأرض المصرية ، وإن العزيمة معقودة على غرس ملايين كثيرة من الأشجار بأيدى رجال الجيش وطوائف الطلبة والموظفين وغيرهم من الجماعات والأفراد . وقد خصصت لذلك مساحات واسعة من الأرض ، ويُنظر أن تكسب مصر من هذه الحركة الفشيطة قيام كثير من الغابات فى جميع الأنحاء .

العلم المصرى

تتجه النية إلى التحرر من الرمز للتابعة العثمانية الممثل فى العلم المصرى ، وتصحيح الرأى الخاطىء فى الشرق والغرب بأن الهلال رمز دينى فى الإسلام ، وليس فى الإسلام نص على أن الهلال رمز له ، بل إن استحداث

٣٣ ألف فدان ، وفيها مركزان إلى جانب حاضرتها وعدة نقط للبوليس في جهات مستكون مأهولة بالسكان . وقد وضع لهذه المديرية تصميم هندسى ، وينتظر أن يبدأ العمل في تنفيذ مشروعات العمران ، وأولها شق ترعة تبدأ من مصرف المحيط عند مديرية الجيزة ويبلغ طولها حوالى عشرة كيلو مترات وقد أصبح في حكم المقرر توزيع أراضي هذه المديرية على المعدمين وذوى الاسر المؤلفة من خمسة أشخاص على أن يكون نصيب كل أسرة خمسة أفدنة يزرعها صاحبها بتقاوى توزعها وزارة الزراعة .

مدافع مبررة للقاهرة :

اعتادت مصر من زمن الفراغة العناية بالاموات أكثر من عنايتها بالاحياء ، وتقيم لدفن الموتى مدافن أعظم مما تقيم من البيوت لسكن الناس . ومع أن الاسلام قد وضع حداً لهذا الشذوذ العمرانى ، فإن آثاره لاتزال باقية إلى الآن عند المسلمين وغيرهم ، مع أن المسلمين يرون منذ نحو أربعة عشر قرناً أن المسلم الاول في مصر والسبب الاول في اسلام كل مسلم فيها وهو عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ ، لم يشأ ابنه وسائر أصحابه من القواد والولاة والعمال أن يقيموا له على قبره بناء ، لان الاسلام يرى أن المسلم

الجلال في الراية حديث عهد حتى في الدولة العثمانية المنقرضة ، فإنها في بداية عهدها لم يكن الهلال رمزاً لها .

وقد اختارت هيئة التحرير علماً لها مؤلفاً من الالوان الثلاثة : البياض والسواد والحمرة ولا يبعد أن يعمم هذا العلم فيكون هو علم الدولة المصرية . وقد لاحظ بعضهم أن اللون الاخضر الذى تتألف منه أرضية العلم المصرى الذى يراد تغييره أصرح تعبيراً عن طبيعة مصر وخصب واديها وبركة نيلها في تربتها ، وعندنا أنه لا بأس في أن يكون اللون الاخضر هو اللون الثالث في العلم المصرى مع اللونين الابيض والاسود . ومن الثابت في التاريخ أن الرايات الإسلامية الاولى كان منها الابيض ومنها الاسود ومنها الاخضر ، وكان كل من هذه الالوان شعاراً لدولة عربية إسلامية مجيدة في التاريخ ، فإذا جمع العلم المصرى هذه الرموز التاريخية يبرز بالانسأر أو بالصقر الذى كان هو أيضاً من الرموز العربية والمصرية قبل الاسلام كان التوفيق حليف مصر في هذا الاختيار .

صبرية التحرير

تقرر إنشاء مديرية جديدة في الصحراء الغربية بالقرب من الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية تسمى (مديرية التحرير) . وستكون مساحة هذه المديرية

أبلغ الأمير فيصلا أنه سيجمل هدفه الثابت العمل على إعادة روح الثقة والطمأنينة .

فتنة القاديانية في لاهور

كان الداعية المأفون غلام أحمد القاديانى يرى بدعوته إلى أغراض متعددة أحدها إعانة الاستعمار الاجنبى بدعوى أن حكمه على المسلمين حكم شرعى ، وأن الجهاد نسخ ، وذلك فضلا عن الضلالات الأخرى فى هذه الدعوة كدعائه بأنه نبي يوحى اليه ، وإطالة لسانه على بعض الانبياء والصحابة ، وكان المنتظر من أتباعه المثقفين — ولا سيما بعد زوال سلطان الاستعمار — أن يكفوا عن هذه الدعوة وأن يرجعوا إلى أحضان الإسلام ويعملوا نشاطهم وقفاً عليه .

فلما رأى منهم مواطنوهم المسلمون أنهم لا يزالون على إصرارهم السابق فى الدعوة إلى هذه الضلالة ، وهم مواصلون نشاطهم فيها مستغزين مشاعر الجمهور الأعظم ، نشأت عن ذلك فتنة فى الأسابيع الأخيرة بمدينة لاهور قتل فيها أحد عشر شخصا وجرح أربعة عشر فأعلنت حكومة باكستان الأحكام العرفية فى تلك المنطقة وهيمن الجيش عليها ليحول دون وقوع اضطرابات أخرى .

تصحيح

تحرفت كلمة عام ، بكلمة علم ، فى وصف د سبيل الله ، بالسطرين ١٧ و ٢٢ من الصفحة ٧١٧ فى الجزء الماضى والصواب فيهما : د سبيل الله ، عام .

إذا مات يجب أن يخلد ذكره بأعماله لا بما يقام على قبره من أنصاب ومعالم .

نقول هذا المناسبة عزم ولاية الأمور على تخصيص ٢٥٠ فدانا فى الجبل الأخضر لإقامة مدافن صحية جديدة عليها يراعى فيها المساواة التامة بين الطبقات ، فلا يمتاز قبر الغنى لغناه على قبر الفقير ، بل يقتصر فيها جميعا على إعدادها بما يتناسب مع جلال الذكرى والشروط الصحية .

تحريم المسكرات فى برقة

أصدر ملك ليبيا قانوناً بتحريم المسكرات فى ولاية برقة على كل مسلم ، فأحسن بذلك إلى أهل ذلك الوطن الإسلامى فى عقولهم وأخلاقهم وثروتهم كما أحسن به إليهم فى دينهم

أمريكا والعرب

عقب زيارة الأمير فيصل السعود وزير الخارجية السعودية للرئيس ايزنهاور أصدر البيت الأبيض بيانا أعان فيه أن رئيس الولايات المتحدة أعرب عن اهتمامه وقلقه بقيام بعض الأدلة على أن العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية تدهورت فى المدة الأخيرة ، ويقول البيان إن ايزنهاور وعد بالعمل على تصحيح الأخطاء ، وأنه

فهرس

الجزء السابع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٧٧٧	أمانتان	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٨٣	دفاع عن الأزهري	» محمد عرفة مدير المجلة
٧٨٦	نفحات القرآن	» عبد اللطيف محمد السبكي
٧٩٢	التفسير	» حامد محسن
٧٩٧	السنة : التطهير في الاسلام	» طه محمد الساكت
٨٠٣	تنظيم العلاقة بين الإرادة والفرائض	الدكتور محمد عبد الله دراز
٨٠٩	نظرية السبب في العقد	» محمد يوسف موسى
٨١٤	شهر التصرفات بين القانون والشرعية	الاستاذ أحمد فهمي أبو سنة
٨١٨	حقيقة الوجوب والنهي	» عبد الله المراغى
٨٢١	نشأة كتب الأمالي	» عبد الوهاب حودة
٨٢٨	آراء وأحاديث : علوم البلاغة في الميزان	» محمود النسواوى
٨٣٥	حقوق الانسان في شريعة الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٨٣٩	جيل يؤمن بالأخلاق	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٨٤٣	نفسيات (شعر)	الاستاذ « السيد »
٨٤٤	لغويات	» محمد علي النجار
٨٤٨	الاسلام في أمريكا	» محي الدين رضا
٨٥١	الفتاوى	
٨٥٤	لماذا صار المسلمون هدفا للمستعمرين	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٨٥٧	الجندي في الاسلام	ليوزباشي محمد جمال الدين محفوظ
٨٦٠	رسول الله في الطائف	الاستاذ عبد المنعم النمر
٨٦٤	الحكم بما أنزل الله	» محمد محمد أبو شهبة
٨٦٩	الحاكم في الاسلام	» ابراهيم علي أبو الحشب
٨٧٢	الفرض العلمي	» سعيد زايد
٨٧٧	فضل الرسول على قومه	» عبد الغنى عوض الراجعي
٨٨١	أسرار الاسلام	» عبد الرحيم فرغل البلينى
٨٨٥	التشريع الاسلامي	قلم التحرير
٨٨٦	الكتب	»
٨٩٥	الأدب والمعلوم في شهر	»
٨٩٧	أنباء العالم الاسلامي	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠٠ في مصر والسردين
٣٠٠ للطلبة في مصر والسردين
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
من الجزائر

مجلة الأمان
مجلة شهرية تعليمية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد عبد الكريم
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثامن - في غرة شعبان ١٣٧٢ - ١٥ ابريل ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمانه الثانية

هي هذا التراث العلمي العظيم الجسم الذي ملا خزائن كتب الأمم من كنوز شريعتنا ، وجهود أعلامنا وأئمتنا وعلماؤنا وحكثائنا وخطبائنا في أربعة عشر قرناً .

هي هذا الثوب المقتسم بين أيدي الدهر ، وأهواء الملل ، وحسد الأقوياء ، وشموات العلماء والجهلاء ، وآفات الأرض والسما .

ومن قبل هذا التراث الإسلامي الأعظم ، كانت ألسنة أسلافنا وعقولهم مؤتمنة من الله على هذه اللغة العريقة في القدم ، البالغة في أوديتها وجبالها أقصى غايات الكمال والجمال ، حتى اضطر عدو العروبة والإسلام العلامة الفرنسي الكبير ارنست رينان لأن يقف - في كتابه تاريخ اللغات السامية - أمام عظمة العربية وجلال روعتها ، وخصب مادتها ، ودقة الاحاسيس التي تعرب عنها بكل حرف من حروفها ، وبكل صيغة من صيغها ، وبكل لحن موسيقى ساحر من ألحان نبراتها وجمال منطقها ، وبما في ظلال هذه الحروف والصيغ والالحن من باهر الدلائل على راحة أحلام قدماء الناطقين بها ، وسعة مداركهم ،

وبعد أغوار إنسايتهم ، فأنساه ذلك كله ما انطوت عليه نفسه من إحنة للعروبة والإسلام ، فلم يلبث أن رأى صوته يهتف بكلمته الخالدة يوم قال :

« إن هذه اللغة قد بلغت حد الكمال في قلب الصحراء عند أمة من الرحل ، ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . وكانت مجهولة من الأمم ، لسكنها من يوم علمت ظهرت للناس في حلال السكال ، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . ولا نعلم شيئا لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة كياناتها ، خالصة من كل شائبة . »

إن أمة اتتمنها الله على هذه اللغة المحسودة ، وعلى هذه الشريعة الحكيمة التي هي رجاى الإنسانية في مبادئها المثالية العليا لو قيض لها رجال يتقنون تنظيمها ويحسنون عرضها ويتعاملون بأحكامها وأخلاقها حتى يراها الناس بأبصارهم لا بأسماعهم ، ثم اتتمنها الله على جهود قادة الفكر وأئمة العلم فى الدنيا منذ كان الفكر معطلا من نشاطه إلا فى أوطاننا ، ومنذ كان العلم غريباً عن الناس إلا فى معاهدنا ومساجدنا وحلقات دروسنا ...

هذه الأمة التي اتتمنها الله على تراث للعقول والفهوم والعلوم لا نظير له فى ماضى أمة أخرى من الأمم ، ما أدرى بماذا يحكم عليها قضاء الله العادل جزاء لإعراضها عن هذه الثروة الفخمة الضخمة ، وإهمالها هذه التركة الغنية بأثمن موارىث الفكر البشرى والترف العلمى والمتاع الثقافى والأدبى .

أليس من العجيب أن يتسع وقت موظف واحد من موظفى الحكومة المصرية فى القرن السابع الهجرى لتأليف معجم لسان العرب فى عشرين مجلداً بلغ بها فى زمانه حد الاتقان ، ثم نعجز نحن وأزهرنا وجامعاتنا وجمعنا اللغوى عن أن نؤلف لزماننا معجماً للعربية يكون - فى إتقانه وشموله وسهولة استعماله وحسن التسلسل الاشتقاقى والتاريخى فى مواد - مضارعا للمعاجم الممتازة فى اللغات الأخرى ، ثم نختصر منه لجمهور المثقفين معجماً متوسطاً ، ونختار من الوسيط لصغار الطلبة معجماً وجيزاً ، فنسد بهذه المعاجم الثلاثة الوافية حاجة العصر إلى مراجع فى اللغة يرتاح الناس إليها ويقضون وطرم منها .

أليس من العجيب أن يحدث الله هذا الانقلاب السريع فى اتجاه الطلبة الجامعيين ، فبعد أن كانوا قبل عشرين سنة طابوراً خامساً يتنكر للتراث الإسلامى ، صار لنا منهم الآن

مئات ومئات يهتفون من أعماق قلوبهم : القرآن دستورنا ، لكنهم يبحثون آناه الليل وأطراف النهار عن مراجع جيدة يتعرفون منها إلى تفاصيل أحكام هذا الدستور القرآني فلا يجدون بين أيديهم ما يشبعون به نهمهم الفكرية ، وما يسهل به عليهم التفقه بسنن الإسلام في تكوين المجتمع الصالح ، والامة المفلحة ، والدولة الإسلامية المثالية .

إن فقهاء القانون الفرنسي - على قرب عهده - قد أصدروا معاجم لفقه قانونهم حافلة بكل معنى من معانيه وكل غرض من أغراضه ، مؤيدة بنصوص القوانين المعمول بها ، ومقارنة بأمثالها في مختلف البلاد اللاتينية الأخرى ، ومشفوعة بأحكام المحاكم العليا في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وغيرهن ، ومرتبة موادها على حروف المعجم ، فيستطيع القاضى أو المحامى أو طالب الحقوق أن يراجع كل معنى يريده في دقائق ليجد نصوص القانون وآراء علمائه في تفسيرها وأحكام المحاكم وحديثاتها في تطبيقها . أما فقهاء السابق على فقه القانون الفرنسي بأكثر من ألف سنة ، والذي ملأ علماءنا وأئمتنا خزائن الارض بأجود المؤلفات في تأصيله وتفريعه ، وفي شرحه وبيان حكمته ، وقد حكم به مئات الألوف من قضائنا في أوربا (الأندلس وغيرها) وفي آسيا وإفريقيا بأحكام أصابت كبد العدل المجرد عن كل غاية وهوى ، وأقوى بدقائق وقائعه ومختلف مذاهبه ألوف الألوف من أعلام الفتيا في جميع أمصار الإسلام من عصر الصحابة إلى الآن ، فإنه - وبالأسف - لا يزال مبعثراً في المخطوط والمطبوع من كتبه التي لم يتمرس بمراجعتها ولم يأنس بالإفادة منها حتى طلبة كلية الشريعة بالأزهر ، فما بالك بطلبة كليات الحقوق في الجامعات المدنية ! بل إن أنفس كتب الفقه وأئمتها لا تزال مخطوطة وموزعة في آفاق الشرق والغرب ، والمطبوع منها أصبحت طبعاته نادرة وفي حكم المخطوطة . وحتى غير النادر منها كيف يتوصل طلبة العلم إلى مراجعتها بوقت سريع وهي لم تنظم تنظيمًا مقارنًا يقوم عليه فقهاء ضليعون أمناء على هذه الشريعة ويعتبرون عملهم هذا عبادة كما كان فقهاءنا الأقدمون يتعبدون بهذا الضرب من ضروب القربة إلى الله عز وجل ؟

وأعلام هذه الامة من الصحابة والتابعين والفاحين والدعاة والحاكين والعلماء والادباء والساسة والمؤرخين والشعراء والمؤلفين وقادة الرأي ، لماذا لا يكون في الأيدى كتاب واحد يجمع تراجمهم جميعاً من قدمائهم الأولين إلى زماننا هذا ، ليجد شباب الجيل في سيرتهم الاسوة والقدوة ، وليعرفوا طريقهم إلى أهدافهم سائرين فيه على آثار من تقدمهم .

والمذاهب والنحل التي نجمت في الإسلام ، لماذا تبقى إلى الآن عالة في معرفتها على كتابي الشهرستاني وابن حزم ، ولماذا لا يقوم في علمائنا من يدرس ما جد بعد الشهرستاني وابن حزم من مذاهب وطوائف ونحل آخرها البسابية والبهائية والشيخية والبكتاشية والتجانية والقاديانية والاحمدية ؟ أليس من الفقر العلمي أن لا يكون في أيدي الناس معجم عصرى جامع لكل فرقة ونحلة وطائفة وطريقة ومذهب نجم في تاريخ الإسلام ، ولكل داعية من دعاة الفتنة والفساد الذين حاولوا أن يحدثوا في الإسلام بدعة لم تكن منه ، وانحرفا عن كتاب الله وسنة رسوله بالدس أو التأويل أو التضليل أو غير ذلك من أساليب الشيطان ، فيكون هذا المعجم قائماً على دراسة كل فرقة ، والتعريف بها من نصوص كتبها وصميم دعوتها ، وكيف تطورت ، وماهى مقاطع أطوارها ، ومن هم الذين مثلوا هذه الادوار ، وماهى مقاصدهم ، ولحساب من كانوا يعملون ؟ .

وهذا الوطن الإسلامى والعربى ، هل فى أيدينا معجم واحد شامل لكل ما فيه من أمكنة وبقاع كما هى اليوم وكما كانت من قبل ؟ إننا لا نزال نعيش فى ذلك على محمود أبى عبيد البكرى يوم كنا نحن أصحاب البلاد الإسبانية ، وعلى محمود ياقوت الحموى قبل مئات كثيرة من السنين . وقد قامت بعدهما معالم للعمران تغيرت بها الارض غير الارض ، وجدت لأبناء العروبة والإسلام ذكريات تاريخية ومفاخر أو كوارث ملية وقومية فى جبال وطن المسلمين والعرب وأوديته ومرابعه لم يكن يعرفها أبو عبيد البكرى ولا ياقوت ، فهل تحركت فى قلب عالم من علمائنا المشتغلين بالجغرافيا أمنية التفرغ لتأليف معجم جديد للبلدان الإسلامية والعربية يبنى فيه على ما أسسه البكرى وياقوت ، ويستقصى أسماء الامكنة والبقاع إلى زماننا ، وكما هى فى زماننا ، فتجيب به مواطن الذكريات للشأة عظمائنا وأحداث تاريخنا وميادين جهادنا الحربى والعمرانى والعلمى .

وحديث نبينا أيضاً كدنا نصير فيه عالة على الاجانب عنا فى ديننا ولغتنا وعلومنا ! أليس من النجمل أن يسهر فى بلاد هولندا رجال من علمائنا على دراسة السنة المحمدية فى دواوينها الكبرى دراسة شمول واستقصاء ، فيتبعوا كل لفظة وردت فى أى حديث نبوى ، ويثبتوها فى مكانها من معجم عظيم يشتغلون الآن بتأليفه ، ويضعون إلى جانب تلك اللفظة كل حديث وردت فيه ، ومكان ذلك الحديث فى كتبه المعتبرة مع تعيين أجزائها وصفحاتها من تلك الكتب . ونحن كان لنا من القرن السادس الهجرى كتاب النهاية فى غريب الحديث ، وهو معجم

لألفاظ السنة ألفه ابن الأثير الجزرى بعد مؤلفات كثيرة تقدمته فى هذا الموضوع ، وجدت بعده كتب أخرى على هذا النمط ، غير أن هؤلاء الهولنديين لم يريدوا من معجمهم تفسير غريب الحديث ، بل أرادوا استيفاء ألفاظه واستقصاء الأحاديث التى استعملت فيها هذه الألفاظ والدلالة على مواضعها من كتب السنة ليتمكن طالب كل حديث من معرفة مواضعه فى الكتب المشهورة بسرعة ويسر ، ومع أن المؤلف الأول لهذا المعجم قد مات ، فإنه قد خلفه على الاستمرار فيه عالم من مريديه وأصدقائه ، ثم مات هذا المؤلف الثانى ، فتكفلت مؤسسة (اليونسكو) بالإفناق على إتمامه والاستعانة بأهل العلم للبضى فيه ، وقد صدر منه إلى الآن ثمانية عشر جزءاً ، ومن الإنصاف الاعتراف للعاملين الأولين فى هذا الكتاب بأنهم لم يخطر على بالهم فيه أى كسب مادى ، وإنما قاموا به ليملأوا فراغاً علمياً شعروا - قبلنا - بوجوده ، فأعدوا أنفسهم لسد ثغرة العلم من هذه الناحية ، ومضوا فى عملهم بجد وصبر ومثابرة لا يعرف قدرها إلا من يعرف قدر العلم ، ويشعر بالسعادة فى السهر عليه ، دون أن يخامرهم خاطر من خواطر الكسب المادى من وراء ذلك .

وتاريخ العروبة والإسلام ، وهو من حاجياتنا الأساسية فى مدارسنا ودراستنا ، لا يزال إلى اليوم مهملاً ، بحيث لا نستطيع أن نزع من أن لنا كتاباً واحداً فيه يعطى صورة صادقة لأبناء الجيل عن عظمة أسلافهم وما قاموا به للإنسانية وأجسادها من جهاد لم تبلغ أمة من أمم الأرض عشر معشاره . وإن أسلافنا البررة المخلصين ، والمعاصرين لهم فى كل أدوار التاريخ من علماء الطابور الخامس فى الإسلام ، قد سجل هؤلاء هؤلاء وقائع التاريخ ، لجاء فيه الصدق والحق من طريق أهل الحق الصادقين ، وجاء فيه الإفك والزور من طريق ذوى الأهواء والمغرضين ، وقد يختلط هذا بهذا على الطلبة وأنصاف المتعلمين إن لم يبادر أهل الالامية من علمائنا العارفين بأقدار أسلافنا فيمحصوا هذه الروايات ويجردوها من آفاتها ويردوها إلى أصلها الصحيح ، ثم يحسنوا عرضها فى كتب وجيزة ومتوسطة ومطولة ، فيتم البعث بذلك للجهاد مجيد قام به عظماء كانوا بشهادة الله لهم ، خير أمة أخرجت للناس ، ، وسار فيه على قدمهم مجاهدون من التابعين لهم بإحسان ففتحوا الممالك ونشروا دعوة الله إلى الهدى ، فتبغ فى ظلال نظامهم رجال من أبناء البلاد التى دخلت فى الإسلام على أيديهم كانوا أئمة الدنيا ومفخرة العلم والعدل ، وكانوا هم الناس فى زمانهم . بينما كتب التاريخ التى تأقن الآن فى مدارسنا ومعاهدنا لا يجد فيها شباب الجيل الصورة الصحيحة لتلك العصور ، وكل ما فيها قشور عن اختلافات زيد فيها وحرقت عن حقيقة حتى صار

فيها العظيم صغيراً ، وذو اليد الكريمة على أمته ذمياً لثيماً . ولو أن ماضى المسلمين كان للألمان وأمثالهم عشرة أو جزء من مائة جزء منه في ماضيهم لكتبوه بأساليب حكيمة تقنع أبناءنا فضلاً عن أبنائهم بأنهم هم الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس . أنا لا أدعو إلى محاباة الأسلاف ، ووصفهم بغير ما كانوا عليه ، وإنما أدعو إلى تجريد سيرتهم من أكاذيب الطابور الخامس التي دسوها في كتبهم وأصابت فيما مضى رواجاً بتشجيع أهل الأهواء من ذوى السلطان ، وقد آن أوان تطهير التاريخ الإسلامى من هذه الطوارئ عليه والدخائل فيه .

نعم لقد آن أوان هذا التطهير والتنقيح في كتب المناهج ، ومن الواجب على معاهد الأزهر وعلى وزارة المعارف أن يعيدا النظر في كتب الدراسة ، وأن تكتتب من جديد بالأساليب التي تلائم تكوين الأمة تكويناً سليماً تقبوا به مكانها بين الأمم .

يزعمون أننا في عصر تقدم وارتقاء ، ومن الناس من يريد أن يوهننا بأن عصور أسلافنا كانت دون عصرنا هذا في نهضته العلمية وتقدمه الثقافى . ويكفى لإدحاض هذه الأكذوبة دليان قائمان لا يستطيع أن يمارى فهما أحد : أولهما أن الأقدمين كفوا أزمانهم ما كانت تحتاج إليه من المؤلفات والمعاجم الكبرى التي لا تزال عالمة عليهم فيها ، والآخر أنهم كانوا يعملون لله معتبرين العلم وخدمته عبادة لا يشوبونها بشئ من شهوات الكسب المادى أو أنانية الاستعلاء .

ولو أننا من خمسين سنة إلى الآن أخلصنا للعلم كما أخلص له ابن منظور في تأليف لسان العرب ، والنووى في تأليف ما خلفه لنا من مصنفات نفيسة ، وابن حجر العسقلانى في هذه العشرات الكثيرة من المجلدات التي خدم بها السنة ورجالها والشريعة وعلومها والتاريخ وأعلامه ، وابن تيمية الذى أحدث في علوم الإسلام بحثاً جديداً بمؤلفات مبتكرة لو تفرغ أربعة رجال من بدء حياتهم إلى نهايتها لبيصوا مسوداتها لما أتوا على آخرها — وهكذا كان علماءنا من زمن الإمامين الشافعى وأحمد إلى زمن السبوطى وأضرابه يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده - فلو سار علماءنا من خمسين سنة في طريقهم وخدموا العلم بالنية التي كان يخدمه بها الأسلاف ، لوجدت في الأيدي حتى الآن أمهات الكتب التي نحن محتاجون إليها ، ولا يمكن توزيع هذه الجهود بتأليف دائرة لمعارفنا كما ألفت الأمم - وآخرها اليهود - دوائر لمعارفهم .

وأعظم ما أتمن الله علمانا عليه من أمانات العلم في التراث الإسلامي (سنن الإسلام) التي يجب على كل مسلم إحيائها والعمل بها في الاخلاق الشخصية ، والتقاليد المنزلية ، والمعاملات في السوق ، والآداب في المجتمع ، والاحكام في المحاكم ، والاهداف في سياسة الحكم . وكيف يستطيع المسلم أن يحيي هذه السنن إن لم يعرفها ، وكيف يعرفها المسلمون إن لم يقيم العلماء بأعباء هذه الامانة الإسلامية بجد وحزم وعناية واستقصاء ، وأول مراحل القيام ببعث سنن الإسلام بعد العلم بها العمل بها ، وأول من يترتب عليه العمل بها العالمون بها . فإحياء سنن الإسلام أول جهاد العلماء ورأس واجباتهم ، ولأثم انحراف الامة عن هذه السنن وتعطيلها في جميع المرافق - بعد تعطيلها في النفوس والبيوت - واقع بلا شك على المقصرين في تعريف المسلمين بها ، ودلائلهم عليها بالبيان العلي ، وحسن عرضهم لها بالسيرة والتعامل والاخلاق .

وبعد فإن تراثنا العلي القديم أغنى وأضخم من تراث أى أمة أخرى ، ولكن تقصيرنا في دراسته وتنظيمه والإفادة منه قد تجاوز كل حد ، حتى كاد يحكم علينا المستشرقون بأننا لسنا من أهله ، ولو أننا نحن أصحابه لسكان لنا فيه شأن آخر .

ترى هل آن الاوان لتغيير موقفنا من امانة العلم ، وهل يحاسب كل منا نفسه على ما قام به في حركة البعث والإحياء ، انصل حاضرنا بماضينا ، ونكون أمتنا في عصرنا تكونتاً عربياً إسلامياً نعيد به ما مضى من جمال كياننا ، مع ما نحن قائمون به من تجهيزه بأحدث معارف العصر وصناعاته وأسباب قوة الاقوياء فيه ؟

إن التفكير في ذلك ، والتماس الاسباب لتحقيقه ، من تمام ما نحن فيه من تجديد ، في هذا العهد الجديد ؟

محّب الدين الخطيب

العاجلة والآجلة

من كلام سهل بن هارون :

من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منه .

الشرق والغرب، وهل يجتمعان

الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولا يلتقيان أبدا .

هذه الكلمة قالها كبلنج الشاعر الإنجليزي وشاعت في البيئات العلمية ، وأخذها كثير من الناس بالقبول ، وأدخلت في قلوبهم يأسا من الوصول إلى عالم أفضل يتفاهم فيه الشرق والغرب ، ويتعاونان لأعلى التغلب على مشاكل الإنسانية الحاضرة فقط ، بل على التغلب عليها في المستقبل أيضا ، فإن تعاون البشر جميعا يجب ألا يكون تبعا لمصلحة وقتية ، يبرمه قوم متى شاءوا ويحلونه متى شاءوا ، بل يجب أن يكون تبعا لمصلحة الإنسانية الخالدة في جميع عصورها ، ويجب أن يكون تعاوننا في العلم والأخلاق والسلوك . وفي غزو المجهولات من قوانين الكون ، وفي غزو الافكار والنظم التي تفكك بالبشر ، وفي غزو الأحقاد والأضغان والاطماع والاستعلاء والاستبداد ، وفي غزو الشقاء والحرمان ، وفي غزو هذا النقص الذي في الإنسانية والعروج بها نحو الكمال الممكن .

إننا نؤمن بأن هذا التعاون ممكن ، وأنه لا يقف في سبيله اختلاف بين الشرق والغرب ، وأن الشرق والغرب يمكن أن يجتمعا وأن يلتقيا لخير الإنسانية الحاضرة والمستقبلية . وسبيلنا هنا أن نساير هؤلاء القوم الذين يرون أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، ونعلم حججهم ونرى أهي تبرر لهم ما يعتقدون ؟

يرى القوم أن بين الشرق والغرب فوارق في العقلية والمعتقد والقيم الأخلاقية والنظر إلى الحياة . وهذا الاختلاف مما يبعد بينهما ويجعل الالتئام والتفاهم عسيرين ، فالغرب مادي موغل في المادية ، والشرق روحى موغل في الروحية ، والغرب تعنيه الحياة الدنيا والعمل لها أكثر مما تعنيه الحياة الأخرى ، والشرق بالعكس ، لذلك ترى الأول معنيا بإصلاح دنياه في حين أن الثانى مهمل لها ، والأول يحكم المصلحة حتى في عالم الأخلاق فلا ينفى بالتزاماته وعهوده ومواثيقه إذا رأى المصلحة في ذلك ، والثانى بالعكس ، فهو ينفى بعهوده ولو أدت إلى ضرره أو قتله أو قتل من يحب ، والأول يعتقد الحرية والاختيار في تكوين نفسه وصوغ مستقبله ، والثانى يرى أنه محكوم بقوة غيبية هي التي تصرفه وهي التي تحركه وقد كتبت مستقبلا

وهو ينشر ما كتبه ويتصرف في الحياة على ما رسمته . وهذان الاعتقادان لها تأثير عظيم في عمل كل منهما وفي تصرفاتهما في الحياة ، والاول ينسب الحوادث إلى أسبابها الظاهرة والثاني ينكر الأسباب وينسبها إلى الله مباشرة فعلا وتقديراً لأنه لا فاعل إلا الله .

وهذه الخلافات العقلية والنفسية بين الشرق والغرب كونها البيئة الطبيعية في كل منهما من الحر والبرد ، والرطوبة واليبوسة ، وسهولة الأرض وحزونها ، وخصبها وجدها ، وكرمها وبخلها... الخ . فإذا كانت الأرض على حالة ، كسّون أهلها على وفق هذه الحالة ، فالأرض الخصبة السكرية التي تعطى أهلها خيراتها عفوا تولد في أذهان أهلها سطحية لأنها لا تحوجهم إلى كد الذهن واستنباط الفكر ليأخذوا ما يحتاجون إليه منها ، والأرض البخيلة بالعكس تكسب أهلها عمقا في التفكير لأنهم يعملون عتولهم في استنباط ما يحتاجون إليه منها ، وكما تؤثر في العقول تؤثر في الأخلاق ، فالأرض التي تعود أهلها أن يأخذوا خيراتها في مواعيد محدودة لا تكاد تتخلف ، وبكثرة وسخاء لا تشح ولا تقل ، تعود أهلها السكرم والبذل والنهاون وعدم التفكير في العواقب ، والعكس صحيح ، فالأرض الشحيحة البخيلة بخيراتها تعود أهلها البخل والاحتفاظ بما في أيديهم والتفكير الطويل في المستقبل والاستعداد وأخذ الأهبة . وهكذا . وما بنى على أسباب طبيعية لا تغير فسيبقى ما بقيت هذه الأسباب . وكما كان الحر في المناطق الحارة يسود لون البشرة ، والبرد في المناطق الباردة يبيضها ، ولا تغير النتيجة ولو حاول المرء التغيير ، كذلك الحال في تأثير البيئة الطبيعية في الأخلاق والعقول .

إنني أعلم هذا جميعه ، وأعلم أن منه ما هو قابل للمناقشة ، وأنا أحاول التوفيق وإزالة أسباب الخلاف والعمل على تكوين مجتمع إنساني أفضل ، وأريد أن أقصد في بحثي وأتناول جزءاً من ذلك الموضوع العام وهو الإسلام والغرب ، وأرى أن الفجوة التي بين الإسلام والغرب ليست فيما ذكرنا بعضه من أخلاق وعادات وبيئات طبيعية وجغرافية ، ولكن الفجوة قد عمقها ووسعها حوادث تاريخية خلقت كثير أمن سوء الظن وعدم الثقة وقواعد السلوك والمعاملة . ونحن سنجمل بعض ذلك فيما يلي :

كانت المسيحية تبسط نفوذها على كثير من البلدان التي فتحها الإسلام كسورية ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس ، فكان كلما فتوح بلد آلم معتنق المسيحية ، وتناقلت أخباره الركبان إلى البلاد القريبة والبعيدة وكان له رنة أسى وحزن وعدوه خذلانا واندحاراً للمسيحية أمام الدين الجديد : الإسلام ؛ وكانوا يرونه رقا واستعباداً للمسيحيين

ويتناقولون الأخبار الكاذبة عن سوء المعاملة . وقد أراد المسيحيون أن ينصروا هذه الأكاذيب ويفرقوا في المبالغة والخيال ليبغضوا الشعوب المسيحية في الإسلام والمسلمين ليستثيروا عزائمهم وأقصى ما عندهم لدفع الإسلام وردده عن بلادهم .

وقد كان فتح بيت المقدس وسورية نصراً مؤزراً ذا نتائج باهرة وخيرات عظيمة للإسلام والمسلمين ، ولكنه كان من جهة ثانية أكبر العوامل في تعميق الهوة بين الإسلام والمسيحية ، فقد رأى المسيحيون أن الإسلام استولى على الأرض المقدسة التي هي مكان يحجون إليه من جميع بلاد الدنيا ، ويقدسونه لأنه ولد فيه المسيح وفيه تربى وفيه علم تعاليمه وفيه صلب ودفن - على ما يعتقدون - فهو محل الذكريات الدينية المقدسة وهو مكان الوحي والإلهام وموطن النفحات القدسية والبركات الإلهية والحج والمزار والتقدیس والاعتبار ، فكان ذلك حادثاً بغض اليهم الإسلام والمسلمين وأحدث فجوة عظيمة الاتساع عميقة الغور بين المسيحية والإسلام .

وعلى الرغم من أن الإسلام كان يعظم موسى وعيسى وآثارهما وكان يعظم داود وسليمان وأنبياء بني إسرائيل ويعظم بيت المقدس وجعله من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ، وعلى الرغم من أنه احتفظ بالكنائس والبيع لأربابها ، حتى أن الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب لما زار بيت المقدس بعد أن فتحه المسلمون وحضرته الصلاة أبي أن يصلى في كنيسة لل نصارى مخافة أن يتخذها المسلمون مصلى ومسجداً ، فنخرج من أيدي أصحابها ، وبالرغم من أنه لم يحل بين المسيحية والحج إلى بيت المقدس ، بالرغم من ذلك كله ظلت المسيحية ترى قلبها النابض الذي يرسل إليها الحياة في أيدي المسلمين فاستعمل رجالها الدعايات وصوروا الإسلام ديناً وثنيا يهيم بالشهوات الجسدية وليس فيه معان إنسانية مقدسة وصوروا رسوله بصورة الكاذب المشعوذ الهائم باللذة الجسدية والذي يدعو معتقيه إلى عبادتها والهيام بها .

أفسحت الدعايات الباطلة في خلق روح معادية للإسلام والمسلمين مملوءة بالاحقاد والاضغان والإحـن .

وكان هذا الرصيد من البغض والكراهية وحب الانتقام من الإسلام والمسلمين قد حمل أوربة ، ملوكها وقوادها وشعوبها ، على أن تقطع الفيافي والقفار والوديان والبحار لغزو المسلمين في عقر دارهم وتخليص الأرض المقدسة من أيديهم ولإعادة بلاد النصرانية إلى

النصرانية، وكانوا يرون من المسلمين معاملة إنسانية سامية، وكانوا يعاملون المسلمين معاملة وحشية قاسية ولم يخف حقدهم وموجدتهم مع هذا كله وتكررت الغزوات والحملات ومكثت ما شاء الله من الزمن الطويل .

وللآلم رأى فى دراسة التاريخ فى تسخره لخدمة شعوبها وأغراضها، فهم ترفع أوطانها وأبطالها إلى الذروة وتنقص الآخرين ولا يعنينا أن يطابق التاريخ الواقع، إنما يعنينا أن يخدم وطنها وأن تغرس الكرامة والمحبة لأحبائها وتغرس الحقد والبغض والهوان لأعدائها أولمن تراهم أعداءها، وعلى ذلك جرى التعاليم والتربية فى مدن أوربة ولقى الإسلام والمسلمون جوراً وظلماً وإتاهما كانا بريئين منها، ولكنها عمقت الهوة بين المسيحية والإسلام .

وكان لمثل فتح بيت المقدس فتح القسطنطينية، فقد كانت عاصمة الروم الشرقية وكانت المسيحية تعزبها، فلما فتحت كان له من الأثر مثل ما لفتح بيت المقدس .

وهذا هو السر الدفين فى كثير من الحركات والحوادث فى التاريخ، فالحروب المتوالية التى استمرت قروناً بين الأسبانيين والمسلمين فى الأندلس، والتى انتهت بإجلاء المسلمين عنها وخروج هذه الدرة اللامعة من التاج الإسلامى، وما كان فى خلال ذلك وبعده من اضطهاد دينى يقشع المرء منه عند سماعه، مرجعها هذه الروح التى ربّتها الأجيال والقرون والدعايات المغرضة، وهذا هو السر أيضاً فى أخطاء الباحثين فى الدين الإسلامى من المستشرقين، فكثير منهم كان يعالجه بهذه الروح، ولقد خرج بعض منهم من قيود هذه الروح فأنصفوا الإسلام وبنى الإسلام كالسكونت دى كاسترى وكارليل، ورأوا فيه ديناً أدى للإنسانية خدمات، وعرج بها درجات .

وهذا هو السر أيضاً فى أن أوربة تنكر على الإسلام والمسلمين أنهم ساهموا فى رقيها، وقاموا بقسط وافر فى نقلها إلى هذه الحضارة التى تنعم بها اليوم، والمسلمون فى الأندلس الذين جوزوا كما جوزى سنار، هم الذين دونوا الفلسفة وشرحوها ولخصوها وأزالوا عنها أغلاط القرون وفساد الدهور، فأخذتها عنهم وشغلت بها نقداً وتمحيصاً وبناء على ما عرفوا منها حتى كانت هذه المدنية التى يتمتع بها العالم اليوم .

هذه هى الحوادث التاريخية والدعايات الباطلة التى أثرت فى نفوس الغربيين وباعدت بينهم وبين الإسلام وخلقت روحاً عامة فى أوربة معادية للإسلام والمسلمين .

أما الحوادث التاريخية التى أثرت فى نفوس المسلمين وحملتهم على فقد الثقة بالغرب فهمى ما لا يزالون يذكرونه من الحروب الصليبية ومن تجمع أوربة عليهم وعلى غزومهم

في عقر دارهم ، ثم إخراج المسلمين من الاندلس ، وإزالة ملكهم منها ومحاكم التفتيش ، ثم حروب البلقان ومعاونة أجزائه على الانفصال من حكم الإسلام ، ثم تقسيم تركة الرجل المريض ، ثم ذلك الاستعمار الذي جثم على ممالك الإسلام وتوزيع المالك بين المستعمرين ، ثم حوادث فلسطين الدامية وتشريد سكانها في الغياض والفقر ، ومنح اليهود إياها تحت سمع العالم المتمدن وبصره ، فهي مثل الحوادث التي أثرت في نفوس أوربة ، والفارق أنه لم تصحبها دعايات باطلة ، فما زال عيسى ابن مريم في الإسلام روح الله وكلته ، وما زال يقر له بالكرامة والمعجزات وما زال ينزهه وينزه أمه عما قرفهما به اليهود وما زال يتلى في كتابه الخالد : « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

وقد أصبح الدواء معروفا بما تقدم وهو ينحصر فيما يأتي :

١ — أن ينصف الفريقان بعضهما بعضا في التاريخ فيعلم كلاهما أن الأرض التي هم عليها قد أخذوها من كان يملكها قبلهم ، وأن من كان يملكها قبلهم قد أخذها من كان يملكها قبله ، وهكذا دواليك ، وأن هذه سنة الله في الوجود ، وأنه لو صح لأحد أن يطالب بها بحجة أنه كان يملكها قبل ذلك بقرون ، لصح لسكان أرض فرنسا وإنجلترا الغابرين أن يطالبوا بإخراج الفرنسيين والإنجليز الآن من أراضيهم بحجة أنهم كانوا يملكونها قبل ذلك : ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لهن داوم وبذلك تسقط حجة اليهود في أن فلسطين لهم لأنهم كانوا يملكونها من قديم .

وقد كان بعض هذا التعافف فيه صلاح البشرية وتقدم الإنسانية . إذا علمت هذه الحقائق خفت الموجدات والاحتقاد وبطلت هذه السياسات التي تعمل على رد ما كان إلى ما كان .

٢ — أن تغير دراسة التاريخ في أوربة ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الإسلام والمسلمين ، فلا يدرسوه على وجه يحى العصبية على الإسلام والمسلمين ويدعو إلى احتقاره واحتقارهم ، بل يدرسوه دراسة منصفة تبين حقيقته وما قام به من جهد في تقدم الإنسانية وخدمة البشرية وأن تنصف المسلمين كذلك ، ومن حسن الحظ أن بعض علماء أوربة قد درس الإسلام وعلم حقيقته وأنصفه وأنصف المسلمين وبين ما لهم من قسط وافر في نقل الحضارة والعلوم إلى أوربة .

ومن حسن الحظ أيضاً أن هيئة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة قد علمت ضرر

دراسة التاريخ على وجه يثير العصبية والاحقاد فأوصت أن يدرس على غير هذا الوجه في الشرق والغرب والعبرة بالتنفيذ ؛ ونرجو أن يصاحبه التوفيق .

٣ — يجب أن يزول نظام الاستعمار وتسلط أمة على أمة وأن يكون لكل أمة الحق في تقرير مصيرها ، وإذا كان الضمير الإنساني قد أنكر أن يستعبد فرد فرداً ، فأعظم نكراً منه أن تستعبد أمة أمة . يجب أن تزول علاقة السيد بالمسود والحر بالعبد وتحل محلها علاقة الشريك بالشريك والمعاون بالمعاون والحر بالحر . وتجربة بريطانيا في الهند والباكستان تشجع على ذلك .

وكا أن نظام الرق يجعل الأرقاء لا يصلحون لشيء إلا لخدمة من استعبدوهم ، كذلك نظام الاستعمار يعطل المواهب والعقول ويسخر الأمم لخدمة المستعمرين . وهذا مخالف لسنة الوجود ، لأن البشرية تريد أن تنفع من جود جميع أبنائها وأن يعمل الجميع لتقدمها ولا تحتل فساد طائفة لأن الفساد يهدى ، والداء يسرى .

إن الاستعمار يولد بغضاً وحقداً في الأمم المستعمرة على من استعمرهم ، وكذلك يولد الحقد والبغض بين الأمم الراقية ، لأن الأمة المحرومة تجسد على الأمة التي ملأت يديها من خيرات الأرض وفازت بقسط أكبر من المستعمرات ، فتريد أن يكون لها هذا النصيب فتشعل نار الحرب . وإذا دقت النظر في الحربين العالميتين الأخيرتين وجدت أسبابهما ما ذكرنا ، فإنك تلمح المجال الحيوى الذى كانت تشبث به ألمانيا ، وتدعو إليه ، وتلمح موازنتها بين ما يملكه الفرد الألماني من الأرض وما يملكه الفرد الهولندى أو الانجليزى أو الفرنساوى والفرق الشاسع بينهما بسبب الاستعمار .

ومهما قيل من أسباب أخرى ، فذلك إبعاد في الخطأ وإيغال في البعد عن الحقيقة ، ولفت للانتظار عن السبب الحقيقى وذلك ليس فى مصلحة الإنسانية .

ومن حسن الحظ أيضاً أن هيئة الأمم المتحدة أدركت ذلك أيضاً وأعلنت حقوق الإنسان وحق كل أمة فى تقرير مصيرها ، ونقولها ثانية : إن العبرة بالتنفيذ ، وقد سمعنا مثل هذا فى شروط الرئيس ولسون عقب الحرب الأولى ، كما سمعنا الميثاق عقب الحرب الثانية من الرئيس روزفلت . من مصلحة الإنسانية أن يكون ذلك صدقاً وحقاً ، وأن تعمل الدول على تحقيقه .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

نَحَاتُ الْفِرَافِ

- ٤ -

٣ - البيت العتيق

، وأتموا الحج والعمرة لله ،

في ظل الدعوة الجديدة التي هتف بها محمد ﷺ في مكة ، واستقرت دعائها في المدينة ، وكثر سواد المسلمين بها ، كانت للنبي وأنصاره غلبة على قريش ، واستردوا البيت من أيديهم بعد أن حيل بينهم وبينه ثمان سنوات ، منذ هجر النبي وصحبه وطنهم الأول إلى دار النصر والإخاء . منذ اليوم خضعت رهوس كانت تتشاخ بالجبروت ، وخشعت للحق أصوات كانت تصايح بالباطل ، ودكت في هوان ومذلة أضنام كانت تحاط بالإجلال . . وطهر البيت العتيق من لوثته ، وعاد كما كان أول نشأته ، وتركزت راية الإسلام في مستقرها الأول . وعرفوا بعد طول شقاق أن لله الدين الخالص : . ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق . .

وإلى اليوم لم يكن حج البيت عندهم إلا تقليداً موروثاً ، وعادة مرعية يحتفظ بها العرب كما كانوا يحتفظون بغيرها من عادات وتقاليد ، ولئن كان في أول أمره ديناً على عهد إبراهيم وإسماعيل ، فقد تبدل كما تبدل الحق بينهم في كثير من صورته ، وطنى عليهم الباطل في أغلب الأوضاع .

فأما وقد نهض الحكم لله في مكة المعاندة ، وأصبح الشأن للإسلام الذي كان طريداً منها ، فقد آنت دعوة الناس جميعاً إلى الحج والعمرة بعد أن استقرت بمسكة قدم الفاتحين بعام واحد : أعنى في السنة التاسعة من هجرتهم إليها .

وبذلك تألفت أركان الإسلام الخمسة ، إذ كانت الصلاة ، والزكاة ، والصوم قبل الحج بأعوام .

وأصبح المسلمون من قريش وسواهم يتشبهون بشعار الوحدة الدينية المتناسكة ، وأصبح

البيت من جديد ملقى جوعهم وإن شطت بهم الديار ، وموسم تزاورهم ولأن اجتازوا لآليه المهام واستهدفوا للأخطار ، وقبلة صلاتهم ، وإن ترامت بهم الأقطار وزحرت دونهم البحار . فهو البيت الذى تتوحد فيه أوطانهم ، وتتدجج عنده جفسيانهم ، وتأتلف حوله عواطفهم ، وتتآخى على الحب قلوبهم .

فإذا اجتمعوا لآليه : أحاطوه بالاجساد والارواح .

وإذا تفرقوا من حوله : رmqوه على البعد بالافتدة ، والخواطر ، والبصائر ، فأى صلة تكون بين المسلمين أكد من هذه ؟؟

وأى عهد أو ثق عند الله من عهد تولى الله عقده بينه وبين خلقه ، وربط به بين الآخذين بدينه ، وجمعهم به على ملة أبهم إبراهيم ؟؟

ولم تك ملة إبراهيم سوى الإسلام مهما تحيفوا منها ، أو بدلوا فيها ، أو صبغوها بالطائفية ، وسموها بغير ما سماها الله .

« ما كان لإبراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ، « أم تقولون إن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والاسباط : كانوا هوداً ، أو نصارى ؟؟ قل : أنتم أعلم أم الله ؟؟ » ،

دين إبراهيم هو الإسلام : الإسلام الخالص . . « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

فن الذى يرتكس فى الضلالة عن هذا ، أو تجرفه الجهالة فيحسب جميع الناس سواء فى عاقبتهم إذا كانوا على عمل طيب فى دنياهم ، ويتعالى عما فرق الله به بين خلقه فيما يعتقدون . . « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد . . » هذا تقرير القرآن ، وما سوى ذلك فباطل^(١) . درج المسلمون على هذا ، وفرغوا قديماً من تمحيص العقيدة ، واطمأنوا إلى ما بينهم من أسباب تصلهم بالله ، وتجذبهم إلى نقطة الارتكاز التى هى معقل الإسلام وبرجه الشاىخ الظليل ، ... وهم حقيون بالبيت العتيق وإن ازورت منه أم ضالة ، وفرحون به وإن حنقت عليه طوائف مكبوتة ، ومتعلقون به وإن انحرفت عنه نفوس مريضة .

وهم يعتقدون حقاً أن من رحمة الله بهم، وكرمه فيما تخير لهم أن دعاهم إلى الحج والعمرة، وجعل هذا فيما شرع لهم أمراً حتمياً ولم يكن اختيارياً، إلا لمن أدى فرضه، وأبرأ ذمته.

ونحن نقف الآن من حكمة الله موقف المستهدى إلى تعرفها، والتثبت منها، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، فאלله سبحانه يقول بعد تشريعه دعوة الناس إلى الحج :
« ليشهدوا منافع لهم » .

فما هي تلك المنافع التي يستهضئها إليها القرآن، بل استهضئنا إليها الإسلام من عهد إبراهيم عليه السلام، وأين هي؟ سيما أن القرآن يوجهنا إلى أنها مشهودة، والمشهود لا يحول بينه وبين مبتغيه إلا أن يخف إليه، وبدركه فيما يدرك بجهد يسير.

كما أن القرآن لا يدعو إلى أمر متخيل، ولا يرغبنا في خير طفيف، وإنما يعتمد الواقع، ويبحث على الجزيل.

ونحن في ضوء هذا التوجيه نلاحظ أن أسلوب الدعوة إلى الحج أقرب إلى الترغيب والتشويق والإطباع في الخير، ويكاد لا يفصح عما يلبس أعمال الحج من متاعب كما يفصح عما يقترن به من آمال، فأنت تقرأ - مثلاً - قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقتضوا تقشهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه - ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » .

تقرأ هذه الفقرات فتلص فيها ترغيباً قوياً، وتلص فيها إشادة بالأيام المعلومات - أيام الحج - ، وإشادة بذكر الله في هذه الأيام لما لها من خصوصية، وتلص فيها امتناناً من الله على عباده بما رزقهم من بهيمة الأنعام، وبما أتاح لهم من هناءة مباحة، ومن عمل صالح، فهم يأكلون، ويطعمون البائس الفقير، وهم يوفون لله بما نذروا، ويطوفون ببيته، ويعظمون شعائره، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

تقرأ هذا السياق الرطب المعسول عن الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، وما يتصل بذلك من مقاصد مشكورة، وهذا يهرك ويغريك ويفسلك ما قد يكون من نصب وعنت، وتقرأ في مقابلة هذا شيئاً عن الإحصار الذي يصادف المحرم بعد أن تلبس بالنسك، والزم

وفاء واحتمال ما به من حرج ، وتقرأ عن حظر الصيد في الحرم ، وحظره على المحرم أينما كان ، وعن عدم حلق الرأس إلى أمد معين ، وعما سوى ذلك من محظورات الإحرام ، وما يترتب عليها من فدية وجزاء ؛ على ما هو مبين ويعرفه أولو العلم .

والنظر إلى هذا الجانب يوقع في الروع أن في الحج متاعب ، وخاصة على المغترب والمترف ، وأن العناء في أعماله قد يزيد عما هو في الحسبان ، وقد ينال من الإنسان كثيراً .

فلم أفصح القرآن وأشد في جانب الدعوة ، ولم أجمل واقتصد في الجانب الآخر : جانب المشقة ؟

قلت : إن القرآن يعتمد الواقع ، ويرزه في صورة تكشفه ترغيباً فيه إن كان مشوقاً ، وترهيباً منه إن كان مخوفاً .

لذلك كانت لإشادته بنفع الحج بقدر ما علم الله فيه من خير ومغرم ، فإن فاتنا شيء من علم ذلك الخير المرجو ، فحسبنا اطمئناناً أن الله نوه إليه ، ووعد به ، ورغب فيه وأحبه لنا ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه .

وأما ما يعلق بالحج من مخاوف ، أو يعترض قاصد بيت الله من مشقة ، فلا يداني ما فيه من فضل ، وما له من مقام . لذلك لم يأبه القرآن في هذا الجانب إلا بذكر ما يترتب على المحذور ، وبيان ما يقتضيه الشأن ، وما سوى هذا فلا يقام له وزن في باب الطاعات ، ومن شأن النفوس الخيرة السلسلة القياد أن تسبق إلى الغرض وتتوق إلى الفوز ، وتخف إلى المبادرة ، وتذئط إلى التلبية غير حاسبة حساباً لما يلم بها من شظف . . على أن متاعب النسك قد لا تبلغ في قسوتها على المترف مخاوف سفر آخر يقصد للربح ، أو يراد لغاية أخرى من الغايات .

في حين أن أي سفر آخر وإن عظم لا يجدي على المرء ما يجديه القصد إلى بيت الله الحرام فإذا كان الريح الهين ، والمتعة التافهة مما يدفع بالناس إلى ركوب المخاطر ، فكيف يقعد المستطيع عن ربح خطير وعد به الله ، وهتف به القرآن ؟ ؟ .

ومع هذه الموازنة وبيان أرجحية النفع فقد يسر الله على عباده ، وجعله في العمر مرة ، وشرط فيها القدرة والأمن ، وكان من شأن هذا التيسير أن يجتذب الناس إلى السمع والطاعة خروجاً من عهدة الفرض وشكراً على هذا الرفق ، ولكن الناس توسعوا في تحمل المعذرة

واستمرأوا حتى توانوا عن ركن من أركان دينهم ، وهم قادرون عليه ، وانتقضوا في تبجح بغيض على أقدس مظهر من مظاهر الفوقية الدينية ، وأجهر شعيرة من شعائر الإسلام .
نستطيع بعد هذه اللفتة اليسيرة أن نعود إلى تعرف المنافع التي حدثنا القرآن أنها مشهودة ، وهي بعينها الحكمة التي نيط بها تشريع الحج والعمرة في دين الله منذ القدم .

١ - نرى الحياة الدنيا بعد أن اجتازت من عمرها شوطاً بعيداً ، ونرى الحضارة منذ بدأت تنضج في جوانب دنياها ، ونرى العقلية الاجتماعية منذ نشطت من عقالها : ترى كل هذه الأمور الثلاثة توجه الناس توجيهاً لا مندوحة عنه إلى الاتصال ، وتدفعهم دفعاً إلى التلاقى ، وتحفزهم على تقريب المسافات رغبة فيما وراء هذا من منافع لا تال إلا باشتراك الجهود في عمارة الدنيا ، وبسط أجنحة الحضارة ، وإسعاد الإنسانية أينما كانت ، وبهذا ترددت في الآفاق دعوات المصلحين الواقفين على مشارف النهضة ، بعد أن كشفت لهم تجارب الزمن عن الحاجة إلى التضافر الأشمل : غير أنهم وإن تصايحوا بالدعوة إلى تلك الأهداف لا يزالون أشتاتاً متفرقين في الاتجاه ، لأن إيمانهم بما يدعون إليه لم يتزده عن الغابات ، ولم تبرأ دعوتهم من الالاعيب ، ولم تزل نياتهم في قبضة الشيطان .

ولكن الإسلام - وهو دين الفطرة - أدرك من قبل : ما أدركه الناس من بعد ، فسبق إلى تشريع مؤتمره العام ، وحاطه بنظام يغني عن السكد في التقنين وهياً للمسلمين ، بل حتم عليهم أن يتلاقوا في مؤتمهم كل عام في بيت الله الحرام .

وما كان لدين بوجه دعوته إلى من هنا ومن هناك ، وينظر إلى سكان الأرض نظرة سواء ، ويرى إلى تكوين أمته على غرار متحد وقومية متماسكة : ما كان له أن يغفل جمع أهله في مواسم معهودة ، ليتعرفوا ما بينهم ، ويدركوا ما يحيط بهم ، ويأخذوا بما ينبغي لهم ويجدر بهم ، حتى لا تتعطل مواهبهم ، ولا تضعف شوكتهم ، ولا يستبد الجهل بعقولهم فتضييق عليهم سبل الحياة بما يصيبهم من كسل ، أو يحدق بهم من هوان .

باجتماع المسلمين في البلد الأمين كل عام تفتق أذهانهم عما توحى به الفطرة الجماعية ، ويستفيدون من بحال الرأي ما يدعون به حياتهم ، ومن التعارف ما يشد أو أصرهم ، ويتعاضمون به على من عاداهم ، ويرهبون به من طمع فيهم ، وذلك جانب خطير في تركيز الدولة لو فطن الغافلون .

فأنت ترى من هذه الناحية وحدها أن الإسلام ، القديم على حضارتنا الراهنة ، قد سبقها

منذ قرون إلى جدتها المستحدثة ، وهو مع ذلك أكمل في نظامه ، وأصدق في دعوته : وأخلص في أهدافه ، فهو شباب في حضارته وإن تقدمت به السنون .

٢ — وناحية ثانية - لا يعوزها الإيضاح - فيما ينطوى عليه تشريع الحج والعمرة : ناحية التربية الفردية ، لتكوين أشخاص تتألف منهم الأمة الممشودة .

فالإسلام في مساوئه بين الناس يتمثل في مظاهر المحرمين بالنسك من الرجال ، لاذ يقتضيه أن يخلعوا ملابسهم ، ويطرحوا ما عساه من يمزات البيئته ، ومظاهر النعماء ، ليتوارى عن الآخرين ما يكون من أمارات السؤدد ، ومياسم المجد ، فلا زهو ولا خيلاء ؛ أو ما يكون من أكرمية فيها ابتذال وراثته ، فلا غضاضة ولا هوان .

فإذا استووا في شعار الإحرام على نحو ما وصفت الشريعة - إلا من اضطر - أحس الجميع بتلاشي الفوارق ، ورجعت بهم الخواطر إلى المساواة في العبودية لله ، وإلى الأخوة في الإنسانية ، وصغرت في نفوسهم الظواهر الشخصية أمام العزة الدينية ، ودبت فيهم الحساسية بالكرامة ، وأنه لا سيد بينهم ولا مسود ، ولا راجح ولا مرجوح ، ولانماهم جميعاً عفاة ضارعون ، خرجوا من ديارهم ، واغتربوا عن أهلهم ، وخلفوا وراءهم ما كان يشغلهم من أموال ، ومن كان يعز عليهم من بنين ، وتمثلوا في تجردهم من الخيط بما سيلقون عليه ربهم بعد ارتحالهم عن الدنيا . وتقدموا في تواضعهم هذا إلى ساحة إله كريم ، يجأرون إليه بالاستجابة : (لبيك اللهم لبيك ؛ لبيك لا شريك لك لبيك الخ) . وهكذا يناجون ربهم بالدعوات الطيبات ، ويستشفعون بأعمالهم الصالحات .

يتعاطف بعضهم على بعض ، لأن الإسلام هو اللحمة الواصلة بينهم ، ومرضاة الله مطعمهم وأملهم ، وبذلك تذهب الانانية من بينهم ، ويملا الإخلاص قلوبهم ، وتركز لديهم العقيدة الإسلامية على أساس من الحق ، وركن شديد من اليقين .

وإذا كانت هذه الخصائص من نفحات الله على بيئته ، ومن فيضه على زواره ، أفلا يكون من الخير لعباده أن جعل الحج إليه ركناً من أركان دينه ، ليتفقهوا ويفقهوا : كيف جعل الله السكبة البيت الحرام قياماً للناس ، ؟ ؟

وإذا فقهوا ذلك فإن يصرفهم عنه كبرياء ، ولن يزهدم فيه خطأ في التقدير ، وسيعلمون ، أو يعلم الموفقون المهديون منهم ، أن المتقاعدين عن البيت - وهذا شأنه -

متخلفون عن نفع كبير ، وخير غير يسير ، وأنهم منتقضون على نظام خطير وضع لصلاح الفرد ونظام المجتمع ، ولأنها لكبيرة لا يبرء بها إلا من سفه نفسه .

ولكن : مهما غفل عن بيت الله غافلون ، فإن جماعة المسلمين على إيمان حق بأنهم إذا شتتوا إلى البيت فإنما يلوذون بمقام تهبط فيه الرحمت ، وتستجاب عنده الدعوات ، إليه يلجأ العائد بربه ، ويظهر فيه التائب من ذنبه ، ويتجدد فيه العهد ، ويتوثق فيه الإيمان .

هو مشهد تزدهم فيه الاشباح ، وتناجى ربها الأرواح ، والمسلم الحاضر هناك . . . أخو المسلم الغائب هنا . . . يذكره كما يذكر نفسه إذا زار البيت ودعا . . . ويذكره إذا وقف بعرفات وأفاض ، وإذا طاف وسعى ؛ وربك بمن دعاه قريب ، وهو للأوابين مجيب . ورب قائل : - قد يفيض الرضا من جانب الله ، ويغمر من لدنه العفو ، وقد يشمل بإحسانه القاصر والمقصر ، والغافل والمتذكر ، ويهب العاصين للطيعين ، والمذنبين للمستغفرين ، ثم يدخل عبادته في ساحة رضوانه أجمعين .

نعم ! ! ولكن - سبحانه - علينا أن الأمل لا يغنى عن العمل ، والرجاء لا يجدى مع السكسل ، وقد أهاب بنا إلى طاعته ، فحق علينا أن نستجيب لدعوته .

فأما العفو المطموع فيه فمن شأن ربك ؛ وقد وعد العاملين المتخلصين ، وهو أعلم بالسرائر ، وأدرى بالنوايا . . . وكرمه أوسع من أن يضيق بالرجاء ، وهو لا يخلف الميعاد .

(للحديث بقية)

عبد المظيف محمد السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

تدارك

وقع اشتباه في المقال السابق بعدد رجب ، إذ أننى ذكرت (ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم) والصواب (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) الآية فأرجو التنبه مع الشكر .

السنة

٣- النظير في الإسلام

مبايعات النساء على التطهير - مكان المرأة في الإسلام - هل تستعيد المرأة سيرتها الأولى؟ - التطهير بالحن والبلايا حتى يحسن ستر العورات ؟ - القول الفصل في مبايعات الصوفية - دعوة إلى إصلاح الطرق .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ : أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا يَعْصَهُ بَعْضُنَا بَعْضًا ^(١) فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأَقِيمَ عَلَيْهِ فَوَ كُفَّارَتُهُ ، وَمَنْ سَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَبُهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَهُ لَهُ .

رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

* * *

رجعنا في صدر البيان لهذا الحديث أن المبايعات على التطهير من هذه الموبقات الست كانت بعد فتح مكة ، وبعد نزول آية الممتحنة ، يأبها النبي إذا جاءك المؤمنات يباعدنك ، فبايع النبي ﷺ النساء ، ثم بايع الرجال على وفق مبايعتهن اقتداء بالقرآن الكريم .

وكننا سقنا في كل من المقالين السابقين لفظ البخاري لهذا الحديث في كتاب الإيمان ،

(١) أى لا يرميه بالعضية وهى البهتان والكذب ، فالجمله هنا معنى الجملة الاخرى « ولا تأتوا بهتان يفترونه بين أيديكم وأرجلكم » .

لأنه أوفى الروايات وأدله على فضل هذه البيعة والمبايعين؛ ثم بدا لنا في هذا المقال الأخير أن نختار رواية مسلم في كتاب الحدود، تأييداً لما رجحناه، وتمهيداً لذكر مبايعات النساء ومكانهن في الإسلام..

لقد بايعن الرسول ﷺ وبايعهن غير مرة : في مكة بعد الفتح ، وفي المدينة ، أخرج الإمام مالك في موطنه عن أمية بنت رقيقة ^(١) رضي الله عنها أنها قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة بايعنه على الإسلام ، فقلن يا رسول الله : نبايعك على ألا نشارك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف ؛ فقال رسول الله ﷺ : فيما استطعتم وأطعتم ، قالت فقلن : إني الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هلم نبايعك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة .

وعن بايعنه بمكة ، صلوات الله وسلامه عليه ، هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، ففي حديث أسماء بنت زيد قالت : كنت في النسوة المبايعات وكانت هند بنت عتبة في النساء ، فقرأ رسول الله ﷺ عليهن الآية ، فلما قال وعلى ألا يشركن بالله شيئاً ، قالت هند : وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله من الرجال ؟ فلما قال : ولا يسرقن ، قالت : والله إني لأصيب الهنة من مال أبي سفيان لا يدري ، أيحل لي ذلك ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها ، فقال لها : وإنك لهند بنت عتبة ، قالت : نعم ، فاعف عما سلف يا نبي الله ، عفا الله عنك ؛ فقال : ولا يزنين ، فقالت : أو تزني الحرة ؟ تعني أن الحرة لا تزني أو لا ينبغي لها أن تقترف هذه الفاحشة ! فإنها لا يتردى في بورتها إلا الأمة وأشباهها من الساقطات ، وإلا فلايس يخفى على مثلها أن ذوات الرايات في الجاهلية كن حرائر ! فقال : ولا يقتلن أولادهن ، فقالت : ريبناهم صغاراً وقتلتهن كباراً ! تعني ما كان من أمر ابنها حنظلة بن أبي سفيان ، فإنه قتل يوم بدر ، فضحك عمر حتى استلقى ، وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنها قالت : قتلت الآباء وتوصينا بالأولاد ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ولا يأتين بهتان ، فقالت : والله إن البهتان لا مرقبيح ، ولا يأمر الله تعالى إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ؛ فقال : ولا يعصيك في معروف ، فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا

(١) بقاين مصفرة كابنتها ، وفي بعض النسخ رقية وهو تحريف .

أن نعصيك في شيء . ولم يرو عن امرأة من المبايعات على كثرتن ما روى عن هند في جرأة مراجعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة تعقيبها عليه ، وإذا صححت هذه الجرأة في المراجعة فلجدائة عهدا بالجاهلية ، مع حدة في اللسان وقوة في الجنان ، ثم لمكان ابنة زوجها أم المؤمنين رمة ^(١) ، رضى الله عنها ، من النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

واحتفال القرآن العظيم والنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بمبايعة الفصاء وتعليمهم وإرشادهم والاستماع إليهم ، ثم مبايعة الرجال على منهاجهم - أعظم دليل على إنقاذ المرأة من هذنتها ، وإعلاء الإسلام لمكانتها ، والسمو بها إلى أوج العزة والكرامة ، بعد أن كانت من سقط المناع !!

ولو أن المرأة عرفت في الإسلام مكانتها ، لشكرت نعمة الله عليها ، بالتزام حدوده وآدابه ، واستمسكها بهديه وكتابه ، ولما بدلت نعمة الله كفرا ، فسلبت نعمة المعرفة والهداية . وتخبطت في متاهة الضلالة والغواية ، فلم يكن عجا - وقد ركبت رأسها ، ومشت مكبة على وجهها - أن تنبذ ما ملكها الإسلام من ملك عظيم ، بهرج من المدنية الكاذبة ، وزبرج ^(٢) من الحضارة الفاتنة الصاخبة ، حتى خسرت نفسها ودينها ومكانها جميعاً !!

يبد أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه لمن شاءت أن توب إلى رشدها ، وتنظير من رجسها ، وتنظر بنور الإسلام إلى تاريخها ، مستعينة بالله تعالى أن يعيدها سيرتها الأولى .

* * *

وبعد فقد بينا في المقال السابق درجات الناس في النظير من الموبقات ، وضربنا أروع الامثال بأناس جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وذكرنا فيمن ذكرنا أناساً لم يقدروا على تطهير أنفسهم جهرا ، أو قدروا ولكنهم آثروا ستر الله ، فطهروا أنفسهم فيما بينهم وبينه سرا ، رأوا أنه تعالى ستر يحب الستر ، وأنهم ما كان لهم أن يكشفوا ستر الله عنهم وقد سدل عليهم وجلهم ، فباو الله ضارعين باكين ، منفقين مستغفرين ، مستكثرين من الصالحات والخيرات ، مطمئنين إلى أن الحسنات يذهبن السيئات .

(١) كنيها أم حبيبة ، وأما صفية بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان رضى الله عنه .

(٢) الهرج . الباطل ، والزبرج الزينة والذهب والسحاب اه نهاية .

ومن شكر نعمة الله تعالى على عبده في ستر فضائحه ومساويه - وما أعظمها من نعمة - أن يستر عورة أخيه ، ويعف عن ذكرها ما استطاع إلى الستر سبيلا ، فقد روى أبو داود والفسائ عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال ، قال رسول الله ﷺ : من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودودة . وفي حديث مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه : « ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة » ، ولكن لا يحسن الستر إلا على ذى مروءة تعد هفواته ، ويرجى منه الخير وقبول النصيحة ؛ وأما من لا يرعوى عن غيبه ، ولا يبالي بنصح الناصحين ، ولا هداية الهادين ، فإن الستر عليه لا يزيده إلا غيا وضلالا ! .

وآخرون أراد الله بهم خيرا فعجل عقوبتهم في الدنيا بما ابتلاهم من ضروب المحن والبلايا ، حتى يلقوا ربهم ، طهرين أبرارا . فقد روى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يأتى الله تعالى وما عليه خطيئة . وروى الترمذى أيضا عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، ولذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وروى الشيخان عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب^(١) ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها . وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه لما نزلت : « من يعمل سوءا يجز به » ، بلغت من المسلمين مبالغا شديدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة ، حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها .

* * *

وإنما تكون النكبات والمصائب - على اختلاف ضروبها - مطهرة ومكفرة ، إذا صبر المصاب عند الصدمة الاولى ، راضيا بقضاء الله وقدره ، مؤمنا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ فإن أمر المؤمن كله له خير : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له . ومن آثار عمر رضى الله عنه : الصبر

والشكر مطيتان لأبالي أيهما ركبت . يبين ، رضوان الله عليه ، أن شأن المؤمن في كل أحيائه أن ينتقل من خير إلى خير ومن أجر إلى أجر .

ولا يقدح في الإيمان والصبر والرضا أخذ المصائب بالأسباب المشروعة من التداوى والسعى وما إليهما ، بل ربما كانت واجبة يثاب عليها ولا يجوز التهاون فيها وكل من عند الله ، وكل بقضاء الله حتى العجز والكيس . وللتفصيل مقام غير هذا . .

فإذا جزع العبد ولم يرض بقضاء الله تعالى كان كل ما أصابه عقوبة معجلة في هذه الدنيا : « وللعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

وان يتم تطهر العبد إلا بتخليه عن التبعات والمظالم ورد الحقوق إلى أهلها ما استطاع إلى الرد سبيلا ، فإن عجز فليكثر من الاستغفار لهم ، والتصدق - ما استطاع - عنهم ؛ فإن ذلك أدنى أن يرضى الله ويرضى خصومه عنه ، وإلا فويل له ثم ويل له يوم يطالبه غرماؤه بديون لا قبل له بها ، ثم يكبه الله على وجهه وقد خسر الدنيا والآخرة !

إن ذلك هو المفلس الذي عناه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين سأل أصحابه فقالوا : هو من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار . رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه .

ذلك ، والصوفية وأرباب الطرق يعتمدون على أحاديث المبايعات في مبايعاتهم المختلفة ، وأخذ العمود والمواثيق على المريدين في التوجيه والسلوك . والقول الفصل فيما يعملون هم أو غيرهم من عمل ، أن يعرض على كتاب الله وهدى نبيه صلوات الله وسلامه عليه فما وافقهما فهو الرشd والهدى ، وما خالفهما فهو الغي والهوى . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما . .

لاجرم أن البيعة على الاستقامة والهداية وما جاء به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من أمر ونهى ، وورد وذكر ، وفرض ونفل ، من غير إرهاب ولا تطع ، ولا تكاسل ولا تواكل

ولا ذلة ولا مهانة — فهي تجديد لما بايع النبي صلوات الله وسلامه عليه أصحابه وأخذهم به ورباهم عليه ، وذلك من العهود المستولة ، والأمانات المحمولة ، والعقود التي لا يوفى بها إلا القوى الأمين ، من أمثال هؤلاء نفر الذين يروى مسلم حديثهم عن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه فيقول : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تباعون رسول الله ﷺ ؟ وكنا حديثي همد بيعة ، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فبسطنا أيدينا ، وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وأطيعوا ، وأسر كلمة خفية — قال : ولا تسألوا الناس شيئاً ، فلقد رأيت بعض أولئك نفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه .

إن رجال الطرق في مصر وغيرها من بلدان الإسلام ، كثرة ذات شأن وثروة ذات بال ، وهم مسئولون بين يدي الله والتاريخ عن تربية أتباعهم ، فعليهم أن يطهروا أنفسهم ويأخذوها بالتي هي أقوم ، وأن يكونوا قادة للناس يدعون إلى الخير ، وبأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويهدون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والهدى النبوي فيما يأتون ويذرون ، لا عصبية ولا هوى ، ولا ابتداع ولا انحراف . وإنما هو التعاون على البر والتقوى ، وإيثار الحق أينما كان .

وعلى ولاية الأمور من العلماء والحكام أن يعاونوهم ويهيئوا لهم أسباب الرشاد والسداد . وقد علم الناس أن نفرا من أولى الفضل قد استجابوا في هذه الأيام لدعوة طالما وجهها كثير من ذوى الغيرة الإسلامية لإصلاح هذه الطرق وتنقيتها مما يشينها من البدع والخرافات والانحراف عن دين الله الخنيف . وهام أولاء ، ينتظرون ما وراء هذه الإجابة من خير ورشد وهداية إلى الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ^(١) ، والله المستعان ، ، وعلى الله قصد السبيل .

طه محمد السالك

(١) نرجو أن يكون لنا بحث في إصلاح هذه الطرق في مناسبة قريبة إن شاء الله .

التقليد والمحاكاة في نهضتنا الحضارة

ما يجب أن نقبسه من مظاهر القوة والخير

حديث فضيلة الاستاذ الأكبر

تفضل فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نخص « الأهرام » بهذا المقال الذي نشره فيما يلي :

نحن الآن في طور من أطوار التاريخ ، عزمنا فيه على أن نعالج أسباب ضعفنا ، وأن نأخذ إن شاء الله بجميع وسائل القوة ، لنعود كما كنا أمة صالحة سليمة الاتجاه سعيدة العيش محترمة من الأمم ، ومتبادلة معها صنوف المصالح والمنافع ، ومتعاونة مع الجميع على التقدم بالإنسانية إلى أهدافها العليا .

وأول ما ينبغي لنا تمييزه في معالجة أسباب الضعف والخذل بوسائل القوة ، أن نكون على بينة مما نأخذ من غيرنا ، وما ينبغي لنا التمسك به من أصولنا ومبادئنا ، وما به قوام كيانتنا .

إن الإسلام يأمرنا أمرا دينيا بأن نكون أمة قوية بأخلاقها ، قوية بعلومها النافعة وصناعاتها التي عليها مدار العمران ، قوية باستعدادها العسكري للدفاع دائما ، وفي أي لحظة عن كل ما لنا من حقوق ، وما تؤمن به من حقائق . فالأخذ بأسباب القوة من جميع هذه النواحي ، والاضطلاع بالعلوم اللازمة له من طبيعة وكيمياء وميكانيكا ورياضة واقتصاد وإحصاء ، فرض لازم على المسلمين ، لأن دينهم أمرهم بأن يكونوا أقوياء ، فأصبح ذلك واجبا عليهم ، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وما ينبغي لنا في هذه الأمور ألا تقتصر على المحاكاة والتقليد ، بل يجب أن نعد الأذكياء من أبنائنا وشباننا للتقدم فيها ، حتى يكونوا من أئمتها المبتكرين وعلماؤها المخترعين ، وقد وهبهم الله من الألعية والذكاء وعظيم الاستعداد ما يساعدهم على ذلك في سنوات قريبة إن شاء الله .

هذا هو الجد ، وهذا تم النهضة فنأخذ في طريق الفلاح ، ونبلغ مقام الإمامة في العلوم ، وتأهل لما وراء ذلك مما استخلف الله به الانسانية الكاملة في الارض .

أما الأمور التي بها قوام كيانتنا والعمل بمبادئنا والرجوع إلى أصولنا ، فهذا مما لا يجوز لنا محاكاة غيرنا فيه ، بل إن كل أمة تحترم نفسها وتعز بكيانها ترفع عن محاكاة غيرها في أصولها ومبادئها ، وإننا لا نزال نذكر ما وقع في إنجلترا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن أعضاء حزب العمال في وزارة أشرشل كانوا يطالبون بتجديد الانتخابات النيابية ، وكان أشرشل يحب أن يتأني في ذلك ، فكتب إلى مستر أتلي يقترح أن يستعاض عن تجديد الانتخابات بعمل استفتاء عام ، فأجابه مستر أتلي بكتساب لا يزال يرن صدهاء في الآذان حتى اليوم ، إذ قال له فيه : « إن فكرة الاستفتاء » اختراع أجنبي ، وليس من الخير أن يسمح له بدخول البلاد البريطانية ، ولقد كان مستر أتلي على حق في هذا ، لأن كل أمة ذات أصول ومبادئ تتصل بنظامها الخاص بها ، وبكيانها الذي تعز به في تاريخها ، لا يجوز لها أن تفرط في أصولها ومبادئها لتحاكي غيرها في شيء من ذلك ، وهذا الاعتزاز بأصول الأمة ومبادئها من مظاهر قوة الأمة ، بل هو من وسائل تلك القوة ، أما التفريط في ذلك والتلون بالألوان الغربية ، فإنه من مظاهر الضعف ومن وسائله ، وهذه الحقيقة الاجتماعية قررها ابن خلدون في مقدمة تاريخه وبرهن عليها ، ولا تزال من حقائق الاجتماع إلى الآن ، على أنه لو لم يكن هذا من حقائق الاجتماع ، فإن الإسلام حتمه على أهله وألزمهم بالتزامه ، وكان أسلافهم أقوياء يوم كانوا ملزمين به ، ولو قيض الله لهذه الأمة علماء من أهل البصائر النيرة ، يدرسون ما عندنا من هذه الأصول والمبادئ دراسة علمية بلا تعصب ولا غرض ، لتبين لهم أنها هي المبادئ السليمة والأصول الصحيحة التي تقوى بها الأمة وترقى ، وأن التفريط فيها من مدارج الضعف وأعراض الانحطاط ، ونحن إذا عهدا إلى التفريط فيها نكون متناقضين مع أنفسنا فيما نحاوله من أسباب القوة في مرافقتنا المادية من زراعية وصناعية واقتصادية وعسكرية وغير ذلك ، إذ لا معنى لذلك إلا الجمع بين أسباب الضعف وأسباب القوة في وقت واحد . إن هذه القاعدة المزدوجة - وهي الأخذ بكل ما وصلت إليه الأمم من علوم القوة والتقدم العمراني وأسبابهما ، مع التمسك بالأصول والمبادئ الخاصة بنا والموروثة عن أسلافنا - هي التي ينبغي لنا أن نعمل بها في أنفسنا أفراداً ، وفي بيوتنا وأسواقنا ومجتمعاتنا ودولتنا ، فالفرد منا يجهن نفسه وبيته بكل ما يحتاجه مما توصل إليه العلم ،

كالادوات الكهربائية والتليفون وأمثال ذلك ، وفي الوقت نفسه يتوقى كل ما لا يتفق مع آداب دينه ، كاختلاط النساء بغير محارمن . وفي مصانعنا نستعين بكل ما وصل إليه العلم من آلات دقيقة وسريعة لننافس الأمم بتقدمنا وجودة إنتاجنا ، وفي الوقت نفسه نتعامل مع عمالنا وعمالنا بكل ما أرشد إليه ديننا من رفق وتراحم وتعاون وإخلاص وأمانة وحفظ للبواعيد ، وتمسك بالعبود وتجنب لنقيصتي البخل والإسراف والمحاباة والاحجاف . وفي مجتمعاتنا نتحرى المبادئ والقواعد والاصول الخاصة بنا في كل ما نحاوله من تنظيم وعمل مع ما نحرص عليه من أسباب القوة والتقدم والنجاح ، ليتصل حاضرننا بماضينا ، ولنكون به قدرة لمن يأتي بعدنا من الاجيال .

إن النهضة التي تقوم على هذين الاساسين هي النهضة الصادقة الثابتة الخطي ، الوثيقة الدعائم ، وهي التي تقبلها الامة بالاستبشار ، لأنها توافق مصلحتها وتتفق مع راحة ضميرها ، وتكون بذلك في عبادة ، لأنها جمعت بين سعادة الدنيا وفصائل الدين .

أما الذين يشغلون الامة عن سعادة الاستعداد للنهوض بالنهوض لأمور تراها الامة ماسة بأصول ومبادئ عزيزة عليها ، وهي في الوقت نفسه لا دخل لها فيما نحن آخذون به للنهوض بالمرافق الصناعية والزراعية والعسكرية ، كحداولة محاكاة الأمم الاجنبية في نظام الاسرة وشئون الزواج والامور الشكلية كالازياء وما إليها ، فإن ذلك كله ليس من مصلحة الوطن ، ولا خير فيه لهذه الامة ، وهي في هذا الطور العظيم من أطوار نهوضها وتقدمها . وما ينبغي للجمهور الامة أن يكون على علم به أن كل ما طرأ علينا من عدوى أجنبية في حياتنا الاجتماعية ، كالإضراب عن الطعام احتجاجا على أمر من الأمور ، أو الإضراب عن العمل لاختلاف بين العمال وأصحاب الاعمال ، فإنه مما لا يليق ببلد إسلامي ، لأن الإضراب عن الطعام انتحار ، والانتحار يستخطه الله ، وصاحبه يبتعد عن حياة الدنيا وحياة الرضا في الآخرة ، والإضراب عن العمل قتل للوقت وسخط للرزق ، وتعطيل لمصالح الامة ، وما دامت أبواب العدل مفتوحة ، ومرافق الدولة مستعدة للنظر في الشكاوى والتوفيق بين المصالح ، فذلك هو الطريق للوصول إلى الحقوق العادلة ، وإن هذا الشرق الإسلامي في حاجة إلى أن يأخذ عن غيره أسباب القوة ، لا وسائل التعطيل والانتحار . ومن أدق موازين الحكم على الوعي القومي والنضوج الاجتماعي مراقبة ما تأخذه الامة عن غيرها من خير ، وما تتجنبه مما لا خير فيه ، ونحن اليوم في هذا الطور من أطوار التاريخ ، والتاريخ يراقبنا في هذا الامتحان ليرى ما نأخذ وما نذر .

أزمة الفقه الإسلامي

نظرية السبب في العقد

(تكملة)

١ — ذكرنا فيما سبق أنه يجب أن نعمل على استخلاص النظريات الفقهية التي تندرج تحت كل منها طائفة عديدة من التفريعات والأحكام التي نعرفها في الفقه ، وبهذا يتغير الفقه الإسلامي في منهجه وطريقة عرضه ، ويأخذ في طريقه إلى التقدم .

ورأينا في الكلمة السابقة لهذه ، أن نعرض لنظرية السبب في العقد أو الالتزام ، وذلك من باب التطبيق لما ندعو إليه ، ولتؤكد للعلماء بالقانون أن العلماء بفقه الإسلام وأصوله لم يغفلوا هذه الناحية في بحوثهم ، وإن كانوا لم يصلوا إلى وضع نظرية عامة فيها .

وانتهينا في تلك الكلمة من الحديث عن تعريف السبب ومعانيه وما يراد به في الفقه ، واليوم نتكلم عن الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ليكون سبباً صحيحاً شرعاً يجب رعايته ، ثم عن حكم التصرف المجرد عن السبب ، وبذلك يتم البحث .

٢ — ونحب أن نؤكد من أول الأمر أن الفرق كبير جداً ، فيما يتصل بشروط السبب الصحيح وتطبيقاتها ، بين الفقه والقانون . فالشريعة الإسلامية ، وهي تقوم على رعاية الصالح العام للفرد والمجتمع ، تتدخل حين يجب التدخل للحد من حرية المتعاقدين ، ومن ثم لا تجيز من العقود إلا ما لا يتنافى مع الأخلاق الطيبة والمصاحبة العامة للمجتمع ، على حين نرى القانون يجعل العقد شريعة المتعاقدين ، ، ومن ثم لا يتدخل في حريتهما إلا بقدر محدود .

حقيقة إن من القواعد القانونية أن ما يخالف النظام العام والآداب باطل ، وأنه لا يوجد الالتزام إلا إذا كان له سبب حقيقي ومشروع ، وأن السبب يكون غير مشروع إذا حرمه القانون أو كان مخالفاً للآداب والنظام العام ، وأنه يجب أن يتوفر في السبب أن يكون موجوداً وأن يكون مشروعاً^(١) . كل هذا حق ، ولكن شيئاً منه لم يمنع أن يجوز

(١) نظرية الالتزام في القانون المدني المصري ، الأستاذ الدكتور حننت أبو سنيت ، ص ١٦٦ ، ١٧٠ .

قانوناً ما كان من استئجار الدور للدعارة في مصر وغيرها ، ولا يزال يحصل حتى الآن بكل أسف من استئجار الدور لتسكون مباءة للخمر والميسر ، إلى نحو هذا وذاك من العقود التي لا يقر أسبابها خلق أو دين أو شريعة فاضلة .

٣ — هذا ، والشريعة الإسلامية ، التي تقدر أن الأعمال بالنيات ، وأن الأمور بمقاصدها ، توجب أن يتوفر في سبب للعقد شروط ثلاثة :

(أ) ألا يكون واجباً على أحد طرفي العقد بدون العقد .

(ب) أن يظل قائماً حتى يتم تنفيذ العقد .

(ج) أن يكون مشروعاً حقاً .

وهذه الشروط الثلاثة نستخلصها من كلام الفقهاء في أبواب كثيرة من الفقه ، وكذلك من بحوث الذين عنوا منهم بقواعد الفقه العامة ، مثل ابن رجب الحنبلى وابن جزى المالكي . ولم يكن هؤلاء الفقهاء نظريين ، بل كانوا عمليين يضعون الحلول لما يمترض في الحياة من مشاكل ومسائل ، ولذلك نجد في ثنايا كتب الفقه وقواعده كثيراً من التطبيقات لتلك الشروط .

٤ — فمن تطبيقات الشرط الأول أنه لا يكون صحيحاً أن يستأجر إنسان خادمه أو زوجته على عمل هو واجب على أحدهما ، لأن عقد الإجارة في هذه الحالة لا سبب له . ولذلك يذكر الإمام الزيلعي أنه لا يجوز استئجار الأم لإرضاع طفلها إذا كانت في عصمة زوجها (أى الأب) أو في عدته ، لأن الإرضاع مستحق عليها ديانة ... فلا يجوز أخذ الإجارة عليه . ولهذا لا يجوز أن تأخذ الإجارة على خدمة البيت من الكفؤ وغيره ، وإنما لا تجبر عليه لاحتمال عجزها فعذرت ، فإذا أقدمت عليه ظهرت قدرتها فلا تعذر ، إلى آخر ما قال (١) .

٥ — ولو كان للعقد سبب من أجله أقدم عليه المتعاقدان ، ثم زال هذا السبب ، كان هناك حينئذ مقتضى لفسخ العقد ، ولذلك مثل كثيرة تمدنا بها كتب الفقه ونكتفي هنا بذكر البعض منها (٢) :

(١) راجع شرح الزيلعي ، ٣ : ٦٢ - ٦٣ في باب النفقة .

(٢) راجع في هذه الأمثلة وغيرها ، البدائع للكاساني ٤ : ٢٢٢ - ٢٢٣ ، مجموعة الرسائل

والمسائل لابن تيمية ، ٥ : ٢٢٤ وما بعدها ، القواعد في الفقه الإسلامى ، لابن رجب ، ٣٢١ - ٣٢٢

(أ) استئجار مرضعة للطفل ، أو خادمة لخدمته وحده ، أو معلما لتربيته ، ثم يموت الطفل .

(ب) استئجار أرض للزراعة فانقطع الماء عنها أو صارت غير صالحة للزراعة لآى سبب من الأسباب .

(ج) استئجار دار للسكنى فانهدمت أو صارت غير صالحة للسكن ، أو محل للتجارة ثم أفلس المستأجر أو اضطر لترك البلد التى بها المحل .

ففى هذه الحالات وأمثالها ، نجد سبب العقد قد زال وأصبح غير قائم ، والنتيجة لذلك انفساخ العقد وانتهاؤه فى رأى جمهرة الفقهاء ، ومن هذه الحالات المرأة تهب مهرها لزوجها طلبا لاستدامة العشرة بينهما ، ثم يطلقها ، فلها حينئذ الرجوع عن الهبة لزوال سببها .

٦ — ومن باب التطبيق للشرط الثالث وهو وجوب أن يكون للعقد سبب مشروع^(١) نذكر هذه العقود^(٢) .

(أ) استئجار أحد المجرمين للإضرار بآخر ، بحرق بيته أو زراعته أو قتله مثلا .

(ب) بيع عصير العنب لمن يصنعه خمرأ .

(ج) بيع أدوات القتال لقاطع طريق أو لاهل الفتنة ، ومثل ذلك بيع أدوات الميسر والقمار .

(د) تأجير دار للدعارة أو للعب الميسر أو لتسكون حانة يباع فيها الخمر .

(هـ) الهدية لمن يتشفع للمهدى لدى أصحاب السلطان .

فهذه العقود ونحوها التى تقوم على سبب غير مشروع ، غير صحيحة فى رأى كثير من الفقهاء ، وما هذا إلا لعدم شرعية أسبابها .

٧ — بقى بعد ما تقدم ، أن نبحث بإيجاز التصرف المجرد عن سبب ، لنعلم هل يجب

(١) يوجب القانون ، كما عرفنا ، أن يكون للعقد سبب مشروع ، ولكن ما أعظم الفرق بين ما يعتبر مشروطا فى القانون وبين ما يعتبر كذلك فى اللغة الاسلامى .

(٢) راجع المحلى لابن حزم ٩ : ٢٩٠ - ٣٠ ، المطاط على خليل ٤ : ٢٦٣ وما بعدها ، القواعد لابن رجب ٣ : ٣٢٣ .

الوفاء بما يسكون فيه من التزام أولاً يجب ، وهنا نجد الله تعالى يقول في سورة الصف :
 « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ،
 كما نجد الرسول ﷺ يقول : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ،
 وإذا اتهم خان » ، كما يقول : « وأى المؤمن حق واجب ^(١) » .

ومن أجل هذه الآيات والاحاديث التي ذكرناها ، يرى بعض الفقهاء أن من يعد غيره
 بشيء ، ولو بلا سبب إلا ابتغاء الثواب من الله تعالى ، يجب عليه أن يفي بما وعد ؛ وإلا
 كان من الذين يقولون مالا يفعلون ، وكان فيه لذلك خصلة من خصال النفاق الثلاث .

٨ — وهنا نجد العلامة ابن حزم الاندلسي المتوفى عام ٤٥٦ هـ ، ثم الإمام القرافي
 المالكي المتوفى عام ٧٢٣ هـ ، يتعرضان في دقة وتحليل لمسألة الوعد (وهو نوع من أنواع
 التصرف المجرد) ليبيان ما يجب الوفاء به منه وما لا يجب مطلقاً .

لقد استعرض الأول آراء الفقهاء في هذه المسألة ، فذكر أن أبا حنيفة والشافعي
 وداود بن علي شيخ أهل الظاهر ، لا يرون أن الواعد يلزمه - شرعاً وقضاء - الوفاء بما وعد ،
 بلا سبب . ولا فرق بين أن يكون قد أدخل من وعده في كلفة أو لم يدخله ، وإن كان من
 الأفضل طبعاً أن يفي بما وعد ، ثم ذكر أن الإمام مالك يرى أن الوفاء لازم في الحالة
 الأولى فقط ، وأن ابن شبرمة يرى أنه لازم في الخالتين ، وانتهى إلى أن الوفاء غير لازم مطلقاً
 إلا أن يكون الواعد قد وعد بشيء واجب عليه ، وهذا مثل الإنصاف من دين أو أداء حق ^(٢) .

أما الإمام القرافي ، فقد ذكر شيئاً من اختلاف الفقهاء في المسألة ، ثم قال ^(٣) : « وجه
 الجمع بين الأدلة المتقدمة ، التي يقتضى بعضها الوفاء به وبعضها عدم الوفاء به ، أنه إن أدخله
 في سبب ما يلزم بوعده لزم ، كما قال مالك وابن القاسم وسحنون ، أو وعده مقرونًا بذكر
 السبب كما قاله أصبغ ، لأننا أكد العزم على الدفع حينئذ ، ويحمل عدم اللزوم على خلاف ذلك ،
 ومن الوعد المقرون بالسبب أن يقول إنسان لآخر : اهدم دارك وأنا أسلفك ما تبني به ،
 اشتر هذه السلعة أو تزوج هذه المرأة وأنا أسلفك .

(١) الوأى : هو الوعد وزنا ومعنى ، وهذا الحديث رواه أبو داود ، انظر ابن حزم - ٨ : ٢٩

(٢) المحلى ، ٨ - ٢٨ ، ٢٩

(٣) الفروق ، ج ٤ : ٢٧

٩ - ومن الواضح أن ما ذهب إليه الإمام مالك هو الصحيح ، نعى وجوب الوفاء من الواعد إن تسبب بوعده في إدخال الموعد في كلفة ونفقات ، وعدم وجوبه - إلا في شرعة الأخلاق - إن لم يكن الأمر كذلك .

وأخيراً ، هذه هي نظرية السبب في العقد والالتزام ، عرضناها بإيجاز كما يمكن أن تستخلص من أقوال الفقهاء في كثير من أبواب الفقه . ولم نرد بذلك أكثر من تقرير أن الشريعة الإسلامية لم تغفل هذه الناحية الفقهية ، كما لم تغفل شيئاً مما يتمدح به رجال القانون في هذه الأيام ، وما علينا ، نحن ورثة أولئك الأسلاف العظام ، إلا أن نعى بدراسة الفقه دراسة تاريخية مقارنة من ناحية ، ثم العمل على استخلاص النظريات التي يمكن أن تنتظم أحكامه وفروعه المنشورة هنا وهناك ، وحينئذ نكون قد قنا بعملية التركيب ، بمد أن قام أولئك الأسلاف رضوان الله عليهم بعملية التحليل ، والتفريع .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق
بجامعة فؤاد الأول



من أقوال أنا تول فرانس

- * من الحسن أن يكون القلب ساذجاً والفهم غير ساذج .
- * من الحق العظيم أن تحتقر خطراً يهددك .
- * في المموم تسليمة عظيمة .
- * ينشأ الخطأ عن ضعف في الخلق ، أكثر مما ينشأ عن ضعف في الإدراك .
- * كل تبدل يطرأ علينا - وإن تميناها كثيراً - يورث حزناً وغماً ، لأن ما نتركه جزء منا ، وينبغي أن نموت في حياة لندخل في حياة أخرى .
- * لكل صورة شعرية معان عدة ، فأى معنى وجدته ، كان عندك معناها الحقيقي .

لِغَوِيَّاتِ زَيْدِ بْنِ زَيْدٍ

استدراك

عرضت في جزء جمادى الآخرة ١٣٧٢ من هذه المجلة للعبارة الشائعة ، اختر بين كذا وكذا ، وقد خرجت من البحث إلى أن هذه العبارة لا سند لها في العربية ولم يرد مثالا . وقد وجدت مثيلا لها في صيغة تساق ، اختار ، من مادتها ، وهى « تخير » ، فيقال : تخير بين كذا وكذا ، ويقال على نسق هذا : اختار بين كذا وكذا . ويراد من التخيير والاختيار حينئذ الترجيح بين الأمرين أو الأمور .

وتقول العرب في هذا المعنى أيضاً : ميثل بين الأمرين ومايل . وفي اللسان (ميل) : « وتقول العرب : إني لاميثل بين ذينك الأمرين وأمايل بينهما أيهما أركب ، وأمايل بينهما ، . وشاهد ما أرمى إليه من ورود « تخير بين الأمرين ، قول الكلجة (١) :

يا كأس ويلك إني غالى خلقى	على السباحة صعلوكا وذا مال
تخيرى بين راع حافظ برم	عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وبين أروع مشمول خلائقه	مستهلك المسال للذات ، مكسال
فأى ذينك إن نابتك نائبة ؟	والقوم ليسوا - وإن سوءوا - بأمثال

كأس : بفته ، ولها يقول في قصيدة مفضلية في شأن فرسه :

فقلت لسكّاس ألبجها فإنما نزلنا السكّيب من زرود لنفزعاً

و « غالى خلقى ، أى أهلكنى ، وإنما أهلك ماله ، وقد راعى في الخلق أن المرء مطبوع عليه فقال : « على السباحة ، أى طبعى على السباحة . والصعلوك : الفقير لا مال له . والبرم :

الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر ، بخلا منه وشحاً بماله ، وهذا مذموم عندهم ^(١) . والرشاء : حبل الدلو . يريد بعبد الرشاء من همه الإسقام والامتياع ، ولا يعنى بالغزو وهم السادة . والاروع : الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد . والمشمول الخلاق : كريم الاخلاق ، طيبها ، أخذ من قولهم : ماء مشمول ، وهو الذى هبت به ريح الشمال فبردته . وقوله : « مستهلك المال للذات ، أى يبدل ماله ويفنيه فى سبيل لذاته من الخمر والنساء ، وكان ذلك مما يتمدح به العرب ، كما كان الكسل مدحاً عندهم إذ يدل على النعمة والرفه . وقوله : « فأى ذينك » برفع ، أى ، وهو مبتدأ محذوف الخبر ، أى فأى ذينك خير . وروى « فأى ذلك » بنصب « أى » ، وفعله محذوف أى فأى ذلك تختارين ، والإشارة على هذا بذلك إلى المذكور من الرجلين ، وقد أفرد نظراً لذلك كما فى قوله تعالى : « لا تفرحوا ولا تأسوا » .

الطيارة أحد الأشياء المخترعة

المذيع إحدى الأدوات المستحدثة

«أحد» و «إحدى» من أسماء العدد . ولهما فى أغلب الامر استعمالات واضحة لا تعقيب فيها . نقول : هذا الكتاب أحد الكتب النافعة ، وهذه الرسالة إحدى الرسائل الممتعة . وقد تعرض لهما فى بعض المواطن استعمالات تدعو إلى النظر ، كما فى المثالين المصدر بهما البحث . فهل تراعى المضاف إليه فنقول : الطيارة أحد الأشياء المخترعة ، أو المحدث عنه فنقول : الطيارة إحدى الأشياء ؟ وهل يقال : المذيع إحدى الأدوات المستحدثة ، أو أحد الأدوات ؟

والذى يبدو أن الأصل فى ذلك مراعاة المضاف إليه فى التذكير والتأنيث ، إذ كان أحد وإحدى بمعنى ما يضافان إليه . فاذا جاء الكلام على هذا الأصل فلا كلام فيه ، إذ جاء على الجادة وعلى طريقة الملحّص . وإذا اختلف المحدث عنه - وهو بالموصوف بأحد

(١) المجلة - لأن الموسرين منهم كانوا يدخلون فى الميسر فى زمن الفصح ، أو فى الشتاء إذا أفقرت الأرض من السكّال والمرعى ، فيضربون بالقداح على الابل ثم يجزرونها ويطعمون منها فقراء القبيلة . فن أبى من أغنيائهم أن يساهم فى ذلك نسبهوه إلى الانانية والشح .

وإحدى - والمضاف إليه في التذكير والتأنيث كما مر في الأمثلة السابقة فلا ضير أن يراعى المحدث عنه ، فإذا قلت : رسالة الشافعي أحد الكتب الجليلة كان هو الأصل في الباب ، ولك أن تقول : رسالة الشافعي لإحدى الكتب ، فتأتى بإحدى نظراً للرسالة . وهذا بالقياس على الضمير والإشارة إذا اختلف مرجعهما مع ما بعدهما . تقول : قراءة العلم نافعة ، وهو أمر محمود ، وهي أمر محمود ، وتقول : الحنطة تزرع في مصر ؛ وهذا غذاء جيد ، وهذه غذاء جيد .

وقد جاء من هذا قوله تعالى في الآية ٧٨ من سورة الانعام : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر » ، فترى أن اسم الإشارة في الآية للشمس وهي مؤنثة ، وإشارتها هذه ، وليكنه أتى بالإشارة مذكراً نظراً للخبر وهو « ربي » . ويقول « الرخشمى » : « فإن قلت : ما وجه التذكير في قوله : هذا ربي والإشارة للشمس ؟ قلت : جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد ، كقولهم : ما جاءت حاجتك ؟ ومن كانت أمك ، ولم تكن فتنتهم . وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ، ألا تراهم قالوا في صفة الله : علام ولم يقولوا : علامة ، وإن كان العلامة أبلغ ؛ احترازاً من علامة التأنيث . » وقوله : ما جاءت حاجتك أى ما صارت ، وقد ورد نصب « حاجتك » على أنها خبر « جاء » واسمها ضمير ما . وقد أنت الاسم مع عوده على ما - ولفظها مذكر - نظراً لمعناها وأنها حاجة . وكذلك قولهم : من كانت أمك ، فاسم كان يعود على من ، ولولا أنه يراعى فيها أنها أم لذكر ضمير الاسم ، وهذا كله مبنى على أن الاسم يسرى إليه التأنيث من الخبر . وهذا يرجع إلى باب واسع في العربية يترجم عنه بباب مراعاة المعنى . وقد أفرد له في الخصائص باباً ذكر فيه أمثلة كثيرة . ومن مراعاة المعنى قوله تعالى في الآية ٣٢ من سورة القصص : « أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذائك برهانا » من ربك إلى فرعون وملائته ، ويقول أبو حيان في البحر ١١٨/٧ : « فذائك » ، إشارة إلى العصا واليد ، وهما مؤنثتان ، وليكن ذكر لذكور الخبر ؛ كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر ؛ كقراءة من قرأ : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ، بالناء في تكن ، . » وقد جاء في عيون الأخبار ١٣٢ / ٣ : « وسأل آخر قوما فقال : رحم الله امرأ لم تمجج أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذاً من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدية ، والحال مصعبة والحياة زاجر من كلامكم ، والعدم عاذر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين . »

ورحم الله امرأ أمر بمير ، ودعا بخير . فقال له رجل من القوم : بمن الرجل ؟ فقال : اللهم غفرا ! بمن لا تضرك جهاته ، ولا ينفعك معرفته . ذل الاكتساب يمنع من عز الانتساب . .
والقارى يرى في قوله « الدعاء أحد الصدقتين » ، أنه راعى المحدث عنه ، ولو شاء لقال : لإحدى الصدقتين ، نظرا للمضاف إليه . وقد جاء في بعض الحديث : قلة العيال أحد اليسارين ، ولو جرى على ما جاء في خبر الأعرابي السائل لقليل : لإحدى اليسارين .

وقد وقعت مباحثة في مسألة شبيهة بما نحن فيه بين علمين من أعلام النحو والعربية ، وهما السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ ، وابن خروف المتوفى سنة ٦١٦ . وقد كانا من محاسن الأندلس في عصره الزاهر . وقد ساق هذه المباحثة الجلال السيوطي في الأشباه والنظائر النحوية ٣/ ٩٩ ، وأورد الحجاج بينهما .

وحاصل المسألة أنه جرى في عقد ذكر ذكور وإناث محجورين ، وكتب الكتاب في الحديث عن أبي : « لإحدى المحجورين » ، فتناول الشيخان هذه العبارة ونظرا فيها من جهة العربية . ويرى السهيلي أنها خطأ ، ويرى ابن خروف أنها صواب .

ويعتمد ابن خروف على شواهد في العربية روى فيها المحدث عنه ، ولم يراع المضاف إليه في أحد وإحدى . من ذلك قول النابغة :

بانث سعاد وأمسى حبلمنا انجذما واحتملت الشرع فالأجزاء من إضما
إحدى بلى وما هام الفؤاد بها إلا السفاه وإلا ذكرة حُلما

فإنه يقول : لإحدى بلى في الحديث عن سعاد ، ولم يراع المضاف إليه وهو بلى . وكذلك قول العرجي :

عوجى علينا ربة الهودج إنك إلا تفعللى تحرجى
إنى أتيجت لى يمانية لإحدى بنى الحارث من مذحج

وما استدل به ابن خروف قوله تعالى في الآية ٣٨ من سورة الأعراف : « حتى إذا ادركوا فيها جميعا قالت أحرهم لأولام ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار » ، فترى أن المضاف إليه أولى وأخرى جماعة الذكور ، وجاء أولى وأخرى مؤنثين نظرا إلى معنهما وأن الحديث بهما عن أمتين .

ولا يرضى السهيلي ما ذهب إليه ابن خروف ، ويدفع احتجاجه بالبيتين بأن الكلام فيهما على حذف المضاف ، أى لإحدى نساء بلى ، وإحدى نساء بنى الحارث ، وقد يدفع هذا ابن خروف بأن الاصل عدم التقدير ، ولا داعى إليه ما دام له وجه من التأويل .

ويدفع السهيلي احتجاج ابن خروف بالآية بأن المضاف إليه ضمير الامم ، ومفرد الامم أمة ، وهى مؤنث ، فلا شيء فى أولى وأخرى ؛ إذ يراد بهما الامم ، وكأنه يرى أن التأويل فى الضمير المضاف إليه ، إذ جعل للذكور وهو للامم نظراً للمعنى ، ولو روى لفظ الامم لقليل : أولاهن وأخراهن . ولا بن خروف أن يقول : إن الامم روى فىهم التذكير ، فجاء ضميرهم ضمير جماعة الذكور ، فصار واحدهم حقه التذكير من هذه الجملة ، فكان حقه أن يقال : أول وآخر ، فلما جاء أولى وأخرى علم أن ذلك نظراً للمحدث عنه فيهما لا للمضاف إليه .

والقارىء يخرج من هذا بجواز ما صدر به البحث إن شاء الله .

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة

الزهر

الزهر أحلى مخلوقات الله ، غير أنه لم يهب له نفساً ناطقة . ه . و . بتشر

خلق الله الزهر زينة للأرض ، وتعزية للبشر . وأسعد الناس حظاً من يقرأ آيات الحكمة السماوية فى زهرة واحدة .
ورود سورث

الزهرة كتاب فتحه الله أمام أنظار خلقه ليتعلموا منها اللطف والتسامح فى كل شيء ، حتى أنهم ليطأونها بأقدامهم فترفع لهم رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة . دى مونتغمرى

الازهار كواكب الارض ، والسكواكب أزهار السماء . مسز بلفور

جَدِّثُ الْفَارِغِ عَنِ اللَّغْوِ

ما أكثر الكلام بين الناس ، وما أهون شأنه على الثرثارين الفارغين ، وما أقل الاعمال الطيبة عند هؤلاء ، وخاصة في المجتمعات الضعيفة المتحللة التي تقنع باجترار الالفاظ وترديد الكلام وتشقيق الاماني ، وقد راعت هذه الحقيقة كثيراً من المصلحين والحكماء منذ أقدم العصور ، وجسمها أبو العلاء المعري في بيت موجه له ، فقال :

لو غرِبِلَ الناسَ كما يَعمَدُوا سَقَطَا لما تحَصَلَ شيءٌ في الغراييل ١١

وللقرآن الكريم حديث عن « اللغو » له عظته وعبرته ، وفيه فائدته وثمرته ؛ ويحسن بنا قبل عرض الحديث القرآني عن « اللغو » أن نستأنس بمعاني المسادة الكثيرة المتقاربة في معاجم اللغة .

فما جاء في لسان العرب عن مادة « اللغو » قوله : « اللغو واللغا : السقط ، وما لا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . وعن الفراء : ولد الشاة المبيعة يسمى لغواً لأنه تبع لها ، ولا ثمن له مسمى . وقال الأصمعي : هو الشيء الذي لا يعتد به . وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . وكلمة لاغية : فاحشة ، وفي التنزيل العزيز : « لا تسمع فيها لاغية » ، هو على النسب ، أي كلمة ذات لغو ، وقيل أي كلمة قبيحة أو فاحشة . وقال قتادة : أي باطلاً ومأثماً . وقال مجاهد : شتما ؛ ونباح الكلب : لغو أيضاً . وقال الفراء في قوله تعالى : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » ، قالت كفار قريش : إذا تلا محمد القرآن فالغوا فيه ، أي اغلطوا فيه يبدل أو ينسى فتغلبوه . وإذا أمروا باللغو : بالباطل . ولغا فلان هن الصواب وعن الطريق : إذا مال عنه ، .

وفي معجم « مقاييس اللغة » لابن فارس في مادة « لغو » ، « هذه العبارة : « اللام والغين والحرف المعتل - الواو - أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به ، والآخر على اللبج بالشيء . فالأول اللغو : ما لا يعتد به من أولاد الإبل في الدية ، قال العبدى :

أو مائة تجمّل أولادها لغواً ، وعرض المائة الجلود

يقال منه لغا يلغو لغوا ، وذلك لغو الإيمان . واللغا هو اللغو بعينه . قال الله تعالى :
 « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، أى ما لم تعقدوه بقلوبكم . والفقهاء يقولون : هو قول
 الرجل لا والله ، وبلى والله . وقوم يتولون : هو قول الرجل لسواد مقبلا : والله إن هذا
 فلان ، يظنه إياه ، ثم لا يكون كما ظن . قالوا : فيمينه لغو ، لأنه لم يتعمد الكذب .
 والثاني قولهم : لغى بالامر ، إذا طبع به ، ويقال إن اشتقاق اللغة منه ، أى يلهج
 صاحبها بها .

* * *

والقاعدة العامة التى نفهمها من حديث القرآن الكريم عن « اللغو » ، أن اللغو باطل ،
 وأمر قبيح مكروه ، لا يليق بالمسلم ولا يحسن منه ، وأن الله يبغض اللغو ويكرهه ، ويبعده
 عن ساحة عباده المكرمين فى الدنيا والآخرة ، وأن هذا « اللغو » سواء أكان قولاً أم عملاً
 من شأن الذين كفروا ، وأن المؤمنين يفرون منه ويعرضون عنه ، وأنهم إذا وقعوا فيه
 خطأ فإنما يقعون فيه عن طريق السهو والنسيان ، وسرعان ما يتذكرون ويرجعون ،
 ولذلك لا يحاسبهم الله عليه ولا يؤاخذهم به ، وأن الجنة - وهى موطن الراحة والتنعم - ليس
 فيها هذا « اللغو » ولنوضح ذلك نقول :

قال الله تبارك وتعالى فى الآية السادسة والعشرين من سورة فصلت : « وقال الذين
 كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . وهذا هو المظهر الأول
 من مظاهر تنفير القرآن الكريم من اللغو ، إذ جعله عملاً من أعمال الذين كفروا التى
 يتواصون بها ، فهى إذن أدخل فى باب الكفران والعناد من غيرها . ومعنى الآية الكريمة
 أن الكفار قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن الذى يتلوه محمد ، وتشاغلوا أثناء تلاوته عنه برفع
 الأصوات وإحداث الضججات وترديد الهذيان والخرافات ، حتى تخططوا على القارىء ،
 وتغلبوه على قراءته ، وبذلك تغلبونه وتفتصرون وأى امرئ مسلم يقبل أن يلغو فيكون
 بمظنة الإضافة إلى حى هؤلاء ؟

وانظر — هُديت الصواب — إلى الآية التالية للآية السابقة ، تراها إنذاراً خفيفاً لهؤلاء
 اللاعنين ، ووعداً مفزعاً لهم ، إنما تقول : « فلننذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ، ولنجزينهم
 أسوأ الذى كانوا يعملون » ، فصلت - ٢٧

والله تبارك وتعالى يقول في الآية الثالثة من سورة المؤمنون : « والذين هم عن اللغو معرضون » . وهذا الوصف قيل في شأن المؤمنين ، لأن السورة الكريمة بدأت هكذا « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » ، وبالآية الثالثة هنا يبدأ المظهر الثانى من مظاهر تنفير القرآن من « اللغو » .

ولنتذكر هنا أن اللغو هو ما لا يعنى من قول أو عمل ، وأن « اللسان » يقول إن جماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والهجلة . فكأن القرآن يقرر حقيقة من حقائق النفس المؤمنة التى لا تكون مؤمنة إلا بها ، وهى لإعراضها عن اللعب والمزل والباطل من القول والفعل ، وكل ما توجب المروءة إلغائه وإطراحه ، لأن النفس المؤمنة تجد من ميادين العمل المثمر والسعى الواجب ما يشغلها عن لغو القول والعمل .

وانلاحظ كيف وصف الله المؤمنين أولاً بالخشوع فى الصلاة ، ثم بالإعراض باللغو ، ليجمع لهم بين الفعل والترك الحميدين الشاقيين على الأنفس ، الذين هما قاعدتا بناء التكليف ، لأن هذا التكليف لا يخرج عن الأوامر والنواهي ، والأوامر تطالب بأعمال تودى ، والنواهي تحذر من أمور ترك . ولأنه لشأن جليل أن يوضع الوصف بالإعراض عن اللغو هنا ، وقبله ذكر الصلاة وبعده ذكر الزكاة

ويلحق بهذا الموطن قوله تعالى فى الآية الثانية والسبعين من سورة الفرقان : « والذين لا يمشيرون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » ، وهذه آية من آيات فى وصف « عباد الرحمن » ، ومعناها أن عباد الرحمن هم الذين يتباعدون عن مجالس الكذب والبهتان من القول فلا يشهدونها ولا يقربونها ، تنزهها عن مخالطة الشر ومصاحبة أهله ؛ وإذا مروا باللغو — وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح — أو مروا بأهله ، مروا معرضين عنهم ، مترفعين بأنفسهم عن مشاركتهم ؛ وقد يدرك الذوق البيانى شيئاً من جمع شهادة الزور مع اللغو ؛ فلا يحسبن خاطيء أن أمر اللغو ميسور ، بل إن إتيانه واعتياده من أخطر الأمور .

ويقول الله تعالى فى الآية الخامسة والخسين من سورة القصص : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » . والحديث عن عباد الله الطيبين . وسلام عليكم ، أى توديع لكم ومشاركة^(١) . وعن الحسن : هى كلمة

(١) استفدنا من الكشف فى معانى الآيات .

حلم من المؤمنين . ولا نبتغي الجاهلين ، أى لا نريد مغالطتهم أو صحتهم . وما أشد التعريض حينما يقول القرآن عقب هذه الآية : « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين » ، القصص — ٥٦

* * *

ويقول الله تبارك وتعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلیم ، البقرة ٢٢٥ » ؛ ويقول أيضاً فى الآية التاسعة والثمانين من سورة المائدة : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » ، وهنا يأتي الموطن الثالث من مواطن تنفير القرآن من اللغو ، فاللغو من الايمان والاقسام هو الساقط الباطل الذى لا يعتد به ولا يتعلق به حكم ، ولا عقد معه ؛ ولما كان باطلا وليس داخلًا فى همة المسلم أو قصده ، وليس مما يحسن به الالتفات إليه أو الاعتماد عليه ، جهله الله لغواً ، وعفا عنه فيما يعفو عنه ، والله غفور حلیم .

وقد أفاض المفسرون والفقهاء الحديث عن لغو اليمين ، وتعددت آراؤهم فيه تعدداً مبيناً ، ولستكفك تستطيع أن تلح فيها بسهولة جامعاً يجمع بين أغلها ، وهو عدم القصد لهذه اليمين ، وعدم عقد القلب عليها أو اعتبارها من كسب المرء المراد له ، وإنما هى فلتات اللسان أو هزات الغضب أو توابيع الخطأ والسهو والنسيان ؛ وإليك ما نعرفه من وجوه اختلاف العلماء فى تحديد اللغو :

عن ابن عباس : هو قول الرجل فى درج كلامه واستعجاله فى المحاورة : لا والله ، وبلى والله ، دون قصد لليمين . وعن عائشة : أيمان اللغو هى ما كانت فى المراء والهزل والمزاح والحديث الذى لا يعتد عليه القلب . وعن أبى هريرة : إذا حلف الرجل على شئ لا يظنه إلا أنه إياه ، فإذا ليس هو ، فهو اللغو ، وليس فيه كفارة ؛ وروى أن قوماً تراجعوا القول عند الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يرمون بحضرته ، خلف أحدهم قائلاً : لقد أصبت وأخطأت يا فلان ، فإذا الامر بخلاف ذلك ؛ فقال الرجل : حنث يا رسول الله . فقال النبي : « أيمان الرماة لغو ، لا حنث فيها ولا كفارة » ، وعن سعيد بن المسيب : هو يمين المعصية ، كالذى يقسم ليشرب الخمر ، أو ليقطعن الرحم ؛ وبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه ، وقيل إن الحجة فى ذلك قول الرسول كما فى سنن ابن ماجه : « من حلف على يمين

فرأى غيرها خيراً منها فليتركها ، فإن تركها كفارة . وعن ابن عباس : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان ، وذلك لقول الرسول كما في صحيح مسلم : « لا يمين في غضب » . وعن سعيد بن جبير : لغو اليمين تحريم الحلال ، مثل مالى على حرام إن فعلت كذا . وعن زيد بن أسلم : لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه ، مثل أعمى الله بصره ، أذهب الله ماله . وعن مجاهد : هما الرجلان يقبايعان فيقول أحدهما : والله لا أبيعك كذا . ويقول الآخر : والله لا أشتريه بكذا . وعن النخعي : هو الرجل يحلف ألا يفعل الشيء ثم ينسى فيفعله . وعن ابن عبد البر : اللغو أيمان المسكره . وعن ابن العربي : أما اليمين مع الفسيان فلا شك في إلغائها ، لأنها جاءت على خلاف قصده ، فهي لغو محض . وقال الضحاك : لغو اليمين هي المكفرة ؛ أى إذا كفرت اليمين سقطت وصارت لغواً . .

الاقوال كثيرة كما ترى ، والجامع بين أكثرها أنها غير معتبرة أو مقصودة ، فهي لغو ، ولا يؤخذ صاحبها عليها ، والله هو ذو المغفرة ، وأقرب الآراء إلى القبول هنا هو القول الأول ، أى ما يحدث في درج الكلام واستعمال المحاورة . .

* * *

ثم يأتي الموطن الرابع من مواطن تنغير القرآن عن اللغو ، وتصويره له بصورة الشيء المسكره المرغوب عنه . فالجنة وهي دار الثواب والنعيم ، وهي محل الزينة والمتعة ، تخلو من اللغو ، وكأن في هذا إشارة بليغة من القرآن ، ورمزاً دقيقاً للمؤمنين الطالبين لنعيم الجنان ، بأن يتجنبوا لغو القول ولغو العمل ، حتى في لاهوتهم وتمتعهم وسميرهم ، لأن الجنة وهي مثلهم الأعلى في المتاع والنعيم خالية من هذا اللغو الذى لا يليق . يقول الله تبارك وتعالى : « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلا قليلاً سلاماً سلاماً ، الواقعة - ٢٥ ، ٢٦ .

أى لا يسمعون في الجنة شيئاً من اللغو أو التأثيم ، ولكن يقولون ويسمعون : سلاماً سلاماً ، أى يفشون السلام بينهم ، فيسلمون سلاماً بعد سلام . ويقول : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ، مريم - ٦٢ ، أى لا يسمعون فضول الكلام وما لا طائل تحته ، ولكن يسمعون سلاماً ، ويأتهم رزقهم فيها رغداً صباحاً ومساءً ، ويتكلمون كلاماً يسمعون فيه من النقيصة والعيب .

ويقول : « لا تسمع فيها لاغية ، الغاشية - ١١ ، أى لا تسمع فيها لغواً ، أو كلمة ذات لغو ، أو نفساً تلغو ، إذ لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم

ويقول : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، النبأ - ٣٥ . أى لا يكذب بعضهم على بعض ، ولا يكذب بعضهم بعضا . ومن الممكن أن نلاحظ من طريق الذوق اقتراب اللغو من الكذب ، إذ اجتماعا في موطن واحد .

ويقول : « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ، الطور - ٢٣ ، حتى الخمر في الجنة ليس فيها لغو . أى يتعاطى المؤمنون ويتبادلون هم وجلساؤهم وإخوانهم كأسا من الخمر لا لغو في شربها ؛ فلا يتكلمون أثناء تناولها بسقط الحديث أو ما لا نفع فيه ، كما يفعل اليوم المجرمون الآثمون المتنادمون على الشراب في عربدتهم وسفهمهم ، ولا يأتون إنما كالسكذب أو الشتم أو الفواحش ، وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن ، متلذذين بذلك ، لأن عقولهم ثابتة ، وهم علماء حكماء .

وهكذا ينزه الله عباده عن اللغو حتى في الآخرة ، وهى الدار التى لا تسكيف فيها ، نعوذ بآله من الخوض فيما لا يعنينا من قول أو عمل .

وقد يكون من مقتضيات الحال أن نعرف شيئا عن استعمال كلمة « اللغو » في الحديث النبوى الشريف . يقول ابن الأثير في كتاب النهاية : « قد تكرر في الحديث ذكر لغو البين ، قيل هو أن يقول لا والله ، وبلى والله ، ولا يعقد عليه قلبه ، وقيل هى التى يحلفها الإنسان ساهيا أو ناسيا ، وقيل هو البين في الغضب ، وقيل في المراء ، وقيل في الهزل ، وقيل اللغو سقوط الإثم عن الحالف إذا كفر عن يمينه . يقال : لغا الإنسان بلغو ، ولغى بلغى ، إذا تكلم بالمطَّرَح من القول وما لا يعنى وألغى إذا أسقط ... وفيه : من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت فقد لغا . والحديث الآخر من مس الحصى فقد لغا ، أى تكلم ، وقيل عدل عن الصواب ، وقيل خاب ، والأصل الاول وفيه : والحوالة الماترة لهم لاغية ، أى ملغاة ، لا تعد عليهم ، ولا يلزمون لها صدقة ، فاعلة بمعنى مفعلة ، والماترة : الإبل التى تحمل الميرة ، ومنه حديث ابن عباس أنه ألغى طلاق المسكركه أى أبطله ، وفي حديث سلمان : إياكم وملغاة أول الليل . الملغاة مفعلة من اللغو وبالباطل ، يريد السهو فيه ، فإنه يمنع من قيام الليل ، .

أما بعد ، فاللغو في القول والعمل شيء قبيح باطل ، وقد صورده القرآن بصورة منفردة في جميع أحواله وليس من شأن المسلم أن يألفه أو يميل إليه ، فلنسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الجدة ، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل .

أحمد الترمذى

مبعوث الأزهر الى الكويت

ديوان أبي جهم الدونسي

من بديع أشاعر الإسلام الكبير رحمه الله
بتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

« كانت مجلة « الفتح » ، هي المجلة الإسلامية الوحيدة التي زفت البشرية إلى العالم الإسلامي ، بشروع الشاعر الإسلامي الأكبر أحمد محرم ، في نظم ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ، وقد نشر بها الفقيه القصيدتين الأوليين منه ، ثم حملنا العبء من بعده ، فوصلنا ما انقطع من النشر بمجلة « الرسالة » ، حتى شاء لها الله أن تحتجب .

فاليوم نبدأ من حيث انتهينا في « الرسالة » ، بنشر الديوان ، على صفحات « مجلة الأزهر » ، الغراء ، والأزهر ، كان وما يزال ، أحق الهيئات برعاية هذا الأثر الإسلامي الفريد .

مصرع أبي جهل

ضربه معاذ بن عمرو بن الجوح ، ومعوذ بن عفراء ، من الأنصار ، وأجمز عليه ابن مسعود ، وكان سيف ابن مسعود كليلاً . فقال له أبو جهل : خذ سيفي فاحتر رأسي به ، ففعل . وقال له وهو يعلو صدره يحتر رأسه : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقي صعباً . لو غير أكار قتلني (الأكار الزارع) ، وكان الأنصار أهل زرع . وقد أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه :

بسيفك فيما اخترت من عاجل القتل	سقيت دُعاف الموت ، فاشرب (أباجهل)
هو السيف ، لولا الجبن لم يمض حده	ولم يرض في جدٍ السكرية بالهزل
شهدت الوغى ، تبغى على الضعيف راحة	لنفسك من حقد هذيب ومن غل
أ (فرعون) ^(١) إن تجهل فلن تجهل الوغى	(فراعينها) من ذي شباب ومن كهل
أصابك فيها ما أصابك من أذى	وفاتك ما نال (الرؤيعي) من فضل
رماك (معاذ) قبله و (معوذ)	وجاءك مشبواً حمية تغي

(١) كان للنبي صلى الله عليه وسلم يقول عن أبي جهل : إنه فرعون هذه الأمة .

سقى السيفَ عفواً من دم لك طيِّع
دع الهزلَ يا (ابنَ الحنظليَّة) إنه
هي (اللاتُ والعزى)^(١) أضلَّتْكَ هذه
مضى جأرك المأفونُ^(٢) خزيانَ وانقضت
لقد كنت ترجو أن ترى (الحبْلَ) الذى
أصبت (ابنَ مسعود) سناءً ورفعة
نخذ سيفه ، ثم ارفع الصوتَ شاكرًا

فن (مرتقى صعب) إلى مستقى سهل
هو الجُدُّ كلُّ الجدِّ لو كنت ذا عقل
وزادتكَ هذى من ضلالٍ ومن خَبَلٍ
حباُ لك فانظر هل ترى الآن من حَبَلٍ^(٣) ؟
رضيتَ به رباً يَفْوُزُ وَيَسْتَعْلَى
وباءَ عدوُّ الله بالخزى والذلُّ
فما بعدَ ما أعطاك ربك من سُؤلٍ

* * *

سواد بن غزيرة

كان سواد بن غزيرة حليف بنى النجار من أفراد الجيش في هذه الغزوة ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم خارجاً عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان بيده سهم فطعنه به في بطنه وقال له : استو يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأعطينى القصاص . فكشف الرسول الكريم عن بطنه وقال : استقد ، أى خذ قودك ، وهو القصاص ، فاعتقه سواد ، وقبل بطنه الشريف :

(يومُ بدرٍ) وأنت أعلى مُقاماً
ما ذكرنا بك القواضبَ يَقْطِى أنت أيقظتها مُشعوباً نياماً
غَرِقتَ فى الظلام لا تحسبُ البَغْىَ ذمياً ، ولا الفسوقَ حراماً

(١) كان المسلمون يقولون في هذه الواقعة : الله مولانا ولا مولى لىكم . . وكان أبو جهل يقول : لنا العزى ولا عزى لىكم . .

(٢) تمثل إبليس في صورة سراقه بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لىكم اليوم من الناس وإني جار لىكم ، وكانت يده في يد الحارث بن هشام أخى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ، ثم نكس على عقبيه ، فقال له الحارث . يا سراقه ، أنزعهم أنك جار لنا ؟ قال : إني برى منكم ، إني أرى مالا ترون . إني أخاف الله . فنشبت به الحارث وقال والله لا أرى إلا خفافيش يثرب . قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت .

(٣) لما قتل رؤساء المشركين . قال أبو جهل : يا قوم ، لا يهولنكم قتل من قتل ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالجبال ، لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد .

تكره العدل في الحقوق وترضى حين يأبى ساداتها — أن يُقاماً
استقم يا (سواد) في الصف واعلم أن للجيش في الحروب نظاماً
يا (سواد) طعنة سهم صادفت منك أريحياً ثماماً
لو يُريد الأذى بها لم تطفئها من يعاف الأذى ، ويأبى العُراماً
عدل الصف فاستوى ، وقضى الأمر — ر على شرعة الهدي فاستقاماً
إنها شرعة لربك يضيئها فهدى الشعوب والأقواماً
تمنع المرء ذا البراءة أن يؤذى وتحمي الضعيف عن أن يُضاماً
وتريه اللهوى يذعن للحق ويغنى بجانيه اعتصاماً
قلت : أوجعتنى ، وقد جئت بالحق وبالعدل رحمةً وسلاماً
القصاص القصاص ، إني أراه يا (إمام الهداة) أمراً لزاماً
قال : هذا بطن لبطنك كفؤ فاستقد إن للضعيف ذماماً
طابت النفس يا (سواد) وعاد الآ ن برداً ما كان منها ضرماً
واعتقت (الرسول) بعد شكاة فاعتقت الخلال غراً ومسماً
وابتدرت (البطن المطهر) نثماً فابتدرت الخيرات شتى عظماً
هاهنا العدل والسباحة والإحسان أعظم بذاً المقام مقاماً
أدب الله (عبده) وهدهاه واصطفاه للدين إماماً
أى دين كسدينه في علاه ! أى قوم كالمسلمين القدامى ؟
أرأيت الضعاف في كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاماً
حرّموا الطيبات بغياً وظلماً واستحلوا الذنوب والآثاماً ؟
رَبّ إن شئت للشعوب حياة فابعث المسلمين والإسلاماً
لبعث النور في الممالك ، يهدى كل شعب غوى ، ويمحو الظلاماً

إِمَامٌ

مع القارىء الفاضل فى إمام كان واحداً من ستة انتهى إلههم علم الإسلام فى أزهى عصوره ، كما كان من قبل ، سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرهم . إمام من أئمة الهدى والفضل كان أشبه الناس بمحمد ﷺ فى هديه وسمته ودله ^(١) كان محبوباً : يشهد إذا غاب الناس ، ويؤذن له إذا حجب الناس ، ملك فى رضى مسكين ، وقوى بلا عشيرة من الأقربين ، وهاد خطير وهو عند المحجوبين من المستعففين رفعه العلم والاستقامة ، وتألق نجمه بالجد والاستدامة ، أشرق نور الحق فى قلبه غلاماً منذ رأى صاحب الرسالة يباركه الله باليسر والرعاية ، فترك شأنه كله ولزمه حتى انطبعت فى نفسه معارف الوحي من الكتاب والحكمة وحتى صار لا يفرق بينهما إلا ما خص الله به نبيه فى شخصه من الرسالة ، وفى نوعه من النسب العريق والجمال فى الخلق . فكان محمد رسولاً ونبيّاً ، وكان هو معلماً وولياً ، وكان محمد فى نسب وحسب من قومه وآبائه ، وكان نسبه وحسبه فيما أفاد من محمد من دينه وإبائه وكان محمد جميلاً لا يدرك جماله ، وكان جماله فيما أخذ عن محمد من رفقه ودله وسمته ومنطقه .

وجدير بك أيها القارىء الكريم أن تدرس سيرة هذا وأمثاله - وقليل ما هم - ليؤتيك الله سبحانه تقوى تكمل بها نقصك . ودينياً تحفظ به عقلك ، وخلقاً ترفع به شأنك . ورياضة نفسية تحجزك عن كثير من الشهوات والشذوذ . وتبجه بك إلى الجدمنشود ، والحق الرفيع ، والمجد الذى لا يدرك . ذلك أن النفس حيث تضعها أنت . وهى تصدأ كما يصدأ الحديد فتنزى إلى الدرك الأسفل وتستعصى على الرفعة (وهى خير لها) حتى تجلو صدأها بذكرى الرجال وتوارىخ المجاهدين العاملين ، فعند ذلك تلمس سمواً مما خلقها الله له فتخرق الحجب ، وتأتى إلا أن تقر فى السماء ذات البروج .

[١] الهدى ما يكون على المرء من سكينه وسمته .

وبعد فذلك هو ، عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، حليف بني زهرة الذي كان يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط ، حتى رأى محمداً فشرح الله للإسلام صدره ، ولزم باب أمير الانبياء ، وأسلم نفسه له بقلبه من القرآن والعلم والحكمة ماشاء ، وشهد مع السيد الرسول جميع المشاهد فحاز الفضل من أقطاره حتى صار مرجع العلماء ، وموضع تبجيل الأمراء والكبراء ، وتخيره عمر - وهو من تعلم في تخيره ودقته - تخيره قاضياً على الكوفة ومعلماً ووزيراً ، لعله الفياض وحكمته ، وتخيره أميناً على بيت المال لما استفاض من أمانته ، حتى عزله عثمان أيام الفتنة ، وهو أطوع ما يكون ، وأبعد الناس من الفتنة ، وصار إلى المدينة موضع التبريز والهداية لامة محمد حتى كانت وفاته بها سنة ٣٢ عن بضع وستين سنة .

كان عبد الله نحيفاً قصيراً تكاد الجلوس توازيه . تفتححه العين ، ويردريه أهل الشرك ، حتى ذكروا أن أبا جهم خاطبه وهو يجهم عليه في بدر فقال : لقد رقيت مرقى عالياً يا رويي الغنم ! ولكنه لما أقبل بصاحب الرسالة وترك الدنيا إثارة لصحبته ، وإخلاصاً له ، وطلباً لما عنده من فضل وعلم ودين ، أعزه الله وأعلاه وفضله .

روى أبو نعيم وغيره بأسانيدهم إلى عبد الله بن مسعود قال :

« كنت غلاماً يافداً أرى غماً لعقبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال : يا غلام ، عندك لبن تسقيننا ؟ فقلت : إني مؤتمن ولست بساقيقا فقال : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ فأتيتهما بها . فاعتقلمها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا ، ففحل الضرع ، فخاب وشرب هو وأبو بكر . ثم قال للضرع : أقصص ^(١) فقص . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علمني من هذا القول الطيب فقال رسول الله : إنك غلام معلم . فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد » .

هذه بداية عبد الله بن مسعود في الإسلام ، فما ظنك برجل تكون هذه بدايته . لهذا كان عبد الله يعتقد تلك الناحية في مزايه ، ويدعو الناس إلى الأخذ بقراءته ، ويدعج من أمر من يترك روايته ويأخذ بقراءة زيد فيقول « عجبا للناس وتركهم قراءتي وأخذهم بقراءة زيد

وقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد بن ثابت صاحب ذؤابة يحىء ويذهب بالمدينة .

لزم عبد الله رسول الله يأخذ عنه القرآن والدين ، وغالطه مغالطة جعلت من لا يعلم أمره يرى أنه من أهله .

أخرج الشيخان والترمذي بأسانيدهم إلى أبي موسى الأشعري قال :

« قدمت أنا وأخى من اليمن فكشفتنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة دخولهم على رسول الله ولزومهم له . »

وقد استفاضت الأخبار أن عبد الله وفق في هانئ الناحية أيما توفيق ، فكان خادماً مخلصاً أميناً ، وتلميذاً حاذقاً رشيداً . كان صاحب سر رسول الله ووساده ، وعصاه وسواكه ، وطهوره في سفره . وبلغ من خدمته وإخلاصه أنه كان يلبسه النعل إذا قام ، ثم يمسك بعصاه فيسير بها أمامه ، فإذا عاد إلى مجلسه خلع نعله فوضعهما في كم قميصه ، فإذا قام إلى بيته سار أمامه حتى يدخل الحجر قبله لا يمنع ولا يحجب كما أمره رسول الله وأمر له . ثم يوقظه إذا نام ويستتره إذا اغتسل ويفتديه بنفسه في أخرج الأوقات .

ذلك وهو يسمع ما يقول محمد وما يقال له ، ويتقبل تعليماته وشرائعه . وهل خدمه إلا ليفيد منه الدين واليقين ؟ لهذا يقول في لغة المعتد الواثق في جمع الأصحاب « ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تباهه الإبل أو المطايا لآتيته ^(١) » .

ويقول أبو وائل راوى هذا الخبر : لئننى كلما سمعت ابن مسعود يقول ذلك والقوم شهود قمت إلى الخلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت أحداً من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه .

ولقد كان في ابن مسعود من سابقه الجهاد والجلاد التي هي صفحات مشرقة لكل من عرف بها وفي تميزه ذلك بالدين واليقين والخلق الكريم والنفع المستديم ما يخول له أن يعتمد بعمه الله ، ويدكرها في مناسبات الفرض . وفي مواقف التوفيق . أليس هو الذي

[١] أسد الغابة وطبقات ابن سعد وحلية الأولياء في ترجمة ابن مسعود .

زاحم عمر بن الخطاب - وربما سبقه - إلى إظهار الدعوة والجهربها في قوم يضطهدون دعوة الإسلام بجمعهم على الباطل ، ويضاعفون الأذى لاسكل من أظهر كلمة الله والحق ولا سيما إذا لم يكن من قومه في عشيرة تؤويه ومنمة تحميه ؟ إن ذلك الإشراق جدير ألا تمحوه الأيام ، ولا تنساه الأجيال .

ذكر صاحب أسد الغابة فيما ينقله عن أصوله بالسند الى عروة بن الزبير عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود . اجتمع يوماً أصحاب رسول الله فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا . فقالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة تميمه من القوم إن أرادوه . فقال : دعوني فإن الله سيمعني . ففدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام فقال رافعاً صوته : بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن ، فاستقبلها فقراً بها . فتأملوا فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خشينا عليك . فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمنزلها غدا . قالوا : حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون . يخ لك يا ابن أم عبد ، لقد فزت بها نفساً سخية كريمة تستذب في سبيل الله العذاب ، وتستعين في مرضاته بجمع الصعاب .

جدير بعبد الله إذا أن يكون موضع العلوم والمعارف في هذه النفس الخسبية العظيمة ، وأن يقدره الناس جيماً قدره ، حتى عمر بن الخطاب الذي قل أن سلم من سوطه أو نقده ، والخلاف عليه كثير من الناس .

لقد كان حافظاً للقرآن على وجهه ، يستمع إليه الرسول ويعجب بقراءته ، وكان مفسراً للقرآن عارفاً بمعانيه ، يدرسه بالمدينة وبالكوفة بعد أن أوفده عمر إليها ، فيخرج بها كبار التابعين من سلف هذه الامة ، وكان راوياً للسنة ينقل عنه البخاري ومسلم وغيرهما الكثير منها ، وتحصى الرواة له ثمانمائة وثمانين حديثاً مع تخرجه من الرواية خشية التبديل في كلام السيد الرسول ، ترتد فرائضه إذا روى أو نقل عنه ، ولهذا كان يفتى ، ويقول بنفسه على مقتضى علمه ، وقد أخذ عنه كثير من أجلاء الصحابة كعبد الله بن عباس وابن

عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، وروى عنه كثير من أجلة التابعين كملقمة وأبي وائل والأسود ومسروق (١) .

وكانت له يد طويلة في الفقه والاستنباط والقياس ، كما كان عمر بن الخطاب وبعض الصحابة الذين يستثمرون الكتاب والسنة ويحكمون في غير ما ورد على قياس ما ورد ، خلافاً لبعض المتخرجين من الصحابة كعبد الله بن عمر وغيره ، وجدير بمن كانت له ثمة يانعة من المنقول وثروة ضخمة من المأثور وعقل راجح وقلب مشرق ونفس أمينة كعبد الله أن تكون له ملصة تقوم رأيه وتوضح فقهه .

قال أبو البختري : أتينا علياً فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ ، فقال : عن أيهم قلنا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة وكفى به علماً ، قلنا : حدثنا عن أبي موسى ، قال : صبغ في العلم صبغة ثم خرج منه . قلنا : حدثنا عن عمار بن ياسر . قال مؤمن نسي ، وإذا ذكر ذكر . قلنا : حدثنا عن حذيفة . قال : أعلم أصحاب محمد بالمنافقين . قلنا : حدثنا عن أبي ذر . قال : وعى علماً ثم عجز فيه . ثم قلنا : حدثنا عن سلمان . قال : أدرك علم الأول والآخر ، بحر لا ينزع قعره . قلنا : فأخبرنا عن نفسك . قال : إياها أردتم ، كنت إذا سألت أعطيت ، وإذا أمسكت ابتدئت .

ولو كان المقام يتسع للتعليق . . ولكن المقصود شهادته لعبد الله بن مسعود بأنه أوقى علم الكتاب والسنة وكفى به . قال ذلك وهو يعلم ما كان عليه ابن مسعود من الفقه والاستنباط والقياس فدل على أن ذلك لا يخرج عن علم الكتاب والسنة . والله أمير المؤمنين وإدراكه .

ولذلك إذا علمت أن علم الكتاب والسنة لم يكن رواية فقط وإنما كان رواية وإدراكاً يقسم الله فيه الحظوظ بين العباد لفهمت هذا المعنى في مثل عبد الله بن مسعود حق الفهم .

قال عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات من النبي لم يتجاوزها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل .

وانظر شهادة الخريت العليم المحدث عمر بن الخطاب له وإعجابه به إذ أرسله إلى أهل الكوفة وقال لهم : إنه من النجباء والنقباء من أصحاب محمد ، فاستمعوا له ، وقد آثرتكم به على نفسي .

وقال زيد بن وهب : إني لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود فضحك حين رآه فجعل يكلم عمر ويوضحه ، ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى وجعل يقول : كنيشف إلى علماء .^(١)

وقد كان لك ، ولما عرف الناس له مما استفاد من معارفه ، كان لذلك أثره في تلقى الناس عنه والنزاهة كنفه .

وفيا انتشر من علم الدين بالكوفة ، فإنه لم ينزل بها من الأئمة إلا على وابن مسعود ، أما على فقد شغله ما نعلم من سياسات وحروب وخلافات ، وأما ابن مسعود فهو الذي قدم إليها لهذه الغاية ، قدم إليها قاضيا ومعلما وأميناً على بيت المال فقط ، فخرج أئمة العلم بها من أهل الفقه والاستنباط ممن يقول فيهم سعيد بن جبير : كان أصحاب عبد الله سرج هذه الأمة .

ومن عجيب الحكمة أنه كان سادس ستة في الإسلام أولاً ، وكان واحداً من ستة في العلم ، وأما ، وكان أستاذ أئمة ستة في الكوفة آخراً . وهم علقمة ، والأسود ، وممروق ، وعبيدة ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل . أولئك الذين خلفوه بحركة كبيرة في العلم صارت تتوارث حتى توجت بأبي حنيفة تلميذ حماد تلميذ النخعي تلميذ علقمة تلميذ عبد الله بن مسعود .

ذلك بعض فضل عبد الله في العلم والمعرفة ، أما مزاياه النفسية والخلقية ، وعباراته الحكيمة والأدبية ، وإرشاداته الرياضية فلها مقام آخر إن شاء الله .

محمود النواوي

[١] تصغير كنف وهو الوعاء .

حقوق الإنسان في شرعية الإسلام

- ٢ -

العكالة الإجتماعية

١ - تقرير ضرورات المعيشة : من تكريم الله لبنى آدم أن تصان هيئتهم باللباس والنظافة والزينة ، وأن يحملوا في حلهم في المساكن ، وأن يحملوا في ترحالهم بوسائل المواصلات ، وأن ينالوا من طيبات الطعام والمشرب ، وهذا مفهوم من قول الله تعالى في سورة الإسراء : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .

واقعد أمر الإسلام بعدم قتل النفس والإلقاء باليد إلى التهلكة . والطعام فيه حفظ النفس . كما أمر بستر العورة وأخذ الزينة . وهذان الأمران لا يكونان إلا باللباس . واقعد حدد الله للباس أن يوارى السوء وأن يقي من الحر - وأيضاً من البرد - يقول تعالى : يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم ، (سورة الأعراف) . وقال تعالى في سورة النحل : وجعل لكم سراويل تقيكم الحر . وقال تعالى في سورة الأعراف : خذوا زينتكم عند كل مسجد . كذلك تحدث القرآن عن السكن . قال تعالى في سورة النحل : والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، وقال تعالى عن وسائل المواصلات ما ورد في سورة الإسراء : وحملناهم في البر والبحر . وفصلت آيات أخرى الحديث عن أنواع من مواصلات البر وعن الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام .

كل هذه النعم التي كرم الله بها بنى آدم لا بد أن توفر لهم ليحيوا حياة طيبة وليرى الله نعمته عليهم . ولقد كان الرسول ﷺ يحب أن يرى الإنسان في أحسن تقويم خلقه الله فيه . روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم أن أبا الأحوص الجشمي روى عن أبيه قال : رأيت النبي ﷺ سيء الهيئة فقال : هل لك من شيء ؟ قلت : نعم - من كل المال قد آتاني الله . قال : إذا كان لك مال فلير عليك^(١) . وروى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأى قوما يظهر عليهم جهد الفاقة ، فتغير وجهه الشريف وطلب إلى الناس أن ينفقوا ليعطى هؤلاء ثم وقف فقال « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها... إلى آخر الحديث » (١)
 (٢) وسائل الحصول على هذه الضرورات : وللحصول على هذه الضرورات وسائل متعددة تدرج في أصلين كبيرين : العمل ، والتأمين الاجتماعي :

(١) العمل : العمل في الإسلام حق للفرد وواجب عليه في الوقت نفسه ، إذ لا يباح للفرد أن يعيش على التسول أو السلب والنهب . ودولة الإسلام واجبة الأول أن تهيم العمل للقادرين عليه وأن تحمي حقوقهم وأن تراقب أداؤهم لواجباتهم . وليس واجبا فقط كما يزعم البعض أن توزع الإعانات والصدقات لأنها تربي الناس على الإيالة والكرامة لا على البطالة والمهوان . يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعد لرجل درهمن وقال له « كل بأحدهما واشتر بالآخر فأسأ واعمل به » ، وروى البخاري وغيره أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب إليه أن يدبر حاله لأنه خال من وسائل الكسب ولا شيء عنده يستعين به على القوت . وهنا ذكر الرواة كلاما آخر قالوا بعده : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بقدم ودعا بيد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيهما ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان عينه وكلفه أن يعمل هناك لكسب قوته وطلب إليه أن يعود بعد أيام ليخبره بحاله ، فعاد الرجل يشكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ويذكر له ما صار إليه من يسر الحال . فالعاطلون كانوا يرون أن لهم حقوقا على الدولة ، فيذهبون إلى ولي الأمر أعزاء باسم هذه الحقوق ليدبر لهم أمرهم بما يراه ، والدولة تقر العاطلين على هذه الحقوق وتدبر لهم العمل فوراً بل وتلتس نتائج عملها . ولقد أوجب الغزالي في « الإحياء » أخذاً من هذا الحديث على ولي الأمر أن يزود العامل بآلة العمل . ومن بركات العقيدة هنا أن التماس العمل يسميه الإسلام ابتغاء من فضل الله بما يزيد الإنسان حرصاً عليه . يقول تعالى « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » ، وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » . والدولة إذ تدبر للعامل عمله فإنها تحمي حقوقه في الأجر ، فينبغي أن يكون الأجر كافياً . وقد جعل الحديث ثالث الثلاثة الذين يخاصهم الرسول ﷺ يوم القيامة : رجلا

استأجر أجيراً فاستوفى منه فلم يعطه أجره . وهذا الأجر لا يقبل الماطلة في الحديث . اعطوا الاجير أجره قبل أن يحف عرقه ، ^(١) ، كذلك ينبغي أن يراعى تحديد ساعات العمل بما يلائم الطاقة الإنسانية . وفي الحديث أوامر عامة بالرفق والرحمة تنسحب بلا شك على هذه الناحية . وقد صحح السيوطي ما رواه أبو يعلى وابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان . ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة .

(ب) التأمين الاجتماعي : فإذا تعطل لإنسان عن العمل ، أو كان أجره لا يكفيه لزيادة في أفراد أسرته أو عجز عن العمل لمرض أو شيخوخة فهو في كفالة الجماعة في صور شتى : في كفالة الأمرة التي يتمتع بها إناث يأمرون بالنفقة وصلة الأرحام ، وفي كفالة المجتمع الذي يعيش فيه فقد قال ابن حزم أخذنا من الحديث « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله ، من تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسلمه ، وهو أولاً وأخيراً في كفالة الدولة التي تلزم بنفقته من بيت المال أولاً ، وتنظم بسلطة الحكم واجبات أسرته والمجتمع الذي يعيش فيه لإزائه ثانياً ، ولذلك قال عمر بن الخطاب « لو استقبات من أمرى ما استدبرت لآخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » . ^(٢) جاء في كتاب الخراج لآب يوسف أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً يتسكف الناس فسأله عن سبب ذلك فأجاب : أسأل الجزية والحاجة والسنة . قال : ما أنصفناك أكلنا شيبينك وتركناك عند الشيخوخة . وطرح جزيته وأمر أن يعال من بيت مال المسلمين هو وعياله . ^(٣)

هذا التأمين الاجتماعي في حالة التخلف عن العمل أو عدم كفاية الأجر واجب لا بد منه ، يقول ابن حزم « فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يتوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكاة بهم ، ولا في سائر أموال المسلمين ما يقوم بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكتفون من المطر والصيف والشمس وعيون المسارة » . ^(٤)

بل إن الإسلام يخصص للفرد ما هو أكثر من ذلك في سبيل هذه الحقوق الاجتماعية إذ يعتبره في حالة دفاع شرعي عن نفسه ما دام يجد فضل مال عند واحد من الناس . قال

[١] رواه ابن ماجه وأبو يعلى والطبراني والحاكم . قال المنذرى (يكتب بكثرة طرفة قوة)

[٢] المحلى ٦٠ ص ١٥٧ [٣] الطبرى ٥ طبعة الحسينية ص ٣٣

(٤) المحلى ٦٠ ص ١٥٦

ابن حزم ، ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام لإطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . . . إلى أن قال : - : وما منع الحق باغ على أخيه الذى له حق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مائع الزكاة ^(١) ، . وقد تناول التشريع الجنائى الحديث موضوع عقاب مرتكب جريمة القتل بطريق سلبى . وفى رأى الإمام الدردير المسالكى فى كتاب (الشرح الكبير على متن الخليل) : « يضمن من يترك تخليص مستهلك من نفس أو مال قدر على تخليصه بقدرته أو جاهه أو ماله فيضمن فى النفس الدية وفى المال القيمة » ، ومن ترك إنساناً يموت جوعاً أو عرياناً وهو يندر على تخليصه فإنما يكون قد قتله بطريق الترك أيضاً .

ولقد كانت الدول الإسلامية تحمل رسالة ضمان الحقوق الاجتماعية حين تفشى رايها على أى قطر . وهذا خالد بن الوليد يتحدث عن سياسته فيما غاب عليه فيقول : « وجعلت لهم أيما شيخ ضدف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافترق وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام » ، ^(٢) ، بل إن للإسلام ضرباً فريداً فى التأمين الاجتماعى وهو تأمين الناس على ديونهم ، فمن مصارف الزكاة أن توجه الى « الغارمين » لنسد ديونهم وتفرج كربهم . وهكذا تصرف الدولة اهتمامها إلى حفظ كيان هؤلاء . بدلا من أن تصرف هذا الاهتمام إلى ترتيب الإجراءات الخاصة بشهر إفلاسهم كما يجرى الآن . ومن أثر عمر بن الخطاب أنه أقام دور الضيافات وأدر عليها الأرزاق . عن ابن سعد قال . اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة فى الطريق ما يصلح من ينقطع به ، كما فعل ذلك بالطريق بين الشام والحجاز ^(٣) .

٣ — التعليم : طلب العلم فى الإسلام فريضة ^(٤) ، فهو حق للفرد وواجب عليه . والدولة تلتزم تهيئة السبل إليه ، ذلك أن الإسلام لا يكتفى بضمان الضرورات المادية المعيشية ، بل يضمن أيضاً وسائل التنقيف والنهذيب . ولقد كان الرسول ﷺ يرسل إلى الجهات المختلفة من ييسر الناس بالإسلام فأرسل مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية . وفى خبر بئر معونة أرسل عليه الصلاة والسلام سبعين شابا

(١) المحلى ٦ ص ١٥٩ (٢) عبقرية خالد ص ١٨٣ [٣] أشهر مشاهير الاسلام مجلد ١ ص ٣٧٨

يسمون القراء لإجابة لدعوة عامر بن مالك . وقد تكلف رسل الهداية هؤلاء حياتهم في الطريق نتيجة عدوان وقع عليهم . وإن القرآن الكريم وخطب الجمعة والعديد من وسائل التثقيف والتهذيب التي تضمنها الإسلام في عباداته . وقد أتت النساء إلى رسول الله ﷺ شاكيات من غلبة الرجال على مجالسه ويطلبن منه وقتاً يخصهن ليتعلمن فيه ، فأجابهن الرسول ﷺ إلى ذلك ^(١) . وفي غزوة بدر خرج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعملوا أولاد الانصار الكتابة ... وقال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين فكان زيد بن ثابت ممن علم ^(٢) .

فالإسلام إذ شرع إقامة الحدود فقد شرع معها توفير الحقوق وترقية المستوى المادي والادبي . يقول تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصيراً » . فلا بد من أن يبين للناس الهدى ويبصروا بسبيل المؤمنين حتى يتحملوا تبعه أعمالهم ويتولوا مسئولية مشاققتهم لأوامر الله ورسوله .

٤ - العلاج : ومن تمام واجبات الدولة أن تتكفل بعلاج المريض ، والامر بعيادة المريض مثبت في كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ألزم عليه الصلاة والسلام أن يهيء للرضى مكاناً يتداون فيه وينقمون . ففي سيرته المطهرة أن نفراً من عريثة - ثمانية - قدموا عليه فأسلخوا ، واستوبأوا المدينة وشكوا ألم الطحال فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وكان سرح المسلمين بذى الجدر ناحية قباء قريباً من غير ترعى هناك - فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا ، وكانوا استأذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذن لهم . وإن كان هؤلاء قد قابلوا المعروف بالإساءة بعد برئهم فعدوا على اللقاح فاستاقوها ^(٣) .

وكان عمر بن الخطاب يحاسب ولاته على عيادة المرضى ، فكان الوفد إذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً . فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه ؟

(١) الحديث الذي رواه ابن عبد البر عن أنس وصححه السيوطي

(٢) البخاري ج ١ طبعة منه ص ٦٠ - ٦١ (٣) إمتاع لأسماع القرطبي ص ١٠١

(٤) إمتاع الأسماع ص ٢٧٢

فإن قالوا الحصلة منها لا ، عزله ^(١) . ولقد مر يوم مجيئه الشام على قوم من المجذومين ففرض لهم شيئاً من بيت المال ومنعمهم بذلك عن التكشف بين الناس ^(٢) . واشترى الوليد بن عبد الملك من خلفاء بني أمية بعمله على تخفيف آلام المرضى وتخصيص أعطيات للمجذومين لمنعمهم من سؤال الناس ، كما أعطى كل مقعد خادماً يهتم بأمره ، وكل ضرير قائداً يسهر على راحته ^(٣) . وفي عهد أحمد بن طولون من حكم مصر في العصر العباسي الثاني بنى ابن طولون في مؤخر مسجده ميسأة وخزانة شراب بها الادوية والاشربة ، وقرر لهذا المكان الخدم ، وعين طبيباً خاصاً يقوم بتطبيب المرضى من المصلين ، كما بنى مستشفى بأرض الدسسكر بالمارستان ، وأدخل فيه ضرباً من النظام تشبه ما في أرقى المستشفيات الآن ، وكان يتفقد بنفسه في يوم الجمعة فيطوف على خزانة الادوية ويتفقد أعمال الاطباء ويواسى المرضى ^(٤) .

٥ — مسئولية الدولة : هناك اتجاه في تقرير حقوق الإنسان في الوثائق الدولية والقواعد الدستورية إلى ألا يكتفى بتقرير الحقوق تقريراً سلبياً ، بل أن ينص على التزام الدولة بصفة إيجابية ضمان هذه الحقوق وتهيئة الوسائل لمزاواتها . فحق العمل وحق التعليم للأفراد يقترنان بواجبات على الدولة في تهيئة موارد الكسب ومعاهد العلم . والدولة الإسلامية من ذلك الطراز الذي يضطلع بواجبات إيجابية في ضمان حقوق الأفراد . ولقد قدمنا كيف كان ولاية الأمور وعلى رأسهم النبي ﷺ في عصره يتكفلون بتهيئة فرص العمل والعلم والعون الاجتماعي والعلاج للأفراد .

وقد علق المودودي على الآيات الكريمة الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ، كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، فقال في تعليقه عليها : - فمن تدبر هذه الآيات اتضح له أن الدولة التي يريد بها القرآن ليس لها غاية سلبية فقط ، بل لها غاية إيجابية أيضاً . أي ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة فحسب ، بل الحق أن هدفها الاسمي هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذي جاء به كتاب الله . وغايتها في ذلك النهي عن جميع أنواع المنكرات التي ندد الله بها في آياته ، واجتنائه شجرة الشر من جذورها ، وترويج الخير المرضى عند الله

(١) الطبري طيبة الحسينية ج ٥ ص ٣٣ (٢) أشهر مشاهير الاسلام مجلد ١ ص ٧٨

(٣) تاريخ الاسلام السيامي الطبعة الأولى ج ١ ص ٤٧٨ (٤) تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٥٧٢ - ٥٧٣

المبين في كتابه . وفي تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة ، ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام تارة أخرى ، ويستخدم لذلك وسائل التربية والتعليم طوراً ويستعمل لذلك الرأي العام والنفوذ الاجتماعي طوراً آخر كما تقتضيه الظروف والأحوال . يقول تعالى :
 « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، فالمراد من الحديد في الآية هو القوة السياسية . والآية قد بينت ما يبعث الرسل لأجله وهو أن الله قد أراد بعبادهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله عليهم من البينات وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أى نظام الحياة الإنسانية العادل ^(١) .
 صحح السيوطي ما رواه أحمد والبخاري ومسلم والفسائي وابن ماجه عن النبي ﷺ :
 « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة . إقرءوا إن شئتم قول الله : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فأبما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتمني فأنا مولاة ^(٢) . وفي هذا تقرير صريح لمسئولية الدولة في توفير الحقوق ومسئولية الدولة هي مسئولية عامة تجبها الرعايا جميعاً على اختلاف أديانهم وأجناسهم . وهذا يؤخذ من القاعدة العامة : لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وقد تقدم كيف كان عمر يفرض حتى لليهود ، وكيف كانت سياسة خالد في البلاد المفتوحة .

هذه الحقوق كلها في ضرورات المعيشة من مأكل وملبس ومسكن ، وفي التعليم والعلاج ، هي التي يكفلها الإسلام في شريعته وتلتزم بضمانها دولته . والدعوة إلى تحكيم القرآن إنما تعني كفالة هذه الحقوق وإقامة الدولة التي تلتزمها شرعاً ، وتتعبد بشر رحمة الله للعالمين .
 والذي ينظر إلى نظام الإسلام هذه النظرة يجد أن تطبيق هذا النظام مدعاة للانتفاع بهذا التشريع الاجتماعي الجليل بجانب التوجيه الأخلاقي النبيل . وإن تكون العقوبات - مثله في الحدود الشرعية - إلا بعد استكمال سبل الوقاية المادية والنفسية من كل دواعي الإجرام . وفقنا الله إلى الانتفاع من بركات شريعته ، ونحن في عهد تقنين دستوري جديد ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ... فأواكم وأيدكم نصره ... ورزقكم من الطيبات ... اللهم اجعلنا من هؤلاء ... آمين .

محمد فنحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

هَلْ يَعِيدُ التَّارِيخُ نَفْسَهُ

قام جدل على طويل بين علماء التاريخ والسياسة والاجتماع حول العبارة القائلة « التاريخ يعيد نفسه » ، بل لقد ألفت في ذلك الجدل كتب قيمة ، واختلفوا بين رأيين : جماعة قالوا : إن التاريخ يعيد نفسه حقيقة بكل الظروف والملايسات والمقومات ، أما الشخصيات التي تدور عليها حوادث التاريخ ، فاختلافها لا وزن له في تقرير هذه الحقيقة ، وآخرون قالوا : إن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه تماماً ، وكل ما هنالك أن ظرفاً قد يشبه ظرفاً ، وأن أحداثاً قد تتماثل ، فتشابه النتائج التاريخية التي يسفر عنها تشابه الظروف والملايسات ؛ ولابد من وجود فوارق حتماً بين السابق واللاحق .

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ يعيد نفسه إلى حد بعيد ، وليس المقصود من ذلك التطابق التام بين الظروف والاحوال والنتائج والأشخاص ، في السابق واللاحق ، وإنما المقصود أن الإنسان هو الإنسان ، وأن المجتمع الإنساني لا يفقد خصائصه الذاتية بالتطور العام ، وأن الإدراك البشري قد يتماثل ، وأن التعقل والتفكير ، كثيراً ما يتبع نمطاً واحداً ، ومقدمات واحدة ، فيصل إلى نتائج واحدة ، وأن بعض البلاد قد يمر بظروف متشابهة مع ما مر به بلد آخر . وهنا نضرب مثلاً بجميع البلاد التي خضعت للاستعمار ثم تحررت ، أو هي في طريق التحرر . فما لا شك فيه أن التماثل والتوافق بين الظروف والملايسات والنتائج فيها ظاهر جلي ، وأن التاريخ فيها يعيد نفسه . ونحن لا ننسى أمراً إنسانياً فطرياً غريزياً ، هو المحاكاة التي يقيم علم النفس التربوي عليها أسساً تربوية هامة ؛ ويصدق هذا المثل كثيراً جداً فيما يتعلق بالأشخاص وتاريخهم ، لأن الإبطال يحاكي بعضهم بعضاً ، ويقتدى الحاكم العادل بعادل سابق ، والطاغية بآخر سابق عليه ، حسب استعداد كل شخص . وهنا يصل التوافق إلى حد يتعذر معه التمايز والفرقة بين الحادئين في النظر السريع ، وهذا كالفول بأن « الضغط يولد الانفجار » ، وهي حقيقة علمية مقررّة في على الطبيعة والكيمياء ، وتقوم عليها نظريات هندسية وحريرية لها أهمية كبيرة ؛ ويقصد منها في التاريخ والسياسة أن الحكم الظالم الذي يقوم على كبت الشعور ، والضغط على الحريات ، يدفع دائماً إلى الثورة ، والظلم هو الظلم مهما اختلفت وسائله وأساليبه ، ونتائج دائماً واحدة .

فعندما يثور شعب مظلوم على حاكم ظالم - كيفما كانت طريقة الثورة - ويحصل الشعب على حرية اقتداء بشعب آخر يصح أن يقال : إن التاريخ يعيد نفسه .
ونحن اليوم في هذا العهد الجديد نرجو أن يعيد التاريخ نفسه إلى أبعد الحدود ، ولنا للنسج أمارات اتجاه قوى إلى سبل الحكم الرشيد ؛ ونلجج اتجاه قائد الثورة إلى الاقتداء بأعدل حاكم عرفه تاريخ المسلمين حتى اليوم - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - الذي ظلم في مصر كثيراً في العهد البائد ، ولم يرع الحكم ولا العلماء والكتاب مكانته وكرامته وقديسيته ، فنزلوا به إلى درجة أحط حاكم عرفه تاريخ المسلمين . إلى أن شامت قدرة الله سبحانه ، أن ترفع الظلم عن مصر ، وعن أمير المؤمنين عمر في وقت واحد ، وإلى القارىء ملاحظات عابرة نسجلها لإحياء للذكرى العاطرة ، ذكرى أمير المؤمنين عمر ، أعظم قدوة حسنة للحاكم الذي يفنى في خدمة المحكومين :

الاولى : كان عمر يرتفع بنفسه وبعاله فوق الشبهات ، وكان يجعل من نفسه وأهله نموذجاً عملياً حياً للعالم والريعية على سواء ، فكان إذا أراد أن يصدر أمراً ، جمع أهله وقال لهم : « إن الناس ينظرون إليكم نظرة الطير إلى اللحم ، إني سأمر الناس بكذا ، وأقسم لو أخذ أحدكم بخالفته لأضاعف له العقوبة » وكان أهم ما يحرص عمر على تحذير عماله منه ، ويشهد الناس عليهم فيه هر الهدايا ، قائلاً : « إياكم والهدايا فإن الهدايا هي الرشا ، لأنه كان يعتقد أن الهدية التي تقدم للعامل إنما تقدم على حساب مصلحة المسلمين ، وعلى حساب الإسلام والحق والعدل ، ولقد فهم عمر رضى الله عنه ، أن الهدية تساوى الرشوة أو الاختلاس ، من قول الرسول عليه السلام : « ما بال الرجل نرسله في أمر المسلمين فيرجع إلينا ويةول : هذا لكم . وهذا أهدي إلى . فملا جلس في بيت أبيه وأمه لينظر أهدي إليه ؟ ، ولقد أهديت ملكة الروم إلى زوجته أم كلثوم بنت على هدية فصادرها عمر ورد إلى بيت المال !! ولم يستمع في ذلك إلى تعليقات فقهية من بعض إخوانه . لأنه قدوة ، ويجب أن يكون فوق للشبهات ، بعيداً عن الظن والتقول !! ومن محاسن اقتداء الخلف بالسلف في عصرنا أن الرئيس القائد يرد إلى متحف من متاحف الدولة كل هدية تقدم إليه ، فكأنه يحولها إلى بيت المال ، وكأنه يرفضها ، وهو محق في ذلك ، وغير هذا لا يابق به ، فهل كان هؤلاء المهدون إليه ، يهدون إليه قبل ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢ ؟ والذي نرجو أن يكمل الرئيس اقتدائه فيه بعمر ، هو تحريم الهدايا على جميع الوزراء والموظفين العاميين ، وهذا أحوط وسائل تحقيق العدالة .

الثانية : حدث بعد فتح مصر واستقرار الإسلام بها ، أن تسابق محمد بن عمرو ابن العاص - ابن أمير مصر - مع شبان من المسلمين والمصريين المسيحيين ، فسبق شاب مصرى مسيحي محمد بن عمرو ، فغضب ابن الأمير وضرب المصرى سوطاً على ظهره قائلاً : خذها وأنا ابن الأكرمين . ومر الحادث يومها بسلام كما خيل للمتسابقين ، ولكن الفقى المصرى الذى يعرف عدل عمرو وسماحة نظام الإسلام لم يهدأ له بال حتى وقف أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقص عليه القصص ، وكان موسم الحج قد قرب . فاستبقى الخليفة المصرى حتى حل الموسم ، واستقدم الخليفة أمير مصر عمرو بن العاص وابنه محمد ، وفى مجمع من المسلمين فى موسم الحج ضم أمير مصر وابنه ، نادى عمر : أين المصرى ؟ فهب الفقى المصرى هاتفاً : لييك أمير المؤمنين ، فناول عمر السوط قائلاً : اضرب ابن الأكرمين ، ضعف ما ضربك ! فتناول المصرى السوط وضرب به محمد بن عمرو أمام أبيه مثل ما ضربه ، ثم ناول السوط للخليفة ، فقال له عمر : أعل به صلعة عمرو فإن ابنه ما ضربك إلا بسلطانه !! فأبى المصرى قائلاً : إنه أخذ حقه وزيادة . فقال الخليفة لأمير مصر فى غضب : يا عمرو . متى تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ . وهكذا اقتصر عمر الحاكم العادل ، للضعيف من القوى ، فرد عليه بذلك عزته وكرامته ، وجعل أمره حديث الدنيا بأسرها حتى تقوم الساعة . ومن محاسن اقتداء الخلف بالسلف فى زماننا ما روته الصحف عن فلاح مصرى مسكين جاء إلى دار الرياسة ، يشتكى إلى الرئيس القائد ضراً أنزله به عمدة بلده وهو عمدة جبار من الطغاة العتاة ، الذين رضعوا لبان الظلم فى عهد الفساد ، ونحن جميعاً نعرف مدى استبداد هؤلاء العمدة بالفلاحين ، فاستقدم الرئيس العادل هذا العمدة الجبار ، وأذله أمام أخينا الفلاح ، وأرغمه على رد حقوق الفلاح إليه ، وجعله عبرة للمستبدين ، وهكذا انتصف الرئيس العادل للفلاح الضعيف من العمدة المستبد ، وهو ما لم يحدث فى مصر من زمن طويل .

الثالثة : فى سنة ١٥ هـ حدثت مجاعة شديدة ببلاد العرب ، وسموا عامها عام الرماد أو الرمادة ، لالتصاق الأيدى بالرماد . فأقسم الخليفة عمر : ألا يذوق سمناً ولا عسلاً ، ولا لحماً ولا شحماً حتى يحيا الناس . وبر الخليفة بقسمه ، فشحب لونه ، ونحل جسمه ، واعرورق وجهه ، حتى خاف الصحابة أن يلحقه من جراء ذلك مكروه ! فاتفقوا على حمله على التحمل من قسمه ، وإفهامه أن حياته ليست ملكاً له ، وإنما هى خير وبركة للمسلمين ، وعليه أن يحافظ عليها من أجلهم ، فقالوا له ذلك . فرد عليهم غاضباً بقوله : وأنتم الذين

تقولون الذى قلتم ، لا أشبع الله بطن عمر ، بثس الحاكم أنا إذا شبت وجاع الناس !!
لم إذن كنت إماماً؟ وكيف أصلح للناس قدرة ، إذا لم يصبنى ما أصابهم ، وكيف يعينى
شأن الرعية إذا لم يمسنى ما مسهم ، أيها الناس : إن لنا عليكم حقاً ، الصبح بالغيب ،
والمعاونة على الخير ؟!

وبالأمس القريب ذهب الرئيس نجيب لمواساة أهل قرية صهرجت الصغرى التى
دمرها الحريق ، وبعد أن طاف بالقرية ، وواشى أهلها ، ووزع عليهم معونة الله لهم ، صم
على رؤية المصابين حيث هم ، ليطمئن قلبه على راحتهم ، فقال له مأمور مركز أجا : ياسيدى الرئيس ،
انهم فى مستشفى أجا ومستشفى ميت غمر ، وشرح له متاعب الطريق الزراعى الطويل ، ثم قال :
تستطيع يا سيدى الرئيس لإنابة من تشاء لزيارة المصابين ، فقال الرئيس : إنى أريد زيارة
المصابين بنفسى ، أما الراحة التى تحدثنى عنها فأسقطها من حسابك ، وكيف لى بالراحة ، وهؤلاء
المساكين يفتشون الأرض ويلتحفون السماء !! ، وأصر على الركوب إلى المصابين
للإطمئنان بنفسه عليهم ، وهذا أمر يستحق التسجيل لأن مصر لم تعود من حكمها الناعمين
المترفين ، المتألمين فى تاريخ حديث طويل ؟!

هذه ملاحظات عابرة نقصد منها التوجيه إلى الخير ، وتقدير إحسان المحسنين ، وتحرى
ولاة أمورنا الاقتداء بسلفهم فيما كانوا عليه من الكمال المثالى .

وإذا كنا نطمح اليوم فى القدوة الحسنة ، التى نجدها فى الرئيس نجيب ، أن تعيد
لنا وبنا عهد العزة والكرامة ، عهد عمر بن الخطاب ، فلمنا نسرف على أنفسنا وقادتنا ،
فهذا الذى ذكرنا بشير عودة بالحكم إلى معنى خدمة الشعب ، وإن الحاكم خادم أو رائد
للشعب ، وقائده إلى الخير العام ، أو أنه كما قال عمر : « مثلى وإياكم كمثل ولى اليتيم منه
ومن ماله » ، أى حسن الرعاية ، وحسن الإرشاد ، لا السيادة والاستعباد ، ونحن فيما نلمح
من بشارت وأمارات تؤمن بأن العهد الجديد لابد بالغ بنا إن شاء الله إلى ذروة العزة
والكرامة ، وأنه سيعيد للإسلام مجده وقوته ، وأنه سيجعل « دين الدولة الإسلام » ، بحق ،
لا كما كان فى العهد الماضى جبراً على ورق ، وإنما له أعوان وأنصار « ولينصرن الله من
ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

محمود فياض

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين

الأزهر والثورة العربية

لم يقتصر دور الأزهر في التاريخ المصرى على الناحية العلمية ، بل كان للأزهر مواقف خالدة في تاريخ مصر القومى ، ومن أهمها الدور الذى قام به في الثورة العربية :

بعث روح النهضة الفكرية والادبية : ساهم الأزهر بنصيب وافر في إذكاء الحماسة ونشر التعليم وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية ، فقد قام رجاله وعلى رأسهم الشيخ عبد الله الشرقاوى منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب والزام الوالى باحترام هذه الحقوق ، ثم ظهر بعد ذلك رجال أفذاذ سجلوا للأزهر صفحات ذهبية في تاريخنا مثل رفاعة رافع والسيد عبد الله النديم والشيخ محمد عبده .

فالأول كان زعيما لنهضة العلم والادب في عصره ، ومن أهم أعماله تأسيس مدرسة اللسان التى خرجت نخبة من العلماء والادباء والشعراء ، كما قام بترجمة الدستور الفرنسى ، وعلق على الترجمة تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه ومبادئه ، وميل فطرى إلى ^(١) النظم الحرة ، وترجم القانون المدنى الفرنسى ، ونشر رحلته في فرنسا وسماها (تخليص الإبريز) ، ولم يقتصر نشاطه على التأليف والترجمة والتدريس بل خدم وطنه بقصائد شعرية تدل على وطنية صادقة وتفان في محبة الوطن حتى بلغ من حماسه أنه عرب أنشيد (المارسلين) الفرنسى الذى يعتبر من أعظم الأناشيد الحماسية القومية حتى لا يحرم أبناء وطنه من تذوق هذا النشيد .

وهناك السيد عبد الله النديم الذى حاول أن ينفث في الامة روح الحماسة كي يستيقظ الشعب من غفوته ، ونادى بضرورة تعاليم أبناء الوطن تعليماً نافعا ، وفي سبيل تحقيق أغراضه أسس (الجمعية الخيرية الإسلامية) ونحنا نحوا جديداً لنشر أفكاره ، فألف مسرحيتين إحداهما (الوطن وطالع التوفيق) والاخرى (العرب) ، مثلهما هو وتلاميذه على مسرح زرينيا بالاسكندرية . وقد بين في مسرحيته الاولى جميع الامراض والعلل التى تهدد

(١) تاريخ الحركة القومية للعلامة عبد الرحمن الرافى ج ٣ ص ٤٧٩ .

وجود الأمة من عدم أكثر من إصرار البلاد القومية وانصراف إلى الملذات واستغلال لضعف الجمهور وإبزاز للأموال ظلما وعدوانا . وقد نجح في تصوير هذه الأدواء نجاحا منقطع النظير ، ثم عمل على نشر أفكاره عن طريق الصحافة فأسس صحيفته الأسبوعية (التنسكيت والتبكيكيت) .

وبينما كان صوت النديم يجلجل بالإصلاح ويمهد للثورة في نفوس المثقفين كان الشيخ محمد عبده يبتث تعاليم السيد جمال الدين الأفغانى في دروسه ، ويعالج الشؤون العامة للبلاد في صحيفتى الأهرام والوقائع الرسمية ^(١) .

ومالنا نذهب بعيدا ورأس الثورة المفكر (أحمد عرابى باشا) تلقى علومه فى الأزهر مدة أربع سنوات ، وكان لهذه المدة على صلاتها أثر كبير فى تكوين شخصية عرابى كزعيم ثورى إذ جعلت منه خطيبا مفوها يستولى على عقول سامعيه ويزم مشاعرهم .
ووسط هذا النضوج الذهنى اندلع لهيب الثورة .

الشيخ محمد عبده يضع صيغة الميثاق الوطنى :

فى ٢٥ مايو عام ١٨٨٢ قدهت كل من إنجلترا وفرنسا مذكرة يطلبان فيها لإبعاد عرابى باشا وإرسال كل من على باشا فهمى وعبد العال باشا حلى إلى أية جهة داخل القطر المصرى واستقالة وزارة البارودى ؛ فرفض مجلس الوزراء مطالب الدولتين ، واجتمع أحمد عرابى باشا ومحمود سامى باشا البارودى وكبار الضباط فى قشلاق عابدين واتفقوا فيما بينهم على أن يكونوا بدا واحدة فى الدفاع عن البلاد ، وأرسلوا إلى الشيخ محمد عبده ليضع لهم صيغة ميثاق الثورة فوضعها لهم ، وتلاها عليهم ، فرددوها فى صوت واحد .

العلماء والضباط يؤسسون من مجلس الحديوى :

استقالت وزارة البارودى يوم ٢٦ مايو عام ١٨٨٢ ، وأراد الحديوى توفيق أن يبتث التفرقة فى صفوف الزعماء ، فعقد اجتماعا يوم ٢٧ مايو حضره من العلماء الشيخ محمد الانبائى شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد عليش والشيخ حسن العدوى والشيخ أبو العلا الخلفاوى ، وحضره شريف باشا وكبار النواب والضباط وعرض الحديوى على المجتمعين تشكيل وزارة

(١) مقالاته منشورة فى الجزء الثانى من تاريخ الإمام محمد عبده .

برياسته ، وقبول المذكرة الإنجليزية الفرنسية . فأجاب طالبة باشا عصمت على كلام الخديو قائلاً : إننا مطيعون لجناب السلطان الشاهاني ولجناب الخديو . ولكن هذه اللائحة يستحيل علينا تنفيذها ، ولا حق للدولتين في طلب تنفيذها ، فهي تتعلق بمسائل من اختصاص الباب العالي أن ينظر فيها ويستحيل علينا قبول أحد رئيساً للجهادية خلاف رئيسنا أحمد باشا عرابي ، ، ووافق على قوله الشيخ عليش والعلماء جميعاً . ثم غادر طالبة باشا مجلس الخديو بدون استئذان وتبعه الضباط والعلماء .

العلماء يصدرون فتوى بعزل الخديو توفيق .

بعد ضرب الاسكندرية في ١١ يولية عام ١٨٨٢ قام عرابي باشا للدفاع عن البلاد ، فأصدر الخديو أمراً بعزله في ٢٠ يولية ، وبناء على ذلك اجتمع المؤتمر الوطني للمرة الثانية في ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ ليقرر موقف الامة من الخديو الذي أعلن بتصرفاته انضمامه إلى الإنجليز . وتلا الشيخ محمد عبده على أعضاء المؤتمر أوامر الخديو التي تثبت إدانته ، ومفشورات عرابي باشا التي تدعو إلى الدفاع عن الوطن . ثم ألقى على باشا الروبي خطبة ندد فيها بموقف الخديو المزرى إزاء قضية البلاد ، ثم تليت فتوى شرعية أصدرها العلماء بمروق الخديو عن الدين لانحيازهم إلى الجيش المحارب لبلادهم ، فأصدر المؤتمر الوطني قراره التاريخي بعزل الخديو ووقف أوامره وتكليف عرابي باشا بالدفاع عن البلاد ، وتكليف المجلس العرفي بتبليغ هذه القرارات للسلطان ، ووقع الحاضرون على ما قرره المؤتمر الوطني وكان من بين العلماء الموقعين على ذلك :-

الشيخ محمد الانبأبي شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ حسن العدوي ، الشيخ عبد الله الدرسناوي مفتي الحنفية ، الشيخ محمد عليش مفتي المسالكية ، الشيخ يوسف الحنبلي مفتي الحنابلة ، مفتي الاوقاف ، الشيخ عبد الهادي الأبياري ، الشيخ محمد الأشموني ، الشيخ خليل العازي ، الشيخ مسعود النابلسي ، الشيخ محمد القلعاوي ، الشيخ زين المرصفي ، الشيخ حسين المرصفي ، الشيخ سليم عمر القلعاوي ، الشيخ عثمان مدوخ ، الشيخ عبد الرحمن السويسي ، ومن رجال القضاء الشرعي : الشيخ أبو العلا الخلفاوي ، الشيخ عبد القادر الرافعي ، الشيخ عبد القادر الدليشاني ، الشيخ أحمد الخشاب .

جهود العلماء أثناء الحرب :

بذل العلماء مجهوداً كبيراً في سبيل الدفاع القومي ندعوا إلى التطوع في صفوف الجيش

المصرى وإمداده بالمؤمن والتبرعات . وكان من أبرزهم الشيخ محمد عبده والشيخ حسن العدوى والسيد عبد الله النديم الذى كان لسان الثورة الناطق والذى كان يستدعى للخطابة بالبرق حتى لقب بخطيب الثورة بل (خطيب الشرق) .

حكاية العلماء الذين اشتركوا فى الثورة العراقية :

بعد انتهاء الثورة العراقية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدموا للمحاكمة . وهاك بيان العلماء الذين قبض عليهم والاحكام التى صدرت ضدهم وأمام كل منهم لاسم البلد التى اختارها لمنفاه ^(١) :

الشيخ عبد الرحمن عlish	نفي خمس سنوات خارج القطر المصرى (الآسنة)
عبد القادر قاضى مديرية القليوبية	أربع
محمد الهجرسى	د
أحمد عبد الجواد القاياتى	د
محمد عبد الجواد القاياتى	د
يوسف شرابة	د
محمد عبده	د

هذا مع تجريدكم من الرتب والامتيازات والمناصب وعلامات الشرف .

وحكم على العلماء الآتية أسماؤهم بتجريدكم من جميع رتبهم وعلامات شرفهم وامتيازاتهم :

الشيخ حسن العدوى وابنه الشيخ أحمد العدوى - الشيخ أحمد المنصورى - الشيخ محمد السملوطى - الشيخ أحمد البصرى -- الشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى العضو الاول بالمحكمة الشرعية - الشيخ عبد الوهاب عبد المنعم قاضى إسنا سابقاً - الشيخ محمد أبو عائشة قاضى بور سعيد سابقاً - الشيخ على الجبال نقيب الاشراف بدمياط - الشيخ أحمد عبد الغنى - الشيخ محمد عسكر - الشيخ أحمد مروان - الشيخ محمد جبر قاضى المنصورة سابقاً - الشيخ عبد البر الرملى قاضى العريش سابقاً - الشيخ أحمد صلى نائب محكمة المنصورة سابقاً - الشيخ محمد غزال قاضى مركز البحيرة .

شجاعة الشيخ حسن العدوى رحمه الله تعالى .

استدعى هذا العالم الجليل من السجن محاكمته يوم الثلاثاء ١٤ محرم سنة ١٣٠٠ (الموافق ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢) فناطق بالحق غير هياب ولا وجل ولا مكترث بالحكم الذى سيصدر عليه ، ونفتيس هنا طرفا من محاكمته : سئل رحمة الله تعالى : هل ختم على عزل الخديو وإسناد أمر الدفاع عن البلاد إلى عرابي باشا برغبته ورضاه ، أم لسبب آخر ؟ .

فأجاب : ختمت تابعا للعلماء الذين ختموا قبلى مثل شيخ الإسلام ومفتى الجامع الأزهر وشيخ الجامع وغيرهم ، وكان ختمى برغبتي ورضائي للدفاع الواجبة شرعا وسياسة ، وما كان ينبغى لاحد أن يتمتع عن الختم .

س : علم المجلس أنك أفيتت بعزل الجناب الخديوى ، فهل هذا حقيقة أم لا ؟ .

ج : لم تصدر منى فتوى فى ذلك ، ولم أسأل فى هذه المادة . ومع ذلك فإذا جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فإني أوقعه ، وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تشكروا أن الخديو توفيق مستحق للعزل لأنه خرج عن الدين والوطن .

هذه هى صفحة من الصفحات المجيدة سجلها الأزهر بحروف من نور فى تاريخنا القومى .

أحمد عز الدين عبد الله خليف الله

المدرس بمعهد دسوق

إلى الذين يشوهون تاريخ الإسلام

- إذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
- ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ ، فهذا سهل ميسر حتى للحمقى .
- ولكن المصالح من لم يستطيع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .
- للتاريخ حدود كمالك الأرض ، فلا يتسع إلا لعدد محدود .
- لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملأوا داراً صغيرة ،

مصطفى صادق الرافعى

الفوز لفكري للبشر الإسلامية

بفضل الفوز العسكري للصليبي

منذ اندحرت جيوش أوروبا في حملاتها الصليبية على البلاد الإسلامية أمام جحافل صلاح الدين ومن جاء بعده من سلاطين المسلمين وملوكهم وقادتهم المجاهدين الذين قاوموا الغزو الصليبي بكل ما لديهم من قوة وبأس ولم يفتروا في مقاومته مدة مائتي سنة أو تزيد حتى قضوا عليه قضاء مبرما ، وطهروا منه البلاد وأراحوا العباد ، وحفظوا بذلك لبلاد الشرق حريتها واستقلالها وأبقوا لها صبغها الإسلامية والعربية ، مما سجله التاريخ لأولئك المجاهدين الأبرار بأجل التقدير والإعجاب .

ومنذ ارتدت فلول الصليبيين إلى بلادها تجر أذيال الفشل والإخفاق ، أخذت حكومات أوروبا وجمعياتها وساستها وكبار رجال كنائسها على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، في بحث أسباب هزيمتهم واندحارهم أمام جيوش المسلمين ، وبعد أن رجعوا إلى تاريخ حملاتهم على البلاد الإسلامية وسبروا أعمالها بكل دقة وتمحيص اتضح لهم أن إخفاقهم أسباباً وعوامل متعددة ، وتؤكد لديهم أن العامل الأول في صدمهم وطردهم من البلاد الإسلامية هو إيمان المسلمين بالله ورسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وتغلغل هذه العقيدة الإسلامية في أعماق نفوسهم واعتبارهم الجهاد في سبيل الله عبادة مفروضة يتقربون بها إلى الله ، وأن استمسك المسلمين بأوامر الإسلام وآدابه وحرصهم على أداء واجباتهم الدينية كان له أكبر الأثر في ثباتهم في ميادين القتال وتصميمهم على مقاومة عدوهم والالتصاحب عليه مهما كلفهم ذلك من خسائر في الأموال والأنفس والثمرات ، وغير ذلك من تضحيات يعتبرونها قربات إلى الله تعالى .

فهذا الإيمان العميق والإخلاص والصدق في دفع العدوان عن دينهم وأوطانهم وديارهم استحقوا النصر والفوز على أعدائهم .

فلما ثبت لديهم بالدليل القاطع أن قوة المسلمين في عقيدتهم وتعاليم دينهم ، وأنهم ما داموا مستمسكين بها فلن تستطيع أية قوة من الغزاة أن تسيطر على بلادهم ، حينئذ أخذ

أولئك الصليبيون من الساسة والقادة ورجال الكنيسة يرسمون الخطط ويضعون البرامج لإضعاف الروح الدينية في نفوس المسلمين وفتنتهم عن دينهم وتنصيرهم إن أمكن ، فأعدوا حملات منظمة لغزو بلاد المسلمين في المشرق والمغرب غزواً دسليماً ، بإرسال طوائف وجماعات من القسس والرهبان والراهبات المدربين تدريباً خاصاً والمدارسين تاريخ وعادات وتقاليد البلاد التي ندبوا للعمل فيها ، وأدخلوهم في بلاد المسلمين للتبشير بالنصرانية بين المسلمين وأمدوهم بالأموال الطائلة وجعلوهم في حماية الدولة الكبرى وتحت رعايتها وإشراف رجالها من مدنيين وعسكريين .

قال مستر ادوين بلس في كتابه (ملخص تاريخ التبشير) : « إن ريمون لول الاسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فتعلم لول اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة (١) » .

وقررت اللجنة التي ألفها مؤتمر أدنبرج التبشيري لبحث الاعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون في البلاد الإسلامية ، ما يلي :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة تركيا على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الاوربيون « في البلاد الإسلامية » ، كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها ، (٢) » .

وقال اللورد بلفور رئيس الشرف لمؤتمر أدنبرج التبشيري في تأييد المبشرين ووجوب تشجيعهم ومعونتهم ما نصه : « إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات « يعنى الاستعمارية » ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات . وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين . فأجيب اللورد إلى اقتراحه وتألفت لجنة مختلطة لمواصلة العمل (٣) » .

٢ — وجاء في مجلة العالم الإسلامى الفرنسية أن السير جيروار حاكم أفريقيا الشرقية

[١] عن كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) ص ١٧ تأليف مسيو لوشاتليه وتريب الاستاذين محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٢

(٣) نفس المصدر ص ٧٨

الإنكليزية صرح في المؤتمر الذي أقامه المبشرون على ظهر الباخرة «غالف» في البحر الأحمر أنه يجب على المبشرين أن يشتركوا في العمل ضد الإسلام،^(١).

وقد ذكر مستر بلس في كتابه تفصيلات عن أعمال الجمعيات التبشيرية الإنجليزىة والأمريكية والهولندية والفرنسية والسويدية والدانماركية وسواها من جمعيات اقتسمت العمل في الأقطار الإسلامية في مصر والسودان وسوريا وفلسطين والعراق وبلاد إيران والهند وجاوا وبلاد المغرب وأفريقيا وغيرها من أقطار.

فقد انطلق أولئك المبشرون والمبشرات بتأييد من حكوماتهم يجوسون خلال الديار الإسلامية منذ القرن الثامن عشر الميلادى أو قبل ذلك كما تدل بعض الروايات التاريخية، مستغلين ضعف الحكومات الإسلامية في القرون الأخيرة، ومن جراء ذلك الضعف استطاع المبشرون أن يؤسسوا في أكثر الأقطار الإسلامية كـ مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وبلاد المغرب والهند وأفريقيا وسواها مدارس وكليات ومستشفيات ومصحات ودوراً للسكتب وجمعيات ومنتديات للذكور والإناث ظاهرها معالجة المرضى وتدریس العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية. وباطنها وحقيقة قصدها محاربة العقيدة الإسلامية ومقاومة الآداب والتقاليد العربية والشرقية الفاضلة.

ولا شك في أن المبشرين قد نجحوا كثيراً في تنفيذ جانب كبير من خططهم وأهدافهم في البلاد الإسلامية، وبخاصة توطيدهم للاستعمار الأجنبي، وعملهم على خدمته. كما أن مدارسهم الأجنبية ودعائهم السامة تتحمل أكبر قدر من تبعه ما تعانيه مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين وبلاد المغرب وسواها من بلاد العرب والمسلمين من انحلال خلق والطلاق من آداب الإسلام وتقاليده الحميدة، فقد بث المبشرون والمبشرات الشكوك والشبهات واحتقار العقيدة الإسلامية في نفوس الفئس من أبناء المسلمين وبناتهم بمن أدخلوا مدارسهم وطبعوهم بطابعهم الأجنبي الغريب عن الإسلام وتقاليده، وآدابه، وعودوهم على مشاركتهم في طفوسهم وعادانهم، وأغروهم باتباع مبادئ التقاليد الأوروبية الإباحية بزعم أنها من أسس التمدن والرقى العصري، وبإغرائهم انتشرت الحفلات الماجنة

التي يختلط فيها الرجال والنساء مخمورين في حبايات الرقص الهمجي المستهتر المخالف لكل دين وخلق نبيل .

ولقد أثر المبشرون والمعلمون الأجانب على عقول تلاميذهم المسلمين وحشوا أدمغتهم بتاريخ أوروبا وأمريكا وتيجيد قاداتها وساستها ومفكراتها من الفلاسفة والمخترعين والعسكريين وصورهم لهم بصور الابطال العباقرة الذين يجب الاقتداء بهم ، وحملهم بطريق مباشر أو غير مباشر على الاستهانة بدين الإسلام والاستهتار بأوامره وآدابه وقضائمه ، محرفين الحكم عن مواضعه ، مصورين لهم بصورة مشوهة مفتراء تاريخ النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقادة الإسلام وحاميه ، ذاكرين تاريخ فتوحات المسلمين ومفاخرهم وما كان لهم من قوة وعلم وحضارة بشكل قائم لبغفروا أولئك الصغار السذج من البنين والبنات من دينهم الإسلامى الحنيف ومن أبطاله المجاهدين الذين ملأوا الأرض إبان دولتهم قسطاً وعدلاً وحكمة وحضارة وعلماً .

وعما يقررونه لتلاميذهم أن حرية الفكر والرأى ينبغي أن لا تمنع الإنسان من الطمع في الدين ومخالفة ما عليه جماهير المسلمين وعامتهم ، وأن الشخص لن يكون متمديناً عصرياً إلا إذا قلد الأجانب في زيهم وعاداتهم ، وسائر الغربيين في تقاليدهم ، وانغمس في حفلاتهم ومبازلهم ، واقترف مثل ما يقترفون من آثام في اجتماعاتهم المختلطة رجالاً ونساء ، وتعاطى ما يتعاطون من كؤوس المشروبات المحرمة إلى جانب كؤوس المخادنة وما يتبعها من فحشاء ومنكر وتقويض للعقل والاخلاق ثم خراب للبيوت وانتهاك الاعراض والحرمات .

فتلك الآراء الضالة التي بثها أولئك الأجانب في تلاميذهم من أكبر العوامل في حدوث البابلية الخلقية والاجتماعية التي يشكو منها المجتمع الإسلامى والعربى اليوم .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا : إن هذا الغزو العسكرى الاجنبى لمصر والسودان وسواهما من بلاد المسلمين والعرب في المشرق والمغرب لا يقتل خطره وضرره عن الغزو العسكرى ، بل صنوه ونصيره . وإن الافطار العربية والإسلامية لن تطمئن على حريتها واستقلالها إلا إذا تخلصت من الغزو الاجنبى بأنواعه سواء أكان غزواً عسكرياً أم فكرياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً .

إن الدين الإسلامى يفرض على المسلمين كافة أفراداً وجماعات أن يتعاونوا على مقاومة الغزو الأجنبى بجميع أشكاله ليحفظوا دينهم وعتيدتهم ، ويصونوا أوطانهم وديارهم من كل نفوذ أجنبى ليعيشوا أحراراً كما خلقهم الله .

وإن مقاومة حملات الغزو الفكرى الأجنبى تحتاج إلى خطط مضادة وتنظيم وكفاح مرير يقوم به علماء الأزهر الشريف وإخوانهم من علماء المسلمين ، وقادتهم وزعمائهم وأصحاب رأى منهم فى مختلف الاقطار ، وإنى لأوجه أنظار القادة الداعين إلى مؤتمر العالم الإسلامى الازمعه عقده فى هذا العام إن شاء الله أن يبنى مؤتمراً بمعالجة هذا الموضوع ويرسم الخطة العملية لإنجاحه .

وإنى لأهيب بقيادة هذه النهضة الإصلاحية المباركة فى مصر ، الذين عانوا من فساد المبشرين وكيدهم فى جنوب السودان ما عانوا ، أن يعملوا للخلاص من هذا الغزو الفكرى الاستعمارى ، باتخاذ خطوات إيجابية حازمة تستأصل الشر فى جذوره وترد كيد العدو إلى نحره ، وذلك بإنشاء مدارس كافية ومستشفيات ومصحات ومكتبات يستغنى بها الشعب المصرى عن معاهد الأجانب ، وأن يسن قانون جديد يوحّد نظم التعليم العصرى وبرامجه وينص فيه على وجوب تعليم الدين الإسلامى لكل تلميذ مسلم وإنشاء مسجد فى كل مدرسة مصرية أو أجنبية فى جميع البلاد المصرية ليؤدى فيها المسلمون من الطلبة والطالبات فرائض الصلوات والشعائر الدينية الإسلامية . ولا جدل فى أن اتخاذ مثل هذه الوسائل الحازمة وتنفيذها من حق أبناء الوطن ، وذلك كفيل بإراحة البلاد والعباد من شرور أعداء الحق وضلالاتهم ، وأى إجراء تتخذه حكومة مصر فى هذا السبيل سيكون له صداه وأثره الحميد فى جميع البلاد الإسلامية والعربية التى ستقتدى بمصر وتتبع خطواتها وأساليبها فى ذلك إن شاء الله .

محمد صبرى عابدين

من علماء الأزهر الشريف

آراء وأحاديث

علوم البلاغة في الميزان

إنا نتقدم بالشكر إلى الأستاذ الشيخ محمود النواوى ، أن أجاب دعوتنا إلى مناقشة ما كتبناه في نقد علوم البلاغة لنحفز العقول إلى البحث والابتكار ، وغربة تراثنا الماضى لنطرح منه الزوان ونبقى منه الحب الخالص النافع ، وقد حصر ما نقدنا به فى أمور :

١ — أنه جعل للذكر بلاغة مثل الحذف إلا أن الحذف أدق وجعل منه دفتأى آلاء ربكنا تكذبان .

على أن ليس عدلا من كليب . د أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به . وقول الشاعر :

وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا
وما ذكره يؤدى إلى أن يكون جاء زيد وضرب عمرو وأكل خالد بليغا لأنه ذكر صادف موضعه فيقال ذكر المسند إليه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .

ومثل هذا لا يوصف بالبلاغة وإنما يوصف بالصحة والسلامة من الخطأ واللعن ، وما ذكره من الأمثلة ليس بعضه بما نحن فيه بل هو من باب آخر هو باب التكرار مثل : د فبأى آلاء ربكنا تكذبان ، التى تكررت فى سورة الرحمن ومثل : على أن ليس عدلا من كليب . التى تكررت فى قصيدة المهمل .

وكنا نود أن يأخذ بالمنهج الذى رأينا أن نأخذ أنفسنا به وهو أن نعرض القول على أذواقنا فإن أحسننا له جمالا وأخذتنا له أريحية ، علمنا أنه بليغ وبخشنا عن علة جماله وسديه ، ولو أخذ نفسه بهذا المنهج لما رأى فى أمثال جاء زيد وضرب عمرو جمالا وحكم بأنه وإن كان من باب الذكر الذى صادف موضعه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ليس بليغا ، ولحكم بأن عبد القاهر كان مصيباً حين عمد إلى أبواب وخصها بالقول وبين ما فيها

من بلاغة ولم يحمل كل كلام ككل كلام ما دام قد أصاب النحو ولم يخالف موضعه ولو سار المتأخرون كما سار عبد القاهر لميزوا الجمال وأفردوه وهدوا إليه ودلوا عليه ولأجدى ذلك على المتعلمين فكانوا بذلك التمييز والإفراد يعرفونه ويتوخونه في نثرهم وشعرهم .

٢ — لما قلنا إن في الحذف جدة وطرافة لأن الناس لم يعتادوه اعترض بأن الناس اعتادوه ثم ذكر هنا أن العامة تعرف البلاغة وذكر حكاية :

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب

ونحن لا نزال نؤكد أن الكلام الذى لم يحذف منه ألف وأشد دورانا على ألسنتهم وأن الكلام المحذوف منه أقل من القليل .

وما زلنا نرى في الكلام المحذوف جدة وطرافة ونرى مكان المحذوف خاليا نفتقده فلا نجد من حيث كنا نترقب وجوده .

وأما أن العامة قد يقع لها كلام بليغ فهذا ما لم تنكره ولم نخالف فيه ، بل قد صرحنا به وقد كنا نود أن نمثل في باب الحذف بقولهم :

شاكى ومين يبسمع منى باكى ومين يبسال عنى

والمعنى أنا شاك ، وأنا باك ولكنك حذفت فكان له هذا الحسن وهذا الجمال .

٣ — وأما اعتراضه بأن قول علماء البلاغة بأنه يحذف الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخيل العدول إلى أقوى الدليلاين من العقل أو اللفظ لازم لقوله إذا ذكر مع القرينة كان كالتقيل .

ولا يضرهم أن يدققوا بمراعاة قيود معينة .

ونحن ننقل عبارته بلفظها ليشاركنا القارىء فهمها .

سلك مسلك التعليل النفسى وهو كما بينته في آخر الكلام معنى يشعر المرء بأثره ولا يدركه ولكن الفلسفى العارف بخفايا النفوس يدركه ويؤمن به .

وإذا كان ذلك فلماذا لم يطبقه على قولهم الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أو تخيل العدول إلى أقوى الدليلاين أليس ذلك لازما لقوله إذا ذكر مع القرينة كان كالتقيل الخ . ولا يضره أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة « بناء على الظاهر » ، وكلمة « تخيل » ، فإن

ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

الفرق بين العلل التي نذكرها والتي يذكرها العلماء المتأخرون أن العلل التي نذكرها هي أمور إذا كان الكلام عليها اكتسب الجمال والروعة سواء أعلمها المتكلم أم لم يعلمها أما العلل التي يذكرونها فهي أمور يقصدها المتكلم فلا بد أن يكون عارفاً بها ولذلك إذا عترضنا عليهم حين يقولون بأن المسند إليه يحذف لتخيل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، بأن هذه معان لا تدور بخلد المتكلم ولا يعرفها - لا يلزمنا ذلك في تعليلنا لأننا لم نقل إن المتكلم يقصدها ، أما هم فقوهم تخيل العدول أى تخيل المتكلم العدول يقتضى أن المتكلم يعرفه ويقصده لأنه كيف يخيل شيئاً لا يعرفه ولا يقصده ، فقوله ولا يضر أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة «بناء على الظاهر» وكلمة «تخيل» ، فإن ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

قلنا ذلك يضر كل الضرر لأن المتكلمين ليسوا جميعاً فلاسفة بل الفيلسوف يكون واحداً في المليون أو أقل ، فلا يراعون هذه المعاني الدقيقة والقيود الخفية المحتاط فيها كل الاحتياط ، أما نحن فلم نوجب أن يعرف المتكلم علل البلاغة التي نذكرها ، وإنما يعرفها العالم الذي اشتغل بالعلوم الحكيمة ، وهما جميعاً يحسان جمال الكلام وروعته ، وبعد ذلك يختلفان ، أما العامى فلا يدرى العلة والسبب ، وأما الحكيم فيدرى العلة والأسباب ، ومثل ذلك مثل عالم وحكيم يسمعان قطعة موسيقية أو يربان روضاً نضيراً ، فيطربان ويمجبان ولكن الحكيم يدرك من تناق النغم ومن بدائع الصنعة ما لا يدركه الآخر .

وقد بقي من اعتراضات حضرته اعتراض واحد وهو أن بعض العلل التي ذكرتها لازم لبعض ، فلهجوم بالمخاطب على المطلوب دفعة يلزمه دفع الاستقمال والاستكراه ، فإن من هجم بك على المطلوب فقد دفع عنك ثقل الفضول الذي تقضى به العين - وأقول وإذا كان أحدهما يلزمه الآخر فماذا يقدح في كونهما شيئين - لا أنه لا يقدح في كونهما شيئين وقد عدناهما أمرين لذلك ، وهما حقيقةتان متميزتان كل التميز . ثم قال: مع أنني كنت أحب ألا يورد في هذا المقام البيت الذي أورده .

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

فإن القريب من النفس أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر، وإن اشتغال المريض بشأنه جدير أن يحول دون مراعاته لحال السامع وإذا كان المريض مشغولاً بأمره عن احترام الزائر والاعتدال له وتحيته، فأحرى ألا يفكر في الهجوم به على المطلوب. وأقول هذا الاعتراض يزول بما قدمناه من أن العلل التي عملها بها حسن الكلام لا يلزم أن يقصدها المتكلم فلا يضرنا أنه مشغول بأمره عن أن يفكر في الهجوم على المطلوب دفعة، فإن ذلك لازم للحذف سواء أُراده المتكلم أم لم يردّه، فإن من سمع في جواب كيف أنت؟ عليل. فقد هجم على المطلوب دفعة دون أن يشغل بأمر آخر، وما ارتضاء من أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر لا يتنافى مع ما قلناه فيمكن أن يجتمعا، ولو شدّدنا المشاحة قلنا إذا كان ضيق المقام لم ينمعه أن يتبسّط في الجواب، فيقول عليل سهر دائم وحزن طويل فخرى ألا يضيق بقوله: أنا.

وأكرر شكرى للأستاذ النواوى مرة أخرى وإلا فقه أن يأمنا الصواب ويحبنا الزلل.

م. ع.

المرأة

• لا شيء يشرف المرأة مثل صبرها، ولا شيء يشينها مثل صبر زوجها عليها.

جويبر

• خير للمرأة أن تنظر في شأن منزلها وأطفالها، من أن تبحث في أمور لا شأن لها بها.

نابليون

• المرأة أفقدتنا الفردوس، وهي وحدها قادرة أن تعيده إلينا. هوتير

• أصعب شيء على المرأة أن تسكتم أمراً. شكسبير

• يختبر الذهب بالنار، ويختبر المرأة بالذهب، ويختبر الرجل بالمرأة. شيلون

• امرأة كسيحة في البيت، خير من امرأة طائشة مقسكة في الطرقات.

برودون

الأمانة الأولى

للأستاذ الكبير رئيس التحرير بمجلة الأزهر الغراء جولانه القوية الموفقة ، وبحوثه الضافية القيمة ، وتوجيهاته السديدة الرشيدة في سبيل الإصلاح والمصلحين ، وهو إذ يعالج كيف تنهض الأمة يضع أمله في العلم ورجال التعليم ، ويطلب إلى وزارة المعارف أن تسارع إلى إصلاح نفسها ... لتبنى نظامها الجديد على تخريج جيل يؤمن بالأخلاق والفضائل .

فإذا تكلم عن مدرسي الأزهر رأى واجباً عليهم أن يقودوا حركة التجديد في الأخلاق وأنهم أولو الأمر في الإسلام ، وبخاصة منذ تخلى الخلفاء والملوك والولاة عن قيادة الناس وإمامتهم وإرشادهم الديني .

ويقول الأستاذ : « إن هذه الأمة أمانة الله في أعناق علمائها ... وإن الرعاة الذين سيعهد إليهم بعد سنوات قريبة بالإشراف على مئات الملايين من المسلمين هم هؤلاء الألوف وعشرات الألوف من طلبة السكليات والمعاهد الأزهرية في مصر وأمثالها في الأوطان الأخرى ، .

وهذا الكلام القوي الرائع من مثل الأستاذ في مكانته وعلمه وجهاده المعروف ، ومن فوق هذا المنبر العتيق الخالد ، سيكون له بإذن الله أثره المرجو في حفز الهمم الوانية ، وإيقاظ العزائم الحائية ، وتوجيه العقول والقلوب إلى مواطن الضعف ومواقف الإصلاح .

وان الأزهرى في حاجة إلى أن يسمع هذا الكلام الصادق الجليل ، فلم يخرج الأزهرى عن دنيا الناس يوماً ، وإنما هو بشر من البشر ، يسوءه ما يسوؤهم ، ويسره ما يسرهم ، وطالما سمع القوارص اللاذعة من المحبين والشائنين على السواء ، وطالما آذاه الجحود والنكران حتى أوشك بنوه أن يفقدوا الثقة بأنفسهم ومعهدهم ، من كثرة ما يسمعون ويقرون على السنة قوم يجحدون الهدم ، وقلما يحسنون البناء .

الأزهر مسئول عن تراث النبوة ، ولغة العروبة ، وبلاغ الدعوة إلى العالمين ، مافي ذلك ريب ، وليس يجديه ولا يعفيه أن يرى السلطان في يد غيره ، فسلطانة بالدين أقوى ، وعزه بالله أوثق ، وبلدنا والحد لله بلد إسلامي يستجيب للدين متى وجد من يوجهه إليه في حكمة وموعظة حسنة .

وفي الازهر قوى كثيرة مذخورة ، وجنوده بحمد الله لا يحصيهم العد ، ولو أحسن توجيههم وقيادتهم لانهمضوا مصر عن أقرب طريق وأيسر سبيل ، ومن وراء مصر العالم الإسلامى كله ، ولشع نوره ، وبهر ضوؤه أبصار الغرب والشرق البعيد ، فجاء النصر من الله والفتح ، وكان الدين كله لله .

إنه لحق ، يروونه بعيداً ونراه بتيسير الله قريباً .

ولكن أمر الإسلام يا سيدى ليس واجب الازهر فحسب ، إنه واجب كل مسلم يستطيعه ، وإذا كان الازهر يقوم به فرض كفاية عن جميع المسلمين ، فإن حق الازهر على الدولة أن تتمكن له فى أداء هذا الفرض على أكمل الوجوه وأتمها .

وإنما أردت المشاركة بكلمات معقولة أطلقها المقال القيم هـ أماتان ، وأملى فى الإصلاح كبير ، لتدخل هذه السمكات فى إعداد هذا الجيل من الرعاة للأمة الإسلامية .

إن أول ما يشكوه الطالب الازهرى فى دراسته صعوبة الكتب ، وكلها أو جلها قد كتب فى عصور تقضت ، ليست هى بأرقى العصور الإسلامية فكراً ، ولا أغزرها علماً ، ولا أعظمها مدنية أو حكماً ، بل كان دأب المؤلفين فيها أن يوجزوا فيجمعوا المعانى الجمة ، فى الالفاظ القليلة كأنها بمدوح الشاعر يقول فيه :

ويقتضب المعنى الكثير بلفظة ويأتى بما تحوى الطوامير فى سطر

بما اضطرهم إلى الشروح والتقريرات والحواشى ، فلا يسترسل الطالب فى طريق معبد يسير به قدما إلى غايته ، يحبب إليه الدرس ويغريه به ، وإنما ينتزعه من المعنى العام الذى يريد المؤلف أن يؤديه إلى ملاحظة ما تشير إليه لفظة ، أو تفيد عبارة ، أو تعنيه جملة ، أو يستقيم عليه تأويل وتخرج . ولئن كان فى ذلك نوع من التربية لقوة الملاحظة فإن الإسراف فيه جعله ثقلاً فادحاً معوقاً عن التحصيل ، فلا يكاد الدارس يفتى إلى نهايته حتى يكون استنفذ قواه ، وشت موضوعه ، وتفرقت وحدة مسأله .

وقد كان ذلك هينا نوعاً ما ، يوم أن كانت العلوم والمعارف محدودة ، ولم يكن الازهرى فى حاجة إلى غير كتبه ، وكان هو وحده العالم المشهود له . أما الآن وقد اتسعت المعرفة وكثرت فروعها وتنوعت فنونها ، وشاعت الثقافة ، وصار القارىء أو السامع يلم بأخبار العالم فى دقائق ، ويعلم آخر ماجد من أنباء العلوم والمعارف ، والحياة كلها سباق لا هوادة فيه ،

فلم يعد مفهوماً أن يظل الأزهرى معنى بهذه السكتب يحمل أنقالها ، فأما أن تبظه فينوء بها ، ويتبرم ويود لو تخلص منها - وقلما أجدت على من زهدا وقلاها - وإما أن ينقطع لها ، ويقف حياته عليها ، ويصحبها في غدوه ورواحه يتألف نافرهما ، ويعالج ما استعصى عليه منها ، فإذا ملسكم وملسكمته فهو عن دنيا الناس في معزل .

وقد أحسن فضيلة الأستاذ الأكبر - أدام الله له التوفيق وأعانه - حينما استجاب لرغبات كثيرة في هذا الشأن فعهد إلى أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد بتأليف لجان من الأساتذة في كل علم ، لدراسة أمر السكتب المقررة ، وإبداء الرأى في مقدار صلاحيتها للدراسة .

ولسنا نريد الوقوف عند حد إبداء الرأى في السكتب ، ليغير كتاب بكتاب مثله أو أفضل منه ، وإنما نريد نهضة علمية شاملة ، تجدد من حياة الأزهر وروحه وقواه ، نريدها نهضة تفتطم هذه القوى الشثية ، وتستثير في ذلك الأسد الرابض نشاطه ، عله ينفض عن نفسه ذلك الخدر الذى طال عليه الأمد .

في الأزهر كبار الشيوخ من تعرف الأمة ، ومن لا يعرفهم سوى الأزهر ولهم في العلم أقدام رائخة . وفي الأزهر شبيبة ناهضة متبصرة ، فلم لا يفتنع بكل أولئك القوى في تجديد شباب الأزهر وخدمة الإسلام ؟

لقد ذكر الشيخ الأكبر أن من صميم عمل الأزهر قيامه بناحيتين : ناحية الدرس وتتولاها هيئة التدريس بالمعاهد والسكليات . وناحية البحث ، وتقوم بها جماعة كبار العلماء من توفروا على بحث قضايا العلم والدين ، لم لا يفتنع بجهود هؤلاء الاعلام في البحث والتأليف ولم لا تكون هناك اللجان العلمية للمعاهد والسكليات ، تتابع النظر في البرامج ، وتدرس وتقارن وتقرر وتعديل ، مستنيرة برأى الأساتذة القائمين بالتدريس - كما طلب ذلك اتحاد العلماء بالغربية في مذكرته المرفوعة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وولاية الأمر فيه .

لقد طلبوا في جملة ما رأوا من وجوه الإصلاح العلمى :

أن تؤلف لجنة دائمة للشئون العلمية ، لا شأن لها بالنواحي الإدارية ، وليست كذلك اللجان المعهودة ! ! وإنما يجب أن تعمل جديا على رفع المستوى العلمى والحقاق في الأزهر ، وأن تستعين بالأكفاء وذوى الرأى وأن يتاح لسكل راغب في الإصلاح الاتصال بها على أن تواجه العام الدراسى الجديد بشمرة هذه الجهود .

لستأ نريد إذن مجرد الرأى فى الكتب ، فهناك موضوعات جديدة كثيرة يجب أن يلم الطالب الأزهرى بها ، فقد جد فى الفقه مثلاً ما لم يكن معروفاً لغير الخاصة وكانوا يتخرجون منه وصار الآن أمراً مقضياً يتعامل الناس عليه فى حياتهم الجارية ، وتعتمد الفتىا الرسمية . وجد فى التوحيد من الآراء والمذاهب والشبه ما يضطر الطالب إلى دراسته وتفهمه ومعرفة وجه الحق فيه . وهكذا سائر العلوم المقرر تدريسها فى الأزهر ومعاهده . وليكن ذلك الجهاد العلمى بين الاساتذة أساساً لتقدير الكفايات العلمية ، والمسكافات الادبية والترقيات إلى السكليات والمناصب السكبرى ، وليكن كذلك علاجاً ناجعاً لكثير من المشاكل الحاضرة التى تزداد على الايام تعقداً .

أما الوسائل الأخرى لإعداد هذا الجيل من ثقافة وخلق ونشاط مدرسى وغيره

فإلى مقال تال إن شاء الله .

كمال محمد عوده

المدرس بمعهد طنطا

المسلمون بين يقظتهم وسباتهم

المسلمون على جهالة بعضهم	عرفوا الحياة نعيمها والبوسا
أخذوا عن الزمن المشاغب علمها	وتجرعوه من الخطوب دروسا
أفيلغون مدى العواصف نوّما	أم يدركون سنا البروق جلوسا
ليس الذى لبس السلاح كماجز	جعل التهيب والنكول لبوسا
قل للألى جهلوا الجهاد وحكمه	لا تأخذوه محرفا معكوسا
خوضوا الغمار ، فلن تنالوا مأربا	حتى تروها تستطير ضروسا
لو ضمن معتق الختوف بنفسه	ما نال من دنيا الرجال نفيسا

أحمد محرم

كِفَاحُ الْحَيَاةِ

قِصَّةُ كِفَاحِ مُسْلِمِي أَلْبَانِيَا

حين أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية ، بدل حياة أهلها من خمول ولهو إلى جهاد وعمل ، فإذا بالامه العربية المبعثرة التي لم تكن تحس بها الإمبراطوريات العظيمة الموجودة حينذاك ، إذا بها تمز العالم المعروف هزاً ، وتغزو أراضيه ، وتنفث دين الله ، فيدخل الإسلام القلوب ، ويقيم فيها راسخاً لا يزله أمر مهمما عظم .

وأخذ العرب يسيحون شرقاً وغرباً ، يركبون متن البحار أو يقطعون الفيافي ، يملأ النشاط جوانب حياتهم ، ويفيض عنهم ، فيغمر من يتصل بهم من شعوب . وعن طريق هؤلاء الرحالة الجوايين في كل الآفاق ، المتاجرين في كل ثغر وميناء ، دخل الإسلام جزر الهند الشرقية ، وتمسكن من قلوب أهلها ، فغدت بلاداً إسلامية ، وكانت المدنية الإسلامية في القرن العاشر الميلادي تلمع بأسطع أشعتها فتضيء الطريق لكل من يريد أن يمتدى .

وعرفت جاوة والملايو الإسلام عن طريق هؤلاء التجار العرب ، ولم تكن العلاقات التجارية وحدها هي السبب في اعتناق أهلها الإسلام ، وإنما هي قوة العقيدة في نفوس حاملها ، تفيض منهم إلى غيرهم ، فتأخذ طريقها إلى القلوب ببساطتها ، وإلى العقول بقوتها ، فلم يكن عجباً أن يكتسح الإسلام في هذه الأقاليم الديانتين السائدتين وهما البرهمية والبوذية .

* * *

ودفعت الحالة الاجتماعية أهل الملايو إلى الهجرة ، وكان طريقهم الطبيعي يتجه إلى مجموعة من الجزائر - هي المعروفة بجزائر الفلبين - فوصلوا إليها على ثلاث دفعات ، الأولى ما بين سنة ٢٠٠ - ١٠٠ ق م ، والثانية ما بين ١٠٠ ق م - ١٣٠٠ م . والثالثة من

١٣٧٠ - ١٥٠٠ م ، وكان أهل الملايو في هذه الفترة الأخيرة قد دخل الإسلام قلوبهم ، فنقلوا معهم دين الله الحنيف إلى جزائر الفلبين ^(١) .

والفلبين مجموعة ضخمة من الجزائر ، يباغ عددها ٧٠٨٣ جزيرة تقريباً ^(٢) ، تقع بين خطي عرض ٢١ ، ٤ شمالاً ، وخطي طول ١١٦ ، ١٢٨ شرقاً ، وهي جزائر بركانية جبلية كثيرة الزلازل ، غنية بمحاصلاتها النباتية والمعدنية .

وسكانها الاصليون زنوج أقزام Nigritoes من جنس Aetas ، قاربوا الانقراض ، ولا يوجد منهم الآن إلا أقل من ٣٠ ألفاً ، موزعين في جبال المناطق الكبرى ، يعيشون على الفطرة ، ثم جاء أهل الملايو ، ويكونون العنصر الغالب في السكان الآن بجانب جاليات صينية وبابائية ضخمة ، وعدد من الأوروبيين .

وعدد السكان - حسب إحصاء ١٩٤٨ يزيد عن ١٩ مليوناً ، ٤ ٪ منهم مسلمون أي ٨٠٠ ألف نسمة كلهم سنيون ، يقيمون في جزيرة منداناو وخليج صولو .

أما باقي السكان فيدينون بالمسيحية والوثنية ، وكان توزيعهم سنة ١٩٣٠ كالآتي :

مسيحيون ٨٠٤٨٦٠٧١٣ ، مسلمون ٣١٥٠٩٨١ ، وثنيون ٧٠٠٠٥٧٨ .

ويطلق على المسيحيين لفظ Philippinos ، وعلى المسلمين لفظ Moros ^(٣) .

* * *

قام فرديناند ماجلان برحلته المعروفة حول الأرض في أوائل القرن السادس عشر ، وفي ١٦ مارس ١٥٢١ وصل إلى أرخبيل كثير الجزر ، أطلق عليها اسم جزائر الفلبين ، تيمناً باسم الملك فيليب الثاني ملك أسبانيا وقتئذ . ودخلت هذه الجزائر باب التاريخ الحديث من ذلك اليوم ، فحاول الأسبان تثبيت أقدامهم فيها بقوة السيف ، ووطئوا أرضها بقواتهم سنة ١٥٦٥ ، وما لبثوا أن أرسلوا إليها رئيساً دينياً Bishop أسبانيا سنة ١٥٨١ ليشرّف على نشر المسيحية في هذه الجزائر ، بنفس الطرق التي اتبعتها أسبانيا بعد خروج المسلمين من أرضها ، والتي اتبعتها في كل مستعمراتها ، وهي طرق محاكم التفتيش .

(١) من مجلة Islamic Review عدد يناير سنة ١٩٥٣

[٢] ذكر الأمير شكيب أرسلان أن عددها ١٢٠٠ جزيرة فقط . راجع حاضر العالم الاسلامي -

ED. 1944 — V. 21. Encyclopedia Americana (٣)

ومن هنا جاء اصطدام الإسبان بالمسلمين ، الذين أطلق عليهم اسم « مورو » ، لأنهم يدينون بنفس الدين الذي يعتقه المراكشيون أو « المورو » ، باللغة الأسبانية ، فقد حاول هؤلاء أن يخرجوا المورو عن دينهم ، ولكن التاريخ يقص علينا أنه ما من شعب اعتنق الإسلام إلا بقى عليه ، وليس ثمت أمة اعتنقت هذا الدين الحنيف وتركته . وثار المورو من أجل دينهم ، وثاروا من أجل حريتهم فكان كفاحهم العنيف ضد المستعمرين .

يرى تاريخ المورو أن « مقدم » ، أحد العلماء المسلمين من ملقا نزل بساحل جزيرة صولو وأسس أول حجر في تاريخ الإسلام في الفلبين ، ثم توالى قدوم العلماء المسلمين وعدد من أمراءهم ، فأنشأوا الممالك ، ونشروا العدل ، وعدلوا نظام الحكم إلى النظام الإسلامى ^(١) ودخل أهل هذه الجزائر في دين الله أفواجا ، وعم نور الإسلام أنحاء كثيرة منها حتى جاء الإسبان .

وأراد الإسبان أن يغتصبوا الأرض ، وأن يستعبدوا الناس ، وأن يحولهم إلى الدين المسيحى . واستجاب الوثنيون إلى رغباتهم ، أما المسلمون فوقفوا دون أرضهم وحريتهم وعقيدتهم وقفة الابطال واستمروا يكافحون ضد المستعمرين قروناً طويلة استشهد فيها منهم عدد عظيم ؛ ولكنهم حفظوا استقلالهم بشرف دفاعهم . ولم يتمكنوا الإسبان منهم .

بدأ الإسبان العدوان ، فأرسلوا حملة ضد مسلمى صولو سنة ١٥٧٨ فاستولت عليها على الرغم من الدفاع المجيد والمقاومة العنيفة . وكانت هذه الحملة بدءا لسلسلة طويلة من الغزوات والحروب بين المورو والإسبان ، كان النصر فيها سجالا بين الطرفين . وكان الإسبان يستعينون بالفلبينيين المسيحيين ، ولكن الثورات ما لبثت حتى عمت أهل الفلبين جميعاً ، وأخذ النصر تتأرجح كفته بين أصحاب البلاد المؤمنين بدينهم وحقهم في الحرية ، وبين المعتصبين الممتزين بقوتهم وطمعائهم .

ورأت إسبانيا أنها لن تجد سبيلا إلى الاستقرار ، وأن السلاح القوي في أيدي جنودها لن يجديها نفعا ضد هؤلاء المسلمين المتعطشين إلى الموت في سبيل دينهم وحريتهم ، ومن ثم عمدت إسبانيا إلى عقد المعاهدات معهم ، وكانت أولى هذه المعاهدات سنة ١٦٤٥ ، وأهم بنودها النص على التبادل التجارى .

(١) لا يزال هؤلاء يكونون الطبقات الحاكمة (دائرة المعارف البريطانية) .

ولكن لم تلبث الحرب أن استوفت .

وشهد النصف الثاني للقرن الثامن عشر أعنف صور الحرب بين المورو والإسبان ، فأخذ الأولون يشنون هجماتهم في قوة وعنف على المراكز الإسبانية ، ويكبدونهم خسائر فادحة في المال والأرواح والعتاد .

وكان المورو إذا فقدوا أحد مراكزهم ، انتقلوا إلى غيره واتخذوه قاعدة يشنون منها هجماتهم ، كانوا كتلة من الإيمان المشتعل ، لا يخمد لهم أوار ، ولا يفل لهم عزم ، كان النصر يدفعهم إلى نصر آخر ، وكانت الهزيمة تؤملهم في نصر قريب .

وإزاء هذا الإصرار الكريم في الدفاع عن الأهل والأرض ، جلا الإسبان عن منداناو وصولو سنة ١٨٩٩ ، وحل محلهم جنود أمريكيون ^(١) ، واضطر هؤلاء إلى الحرب أيضاً ، ففقدوا خسائر فادحة في أيام قليلة ، ورأوا أن يبحثوا عن السلام بعقد معاهدة مع المورو ، وبسطوا وجهة نظرهم وهي أنهم لم يجهشوا مستعمرين للنهب والاستغلال وفرض الدين المسيحي ، ثم عمدت معاهدة عرفت باسم معاهدة Bates نال بها المورو الحكم الذاتي وتعهد الأمريكيون باحترام دينهم ، وحلت فترة من السلام والاستقرار فعمروا ما خربته الحرب ، وأقاموا المدارس ^(٢) .

وهكذا كان المورو سكان جزر منداناو وصولو أعظم أهل الفلبين شجاعة وبطولة ، فقد فشل الإسبان في إخضاعهم رغم أربعة القرون التي استغرقها الكفاح بينهما .

* * *

استقر المورو في بلادهم ، واطمأنوا إلى حريتهم وإلى دينهم ، ولكن انشغالهم هذه القرون الطويلة بالكفاح جعلهم لا يعرفون من أمور دينهم إلا القليل ، فرأوا أن يولوا وجوههم شطر البلاد الإسلامية يسألونها العون للثقة في أمور الدين .

ولم يكن أمامهم سنة ١٩١٣ إلا تركيا ، فأوفدوا إليها رسولا يلتمس إرسال مرشدين لثقيفه مسلمي الفلبين في أمور الدين ، واستجابت المشيخة الإسلامية في استانبول إلى الالتماس ، فأوفدت أحد العلماء العرب وجعلته أشبه بإمام للفلبين ^(٣) ، واستقبله المسلمون هناك أجمل

(١) نشبت الحرب بين أمريكا وإسبانيا في الفلبين سنة ١٨٩٨ وانتصرت أمريكا ، وفي معاهدة باريس نزلت إسبانيا لها عن جزائر الفلبين نظير ٢٠ مليون دولار .

(٢) تذكر دائرة المعارف البريطانية أن المورو عظموا الاحترام لأنفسهم ، وعلى قدر كبير من الكرامة الشخصية ، شديدو الشوق للتعليم ، يميلون إلى الموسيقى ، كرماء ، وهم جنس مثالي جم الآداب . V. 17-P. 730.

(٣) عن كتاب حاضر العالم الاسلامي - تعليقات شكيب أرسلان - المطبعة السلفية .

وأحفى استقبال ، وبدأ في تحقيق مهمته لولا أن دهمه المرض فعاد إلى بلاده ، ثم أبت المشيخة الإسلامية (في تركيا) أن تعنى بالأمر بعد ذلك ، مهمة أمر المسلمين في الفلبين ، فرأى المبعوث ، بعد أن أبل من مرضه ، أن يعود على نفقته ، وقد ذكر في بعض تقاريره أن مسلمي الفلبين يتراوح عددهم بين مليون ومليونين .^(١)

* * *

وكننت أود - حتى ينتهى هذا الحديث نهاية منطقية - أن أتحدث عن الصلة التي قامت بين الأزهر ، وبين مسلمي الفلبين ، ولكنى لم أجد لدى مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالجامع الأزهر ، الأوراق التي تبين طبيعة هذه الصلة ومبدها وتطورها ، بحجة ضياعها من المراقبة في العهد السابق ، وهو أمر مؤسف ، إذ أن مثل هذه الأوراق والمراسلات إنما هي ملك للمسلمين جميعاً وللتاريخ ، وفي ضياعها ضياع لكثير من الحقائق التي كان يجب أن تبقى وأن تذاع .

ومهما يكن من أمر ، فقد انتقلت زعامة العالم الإسلامي ، بعد الحرب العالمية الأولى إلى مصر ، فكان طبيعياً أن تتجه أنظار المسلمين إليها ، وأن ترنو قلوبهم نحو جامعتها الأزهرية العظيمة التي هي حلم كل مسلم في مختلف أرجاء العالم .

وكانت قد تكونت في الفلبين عدة جمعيات إسلامية تهدف إلى الرقي بالمسلمين ، وتعمل على تفقيهم أمور دينهم ، واتصلت هذه الجمعيات بالأزهر ، فرأت مشيخته أن توفد إلى هذه الجزائر اثنين من الأندونيسيين المتخرجين في الأزهر - وهما من أبناء أقرب الشعوب الإسلامية إلى شعب الفلبين - لتفقيه المسلمين في أمور دينهم ، فسافرا حوالي عام ١٩٥٠ م ، ولا يزالان يعملان - تحت إشراف الأزهر وعلى نفقته - على أداء رسالة الأزهر السامية ، فأنشأ بعض المدارس ، وعمر كثير من المساجد ، وبذلا الجهد الكبير للرقى بهؤلاء القوم الذين طالما كانوا من أجل دينهم وحرية انهم .

عمر طلعت زهرانه

استاذ في الآداب

(١) عددهم في إحصاء ١٩٤٨ نحو ٨٠٠ ألف فقط . والاحصاءات الأجنبية للمسلمين في أوطانهم كثيراً ما يعمد فيها نشر أرقام قديمة لاحصائيات قرن سابق ، ومن هنا يظهر التفاوت بين ما يعرفه المسلمون عن عددهم وما ينشره الأجانب عنه .

النقد الأدبي وتاريخه

في اللغة ، النقد والتنقاد : تمييز الدرام و لإخراج الزيف منها . ومن المجاز نقد الكلام : مَنّ جيده من رديئه . وكان للعلماء المتقدمون يريدون بنقد الكلام تعقب الأدباء وبيان أخطائهم . وقد ألف أبو عبد الله المزرباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ كتاب (الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء) ضمنه عيوب الشعراء العائدة إلى سقطاتهم في اللفظ والمعنى أو الوزن أو القواعد .

وكانت كلمة « النقد » تقابل كلمة « التقرّظ » المراد بها بيان المحاسن والكشف عن مواطن الجودة والصواب . والمراد بالنقد في اصطلاح مؤرخي الآداب دراسة النصوص الأدبية دراسة تفسرها وتشرحها وتحللها وتوازن بينها وتحكم عليها حكماً يكشف عن قيمتها في نفسها ودرجتها بالنسبة إلى غيرها . وبعبارة أخرى هو « التقدير » الصحيح للأثر الأدبي ، وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى ما سواه .

تاريخ النقد

وقد نشأ النقد موجزاً مرتجلاً ، فقد كان في العصر الجاهلي نقد أدبي لكنه فطري يعتمد على الذوق يسير ملائماً للعصر الجاهلي وللشعر الجاهلي نفسه . فالشعر الجاهلي لإحساس محض ، والنقد كذلك ، كلاهما مبني على انفعالات نفسية وتأثر بما يشاهد أو يقرأ أو يسمع . وهر جار على السنن الطبيعي لكل نقد أول نشأته فالعربي مرهف الحس ، سريع التأثر ، تنال القصيدة الرائعة منه فيطرب لها ، وتؤذيه الكلمة النابية فينفّر منها . وفي كلتا الحالتين يحكم على هذه الآثار بذوقه وبظرة عاجلة ، غير معتمد في حكمه على أسس موضوعية ، أو أصول مقررة .

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول إن النقد الأدبي في هذا العصر لا يتعدى أن يكون مأخذ على الشعر هدى إليها الأدباء والشعراء بطباعهم . وعيوباً دلم عليها ذوقهم السليم .

وظل النقد على فطرته وسذاجته في صدر الإسلام فلم يعمل ناقد حكمه ، أو يبين الأسباب الموجبة للتحسين أو التقييح ، وإن كان قد تقدم بعض الشيء مسaire لسنن الارتقاء . فالرواة يحدوثونا أن عمر بن الخطاب فضل زهيراً على الشعراء بأنه كان لا يعاقل في الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . فهو يشرح لنا سبب التفضيل بأنه كان واضح المعنى ، تكشف العبارة عنه ، ليس فيه غريب ولا تعقيد ، بعيد عن الإفراط في المدح . ففضل زهير يرجع إلى وضوح أسلوبه . ففي هذا العهد مال النقد إلى شيء من الدقة وحاول أن يترجم عن بعض الخصائص الفنية لاتساع تفكير العرب بما وفق القرآن الكريم من عقولهم وصفي من أذهانهم . لكنه لم يعد أن يكون يافماً خاضعاً للانفعالات النفسية والاذراق القطرية فلم يضيف شيئاً جديداً إلى النقد وأساليبه .

وفي النصف الأخير من القرن الأول تغير النقد وتعددت مذاهبه ، وهو الوقت الذي يمكن أن نؤرخ به النقد الأدبي ، فقد قويت نهضة الشعر وتعددت بيئاته وتبارى الشعراء في تجويده وتهذيبه ، وساعد على ذلك إحياء العصبية وقيام الحروب الداخلية وشيوع الغناء بالحجاز وتتابع الوفود على الخلفاء والولاة ، فتقدم النقد وتناول اللفظ المفرد والمركب والمعنى والخيال والوزن ، وصرنا نسمع صفاء الطبع ، وجمال الصنعة ، وجمال الجزالة ، ودرقة الأسلوب ، ودمانة التركيب ، والقوافي المخمصة ، وتناول فنون الشعر كلها ، وشمل المفاضلة بين الشعراء ، وقسمهم إلى طبقات ، ودار بين غول الشعراء كجبريل والفرزدق والاختل وشعراء الغزل كجميل وكثير وعمر بن أبي ربيعة والاحوص وغيرهم ، ولاحظ الصلة بين الشاعر وبيئته . فعدي بن زيد ليس في مرتبة المتقدمين من أقرانه لأنه حضري مقيم بالحيرة فزال ذلك من ملكيته الشعرية واللغوية . وابن قيس الرقيات لا يوثق به لأنه أقام بشكرية .

ومع هذا التقدم ، فإن النقد إلى هذا العهد يعتبر امتداداً للنقد الجاهلي وشبهاً به في قيامهما على الذوق واعتمادهما على السليقة .

وفي القرن الثاني نهض الأدب والنقد لتقدم النشاط العلمي وتطور الحياة الاجتماعية وقيام ثورة على الأدب القديم تولى كبرها غول الشعراء أمثال بشار وأبي نواس وأبي العتاهية

ومسلم بن الوليد ، وتبع ذلك قيام النقاد يفضلون بين مذهب وآخر فوجد من يتعصب للقديم فيؤثر عفو الخاطر وجمال الطبع ، ومن يتعصب للحديث فيؤثر الصناعة والتعمق في المعنى ، وتنتهى أصول النقد عندهم إلى أصليين عامين : ما يسرى إليهم من العصور السابقة وما تجدد لهم من أثر الفلسفة والجدل والبلاغة والمنطق . ولكل طائفة آراؤها التي ذهبت إليها وأنصارها المؤيدون لها . وجد المبرد والسكرى من اللغويين وابن المعتز صاحب كتاب البديع من الأدباء وابن قتيبة من العلماء وقدامة صاحب كتابي نقد النثر ونقد الشعر من الذين تأثروا بالفلسفة ، وكان من آثار ذلك تفاوت مناحي النقد والوقوف على خواص الشعر المحدث وما يؤخذ عليه وإن لم يبلغ رجاله في التفسير والتعليل ما بلغ نقاد القرن الرابع فإن النقد في هذا القرن بلغ أوفى غاية الغايات من حيث شموله وعمقه ودقته ، ونضجت ملكة الذوق عندهم لطول ممارستهم للاداب ونظرهم في أعقابها وموازينهم للآثار الأدبية ، فاجتمع لهم جمال الطبع وحسن الصنعة وصفاء الذوق ، فنقدوا الآثار الأدبية نقداً عميقاً واسع الآفاق ، فيه تحليل للظواهر الأدبية ورد لها إلى أصولها الصحيحة ، ودارت معركة عنيفة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري ثم بين أنصار المتنبي وخصومهم ، وكسب النقد من وراء ذلك كتباً قيمة مثل كتاب (الموازنة بين الطائيين) للأمدى و (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للجرجاني . ورسالة الصاحب بن عباد في (الكشف عن مساوئ المتنبي) ودخلت مسألة السرقات الشعرية في باب النقد ، ولم يبق شيء يمكن أن ينقد غفل عنه أدباء القرن الرابع ولم يشرعوا فيه .

وكان هذا النقد الأدبي العامل الأول في نشأة علم البلاغة ، فإن هذه المآخذ والآراء تحولت إلى قوانين علمية هي قوانين البلاغة .

عبد الغنى اسماعيل

المدرس في كلية اللغة

أيهما المعتدى ؟

لو كنت قاضياً ، ورفع إلىَّ شاب تجسراً على امرأة فسها أو احتك بها أو طاردها أو أسمعا ، وتحقق عندي أن المرأة كانت سافرة مدهونة مصقولة متعطرة متبرجة لعاقبت هذه المرأة عقوبتين : إحداها بأنها اعتدت على عفة الشاب ، والثانية بأنها خرقاء كشفت اللحم للهر . مصطفى صادق الرافعي .

الفتاوى

جاء إلى اللجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

اتجهت النية إلى نقل رفات شهداء حملة فلسطين من مقابر سيناء إلى المقبرة الجديدة بالخفير التي أعدت تسكريما لهؤلاء الشهداء وتعزية لآلهم الذين كرروا الرجاء لنا بطلب نقل رفات شهدائهم إلى القاهرة .

فخرجوا التسكريم بإفادتنا عن المراسيم الدينية التي تقتضيها الشريعة الإسلامية الغراء أثناء النقل وعند الدفن ، مع العلم بأنه سبق أن اتخذت حيالهم المراسيم الدينية كشهداء عند دفنهم هناك .

ملاحظة : الشهداء المذكورون منهم من صلى عليه ومنهم من لم يصل عليه قبل الدفن ولم يعلم من صلى عليه من غيره . وأيضا قد كان مع المسلمين مقاتلون من غير المسلمين ولا يتميز المسلم من غيره . فخرجوا بالإفادة عن ذلك .

قائم مقام

رئيس إدارة الجيش

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فتقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان الملحق به . وتفيد بأن الشهداء الذين قتلوا في المعركة من المسلمين وغيرهم لا يغسلون بل يدفنون بحجروهم ودمائهم وثيابهم التي عليهم بعد أن يصلى عليهم ، وثيابهم هذه هي كفنهم لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، لكنه إذا كانت ثيابهم لا تسكفي لتغطية أجسامهم فينبغى أن يزداد عليها ما يكفي لذلك ، كما ينبغى أن ينزع عن كل منهم حداؤه وجوربه ومنطقته وقلنسوته وسلاحه وكل ما ليس من جنس ثياب الكفن .

وإذا كان هؤلاء الشهداء قد صلى عليهم قبل دفنهم في مقابر سيناء فلا تعاد الصلاة عليهم مرة أخرى . أما إذا كانوا قد دفنوا من غير صلاة ، فإنه يصلى عليهم هناك قبل نقلهم ،

أو يصلى عليهم فى مصر بعد نقلهم إليها ، كما أنه يصلى عليهم لو كان هناك شك فى أنه صلى عليهم قبل ذلك .

ولإذا اختلط بهؤلاء الشهداء غيرهم من الذين كانوا يقاتلون معهم من غير المسلمين ، ولم يمكن التمييز بين المسلمين وغيرهم لأجل الصلاة على الشهداء ، فإنه يصلى على الجميع بنية الصلاة على الشهداء . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .
رئيس لجنة الفتوى

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

نرجو التفضل بالإفتاء على مذهب الإمام الشافعى أو على غيره من المذاهب عن صرف البعض من زكاة التجارة على غير الأصناف المذكورة فى الكتاب الكريم :

أولاً — إذا صرف البعض من زكاة التجارة على المدارس الدينية التى ليست لها أوقاف ولا مساعدة من أغنياء المسلمين تقوم بالكفاية ، وأن آباء التلاميذ لعاجزون عن القيام بنفقات الاساتذة أو يحصل منهم شيء ، ولذا لم تجمع كمية وافرة من زكاة التجارة التى تسد رواتب الاساتذة لسنة كاملة تتوقف تلك المدارس عن مباشرة عملها وسيعيش الاولاد فى ظلمات الجهل .

ثانياً — إذا صرفت أيضاً لتأسيس المدارس الدينية أو لعمارة المساجد أو لإعانة الملاجىء التى يأوى إليها الفقراء العاجزون عن الكسب وليس لهم من يعولهم ، أو على غير ذلك من المشروعات الخيرية . فهل يجوز صرفها على المشروعات الخيرية التى ذكرناها .

سعيد بن صالح السيللى
النيمين

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه يجوز الصرف من الزكاة على المدارس الدينية التى ليست لها أوقاف ولا مساعدات من أغنياء المسلمين تقوم بكفائتها مع عجز آباء التلاميذ عن القيام بنفقات التعليم فى هذه المدارس كما هو وارد فى السؤال . وكذلك يجوز صرفها فى تأسيس المدارس الدينية وعمارة المساجد وإعانة الملاجىء ،

التي يأوى إليها الفقراء العاجزون عن الكسب وليس لهم من يعولهم ، وغير ذلك من المشروعات الخيرية وأعمال البر .

وهذه الجهات تعتبر من « سبيل الله » ، الذي جاء في آية مصارف الزكاة وهي قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والآية » ، فإن سبيل الله ليس مقصوراً على الجهاد ، بل هو شامل له ولكل ما هو من أعمال البر والخير . وبهذا تفق اللجنة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

إن لجنة جامع بلودان في جمعية الهداية الإسلامية بدمشق قد عازمت على بناء جامع في قرية بلودان يتسع للوطنين والمصطفين الذين يقصدون هذا المصيف الجميل . وقد أقبل على هذا المشروع جمهور كبير من ذوى الغيرة والدين مما جعل اللجنة على ثقة من فضل الله الكريم بنجاح هذا المشروع الإسلامى .

ولكن بعض الجيران من المسيحيين أراد المساهمة في بناء هذا الجامع بالتبرع بشيء من الأرض لتأمين الوصول إلى حديقة الجامع ، وبعضهم تنازل عن مواسير حديدية لا فائدة له منها ويستفيد الجامع بنقل مائه بواسطتها . فهل يجوز شرعاً قبول هذا التبرع منهم . كما نستفتيكم في جواز قبول المال ممن يتبرع من المسيحيين ليضم إلى المال الذى ينفق على عمارة المسجد .

أمين سر جمعية الهداية الإسلامية

بدمشق

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه لا مانع شرعاً من تبرع المسيحيين للمسجد بقطعة الأرض المشار إليها ، أو بمال ، أو بأدوات يستعان بها في بنائه . وقد نص فقهاء الشافعية في معتمدات كتبهم على جواز وقف غير المسلم على المساجد ونحوها مما هو قربة عند المسلمين . وجاء في المادة السابعة من قانون الوقف المعمول به في مصر رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ ما نصه « وقف غير المسلم صحيح ، ما لم يكن على جهة محرمة في شريعته وفي الشريعة الإسلامية » .

ومتى كان الوقف من غير المسلم على المسجد جائزاً فيكون التبرع بغير طريق الوقف جائزاً أيضاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

خطرات - في فترات - تجدد ، فتكسد ، وتُسِف فتخف

البيِّنَات

تلوت خبراً رقيقاً عن دابة كانت فاقدة فردت ، فقال مالكها في إثبات ملكيتها :
لأنه يتقبل أن ترسل دابته في أطراف بلده ، فإن لم تعتمد إلى داره ، فليست بدابته !!! ،
على أن القانون - فيما يقولون - لا يقر هداية الدواب ، كما يقر الشهادات !!!
خبرٌ طريفٌ ، على أن لي فيه هذا الحديث الطلي المجدي :

اتخذ رجلٌ مريبٌ ، بيتاً مريباً في ضاحية بغداد ، يأوى إليه المريبون ، فلما أخذ بفعلته ،
جحد تهمة ، فقيل له إن دواب المكارين كلها تعرف بينك ، لكثرة ما تغشاه بركابها !!! ،
فلما أرسلت عمدت إليه !!! ، فقال الرجل : إن الله عز وجل يقول : « من ترضون من
الشهداء » وأنتم تسمعون شهادة الحمير !!! .

هزلٌ هذا ، ربما كان أداة الجدل !!! ، أما أن القانون لا يتقبل مثل هذه البينة أو القرينة ،
فإن فيه مقالا للتشريع :

كان الفقه الإسلامي يقول في البينة : إنها الشهادة ، حتى قال الإمام « ابن تيمية » ،
أو تلميذه « ابن القيم » ، أو هما معاً : كلا ، إن البينة كل ما أبان الحق ^(١) !!! ، فكان هذا الرأي
من عالم إسلامي خطير ، مفخرة التشريع في الإسلام والشرق ، بل وفي الغرب !!! .

لقد سبق الإمام « ابن تيمية » وتلميذه « ابن القيم » ، أساطين العلم والقانون في الشرق
وفي الغرب حين قالوا : إن البينة كل ما أبان الحق ، لا الشهادة وحدها ، فأدخلوا في البيئات
كل ما هو يسيل من إلباة الدعوى ، وجلالة الحقوق . أجل ، إن التحليل السكجاري ، والتصوير

(١) المجلة - إن الامام ابن القيم توسم في بيان ذلك في كتابه « أعلام الموقعين » ، عند شرحه كتاب
أمير المؤمنين عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة .

والخط ، والصوت في الحاكى والتسجيل ، وتهديّ الحيوان ، هذا ، مما يبين الحق من البينات ،
مما هو عماد العمل في القضاء العصري . ولقد كان قبل « ابن تيمية » وقبل تلميذه ، من القرينة
على الجريمة !!!

لعينى البيان :

الكنيائية في الأدب العربي طلاوة البيان ، سحر الاحسان ، بل هي قيد الحسن ،
مغزى الجمال .

قال شاعر يتبرم بلبله يتبلد ، وصبحه لا يتبلج :

أسودوا مسارح ليل العرا ق أم صبغوا فجره أسودا ؟؟

« صبغوا فجره أسودا » معجزة البيان العربي كله . أما السحر بجملته ، في جلال الشعر ،
وأما الفتنة البحتة ، في وقار الحشمة : وعزة العصمة ، فذلك كلمة « ليل العفيفة » في قصيدتها
التي تستعدى فيها قومها ، وأخاها ، وابن عمها « البراق » حيث تقول في إيسارها والنيل منها :

ليت « البراق » هينا فترى ما ألاق من بلاء وعنا

ثم تقول فيها من الكنيائية الساحرة :

قيـدونى ، غـلـلونى ، ضربوا « ملابس العفة » منى بالعصا ! !

لقد درجت عصور الأدب كافة ، على أن في كلمة « ليلي العفيفة » « ملابس العفة » نفثة
السحر ، لا فتنة الشعر ، وحشمة الحياء ، في ثوب الإباء .

بيد أننى لست أدرى : لم ؟ ؟ ولا كيف ؟ ، تلقى تلك الكلمة على عمد ؟ ، لهذا
العهد ، وتبدل بكلمة أخرى ؟ ، وهى عفة خفرة ؟ ، يندى لتركها البيان والاغنيات ،
وجبين الخفريات .

قديم وجديد :

أطبقت الآراء كافة ، وزكيتها صور الرجالات المسائلة ، على أن المثقف القديم إذا
انسق له أن يكتسى إلى قديمه مسحة من جدة العلم والحياة ، ويحذق طرازاً من المدنية ،
كان رجل الدنيا ، ظفر بالاجازتين ، وذهب بالحسنيين ، كذلك أطبقت الآراء ، وزكيتها
المشاهدة ، على أن الدارس إذا كان قديماً بحتاً ، لم تصقله جدة العصر والعلم ، فإن عجائز
القرى ، وقعايد الاكواخ ، أقوم منه لباً ، وأنضر تحضراً ! .

نبأ ساحر عجب ، لا بالعجيب ولا المستندر ، أن تأخذ الشرطة بالأمس مسجديا يتجر في المخدرات !!! ويتصرف في الأفيون !!! ، واست أمارى في أن هذا المسجدي تنزل عليه وحى كتبه العتيقة المتبدلة ، التى تؤمن بأن حشيشة الفقراء ، على التثيل ، كانت من كشف أبناء الطرق الصوفية ، فليست كبيرة الحرمه ، وإن ذهبت بالحرمه !!! .

تعالى الله ماشاء ، لقد تبلغ الدين ، وتوضح اليقين ، بأن كل ما عدا على الجثمان من المسأكل حرام قراح ، حتى الخبز ، وكل ما سطا على اللب والحصاة من الشراب حرام محض ، حتى اللبن !!!

هذا المتجر المنصرف في المخدرات والأفيون ، قديم الدراسة ، غاب عن أنظمة العصر!! ولم يشهد تحضر القانون !!! الذى يحظر كل ما سطا على الجثمان ، واستلب اللب ، ولو شهد العصر !!! ، لتعلم حرمه المخدرات كحرمه المخدرات !!! . .

ولو شئت أشهدتك ، دارساً قديماً ، إن شئت حذقت على يده الصناعات المبتكرة ، تزييف النضار والمسجد !!! ، بالنحاس !!! وصرف الدرهم ديناراً !!! يصنعه عن فتيا ، بل دعوى . رأى عتيق زائف عند ذلك المزيف وأشباهه من قدامى الدارسين ، أن سك النقدين لا يحظر إلا حيث يكون الحاكم الشرعى القائم ، والخلافة الإسلامية !!! فيها أمير المؤمنين ومنبر .

أما أن يتقى الدارس القديم معرة القانون ، والعمد ، فلا يرى الجمهرة بفكره ضخمه من التزييف ، وجميعه نكراء ، من إتلاف النقد ، لا ينادى وليدها !!! ، فليس هذا منه فى رأى بعد ، ولا هو مما يعتد !!!

من يدخل الأفيون بيت لهانه فلياق بين يديه نقد حياته !!!

تلك المسجدية القديمة كما تشهد ،

أما حديث د أبو سمرا !!! ، فذاك أن علامة كبيراً قديماً الدراسة ، لقينى ، فقال لى : أبلغك تحية د أبو سمرا !!! ، فقلت حياه الله ، أحسبه بعض من يداخلنا من السوقيين والخدم !!! ، ثم مضيت ، ومضى .

تمكشفت دخيلة الأمر فى د أبو سمرا !!! ، الذى يباغى الاستاذ الكبير تحيته ، عن سيد عربى أصيل ، هو بضعة من الزهراء بنت محمد صلوات الله عليه !!! ، وهو على هاتيك

عالم مدرس عريق، وشاعر كبير، بيد أن أشعة الشمس الوقادة، نفضت عليه لون السمرة !!!
وكان الأستاذ لجمالة التاريخ !!!، لم يسمع بأن في السمر بعد، إلا عبد !!! .

هما خطتان : إما دراسة مدنية حديثة ، وأنت سيد من العلماء ، وإما دراسة عتيقة
بحثة ، ولست وإن طاولت السماء ، من العلماء !!! .
بيض محول :

فكاهة ساحرة ، أو دعاية ساخرة ، فقد يفرط الجد ، فيكد ، وتسأم حين تدأب ،
فتلعب !!! ، قال شاعر ، أشك في أنه د أبو دلامه ، يهجو عبد الصمد بن المعذل ، الشاعر :
ابن المعذل من هو ومن أبوه المعذل !!!
سألت د وهبان ، عنه فقال د بيض محول ، !!!
د بيض محول ، هذا مغزاه أن عبد الصمد ليس لأبيه بل هو د لغية ، ! .

سمع د وهبان ، بأفع الحسام هذا ، تخاف معرة الهجاء من عبد الصمد بن المعذل ، فطاف
على مجالس العلماء وأنديتهم في المساجد . يقسم لهم : أنه لم يقل إن عبد الصمد بن المعذل
د بيض محول ، فقال عبد الصمد : من يعذرنى من د وهبان ، فإن طوافه على الناس في المحافل
يقسم لهم : لأنه لم يقل إن عبد الصمد بن المعذل د بيض محول ، أغيظ لى من الهجاء ، بهذا
الشعر البارد !!!

هذه طرفة التاريخ الادبية ، أما طرفة الادب العصرية ، فهي هذه :
حرش شيخ من شيوخ القضاء والادب ، تغمده الله برحمته ، أدبين هما اليوم في رحمة الله
مثله : أحدهما شاعر وزجلى مقتدر ، والثاني طاب علم ديني قديم ، وزين لهما أن يتهاجيا ،
وجعل لمن يدمغ صاحبه بالهجاء جائزة يظفر بها ، وإن كانت دراهم معدودة ، فقال الشاعر
يهجو صاحبه الطالب ، فدمغه :

حتى متى أنا صامت وعن الاعادى ساكت
لعن الإله معاشر الجمل فيهم ثابت
فتبلى الطالب الدينى طويلا ، ثم قال تافهاً :

قال النبي المتهمة ابن الامه ما ألامه !!!

استطير الشاعر فرحة وطرباً بهذه المقالة ، أو هذه النبوة ، واغتمها من صاحبه !!! ،
والشاعر فكّه "مرح" ، فأقسم ليلعلن من يملك أمر هذا الطالب . أنه يتكذب على النبي
صلوات الله عليه حيث يقول :

قال النبي الممتنه " ابن الامة " ما الامة " !!!

وعنده ، وهو أكبر يقينه ، لا ظنه ، أن النبي صلوات الله عليه لم يقله ، وقد أوقع
ما تهدد به !!! ، فتغضب رؤساء الطالب غضبتهم الديفية ، على شاعر يصنع على النبي أنه قال
" ابن الامة ، ما الامة ، فتبوا مقعده من النار !!! ، فشدوا محاكمته مجلساً علياً ، ثم فضوه ،
حين قيل لهم : بعض هذه الأضاحيك !!! ، إنها هي مجانة أدبية ، ومساجلة في قهوة !!!
ماجنة ، بين أديبين ، ليست من الدين ، ولا اليقين !!! .

إن التفاهة الساخرة أن تجد الغضبة ، والحديث يلعب !!! ، ولعل أخذ الطالب الأديب
بالتكذب على النبي صلوات الله عليه ، في حديث بشاشة وفكاهة ، أغبط له من نصرة
خصيمه عليه ، كما كانت براءة وهبان ، من مقالة ديبض محول ، أغبط لابن المعدل الثائر ،
من هجاء الشاعر !!!

« السير »

عضو المجمع اللغوي

الطبقة المتوسطة

حكى عن ابن المعتز السلمي قال :

الناس ثلاثة أصناف : أغنياء ، وفقراء ، وأوساط .

فالفقراء موتى ، إلا من أغناه الله بجز القناعة .

والأغنياء سكارى ، إلا من عصمه الله بتوقع الغيّر .

وأكثر الخيّر مع أكثر الأوساط ، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء ، لسخف

الفقر وبطر الغنى .

البلاغة والنقد

— ١ —

البلاغة العربية مدينة في نشأتها الأولى لجهود علماء اللغة والأدب ، ولثأيرة الرواة والنقاد والباحثين في أصول البيان العربي ؛ مع الأثر الفذ الذي أحدثه السكتاب والشعراء والأدباء في القرن الثاني والثالث الهجري .

ولقد تلاحقت الثقافات ، واتصلت المعارف ، وتبدلت الأفكار ؛ في عواصم العلم والثقافة في العالم الإسلامي القديم ، على أيدي العرب الذين نبغوا في اللغات الأجنبية ، والموالي الذين حذقوا اللغة العربية وأجادوها ، والمترجمين الذين كانوا همزة الوصل بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الإسلامية الأصلية .

كان خاف لا يشق له غبار في صناعة النقد ، لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها ،^(١) . وكان أبو عبيدة يعجب من فطنة بشار وجودة قريحته وصحة نقده للشعر^(٢) ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر ومذاهبه^(٣) . وكان الجاحظ^(٤) يرى أن بشارا زعيم المولدين . ثم جاء ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المدبر وابن المعتز ، فكان لجهودهم أثر كبير في نشأة البلاغة ونمو البحث في أصول البيان .

ولا نفسى جهود طائفة أخرى من العلماء في إثارة البحوث البلاغية والتعليق عليها ، وتلك الطائفة هي جماعة العلماء الذين شغلوا بالبحث في إعجاز القرآن الكريم وتفهم أسرار هذا الإعجاز والتأليف فيه ، فكشفوا الكثير من غرامض البلاغة وأصولها ، ومن هؤلاء أبو عبيدة والجاحظ وسواهما من أئمة المعتزلة وفحولها .

وهل أيدي قدامة وأبي هلال والآمدي والقاضي الجرجاني وغيرهم من أفذاذ النقد في القرن الرابع الهجري ، نرى البحث البلاغي ينمو ويقوى ويزدهر . ثم تلاهم الباقلاني وابن سنان وابن رشيق من علماء النقد والبيان .

(٢) ٢٠٧ طبقات ابن سلام

(٤) ١ / ٩١ المدة

(١) ١٩٧ / ١ المدة

(٣) ٢٣ / ٣ الأغاني

ولقد لمعت عبقرية عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام ٤٧١ هـ في هذا العهد ، وكان مظهر هذه العبقرية الباحة كتابان جليلان ألفهما قبل وفاته بقليل هما : دلائل الإعجاز ، و أسرار البلاغة ، اللذان يعدان حتى اليوم أصلاً ضخماً من أصول البيان وبحوث البلاغة والنقد والموازنة .

وبعد عبد القاهر انطفأ السراج ، وذبل العود ، وأصيبت الأذواق بالعي والعجز ، كما أصيبت البلاغة بالتأخر والاضمحلال . . وبعد نحو قرن ونصف قرن ظهر فجأة السكاكي بعقليته المنطقية وذوقه الأعجمي ؛ فأحال البلاغة إلى جدل عقيم في الالفاظ والاساليب ، وإلى قواعد جافة لا صلة لها بالذوق ولا بالحياة ؛ وكثر تلاميذ السكاكي ، وانتشر مذهبه في البلاغة الذى يمثل القسم الثالث من كتابه « المفتاح » ، والذى عنى فيه مؤلفه بالقشور لا باللباب وبالتوافه لا بالحقائق ؛ ولا تزال دراستنا للبلاغة حتى اليوم قائمة على أصول مذهب السكاكي وتلاميذه وحده دون سواء .

- ٢ -

ولقد نهض جماعة من أدبائنا يدعون إلى التجديد في البلاغة ، فن قائل : إن الكتب القديمة يجب أن تحل محلها كتب أخرى مؤلفة على النهج الحديث ؛ ومن دعاة إلى تلقيح البلاغة العربية بأصول الدراسات البلاغية في شتى اللغات الحديثة الأوروبية ، ومن ناهجين مناهج الغرب في بحث أسرار البلاغة وأصولها ، ومن منادين إلى مذاهب البلاغيين القدماء من أمثال عبد القاهر وقدامة وأبي هلال .

وهكذا تعددت الآراء ، وتخاصمت الأفكار ، في التجديد في البلاغة ، وبيان كيف يكون هذا التجديد ، على أن أذواق علمائنا المعاصرين وأدبائنا المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول إلى هدف أو غاية ينشدها المشفقون على البلاغة العربية اليوم . . والذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بنقل أفسكار الغربيين دون فهم أو يقظة فكرية أو لمسام ما بترائنا القديم الخالد في البلاغة والبيان والنقد .

ومن أمتع صور البحث البلاغى والنقد البيانى هذه الصور الجميلة التى قرأناها في مجلة الأزهر - عدد ربيع الأول ١٣٧٢ هـ - بعنوان « علوم البلاغة في الميزان » ، والتى اتجه فيها الكتاب إلى إثارة المملكات ، وتنشيط الأفكار ، وتحريض الأذهان على النظر والبحث والنقد والاستنتاج والكشف ، وحفز إلهيم للبحث والابتكار . . وهى محاولة مجدية قوية في سبيل التجديد البلاغى المنشود . وأول ذلك الأسرار البلاغية الدقيقة للحذف

ومحاولة الكشف عنها ، فلقد عرض عبد القاهر الجرجاني للحذف ومكانه من البلاغة دون أن يبين سبب هذا الحسن والإحسان ، وسر هذا الجمال البياني الأخاذ .

وجاء السكاكي والخطيب وتلاميذهم فجعلوا الحذف في موضعه كالذكر في موضعه ؛ لكل مكانه من البلاغة ، ومنزله من سحر البيان ؛ وأبوا أن يكون للحذف منزلة على الذكر بل هما يحصلان البلاغة ويوجدانها ؛ ثم عللوا الحذف بهلل متكلفة لا صلة بينها وبين أحكام الذوق الأدبي السليم .

ويحاول الباحث أن يعمل سر جمال الحذف وبلاغته بأسباب نفسية وأمور بيانية ، منها الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، والجدّة التي نراها في أسلوب الحذف ، ومنها أن المحذوف تدل عليه القرائن فإذا ذكر كان ثقيلاً في موضعه لأنه تعريف لما عرف وبيان لما بين ؛ فيربط بذلك بين البلاغة وأحكام الذوق وأسرار البيان وملكات النفس الإنسانية .

ومن البحوث التي أثارها الأستاذ ، أسلوب التجريد وتحليل ألوان جماله وسر هذا الجمال ، بعيداً عن تكلف القدماء البغيض وتأويلهم المصنوع .

وكذلك عرض لأسلوب : رأيت اليوم حاتماً ولقيت مادراً وسمعت سبحان وما أشبه ذلك مما أوله البلاغيون فجعلوا حاتماً هنا كأنه موضوع للجوار ، فانتزعه من معناه وهو العملية على الرجل المعروف من طيء ؛ وبهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المعبود والفرد غير المتعارف وهو من يتصف بالجود ، فيصير استعماله في غير المتعارف استعمالاً في غير ما وضع له فيكون عندهم استعارة .

وأستاذنا يبحث ذلك كله ويناقشه وينقده ويحاول الوصول إلى الصواب في أمره ، حيث يرى أن المراد هنا تشبيه هذا الكريم بحاتم في جوده ، فحاتم باق على معناه دون تغيير أو تبديل . وهكذا نجد نهجاً جميلاً في البحث والمناقشة ومحاولة الكشف عن أسرار البلاغة وأصولها ؛ وهو نهج طريف ما أجدر الأزهر أن يسير عليه في الدراسة والبحث ، لتسكون دراسة البلاغة فيه مجدية منتجة ، وليحاول أن يقف على قدميه أمام هؤلاء الذين يزرون بالبلاغة القديمة إزاء شديداً .

إن القديم ليس كله صواباً ، وليس كله خطأ ؛ بل فيه الصواب ، وفيه الخطأ ؛ وفيه سوى ذلك ألوان من القصور العلمي الذي يجب ملافاته ؛ فما أجدرنا في الأزهر بتجديد البحث والدراسة في أصول بلاغتنا ، وفي مذاهب البيان وأسراره .

محمد عبد المنعم خفاجي
المدرس في كلية اللغة العربية

الفرض العلمى

- ٢ -

تكلمنا فى المقال السابق عن الفرض العلمى ، وسنفصل فيما يلى الكلام عن تحقيقه .
ونستطيع أن نميز مرحلتين لهذا التحقيق ، هما مرحلة التحقيق النظرى ، ومرحلة التحقيق العملى .

١ - ويعد العلامة لإرنست ماخ والعلامة لالاند من أوائل المهتمين بالتحقيق النظرى . وقد لاحظ ماخ أن كبار العلماء مثل جاليليو يباشرون تجريباً عقلياً سابقاً ، وبأخذ هذا التجريب أحد اتجاهين ، فإما أن ينجح ويكفى العالم مؤونة التجريب العملى ، ولما أن يكون نجاحه جزئياً فيساعده على توجيه التجريب العملى .

وهناك ثلاثة مظاهر للتجريب النظرى ، أولاها : مظهر التغير المتصل ، وهو تصور العالم للظروف والاحوال التى تحدث فيها ظاهرة معينة ، هذه الظاهرة تتغير تغيراً متصلاً يوقفنا - عقلياً - على كل الاحوال المختلفة لهذه الظاهرة أو لقانونها .

فإذا لاحظنا مثلاً أن حجراً يسقط على الأرض على بعد معين ، وفرضنا أننا زدنا فى بعد هذا الحجر حتى أصبح على بعد القمر من الأرض وزدنا فى حجمه حتى أصبح فى حجم القمر . فإن هذا التصور يؤدى بنا مباشرة إلى تصور سقوط القمر نحو الأرض ، فإذا تصورنا بعد ذلك أن القمر ذاته يكبر تدريجياً حتى يصل إلى حجم الأرض ، فإننا سنلاحظ أولاً أن كبره هذا لم يمنع من سقوطه ، ونستنتج ثانياً أن الأرض متجهة هى أيضاً نحو القمر ، أى أن الجاذبية متبادلة ، وإذا استمر الذهن فى هذه الحركة العقلية بما فيها من تغيرات متصلة فى الظواهر ، فسيرى أن الأرض والقمر مكونتان من حجارة وأن مكوناتها فى جاذبية مستمرة متبادلة .

ويلاحظ - من ناحية أخرى - أنهما لا يختلفان جوهرياً عن الأجسام الأخرى المكونة للنظام الفلكى العام ، وأن حركة كوكب معين لا تختلف كثيراً عن حركة مقذوف أيا كان ، وعجلة هذه الحركة متوقفة بطبيعتها على بعد الكواكب عن الشمس ، إذ هى ككل عجلة متوقفة على المسافة ، من كل ذلك نستنتج أن تغييرنا المتصل للظواهر وانتقالنا شيئاً فشيئاً بواسطة البرهان التمثيلى يوصلنا إلى قانون الجاذبية العام ، أى أن العقل - بواسطة تجريب عقلى سابق على التجارب العملية - يوسع حدود الفرض ، وإن لم يصل إلى تحقيقه تحقيقاً تاماً .

والمظهر الثانى ، هو التجريب العقلى بالخلف ؛ وقد رجع إليه جاليليو بصدد قانونه الخاص بسقوط الاجسام . فهو قد فكر قبل أن يصل إلى هذا القانون فى أنه لو كان صحيحاً أن الاجسام الاكثر ثقلاً تسقط بسرعة أكبر من غيرها ، لاضطررنا إلى قبول النتيجة التالية : انربط مثلاً جسماً ثقيلاً بجسم خفيف ، فسنسلم بمقتضى الفرض السابق بأن الجسم المكون من الاثنين يسقط ببطء ، ما دام الجسم الثقيل قد يبطئ فى السقوط بسبب الخفيف . ولكننا نرى مباشرة أن قضيتنا الأخيرة متناقضة مع نفسها إذ أن الجسمين المكونين للجسم الساقط أثقل من الجسم الثقيل ذاته الذى يسقط بسرعة مفروض فيها أنها أكبر من سرعة الجسم الخفيف . أما المظهر الثالث فهو مظهر الحذف التجريبي : فقد يمكن - بواسطة الفكر فقط - تخفيف أو إضعاف أو حذف عنصر أو عدة عناصر لها تأثير هام فى الظواهر التى ندرسها ، مع تصور أن العناصر والظروف الأخرى تعمل وحدها فى الظاهر ، والواقع أن التخفيف والحذف لبعض العناصر والظروف التى تحيط بالظاهرة لا يمكن تطبيقه عملياً ، فلو تصورنا مثلاً أن احتكاك جسم متحرك على سطح أفقى يخف شيئاً فشيئاً حتى يعدم . فسنصل من هذا التصور إلى أن تتمثل جسماً متحركاً بحركة منتظمة دون أية مقاومة خارجية ، والحقيقة أن هذه الحالة التى نتصورها لا تحصل تماماً فى الواقع التجريبي ؛ ولكن هذا التصور ذاته هو الذى ساعد جاليليو على التحقق من قانون القصور الذاتى الذى يقول : « لا يمكن لجسم أن يغير شيئاً فى حالته ساكناً كان أم متحركاً ما لم يقع تحت تأثير قوة جديدة » .

هذه هى مظاهر ثلاثة للتجريب النظرى ، يظهر فيها إمكان الاستغناء عن التجريب العملى ، ولكن هناك أحوالاً أخرى لا تغنيها عن التجريب العملى بل تعد الطريق لهذا التجريب ، ولا يتسع المقام لذكر أمثلة عنها .

٣ — أما التحقيق العملى ، فله أيضاً طرائق ثلاث : أولاًها ، الطريقة المباشرة ، وظاهر من اسمها أنها تفسر العلاقات العلمية بين الظواهر المشاهدة أو التى تخضع للتجربة ، وتدخل قواعد (مل) الخمسة ضمن هذه الطريقة :

وأول قاعدة من قواعد مل ، هى « قاعدة الاتفاق » ، وتتلخص فى أنه إذا كان هناك عامل مشترك بين حالتين أو أكثر لظاهرة معينة ، فإنه يعتبر بمثابة العلة أو المعلول لهذه الظاهرة ؛ فإذا مرض سكان قرية ما بمرض البلهارسيا مثلاً ، وأراد الأطباء أن يعرفوا علة هذا المرض ، فعلمهم أن يبحثوا كل الظواهر التى سبقت حدوثه ، كالبس نوع معين من الملابس

مثلاً أو أكل نوع معين من الطعام أو شرب ماء معين ، فإذا وجدوا أن المرضى لم يشتركوا إلا فى شرب نوع معين من الماء عرفوا بذلك علة المرض ، وهذا المثل يضرب للبحث عن العلة . ولا بأس من أن نذكر مثلاً يضرب للكشف عن معلول فيما يأتى : إذا أرادت حكومة أن تلغى البغاء مثلاً ، فليها قبل أن تقدم على هذا العمل أن تفحص جميع اللواحق التى اتفق وقوعها فى جميع الحالات التى ألغى فيها البغاء فى بلاد أخرى : هل زادت منازل الدعارة السرية ؟ أم كثر الإقبال على الزواج ؟ فإذا تبين لها أن الإلغاء تلاءم فى بلد ما ازدياد منازل الدعارة السرية ولكن صحبته مع ذلك كثرة الإقبال على الزواج ، وأنه فى بلد آخر تلاءم قلة انتشار الأمراض السرية وصحبته أيضاً كثرة الإقبال على الزواج ، من ذلك تستطيع أن تستنبط النتيجة التى يودى إليها إلغاء البغاء وهى كثرة الإقبال على الزواج لأنه قد ازداد فى كل مرة . . . ويتضح مما ذكرنا من أمثلة أن أساس هذه القاعدة هو فى وجود الظاهرة والعامل المشترك الذى يسمى علة أو معلول تلك الظاهرة ، ولكن هذه القاعدة ليست عامة مطردة فى كل زمان ومكان ، ولا تعطينا صورة منطقية توصلنا إلى قانون حاسم ، فمن الصعب وجود ظواهر مختلفة تتفق فيما بينها فى صفة واحدة فقط تعد بمثابة العلاقة العلمية بينها .

والقاعدة الثانية من قواعد العلم ، هى قاعدة الاختلاف ، وهى عكس القاعدة الأولى فالحالان هنا تشتركان فيما بينهما فى كل العوامل ما عدا عامل واحد يظهر فقط فى إحداها ولا يظهر فى الأخرى ويعد علة أو معلول الظاهرة التى لدينا .

أما القاعدة الثالثة فتجتمع بين القاعدتين السابقتين ذكرهما ويتضح ذلك من اسمها وهو المنهج المركب من الاتفاق والاختلاف . وتتلخص فى أنه إذا وجد عامل مشترك بين حالتين ، وتختلف هذا العامل ذاته من حالتين أخريين ؛ فإن هذا العامل يعد علة أو معلول الظاهرة . فمثلاً إذا تغيب طالب عن حضور درس معين ثم رسب فى الامتحان ، فمقد يظن أن السبب فى رسوبه هو عدم حضوره هذا الدرس ، وإذا عرف أن كل من حضر هذا الدرس نجح فى الامتحان ازداد يقينه ، وإذا عرف أيضاً أن كل من لم يحضر هذا الدرس قد رسب ازداد يقينه أكثر ونسب رسوبه إلى عدم حضور الدرس . فإذا وقع المقدم يقع التالى والعكس صحيح .

أما القاعدة الرابعة فهى قاعدة البواقى ، وتتلخص فى أننا إذا حذفنا من ظاهرة الجزء الذى عرف عن طريق استقرارات سابقة أنه المعلول لمقدمات معينة فإن بقية هذه الظاهرة

تكون معلولة لبقية المقدمات ، فإذا قذف مدفع طلقة إلى مسافة ألف متر ثم ركبت ماكينته أخرى فزاد بذلك بعدد الطلقة مائة متر ، فعرف من ذلك أن الفرق بين قوتي الماكينتين هو علة المائة متر التي زادتھا الطلقة .

أما القاعدة الخامسة والآخرى فهي « قاعدة التغير النسبي » ، وفكرتها الرئيسية هي أنه بين أية ظاهرتين إحداهما علة والأخرى معلول تلازم ، بحيث أن أى تغير في العلة يستلزم تغيراً موازياً له في المعلول . فمثلاً إذا لاحظنا أن جو حجرة الدراسة التي فتحت نوافذها بارد ، ثم لاحظنا أنه بعد قفل نافذة صار الجو دافئاً قليلاً ، وبعد قفل نافذة أخرى ازداد الجو دفئاً ، وهكذا أمكننا أن نستنبط أن النوافذ المفتوحة هي علة ازدياد البرودة . وهذه القاعدة - كما يتضح من المثال - عبارة عن قانون الاستنباط الذي بمقتضاه نحكم بأن حادثة معينة علة في وقوع أخرى لأنهما متلازمان في التغير .

هذه بالإجمال قواعد العلامة مل في تحقيق الفروض ، وهي لا تكفي في إثبات وتحقيق جميع الفروض ، فهي تقوم على وجود علاقة عليية بين الظواهر التي نشاهدها أو تجري عليها التجارب ، أما إذا جہلنا العلة الواقعة بين الظواهر التي لدينا فإنها لا تستطيع أن تحقق لنا الفرض ، وبذلك يتحتم الالتجاء إلى :-

الطريقة الثانية من طرق التحقيق العملي ، وهي الطريقة غير المباشرة ، وهذه تفترض وجود علاقة عليية بين حالتين أو جملة حالات ، وبناء على هذا الفرض تستنتج النتائج ، فإن قابلت حقائق صحيحة أيقنا بصحة الفرض وإلا فلناجاً إلى فرض آخر .

أما الطريقة الثالثة فهي عبارة عن شكلين عامين يذكرهما العلامة لالاند ، وأولهما ، الطريقة السلبية أو منهج الحذف ؛ وتتلخص في أنه إذا بقي لدى العالم عدد معين من الفروض بعد فقد سابق ، فليسكوّن منها قائمة ، ثم يقوم بحذف الفروض التي تناقض النتائج التي يقوم بها للتحقيق . فلا يقبل فرض يعارض القول بأن الضوء ينتشر بسرعة أكبر من سرعة الصوت في الانتشار . وثانيهما الطريقة الإيجابية وهي تثبت صحة الفرض بنجاحه في أحوال مختلفة كل الاختلاف ومتباعدة كل البعد كمياً وكيفياً عن الأحوال التي وجهتنا نحو الفرض ، أى أن العالم الذي يريد تحقيق فرض معين يطبقه عملياً في أحوال مختلفة كل الاختلاف عن الحالة التي بدأ بها العالم الذي فسر في الفرض ، ويجمع نتائج هذه التطبيقات وبقائها بالفرض الذي لديه ليرى مبلغ اتفاقها أو مبلغ اختلافها ، وبعبارة أخرى يرى مدى اتفاق العمليات الرياضية المجردة مع تجارب المعمول .

العلم وعلاقته بالدين

لا يوجد بحث من البحوث التي تشغل بال الاجتماع وتحتل عقول المصلحين أكثر أهمية، ولا أدخل في باب الحداثة، ولا أشد تعقداً، ولا أعظم - بالتالي - فوزاً بالصدارة من بحث العلاقة بين العلم والدين. ومآتى ذلك هو أن العلم - منذ أن فاز بحريته في بحر النهضة الحديثة - قد أصبح يزعم لنفسه المقدرة على فرض سلطانه المطلق على العقول والاجسام، بينما يهدف الدين - منذ أول عهده بالبشرية - إلى سيادة سلطته الروحية وإلى قيادة الحياة العملية في الأمم وإرشادها إلى سبل الهدى والسعادة. ولا جرم أن هوة الخلاف بين المعسكرين قد اتسعت أرجاؤها إلى حد أن عدداً كبيراً من العلماء العصريين قد وضعوا نصب أعينهم تجاهل كل التعاليم الدينية التي تباعد عن التجارب العملية ولا تسترشد بهدى الأقيسة الموضوعية الخاضعة للمناهج العلمية الحديثة.

ولما لم تؤد هذه الخطة التي سلكها العلماء المحدثون إلى إسعاد الإنسانية، بل بالعكس قد انتهت بها إلى فقدان التوازن الروحاني من جهة، ولما كان باب النقاش في هذه النظرية لا يزال مفتوحاً على مصراعيه من جهة ثانية، وكانت العقول المثقفة المتزنة لا تزال تنتظر لها حلاً مقنعاً يحقق السعادة الإنسانية من جهة ثالثة، فقد حاولنا منذ أعوام أن نعالج موضوع الصلة بين الدين والعلم على صفحات هذه المجلة موجزين آراء علمية المفكرين الذين عنوانوا بدراسة هذه المشكلة ومجهوداتهم التي بذلوها للتوفيق بين العلم والدين، أو لتضييق هوة الخلاف بينهما ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لكي تكون دراستنا علمية مؤسسة على دعائم المنهج التاريخي المألوف.

وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتقدم إلى قرائنا الاعزاء الذين رافقناهم على صفحات هذه المجلة زهاء ثلاثة عشر عاماً، ثم احتجبتنا عنهم بغتة معتذرين إليهم بأن ظروفنا ملتوية تختلف مع طبيعتنا قد أحاطت بالمجلة فجعلتنا نقطع صلتنا بها راضين عن أنفسنا مطمئنين

إلى مبادئنا . والآن نعود إلى وصل ما انقطع محاولين الإحاطة بهذه المشكلة من جميع جوانبها بقدر الإمكان . وإليك البيان :

المعنا في الفصول السالفة من هذا البحث بآراء ديكارت ، بمثابة للقرن السابع عشر ثم بآراء دجون لوك ، و دجان جاك روسو ، معبرة عن أكثر تفكير القرن الثامن عشر . واليوم نستأنف الحديث عن ناحية أخرى من ذلك العصر المذكور وهي آراء دكانت ، Kant التي يكثر عليها الباحث فيما يسميه مؤرخو الحركة العقلية : « ثورة كانت الفلسفية » .

وبجمل هذه الآراء أن دكانت ، يزعم أنه عندما نظر في فلسفة القرن السابع عشر هاله ما هوى فيه العقل البشرى من تناقض واضطراب حينما جعل يحاول حل معضلتى وجود الإله وكنهه النفس البشرية . ومن دلائل ذلك عنده تناقض بعض الفلاسفة العقلين مع البعض الآخر ، بل تناقضهم مع أنفسهم ، وهو يفتى في آخر هذه الدعوى إلى تقرير أنه ينبذ ذلك المبدأ الشهير الذى ساد القرن السابع عشر كله ، وهو القول بأن فى مكثنة العقل أن يدرك الوجود فى ذاته ، وبالتالى هو يستطيع - فى غير تجربة عملية - أن يصل إلى المعرفة المطلقة ، وأنه يستطيع فى سهولة أن يتحدث بيقين عن الوجود اللامتحس ، وأن يقيم الدليل القاطع على وجوده عن غير طريق الواقع المشاهد ، وأنه لابد من وجود نوعين من العلم يسيران متوازيين جنباً إلى جنب ، أحدهما العلم الطبيعى الذى يشتغل بالظواهر المادية ، والآخر العلم الأعلى الذى موضوعه ما فوق المحس أو ما بعد الطبيعة ، ومعنى هذا أن غايتى العلمين مختلفتان ، وليستا متعارضتين . وذلك كله باطل من أساسه .

حقاً إن النظرة العاجلة فى النقد الذى وجهه دكانت ، إلى تراث ما بعد الطبيعة أو إلى ما يسميه هو بالميتافيزيكا التقليدية ولا سيما منها براهين وجود الإله والحياة الأخرى من شأنها أن تلقى فى روع الباحث الحكم على العقل بالعجز والقصور البالغين ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ أنه لم يحتقر العقل إلى هذا الحد ، وإنما أراد - فيما يزعم - أن يعيد إليه سلطانه الحقيقى على صورة جديدة يمكن أن نجمها فيما يلى :

يؤمن كانت بوجود العالم الخارجى حق الإيمان ، وهو فى الوقت عينه يقرر أن هناك موجودات فى ذاتهم ، ولكنها غير قابلة للمعرفة بالنسبة لنا ، ويمكن أن يطلق عليها اسم « نوميونون Nouménon » ، وهى نفس الكلمة الإغريقية « نوميينا Nooumena » ، التى كان أفلاطون يطلقها على « المثل » .

على أنه لكي تتحقق معرفتنا بالعالم الخارجى يجب أن يخضع العقل البشرى ذلك العالم لقوانينه الخاصة حتى يبدو لنا في صور ظواهر وأحداث : « فينومين Phenomen » ، وحينئذ يصير العقل سلطة تشريعية يذعن لقوانينها كل ما من شأنه أن يكون موضوعا للمعرفة . وعلى هذا النحو هو يعترف للعلم باليقين ما دام أن المعلوم لا يخرج عن نطاق التجربة .

بيد أن العقل الإنسانى بفطرته طموح يتطلع إلى ما هو أسمى من ذلك فيرنو - في شغف مشروع - إلى ما وراء استقرار قوانين الطبيعة وما فوق معرفة الظواهر الحسية فيدرك فكراً من عالم الوجود في ذاته كفكرة النفس وفكرة الكون وفكرة الإله التى هى مانحة الحقائق أقصى أواج المعقولة .

على أنه إذا كان في مقدور أدوات التعقل البشرى شرح الظواهر المادية وتعليلها ، فإن الذى لا ريب فيه أن الشأن ليس كذلك عند ما يتعلق الأمر بالنظر في الوجود في ذاته ، أى الوجود الذى لا يخضع للتجربة بجزئية النفس وبساطتها ، أو كمنشأ الكون ، أو كالأستدلال على وجود الإله ، إذ أن جميع المحاولات التى عاجلت أمثال هذه الجواب عن طريق العقل عندما ينهم المرء فيها نظره في شيء من الدقة يلقى أنها مشتملة على متناقضات لا يمكن قبولها ، أو متعارضات بدون حلول أو ضعف في الأسانيد المؤيدة على أقل تقدير .

من هذا كله يتبين إجمالاً أن العقل يستطيع أن يصل إلى العلم اليقيني في كل ما ينحصر في منطقة التجربة وأنه منعطف بطبعه إلى إدراك وجود حقائق أخرى أسمى من عالم الحس ، وهى غير قابلة لموضوعية العلم ، بل هى قابلة لموضوعية الإيمان المشروع الذى يهدف إلى غاية أخرى مغايرة لغاية المعرفة النظرية التى لا تلحق إلا موضوع العلم في نظر « كانت » ، وإذن فيجب على الميتافيزيكية أن تقنع بدورها الحقيقى وأن تتواضع فتدرك منزلها الصحيحة وأن تقدر مهمتها الطبيعية حق قدرها ، فبدلاً من أن تتعقب غاية مستحيلة بالنسبة لها ، وهى محاولة مد سلطان العلم إلى ما وراء التجربة الحسية ، يكون حسبها أن تقف به عند حدود التجربات التى هى حدود المقدرة البشرية ؛ وبهذا الاتجاه تصبح الميتافيزيكية عملية منتجة لا نظرية مجردة . وعلى هذا النحو لا يفوتها شيء مما هو ضرورى للمعرفة أو للحياة ، لأن من الخطأ أن تتعاقب بما يتجاوز حدود معرفتنا طمعاً في أن ينظم هذا المجهول - المستعصى

علينا فهمه — سلوكنا . ولهذا كان من العبث أن نجعل يقيمتنا بالحياة الأخرى هو الحامل لنا على التمسك بالفضيلة ، أو أن نتخذ عدم قابلية النفس للفناء حافزاً لنا على العمل أملاً في جزاء الخير ، لأن ما لا يدخل في نطاق التجربة لا يصلح لأن يدفع إلى تنظيم سلوك الحياة الواقعية مستنداً إلى تعليل نظري .

والحق بإزاء هذه المعضلة أن القلب هو الذى يقود العقل فيها فيفرض عليه بدياً أن أداء المعرفة هنا عابثة معدومة الفائدة لقصورها ، بل لعجزها ، وأن أوامر القانون الخلقى التى تنظم الحياة وتقوم السلوك وتدفع إلى الفضائل هى مستقرة فى أعماق النفس الإنسانية ، وأنها ، تنبثق منها عند الحاجة ، أى قبل الحكم على أى عمل بله الشروع فيه ، وأنها — فيما يبدو — هى التى تحدد منزلة كل فرد فى الحياة الأخرى .

على هذا النحو كان دكاونت ، يعتقد أنه من الممكن التخلي عن الميتافيزيكية التقليدية دون أدنى عدوان على الفضيلة الخلقية والدينية التى كان يضعها فوق كل اعتبار . ولا جرم أن أبرز نواحي مذهب دكاونت ، فى هذه المشكلة هى إعتاده على الفرق الواضح الذى يابح عليه بين العلم التجريبي والعقيدة التسليمية ، فهو يصرح بأن الأول يبحث عن معارف حقيقية مؤسسة على أدلة يقينية غير قابلة للاعتراض ، بينما أن الثانية تعتمد على إيمان بسيط وتسليم أبسط ، وأن ظلمة المشكلات وتعقدها والضرورة الملحة على وجوب الاختيار السريع والتصميم الحاسم ، كل هذه العوامل تخلق من الإيمان التسليمى البسيط شيئاً لا نلث أن نتخذه مبدءاً لأحكامنا ثم لسلوكنا . على أن هذا المبدأ ليس نافهاً أو خفيف الوزن ، وإنما هو مؤسس على الرجحان ، أوله ما يبرره من شهادة شخصية جذيرة بالتصديق . وإذن فلا يمكن استبعاد العقائد الدينية بحجة أنها مؤسسة على إيمان تسليمى إذ أن تلك العقائد لها ما يبررها من اليقين بأحقية الإله نفسه .

وإذن فلو أن المرء دقق النظر فى معتقداته وعنى بفحصها نهاية فائقة فلم يحتفظ منها إلا بما هو من الوحي الإلهى حقاً ، وبذل جهده فى اقتناص المعانى الحقيقية لهذه الموحيات لصارت العقيدة الدينية مبدءاً من مبادئ اليقين الذى لا يقل عن العلم بأكمل ما فى هذه السكمة من معان .

وعلى هذا الأساس استطاع دكانت ، أن يجد في اختصاصات العقل جميع الشرائط الأساسية للعلم والدين . فأما العلم فبإدائه مستقرة في العقل حينما يكون نظرياً ، إذ هو في هذه الحالة يؤلف دعائم العلم مطبقاً على العالم الحسى التجريبي قوانينه التي تصير ذلك العالم قابلاً للمعرفة ، وهي معاني الزمان والمكان والعلية .

بيد أن هذا العقل لا يستمر دائماً نظرياً ، وإنما يكون أحياناً عملياً لإنشائياً فلا يكتفى بشرح العالم الخارجى وتعليل ظواهره وأحداثه ، وإنما هو يود أن يعمل عملاً منتجاً ، وهذا العمل محتاج إلى قواعد تنظمه وتنسقه ، وفي هذه الحالة الأخيرة يبرز العقل أقصى ما يشتمل عليه من عناصر . وإذ ذاك يجب أن نعينه على امتداد سلطانه حتى يلحق بالغاية الأخرى المؤسسة على الإيمان والتي باجتماعها مع العلم تحقق أسمى وظائف العقل .

وإذا كانت طبيعة تكويننا تقضى علينا بضرورة وجود بعض المبادئ لإمكان تنظيم سلوكنا ، فإنه يجب علينا أن نقبل هذه المبادئ الإلهية المنظمة كحقائق حتمية ، وتلك هي المبادئ الميتافيزيكية كالإلهية وحرية الاختيار وخلود النفس وما شاكل ذلك . ولكن قبولنا هذه المبادئ هو على معنى أنها عملية خلقية لا علمية ولا نظرية . وإذن فالعقيدة على هذا الاتجاه ، السكنتى ، شئ لا بد منه لتحقيق المبادئ الخلقية التي لا نستطيع التذليل على صحتها علينا ، لشدوذاها عن قواعد التجارب الحسية كما أسلفنا .

وأخيراً نستطيع أن نجمل مذهب دكانت ، في : أن العقل يكون نظرياً وعملياً حسب اختصاص اتجاهه . فإذا كان هدفه العقل والفهم كان نظرياً ، وإذا كانت غايته التنظيم الخلقى كان عملياً ؛ وثمره الحالة الأولى العلم ، وثمره الثانية الأخلاق . ومن هذه الحالة الأخيرة تنبثق العقيدة ، وكل من هذين الاتجاهين مستقل عن الآخر تمام الاستقلال ولكنهما متصلان فيما بينهما عن طريق ذلك الرابط العام المشترك وهو العقل .

الدكتور محمد غنم

تصحيح

وقع في الجزء الماضى خطأ في ترتيب صفحتين من المجلة . فالصفحة التي رقبها ٨٧٩ وأولها «رسولاهن» ، كان ينبغي أن يكون رقبها ٨٧٨ بدلا من الصفحة التي قبلها وصواب ترقيمها ٨٧٩

الكتاب

التفسير الواضح — للأستاذ محمد محمود حجازى

إن الجمهور المثقف من المسلمين يحتاج فى كل عصر إلى تفسير لكتاب الله يقتصر فيه على ما ييسر المسلم فهم آياته للاهتمام بها فيما نزلت له . وفى مختلف عصور الإسلام كان العلماء يقومون بهذه المهمة ، كما فعل الجلال المحلى ثم الجلال السيوطى فى إخراج تفسيرهما اللطيف المنسوب إليهما . وقد تصدى لأداء مثل هذه المهمة الإسلامية لشبابنا الآن فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازى ، فأخذ يصدر (التفسير الواضح) فى أجزاء متتابعة كتب الله لها القبول عند من ألف هذا التفسير لهم ، حتى إن بعض أجزائه أعيد طبعها والكتاب لا يزال فى إبان تأليفه ونشره . وطريقة المؤلف فيه أن يأتى بوضع آيات متناسقة يتم بها المعنى ، فيتخير لها عناوناً ، ويجعل الآيات بحروف جلية وبالشكل الكامل ، ثم يقبها بتفسير مفرداتها تفسيراً لغوياً مشفوعاً بالمراد بها فى الآية ، ويعقبه بإيراد المعنى الإجمالى للآيات بعبارة وجيزة واضحة . وقد يتخلل ذلك ذكر المناسبة وسبب النزول ، وأحياناً يتعرض لمواضع العظة من قصص القرآن وأمثاله .

وأجزاء التفسير يقع الواحد منها بين ٨٠ صفحة و ١٠٠ ، وذلك مما يسهل على الشباب قراءة الجزء والإفادة منه إلى أن يصدر الجزء الذى يليه .

وقد صدر إلى الآن أحد عشر جزءاً من التفسير الواضح بلغ بها المؤلف إلى آخر سورة يونس . فرجو له من الله دوام التوفيق فى هذا وغيره من الأعمال العلمية الإسلامية .

الرسالة المحمدية — لعلامة الهند السيد سليمان الندوى

نشرها المركز العام للإخوان المسلمين — ١٨٤ ص — بالمطبعة السلفية

كانت جامعة مدراس الهندوكية فى الهند قد أباحت منبرها لبعض كبار علماء الديانة المسيحية ليحاضروا الطلبة من كل المذاهب والأديان فى بيان الأسس التى تقوم عليها رسالتهم

الدينية . ولما انتهوا من ذلك اقترح الطلبة المسلمون في تلك الجامعة على رؤسائهم أن يأذنوا لهم بدعوة أحد علماء المسلمين ليحاضر الطلبة بمثل ذلك عن رسالة الإسلام .

وبالفعل دعوا لذلك علامة مسلمى الهند السيد سليمان الندوى أمتع الله الإنسانية بفضلته وسعة معارفه ، فألقى من منبر تلك الجامعة الشهيرة ثمانى محاضرات عن الرسالة المحمدية أدارها على معانى قلبا و فاهما حقها غيره من ألوف المصنفين فى السيرة المحمدية بمختلف اللغات . ومن ذلك لإعلانه امتياز هذه السيرة بأنها هى السيرة الوحيدة التى يجوز وصفها بأنها « تاريخية » ، ليصح الاقتداء بها واتخاذها أسوة فى الحياة ، بينما سیر مؤسسى الديانات الأخرى لا يكاد يعرف عنها التاريخ إلا النزر القليل مما لا يتم به التأسى والاقتداء .

ومنها أن الرسالة المحمدية هى العامة الخالدة ، ولذلك جاءت بشرائع ثابتة للإنسانية كلها فى كل زمان ومكان ، بينما الرسالات الإلهية الأخرى جاءت مختصة بعصر واحد من العصور ، أو بعنصر واحد من عناصر الناس ، فانتهت مهمتها بانقضاء زمانها ، أو انحصرت بالعنصر الذى اختصت به .

ومنها أن السيرة المحمدية : هى المعلومة للناس بكاملها وتماها وشملها من ميلاد صاحبها إلى أن اختاره الله إليه ، فلم يخف شئ من دخالتها عن أعداء صاحب هذه الدعوة ولا عن أوليائه .

ومنها أن حياة محمد ﷺ جمعت كل ما تفرق فى الأنبياء مما امتازوا به ، لأن ما أعطاه الله لرسله جميعا متفرقين ، قد أوتيته محمد صلى الله عليه وسلم وحده . وقد أورد السيد سليمان الندوى الشواهد والمقارنات التاريخية فى هذا الباب ، واستعرض مدرسة محمد ﷺ وبين كيف كانت جامعة للطوائف والطبقات وأجناس الأمم ، وبرهن على أن محمد صلى الله عليه وسلم هو المصلح الأخير للإنسانية ، وأن العالم لا يتم هدايته إلا بهذا المصلح الأخير .

ثم تسكلم على الناحية العملية فى السيرة المحمدية ، فبين أن الأنبياء والمصلحين من الساميين أو من أهل المشرق البعيد كانوا يبينون رسالاتهم لأممهم بلسانهم ، فأدوا عن الله رسالاته . غير أنهم لم تتح لهم فرصة التعبير عن رسالات الله بالعمل والتطبيق كما أتاحت لمحمد ﷺ . وقدم المحاضر براهين ذلك من تاريخ الأنبياء ، ومؤسسى الديانات ، بأمثلة لا تقبل المراء أو الجدل .

وكانت خاتمة محاضراته نبينا لاسباب فساد الديانات القديمة وكيف تطرق إليها الباطل من ناحية تشبيه الله بالبشر وتأليه البشر بسبب ذلك ، أو من ناحية تجسيم الصفات الإلهية والرمز لكل صفة بوثن من الاوثان ، فنشأت عن هذين الامرين عبادة البشر وعبادة الاوثان . وكيف أن الإسلام وحده هو الذى جاء بتوحيد الله فى أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه ليس كمثل شئ ، فلم يعرف التاريخ الإنسانى دعوة قضت على عبادة البشر وعلى عبادة المخلوقات - بحجة أنها رموز للإله - كما قضت على ذلك رسالة الإسلام بأصرح بيان وأقوى حجة .

إن لغات البشر كلها حافلة بألوف الكتب فى السيرة المحمدية ، ولكن محاضرات السيد سليمان الندوى هذه عنيت بهذه النواحي بأكثر مما نجد فى أى كتاب آخر . وكان قد ألقاها باللغة الاوردية ونشرت بها كما نشرت ترجمتها الإنجليزية . فلما وفد على كراتشى فى العام الماضى وفد من الإخوان المسلمين فى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر الإسلامى حظى أعضاؤه بزيارة هذا الإمام العلامة الكبير وطلبوا منه هدية إلى شباب المسلمين فى مصر والوطن العربى ، فأهدى إليهم هذه المحاضرات النفيسة مترجمة بالعربية ليقوم المركز العام للإخوان المسلمين بنشرها فى مصر وجميع أقطار العروبة .

وقد ناط المركز العام للإخوان المسلمين برئيس تحرير هذه المجلة كتابة مقدمة لهذا الكتاب والتعريف به وبمصنفه العلامة الكبير ، والإشراف على طبعه ، فتم طبعه فى هذه الأيام بلغة عربية فصلى زادت فى محاسن الكتاب . فنحث قراء العربية جميعاً على تدبر ما جاء فيه من الحقائق الناصعة وإطالة النظر فيها ، فإنها جديرة منهم بذلك .

الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى — ٥٢٤ ص قالين — نشرته دار الكتب الحديثة

يقول الدكتور المؤلف فى مقدمة كتابه هذا : إذا كان لكل قانون ، سماوى أو وضعى ، طبيعته وسماته وخصائصه التى يتميز بها عن غيره من القوانين ، فإن للفقه الإسلامى من هذا كله ما يجعله بحق ضرباً فريداً من التشريعات والقوانين التى عرفها العالم حتى الآن ، سواء من ناحية الأسس التى قام عليها ، والمقاصد والغايات التى استهدفها ، والاحكام والحلول التى جاء بها على مر العصور .

وموضوع « الأموال ونظرية العقد » هو الذى يعرف فى كتب الفقه بالمعاملات ، وقد ألف المؤلف كتابه هذا لطلبة كلية الحقوق بالجامعة ، وسيستفيد من ذلك بالعرض جميع الذين يعينهم دراسة الفقه الإسلامى من مراجعته الاصلية ، وقد امتاز الكتاب بصفة خاصة بالمقارنة بين آراء الفقهاء المسلمين من مختلف المذاهب ، ثم بالمقارنة بين هذه الآراء والمذاهب وما جاء فى القانون المصرى الحديث ، عند ما يتطلب الأمر وموضوع البحث هذه المقارنة . والفقه الإسلامى هو فقه السواد الأعظم من الأمة المصرية ، وإن ٩٢ فى المائة من هذه الأمة يؤمنون بأن هذا الفقه هو تشريعهم الاصيل ، وكل ما عداه أجنبي عنهم ، وكما يرون أنه فقههم الذى اطمأنوا إليه وتعاملوا به مدة ثلاثة عشر قرناً وأكثر ، يرون كذلك أنه هو الايق بهم والانفع لهم واللائق بمجتمعهم ، وزيادة على ذلك فإن إحياءه والتعامل به يعدونه ديناً ، ويعتقدون أنهم يثابون عليه كما يثابون على العبادة ، وبعبارة ذلك يعتبرون إهماله وتضييعه والتنكر له جريمة يعاقبهم الله عليها . لذلك كان مما يسرُّ له المصريون عناية هلماتنا بالفقه الإسلامى تدريساً وتأليفاً ومبحثاً ، وحسن عرضه فى مؤلفات تقطع الحجة على كل من يساهم فى تعطيله وإحلال الفقه الاجنبى فى محله من المجتمع المصرى .

ويقول الدكتور المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : « وفى الفقه الإسلامى ثروة ضخمة من التشريعات العديدة التى تناول الفرد ، والمجتمع ، والدولة - من النواحي المختلفة - بل تتناول أيضاً العلاقات الدولية بين الأمم جميعاً . وإن يستطيع أن يقف على مبلغ هذه الثروة من قصر نفسه على مذهب واحد من مذاهب الفقه لا يعدوه إلى غيره ، بل يجد تجاوزه غير جائز له ما دام قد التزمه مذهباً له . »

والكتاب فى ثلاثة أقسام : أولها المدخل لدراسة الفقه وفلسفته ، ذكر فيها نشأته وتدرجه وأدواره والمذاهب الفقهية المهمة ، وأصول الفقه ومصادره ، وطبيعة الفقه الإسلامى وخصائصه . والقسم الثانى فى الأموال ، وفيه تعريف المال والملك وتقسيمهما وحقوق المنفعة والارتفاق ، والأسباب الناقلة للملكية . والقسم الثالث فى نظرية العقد وتكوينه وشروطه وأقسامه وانتهائه .

وكان المؤلف على نية الكتابة بإيجاز على العقود عقداً عقداً ، كالبيع والإجارة والرهن والعارية وغيرها ، لكنه عدل عن ذلك اكتفاء بما كتبه عنها فى أثناء بحث نظرية العقد وقد جاء كتابه فى ٥٢٤ صفحة مستوفياً لما أراده منه ، وسيفيد منه طلبة كليات الحقوق ومن فى درجتهم من المثقفين فائدة تخطو بهم خطوات للاستقلال فى البحث والاستئناس باتجاهات الفقه الإسلامى .

خلاصة تاريخ تونس

نشرته دار الكتب الشرقية بتونس — ٢٠٠ صفحة

هو مختصر مدرسي للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب يشمل حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر . وكان قد طبع قبل الآن مرتين فأعيد الآن طبعه للمرة الثالثة بعد أن أصلح فيه المؤلف ما تعين لإصلاحه ، وحوّر البعض ، وأضاف إليه فقرات وفصولاً وخرائط جغرافية رجاء أن يزداد الكتاب بذلك شرحاً وإيضاحاً .

ومثل هذه الكتب في التعريف بالاقطار الإسلامية وأجزاء الوطن العربي مما يعين على تعارف المسلمين والإلمام بأحوال أوطانهم ليم بذلك شعورهم جميعاً بأنهم أمة واحدة . وللمؤلف تاريخ آخر لتونس مبسوط يعنى بجمعه وتأليفه منذ أحقاب ، فمساءه يبادر إلى نشره ليعم النفع به .

ديوان ابن حيوس

نشره المجمع العلمي العربي - بتحقيق خليل مردم بك - في مجلدين ٧٥٠ صفحة قالين

الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوي الدمشقي (٣٩٤-٤٧٣) من أعلام الشعر العربي ، وكان شاعر الشام في عهد الدولة الفاطمية في القرن الخامس ، عاصر أبا العلاء المعري ، وكان جده الهيثم بن عثمان الغنوي من قواد المعتمد ومن الرؤساء الذين مدحهم البحتري . ونشأ ابن حيوس من أول شبابه جامعاً إلى وجاهته وراثته واتصاله بالولاة والحكام ، الميل إلى الفصاحة والجزالة والارتياح إلى نظم الشعر ، فنجا منحنى أبي تمام في الصنعة اللفظية والغوص على المعاني ، كما ذهب مذهب البحتري في استواء الشعر وعدم التفاوت وطول النفس . ويماب عليه انزلاقه في مناصرة ولاية الفاطميين والتحامل على خصومهم ، فاضطر على سنيته - إلى مجاملة الباطنيين وأتمتهم بما لا يجوز صدوره عن مسلم ، ولا يليق إلا بمثل ابن هاني . وقد عاقبه الله على ذلك ، وعلى تهوينه من شأن قومه العرب لإرضاء لمثل انوشتكين الهذبري ، بأن دالت دولة هؤلاء وهؤلاء ففقد ما كانت تملك يده ، وأراد أن يذهب إلى بغداد فذكر أنه قد أغضب بني العباس ونال منهم تقريباً إلى بني عبيد وولاتهم . وأراد أن يذهب إلى حلب فصدّه عن ذلك أنه ملأ الدنيا بشعره في ذم الامير

صالح بن مرداس وابنه نصر بن صالح لما كان يمدح أنوشتكين العدو الالذ لآل مرداس .
إلا أن الله أنقذ شيخوخة هذا السرى الشاعر على يد الأمير علي بن منقذ فتوسط له عند
الأمراء آل مرداس وأمر ابنه نصر بن علي بن منقذ بأن يصحبه ويقدمه إلى أمير حلب محمود
ابن نصر المرداسي فكان وسيلة التجميل والصفاء بعد الجفاء . وأنشد بين يديه قوله في مدحه :

قفوا في القلى حيث انتهيتم تذيما	ولا تقتفوا من جار لما تحسبا
أرى كل معوج المودة يُصطفى	لديكم ، ويلقى حتفه من تقوما
حتى الناس من قبلُ القسي لتقتنى	وُتقف منآد القنا ليحطما
وما ظلم الشيب الملم بلى	ولن بزنى حظى من الظلم والما
إلام أمني النفس ما لا تناله	وأذكر عيشاً لم يعد مذ تصرما
وقد قالت السبعون للهو والهوى	دعاني أسرى واذها حيث شئتما

فأحسن الأمير محمود بن نصر المرداسي وفادة ابن حيوس واحتفى به ووهب له ألف
دينار ذهباً في صينية فضة وجعلها له رسماً عليه في كل سنة ، وأنساء بنى عبيد ووزراءم
وأمرامهم . فقال يخاطب ابن منقذ ويذكر الأمير ابن مرداس :

يا ابن المقلد قد قلدتني منما	ما قارب الحمد أدناها ولا كربا
فيمنُ جددك أفضى بي إلى ملك	ما ابتزه الشعر إلا هزه طربا
أغنى وأقنى وأدنى ثم أغرب في	إنعامه فأفاد العقل والأدبا
فشكل نوه بمصر جادني زمنا	فداء نوه سقاني الرى في حلبا

ويقول محقق هذا الديوان العالم الأديب الشاعر المحقق السيد خليل مردم : دخل
ابن حيوس حلب في شوال سنة ٤٦٤ وهو ابن سبعين سنة ، وبقي في كنف آل مرداس حتى
انقرضت دولتهم سنة ٤٧٣ ، وفي الديوان من شعره فيهم ثلاثون قصيدة من أجزل شعره
وأحسنه ، يعجب الإنسان كيف استجابت له وهو في عشر الثمانين من عمره .

وفي ذلك يقول :

وما أضعفت عشر الثمانين مني كما تضعف الضرغام وهو غضنفر
وبما ذكره محقق الديوان من أخلاق ابن حيوس أنه كان يغلب عليه الجد والتعاون ،

وأنه ليس في سيرته أو شعره هو أو عبث أو مجون ، ولم يكن محتالاً غوراً ، ولا سباباً طماناً ، ويكاد ديوانه يخلو من الغزل ووصف الخمر والفخر والهجاء ، ولعل غلبة الجدل عليه جعلته خشناً في بعض أحاديثه كالذي رواه الحافظ ابن عساكر (١ : ٤١٠) في ترجمة الشريف أحمد بن علي النصيري قاضي دمشق للمستنصر العبيدي ، فقد قال القاضي لابن حيوس يوماً : وددت لو أني كنت في الشجاعة مثل علي وفي السخاء مثل حاتم . فقال له ابن حيوس : وفي الصدق مثل أبي ذر . يعرض له بأنه كذاب لأن القاضي كان يرمى بالكذب . وكان ابن حيوس معجباً بشعر معاصره عبد المحسن الصوري ، حتى لقد روى عنه ابن عساكر (ج ١٠ ورقة ٢٢٥ مخطوط) أنه كان يقول : إني ليعرض لي الشيء من شعر أبي تمام والبحترى وغيرهما من المتقدمين فأعمل في معناه فأبلغ مرادى منه ، ولا أقدر على أن أبلغ من موازنة شعر عبد المحسن الصوري ما أريد لمهولة الفاظه وعذوبة معانيه وقصر أبياته . وكان يعترض على من يقول إن جريراً أغزل الشعراء ويقول : أغزل منه عبد المحسن الصوري في قوله :

بالذي ألهم تعذبي ثيابك العذابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا

وكان أبو العلاء المعري يعيب عبد المحسن الصوري بقصر النفس ، فلما حضر ابن حيوس عند أبي العلاء أنشده أبو العلاء أبياتاً لعبد المحسن وقال : « هذه لقصيرك ، فقال له ابن حيوس : « هو أشعر من طويلك ، يعني المتنبي . فدأ أبو العلاء يده إليه وقبض على ثوبه وقال : « الأمراء لا يناظرون ، وأراد بذلك أن يحول مجرى الحديث .

وقد أقرضنا لنقل هذه الاخبار ليعرف المتأدبون أن بلغاء هذه الامة وأعيان البيان فيها قد طوى النسيان منهم العديد الأكثر ، والمشهورون منهم هم النزر القليل .

فشكراً للجمع العلمي العربي على إحيائه هذا الديوان البالغ من تراثنا الأدبي ، وأضعاف هذا الشكر للسيد خليل مردم على ما بذله من روحه وأدبه في حسن إخراج شعر ابن حيوس صحيحاً مضبوطاً مشروحاً بأجل طبع وأنفسه .

الأدب والعلم في شهر رجب

معهد ومهنة الدين

إذا كنتم حقا تؤمنون بما تقولون . طبقوه على أنفسكم ، وعلوا أولادكم الصلاة ، وساعدوا جيرانكم ، وانشروا الفضيلة . وإنني أقول لكم بمـلء صوتي : من رأى فينا منكرا فليواجهنا به ، من رأى منا خروجا على القرآن فليحدثنا عنه . إننا نريد أن نعمل . وعلى كل من يريد أن يطبق القرآن أن يطبقه على نفسه وذويه . هذا هو الدين الصحيح . .

معهد ديني برفني

كان الوجه السيد كشك من أعيان رفق رحمة الله ، قد أنشأ معهداً دينياً أهلياً ببلدته ووقف عليه وقفاً داراً من أطيانه للإتفاق منه على هذا المعهد . وقد زار نجله الكريم الأستاذ بسيوني كشك الناظر على أوقافه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وقدم له طلباً رسمياً بأن يلاحق المعهد بالجامع الأزهر وتمهد بأن يقدم لإدارة الأزهر الوقوف على هذا المعهد لاستمرار الإتفاق منه عليه . فعهد فضيلة الأستاذ الأكبر إلى المختصين بإتمام ذلك بحسب النظام المتبع في أمثاله .

في زيارة الرئيس اللواء محمد نجيب لمدينة دمنهور يوم الاربعاء ٣٠ رجب وضع بيده حجر الأساس لمعهد دمنهور الديني في الأرض التي تبرع بها أعيان دمنهور لهذا الغرض . وقد خطب الرئيس في هذا الحفل فكان مما قاله : « أحب أن أقول لكم إننا نستمد هديتنا من القرآن ، وإن أعمالنا جميعاً من وحيه . وإننا لا تسام : هل قصرنا في الأخذ بأهداب الدين ؟ هل خرجنا عن حدوده ؟ ألم نقرر الصلاة في المدارس ؟ ألم نجعل تعليم الدين مادة أساسية ؟ إذن ماذا تريدون ؟ افهموا أن النظام والاتحاد والعمل هي وسيلتنا الوحيدة لطرد الإنجليز . من كان يحب بلاده فعلاً فليظلم نفسه وليقع عن الهتاف الذي لا هدف له إلا حب الظهور ، وخدمة الأغراض الخاصة . إن الذين يهتفون في كل مناسبة : نريد القرآن . لاحكم إلا بالقرآن . . يسيثون إلينا وإلى أنفسهم وإلى بلادهم ، لأننا لم نقصر في تطبيق القرآن . اعملوا بمبادئ القرآن

ويكون الامتحان في إجازة حفظ القرآن
تحريراً في جميع العلوم ، وشفوياً في القرآن
السكريم حفظاً وأداء وفي التجويد والنحو .

ويكون الامتحان في إجازة حفص تحريراً
في القراءات ، وشهادة التخصص في القراءات
تحريراً في علوم السنة النهائية عدا مادة
القراءات فيكون الامتحان فيها في جميع مقرر
المرحلة . ويكون الامتحان شفوياً في حفظ
القرآن السكريم وفي مادة القراءات في جميع
مقرر المرحلة وفي النحو والصرف في الشهادة
العالمية والنحو والبلاغة في شهادة التخصص .

ويكون امتحان المكفوفين شفوياً فقط
في جميع ما يمتحن فيها المبصرون أسوة بالطلبة
المكفوفين في المعاهد الدينية .

« مادة ١١ - لا يعيد الطالب في كل مرحلة
من مرحلتى شعبة القراءات أكثر من سنتين
ولا يعيد في السنة الواحدة أكثر من مرة
ولشيخ الجامع الأزهر منح الطالب سنة
استثنائية . »

المادة الثانية - تلغى المادة العاشرة من
المرسوم الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٥
المشار إليه .

المادة الثالثة - على رئيس مجلس الوزراء
تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره
في الجريدة الرسمية .

ومعهد ديني بفافوس

تبرع الاستاذ محمد فريد الطاروطى بقطعة
أرض مساحتها فدان ونصف فدان في موقع
جميل بمدينة فافوس ، وبألف جنيه ، ليشيد
عليها معهد ديني وجمعية للمحافظة على القرآن .

علم تجويد القرآن السكريم :

مرسوم بتعديل أحكام امتحانه :

صدر أس مرسوم بتعديل بعض أحكام
المرسوم الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٥
بإنشاء قسم في كلية اللغة العربية لتدريس علم
تجويد القرآن السكريم وفن القراءات ننشره
فيما يلي :

المادة الأولى - يستبدل بالماتين ٨ ، ١١ ،
من المرسوم الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٥
بإنشاء قسم في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر
لتدريس علم تجويد القرآن السكريم وفن
القراءات النصان الآتيان :

« مادة ٨ - يكون الامتحان في جميع مراحل
سنى قسم القراءات وفي امتحان الحصول على
الشهادة ، على دورين . ويكون الامتحان في سنى
النقل تحريراً في جميع علوم السنة التى يجرى
فيها الامتحان ، وشفوياً في حفظ القرآن
السكريم ومادة القراءات وعلوى النحو
والصرف في المرحلة الأولى والنحو والبلاغة
في المرحلة الثانية .

التعليم الجامعى

وترى اللجان الفرعية للتعليم الجامعى أن كل كلية يجب أن لا يزيد عدد طلبتها عن ألف فى الحد الأعلى ليستقيم التعليم فيها ، ومعنى هذا أن عدد طلبة الجامعات الثلاث يجب أن يهبط إلى نصف عددها الحالى ، وألا تقبل الجامعات الثلاث من الطلبة الجدد إلا حوالى ستة آلاف فى كل عام ، أى ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طالب لكل كلية . والواقع أن الذين التحقوا بالجامعات المصرية هذا العام زاد عددهم على ١١ ألفاً ، والمتنظر أن يكون عدد المتقدمين للجامعات فى العام الآتى أكثر من ذلك . وما دام إقبال الحاصلين على الشهادات الثانوية على الدخول فى الجامعات كما هو الآن فلا مناص من إنشاء ثلاث جامعات أخرى .

نظام التعليم الثانوى :

أقر مجلس الدولة مشروع القانون الجديد الخاص بنظام التعليم الثانوى وأرسله إلى وزارة المعارف تمهيداً لعرضه على مجلس الوزراء . وهو يقوم على تقييم التعليم الثانوى إلى مرحلتين : الأولى (المرحلة الإعدادية) ومدتها أربع سنوات والعرض منها نهيئة وسائل النمو لطلبات التلاميذ وميولهم على اختلاف أنواعها من أدبية وعلمية وعملية وفنية ، والتصرف على ما يظهر فيهم من

يقترح الدكتور على ماهر أن يكون من أغراض التعليم الجامعى الإعداد المهنى ، وأن تترك وزارة المعارف أمر التعليم العالى كله للجامعات . وأن تختص إحدى كليات الآداب فى جامعته القاهرة باللغات ، وأن تختص كلية الآداب الأخرى بالفنون الأدبية كالناريج والجغرافيا والفلسفة والاجتماع . وأن تختص إحدى كليات الهندسة بشئون الري والعمارة والكليسة الأخرى بالميكانيكا والكهرباء . وأن تختص إحدى كليات العلوم بالرياضة والفلك والأخرى بالطبيعيات والجيوولوجيا . أما العلوم المشتركة فيتولاها القسم المختص فى الكليتين معاً حسب النظام الذى يوضح هذا .

وقد أخذت لجنة الاهداف والمبادئ العامة للتعليم الجامعى فى دراسة مقترحات الدكتور على ماهر هذه وما يلحقها من مقترحاته الإدارية .

اختصاص الجامعات المصرية :

دل آخر إحصاء لعدد الطلبة فى الجامعات المصرية الثلاث أنها اختنقت بكثرتهم ، ففى جامعة فؤاد ٢٢ ألف طالب ، وفى جامعة ابراهيم ١٥ ألفاً ، وفى جامعة الاسكندرية ٦ آلاف . وجموعهم حوالى ٤٣ ألف طالب

لنا (إشراف كامل) على ثقافة هذا الجزء الحيوى من العالم .

• إن (إشرافنا) على ثقافة الشرق الأوسط يعتبر أمراً جوهراً بالفئة لمستقبل مشروعاتنا العسكرية والسياسية والاقتصادية .

إحصاءات ثقافية

نشرت اليونسكو كتيباً فى ٦٠ صفحة تضمن إحصاءات ثقافية لـ ١٢٠ دولة ، وما جاء فيه أن فنلندا أقل بلاد الأرض أمية لأن نسبة التعليم فيها ٩٩ فى المائة .

وانجلترا أكثر البلاد خزان كتب ، فقد بلغ عدد دور الكتب فيها ٢٣٧٥٩ مكتبة . وبلغ عدد الكتب التى نشرت فيها سنة ١٩٥٠ نحو ١٧٠٧٢ مؤلفاً ، وفى الولايات المتحدة ١١٠٢٢ مؤلفاً ، وفى فرنسا ٩٩٩٣ مؤلفاً . وفى إنجلترا توزع الصحف اليومية بنسبة ٥٩٨ نسخة لكل ألف ساكن ، وفى الولايات المتحدة يستهلك من ورق الصحف ٣٦ كيلو غراماً لكل فرد فى السنة .

اعتماد البعثات الدراسية

قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد إضافي بمقدار ٥٧٥٠٠ جنيه فى ميزانية رئاسة مجلس الوزراء للسنة المالية ١٩٥٢ - ١٩٥٣ زيادة على اعتماد الـ ١٥٠٠٠٠ جنيه المخصص لطلاب البعث الأزهرية ، على أن يؤخذ هذا الاعتماد من وفور مخصصات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

مواهب وعيزات وميول خاصة ، حتى يمكن أن يتجهوا فى المرحلة الثانية وهى (المرحلة النهائية) ومسدتها ثلاث سنوات إلى نوع الدراسة الثانوية الذى يلائمهم ، وفى هذه المرحلة الثانوية النهائية تنطوى الدراسة على نوع من التخصص ، وفيها يبدأ تنوع الدراسة .

وقد جعل (الدين) مادة من مواد امتحان الانتقال فى جميع الفرق بالمرحلتين . وأنص فى المشروع على إعفاء غير المسلمين من دراسة القرآن الكريم ، وإذا وجد عدد كاف منهم فى الفرق ترتب لهم دروس خاصة فى الدين ، وسيترتب على هذا النظام الجديد إلغاء امتحان شهادة الدراسة الابتدائية وامتحان شهادة الدراسة الثانوية (القسم العام) ويكتفى بامتحانين عامين يجتازهما التلميذ فى المرحلة الثانوية هما امتحان شهادة الدراسة الإعدادية وامتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة التى ستحل محل شهادة القسم الخاص . وسيكتفى فى نهاية التعليم الابتدائى بامتحان تعده أقسام التفيتش لمن أتموا دراسة مناهج هذا التعليم ويمتحن الناجحون فيه لإقرارا بذلك .

استعمار القلوب والعقول

أذاعت جريدة (المصرى) فى مقال تمتع ملوه بالتوجيه والعبر قول وزير خارجية أمريكا فى خطاب له لم يذع فى بلاد الشرق الأوسط . « يجب أن نفهم نحن - الأمريكيين - أن كل مشاريعنا السياسية والعسكرية فى الشرق الأوسط ، متصحب بلا جدوى ، ما لم يكن

إنشاء العمل الاستعماري

بضع وثلاثين سنة ، ونرى أن الوقت الحاضر
أجدر الاوقات بالاستجابة لتحقيقها .

المحمل

لما كان موكب الحاج يسافر برأ على
الجمال أيام الدولة العثمانية ، كان من لوازم
ذلك أن يصحبه حرس عسكري ، وجرت
العادة أن يكون سفر الموكب بحرسه في موعد
واحد وعودته في موعد واحد كذلك ،
فكان لسفره حفلة وداع ولعودته حفلة
استقبال ، واتخذوا في مصر والشام محملين
مركزشين يرون أنهما من تمام مظاهر هذا
الموكب . ومعلوم أن ذلك ليس له أصل
في الدين ، وإذا توهم العامة أن له علاقة
بالدين ، كان ذلك منهم تزيماً في الدين يأثمون
به . لأن الزيادة في الدين كالتقص منه .
زد على ذلك أن وسائل المواصلات غيرت
الأوضاع كلها فصار الحجاج يسافرون
ويعودون في أوقات متتالية لا في وقت واحد ،
وكان المحمل المصري قبل سنة ١٣٤٤ (١٩٢٥)
يسافر بالفعل إلى الأراضي الحجازية باعتباره
جزءاً من القوات التي ترافق الحجاج حينما
كانوا جميعاً ينتقلون على الإبل من جدة إلى

إصلاح الحرم النبوي .

عاد وفد الجامعة العربية من زيارة المملكة
العربية السعودية برئاسة أمين الجامعة الأستاذ
عبد الخالق حسونه . وقد قال الأستاذ
عبد الخالق عقب وصوله إلى مصر : إن العمل
سيدأ قريباً في إصلاح وبناء الحرم النبوي
الشريف ، وإن المسمولين في المملكة السعودية
أخذوا في إعداد الوسائل للبدء في هذه
الإصلاحات فوراً .

سكة الحجاز الحديدية :

زار الأمير سعود ولي عهد المملكة العربية
السعودية لبنان للبحث في وسائل التفارب بين
الحكومات العربية ضمن نطاق الجامعة .
وعند انتهائه من زيارة لبنان قام يمثل هذه
الزيارة لدمشق .

وقد اهتمت الغرف التجارية والزراعية
والصناعية في سوريا هذه الفرصة فعمدت
اجتماعاً قررت فيه مفاخرة الأمير سعود في
مسألة إعادة تسيير الخط الحديدي الحجازي
لربط سوريا بالمملكة السعودية وتوثيق
التبادل بينهما .

وهذه الامنية ما زالت تتردد وتتجدد منذ

دائماً لو يقام لهم جامع يؤدون فيه الفرائض لأن من غير اللائق أن لا يوجد في تلك المدينة الكبيرة إلا جامع دووكنج، الذي يقوم عليه القاديانيون، وأخيراً تقرر بناء جامع إسلامي في المركز النقابي الإسلامي بقلب مدينة لندن وتألفت لهذا المشروع لجنة أوصياء وتبرع كذلك نظام حيدر آباد السابق بسبعين ألف جنيه، كما تبرعت الحكومة المصرية بعشرين ألف جنيه، وستتصل اللجنة الفرعية التي يرأسها المندوب السامي للباكستان في لندن بالحكومات الإسلامية وكبار الزعماء المسلمين للحصول على التبرعات اللازمة لإتمام هذا المشروع.

ولايات شمعة عربية

أدلى الرئيس اللواء محمد نجيب بتصريح في افتتاح مؤتمر الصحافة العربية أعلن فيه أنه يود من صميم قلبه أن يرى الدول العربية قد صارت «ولايات عربية متحدة».

وقد سئل الأستاذ أحمد الشقيري الأمين المساعد للجامعة العربية عن رأيه في هذا التصريح، وعن علاقة هذه الفكرة بميثاق الجامعة العربية فقال:

ليس في ميثاق الجامعة العربية ما يمنع تحقيق هذه الفكرة الجليلة، بل إن هذا الميثاق يدعو إلى كل ما يزيد روابط العرب رسوخاً وتمسكاً. ثم إن الجامعة العربية

مكة ومنها إلى المدينة، فلما استتب الأمن في الحجاز بما لا نظير له وصار انتقال الحجاج بالسيارات في الأكثر الغالب، انقطع سفر المحمل، ومع ذلك بقيت مظاهر الاحتفال بوداعه واستقباله. ومن العجيب أن تحتفل الدولة والامة باستقبال محمل لم يرسل فكيف يعود!

وبما أن مصر هي التي تتولى نسج كسوة الكعبة المشرفة، وتقوم بإرسالها في كل عام، فقد اتجه الرأي إلى إلغاء حفلة وداع المحمل واستقباله، والاقتصار على الاحتفال بعرض الكسوة بإذناً بالحج في أول الموسم ونهايته عملاً بالآية الشريفة «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ» ولعل الموسم المقبل سيكون أول مواسم الحج في مصر يلغى فيه عرض المحمل والاحتفال بوداعه واستقباله.

قبة المسجد الأقصى

تبين للهندسين المصريين الذين أوفدتهم الحكومة المصرية إلى القدس لدراسة حالة قبة المسجد الأقصى أن المياه المتسللة من السقوف إلى جدران القبة في سنين متطاولة قد أثرت فيها حتى أدى ذلك الإهمال إلى ضرورة إحداث إصلاحات قد تبلغ تكاليفها ٤٠ ألف دينار أردني.

جامع عبيد في لندن

كان المسلمون المقيمون في لندن يتمنون

قرأنا هذه الفقرات يوم ٢٤ رجب الماضى
عن جامعة الدول العربية :

« هذه الجامعة تعد فى الواقع إحدى المنظمات
الإقليمية الرئيسية فى العالم . وللأسف الشديد
فإن قيعة أو قوة هذه المنظمة تكاد تكون
مجهولة تماماً من القائمين بأمرها أو الاوصياء
عليها ، فى حين أنها تستطيع أن تكون
بالفعل أداة إيجابية تجذب إليها الدنيا بمن فيها
وما عليها . »

« من العجيب أن تدرك كل من الكتلتين
الماردين- فى الشرق والغرب- قوة أو خطورة
هذه المنظمة ومدى الطاقة الكامنة فيها ،
فتعمل كل من هاتين القوتين على تكييف
أمورها وسياستها على أساس وجود هذه
المنظمة « الناعسة » ، أو « النائمة » ، والتى
لو استيقظت لاستطاعت أن تفرض على الدنيا
ما تشاء ، ولكنها هى القوة التى ترجح أى
جانب تتجه إليه . »

« إننى أكاد أذوب حياء وضعفاً من أن
أكون أنا من يوجهون الجامعة العربية وهى التى
تضم من الاقطاب والمحرفين لتجارة السياسة
والدبلوماسية ما يزيد عن حاجة الدنيا كلها . »

أعظم معارك التحرير

يقول المسئولون البريطانيون فى نيروبي
- سواء منهم الرسميون وغير الرسميين -
إن المعركة التى تدور رحاها الآن بين قبائل

ليست نهاية ، ولكنها بداية ، ونحن نعلم أن
هذا رأى الموفق الذى أبداه رجل مصر
الاول هو تعبير صادق عن أمانى الشعوب
العربية . وأرجو أن يأتى ذلك اليوم الذى
تتبا فيه الاسباب والظروف لتحقيق هذه
الفكرة النبيلة ، وسواء انتهت علاقة العرب
فيما بينهم إلى « وحدة » أو « اتحاد » أو أى
نظام آخر فإن المهم أن نصدر فى أمورنا
عن رأى واحد إلى هدف واحد .

نواة لمؤسسة إسلامية كبرى :

علقت جريدة (باكستان نايمز) التى تصدر
فى كراتشى على تصريح الرئيس اللواء محمد نجيب
فى مؤتمر الصحافة بشأن أمنية « الولايات
المتحدة العربية » ، فقالت : « إن أمل اللواء
الرئيس سيلقى اهتماماً كبيراً فى جميع أنحاء العالم
العربى . ولا شك أن أى اتحاد عربى سيكون
نواة لمؤسسة إسلامية كبرى تقرب بين
الحكومات الإسلامية ، وتضع لها سيادة
موحدة لإزاء المشاكل المشتركة . ويجب أن
يقوم مثل هذا التعاون على أسس علمية إيجابية ،
لا على أسس عاطفية . »

جامعة الدول العربية

نعمة ... ضائعة

فى قطعة مما ينشر يومياً فى (الأهرام)
بعنوان « سلاح الغد ، وبتوقيع « صاروخ ،

الخطبة شيئاً جديداً لا عهد لهم بمثله لأنها صادرة عن القلب وكان يخاطب بها القلوب ، ففسر التحرير بأنه لا يقتصر على إجلال الغاصب ، ولا على نفي الطاغية ، بل هو يتصرف أولاً وقبل كل شيء إلى تحرير النفوس من أنانياتها وما خلفته فيها الأحوال السابقة من أثره واستئثار وسائر ألوان الضعف ، إلى أن ينتصر كل مواطن على نفسه بقوة إيمانه وتوجيه دينه ، فيتمكن من إخراج إبليس وجنوده من النفس المسلمة ويصبح كل واحد منا ولياً من أولياء الحق ورجلاً من رجال الخير ، وبذلك نفود أمة صالحة ، وبذلك نكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد لنا الله أن نكون .

تحرير سوريا الاقتصادية

من ذبول الانتداب الفرنسي الذي رفع الله كابوسه عن البلاد السورية بقاء النقد السوري مكبلاً بانفاقية البنك الفرنسي الى وضعت في أيام الانتداب وتمتد مدتها لإحدى عشرة سنة أخرى (أى إلى سنة ١٩٦٤) ولكن سوريا خطت في هذا العام خطوة جريئة للتحرر من هذا الاحتلال الاقتصادي ، فسنت قانوناً لإنشاء بنك سوري أهلى تنتقل إليه مهمة إصدار أوراق النقد المالية الرسمية . وهي خطوة لا تقل عن قرار تأميم بترول عبادان في إيران ، بل إن السيد سعيد الزعيم وزير

ماو و قوات الاستعمار البريطاني قد تصبح أعظم معارك نصف القرن الحالى . وهم يرون أن ثوار ماو في كينيا ليسوا سوى رمز للثورة التى تجتاح الآن القارة الإفريقية ، وأنها قد تسبب مضايقات ومتاعب لاحد لها فى القارة كلها من أدناها إلى أقصاها . فى كل مكان فى القارة (من السودان شمالاً إلى جنوب أفريقيا) يسمع المرء قصة واحدة لا تتغير وهى قصة حرب المبادىء التى لا يخجو لها أوار .

إن سكان أفريقيا الشرقية ينظرون إلى ما حصل عليه سكان أفريقيا الغربية (ليريا وساحل الذهب وروندسيا الجنوبية) فتدور رؤوسهم غضباً وإصراراً على أن يظفروا بحقهم فى الحرية والحياة . ولكن الغربيين يشكرون عليهم هذا الحق بحجة عدم استعدادهم .

خطيب سيف ومنبر

هكذا كان أسلافنا ، يرقى أعواد المنابر فى مساجدهم من يقودهم فى حروبهم ومن يوجههم فى مجتهدهم وكيانهم . وفى يوم الجمعة ٢٦ من رجب ارتقى أعواد المنبر فى مسجد الحنفى بحى السيدة زينب البكباشى أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة فألقى منه خطبة الجمعة ، وكانت مفاجأة مدهشة المصلين إذ رأوا فى القائد خطيباً من الطراز الاول ، وكانت

ولو عن طريق الخيال أن يطلق على تركيا دولة ديمقراطية بالمعنى الغربى المعروف .

ولسنا نريد أن نخدع أنفسنا بمثل هذا الكلام . والواقع أننا لا ننفق أموالنا فى تركيا لنساهم فى دعم ديمقراطيتها، ولكننا ننفق أموالنا هناك لنستعملها كسلاح حربى عام ، وذلك بمساعدة الأتراك على الاستعداد لمواجهة أى خطر يحتمل أن تسببه روسيا، لأننا لا نساعد الأتراك، ولكننا نتنفذ فى تركيا جزءاً من برنامجنا الدولى . وليس الأتراك أكثر من وسيلة فى نضالنا الدولى مع الاتحاد السوفيتى . ليسكن هذا واضحاً من الآن ، ولنواجهه بصراحة .

سماعة وبني

تلقت وزارة الشؤون الاجتماعية من حكمدار الإسكندرية تقريراً عن جمعية تبشيرية استقدمت ثلاثة من الأجانب لإلقاء محاضرات دينية وتوزيع نسخ من كتاب دبنى فيه بغى على الإسلام واقتراء عليه . وقد طابت إدارة الهجرة من هؤلاء المحاضرين أن يغادروا البلاد، ورفضت تجديد مدة إقامتهم . ولما تلقت وزارة الشؤون الاجتماعية تقرير حكمدار الإسكندرية أخذت فى دراسة أغراض الجمعية التى استقدمت هؤلاء المحاضرين الثلاثة وما فى أعمالها من تعارض مع قانون الجمعيات .

المالية السورية يقول إن المشروع الجديد بإنشاء البنك الأهلى السورى يعادل فى أهميته جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان عام سنة ١٩٤٦ ، وقد نشرت الصحف صورة الليرة السورية الجديدة وهى فى شكلها - كما هى فى حقيقتها - عربية محضة لم تشب بأى شائبة من اللغة الأجنبية أو حروفها وأرقامها .

مطامع

فى برقية من بغداد أذاعتها وكالة الأنباء العربية خبر عجيب عن تفاصيل تلقفها جريدة (الحارس) البغدادية جاء فيها أن قوات عسكرية إيرانية أعدت سراً لغزو جزر البحرين التى يحكمها الأمراء آل خليفة منذ دهر طويل .

وتتوالى الأخبار من قبل ذلك بأن هجرة منظمة يقوم بها بعض الإيرانيين من بلادهم إلى البحرين والكويت مجتهدين فى أن تكون لهم جاليات أكثر عدداً فى هذه البلاد العربية من الأزل ، حتى تكون هذه الجاليات الصغيرة حجة تبرر هذه المطامع !

ترى أليس فى أحوال إيران ما يشغلنا عن مثل هذه المساعى التى تضر ولا تنفع ؟

تركيا فى نظر الأمريكيين

نقلت مجلة (التحرير) قول الكاتب الأمريكى المعروف (جون جنز): «لا يمكن

فهرس

الجزء الثامن — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٩٠٥	الإمامة الثانية	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٩١٢	الشرق والغرب وهل يجتمعان	» محمد عرفة مدير المجلة
٩١٨	نفحات القرآن: البيت العتيق	» عبد الطيف محمد السبكي
٩٢٥	السنة: التطهير في الاسلام	» طه محمد الساكت
٩٣١	التقليد والمحاكاة في نهضتنا الحاضرة	» الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٩٣٤	أزمة الفقه الاسلامي	» الدكتور محمد يوسف موسى
٩٣٩	لفرويات	» محمد علي النجار
٩٤٤	حديث القرآن عن اللغو	» أحمد الشرباصي
٩٥٠	ديوان مجد الاسلام	» أحمد محرم رحمه الله
٩٥٣	إمام	» محمود النواوي
٩٥٩	حقوق الانسان في شريعة الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٩٦٦	هل يبعد التاريخ نفسه	» محمود فياض
٩٧٠	الأزهر والثورة المراهية	» أحمد عز الدين خلف الله
٩٧٥	الغزو الفكري للبلاد الاسلامية	» محمد صبري عابدين
٩٨٠	آراء وأحاديث	» م. ع
٩٨٤	الإمامة الأولى	» كمال أحمد عون
٩٨٨	قصة كفاح مسلمي الفلبين	» عمر طلمت زهران
٩٩٣	النقد الادبي وتاريخه	» عبد الغني اسماعيل
٩٩٦	الفتاوى	لجنة الفتوى
٩٩٩	بين الجد واللعب	الاستاذ « السيد »
١٠٠٤	البلاغة والتجديد	» محمد عبد المنعم خفاجي
١٠٠٧	الفرض العلمي	» سعيد زايد
١٠١١	العلم وعلاقته بالدين	» الدكتور محمد غلاب
١٠١٦	السكرتير	قلم التحرير
١٠٢٣	الآداب والعلوم في شهر	»
١٠٢٧	أنباء العالم الاسلامي	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠٠ في مصر والشرق
٢٠٠ للطلبة في مصر والشرق
٤٠٠ في الخارج
٤٠٠ للطلبة في الخارج
من الجزء

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِتَحَاوُفٍ

تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محب الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء التاسع - في غرة رمضان ١٣٧٢ - ١٤ مايو ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من طالب علم إلى طلاب العلم

وكلنا طلاب علم .

وإن طلب العلم فريضة من فرائض الإسلام ، وكان أسلافنا يتواصون بأن يكونوا طلاب علم من المهد إلى اللحد .

و قد بشر النبي ﷺ أمته بأنه ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له نكته أجنتها رضا بما يصنع . وكان أبو الدرداء يحدث في مسجد دمشق بأنه سمع النبي ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

إنها قافلة مباركة من طلاب العلم ما برحت تغذ السير منذ نحو أربعة عشر قرناً ، وإن أولها عند أولئك النفر الأولين الذين كانوا يختلفون إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم بجوار الكعبة والصفاء ، يوم كان الإسلام في النأية ، وآخرها في كلية أصول الدين بشبرا ، وفي كليتي الشريعة واللغة العربية بالدراسة ، وفي المعاهد التي تصنع طلاب العلم لتلك المكليات ، وفي زميلاتها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي .

هى قافلة طويلة من طلاب العلم ، كان فيها الخلفاء الراشدون ، والعشرة المبشرون بالجنة . وكان فيها أمهات المؤمنين وعلماء الصحابة وحلقات العلم التى انفت حولهم فى مساجد الأمصار الإسلامية الأولى وفى بيوت المسلمين الأولين . وكان فيها أعلام التابعين ، والدعاة الذين دخلت أقطار الدنيا فى الإسلام استجابة لدعوتهم ، وعملا بهلهم ، واقترءاء بمخلفهم ، وتأسيسا بسيرتهم وسنتهم . وكان فيها أئمة الفقه الأربعة وشيوخهم وأندادهم وتلاميذهم فى مدينة الرسول ، وفى العراق والشام ، وفى الفسطاط - فسطاطنا نحن الذى كان أفقا فى سماء العلم العالمى ، تشرق منه شمس العلم الساطعة أنوارها فى الحافقين ، فتجول اليوم إلى جيارات ومقابر الروم والأرمن واليهود . ولو أن الليث بن سعد ومحمد بن إدريس ويونس بن عبد الأعلى عادوا إليه لاجهشوا بالبكاء دماً على ما صارت إليه قافلة العلم فى ألف سنة مرت عليه بعدهم ، وكان ينبغي لها فى زماننا أن تضيف إلى علمهم علومها ، وإلى أخلاقهم فضائل ، وإلى سيرتهم وجهادهم أمجاداً ومحامد تتحدث الدنيا بنبلها وكها وجمالها .

هى قافلة غنية بالرجال ، غنية بالحكمة والمعرفة ، غنية بالأخلاق ومعادن النفس ، غنية بالمصنفات التى يعكف علماء الغرب على دراستها وترجمتها والإفادة منها منذ بضعة قرون ، وغنية بالعمل الصالح لإسعاد الإنسانية ، ولإخراجها من الظلمات إلى النور .

هى قافلة طويلة ما برحت تسير ، وتسير ، ولا تزال تسير ، حتى انتهى (الفلم) عندنا نحن : عند جيلى الذى كان يختلف إلى المدارس والمعاهد فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وجيلكم أنتم - يا إخوانى وأبنائى طلاب العلم - الذين تختلفون إلى المدارس والمعاهد فى النصف الأخير من هذا القرن .

فأنا وأنتم أبناء قافلة واحدة يجمعنا فيها طلب العلم ، بل نحن معاً فى قافلة تجمعنا بأعلام العلم وأئمة الإسلام وعظماء المصنفين وهداة الدنيا ودعاة الإنسانية إلى الحق والخير . فمن نعم الله علىّ وعليكم أن جعلنا طلاب علم ، لنكون فى زمرة هؤلاء ، ولأن العلم فى ذاته نور ، بل هو قوة ، بل هو ثروة ، وأهله هم الناس ، وكل الناس غيرهم تبع لهم . فقتالوا يا إخوانى ويا أبنائى طلاب العلم لنعرف مكاننا فى هذه القافلة ، ولنعرف نظامها ، ولندين الاتجاه الذى هى ذاهبة بنا إليه .

إن هذه القافلة - التى أولها فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وآخرها فى كليات أصول الدين

والشريعة واللغة العربية - لها تاريخ طويل ينبغي لنا أن نلم به ، بل لقد بلغ من عظمتها وخطورها أن كان التاريخ واقفاً بشيخوخته المهيبة يراقب سيرها خطوة خطوة ، ويستعرض وجوه أهلها وجهاً ووجهاً ، ويزن بأدق موازين الذهب والسموم خلجات نفوسهم ، وخفقات قلوبهم ، واتجاهات نياتهم : فمن كانت هجرته في هذه القافلة لله وحده ، وللخير الذي به سعادة أهله ، وللحق الذي قامت به السماوات والأرض ، سجله له التاريخ في صفحاته التي اخضع بها الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الحق من تلاميذ دار الأرقم بن أبي الأرقم والمسجد المدني . ومن كانت هجرته في هذه القافلة لدنيا يصيبها ، أو متعة زائلة يتمتع بها ساعة أو يوماً أو سنة ثم ينسى طعمها في فمه ، بل ينسى أنه كان قد تمتع بها ، سجلها له التاريخ وسجل صاحبها معها في قائمة التافهين والمنسيين .

يقول معلم الناس الخير ﷺ فيما رواه عنه الإمام محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري :

« مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقيية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ،

يا أبناء القافلة الذين التحقوا بها في الجيل الجديد ، إن من حَقكم على الذين ارتادوا لكم الطريق وتقدمت بهم السن في هذه القافلة ولا يزالون أحياء فيها أن يجعلوا تجارتهم في خدمتكم ، لأنكم بمنزلة أبنائهم ، ولكم في قلوبهم مثل ما في قلوب الآباء للأبناء من محبة وعاطفة ونصيحة صادقة .

إن الفرق جد قليل بين طلاب العلم الذين يسجلهم التاريخ في صحائف الخالدين من أبناء القافلة ، وبين طلاب العلم الذين يسجلهم في التافهين والمنسيين .

لأنه فرق ما بين النية والنية ، وما بين النظرة والظرة :

إن طالب العلم التافه ، والذي سيبقى تافهاً مدة طالبه العلم وبعد انتهائه منه ، هو الذي ينوى بطلبه للعلم أن يحترف العلم ليعيش من التكسب به ، كما يلتحق الصبي بـ«كان الكواء

أو المبيض ليجترف الصنعة ويعيش من التكسب بها . أما طالب العلم الذى سيكون فى الخالدين فهو الذى ينوى بطلبه للعلم أن يتجرى الحق فى كل ما يتعلمه ، وأن يقيم الحق فى كل ما يعمله ، وأن يوجه أتمه إلى مواطن الحق حتى تكون من أهل الحق فيعظم الله هيبتها فى عيون الأمم ويبنى درجاتها عنده .

وطالب العلم الذى سيسجل فى قائلته مع الخالدين ، هو الذى يوطن نفسه على أن يبدأ بنفسه فيراقب ما فيها من ثواب لا تليق بالإنسان الخالد ، فينظفها منها . وهو الذى يراقب كل ما يقع تحت نظره من حسن فيحرص على أن يتجلى به ، أو قبيح فيحمد الله على أن طافه منه . وبعد أن يكون له من هذه المراقبة عادة مستمرة فى الإقبال على كل حسن ، والنفرة من كل قبيح ، يعاهد ربه على أن يكون ذلك ديدنه فى أمته ووطنه طول حياته : فكل ما كان حسناً تعاون عليه مع أهله ، وكل ما كان قبيحاً أيقظ أهله بحكمة ورفق إلى أن من مصالحتهم ومن الخير لهم الاقتلاع عنه .

إن إقامة الحق والتحلى بحاسن كل شيء هو سبيل الله الذى بعث به أنبياءه ، وهو الذى يدعو إليه الحكماء فى كل زمان ومكان . والطالب فى قافة العلم إذا كان بمن يفتشون الخلود يبدأ بنفسه فيجلبها من أهل الحق ، ويحياها بحاسن كل شيء ، يذنه وبين نفسه ، ويذنه وبين ربه . ثم يحرص على أن يشيع ذلك فى أمته ووطنه ، فيدعو إليه لإخوانه وجيرانه وذوى قرابته وأبناء بلدته ، متوسلاً إلى ذلك بالرفق والحكمة . ذلك هو سبيل الله ، وتلك هى صفة الخالدين من أبناء القافلة التى أرلها فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وآخرها فى جامع الخازندارة والدراسة والبرامونى وفى كل ما للسلبيين الآن من معهد على .

أيها الطالب ، إن طريق العظمة والخلود مفتوح أمامك ، لا يصد أحداً عنه إلا حماقته . ثم هو لا يرزأ صاحبه شيئاً ، وما هى إلا النية ، وراقبة النفس ، وتحبيب الحق إليها ، وتمرينها على كل شيء حسن حتى يكون ذلك ذوقاً لصاحبه وخلقاً من أخلاقه ، وبعد ذلك تكون الدعوة إليه بالحكمة والمرعظة الحسنة .

أيها الطالب النجيب ، إن من حقلك على الذين ارتادوا الطريق قبلك أن يتحدثوا إليك عنه ، وأن يصنفوه لك كما رآه ، والرائد لا يكذب أهله .

لما كان عمك كاتب هذه السطور طالباً في القسم الثانوى قبل نحو خمسين عاما ، كان يتوسم كل طالب في فرقته وفي سائر الفرق ، وكلما توسم في واحد منهم الخير ، وغلب على ظنه أن ذلك الطالب فيه استعداد لأن يكون عند الله من الخالدين ، بادر إلى عقد الصداقة معه ، وتعاون معه على الحق والخير . وقد كسبتُ بذلك أصدقاء كانوا هم الدنيا ، والدنيا بغيرهم لا تساوى جناح بعوضة . وقد يكون كثير من أبنائى الطلبة قراء هذا المقال قد رأوا في الصحف صورة وزير سوريا المفوض في مصر الأمير مصطفى الشهابى . إنه رجل عالم ، بل هو عالم جليل ، وله مؤلفات وبحوث وتحقيقات هو بها أعظم منه في منصبه . ومع ذلك فإن له أخا أكبر منه - رحمة الله عليه - كان أعظم منه ، وكان - في نظرى على الأقل - في الذروة العليا من أبناء جيله . وهذا الاخ الأكبر للأمير مصطفى الشهابى هو الشهيد السعيد الأمير عارف الشهابى ، كان معى في دراستنا الثانوية ، ثم كنا معاً عندما انتقلنا إلى التعليم العالى . ولما كنا في الدراسة الثانوية كان هو أحد الذين تعاونت معهم على الحق والخير ، فأحببنا إسلامنا ورأينا فيه الحق كله ، وأحببنا عربتنا وساق الله إلينا الأدلة والبراهين من مطالعاتنا واطلاعاتنا ودراساتنا الشخصية على أن في هذه العروبة الخير كله . ويوم أتممت دراستى الثانوية ألح على في دعوتى الى منزلهم لا يكون في ضيافة والده الأمير سعيد الشهابى أسبوعا ، وكان والده في تلك السنة مأمور المسال للدولة العثمانية في بلدة المعلقة المجاورة لبلدة زحلة في لبنان ، وهو مع ذلك من الشعراء المجيدين . وفي ذات مساء من أسبوع هذه الضيافة أخذ عارف الشهابى بيدي وخارج بي الى متنزه جميل في أفق جميل بين سماء صافية وأرض زاهرة زاهية ، فد الى يده مصاحفا ومعهاداً ، وقال : « لقد آن لنا بعد هذا التعاون الطاهر على الحق والخير أن نعاهد الله بأن نجعل حياتنا وقفا على الحق والخير كما تكون الدكان وقفاً على مدرسة أو كما يكون المنزل وقفاً على الحرمين الشريفين . لقد كننا متعاهدين على هذا بلسان الحال ، فلماذا لا نوثق هذا العهد بصريح كلماتنا ونبرات أصواتنا حتى نشهد على ذلك هذه السماء الصافية وهذه الأرض الزاهرة الزاهية ؟ ، قلت : هلى ، اتى أعاهدك وأعاهد ربى على هذا ، وإن كننا على هذا العهد من قبل أن ننطق به .

أما هو فقد ثبت على العهد إلى أن ارتقى أعواد المشنقة في سبيل العروبة والإسلام بأمر عدوهما جمال باشا ، وهو اليوم عند ربه مع الشهداء والصالحين .

إن المدرسة الثانوية التى تخرجنا فيها كان يملئنا العربية فيها شيخ تركى ، من كتاب تركى

وضعته وزارة المعارف التركية لمدارس الأناضول ففرضوه علينا في عاصمة عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز . وكانوا يعلموننا الجمل . وكان أكثر كتب الأدب والتاريخ المطبوعة الآن طبعاً أنيقاً على ورق صقيل لم تسكن قد طبعت بعد ، فكنا نقرأ العقد الفريد ونفح الطيب والكامل لابن الأثير وقلائد العقيان والبيان والتبيين للجاحظ من طبقات سقيمة على ورق أصفر ، وكنا نعتبرها كنزاً ، وننقل منها بخطوط جميلة النصوص التي نختارها ، ونحفظ عن ظهر قلب ما نختاره منها ، ونرى أن العربية من تمام الدين ، وأن الأدب من غذاء الخلق وبه حياة النفوس ، وكنا نعيش مع الأخيار والابرار من رجال القافلة ، ونتحرى معرفة أخلاقهم وسنهم كما لو كنا معاصرين لهم وسائرهم في القافلة بجوارهم ، ونحاول أن نتطبع بطباع من نحبهم من رجال القافلة ، وأعرف من زملائي من كان يحاول أن يملأ فراغ من يحبه من السلف ببعث أخلاقه كما عرفها من الكتب ، وبالتعامل مع الناس بتلك الأخلاق .

يا طلاب العلم ، إن طلاب العلم هم الناس ، ولكن إذا أحسنوا انبيهم في طلبه ، وإذا صبروا على العلم فطلبوه على الصعب والذلول ، وارتوتوا منه غرماً من البحر أو استنباطاً من الصخر ، وإذا عاهدوا الله على أن يعيشوا بالحق وللحق ، وأن يقيموه في المجتمع دعاء إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنا أضمن لهم على الله بعد ذلك أن يعطيهم حتى يرضوا .

حُب المربى الخليل

من الأعماق

- * الإيمان واحة مخضلة الجوانب في صحراء القلب ، لا تبلغ لإيها قوافل الفكر .
- * يحتاج الحق إلى رجلين : أحدهما لينطق به ، والآخر ليفهمه .
- * الناس رجلان : رجل يستيقظ في الظلام ، ورجل ينام في النور .
- * الحياة موكب هظيم . ينظر إليه بطيء الحركة فيحسبه سريعاً جداً ، ولذلك يهرب منه . وينظر إليه سريع الخطأ فيحسبه بطيئاً ، فيهرب منه .
- * ويل لامة كل قبيلة فيها أمة .
- * ليس الشعر رأياً تعبر الالفاظ عنه ، بل هو أنشودة تتصاعد من جرح دام أو فم باسم جبران خليل جبران

مشكلات التعليم في مصر

للتعليم في مصر مشكلات كثيرة ، لا مشكلة واحدة ، فهناك مشكلة التوسع في التعليم العالي ، ومشكلة التوسع في التعليم الابتدائي والثانوي ، وكيف نجعل المدرسة تربي في التلاميذ العقول والأخلاق والإرادات ليصبحوا أعلم بزمانهم ، وأقدر على مواجهة مشكلات عصرهم والتغلب عليها ، وكيف ندخل في عقول الأمة أن الغرض من التعليم هو هذا ، ونصرفها عن أن يكون الغرض منه التوظيف ؟ وكيف نعيد للمدرسة احترامها ؟ وكيف نعيد إليها النظام ؟ وكيف نجذب العلم إلى التلاميذ ؟ وكيف نعيد إلى الأستاذ حب تلاميذه والشفقة عليهم كما يشفق الوالد على ولده ، ويكدر ليله ونهاره لإفادتهم وحل مشكلاتهم ؟ هذه وغيرها هي مشكلات التعليم عندنا .

ومن العجب أن بعضها مرتبط ببعض ، وأن بين الفساد والفساد تلازما ، كما بين الصلاح والصلاح تلازم ، حتى أن الأمر الواحد في التعليم إذا فسد جر إليه ما لا يحصى من الفساد ، وإذا صلح جر ما لا يحصى من الصلاح ، ومثال ذلك نظر الأمة إلى التعليم وغايتها منه ، فإذا تلمست غاية التلميذ أو أبويه من التعليم وجدتها الحصول على وظيفة من وظائف الدولة ، ولما كان السبيل إلى ذلك هو الحصول على الشهادة ، وكان نوال الشهادة موقوفا على جواز الامتحان ، تعلقت الانظار كلها بالشهادة وجواز الامتحان ، حتى أنظار المعلمين والنظار وإدارة التعليم ، وجعل ذلك غاية ، والتفت الأسباب والسبل للوصول إليه ، فمنها الحفظ ولو بدون فهم ، ومنها السبل غير الجائزة وأنواعها كثيرة لا تحصى . ولا يمكن إصلاح التعليم ما دامت هذه هي الغاية ، وما دامت الشهادة هي الغرض ؛ ومن الواجب الحتم أن تصاح الغاية من التعليم فتجعل تثقيف العقول وتهذيب الأخلاق واستقلال الفكر واكتساب ملكة الإقدام والعزم والقدرة على المساهمة في بناء هيكل العلم بابتكار علوم جديدة أو باستغلال العلم في الحياة .

وإذ كان الأمر كذلك أردنا أن نتكلم عن ذلك كله إجمالا وسنبداً بالكلام عن :

مشكلة التوسع في التعليم العالي والثانوي :

وقد اختلفت الآراء : أفتتح أبواب التعليم على مصاريحها يدخلها من شاء ، أم ، نضيق من أبوابه ونضع حراسا عليها ، فلا يسمحون بالدخول إلا لمن كانت فيه أهلية التعليم الثانوي

ثم العالى، والسبيل إلى معرفة ذلك هى اختبار المتقدمين بمقاييس الذكاء . والقائمون على التعليم الآن من أنصار الرأى الثانى، والذين كانوا يقومون عليه قبل من أنصار الرأى الاول، ولهم فى ذلك أفعال كثيرة وآخراها تمكُّمُهم على مقياس الذكاء ومناداة لرجال الثورة بأن يتوسعوا فى التعليم العالى على مقدار التعليم الثانوى، وفى التعليم الثانوى على مقدار التعليم الابتدائى . وقد طال هذا الخلاف وقدم، وكلما تولت طائفة جرت بالتعليم على نحو ما نذهب اليه من توسع أو تضيق.

وإن المسألة جد خطيرة يجب أن تعالج ويقطع فيها برأى، وتوضع لها سياسة ثابتة لا تتغير، ويلزم كل وزير باتباعها لأمور : منها أن لها أثراً عظيماً فى حياة الأمة واستقرارها، ومنها أن المحو والاثبات والجزر والمد فى سياسة التعليم مما يدعو إلى اضطرابه وعدم ثباته . لانه يجب على من يريد أن يحكم على التعليم العالى فى مصر أن يتوسع فيه أم يضيق منه، أن ينظر إلى فعله وإلى من يخرجهم، فإن كان فعل التلميم أنه يخرج رجلاً نافعاً لأنفسهم وللاّمة مهما كثروا ومهما بلغ عددهم وجب أن يتوسع فيه ما أمكن الجهد، وما بلغته الطاقة، وإن كان فعله أنه يسد حاجة جزئية وأن من يخرجهم إذا زادوا على هذه الحاجة لم ينفعوا أنفسهم ولا الأمة بشيء بل ضروا أنفسهم وضروا أممهم وجب أن يقتصر فيه على مقدار هذه الحاجة الجزئية وألا يتوسع فيه لئلا يأتى الضرر .

ولعمري إن هذا دليل منصف، وإن الناس ليستعملونه فى حياتهم اليومية، فمن عنده مصنع ينتج جوارب يجد لها الزواج فإنه يتوسع فيه، ولكن إذا كانت لا تروج إلا بعدد محدود فإنه لا يتوسع فيه إلا بقدر هذا العدد وبمقدار هذا الزواج .

والواقع أن المخترجين من التعليم العالى يطلبون جميعاً وظائف فى الدولة فإن وسعتم وإلا تعطلوا، والدولة قد فتحت لهم أبوابها فى أيام اليسر فكانت تشتق من الإدارة الواحدة إدارات كثيرة وتعين لها المديرين والوكلاء والكتاب وما هناك من أسماء .

وكانت بذلك تستوعب المخترجين وتضرب بالادخار والمشروعات الإنشائية، فلما جاءت أيام العسر وتقلصت ميزانية الدولة كفت الدولة عن التوظيف فتعطل خريجو التعليم العالى إلا قليلاً، ويزداد عدد المتعطلين عاماً بعد عام، حتى يصير جيشاً عرمرماً يطلب القوت ويهدد سلامة البلاد وتنتشر فيه المبادئ الخطرة .

إن التعليم بحاله الراهن لا يربى المتعلمين على الإقدام والاعتماد على النفس فى الحياة وكسب الرزق، وإنما يعتمدون على الدولة فإن أسعفتهم وإلا عاشوا متعطلين وملاؤ المقاهى والمنتديات .

إن التعليم بحاله الراهنة يأخذ أبناء الامة من الصناعة والجمارة والزراعة ، ويدفع بهم إلى حالتين لاثالته لهما : إما وظائف الدولة وإما البطالة والمطل ، وهو على خير حالنيه يخرجه من زمرة المنتجين الحقيقيين الذين يفيدون المجتمع والدولة بزراعتهم وصناعاتهم وتجارتهم ، أى من الذين يكسبون للدولة إلى الذين يكسبون منها ويعتمدون فى حياتهم ورزقهم عليها ، وشتان بين من يكسب للدولة ومن يكسب منها ومن يزيد فى الإنتاج القومى ومن ينقص منه .

إن التلميذ يسير فى مراحل الدراسة الشاقة وأمامه غاية واحدة وهى الوظيفة وإن مرتبها المضمون وعلاوانها الرتبة ودرجاتها المتدرجة لتسهل عليه مشاق التعليم .

وإن والدى التلميذ لينفق عليه ويتحملان شظف العيش ويحرمان أنفسهما من اللقمة واللباس ليوفر ذلك لولدتهما فى التعليم ، يفعلان ذلك رجاء أن يظفر بوظيفة كائن جارهما الفاضل أو وكيل النيابة أو المستشار أو المعلم أو ناظر المدرسة أو ما إلى ذلك من وظائف ، ومن البديهي أن عدد وظائف الدولة محدود ومتناه ، وعدد المخرجين غير محدود ولا متناه ، والمحدود المتناهى لا يسع غير المحدود وغير المتناهى .

إحدى اثنتين : إما أن يكون عند الدولة وظائف تتسع لكل من يتخرج ، ولها حينئذ أن تتوسع فى التعليم ما تشاء ، وإما ألا يكون عندها ما يتسع ، وحينئذ يجب عليها أن تضيق منه حتى لا يتعطل الخريجون وتفقد البلاد إنتاجهم ، فأما ألا يكون عندها متسع فى الوظائف وتفتح هذه المصانع الهائلة التى لا تصنع إلا موظفين وتتوسع فيها ، فهذه جناية عظمى ، جناية على التلاميذ لأنها صرفتهم عن تعلم حرفة أو زراعة أو تجارة تكسبهم قوتهم إلى سراب خادع أطمعهم فلما جاءوه لم يجدوه شيئاً ، وجناية على آبائهم لأنهم أرهقوا من أمرهم عسراً لغاية لم ينالوها ، وجناية على الامة لأنها حرمتها من كد صفوة من شبابها فى الاعمال المنتجة ورمت بهم فى زمرة غير المنتجين .

يقولون من حق من يطلب العلم ألا نغلق أبوابه دونه ، ومن حقه أن تيسر له الدولة سبله كلما أراد .

ونحن لا نخفى علينا أمرارنا وأغراضنا ، ونعلم أننا لا نريد العلم للعلم ، وإنما نريد الوظيفة ، فبلى الدولة أن تحم من التعليم العالى إذا لم تسكن الوظيفة .

ولمّا نعلم أن التلاميذ وآباء التلاميذ يتذرعون بحب العلم وبغض الجهل ، فإذا نالوا الشهادة طلبوا الوظيفة والحواف في طلبها واعتقدوا أن حقاً على الدولة أن تيسرها لهم .
 ية ولون إراد الديمقراطية توجب أن تيسر الدولة لكل راغب في الازدياد من التعليم رغبته -
 كأنما الديمقراطية توجب أن تفتخر الدولة البطالة والتعطّل وتحرم الأمة من جهود شبابها .
 إنها رغبات مخطئة ، ويطلب من الدولة أن تلبّيها فتتوسع في التعليم وتكسّد الطلاب في الفصول ، ثم لهم الوظائف أخيراً .

لو تغير هذا الأساس الفاسد في التعليم لما كانت هناك أزمة في الجامعة ولما كان هناك عدد جم من المتعطّلين وكان أولياء التلاميذ لا يسرفون في الطمع في وظائف الدولة لأنهم يعلمون أنها ضئيلة ومحدودة ، وينتجون بأنائهم إلى ناحية الرزق الطبيعي من الأرض والأسواق والمعامل .

إلى أن يكون ذلك ، وإلى أن يصلح التعليم فيعني بترية الاخلاق والملايكات ويعلم البحث العلمي ، ويعين على الإنتاج الفكري ، ويربّي في المتعلّمين ملايك الإقدام والمغامرة والاعتماد على النفس ، يجب أن يجد من هذه المصانع التي تصنع الموظفين ولا يكون منها إلا ما تمس إليه الحاجة .

في حديث للسيدة سهر القلأوى أن بعض حملة شهادة كلية التجارة لم يجد وظيفة في هذه الأيام ، فعلق شهادته على عربة وسار حول الجامعة يبيع لبا ، ليعبر بذلك عن سخطه على الجامعة ، ولو كنّا نحسن الاعتبار لسخطنا على ميوانا وميول آباتنا وعلى فكرتنا في التعليم .
 يقولون إننا سنرفع التعليم العالي ونزيل عيوبه ونجعله يربّي في المرء الشجاعة والإقدام والاعتماد على النفس فلا خوف بعد من التعطل لأن المخرجين إما أن يجدوا أما كن في وظائف الدولة ، وإما أن يجدوا أما كن في الحياة الحرة .

قلنا فلنرتب في التوسع في التعليم حتى يصلح ، أما وهو بهذه الحال فخرام أن نتوسع فيه وأن نشير بالتوسع فيه .

التوسع في التعليم الابتدائي :

وأما التوسع في التعليم الابتدائي أو في التعلم العام ، فهذا مالا يخالف في وجوبه أحد ، ولكن مع المحافظة على الجودة في التعليم .

لقد أصيبت مصر بحمى التوسع في التعليم في السنين الأخيرة ، فلم تسر إليه رويداً وعلى مهل ، محافظة على الجودة وعلى تثقيف العقول وتهذيب النفوس وتنمية الملكات . ولم تنظر إلى إمكانيات الدولة ولا إلى الظروف الاجتماعية ولا إلى مرافق الإنتاج الأخرى التي هي بأشد الحاجة إليها - بل سارت إليه قفزاً وطفرة ، فلم يعقها مكان ولا إمكان ، فحشدت التلاميذ في الرداهات وفي الفصول حشداً يمنع المدرس أن يراعيهم ويعنى بهم ، ورمت بنظريات وقواعد التربية وقواعد علم النفس ، وهزئت بهما ، وقاست قياساً عجيباً وهو أن الجهل حريق والملم ماء ، وكما أنه لا ينتقى الماء الذي يطفأ به الحريق فيطفأ ولو بماء آسن كذلك يجب أن يزال الجهل ولو بتعليم فاسد غير صالح .

إذا كان الجهل هو عدم معرفة القراءة والكتابة ، والعلم هو معرفتهما فنلك لا تزيد على أن تكون صنعة يدوية لا تصلح نفساً ولا تربي ملكة - وإن كان العلم معرفة قوانين الكون وطرق تربية الملكات من العقل والخلق والعاطفة ، وكانت التربية الحققة هي أن يتفوق امرؤ فيما ذكرنا ويطبع تلاميذه على غراره ، فهذا لا يحسنه إلا المعلم الصالح ولا يوصل إليه إلا التعليم الصالح ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فلا تطلب من ضعيف في العقل والتفكير أن ينمي ملكة العقل في غيره ، ولا تطلب من ضعيف الخلق لا يؤمن بالفضيلة أن يربي غيره على الفضائل النفسية ، وأن يحلهم بمكارم الاخلاق وحيد الصفات .

إنكم إلى الآن تنظرون إلى التعليم نظرة بدائية ، لا يعينكم منه إلا الحكم دون الكيف ، فجهدكم ينحصر في كثرة المتعلمين ، أما كيفه وجودته وما الذي يحققه وكيف يربي العقل وينميه ويجعله أندر على الاستنباط وعلى الابتكار أو على الانفعاع بعلومه وتطبيقها في الحياة ، وكيف يربي العزم والشجاعة والاستقلال والاعتماد على النفس ، وكيف يكون مواطناً صالحاً ينفع مجتمعه وينتفع منه ، تقول أما هذا وما ينخرط في سلكه فلا يعينكم ، ولا تنظرون إليه ، ولا تتفكرون به ، مع ما تتفكرون به من الحكم والعدد والكثرة .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

بينت الآية السابقة جزاء الله للمنافقين على سيرتهم الشائنة الخزية ، وعلى مخادعتهم ومحاولاتهم للناجحة عما اختاروه لأنفسهم من وضع كانوا فيه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... فكان جزاؤهم على ذلك استهزاء الله بهم ، وهو استهزاء من جبار ذى عظمة وجلال وقدر لا تقادر ، استهزاء من ذى القوة المتين بضعيف مهين حاول مغالبة لجند الله ومخادعة لربهم . وكان إلى الاستهزاء إطالة لإغراقهم في طغيانهم على حيرة مقلقة موقعة لهم في الاضطراب والفرع . فجاءت تلك الآية في موضع البيان لهؤلاء الذين استحقوا ذلك الجزاء وجاءت مفصلة غير موصولة ، وجعل المسند إليه فيها اسم إشارة ليسكون في البيان به توضيح وتمييز للمستهزى بهم ، والممددين في الطغيان . وفي التعبير عنه باسم الإشارة لإعداده جلياً للصق المسند به حتى تبدر صورته واضحة وقد لبس وصف المسند ويكون ذلك إذا كان المسند أمراً عجيباً . وهو هنا عجيب إذ كان مؤذناً بغباء الموصوف به وبلاذته وظلمة قلبه وسخف تقديره . فإن هؤلاء قد اشتروا ضلالة بهدى أى اشتروا ظلمة بنور وضمة بشرف وذلة ومزة وضيقاً بسعة . وبماذا يكون الشخص سميك الغباء مغلف القلب مظلم النفس إذا لم يكن كذلك .

عبرت الآية بالاستهزاء على سبيل الاستعارة ليتدبر مقدار رغبتهم في الضلالة ، وزهدهم في الهدى فإن المشتري يكون شديد الرغبة فيما يشتري ، رغبة تجعله شديد الزهد فيما يبذله من ثمن ، فهم راغبون في الضلال زاهدون في الهدى وقد تلا هذا التعبير وهو قوله (اشتروا) ترشيعات أخرى من شأنها أن تقوى بها الاستعارة فجاء قوله (فما ربحت) وقوله (تجارتهم) والمعنى أن هؤلاء قد اشتدت رغبتهم في الضلالة وارتفعت عندهم قيمتها على قدر ما زهدوا في الهدى ونزلت عندهم قيمته .

اشترى الضلالة ظانين أنهم سيربحون فيحصلون على وقايتهم من أذى المؤمنين ، وعلى منزلتهم في نفوس الكافرين . منزلة الود والمحبة ، ولكن هيهات أن يتحقق لهم غرضهم هذا وهم على سيرتهم تلك إذ الماتوى في سيره المعوج في طريقه قد يصعب عليه الوصول إلى غايته إن لم يترد في طريقه في حفرة تهاككه قبل الوصول .

لذا كانت النتيجة كما بينت الآية وهو ما فرغته بالفاء على الاشتراء أى قوله (فأربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أى أنهم اشترى الضلالة بالهدى متجرين في ذلك محاولين ربح فاسد أغراضهم ووضع غاياتهم ، ولكن كانت نهايتهم أنهم أولاً لم يربحوا في تجارتهم وعزت عليهم طلباتهم ومقاصدهم ، وثانياً ذهب نور الهدى من حولهم فبقوا في ظلمة الضلال خاسرين . وما أوجع أن يجتمع على الناسر خسارته وتورطه ، ما أوجع أن يجتمع على الناجر أن ينقطع عن غايته وأن يكون في ظلمة تعوقه عن التبصر .

وله لطبي أن تكون عاقبة من يشتري تسفلاً بملو وغموضاً بوضوح وضعفاً بقوة وانقطاعاً بصلة وبضاً بتحبب ومودة وجفوة بعطف وتحن ، إنه لطبي أن تكون عاقبته تلك العاقبة . فهؤلاء المنافقون قطعوا صلاتهم بذوى العزة من المؤمنين وأثاروا كرههم لهم وحاولوا إعداد منزلة لهم في نفوس الكافرين . ولكنهم لا إلى هؤلاء استقروا ولا إلى هؤلاء اطمأنوا ، وبقوا على حالهم مهتدين في الظلمة حائرين . مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

لما كان اشتراء الظلمة بالنور والذلة بالعزة واشتراء الضلالة بالهدى مما يثير في نفس السامع العجب ويهيج الدهشة ، فإن في ذلك التصرف دلالة واضحة على أن طبائع هؤلاء طبائع مركوسة وعلى أن تقديراتهم تقديرات منكوسة كان لابد أن يتساءل السامع : هؤلاء في الناس أمثلة ونظائر لحجرات تلك الآية مفصلة غير مرصولة تشرح حال هؤلاء وتبين مثلهم الذى يوضح سوء تصرفهم ، وأنه ليس هناك ما يماثلونه إلا الذى استوقد ناراً ثم بعد إضاءتها ما حوله ذهب نورهم وبقى في ظلمة حالكة لا يبصر بإطلاق لا عن بعد ولا عن قرب ، لا عن البين ولا عن اليسار لا ما هو أمامه ولا ما هو خلفه . إذ أن هؤلاء المنافقين لما نزل كتاب الله هدى ونوراً مضيئاً للمستقيم من السبل موضحاً الجادة . وكان موقفهم منه هو ذلك الموقف المتردد ، ذلك الموقف الذى سدوا فيه آذانهم وأغصوا عيونهم ،

وحولوا فيه قلوبهم . فكان القرآن الذى هو الهدى والنور عليهم ناراً محرقة بما كشف من أسرارهم وما أبرز من طوياتهم ، وما حرر فى المجتمع من موازينهم .

وما كاد الكتاب الهادى والقرآن المبين - وهو فى حقيقته النور - يضيء ما حولهم ليستبينوا . واطن الهداية ومهابط الرشاد حتى حولوه بسيرتهم ذلك التحويل ، فانقطع عنهم ذلك النور . وأظلمت من حولهم الآفاق ، وراحوا مضطربين لا يركنون إلى المؤمنين ، ولا يستقرون إلى الكافرين . فما أشبه حالهم بحال الذى انطفأ مصباحه فى يده . وهو فى ظلمة حالكة . فإن الذى تكون حاله تلك الحال ، لا يستطيع سيراً إلى الامام ولا رجوعاً إلى الخلف ولا ميلاً إلى اليمين ولا إلى اليسار . وكذلك يكون حال المنافقين فى المجتمع . فهم دائماً مضطربون فزعون لا تحل قلوبهم طمأنينة ولا ينزل بساحاتهم استقرار نتيجة لما يقومون به فى المجتمع من أن يلقوا كل فريق بوجه غير الوجه الذى يلقون به الفريق الآخر ولن يفوت المجتمع دائماً منهم أذى وشر وتفكك وخصام وإن كانوا لا يفوتهم من المجتمع سيئ الجزاء - بغضهم واحتقارهم وتجنّبهم واستصغارهم - فلا يأمنون ولا يؤمنون ، ولا يسمروا لهم أحد ولا يسمرون هم إلى أحد من الناس . يتخرجون من الناس ويتخرج الناس منهم لخياتهم نسكده وعيشهم مرير . ولا يكون إلا كذلك جزاء المنافقين .

فمعنى الآية على الجملة أن مثل هؤلاء المنافقين مثل الذى حاول إشعال نار حتى إذا أخذت قضيه جوانبه انطفأت وبقي فى ظلمة . وما أشد الظلمة إذ تعقب إضاءة ، وما أعمق ألم الذى تنطفئ ناره وهو فى ظلمة حالكة .

وإذا أنت استعرضت الآية فوجدتها تعبر باستوقد دون أوقد رأيت دلائل الإعجاز والبلاغة . فإن الاستيقاد يدل على أن هؤلاء قد حاولوا ذلك محاولة هم فيها حريصون على ما حاولوه . ولم يكن تحول النور ناراً إلا عن معالجة ورغبة وترى ثانياً أن الآية قد عبرت بأضامات دون أنارت . والضوء أعظم من النور ليدل ذلك على مبلغ ما فى القرآن من هدى وارشاد ولیدل من ناحية أخرى على عظم مصيبتهم ، فإن الإظلام بعد الإنارة أخف من الإظلام بعد الإضاءة وترى ثالثاً أنه عبر بذهب الله بنورهم دون انطفأ ليداننا بأنه استئصال لا رجاء معه . . . وترى رابعاً أنه عبر بالذهاب بالنور فلم يقل ذهب الله بضوئهم لأن ذلك قد يخيل أن ذهاب الضوء قد لا يفهم . معه ذهاب النور . فعبر بالنور فى ناحية الذهاب ليدل على استئصال النور . فإن ذهاب النور ذهاب الضوء ، وليس ذهاب

الضوء ذهاباً للنور... وترى خامساً أنه عبر بقوله تركهم ولم يقل ذهب بنورهم وبقوا في ظلمات ليدل بذلك على قطع الصلة بينهم وبين ربهم. وأنهم متروكون غضباً عليهم ونكابة بهم. ثم ختم الآية بقوله (لا يبصرون) وكان يكفي أن يقال تركهم في ظلمات. ولما كنهه أراد أن ينص على لازم كونهم في الظلمات صراحة حتى لا يفوت السامع تصويرهم في تلك الظلمات. وهكذا نجد في القرآن دلائل الإعجاز وآيات البلاغة في كل مقطع نستعرضه من ذلك الكتاب المبين.

يقول الله تعالى : (صم بكم عى فهم لا يرجعون) جاءت الآية هكذا بدون عاطف مفصلة عما قبلها. وإنما جاءت كذلك لأحد وجهين. إما لأنها بمثابة التأكيد للآية السابقة عليها، وإما لأنها جواب لسؤال نشأ عن الآية التي قبلها..

أما الأول : فلأن ما دلت عليه الآية السابقة. من أنهم فرجوا بعد الإضاءة بظلمة انعدم معها الإبصار انعداما مطلقا. الأمر الذى دل عليه عدم ذكر المتعلق في قوله : لا يبصرون مما يستلزم اضطراب مشاعر المعاجئين واختلال حواسهم فجاءت تلك الآية للتخصيص على ما فهم لزوما من سابقها للتأكيد والتثبيت.

وأما الثانى : فلأن الآية السابقة لما دلت على أن عدم الإبصار إنما هو للظلمة التى حاطتهم كان لابد أن يثير ذلك سؤالا مؤاده : إذا انبج الفجر يعودون إلى الإبصار والسمع والنطق أى يستردون مشاعرهم ويعود إليهم انتظام حواسهم فجاءت تلك الآية جوابا عن ذلك مبينا أن اختلال مشاعرهم مطرد مستمر. فهم قد صاروا بما رضوه لأنفسهم من وضع دائمى الصمم والبكم والعمى. فهم لا يصيخرون لصوت الحق والإرشاد. بل هم لاوون عن الحق أعناقهم مصعرون عن الرشاد خدرهم، لا ينطقون بحجة لإحساسهم ببطلان ما هم عليه ولا يطرحون شبهة ليزيلوها من ساحة الحق. لأنهم راغبون عن الحق مستهزئون بأهله، لا يفكرون فيما أقام الله فى الآفاق وفى الأنفس من آيات. فهم مغمضون عيونهم عن نظرها إذ لا يقوم فى نفوسهم دافع إلى تدبيرها وتقديرها. وما داموا لا يصيخرون إلى برهان ولا ينطقون بحجة لهم أو شبهة، ولا ينظرون فى آية من آيات الكون إذا فهم صم بكم عى إذا نودوا لا يسمعون، وإذا حارلوا النداء لا ينطقون. وإذا أرادوا تكشف الطريق لا يبصرون ويكونون بذلك كالمثبتين فى مكانهم لا هم يستطيعون سيرا إلى الامام، ولا هم يستطيعون عودا إلى بدايتهم. فلا إلى الورا ولا إلى الامام،

نَفَحاتُ الْفِرَاقِ

- ٥ -

٤ - البيت العتيق

« خاتمة ————— »

« و طهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود »

ألحنا بجوانب الحديث عن البيت العتيق في كلمات سابقة ، وطوفنا بك حول مناقبه ومباهجه ، حتى تكشف لنا من مثاني القرآن - إلى حد ما - ما له عند الله من قدر ، وما له بين معالم الإسلام من خطر ، وحتى انتهينا إلى صدق الإيمان به قبة للراكمين والساجدين ، والافتناع به ملاذاً للطائفين ، وموتلاً للعاكفين ، والاطمئنان إليه مثابة للوحدة الدينية : منها تبدى ، وعنهما تصدر ، وإليها تجتمع وتأنف ، والاتجاه إليه منارة تشع هدايتها في الخائفين ، لا يحجب ضوءها حدود لإقليمية ، ولا تستأثر بها جنسية على جنسية ، وإنما هو في ظل العروبة تحت إشراف ولد لإسماعيل ، ومكة للناس سواء : العاكف فيه والباد .

ولا إلى اليمن ولا إلى اليسار . وكذلك المنافقون في كل مجتمع يخشون خطوات إلى الامام قد يكون فيها ارتطامهم ، وخطوات إلى الورا قد يكون فيها ترديهم ، وميلا إلى اليمن أو اليسار قد يكون فيه تمزق أستارهم وانكشاف أحوالهم واقتضاحهم في المجتمع . فتكون حيرتهم في أمرهم وخشية انكشافهم هي الحال التي تشدهم إلى مكانهم الذي هم فيه ، والدثر التي تسمرهم في أوضاعهم التي انتهوا إليها ثم أمسوا لا يستطيعون تحولا عنها . لذا (فهم لا يرجعون) كما جاء في الآية تفريعا على اختلال مشاعرهم واضطراب حواسهم .

وقى الله المجتمع شر المنافقين وحفظه من سوء طويانهم وخبيث محاولاتهم إنه هو

الحفيظ العليم .
 همام مجيد
 عضو جماعة كبار العلماء

تقدير البيت الذي هذا شأنه ، والذي انعقد به تاريخ الإسلام من فجره الأول ، أن نقف منه موقف المحاسبين لأنفسنا على ما نبدى نحوه من عناية ، وما تقدم إليه من تكريم ..

فليس يكفي من حقه علينا أن نحج إليه ونطوف حوله ، ولا من تكريمنا له أن تتعلق بأهدابه ، ونبلل أسناره بالدمع الهتون .

تلقى إبراهيم الأمر بتطهير البيت ، وما كان إبراهيم إلا ملياً بالطاعة ، ومبادراً إلى التنفيذ ، فن أى شيء - ياترى - كان التطهير ، ولما يكون القصد فى تطهيره ؟؟

نتجه إلى أنفسنا هذين السؤالين ، ونتجه إلى أنفسنا فى الإجابة عنهما ، ولعل من وراء ذلك ثمة من غفلة ، وصحوة إلى واجب ، ووصولا إلى غرض ، وراحة لضمير .

١ - من أى شيء كان التطهير ؟ قد يخطر بالبال أن البيت يومذاك كان مدخولا بالأصنام ، ولكن هذا لا يحارى الواقع الماثور ، إذ لم يكن البيت معبداً مأهولاً قبل ذلك بعباد ولا بأوثان ، وإنما كان بقعة مباركة بمجولة ، عرفها إبراهيم بتوجيه الله ، ثم بناها هو وإسماعيل تنفيذاً لأمر الله ، ومن يومئذ ابتدأ العهد باتخاذها للعبادة . فإذا شئنا توجيه الأمر بالنظهير إلى الواقع الوجودى ، فإنما يراد تطهيره من الإقذار ، وتجليته فى مظهر حسن يلائم طهره المعنوى وقدره الأدبى ، فلا يكون من الإهمال والابتذال كما يكون موضع آخر مهين .

ب - ولما يكون القصد فى تطهيره ؟ تفصح الآية بأنه للطائفين والفائمين والركع السجود ... نعم ! فما ينبغي أن يلنثا بالنجاسة ، أو يتقذر بالمسكروه مكان يطوف به الطائف مناجياً ربه بدعوته ، وينهض فيه القائم خاشعاً لله فى صلاته ، ويهوى من قيامه ضارعا بركعته وسجده ، بل ما ينبغي أن يكون ملتقى الحجاج إلا أبهج ما يروق للعين مظهره ، وأروع ما يجذب النفس رواؤه .

فإن لم يكن : - فلا أقل من نظافة - والنظافة فى حساب النظرة وقاية مطلوبة ومرغوبة ، وأيسر ما يبق منها بالتكليف أن تتوفر الطهارة من اللوث والقذر ، حتى تكون كرامة البيت غير مشوبة . لذلك أوحى إلى إبراهيم فيما أوحى من شأن هذا البيت أن ينشط إلى تطهيره بما هنالك ، والنظهير أيسر مقدور .

وهل يقف الأمر بالنظير عند هذا الحد ، ويضيق عما يحدث بعد ؟ لا ١١

وإنما الأمر في مثل هذا امتد في الزمن ، وشامل لكل ما لا يتفق وصيانة المسجد الحرام ، فهو واصل إلينا فيما وصل من شريعة إبراهيم . . . ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا . . . والطهير المطلوب به يتعلق بكل ما يتكشف عنه الزمن من أرجاس . . . ولقد بدت عناية الإسلام في حرص على تطهير المساجد عامة حتى زاد عنها أسباب الظنة ، فخاها من ولوج أصحاب الاحداث المغلظة ، وبالعكس أكثر من ذلك في صيانة البيت الحرام حتى منع من لا يدين به أن يقترب منه ، واعتبر الكفر به نجاسة تقضي البعد عنه . . . يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، ، كل ذلك ليتوفر للبيت العتيق لإجلاله ، وتكمل له قداسته ، ويظل مناط الثقة في نقاوته ، ويبعث الحياة الروحية بنفحاته .

بل لم تقف عناية الإسلام بتطهير المساجد عند الجانب السلبي بمنع الانجاس أن تقرب إليها فرفع من شأنها حتى كلفنا أن نتأهب لدخولها بالترين في ملابسنا ومظهرنا : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، ، فما بالك بمسجد أفسح له القرآن كثيراً من آياته ، وأضفى عليه ما أضفى من الخصائص ، حتى جعل ثواب الصلاة فيه يعدل ثواب الصلاة في غيره مائة ألف مرة ، ولم يقاربه في هذا إلا مسجد اشتملت روضته على أكرم جثمان على الله - مسجد المدينة - فإن ثواب الصلاة فيه يعدل ثواب ألف في سواه من مساجدنا ، وذلك ما عرفناه من لا ترقى إلى صدقه شبهة ، (صلوات الله وسلامه عليه) .

فإذا اجتمعت الطهارة الحسية للسلم في مظهره وفي معبده ، وكان في هندامه الشكلى متجاوباً مع إيمانه القلبي ، فليس من وراء ذلك إلا نظافة من دخائل النفس ، ونقاوة في أطوار القلب ، وطهارة في مخبوء السريرة .

وذلك هو الشعار الحق ، والطابع الصدق لما يبدو من حقيقة المسلم ، وهذا هو الهدف الذي يبتغيه الإسلام إلى أهله فيما كلهم به من اتخاذ الزينة وتطهير المساجد .

ونفحات القرآن بادية في كل ذلك ، وقد جلاها قول النبي ﷺ ، والنظافة من الإيمان ، فإذا انتهينا إلى وجهة الإسلام فيما يفشده إلى أهله ، وفيما يفشده للمساجد عامة فهل الأمر في شأن المسجد الحرام من تكريمه بتنظيفه ، والتنظيف له ، على نحو ما تنادي به الشريعة ؟ وتقضي به العاطفة الدينية ؟؟ أولا يستحق هذا البيت كعبة صريحة فبرى بها الذمة ورضى بها الحق ؟؟

رأيت البيت في موسم الحج ، وجلت هناك كما يحول الوافدون على مكة ، فوقعت تحت النظر ما لا يرضى ، ورأيت من الإهمال ما يكفي لإثارة الغضب ، والنهوض بالعتب على على من ييدهم الأمر ، ولو فرض الله على المسلمين أن يهملوا بيته لما صنعوا به أكثر مما هو عليه اليوم .

أفلم يكن يستحق بيته على الحكومات التي تعاقبت على الحجاز أن تمد كل واحدة منها يد الإصلاح إلى جانب من الجوانب التي حرمت من النظام طوال هذه السنين ؟ نعم : للعامل الزمنى حكمه ...

ولكن : لو أنيح لبيت الله الحرام نصيب من عناية في كل عهد من عهوده لكان اليوم أحسن حالا من حاله التي يتأذى لها الحس ، ويجزع لها الفؤاد .

ليس من الإنصاف أن نلقى التبعة كلها على الحكومة القائمة ، فإن عهدا في الحجاز لم يبلغ ما بلغ عهد سواها من قبل ، ويبدو من المالم هناك أن تلك الحكومات لم يتسع نطاقها الإدارى أن تشمل البيت ولا غيره من مناسك الحج بشئ من وفاء ، فأصبح للحديث مجال عن البيت ، وعن المسعى ، وعن عرفات . والحديث عن هذه حديث عما يلقاه الجميع من شقاء وعنت ، وهو حديث يستريح إليه المنصفون ، فإن فيه تنبيها من غملة ، وتوجيها إلى واجب ، وإن تخيل من تخيل أن فيه مساسا فما قصدت ذلك ولا يدخل في تقديرى ، وإن كان : فالامر أمر يحل عن مراعاة خاطر .

من ذا يظن أن بيت الله الحرام الذى نهوى إليه الالفدة ، وتنحدر إليه الافواج من كل صوب ، يظل يتراى بين الابنية حتى كادت تحنقه لشدة انطباقها عليه ، والنفاها حوله ، مع ما هنالك من قم عالية تقرب منه ، وتقوم عليها المساكن أشبه - لارتفاع بقعها - بناطحات السحاب ، وإذا روعى إلى جانب هذا أن مكة محفوفة بالجبال حولها أشبه بالحلقة ، فمن أين يكون جو مكة طيبا ، أو يكفل عدم الاختناق لمن لم يعود مثل هذا الحصار ؟

لم تنفرج هذه الابنية عن بعضها لتدع السبيل إلى البيت ؛ إلا بحارات ضيقة ملتوية ينحدر سالكها من علو ، ويصعد من هبوط ، وعلى جانبيه حوانيت الباعة ، ويكتظ الممر بينها بالمبتاعين لمروض مكة التجارية ، وفى اجتيازها على هذا الوصف جهد غير يسير ، وإن الداخل إلى البيت من أى منفذ من هذه المنافذ ليحس بانقطاع الصلة بين ما كان يرثم

في ذهنه من تخيلات بهيجة عن موقع المسجد الحرام في أبيته ، وبين ما يرى بعينه ، حتى
لكنأنه في سوق ريفية تجتمع في طرقاتها السلع ، ويتدافع أمامها الناس ، في غير إشفاق ،
ولا تمكن من الهوينا .

ولأن تسكن هناك طرق فسيحة نوعاً فهي تيج بالسيارات المتلاحقة ، والمشاة المتلاحمين ،
فأنت إذ تتق خطر السيارة بدفع بك دافع إلى اليمين ، وآخر إلى اليسار ، وإذا خطوت
فسيلاً نوى بك المسير لتفسح لمن يقابلك سائراً في عكس اتجاهك ، وقد يتوقف السير ويكتظ
الموقف حتى يشق عليك التنفس ، أو يجبر بتمديك العياء .

وعلى هذا الوصف من غير مبالغة طريق السعي بين الصفا والمروة ، وهو في أى لحظة
من اللحظات غاص بالجموع الزاخرة كبحر متلاطم الأمواج .

فإذا اعترضك في شوطك ثلة من الجند تأخذ سيولها في نظام عسكري ، أو رتل
من السيارات يتلاحق في تتابعه ، فقد يطول بك الموقف حتى يجتاز كل أولئك ويتخطوا
طريق السعي المعترض للدرب المسلوك . فانظر : كم يلاقى المحرم في أشواطه السبعة بين الصفا
والمروة ، وخاصة إذا كان الوقت ظهيرة حارة ، أو كان شيخاً مسناً ، أو سيدة حبلى ؟؟

تلك حالة السبل المؤدية بك إلى البيت ، والتي حوله من كل جانب ، وأحسبك لا تسكنذبني
إذا قلت لك : إن طريق السعي حين يخلو (وهو لا يخلو إلا في ساعات من الليل ، آخر
موسم الحج إذا خف الحجاج إلى المدينة أو إلى أوطانهم) يكون الدرب المعتد
بين شعائر الله مسرحة للدهز والخراف ولغيرها مما لا أسميه من الحيوانات ، فكيف يرضى
غيور على تلك البقاع أن تكون بهذا الابتذال ؟؟

وإذا دخلت إلى رحبة المسجد ، وحومت على زمزم ، وجדתها في حجرة ، وحول البئر
جدار يحيط بها ، ويقف عليه المختصون برفع المياه ومناولتها للراغبين ، والراغبون طبعاً
هم جموع تهالك ويخلف بعضها بعضاً ، فإذا بحثت عن أظافة البيت أو طهارته في هذه البقعة
(وهى من السكبة ومقام إبراهيم على شكل مثلث) وجدت نفسك بين شكوك تساورك :
فإن الماء يتموج تحت أرجل المتزاحمين على زمزم ، وأكثر هؤلاء - كما يبدو من شأنهم -
لا يعرفون ما ينبغى للطهارة وما لا ينبغى ، والماء ينساب من أرض الحجرة إلى خارجها ،
وكذلك هؤلاء يخرجون مبتلة أرجلهم ، ويجوسون في رحبة البيت المتصلة بحجرة زمزم ،

وحيث يصل هناك المصلون ، أرأيت أن حكم الطهارة المطلوبة للبيت في كتاب الله يكون حثوفاً الآن ، أم هو ساقط في اعتبار المسؤولين ؟؟ وما مقدار اطمئنانك على صلاتك وأنت ترى بنفسك هذه الهراة في مراعاة النظافة والتطهير ؟؟

ثم انظر إلى أولئك الذين يغطون الليل كله في نومهم على الحصباء في رحبة المسجد الحرام ، وما يكون من شأهم إذا حقنهم البول وليس بقرهم مرافق ، هم يتخذون من مضاجعهم مرافق ولا حرج عندهم ، لأنهم في الأغلب يحجون البيت بعاطفة قوية ، ولكن الجبل مطبق ، والإدراك مفقود ، والطهارة والنظافة أبعد ما يكون عن معارفهم ، وأعجب ما يعجبك أن ينام الواحد منهم ملء عينيه طول ليله ، فإذا هتف المؤذن لصلاة الفجر نهض ذلك النائم إلى الصف مع المصلين ، وهو لا يدري أن للصلاة طهارة مشروطة ، وكيف تنصح ذلك المسكين ولسانه غير لسانك ، وذهنه لا يفهم بالإشارة والتشخيص ؟؟ رأيت ذلك ، ورأيتته نهراً في محرم تخير أن ينام ضحوته تحت المروحة السكرانية ، حتى نودي لصلاة الجمعة فعمل ما فعل غيره في صلاة الصبح ، وكأن هؤلاء يعرفون أن في الإسلام حجا وكفى ، فليت من يوجههم إلى الصواب !!

نعم — إن حكومة السعوديين أخذت في تنظيم المياه ، وتناولها من زمزم في غير تواحم ، وذلك بتوزيعها في الأنايب ، وإعدادها في كل جانب من جوانب المسجد . ولكن بقي ما ذكرت من رعاية هؤلاء ، وبقي توفير المرافق بكثرة وكثرة ، وبقي أن يسلك النظام سبيله إلى عرفات ومنى ، حتى تكون الخيام مبنوثة بين الأقدار ، وحتى لا يجد المرء جرعة الماء إلا بعد شديد الظما ، وبعد المساومة وترضية الجشع ، وحتى يجد وضوءاً للصلاة في تلك الصحراء في شيء من اليسر .

تلك وأمثالها من المتاعب التي يتعرض لها المحرم ، إلا من خرج في سيارته وانهى في يسير من الوقت ، وكل عدد هؤلاء ؟ وهم أيسار الحجاز لا من جمهرة المسلمين المغتربين .

قلت : إن العامل الزمني له كبير الأثر في اختناق المسجد بتلك الابنية القديمة وليست بحكومة السعوديين ملومة على ذلك ، ولكنها وقد أصبح الأمر إليها ، ولها من الفشاط ما هو مشهود في نواحي الحياة الاجتماعية لديهم فإننا نتجه إليها بالرجاء ألا نغض الطرف

هن أخطاء العمود السابقة وتقصيرها نحو بيت الله وحجابه ، وإذا كانت المروءة العربية بدت في نهضتها إلى إصلاح الحرم المدني ، ثم منها الترفع والإباء عن تناول المعاونة من الاقطار الإسلامية فإن أمر مكة لأعظم خطراً وأحوج إلى مال أكثر مما يحتاج الحرم المدني .

وما دام الأمر في الواقع أمر المسلمين جميعاً فليس من الحرج أن ترفع مكة ندامها للمسلمين أن يتآزروا في التعاون على ما يقتضيه تنظيم البيت والمناسك من نفقات ، وليس في الناس ولا في تقدير المفكرين ما يمنع ذلك ، ولا معابة فيه ، وإن الاستيلاء على الأملاك المجاورة للمسجد الحرام إن كانت أملاً كاشخصية ، أو استبدالها بالنقود إن كانت أوقافاً لمشروع لا تنهض به خزانة الحجاز فيما أعتقد ، وإصلاح الوسائل لتعميم المياه والمرافق في عرفات ومنى ليس أهون من سابقه فيما يقتضيه من مال .

وليس عملاً منتجاً ، ولا تفكيراً صائباً ، ولا أملاً مرجواً أن نكل الأمر ونلقى الحمل على عاتق الحجاز ، وليس كريماً ولا مستساغاً أن يترك الأمر على ما مضى عليه الحال منذ قرون وقرون ، وإن المدنية الحديثة التي امتدت إلى مجاهل الدنيا أو التي أبدلتنا في الحجاز طيارات وسيارات بدل النوق والجمال ، لتأبى أن تسكنين إلى هذا الوضع المميين .

هناك عين فؤارة عثروا عليها بعد مكة بأميال ، وتعميم الماء منها كفيل بخلاق حياة جديدة في مكة وفيما حولها ، فليس ينبغي أن تنوارى عن الموقف ، ونترك حكومة الحجاز ما بين حياء ينعما ، وعجز يثبطها ، ومتاعب الحج فوق ما يطاق في هذا الزمان ، وفي الإهمال صد للناس عن سبيل الله ، وفي الإنجاز دعاية ، وتشجيع ، ونشر للدعوة الإسلامية ، ولقد سبق إلى شيء من ذلك وزير مصر أحمد حمزة ، فأوجد مولداً كهربائياً ، فكانت الكهرباء للإضاءة وللتهوية بعد المصاييح ، وبعد اصطلاء الحر أزماناً وأزماناً ، فهلا كان حمزة من حمزات به يقتدون ؟؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السنة

من أسرار الصوم وآدابه

مكان الصوم من العبادات - سر إضافته إلى الله تعالى - ضروبه ،
والمراد منها في الحديث - من المنهاج النبوي في التربية - آثار الصوم الحق
في الفرد والامة - بشار الصائمين .

عن أبي هريرة رضى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل :
كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة ، فإذا كان يوم
صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن ساء أحد أو قاله فليقل : إني صائم .
والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان
يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه . رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

أفاض العلماء والباحثون قديماً وحديثاً في حكم الصوم وأسراره ما شاء الله أن يفيضوا ،
وجهدوا في استكشافها ما شاء الله أن يجهدوا . ولستهم مهما يكشفوا من أسرار الفردية
والجماعية ، وحكمه المادية والروحية ، وآثاره الطبية والنفسية : فلن يدركوا غايتها ولن
يحيطوا بتفصيلها علماً .

واكبر الظن أنهم في جهدهم هذا يعنون أشد العناية ببيان حكمه وأسراره مستقلاً عن
سائر أركان الإسلام وشعبه : إذ لم يثل ارتباطه بها وتأثيره فيها من هذه العناية إلا قليلاً .

فهل لنا أن ننعم النظر في كشف أسرار الصوم مرتبطاً بغيره من شرائع الإسلام وشعبه
ومؤثراتها ، كما أنعمنا النظر في أسرار وآدابه مستقلاً عنها وبلغنا أمداً بعيداً ؟ وهل لنا
أن ننقل بعد ذلك إلى سائر هذه الشعب فندرس صلة كل منها بأخواتها ومدى تأثيرها فيها ،
ثم ندرس صلاتها بمجموعة متعاونة متضافرة - كما أعدها العليم الحكيم - على إعداد الفرد
والامة ، لإعداد قويا متيناً ، يحدد بناء أمتنا الإسلامية ، ويعيدها سيرتها الأولى ؟

إن مثل الصوم في أركان الإسلام وشرائده كمثل المصفاة اللطيفة الدقيقة النقية التي صفت في نفسها وأعدت لنصفية غيرها . فهي تقي أعمال الصائم وأحواله ، وشؤون جسمه وروحه كلها - دقيقةا وجليلها - من سمومها المادية والمعنوية . وعلى قدر نقاء هذه المصفاة ولطفها تكون تنقيتها لغيرها . . أو كمثل امتحان سنوى دقيق ، يستغرق من العام شهرا كاملا ، تمتحن فيه أعمال العبد وشؤنه حتى تمرن على الإخلاص والقوة ، ونخلص من الدنس والضعف والهزال ، ويتجدد الامتحان كل عام حتى يتخرج الصائم عضوا نافعا ، ولينة سليمة قوية في بناء هذه الأمة الإسلامية .

وإذا كان هذا الامتحان السنوى إجبارياً في كل عام ، فإن هناك امتحاناً اختيارياً ، سنه معلم الناس الخير ، ومخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه صلوات الله وسلامه عليه ، سنه في خلال كل شهر ما عدا شهر رمضان ، بل في كل أسبوع لمن شاء أن يترقى في معارج الكمال ، ويبلغ الذروة في فضائل الأعمال .

وليس الصوم نفسه بحاجة إلى مصفاة أو امتحان ؛ لأن الله العليم الحكيم قد اصطفاه لنفسه ، واختصه من بين العبادات والشرائع بالإضافة إليه ، تكريماً له وتشريفاً ، ومزية له دون غيره من الطاعات ؛ لاجرم أنه يتولى تصفيته وتنقيته على حسب ما قدر لعبده من منزلة ، وما رفعه من درجة ، وقد بات من القضايا الأولية ، أن المزية لا تقتضى الأفضلية .

ولعل السرفى اختصاص الصوم بهذه المرتبة العليا من التشريف والتكريم ، ما قيل من أنه لم يعبد به أحد غير الله عز وجل ، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام ، بل عظموه بصورة الصلاة والسجود والقيام ، والذبح والحلف والنذر ، والطواف والصدقة والذكر ، وما إلى ذلك من فنون الجاهلية وأعمال المشركين ؛ أو لأن الصوم - لحفائه - أبعد ما يكون عن الرياء . فليس للصائم فيه حظ ولا شهوة كما له في غيره من العبادات ؛ أو لأن الاستغناء عن الطعام والشراب وما إليهما ، من صفات الرب الذي يطعم ولا يطعم ، فأضاف الصوم إليه لأنه يوافق صفة من صفاته الربانية ، وإن جلت صفاته سبحانه عن الشبيه والنظير ؛ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ،

ولما كرم الصوم - عز اسمه - بنسبته إليه وحده ، تولى هو أيضاً جزاءه واختص به ،

وتفرد علماً بمقداره وتضعيفه ، وجعله سراً محجوباً لا يطلع عليه أحد من عباده ، كما كان الصوم نفسه سراً بين العبد وربّه . جزاء وفاقاً .

وإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعماية ضعف إلى أضعاف كثيرة ، في أعمال ابن آدم الظاهرة التي أسندت إليه ، وأنباه الله ثوابها وعظيم جزائها ، فكيف بهذا السر الذي اختص الله به نسبة وجزاء ؟ لا جرم أنه جزاء لا يمتدّ إليه حساب الحاسبين ، ولا يمتدّ إليه وصف الواصفين . وإذا كان الصيام نصف الصبر كما صح في الأثر - فإن الصائمين في طليعة الصابرين الذين بشرهم ربهم بأهم يوفون أجرم بغير حساب .

* * *

وبعد ، نأى صوم هذا الذي كرمه الله ذلك التكريم ، وفي صاحبه ذلك الجزاء العظيم ؟ لا ريب أنه درجات متفاوتة بتفاوت الصابرين المخلصين ، ولعل أدناها أن يتخلى من الآثام الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ، ويتحلى بالآداب النبوية فقها وهدياً . وأما صيام العامة وأشباه العامة ، وهو مجرد الإمساك عن الطعام والشراب وما إليهما مع اقتراف الآثام فليس من الصيام الرباني في شيء . وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه .

ويرى الزهاد والمنصوفة أن الصوم درجات ثلاث : صوم العوام وهو هذا الذي ذكرناه آنفاً ؛ وصوم الخواص وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل ؛ وصوم خواص الخواص وهو الصيام عن غير ذكر الله وعبادته ؛ ثم يزعمون أن هذا الأخير هو المراد في الحديث . وهو زعم لا دليل عليه ، وفيه تحجير لرحمة الله الواسعة وتضييق لفضله العظيم .

* * *

والذي يدل عليه الهدى النبوي في هذا الحديث وغيره ، أن المراد إنما هو الصوم الذي يؤدي وظيفته التي من أجلها شرع ، وحكمته التي من أجلها كتب ، وإليها الإشارة بقوله عز من قائل : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، وقوله صلوات الله وسلامه عليه : الصيام جنة .

والجنة : السرة والمنازع ؛ لأن الصوم الحق يمنع صاحبه من الرفث والآثام ، ومن غضب الله

وعذابه ، كما يمنع المجن - وهو الترس - صاحبه من السلاح . ومثل من لا يقيه صياحه سهام الذنوب والآثام ، كمثل من لا تنهيه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، كلاهما لا يرداد من الله إلا بهداً !

* * *

وإذا كان الصيام مجناً لصاحبه وحصناً له من عدوه : نفسه وهواه وشهوته ، وإبليس وذريته فمن كيس الصائم أن يكون يقظان فظناً ، يأخذ حذره أن يخرق العدو مجنه ، أو أن يهدم عليه حصنه ، فيكون فريسة عدو لا يألوه خبالاً ، أو ضحية حمق هو أشد وبالا ونكالا ! ومن أكيس السكيس ألا يدع منفذاً من منافذ العدو التي بهجم منها عليه إلا سده سداً محكماً ، متعمداً هذه المنافذ وسدودها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وأقرب المنافذ إلى العدو رفث الصائم وصخبه ، وسبابه وجداله ، وما إلى هذا من آفات لسانه الذي بين فكليه !

والرفث : السخف وفاحش الكلام ، وما لا ينبغي إلا بين المرء وزوجه في غير أوقات الصيام . والصخب : ويقال بالسين أيضاً ، هو الصياح والخصام وما لإيهما من المراء والجدال . وفي نهيه ﷺ عن أقرب خطايا الصائم وأهونها عليه ، تنبيهه على أبعدها منه وأشقمها عليه ، كما في نهيه عز وجل عن التأفif في معاملة الوالدين : ليكون أخرى بنهيه عما وراء ذلك من إيذاء وعنف .

وليس الصائم وحده هو المقصود بالهسي عن هذه الصفائر التي قد تكون ستاراً لما وراءها من كبائر ، بل غير الصائم مثله في أصل النهي ، ولكن يتأكد في حق الصائم ما لا يتأكد في حق غيره ، ويطالب الصائم من الاجتهاد والمحافظة والوقار بما لا يطالب به غيره .

* * *

فإذا شاتم الصائم أحداً أو خاصمه ، فليعف وليصفح ، ولا يقابلن الشر بمثله ، وليذكر الصوم وحرمة ، وليقل بقلبه ولسانه مرة أو مرتين : إني صائم ، فذلك أدنى أن يكف عن خصمه وأن يكف عنه خصمه . ثم لا بأس أن يجلس إن كان قائماً ، أو يقوم إن كان جالساً ، فذلك أعون على صرف الشيطان وجنده ، فما استعان الشيطان على أحد بمثل غضبه وصخبه .

وفي تذكير العبد نفسه بأنه صائم عند العدوان عليه سفها وجهلا ، تقوية لظهره ، وشد لآزره ، وتمرين لنفسه على تربية الإرادة القوية ، والعزيمة الماضية ، التي لا يحوم حولها جبن ولا تردد ، ولا ينال منها إيذاء مؤذ ولا تثبيط مشبط ، وذلك من آثار التقوى التي هي ملاك الحكمة في الصيام وشرعته .

ومن لنا بمن يبلغ علماء النفس والتربية منهاج النبي المربي الحكيم صلوات الله وسلامه عليه ، في تربية أمته على قوة الإرادة ومضاء العزيمة ، بهذا الأسلوب العملي الميسر ، الذي يستوحيه المرء من نفسه لنفسه فيجده أسرع مجيب له وناصر بإذن ربه .

هذا الصائم - الوقور المتقى الذي لم يكن - بصيامه - صورة صباه ممسكة عن الطعام والشراب والشهوة فحسب ، بل كان بصيامه وقواه . قوة من جند الله : وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وكان روحا وثابا إلى المجد والعلا ، سائحا في ميادين الخير ، والتعارن على البر ، والدفع بالي هي أحسن ، يهدي إلى سبيل الرشاد بصومه ، ويرفع بناء المكرمات بأيده وعزمه - هو الحقيق بأن يزف إليه الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، بشارة الرضا والقبول ، والفوز بالمأمول ، بمن ييده الخير كله ، وهو الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا . والخلوف بضم الخاء - ويجوز فتحها - هو تغير رائحة الفم من أثر الإمساك عن الطعام والشراب ، وتفزز الناس منه أمر طبعي لا لوم عليه ، لكنه عند الله تعالى آية الرضا والمحبة للصائم الذي وصفناه آنفا .

وإنما أقسم صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المعصوم - توكيدا لهذه البشارة ، وتفريحا لأصحابها . وكان أكثر إقسامه بالذي نفسه بيده وهو ربه ومالك أمره ، إشعارا بتقواه ومراقبته وأنه أعلم بعبدته وأقرب إليه من حبل الوريد .

ثم بشر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الصائم ببشارتين أخريين ، كلتاها من آثار البشارة العامة السابقة : فرحة عاجلة في ختام كل يوم من أيام صومه ، بتمام عبادته وسلامتها وتوفيق الله له فيها ، ثم برزق الله له ، وإنعامه عليه بالخلال الطيب الذي يعينه على عبادة ربه والإخلاص له ؛ وفرحة آجلة بقاء ربه راضيا مرضيا ، مستبشرا بجزائه الذي وعده إياه على لسان نبيه دون أن يحسب أو يقدر ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ط محمد السالك

الأزهريون ولتدريب العسكرية حديث فضيلة الاستاذ الأكبر

زخرت إدارة المعاهد الدينية بمجاهير حاشدة من العلماء والطلاب الأزهريين ، وقد قابلوا فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وذكروا لفضيلته رغبتهم في الانضمام إلى التدريبات العسكرية التي تنتظم في هذه الأيام طوائف الأمة على بكرة أبيها ، وقالوا : إنه يحمل بهم أن يكونوا في مقدمة تلك الطوائف مرانا على حمل السلاح "الجهاد في سبيل الدفاع عن الوطن . وقد استمع فضيلة الأستاذ الأكبر لرغبتهم ، ثم ذكر أن ما يرغبون فيه واجب مقدس في سبيل الوطن ، وعليهم أن لا يدخروا جهداً في سبيل الانضمام إلى معسكرات التدريب ، وأن يكسبوا من المراتب على حمل السلاح وغيره من أدوات الجهاد ما يكفيهم في ميدان الدفاع عن الوطن .

وقد رأى مندوب الأهرام ، أن يرجع إلى فضيلته ليقف على رأى الإسلام في هذه التدريبات العسكرية ، فقال فضيلته :

الدفاع عن الوطن ركن من أركان الإسلام ، وفريضة من فرائض عباداته . وإن الاستعداد له ، والتمرن على حمل السلاح وحسن استعماله للقيام بذلك عند الحاجة ، معدود من لوازم هذه الفريضة . والعلماء مطالبون بالعمل به كغيرهم من سائر المسلمين ، بل قبل غيرهم من إخوانهم أفراد الأمة . ولذلك كان علماء الصحابة أسبق الناس إلى ساحات الجهاد ، وأولهم استعداداً له ، ومبادرة لإجابة دعوة الداعي إليه .

ولما استبحر القتال باليمامة وغيرها أيام فتنة الردة ، كان علماء الصحابة وحمة كتاب الله في طليعة المجاهدين والشهداء ، ولذلك بادر الصحابة إلى جمع القرآن وكتابته لئلا يضيع شيء منه مع حفاظه من علماء الصحابة الذين كانوا أسرع من غيرهم إلى نبيل مقام الشهادة في سبيل الله . وما من حرب نشبت في صدر الإسلام إلا كان علماء الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في طليعة المجاهدين ، وأسمائهم في السطور الأولى من قائمة الشهداء ، ومواقفهم في ساحات القتال وعلى الحدود ، وفي الثغور معلومة مشهورة .

ولما فتح المسلمون صقلية سنة ٩١٢ هـ كان قائد أسطولها والرئيس الأعلى لجيوش الفتح البرية والبحرية إماماً من أئمة الفقه وقاضياً من قضاة الشرع ، هو الإمام أسد ابن الفرات تلميذ الإمام مالك بن أنس ، والإمام محمد الحسن صاحب أبي حنيفة وطبقهما ،

فهو الفاتح الأول لهذه الجزيرة الإيطالية المنيرة التي نعمت بسببه بالحكم الإسلامي الرحيم زمناً طويلاً . فكان فاتحها الفقيه الإمام الكبير من أبرع حملة السلاح يمينه التي اشتهرت قبل ذلك بتدوين أحكام الشرع وتبيين آداب الإسلام وسننه الرفيعة .

واستشهد أبو الربيع السكلاعي في واقعة أثبت بها بالادلّس ، وهو يتقدم الصفوف ، وينادي بالجنّد : أعنّ الجنّة تفرون ؟ حتى قتل صابراً ، وكان حافظاً للحديث ، مبرزاً في نقده . وقال ابن خلدون في مقدمته : ربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف . وكان القاضي يحيى بن أكرم يخرج أيام المأمون بالطائفة إلى أرض الروم ، وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني أمية بالادلّس .

هكذا كانت حال علماء الإسلام في كل عصر ومصر ، وعند ما حشد صلاح الدين الأيوبي الجيوش الإسلامية سنة ٥٨٣ هـ لقمع الصليبيين ولإجلانهم عن فلسطين كان في جحافله هدد لا يحصى من العلماء ، والفقهاء ، والصالحين ، وذكر مهمهم الإمام موفق الدين عبد الله ابن قدامة المقدسي مؤلف أجود الكتب وأشهرها في الفقه الحنبلي ، وأخاه الأكبر الشيخ أبا عمر مؤسس المدرسة العمريّة الشهيرة في سفح جبل قايسون بدمشق ، وكانت لهما ولتلاميذهما في معسكر صلاح الدين خيام تنتقل مع الجيش من معركة إلى معركة ومن نصر إلى نصر حتى ختم الله ذلك الجهاد بموقعة حطين الفاصلة التي انتهت بإخراج جميع الأوربيين من فلسطين .

ولما عظم البغي من وثني التتار ، وزحفت جيوشهم على الشرق العربي ، كان الإمام تقي الدين بن تيمية هو معلن النفي بالجهاد العام ، وهو الذي قدم من الشام إلى مصر لاستنفار حكمومتها وشعبها وجيشها للاشتراك في الدفاع ، وكان ابن تيمية في تلك الحرب أول شاعر للسيف مقاتل به ، على ما هو معروف من سيرته ، فكان بذلك من أعلام المجاهدين بالسيف كما كان من أعلام المجاهدين بدروسه ومؤلفاته .

إن جهاد علماء المسلمين في كل كتيبة خاضت غمرات الحرب استمر من صدر الإسلام في كل عصوره ، حتى في العصور المتأخرة اشتهر جهاد الإمامين الشهيدين ، السيد أحمد ابن عرفان من تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ، وصنوه الشيخ اسماعيل ابن عبد الغني الدهلوي ، فقد قاما في الهند على رأس جيش من المسلمين في الدفاع عن حياة الأمة ببسالة منقطعة النظير إلى أن مالا مقام الشهادة في سبيل ذلك ، وهما من العلماء الاعلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، فكان جهادهم امتداداً لما سبقهم اليه أئمة الإسلام وعلمائهم من أقدم عصوره ، وكانوا في ذلك المثل الأعلى لجهود المسلمين في الضحية والجهاد ، وحفظاً للأوطان وإرضاء للرحمن ، وعلى غرار هؤلاء الأسلاف يسير العلماء وطلبة العلم الإسلامي في مصر وغيرها كلنا دعاهم داعي الجهاد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

الإسلام لا يفر المحسوبة

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

إن عناية الإسلام بالناحية الخلقية للفرد والجماعة من أبرز النواحي التي تناولها نصوصه، لأن من أكبر مقاصده تكوين الأمة الصالحة، وأول وسائل ذلك تقويم أخلاق أفرادها وجماعاتها، وحسن توجيههم إلى كل ما يرضى الله عز وجل من مكارم الأخلاق. لذلك كانت المحسوبيات والوساطات للتوصل إلى المقاصد من غير استحقاق لها في مقدمة ما قامه الإسلام وصان أهله عن الانزلاق فيه. ولولم يكن منع الإسلام للوساطات والمحسوبيات داخلا في رسالة الإسلام الخلقية التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فإنها داخلة في إقامة الحق الذي هو ركن عظيم من أركان الإسلام، وقد سماه الله عز وجل «دين الحق»، في مواضع متعددة من كتابه الحكيم.

وأى غلط للحق أكبر من إثارة امرئ بما لا يستحقه من المنافع أو المناصب لأنه محسوب لجهة لا يمت إليها آخر هو أكثر استحقاقا وأهلية لتلك المنفعة أو ذلك المنصب؟ وأى غلط للحق أعظم من أن يجانب امرؤ في درء حد من حدود الله عنه، أو إعفائه من حق وجب عليه، رعاية لجهة قوية يفتنى إليها، أو وساطة ذي مكانة ما كان لولاها ليعنى من القيام بالحق الذي وجب عليه.

وأكثر المسلمين يحفظون في ذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم من المرأة الخنزورية التي سرقته. فخطبت قريش أسامة بن زيد ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسقاطه الحد عنها، فقال صلوات الله عليه: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، ثم أتى المسجد فخطب خطبته المشهورة التي قال فيها: أيها الناس، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرق لقطع محمد يدها،.

ومن هذا ينبوع أخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المبدأ الإسلامى العظيم الذى قرره فى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى واليه -على البصرة فقال له فيها: د آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك . حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . . ثم مضى على هذا المبدأ أئمة المسلمين وولانهم وقضاتهم ، وقد رأس القضاء بأجمه فى القسطنطينية عاصمة الوطن المصرى ، عظيم من فقهاء الإسلام وهو ابراهيم بن أبى بكر الاجنادى ، فكان مما قاله مترجوه فى وصفه : « كان لا يقبل وساطة ولا شفاعة ، بل يصدع بالحق ، ولا يولى إلا مستحقا . »

وابراهيم بن إسحاق قاضى مصر ذكروا فى ترجمته أنه حكم فى قضية لرجل على آخر ، وكان المحكوم عليه قريب الصلة بالامير ، فتشفع المحكوم عليه بالامير ريثما يصطلح المتقاضيان . فما كان من القاضى ابراهيم بن إسحاق إلا أن أقفل باب المحكمة وترك القضاء وذهب إلى منزله . فأرسل اليه الامير يسأله الرجوع قائلاً للقاضى : إني لا أعود الى الوساطة فى شئ أبدا ، وليس فى الحكم شفاعة .

ومن المعلوم فى أحكام الفقه الإسلامى أن الحاكم ليس له أن يشير على الخصوم بالصلح إلا إذا لم يتبين له الحق .

وقد بقيت هذه الاخلاق فى علماء المسلمين حتى أيام الدولة العثمانية ، فقد ذكر التاريخ أن السلطان بايزيد حضر إلى المحكمة بين يدى شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى قاضى القسطنطينية ليشهد فى قضية رفعت اليه ، فما كان من القاضى الفنارى إلا أن رد شهادة السلطان ولم يقبلها . ولما سأله السلطان عن وجه ردها قال له : إنك تارك للصلاة مع الجماعة ، فبنى السلطان فى الحال جامعا أمام قصره وعين لنفسه موضعا فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك .

فالمسلم الذى يأمره إسلامه برد شهادة شاهد لسبب من الاسباب فيرد شهادته مع أنه صاحب السلطان المطلق عليه ، لاشك أنه ذو دين قدره على إقامة الحق فى كل الظروف ، وعلى ألا ينحرف أحد منهم عن الحق لأية عاطفة من عواطف الحب والبغض ، والرغبة والرهبة .

يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال لرجل - ولعله قاتل أخيه زيد في يوم اليمامة - : إني أكرمك . فقال له الرجل : وهل تمنعني بهذا حقاً ؟ قال : لا . فقال الرجل : إذن لا أبالي . إنما يحرص على الحب النساء .

ومثل ذلك موقف أم المؤمنين عائشة من القائد المجاهد معاوية بن خديج السكوني أحد الذين شهدوا فتح مصر ، وكان له جهاد وفتوح في شمال أفريقيا . فإن أم المؤمنين عائشة كانت تبغضه لما بلغها من أنه كانت له يد في مصرع أخيها محمد بن أبي بكر . فلما سمعت من الذين جاهدوا تحت لواء معاوية بن خديج ثناءهم عليه ، وذكروا رفقته بهم وبالناس ، نسيت مصرع أخيها وعاطفة الكره للذين كانوا في مصرعه وقالت : « أستغفر الله ، إن كنت لا تبغضه من أجل أخى ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم من رفق بأمتي فارفق به ، ومن شق عليهم فاشقق عليه » .

وهكذا كان المسلمون والمسلمات فيما تلقوه عن معلم الناس الخير ﷺ من تربية يؤثرون بها الحق والخير على كل شيء . فالحق عندهم فوق العواطف والرغائب والأهواء ، فضلاً عن الشفاعات والوساطات .

وبذلك كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وسيعودون كما كانوا خير أمة أخرجت للناس إذا عادوا إلى الحق في إثارة على صداقاتهم وقراباتهم وآبائهم وأنفسهم .

والذى أصيب به المسلمون أخيراً من خذلان الحق نزولاً على ميولهم ورغائبهم وأهوائهم ووساطات من يرجونه أو يخشونه ، إنما هو مرض عارض لهم بعد أن لم يكن فيهم . ولعل عدواً سرت إليهم من الأجانب الذى بلغ في أنظمة استعمار بلاد الإسلام أن صار يؤثر بعض الناس ويقربهم ويعطيهم المناصب والمنافع لاستوائهم . مع أن الإسلام ينهى عن ذلك وينأى بأهله عن الإسفاف إليه والانزلاق في مهاويه .

ولإن الرجوع بعد اليوم إلى أخلاق الإسلام سيعيد إلى المسلمين إنسانيتهم في كل ضرب من ضروب الإصلاح والفلاح ، ومنها القضاء على الوساطات والمحسوبيات إلى الأبد إن شاء الله .

كفانا تقليداً في الفقه

لعل من شر ما تمنى به جماعة من الجماعات ، وبخاصة في الفترة من فترات نهضة الأمة ، أن يكتفى بعض أفرادها بترتيب المقدمات دون استخلاص النتائج منها ، والالتكال على الدعاوى والأمانى الطوال العراض من عمل جاد يؤدي إلى تحقيقها ، وإرسال القضايا من غير براهين تؤيدها ، وقد تكون هذه البراهين على حبل الذراع لمن يريد !

وهذه الحالات وأمثالها ، ظواهر نراها كثيراً في كل آن ، ولكنها أكثر ظهوراً هذه الأيام : وهي مع ذلك من أمارات ضعف المهمة وكسل العقل وعدم الإقبال على تناول الحياة تناولاً جاداً كما يفعل أصحاب الهمم القوية والعقول المستقيمة الراغبون حقاً في السير باخيار دائماً إلى الإمام . ولهذا ، نراهم يتخذون للأمر عدته ، ويسلكون إليه السبل المنهجية .

وقد دأبنا ، نحن في الأزهر ، منذ زمن بعيد على ترديد هاتين القضيتين :

(أ) صلاحية الفقه الإسلامي ، باعتباره مجموعة من القوانين الإلهية والإنسانية ، لكل زمان ومكان .

(ب) إن هذا الفقه قانون حي خالد ، وقابل للتطور ليناسب كل زمن وبيئة وليصلح أساساً لحل ما ينوبنا من مشا كل مختلفة .

ثم أخذنا هاتين القضيتين سنداً وأساساً لما نلح في طلبه هذه الأيام ، تعنى وجوب أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد لتشريعاتنا وقوانيننا التي تحكم بها الأمة .

ذاك ما نردده ، وهذا ما نلحف في طلبه ، وهذا وذاك حق في نفسه ، ولكن لم نسع خطوة واحدة في تأييده وتقديم الأدلة الصحيحة عليه من واقع الفقه وواقع الحياة ومشاكلها التي تتطلب منا أن نتقدم بحلولاها من تراثنا التشريعي المجيد .

إننا اكتفينا بالقضايا نرسلها لإرسالاً ، وهي وإن كانت صادقة في رأيها لا بد من التدليل

عليها ليؤمن الآخرون ، كما قنعنا بالاماني فطالب بها ، دون أن نسير في السبيل الذي يقضى إلى تحقيقها . بل ، إننا لو أردنا أن نسير في هذا السبيل نجد عقبة كبرى تسد أمامنا الطريق وهي عقبة التقليد الذي ران على القلوب والعقول منذ قرون طويلة .

وهذه العقبة صارت مشكلة من مشاكل اليوم ، وصرنا نحس أن لها ناحيتين في كليهما يمكن الخطر الشديد بل إن هذا الخطر قد استعلن منذ أمد بعيد . نغنى بذلك ناحية الجود في الفقه والتشريع ، وناحية الطفرة في الاجتهاد بفتح أبوابه لكل من أراد ، فيلج منها من ليس أهلا له .

نعم ! هناك طائفة ، هي الكثرة الكاثرة من رجال الدين والفقه في مصر ، وغير مصر من البلاد الإسلامية ، ترى أن ليس في الإمكان أبدع مما كان ! وأنه ليس لنا أن نحيد عن آراء الفقهاء القدامى التي تملأ كتب الفقه ، في ترتيب أحيانا وفي غير ترتيب أحيانا أخرى . وهم لذلك ، يستمسكون استمساكا شديدا بباب الاجتهاد الذي أقفل منذ قرون حذر أن يحاول أحد من رجال الفقه اليوم فتحه ، فيكون في هذا بلاء شديد .

وهناك في الطرف الآخر جماعة من الشباب ، متأثرون بغيرهم من المفكرين غير الأزهريين ، يرون أنه آن لهذا الباب أن يفتح على مصراعيه بعد طول إغلاق ، وأنه آن لنا أن نجتهد ونستحدث من التشريعات ما يناسب هذا العصر الذي نعيش فيه ، وما فيه حلول صحيحة للمشاكل التي جدت وتجد على مر الأيام .

إلا أن جماعة هذا الطرف - وهنا الخطر - تظن أن الخطب سهل يسير ، وأنه ما على من أخذ شيئا من الفقه والقانون إلا أن يخالف ما ذهب إليه رجال الفقه الاقدمون رضوان الله عليهم ، فإذا هو يجتهد ، وإن لم يكن على شيء من العلوم والدراسات التي لا بد منها لمن يكون له أن يتعرض للاجتهاد !

ومن ثم نرى أننا بين طرفين كلاهما غال : مفرط أو مفرط ، وكلاهما خطر ، وكلاهما لا يليق بنا أو بأى من الناس ينتسب للعلم ، ومن ثم نرى أنه خير لنا أن نواجه هذه المشكلة وألا تنمى عنها ، وأن نعمل على حلها حلا حاسما يعالجها من طرفيها : طرف الجود والتقليد ، وطرف الرغبة في الطفرة بالاجتهاد .

ولعل هذا الحل هو التوسط بين الطرفين ، فقد بما قيل : إن كلا طرفي الأمور ذميم ، وإن خير الأمور الوسط ، وهذا التوسط نجده في القرآن الكريم الحكيم نفسه ، وهو الأساس الذي قام عليه مذهب أرسطو في علم الأخلاق .

وإن من الحق أن الاعتزاز بتراث الماضين من الاجداد والاسلاف أمر طبيعي وغريزي في الإنسان ، وأنه من العيب والحق أن نحاول النكر لهذا التراث والاستغناء عنه ، وأنه من المستحيل على أحد من الناس أن يقيم علماً من العلوم دون أن يفيد من جهود الماضين وثمار تفكيرهم .

كل هذا حق ، بل حقائق بديهية لا يشكرها إلا أحمق عاثر ، أو معاند مكابر ، ولكن من الحق أيضاً أن الجمود من سمات الموت ، وأن الحركة هي الخاصة الأولى للحياة : وأن القرآن العظيم نبي في كثير من آياته السريعة على التقليد والمقلدين . لأن هذا التقليد للأباء والاجداد ، في غير حق ومع وضوح الدلائل على بطلان ما يدعو إليه ، كان ولا يزال من أكبر العقبات أمام الإصلاح والمصلحين .

وقد نهى أئمة الفقه أنفسهم ، رضوان الله عليهم وأئامهم خير الجزاء ، عن تقليد هم ، وقد نقل هذا النهى عن الإمام أبي حنيفة وغيره ، ومن ذلك قول الشافعي كما ذكره عنه البيهقي : « مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ، يحمل حزمة من حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري » . ويذكر إسماعيل بن يحيى المزني في أول مختصره في الفقه بأنه اختصره من علم الشافعي ليقربه على من أراده ، مع إعلانه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه ^(١) .

وليس لأحد منا أن يخطئ بين التقليد المنهى عنه ، وبين الاتباع المأمور به والذي أثنى الله تعالى عليه بقوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فيقول بأن تقليد هؤلاء اتباع لهم يرضاه الله جل ثناؤه . نعم ! ليس لنا أن نلجأ إلى مثل ذلك ، فإن اتباع الجلالة من صحابة للرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار هو احتذاؤهم في طرق

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، ج ٢ : ١٢٩ - ١٤٠ ، من طبعة منهج الدمشقي .

استدلأهم وفي الأحكام الشرعية التي أخذوها من الكتاب والسنة ، و فرق بين هذا وبين التقليد الذي نهوا هم عنه !

وقد ذكر أبو داود أنه سمع الإمام أحمد بن حنبل يقول : « الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد في التابعين مخير » . كما أنه قال أيضاً : « لا تقلدني ، ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الاوزاعي ، وخذ من حيث أخذوا » . «^١»
فأين هذا مما نحن عليه اليوم من تقليدنا غير قليل من الفقهاء المتأخرين ، وجعل آرائهم شرعة واجبة الاتباع !

وهناك ، بعد ما تقدم ، وجه آخر لمشكلة الاجتهاد والتقليد له خطورته أيضاً ، ونعني بهذا الوقوف على ما نص عليه الفقهاء القدامى فقط . فإن الواحد ممن له ملكة فقهية ، وله من الخلق والدين ما يعصمه عن الميل مع الهوى ، قد يرى الرأي الصالح لحل مشكلة من مشاكل العصر الاجتماعية أو الاقتصادية فيقال له : ائتنا بنص من كتب الفقه !

يا لله من هذا الجود ومن هذا اللون من الحجة ! إن كثيراً من مشاكلنا التي تتطلب حلولاً تتفق وشرعية الله وقرآنه وسنة رسوله لم تعرض في الأزمنة المتقدمة ، فكيف نطالب بالإتيان بنص من الكتب السالفة فيها ؟ ولو أنها عرضت في تلك الأزمنة ، لكان من الراجح جداً أن نرى أولئك الفقهاء قد عالجوها بما يتفق والصالح العام في زمانهم .

ثم ، كيف نعيب على أهل الظاهر مذهبهم الذي يوجب عليهم الوقوف عند ظاهر الكتاب والسنة ، ويتركون من أجل ذلك التعليل والقياس وسائر أصول الفقه وأدله الأخرى ؛ ثم لا نعيب على أنفسنا هذه المطالبة بالوقوف عند ظاهر نصوص الفقهاء حتى المتأخرين منهم !

إن رحمة الله ، أيها القوم ، واسعة تسع الناس جميعاً في كل عصر ، وإن الله لا يخلئ أمة الإسلام في كل عصر من بعض من يمكن أن يكونوا أئمة في الشريعة باجتهادهم متى كانوا

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، ج ٢ : ١٣٩ - ١٤٠ ، من طبعة منير العمشق .

أهلا له . وإن تاريخ الفقه الإسلامى ليؤكد لنا جميعاً أن كسراً من آراء الأئمة القدامى ، رضوان الله عليهم ، قد تغيرت بتغير الزمن والحال ، ومنهم أنفسهم من رجعوا عن آراء كانت لهم إلى أخرى اقتضتها المصلحة أو ظهور أدلة أخرى لهم ، وقد كانوا في هذا وذاك كله لا يستلمون أو يتقيدون إلا بالقرآن والسنة الصحيحة .

وإن الأزهر يكون عقيماً لو حكمنا أنه ليس من أبنائه ورجالاته الفقهاء من هو أهل للاجتهاد في هذه الأيام ، وإن كلية الشريعة لا تقوم برسالتها إن لم تكن قادرة على إعداد طائفة من علمائها ليسكنوا أهلاً للاجتهاد ، وإن الله تعالى أرحم بعباده وبالعالم الإسلامى كله من أن يجعلنا دائماً عالة على تراث العصور المتأخرة .

من ذلك كله ، نرى أن الأمر جد خطير ، وأن مشكلة الاجتهاد والتقليد والوقوف عند نصوص الفقهاء المتأخرين بلغت الذروة من التعقيد ، وأتينا صرنا في مفترق الطرق ، وأن علينا أن نختار الطريق الذى يجب أن نسير فيه ؛ حتى لا ندع الأمر فوضى ، وحتى لا نضل الشبية في ذنبية وحيرة ، بين الجمود وبين الطفرة .

إن من الخير ، بل من الواجب ألا يظل شيوخنا في العلم وزملائنا في الدرس على ما عليه أكثرهم من الغلو في التقليد ، وأن يفتحوا صدورهم للآراء الناضجة تصدر عن أهلها ولا تتعارض مع الكتاب والسنة .

وإن من الواجب على أبنائنا وإخواننا ، من الأزهريين ، أن يريثوا فلا يحاولوا الطفرة ، فإنه ليس في الطفرة في الغالب من الأمر إلا الشر ؛ ألا يحاولوا الوثوب ، فإن في الوثوب في كثير من الحالات دق الاعتناق .

وإن علينا جميعاً ، في مصر وغيرها من بلاد الإسلام ، أن نحس إحساساً بما لهذه الفترة التى نعيش فيها من خطورة ، وأن نعمل على أن يتطور الفقه ويتسع — في ضوء الكتاب والسنة دائماً — ليكون هو المصدر الأول للقوانين التى تحكم بها الأمة .

وهذا ما لا يكون قط بجمودنا ، وإغفالتنا تطور الزمن وتنوع أحداثه ومشاكله . هذا الزمن الذى تدور عجلته دائماً وفي إسراع ، وتختلف وراها من لم يتعاقب بها ويتخذ له مكاناً فيها ، وكفانا ما صرنا إليه من تخلف لازمنا قروناً ولازلنا نعانى من عقابيله حتى اليوم .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية الحقوق - جامعة فؤاد

إِسْكَام

وهو ذلك الذى تحدثت فى مقال سابق بما صور فضله ، وأبان قدره ، وتناول بشئ من البسط مبلغ علمه وبصره بالكتاب والسنة والفقه الإسلامى .

وأنا اليوم أحاول أن أتناول بشئ من البسط مبلغ تقواه ، وصفاته النفسية والأدبية ، ونواحيه العظيمة العملية التى انبعثت عن فيض معرفته وعلمه النافع ، وما فيه من مواهب فطرية ، وخصوبة جبلية ، وما كان ينطق به من حكم روائع ، ومعان بدائع ، نضحتها عليه قلبه السليم ، ودينه القويم ، وفضل الله العظيم : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب » .

ولعمرك إذا كان الناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » ، لقد تمثل هذا المعنى جليا فيما ظهر من عبد الله بن مسعود فى صباه . أول ما اجتمع به محمد رسول الله قبيل أن يؤمن به ، فخرص على تمثيل الأمانة والوفاء . ولم يقبل أن يمنح محمدا وصاحبه شربة لبن من غنم هقبة أجره ، لأنه مؤتمن ، والمؤتمن لا يخون ، فهو من ضميره فى يقظة لا يضطرب ولا يخاف فى الحق لومة لائم . وإن كان فى أمر يتساح الناس بمنله وهو شربة من لبن لفادم كريم له خطره ومركزه — هو محمد وصاحبه — ضم إلى ذلك ما تعطيه هذه القصة (وقد أوردتها لك من قبل) من معنى آخر ملأه علما وحكمة وجعله من أحبار هذه الأمة الاخيار . ذلك هو انقياده للحق واستجابته أيضا لدعوة النفس الباطنة التى لمست نور النبوة فى محمد ، وأنست نفس الحق من قبل ما منح الله عبده من مكرمة ، وأجرى عليه من معجزة . فهو لم يشك كما شك المتجبرون ، ولم يصف المعجزة بالسحر أو الخرافة كما كان يقول الجاهلون . وهنا يتجلى لك فرق ما بين الجبار المستكبر الذى ران على قلبه كبره وبطره ، وختم على سمعه وقلبه وبصره طيشه وغروره واعتداده بمظهره واعتاز به بغير خالقه . وما بين الرضى الحليم والناظر الحكيم وطالب الحق . لقد وصف الله سبحانه أولئك الجبارين فقال : « سأصرف عن آياتى الذين

يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشـد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الفـى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، ، ووصفهم بكثير من الصفات التي جعلتهم شر الخلق وأهل الجهل والكفر . وأحق الناس بجهنم وساءت مصيرا .

وفند وصف المتواضعين المستضعفين فقال : « وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ، ، ووصفهم بكثير من الصفات التي جعلتهم خير الخلق وأهل الإيمان والعلم . ولما سأل هرقل أبا سفيان عن محمد : أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قال بل ضعفاؤهم فقال هرقل : هم أتباع الرسل . ذلك بأن فطر هؤلاء أسلم ، ونظرهم أحكم ، وبصيرتهم أنقى ، وقلوبهم أنقى .

وكان عبد الله بن مسعود واحداً من هؤلاء ، فهو لم يشك في الحق مذ رآه ، ولا حال دون اتقياده تقليد ولا جاء ، ولكنه لبى داعى الفطرة ، وانتهر للسمو هذه الفرصة ، والله ولى المتقين .

كان إذا أميناً وفيّاً ، وكان بفطرته برّاً تقيّاً ، مقتاداً للحق لا يستبدل به . فند انتقاد لمحمد قبل أن يدعوه ، وقد عرف فيه النبي ﷺ بفراصة النبوة ونور اليقين ، أنه من أهل العلم الفطرى الذى هو أصح العلوم وهو نور يقذفه الله في قلب عبده ، وهداية إلى الصراط من عنده . فلما قال للنبي ﷺ : علمنى من هذا العلم . قال له : إنك غلام معلم ، ، وكانت بشرى فتحت أمام عبد الله أبواب الطيران والتخليق في جو السماء للسمو الروحى والكمال النفسى ، وكذلك المؤمن إذا مدح في وجهه ، فلزم باب أمير الانبياء ، وكان ما أعطاه الله مما شاء .

وترى من عجائب صنع الله في هذه النفس المتواضعة السامية مظاهر من الجهاد والجلاد والتضحية في هذا الجسم التحيل الضئيل القمى الذى كان إذا وقف وازاه الجسوس . وكان إذا صعد شجرة ضحك الناس من دقة ساقيه اللتين يسكadan يسكونان كساقى الطائر فيقول لهم رسول الله : « مم تضحكون ؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد ، .

ولقد صدق السيد الرسول ، ففى رجل طامسا سمعت في مرضاة الله ، تحمل هذا الجسد الناحل إلى معارك الجهاد ومواقف الجلاد ، وتخطو به إلى المساجد لطلب العلم ، وإقامة

الصلاة ، وترفعه عن مضجعه بين يدي الله في جوف الليل إذا ارتخت رجل النائم الغافل ، ما سارت به في ريبة ، ولا حملته نحو فاحشة ، ولا سمعت به إلى نسيمة ، فأى رجل أجدر منها أن تكون ثقيلة في الميزان ، وإن خفت في هذا الجسد القاني .

فأنت قد قرأت أنه أول من جهر بالقرآن ، في سورة الرحمن ، حين قال المسلمون إن قريشا لم تسمع هذا القرآن يجهر به . ولعله يفتح في بعض النفوس منهم بابا إلى الهداية أو طريقا إلى تخذيل بعض المعاندين أو المتحاملين الذين يقلدون في العداء ، ولا يبصرون حقيقة الدعوة الكريمة . ثم قالوا : فمن يستطيع أن يسمعهم دعوة الحق في هذا الكتاب العظيم ؟ وتلكأ الجميع وخافوا عاقبة هذه المخاطرة ، إلا عبد الله ، ذلك الغلام المعلم ، فإنه قال : أنا ، أنا ، . وعندها أشرأت الأعناق إليه ، وتجمع القوم حوالبه . أنت أيها الضعيف في بدنك ، المضطهد في بيتك ؟ إنما نريد رجلا له عشيرة تحميه ويدت يؤويه ، وجماعة تدفع عنه السوء . وتراجع الجميع أيضا لإعبد الله فإنه قال : أنا وحدي ، دهوني فإن الله سيمنعني ، . وعندها علم القوم أنه استجاب لداعى فطرته (وهو الغلام المعلم . والمحدث الملمم) .

وأنى عبد الله بن مسعود المقام في الضحى ، وقريش في أئديتها بالحرم ، تجتمع حول رؤساء الضلال طوائف طوائف ، فوقف عبد الله يعلنه إيمانا خلق فيه بروحه العظيم ، وظهر فيه جبروت نفسه الجبار ، لا يرى إلا الحق يملأ طباق الأرض وآفاق السماء : . بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . عليه البيان . . واستقبلها فقرأها . وطاشت أحلام قريش ودهشوا لهذا المظهر ، فقاموا إليه بحكم العادة الآلية ينهلون عليه ضربا في وجهه وسائر بدنه ، وهو سائر في قراءاته مطرد في اتجاهه ، لا يحس ما يجري عليه ، ولا يفكر إلا في صفات الرحمن ، وما أنشأ في الأكوان . وهذا الذي تحمله السورة من معان . ولا يقف إلا بروحه الطاهرة ، ونفسه السماوية . ولو كان يعمل بهذا الجسد لما كان فكرا بالأمس ، ولما احتمل ذلك الضرب القاتل هذا اليوم .

لو كان عبد الله يعمل بهذا الجسد . لما قال لأصحابه من الصف الأول المحمدي وقد قالوا له : هذا الذي خشيناك عليك : ما كان أعداء الله قط أهون على* منهم في هذا اليوم ، ولئن شئت غاديتهم بمنلها غدا .

ولقد كان عبد الله جديراً أن يغاديتهم بمنلها لولا أن الصحابة قالوا له حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون .

فهذه أيضاً من صفات عبد الله التي جعلت له منقبة في الإسلام لم يسمع بمثلها إلا عن عمر ابن الخطاب حين دخل الإسلام فأعلنه . ولكن فارقاً بينهما لا يجهل ، هو أن لعمر منعة في عشيرته وله قوته المادية ، وأما عبد الله فإن منعته في عشيرة السماء . وأكرم بها ، وفي قوة الروح وأهول بها ، أليس جديراً إذا بهذا الرجل أن يكون أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل هذه النفس السكريمة .

أليس جديراً بمثله ذلك ، وقد حاول أن يفنك يوم بدر بعصاة الكفر في زعيمها أنى جهل ولما سبق إلى ذلك علاه في مصرعه واحتز رأسه وأخذ يحرق به حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك له إعجاباً وتقديراً .

كان يتمثل في عبد الله ما وصف الله به جماعة الصف الأول أعظم تمثيل : لقد وصفهم الله سبحانه فقال : « والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتغون فضلاً من الله ورضواناً » ، فكان عبد الله شديداً على أعداء الحق فيما رأيت من بعض صورته ، رحيماً في جماعة الحق فيما استفاضت به أخبار الجماعة من مشابهته لرسول الله في دله وهديه ، وما اطردت به الأخبار من لينه ورفقه .

وقد استطارت الأخبار أن جماعة من خيرة هذه الأمة كانوا عند علي بن أبي طالب فقالوا : ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً من عبد الله بن مسعود ، ولا أرفق تعليماً ، ولا أحسن مجالسة ، ولا أشد ورعاً . فقال لهم علي : « أنشدكم الله ، أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، إني أقول بمثل ما قالوا وأفضل .

وأما ركوعه وسجوده فحسبك من رجل لزم باب النبي فلم يتركه في سفر ولا حضر حتى كان يرى من هله وهو غلام معلم ، وحريص على الاتباع والإفادة من كل مافي هذا الدين من أدب وتوجيه . روى صاحب أسد الغابة عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود قال : كان عبد الله إذا نامت العيون قام ، فسمعت له دوياء كدوى النحل حتى يصبح .

وروى أبو نعيم بسنده إلى عمر بن الخطاب أنه قال لرجل (في مناسبة) سأحدثك عن عبد الله ، « إنا سمرنا ليلة في بيت أبي بكر ثم خرجنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين أبي بكر : فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ ، فقام النبي ﷺ يستمع إليه فقالت : يا رسول الله أعتمت فغفرتني بيده أسكت . قال فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر

فقال النبي ﷺ : سل تعطه ، ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، الحديث (١) ، والاخبار في قراءته وحسب رسول ﷺ لها وثنائه عليها كثيرة ، وإنما المقصود إثبات أنه كان من الراكعين القانتين الذين يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً .

وجدير بمثله أن يكون مذهب النفس ، قوى الإيمان بالله حكماً فيما يباشر من أمر في الحياة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب .

وهل نجد تهذيباً أعظم من ضبط نفسه ، وعدم اغتراره بمركزه ، ووضع كل شيء في موضعه غير مباه ولا غفور ، فقد ولاه عمر بيت المال بالكوفة وما عرف رجل أشد تخيراً منه لعالمه ، وأقره إلى آخر حياته في حين أخذ على غيره من كبار الصحابة بعض الترخصات ، فعزل بعضاً وأدب بعضاً . ثم بقى في عهد عثمان واليا حتى كانت الفتنة ، وكان يخالف عثمان ولا يخرج عليه التزاماً لجانب الادب وتهدة الفتنة . ثم استدعاه عثمان فاستلجأ ولا خالف .

ولما قيل له أقم بالكوفة ونحن نمنعك قال قوله الفصل والحكمة والدين : إن له على حق الطاعة ، وإنما ستكون فتن وأمور ، فلا أحب أن أكون أول من فتحها ، فرد الناس وخرج إليه . رحك الله يا عبد الله لقد تخففت من جميع الاوزار . وتنفقت في كل أعمال الابرار ، حتى قال فيك حذيفة وهو الناقد العليم بالرجال : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة ، ولأننى أسأل الفارسي الكريم أن يتأمل قوله (أقربهم وسيلة) فهى عبارة تدل على أن جميع الاصحاب دونه . وهى عقيدة عجيبة جداً ومهما يكن فان لها دلالتها على مقام عبد الله وأن له أنصاراً ومعجبين من خلاصة الصحابة .

وبلغ من رفع محمد ﷺ قدرة أن قال : لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لأمرت عبد الله بن مسعود . وقالوا إنه بعد رسول الله ﷺ شهد المشاهد العظيمة ومنها اليرموك بالشام .

وقالوا إنه مرض فماده عثمان فقال : ما تشكى ؟ قال : ذنوبي . قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني . قال : ألا آمر لك بمطام ؟ قال : لا حاجة لي فيه . قال : يكون لبنائك ؟ قال : أخشى على بناتي الفقر ؟ وإني أمرت بناتي أن يقرأن سورة الواقعة ، وروى حديثاً في ذلك عن رسول الله .

وبعد فهذا ابن مسعود أقدم لك منه رجلاً فاضلاً تقياً عاملاً نافعاً مصلحاً صالحاً ، بعد أن قدمته لك قارئاً حافظاً وقيماً معلماً . وهو في كلنا حاله المثل الأعلى والنمط الذي لا يلحق فان تقاضيتني عدتي بنقل أقواله ، فلن أعتذر إليك على رغم إطالتي عليك ، ولكني سأورد لك القليل مجتزئاً به . والعلم أكثر من أن يحاط به .

وردت عن عبد الله بن مسعود آثار كثيرة في توجيه القارئ والعالم ، وفي الحث على العلم وطلبه . فمن ذلك قوله : « ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بلبيله إذ الناس نائمون . وبهضاه إذ الناس يفطرون . وبجزئه إذ الناس يفرحون . وببكائه إذ الناس يضحكون . وبصمته إذ الناس يخطون وبخشوعه إذ الناس يختالون ، ولا ينبغي لقارئ القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً ولا صياحاً ولا حديداً ، .

وقوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل . فان أصغر البيوت من الخير البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء . وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء تخراب البيت الذي لا عامر له . . إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره . . ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية . . ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم . . ويل لمن يعلم ثم لا يعمل سبع مرات . . ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : يا ابن آدم ما غرك بي . ابن آدم بماذا أجبت المرسلين . ابن آدم ماذا عملت فيما علمت . . إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه للخطيئة عملها ، .

ومن مواعظه التي تدل على صحة توحيده وزهده وإقباله على الله قوله :

« ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم .

ألا حبذا المسكروهان الموت والفقر . وأيم الله إن هو إلا الغنى أو الفقر . وما أبالي بأيهما ابتليت . إن كان الغنى ، إن فيه للعطف وإن كان الفقر ، إن فيه للصبر ، .

هذه حكمة تعلم الناس عدم التكالب وتلفتهم إلى تبعات الغنى وواجباته ، وأن المسال للعطف وإلا فاهلاك .

قال : « لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى ، والتواضع أحب إليه من الشرف . وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء .

« والذي نفس عبد الله بن مسعود بيده ما يضر عبدا يصبح على الإسلام ويمسى عليه ما أصابه في الدنيا .

« والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله خيرا أو يدفع عنهم سوءا إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا ، .

وقال رجل عنده : ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين . أكون من المقربين أحب إلى .

فقال ابن مسعود : لكن ههنا رجل يود أنه إذا مات لم يبعث ، يعنى نفسه .

وما أكثر مواعظه وجوامعه ومن أعجب المطولات المقبولة إلى نفسى قوله في حديث طويل : « وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها . وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . ونفس تنجها خير من إمارة لا تحصيها . وشر العذيلة حين يحضر الموت . وشر الندامة ندامة القيامة . وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى . وخير الغنى غنى النفس . وخير الزاد التقوى . وخير ما ألقى في القلب اليقين . وشر المعى عمى القلب . والخز جماع كل إثم . والنساء حباله الشيطان . والشباب شعبة من الجنون . والفرح من عمل الجاهلية ، . الخ ما قال .

رحم الله عبد الله لقد كان أمة يملأ الدنيا على ضآلة جسمه ، وقلة ماله وأحر بأن يقال في مثله :

والنجم تستصغر الأبصار صرورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

محمد النواوى

نشأة كتب المال خصائصها إمالي المرتضى

المرتضى هو أبو القاسم علم الهدى علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين ، يفتى نسبه في نظر النسابة إلى علي بن أبي طالب .

ولد ببغداد في سنة ٣٥٠ هـ ، وتوفي بها في سنة ٤٣٦ هـ ، وهو أكبر من أخيه الشريف الرضى الشاعر المشهور .

وصفه ابن بسام الأندلسي في آخر كتابه الذخيرة ، فقال : « كان هذا الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه انتمى علماءها ، وعنه أخذ عظامؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردتها وآنسها ، بمن سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، وحدث في ذات الله مآثره وآثاره ، تأليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين ، مما يشهد أنه فرع تلك الأصول ، ومن أهل بيت الرسول . »

آلت إلى الشريف المرتضى نقابة العلويين بعد أخيه الشريف الرضى - وهي رئاسة آل البيت العلوي والحكم فيهم مستقلين عن طبقات الأمة الإسلامية لما لهم من الاتصال بصاحب الرسالة عليه السلام - ولا يزال في أكثر البلدان الإسلامية نقابة للأشراف تنظر في شئونهم ، وإن لم يكن لها من الميزات كل ما كان لها في حكومة العباسيين أيام حياة الشريف المرتضى .

وكان المرتضى إماماً في علوم كثيرة كالفقه وعلم الكلام والأصول والآداب والنحو والشعر واللغة ، مما دعا أبا العلاء المعري إلى مدحه بقصيدة جاء فيها :

لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

قيل إنه مؤلف « نهج البلاغة » ، المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب ، وقيل إن أخاه الشريف الرضى هو الذي ألفه .

وله ديوان شعر يبلغ العشرين ألف بيت أو يزيد ، وليكن شهرته في الشعر أقل من شهره أخيه الشريف الرضى .

والشريف المرتضى فضل كبير على التعليم عند الشيعة ، كان يرعى علماءهم ويجرى عليهم الأرزاق من ماله ، وقد كانت له ثروة طائلة ، وجمع عددا كبيرا من الكتب ، واشتهر مجلس علمه ، فكان له تلاميذ كثيرون يحضرون عليه ، قيل إن عددهم بلغ الأربعمائة .

وله مؤلفات كثيرة ، ظلت تدرس مع التوفير في مدارس الشيعة ، عدة قرون ، خصراً كتابه « الذريعة إلى أصول الشريعة » ، وهو في أصول فقه الشيعة ، « نعى فيه بمسائل الخلاف أكثر من عنايته بما اتفق عليه .

ومن أشهر مؤلفاته كتابه « غرر الفرائد ودرر القلائد » ، المشهور بأمالى المرتضى . هذه الأمالى هي مجالس ، وكل مجلس يبدأ غالباً بآية من القرآن أو حديث ، ثم يستطرد المرتضى بعد ذلك إلى الشعر والأدب .

وأزهى ألوانها علم الكلام ، وبخاصة آراء المعتزلة ، ففيها تقرير لآرائهم ، ودفاع عن مذاهبهم ، ومناقشة لآراء المعارضين ، والرد عليها . فن موضوعاتها التي تمت إلى مذهب المعتزلة :

رؤية الله تعالى - خلق أفعال العباد ، مسألة إرادته تعالى القابض والرد عليها ، القول بوجوب الأصلح عليه تعالى .

وإلى جانب هذه الموضوعات الكلامية ، موضوعات طريفة في الأدب والنقد ، وتأويل الأحاديث ، وأصول اللغة ، وبين هذا وذاك استطرادات في ترجمة كثير من الشعراء والعلماء ، وتحقيق لأسرار بلاغية في أسلوب القرآن .

ففيها مثلاً حكمة التكرار الواقع في سورة « الكافرون » ، وسورة « الرحمن » ، وبيان أن ذلك جار على ما عرف في أساليب العرب في بلاغاتهم ، وسوق الأمثلة على ذلك .

وفيها باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسمى المسكنة . وتمهيد المصنف في ذلك . وفيها رد على الأمدى في نقده لشعر البحتري .

وفيها استرواح بذكر حكايات لطيفة وفكاهات خفيفة .

وفيها ترجمة لكثير من الشعراء والكتاب الذين انهموا بالزندقة كطبيع بن إياس ، وصالح بن عبد القدوس ، وابن المقفع وبشار بن برد .

وهذه الامالى عدد مجالسها ثمانون ، تبتدى بتأويل قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا . فففسقوا فيها) إلى آخر الآية .

وتنهى مجالسها بمجلس فى تأويل قوله تعالى (وهديناك النجدين) .

فروغ المرتضى من أماليه هذه أو مجالسه يوم الخميس فى الثانى والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٤١٣ هـ) .

وقبل أن نسوق أمثلة من تلك الامالى نحبب عن سؤال يدور فى ذهن الباحث وهو : كيف أن إماماً من علماء الشيعة يتولى الدفاع عن آراء المعتزلة والترويج لمذهبهم . أما كان الأجدر أن يكون لسانا من ألسنة الدفاع عن أهل السنة ؟ وللجواب عن ذلك نقول :

إن المرتضى نفسه جاء فى أماليه بما يصلح أن يكون جواباً ، فقد عقد فى أماليه المجلس العاشر ، جاء فيه .

« اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين على عليه السلام ، . فالشيعة إذن يعتقدون أن أصول المعتزلة مأخوذة من رأس أئمتهم على بن أبى طالب . فالمذهب الشيعى ينطوى بطبيعته على اتجاه يخالف اتجاه السنة مخالفه صريحة ، والنزعة الغالبة على التشيع فى المسائل التى لا تتأثر بالإجابة عليها بنظرية الإمامة إنما تقترب كثيراً من نزعة المعتزلة ، حتى أن فقهاء الشيعة عرفوا كيف يستعينون بالآراء الاعتزالية على بناء القواعد الخاصة بمذهبهم ، فقد مالوا إلى أن يتسموا بالعدلية ، أى أنصار العدل ، وفى هذا كما يبدو اتصاف باللقب الذى أطلقه المعتزلة على أنفسهم .

ومن مبادئ المعتزلة التى تتجلى فيما أقره فقهاء الشيعة ، مسألة أن الإمام الخفى ينتمى إلى مدرسة العدل والتوحيد ، أى إلى مذهب المعتزلة .

وقد قال الشيعة كما قال المعتزلة بأن صفات الله غير ذاته ، وبأن القرآن مخلوق ، وبإنكار الكلام النفسى ، وإنكار رؤية الله بالبصر فى الدنيا والآخرة .

كما وافق الشيعة المعتزلة فى القول بالحسن والقبح العقليين وبقدرة العبد واختياره ، وأنه تعالى لا يصدر عنه قبح ، وأن أفعاله معللة بالعلل والأغراض .

على أن كثيراً من المعتزلة كان يتشيع ، والظاهر أنه عن طريق هؤلاء تسربت أصول المعتزلة إلى الشيعة .

وبعد ، فهناك أمثلة من أمالي المرتضى تصور فنونها المختلفة ، واتجاهاتها المتعددة .

قال في المجالس التاسع :

إن سألت سائل :

ما وجه التكرار في سورة (الكافرون) وما الذى حسن إعادة النفي لكونه عابداً ما يعبدون ، وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكر ذلك مرة واحدة يغنى ؟

وما وجه التكرار في سورة (الرحمن) بقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ؟
عن هذا السؤال ثلاثة أجوبة :

أولها : ما حكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال : إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى .

وتلخيص الكلام : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفى هذه الحال ، ولا أنتم عابدون ما أعبد فى هذه الحال أيضاً ، واختص الفعلان منه ومنهم بالحال . وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم فى المستقبل ، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون .

فاختلفت المعانى ، وحسن التكرار فى اختلافها ، ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن . وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد .

والجواب الثانى : وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد ، كقول المجيب مؤكداً بلى ، بلى ، والممتنع مؤكداً : لا ، لا . ومثله قول الله تعالى (كلا سوف تعملون ثم كلا سوف تعملون) .

والجواب الثالث : وهو أغربها أنى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أى أنتم غير عابدين الله الذى أنا عابده إذ أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وإنما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى لست أعبد عبادتكم ، و (ما) فى قوله (ما عبدتم) فى موضع المصدر كما قال تعالى (والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها) أراد طحيته لمياها ، وتسويته لها .

وتلخيص ذلك أن النبي ﷺ قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعونه من دون الله ولا أنتم عابدون إلهي ، وإن زعمتم أنكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجه في اختلاف العبادة ؟

قلنا إنه ﷺ كان يعبد من يخلص له العبادة ، ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون فاختلفت عباداتهم ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يعتقدون جهلاً ، أنها عبادة وقربة .

فأما التكرار في سورة (الرحمن) فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعدة ، فكما ذكر نعمة أنعم بها ، قرر عليها ، وويج على التكذيب بها ، كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن إليك بأن خولتك الأموال ؟ ألم أحسن إليك بأن خلصتك من المسكاره ؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا ؟

فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به . وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم . قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليباً :

وهمام بن مرة قد تركنا	عليه الفشعمان من الفسور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا طرد اليتيم عن المجزور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا خيف الخوف من الثغور

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثي زوجها :

وحدثني أصحابه أن مالكا	أقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني أصحابه أن مالكا	ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثني أصحابه أن مالكا	جواد بما في الرحل غير بخيل

وهذا المعنى أكثر من أن نخصيه .

فإن قيل : إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه ، فقد عدد فى جملة ذلك ما ليس بنعمة ، وهو قوله تعالى : (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتهران) وقوله : (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس هذا من الآلاء والنعم ؟

قلنا : الوجه فى ذلك أن فعل العقاب ، وإن لم يكن نعمة ، فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ، لأن فى ذلك زجراً عما يستحق به العقاب وبعثاً على ما يستحق به الثواب .
مثال آخر :

قال فى المجلس السابع والأربعين ، .

رأيت الآمدى قد أخطأ فى معنى قول البحترى :

من يتناول على مطاولة العيش — يش تققع من ملة عمدته

حيث قال : معنى يتققع من ملة عمدته أى عظامه يحى لها صوت إذا قام وقعد من كبره وضعفه . قال وقوله - من ملة - أى من تملى العيش يريد طوله ودوامه ، ومنه تمليت حبيك .

والأمر بخلاف ما توهمه ، ومعنى : تققع من ملة عمدته . أى من تناول عمره تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا ، وكفى عن ذلك بتققع العمد . وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : من يتجمع ، يتققع ، عمدته ، يريدون أن التجمع داعى التفرق ، وإن الاجتماع بعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتققع معه العمد .

والآمدى مع كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى البيت يطابقه فهو أظرف . هذان المثلان لا يفتيان فى معرفة قيمة الكتاب عن مطالعته ومدارسته .

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بكلية الآداب . جامعة القاهرة

الجهاد على مراتب العبادَةِ في الإسلام بيان لمؤسّادنا الكبير شيخ الجامع الأزهر

أهد فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر بياناً في توضيح مراتب الجهاد في الإسلام ، وتبيان نظامه العسكري ، في زمن النبي محمد ﷺ ، وكيف أنه كان يستعرض بنفسه أبناء المسلمين مرة في كل عام ، وكيف كان يعدمهم وهم في الحول الخامس عشر رجلاً مكلفين بأداء ضريبة الدم ، ويجيز لهم حمل السلاح تحت إشراف القيادة ، ونحن ننشر هذا البيان فيما يلي :

الرسالة الإسلامية رسالة (سلام) ومنه اشتق الله اسم (الإسلام) - غير أنها قبل أن تكون رسالة سلام كانت رسالة الحق ، ومن تمام رسالة الحق حمايته .

وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الحقيقتين في آيتين متعاقبتين من سورة الانفال ، فقال عز وجل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، ثم قال بعدها : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

فالحق والسلم هما غاية الإسلام ، ولما كان من دأب الإنسانية أن أهل الحق معرضون فيها دائماً لبغى أهل الباطل عليهم وطمعهم فيهم واعتدائهم على حقهم ، فقد أمر الله أهل الحق بالاستعداد لحمايته بكل ما في طاقتهم ، وبكل ما يصل إليه العقل البشري والعلم الإنساني من وسائل القوة وفنونها وأنظمتها وصناعاتها بحسب ما تقتضيه حاجة العصر ، وعلى قدر ما تمس إليه الحاجة .

وبالفعل صار هذا الاستعداد ، من آداب الإسلام ومن شيمة المسلمين .

لقد كان من نظام الإسلام العسكري في زمن النبي ﷺ أن يستعرض النبي بنفسه أبناء المسلمين مرة في كل عام ، فن بلغ منهم الخامسة عشرة عشرة عدة من الرجال المكلفين بضريبة الدم وأجازه ليحمل السلاح تحت إشراف القيادة وأمره بالاستعداد لإبراز نشاط رجوانه ، ومن كان دون الخامسة عشرة رده إلى أن يبلغ هذه السن ، وكان غلمان المهاجرين والأنصار يتنافسون في هذه الشهادة لهم بأنهم صاروا رجلاً ، وأنهم نالوا شرف الانخراط في سلك

المجاهدين ، ويحزن الغلام منهم أشد الحزن إذا أرجىء إلى سنة أخرى . حتى إن سمرة بن جندب لما رده النبي ﷺ لأنه لم يبلغ الخامسة عشرة ، قال له : يا رسول الله : أجزت فلانا ورددتني ، ولو صار عني لصرعته ! فتبسم ﷺ وقال له : صارعه ! قال سمرة : فصارعته فصرعته ، فأجازني !

وهكذا كان المسلمون أمة دفاع وكفاح وجهاد وتحرير من يوم يبلغون الحلم إلى أن يلقوا الله . فهم في حربهم أمة عسكرية لا يتخلى فيها عن ضريبة الدم أحد من عالم أو تاجر أو سرى ، أو عامل ، أو زارع ، إلا أن تشغله الدولة في جهاد آخر هو من لوازم الجهاد العام وفي حالة السلم يتمرنون باستمرار على فنون الحرب واستعمال السلاح .

روى البخارى في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ خرج على نفر من قبيلة أسلم وهم يفتضلون (أى يترامون بالسهم على سبيل التمرين) فقال لهم : د ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان ، فلما قال ذلك أمسك الفريق الآخر عن الرمي ، فقال لهم : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال : ارموا وأنا معكم كلكم .

وفي كتب السنن من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال : إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه ، والرامي به ، والممد به (أى الذى يناول الرامى النبل للرمى به) ثم قال : د ارموا ، واركبوا . وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا . كل لهو باطل إلا ثلاثا : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله . ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها .

وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أيضاً أن فقيما اللخمي قال له : تختلف بين الغرضين (أى بين الهدفين اللذين تسدد السهم نحوهما) وأنت شيخ كبير يشق عليك ؟ فقال له عقبة : لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه : سمعته يقول : د من علم الرمي ثم تركه فليس منا .

وفي صحيح البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عروة بن الجعد أن النبي ﷺ قال : الخيل معقود في نواصيها الخير - الأجر والمغنم - إلى يوم القيامة .

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ كان يضمير الخيل يسابق بها .

والاستعداد للجهاد من تمام الجهاد . بل هو كالسلاح ، عنصر أساسى من عناصره ، وممارسة الاستعداد بفيه الجهاد عبادة كعبادة الجهاد . لأن المجاهد إذا لم يستعد للجهاد بالتمرين وممارسة استعمال السلاح لا يقوى على أداء هذه المهمة عند الحاجة إليها .

والمسلمون الأولون كانوا دائماً على قدم الاستعداد لكل طارئ حربى ، فلم يستطع عدو أن يفاجئهم بسوء وهم على غرة .

وإن النبى ﷺ كان مفعوراً على اليقظة للطوارئ ، وهو أعظم استعداداً لاستقبالها منهم جميعاً .

روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن ومؤلفو كتب السيرة النبوية أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة لصوت استغاثة سمعوه . فانطلق ناس منهم إلى جهة الصوت . فما راعهم إلا أن رأوا النبى ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى جهة الصوت واستبرأ الخبر على فرس عرى لآبى طلحة ، والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » .

وتنظيم الصفوف عند القتال ، وفى التمرين للاستعداد له من أعظم القربات عند الله . والنبى ﷺ كان يقوم به بنفسه ويندب له خاصة رجاله . وقد ذكر الإمام أبو منصور الماترىدى وغيره فى تفسير آية « وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال » أنها تشريع فى تعاهد ولاية الأمر أحوال الجند وتنظيمهم ودفع الخلل والضيايع عنهم ، وأن على الأمة طاعة الأئمة فى هذا التنظيم . وللإمام أبى الوليد الطرطوشى فصل فى تفصيل ذلك بحسب نظام الجند فى زمانهم ، وهو فى كتاب (سراج الملوك) وهو يقول : إن على كل أمة إسلامية أن تقوم بالتنظيم العسكرى اللائق بزمانها . ونقل قول الحكماء « الملك بناء والجند أساسه . فإذا قوى الأساس دام البناء ، وإذا ضعف الأساس انهار البناء » .

وكل الذى تقدم خاص بالاستعداد والتمرين فى زمن السلم ، أما الجهاد عند وقوع الحرب فهو أعلى مراتب العبادة فى الإسلام ، والنصوص على ذلك تملأ السكتب .

روى البخارى ومسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات ربه لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع .

وروى البخارى من حديث عبد الله بن عباس أن النبى ﷺ قال : « ما أغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار » .

نشأة المعجم اللغوي وطورها

تدوين اللغة

— ١ —

تنشأ الحاجة إلى تدوين اللغة بتأثير واحد أو أكثر من عوامل مختلفة :
مثل القصد إلى حفظ هذه اللغة عند خشية تلاشيها وذهاب ريجها من اثر الاحتكاك
بلغة أو لغات غريبة عليها .
أو الحرص على تسجيل آثارها ، لا سيما إذا بلغت تلك الآثار مستوى غير عادى
في ميادين النتاج العقلى .

أو تيسير تعليمها : لا بنائها أنفسهم ، إذا اتسعت دائرة الناطقين بها ، وتشعبت بهم
الأوطان والمنازل ، أو للأجانب الطارئین عليها ، إذا تجلّى إقبالهم نحوها ، وحرصهم على
الاستمداد من معينها ، والاقتباس من نورها .

أو تسهيل متناولها لاستخدامها في الترجمة والتأليف ونحو ذلك من الأغراض .
أو محاولة تكملة ما بها من نقص يعوقها عن بجمارة التطور ، وتوسيع نطاقها على نحو
يجعلها أداة كافية وافية للتعبير في شتى فنون البيان .

إلى غير ذلك من العوامل .

إذا فالشعور بالحاجة إلى تدوين اللغة وليد يقظة في وعى الناطقين بها ، ونتيجة تقدمهم
في ركب الحضارة ، واتصالهم بأسباب العلم والمعرفة ، وإدراكهم لما يستطيعون أن يقدموه
إلى الإنسانية عن طريق لغتهم من وسائل تستحث هذه الإنسانية في سبل الخير والحق والجمال .
وربما استطعنا أن نستخلص من هذه الحقيقة عدة نتائج :

١ — أنه إذا كانت الحضارة لم تبسط ألويتها على الإنسانية منذ البدء ، بل كانت مرحلة
نهائية من مراحل حياتها ، وأدوار صراعها للاحتفاظ بالبقاء ، فلا جرم أن تكون

قد افترضت لغات أو لهجات بدائية سبقت موكب الحضارة ، قبل أن يمتد إلى الإنسان إلى وسيلة من وسائل تسجيلها ، أو يشعر بالحاجة إلى هذا التسجيل .

٢ — أن هذه الحقيقة قد تفسر لنا ظاهرة متجلية في كل ما كشف عنه إلى الآن - على وجه التقريب - من اللغات القديمة ، إذ نجد أكثرها قد وصل إلينا على مستوى من النضج أقرب إلى حدود السكال .

بل لقد نجد بعض هذه اللغات أقرب إلى غاية السكال كلما تعمقنا معها إلى حياتها الأولى ، كالأكادية التي نجد لها في قوافين حمورابي ، أميل إلى الاحتفاظ بصورة ثابتة من القواعد والقوالب ، كما أنها أشد حرصاً من الكتابات المتأخرة على متابعة الإعراب ، والدقة في استعماله . وقد سجلت العبرانية والسريانية ، مثلاً ، في طور ينم على درجة من الانحلال ، كانت مسبقة بصورة أتم وأدق وأقرب إلى السكال .

٣ — أن حصول التسجيل اللغوي في عهد استكمال اللغة ، أو انحلالها المسبوق بالسكال أو ما يشبهه ، ربما كان من الأسباب القوية في ظاهرة من الاضطراب العلمي تتجلى بوضوح في نظر القدماء إلى أصل اللغات .

ذلك هو ما نجده عند علماء اللاهوت السابقين على الإسلام ^(١) ، وعند بعض علماء اللغات الإسلاميين ^(٢) ، الذين يرون أن اللغات توقيفية عليها الله آدم ، أو نزل بها الوحي على الأنبياء .

فقد تكون هذه الصورة النهائية القريبة إلى السكال ، التي كانت عليها اللغة عند خصلها أو تسجيلها ، أو قبل ذلك التسجيل ، مدعاة إلى توهم أو تلك العلماء أن هذا السكال لا يمكن أن يكون من صنع بشر ^(٣) .

وقليل من العلماء القدامى من أدرك سر التطور اللغوي ، واهتدى إلى أن هذا السكال إن هو إلا صورة ناضجة من النحو اللغوي الحي ، الذي تضافرت عوامل كثيرة على تغذيته وإنضاجه .

(١) أنظر الفصلة ١٩ فما بعدها من الإصحاح الثاني من سفر التكوين .

(٢) أنظر المظهر للسيوطي ج ١ ص ٥ فما بعدها (بولاق) .

(٣) أنظر كلام ابن جني في الخصائص ج ١ ص ٤٧ (دار الكتب ١٩٥٢) .

على ضوء ما ذكر من وجوه الحاجة إلى التدرين للغوى ، وباستعراض الأمم ذوات الحضارات القديمة ، نستطيع أن نقبين عند تلك الأمم جميعاً خطوات هدفت إلى تسجيل لغاتها تسجيلاً أكثر من الاقتصار على تخليد نتاجها العلمى والأدبى ، أعنى بالنأليف اللغوى المباشر ووضع المجاميع أو المختصرات التى تقصد إلى تفسير طائفة أو طوائف من الألفاظ ، مرتبة على وجوه مختلفة من الترتيب المعنوى أو الموضوعى أو نحو ذلك .

وجد ذلك عند الأكاديين والمصريين والهنود القدماء ، كما وجد عند الإغريق واللاتين ، وفى استطاعة من يعنى بالرجوع إلى تاريخ الأدب عند كل من هذه الأمم أن يجد تحقيق ذلك . بيد أن الرغبة فى وضع ديوان جامع يهدف إلى حصر اللغة ، وضم شتاتها ، ولم شعها ، أمر لا يزال محتاجاً إلى الدليل العلمى التاريخى على وجوده عند الأمم التى ازدهرت حضاراتها قبل العرب .

ومن هنا قد نستطيع أن ندعى أن وضع المعجم اللغوى من حيث هو معجم ، أى مرتب على حروف المعجم ، هو من ابتكار العرب لم تسبقهم إليه أمة ، على الأقل إلى أن يثبت بالدليل العلمى ما يناقض ذلك .

وينبغى أن تقدم كلمة موجزة لتحديد ما نقصد إليه .

— ٢ —

اشتهر لفظ : « المعجم » ، فى الأدب الإسلامى للدلالة على نوع من المؤلفات المشتملة على مجموعة من التفسيرات اللغوية أو العلمية ، مرتبة على حروف المعجم .

وحروف المعجم معناها حروف الإجماع ، كالمدخل بمعنى الإدخال ، والمخرج بمعنى الإخراج :

« وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق » .

وحروف الإجماع أى الحروف التى من شأنها أن تعجم ، أى حروف : أبجد هوز الخ ..

والإجماع من : أعجم الكتاب فقط ، كعجمته وعجمته ؛ قال صاحب القاموس : وقول الجوهري لا تقل عجمت وهم .

وكان معنى إجماع الحرف هو إزالة ما به من عجمة بواسطة النقط المدين للنطق ؛ وعلى

ذلك فالحزمة فيه بمعنى السلب ، كما في أقسط بمعنى عدل أى نفي القسط وهو الظلم ، وكما في أشكى أى أزال الشكوى من شكا .

هذا ، والأصل في تسمية الكتاب بالمعجم أن ترتب معلوماته على الحروف ، وإذا فلا يصح أن يطلق على غير ذلك من مجاميع اللغة أو غيرها اسم المعجم إلا تجاوزاً ، مثل كتب الغريب في اللغة والقرآن والحديث ، التي رتبت على طوائف مختلفة من المعاني والموضوعات ، وغيرها من المجاميع اللغوية التي لم ترتب على حروف المعجم ، كما في : فقه اللغة للثعالبي ، والألفاظ الكتابية للهمذاني ، والمخصص لابن سيده ، ونحو ذلك ؛ وإن تساهل بعض المتأخرين^(١) في إطلاق التسمية بالمعاجم اللغوية على مختلف الكتب التي عنت بجمع اللغة مطلقاً .

وعلى ذلك فالمعاجم اللغوية عند العرب مثل : القاموس المحيط للفيروز آبادي ، لسان العرب لابن منظور ، الصحاح للجوهري ، الجمهرة لابن دريد ، التهذيب للأزهري ، العين للخليل بن أحمد .

والمعاجم غير اللغوية مثل : الإصابة في تاريخ الصحابة لابن حجر ، وما شاكل ذلك من كتب الطبقات أو دوائر المعارف المرتبة على الحروف .

— ٣ —

أصل الفكرة في ترتيب اللغة على الحروف هو القصد إلى الحصر والاستقصاء ، أى حصر المفردات اللغوية واستقصائها حسب الإمكان .

ذلك أن اللغة ليست علماً منهجياً يمكن ضبطه تحت أبواب ، أو قواعد ، أو موضوعات ، كما يتأتى ذلك في مختلف العلوم والفنون . وإنما اللغة صيغ وأبنية تتألف من الحروف والأصوات على نظام معين ، وصور متعددة داخل هذا النظام ، فالحروف هي الإطار

(١) وقع كثير من العلماء المحدثين في ذلك التساهل ، مثل الدكتور على عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٨٩ فما بعدها ، والظاهر أن منشأ ذلك هو التساهل في ترجمة الألفاظ الدالة على معنى القوميس ودوائر المعارف في اللغات الأجنبية مثل الكلمات : Dictionnaire وLexicon ، وVocabulaire ونحوها ، ولكن هذه الكلمات لا علاقة لها في أصل معناها بالترتيب على الحروف ، وإنما معناها : كتب المفردات أيما كان ترتيبها .

الشامل الذى يضم شملها ، ويجمع شتاتها ؛ وهى التى يمكن بواسطتها - حتى عن طريق الحساب العقلى - استقصاء جميع احتمالات أوزانها وقولها .

بقى لنا أن نتساءل : هل ذلك القصد إلى حصر اللغة واستقصائها كان موجوداً عند غير العرب محمد سبقهم من الأمم ، أو أنه لم يوجد أولاً إلا عند العرب ، وما الذى دعاهم إلى ذلك ؟ نعم وضعت مؤلفات لغوية قبل العرب - كما ذكرنا - فى تفسير مجاميع من المعانى والموضوعات ، ولكنها كانت بعيدة عن غرض الحصر والاستقصاء بحكم الدواعى التى أوحى بالحاجة إلى ذلك . فقد كانت هذه الدواعى لا تعدو القصد إلى تفسير كلمات غريبة على اللغة لتكونها دخيلة فيها ، كما كان الشأن فى القوائم اللغوية الأكاديمية التى عنت بتفسير الدخيل فى اللغة السامية الأصل من السومرية الغربية عنها ؛ أو شرح عبارات وألفاظ أهم معناها ، أو غمض أصل تكوينها ، بسبب تقادم العهد وتطور اللهجات ؛ أو لغرض التعليم المدرسى الذى يتطلب محصولاً من الكلمات ووجوه التعبير يعين الناشئة على التمرس باللغة أو التمكن منها ؛ إلى غير ذلك مما حصل عند الإغريق واللاتين وغيرهم .

يبد أن هناك عاملاً هاماً ربما كان قد حال بين الأقدمين وبين القصد إلى حصر اللغة واستقصائها . ذلك هو أن اللغة فى طبيعتها كما نرى حتى دائم النمو والتجدد ، قابل للتغيير والتطور . وهذا قد يجعل من المتعذر الإحاطة بها فى جميع بيئاتها وميادين استعمالها ؛ أو على الأقل لا بد أن يوجد من المرجحات القوية الملزمة ما يجعل القيام بذلك فرضاً ومقصداً من المقاصد الأساسية .

وأغلب الظن أن مثل هذه المرجحات لم يتحقق وجودها على الوجه الأكمل قبل الإسلام . فالإسلام ، الذى قامت رسالته على الدعوة العالمية إلى الهداية الإنسانية المطلقة ، يصنع الحضارة العربية بصبغة ربما اختلفت ، من الوجهة التى ذكرنا ، عن جميع حضارات الأمم السالفة ، سواء فى ذلك الحضارات الروحية والمادية .

وبما أن منبع الإسلام ، وشرعة هديه هو القرآن الكريم ، المنزل بلسان عربى مبين ، لا جرم أن تسكتسب العربية بسبب ذلك لوناً من القداسة فى أعين المسلمين أجمعين .

ولذا فلا بد من إحاطة العربية بكل الوسائل التى تحول دون ضياعها وانحلالها ، وتحفظها من الوهن والسقم ، وتفيد كل شاردة وواردة منها ، وتستبقى لها على أقل تقدير الصورة التى

نزل القرآن بها ، والتي تسمح بحمل القرآن على كره الدهور ، ومر العصور شرعة سائغة ، وموردا معينا .

هذه العقيدة في وجوب دوام اللغة وخلودها على درجة معينة من درجات النبو التي وصلت إليها ، ربما لم تكن قد تغلغت في أمة من الأمم قبل الأمة العربية (بالمعنى العام) . نعم كانت اللغة السفسكريدية عند الهنود القدماء لغة مقدسة ، وكانت هذه الفكرة عنها سبباً في بذل كثير من المحاولات العلمية لتخليدها والاحتفاظ بها ، بل لقد تولدت من ذلك أيضاً دواعي التأليف اللغوي الحاضر ؛ ولكن هذا التأليف لم يقدر له البروز إلى حيز الوجود الواقعي ، كما سيأتى .

يبد أن طابع اللغة السفسكريدية ، وطابع ما ألف بها من كتب دينية يختلف اختلافاً بيناً في النظرة العالمية ، والروح الوجودية العملية عن الإسلام .

أما محاولات السريان في مدرسة جنديسابور ، وعنايتهم بدراسة النحو السرياني وضبطه ، فهي بعيدة عن حصر اللغة التي كان تفرعها وتشعب مواطنها أوسع نطاقاً من جهودهم .

وجملة القول أن علماء العربية القدامى كانوا ينظرون إلى عربية القرآن على أنها غاية للنمو اللغوي العربي ، ومثل أعلى لسلك التعبير والبيان ؛ وأن كل تطور في اللغة بعد ذلك لن يكون تطوراً نحو السمو والنمو الحيوى ، بل انحداراً إلى الانحلال والاضمحلال المرضى ، وإذا فلتتضافر الجهود ، وتنشط الهمم إلى بحث وسائل الوقاية والتصحيح والتخليد ؛ لا سيما وقد خاطب الإسلام الإنسانية جمعاء ، وعدّها أمة واحدة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . وإذا فقد نستطيع أن نفسر حرص العرب منذ عهد صاحب الرسالة ﷺ على صيانة العربية من اللحن والخطأ ؛ وإقبال الناس من شتى الأمم على تعلمها والتضلع منها ، ونشاط كثير من العلماء إلى جمعها وضبطها ، ورواية آثارها ، وتسجيل نتاجها ، ونبوغ عدد غير قليل من الأجانب وبلوغهم الغايات القصوى في إجادة التعبير بها .

كما قد نستطيع على هدى الموازنات المختلفة أن نزعّم أن الوعي اللغوي الحافظ إلى حماية اللغة وحفظها قبل العرب لم يكن يبرز إلى الواقع إلا بعد أن تجرى الأمة المقدمة عليه أشواطاً غير قصيرة المدى في ميادين الحضارة والمعرفة ؛ على حين تجلّى ذلك الوعي مكتملاً عند العرب في مفتتح حياتهم العالمية ، وربما قبل انبعاث حيائهم العلمية . (يتبع)

دكتور عبد الحليم النجار

أستاذ بكلية الآداب - جامعة فؤاد

ذُو النَجْدِ الْأَسَدِ
 مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٌ بْنُ حَرْمٍ
 بَعْلُ الْأَسَدِ الْأَسَدِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٌ بْنُ حَرْمٍ

أصحاب القلب

كانوا أربعة وعشرين رجلاً هم : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، وأبو جهل بن هشام ، وعبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة ، وسعيد بن العاص بن أمّية ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والوليد بن عتبة ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدي ، ونوفل ابن عبد ، وزمعة وعقيل ابنا الأسود ، والعاص بن هشام أخو أبي جهل ، وأبو قيس بن الوليد ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي ، وعلى بن أمّية بن خلف ، وعمر بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ، ومسعود بن أبي أمّية أخو أم سلمة ، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي ، والأسود ابن عبد الأسد أخو أبي سلمة ، وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي ، وأمّية بن رفاعة . أمر النبي ﷺ فآلقوا في القلب ، إلا أمّية بن خلف فإنه انتفخ في درعه ففلاها ، فذهبوا يحركوه فترايل ، وتقطعت أوصاله ، فآلقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة :

تلك عقي البغي ، فانظر كيف عادا
 رأيت القوم شراً وأذى ؟
 غيبوا في حفرة مسجورة (١)
 ملئت رعباً ، وزيدت روعةً
 قف عليها ، وتبين ما بها
 يا لهم إذ زعموا أصنامهم
 جلّ ربّ لم يفادر بأسه
 خاصموا الله ، وعادوا جنده
 هي غرتهم فضلوا وعتوا
 حلقوا بالامس في طغيانهم
 عظمت في التراب كانت فتنة

يا له من مُصعّب ألقى القيادا
 ورأيت القوم ناراً ورماذا ؟
 تخمد الدنيا ، وتزداد اتقادا
 من عذاب كان ضعفاً ، ثم زادا
 هل ترى إلا انتفاضاً وارتعادا ؟
 'تعجز' الله كفاحاً وجلادا
 أنفساً منهم ، ولم يترك عتادا
 وأرى الأصنام أولى أن تعادى
 واستحبوا الكفر بغياً وعتادا
 ثم بادوا في مهاويهم وبادا
 وعذاب كان شراً وفسادا

كل هنيئاً من قلب قرم^(١)
 طال منك الصوم ، واشتد الطَّوَى^(٢)
 جربوا الحرب ، وجابوا فلقوا
 سمعوا الصَّوت ، وما من ناطق
 يا (رسول الله) هم في شأنيهم
 صدق الوعد ، فكل موطن
 أنكروا الحق ، وراموا غيره
 هكذا من يعبد الطاغوت لا
 جل ربي وتعالى ، إنه
 لارفعني يا دولة الحق العباد
 أي حق ذل في سلطانه ؟
 إن لله سيوفاً مُخْذِماً^(٣)
 بعث الاسطول في آياته
 قوة أرسلها من أمره
 إن كل الخير يا (صفوان)^(٤) في

يبلغ الكفار مثني وفرادي
 غنذ القرم النهما وازدرادا
 مُغْماً جئلي ، وأهوالا شدادا
 يخبر السائل منهم حين نادى^(٥)
 غمرة تطغي ، وبلى تتمادى
 يا له منهم يقيناً لو أفادا
 فكأن الله لا يجزي العباد
 يتقى رباً ، ولا يرجو معادا
 بالغ من كل أمر ما أرادا
 وأقيمي يا طواغيت الحدادا
 أي زرع عز في في الدنيا وسادا ؟
 وجنوداً لا يملون الجهادا
 جائل يعي الاساطيل اصطيادا
 تفتح الدنيا ، وتحتل البلادا
 مهلك القوم ، فلا تعد الرشادا

(١) القرم الشديد الشهوة للحم ،

(٢) الطوى الجوع .

(٣) جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى القلب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادي زعماءهم بأسمائهم ويقول : هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً ؟ فأتى وجدت ما وعدني الله حقاً وفي رواية : أنه قال لهم : بنس عشرة كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخبرتموني وآواني الناس ، وقتلتموني ونصرني الناس .

(٤) قواطع .

(٥) جلس عمير الجمعي مع صفوان بن أمية بن خلب بالحجر ، فتذاكرا ما أصاب قريشا يوم بدر وذكر أصحاب القلب ومصاهم . فقال صفوان : والله ما في العيش خير بعدهم . فقال عمير : صدقت ، أما والله لولا دين على ليس له عندي قضاء . وعيال أخشى عليهم الضيق بعدي ، لكنني آتي محمداً حتى أقفله وأن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم فأغتنمها صفوان وقال له : على دينك ، أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا فتماقداً على ذلك ، وأخذ عمير سيفه فشجده وسنه ثم انطلق حتى قدم المدينة ، ودخل به عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بمحافته في عنقه . فقال له : أرسله يا عمر

دع (عميرا) لا تهججه وانهد
أخذ السيف صقيلا مرهفأ
ظل يسقيه ، وما أدراه ، هل
كره الحق ، فلما جاءه
من حديث أنبأ الله به
قال : أسلمت لربي ، وكفى
إقرأ القرآن ، واتبع هديه
لأنه النور الذي يحلوا الحمى
أين يا (صفوان) ما أمثلته ؟
يا لها داهية طارت بها
لا تظن الجود كدينأ يُشتري
ستراه واديا من نعم
هو من فيض العباب المرتى
(الرسول السمح) والمولى الذى
افترح ما شئت ، واطمع ، لا تخف
حبذا الموئل فيما تتقى
سبب لله ، من يعلق به

إن للعاقل فى الامر اثقادا
بأخذ الأبطال والبيض الحدادا
كان سمأ ما سقاه ، أم شهادا ؟
نبيذ الحقد ، وأصفاه الودادا
خير من حدث عنه فأجادا
بالسبل السمح دنيا واعتقادا
يا عمير الخير إن ذو الغنى حادا
إن السر الذى يحى الجمادا
أين ما حدثت تستوى السوادا ؟^(١)
أعقب الجو^(٢) وقد كانت نأدا^(٣)
سترى الجود المصطفى والجوادا
يعجز الآمال سعيأ وارتبادا
يتقى الأرض مسداً واطرادا
يسع الاجيال برأ وافتقادا
من ندى كفيه نقصأ أو نفادا
من أذى الدهر ، وما أعلى المصادا^(٤)
لم يخف ضيأ ، ولم يخش اضطهادا

== أذن يا عمير ما القى جاء بك ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم (يعنى ولده ، واسمه وهب)
قال : فما بال السيف ؟ قال : وهل أغنت السيوف عنا شيئا ؟ قال النبي : بل قدمت أنت و صفوان بن أمية
فى الجبل (وذكر له ما كان بينهما) . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، الحمد لله الذى هدانى للإسلام .
قال النبی لأصحابه حين أسلم عمير : فقهوا أخاكم فى دينه ، واقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره
ففعلوا ، وأسلم ابنه رضى الله عنهما .

كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة : أئبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر ! .
أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم
واديأ مملوءأ من النعم ، وكان يسمى سيد البطحاء .

(١) السواد : العدد الكثير ومنه السواد الأعظم .

(٢) الأعقب . جمع عقاب .

(٣) نأدا . الداهية العظيمة .

(٤) المصاد الهضبة العالية . وأهل الجبل .

رمضان وشيطانه

تكون منهمكا بعملك أو لهوك مستغرقاً فيه لا تكاد تشعر بنفسك ، فيصل عقرب الساعة إلى الموضع الذى كنت عقدت عليه جرسها ، فينبهك إلى حلول الوقت الذى أنت فى انتظاره . وحينئذ تخرج مما كنت فيه ، وترى كأنك كنت نائماً فاستيقظت .

ذلك مثل شهر رمضان مع غيره من أشهر السنة : يكون الناس قبله كالقافلة التى تسرى فى جوف الليل لا تعرف من الوجود شيئاً غير أنها تسرى ، فيطلُّ عليها القمر من وراء الجبل فيبدو لها كل أمر من أمورها كأنما هو جديد .

فأهلاً بشهر رمضان نجدد به أنفسنا ، وننتبه لها ، بعد أن كنا فى غفلة عنها . الناس فى سكرة : فمنهم من يرجع إلى نفسه فيصحو فى رمضان ، وما يزال الصحو يتسع ويشيع فى عوالم نفسه حتى يهvir من أهل البصيرة .

ومنهم من يزيده رمضان ارتكاساً فى سكرته ، فلا يخرج منها إلا يوم يجتاز القنطرة التى يجتازها كل ابن أنثى بين حياتين : لإحداهما سريعة كالحتيال ، وأخرى دائمة دوام الأبد . رمضان شهر يذكرك بنفسك ، فتخلو بها تحاسبها وتحاسبك . وكلّكم خرج الموفقون من هذا الحساب إلى حياة جديدة يتعجبون كيف كانوا فى غفلة عنها ، وكيف كانت أوهام المجتمع تحجب عنهم جمالها .

فى رمضان نغير حياتنا ، وهذا التغيير ضرورى لتجديد الحياة ، وتجديد الحياة ضرورى لمن يريد أن يلتفت إلى الوراة ينظر فى أى طريق كان سائراً ، ثم يرسل نظره إلى الأمام يكتشف المصير ... فى رمضان نحاول أن نقهر النفس لنعوّدها الطاعة العسكرية فى سبيل الواجب ، ومن لا يستطيع أن يحكم نفسه فيصّرّ فيها على مقتضى المصالح فانه خير كثير .

فى مثل هذا الشهر من كل عام نستقبل رمضان ، فيجب علينا قبل كل شيء أن نعرف رمضان الحقيقى الذى نحن مستعدّون له . والحذر الحذر أن يخدعنا شيطان رمضان فيوهنا أنه هو ، ويصحبنا الشهر بطرله ثم يذهب بنا فى داهية ...

هنالك رمضان ، وشيطان رمضان . ويجب أن نكون من الفطنة بحيث لا يضحك علينا شيطان رمضان فيوهنا أنه رمضان .

رمضان يعلم المسلم الصبر والبشاشة والحلم والرضا ، وشيطان رمضان يورث صاحبه ضيق الصدر والسكابة والغضب .

فإذا جاء رمضان وكنت ممن يدخن فامتنعت عن التدخين ، فإن رمضان يمرنك على الصبر عنه حتى يكون الصبر عنه سجيّة لك قد تبلغ بك إلى ترك الدخان بته بما تسلمحت به من قوة العزم وفضيلة الصبر . وأما شيطان رمضان فيعظم لك أمر الدخان ، ويوهمك أنك متألم للامتناع عنه ، وينصح لك بأن تخفف من ألمك بالغضب على من هم دونك من خدمك وأقاربك وذويك ، فيفسد عليك شيطان رمضان ، مزية من مزايا رمضان ، وهى اعتياد الصبر واتخاذ سجيّة لك وسلاحاً تتق به كثيراً من شرور الحياة .

رمضان يمنحك من الطعام بياض نهارك لحكمة ستدركها إذا راقبت أثر ذلك في نفسك . وشيطان رمضان يغريك بحشد صنوف الطعام في جوفك وكرشك حتى تفسد في ساعة الغروب ما أصلحته عامة نهارك . فتندو محروماً صفاء النفس الذى هو الغرض الأول من صوم رمضان . وتخسر علاج الحمية الذى هو نفع عارض من منافع رمضان الكثيرة .

ورمضان يحب إليك الاقتراب من ربك في لياليه ، والقرب إلى الله منزلة أيسر مزاياها أنها تحجب لذتها عن غير أهلها . وأما شيطان رمضان فيسوق صاحبه إلى المقهى أو السينما أو إلى سهرات أخرى تهرب منها الملائكة وتشهدها الشياطين . وأكثر الصائمين يفتنون في إعداد هذه السهرات في بيوتهم وبيوت أصدقائهم أو في بيوت الشياطين يحسبون أنها جمال رمضان ، وإنما هى جمال شيطان رمضان .

وصائم رمضان تغلب فيه على ألم الجوع لذة الصبر ، وبهجة الرفق والحلم . أما صاحب شيطان رمضان فيجوع نهاره ويفسد على نفسه ثواب هذا الجوع بما يصحبه من كآبة وغضب وبذاءة لسان ، ثم يفطر لإفطار من لا يعرف حكمة الصوم ، ثم يسهر سهر من لا يريد أن يعلم أن نهار رمضان لا يلائمه إلا ليل من جنسه .

إن المسلم الذى يعرف مرامى الإسلام ، ويفهم حكمة الصوم ، يخرج في رمضان من وضوءه الحياة المسادية التى أحيط بها المزارحون على توافه الدنيا وزبالتها من أهل القافلة التى تسرى فى الظلام ، فيكون له من رمضان جرس ينبهه إلى التخلق بأخلاق رمضان فى ليله ونهاره ، وهذا سبيل تصفو فيه النفس ، وتجدد ، وتسمو بصاحبها إلى منزلة من منازل السكّال . جعلنى الله وإياك يا أخى من أهلها ، وأحياناً إلى أمثاله إن كان الخير فى حياتنا إلى أمثاله .

محّب الميرين الخطيب

الصَّوْمُ وَالتَّزْيِينُ النَّفْسِيَّةُ

من مقاصد الشريعة الإسلامية إصلاح المجتمع الإنساني ، وإقامة هذا الإصلاح على أساس من الخلق الكريم والفضائل الثابتة التي لا يقوم مجتمع فاضل إلا عليها ، كالتعاطف والترحم والتعاون والتكافل والتحاب والتواد ، والإصلاح لا يشتر ثمرته ولا يرجى بقاؤه إلا إذا كان منبعثاً من قلب الإنسان ونفسه وشعوره ووجدانه ، والإسلام يهدف فيما يهدف إليه أن يقوم الإصلاح على أسس روحية ومعان نفسية ، لا على أساس من سلطة الحاكم وسطوة القسانون لحسب ، وإلا فسرعان ما يبرق الإنسان من قيود الخير والحق والفضيلة إذا غفل الرقيب أو وجد ثغرة ينفذ منها إلى التحلل من سلطان القانون . وقد أشار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه إلى هذا الأصل الذي يقوم عليه الإصلاح الصحيح بقوله - فيما رواه البخاري عنه - « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح البدن كله ، وإذا فسدت فسد البدن كله ، ألا وهي القلب » ، ولذلك كثيراً ما تجدد القرآن والسنة يدعوان إلى الإخلاص ومراقبة الله وتحسين النيات وتذكية النفوس والخشية من الله ، لأنها دعائم الصلاح والاستقامة .

ومن محاسن الإسلام أنه حينما يدعو إلى تقويم السلوك الإنساني وجعله موافقاً للحق والخير والفضيلة لا يعمل على كبت الغرائز النفسية وتجاهل الفطرة البشرية وإنما يعمل على توجيه الغرائز توجيهاً سليماً ، وتنمية النزعات النفسية الخيرة بحيث تسيطر على أعمال الإنسان وسلوكه الديني والدنيوي ، وذلك عن طريق التشريعات الحكيمية التي توصل إلى المقاصد الشريفة .

ومن شرائع الإسلام التي تربي النفوس على الأخلاق الحميدة ، وتنمي نزعاتها الخيرة ، شرعة الصوم . وأول صفة ينميها الصوم في نفس الصائم هي قوة الإرادة ، فالصائم الذي يفطم نفسه عن المآكل والمشارب والشهوات الجسدية والنفسية وهي على قيد الذراع منه مدة

من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ثم يستمر على ذلك شهراً كاملاً لا بد أن يخرج من صومه وهو ذو إرادة قوية عاقلة حازمة ، فما بالك إذا تكرر الصوم عاماً بعد عام ، بل ماذا يكون الحال لو أنه حرص على أداء الصوم المسنون في جميع أيام العام حتى يصير الصوم له عادة ، والمسلم إذا تربت فيه قوة الإرادة أصبح مسيطراً على رغبات نفسه فلا يكون عبداً لهواه ولا أسيراً لشهواته ، ومن ثم يملك زمام نفسه ويوجهها التوجيه الواجب ، وحينئذ يسهل عليه الاتجار بما أمر الله وإن كان شاقاً على النفس ، والانتهاه عما نهى عنه وإن كان محبراً لها . وإذا علمنا أن أكثر الفساد والاضطراب في حياة الناس إنما يأتي من ضعف الإنسان أمام شهواته وأهوائه ، أدركنا ما للصوم من أثر بعيد في حركة الإصلاح والتطهير وتكوين المجتمع المثالي الكريم ، وما أشد احتياج المسلم الذي تتناوشه زخارف الحياة وزيفاتها إلى إرادة قوية حازمة تعصمه من الفتن وتقيه شر الزلل ، وعلى قدر تفاوت البشر في قوة إراداتهم وصلابتهم في إحقاق الحق وإزهاق الباطل تكون منازلهم في الفضل والكرامة ، وصلاتهم وإصلاحهم .

ولا عجب إذا كان الصوم سمة من سمات الأنبياء والصديقين والصالحين ، وإن اتخذوه وسيلة من وسائل مجاهدة النفس وتربيتها تربية صحيحة ، وأن جعله الله فريضة في كل شرع ودين ، وصدق الله حيث يقول : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** أياماً معدودات ،

وإن الأمم في حياتها لتتعرض لمزات اقتصادية ربما يترتب عليها نقص في مواد معاشها وأرزاقها ، وغلاء فاحش في بعض الأسعار ، فلو أن كل إنسان - بما كسب من قوة الإرادة - كف نفسه عن شهواتها وقطمها عن بعض مستلذاتها وتقشف بعض التقشف ، لمرت كل الالتزامات الاقتصادية بسلام ، ولا اضطر الجشعون والمستغلون لحاجات الناس إلى الحد من غلوهم وعرض السلع بأقل من ثمنها المعتاد ، ورحم الله القائل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع ، وإن تطفمه ينظم

ومن الصفات النفسية التي يربها الصوم في نفس الصائم صفة المراقبة ، مراقبة الله عز وجل في السر والعلن والغيبة والشهود . والمسلم لماذا راقب الله حق المراقبة فقد بلغ غاية

الإحسان . وفي حديث جبريل المشهور الذى رواه الشيخان أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : ما الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . ولا تكاد تجد عبادة تنجلي فيها مراقبة الله مثل الصوم ، فالصائم الذى لا يراقب الله سبحانه ربما يأكل ويشرب فى الخفاء ثم يظهر أمام الناس بمظهر الصائم المتفلسك .

فالصوم فى الحقيقة سر بين العبد وبين ربه ، ولا يطلع على حقيقته إلا الله . وليكون سرأ بين العبد وبين ربه أضافه الله إلى نفسه وشرفه بهذه الإضافة ، فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن ساباه أحد أو قاتله فليقل لى امرؤ صائم . . الحديث ، ولا يزال الصوم يقوى من صفة المراقبة حتى تصبر ملهكة من الملل الك النفسية ، وإذا صارت ملهكة راسخة تحكمت فى سلوك الإنسان ووجهته إلى المسارعة فى الخيرات والإحجام عن المنكرات ، إذ كلما أمرته نفسه بالإمارة بالسوء بمنكر تذكر عظمة الله وجلاله وأنه مطلع عليه ومراقب له فتقول له أترك ولعمل الخير أسرع ، وصدق الله حيث يقول : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » . . . صلاح الأفراد والجماعات متوقف إلى حد كبير على هذا الوازع النفسى الذى يجعل من صاحبه رجلاً حاضر القلب متيقظ الشعور حى الضمير .

ولو أن كل إنسان وكل لى إليه أى أمر من الأمور راقب الله فى عمله وفيمن تحت يده وتيق أن هنا محاسباً لا يغفل ، لقطع دابر الفساد والشرور والآثام ولساد الحق وعم الخير البلاد والعباد .

وصفة أخرى يربها الصوم فى النفس ، تلك هى صفة الصبر والاحمال ، الصبر على الطاعات واحتمال ما يحيط بها من مكاره ومشاق ، والصبر عن المعاصى والشهوات ، أليس ما يتطلبه الصوم من الصائم أن يكون على سمت خاص فى العبادة وأن يكف نفسه عن شهوات بطنه وفرجه ، ولسانه عن الهجر والفحش من القول ، وجوارحه عن فعل ما يؤثم ؟ وهل الصبر إلا حبس النفس على ما تكره وصرفها عما تحب وتشتهى ، فالصبر ثمرة من ثمرات الصوم

وغاية من غايانه ، وفي حديث الباهلي الذي رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال له : « صم شهر الصبر ويوما من كل شهر » ، فقد سمى رسول الله رمضان شهر الصبر ، ولا يزال الصائم يروض نفسه على الصبر حتى يصير عادة ، وحينئذ يمكن للمسلم أن يشق عباب الحياة المتلاطم بأعواج الفتن والبلاء والشدائد والمكاره ، فالصوم اختبار عملي لتعرف أحوال النفوس البشرية ومدى صلاحيتها لتكاليف الحياة وحمل أعبائها ، وأن الصوم في الايام الشديدة الحرارة ، ولا سيما مع مزاوله العمل الشاق ، ليستحق أن يكون درسا عمليا في الاحتمال دونه كل درس ، وما من شخص في الدنيا إلا وهو في حاجة إلى الصبر وترويض نفسه عليه ، فالفلاح في مزرعته والصانع في مصنعه والعامل في عمله والطالب في استذكار دروسه والام في القيام بأعباء بيتها - كلهم في حاجة إلى هذا الدرس العملي .

هذا إلى ما في الصوم من غرس الرحمة في القلوب ، فترق القلوب القاسية وتهذب النفوس الشحيحة وتبسط الايادي المغلولة وتدر الخير على الفقراء المحتاجين الذي تمر بهم الايام ولا يجدون ما يقيم صلبهم ويرطب قلوبهم ولا يشعرون بأن لهم إخوانا في الإنسانية يمدون إليهم يد المعونة والانفاق ، فالصائم إذا أحس من نفسه ألم الجوع وحرارة العطش ومرارة الحرمان من لذائذ الحياة وطيباتها دفعه ذلك دفعا إلى العطف والبذل والعطاء ؛ وشتان بين من يؤمر بالإعطاء وقد ذاق ألم الجوع ومرارة الحاجة وبين من يؤمر ولم يجمع يوما ولم يذق ألم الحرمان ، وإن المجتمع الذي لا يعطف فيه الاغنياء على الفقراء ولا يرحم فيه الاقوياء الضعفاء ولا يسود فيه التكافل والتعاون على البر والخير هو مجتمع مجرد من خصائص الإسلام ويخشى عليه من الزوال والدمار .

وبحسبنا ما ذكرت في بيان أثر الصوم في تربية النفوس وإصلاح المجتمع إصلاحا قائما على دعائم روحية ونفسية لتكون أبقى أثرا وأدوم نفعا ، ولعلك أدركت معي - أيها القارئ - الفطن - حكمة الله الدقيقة السامية في تشريع الصوم ، وأن تشريع ربك كله خير ورحمة وصدق وعدل ، وصدق الله : « تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

محمد محمود أبو سريته

المدرس بكلية أصول الدين

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى خطاب مرسل إلى مشيخة الجامع الأزهر من م . ا . س . صالح بكولومبو ، وهو يشتمل على اقتراح أن يكون الاعتماد في بدء الصوم وانتهائه على حساب الفلكيين ليتيسر توحيد بدء الصوم ويوم العيد في جميع البلاد الإسلامية وصاحب الاقتراح يعلل ضرورة الأخذ به بأن الحساب يفيد العلم القطعي بأول كل شهر ونهايته . وأنه أبعد عن إثارة الخلاف بين الأقطار الإسلامية بسبب اختلافها في الرؤية .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا الاقتراح ، ونفيد بأنها تقدر لصاحب الاقتراح الغرض النبيل الذي يرمى إليه بمقترحه . ولكنها ترى أن التعويل على الحساب في إثبات بدء الشهر ونهايته لا يحقق الغرض المقصود الذي ينشده لأن الحساب مرتبط بمطلع القمر ، ومطالع القمر يختلف باختلاف الأقطار . فإذا كانت الأقطار تختلف في الرؤية بسبب اختلاف المطالع ، فكذلك الحساب يختلف بهذا الاختلاف لارتباطه بالمطالع . فلا يتحقق المعنى المقصود بالتعويل على الحساب كما يقترحه حضرة السائل .

واللجنة ترى أن اعتماد الرؤية على الوجه الذي اتفق عليه جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب هو طريق يتحقق به المقصود من توحيد المسلمين في الصوم والافطار .

وأن هذا الذي اتفق عليه الجمهور هو ما يفيد حديث رسول الله ﷺ الوارد في الرؤية . أما الوجه المشار إليه فهو أن القول الصحيح الراجح في مذاهب الحنفية والمالكية والحنابلة أنه إذا ثبتت رؤية الهلال في إقليم وجب على أهل الأقاليم الأخرى أن يعملوا بها في صومهم وإفطارهم متى بلغهم نبأ ثبوتها من طريق موثوق به .

وهذا هو ما نشرح به كتب هذه المذاهب .

أما الحديث فقد رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وهو قول الرسول ﷺ :
 « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، . وهو خطاب عام يوجب على جميع المسلمين أن يصوموا
 إذا تحققت رؤية الهلال فى قطر يعتبر ثبوتاً له بالنظر إلى جميع الاقطار فإنه ليس المعنى
 أن وجوب الصوم يتوقف على رؤية كل من يجب عليه ، وإنما المعنى - كما قلنا - أنه يجب
 الصوم على جميع المسلمين متى تحققت الرؤية ولو من بعضهم .

ولذا كان الحال كذلك ، فإن الطريق لتوحيد وقت الصوم فى جميع الاقطار أن يبلغ
 أهل الفطر الذى ثبتت فيه الرؤية سائر الاقطار ، فيجب عليهم جميعاً أن يصوموا بناء
 على هذا التبليغ .

هذا مع ملاحظة أن الرؤية التى يناط بها حكم الصوم والفطر كما تكون بالعين المجردة
 تكون بواسطة ما جد من الوسائل العلمية الحديثة .

وتوافر وسائل الرؤية هذه مع الوسائل الحديثة لتبليغ الانباء إلى الاقطار المتباعدة
 يسهل أمر تبليغ الرؤية من أى قطر إلى سائر الاقطار .
 وبهذا علم الجواب والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

المجلة - أما عيد الاضحى فهو عيد الوقوف بعرفة ، وإتمام شعائر الحج . والوقوف
 بعرفة وإتمام شعائر الحج لا يكون إلا بمكة وعرفات .

فإذا تعين يوم وقوف الحجاج بعرفة ، وأمكن معرفة الاقطار الإسلامية بذلك ،
 كانت الاقطار الإسلامية كلها تبعاً لحجاج بيت الله الحرام فى تعيين يوم عيدها ، فيكون
 عيد الاضحى فى جميع الاقطار الإسلامية هو اليوم التالى لوقوف الحجاج بالفعل ، ويكون
 المسلمون كلهم تبعاً لأهل مكة فى ذلك .

جهاد النفس ترية حبه

د قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :
أى الجهاد أفضل ؟ فقال : جهادك هواك ،

المبرد

نستطيع أن نتبين من خلال تجاربنا العملية فى الحياة أن الإنسان فى حاجة إلى إرادة قوية يسيطر بها على نزعاته ، وبكبح بها نزوانه الجاحية ، ويصمم فينفذ التصميم ، ويعزم فيمضى العزم . وهذه الإرادة القوية والعزيمة الصادقة لا يكتبها الإنسان بسهولة ويسر ، ولا يكاد يحصل عليها بمرث ، وإنما هو فى أغلب الأحوال فى حاجة ماسة - كما يوفرها لنفسه - إلى لون من المجادلة والمجاهدة النفسية ، يمارسه كثيراً ويتدرب عليه مراراً كما يتدرب المعتل على تذوق الدواء المر حتى يألفه لسانه ، فلا يجد فى تعاطيه مشقة ، ولا يذوق منه عضاضة .

ولن يجاهد الإنسان نفسه إلا إذا تعرض فى الحياة للمواقف الحازبة التى يقف منها الإنسان حائراً ، لا لأنه لا يدرك ماذا يعمل ولا كيف يتصرف فيها ، ولكن لأنه يجد من نفسه دافعا فى لحظة ووازا فى أخرى ، أو بعبارة أخرى فإنه يقع تحت ذلك اللون من الصراع النفسى الداخلى العميق . ذلك الصراع الذى لا يظهر على السطح ، ولا تدل عليه الملامح ، وإنما هو خاف مستبطن لا يطلع عليه ، ولا يعانى منه ، ولا يشترك فيه سوى صاحبه .

وقد سأل سائل آخر : لماذا لا تصنع ؟ فأجاب : لا أستطيع . فقال : كيف لا تستطيع وفى يدك أن تحرره دخول الامتحان ؟ فأجاب : ليس فى يدي أن أحرمه دخول الامتحان . قال : فتستطيع إذن أن تأتبه فى الامتحان الخاص بأسئلة صعبة فلا يجيب عليها ويرسب ؟ قال : هذا هو الحل الوحيد وسأروض نفسى عليه . ألا ترى أن فى إهانتى سبباً كافياً لأصعب به هذا . وغدا الامتحان ، وإن غدا لناظره لقريب .

نفس تريد أن ترفع ما لحقها من إهانة فتلبس الوسائل ، ولا تعجزها الوسيلة كما لا يعجزها التعبير المنطوق لها ؛ فقد أهينت ولحقها ضرر لا يغسله إلا الانتقام .

وسأل سائل آخر : لماذا لا تصنع ؟ فأجاب : لا أستطيع قال : كيف وفى خزائنك المال لا عدله ولا حصر ؟ قال : وما أصنع بالمال ؟ فأجاب : تستطيع أن تغريه به ، وعندئذ يبيعك نفسه وضميره . قال : وما موقفى إن كان عقيفاً لا يغريه بريق المال ، ولا يزدهيه تذلى له ؟ قال : فاختر بين أن تضيع من عمرك سنة أو أن تنفذ هذه الحيلة .

نفس تشرف على الهلاك ، وتوشك أن تبطلها الدوامه ، وهى تبذل النفيس مما تملك لتصل إلى بر السلام ، ولكن هل قوة الإنسان هى التى تنجيها أم قوة أمواله حين تصرف لهذه الغاية بطريقة غير نظيفة ؟! ولكنها الوسيلة الوحيدة فى يده ، ماذا تراه يصنع ؟ هل يقدم أم يحجم ؟

وسأل سائل آخر : ولم لا تصنع ؟ فأجاب : أنرانى أبيع ضميرى وذمتى ؟ قال : ولكنك فى حاجة ماسة إلى مال تقيم به حياتك ؟ قال : هذا صحيح ولكن من أى الطرق ؟ قال : إنك ستبذل من وقتك وجهدك ، ونحن لا نحصل على المال إلا نظير ما نبذل من وقت وجهد . قال : رأيك صواب ، وسأحاول أن أضمن له النجاح المنشود .

أزمة نفسية أخرى تعاني منها النفس : بين منطق يبرر وضمير يأبى وحاجة ملحة . ماذا يضير العالم فى أن يضمن له النجاح ؟ وهو بذلك يوسع على نفسه وعياله . هذا دافع . ماذا تكون قيمته من حيث هو لإنسان ذو ضمير وهو يتخذ العالم ويزيف عليه ؟ ذاك وازع . وهو بين الدافع والوازع لقي إلى حين .

وتتجلى هذه المواقف . يأتي الامتحان ، وإذا بالاسئلة من الصعوبة بحيث لا يمكن الإجابة عليها بحال . وتكون النتيجة أن يرسب الطالب ويشقى ما بنفس أستاذه .

ويفنى الأمر الآخر إلى أن يذهب إلى أستاذه ويدير بين يديه وقدميه المال بدرأ يأخذ بالبصر . وأخيراً يتأفقت الأستاذ - وقد أغراه البريق - على المال ، فيملأ به جيوبه ويقضى حاجاته ، ويضمن لتلميذه غير النجيب النجاح .

هذه صور لا أعتمد أنها غريبة لأنها من واقع الحياة . وليست هى كل الصور التى قد تصادفها فى الواقع فهناك مئات الصور والمواقف الأخرى لا تقبل فى دلالتها عما ذكرت ، والإنسان بهذا عرضة فى أغلب الأحيان إلى أن يقف هذا الموقف أو ذاك من تلك المواقف ، ولكنه كثيرأ ما يصطنع منطق التبرير ، وهو منطق لا يعيبه إثبات الباطل ، ولا يعجزه

نصرته على الحق . ذلك أنه يفشل في أن يستمع لضميره ويستجيب لندائه . وأقول يفشل لأنه لو نجح في الاستماع إليه لاتنصر الحق ووضعت الأمور في نصابها .

ولكى ينجح الإنسان دائماً في الاستماع إلى ضميره فإنه في حاجة إلى تجارب وتجارب تكون بمثابة حقول التدريب النفسى الذى ينشط فيها قوة الضمير ، فيجعله قويا متسلطاً منتبهاً في كل لحظة . وقد يخل إلى الإنسان أنه من السهل عليه أن يحكم ضميره ، وأن يتخلى عن كل نزوانه ، في كل ما يعرض له في حياته الخاصة والعامة .

ولكن يبدو أن هذا مجرد خيال . فإن التربية الروحية ليست من السهولة في شيء ، وأرجو ألا تصرف عبارة « التربية الروحية » إلى المعنى الصوفى الذى قد توحى به ؛ لحنى أن في الصوفية معنى من مجاهدة النفس ، ولكنها مجاهدة تأخذ نتائجها صورة سلمية ؛ فهى رغم فعاليتها لا تندفع بالحياة في سيرها المستمر ، ولا تمدّها بقوى إيجابية دافعة إلا من طرق بميدة جداً وغير مباشرة . أما « التربية الروحية » فهى لون آخر من المجاهدة النفسية غير الصوفية هى التدريب كما قلت على التصرف في الحياة لا كما تملى الحاجة الملحة والضرورة الحازية ومنطق التبرير ، ولكن كما تملى المصلحة العامة والمنطق العام والضمير الحى . ممّا بعد ذلك تربية روحية ، أو ممّا كما يسميها العلماء المحدثون « التماسى بالغرائز » ، أو ممّا كيف شئت ، فإن اختلاف الاسماء ان يغير من الحقيقة الأولى شيئاً ، وهى صعوبة هذه المجاهدة على النفوس . يدرك هذه الصعوبة كل من عانى التجربة إدراكاً كافياً .

وإذا عدنا إلى الصور الثلاث التى ذكرناها نجد أن العواقب النفسية - فضلاً عن النتائج الخارجية - كانت وخيمة ؛ فقد رسب الطالب وامتلأت نفسه غلا وإحنا ، ورضيت نفس أستاذه أول الأمر ، ولكنه عاد فأحس بشيء من الجريمة صار ينغص عليه حياته ، وأما الثانى فقد فرح أول الأمر بالنجاح الذى أحرزه ولكنه عاد ينجعل من نفسه وجعله الذى افتضح في العام التالى . وأما أستاذه فقد سر بالمال فأنفق عن سعة ولبي كل رغباته وجاجاته ، وحين نفذ المال عادت فعلته تنغص عليه العيش وتقلق نهاره وليله .

عواقب وخيمة كلها ، رغم النتائج المريحة المرصية ، فقد كان إرضاؤها مؤقتاً ، وكانت لذتها النفسية مؤقتة ، وأصبح كل وقد استشعر الجرم فاستبشمه ، وأحس بالفعل لإحساسه صادقاً فاستشنعها ، ولكن ما جدوى هذا وقد انتهى الأمر ؟ وليس غريباً أن نسأل عن الجدوى وقد سميناها منذ لحظة عاقبة أو عواقب وخيمة ؛ ذلك أن هذه التجربة الكاملة

ستكون الحرز الحرز الذي يعصم كلا من أن يتطابق وراء شهوة مؤقتة أو نزوة عارضة ، فلا يعود إلى تكرارها .

على أن هناك حقيقة نفسية عظيمة لمسها القرآن الكريم حيث يقول : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وحيث يقول : « صم بكم عى فهم لا يرجعون ، . وهذه الحقيقة هي أن الإنسان حين يجرب شيئاً فيستمرنه ويعود إليه ويكرره مهما كان فيه من باطل أو كذب أو خداع ، فإن إحساسه يتبدل شيئاً فشيئاً ، وإدراكه يخمد ويخمد قليلاً قليلاً حتى يصبح وقد غابت عليه النزوة ، لأن تكرارها طبع نفسه عليها فأصبح لا يجد فيها ما يستبشع . فالنفوس عجينة مرنة إذا كيفتها على وجه من الوجوه ، وصورة من الصور ، لقيت أول الأمر في هذا التكيف صعوبة ، ثم لا تلبث أن تعتاد ذلك الوجه أو تلك الصورة . وإذا أفدما من هذه الحقيقة الصادقة كان علينا ألا نكرر الزلات التي سبق أن وقعنا فيها ما دمنا قد استشعرنا ما فيها من جرم ، بل يجب أن نفيد منها إفادة عملية فنتخذ منها حرزاً - كما قلت - يعصمنا من التردى فيها مرة أخرى . وهنا تلزمت الإرادة الحازمة والعزم الماضي .

وحين نقول إن في جهاد النفس صعوبة أى صعوبة ، ويكلف الإنسان مشقة شاقة ، فربما كان هذا استلهاماً ؛ يقول عمر بن العزيز رحمه الله تعالى : إن جهاد الهوى هو أفضل أنواع الجهاد . ذلك أن جهاد الحرب في سبيل الله ، وهو جهاد نعرف جميعاً قيمته ومكانته ويكفى أنه يخلد صاحبه عند ربه وبين الناس ، فإن هذا اللون من الجهاد لا يحتاج من الإنسان إلا أن يتحلى بالشجاعة ويخالص خصماً له يراه أمامه رأى العين ، ويشتبك معه في صراع حسي واضح . ولكن جهاد النفس ، ذلك الجهاد الذي لا يراه أحد ، ولا يحس به غير صاحبه فإنه أكثر مشقة على النفوس : ذلك أن الإنسان هنا إنما يصارع نفسه لا بالسلاح ولا بالشجاعة ، ولكن بالسلاح النفسى والشجاعة النفسية ، أو لنقل بالإرادة الحازمة . وفي رمضان المبارك درس نفسى في جهاد النفس ، يتكرر كل عام فيحيى بليد الحس ، ويصنف كل ما علق بالنفوس من رجس ، ويمنحها قوة جديدة تحيا بها طول العام ، و رادة قوية تغلب بها على النزوات والصعاب .

عز الدين اسماعيل

مدرس اللغة العربية بكلية الآداب - بجامعة إبراهيم

الذكرات: أنجالنا ومرضنا

الذكرات الطيبات للأفراد والجماعات ، فيها حياة تبعث الأمل وتثير التأمل ، وتوقظ الهمم وتسمو بالإنسانية إلى أعلى مثل . وهي روافد لقوة الإيمان وصدق اليقين وحوافز للتضحيات في سبيل الحق وإقامة العدل ونصرة الدين والعمل على الإخاء والمساواة .

وأجل الذكريات وأجدرها بالإشادة والتحدث ما تعلقت أسبابها بوحى من الله أو توجيه من الرسول الذى يدعو الناس إلى الدين القيم والهدى المستقيم : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ... »

ورمضان شهر الذكريات الإسلامية والمواقف الإنسانية والجهود السامية بها وفيها كمال القدوة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... » فواجهنا نحن المسلمين ما تعاقبت الشهور والأعوام وتوالت الأحداث الضارة أو السارة أن قلنت إلى ماضينا المجيد لنجد فى نفوسنا راحة الإيمان وثقة الاطمئنان ونفزع بتوجيه المعجزات الباقيات وإنما لشاهدات على قدرة الخلاق بما يثبت العقيدة ، وناطقات بصدق محمد خاتم النبيين — تبارك الذى نزل الفرقان على عبده — فيه تبليغ وتشريع وتنظيم للعلاقة بين العبد وربّه وتبيين المناهج الصالحة لإسماع العباد . لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أصول الإصلاح إلا أحصاها ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء .

تسامت ذكريات رمضان الذى أنزل فيه القرآن وصدق الله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر ... »

فأعظم بها من ليلة من الله فيها على الإنسانية بتقدير دينه ، وتحديد الخطة لنبهه فى دعوة البشرية ، وما أشرفها من ليلة تحررها الرسول ووجهنا إلى الإيمان فى ترقبها . وحشنا على اللهفة والشوق إليها ودعانا إلى لكثائر الطاعات ومضاعفة العبادات حتى نفوز بمغفرة من الله ورضوانه ، قال عليه السلام : « تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من شهر رمضان ،

ثم علم أمته - كما روت السيدة عائشة - كيف تدعو وتضرع الى الله عندما تنذم روائح
ليلتها المباركة . قالت أم المؤمنين : يا رسول الله أن علمت ليلة القدر بماذا أدعو ؟ قال عليه
السلام : « قولى : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وفى رمضان تجلت معجزة النصر فى معلم الفرقان يوم التقى الجمعان فصرع الشرك على
بطاح الوادى وطوى قلبيه مرده الشر وعصاية البغى بعدما وقعت الواقعة التى فرقت بين
الحق والباطل ومازت الحديث من الطيب .

فكان للويل للشرك الذى نفخ فى صناديده فخذلوا قرابه ألف مقاتل أعدوا وأجلبوا
بخيلائهم وخيلائهم مكاثرين يجزورهم وقيانهم .

وكان الرسول لهم بالمرصاد فى حجة من الصفوة القليلة يعدها حتى لتدحر الفئة الكبيرة .
فى شهر الصوم والصبر والجهاد وتحت راية القرآن يتوجه إلى السماء مستعينا مبتلا
« اللهم هذه قرىش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتني » .
وينزل الله على قلبه السكينة فيهتف أثر مناجاته مبشراً أصحابه بقول ربه : « سيهزم الجمع
ويولون الدبر » .

وتجاوب فى جموع المسلمين - وهى ثلث العديد المشرك - بشريات الرسول بالنصر
فتعجب إلى الصحابة الاستشهاد ويكون الصراع قاب قوسين أو أدنى ، وقوى الشرك تهصايح
وتتفاخر وتتكاثر وعلى رأسها أبو جهل تريد القضاء على الإسلام والمسلمين وفى زحمة الشر
ينصح قرشى عصابته قائلاً وأتأخرنا لننزع أموالنا وقد نجت فلنرجع .

ولكن أبا جهل يركب رأسه وتأخذه العزة بالإثم ويأبى إلا أن ينادى : « لا نرجع
حتى نرد ماء بدر فنفختم » ثلاثاً تنحرج الجزور ونظم الطعام واشرب الخمر وتعزف علينا
القيان فلن تزال العرب تهابنا » .

ويرتفع صوت فى وجه قائد الفتنة : واقوماه هذا عمل أبى جهل لأنه ترأس الناس فبغى ،
والبغى منقصة وشؤم . . . والهواتف تصبح بهم وتردد قهز المخاوف أحلافهم وآسل
عليهم أروهامهم .

أفياريح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا
كل هذا والرسول فى أصحابه لا تزيد شدة الموقف إلا سعة صدر وقوة اطمئنان إلى

المهاجرين والانصار . يقوم عمر فية قول ويحسن ، كما قال أبو بكر وأحسن . ويشير الحباب ابن الجوح على الرسول بالمسكان الصالح لكسب المعركة فينزل النبي عند اختياره . وبين المناجاة وقبيل النزال يقول الرسول لمن أخلصوا دينهم لله : أشيروا على أيها الناس . فيتقدم سعد بن معاذ بطل الانصار بما يرضى الله ورسوله ، وحسبه وحسبنا من كلامه : إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق ، فأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فأما نحن يا نبي الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر نخضته لخصضناه معك ما بقي منا رجل .

والذي نفسه بيده ما سلكت هذه الطريقة قط ومالي بها من علم وما نكره أن تلقى هدونا . إنا أصبر عند الحرب صدق عند اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عيناك ، .
ويقول الرسول : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ...

وهناك يعقد الألوية ثم يلتقى الجمعان ويمد الله المسلمين بألف من الملائكة مردفين .
« إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فنبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، .

وتجلى المعركة البدرية عن فوز الإسلام ، وتعلو العقيدة الخالدة ، ويسود النظام ، وتسمو القيم الإنسانية ، وهزم الباطل فى حشده أمام اليقين وصدقه .
ويعود المسلمون - المدافعون عن دينهم - إلى المدينة وفى غنائمهم أسارى ، وما هم بأسارى ، لحسن المعاملة ويسر الفداء ، ومن كان فى عسرة فميسرته تعلم عشرة من أبناء المسلمين ، تلك يد من النبى الأسمى فى تيسير العلم وإشاعة التعليم .

حتى إذا كانت السنة الثامنة للهجرة وجاء النصر والفتح المبين ، ومن الله على الذين أخرجوا من ديارهم - بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله بالعودة - إلى مكة فى شهر رمضان فى موقف الفتح الظافر ، أصدر الرسول عفوه العام فقال لمن آذوه فى نفسه وصحبه ودعوته : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

تلك جوانب من ذكريات الإسلام الخالد كما فيها العفو والإحسان تذكراها فى رمضان

الجهت في حب الاسلام

٣ — الطاعة :

إن الطاعة أولى دعائم النظام العسكري قال الله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، وأولو الأمر هم الذين اتهمهم الله على من هم في رعايتهم عن هم دونهم في الرتبة ، وقال : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

٤ — الأقدمية والقيادة :

من الطبيعي أنه حينما وجد العمل الاجتماعي الذي يحتاج إلى التدبير ، ظهرت الحاجة إلى الرئاسة ، وقد أوصى بها الرسول الكريم ﷺ بقوله : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » .

ومقياس الرئاسة عنده شرطان هما جماع الشروط في كل رئاسة : الكفاءة والحب ، فقال : « أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين » ، « وأيما رجل أمّ قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه ، ولقد دعا الاسلام إلى احترام الرئيس فقال تعالى « لا تجملوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » .

٥ — والاستعداد والقوة :

أمر الله تعالى المسلمين أن ينفقوا أقصى ما يستطيعون في الاستعداد للدفاع فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

ولقد ذكر الله عز وجل هنا وسائل الدفاع بلفظ عام هو : « من قوة » ، ليتناول كل ما يحتاج إليه في الدفاع ، ويكون له أثر في الفوز على الأعداء ، فهو يشمل آلات الطعن والضرب ، وآلات الرماية وبناء الحصون ، وإعداد ما يحتاج إليه الجند من ملابس وطعام .

٦ - التحذير من التنازع :

قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » ، فهو يحذر من أن يقع تنازع بين قواد الجيش أو بين أفرادهم ، أو بين الجيش وقادته ، لأن الشقاق يبعد ما بين النفوس ، ويذهب بروح التناصر ، فيكون أبعد أثراً وأشد تنكيباً بالجيش مما يفعله به عدو بعدده وعدده .

٧ - الإخلاص في الحرب والثبات في الميدان :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له : الرجل يقاتل للدغيم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال الرسول : « من قاتل لنكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

وهكذا تعلم المسلمون أن الذي يقاتل ليحرز منصباً أو مالا أو ليتحدث الناس عن شجاعته قد يقف لإقدامه عند حد ، أما من يقاتل دفاعاً عن أشرف عقيدة ، ويرى أنه بالعزة والكرامة يعلو الحق ويشرق ، فإنه يثبت في المعركة وشعاره النصر أو الموت .

وقد عني القرآن الكريم بترية فضيلة الشجاعة في النفوس ، وحث المسلمين على الثبات في القتال فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا » .

وحذر الله من الفرار من الصفوف وعده من الكبائر فقال : « ومن يولم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

* * *

وبعد فهذا قليل من كثير مما تعلم العرب في المدرسة الإسلامية ، التي تم فيها إعدادهم إعداداً متناسباً مع شرف المهمة التي كانت تفتظره وهي الدفاع عن دين الله . وليس ثمة شك في أنه أصبح مقاتلاً من الطراز الأول ، قد جمع من الصفات ما يسمونها على أفضل جنود العالم ، فهو كان مسلماً صابراً على الشدة شجاعاً ، ومطيماً وقوياً ، ويقظاً وحازماً ، وذكياً متبصراً ، قد عرف له غاية ليس أسمى منها هي الدفاع عن دين الله ، فإن أصابته في سبيل ذلك طعنة رخ ، أو رمية سهم ، أو ضربة سيف ، لقي مولاه سعيداً راضياً مطمئناً إلى وعد ربه الكريم : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

وقد قدر قادة الحروب أهمية الروح المعنوية في القتال ، وعرفوا أنها سلاح لا يقل أهمية عن أسلحة الحرب ، وأدركوا أن أقوى الأسلحة لا قيمة لها إذا لم تكن روح الجنود المعنوية عالية ، وفي هذا يقول أحد قادة الحرب الحديثة : «لأنه ليس المدفع ، ولكن ذلك الرجل الذى يقف خلف المدفع» "It is not the gun ; but the man behind the gun"
لقد كانت الروح المعنوية لجيش الإسلام فى أسمى درجاتها ، إن منهم من قال :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
وإن منهم خالد بن الوليد ، الذى عرفته حروب الإسلام مقاتلاً من أعظم المقاتلين ، وقائداً من أعظم القواد ، والذى عز عليه أن توافيه المنية على الفراش فى بيته فيقول فى ألم وحسرة : «لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وما أنذا أموت على فراشى كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء»
وأخيراً فهؤلاء هم جنود الإسلام الذين استشهدوا فى سبيل الله ، يطلع الله على أرواحهم فيقول : يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة ، فأكل منها حيث شئنا ، إلا أن نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل مرة أخرى ... !

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب

المرأة المسترجلة

قال نابليون :

لا أفهم حياة الرجال بلا زواج ، ولا أفهم الزواج بلا أبناء ، ولا أفهم الأبوة والامومة بلا حنان ، ولا أحب المرأة التى تريد أن تقوم فى هذه الحياة بما يجب على الرجل وحده أن يقوم به .

فالمرأة المسترجلة فى نظرى كالرجل المخنث .

صَدَى

الْأَمَانَةُ السَّكَّانِيَّةُ

ورجاء مرفوع إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أخي الفاضل الأستاذ محب الدين الخطيب ! سلام وتحية وتقدير لما كتبته في مقالتيك عن «الامانتين» ، ولعله يكون للروح القوية التي أملتتها أثر في تحقيق ما تحب ونحب جميعاً . وأذكر أن أخاك قد بُجَّ صوتته من قبل لكثرة ما كتب وقدم من تقارير في هذه النواحي وأمثالها ، وقد التقى بك في بعض ما جاء في المقال الثاني وبخاصة فيما يتعلق بدراسة الممل والنحل وكتابة معجم للقرآن والفقه ، واسكنه لا يسهه بعد ما جرب كثيراً إلا أن يتمثل بقول الشاعر : لقد أسمعته لو ناديت حيا . . . والله المستعان .

والآن ، لنكن عمليين فقد انتهى عهد الكلام كما يقولون ، لقد ذهب الذين كانوا « يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده » ، فلم يبق إلا أن نحمل القادرين على هذا العمل حملاً ، وذلك بصدر قرار من فضيلة الأستاذ الأكبر يعني فيه هؤلاء من التدريس ، ويقسمهم جماعات قليلة تقوم كل جماعة بالكتابة في بعض ما ذكرت في مقالتي الثاني ، وتعين مكافآت على ما ينجز من أعمال يجب تحديد مدة لها .

هذه وسيلة من الوسائل التي تؤدي بنا لما نريد ، وهناك غيرها طبعاً ، والمسألة أنه يجب أن يهتم فضيلة الأستاذ الأكبر بالامر ويولييه ما يستحق من عناية وتشجيع ، والله يوفق ويعين متى صدقت مناهية واتجهت الإرادة .

وأذكر ، وهذا مما يؤلم كثيراً ، أني فكرت في عمل معجم للقرآن ، تكلمت في ذلك مع اثنين من كبار رجال الأزهر ومن جماعة كبار العلماء ومن لهم مراكز علمية رسمية ، وأفهمتهما أن هناك باللغة الفرنسية معجماً ضخماً للتوراة والانجيل ظهر منه إلى عام ١٩٤٩ نحو عشرين مجلداً ، فمن الضروري عمل معجم متوسط للقرآن يدنى للباحث ما حوى من العقائد

والتشريعات وأصول الاخلاق وغير ذلك كله من العلوم التي تضمنها هذا القرآن العظيم ،
فهل تدرى أيها الاغ ماذا كان الجواب ؟

كان أنهما أجاباني بأنه لا حاجة مطلقا لمثل هذا المجمع ، وما على من يريد شيئا من هذه
العلوم إلا أن يتعب كما تعبنا ، غفر الله لهما ، كأنهما يعتقدان أنهما تعبنا ووصلا إلى غاية
محمودة من العلم الإسلامى !

ولك منى أخيرا ، خالص التحية والتقدير .

محمد يوسف موسى

المجلة — من الحقائق التي شاع العلم بها في العالم الإسلامى بالعشرين السنة الاخيرة أن
المسلمين إلى خير ولكن الضعف في القيادة ، أى في القيادة الثقافية والعلمية ، وفي القيادة
الاقتصادية ، وفي القيادة التوجيهية . وإن نصيبنا نحن معاصر المشتغلين بالعلم من هذه المسئولية
أعظم من مسئولية غيرنا . وما ذكره الدكتور محمد يوسف موسى عن اعتذار أحد العلماء
بأن على من يريد شيئا من هذه العلوم أن يتعب كما تعبنا ، هو مظهر من مظاهر الضعف
في القيادة ، وما نذكره من أعراض هذا المرض أن العلامة المؤرخ أحمد زكى (باشا) رحمه الله
كان عنده جزازات في التاريخ والجغرافيا لا نظير لها لأنها ثمرة مطالعته واطلاعاته مدة
نصف قرن ، فلما ذهب إلى اليمن بعد الحرب العالمية الاولى أوصى الاستاذ السيد خير الدين
الزركلى بأن يلقى هذه الجزازات في النيل إذا حانت منية صاحبها وهو في اليمن ، ثملا يفتنع
أحد بما تعب هو في جمعه وإعداده ، ومعلوم أن أحمد زكى (باشا) عاد من اليمن سالما وعاش
بعد ذلك سنين ، ومع ذلك فإننا لا نعلم شيئا عن مصير هذه الجزازات الثمينة بعد وفاته .
فإن كان قد أمر أحدا بإتلافها فيكون ذلك من مظاهر هذا المرض من أمراض القيادة ،
وهو أن لا يفتنع الناس بما تعب واحد منهم بجمعه وتحصيله ، وعلى من يريد شيئا من هذه
العلوم أن يتعب كما تعبنا . فهذا المرض أحد مظاهر الضعف في القيادة ، وفي تقديرنا أنه
قد آن لنا أن نشفى منه ، وأن يمش كل واحد منا لأمته بعد اليوم لتعرف له أمته ما قدم لها
من عمل صالح .

فِي يَوْمِ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ

في اليوم العشرين من رمضان ، وفي العام الثامن من الهجرة النبوية المباركة ، وحينما تأذن الله أن يتم نوره ويعلى كلمته ويبحر في الخلق سنته . . جاء نصر الله والفتح ، وأقبل الحق يسعى إلى البلد الأمين ، يسوقه الإيمان كما تسوق الرياح الصيب الهتون ، فاهتزت له بطحاء مكة وربت ، واخضر به الوادي الجديب وتفتحت لاستقباله القلوب ، وبدأت مكة عهداً جديداً توارى فيه شبح الوثنية البغيض إلى غير مأب . ودخل الناس في دين الله أفواجا « وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد » .

« وكلما طافت الذكريات بهذا اليوم الخالد على الزمن رجعت حافلة بالعبرة والموعظة الحسنة ، وهذه العبر التي يفيض بها تاريخ الإسلام هي الغاية التي يجدر بنا أن نضعها بين أيدينا ولا غرو ففيها التوجيه الحكيم والإرشاد الهادي والتبصرة النافعة ، ونحن لذلك سنقف بالفقار . عند بعض العبر في قصة الفتح سائلين الله أن يجعل لنا من ذلك هدى ونوراً وشفاء لما في الصدور .

ففي يوم الفتح الأعظم برز الوفاء في جوهره النقي وصورته الحسناء ، فانتصر على الغدر والخيانة فلقد نقضت قريش ما تعهدت به في صالح الحديبية مع رسول الله ﷺ فنصرت بكرةً على خزاعة المحالفة للرسول . وكان العهد القائم بين الفريقين أنه « من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه » فدخلت خزاعة في حلف محمد ودخلت بكر في حلف قريش ، ولو أن قريشاً احترمت عهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فكر الرسول في فتح مكة ، ولقد لهذا البلد الأمين أن يقضى فترة أخرى في ظلمات الشرك والوثنية ، وليكن الله أبى إلا أن يتم نوره فأبت قريش إلا أن تغدر وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الوفاء .

وكانت خزاعة حليفة الرسول ﷺ ضحية لغدر قريش إذ عاونت بنى بكر عليهم وهذه فاجأتهم عند ماء لهم يقال له الوثير وقتلت نفرا منهم تشفيا لحقد دفين ونار قديم .

قال ابن اسحق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في تقدمه وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة - فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال :

يا رب إني ناشد محمدا حلف أيينا وأبيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرنا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
ثم يقول :

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم يبتونا بالوثير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

فأجابه رسول الله ﷺ قائلا : « نصرت يا عمرو بن سالم ^(١) ، ثم قام من فوره ليعد للأمر عدته . وليقوم بواجب الوفاء نحو خزاعة ، وبين هذا الوفاء من جانب الرسول ﷺ والغدر من جانب بكر وقريش كانت الحكمة البالغة والآية الكبرى ، فانتصر الحق وأنيق وأثمر . وزلزل الباطل وتداعى بنيانه ، وإن في ذلك لعبرة ١١

إن الوفاء بالعهود والمواثيق يكاد يكون في حياة الأمم والشعوب حبرا على ورق ، وإنه لأقرب إلى الوهم والخيال منه إلى الحقيقة المشاهدة والواقع المدروس ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإنسانية تشقى دائما بالثورات والفتن والمعارك الدامية ، ولا غرو فلو عرفت كل أمة ما لها وما عليها ، وألزمت نفسها بتنفيذ ذلك لأمكن أن تهدأ نار البغضاء والشحناء وأن تجف الأرض ، ولو قليلا من الدماء والدموع . ولكن تيار الانانية الذي يحرف النفوس إلى الشر والسوء ويوردها موارد الهلكة يأبى إلا أن يستمر في طغيانه ،

وحينئذ تبدو حاجة الناس إلى الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والدعوات الإصلاحية لكي تقاوم هذا الطيش والنجوح وتخفف من غلوائه .

ولقد دعا الإسلام الناس إلى الوفاء فقال تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » ، وقال : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً » .

وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

وقد عرفت الأديان السماوية جمعاء والقوانين الإصلاحية في مختلف العصور قيمة الوفاء في تنظيم العلاقة بين الأفراد والأمم ، وإنما العيب كل العيب فيمن ينتسبون طريق الخير والهداية ، واللوم كل اللوم على من يشتركون الضلالة بالهدى ويستبدلون الظلام بالنور !

وهل أناكم نبأ حاطب بن أبي بلتعة ؟

إنه صحابي جليل شهد يوم بدر مع إخوانه المهاجرين والأنصار ، ولكن كان له في فتح مكة كبرة كبرى وموقف مشين !!

فلقد عمل الرسول على إخفاء مسيره إلى مكة قائلاً : « اللهم خذ العيون والاعخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » ، وتلك خطة حربية ناجحة فإن الحرب خدعة ، ومباغتة الأعداء سلاح قوى لا يفل حده .

ولكن حاطباً المؤمن زلت به التقدم حيناً من الزمن ، وكم للنفس البشرية من زلات يتغلب فيها الشيطان فيغطي الحقائق ويعمى المسالك ويظلم الشر القبيح في مظهر الحسن والجمال ، وهذا من سمات العجز الإنساني والضعف البشري الذي عناه رسول الله ﷺ بقوله : « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

أجل . زلت قدم حاطب فأرسل إلى قريش نبأ جيش المسلمين قائلًا : إن النبي ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده ^(١) ، وقد كتب ذلك في رقعة وأرسلها مع مولاة لبعض بني عبد المطلب تسمى سارة . ولكن الله كشف حقيقة هذا الأمر لثنيه الكريم فأرسل إلى تلك المرأة من لحقها في الطريق وجاء بهذه الرقعة إلى رسول الله ﷺ . فدعا رسول الله حاطبًا فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ،

ألا أن فى هذا الحادث لبرة !! فرسول الله ﷺ يلقى على العالمين درساً نافعا فى تقدير الاعمال ، ووزن الخير والشر بميزان سليم ، والتماس المَعذرة للمخطئ . إذا وضحت له الحقيقة فرجع وتاب وأتاب ، وكثير من الناس يختلط الأمر عليهم فلا يفكرون السيئة الصغيرة مهما تقدمها من حسنات كبار . ولكن رسول الله ﷺ وقد عرف حقيقة الإنسان وتسلط الشيطان عليه ، ثم عرف مع ذلك قول الله تعالى : إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقوله : إلا من تاب ، وقوله : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، قد وضع ذلك كله فى الميزان فغفر لذلك الصحابى الجليل زلته الطارئة أمام بلائه السابق فى خدمة الإسلام وحضوره غزوة بدر ابتغاء مرضاة الله وجهادا فى سبيله .

وبعد . فهذه بعض العبر التى تفيض بها الذكريات فى يوم الفتح الأعظم - وكفى فى هذا اليوم من عبر وعظات - وإنه لحق على المسلمين أن يلتزموا الخير والنور من تاريخهم المجيد ، كى يستردوا المجد الغابر ، ويصلوا الماضى بالحاضر ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

محمد الطيب النجار

أستاذ فى التاريخ الإسلامى بالأزهر

خير الزوجات في نظر الاسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنسك المرأة لاربعة : لما لها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، رواه الشيخان .

للزواج فوائد كثيرة عليها يستند نظام الحياة ، وتستقر قواعد العمران ، وترتكز دعائم الإصلاح .

وله آثار جليلة بها تقوم المصالح بين الاسر ، وتحقق المنافع بين العشائر ، وتسود العلاقات بين القبائل .

وفيه ثمرات طيبة بها تطهر الامم من جرائم الفساد ، وتبرا من أدواء الآثام ، وتنخلص من عوامل الاسقام .

فهو السبب الاعظم في بقاء النوع الإنساني بقاء صالحا ، تنفجر منه ينابيع الخير ، وتنحدرو منه غيوث البر ، ويخرج منه النبت الحسن المبارك .

وهو السبيل الاقوم إلى توكيد الصلات بين الافراد والجماعات ، توكيدا يسكون به التناصر والتعاقد ، وينشأ عنه التأزر والتعاون ، إذا وجبت النجدة ، وجدد الجدد ، وحزب الامر .

وإذا استقامت أحوال أمة ، ونأت عن المنسكرات بجانها ، وماتت فيها فكرة التخاذل ، وشاعت فيها روح التعاون ، فقد سطع نجمها ، وانبج صبحها ، واقترب ضحاها .

وقد جرت عادة الناس أنهم يرغبون في الزواج بالمرأة لواحد من الاغراض الآتية ، يجعلونه مدار أفكارهم ، ومحط أنظارهم ، ومرمى أبصارهم :

فهم من يرغب في الزواج بالمرأة لما لها ، ولو كان المنبت خسيسا ، والمنظر دميما ، والخلق ذميما .

ويعاللون تلك الرغبة بأن المرأة إذا كانت ذات مال ومتاع ، ونشب وضياع ، فقد

تستغنى بمالها عن إرهاق زوجها بالمطالب ، وإثقاله بالحوائج ، وتكليفه مالا يطيق
مما تشاؤه وتبنته ، وتميل إليه وتشتهيه .

وقد يرزق منها بولد ، فيعود إليه مالها بالميراث ، فينشأ ثريا ، ويعيش غنيا ،
ويموت كريما .

ولكنهم — وقد تملك حب المال عقولهم — غفلوا عن المتاعب التي تلحقهم من جراء
ذلك الزواج المادى ، والتي لا تعد تلك المنافع في جانبها شيئا مذكورا .

ذلك أن ذات المال من النساء تكون — في الغالب — طاغية عاتية ، متجبرة قاسية ،
لا ترعى لزوجها حرمة ، ولا تحفظ له كرامة ، ولا تؤدى له واجبا .

وما لا شك فيه أن تعاظم المرأة على الرجل ، وترفعها عليه ، وأخذها بزمامه وقياده ،
فيه عكس السنة الإلهية ، وتغيير للأوضاع الدينية ؛ فإن الله تعالى جعل الرجال قوامين على
النساء قيام ولاية ورعاية ، وإصلاح وتقويم ، بما فضلهم عليهن من تمام العقل وكال الدين ،
وبما التزموه لهن من النفقات والصدقات .

فأرلئك القوم الذين يطلبون الزوجة لمالها ، غاضين الطرف عن أخلاقها ، قوم سفهاء
الأحلام ، ضعاف الثقة بالله ، قد رضوا لأنفسهم في سبيل هذا الحطام البالى بحياة الذل
والمهانة ، والعبودية والاسترقاق .

ومنهم من يرغب في الزواج بالمرأة لحسبها ، أى لشرفها بآبائها وأقاربها ، وهى رغبة
محمودة محبوبة ، ووجهة قومية سليمة ، قد طلبها الدين ، ودعا إليها خير المراسين .

قال عليه الصلاة والسلام : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ، أى إن العرق نزاع
ينزع إلى أصل الام وطبعاها .

فالملطوب من الرجل أن يتخير زوجة حسنية نسبية ، قد نبئت من أرومة طيبة ، ونشأت
من أصل كريم — ويكره له أن يقترن بامرأة خسيسة وضعيفة ، قد خرجت من شجرة خبيثة ،
ونبتت في بيئة دنيئة .

وحكمة التشريع في ذلك أن سلبية الحسب تكون ذات خلق حميد، وعرض سليم، وعفة كاملة، وترفع عن الدنيا، وتحفظ من الشبهات، وهذا هو مصدر راحة الزوج وهناءته، وسر تقويم الولد ونجابته، ومبعث نظام الأسرة وهدوئها.

ولكن الحسب وحده غير كاف في اختيار الزوجة ما لم يكن معه دين يدفع عنها غواشى الشر ويصرف عنها دواعي السوء.

ومنهم من يوجب في الزواج بالمرأة الجمال. والجمال مطلوب في كل شيء. لا سيما في المرأة التي تكون صاحبة وقرينة.

وإذا سلم الجمال من التيه المفضى إلى الملل. والإعجاب المؤدى إلى الفتور، وكان بجواره قبس من جمال الشرع والدين، فإن ذلك الزواج يكون دائم الألفة، مستحكم الوصلة، يحمل عز الحياتين، ونعيم الدارين.

ومنهم من يرغب في الزواج بالمرأة لدينها، وهذه الوجهة يجب أن تكون مطمح أنظار العقلاء. فإن المرأة إذا كانت ضعيفة في دينها وأخلاقها، متهاونة في شرفها وعفافها، أذرت بزوجها، وثلت عرضه، وجرحت منه مواضع العزة.

لذلك كله بالغ الرسول ﷺ في الحث على التزوج بذات الدين بقوله: «فاظفر بذات الدين، تربت يداك»، لأن لها من دينها ما يحميها عن المعاصي، ويحفظها من المساوىء، ويجعلها من غوائل الفتنة في حصن حصين، وحرز منيع.

ومعنى: «تربت يداك»، لصقت يداك بالتراب، وأصبت بالفقر والعوز، والضيق والضعف، إن ضللت ذات الدين، وصدفت عن صاحبة الخلق المتين.

ثم إن النساء على قسمين: صالحات مطيعات، تصون الواحدة منهن عرضها من الدنس وتحفظ شرفها من الخسة، وتقوم على مصالح زوجها بالتدبير والرعاية. فإذا من الله على العبد بامرأة منهن تستمتع بهذه الخلال، وتجمل بهذه الصفات، فإنها نعمة من ربه وصلت إليه، تستوجب الشكر، وتسأهل الحمد والثناء، قال عليه الصلاة والسلام:

« خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها .

وفاسدات فاجرات . قال عليه الصلاة والسلام : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات عيلات ، رهوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ، . ومعنى : (كاسيات عاريات) أن الواحدة منهن تستر بعض بدنهن وتكشف البعض الآخر ، لإظهارا لجمالها . ومعنى : (مائلات عيلات) أنهن يمشين متبخترات عيلات لا كشافهن من الخيلاء . ومعنى : (رهوسهن كأسنمة البخت المائلة) أنهن يغطين الرءوس بلف العصائب عليها حتى تصير كأسنمة الإبل .

وهذا الحديث من علامات النبوة ، فقد وجد الصنفان بالمشاهدة وظهرا للعيان ظهورا لا شك فيه .

وجملة القول أن اللائق بذى المروءة والعقل أن يكون الدين مطمح نظرهم في كل شيء ، لا سيما في النكاح الذى يدوم أمره ، ويعظم خطره . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تزوجوا النساء الحسنين ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل ، . وقال عليه الصلاة والسلام : « من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها ، .

وبعد فهذا موضوع خطير أسوقه إلى القراء ليستلهموا منه الرشد في حالة اجتماعية تشغل الأفكار والعقول ، ويتوقف عليها نظام الأسرة ، وهدوء الحياة ، وصلاح المجتمع ، وفلاح النفس .

والله أسأل - وهو خير مسئول - أن يجعل النفع به عيما . لأنه نعم المجيب ؟

عبد الرحيم فرغلي البلينى

من نوادر المخطوطات العربية

بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه اتجه العرب إلى الدنيا يحملون لها دينهم ويدعون إليه بالتي هي أحسن . ولم يشهد التاريخ حروباً أكثر إنسانية - إن كان في الحرب إنسانية - من الحروب التي قام بها المسلمون الأولون دفاعاً عن دعوتهم .

ولم يتجهوا إلى تدوين علومهم أول الأمر باستثناء القرآن الكريم ، فقد دون عثمان رضي الله عنه مصحفاً نشره على الأخصار ليتخذ إماماً . ثم اتسعت رقعة الإسلام ودخلت في تكوين ثقافته عناصر كثيرة ، بعضها يتلام مع طبيعة تكوينه فقبلها ، وبعضها ينافر هذه الطبيعة ، فظل في صراع معها . وكانت علوم اللغة من أقدم العلوم التي حظيت بعناية المسلمين ، ذلك لأنها كانت وسيلتهم إلى فهم كتابهم وإدراك معانيه ، وكانت الشعبية والقبلية والصراع العنيف الذي نشب بين العرب وبين غيرهم من الأجناس ، هذا الصراع الذي حدا بكثير من المؤلفين العرب إلى أن يبحثوا في ماضي أمتهم ويفتشوا عن دارس أيامها ، فإن وجدوها رويوها بأسانيدهم واثقين منها ، وإن لم يجدوها على نحو يرضيهم رويوها على نحو ما بلغتهم ، رغبة منهم في نصره فكريتهم ، أو قبيلتهم .

ولا تزال الكتب العربية تحتفظ بالكثير من هذه الروايات عن عرب الجاهلية . وقد تكون أقرب إلى الأسفار منها إلى حقائق التاريخ . ولكن هذه الأسفار ، أو هذه الروايات ذات قيمة كبيرة في دراسة العرب من الناحية الميثولوجية ، ولا تزال هذه الناحية بكرة ، مع أننا نجد الباحثين في تاريخ الأمم الأخرى يولون هذه الناحية عناية كاملة ، وأوضح مثل على ذلك تاريخ اليونان والرومان والفرس .

* * *

وأنا أقدم للقراء حديثاً قصيراً عن أقدم مخطوط عربي كامل ، ألفه الأصمعي للبأمون وكتبه ابن السكيت :

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمد الله دائماً أبداً وأصل وأسلم على نبي الهدى وعلى آله وصحبه وأعلقهم بالخلافة بداً . أما بعد . /
فقد أمرت أيد الله دولتك وأيد صولتك وأطال في ظل أفياء السلامة بقبالك ، وحجب عن غير ثواب الدهر نعمائك وجعلك لتوخي سبوح النعم . /
معقلاً ولآمال مؤمل الافضال مؤتلاً بأن أجمع ما بلغني من أخبار ملوك العرب البائدة الآرية وبعضها من سياستهم ونصائحهم وأشعارهم وخطبهم
ومسراهم في تدبير ما خولهم الله تعالى ووقاتهم فرأيت استغراغ المجهود في قلة ما وصل إلى من ذلك عذرا ووجدان ما به الكفاية عسرا لانقطاع
أخبارهم ونحو آثارهم فأنعت . /

ركبي بحوب القبائل مستقصيا بها رواة الاخبار وحفظه تواريخ ما مضى من الامصار فاستقصيت كل من وافقته من النسابين وتاليفت ما روتته لي . /
الشيخ المعمر من الاجداد السالفين إلى أن جمعت منه هذا القدر القليل امثالا للأمر العالي الجليل والذي وقع عليه إجماعهم بأمر المؤمنين أن أول ملك . /
تتوج من العرب هو قحطان بن هود النبي عليه السلام وهو هو أول نبي مرسل بعد نوح عليه السلام ونسبه لي عامرة الصعصي أنه قحطان بن هود
ابن عابر بن صالح بن أرقحشد بن سلم بن نوح ولما انقرضت بكثرة الحروب قبائل طلم وجديس قالوا لا بد أن ننظر في أمرنا ونهيب بعضنا ونملك
أمرنا شريفا لا نجد من طاعته بدا . /

فأجمع رأيهم على قحطان بن هود وهو ثالث من أنشد شعراً يسلي به بعض ما كان بأبيه هود عليه السلام من الكآبة والجزع والغم والارتماس
والحزن على قومه عاد فقال : /

إني رأيت أبي هو ذا يورقه حزن خيل ولبال وإسهاد لا يميزك إن خصت بدهية عاد بن لاوى فعاد بشما عاد . هو عصورارهم واستكبروا . /
وعتوا عما نهوا عنه لا سادوا ولا عادوا بعد ألاماً فما أرحم حلومهم في كل ما ابتدوا أو كل ما اعتادوا غدوا يعدون عنهم من سفاهتهم وعثاها أهلكتوا . /
إبان ما بادوا ألا يظنون أن الله خالقهم وأن كلا الأمر لله متفاد ، باليت شعري وليت الطير يخبرني أسلم لي لقمان وشداد ، وبلغني يا أمير المؤمنين . /
أن قحطان بن هود النبي ^{عليه السلام} وصى ببنه فقال لهم إنكم لم تجهلوا ما نزل بعاد دون غيرهم حين عتوا على ربهم واتخذوا آلهة يعبدونها من دونه . /
وعصوا أمر نبيهم هود وهو أبوكم الذي علمكم الهدى وعرفكم سواء السبيل وما بكم من نعمة فمن الله وأوصيكم بذى الرحم خيراً وإياكم . /
والحمد فإنه داعية القطيعة فيما بينكم وأخوكم بهرم أميني عليكم وخليفتي بينكم فاسمعوا له وأطيعوا واحفظوا وصيتي واعملوا بها وابتنوا عليها . /
ترشدوا ثم أنشأ يقول : أيا يشجب أنت المريجى وأنت لي أمين على سرى وجهى حافظ عليك بدين لست تنسك فضله ، فقد سبقت فيه . /

الاصمعي : مؤلف الكتاب هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، أبو سعيد الاصمعي^(١) نسبة إلى جده لصمغ بن مظهر بن رباح بن عبد شمس^(٢) الباهلي . فهو عربي مصري . وهو من أهل البصرة ، وللبصرة في العربية تاريخ مجيد ، ولما ولي هارون الرشيد استدعاه وأبا عبيدة معمر بن المثنى إلى بغداد فقدموا اليها ، وقد كان بينهما منافرة مردها إلى اختلاف أصيل في الأصل والمزاج والهدف : فأبو عبيدة فارسي من أسرة يهودية كان متعصباً على العرب ، نصيراً للشعوية عليهم ، يؤلف في مثالبهم ، وقد ظنه كثير من مؤرخي الأدب خارجياً وليس هو من الخوارج في شيء^(٣) . وأما الاصمعي فعربي عريق متعصب للعرب على الشعوية ، يؤلف في مناقبهم ، ولعل الشافعي رحمه الله لم يعد الحقيقة حين قال عنه : « ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الاصمعي » .

وتوفي الاصمعي قريباً من سنة خمس عشرة ومائتين .

وأما ابن السكيت فهو يعقوب بن اسحاق بن السكيت ، أبو يوسف النحوي اللغوي ، وصاحب كتاب إصلاح المنطق كان خوزيا يعلم أولاد العامة — أولاً ببغداد ، ثم لم يزل حتى علم أبناء الأمراء ، وولد جعفر المتوكل على الله^(٤) . وكان يتعصب لآل علي ولذلك غضب عليه المتوكل آخر عمره^(٥) فقتل سنة أربع وأربعين ومائتين . وهو يومئذ رأس في العربية .

ونستطيع الآن بعد أن فرغنا من هذه العجالة عن مؤلف هذا السفر العتيق وناسخه أن نقدم للقراء وصفا ظاهرياً لهذه المخطوطة الفريدة .

(١) تاريخ بغداد : ١٠٠ ص ٤١٠ .

[٢] الباب . ١ ص ٥٦ .

A Literary History of The Arabs. by R. Nicholson. Combridge [٣] 1930. P. 344 F.

[٤] تاريخ بغداد . ١٠٠ ص ٤١٧ .

[٥] تاريخ بغداد ١٤ ص ٢٧٣ .

[٦] Sitler. Hist- of Tharabs P 343 . وكذلك تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي

زيدان . ٢ ص ١١٨ .

دخلت هذه المخطوطة حوزة خزانة الكتب الاهلية في باريس Bibliotheque Nationale ضمن مكتبة المسيو يونيون الذى كان يوما ما قنصلا لفرنسا في حلب ^(١) .

وهي تقع في ثمانية وعشرين رقا من رقوق الغزال النادرة يشتمل كل رق منها على سبعة عشر سطرا ، في كل سطر لحدى وعشرون كلمة ، ويكاد عرضها أن يكون ضعف طولها (٢١ + ٢٧ سم) . وقد كتبت بخط كوفي قديم .

ويلاحظ أن الرق قد استعمل للكتابة عليه من قبل ثم غسل وكتب عليه هذا الكتاب ففي بعض الرقوق لا يزال أثر الكتابة الاولى بينا للمتعمّن .

وفي الرق الاخير من هذا المخطوط ما يأتي : « فرغ أبو يوسف يعقوب بن السكيت من استنساخها في عاشر شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين » .

وقد جمع الاصمعي هذه الاخبار امثالا لامر الخليفة المأمون فأقطعه عليها أراضى (الاميرية) ويبدو أن الذين قاموا على طبع فهرس خزانة الكتب الاهلية في باريس قد التبس عليهم المعنى القديم بالاستعمال الشائع اليوم لكلمة أميرية وترجمها هكذا .
"Conceda en fiefs les terres emiriennes d'Alkarkh" ^(٢) وإنما هي الاميرية من قرى النيل من أوض بابل ببغداد ^(٣) .

وهذه الرقوق محفوظة في خزانة الكتب الاهلية بباريس تحت رقم ٦٧٢٣ أما حقيقة نسبتها إلى الاصمعي ، وحقيقة كتابة ابن السكيت لها فهذا موضوع حديث آخر ؟

نور العريضة شريفة
من الازهر

[١] مجلة المشرق ٢٨ ص ٤١ - ٤٣ من مقال بقلم الأديب حبيب زيات تحت عنوان . نصرانية الحارث بن كعب ومخطوطة خزانة باريس . ٦٧ ٢٣

[٢] فهرست خزانة باريس . ص ٣٤٧ طبع سنة ١٩٢٥ .

[٣] معجم البلدان . ١ ص ٣٦٥ نشره فستنفلد Wustenfled في ليزج سنة ١٨٦٦ .

نقد الكتب :



لابن سينا وابن طفيل والسهورردى
نشر وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد أمين

قصة د حى بن يقظان ، لا سيما تلك التى تنسب لابن طفيل ، قطعة نادرة من فلسفة المسلمين الاشرافية ، تصور لنا بأسلوب أدبى رائع كيف يصل الإنسان المنعزل من الجماعة ، بعقله إلى حقائق الدين الجوهرية ، وكيف يفتنى به الشوط إلى حالة الاتحاد الصوفى بالله ! وإن القصة لتعد بحق - كما يقول العلامة د كارا دى فو ، Carra de Vaux - من أعجب كتب العصور الوسطى .

وتاريخ الفلسفة الإسلامية يعرف قصتين أخريين بهذا العنوان ، إحداهما لابن سينا الشيخ الرئيس ، والثانية للسهورردى المقتول شهاب الدين .

ولقد أراد الأستاذ أحمد أمين أن يقدم للباحثين فى الإسلاميات عامة وفى الفلسفة منها بوجه خاص ، قصة د حى بن يقظان ، لمؤلفها الثلاثة مطبوعة مشروحة ، وأن يجعل ذلك منه تحية للشيخ الرئيس فى عيده الألفى . ولقد رضخت مطبعة المعارف لمشيمة الأستاذ وإرادته ، فأخرجت هذه المجموعة ضمن سلسلة د ذخائر العرب ، .

والأستاذ الناشر - مع الأسف الشديد - لم يحدثنا عن أى أصول تلك التى نشر عنها قصتى ابن سينا وابن طفيل ، كما تقضى بذلك أساليب النشر العلمية ، ومهما يكن من شئ فقد أسفنا بحق أن تخرج هذه النشرة مليئة بالأخطاء والسقطات ، التى قد تتسع أحياناً إلى ما يقرب من صفحة كاملة ، مما يستحيل معه المدعى وينغلق ، ويسوء أساءة بالغة إلى الفلاسوفين الكبارين ابن سينا وابن طفيل .

لذلك آثرنا أن نقوم بنقد الكتاب - أو بعبارة أدق بنقد قصتى ابن سينا وابن طفيل

دون قصة السمروردي وهي ورقتان لم يتيسر لنا مقابلتهما على أصولها المخطوطة - نشدانا هنا للحق وحده ، ونحمة خالصة إلى الشيخين الكبيرين أبي علي وأبي بكر .

وأكبر الظن أن الأستاذ أحمد أمين - وقد زاول القضاء حيناً - سيزن عملنا هذا بموازين العدالة ، وسيُنظر إليه نظرة مجردة عن الهوى والغرض ، قائمة على المعايير العلمية الدقيقة التي لا تعرف المجاملة أو المحاباة ، وأكبر الظن أيضاً أن الأستاذ سيصطحب معه هذا النقد عند تفضله بزيارة المطبعة لإعادة الطبع .

* * *

١ — يقول الأستاذ في المقدمة (ص ٦) بصدد تحدثه عن ابن سينا إنه « ولد في بلخ من أعمال التركستان » . ولا ندرى من أى مصدر استقى الناشر هذا الخبر ؟ ولم يقل أى مرجع من المراجع العديدة التي ترجمت للشيخ الرئيس ، إنه ولد بهذه المدينة ، وابن سينا نفسه يحدثنا فيما رواه تلميذه وكاتب سيرته « الجورجاني » ، فيقول : « إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور ، واشتغل بالتصرف بقرية خرميشن ، وتزوج أمي من قرية يقال لها أفشنة وولدت منها بها ... » الخ . راجع إن شئت ابن العبري وابن أبي أصيبعة والبيهقي والفقهى وابن خلكان .

٢ — ويقول الناشر (ص ٧) بصدد تحدثه عن الشيخ أبي بكر بن طفيل : « وكان (ابن طفيل) معاصراً للفيلسوف المشهور ابن رشد ، وإن كان ابن رشد أكبر منه سناً » . ولا شك أن هذا خلط كبير ؛ فالنارخ يحدثنا أن ابن طفيل هو الاسن ، ونارخ ميلاده وإن لم يكن معروفاً على وجه التحديد إلا أنه لا يتجاوز بحال العقد الأول من القرن السادس الهجري ، بينما ولد ابن رشد باتفاق عام ٥٢٠ هـ .

٣ — ويقول الناشر في نفس الصفحة : « وقد حل ابن طفيل طبيباً للسلطان لما طعن ابن رشد في السن ، وليس هذا خلطاً لغسب ولكنه أيضاً قلب للحقائق ؛ فالصادر يتحدثنا أن ابن طفيل هو الذى قدم الشاب ابن رشد إلى السلطان أبي يعقوب يوسف ، وطلب منه - كما يروى المراكشي - أن يلخص لأبي يعقوب كتب أرسطو ويقرب أغراضها ، ثم يقول ابن طفيل لابن رشد :

« وإنى لأرجو أن تنى به ، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك

إلى الصناعة ، وما ينعنى من ذلك إلا ما تعلمه من كبرة سنى ، الخ . والمصادر تحدثنا كذلك أن ابن رشد هو الذى خلف ابن طفيل كطبيب للسلطان حينما علت بأبى بكر سنه ؛ يقول « كازادى فـو » "Casa de Vaux" فى دائرة المعارف الإسلامية .

ولما طعن فيلسوفنا - ابن طفيل - فى السن ، حل ابن رشد محله فى الطبابة للخليفة عام ٥٧٨ هـ .

ومن الطريف حقا أن الأستاذ أحمد أمين يسهو عما ذكره هنا ليعود فيقول (ص ١٠) ثم تخلى ابن طفيل عن عمله كطبيب للنصور وتركه لابن رشد !!

٤ — والأستاذ يورخ مقتل السهروردى بعام ٥٧٨ هـ (ص ٨) وهو بذلك يتقدم بمصرعه تسع سنوات كان الرجل فيها حيا يرزق ، إذ لاقى السهروردى حتفه عام ٥٨٧ هـ ، قال ابن خلكان : « وكان ذلك فى خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب .

(٥) ويقول الناشر (ص ١٠) : « ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه (ابن طفيل) كان تلميذا لابن رشد ! وإنا نلتبس من الأستاذ الجليل أن يدلنا على هذا البعض ، من المؤرخين أو من المخرفين ، فالحق أن أحدا لم يقل بذلك أبداً . وأكبر الظن أن الأستاذ ، وقد رأى المراكشى وبعض الباحثين يذكرون أن ابن طفيل كان تلميذا لابن باجة المعروف بابن الصائغ - وهى دعوى يبطلها أبو بكر نفسه الذى يصرح بأنه لم يلق شخص ابن الصائغ - أقول أكبر الظن أن الأستاذ ، وقد رأى ذلك ، قد اختلط عليه ابن رشد بابن باجة وابن طفيل فقال إن من المؤرخين من يقولون بتلميذ ابن طفيل لابن رشد ، وهو ما لم يقل به إنسان غير أحمد أمين الذى يريد لبضاعته هذه التمجيل بالظهور فى السوق دون تمحيص على ، وهذه هى خمسة أخطاء كبيرة فى مقدمة صغيرة ضئيلة ، فلننتقل بالفارىء الكريم إلى قصة « حى بن يقظان » كما نشرها الأستاذ :

٦ — فى صفحة (٤٣) يقول ابن سينا : « فزعت إلى مخاطبته ، وانبعثت من ذات نفس لمداخلته ومجاورته . وهذه عبارة مضطربة لا يستقيم معها المعنى ، ومن الطريف حقا أن الأستاذ الناشر علق عليها بقوله « يلاحظ الفارىء أن تعبيراته (يقصد ابن سينا) تعبيرات أعجمية غامضة لا كما هو الشأن عند ابن طفيل ، والحق ياسيدى أن العيب ليس على تعبيرات ابن سينا أو أعجمها ، وإنما العيب على ناشر هذه التعبيرات ، فقدسها الأستاذ الكبير عند

نشرها فسهلت منها كلمات ، كان سقوطها دون ريب هو علة هذا الاضطراب ، وتصويبها كما في نشرة الكردي « جامع البدائع ص ۹۲ »^(۱) . « فنزعت إلى مخاطبته ، وانبعث من ذات نفسي متقاض لي بمدخلته ومجاورته . »

۷ — وفي نفس الصفحة يقول ابن سينا : « وتنازعنا الحد حتى أفضى بنا إلى مساوئته عن كنهه أحواله واستعلامه سنه وصناعاته »^(۲) . الخ وأكبر الظن أنه لا معنى أبداً لإقحام « السن ، هنا ، والصواب سنته ، أي مذهبه وطريقته . »

۸ — وفي صفحة (۴۵) : « فلا تحتاج إليه أو يؤتيك موقفاً من الله غليظاً ، والصواب « فلا تجنح إليه . . . »

۹ — وفي نفس الصفحة السابقة : « فتى تجردت للسياحة بسكنه نشاطك وافقتك وقطعتهم ، والصواب « وافقتني . »

۱۰ — وفي صفحة (۴۶) : « سرت في جوارحه منه مبتدعة يقوى بها على قطع تلك المهام . » وصوابها « المهامة »^(۳) ، وهي جمع « مهمة » أو « مهمة » ، وهي المفازة البعيدة .

۱۱ — وفي صفحة (۴۷) : « كلما أهلت بهمار نبت لهم فابتنى بها آخرون ، والصواب « نبت بهم . »

۱۲ — وفي نهاية قصة ابن سينا (ص ۵۳) : « قال الشيخ حسن بن يقظان لولا تعزبي إليه بمخاطبتك ، والصواب « لولا تقربي . »

۱۳ — وفي قصة ابن طفيل (ص ۵۸) : « بل يعتز به من الطرب والنشاط ، وصوابها « بل يعتريه . »

۱۴ — وفي صفحة (۶۰) نقص كبير لا ندرى على أي وجه أقلت من الناصر ؛ فقبل قول ابن طفيل « وقد خرج بنا الكلام ، يجب وضع هذا النص نقلاً عن مطبوعة دمشق لعام ۱۹۳۹ »^(۴) .

[۱] المجلة - وكذلك العبارة بتمامها في طبعة ليدن ص ۲ .

[۲] المجلة - وكذلك هي على الصواب « سنته » في طبعة ليدن ص ۴ .

[۳] المجلة - وهي على الصواب « المهامة » في طبعة ليدن ص ۸ .

[۴] المجلة - وقبل مطبوعة دمشق كان هذا النص مثبتاً في مطبوعة الوطن بالقاهرة سنة ۱۲۹۹ هـ .

« وقد يوجد في النادر من هو بمنزلة من كان أبداً ناقب البصيرة ، مفتوح البصر ، غير محتاج إلى النظر ، ولست أعنى — أكرمك الله بولايته — بإدراك أهل النظر ههنا ما يدركونه من عالم الطبيعة ، وبإدراك أهل الولاية ما يدركونه مما بعد الطبيعة ، فإن هذين المدركين متباينان جداً بأنفسهما ، ولا يلتبس أحدهما بالآخر ، بل الذي نعينه بإدراك أهل النظر ، ما يدركونه مما بعد الطبيعة ، مثل ما أدركه أبو بكر ، ويشترط في إدراكهم هذا أن يكون حقاً صحيحاً ، وحينئذ يقع النظر بينه وبين إدراك أهل الولاية الذين يعتنون بتلك الأشياء بعينها ، مع زيادة وضوح ، وعظيم التذاذ ، وقد عاب أبو بكر ذكر هذا الالتذاذ على القوم ، وذكر أنه للقوة الخيالية ، ووعده بأن يصف ما ينبغي أن يكون حال السعداء عند ذلك بقول مفسر مبين . وينبغي أن يقال له ههنا : « لا تستحل طعم شيء لم تذق ، ولا تتخط رقاب الصديقين » . ولم يفعل الرجل شيئاً من ذلك ، ولا وفي هذه العدة ، وقد يشبه أن منعه عن ذلك ، ما ذكره من ضيق الوقت واشتغاله بالزول إلى « وهران » ، رأى^(١) أنه إن وصف تلك الحال ، اضطره القول إلى أشياء ، فيها قدح عليه في سيرته ، وتكذيب لما أثبتته من الحث على الاستكثار من المال والجمع له ، وتصريف وجوه الحيل في اكتسابه ، وقد خرج بنا الكلام . . الخ .

١٥ — وفي صفحة (٦٤) يقول ابن طفيل : « فهذه صفة تعليمه وأكثره إنما هو رمز وإشارة لا يفتفع بها إلا من وقف عليها ببصيرة نفسه أو لإمام سمعها منه ثانياً . الخ . وتصويب العبارة^(٢) : « ببصيرة نفسه أولاً ، ثم سمعها منه ثانياً » .

١٦ — وفي صفحة (٦٥) : يقول الشيخ أبو بكر : « لكن كتبه (الغزالي) المصنوع بها ، المشتملة على عدم المكاشفة لم تصل إلينا ... ، وصواب العبارة : « المشتملة على علم المكاشفة^(٣) » .

١٧ — وفي صفحة (٧٠) : « وهي أنواع الحيوان وهذه الصقيلة في المثال المتقدم ، وصواب العبارة : « وهذه بمنزلة الاجسام الصقيلة في المثال المتقدم^(٣) » .

١٨ — وفي صفحة (٧٥) : « كان يرى أنه أغمض عينيه أو حجبهما بشيء لا يبصر شيئاً ، والصواب : « أنه إذا أغمض عينيه أو حجبهما بشيء . الخ^(٣) » .

[١] المجلة - في مطبوعة الوطن (أو رأى) .

[٢] المجلة - وهذا الصواب هو الذي في مطبوعة الوطن أيضاً ص ٨ .

[٣] المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن [انظر ص ١٢ و ١٦ و ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ .

- ١٩ - وفي صفحة (٨٠) : : ومات الحيوان ذلك على النور ، والصواب : : ومات ذلك الحيوان على الفور ^(١) .
- ٢٠ - وفي صفحة (٨١) : : والتي يحارب بها تنقسم إلى ما يدفع به نكايه غيره ، وإلى ما ينكس بها غيره ، والصواب : : وإلى ما ينكي بها غيره ^(٢) .
- ٢١ - وفي صفحة (٨٨) : : وهو الذي يعبر عنه النظام بالنفس النباتية ، والصواب : : النظر ^(٣) .
- ٢٢ - وفي نفس الصفحة السابقة : : ورأى طائفة من ذلك الفريق في الصورة الأولى والثانية تزيد عليه بصورة ثالثة ، وفي العبارة نقص أخطرت له المعنى ، والصواب : : ورأى طائفة من ذلك الفريق ، مع أنها تشارك الفريق في الصورة الأولى والثانية ، تزيد عليه بصورة ثالثة ^(٤) .
- ٢٣ - وفي صفحة (٩٠) : : فقرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر هو الذي يوجد فيه هذا الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه .
- وفي العبارة نقص ، وصوابها : : فقرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر ، هو الذي يوجد فيه هذا الامتداد ، وأن الامتداد وحده ... الخ ^(٥) .
- (٢٤) وفي صفحة (٩٦) : : والمحرك إما أن يكون قوة سارية في جسم من الاجسام ، إما جسم المحرك نفسه وإما جسم آخر ، والصواب : : إما جسم المتحرك نفسه ... ^(٦) .
- (٢٥) وفي صفحة (٩٩) : : وكيف يكون العدم تعلق أو تلبس بمن هو الموجود ، والصواب : : تعلق أو تلبس ^(٧) .
- (٢٦) وفي نفس الصفحة أيضاً : : والصلابة واللين والخشونة والملاسة ، والصواب : : والخشونة والملاسة ^(٨) .
- (٢٧) وفي صفحة (١٠٧) : : وإما عمل يتشبه بالاجسام السماوية ، والصواب : : وإما عمل يتشبه به بالاجسام السماوية ^(٩) .
- (٢٨) وفي صفحة (١١٣) : : أذهى بجملتها لا يليق بهذه الحالة ، والصواب : : مما لا يليق ^(١٠) .

(١) المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن (أنظر ص ١٢ و ١٦ و ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ على التوالي)

(٢) المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن | أنظر ص ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٨

- (٢٩) وفي صفحة (١١٥) : « بل ليس شيء إلا ذات الحق ، والصواب : « بل ليس شيء »^(١) .
- (٣٠) وفي صفحة (١١٦) : « وكذلك جميع الذات المفارقة للمادة بتلك الذات الحقة ، وفي العبارة نقص والصواب : « المفارقة للمادة العالقة »^(٢) بتلك الذات الحقة » .
- (٣١) وفي صفحة (١٢٢) : « ورجع القول فيهما ، كما كان في طباعه من دوام الفسكرة وملازمة العبارة الغوص على المعاني ، ، وصواب العبارة : « ورجع القول فيها ، لما كان في طباعه من دوام الفسكرة وملازمة العبارة والغوص على المعاني »^(٣) .
- (٣٢) وفي صفحة (١٢٤) : « فجعل حتى بن يقظان يتقرب منه قليلا ، ، وصواب العبارة : « يتقرب منه قليلا قليلا » .
- (٣٣) وفي نفس الصفحة السابقة : « فلما نظر إليه وهو مكتسى بجلود الحيوانات ، ، والصواب : « فلما نظر إليه أسأل وهو مكتسى بجلود الحيوانات »^(٤) .
- (٣٤) وفي صفحة (١٢٥) : « ففسكر حتى بن يقظان فيما كان عقد على نفسه من الشرط قد تناول الغذاء ، ، والصواب : « في تناول الغذاء »^(٥) .
- (٣٥) وفي نفس الصفحة أيضا : « وقد كان أولع به حتى بن يقظان نخشى إن دام على اقتناعه يوحشه فأقدم على ذلك الزاد ، ، وصواب العبارة : « وقد كان أولع به حتى بن يقظان نخشى إن دام على امتناعه أن يوحشه الخ... » .
- (٣٦) وفي صفحة (١٢٧) : « والاعتراض عن الحق ، والصواب : « والإعراض »^(٦) .
- (٣٧) وفي نفس الصفحة كذلك : « فلم يأت لهم فهم ذلك ، ، وصواب العبارة : « فلم يأت له فهم ذلك »^(٧) .
- (٣٨) وفي صفحة (١٢٨) : « فشرع حتى بن يقظان في تعليم وبث أسرار الحكمة إليهم ، ، والصواب : « في تعليمهم »^(٨) .
- (٣٩) وفي صفحة (١٢٩) : « وقد نبذوا أعمالهم على خفتها وسهولها وراه ظهورهم واشترا به ثمأ قليلا ، والصواب : « واشتروا بها الخ » .

(١) المجلة - في ص ٤٨ من مطبوعة الوطن « المفارقة للمادة العارفة » .

(٢) المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن (انظر ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ على التوالي) .

(٤٠) وفي نفس الصفحة : « وأنه لا يفوز منه بالسعادة الاخرية إلا الشاذ النادر ، والصواب ، وأنه لا يفوز منهم » (١) .. الخ .

(٤١) وفي نفس الصفحة أيضاً : « أو عمل من أعمال الشرع يتزين أو يدافع الخ . . . ، والصواب : « يتزين به أو يدافع الخ . . . » (٢) .

(٤٢) وفي صفحة (١٣٠) : « وهو من العلم المسكنون الذي لا يقبله إلا أهل المعرفة بالله ولا يجمله إلا أهل العزة بالله ، وقد خالفنا فيه طريق السلف الصالح في الضنانية به والشمع عليه . . . »

وتصويب العبارة : « ولا يجمله إلا أهل الغرة بالله ، وقد خالفنا فيه طريق السلف الصالح في الضنانية به والشمع عليه » (٣) .

وبعد فهذه مأخذنا على قصتي ابن سينا وابن طفيل ، ولم نكلف أنفسنا هناء مراجعة مخطوطة المهروردي وهي ورقتان ، وأكبر الظن أن صاحبنا المقتول لم يكن عند الناشر أحسن حظاً من صاحبيه ، ولا يسعنا في ختام هذا النقد إلا أن نأسف بحق لوقوع هذه الأخطاء في نشرة الأستاذ أحمد أمين هذه ، التي أساء بها أساءة بالغة إلى الشيخين الجليلين ابن سينا وابن طفيل ، مع أننا قد أغفلنا الكثير من الهنات والمفوات التي تدرك للنظرة الأولى ، ونحن ننصح للأستاذ الناشر أن يكف عن هذا العبث بذات السلف ، وأن يعود إلى سيرته الأولى من الأمانة والالتزان والعمق في البحث والتجويد في الانتاج ، وأن يترك هذه البضاعة الرخيصة التي إن جلبت له المال الكثير فهي دون ريب تجلب عليه سخط الباحثين ، وتمحو اسمه سريعاً من سجل العاملين المخلصين .

سعد محمد همدان

المدرس بوزارة المعارف

(١) المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن (انظر ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ على التوالي) .

(٢) المجلة - وفي الكتاب المنقود مأخذ أخرى كثيرة "غير التي ذكرها الناقد" منها ما هو في المتن ومنها ما هو في التعليقات العربية والاfrنجية .

اختيار الزوجة في الشريعة الإسلامية

- ٢ -

هناك صفات أخرى جعلها الإسلام أساساً لاختيار الزوجة وإن كانت تلي في الأهمية صلاح الزوجة وتقواها . قال رسول الله ﷺ : تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثركم الأمم يوم القيامة . فالإسلام يفضل الزواج بالودود الولود ، لأن ذلك فيه لكثارة للفلس وتقوية للأمة الإسلامية وإنهاضاً لشأنها ، ومحافظة على كيانها ، ودرء العدوان عنها ، فما من أمة قل نسلها أو ضعف عدد أبنائها إلا صارت عرضة للفناء والاعتداء ، ولذلك نرى كثيراً من الدول تشجع الزواج وتفرض ضريبة على العزاب من أبنائها فوق ما تقرره من إعانات عائلية تزداد بازدياد عدد أفراد العائلة .

والإسلام بصفة عامة يفضل البكر على الثيب قال الله تعالى يمدح الحور في الجنة : « إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا » ، وقال ﷺ مخاطباً أحد الصحابة وحثاً له على زواج البكر « هلا بكراً تداعبها وتداعبك » ، ذلك لأن البكر أقرب إلى السذاجة والعفوية من الثيب فيمكن للزوج أن يشكلها حسب طبيعته ، كما أنها تكون أقرب للرضا بزوجه من الثيب لأنه لم يسبق لها أن عاشرت زوجاً آخر من قبل ، وفي البكر خفر وحياء ، والحياء زينة المرأة ، بل هو شعبة من شعب الإيمان لا يتجلى بها من لا حياء له ، ولذلك اعتبر سكوت الزوجة رضاهم بالزواج بعكس الثيب التي لا تستحي أن تقول نعم أو لا .

ومع ذلك فالثيب تفضل في بعض الحالات كحالة وجود أولاد للزوج .

روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نسكت يا جابر ؟ قلت : نعم قال : بكراً أم ثيباً ؟ قلت : لا بل ثيباً . قال : فهلا جارية تلاعبك . قلت : يا رسول الله إن أبى قتل يوم أحد وترك تسع بنات كن لي تسع أخوات فكبره أن أجمع لهن جارية خرقاء مثلهن ، ولكن امرأة تمشطهن وتقوم عليهن . قال : أصبت .

والنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد تزوج ثيبات ، فلأسباب خاصة وظروف معينة معروفة ، كرهبته عليه الصلاة والسلام في أن يعولهن أو يعوضهن عن أزواجهن الذين استشهدوا في القتال ، كزواجه بسودة بنت زمعة وأم سلمة ، أو لحكمة تشريعية عليها كزواجه بزينب بنت جحش رضى الله عنها التي تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن طلقها زيد بن حارثة مخالفا بذلك عادة العرب من عدم الزواج بزوجة المتبنى ، وكان زيد يدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقال « زيد بن محمد » ، قال الله تعالى « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا . »

والإسلام يفضل الزواج بالغريبة على الزواج بالقريبة ، قال صلى الله عليه وسلم « اغتربوا لا تقضوا ، أى لا تهزلوا وتضعفوا . وقد ثبت علميا أن الزواج بالقربيات فيه إضعاف للنسل ، أما الزواج بالغريبة ففيه تجديد في الدماء والطباع والأخلاق . »

يقول الدكتور محمد وصفي في بحث له بمجلة لواء الإسلام (ذو القعدة سنة ١٣٦٦) : « ولا شك أن الاستمرار في هذا الزواج (الزواج بالأقارب) يؤدي إلى تجمع عيوب مرضية وخلقية في النسل ، وقد لوحظ أن اليهود لا تباعهم طريقة زواج الأقارب كالحالات والعمات والاعراق في زواج أولاد الأعمام والحالات مدفوعين إليها بتعرضهم للاضطهاد في مختلف العصور ، ينتشر بينهم شلل الأطفال المصحوب بالبلاهة وغير ذلك من العيوب المنتشرة بينهم سواء أكانت جسمية أو غير غلك ، وقد لوحظ في حالات الصمم المصحوب بالبرك أن الآباء أولاد عم أو عمة أو أولاد خال أو خالة . »

ومن الأمراض التي تورث بهذا الزواج الهيموفيليا وهو مرض يصيب الذكور ويتميز باستعداد خاص للنزف بعد الجروح ، وقد كانت الأسرة الملكية الإسبانية السابقة مصابة به وكذلك أبناء الملكة فيكتوريا ، وبعض أبناء قيصر روسيا السابق . »

وقد قيل : إن سكان جزائر (الودا) الذين يعيشون في جزيرة سيلان يتفشى بينهم قصر الأجسام والاعتم إلى درجة يخشى معها عليهم من الفناء . وثبت أن الحمد من تزواج أبناء العم أو الخال أو أبناء العمة أو الخالة يقطع دابر بعض الأمراض بنسبة تتراوح بين ١٥ ٪ و ٥٠ ٪ ؛

وإذا كان الزواج بالغريبة مستحبا شرعا فذلك في حالة تساويها مع القربة في الصفات والأخلاق وكالصفة ، أما إن كانت في الغريبة عيوب خلقية أو مرضية فيكون التفضيل

للقربة لأن الغاية التي يقصدها الإسلام هي تقوية النسل وتطهيره من الأمراض النفسية والجسدية التي تنتقل بالوراثة كالزهري والصرع ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القربة القربة فإن الولد يخلق ضاوباً ، وفي هذا يقول الشاعر :

تجاوزت بذت العم وهي حبيبة مخافة أن يضوى على سليلها
ويقول الأصمعي : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما قرع الابطال كإبن الاعجمية .
هذا فضلاً عن أن الزواج بالقربة فيه ألفة ومحبة وارتباط بين عائلات جديدة ،
والدين متناه وأساسه المحبة والإخاء والتآلف ، وهذا سبب من أسباب تحريم الزواج
بالحارم كالأمة والحالة .

أما اختيار الزوج أساسه كذلك الأخلاق السكرية والصفات النبيلة وصلاح الإنساب
وتقواه ، قال صلى الله عليه وسلم : إذا أناكم من ترضون دينه وخقه فزوجوه ، إن لا تفعلوه تكن
فتنة في الأرض وفساد كبير ، فلا ينظر الإنسان إلى مال الزوج أو جاهه وينسى خلقه
وتقواه ، فالغنى أو الحسب وحده لا يكفي لإسعاد الزوجة ، بل ربما كان سبباً في تعاستها
وشتمائها فيكفينا من الزوج أن يكون قادراً على الإنفاق عليها وإسعادها قال الله تعالى
« وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغفر الله
من فضله والله واسع عليم » . وقال رجل للحسن البصري : قد خطب ابنتي جماعة فمن
أزوجها ؟ قال : بمن يثق الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يرفضون أن يزوجوا كريمةاتهم للملوك
وأبناء الملوك والحكام والأغنياء . ويفضلون عليهم الصالحين الاتقياء من عباد الله .

فقد روى أن سعيد بن المسيب العالم الفقيه أبى أن يزوج بنته لولى عهد أمير المؤمنين
وزوجها لتلميذه التقي الورع ابن أبي وداعة مع فقره وشدة حاجته .

ويجب أن نشير في نهاية هذه الكلمة إلى أنه من الواجب ألا نبالغ في المهور ، وألا
نطالب الأزواج بأكثر مما يطيقونه ، لأن في ذلك خروجاً بالزواج عن غايته التي قصد
بها ، إلى نوع من البيع والشراء ، فضلاً عن أنه يؤدي إلى تعطيل الزواج ، لأن الكثير
من الناس يرغبون في الزواج ولكن ضخامة المهور تحول دون ذلك - قال صلى الله عليه وسلم : من بركة
المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمة (يريد الولادة) ويسر مهرها .

تصويب لغوى

سى وستى - مخطىء، خاطىء - يفلح ويفلح - أمسية

سى وستى

كتب أثرى أديب كلمة يتحدث فيها عن رأى له فى كلمتى «سى» و «ستى» العربيتين ، وعن مقترح له فيهما ، يقول فى كلمته : إن الكلمتين من أصل مصرى قديم ١١١ ، ويقترح أن نحلا فى الاستعمال محل كلمة «حضرة» ، التى كانت قد اقترحت للاستعمال بديلا فى لقب حضره القانون .

أما الذى يعنى مجتمع الادب الرصين أن يقوله ، فذاك أننا لا نزال نرى أن كلمتى «سى» و «ستى» عربيتان محرفتان تحريفاً قريباً يئناً ، عن كلمتى «سيدى» و «سيدتى» ، وقد عرف هذا التحريف والاستعمال قديماً ، وقد يكون هذا الذى يقوله الأستاذ المقترح عن مصريتهما من تلاقى اللغات ، وما هكذا يكون التلاقى فيما أحسب ١١١

على أنه يطيب للأدب أن ينشد بيتى «البهاء زهير» الشاعر المصرى الرشيق ، قائل السهل الممتنع ، فى تعامله المتقبل الرقيق ، لاستعمال كلمة «ستى» المتناظفة لإحدى هاتين الكلمتين المحرفتين .

قال البهاء زهير :

بنفسى من أسماها بستى فتظننى النحاة بعين مقت
ولكن غادة ملكت جهاقى فلست بلاحن إن قلت «ستى»

أما ذلك المقترح باستعمالها بديلا من كلمة «حضرة» ، فإن رأى فيه لمن يملكه ، لأمن يراه ١١١ ، على حين أن الكلمتين الاصيلتين ، وهما سيدى وسيدتى باقيتان سائدتان إلى اليوم ١١١

مخطيء وخاطيء :

تقول كتب اللغة : أخطأ فلان ، جاوز الصواب والخطأ ضد الاصابة ، رباعى اسم الفاعل منه مخطيء ، وتقول كتب اللغة : خطيء الرجل يخطيء من الخطيئة والذنب ، ثلاثى اسم الفاعل منه خاطيء ، فى معنى مذنب مسيء .

هذا كذلك ، بيد أن بعض الكتّاب يضع الخاطيء موضع المخطيء ، فيما لا خطيئة فيه ، ولا ذنب ، بل فيه الخطأ وحده ، فهذا الكتّاب مخطيء وإن كان غير خاطيء .

جاء فى إحدى الصحف هذه الكلمة : بيانات خاطئة ، والمقال عن حساب وأرقام ، وفى طبيعة الحساب والأرقام أن تكون مخطئة حيناً ، لا خاطئة !!! ، إن ثمة فرقاً بين المخطيء والخاطيء ، يسرنا الله للسداد ، وجنبنا الخطأ والخطيئة .

شهدت إذ أماً نائب وزيراً قام خطيباً فى إحدى الجلسات ، فقال من حديث مثل هذه الكلمة : لقد كان هذا الحديث خاطئاً !!! ، فقال له وزير آخر : كلا يا مولاي إنما هو مخطيء لا خاطيء !!! ، ففنع بالتصويب ، من أديب ، وأقر كفاء ، نقد الكفاء .

يفلح ويفلح :

استمعت إلى عالم أديب محاضراً فى محطة الإذاعة ، لعهد سالف ، جفري فى محاضراته ما يأتى :

أن الحديد بالحديد يفلح ! ، فتمثل بهذا المثل - فيما تهدى إليه السمع - بفتح ياء الفعل ، وفتح لامه ، كأنه يحسبه من الجدوى والأفلاح !! ، وليس المثل فى شيء من ذلك !!! .

إن الصواب يتمثل بهذا المثل السائر المتعارف كهذا الذى أصف : الحديد بالحديد يفلح ، يباء مضمومة ، ولام مفتوحة ، ومعنى يفلح يشق ويكسر ، وبه سمي الفلاح فلاحاً ، لأنه يشق الأرض بالحراثة ، والأفلاح مشقوق الشفة ، ومعزى المثل أن القوة لا يقاومها إلا القوة .

وبعد : فعدرة إلى الصديق المحاضر من هذه العربية الأدبية ، أو الشغب اللغوى ، فإنما نعلم إلى الهتاف به استمتاعاً بذكر زميل كريم ، فإن الأدب عزيز دليماً مثله ، على أن الأستاذ يقول - وهو خليق بالصواب ، أنه قاله على ما نصف من الصواب ، وإنما مخطيء الأذن ، ولا بد من الصواب ، للشباب :

أنت عيني وليس من حق عيني فض أجبنا على الاقضاء!!!
أمسية :

يكثّر بعض الكتاب أن يقول هذه المقالة - على التثيل - خرجنا للتريض فكانت
لنا هناك أمسية طيبة ، وجرى كيت وكيت .

أما القارىء ، فما أكثر حيرته في كلمة « أمسية » هذه ، في مثل هذا المقال ، إذ كان
مغزاها أنهم خرجوا في يومهم فكان لهم في أمسيته أو أمسه شأن رقيق ، فما هذا الشأن ؟؟؟
وما ذلك الامر الذى لم يقع في يومك ، وإنما جرى في أمسيته ؟؟؟ وسالقه !!! وإنما أمسية
يومك هي اليوم الذى قبله !!!

إنى لأحسب كلمة « أمسية » هذه محولة عن كلمة « مسائية » وإنما يريد هذا الكاتب
أن يقول : خرجنا اليوم ، فكان لنا في مسائته شأن هو كيت وكيت ، أليس كذلك !! أجل ؟

« السير »

عضو المجمع اللغوى

كلمات للصاحب بن عباد

- * مثل الكاتب كمثل الدولاب : إذا تعطل تكسّر
- * الصبر على حقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة
- * أحسن ما يكون الحسن بجنب القبيح
- * ما أحد رأى في ولده ما يحب ، إلا رأى في نفسه ما يكره
- * ثلاثة تدل على عقول أربابها : الهدية ، والكتاب ، والرسول
- * السنين تغير السنن
- * السلاح ثم الكفاح
- * لا تمنع عدوك السبيل في هزيمته
- * معرض خير من ألب مقاتل

الكتب

ديوان علي بن الجهم

نشره المجمع العلمي العربي - بتحقيق العلامة الأستاذ خليل مردم - ٣٠٠ ص، قالين

أبو الحسن علي بن الجهم من شعراء عصر المأمون إلى زمن الخليفة المتوكل ، يرجع بنسبه إلى قريش العازبة من بني سامة بن إؤى الذين نزحوا خراسان ، وانتقل أبوه إلى بغداد فنشأ ابن الجهم فيها وصار يعد من كبار شعرائها . وكان لعلي أخ يسمى محمداً قال عنه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : مصحفه كتب أرسططاليس في السكون والفساد والكيان وحدود المنطق ، بها يقطع عمره . أما ابن الجهم الشاعر فكان يختلف إلى مجالس الإمام أحمد بن حنبل يسأله ما ينفعه في دينه وتصحيح عقيدته . ولما اشتد الخليفة الواثق على أهل الحديث في مدة خلافته ضعفت مدائح علي بن الجهم فيه وظهرت عليها دلائل انقباض الصدر وعدم الارتياح ، بل إن لابن الجهم في ذلك الدور قصيدة هجا بها وزير الدولة محمد بن عبد الملك الزيات غير مبال بما كان له من صولة وجبروت . فلما صارت الخلافة إلى المتوكل - وكان يرى رأى أهل السنة وأصحاب الحديث - انطلق لسان علي بن الجهم وكثرت أخباره ، وأكثر ما بقي من شعره قاله في المتوكل أو في زمنه . ومن ذلك قوله ساعة تولى المتوكل الخلافة :

قالوا أذاك الأمل الأكبر وفاز بالملك الفتى الأزهر
واكتست الدنيا جمالا به فقلت قد قام لذن جعفر

ولما تمت له البيعة قام علي بن الجهم في مجلس الخلافة وألقى قصيدة كأنها خطبة العرش مطلعها :

وقائل أيهما أ نور الشمس أم سيدما جعفر
قلت لقد أكبرت شمس الضحى جهلا وما أنصفت من تذكر

هل بقيت فيك مجوسية فالشمس في ملتها تكبر
فكيف قايت بها غرة غراء لا تخفى ولا تستر
قام وأهل الأرض في رجفة يخطب فيها المقبل المدبر
والدين قد أشقى وأنصاره أيدي سبا موعدها المحشر
فأمر الله إمام الهدى والله من ينصره ينصر
وقال والالسن مقبوضة : ليلغ الغائب من يحضر
أنى توكلت على الله لا أشرك بالله ولا أكفر
والله لا يعبد سراً ولا مثلى على تقصيره يعذر
وجرد الحق فأشجى به من كان عن أحكامه ينفر
فصاح إبليس بأصحابه حل بنا ما لم نزل نحذر
مالى وللغر بى هاشم فى كل دهر منهم منذر
أكلنا قلت خبا كوكب منهم بدا لى كوكب يزهر
والله لو أمهلنا ساعة ما هلك الناس ولا كبروا
وشتموا القوم الذين ارتضى بهم رسول الله واستكبروا
فردهم طوعاً وكرهاً إلى أن عرفوا الحق الذى أنكروا
الردة الأولى ثنى أهلها حزم أبى بكر ولم يكفروا
وهذه أنت تلافيتها فساد ما قصد كاد لا يذكر

قالوا وكان فى هذا المجلس قاضى قضاء المعتزلة أحمد بن أبى دواد ، فأطرق
استسكاراً لما يسمع .

وبعد أن حظى ابن الجهم من المتوكل بموضع الثقة التامة تأسر عليه ندماء الخليفة وشعراؤه
حتى أغروه بحبسه ونفيه إلى خراسان ثم أطلق سراحه فساء رأيه فى الناس وصار يلزم المقابر
وقد قال فى ذلك :

يشتاق كل غريب عند غربته ويذكر الأهل والجيران والوطنا
وليس لى وطن أمسىت أذكروه إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا

وفى آخر حياته خرج للجهاد فى ثغور الروم ، وفيما هو فى الطريق هاجمه قطاع الطرق
فقتل ، وقال وهو يحس بالموت :

أزیدَ فی اللیل لیل أم سال بالصبح سیل
یا إخوتی بدجیل وأین منی دجیل

ووجدوا فی جیبہ رقعة یقول فیها :

وارحتا للغریب فی البلد — نازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعیش من بعده ولا انتفعا

إن إحياء هذا الديوان حسنة من حسنات المجمع العلمی العربی ، وقد طبع طبعاً
أنيقاً علی ورق صقیل عن مخطوطة أثرية ثمينة من مخطوطات الاسكوريال بتحقیق بالغ
الغاية من العناية قام به الادیب الكبير والشاعر المبدع الاستاذ خليل مردم وزیر سوريا
المفوض فی العراق. أحسن الله إلیه .

دين ودولة

للأستاذ أحمد محمد جمال ، ١٧٠ ص ، مكتبة الثقافة بمكة

هو الكتاب الثاني من سلسلة (علی مائدة القرآن) التي تكلمنا فی جزء جمادى الآخرة
على الكتاب الأول منها وكان بعنوان (ما وراء الآيات) . وهذا الكتاب الثاني يشتمل
على ثلاثة فصول : أولها بعنوان « فلسفة التطهر والتعبد فی القرآن » ، وتكلم فیہ المؤلف
حول الإغراء بالتوحيد ، والتطبيع فی العبادة ، ومكارم التقوى ، ومصلحة الجسد والروح ،
وعلم الغیب ، وحقیقة القدر ، وواجب الذكرى . والفصل الثاني بعنوان « منهاج التعليم
والتریة فی القرآن » ، وتكلم فیہ حول المنهاج ، ومقاومة البأس ، والخیر فی القلة ، ودلائل
النعمة ، وجریرة الغنى ، ووقود الجریمة ولقاح العطل ، وحرمة الاعراض ، وواجب
الدعاية . والفصل الثالث بعنوان « المجتمع الإسلامی حكومة وشعبا فی القرآن » ، وتكلم فیہ
على حقیقة الحاكم ، ووحدة المحكومین ، وحریتهم ، والإلزام بالشورى ، وديمقراطية
الاقتصاد والاجتماع ، وقواعد الامن العام ، ونظام الجنديّة ، ورعاية الأجانب ، وكرامة
المرأة . ورضع المؤلف ثلاث مقدمات للكتاب اثنتان لعظیمین من عظماء الإسلام أحدهما
شهيد مصر وهو المرشد الأول للإخوان المسلمين الأستاذ حسن البنا رحمه الله مقتبسة
من رسالته « مشكلاتنا فی ضوء النظام الإسلامی » ، والمقدمة الثانية لعظیم یوشك أن يكون
شهيد الإسلام فی باكستان وهو مفخرة باكستان ومحجوب المسلمين فیها وفى العالم الإسلامی

الاستاذ أبو الأعلى المودودي الذي وردت الاخبار بصدد الحكم عليه بالإعدام لأنه يريد باكستان إسلاماً لا شائبة فيه . ومقدمة أني الأعلى المودودي مقتبسة من رسالته ، الدين القيم ، . والمقدمة الثالثة للمؤلف وهي على غرارها وروحها من روحهما .
إن كتاب (دين ودولة) أجود ما أهداه الفاضل الحجازي الاستاذ أحمد محمد جمال للمكتبة العربية . فجزاه الله خيراً

كتاب وقف أسعد باشا العظم

بتحقيق وتعليق الدكتور صلاح الدين المنجد - ٢٧ ص قالبين - طبع دمشق

آل العظم الذين كان منهم ولاية دمشق في القرن الثاني عشر الهجري ، ومنهم الست الشامية زوجة شريف باشا وصاحبة جامع الست الشامية أمام وزارة الداخلية بالقاهرة ، أصلهم من معرة النعمان من عرب تلك الجهات ، وصارت لهم النباهة والمكانة في الدولة العثمانية . وأسعد باشا العظم هو الوزير الثاني من هذه الأسرة تولى وزارة دمشق بعد أبيه إسماعيل باشا . وكان أبوه قد أنشأ المدرسة الكبرى في دمشق المعروفة بمدرسة الخياطين وكان لها شأن في الحركة العلمية هناك . وبما امتازت به أنهم وقفوا عليها مكتبة بدأ بها إسماعيل باشا وتابعه في تميمها ابنه أسعد باشا .

ولما أسس مدحت باشا وإلى الشام وحدي باشا الذي تولاهما بعده دار الكتب الظاهرية جمعت كتبها من عشر مكتبات إحداها من مكتبة مدرسة الخياطين التي وقفها إسماعيل باشا العظم وابنه أسعد باشا . وكتب مكتبة الخياطين وقفت على دفعات والظاهر أنه كلما وقف عليها مقدار من الكتب كان يعمل لذلك كتاب ووقف رسمي يسجل بالمحكمة الشرعية وقد عثر الدكتور صلاح الدين المنجد على كتاب لإحدى هذه الوقفيات من أسعد باشا العظم تاريخه ، ١١ شوال ١١٦٥ وفيه أسماء ٩٢ مخطوطاً منها تاريخ دمشق لابن عساكر في عشرة مجلدات ، وتفسير الباب لابن العادل الحنبلي في ثلاثة مجلدات ، وانتقاض الاهتراس للحافظ ابن حجر في رده على الميمني في شرح البخاري وأمثال هذه الكتب . فعنى الدكتور المنجد بنشر كتاب هذه الوقفية وقدم له بمقدمة تاريخية عن هذا الوقف وواقفه . ثم نشر هذه الوثيقة وعلق على كل كتاب من الكتب الموقوفة بالإشارة إلى محل التعريف به من كشف الظنون وغيره وألحق به فهرساً أبجدياً لأسماء المؤلفين . فشكراً له على هذه العناية التي لم يدفعه إليها إلا لخدمة العلم محضاً .

آدم عليه السلام

للاستاذ البهي الخولي — ١٤٢ ص جابر — مطابع دار الكتاب العربي

عرض الأستاذ البهي الخولي لقصة آدم عليه السلام على أنها من قصص القرآن ، وانظر إليها من ناحية أنها قصة تكوين البشرية ومبدأ تقلبها في الغواية والرشد ، ومهمتها الخطيرة التي اختيرت لها في هذه الأرض .

وتبدأ القصة بتقرير أن الإنسان ليس مخلوقاً أرضياً بحتاً ، بل هو مزاج من المادة والروح فاختلط سر الروح بطبيعة التراب ، ونشأ من تلاقهما في السكبان البشري ضرب من الحياة فيه سر السمو والنزوع إلى الله ، وفيه طبع الانجذاب إلى الأرض ، والركون إلى متعتها الحيوانية .

وعرض المؤلف في باب تكوين الإنسان إلى موقف القرآن من نشأة الحياة على الأرض وصلة آدم بمن سكنوا الأرض قبله وإلى مرونة القرآن في التحدث عن بدء خلق الإنسان . ثم تسلم على تكافؤ تكوين الإنسان مع مقتضيات الخلافة على الأرض ، وعن العقل المنطقي والعقل الروحي . وعن ضرورة العلم للخلافة وآثار موهبة العلم في عمران الأرض . وانتقل بعد ذلك بالإنسان من الملأ الأعلى إلى أفق الغرائز فبين غريزة الزوج وغريزة حب الخلود وغريزة الملك وفطرة التدين ، وأن ما طرأ على آدم من التطورات النفسية والعضوية جعل فيه مزاجاً جديداً لا يجانس الجنة ، فصار ذلك به إلى الأرض ، وكان له فيها مستقر ومتاع إلى حين .

مذاعات في الاسلام

للاستاذ أحمد مظهر العظمة — ٨٢ ص قالين — نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق

هي مجموعة أحاديث تخيرها الأستاذ أحمد مظهر العظمة بما ألقاه في محلة الإذاعة بدمشق في موضوعات شتى انتظمها عقد الاسلام ، وكان قد نشرها في المجلد الثامن عشر من مجلة التمدن الإسلامى الدمشقية تسلم في بعضها على ليلة الذكري النبوية ، وعلى الاخلاق الدينية ، وعمل الإسلام في سبيل المساواة ، وسياسة المال في الإسلام ، وعلاج الفقر والمرض في الإسلام ، وعلى دعوة الحق وصيانتها ، وكيف كانوا يفهمون الإسلام ، والبعثة الكبرى وشباب الإسلام . وأكثرها في كلام موجز ، لأن للإذاعة إيجازها الجامع ووقتها المحدود .

المرأة بين البيت والمجتمع

للأستاذ البهي الخولى - ١٤٨ صفحة - من رسائل الإخوان المسلمين

هذه الرسالة اقترح تأليفها فضيلة الأستاذ حسن الهضبي المرشد العام للإخوان المسلمين، وكتب لها مقدمتها، وأراد منها أن تبين حقوق المرأة المسلمة وواجباتها في البيت والمجتمع، وأن تلم بحكم الإسلام في ذلك مأخوذاً من الكتاب والسنة بعيداً عن جدل المجادلين وتزمت المتزمتين وترخص المترخصين، فقام بذلك الأستاذ البهي الخولى على عادته في مؤلفاته الممتعة، فتكلم على نظرة الإسلام إلى المرأة، وعن حقوق الأسرة، والزواج، وتعدد الزوجات، والطلاق، وتحديد النسل، وزينة المرأة، وحقوق الأولاد، وحرمة البيت، والمرأة والمجتمع، والمرأة والاشتغال بالأعمال الحرة، والمرأة ووظائف الدولة، وحقوق المرأة السياسية. وقد فرق المؤلف بين حقوق المرأة السياسية وبين أهليتها لمزاولة هذه الحقوق. وقال إن القائمين بدعوة الحق السياسى للمرأة لا يبغون بها رفع ضيم واقع بها، ولا سد فراغ شاغر يحجز الرجال عن ملئه، بل هى فقاقيع التقليد التافه طافية على قلوبهم وأذهانهم. ولو كانت الغيرة والمصلحة العامة هى التى تدفعهم إلى تحرير المرأة المزعوم لآثروا الأهم على المهم ولعملوا على درء المفاصد قبل أن ينادوا بجلب المصالح. وإذا أتيح لنا أن نأخذ بمناهج الدين والعقل والخلق القويم نكون قد بدأنا مهمتنا في إعداد المجتمع الفاضل الذى تمارس فيه المرأة حقها السياسى، وحينئذ لا تكون فتنة ويكون الأمر كله لله.

بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والادبى

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى، الاجزاء ٦ - ٩ فى ٢٨٨ ص

نوهنا فى جزء صفر من مجلة الأزهر لهذه السنة بالاجزاء الخمسة الاولى من هذا التاريخ وقد صدر منه الآن أربعة أجزاء أخرى فى مجلد واحد، جمع فى جزء منها طائفة من أخبار الخفاجيين وما قيل فيهم وفى جزء آخر أخبار الخفاجيين فى دمياط ومعلومات عامة عن دمياط وفى أحد الاجزاء بيان مسهب عن جهاد المؤلف وجهوده ونشاطه. وفى الجزء الاخير وهو التاسع أعاد طبع كتابه (توبة شاعر البطولة)، كما أعاد طبع كتابه (نشيد الصحراء)، فجاءت هذه المجموعة كما ترى حافلة بالطرائف، كما هو دأب المؤلف فى مؤلفاته الكثيرة.

تاريخ جبل نابلس والبلقاء

الجزء الاول للأستاذ إحسان النمر - ٣٠٠ ص - بمطبعة ابن زيدون بدمشق
عنى المؤلف بهذا الجزء من تاريخ نابلس والبلقاء بالكلام على حوادث سوريا من نهاية
الحروب الصليبية إلى الفتح العثماني ، ثم ذكر بدء بروز شخصية جبل نابلس ، وعصر بني النمر
(أسرة المؤلف) وهم ينتمون إلى أسد ربيعة وتفرع منهم أسر كثيرة معروفة الآن بأسماء
أخرى في دمشق وحوران ومجلون والسكرك ونابلس من القرن الحادى عشر الهجرى ،
ثم تناول حوادث عهد الاقطاع في تلك البقاع إلى حملة محمد على بالجيش المصرى على فلسطين
وسوريا فنهاية القرن الثالث عشر الهجرى .

والكتاب طريف ، ويدل على سعة اطلاع لا على جميع المؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع
وحسب ، بل على سجلات المحاكم ، ومدخرات الاسر الكبيرة ، وعلى الروايات المحفوظة
أيضا فجاء كتابا ينفع به كل من يكتب عن تاريخ هذه الجهات في العصور الاخيرة .
وعسى أن المؤلف الفاضل لا يدخر وسعا فى إكمال الاجزاء الباقية من تاريخه ليم
النفع به .

كارثة القرم الاسلامية

للأستاذ يوسف ولى شاه - ١٨٢ ص - مكتبة الخانجي

كانت جزيرة القرم قلعة من قلاع الإسلام ، بما نبغ فيها من علماء ، وبما كان فيها
من صحف إسلامية ، وبما كان يضطلع به تجارها من نشاط اقتصادى عظيم . وكانت روسيا
القيصرية دولة ظالمة متعصبة تسمى إلى المسلمين باضطهاد هذا النشاط العلمى والصحفى
والاقتصادى فيها . ولكن النظام السوفيتى بما انطوى عليه من غل ذميم لكل نظام آخر
غيره ولا سيما الإسلام قد أنسى المسلمين كل سيئات روسيا القيصرية وجعلهم يؤمنون
بأن المثل الأعلى للتعصب الباغى والظلم الفاجر هو الذى تخفق رايته الآن بيد النظام
السوفيتى فى آفاق البلاد الإسلامية التى أوقعها سوء الحظ تحت حكم خلفاء القيصرية .
وكتاب (كارثة القرم الإسلامية) يحمل تفاصيل هذه الحقيقة وبراهينها والمعلومات التى
لا يجوز لمسلم أن يجهلها .

لغة القانون في الدول العربية

للدكتور عدنان الخطيب — ١١٦ ص — نشرته حلقة الدراسات العلمية بدمشق

الدكتور عدنان الخطيب معاون العام لدى محكمة الاستئناف بدمشق وشارح قانون العقوبات السوري أحد المتضلعين من القانون وله دراسة وبحوث في المقارنة بين قوانين البلاد العربية ، وهذا الكتاب الجديد تكلم فيه على صياغة القانون وما هو جار الآن من الإخلال بها وضرب الأمثلة لذلك من قوانين عربية مختلفة . ثم تكلم على لغة القانون واختلاف البلاد العربية على مصطلحاته ، ووجوب تصفية اللغة القانونية وتوحيدها في الدول العربية كلها . وتحدث عن التشريع والمرعين ومن يضع التشريع في الدول العربية ومن يجب أن يضعه . ثم ختم الكتاب ببحث عن صلة القانون بالأدب وعن الأدب وأثره في القانون وحاجة رجل القانون إلى الأدب .

والكتاب مقدمة بليغة قيمة بقلم قاضي دمشق الأستاذ على الطنطاوى . فلفت أنظار وزارات العدل في الدول العربية إلى هذا الكتاب المفيد .

الإسلام رسالة الإصلاح والحرية

للأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي — ٢٤٠ ص جابر — مكتبة الأزهر

هذا الكتاب كسائر مؤلفات فضيلة الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي يدل على نشاط وغزارة إنتاج . ويتألف من فصول عن رسالة الإسلام الخالدة ، وعن الإسلام والمجتمع ، وعن الأخلاق والآداب الإسلامية ، وأمرار التشريع الإسلامي ، وذكرىات خالدة لرسول الإسلام ﷺ ، يليها فصول في أصول ومبادئ عامة ، وفي ختامه فصول أخرى عن الإسلام والشيعية والمقارنة بين نظاميهما .

أستاذ المرأة

للشيخ محمد بن سالم البيهاني - ٢٧٠ ص - مطبعة الكمال في عدن

الشيخ محمد بن سالم البيهاني من كبار علماء عدن واليمن ، وقف حياته على الدعوة إلى الإسلام الصحيح ، وقد رأى أن من مجال دعوته تعريف المرأة المسلمة ولا سيما في جنوب جزيرة العرب بما يصحح لها أمر دينها ، ويصونها عن مزالق البدعة ، ويدلها على طريق الشرع في كل ما يعرض لها من الشئون ، فألف لها ولسائر المسلمين هذا الكتاب النافع الحافل بأحكام الفقه وآداب الإسلام وبيان الحقوق والواجبات . فجزاه الله خيراً

الأدب والعلم في شهر ربيع

مكتبة قصر عابدين

يبلغ عدد الكتب التي تحتويها مكتبة قصر عابدين نحو نصف مليون بعضها نادر الوجود. ولما كان في النية لإنشاء (دار للوثائق القومية) فقد عهد مجلس الوزراء إلى اللجنة القائمة يبحث هذا المشروع أن تبحث أيضاً في خير وسيلة للاستفادة من مكتبة قصر عابدين التي كان الانتفاع بها محدوداً جداً فيما مضى، ولا يستفاد منها إلا في أغراض كثيراً يكون المراد منها تشويه التاريخ أو النظر إليه من زاوية تغير كثيراً من مفهومه السليم.

التعليم العربي بالمدارس الأجنبية

أرسل صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كتاباً إلى حضرة وزير المعارف يقول فيه : « كان مما أتلج صدورنا وملاً نفوسنا غبطة ما قررته الحكومة من جعل دراسة الدين إجبارية على الناشئة ، وإلزامهم بأداء الصلاة في مدارسهم ، مما سيكون له أطيّب الأثر في تقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم . على أننا نرجو أن تتبع هذه الخطوات المباركة بعمل حاسم يتفق مع الروح الإصلاحية الجديدة فيما يتعلق بطلاقة عامة من أبناء المسلمين الذين يتعلمون في المدارس الأجنبية ، ويحتاجون

أشد الحاجة - خصوصاً مع وجودهم في تلك البيئة الخاصة - إلى تبصيرهم بأمور دينهم وتزويدهم بالمقومات الضرورية للاحتفاظ بتقاليدهم الخلقية والاجتماعية والقومية فقد كتب إلينا الكثيرون من أولياء أمور هؤلاء التلاميذ يطلبون منا أن نرجو حضرتكم العناية بالجانب الديني لتلاميذ هذه المدارس. ونأمل من حضرتكم ومن عناية العهد الجديد إزالة سبب شكواهم ، وإصلاح هذه الناحية الهامة من نواحي التربية .

وقد أجاب وزير المعارف على هذه الرسالة شاكرراً لفضيلة الأستاذ الأكبر عنايته بأمور المسلمين ، وواعداً بتحقيق رغبته السريّة .

معهد فاقوس الديني

نوهنا في الجزء الماضي بما تبرع به الأستاذ محمد فريد الطاروطي من أرض ومال لإنشاء معهد ديني بمدينة فاقوس . وفي هذا الشهر وجه هذا الأرحم الكريم الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر لإرساء حجر الأساس في هذا المعهد ، وفي حفل كبير حضره فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر ومدير الشرفية ومندوب هيئة التحرير أرسى فضيلة الأستاذ الأكبر حجر الأساس بيده ، وقدم الأستاذ الطاروطي لفضيلته صكاً بألف جنيه لتكون دفعة أولى من نفقات بناء المعهد ، وتبرع فضيلة الأستاذ الأكبر بمائة جنيه ثم انما التبرعات من الحاضرين

العجالة السالمة في شهر رمضان

محادثات الجلاء وتوقفها

في صباح الإثنين ١٣ رجب - (٢٧ أبريل) بدأت في القاهرة المحادثات الخاصة بجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس وتسليم القاعدة الحربية فيها إلى القوات المصرية. وقيل يومئذ إن بريطانيا قابلة بالجلاء الشامل بعد الاتفاق مع مصر على وسائل صيانة القاعدة وإدارتها ، وأن يبدأ الجلاء عند الاتفاق على ذلك ، ويكون الانسحاب متوقفاً على توافر القوات المصرية اللازمة لنحل محلها. وأن الجلاء يشمل جميع القوات الجوية من قواعدها في المنطقة . وتسلم الحكومة البريطانية للحكومة المصرية القاعدة الحربية بكامل معداتها ومنشآتها ومخازنها ، وتعمد مصر بصيانة القاعدة وجعلها مستعدة في كل وقت للأعمال التكتيكية ، مع توافر العدد اللازم من الفنيين لإدارة المنشآت العسكرية والقوات اللازمة للحراسة . ولا تمنع بريطانيا في استخدام مصر للفنيين من مختلف الجنسيات ، على أن يراعى في استخدامهم بعض الشروط الخاصة بالكفاءة والاستمرار في العمل طوال المدة اللازمة لتدريب الفنيين المصريين . وقد وضع الجانب المصرى مذكرة تناولت تنظيم عملية الانسحاب وقدرت المدة اللازمة

لإتمام الجلاء على ضوء المعلومات الدقيقة التي وقف عليها العسكريون المصريون بشأن عدد القوات البريطانية والمنشآت العسكرية، وحسب تقدير الخبراء عن السفن ووسائل النقل المتهيئة لإتمام هذا الانسحاب. ووجهة نظر مصر عن صيانة القاعدة الحربية وعدد الفنيين الذين ترى مصر لزومهم للقيام به- هذا العمل ، والعدد المتوافر لديها منهم والفنيين الذين تستعين بهم حتى يتم تدريب العدد الباقي من الفنيين المصريين .

والمعروف بصفة إجمالية أن عدد أفراد القوات البريطانية الموجودة الآن في المنطقة يبلغ نحو ثمانين ألفاً ، والمنشآت والمعدات يبلغ عددها ٦٠ يضاف إليها ١٣ محطة للسلاح الجوي ، ويبلغ طول المنطقة ٩٠ ميلاً وعرضها ٤٠ ميلاً. وهى مخزن عظيم للذخيرة تستطيع القوات إذا دخلته عند الاقتضاء من طريق البحر الأحمر أو البحر الأبيض أن تخرج من الطرف الآخر وهى مجهزة بأفضل الذخائر وأحدث الأسلحة . وفى خارج نطاق هذه المنطقة يقع مستودع عظيم للدفعية يعرف فى التقليد العسكرى باسم (تك) وهو محاط بالأسلاك الشائكة وبحقول الألغام وتسلمط عليه فى الليل أنوار كاشفة ضخمة . ويقوم بحراسة هذه المنشآت ١٣ ألف جندي. وكان هذا المستودع يزود فى الحرب الأخيرة ١٩

« لقد أعلننا أهدافنا واضحة للشعب ، وكنا نغنى ما نقول ، ولقد حددنا هذه الأهداف منذ الجلسة الأولى للجانب البريطانى ، ولقد توالت الجلسات دون أن نترشح عن موقفنا الذى لا نملك بأى حال من الأحوال أن نراجع دونه ، ولم نقبل الدخول فى أية تفصيلات دون أن نتفق على الاسس الرئيسية إذ لا داعى مطلقاً أن نفرق فى لجان وتفصيلات ثم نجد أنفسنا أخيراً دون هدف واحد متفق عليه ، ولقد أثّرنا أن لا نضيع الوقت ، فنحن احرص ما نكون على وقتنا ، ولذلك لم نشأ أن نترك الزمام يفلت من أيدينا ونكرر ما حدث فى المفاوضات السابقة التى استمر بعضها عاماً ونصف عام . فتمد طلبنا من الجانب البريطانى - بعد أن تعثرت المباحثات - أن يوضح موقفه بالاسس الرئيسية التى تحقق للشعب المصرى حقوقه الطبيعية والسيادة على أراضيه ، وأغلب ظنى أن الجانب البريطانى وجد أنه يتحتم عليه قبل أن يستمر فى المباحثات أن يراجع حكومته . »

وفى مساء الخميس ٧ مايو زار السفير البريطانى والجنرال زوبرتسون الرئيس اللواء محمد نجيب بدار رئاسة الوزراء وسلماه رسالة من الحكومة البريطانية قبل أنهما تتضمن الرجاء الخاص باستئناف المباحثات على أساس (مناقشة) وجهة النظر المصرية . ويقال إن الرئيس رفض هذا الرجاء الخاص ، وصم على عدم استئناف المباحثات إلا إذا وافقت الحكومة

فرقة بالاسلحة والذخائر ، وهو اليوم أكبر مما كان من قبل .

وفى الاجتماعات الاربعة الاولى قطعت المباحثات مراحل الافتتاح التى يسجل فيها كل من الفريقين وجهة نظره تسجيلاً عاماً وبحنا فى الاجراءات التى تتبعها اللجان المشتركة فى الابحاث الفنية ، ونظرا فى تقسيم المباحثات إلى موضوعات رئيسية بحسب طبيعتها وأهميتها كما بحثنا مرحلة كتابة التعليمات التى توجه اللجان الفنية فى دراستها .

وكان الجانب المصرى ينجح إلى وضع المبادئ الرئيسية وصياغتها بشكل محدد ، لئلا يقلل التأويل والاختلاف فى المستقبل ، وليكون فى هذا التحديد توجيه للفنيين فى اللجان العسكرية إلى وضع التفصيلات لتنفيذ هذه المبادئ المحددة ، أما الجانب البريطانى فكان يميل إلى إرجاء هذا التحديد الصريح إلى ما بعد انتهاء اللجان الفنية من أعمالها الفرعية المتشعبة . ولما رأى أن الجانب المصرى لا يترشح قيد أنملة عن موقفه فى أن يكون الجلاء الناجز وغير المشروط هو قاعدة الاسس فتفسير المباحثات فى طريق إعداد وسائل التنفيذ ، طلب الجانب البريطانى حثيثاً تأجيل المباحثات إلى حين حتى يستطلع رأى لندن فى الأمر ، فصدر بيان مشترك يوم الاربعاء ٦ مايو معلناً أن « المباحثات بلغت مرحلة تستدعى إعلان موعد الاجتماع القادم فيما بعد ، وصدرت اصحف صباح الخميس ٧ مايو وفيها بيان للبشكباشى جمال عبد الناصر قال فيه :

والجيش اليهودى بما لم يدع مجالا لآى شك فى أن تشرشل عدو لدود لكل ما تعد الصهيونية عدوة له فى دنيا العروبة والاسلام ورد الرئيس محمد نجيب فى اليوم التالى على خطاب تشرشل بأن تشرشل أراد أن يخفى نياته الاستعمارية فى العالم العربى خلف اسم جديد هو الدفاع عن مصالح العالم الحر ، ولكن مصر تعتبر بقاء أى قوات أجنبية فى أراضيها تحت أى ستار استمراراً للعدوان البريطانى الذى بدأ عام ١٨٨٢ بدعى حماية العرش ، فالاحتفاظ بالقوات البريطانية فى منطقة القناة وادعاء أنها للدفاع عن الشرق الاوسط ليست إلا ذريعة للابقاء على الاستعمار البريطانى فى هذه البقعة من العالم . ومعهاهدة سنة ١٩٣٦ الملقاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال ، ومع ذلك فاتها لا تسمح للانجليز إلا بعشرة آلاف جندى بمنطقة القناة بينما تشرشل يعترف بأن لهم الآن ثمانين ألف جندى . إن الدفاع عن بلاد الشرق الاوسط لا يمكن أن يقوم به إلا شعوبها مستكملة سيادتهم وحقوقهم ونحن الآن فى القرن العشرين لا فى القرن التاسع عشر . ورد الرئيس فى اليوم الذى بعده على الجزء الخاص باسرائيل والصهيونية من خطاب تشرشل فقال : إن كلامه هذا يحمل معنى التهديد لمصر والعرب ، ويؤكد إفلاس السياسة الاستعمارية البريطانية أمام الحركات القومية

البريطانية مقدما على وجهة النظر المصرية صراحة ، ثم تجرى المباحثات بعد ذلك للاتفاق على التفاصيل وتنظيم عملية الانسحاب . وفى أواخر شعبان عقد وزراء خارجية الدول العربية مؤتمراً فى القاهرة أصدروا فى جلسته الختامية - وهى الجلسة الخامسة - قراراً بأن دول الجامعة تتخذ الخطوات التنفيذية للعمل بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى التى أبرمتها دول الجامعة باسم (ميثاق الضمان الجماعى) وذلك فى خلال شهرين من هذا التاريخ ، وأن تقف دول الجامعة العربية إلى جانب مصر فى كفاحها لتحقيق الجلاء عن أراضيها . وفى يوم ٢٧ شعبان (١١ مايو) وصل إلى مصر مستر فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكى فى رحلة إلى دول الشرق الاوسط للاطلاع على الحالة عن كسب . وفى الساعة التى كان وزير الخارجية الامريكى يجتمع فيها برجالات مصر للإلمام بما جاء لأجله ، كان تشرشل رئيس الوزارة البريطانية واقفاً يخطب فى البرلمان البريطانى بعقيلة القرن التاسع عشر متجاهلاً كل ما حدث فى الدنيا من تطور بين أيام المسكة فسكتوريا وما بعد الحربين العالميتين زاعماً أن الرئيس محمد نجيب ورفاقه يحاولون أن يفوزوا بما يستطيعون الفوز به من حب الشعب المصرى على حساب البريطانيين ! وهدد تشرشل المصريين بأن الحامية البريطانية فى القناة قادرة على الدفاع عن نفسها . وأثنى على اسرائيل والصهيونية

الدافقة في الشرق الاوسط . ولقد أسقط
في يد تشرشل عندما جاءه نبأ إخفاق السياسة
الاستعمارية البريطانية للتمفرقة بين العرب ،
فقد كان يأيدوزراء خارجيتهم للقضايا القومية
العربية وفي مقدمتها قضية مصر ضربة قاضية
للسياسة الاستعمارية، فكان رد تشرشل على اتحاد
كلمة العرب سريعا في شكل تمنيات لإسرائيل حتى
يتحول تيار الكراهية المتدفق ناحية الاستعمار
وهو العدو الاساسي - إلى إسرائيل ، وإهمال
الاهداف الحقيقية لحركاتنا القومية الدافقة .

وفي صباح الأربعاء ٢٠ مايو أذيع في مصر بيان تاريخي عظيم من الرئيس اللواء محمد نجيب قال فيه : منذ قطعت هذه المباحثات والناس يتساءلون عن الخطوة التالية التي سوف تخطوها الحكومة التي أشرف برياستها . إنى أكشفكم جميعاً بأننا قد عقدنا العزم على أن نستخلص حقوقنا بأيدينا ، لأننا نؤمن بأن الحقوق تؤخذ ولا توهب . ومن أجل هذا لن تقبل مصر - وأنا هنا أتكم بلسانها - أن ترد إليها حقوقها مشروطة أو منقوصة . لكن استخلاصنا لحقوقنا من غاصبها لن يكون سهلاً ولا هيناً ، وإنما هو أمر جليل يقتضي - كحكام مسؤولين عن سلامة هذا الشعب ، وكمكلم نقدر حقه علينا وواجبنا نحوه - أن نستعد له ، وأن نحكم الاستعداد . فلا نترك أمراً مهماً بدا فافهاً دون أن نتدبره ، ولا نترك منفذاً يحتمل أن ينفذ منه عدونا إلينا دون أن نسده . فلسنا

نرتضى لانفسنا أن نزوج بأبناء مصر في امتحان كهذا الذى ينتظر ، ما لم نعدم له إعداداً كاملاً ، وما لم نوفر لهم كل الامكانيات التى تعينهم على الصمود لذلك الامتحان وتمسكهم من النجاح فيه . وليس التنظيم والتدريب العسكرى الذى نأخذ به الآن إلا بعض هذه الإمكانيات ، وإننا لموفرون البعض الآخر فى يوم قريب . قال الله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . . . إننا حريصون أشد الحرص على ألا نكرر أخطاء من سبقونا ، لن نكرر مأساة فلسطين ، ولن نكرر مأساة القناة التى حدثت عقب إلغاء المعاهدة فى سنة ١٩٥١ . نعم لن ندفع ولن ندفع الناس نحو الخطأ بشهوة لانفسنا بذلك التصديق الاجوف الذى ما يلبث حتى يقع وتبقى الاعمال راسخة فى أذهان الناس وصفحات التاريخ .

ولن تستطيع قوة ما أن تجعلنا ندخل المعركة في غير الموعد الذي نراه نحن مناسباً لدخولها . نحن الذين سنحدد موعد المعركة ، ونحن الذين سنختار أسلحتها ، ونحن الذين سنعين الظروف التي ينبغي أن تدور فيها .

ووجب أن يعلم الشعب نفسه كيف يصبر
على ما يكره وأن يروض نفسه على مواجهة
الحرمان والجوع كما قال الله عز وجل: ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين ،

إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى

٤ — توافق اللجنة السياسية على الاعتماد الذى تطلبه الامانة العامة للقيام بأعمال الرعاية فى حدود مبلغ تسعين ألف جنيه تدرج فى ميزانية الامانة لعام ١٩٥٣ .

تقارب الحكومات العربية

زار الامير سعودولى عهد المملكة السعودية عواصم البلاد الشقيقة فى الشمال - دمشق وبيروت وعمان وبغداد - فتناول فى زيارته هذه القضايا العربية المهمة ، من أهمها تصفية الخلافات الدفينة بين الاسرتين السعوديه والهاشمية . ويُنظر أن يزور الملك حسين ملك الاردن الجديد العواصم العربية فى هذين الشهرين مبتدئاً بالرياض وبغداد فبيروت ودمشق . والمظنون أن نتائج هذا التقارب العربى الذى سعى لتحقيقه رئيس الجمهورية اللبنانية ستلهمها الشعوب العربية فى كل ما يعرض لذلك من مناسبة بعد الآن .

كتيبة فالمرين الوليد

الازهر يلقى على المسلمين درساً عملياً فى الجهاد فيعان أنه أعلى مراتب العبادة ، وبالرغم من أن السنة الدراسية فى أهم أدوارها ، فإن كتيبة من علماء الازهر بدأت بالتدريب فى

قرارات الجامعة العربية

وافق مجلس جامعة الدول العربية على المسائل الأربع التالية التى درستها اللجنة السياسية :

١ — مشروع اتفاقية مزايا وحصانات جامعة الدول العربية، وتوصية الدول الأعضاء بأن تبادر بالانضمام إلى هذه الاتفاقية والعمل بأحكامها .

٢ — مسألة الاملاك العربية فى فلسطين والقواعد التى تتبعها إسرائيل بشأنها مخالفة بذلك إعلان حقوق الإنسان وقواعد القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة والقرارات الخاصة بفلسطين . وتوصى اللجنة بأن تتقدم الدول الأعضاء إلى الأمين العام للأمم المتحدة بطلب إدراج هذه القضية فى جدول أعمال الجمعية العامة فى دورة هذا العام . وبالنظر لما يقاسيه عرب فلسطين فى القسم المحتل من قبل إسرائيل تكلف الامانة العامة أن تتقدم بالاقترحات اللازمة لتلافي هذه الحالة .

٣ — توافق اللجنة السياسية على التقرير الذى وضعه وزير الخارجية العراقية بشأن المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل مع اعتماد مبلغ عشرين ألف جنيه لشئون المقاطعة .

تحرير التعامل مع القوات البريطانية في القنال صدر القرار الوزاري الآتي :

« لا يجوز التعامل بتوريد شيء للجيش البريطاني من أصناف المواد الغذائية - بما في ذلك المشروبات الروحية والغازية - وكذلك خامات الصناعة والبناء وغير ذلك من الحاجات الأولية بما فيها الخردوات ، إلا بترخيص من وزارة التموين وطبقاً للمقايير التي تحددها ، وقد تقرر فرض نظام مراقبة الطرق المؤدية إلى منطقة قنال السويس من الشرقية والدقهلية والطرق الصحراوية ، لضمان مراقبة نقل هذه المواد وتوفيرها للاستهلاك المحلي لأهالي منطقة القناة .

شهداء حرب فلسطين

احتفلت مصر في أواخر شعبان بنقل رفات شهداء حرب فلسطين إلى القاهرة . فأصدرت إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة كتاباً عن هذه الحرب نشرت فيه صور ضباط الجيش المصري الذين استشهدوا وأسماء الجنود الشهداء ، وقد تبين من هذا الكتاب أن عدد الشهداء من الضباط ١٠٠ والجنود ٨٦١ ، فيلج جنات النعيم أيها الشهداء الأبرار .

وقد خطب الرئيس اللواء محمد نجيب في هذا الاحتفال خطبة فياضة قال فيها : « إن

أواسط شعبان ، وشهد لها قائد معسكر الأزهر الصاغ محمد سليم مشرفة بأن أفرادها أبدوا جلدأ ونظاماً وإقبالاً كبيراً على التدريب بما أثار إعجاب مدربيهم من الضباط . وقد تلقت كتيبته ٣٠ درساً في أعمال الفدائيين ، وتدربوا على مختلف الأسلحة وأعمال النسف والتدمير وحرب العصابات .

وقد أدى أفراد السكتية بعض التدريبات العملية في ضرب النار ، ونال كل من فضيلة الشيخ عبد العزيز سمك وكيل معهد طنطا والشيخ محمد بدران الأستاذ بكلية أصول الدين الدرجة النهائية في إصابة الهدف إذ حصلوا على ٢٥ نقطة كما حصلوا في الإصابة بمدفع برن على ١٨ نقطة من ٢٠ . وقد تفضل الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر فزار معسكر تدريب الأزهرين ، وشاهد عمليات التدريب ومنها عملية النسف بالجلنجنايت ، وأخذت لهم مع فضيلة الأستاذ الأكبر بعض الصور التذكارية وأهدى فضيلته إلى كل منهم نسخة من كتابه (آداب الحرب في الإسلام) .

وقد احتفل في أواخر شعبان بتخريج هذه الدفعة وأطلق عليها اسم (كتيبة خالد ابن الوليد) ، وكان الأزهر قد قدم قبل هذه السكتية المؤلف من العلماء كتيبة غيرها مؤلفة من الطلاب وأتمت تدريبها بنجاح أيضاً .

أى كتلة دولية أخرى. وقد شرح هذه الناحية سكرتير المؤتمر انعام الله خان مندوب باكستان .

ومن قرارات المؤتمر أن الإسلام دين تقدمى يتمشى مع جميع الظروف فى جميع الاقطار، وعلى جميع المخلصين أن يملأوا الفراغ الناشئ عن انتفاء قيام القوانين على أساس الشريعة .

وعما قرره المؤتمر وضع قوانين للرعية المشتركة بين أبناء العالم الإسلامى .

أبو الاعلى المودودى

وردت الانباء من كراتشى بأن محكمة لاهور العسكرية فى حكومة باكستان أصدرت حكماً بالاعدام على الزعيم الإسلامى الكبير أبى الاعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان والهند .

وأبو الاعلى المودودى هو مؤلف الرسائل الإسلامية التى يعتبرها شباب الإسلام فى العالم دستوراً لهم فى حياتهم الاجتماعية والمالية . وأول ما عرف عن هذا الزعيم الناشؤ صحيفة (ترجمان القرآن) سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣) التى كونت فى الشباب فكرة صادقة سليمة عن الإسلام وأنه دين لا يمكن أن يحى حياة كريمة مستقلة فى ظل دين غيره أو نظام غير نظامه . وفى سنة ١٣٦٠ (١٩٤١) أسس (الجماعة الإسلامية) لتعميم الدعوة التى أعلنها

كارثة فلسطين لم تكن هزيمة للشعوب العربية وإنما هى درس وقارعة قرعت الاذهان فى مصر، وقرعت أذهان العرب، وسيأتى من ورائها الخير الكثير . كانت صيحات الشعوب العربية من خلف جيوش العرب مدوية تدعو إلى التعبئة الروحية، وتهيب بالقادة والوزراء ليعدلوا وليستقيموا وليكفوا عن لطمهم وملقهم، وهى صيحة إن كانت فى الامس صرخة فى واد، فإنها اليوم صرخة تذهب بالآوتاد .

مؤتمر اسلامى بأندونيسيا

عقد فى مدينة (ميدان) بأندونيسيا مؤتمر إسلامى فى النصف الاخير من شعبان الماضى دعى فيه إلى إنشاء مجموعة شعوب إسلامية (كومولك) تتعاون على العمل ضمن هيئة مرنة، على أن تطبق الشريعة الإسلامية، بعد ما ظهر من اشتداد رغبة جميع الشعوب الإسلامية فى ذلك وترجيحها على القوانين التى هى من صنع الاستعمار .

وينص القرار الاول الذى اتخذته المؤتمر على أن يدعى الرأى العام الإسلامى جدياً إلى العناية بالتفكير فى الفواحى العملية التى تؤدى إلى إنشاء مجموعة الشعوب الإسلامية على أساس حكومى يجوز أن يتخذ صفة هيئة استشارية إسلامية، وأن خلاص العالم الإسلامى فى يد أبنائه ومن العبث الاعتماد على

لافتتاح المؤتمر يوم ٢٤ مايو، ولكن الحكومة التركية أبت أن ترخص باجتماع هذا المؤتمر، وأبلغت ذلك إلى السيد نوري ديميراك أحد رجال الأعمال الاتراك الذى كان سينظم هذا المؤتمر ويتولى رئاسته .

وتقول السلطات التركية أنها منعت عقد هذا المؤتمر لأنها تخشى أن يشجع عقده الاوساط الدينية الرجعية في البلاد!

تعاون الاستعمار

شجنت بريطانيا نصف مليون قذيفة مدفع من منطقة قناة السويس لمعاونة فرنسا في صراعها مع المستعمرة الفرنسية في الهند الصينية . واكتفت دوائر لندن من التعليق على هذا الخبر بقولها : إنه إذا صح فلن يكون له أثر في الأغراض التى يستهدفها العالم الغربى من قاعدة قناة السويس العسكرية .

وفى هذا التعليق معنى استعمارى مزدوج ، فهو ينفي أن تكون هذه الشحنة تخفيفاً من وطأة الاستعمار فى مصر ، ولا ينكر أنه تعاون استعمارى بين العجوزتين انجلترا وفرنسا .

معاكسة النساء فى الطريق

تقدم مكتب حماية الآداب العامة بوزارة الداخلية بمذكرة إلى وزارة العدل طلب فيها تعديل مواد قانون العقوبات الخاصة بالآداب العامة ، وتشديد العقوبة بالحبس بدلا من الغرامة على من يعترض السيدات والفتيات فى الطريق العام .

فى مجلة (ترجمان القرآن) ومن مبادئها العناية بالكيفية لا بالكمية ، فهى لا تحرص على الاكثار من عدد أعضائها بقدر حرصها على حسن انتقائهم والاطمئنان إلى صحة إيمانهم . وهم يتعلقون بالمبادئ لا بالشخصات ولذلك أبيح لهم نقد رجالهم والاحتكام فى تصرفاتهم إلى المبادئ .

ولما انتشر فى مصر خبر الحكم بالاعدام على هذا الزعيم العظيم كان له وقع سيء فى كل مكان ، وقد أبرق فضيلة الاستاذ الهضبي المرشد العام للاخوان المسلمين البرقية الآتية إلى الجهات المسئولة فى باكستان : « إن الحكم باعدام المودودى جريمة فى حق الحركة الاسلامية . والمسلمون فى أنحاء العالم يستنكرون هذا الحكم ، ويطالبون الحاكم العام بايقافه حرصا على الروابط التى تجمعنا مع باكستان القائمة على أساس الاسلام ، . وعلينا أن نبرقيات كهذه أرسلت إلى المسئولين فى باكستان من سماحة الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ومن جمعية الشبان المسلمين بتوقيع رئيسها العام اللواء محمد صالح حرب ، ومن جمعية الكفاح الاسلامى بتوقيع فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز . فعسى أنهم يستدركون الامر بحكمتهم .

الاسلام فى تركيا

قام فريق من بقايا أنصار الإسلام فى تركيا بتنظيم مؤتمر لذكرى مرور خمسمائة عام على الفتح الإسلامى لمدينة القسطنطينية ، وعينوا

مديرية التحرير

نوهنا في جزء رجب (ص ٩٠٢) لهذه السنة بالمديرية الجديدة المزمع إنشاؤها في الصحراء الغربية . ونزيد الآن أن مساحة المديرية ستكون ٦٠٠ ألف فدان ، وتمدها شمالا ترعة النوبارية وشرقا مديرية البحيرة وغربا الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية وجنوبا طريق عام . وسينم إعداد أرض هذه المديرية على ثلاث مراحل : تروى في المرحلة الأولى ٢٤ ألف فدان منها رياً عاديا و ١١ ألف فدان بالرفع حتى ستة أمتار . وستقسم المديرية إلى ثمانية مراكز . في كل مركز ثلاث نقط بوليس يسكن في منطقة كل نقطة بوليس حوالى ١٤٠٠ نسمة يختارون ممن تتوفر فيهم سلامة الجسم وأن يكونوا على قدر كاف من التعليم ليكون جميع سكان المديرية من المتعلمين الأصحاء . وسوف يمكن للسكان في المستقبل أن يتقدموا لتعمير المساحات الأخرى القابلة للزراعة إلى الغرب من هذه المديرية فتعمر الصحراء الواقعة على جانبي الطريق بين القاهرة والاسكندرية . وقد تم تخطيط ترعة التحرير وهى التربة الرئيسية التى تروى منها أراضي المديرية ويبلغ طولها ٦٠ كيلومترا وتنتهى في ترعة النوبارية ، وقد بدأ العمل فعلا في حفر التربة وأوفدت مصلحة المساحة بعثتين من المهندسين إحداهما لتخطيط المشروعات العمرانية للمنطقة وعمل الخرائط التفصيلية والأخرى لمسح جزء

من المديرية من الجو بالاشتراك مع سلاح الطيران الجوى المصرى وينتظر أن يبدأ يوم ٢٣ يولييه القادم بترزيح ٣٠٠٠ فدان على الرعيلى الاول من سكان المديرية الجديدة .

بنك دولى عربى

يقول السيد عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربى ومديره العام إن العالم العربى فى الشرق الاوسط أحوج ما يكون الآن إلى وحدة اقتصادية تامة ، وتحقيق هذه الوحدة يقتضى أن ترعى جامعة الدول العربية مشروع بنك عربى يقوم بتنفيذ مشروعات التقدم الاقتصادى وأعمال الانشاء ، ويرى هذا المشروع إلى ثلاثة أغراض أساسية :

١ — انشاء منطقة للنقد العربى على غرار منطقتى الاسترلىنى والدولار .

٢ — تنمية جميع الموارد الطبيعية .

٣ — إنشاء بحرية تجارية عربية تعمل لمصلحة المنطقة التجارية كلها .

ولا سبيل إلى جعل هذا البنك ذا صفة عربية شاملة إلا بخطوة تخطوها جامعة الدول العربية لتأخذ تحت جناحها تلك الأجزاء من الوطن العربى التى استثنيت إلى الآن لأسباب سياسية ، وهى الكويت وجزيرة البحرين وقطر و إمارات الخليج العربى وبحياته . وينبغى أن يكون رأس مال هذا البنك فى بداية الامر مائة مليون جنيه وتولى جامعة الدول العربية جمع الاشتراكات فيه من الدول العربية بحصص تناسب مع ميزانيات هذه الدول .

فهرس

الجزء التاسع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
١٠٣٣	من طالب علم إلى طلاب العلم	الاستاذ محب الدين الخطيب ورئيس التحرير
١٠٣٩	مشكلات التعليم في مصر	» محمد عرفة مدير المجلة
١٠٤٤	التفسير	» حامد محسن عضو جماعة كبار العلماء
١٠٤٨	ففعات القرآن : البيت العتيق	» عبيد الطيف السبكي » » »
١٠٥٥	السنة : من أسرار الصوم وآدابه	» طه محمد الساكت
١٠٦٠	الازهريون والتدريبات العسكرية	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
١٠٦٢	الاسلام لا يقر المحسوبة	» » » » »
١٠٦٥	كفانا تقليداً في الفقه	الدكتور محمد يوسف موسى
١٠٧٠	إمام (ترجمه عبدالله بن مسعود)	الاستاذ محمود النواوي
١٠٧٧	نشأة كتب الامالى وخصائصها : أمالى المرقضى	» عبد الوهاب حودة
١٠٨٣	الجهاد أعلى مراتب العبادة في الاسلام	بيان لفضيلة الأستاذ الأكبر
١٠٨٦	نشأة المعاجم اللغوية وأطوارها : تدوين اللغة	الدكتور عبد الحاميد النجار
١٠٩٣	ديوان مجد الاسلام : أصحاب القليب	الشاعر الكبير أحمد محرم رحمه الله
١٠٩٥	رمضان وشيطانه	الاستاذ محب الدين الخطيب
١٠٩٧	الصوم والتربية النفسية	» محمد محمود أبو شهبه
١١٠١	الفتاوى : بدء الصوم وحساب الفلكيين	لجنة الفتوى
١١٠٣	جهاد النفس تربية روحية	الاستاذ عز الدين اسماعيل
١١٠٧	الذكريات الخالدات في رمضان	» كامل محمد مجلان
١١١٠	الجنسية في صدر الاسلام	البوزباشى أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
١١١٣	صدى الامانة الثانية	الدكتور محمد يوسف موسى
١١١٥	في يوم الفتح الأعظم	الاستاذ محمد الطيب النجار
١١١٩	خير الزوجات في نظر الاسلام	» عبد الرحيم فرغلى البلينى
١١٢٣	توارد المخطوطات : أخبار ملوك العرب البائدة للصمعي	» نور الدين شربية
١١٢٨	نقد أخطاء الأستاذ أحمد أمين في كتاب (حيى وقيطان)	» سعد محمد حسن
١١٣٦	اختيار الزوجة في الشريعة الاسلامية	» محمد فهمي الطماوى
١١٣٩	تصويب لغوى	» السيد عضو المجمع القنوى
١١٤٢	السكتب	قلم التحرير
١١٥٠	الأدب والعلوم في شهر	»
١١٥١	للعالم الاسلامى في شهر	»
١١٥٥	أنباء العالم الاسلامى	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
في مصر والسودان
للطبعة في مصر والسودان
في الخارج
للطبعة في الخارج
من الجزء

مجلة الأناضول
مجلة شهرية بجامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر ربيع

مدير المجلة
محب الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء العاشر - في غرة شوال ١٣٧٢ - ١١ يونية ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثقافتنا الحاضرة

لما قام وفد مصر إلى مؤتمر المستشرقين الثامن في ستوكهولم عام ١٣٠٧ (١٨٨٩) مؤلفاً من الشيخ حمزة فتح الله وعبد الله فكرى وابنه أمين فكرى ومحمود عمر ، كانت الباهرة (غامبوج) من بواخر المساجيرى ماريتيم تبحر من القسطنطينية إلى أوروبا وعليها كبير كتاب الترك في ذلك الوقت العلامة أحمد مدحت افندى ممثلاً للدولة العثمانية في ذلك المؤتمر . ومع أن مؤلفات هذا الأديب التركي قد أربت يومئذ على مائة كتاب ، فإنه أدرك بفطنته وإنصافه أن الفلك الذى تدور فيه ثقافته على سعتها لا يؤهله لعضوية مؤتمر المستشرقين ، وأعلن في مقدمة كتاب رحلته إلى ذلك المؤتمر اعترافه بأنه رجل وقف حياته على نقل معارف الغرب إلى الشرق ، فهو - لذلك - بعد ، مستغرباً ، أكثر منه ، مستشرقاً ، فضلاً عن أن يكون شرقياً في اتجاهه الثقافى .

وقد يكون في قادة الفكر من أدباء الترك من كان يتجه بثقافة بلاده اتجاهاً غربياً أكثر مما فعل أحمد مدحت افندى ، بل قد يكون فيهم من يذهب إلى أن حضارة الغرب ، كل لا يتجزأ ، ، فعلى الأمم الشرقية وهى تأخذ الحضارة عن الغرب أن تأخذها بحذافيرها

كما دعا إلى شيء من ذلك بعض حملة الأقلام عندنا . أما أحمد مدحت افندى فأشهد أنه كان أديباً إسلامياً ، وأن له مواقف مشرفة حتى في الرد على المبشرين . وأنه كان حريصاً على توجيه الشباب التركي في قافلة الإسلام ، وكان من رسالته أن تكون للترك ثقافة مستقلة تعصمهم عن أن يذوبوا في الثقافة الغربية ، وتندأ عن عقولهم وقلوبهم حملات الاستعمار العسكري وأخطاره . ومع ذلك فإنه - بحكم الاختصاص الذي كان له في عالم الثقافة - اعترف بأنه يعد مستغرباً ، أكثر منه مستشرقاً ، واعتذر بذلك عن حداثة عهده بالجو الذي يستقبله في مؤتمر المستشرقين .

تحتاج الأمم في نهضاتها إلى أن تأخذ من علوم الأمم الأخرى كل ما يجد عندنا ، لتستفيع ، به في تقدم صناعاتها ، والاهوض بأسباب قوتها . أما الثقافة والآداب فإن لكل أمة ثقافتها وأدبها ، خصوصاً الأمة التي لها رسالة سامية إلى الإنسانية ، ولها تراث فياض من لغة عريقة في القدم زاخرة بدقائق المعاني وثمرات المدارك وخطرات الأفكار ومشاعر القلوب . وكلما كان تراثها الأدبي أغزر وأغنى ، كان تقربط أبنائها في استقلالهم الثقافي جنابة منهم على قوميتهم وخيانة لها . وقلما يكون ذلك إلا تحت سلطان الاستعمار وبارشاده ، وتنفيذاً لخطط رسمها رجاله للمعاهد التعليم ، فأخرجت للبلاد حملة أقلام يفكرون بعقول أجنبية ، ويوجهون الرأي العام وجهة أجنبية ، ويزينون للناس أذواقاً أجنبية .

نقول هذا بعد أن هدأت المعركة الأخيرة حول الآداب العصرية في مصر بين الذين كانوا يسمون أنفسهم المجددين في الآداب ، وبين أبنائهم الذين يدعون إلى تجديد في ذلك التجديد حتى يبقى معه قديماً . ولا يبعد أن يخلف هؤلاء خلف من الأحفاد بعد عشرين سنة أخرى يدعو إلى تجديد ثالث بدعى أن تجديد التجديد قد أدركه الهرم فصار قديماً بعد قديم .

وأنا أقول — بأسف عميق وحزن شديد — أننا في عصرنا هذا ليس لنا أدب جديد ولا قديم ، لأن أدبنا — في وضعه الحاضر — لا رسالة له ، وقد نشأ ذلك عن كونه أدب أمة لا تعرف من هي ، ولا أين هي ، وماذا تريد ، وما هي وسائلها لتحقيق ما تريد .

وفي ظني أن القارىء لا يزال على ذكر من هذه الحقيقة المريرة التي أعلاها في العام الماضي وزير خارجيتنا الأسمى الأستاذ محمود فوزى ، وقرر فيها أننا أمة لا تعرف

من هي ^(١) . ولو أن أدبنا الشائع الآن أدب سليم لارتفع بنا من أعماق التيه الذى نحن فيه ، فأشرف بنا على مصادر ضعفنا وينابيع قوتنا ، ولسكان لنا به من دقة الحس ما نسمع به نابض الحياة فى مجال الحقيقة . بل لسكان لنا منه غذاء شهى نقوى به على بلوغ مظمحننا المتوارى وراء الآفاق .

أدب الامة أوسع أفقا وأبعد مدى من أن يختص بجيل واحد ، أو بلد منفرد . وإنما هو القلب النابض بحياة الامة من أقدم عصور بيانها ، وفى أوسع آفاق مشاعرها . وهو موجه الامل للقوى الذى يتخطى الدهور فيتصل بالاهداف الاولى مهما أوغلت فى أحشاء المستقبل .

إن أدبنا فى مصر يجب أن تتجاوب رسالته مع رسالة عمرو بن العاص فيما كان قد رسمه لمصر العربية الإسلامية من اتصال بجناحيها فى الشرق والغرب ، ويجب أن تتجاوب رسالته مع رسالة كل ناطق بالضاد من فلسطين إلى أقصى وطن الأدب العربى وراء فلسطين ، ومن ليبيا إلى أقصى هذا الوطن الواحد بعد ليبيا ، وبذلك يحمل أدبنا الاصيل لواء الجهاد الفكرى فى دنيا العروبة والإسلام ، مؤدياً رسالته لامة تعرف نفسها وتمضى وراء أهدافها . أما النقاش الذى قام أخيراً بين الجديد الذى صار قديماً ، وبين الوليد الذى يحاول أن يكون شيئاً جديداً ، فأنما قام بين أدبين أجنيين عن رسالة !لادب العربى ، وغريبين عن القلب النابض بحياة هذه الامة ، فكانت الامة بهما كاليتيم الذى لا عائل له ، وكالمظلوم ليس له من ينطق بحقه ويدفع الظلم عنه .

أدب الامة هو اللسان الناطق برسالة الامة . فإذا كانت الامة لا تعرف من هي ، وإذا كان لسانها الناطق برسالته غير مؤمن بهذه الرسالة ، فأى قيمة لهذا الادب جديداً كان أو جديد الجديد ، وقديماً كان أو قديم القديم .

أدبنا كأغانينا يتكسب مما يتكسب منه الاغانى ، ويتقصف ويتخلع فى الجو الذى تنقص فيه وتتخلع هذه الاغانى . وكل ذلك من أثر ثقافتنا الحاضرة التى تلتهاها أجيالنا من مناهج سننا لنا رجال الاستعمار ، ولا نزال دائرين فى فلكها ، نائمين فى أغراضها ، بعيدين عن رسالتنا القومية التى أولها فى الانقلاب الاجتماعى الاعظم الذى تم على أيدي

(١) انظر جزء ربيع الآخر من هذه المجلة (ص ٢٩٧)

همرو بن العاص وصحبه يوم رسموا خطط الفسطاط . وأخشى أن نكون تناسينا هذه الرسالة منذ أفل نجم الفسطاط وخلا مسجده العتيق من علمائه وأدبائه ، ومن قادة الفكر الذين طلوعوا شمساً في سمانه .

وإذا كان الأدب الجديد وجديد الجديد أدباً أجنبياً لأنه لا يتصل برسالة هذه الأمة ولا بالقلوب التي تستمد قوتها من قوة هذه الرسالة ، فإن البلاغة من المواهب الباقية في الناس ما بقي الناس . ولن يعود للأمة أدبها إلا إذا نبغ فيها بلغاء مؤمنون برسالتها ، ولهم قلوب تتجاوب مع تراثها الأول ، وبصائر تكشف أهدافها من آفاق المستقبل ، حتى إذا هتفوا بهذه الأمة يدعونها إلى أن تعرف من هي ، وأين هي ، وماذا تريد ، انتعشت حينئذ ثقافتنا الأصيلة ونمت وأينعت وزالت حيرتها ، وإن تحقيق ذلك ومن بتغيير مناهج معاهدنا كلها : في الأزهر ، ومدارس وزارة المعارف ، والجامعات ، فاذا تجاوزت مناهجنا مع رسالتنا نهض العملاق حينئذ من نوم طال عليه الأمد ، وخرج من كهفه ليستقبل الدنيا بعقل جديد وأدب جديد ، وسلاح جديد ؟

محج الدين الخطيب



نزوع المرء إلى أصله

قال نهشل بن حرى :

أرى كل عود نابتاً في أوومة	أبى نسب العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ، ومن يكن	لآباء سوء يلقيم حيث سيرا
أبوك هباب سارق الضيف يرده	وجدى يا حجاج فارس شمرا

الأم السعيدة والأم السقية

في الارض أم سعيدة وأم شقية ، أم راقية وأم منحطة ، أم لها العزة والسؤدد وأم لها الذلة والخزى ، أم تعيش فيما يذنها كأنما تعيش في الفردوس سعادة ونعمة ، وأم كأنما تعيش في الجحيم شقاء وبؤساً ، أم لم تدع خيراً من الخيرات إلا تمتعت به من كرامة وجاه ، وأم لم تدع شقاء إلا جلبته لنفسها وشقيت به ، فما الذي جعل بعض هذه الأم سعيدا وبعضها شقيا ؟

إن الجواب عن هذا السؤال أنفس شيء في هذه الحياة لأنه يعطى المرء المفتاح الذي تفتح به الامة باب السعادة ، والمفتاح الذي تغلق به باب الشقاء . إن سعادة فرد واحد مرغوب فيها ومبحوث عنها ، فكيف سعادة أمة بأكملها . وإن الامر وإن كان على ما ذكرت تراه لا يؤبه به في الشرق ولا يفكر فيه ، وترى الادباء ورجال الاجتماع يعنون بما هو أقل من ذلك شأننا ولا يعنون بهذا الامر الخطير .

إن أول واجب على رجال الاجتماع وعلى الامة بأسرها ، أن تبحث عما به تسعد الامم وتتبعه وأن تبحث عما به تشقى الامم وتجتنبه .

إن الامة السعيدة أمة علمت أنها لم تتسكون أمة إلا لانجلب كل خير لها وتدفع كل شر عنها ، وأنه يجب أن يعمل كل واحد لخير المجموع ودفع الشر عن المجموع ، وأنه يجب أن يشعر كل واحد أنه مدين لباقي الامة بوجوده وعلمه ومنطقه وسعادته ورفاهيته ، ولن تبلغ الامة السعادة إلا إذا كانت العلاقة بين أفرادها علاقة عدالة ، فتسكون فيها عدالة في توزيع الثروات وعدالة في المعاملات وعدالة في الحقوق وعدالة في الواجبات .

تعلم ذلك علماً لا يخالجه ريب يستولى على نفوسها ، وتصرف جوارحها على مقتضى هذا العلم فتروض نفسها على أن تعترف لذوى الحقوق بحقوقهم ويؤدى كل ما وجب عليه للغير .

أما الامم الشقية فهي أمم جاهلة لم تعلم هذا العلم ، بل ربما اعتقدت أو اعتقد الأقوياء فيها أنها لم تتسكون أمة ولم تجتمع في هذه البقعة من الارض إلا ليستغل قواها ضعيفها ، ويستعبد عزيزها ذليلها ، وما وجدت عامتهم إلا لتخدم خاصتهم ، فنشأ عن هذا الاعتقاد

أن تكون العلاقة بينهم علاقة ظلم واغتصاب ، فالمسألة مسألة قوة فمن قدر أن يحظى بخيرات الامة فعل ، ومن قدر أن يستخدم الغير فعل ، ومن قدر أن يبني سعادته على شقاء الآخرين وبكائهم فعل .

من هذه المعرفة ومن هذه الجاهالة تنشأ سعادة الامة وشقاؤها ، فمن هذه المعرفة ينشأ العدل والتعاون والمحبة ، وهي أساس كل سعادة ، ومن هذه الجاهالة ينشأ الظلم والتخاذل والبغض وهي أسباب كل شقاء .

يرى الفرد في الامم العاملة أنه مدين لأمته بوجوده وجميع الخيرات التي هو فيها فيجبها ويربط مصيره بمصيرها ، ويجهل الفرد في الامم الجاهلة ذلك فلا يرى لأمته حقاً ولا يرى عليه واجبا لها ، فلا يعمل لخيرها ولا يسعى في نفعها . يرى الدهماء والعامه في الامم العاملة أنهم مغمورون بنعمة الخاصة فقد بنوا لهم المستشفيات والمدارس ، وأن الدولة تعملهم إذا عجزوا وتداويهم إذا مرضوا فيحبون خاصتهم ويتعلقون بدولتهم ، ويرى الدهماء والعامه في الامم الجاهلة أن كبارهم لم يفيدهم وأنهم يحلبونهم ويهزلونهم وأنهم مغموطو الحق ، مبهضومون في أمتهم فيحقدون على كبارهم ويضمرون الشر لدولتهم وتكون الامة معسكرين: معسكراً ظالماً ومعسكراً مظلوماً . فأما الاول فيزداد في الظلم ليخمد أنفاس الآخرين . وأما الثاني فيجهد لينجو من ظلم الاول ، ويتبع ذلك ما يكون بين الجميع من كراهية وبغض وظلم وتدابر وانتقام وفوضى مما يوجب الفساد والشقاء .

المسألة إذن مسألة علم وجهل وتربية على الحق والإنصاف . يبلغ من جهل كبار الامم الجاهلة أنهم يعتقدون أنهم إذا ظلموا ضعفاءهم وقهروهم على مصالحهم استتب لهم العيش وأنه يمكن أن تعيش الامة على أن يستغل أقوىها أضعفها .

ويلعب من علم الامم العاملة أن تنظر إلى أبعد من ذلك وترى في حجب المستقبل أنه لا يمكن أن تعيش أمة على هذا النمط ، وأنه إذا سلط بعض الامة على بعض فأذلوهم واستعبدوهم أفقدوهم الحمية والعزة ، فإذا غزا الامة عدو أجنبي هرع كبار الامة الظالمون إلى بقية الامة المظلومين فاستنصروهم فلم يجدوا عندهم غناء ، وكيف يجدون عندهم غناء وهم أذلوهم فأفقدوهم الحمية ولسبوهم العزة والقوة الفضيحة ، وهذه هي الدروع التي تنق بها أمة لغارة أمة ، وتنتصر بها دولة على دولة ، أيتظنون أنهم يكسرون شوكتهم اليوم ويسلبونهم

أسلحتهم ثم يدفعون بهم عدواً مغيراً، إن من ذل لك ذل لغيرك، والعبد لا يعرف الكر، وإنما يعرف الحلب والصبر.

يعلمون ذلك كله فلا يلحون على أمتهم بالظلم، وإنما يعاملونهم بالعدل ليستبقوا عزتهم ونخوتهم وحيثهم، فإذا جاء الجدد وأغار عليهم مغير وجدوا منهم أسوداً غاضبة وليوثاً كاسرة يدفعون عن الحى ويذردون عن الحرية. هذا مبلغ العلم وهذا مبلغ الجهل.

وما قوة المسلمين في أول دولة الإسلام إلا من هذا العلم، وما ضعفهم أخيراً إلا من هذا الجهل، هذا الجهل الذى ذكرناه هو الذى أفقد المسلمين عزتهم وحيثهم في هذا العصر، فصاروا غرض كل صائد وفريسة كل مفترس ونهب كل مغير.

كان الخلفاء الراشدون لأمهم كالأب الشفيق على أبنائه يعلمهم صغاراً ويدخر لهم كباراً، وكان كالراعى الشفيق على غنمه ينأى بهم عن موارد الهلكة ويرتاد لهم الخصب.

ولقد قال بعض الرعية لعمر بن الخطاب: والله لو وجدنا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيفنا، فقال: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا وجد فى أعوجاج قومنى بسيفه.

حمد الله على ذلك لأن هذا دليل على أن فى الأمة الحمية والغضب والقوة والشجاعة فى الحق، والأمة إذا كان فيها ذلك لم تن ولم تضعف، وقد غضب على عمرو بن العاص حين ضرب ابن القبطى، وقال له: متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. غضب وحق لأنه خاف أن يلحوا عليهم بالظلم فيستعبدوهم ويدلوهم فيسلبوهم العزة والانفة والحمية والغضب وهى عدد الأمة فى هذا الوجود.

ولقد بلغ من حمية العرب وأنفتهم أن معاوية ذكر الأحنف بن قيس بمقامه مع على فى حرب صفين فقال: والله يا أمير المؤمنين إن السيوف التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا، وإن القلوب التى أبغضناك بها لبين جوانحننا، ولأنك إن تدن من الحرب شبراً دنونا منها ذراعاً، وإن تدن منها ذراعاً دنونا منها باعاً؛ ثم خرج مغضباً فقال يزيد لأبيه لم تحلم على هذا العربى الجلف، فقال: يا بنى إنه أبو مائة وأخو مائة وعم مائة إذا غضب غضبوا لغضبه لا يسألونه لما إذا غضب. ثم جاء بعد ذلك خلفاء ظلمة وأمراء جاثرون فألحوا على الأمة بالظلم حتى أذلوها وأفقدوها الشعور بالكرامة ووجدوا فى سبيل ذلك عتاً وشدة، وقاومتهم الأمة مقاومة عظيمة ولكنهم انتصروا أخيراً، انتصروا بالأمة عليها.

ولقد بلغ من إذلال الامة أن يقول الحجاج على المنبر : والله يا أهل الشقاق ومعدن النفاق إنى لأرى رؤوساً أيّمت وحان قطافها وإنى لصاحبها ، وإنى لأرى الدماء تترقق بين العيائم واللىحى ؛ فلا يجد من يلتصق لكرامته أو يرد هذا الجبار عن جبروته .

ازداد الولاة ظلماً وعسفاً ، وازدادت الامة ضعفاً وخسفاً ، وما زالوا بهم يفقدونهم عزتهم ونخوتهم ويفسدون نفوسهم إلى أن صارت الامة الإسلامية مباحة لكل طامع ، لا تدفع عن نفسها ولا تغنى عن بلادها ، ولقد خرج عليها د هولاء كوا ، وجنكيز خان ، فملكوا معظم البلاد الإسلامية فى زمن وجيز كأنما كانوا فى رياضة لافى فتح واستعمار ، وما ذاك إلا لأن القوى الحقيقية التى يدفع بها الأسد عن عرينه والطير عن وكره والكلب عن وجاره والإنسان عن وطنه قد أفقدهم إياها هؤلاء الظلمة ، فصاروا أكلة كل آكل وطعمة كل جائع ، وغبرت الأيام ، وتلك سنة الولاة الظالمين والرعية المظلومين ، إلى أن جاءت العصور الحاضرة فأغارَت أوروبا على الشرق فوجدت حى مباحاً لا حام ولا راع .

من ذلك يعلم أن مصائبنا منا وداءنا فينا وصدق الله إذ يقول : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

ولن نرقى ونسعد إلا إذا أخذنا بأسباب الرقى والسعادة ونبذنا أسباب الشقاء والانحطاط ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد عرفنة

عضو جماعة كبار العلماء

من كلام الصاحب بن عباد

- الإحجام فى مواطنه ، كالإقدام فى مواضعه .
- اللبيب من الإيماء يكفيه ، والإيجاء يغنيه ، واللفظة تجزيه ، واللمحة تؤثر فيه .
- المكيدة أبلغ من النجدة .

نفحات القرآن

العدل والظلم

من الألفاظ البارزة في القرآن : لفظا عدل وظلم .. في صيغ مختلفة .. وهما متقابلان .. إذا جرى أحدهما على لسانك خطر الثاني ببالك .. وذلك هو الشأن فيما بينهما التضاد : مثل خير وشر ، وحسن وقبيح ، ونافع وضار .. هكذا عرفنا من الكتب .. ولكن الأمر فيما نحن بسبيله فوق الضوابط المسطورة .. فللوجدان إدراك ، وللفطرة مذاق ، وللشعور تقدير ، وللإحساس تصوير .

وخصائص القرآن - كما عهدنا إليك من قبل - تنطوي عليها ألفاظه ، وتمتج بها معانيه ، ويقترن بها سياقه ، فلا يمكنك أن تراها شيئاً غيره ، ولا تستطيع أن تباعد فيما بين شيء وشيء .. والسمع يتلقف من ألفاظ القرآن ما يقابل بعضه بعضاً : كالعدل والظلم ، والهدى والضلال ، والرحمة والعذاب ... الخ ، فتجنىح الحساسية القلبية إلى جانب ، وتزور عن جانب : تجنىح إلى لفظ كلفظ العدل .. حيث يدرك الوجدان حذره ، وتذوق الفطرة عذوبته ، ويقدر الشعور فيه رفاهيته ، ويتصوره الوعي الإنساني كالظل الظليل : يأوى إليه اللاهث المحرور فيطرح عناءه ، ويسترد راحته ، ويتخيله الوعي كالماء القراح : ينحدر إليه الظام السكود فيروى صداه ، ويبرد به السكبد الحرى .. وهل ترى لفظ العدل الذي توجنا به حديثنا إلا أماناً شاملاً من المخاوف عامة ؟؟ هو أمان تنادى به الفطرة الاجتماعية ، وتهتف به الانسانية ، وترنوا إليه الدنيا لتسلم الحياة على طولها من كل ما يلويها عن السير قدما إلى الامام ..

العدل !! وما العدل ؟ وفيم يكون ؟؟ ... للعدل : اعتدال بين جانبين : لا إلى اليمين ، ولا إلى الشمال فهو كيزان قائم لا يميله عن الجادة مساس ، ولا تقربه النفسات فتنتأرجح كفتاه ... ولقد أغنانا القرآن عن الأسهاب في تشخيصه ، فضرِب له الأمثال ، وهنى من بينها

بذكر الميزان .. واشترط فيه أن يكون بالقسطاس المستقيم - العلامة الوسطى التي يضبط بها التساوى - وعلينا - سبحانه - أنه آخذ في شأنه معنا بنحو ذلك ، وأنه سيقم الميزان بينه وبيننا يوم الفصل ، ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - والوزن يومئذ الحق ، .

وليس بعد ذلك تمثيل أوضح في التعليم ، ولا توجيه أقوى إلى العدل - إلا ما في علم الله ثم يكون العدل منك فيما لك أو عليك ، وفيما يصدر عن جوارحك من قول أو عمل ، وفيما يجرى تحت سلطانك من شئون الناس ، وفيما يقع تحت عينك وتستطيع أن تطول إليه يدك ، أو ينطق فيه لسانك : بل يكون فيما تنطوى عليه سريرتك مما يخفى على الناس ولا يخفى على رب الناس ، إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسؤولا ، .

والعدل كالقوة الجاذبة تتأخى به النفوس ، وتشتد به العلائق وتستقيم عليه الجماعة . وسطوة العدل تقوم المعوج ، وتروع الجائر ، وتمهد للحضارة أن تسير ، وللدنيا أن تزدهر

أما الظلم : — فلفظه بغيض ، ومعناه موحش ، وحوله مكاره ، وهو على الإيجاز مسخوط يقض المضاجع اللينة ، ويشرد الخواطر الساكنة ، ويزعج النفوس الآمنة ، ليس للدنيا حظ فيه ، ولا للحياة نصيب منه ، ولا للإنسانية رغبة إليه ، ولا تنجح إليه النفس إلا نفسا خالطها وحشية ، أو طغت عليها البهيمية فأفسدت عليها فطرتها ، ونأت بها عن الهدى ، فكانت آفة من آفات المجتمع ، وشوكة في جنب الحضارة ، وقذى في عين الحياة .

الظلم ١١ وما الظلم وفيم يكون ؟؟ الظلم انحراف عن الجادة أو ميل من جانب إلى جانب ، ويمثله لك ميزان مضطرب ، يعطيك مرة أكثر أو أقل مما لك ، ويأخذ منك مرة فوق أو أقل مما عليك ، وهو في جملته وتفصيله شذوذ عن سنن الفطرة .

ويكون الظلم كذلك فيما بينك وبين الناس من كافة الشئون ، ويكون فيما يقع تحت عينك ، وتملك أن تطوله يدك ، أو ينطق فيه لسانك .. والظلم في حساب الفطرة كاللهب مسامة تلهك ، وللقرب منه مخافة وعاقبته خسار وبوار ، ومهما هان وقع الظلم فهو قبيح مشئوم ، تنقبض لذكره المشاعر ، ولا تستقيم عليه الحياة بحال ، لذلك حرمه الله على نفسه ، ونهانا في تأكيد من الآيات عن النظام لإبقاء على مصالحنا في دنيانا ، واحتفاظا بعمارة الكون كما شاء مبدعه .. واستبقاء لهامة الفرد في محيطه الذي يعيش فيه .

حفلت آيات الكتاب بذكر العدل والظلم ، ولكن لماذا يقف ذكر العدل عند العشرين مرة مع أنه محبب إلى القلوب ؟ ولماذا يتردد ذكر الظلم خمس عشرة وثلاثمائة مرة مع أنه مرذول بغض .

أحسب ذلك لأمرين . . أحدهما : - إن العدل نجى الفطرة البريئة من الشوائب ، فهو شاخص لديها لا يغيب عنها ، وإنما يذكر للتذكير ، حتى لا تخيم عليه الشواغل ، ولا يستشرى في إغفاله الظلم والعدوان .

ثانيهما : - أن الظلم دعوة الشيطان فهو دائماً يزينه ، ويجتذب اليه ، فكان الإكثار من ذكره للصد عنه ، وللمقاومة المغريات التي يقدمها الى كل نفس شيطانها من الجن أو الإنس . . والمرء بحاجة الى تبصيره بسوء ما يعرضه شيطانه ، وتأمره به نفسه ، ويدفعه اليه هواء على أن كل نهى عن الظلم في طيه أمر بالعدل ، وكل تشويه لآثار الظلم تركية للعدل : ضرورة المقابلة بين المتضادين كما أسلفنا . فالإكثار من ذكر الظلم للتشويه والتقييح . وللقرآن في حديثه عن العدل مسلك حكيم ، فهو يذكره أولاً — كبداً عام : يأخذنا به من غير تفصيل ، وفي هذا توجيه إلى أن العدل في اعتبار الشريعة كما هو في حساب الفطرة الانسانية : لا يتخصص بشأن دون شأن ، ولا يختص به قوم دون آخرين ، وفي هذا يقول الحكيم سبحانه ، إن الله يأمر بالعدل ، فلم يقيد أمره بمعقول ، بل ساقه بصيغة الإطلاق ليكون سلطان الأمر مبسوطاً على كل من يقع تحت التكليف أو يكون صالحاً لذلك . وكذلك أطلق العدل ، فلم يحصره في شيء ولم يقرره بزمان ، وعلى هذا يكون العدل كما قلنا مبدأ مفشوداً على وجه التعميم والاطراد .

ثم تأتي آيات أخرى تؤكد ذلك ، نحو قوله تعالى « ولا يجرمكم شأن قوم — بغضهم على ألا تعدلوا . اعدلوا : هو أقرب للتقوى ، وهنا تحسم الخصومات ، فلا تال من العدالة بل ولا تمتد إليها بالاتقصاء مهما يكن سببها : فلا تشفى ، ولا حنق ، ولا جف ، ولا انحراف . وإنما هو تخاق بأخلاق الرحمن ، وأخذ بالكمال حتى مع من لا يكون مـوالياً ، ولا مطيعاً . يا أيها الذين آمنوا كونوا قواءين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم — الآية ، .

ومن مسلك القرآن — ثانياً — في ذكر العدل أن يتجاوز التعميم إلى التطبيق فيعرض لأمور يبرز فيها العدل أكثر ، ويأتى على كثير منها بالنصريح : « وإذا حكمتم

بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ،
 ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
 هم الفاسقون ، فهل ترى تأكيذا أكد ، وتصريحا أصرح من طلب العدل في الحكم على
 هذا النحر واعتبار الخروج عن العدل فيه كفرا : وظلما : وفسوقا : ؟ وهل بعد هذه الثلاثة
 شناعة ؟ ومنها : أوفوا السكيل ولا تكونوا من الخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ،
 ولا تبخسوا الناس أشياءهم : الآية ، ، والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطفوا في الميزان
 وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، ، ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على
 الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، : ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم
 عظيم ؟ الآية ، وهكذا من مواطن العدل البارزة يسوقها الكتاب العزيز مساق التطبيق للبدء العام
 فيما يجرى مع الناس ، وبين الناس من أعمال ، أو يجرى على ألسنتهم من أقوال ولو لم تكن
 عالقة بأحد ، ومن باب الأولى إذا كانت عالقة ، وإذا قلتم فاعدلوا .. ولو كان ذا قربى ، .
 وفي هذه الآيات وأمثالها تحصين للعدالة أن تذهب ضحية الهوى ، أو تميل بها العصبية ،
 أو يلتوى بها التأويل المغرض .

والمسلك الثالث للقرآن في ذكر العدل - بعد تركيزه كبدأ ، وبعد التمثيل في تطبيقه -
 مسلك التصوير الدقيق لحقيقته ، والكشف عن مداه - ولو تقريبا - ليتبصر العقل ، ويتيقظ
 الوجدان ... ومن ذلك أن الله يضرب لنا الأمثال عن شأنه وهو الحكم الأعلى غير مدافع
 ولا مسئول ، إن الله لا يظلم الناس شيئا - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - فمن يعمل مثقال
 ذرة خيرا يره - ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إنا لانضيع أجر من أحسن عملا - يا بني
 إنما إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض
 يأت بها الله ، .

فذلك تصوير بارز : فيه تأكيد ، وتقوية للعمد ، يأخذه الله على عبادته أن يستنوا بسنته
 ويتزلوا عند إرادته ، ويقوموا شرائعهم على هذا الأساس من شريعته ، حتى مع من خاصوا
 ربهم في دينه ، ولم يستجيبوا لدعوة رسوله فإن الله قد عدل مع هؤلاء ، ولم يطاردهم من
 ملكه . ولم يقطع أرزاقهم في دنياهم ، ولم يأخذهم على غرة ، فإنه خلقهم بقدرته ، وأبقاهم
 بإرادته وحكمته ، فكان حقا لا نقا أن يعدل ، وقد عدل ، وطلب إلينا أن نأخذ بهديه ذلك

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

فالقرآن يطوف بنا حول العدل في أوضاعه البينة : مبدأ - وتطبيقا - وتصويرا ، ولم كل ذلك ؟؟ لأن العدل للحياة الاجتماعية كإنفاس الحياة للكائنات الحية ، وهولنهضات الشعوب كالماء العذب في سقى الزروع . فإن لم يكن في القلوب متسع لهداية القرآن : فلتسكن لنا هداية من تجارب الأزمان . وما شهدنا أمة جارت ، ولا حاكما ظلم ، ولا أسرة طغت إلا ثار الله ببقوته بمن عبثوا بسنته ، وغفلوا عن دعوته ، وفي الآيات نذر تسمع من به صمم ، وفي السكون دلالات مشهودة لمن يمينه قذى ، وكلها تنادى : العدل .. العدل !! .

فن لم يعدل — ولو في خاصة نفسه — أو اجترأ ولو في شأن غير ذى بال ... فقد ساهم في كبت العدالة ، ومناصرة العدوان ، ومن وراء ذلك اختناق الحياة وتعويق الحضارة ، ومحادثة الله فيما رسم لنظام الكون ... وربك بالمرصاد ، ولن يهمل مهما أمهل .

وإنك لترى في بعض الآيات تخويفا من الظلم أكثر مما ترى في جانب غيره من المآثم ، فانظر - مثلا - إلى قوله سبحانه « إنه لا يفلح الظالمون » ، « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، وفي هذا الاستثناء إيذان بأن صوت المظلوم مسموع في كل ما يتجه به إلى الله ... وقد أكدت أحاديث الرسول ذلك فأفادت في صراحة أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .. وأفادت أن الله ينصر دعوة المظلوم ولو بعد حين ..

وأفادت أن الظلم في الدنيا ظلمات يوم القيامة .. أى - انها ظلمات متكاثفة تستكثف بشاعتها الظالم ، وتحقق به حتى يكون شأنه مفضوحا ، ويكون بين الخلائق في هول وضجر ، وآلام .. بينما يكون لغير الظالمين في ذلك الموقف الرهيب نور يسمى بين أيديهم ، وبأيامهم ، وعن شمائلهم ثم هم يتريدون فيقولون « ربنا أنتم لنا نورنا .. » ويقول الظالم : يا حمرتا على ما فرطت في جنب الله ، ولديك من التخويف بالحق الذى يصدع رهوس الجبارة : أن الله تعالى حينما دعانا إلى الحكم بالعدل جعل الخروج عنه كفرا ، ثم ظلما ، ثم فسوقا .. على هذا الترتيب في الآيات ، فإذا كان الظلم قرين الكفر والفسوق ، وكان بينهما في الذكر : صح لك أن تقول في هذا السياق . شر الثلاثة أوسطها ، كما نقول في باب الشاء : خير الأمور أوسطها .. وتوجيه ذلك - أن الكافر على ما به من شؤم واضح الشأن

لا يتاح له أن يدلس على الناس مثل ما بدلس الظالم وهو متستر وراء تسمية دينية يتندعها ثم لا ينزل على حكمها ولا يراعى مقتضاها .

ولا أذهب بك بعيداً في التذكير والإقناع ، فالقرآن نفسه يصارحك بما يؤكد لنا ما يفيد السياق أو ما أسميه في اصطلاحى الخاص بالنفحات - واليك قول الله تعالى « ولو أن لكل نفس ظلمت : ما فى الأرض - لافتدت به ... » .

فاتخاذ الظلم فى هذا التهديد والإخبار عنه بأن ما فى الأرض لو كان مملوكا للظالم لقدمه فداء لنفسه يومذاك : مما يكشف لك فى غير خفاء عما ينتظر الظالم هنالك من وبال ولا نقل : ان المراد من الظلم خصوص الكفر .. فقد عمم القرآن ، وقرن بينهما فى قضية واحدة ، واذا لم تكن توبة مقبولة فربك لا يغفل عما يعمله الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار .

عبد المظيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء



أخلاق المجاهدين

قال الحافظ ابن عساكر إن حبيب بن مسلمة قدم على أمير المؤمنين عمر فى حجة ، وكان حبيب تام القامة ، فسلم على عمر ، فقال له عمر :

— إنك لنى قناة رجل

فقال : اى والله وفى ستانها

فقال عمر : افتحوا له الخزان فليأخذ ما شاء ! ففتحوها له ، فمدا عن الاموال ، وأخذ السلاح .

تحقيق القول في ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول في معنى ليلة القدر وبيان المراد بها أخذاً عما تفيدته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن هذه الليلة في معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع أن كثيراً من الكتاب والخطباء في أوقاتنا الحاضرة قد انتحروا هذه الليلة في مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر — في بادئ الرأي — من النجديد الشائق في تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذي ذهبوا إليه في تفسير سورة القدر ، وفي تعيين المعنى الذي اختاروه لليلة القدر ليس جديداً ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور وأن السر في أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ومن يعينهم أمر القرآن بمن تخصصوا في تفسيره وكانوا أهدي من غيرهم في فهم نصوصه هو أنه رأى ضعيف لا تنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها في حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القدر - ليلة القدر ونزول القرآن - شرف ليلة القدر وجلالة شأنها - هل هي ليلة واحدة في عمر الدنيا أو تتكرر بتكرار الأعوام ؟ موقعها من ليالي السنة . والله الموفق والهادي إلى الصواب وحسن السداد .

« ليلة القدر » : جاء في القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة « القدر ،

يسكون الدال يطلق على معان :

منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المسكنة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .

ومنها تقدير الشيء وتحديد صفاته وأحواله .

فن الأول قولك : فلان له قدر أى له شرف وعلو شأن .

وبصح أن يكون منه ومن الثانى قولك : المسلمون يتمدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المسكاته أو يعظمونه حق التعظيم . ومن ذلك أيضا قوله تعالى فى المشركين : وما قدروا الله حق قدره ، أى ما عظموه حق عظمتهم وما قدسوه حق تقدسه .

ومن الثالث قولك : قدر الله الآجال والأرزاق قدرا ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقبتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك : قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأنت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة وتنوعه على النحو الذى ذكرنا قد اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة ليلة القدر ، :

فهم من قال إن الشرف والسمو وعظم الشأن ورفعة المسكاته . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الأشياء وتديرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر . ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فإنه مما لا يكاد يعول عليه :

غير أنه ينبغي أن يوقف عند كل من هذين القولين ليسأل :

أولا : إذا كان القدر معناه الشرف والعظم ورفعة الشأن فبماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها معينات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم ليلة القدر ، حتى مع هدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الأشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين أو هى جميع ما أراد الله أن يجرى به على العباد والأكران مما سبق به علمه المحيط ؟

وأما عن الأول ، فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحاً لا يقبل الشك أن القرآن أنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر ؛ « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر ، .

وقال تعالى : في سورة الدخان : رحم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة
إنا كنا منذرين .

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت
به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها فحسب ، وأنه لولا
ذلك ما كان ليثبت لها شيء من هذه المزايا ، وما كان يطلق عليها اسم ليلة القدر ، أو أنها
ليلة قدر وشرف ، لها من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو
مكانتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها من بين الليالي لينزل فيها ما نزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه صحائب الرحمة ، ولم ير أن ليلة القدر
فضلاً ولا شرفاً ومزية إلا من أجل أن الله تعالى قد أعلى فيها منزلة نبيه ، وشرفه وعظمه
بالرسالة ، وأوحى إليه بما أوحى من القرآن الذي هو كتاب الهداية والسعادة والخير
والبر والبركة .

اختار - رحمه الله - هذا الوجه متابعا فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير
من أهل العلم في عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه - في بادئ النظر - شيء من الوجاهة . ولكننا نرى في الوجه
الثاني عند التحقيق - أجود الرأي وأوجه وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للدعوى التالية :

١- الأول ، : أن قوله تعالى : إنا أنزلناه في ليلة القدر ، لإعلام من الله سبحانه لنبيه
بعد ما أوحى إليه في تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم - أنه كرمه بهذا الوحي في ليلة
القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جللاه الله لنبيه في هذه
السورة وفي مفتتح سورة الدخان . ولا يستقيم أن يكون ما لليلة القدر من المزايا
وخصائص الشرف التي أريد لإعلام النبي بها - مقصوراً على ما كان في ليلة الوحي ؛ فانه
عليه الصلاة والسلام يعلم حق العلم أنه قد أكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة
مباركة كلها خير وسلام ، ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين أمين الوحي ؛
ولا بد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيداً
جداً أن يكون المقصود لإعلامه بشيء من ذلك الذي هو به جده عليم . وهل يكون مستقيماً -
بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح

الأمين رؤية العيان - أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن في الليلة التي اكتسبت الفضل والشرف بنزله ربنا نزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟ .
ومهما بذلت الجهود في التمس الزجره لاستقامة هذا الإخبار فانه على ذلك المعنى الاول الذى سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذى نراه أن قوله تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، ظاهر جداً في أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأما ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطاعهم الله عليه من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، من قبيل قولك : قدم فلان في ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالى المشهورة بمعنى من المعاني . فليلة القدر معروفة - كما قدمنا - بذلك الاسم الذى صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم والمخصوصة بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالى السنة أراد الله أن يعلم نبيه أنها هى الليلة الى اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذى نزل فيه .

والثانى ، أن قوله تعالى : « نزل الملائكة والروح فيها » ، ظاهر في أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة في الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التى بدى فيها بانزال القرآن ؛ فإن الأصل في صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها في المستقبل ؛ ولو كانت هى الليلة التى نزل فيها القرآن وحدها ل قيل : « نزلت الملائكة والروح فيها » ، من حيث أن الحديث عنها حديث عن امر وقع في الماضى . وهذا شئ معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا - مع ما تدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال - أن الليلة التى أنزل فيها القرآن وفيها نزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم ليلة القدر علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

« غير أنه قد يقال ، إنه كثيراً ما يعبر في القرآن عن الامر الماضى بصيغة المضارعة لاعتبارات تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها . والاعتبار في المواطن الذى نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضى وافتراضه حاصلًا ساعة الحديث عنه

قصدا إلى كشف المعنى للسامع وتجليته أقوى تجلية ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التي يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشيء ساعة حصوله أقوى وأكثر وأوقع في النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

و الجواب ، أن ذلك لا يقدح فيما قلنا من أن الأصل في المضارع هو دلالة على الشيء يكون في المستقبل ، فأطلاقه على ما كان في الماضي خلاف الأصل ، لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد إلا إذا كان هناك دليل يصرفه عن ذلك الأصل ثم يحجى الاعتبار البلاغي كالاستحضار ونحوه مصححا ومسوغا لإطلاق المضارع على المعنى الماضي .

ولا يصلح الاعتبار وحده دليلا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضي ؛ اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد - في مثل مسألتنا - إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لا سبيل إليه ، وليس الكلام قاطعا ولا ظاهرا فيه ؛ بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

و بعد ، فأنت ترى أننا - في هذا الوجه الثاني من الاستدلال - قد اقتصرنا على ما تنفيده صيغة المضارع ، ولم تتعلق بما تدل عليه صيغة ، الفعل ، من معنى التكرار والتجدد ؛ فإنه إذا كانت هذه الصيغة التي جاءت على نهجها كلمة ، تنزل الملائكة ، تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصا في أن ذلك التجدد يحصل في أكثر من ليلة ؛ لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة متتابعاً وعلى دفعات كثيرة في ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتبعتها طائفة وطائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحينئذ لا يكون في التعلق بحديث التجدد وتكرر الحصول الذي تدل عليه صيغة ، تنزل ، إثبات لطلب الذي هو بتجدد الليلة وتكررها بتكرر الأعوام .

و الثالث ، : أن قوله تعالى في سورة الدخان - : فيها يفرق كل أمر حكيم ، . يدل على أن ليلة القدر تكرر وتتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التي نزل فيها القرآن ؛ وذلك لمجيء ، يفرق ، بصيغة المضارعة التي تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون في المستقبل كما قدمنا الكلام على ذلك في قوله تعالى : تنزل الملائكة ، ، وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التي سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ؛ فيكون

الحديث من ذلك مقصودا به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان في الليلة التي من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« الرابع ، : أن قوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم ، معناه أنه يبين في الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متفق لاخلل فيه ولا اضطراب ؛ وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتتجدد ، وليست هي خصوص الليلة التي بدأ فيها الوحي بشيء من آيات القرآن فإن ما نزل في تلك الليلة — وإن كان أمراً حكيمياً من غير شك ولا امتراء — لا يمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر حكيم . وسنعود قريباً إلى هذا بمزيد من التفصيل .

« الخامس ، : ما ورد في صحاح الاحاديث من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها وتحريها في العشر الاواخر من رمضان :

١ — فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاوز في العشر الاواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان .

٢ — وروى البخارى أيضاً عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليلة وأيقظ أهله .

٣ — وروى كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان .

٤ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى أن النبي ﷺ قال : التمسوها في العشر الاواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ في تاسعة تبقی ؛ في سابعة تبقی ؛ في خامسة تبقی ،

٥ — وروى البخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يجاور في رمضان العشر التي في وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تفضى ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الاواخر »^(١) فن كان اعتكف معي

(١) وقد ورد فيما روى عن أبي سعيد الخدرى أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اعتكف العشر الاوسط إن احدى تطلب أمامك ، يريد ليلة القدر .

فليثبت في معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيها فابتغوها في العشر الاواخر ، وابتغوها في كل وتر ، وقد رأيتني أجد في ماء وطين ، فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد في مصلى النبي ﷺ ليلة لاحدى وعشرين فبصرت عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طينا وماء .

٦ — وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة .

ففي هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها مرتبتها وراء ما ثبت لها بنزول القرآن فيها ، وانها تتكرر وتجدد ، وأن مظنة موافقتها هي العشر الاواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التي نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريمها ولا الامر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولا يصح أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بأمره بتحري ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الاوسط أو الاخير إلا إحياء ذكرى الليلة التي نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لتخفى عليه هذه الليلة العظيمة فيجمل موقعها من الشهر الذي كانت هي لاحدى لياليه حتى يتحراها باعتكاف العشر الاخير من رمضان ويأمر بتحريمها في ذلك من يريد إحياء ذكرها في كل عام . هذا بعيد غاية البعد ؛ وإذا لا يستقيم ما يقوله بعض الناس اليوم ارتكانا إلى ما اختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك الليلة التي نزل فيها القرآن ، وهي ليلة واحدة لا تتكرر ، وأنه لا معنى للاحتفال بها في كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحى ذكرى العظماء وذكرى الليالي والأيام التي اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن لاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكرها فاذا يقال في تحري رسول الله ﷺ هذه الليلة وأمره الناس بتحريمها ؟ .

هنا نجد الاستاذ الإمام عليه الرحمة يعتمد إلى الأحاديث الواردة في ذلك فيضرب عليها بكلمة ويرى أنه بذلك قد خلاص منها :

يقول: إن تلك الأحاديث رواياتنا مضطربة، وأغلبها ضعيف، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لا يصح الأخذ به في باب العقائد.

ولكنه - رحمه الله - لم يبق لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأياها ضعيف وبما إذا كان ضعف هذا الضعيف، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحا عن أحاديث أخرجه البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تحرروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان»، و يروى آخر أنه قال: «تحرروا ليلة القدر في الوتر في العشر الاواخر من رمضان»، و يروى ثالث قوله عليه الصلاة والسلام: «التسوها في العشر الاواخر من رمضان ليلة القدر في ناسعة تبقى، في سابعة تبقى في خامسة تبقى».

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأتى معه قبول الأحاديث؟

نحن لا نجد بين ما أوردناه من أحاديث الأمر بالتحري شيئا من الاضطراب في السند أو المتن بحيث يقدح في صحتها ويوجب طرحها؛ وكل ما فيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل أو بوضع لفظ مكان مرادفه. وإذا كان جميع الناس - إلا من لا يعتد برأيه في هذا المقام - على أنه يجوز رواية الأحاديث بالمعنى ما دام ذلك لا يحل بما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم إفادته من المعنى فالاختلاف الذى أشرنا إليه لا يضر فى شيء ولا يصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الأحاديث.

وبعد، فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الاول لكلمة «القدر»، أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك، لكن لها - وراء ذلك - شرفا وفضلا بما خصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلى؟ وأنه من أجل ذلك قد اختارها الله تعالى لتكون ليلة افتتاح الوحى ونزول أول ما أنزل من القرآن. وأما عن المعنى الثانى، وهو «التقدير»، فقد اختار الشيخ الامام فيه أيضا خلاف ما جرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء:

قال - رحمه الله عليه: «سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبىه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه».

فهو يحمل التقدير على خصوص ما يكون بالقرآن من الارشاد والبيان وتحديد طريق

السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول إن هذا هو المراد مما ورد في سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم في تلك الليلة ، فالأمر الحكيم إنما هو أمر الرسالة والأوامر والأحكام لا شيء آخر سواها ، هذا هو ما يرضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لا يخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول إنه ليس بلازم في تسمية الليلة ليلة التقدير أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحدد جميع أحكام الشريعة بل يكفي أن يكون بدء ذلك كله في تلك الليلة - إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدى إليه مما يضيع معه معنى الاخبار في قوله تعالى : إنا أنزلناه في ليلة القدر ، أليس يكون معناه - حيثئذ : إنا أنزلنا القرآن - أى ابتدأنا إنزاله في الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ وإذا يكون حاصل المعنى - إنا ابتدأنا إنزال القرآن في الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شيء لا يقبله عاقل ولا يصح أن ينزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟ .

وكذلك الحال في آية الدخان : فيها يفرق كل أمر حكيم ، فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو ما يختص بالرسالة والوحى والأوامر والأحكام - كما يقول الأستاذ الامام - كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل في تلك الليلة الوحيدة التى لا تتكرر ولا تتجدد على مر الدهور والاعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة . وإذا كان معلوماً بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول ما نزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر حكيم من أمور الشريعة والدين فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تتعلق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟ .

نحن نوقن أن الأستاذ الامام - عليه سبحانه الرحمة - شعر ببعض الحرج في تأويل الآية على النحو الذى يوافق ما يرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير : أن ابتداء نزول القرآن كان فرقاً بين الحق والباطل وكل ما جاء منه كان كذلك ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع ما نزل فيها كما قال : إنا كنا مرسلين رحمة من ربك ، ؛ فصح أن ينسب إليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ما جاء فيها كان أمراً حكماً يفرق به

بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، مع أنه لا يكون بينة وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو ما نزل وبلغ اليهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والاحكام ، اهـ فهو يقول : إن ما نزل من القرآن فى الليلة الاولى التى جاء فيها الوحي أمر حكيم فرق به بين الحق والباطل وهو بداية لكل أمر حكيم جاء به القرآن بعد ذلك وفرق به بين الحق والباطل فكأن كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحي الاولى .

ونحن نقول إن هذا شيء فى غاية التكلف لا ينبغي أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمرا حكيمًا . وهذا حق لا مرية فيه

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضاً لا ينزع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القبيل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات » ؛ فانه إذا كان القرآن - كما يقول الأستاذ الإمام - يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه وكان كله هداية وفى كل جملة منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان ما دام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولا سيما أن هذه الآية لم تقل إن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان : « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

ثم إن فرقا كبيرا بين أن يقال : إن ما نزل فى تلك الليلة كان كله أمرا حكيمًا وأن يقال : إن كل أمر حكيم نزل فى تلك الليلة ، فلا يصح الخلط بين هاتين القضيتين ولا التخطئ من إحداهما إلى الاخرى بدون وسيلة صالحة .

ولهذا لا يستعنا إلا أن نسير فى معنى ليلة القدر والتقدير ، على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء .

فليلة القدر على هذا هي الليلة التي تقدر فيها الأجل والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغي أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الأشياء في ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شؤونها وأحوالها ؛ فإن ذلك أزل سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم ليضبطوها في صفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وحرر القول فيه قبله الإمام النووي الذي اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الاعلام :

قال النووي : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تسكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى : فيها يفرق كل أمر حكيم ، ورواه عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال التوبشقي : وإنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع في القدر الذي هو مواخي القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديدده في تلك السنة لتحصيل ما يلقي اليهم فيها مقداراً بمقدار ، اهـ

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الأشياء وتحديددها في الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه . وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم في الليلة التي تسمى ليلة القدر من ليالي كل سنة .

وخلاصة القول في هذا أنه إذا أخذت كلمة القدر ، بمعنى التقدير فلا يصح أن يقصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة وإنما هو تقدير كل شيء أراد الله لإعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم . فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وإنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع واقتضت الإرادة الإلهية نفاذه في السكون من شؤون الدين والدنيا ؛ يطلع الملائكة منه في ليلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها . وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذي خص الله به ليلة القدر .

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هي ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك في ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه في ألف شهر . ولكن أى ليلة هي من ليالى السنة ؟ وهل هي ليلة معينة في ذاتها لا تنتقل في أشهر السنة أو أنها تنتقل فيها أو في شهر رمضان خاصة في لياليه كلها أو في العشر الوسط منه أو في العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء في ذلك اختلافا كبيرا . والذي رجحه ابن رشد في مقدمات المدونة ، أنها تنتقل باختلاف الأعوام ، ولكن في شهر رمضان خاصة . قال : وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم ؛ وهو أصح الأقاويل ، وأولاهما بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص في تنقلها - في الأغلب من حالها - بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتمشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الشأن .

ويقول إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ، ومن العشر الأواخر في الأوتار منها .

ويقرر ابن حجر في فتح البارى أن أرجح أقوال العلماء في ليلة القدر أنها في وتر من العشر الأخير ، وأنها تنتقل في أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم في زاد المعاد ، في بيان هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في اعتكافه - أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل واعتكف مرة في العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يتلمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها في العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل . ١ هـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال في ليلة القدر أنها تنتقل في أوتار الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء في أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفققت له ؟ .

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شيء من العلامات وأنه لا يلزم فيها رؤية شيء أو سماعه . أما العلامة التى حدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى - أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهمى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ؛ كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائماً ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لا غير . قال ابن جرير وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

عبد الرحمن تاج
عضو جماعة كبار العلماء



التجديد فى الادب

التجديد فى الادب إنما يكون من طريقتين :

فأما واحدة : فإبداع الاديب الحى فى آثار تفكيره ، بما يخلق من الصور الجديدة فى اللغة والبيان .

وأما الاخرى : فإبداع الحى فى آثار الميت ، بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة وأساليب الفن الجديدة .

وفى الإبداع الاول إيجاد مالم يوجد ، وفى الثانى إتمام مالم يتم . فلا جرم كانت فيهما معاً . حقيقة التجديد بكل معانيها ، ولا تجديد إلا من ثمة ، فلا جديد إلا مع القديم .

مصطفى صادق الرافعى

كفانا تقليداً في الفقه

تتمة الحديث

ذكرنا في الكلمة السابقة أن كثيراً من مشاكلنا التي تتطلب حلولاً تتفق وشريعة الله وقرآنه وسنة رسوله لم تعرض في الأزمنة المتقدمة، فكيف نطالب بالإتيان بنص من الكتب السالفة فيها ! ولو أنها عرضت في تلك الأزمنة لكان من الراجح جداً أن نرى أولئك الفقهاء قد عالجوها بما يتفق والصالح العام في زمانهم .

وانتهينا من الحديث إلى أن الأمر جد خطير ، وأن مشكلة الاجتهاد والتقليد والوقوف عند نصوص الفقهاء بلغت الذروة من التعقيد ، وأتانا صرنا في مفترق الطرق ، وأن علينا أن نختار الطريق الذي يجب أن نسير فيه ؛ حتى لا ندع الأمر فوضى ، وحتى لا نضل الشبهة في ذبذبة وحيرة بين الجلود وبين الطفرة .

ونحب أن نذكر الآن أن الأحكام الشرعية ، كما نعرفها من القرآن وسنة الرسول ﷺ ومن أقوال الفقهاء أصحاب المذاهب معللة ، وإن كانت بعض هذه العلل احتاجت أو تحتاج إلى شيء من الجهد والتعمق للوقوف عليها .

كما يجب أن يكون معروفاً أن الشريعة لا تأمر بشيء أو تنهى عن شيء إلا لتحقيق مصلحة معتبرة عند الشارع ، فما جاء الإسلام إلا لتحقيق مصلحة الأفراد والجماعة ، ومن المسلم به في الفقه وأصوله أن الحكم يجب أن يدور مع علته وجوداً وعدماً ، ولم يصب الفقه الإسلامي بالمعم أو العجز عن متابعة الزمن إلا لأن الفقهاء المتأخرين - وكذلك الأعم الأغلب من فقهاء اليوم - وقفوا عند نصوص أسلافهم وتجاهلوا اعتبار المصلحة وتقديرها . إذا ، الدعوة اليوم إلى الاجتهاد ليست بدعاً من الأمر ، بل هي دعوة كان يجب أن نشدد لها منذ زمن طويل ، وهي دعوة طبيعية تتفق والحياة التي يحياها وما نجى به من مشاكل وحوادث لم تعرض لآسلافنا رضوان عليهم . وفي سائر البلاد الإسلامية من يجب أن يكون قد توفر له بفضل الله أدوات الاجتهاد ومؤهلاته ، وهؤلاء فرض يجب عليهم القيام به وإن ضاقت بهم صدور بعض المتعنتين الجامدين على التقليد !

ولا ينبغي أن يُظن أن الدعوة إلى الاجتهاد دعوة إلى نسخ شيء من الأحكام التي ثبتت بالكتاب أو السنة ، بعد أن أتم الله على المسلمين نعمته بإكمال دينه وشريعته . كذلك لا ينبغي أن يُظن أن في هذه الدعوة دعوة إلى التجهم لشيء من نصوص القرآن المحكمة أو السنة النبوية الشريفة الصحيحة ، فمآذ الله أن ذهب أو يذهب أى مسلم إلى شيء من هذا ما دام قلبه عامرا بالله ودينه وشريعته المطهرة .

ولكن الذى نلجج بالدعوة إليه ، وهو السبيل للاجتهاد الصحيح ، هو أن تقتدى بالصحابة والتابعين ومن سار سيرتهم من الفقهاء المجتهدين ، رضى الله عن الجميع وجزاهم خير الجزاء عن دينه وشريعته . وذلك بأن نسلك السبيل الذى سلكوها لمعرفة علل الأحكام الفقهية أولا ، ثم تبين المصلحة الحقيقية المعبرة التى تهدف إليها هذه الأحكام ثانيا ، وأخيراً أن ننظر للنصوص والآثار بهذا الضوء ثالثاً . وبهذا ، يتطور الفقه ويحيا حياة قوية صالحة ، وبهذا يستطيع أن يلبى حاجات الزمن فى ضوء القرآن والسنة دائماً .

ولنأخذ الآن فى شيء من التفصيل لبعض ما أجملاه ، ثم نأتى ببعض المثل التى نتبين منها كيف سلك الصحابة ومن إلبهم من التابعين والفقهاء المجتهدين ، كما نتبين منها بوضوح أن النظر بعين القداسة لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يمنع ولا ينبغي أن يمنع من الاجتهاد والفقه ، ما دمنا نسير دائماً فى فلك هذين المصدرين العظيمين المقدسين للشرعية الإسلامية .

قلنا إن الحكم الشرعى يدور مع علته ومع المصلحة وجوداً وعدماً ، وهذا ما يجب أن نفهمه تماماً ونراعيه حين التطبيق ، فى ذلك باب من أبواب الاجتهاد ، ونكتفى هنا ببعض المثل التى لها دلالتها :

١ — روى أبو داود فى سننه ^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنعوا إمام الله مساجد الله ، ولاكن ليخرجن وهن تفلات » ، أى غير منطقيات . وأنه قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، ويوتهن خير لهن » . ثم مضى زمن الرسول ﷺ وتغير الحال ، وصار خروج النساء للمساجد الذى أباحه الرسول ﷺ مظنة فساد اجتماعى فرأى ، البعض عدم الوقوف عند هذا النص رعاية للمصلحة التى تقتضى المنع ، دون أن يكون فى ذلك أى مخالفة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ومقصده .

وهنا نرى سيدتنا عائشة رضى الله عنها تقول ، رواه أبو داود أيضا (ص ٢٢٢) :
 « لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد ، كما منعه نساء بني إسرائيل » .
 ثم نرى عبد الله بن عمر يقول : قال النبي ﷺ « ائذنوا للنساء إلى المساجد بالليل » ،
 فقال ابن له : « والله لا نأذن لمن فيتحذه دغلا ، والله لا نأذن لمن » ، فسبه وغضب وقال :
 « أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذنوا لمن » ، وتقول : لا نأذن لمن !

٢ — ومثال آخر نأخذه من موقف عمر مع أبي بكر رضى الله عنهما في مسألة نصيب المؤلف قلوبهم من الصدقات ، وهو مثال معروف ، فقد كان الرسول ﷺ يعطى هؤلاء الناس نصيبهم من الزكاة الذى شرعه الله لهم في سورة التوبة من القرآن ، وذلك تأليفا لهم على الإسلام واثقا لما قد يكون منهم من عدوان . وكذلك كان يفعل الصديق أبو بكر من بعده ، حتى إنه أقطع عينة بن حصن والأفرع بن جابس قطعة من الأرض وكتب بذلك كتابا .

ولكن عمر بن الخطاب الملمم الذى وافقه القرآن في مواطن غير قليلة ، أخذ الكتاب فقتل فيه وعاه وقال : إن رسول الله كان يتألفكم والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد أغنى الإسلام ، إذ هبا فاجهدا جهدكما لا يرعى الله عليكما ! فما كان من الخليفة الأول إلا أن رضى ولم ينكر هو ولا غيره على الفاروق رأيه وما ذهب إليه ^(١) . ومعنى هذا أن الحكم الأول كان لعله استوجبه ومصلحة قصد إليها ، فلما ذهبت العلة وصارت المصلحة في ترك الإعطاء تغير الحكم ، وكان في المنع تقوية لثقة المسلمين بأنفسهم وعدم حاجتهم لتألف هؤلاء الناس وأمثالهم .

٣ — ومثال ثالث يتصل بالتسعير ، نعتى بالنهى عنه من الرسول ثم لإباحة بعض الفقهاء المجتهدين له ، فقد روى أبو داود في سننه ^(٢) أن الناس قالوا يا رسول الله غلا السعر فسمع لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلة في دم أو مال » . وإذا لم يرض الرسول بالتسعير حتى لا يكون هذا سببا في أن يسكره الناس على بيع أموالهم بما لا يرضون من الأثمان .

(١) انظر في هذا أحكام القرآن للجصاص ، طبع مصر عام ١٣٤٧ هـ ، ص ٣٠ : ١٥٣

(٢) ص ٣٠ : ٣٧٠

لكن بعض الفقهاء من التابعين أولاً ، ثم من جاء بعدهم ثانياً ، رأوا جواز التسعير رعاية للمصلحة ودفعاً للضرر عن المستهلكين مستوحين في هذا أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، ومن هؤلاء التابعين سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد . وهذا الرأي منهم فيه ، كما يقول أبو الوليد الباجي (١) المتوفى عام ٤٧٤ هـ ، انظر لمصالح الناس ومنع للإفساد عليهم ، وليس فيه جبر على الباعة حتى يكون منافيا للملك ، ولكنه منع من البيع بغير هذا السعر على حسب ما رآه الإمام من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحاً ولا يسوغ له ما يضر بالناس . ولعلنا جميعاً ، معشر المشتغلين بالفقه ، نوافق تمام الموافقة على هذا الرأي وتعليله ، ونراه محققاً للمصلحة العامة هذه الأيام .

٤ — ونذكر أخيراً هذا المثال مكتفين به وبما سبقه ، لأن المثل لما نريد كثيرة وهي على جمل الذراع لمن يريد من الباحثين ، وهو خاص بحل الزوج من النساء الكتائيات كما جاء بالقرآن ، ولكن من الثابت أن حذيفة تزوج يهودية أيام عمر بن الخطاب فأمره بتخليه سبيلها لأن الزوج بها حرام شرعاً ، بل دفعاً لفساد يخشى منه ، ودفع الفساد من المصالح التي تقصد بالطلب والتحقيق بلا ريب . وفي بيان هذا الفساد يذكر عمر في كتابه لحذيفة : « إني أخاف أن يقتدى بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة ، وكفى بذلك فتنة لفساد المسلمين » (٢) .

وهنا ، نذكر أن في عدم منع مثل هذا الزواج ضرراً أكبر من ذلك متى وقع في ظروف خاصة ولأناس مخصوصين - نريد أن نقول إن زواج الشباب المثقف في البلاد التي ابتليت باستعمار فرنسا من فرنسيات ، يضر بقضية الوطن ضرراً كبيراً إذ يجد هؤلاء الشباب من زوجاتهم الفرنسيات تعويماً كبيراً لهم عما يجب عليهم من جهاد المستعمرين . وكذلك الحال في البلاد التي يكون فيها المسلمون أقلية بين غير المسلمين ، وفي هذا أتذكر أنني استحسنمت منذ سنين ، ما عرفته من أحد تلاميذنا بكلية أصول الدين بالأزهر ، وهو أن مفتي بولونيا أفتى بتحريم زواج المسلمين هناك من غير المسلمات ، خشية أن يضع المسلمون بين الكثرة السكّانة هناك من غير المسلمين .

(١) في شرحه لموطأ مالك ج ١٨٠٠ .

(٢) راجع أحكام القرآن للجصاص ج ٢ : ٣٩٧ ؛ كتاب الآثار للإمام محمد بن الحسن الشيباني

وبعد ! إن هذه الأمثلة وسواها كثير ، من نحوها أفق في الفقهاء بجوازها ، استحساناً ، من المعاملات ، تربينا أن الحكم الشرعي يتبع العلة والمصلحة دائماً ، وأن من الواجب علينا في هذا الزمن أن نعتي أهم عناية بالاجتهاد من هذا الباب إلى الأقل ، حينئذ يكتسب الفقه الإسلامي حياة وقوة فقدما منذ باب الاجتهاد ، وحينئذ يستطيع هذا الفقه أن يعيش مع الزمن ويلبي حاجات كل عصر .

على أننا نرى واجباً أن نتقدم أخيراً بهاتين الملاحظتين :

الاولى : أنه ليس في شيء من ذلك كله نسخ لحكم مثبت بنص من الكتاب أو السنة ، وإنما هو فهم لهذه النصوص وتفهم لعلل الأحكام التي جاءت بها والمصالح التي كانت تهدف لتحقيقها ، فالنص الذي جاء به الحكم يبقى قائماً للآزب ويجب العمل به متى كان محققاً للمصلحة التي قصدتها الشارع . فنهى الرسول ﷺ عن التسعير مثلاً ، كان لعدم وجود ما يقتضى التسعير في زمنه اقتضاء لازماً كما نحس هذه الأيام ، ولو كانت الحاجة الملحة تدعو للتسعير في زمنه لقال به حتماً .

الثانية : لا يمكن أن نقول بأن الأحكام الشرعية كلها قابلة للتغير تبعاً للمصلحة ، فهناك منها العدد الأكبر الذي لا يتغير بحال ؛ مثل حرمة الربا ، وشرب الخمر ، والزنا ، إلى غيرها من الأحكام التي لا تتغير بحال إلى آخر الدهر . وإنما الكلام هو في طائفة من الأحكام الفقهية التي نرى الفقهاء يذهبون إليها في أزمان خاصة لمناسبتها حينذاك ، ثم لا تكون محققة للمصلحة التي يصح اعتبارها شرعاً في أزمان أخرى ، وذلك ككثير من المعاملات التي أجازها الفقهاء استحساناً في عصور مختلفة ، ومن قال إن كل الأحكام الفقهية هي شرائع أبدية فقد أعظم على الله الفرية (١) !

هذا ، ونسأل الله التوفيق والسداد ، ونستغفره مما قد يكون الصواب جانبتنا فيه .

دكتور

محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق - جامعة فؤاد

(١) ومن المعب أن جبهة أئمة للفقه أصحاب المذاهب يجمعون ما يسمى « بالمصالح المرسلة » أصلاً من أصول الفقه وأدلتها ، ثم لا نحاول نحن هذه الأيام الانتفاع بهذا الأصل وتطبيقه مع الحاجة لذلك حاجة ماسة واضحة !

السنة

من صفات القائد

حاضر العالم الإسلامى - نهضاته - قادته - القيادة المثلى -
القائد الأعلى - صفاته - الدعوة إلى التخلق بأخلاقه -
الجود والشجاعة - مصدرهما - أثرهما في بناء المسجد .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ؛ ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ! فانطلق الناس قبل الصوت ! فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لآبى طلحة عُرِمى ، في عنقه السيف وهو يقول : لم تُراعوا لم تُراعوا . قال : وجدناه بحرا ، أو إنه لبحر . قال : وكان فرسا يسطأ . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

في حاضر العالم الإسلامى نهضات إصلاحية متعددة النواحي : فمنها التشريعى ، ومنها التهذيبى ، ومنها الاقتصادى ، ومنها التوجيهى ، إلى غير أولئك مما يكمل بعضه بعضا ، ويشد بعضه أزر بعض ، ويتعاون في جملته وتفصيله على البعث والتحرير ، والإنشاء والتعمير ، أو حينما نحاول إحسان الظن - على إمادة مجد الإسلام وإحياء فضائله الأولى - والأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى .

لا جرم أن لكل نهضة من هذه النهضات قائدا مسئولا عنها ، وعن مدى إخلاصه وإصلاحه فيها ، ثم عن مدى توجهه وتوجيهه إلى الخير حتى ينجزه في أقرب زمن مستطاع ، من أقرب طريق مشروع ، فكم من مشروعات نافعة أماتها البطء فيها ، أو الحقد الدفين على مبتكرها ، أو كثرة الخلاف والتعقيد في طرائق إنقاذها !!

وعلى قدر المهمة الملقة على عاتق القائد مسؤوليته ، وعلى حسبها يكون حسابه أمام الله والتاريخ .

ولما كان من الحقائق التي شاع العلم بها في العالم الإسلامي بالقرنين الأخيرين أن المسلمين إلى خير ولكن الضعف في القيادة ، كما جاء في الجزء السابق من هذه المجلة ، على لسان رئيس تحريرها الجليل - أحببنا أن نذكر قادتنا بشيء من صفات قائدهم الأعلى ، غير مدافع ولا منازع ، صلوات الله وسلامه عليه ، عسى أن يتخذوا منها زبراسا يضيء لهم طريق القيادة المثلى ، ويهديهم في كل نهضة إصلاحية للتي هي أقوم .

* * *

وفي مقدمة هذه الصفات التي نذكر بها قادتنا ، الجود ، والشجاعة . وقد بلغ فيهما وفي غيرهما صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى ، والغاية القصوى ، مما لا مطمع لأحد - كائنا من كان - أن يدانيه فيها ، بله أن يساويه .

فاذا كان صلوات الله عليه - بركة ربه - أحسن الناس ، في كل صفة من صفات الخير ، وكل فضيلة من مكارم الاخلاق ، فذلك لأنه تعالى شأنه أدبه فأحسن تأديبه وهذبه فأكمل تهذيبه ، وآتاه ما لم يؤت أحدا من خلقه ، وآتى عليه بما هو أهله ما لم يثن على أحد قبله ...

ولإذا كان صلوات الله وسلامه عليه أجود الناس ، فلذلك لأنه أوثق الناس بربه ، ولا ريب أن كرم العبد وإنفاقه على قدر ظنه بسيد ، وحسبك أنه ما سئل عن شيء قط فقال لا ، إن كان عنده أعطاه وإلا سكت ، أو قال لسائله : ما عندي شيء ولكن ابتع علي ، فاذا جاءنا شيء قضيناه . وقد قال له عمر ذات مرة : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فرويت الكراهية في وجهه صلوات الله وسلامه عليه حتى إذا قال له رجل من الانصار : أنفق يا رسول الله ولا تخش من ذي العرش إقلالا ، تبسم وعرف البشر في وجهه ، وقال : بهذا أمرت .

وإذا كان ﷺ أشجع الناس كافة ، فلأنه أجود الناس كافة ، وذلك لأن الجود والشجاعة صفتان متحالفتان لا تكادان تفترقان ، وينبوعهما هو الثقة بالله تعالى والإيمان به .

وما من شجاع إلا وقد أحصيت عليه هفوة أوعدت عليه كبوة ، إلا سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم ، فقد فرت الفرسان من حوله غير مرة وهو مقبل لا يبرح ، وثابت لا يدبر ولا يتزحزح . ومن آيات شجاعته ما رواه أنس رضي الله عنه في هذا الحديث من أن أهل المدينة اضطربوا وفزعوا ذات ليلة وظنوا أن عدوا أغار عليهم ، فأسرع أناس من شجعانهم نحو الصباح الذي سمعوا ، فما راعهم إلا أن يجدوا رسول الله ﷺ عائداً بعد أن استبرأ الخبر ، واستكشف الأمر واطمأن على المدينة وأهلها ثم طمأنهم وأزال غفائهم . ومن عجيب فروسيته وشجاعته أن يركب فرساً لا يي طلحة معروفاً بالبطء والعجز وسوء السير ، يتمطيه عاربا من السرج فيثبت عليه وهو متقلد سيفه في عنقه ، ثم ينقلب الفرس سريعاً ببركته ﷺ كأنه بحر .

وأبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصاري الخزرجي ، زوج أم سليم والدة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وراوى هذا الحديث . كان من فضلاء الصحابة وشجعانهم وذوى الجود والكرم منهم ، وكان رامياً مشهوراً ، يجشو بين يدي رسول الله ﷺ في ميدان الحرب ويقول :

نفسى لنفسك الغداء ووجهى لوجهك الوقاء

ثم ينثر كنانته بين يديه . وكان يتناول بصدوه ليقى به رسول الله ﷺ ويقول : نحرى دون نحر ك .

ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ تخلفوا بخلفه وبلغوا من الشجاعة والكرم والفضل ، بمقدار حبهم له وإيمانهم به وذلك ميزان سليم مستقيم ، توزن به فضائل من بعدهم إلى يوم القيامة .

وبعد ، فلنأخذ بسبيل تفصيل جوده وشجاعته ﷺ ، وعظيم أثرهما في صادق الإيمان به من أمته ، فقد تكفلت بذلك المؤلفات الكثيرة في سيره وشمائله وإن لم يبلغ الغاية في شرح

مكارمه وفضائله . . . ولكننا بسبيل الدعوة إلى التخلق بأخلاقه عامة ، وبهاتين الفضيلتين منها خاصة ، إن كنا جادين في نهضاتنا ، صادقين في عزماتنا ، واثقين بعون الله لنا على احتمال التبعات الجسام الملقاة على عواتقنا .

وأجدر الناس بقبول هذه الدعوة والاستجابة لها هم قادتنا وأولو الأمر منا ، إن كانوا يؤمنون بأنه صلوات الله وسلامه عليه هو قائدهم الأعلى ، وأنهم لن يحققوا لأمنهم ما يرجون لها من العزة والسيادة ، إلا إذا كانوا تحت رايته ، مستظلين في ظل هدايته .

* * *

وإذا ذكرنا الشجاعة فلا نغنى بها مجرد الشجاعة الحربية التي تفسر بأنها ثبات القدم عند مواقع القتال ، ومكافحة الأبطال ، وإنما نغنى بها الشجاعة في أوسع معانيها وأبعد مراميها ، ولاسيما الشجاعة الأدبية التي تهدف إلى مناصرة الحق ، وإظهاره في إخلاص وصدق ، دون مبالاة بذي جاه أو سلطان . وإن توفى هذه الشجاعة أكلها ، إلا إذا تقبلناها من أهلها ، وشجعناهم على المضى فيها ما كانوا إلى الخير داعين ، وإلى الحق قاصدين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . .

وإذا ذكرنا السكرم فلا نغنى به ما ينفق من أموال طائلة في مظاهر الفخر والابهة ، فإن ذلك إسراف وتبذير ، عظيم الضرر وخيم العاقبة ! وإنما نغنى به الأريحية للإنفاق في سبيل الله وتحرير الوطن وإحياء موات الأمة ، وإزاحة ما ضرب عليها من الذلة والمسكنة . إن هذه المثل العليا التي ندعوا إليها القادة والمشرفين على نهضاتنا الحاضرة ، وفي مقدمتها الشجاعة والسكرم والتضحية والبذل ليست من أمهات الفضائل وحسب . ولا من صفات القائده المثالي وكفى ، ولكننا إلى ذلك كله من الداعائم الأساسية الأولى ، لتحرير الشعب ، وإنقاذ الوطن ، وبناء المجد .

طه محمد الساكت

الاستعمار يقرب من نهايته

حديث لفضيلة الاستاذ الاكبر

خاض الغرب معركة استعماره للشرق في القرنين الماضيين مستعيناً بما كان يسود ظروف تلك المعركة من متناقضات . فالغرب كان قد أخذ يستدير بمعارفه المادية ويقوى بآلاته الصناعية وأنظمته المبتكرة ، وأسلحته الجديدة غير أن لجج الظلام كانت قد بدأت تغمره بنزعات الإلحاد والتحاسد والجشع والبغى والفراغ السياسى من الدافع الاعلى ، كما يقول المؤرخ ولز ، بينما الشرق كان قد أخذ ينحط بضعف حكوماته وتحلفها وتقاطعها ، وإن كانت شعوبه لم تنزل يومئذ بمنازاة ببقية كريمة من الاخلاق النبيلة كالقناعة والتراحم والأمانة والثقة حتى لقد شهد المسيو جومار أحد مهندسى الحملة الفرنسية على مصر بأنه رأى بعينه الغلال وبضائع التجار تكس على ساحل النيل فى فرصة بولاق التى كان فيها جمرق القاهرة ، فلم يسكن يمسها أحد بسوء ليلا ولا نهارا مع أنها متروكة فى العراء بلا حراسة ولا خفراء .

فلاستعمار كان فى القرنين الماضيين بغيا من القوة المادية على شعوب ذات فضائل وأخلاق منتهزا فرصة الضعف الذى دب إلى حكومات تلك الشعوب الطيبة الأعراق الآمنة فى أوطانها السعيدة بقناعتها وأمانتها وتراحمها .

وكان الغرب يمن على الشرق فى استعماره بأنه حمل إليه الحضارة والنظام والمعارف ، وهو لم يحمل إليه من الحضارة إلا قشورها ، ومن النظام إلا ما يجعل الشرق آلة فى يد الغرب ومن المعارف إلا ما يستعمر به القلوب والعقول بعد استعمار الارض وخيراتها ، وبذلك كان الغنم فى كل هذه الامور للمستعمر ، وغرما على الشعوب التى رزئت باستعماره بلادها واستغلاله كنوزها وخيراتها .

هذه هى قصة استعمار الغرب للشرق فى سيرة هولندا مع الاندونيسيين ، وفى سيرة انجلترا مع الهنود وسكان ملايو والمصريين والسودانيين ، وفى سيرة فرنسا مع الجزائريين والتونسيين والمراكشيين .

إن استيلاء فرنسا على الجزائر مثال من أمثلة التاريخ على الظروف المتناقضة التي نشأ عنها الاستعمار . فالشعب الجزائري كان يومئذ من أقوى شعوب الأرض بأخلاقه وحيويته بينما حكومة الجزائر التي كانت تتولى أموره كانت من أفسد الحكومات في الأرض وأضعفها وأحقها ، والمستعمر كان يستعد قبل ذلك طويلا للبغى على الجزائر ويتخذ لذلك مختلف الذرائع التي تنافي الدافع الأعلى .

فلما وقعت الواقعة خارت قوى القائمين بالحكم على الجزائر ، وتخلفت الحكومة العثمانية التي كانوا تابعين لها من أن تؤدي واجبها في هذا الموقف ، وهنا تجلت حيوية الشعب الجزائري وأخلاقه فنظم صفوف جهاده بقيادة الأمير عبد القادر وظل يجاهد ببطولة منقطعة النظير مدة ثمانية عشر عاما ، ومن ذلك الحين إلى الآن والحوادث تبرهن على ضعف المستعمر الأدبي وفراغه السياسي من الدافع الأعلى . وعلى قوة الشعب الجزائري الأدبية وحيويته في مقاومة مالا يستطيع مقاومته إلا أعظم الأمم بطولة من صنوف البغى الاستعماري الذي لا يمنح إليه إلا أضعف الدول في أخلاقها ومبادئها الأدبية ، وقس على حيوية الجزائر حيوية جارتها في الشرق والغرب ، تونس والمغرب الأقصى ، ولو أن مؤرخا من الحكماء أمثال فولتير وجييون وولز أواد أن يقارن بين قوة فرنسا وضعفها في بداية استعمارها لشمال أفريقيا ونهايته وبين قوة المغاربة وضعفهم بين تلك البداية والنهاية لحكم مطمئناً بأن فرنسا اليوم تعاني في شمال أفريقيا أعراض الاضمحلال بالنسبة إلى ما كانت عليه في سنة ١٨٣٠ . بينما ضحايا بغيا من المغاربة لم يزدحم البغى إلا قوة وحيوية وقد استيقظوا من غفلتهم وتخلصوا من ضعف حكوماتهم وأصبحوا من نتائج الفوز والفلاح قاب قوسين أو أدنى .

وما يقال عن فرنسا في شمال أفريقيا يقال مثله عن الهند التي شاهدنا بأعيننا وشاهد التاريخ معنا عواقب الاستعمار البريطاني فيها واضطراره إلى الانسحاب من تلك الربوع وازدهار الحيوية في باكستان والهند حتى صارت منهما دولتان من كبريات الدول ، وشاهدنا كذلك عاقبة الاستعمار الهولندي في أندونيسيا بعد أن رسخت أقدامه فيها ٣٠ سنة فاضطر أخيراً إلى التسليم بالامر الواقع .

لقد شب عمرو عن الطوق ، بل لقد استيقظ العملاق من نومه فأخذ يبحث عن مكانه اللاتق بين الأمم ، وإن الحوادث المتكررة برهنت على أن اعتماد الاستعمار على قوته المسادية

لا نجد به نفعاً وأنه إنما أتى من ناحية ضعفه الأدبي لأنه قائم على البغى ، وآخر الشواهد على ذلك هذه المؤامرة الاستعمارية على إخراج نحو تسعمائة ألف فلسطيني من وطنهم الذى هم أصحابه منذ دهور ، وتشريدهم فى العراء لإحلال أجانب غرباء فى أرضهم وأملاكهم الشرعية ومثل هذه المؤامرة لا يمكن أن يرضى بالاشتراك فيها إلا الذين يعيشون فى فراغ سياسى من الدافع الأعلى كما يقول المؤرخ ويلز والاستعمار الذى يعيش فى هذا الفراغ المخزى لا شك أنه اليوم أضعف مما كان فى بداية بغيه قبل مائة سنة ، أما فريسة الاستعمار التى وقعت فيما مضى بين يديه بسبب ضعف حكوماتها المنهائلة وأخذت تنقه من الضعف الذى جرتها إليها تلك الحكومات ، وقد نهض فيها رجال يحسنون التعاون مع شعوبهم ، ولا شك أن يقف الجميع معاً أمام الاستعمار الضعيف موقف المؤمن بحقه الحازم فى دفاعه عنه المصمم على التخلص من هذا العدو الذى أنهكه جشعه .

وإنى أقدم لامتى النصيحة مختصاً بأن أقوى أسلحتها لمقاومة الاستعمار إنما هو الأخلاق والدين هو الذى يهذى إلى مكارم الأخلاق وإذا كان على ولاية الأمور أن يفكر فى توفير أسباب القوة المادية وتنظيم استعماها ، فإن على كل فرد من أفراد الأمة أن يتساج بالأخلاق وأن يتعامل بها مع أفراد أمتة وأن يعلم أن أعظم رسالات الله وأكملها إنما جاءت للتعامل بمكارم الأخلاق .



الحق يؤخذ ولا يعطى

كتب برناردشو إلى مستر بلات يقول : « أخشى أننا سنلاقى أوقاتاً عصيبة فى الهند . ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضاً أن يعملوا على تحقيق حرياتهم ، فاليس فى وسعنا أن نطلق سراحهم ما لم تجاهبنا الهزيمة ويتداعى صرح الامبراطورية فى جهات أخرى . » وقد تحققت فراسة برناردشو ، وتداعى الصرح ، وخرج الاستعمار من الهند وسيخرج من كل مكان .

الأردن والبلقاء في تاريخ الإسلام

كنت في زيارة أحد كبار شيوخ العلم بمصر، فوجدت عنده جماعة من زعماء العرب، ومن بينهم عربي ذو مركز سياسي ممتاز، وقد أخذ الحضور يتحدثون عن أحوال بلاد المسلمين والعرب وقضاياهم مع الاستعمار ووجوب تعاونهم على تحرير أوطانهم وديارهم من سيطرة الأجانب واستعمارهم، وجرى الحديث عن شرق الأردن، وإذا بالسياسي العربي يقول: بأن اسم الأردن، أو شرق الأردن، لم يكن معروفا عند العرب من قبل، وإنما ابتكره مهندس أمريكي واستحسنه السلطة الإنجليزية، ومن ثم صار إطلاقه على تلك الإمارة أو المملكة التي عرفت باسم: شرق الأردن.

فقلت له: إن اسم إمارة الأردن مسجل في تاريخ الإسلام ومعروف لدى العلماء من قبل ألف سنة، وليس هو اختراع أمريكي ولا ابتكاراً إنجليزياً. فعجب من ذلك وقال: صدقوني إذا قلت لكم إنني لم أسمع بهذا قبل الآن.

من أجل ذلك وبياناً للحقيقة والواقع وخدمة لتاريخ الإسلام وتاريخ فتوحاته في بلاد الشام التي منها الأردن والبلقاء كتبت هذه المقالة:

إن البلاد التي يطلق عليها في هذا الزمان اسم شرق الأردن، هي أراضى ومدن وقرى تجمعها كورة البلقاء من بلاد الشام، شرق بيت المقدس وعاصمتها عمان، ومن أشهر مدنها الكرك والصلت وإربد ومعان وجرش والطفيلة والشوبك وغيرها، وكلها واقعة على الجانب الشرقي لنهر الأردن كما تقع فلسطين على جانبه الغربي.

ولقد ورد اسم الأردن والبلقاء في الحديث النبوي الشريف وفي كتب التاريخ والسير وفتوح البلدان ومعاجمها، وفي تلك الجهات كانت (واقعة مؤتة) التي استشهد فيها الأمراء جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، رضى الله عنهم، وقبورهم موجودة إلى هذا الزمان في قرية تسمى (المزار) قرب الكرك، وإلى تلك الجهات كان بعث جيش أسامة بن زيد رضى الله عنه في خلافة أبي بكر رضى الله عنه بعد انتقال النبي ﷺ

إلى الرفيق الأعلى ، وتدل النصوص الواردة في تاريخ الإسلام على أن كورة الأردن وجند الأردن كانت تطلق منذ فتحها المسلمون على منطقة من الأراضى والمدن والقرى واقعة في جهات الغور الشامى وما حوّلها أكثرها على الجانب الغربى لنهر الأردن وبعضها على جانبه الشرقى ، وأيام الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين حدثت في أراضى الأردن الشرقية عدة معارك بين جيوش المسلمين والصليبيين الذين اتخذوا من إمارتهم الصليبية في السكرك وما حوّلها قاعدة لمهاجمة الحجاز وشواطئ البحر الأحمر وأراضى سيناء والعقبة ، حتى هزمهم جيش مصر وأسطولها بقيادة حسام الدين لؤلؤ ، فأباد جندهم وغرق أسطولهم .

الأردن والبلقاء في الحديث الشريف .

روى الترمذى والحاكم عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، الحديث وأخرجه السيوطى في الجامع الصغير ورمز له بعلامة الصحيح : وأخرج القاضى بجير الدين المقدسى الحنبلى في (الانس الجليل) ج ١ ص ٢٠٧ ، عن ربيعة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقتكم جنود الدجال ببطان الأردن ، بينكم الهر ، أتم غريبه وهم شرقيه ، قال ربيعة فقال المحدث من أصحاب رسول الله ﷺ : فاسمعت بنهر الأردن إلّا من رسول الله ﷺ ، .

غزوة مؤتة في البلقاء سنة ٨

قال أبو الفتح بن سيد الناس (عيون الاثر في المغازى والسير) ج ٢ ص ١٥٣ : غزوة مؤتة وهى بأذن البلقاء من أرض الشام في جمادى الاولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأرثقه ثم قدمه فضرب عنقه صبراً ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه ، فبعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد جعفر بن أبى طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فبعد الله بن رواحة على الناس ، فتجزئ الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف ، ثم مضوا حتى نزلوا معان من أراضى الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مأب في أراضى البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لحم واقين وبهراء وآبى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن رافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان

لثنتين ينظرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإما يمدنا بالرجال وإما يأمرنا بأمره فمنضى له ، فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : والله يا قوم إن الذي تكبرهون للتي خرجتم لها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور نصر ، وإما شهادة .

فرضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب المنتصرة ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها « مؤنة » فتعبا المسلمون ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة راية رسول الله ﷺ حتى استشهد ، فأخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رحمه الله وسنه ثلاث وثلاثون سنة ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى قتل ، فاصطلم الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

بعث أسامة بن زيد على رأس جيش إلى البلقاء وفلسطين :

في المحرم من سنة ١١ هـ جهز رسول الله ﷺ جيشا إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد ابن حارثة . وأمره أن يوطئ الحبل تخوم البلقاء ، في شرقي الأردن ، والداروم من أرض فلسطين ، وفي رواية أخرى للطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يوطئ من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن ، وكان في هذا الجيش المهاجرون الأولون ومنهم عمر بن الخطاب فقد كان جنديا في جيش أسامة وبينما الجيش في الخندق متأهبا للرحيل إلى البلقاء والداروم اشتد المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أن قبضه الله تعالى إلى الرفيق الأعلى إلى ما أراد به عز وجل من رحمة وكرامة ثم اختار المسلمون أبا بكر رضي الله عنه خليفة لرسول الله ، وبحث كبار الصحابة ما ينبغي في شأن بعث أسامة فاقترحوا على عمر أن يرجع أبا بكر ليأمر بعودة جيش أسامة ، وإذا أصر على بعثه أن يختار بدله قائدا من كبار الصحابة فإن أسامة لم يكن يتجاوز عمره حينئذ العشرين سنة ، فذهب عمر إلى أبي بكر وحده في ذلك فاشتد غضبه وقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لانفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته .

ولما قال له عمر : إن الأنصار أمروني أن أبلغك أن تولى رجلا أقدم سنا من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالسا فأخذ بلحية عمر ثم قال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه ! ، ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فاشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لآنزلن ، فقال : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة حتى انتهى ، ثم قال لاسامة ، إن رأيت أن تعيفني بعمر فافعل . فأذن له . ثم وصاهم أبو بكر وصيته التي تعتبر دستوراً مثالياً لما تضمنه الإسلام من رحمة وإنسانية وعدل في معاملة الأعداء . قال أبو بكر : يا أيها الناس قفوا أو صيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمنلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكل ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقوهم بالسيف خففاً اندفعوا باسم الله ، .

ثم قال لاسامة : اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ، ابدأ ببلاد قضاة ثم أنت آبل .

• بالاردن ، فضى أسامة إلى ما أمره رسول الله ﷺ ، وبث الخيول في قبائل قضاة والغارة على آبل فسلم وغنم ، وكانت فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومطلبه راجعاً . (الطبري ج ٣ ص ١٣٠٢١٢) .

الاردن والبلقاء في معاجم البلدان

قال ياقوت في (معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٧) : • البلقاء من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وبجودة حنطتها يضرب المثل .

وقال النووي في (تهذيب الاسماء واللغات) ج ٢ ص ١٨ قسم اللغات :
• الاردن السكورة المعروفة من أرض الشام بقرب بيت المقدس ، وهي بضم الهمزة وإسكان الراء وضم الدال وتشديد النون . قال أهل العلم : إنما سمي بذلك من قولهم للنحاس الثقيل أردن ، .

نهر الأردن :

وقال ياقوت في (معجم البلدان) : « الأردن بالضم ثم السكون وضم الدال المهملة وتشديد النون . يقول اللغويون أن الأردن النعاس ، وهي أحد أجناد الشام الخمسة ، وهو كورة واسعة منها الغور وطربا وصور وعكا وما بين ذلك .

ثم قال : « والأردن يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقى ضياع الغور وأكثر مستغلهم السكر ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق ، وعليه قرى كثيرة منها بيسان ^(١) وقرارة وأريحا والعوجاء وغير ذلك ، وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقى ضياع الغور وضياع البثنية ^(٢) حتى يصب في البحيرة المنتنة « البحر الميت ، في طرف الغور الغربي » .

عدد كور الأردن كما ذكرها ياقوت في معجمه :

ثم قال ياقوت في معجمه . ج ١ ص ١٧٦ — ١٧٧ : « والأردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت راس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة عكا وغير ذلك .

وقال البلاذري في فتوح البلدان ص ١٢٣ وياقوت في معجمه في ص ١٨٧ . « وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها ، ففتح بيسان وسوسية وأفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها ، وبما ذكره ياقوت والبلاذري يتضح أن رقعة إمارة الأردن في زمن الفتح الإسلامي كانت تشتمل على بلاد بعضها واقع في أراضي سورية الآن مثل الجولان وبعضها في أراضي لبنان مثل صور وبعضها من أراضي فلسطين مثل عكا وبيسان وصفورية ، وفي روايتهما أن شرحبيل رضى الله عنه فتح مدينة جرش من الأردن ، وجرش واقعة في شرقي الأردن وهي مشهورة بأثارها القديمة .

(١) بيسان مدينة تاريخية في شمال فلسطين ، وإليها ينسب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيسانى كبير وزراء صلاح الدين الأيوبي وبالقرب من بيسان كانت معركة فخل بكسر القاء وسكون الهاء في سنة ١٢٣ هجرية التي انتصر فيها جيش المسلمين على جيش الروم فأصيب منهم نحو ثمانين ألفا لم يفلت منهم إلا الفريد .

(٢) قال ياقوت ج ٢ ص ٦ : البثنية هو اسم ناحية من نواحي دمشق وقيل قرية بين دمشق واذرعات

سواحل الأردن ومصانع المراكب الحربية في عكا وصور :

قال البلاذري في فتوح البلدان ص ١٢٣ ، نقل معاوية قوما من فرس بعلبك وحصن وإنطاكية إلى سواحل الأردن صور وعكا وغيرها سنة اثنين وأربعين ، : ثم قال البلاذري في ص ١٢٤ ولما كانت سنة تسع وأربعين خرجت الروم إلى السواحل وكانت الصناعة ، صناعة المراكب الحربية ، بمصر فقط فأمر معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه بجمع الصناع والتجارين وبهم في السواحل وكانت الصناعة في الأردن بعكا ، وقال الواقدي لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور فهي بصور إلى اليوم وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة ٢٤٧ بترتيب المراكب في عكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة وقال ياقوت ج ص ١٨٧ ولم تزل الصناعة في الأردن بعكا إلى أن نقلها هشام بن عبد الملك إلى صور وبقيت على ذلك إلى صدر مديد من أيام بني العباس حتى اختلف باختلاف المتغلبين على الثغور الشامية . وقال المتنبي يمدح بدر بن عمار وكان قد ولي على ثغور الأردن والساحل من قبل أبي بكر بن رائق :

تمنى بصور أم نهشها بكاً وقل الذي صور وأنت له لكاً

أمير الأردن وفلسطين في عهد الدولة الاموية .

وقال ياقوت في ج ١ ص ١٨٨ وقد نسبت العرب إلى الأردن حسان بن مالك السكبي لأنه كان واليا على الأردن وفلسطين ، وبه مهد لمروان بن الحكم أمره وهزم الزبيرية (أتباع عبد الله بن الزبير) وقتل الضحاك بن قيس الفهري في يوم مرج راهط وكانت ابنته ميسون بنت حسان أم يزيد بن معاوية وإياه عنى عدى بن الرقاع بقوله .

لولا الاله وأهل الأردن اقتسمت نار الجساعة يوم المرج نيرانها
وإياه عنى كثير بقوله :

إذا قيل خيل الله يوما ألا اركبي رضيت بكف الأردنني انسجالي
ونسب الى الأردن جماعة من العلماء وافدة ذكر ياقوت أسماء طائفة منهم .
وقد كان للأردن موقف عظيم في الحروب الصليبية منفرد له مقالا مستقلا .

محمد صبرى عابرسى

من علماء الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 مِنْ بَلَدِ شَاعِرِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدُ اللَّهِ
 بِتَعْلِيلِ أَسْتَاذِ بَرَاهِيْمَ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

شهداء بدر

استشهد من المسلمين في هذه الواقعة المباركة أربعة عشر مجاهداً ، ستة من المهاجرين ،
 وثمانية من الأنصار . فالأولون * : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، ومهجع مولى
 عمر بن الخطاب ، وعمر بن أبي وقاص ، وعادل بن بكير اللبثي ، وصفوان بن يحيى الفهري
 وذو الشمالين عمر ، وقل الحارث ، وقيل عمرو ، بن عبد عمرو بن فضالة الخزاعي . وأما
 الأنصار فهم : عوف بن عفراء ، وشقيقه معوز بن عفراء ، وحارثة بن سراقة ، ويزيد بن
 قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى ، وعمر بن الحمام بن الجموح ، وسعد بن حثيمة ، ومبشر بن
 عبد المنذر ، رضى الله عنهم أجمعين :

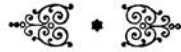
طف بالمصارع واستمع نجواها	والثم بأفياء ^(١) الخبايا تراها
ضاع الشذى القدسي في جنباتها	فانشق وصف للوثنين شذوها
حلل ^(٢) يروع جلالها ومنازل	من نور رب العالمين سناها
ضمت حماة الحق ، ما عرف امرؤ	غزاً لهم من دونه أوجاها
الطالعين به على أعدائه	موتاً ، إذا نشروا الجنود طواها
الخائضين من الخطوب غمارها	المصطلين من الحروب لظاها
الباذلين لدى الفداء نفوسهم	يغنون عند إلههم حياها
ما آثروا في الأرض إلا دينه	ديناً ، ولا عبدوا سواه إلهها

سلكوا السبيل مسدين تضيئه
 قوم هم اتخذوا الشهادة بغية
 هم في حى الايمان اول صخرة
 حملت جبال الحق في دنيا الهدى
 توتى الممالك والشعوب حياتها
 ذهبت ترفرف في مسابح عزها
 تجرى الرياح الهوج^(٣) طوع مضائها
 طاف الغمام ، مهلا بظلالها
 آى (المفضل^(١)) يبتغون هداها
 لا يبتغون لدى الجهاد سواها
 فسل الصخور ، أما عرفن قواها ؟
 بيضا شواحق ، ما تقاتل ذراها
 وتقيم من أجمادها وعيلاها
 ومضت يفوت مدى النور مداها
 وتخافها ، فتجيد عن مجراها
 فسقة من بركاتها وسقاها

(شهادة بدر) أنتم المثل الذى
 علمت الناس الكفاح ، فأقبلوا
 أما الفداء ، فقد قضيت حقه
 من رام تفسير الحياة لقومه
 لولا الدماء تراق لم نر أمة
 أدنى الرجال من الممالك من إذا
 وأجل من رفع الممالك مظهرها
 كم أمة لم توق عادية الردى
 تسمو الشعوب بكل حر ماجد
 ما أكرم الابطال يوم تفيأوا
 راحوا من الدم في قطارف^(٢) أشرفت حر الجراح بها ، فكأن حلاها
 لوأنهم نشروا رأيت كلومهم
 قدي ، كأنك في القتال تراها^(٤)
 ليسوا وإن وردوا المنية للآلى
 غمر البلى وراهم أشباها
 بلغ المدى بعد المدى فتاها
 ملء الحوادث ، يدفعون أذاها
 وجعلتموه شريعة نرضاها
 قدم الشهيد يبين عن معناها
 بلغت من المجد العريض مناها
 عرضت منايا الخالدين أباهها
 بارز المهج السماح بنسائها
 لولا الذى افتحم الردى فوقهاها
 وجبت عليه حقوقها فقضاها
 ظلل المنايا ، يبتغون جناها
 أشرفت قطارف^(٢) أشرفت حر الجراح بها ، فكأن حلاها
 لوأنهم نشروا رأيت كلومهم
 قدي ، كأنك في القتال تراها^(٤)
 ليسوا وإن وردوا المنية للآلى
 غمر البلى وراهم أشباها

(٢) القرآن الكريم . (٣) الشديدة التى لا تقوى فى محبوبها جمع موجاء (٣) جمع مطرف وهو الرداء المعلم (٤) جاء فى الاثر الشريف . أنا شهيد على هؤلاء الشهداء ، وما من جريح يجرى فى افقه إلا بثته الله توم القيامة يدمى جرحه . الاون لون الدم ، والريح ريح المسك وأصيب عبد الله بن عمر والله جابر رضى الله عنهما فى غزوة أحد يجرى فى رجله فأت ويده على جرحه . فأميته يده عن وجهه فانبت الدم ، ثم ردت إلى مكانها فسكن —

هم عند ربك يرزقون ^(١) لحيم
 الله باركها (بيدر) وقعة
 منعت (ذمار الحق) حين أتاها
 بخل الزمان ، فكنت من شعراتها
 كم دولة للشرك زلزل عرشها
 في دولة للمسلمين يشوقهم
 ياربج الأمم الضعاف : انتفض
 أمم هوائك ما لمست جراحها
 لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها
 إن الذي خاق السهام لمثلها
 وصف الحياة لأنفس تنواها
 كل الفتوح الغر من جدواها
 وحت (لواء الله) حين رعاها
 لو شاء ربى كنت من قتلاها ^(٢)
 بدماء (بدر) واستبيح حماها
 أيامها ، وتهزم ذكرها
 دنيا الشعوب ، وما انتفضت بلواها ؟
 إلا بكى ، وبكى من جراحها
 ماذا من القدر المتاح دماها ؟
 جمع المصائب كلها فرماها



الجهاد بالنفس والمال

قال رسول الله ﷺ - : لا يجتمع غبار في سبيل ودخان جهنم في منخرى رجل مسلم ، وإيمان في قلب رجل مسلم .

ومن الروايات المأثور في هذا الباب أنه حين أراد معاوية رضى الله عنه اتخاذ مجرى لباء في خلافته تقع مدافن شهداء أحد في طريقه أسمر الناس بقتل موتاهم ، فأصابته المسحاة (الجرفة) وتحوها تسكون من الحديد (قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث منها الدم .

(١) (ولا تحزن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

(٢) المجلة - وإذا بخل الزمان عليك وعلىنا بهذه الأمانة العليا أيها الشاغر الاسلامي ، فإن الله هو وجل أكرم الأكرمين ، وهو يثيب بالنيات ، وكما أكرمك بأن جعل شعرك من سلاح الاسلام ، فسيكرمك على نيفك بواسع فضله وكرمه .

المرأة في ظهير الإسلام

أعلنت الشريعة الإسلامية من قدر المرأة ما لم تعله شريعة ولا قانون وضعى ورفعت مكانها وأحلها المحل اللائق بها وساوئتها بالرجل إلا فيما تأباه طبيعتها وتقصّر عنه فطرتها ، فتعبدتها بالنكاليف وشرفها بالخطاب كما تعبد الرجل وشرفه ، ووعدتها المثوبة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى . « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم بأجرهم باحسن ما كانوا يعملون ، وقال ﷺ . « إنما النساء شقائق الرجال ، وتنبها إلى طلب العلم ولم يقصرها على لون منه دون لون فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وكثيراً ما جلست إليه متعلمة وكان يتعبدتها بالحكمة والموعظة الحسنة وطلبت إليه أن يجعل لها يوماً يعلمها فيه فأجابها إلى ذلك وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال النساء للنبي غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك . ووعدهم يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن وعن عائشة رضى الله عنها « نعم النساء نساء الانصار ، لم يمنعن الحياء أن يتفقهن في الدين ، وفرض لها الإسلام نصيباً في الميراث ، وأباح لها أن تملك ما شامت من المال وتستثمره بالطرق المشروعة ، وجعل لها أن تدافع عن الامة فترافق الجيش مداوية مواسية مطعمة ساقية . وعن أم عطية رضى الله عنها : « غزوت مع رسول الله سبع غزوات ، وكنت أخلفهم على الرجال في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى ، كما جعل لها أن تؤمن المستأمن وتجير الخائف . وقد أجازت أم هانئ رضى الله عنها أحد أحمائها فقال رسول الله : « أجرنا من أجزت . » . هذا إلى حقوق كثيرة منحها لهاها الإسلام ، ولما نزل محرومة من بعضها في هذا العصر وفي أرقى الامم ، بينما كانت تنكر عليها بعض الامم السابقة لإنسانيتها فضلاً عن حريتها وحقوقها . وكانت تضعها بعض الامم موضع الماشية فتورث من زوجها مع المتاع والبهائم .

وكان بعض العرب يستخزي لولادتها . وفي القرآن الكريم : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ، ومن أهم ما عنى به الاسلام من أمور المرأة سلامة عرضها وحسن سمعتها تكريماً لها وتقديراً لخطر ذلك في بناء الاسرة وكيان الامة وإذا

استقام شأن المرأة استقام شأن الأمة ، والمرأة منشئة الأجيال وصانعة الرجال ، وبتماسكها في خلقها وحزمها في تربية أبنائها تبتاسك الأمة ويستمكن بنيانها ، وهي الرائد إما إلى حياة كريمة وإما إلى حياة عليلة سقيمة . وما فسد العالم واضطربت أحواله وتعاورته المحن والنكبات الخلقية والاجتماعية إلا بقساد المرأة وإلقاء حبلها على غاربها واستجابة الرجل لرغباتها وآرائها فصار طوع بناتها تصرفه كما شاء له طيشها وعاطفتها ، وصار ذلك الوضع المقلوب بدعة العصر وآية تقدمه ، وسميت الأوضاع المنكوسة مدنية وتقاليد ينبغي مراعاتها ، وصار من أمارات ذوق الرجل إذا التقى بامرأة في محفل أو ناد أن يركع لها ويقبل يدها ، وإذا دخلا منزلا أو ركبا سيارة أو قطارا كان من آداب السلوك أن تتقدمه وعليه أن يبدأ بأشغال سيجارتها ، ورأيها الأعلى في اختيار ما تأكل الأسرة أو تلبس ، إلى أمثال هذه السخافات التي وفدت إلينا كما نفد الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة .

إن الشعوب التي تشكو الانحلال الخلقى ترى أن من أهم الأسباب في ذلك فساد المرأة وخروجها عن الجادة في سلوكها ، وقد حرمت كنيسة روما دخول المرأة الكنيسة في ثياب فاضحة لا تلائم جلال المسكن ووقار العبادة .

وقد سلك الإسلام في سبيل صيانة المرأة وحسن سمعتها طريقا يساوق الفطرة ، ويشهد بصحته الواقع والتجربة ، فحرم أن تلبس المرأة فرصة الاجتماع والحلوة ، فإن الحلوة أساس الشر وجراثيم الإثم ، ولا شك أن بين طبيعتي الرجل والمرأة تعاطفا وانجذابا ، فإذا خلا كل منهما بالآخر أسفرت الحيوانية وتحركت البهيمية وتخاذلت الإرادة أمام سلطان الغريزة القاهر ، ونشط الشيطان في مهمة الإغراء والتزين ، وما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، وهناك تطل الفتنة وتمثل الجريمة .

وتلك قضية المنطق والواقع لا تقبل مناقشة ولا جدالا ، وإنها لسفسطة ومكابرة أن يزعم أنصار الاختلاط أن التعليم أو التهذيب يكفكف من سلطان الغريزة ويكبح جماحها ويجعل الاجتماع مأمون العاقبة ، لأن رغبة كل من الجنسين في الآخر طبيعية وفطرة ، وما بالطبع لا يتخلف كما يقول الفلاسفة ، ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إن التعليم وما إليه يضاعف من خطر الاختلاط ويجعل كلا منهما أقدر على التماس الحيل وابتكار الوسائل للوصول إلى الأغراض ، والواقع والتجربة يغنيان عن الاسهاب في الاستدلال . لذلك كان

أنجع الطرق في وقاية المرأة والاحتفاظ بسمعتها وسمعة المجتمع أن يحال بينهما، وهذا ما أمر به الإسلام ، فقد حرم أن يخلو غير المحرم بالمرأة ولو كان ذا قرابة قريبة .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يأكم والدخول على المغيبات ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الخمر ؟ قال « الخمر الموت ، وقال العلامة النووي : المراد من الخمر في الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت قال : ولأنما المراد الأخ وابن الأخ والعمة وابن العم وابن الأخت ونحوهم ممن يحل لها تزوجه لو لم تكن متزوجة ، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بأسرة أخيه فشبهه بالموت ، .

وبالغ الإسلام في الاحتياط فحرم أن يخلو الرجل بامرأة أجنبية في سفر أو حضر ولو كان سفر الطاعة يغلب على الظن فيها حسن النية وسلامة الطوية وبجافة الرب كالسفر إلى الحج ونحوه ، وأوجب على المحرم أنه يرافقها في سفرها أيا كان السفر ، وجعل هذه المرافقة مقدمة على كل شأن من شئون الدنيا والدين ، فلو كان الرجل على أهبة الجهاد في سبيل الله وسبيل اسمه في الغزاة وكتب في قائمة الجند كان عليه أن يترك ذلك الواجب الخطير لمرافقة زوجه أو قريبته صيانة لها واحتفاظا بسمعتها ، وفي الحديث : لا تسافر امرأة إلا ومعها محرم فقال رجل : يا رسول الله اكتبني في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتى حاجة فقال : اذهب فحج مع امرأتك .

وقد أهمل المسلمون هذا الهدى الإسلامي ، واسترخت الرقابة على النساء وأفلت عن أيديهم زمام العفة ووقعت فيهم السنة السوء وساءت الظنون بالمغيبات وتهددتهن العنوسة والبوار . ولما من العجب أنه يباح الاختلاط بين شابات الأمر وشبابهم لمجرد الجوار أو التعارف أو لمجرد التسليح بالخطبة ، فإذا قدم الخطيب الشبهة كان ذلك جواز المرافقة والمخالطة وصك الامتزاج والانسجام ، يتزاور الخطيبان بمقتضاء ويرتادان المساهي والخلوات في اطمئنان من أعين الرقباء وأولياء الأمور .

فأين موقف المسلمين من تعاليم الدين ؟ إن الدين يخشى على المرأة من أقاربها الأقربين ويحتاط لرفع الخطر لتحريم الخلوة بها ، والمسلمون على ما ذكرنا من الإجمال والتفريط . ولم يكتف الإسلام لتحريم الخلوة بالمرأة بل احتاط كذلك بسد ذرائع الفساد بالاختلاط وقطع السبل إليه ، لحرم على المرأة أن تبدى زينتها إلا لمن يحل لها أن تبدى له ، وأمر المؤمنين والمؤمنات أن يفضوا أبصارهم عما لا يحل لأن الانظار حبال الشيطان .

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخاطر
قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله
خبير بما يصنعون . » وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظوا فروجهن ولا يبدين
زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبسين زينتهن إلا لبعولتهن
أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى
أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربطة من الرجال
أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين زينتهن
وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . .

ومن أعظم الجرائم في نظر الإسلام الزنا ، وعقوبته الجلد لغير المحض والرجم أى القتل
بالحجارة للدخن وشدة العقاب على قدر عظم الجريمة ، كما أن من أعظم الجرائم القذف
بالزنا ، وعقوبته الجلد ثمانين جلدة . قال الله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا
الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم . »

شرع الإسلام هذه الأحكام رعاية لمصلحة المرأة واحتفاظا بشرفها وكرامتها وحرصا
على مستقبلها . ورأس مال المرأة الشرف والكرامة والسمعة الطيبة ، والمرأة كالدرية في
صدفها كلما زادت تحجبا ازدادت إشراقا ولمعانا ، والمبالغة في العرض تغرى بالطلب إلا
المرأة فإن كثرة العرض ترخصها وتبخس قيمتها وتورث الرغبة عنها وقد جنى السفور
والتبرج على المرأة وأورثها سوء ظن الشباب بها والإعراض عنها ، وخلق لنا مشكلة اجتماعية
استعصت على العلاج وهى مشكلة إعراض الشباب عن الزواج التى تحس بوطنائها الأسر
الكريمة إشفاقا على مستقبل فتياتها .

وأن من أكبر الجرائم في تاريخ المرأة المصرية جريمة السفور التى زعمته حقا دأبت
على المطالبة به ووجدت من الرجال من يظاهرها عليه حتى تمت الجريمة وحصلت عليه .
ولقد جنت المرأة وجنت الامة المرء من ثمره ، وحسبنا من ثماره هذه الفوضى الخلقية التى
نعانى آثارها ، ولما نرجو أن يكون لهذه التجربة آثارها فى ردع المرأة عن الاسترسال
فى المطالبة بحقوق أخرى تحاول فى تهوُّر كسبها ولعمري لهى الخسارة التى سيكشف الزمن
عنها إن قدر لها أن تبلغها .

إن الشعوب التي سبقتنا إلى منح المرأة هذه الحقوق المزعومة التي تطالب بمنحها المرأة المصرية بدأت تعترف بخطئها فيما عملت وتحس بخطئ ممارسة المرأة لهذه الحقوق وتصايح عقلاؤها بوجود النظر في حالة المرأة ووجوب أن تعود إلى وظيفتها الطبيعية كأم وربة أسرة مكانها المنزل ووظيفتها القيام عليه وعلى أطفالها بالرعاية والهذيب ، وليس مكانها المعمل أو النادي أو البرلمان ، فإن ذلك خروج على الطبيعة وانصداع في كيان الأسرة والامة ينبغي أن يعالج حتى لا يتفاقم الشر ويستفحل الداء ، ولن تقنع المرأة المصرية بما يقوله علماء الإسلام في هذا الموضوع لأنها تتهمهم بالتعامل والجود ، وقد تكون أقرب إلى الاقتناع بما يقوله مفكرو الأفرنج فعرض هنا بعضاً مما قالوه عن تجربة بعد ممارسة المرأة لهذه الحقوق .

تحدث أحد هؤلاء المفكرين عن طبيعة المرأة فقال : « أن أظهر علامات الجليل المنحل المضطرب تدخل المرأة في الحياة العامة من وراء الستار فإن اهتمام المرأة بالشئون العامة كان دائماً كذوبة ووسيلة للاتصال بالرجال وحيلة انتقام من بعضهم أو بعض النساء المتزاحمت على مصالح شخصية ، فالمرأة بطبيعتها تنفر من الحياة العامة ولا تطمئن لها ولا تلقى بنفسها في أحضانها إلا للشهوات ، سواء أكان في أمور الدين أو في أمور الدنيا ، وكل ما ظهرت به في هذا السبيل كان بدعة سيئة ومخزاة ومدرجة للفجور .

وقال آخر في الكلام عن نتيجة دخول المرأة في البرلمان : « ولكن هذه التجربة بل المحنة لم تسفر عن نتيجة سارة ، وكل ما في أمرها أن يضع نساء ذوات مال ومنصب جلسن بين الرجال واتخذ هيئة خاصة بالقبعات وألوان الثياب أو اعوجاج الخصور أو خفض الجفون ، ولم نسمع لإحدهن كلمة جامعة أو موعظة حسنة أو رأياً خصيباً يخرج الامة من الظلمات إلى النور .

ذلك أخف ما قاله هؤلاء المصلحون في هذا الصدد ونمسك عن باقيه إشفافاً على المرأة وعملها بتماليم الإسلام في صيانتها وحسن سمعتها ، وعسى أن تستفيق المرأة ويستفيق أنصارها وتستهين لهم ، واطن الصواب والمصلحة للمرأة والامة ويقاموا عما تورطوا فيه مشكورين .

محمد قائد الإسلام

بعد الحديث عن جيش الإسلام يأتي الحديث عن قائده !

يقول القائد العسكري المشهور الفيلد مارشال ويفل في كتابه القادة والقيادة : « يجب أن يكون القائد عفيفاً وقوراً قنوعاً ، يتحمل الشاق من الأعمال ، متوسط العمر ، فصيحاً ، رب عائلة ، وينتمى إلى بيت ذى شهرة ، ومؤدباً ودوداً سهل الاقتراب منه ، زين الطبع ... » هذا ما سجله ذلك القائد الكبير الذى حنكته تجارب الحروب ، في كتابه الذى أخرجه في ختام حياته العسكرية مسجلاً فيه خلاصة تجاربه وأفكاره . فإذا نحن نظرنا إلى ما قال ، حسبناه كأنما درس صفات رسول الله قائد جيش الإسلام ، فوقف من دراسته على هذه الفضائل الذاتية الحميدة فأوردها في كلامه وهو على ثقة تامة أنها إذا اجتمعت في قائد كان قائداً مثالياً ...

فلقد اجتمعت هذه الصفات الحميدة جميعاً في محمد قائد جيش الإسلام ، بل لقد اجتمعت فيه صفات حميدة غيرها لا حصر لها ...

شرف النسب :

لم يزل النبي ﷺ ينقل من خير الآباء حتى انتهى إلى كبير مكة وقريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ، ثم إلى أبيه عبد الله ، فهو ذو نسب زكى ، وإلى ذلك يشير قوله : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم لإسماعيل ، واصطفى من اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار . » وكذلك يقول عنه أبو طالب :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمعشر فعبد منافسرها وصميمها
وإن حصلت أنساب عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن غفرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكرمها
والحق معه ، فلم يكن في آباءه مغمور ، بل كلهم سادة قادة ...

كريم النشأة :

كان الله تعالى يريد كرامة رسوله ، لجعله تحت حراسته ورعايته ، وحفظه من أدناس الجاهلية ، حتى كان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً وأرجحهم حلماً ، وأصدقهم قولاً ، وأبعدهم عن الفحش ، حتى عرف بين أهل مكة في حداثة سنه بالأمين ، لأنه استوفى من مكارم الاخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده ، كل ذلك لأن الله تعالى تولاه حتى خاطبه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) وحتى حدث هو عن نفسه فقال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

كمال العقل :

لقد كان الرسول ﷺ من كمال العقل والعلم في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ، وعلى الرغم من أنه لم تسبق له ممارسة ، ولا مطالعة كتب يتعلم منها أخبار الماضين ، فقد تبين من التاريخ أنه أعقل العالمين . أنظر إلى حسن تديره وسياسته للعرب الذين كانوا أهل عزة ولأباء وانطلاق ، مع الطبع المتنافر المتباعد ، وكيف احتمل جفاهم وصبر على أذاهم بكل سياسة وحكمة وبعد نظر ، حتى انقادوا إليه ، والنفوا حوله ، وقاتلوا في سبيله أهلهم وآبائهم وأبنائهم ، واختاروه على أنفسهم ، وهاجروا معه ، وتركوا أوطانهم وأحبابهم احترام النفس والتواضع .

كان رسول الله يعرف قدر نفسه ، ويحترمها ، فكان بريئاً من الرياء والتصنع ، مستقل الرأي ، لا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن متكبراً ولا ذليلاً ، بل لقد كان في ثوبه المرقع الذي كان يرقعه بنفسه يخاطب بقوله الحق أكاسرة الفرس وقياصرة الروم . وكان لا يؤخر عمل اليوم لغده ، وما عبث قط ، ولا ظهر في قوله وفعله روح الله ، وكان يكره أن يحوط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطان والملك فكان يقول لأصحابه : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم . إنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله . . وخرج على جماعة من أصحابه متوكئاً على عصي فقاموا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً ، الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ .

أما الصبر وقوة الاحتمال ، فقد كان النبي فيهما المثل الأعلى ، لقد أودى في الله في نفسه وأصحابه فلم يلحقه جزع ، بل كان شجاعاً حكماً ، وصبوراً كريماً ، فكم ناله من أذى المستزتين

وكيد المفاقيين ، فما لج بالشكوى ، بل كان دأبه الصبر مع التفويض لله تعالى حتى جعل له من أمره فرجا .

وكان يقابل الأذى بالصبر الجميل ، ويعامل أعداءه بالمداواة وينالهم بحسن المصانعة ، فكان يقابل الحق والحزق بالحلم والرفق ، والصلف واللجاج بالوداعة والآناسة . . وحسبنا أن نلقى طرفا على تاريخ الدعوة الإسلامية لنعرف كيف كان النبي مثلا في الثبات على المبدأ وهي فضيلة كبيرة في القائد .

أنظر كيف لبث ثلاث سنين يدعوا إلى الإسلام أقواما جفافة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام ، وحببتهم أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ، وأخيرا لم يسلم إلا ثلاثة عشر رجلا فأى نجاح هذا ؟ لاشك أنه غير مشجع ، ولكنه ظل ثابتا على مبدئه ، مستمرا في دعوته بكل عزم وإرادة .

ثم أنظر إليه وهو يقول لعمه وهو يحاول إقناعه بالرجوع عن قریش وترك الدعوة « والله يا عم : لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ، ما تركته ! »

الوفاء :

والوفاء كذلك فضيلة إذا تحلى بها القائد كان قائدا عظيما ، إذ بالوفاء يأسر القائد قلوب رجاله ، ويرفع روحهم المعنوية إلى قمتها ، ولقد كان النبي ﷺ شديد الوفاء بالعهد ، يروى أن عبد الله بن أبي الحساء طلب إلى النبي أن ينتظره في مكان ما حتى يأتيه بشيء ثم نسي حتى ذكر ذلك بعد ثلاثة أيام فجاء إلى الرسول فإذا هو في مكانه فقال : يا فتى لقد شققت علي ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك . .

وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها كان دائم التحدث عنها والترحم عليها والعطف على أحبائها ، يقول أنس رضي الله عنه : كان رسول الله إذا أتى بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة إنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة .

الشجاعة والنجدة :

كان الرسول في ذلك المثل الذي لا يحارى ، والقدرة المنقطعة النظير ، قال ابن عمر : ما رأيت أنجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ . وأى شجاعة أعظم

من أنه قام لأمر الله وحده ، ومضى قدما يدعو أقواما ليس عندهم من مكارم الاخلاق إلا ما كان مرتبطاً بالعزة والانفة مما كان يؤدي كثيراً إلا شن الغارات والحروب وإهراق الدماء .

ولقد فزع أهل المدينة ليلة إذ سمعوا صوتاً قويا غير عادي ، فانطلق بعض الناس نحو الصوت فلتفاهم رسول الله راجعاً قد سبهم إلى الصوت وعرف الخبر ، وكان راجعاً فرساً عارياً والسيف في عنقه وهو يقول : لن تراعوا .

وهكذا كان أسبق القوم إلى النجدة .

حسن الصورة وكال الخلقة :

لا شك أن لحسن صورة القائد أثراً قويا في الجنود ، يحلهم ، لتغني حوله ، مخلصين له ، متسابقين إلى تنفيذ أوامره ، متفانين في أداء واجباتهم .

ولقد كان الرسول مكتملاً لجميع نواحي جمال الصورة وكال الخلقة ، وقد ورد في هذا الكثير من المسأورات .

ويعد فهذا قليل من كثير من الصفات الحميدة التي تحلى بها الرسول الكريم ، فكان بها قائداً طبيعياً ، وسوف نرى بعد ذلك إن شاء الله عن دراستنا لمعارك الإسلام كيف كان الرسول قائداً حربيّاً من طراز فريد .

محمد جمال الدين محموظ

يوزباشي أركان حرب

الجدل والعمل

قال الإمام الاوزاعي : إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ، ومنعهم العمل .

النقد الأدبي وتاريخه

حدثناك في مقال ماض أن النقد صار فناً تؤلف فيه الكتب ، بعد أن كان شذرات مثورة وخطرات عابرة . وسأحدثك في هذا المقال عن كتاب من خيرها في رأي وأحبا نفسي وأقربها إلى الروح العلمية وأجمعها لآراء النقاد وأحفلها بالرائع الممتع ، ذلك كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحترى) لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي . كان ذلك الكتاب ينبوعاً لما ألف بعده ومصدراً من مصادر البيان العربي ومادة للذين كتبوا في علوم البلاغة وزخيرة نفيسة للذين يدرسون النقد وتاريخه .

بدأ الآمدي يعرض علينا آراء الأدباء في الشعaren العظمين ، فذكر أن علماء اللغة والأدب فرق ثلاث : فريق يفضل البحترى وهم الكتاب الأعراب والشعراء المطبوعون الذين يؤثرون سهولة العبارة وصفاء الديباجة ووضوح المعنى ، وفريق يقدم أبا تمام وهم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميلون إلى الدقة والاختصاص بطرف من الفلسفة . وآخرون يسوون بينهما . وينسكرك الآمدي على القائلين بالتسوية ويذكر أنه لا يفصح بتفضيل أحدهما على الآخر إنما يعرض عليك مساوئهما ومحاسنهما ويدعك وحكمك ، وذلك عنده أمثل الطرق وأشبهها للإدراك السليم والكشف عن وجه الحق . وكان الظن بهذا العالم ألا يشفق من الفصل فإن شخصية الكاتب لا تظهر بهذا العرض الرخيص .

ثم أخذ يقص عليك حجج الخصمين ويبسط آراءهما ، وخلاصتها أن أبا تمام أسنان البحترى بشهادته ، وصاحب مذهب في البديع عرف به وأخذ عنه ، وله الروائع التي تنقطع دونها الآمال والمعاني الفريدة التي سمحت البحترى فسرقتها وقاس ذرعه بها ، إلى علم باللغة وأسرارها لم يعمد لامثاله من الشعراء .

وينسكرك أصحاب البحترى التلذذة ولا يدفعون الصحبة ، ويقولون إن البديع موجود في القديم حفل به مسلم بن الوليد من غير أن يحجور على المعنى أو يتحيف سلامة النسيج ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه فاستكركه الألفاظ وأضل المعاني وترك السامعين والقارين ، يظنون على عيما . ولو أنه قبل من هذا الأمر عفوه وسار فيه على سجيته لبالغ فيه جسيماً وبرز على كثير من الشعراء . ثم أخذ في الموازنة فرسم لنفسه طريقاً عبر عنها بقوله : وأنا أبتدىء بذكر مساوئ الشعارين لاختم ببيان محاسنهما ، وأذكر طرقاً من سرقات

أبى تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه عنه وغير ذلك مما غلط فيه ، ثم أوازن من شعرهما بين قصيدتين إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى فإن محاسنهما تظهر فى تضاعف ذلك ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما من معنى سلسكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعرهما من التشبيه وبابا للأمثال أختم به هذا الكتاب وأجعله مرتبا على حروف المعجم ليقرب تناوله إن شاء الله .

سار الآمدى على هذا النهج وأطنب فى سرقات أبى تمام مع اعترافه بأن الطاعنين عليه لا يجعلون السرقات من كبير عيوبه لأنه باب قلما يخلو منه أحد ، واحتفل فى بيان أخطائه ورد تأويل الصحيحين لها ، وذكر كثيرا من استعاراته القبيحة وطباقه وجناسه الخارجين عن حدود الاعتدال . ومس البحترى مسالينا فى باب السرقات وبرأه من عيوب الإفراط فى البديع لأنه مولع بهذيب ألفاظه سالك سبيل الاولين من الأخذ بنصيب منها حين تأتى عفواً لا تكسب خاطراً ولا تجنى على معنى . ثم ختم الكتاب بذكر محاسنهما والموازنة بين معان اعتوراها وهى ترجع إلى بكاء الديار والوقوف على الاطلال ومساءلتها والدعاء لها . ولم نجد فى النسخ التى بأيدينا ما وعد به من ذكر بابى التشبيه والأمثال ، لجأز أن يكون الكتاب قد عدا عليه الزمن ، أو تكون الاحداث قد عاقته عن الوفاء بوعده . وأياما كان فالقارى لا يشعر بأن الرجل قد انتهى إلى غايته وأن الكتاب بلغ نهايته فاستراح إلى الخاتمة المقدرة له .

والآن بعد هذا العرض الوجيز لكتاب الموازنة أحب أن أدون لك مؤاخذاتى على الآمدى : ظهر تحيز الآمدى للبحترى وتحامله على أبى تمام فى غير موضع من كتابه ، حتى كأنه موكل بالرد عليه لا حكم عادل يتجنب الهوى ، فهو رقيق متأول إن مس البحترى بعيب ، عنيف مجسم للظلم مكبر للهنات إذا تناول أباً تمام . وجسلة ما اعتد به على أبى تمام لإغرابه فى استعمال الغريب ، وخروجه على أوضاع اللغة ، وانحرافه عن قواعد النحو ، وإسرافه فى التماس البديع ، وإفراطه فى طلب الاستعارة ، ومجافاته لطريقة الأوائل فى صوغ الشعر حتى عسر فهمه على أئمة اللغة ، وحتى قال بعضهم إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل . وقال آخر إنه يرمى بالدره فى بحر من خره فمن يغوص عليها ليأخذها ؟ فأما البحترى فهو يحتذ حذو المتقدمين ما فارق عمود الشعر مع طبع سليم وقريحة مواتية ونظر صائب فى أعقاب

معانيه وألفاظه ، حتى خرج شعره حسن الرصف جميل الوصف واضح المعنى ، يصل إلى قلبك قبل وصول لفظه إلى سمعك ، فلا عيب فيه إلا إذا حاكى أبا تمام في بعض مذهبيه أو استعار منه بعض معانيه فإنه تزل به قدمه ويهوى به إلى الحضيض تقليده .

أما أنا فأرى أبا تمام أحد أربعة خدموا العربية خدمة عظمى ، ولولاهم لكان الشعر العربي جدبا كالصحراء التي نبت فيها ودرج عليها : لولا أبو نواس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبي وأبو العلاء الماعري لكان شعراً ساذجاً لا حظ فيه لفكر ولا أثر فيه لحيال . وبفضل هؤلاء الشعراء صار أدباً عظيماً يسامى آداب الأمم الراقية التي أخذت حظاً كبيراً من الحضارة وبلغت مبلغاً جسيماً من انضوج العقل وصفاء الذوق وسمو الوجدان ، وأخذ العلماء يتفرغون له ويتنازلونه بالدرس والبحث ، ويؤلفون فيه الكتب فيكشفون للناس عن ثروة عقلية وجمال فني جدير أن تعشقه نفوس محبة للكمال مؤثرة لحياة روحية نبيلة .

هؤلاء شعراء عباقرة مبدعون سميت بهم عبقريتهم أن يعيشوا في ظلال المعجز وإن شئت فقل في ظلال التقليد ، فهما عندى عبارتان متساويتان في المعنى ، والفرق بينهما وبين أمثال البحترى كالفرق بين المجتهد والمقلد هذا يحسن الاتباع وذاك يجيد الإبداع ، ومن هنا غلط في فهم هؤلاء اللغويون الواقفون عند نصوص اللغة وبعض الأدباء الذين يرون المزية في اتباع الأوائل لاعتقادهم أن الأول ما ترك للآخر شيئاً وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان وأن الخير كله فيما كان عليه الآباء ، فهم يريدون إلينا أن نشبه أعجاز الفساء يكشبان الرمل والغفل يعبر الآرام وأن نقف ونحن في قصور شاححات على ربوع مية وأطلالها نبكيها ونستبكيها ونركب إلى حاجاتنا الجمال في الصحراء وإن كنا في عصر الذرة . ياله من هوان للبشر وللخليفة جمعاء فإن راعى الأدباء مقتضيات العصر وفتحوا أبواباً جديدة للفكر وخرجوا باللغة من الحصار المضروب عليها قالوا فارقم عمود الشعر وجانبن طرائق المتقدمين وأكثروا من هذا الذي يمر به العاقل فيزدريه . وأعود بك إلى تلك العيوب التي نسبوها إلى أبي تمام والتي هجنت شعره عندهم وهونت من أمره عليهم وحطته عن مرتبة أمثاله .

أما استعماله الغريب فهو رجل طالت ملازمته للشعر جاهلية وإسلامية وفيه كثير من هذه الألفاظ فكثير ترادها على لسانه وتكرارها في . فلم تعد غريبة بل انتقلت إلى حد المألوف الذي يأنس المرء له ، وليس كل غريب يقبح استعماله بل هناك غريب لا تجد معدلاً عنه وتجده المعنى يقتضيه والنظم يطلبه والسكمة المجاورة تحن إليه . اقرأ إن شئت قول الله تبارك وتعالى : تلك إذا قسمة ضيزى ، ثم ضع بدلاً منها كلمة « جائرة » التي ترادفها ثم تحسس

نفسك واستفت حسك أيجد لهذا البدل ما كان يجده من اللذة لتلك ، وأحدث عنه من النشاط والطرب ما كانت الكلمة الأولى تحدثه ؟ أشعر بهذا اللحن الموسيقي العنيف الذي يحرك القلوب القاسية وينبه الأذهان الغافلة ويدعوها إلى التفكير في غرابة هذه القسمة ، إلى هذا التجاوب العجيب بينها وبين الفواصل الأخرى في الآيات الكريمة .

إذا فالنرب قد يكون أليق بالموضع من المستعمل المأنوس ، ومع أن في الغريب إحياء لجانب من جوانب اللغة فقد تدعو إليه القافية أو الفاصلة أو غرابة الفكرة أو عدم وجود المتعارف أو غير ذلك مما يمر بالشاعر فيلتمسه اختياراً أو يلجأ إليه اضطراراً ، وليس معنى هذا أني أسوغ الإكثار منه ، ولكننا نأخذ منه بقدر الضرورة وحين نجد أنفسنا مدفوعين إليه ، والمقام هو الحكم الذي يحسن بالأديب أن ينزل على حكمه فلا ضير على أبي تمام في استعماله إذا صنعت له حالة من تلك الحالات التي في إثارتها مراعاة لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون ، وأما الخروج على أوضاع اللغة وقواعد النحو فالحق أن اللغويين محيرون مختلفون فيما بينهم : يظن الرجل منهم أن اللغة ما انتهى إليه علمه ولا شيء وراء هذا ولبعضهم تحكم يزي به ويصفه بالفصور العقلية مثل قوله لم تقل العرب هذا ولا تعرف العرب إلا هذا . وما النحاة بأقل منهم في هذا الباب . وهؤلاء وهؤلاء لا يصلحون للحكم بين الشعراء ولا يحسنون التمييز بين جيد الشعر وروديته .

يتحدث الجاحظ عن أبي عمر الشيباني فيقول : رأيته يكتب أشعاراً ليدخلها في أبواب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً لمكان أعراقهم من أولئك الآباء ، ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة .

والخصومة من قديم قائمة بين اللغويين والنحاة ، وبين الأدباء والشعراء . والرواة يحدثوننا أن ابن إسحاق الحضرمي استدرك على الفرزدق حين قال :

على عماتنا تلقى وأرحلنا على زواحف مخها رير

فقال رير بالسكسر معرضاً له بالإقواء في البيت فأصلح الفرزدق قائلاً :

على زواحف تزجها محاسير

ثم هجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فعاد ابن إسحاق فقال كان عليه أن يقول مولى موال .

ومأخذ اللغويين والنحويين دونت فيها كتب ، ومنهم من تناول على تصحيح روايات القرآن فليس عجيباً ألا يسلم منهم أبو تمام .

وكان الشعراء يشعرون بتحذلق هؤلاء وتهافتهم فيبالغون في السخرية منهم ويصنعون من الشعر ما يعيبهم ، والأغاني يحدثنا أن الفرزدق كان يرسل البيت معقداً معاً لعلباء النحو واستهزاء بهم ، وأحسب أن معقد أبي تمام من هذا الضرب الذي يقصد به العبث بالنحاة . وأما إفراطه في الاستعارة فهذا من طبيعة الشاعر العبقرى لأنه يجد في نفسه من المعاني ما لا تحيط به حقائق اللغة فيعود بالجماز ويتوسع في القول ومؤرخو الأدب الانجليزي يذكرون أن الشاعر الخالد شكسبير كان يفعل ذلك يقولون إن أهم ما يمتاز به أسلوبه هو كثرة الاستعارات فتجد في الجملة الواحدة استعارتين أو أكثر .

بقى ما ينعونه عليه من غموض المعاني ، وأنا أجهل عليك بغير ما تنتظر : إني لست من أنصار هذا الوضوح الذي يطيلون الشئ على البحترى من أجله ، ويجعلونه المعيار الذي تقاس به أقدار الأدباء ، إن انكشاف المعاني انكشافاً تاماً يوجد في كلام العامة وأشباههم وما وجد في كلام قط إلا زهد فيه إن القصيدة التي لا أجمع لها نفسى وأنفى من أجلاها الخواطر عن ذهنى من الأدب الرخيص الذي كتب عليه الفناء والذي يقرب مآتمه من عرسه ويغلب صوت نعيه على صوت الميثر به إن جمال الصورة الشعرية في عمقها وفي سفر الفكر بينك وبينها وفي تقليب البصر في أعطافها ، وما قيمة صورة شعرية لا تشخذ ذهناً ولا تربي ذوقاً ؟ إن التواء الحسنة يغرى بها وتمنعه يهيج نار الشوق إليها ، وبقدر دنوها ملك يكون أنصرافك عنها . وقد تفهم من الصورة الشعرية غير المعنى الذي أراده الشاعر ، وقد يفهم غير كما غير معناها ، فإن ذلك أدل على تأصلها في باب البلاغة ، وأظهر لمواطن الفصاحة فيها . يقول أنا تول فرانس : لكل صورة شعرية عدة معان ، فأى معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقي . والشاعر الفذ هو الذى يعوذ أحياناً بالابهام ليورث الصورة ضرباً من الحسن ، كما يلجأ الرسام إلى الظل في تجميل الصورة ، ولكن على شريطة ألا تحجب محاسنها بل يكون هذا الظل أعرق لها على إظهار كمالها ، وإلى اللقاء مع الآمدى إن شاء الله .

عبد الفتى اسماعيل

أستاذ بكلية اللغة العربية

الزهر والتاريخ الدستوري

بعض المؤرخين صورة خاطئة لتاريخنا القومي، إذ يصورون الشعب في صورة المستكين المستسلم الذي لا يعرف لنفسه حقاً، وقد أشار إلى هذا الخطأ حضرة الرئيس اللواء محمد نجيب في خطابه التاريخي الخالد الذي ألقاه عند افتتاح أعمال لجنة الدستور (١) فقال : « لقد كان تاريخ هذا الماضي - ماضى أمثنا - ضحية من ضحايا أعداء تلك الأمة . فلقد أوهموا ناستنا وعلّموا معلينا أننا كنا كما مضياً لا ياب به الحاكون ، ولا يحفلون بوجوده . وهذا كذب صراح أود أن أصححه في دار النيابة وفي يوم الدستور ، . والحقيقة أن الشعب المصري لم يتخلف عن ركب التطور والتقدم ، فقد قام وعلى رأسه شيوخ الأزهر - وكانوا رسل الثورة وقادتها - بمقاومة الطغاة في بسالة نادرة المثال . ويصف حضرة الرئيس في خطابه المذكور هذه المقاومة بقوله « إن أبناء مصر لم يكفوا عن استكمال حقوقهم ورد العدوان عن دستورهم غير المكتوب : دستور حرية أفرادهم ، وشرف عقائدهم ، والتزام الحاكم لصالحهم : فالغلاف الخارجي لحياة المصريين في القرنين الماضيين غلاف الاستسلام والإذعان والمهادنة : غلاف خادع كاذب ؛ وأنا باسم الأمة أزيحه من مكانه ، بل باسمها أمزقه تمزيقاً ليتضح للعالمين صورة مصر الحرة على حقيقتها . »

ثم أشار حضرة الرئيس في خطابه التاريخي إلى ثورتين هامتين تعتبران من أسبق الثورات الدستورية العالمية ، إحداهما كانت بقيادة أكبر علماء ذلك العصر وهو الإمام أحمد الدردير ، والأخرى بقيادة شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوي رحمهما الله تعالى .

ثورة الإمام الدردير رحمه الله تعالى (٢) : —

في يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠ هـ (يناير عام ١٧٨٦ م) نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى أحمد سالم الجزار بالحسينية جهاراً نهاراً ظلماً وعدواناً . فثار ثائرة الأهالي ، وتشاوروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه واتفقوا أخيراً على الانجاء إلى أقوى

(١) يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(٢) الجبرتي طبعة بولاق ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

العلماء شخصية وأوسعهم نفوذاً وهو الإمام الدردير ، فاجتمع الأهالي في اليوم التالي للحدث ويمموا شطر الجامع الأزهر وقصدوا الشيخ وأخبروه بالواقعة . ففصب الشيخ على استهتار الأمراء وقسوفهم ، ونادى في الجماهير غير هيب ولا وجل : « أنا معكم ، وغداً تجتمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ونهب بيوتهم كما نهوا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم ، وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات لإبداننا بالاستعداد للقتال ، وترامت الأخبار بين الأهالي فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك في المعركة ، وكانت أخبار الجماهير الهائجة قد وصلت إلى إبراهيم بك وبلغه تصميم الإمام الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء ، وكان يعلم مقدار ما للشيخ من نفوذ ومكانة عند الأهالي ، نفشى أن يستفحل الأمر ويؤدي إلى ضياع سلطته في مصر ، فأرسل نائبه ومعه أحد الأمراء إلى الإمام الدردير واعتذر له عما حدث ، ووعد بأن يكف أيدي الأمراء عن الناس ، كما قرر توبيخ حسين بك شفت على صنيعه وطلب قائمه بجميع ما نهيه ليأمره برد ذلك إلى صاحبه وهكذا وضع هذا الإمام قاعدة دستورية هامة وهي احترام الحاكم لإرادة المحكومين .

ثورة الشيخ عبد الله الشرفاوى رحمه الله تعالى وكان شيخاً للأزهر عام ١٢٠٨ هـ .^(١)

في شهر ذى الحجة عام (١٢٠٩ هـ) (١٧٩٥) اشتكى فلاحو قرية من قرى بلبس إلى الشيخ عبد الله الشرفاوى من ظلم محمد بك الالفي ورجاله ، فبلغ الشيخ الشرفاوى الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك ، وخاطبهما في كنف أذى محمد بك الالفي عن الفلاحين فلم يفعلوا شيئاً . فساكن من الشيخ الشرفاوى رحمه الله تعالى إلا أن عقد اجتماعاً في الأزهر حضره العلماء وتشاوروا في الأمر فاستقر رأيهم على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يجيبوا مطالبهم ، وقرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر وأمرؤا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعداداً للقتال

وفي اليوم التالي : ركب الشيخ الشرفاوى ومعه العلماء وتبعتم الجماهير وسار الجميع إلى منزل الشيخ السادات يستشيرونه في بدء المعركة ، وكانت قصر إبراهيم بك قريباً من قصر الشيخ السادات ، فراحه احتشاد الجماهير هناك ، وعلم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات ، فبادر بإرسال أيوب بك الدفتردار ليسأل عن مرادهم .

فقالوا له : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمسكوسات التي ابتدعتموها وأحدثتموها .

فأجابهم قائلا : لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والنفقات . فقالوا له : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ، والامير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ (١) .

فقال لهم : حتى أبلغ . وانصرف ولم يعد لهم بجواب .

صمم العلماء في هذا المجلس على أن يخوضوا المعركة مع الأمراء ، وإما أن يستشهدوا أو ينالوا حقوق الشعب كاملة . وأعلنوا أهالي القاهرة بعزمهم ، فتقاطرت الجماهير صوب الأزهر وباتوا هم والعلماء داخل المسجد وحوله .

هال إبراهيم بك ما بلغه من احتشاد الشعب ومرابطته مع العلماء استعدادا للقتال . فأرسل إلى العلماء يعتذر إليهم ويبرئ نفسه ملقيا التبعة على شريكه في الحكم مراد بك ، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ يقول : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادى ، وأرسل مراد بك يستحثه لعمل شيء ويخيفه عاقبة الثورة التي توشك أن تنفجر .

وفي اليوم الثالث للثورة توجهه والى مصر إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمراء المماليك وقرروا إيجاد حل سريع حاسم قبل أن يفلت الزمام فتشتعل الثورة ، وأرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع ، فحضر الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشراقوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير وطال الحديث بينهم وكان مداره حول حقوق الشعب ، ولم يستطع إبراهيم بك ولا مراد بك ولا الأمراء المكابرة في هذه المرة ، فقد كانت القاهرة تغلى كالمرجل وكانت أشبه ببركان يوشك أن يثور وكان الشعب المتكتل في الخارج يلوح مهددا متوعدا ، وانتهى هذا المجلس التاريخى بموافقة الأمراء والوالى على القرارات (٢) الآتية :

أولاً : لا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب .

ثانياً : أن ينزل الحكم على مقتضى أحكام المحاكم .

ثالثاً : ألا تمتد يد دى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع .

(١) ذكر هذه القرارات حضرة الرئيس في خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور .

وكان القاضي الشرعى حاضرا فخر (حجة) تضمنت هذه القرارات وقع عليها الوالى وختم عليها ابراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فغتم عليها أيضا وانحلت الازمة . ورجع العلماء يحيط بكل منهم موكب من الاهالى وهم ينادون (حسب ما رسمه ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمسكوس بطلاة من مملكة الديار المصرية)

ولو تأملنا فى هذا النص الذى ساقه مؤرخ مصر الجبرى ودققنا النظر فى قوله (حسب ما رسمه ساداتنا العلماء) لوجدنا أن هذه العبارة الظاهرة تحمل مبدأ دستوريا هائلا : وهو أن الامة مصدر السلطات .

وقد أشار حضرة الرئيس فى خطابه المذكور إلى هذه الحجة بقوله : وقد توافق رأى أكثر المؤرخين الفرنجة على أن هذه الحجة بمثابة وثيقة (إعلان حقوق الإنسان) سبقت بهامصر غيرها . وقد طبق وكلاء الشعب ويمثلهم العلماء والاعيان هذا المبدأ - مبدأ الامة مصدر السلطات - على والى مصر خورشيد باشا حين عجز عن ضبط الامن فى البلاد ، إذ عقدوا مؤتمرا وطنيا يوم ١٣ صفر عام ١٢٢٠ هـ وقرروا عزل الوالى ؛ ولما رفض الإذعان لهذا القرار قام العلماء والاعيان والشعب بتنفيذ قرار الامة بالقوة ودارت رحا الحرب بينهم وبين لوالى وكانت الاوامر خلال المعركة تصدر باسم السيد عمر مكرم والعلماء بصفتهم وكلاء الامة ، وأجبروه أخيراً على الإذعان لقرار الامة فى ٢٩ جمادى الاولى عام ١٢٢٠ هـ .

هذا وقد سجل التاريخ للعلماء السابقين موافق مجيدة فى الدفاع عن حقوق الشعب بذكر منهم الإمام شمس الدين محمد الحنفى المتوفى عام ٨٤٧ هـ ، والشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بالأزهر الشريف والمتوفى عام ٩٢١ هـ ، وشيخ الإسلام الإمام محمد بن سالم الحنفى المتوفى عام ١١٨١ هـ .

نستنتج من هذا كله أن العلماء والشعب خلال صراعمهم العنيف فى سبيل نيل حقوق الامة استطاعوا أن يستخلصوا عدة مبادئ كانت تدار بوجها شئون الحكومة وتحفظ بمقتضاها حقوق الرعية ، حتى انتهى الامر إلى إعلان حقوق الإنسان وأن الامة مصدر السلطات ، وتعتبر هذه المبادئ أهم الاصول الى بنيت عليها الدساتير الحديثة .

أحمد عز الدين عبد الله حلف الله

المدرس بمعهد دسوق

غزور

من العوارض البارزة والاحداث الظاهرة ما يطوف بالجماعات فيتغلغل في صفوفها ، ويتمكن بين أفرادها ، ويلم بالامة في غزوه المنكر ونزوله الملح ، فتخضع فترة من الزمن لسلطانه ، وتعيش ردحا من الدهر ترنخ تحت وطأته . تتمرد عليه حيناً وتحنث له أحياناً . تحاول أن تبعد عنه آناً وتستسلم لغواشيه المطبقة وطوفانه المغرق آناً آخر . حتى إذا قوى منها العزم ، واستحصد لديها الحزم ، ونفذت الإرادة ، استطاعت أن تغلت من آصاره وتخلص من قيوده .

والمسام الظواهر الى لا تحب ولا تستساغ ، أمر عادى يتسرب إلى الافراد ويتفشى في الجماعات ، ما دامت النوازع الإنسانية والاطماع البشرية والاهواء والشهوات تضطرم في النفس وتفور في الجسد

ولكن الذى لا ترضاه العقول السليمة ، ولا يطمئن إليه التفكير الصحيح ، ولا تقره شريعة رب العالمين ، أن نقع فريسة للعوارض المهلكة والادواء الفاتنة ، والأمراض النفسية الخبيثة فلا نحاول التمرد عليها والخلوص من أوزارها .

قد يغفل الضمير أو تغفو المشاعر الإنسانية وتهجع في النفس قوة المراقبة فيدخل عليها الداء من حيث لا تقدر ، ويتسرب اليها لوهن من حيث لا تشعر . ولكن العاقل الذى يحاسب نفسه لا يلبث أن ينتزعها مما يحل بها من آفة ويتسلط عليها من داء . ولعل هذا أبرز فارق بين البر والفاجر ، فإن البر سريع الإفاة إلى ربه ، كثير الإقلاع عن ذنبه ، شديد الندم على ما يبدو منه من مخالعة ، أما الفاجر فهو دائماً سادر في لهوه ، بمن في غيه لا يوقظه إلا القوارع لمجلة والمحن العاصفة .

إن الأفراد والجماعات لا تصاب بعلّة مميّنة وآفة لعينة مميّنة ، تدمر نظامها وتحطم نتائجها وتفسد أمرها وتضعف الثقة فيها وتعدم التعاون بينها ، مثل آفة (الغرور) فهو أساس كل شر ومصدر كل فساد وسبب كل هلاك . وما أحبط أعمال الناس وأصارها إلى الإحمال والجذب ومكن بينهم العداوة والبغضاء ودعا إلى الخصام والشحناء وأشاع الذعر والخوف والاضطراب إلا داء الغرور حين يستولى على النفوس ويستبد بالقلوب ، فيحول مودتها إلى عداوة وصفاءها إلى كدر وإخلاصها إلى ضغينة وحسد .

يغتر المرء بمجده وعمله ويخضع جاهلا في كفايته وقدرته . ويخيل إليه الوهم الكاذب والسراب الخادع والعقل الخائر والتفكير الضحل أن قوته فوق القوى ، وقدرته لا توازيها قدرة . هو في نفسه عالم يفقه أدق مشاكل العلم وأعقد مسائله ، وهو سياسى يدرك من خفايا السياسة الداخلية والخارجية ما يستعصى على الآخرين ، وهو بين الأدباء أديب بارع الفكر ، رائع الخيال . هو في كل شيء أشد الناس فهما وأصدقهم حكما وأنفذهم نظرا وأععمهم غورا وأسماهم فكرا ، لا يقبل في ذلك جدلا ولا مناقشة . وبهذه الفكرة الخاطئة والنظرة الباطلة ، والوهم الكاذب لا يمكن أن يلتقي بالناس في عمل مشترك أو تعاون مفيد . وهل يلتقى في نظره السقيم الثرى بالثريا أو يجتمع الحامل والعبرى .

ويدعى إلى سلوك طيب يكون له وللناس فيه خير ، فتأبى عليه نفسه وينفر طبعه ويداخله الحنق والغضب لأن سلوكه فيما يرى أقوم سلوك وأدبه أرفع ومقامه أسمى من أن يتناول إليه نصيح أو توجيه وقبح الله الغرور .

ويراد على الإحسان في عمله والإجادة في إنتاجه ، فيستفزه الغضب وتستثيره الحدة لأن عمله أحكم صنعا وأدق أداء وأعظم من أن يتناول إليه متناول .

ويفسد في الأرض ويستسلم لنزوات الشر ودوافع الإثم وتمتد عينه ويده إلى ما حرم الله عليه ، فإذا وجه إليه نقد أخذه الحققد واستبد به الغرور لأنه عند نفسه فوق أن يخضع لنقدات الناقدين .

وهكذا يدخل الفساد على الأمة ويتسرب إليها الداء ويبدأ فيها الشر والعوج ، كل فرد أمة وكل شخص دولة : فهو مستقل في رأيه مستبد بفكره ، لا سلطان لأحد عليه ثم يجيء

بعد ذلك الضلال في الرأي والخطأ في التقدير والتخبط في السلوك . لأن ما استقر في النفوس من الغرور قد أفسدها وأظلم آفاقها ، فلم يعد أحد يصغى إلا لما تهتف به شهوته وتضطرم فيه نزوته وينزع إليه هواه .

وهكذا يتداعى بناء المجتمع وتضطرب أركانه وتختل موازينه وتتضام قوته وتحل عروته بما يشيعه الجاهلون من فساد ، وما يأتية المغرورون من حق .

إن في الغرور ادعاء واجترأ : ادعاء يسلب الإنسان وقاره الخلقي وحليته النفسية ، واجترأ يثير في الأنفس الحقد على الناس والضحينة بينهم فيقطع ما اتصل من أسباب المودة ويفسد ما صلح من عوامل الألفة ، ويهدم ما يقوم من رغبة في التعاون والجهاد في هذه الحياة .

ولقد أراد الله تعالى لهذه الأمة القرآنية أن تعيش سليمة من الآفات بريئة من الأدواء والعلل ، وأن تربي تربية نفسية لا يداخلها شوب من الفساد ، ولا عامل من الانحلال ، فحذرنا الله جل شأنه بما شرع من آداب واستن من سنن ، أن تستسلم لداء أو تخضع لآفة . ولقد قال جل شأنه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

ثم أشار جل شأنه إلى أن مصدر هذه الآفة تأميل في طول عيش ، أو طمع في طيبات الحياة وزينة الدنيا ، أو رغبة في الاستمتاع بنعمة الولد وهكذا فقال : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير) .

يجب أن نعالج ما يعترينا من نقائص ، وما يتفشى بيننا من أوزار ، ويجب أن نربي أنفسنا على ما يلتمع في تاريخنا من روائع الصور وبارع الأمثلة التي كتبت هذا التاريخ وبنت ذلك المجد . وليعلم أولئك الذين يخفون إلى الاقتداء في الشر ويسرعون إلى الاحتذاء في الضرر ، أن الاتباع في الخير والاقتداء بمن مضوا من سلفنا الصالح يفرس فينا الفضيلة ويسددنا نحو النهج القويم .

لقد كان عمر بن الخطاب حريصاً أشد الحوص على أن يكسر نخوة نفسه ، وأن يستل داء الغرور من كل من يحيط به . فهو الذي أمر المصري أن يضرب ولد عمرو بن العاص

ثم يضع الدرة على صلعة عمرو ليذهب ما عسى أن يكون قد داخله من خيلاء الحكم وكبرياء السلطان . وكان رضى الله عنه يحاول دائماً أن يقتل ما فى نفسه من نخوة ويطرد ما يمكن أن يساورها من وسواس .

يقول عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، وعلى عاتقه قرينة ماء . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه لا ينبغي لمثلك هذا . فقال : أنه لما أتت الوفود سامعة مطيعة مهادنة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرهما . ومضى بالقرب إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .

ويروى الأحنف بن قيس أنه كان بصحبة أمير المؤمنين عمر لجماءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن فلاناً ظلمنى فأعدنى عليه . فرفع درته وضرب بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معرض لكم ، حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه ، تقولون أعدنى .

فانصرف الرجل متذمراً فقال عمر : على بالرجل . فجاء به إليه ، فألقى إليه الدرة وقاله له : اقتص ! فقال : بل أدعه الله وإرادة ما عنده . وانصرف .

يقول الأحنف . ثم جاء عمر فدخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين ثم جلس وقال : يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله ، وضالاً فهداك الله ، وذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس لجماء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته . ماذا تقول لربك غدا ؟ فجعل يعاتب نفسه أشد المعاتبة .

ويقول رجاء بن حيوة : كنت ليلة عند عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فضضع المصباح ، فقام رجل ليصلحه فقال : اجلس ، فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه .

ثم قام بنفسه فأصلح السراج . فقال رجاء : أتقوم إلى السراج وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز بمثل هذه السير النقية والاخلاق الطاهرة والآداب الكريمة نهر الجماعات وتسعد الأمم .

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس فى كلية اللغة العربية

الدين في عصرنا وعلاقته بالعلم

— ٣ —

كان التيار الذي طبع النصف الاول من القرن التاسع عشر بطابعه — سواء أكان ذلك في الجانب الديني أم الأدبي — هو تيار تلك الحركة القوية التي دعيت في التاريخ باسم الحركة الرومانتيكية ، والتي كانت إحدى نتائج الانقلاب الثوري الفرنسي ، والتي امتد سلطانها إلى أكثر دول الغرب .

ولما كان لا يعنينا الآن من هذه الحركة غير الدين من حيث علاقته بالعلم ، فقد وجب أن نقصر حديثنا اليوم على ذلك . وبمجموع القول في هذا الشأن هو أننا إذا تعقينا الفكر الدينية في ذلك العصر ألقينا أن أسسها العامة في المحيط الثقافي تعتمد على مبادئ « جان جاك رسو » ، « Jean Jacques Rousseau » الذي يمكن أن يعتبر ضمن طلائع تلك الحركة الرومانتيكية ممن أعدوا القول لذلك الانقلاب كله وهيثوا النفوس لاستقباله . ويمكن أن نوجز أقوال « رسو » في الديانة بأنها إيمان تابع من داخل النفس ، ينبثق من شغاف القلب ، ينبجس من أعماق العواطف الإنسانية .

وعلى جملة من القول يمكن حد الدين على حسب قوله بأنه مجموعة من المبادئ التي بلغ الشعور بوجودها أقصى آواجه وإن لم يكن من الممكن التذليل عليها بالبرهان العقلي ، أو تأييدها بالحجة المنطقية القاطعة لأنها لا تعدو كونها وثبات روحانية غير معتمدة على المقدمات العقلية ، ولم تنشئها تأملات نظرية . وموضع هذا الدين هو إرضاء حاجات القلب وقيادة السلوك الخلقى .

ولا جرم أن هذه النظرة إلى الدين تجعله عاطفياً بحتاً وتنتهي به إلى الانفصال نهائياً عن العلم ، بل تجعله ينطق بلغة غير لغة العلم ، ويسير في الحياة على غير نهجه وبغير أسلوبه ، وبهذا يستطيع كل منهما أن يتجه في طريقه نامياً متطوراً انجس الخطين المتوازيين اللذين لا يلتقيان مهما امتدا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن العاطفة قد استطاعت أن تسير الديانة المسيحية

مسايرة تختلف مع مسايرة العقل الذى كثيراً ما يبدو متعارضاً معها، وقد نشأ هذا التعارض من أن مظاهرها تخاطب القلوب والمشاعر أكثر من مخاطبة الفكر، وتعتمد على الحب والإيثار أكثر من اعتمادها على المتعقلات الفلسفية أو المدركات النظرية. ولا ريب أنها تتنوع — عن طريق هذه الاتصالات العاطفية — كثيراً من النتائج الناجحة المثمرة،

وأياً ما كان فإن آراء «روسو» فى الدين والسياسة والأخلاق والتربية كانت — منذ أواخر القرن الثامن عشر — نقطة البدء التى صدرت عنها الأفكار الحديثة فى أوربا كلها، بل كانت أساس النهضة الدينية الجديدة التى تبعت الحركة الرومانتيكية التى بعثت الدين من مرقده بعد تلك الصدمة العنيفة التى تلقاها من الثورة الفرنسية ثم حددت موقفه بإزاء العلم.

وبجمل هذا الموقف إذذاك هو أن الدين لا يعتمد على العقل، بل على القلب، وأن له مبادئه وأسانيده ومنتجاته التى تفرض نفسها فرضاً على العقل باسم سلطان أعلى منه. ولقد انتقل التيار الثقافى فى ذلك العهد بل الحياة كلها من جانب الفكر الذهنى إلى جانب أولئك الذين كانوا — دون أن يأبهوا للعقل الحر ولا للعلم المستقل وأن يعشوا بعقد صلة بينهم وبين الفلسفة — قد جعلوا يتكون الدين يمتد فى حربة معتمداً على سلطانه الذاتية التى لا تعرف لم، ولا تعترف بكيف، وهى القلب والتقاليد والعقيدة، وكان عمل أولئك القوم يكاد يكون محصوراً فى إنماء القوة الروحية وتفخيمها. ولكى تمثل لهذه الحركة يجب أن تشير إلى كاتبين من زعمائها، أحدهما فرنسى، والآخر ألمانى فأما الأول فهو «شاتوبريان» "Chateaubriand" طليعة أدباء فرنسا الذين أيقظوا الحركة الدينية من سباتها واستعادوا لها صحتها التى أنهكتها الثورة، بل أوشكت أن تأنى عليها، وذلك لأن هذا اللون من الإيمان قد بدأ فى فرنسا أديباً قبل كل شيء. ولقد ظهرت طوالها الأولى فى كتاب «عقيدة المسيحية "Le Génie du Christianisme"» تأليف «شاتوبريان».

وبجمل القول فى هذا السفر أن مؤلفه — صادراً عن مبدأ «جان جاك روسو» وهو سيادة سلطان العاطفة — قد عول على أن يبدل الحياتين: الفردية والاجتماعية اللتين لم تكونا بعد قد أفقتا من تلك الهزة القاسية التى أصابتهما بها الثورة الفرنسية فزلزلت كيانهما الدينى أن يدخل فيهما كل الطقوس والتقاليد الكاثوليكية فى صورها العملية وأشكالها الواقعية. وليس هذا فحسب، بل إنه لم يرق فى هذه الطقوس وتلك التقاليد إلا ظواهر ثانوية لا يؤبدها

العقل فضلا عن أنها لا تدخل في نطاقه ألبتة ، وأكثر من ذلك أنه اندفع في هذه السبيل إلى حد أن وضع تفاصيل هذه الظواهر الخارجية في مرتبة واحدة مع ما يحتويه الدين من المبادئ الخلقية السامية ، واتخذ من النوعين كليهما الدليل على سماوية عنصره . ومن أسانيد ذلك عنده أن جميع هذه التفاصيل تتجه مباشرة إلى الخيال وتأسر القلب وتسحر الوجدان الإنسانى وتواسيه ، وتهديه وتقويه ، وتنعشه وتحمسه ، وبالإجمال : ترك فيه أعظم الأثر . ومن العبارات التى وردت فى مؤلفاته فى هذا الشأن قوله : إن السبيل الذى يجب اتباعها اليوم هى الاتجاه من المعلومات ، إلى علها ، والتدليل على أنه ليست المسيحية سامية لأنها من عند الله ، بل لأنها من عند الله لأنها سامية ، وعلى أن ما يشتمل عليه الناقوس من شعر وجدانى يتجه إلى الشعور مباشرة هو أقوى من حجج الاقيسة المنطقية لأننا نشعر بالاول حيا فى كوامن نفوسنا بينما لا تكثرت قلوبنا الثانية .

ومن هذا يقين المرء أن « شانوبريان » شاعر حقا ، وأنه لا يكثر أدنى اكترات بالمعرفة ما دام أن عقيدته وتقاليده التى يعرض بذلك الاسلوب الفصيح البليغ نتائجها الخيرة الساحرة ، وأنه سواء عليه أكانت هذه الثمار نقيجة من أصول موجودة وحقيقة أم كانت مجرد أخيلة عابثة قصدنا بها لإرضاء رغباتنا وأحلامنا .

ومهما يكن من شئ فإن التيار الذى كان يقنأ الحركة الرومانيسكية بفرعها : الدينى والادبى فى أوروبا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ذو تيار تلك الآراء السالفة التى تركز فى أن العاطفة هى القاعدة الوحيدة ، وأن الغاية التى يهدف إليها الإنسان الراقى هى أن يشعر بأنه يحيا ، وأن يهب نفسه تماما للشعر والهوى أو شدة الانفعال والحماة التى تهز النفس ، وأن يفر من المجرذات التى لا تعنى إلا العقل المحض .

وهنا ينبغى أن نسائل أشياخ هذه المبادئ قائلين : ألا تخشون — إذا وهبتم أنفسكم للعواطف على هذا النحو — أن تضعوا أنفسكم على طرفى نقيض مع العلم ؟ ولا ريب أن الجواب على هذا السؤال هو أن الرومانتيكى الاصيل يجهل أو يتجاهل هذه المشكلة ، فبينما يشتغل العالم بالتحليل والتعليل والاستنباط ، نراه هو يسكتفى بأن يحيا ويؤمن ويحب . وأكثر من ذلك أنه هو يعود فيسأل بدوره دهشاً : كيف يجرؤ العلم أن يحاول أن يسلب منه أيقته ؟

وأما ثاني هذين المفكرين فهو «إشلاير ماكير» 'Schleiermacher' الألماني الذي سطع نجمه في أوائل القرن التاسع عشر والذي ثبت ذلك المبدأ الرومانتيكي في قلب الدين وإن كان في صورة أقرب إلى ما بعد الطليعة منها إلى الأسلوب الأدبي الذي انتحاه «شاتوبريان». وهاك بحمل آرائه مرسومة في عباراته .

ليس في مكنة العقل ولا الإرادة نقلنا إلى المنطقة الدينية لأن الدين ليس نوعاً من المعرفة الموضوعية ، ولا لوناً من القواعد الخلقية المقررة ، وإنما هو حياة ومران . ولهذه الحياة منبعها الخاص في أعماق جانب من جوانب كينونتتنا وهو العاطفة . وليس من الممكن الانجاء إلى الدين صدوراً عن المعرفة بالدين ، وبعبارة أوضح . لا يمكن اتخاذ معرفة الدين أساساً للدين ، لأن الدين أمر أولى ينطق به الشعور بادية ذي بدء ، ولأن المرء إذ يشعر بدياً بالأفعال الديني هو يثني بالبحث عن وسيلة يشرح بها دخيلة نفسه ، ويتقرب عن برهان يبرر به الشعور أمام عقله ، ثم هو لا يكتفي بذلك ، بل يحاول أن يوضح طبيعة حالته النفسية وأسبابها .

وهكذا ينتهي به بحثه وتأمله إلى العثور على ضالته المفقودة ، وهي شعوره بالعلاقة المطلقة التي تصل المخلوق بالخالق وليست الحياة الدينية شيئاً آخر سوى إنماء هذا الشعور وإشعاعه ، إذ هو الذي يثير الأفراد بهيئة لا يستطيعها العلم ولا تظفر بها الأخلاق . وهذا الشعور لا يمكن شرحه بوساطة الفكر ، ولكن عن طريق الرموز التي هي وحدها القادرة على تقديم ذلك الشرح إلى الوجدان والتي تجعل نقل بيان الانفعالات الدينية إلى الغير أمراً ممكناً .

على أن العلم نفسه لا يستطيع أن يضع أية عقبة في سبيل خلق الرموز الدينية المختلفة ولا في سبيل قبولها واعتناقها .

وبحمل القول عند «إشلاير ماكير» ، هو أن الموجود أسمى من المعرفة وقبلها ، وأن حياة النفس والعاطفة هي أسمى الحقائق ، وأن كل ما يوجد من مظاهر هذه الحياة الروحية من قواعد وطقوس وتعبيرات وكائنات ومادة ليس له من قيمة إلا بمقدار ما يكون رمزاً لتلك الحقيقة التي هي أسمى من كل تعقل .

بان من كل هذا أن العلائق بين العلم والدين كانت - في النصف الأول من القرن التاسع عشر - إيضاحاً لثنائية كاملة ، فكل من العلم والدين كان مستقلاً عن الآخر في أهم النقط التي تميز كلا منهما على حدة ، فكان العلم يبسط سلطانه على العقل ، بينما يختص الدين بالعاطفة بخطوته ، وبفضل هذا الاستقلال في الساطان ، كان من الممكن وجودهما في وجدان واحد دون منازعة ولا عداوة ، بل قل لهما كما على وثام . وعن طريق هذا الوثام نفسه كان لكل منهما جميع أنواع الامن والاطمئنان والسلام والحرية .

بيد أن هذه الهدنة في الواقع لم تدم إلى منتصف القرن التاسع عشر ، إذ أن مواجهات جديدة لم تلبث أن نشأت بين العلم والدين ، فكان من نتائجها تلك المعارك الحامية الوطيس التي سراها فيما بعد .

المركتور محمد غلوب

من نثر شوقي

الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل . ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر .
من أخل بنفسه في السر ، أخلت به في العلانية . يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة في فناء السجن . الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل .
في الغمر تستوى الأعماق .

المصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات .
العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة .

التعبير في الفن

يذنب أن تعتمد نظريات النقد السليمة على دعائتين هما التقويم والتعبير . ونحن قد لا نستبين الطريقة التي تتخذ بها تجاربنا القالب الذي تصاغ فيه ، فإننا كائنات اجتماعية درجت على التعبير عما يخالجه منذ نشأتها . إلا أنه من الحقائق المعروفة ، أننا نصل إلى كثير من طرق تفكيرنا وشعورنا ، بالوراثة عن آبائنا وأجدادنا . فالتعبير عن هذه الأفكار والمشاعر أبعد غوراً ، وأوغل قدماً مما قد يترامى لنا في كثير من الأحيان . والعقل البشري نفسه ، قد اكتسب تركيبه الخاص ، بحيث يتلام مع عملية التعبير التي شغلت الإنسان منذ مئات الآلاف من السنين التي مرت عليه خلال تطوره ، بل وقبل ذلك بكثير . بل إن كثيراً من السمات التي تميز عقلنا البشري ، تعود إلى وظيفته كآلة نستخدمها في التعبير ...

أما تجاربنا التي تصادفنا في حياتنا ، فلا بد لها أن تتشكل قبل أن نعبر عنها ، بل لأنها لتصاغ في القالب الذهني الذي نستطيع به التعبير عنها . وقد كانت قدرة الإنسان على التعبير عن أغراضه ، والإفصاح عن مراميه ، في مقدمة الأمور التي استغرقت مرحلة طويلة من مراحل الانتخاب الطبيعي .

والفنون هي أسامي قالب يمكن أن ينصرف إليه نشاطنا الفكري ، وقدورتنا التعبيرية . وعلى هذا الضوء يتضح لنا كثير من الأمور المعقدة الغامضة التي قد تثار حول التراكيب والقوالب الفنية ، والتي منها سبق الشكل والقالب على الفكرة والموضوع ، ومنها أيضاً الموضوعية ، وإقصاء المؤثرات الذاتية ، مما يدعو إليه ويلج فيه علماء الجمال في الطبيعة والفن . بيد أنه يذنب لنا اصطناع كثير من الحذر في نظرتنا للفنان ، فهو قوة معبرة ، قلما ترى نفسها في هذا الضوء . فهو حين يأخذ في إبراز تجاربه الذهنية ، لا يلقى إلى جهوده التعبيرية بالا ، ولا يحفل بها قصداً ؛ وحين نسأله عن نتاجه الفكري ، نجده يراه شيئاً جميلاً في ذاته ، يضفي على نفسه الشعور بالهجة والارتياح ، ويعبر عما يخالجه من أحاسيس عميقة وعواطف مشبوبة . أما أن نتاجه سوف يقرأ ، ويتلقى منه الكثيرون ما يختلط به من

تجارب ، وما يداخله من مران ، فكل هذه أمور عرضية ، ومسائل فرعية ، لا تعنيه ولا تدخل في حسابه .

فالفنان لا يتجه قصدا لإتقان التعبير ، بقدر اتجاهه مثلا إلى بلوغ السكال في إبراز قصيدته ، أو مسرحيته ، أو تمثاله ، أو لوحته الفنية ، أو غيرها من نتاج فكري ، يسعى إلى تصويره في الصورة التي تترشح إليها نفسه . وهو يرمى إلى تجسيم زاده الفكري ، ومعينه الذهني ، وجعل نتاجه مطابقا لتجاربه ، ومتفقا مع مرانه كل الاتفاق ، مما يضفي عليه روعة فنية ، قد يغض منها كثيرا توجيه اهتمامه وعنايته للتعبير وحده ، وليس في وسع الفنان أن يترث ليتدبر رأى الجمهور القارىء ، أو الطبقات المثقفة منه خاصة ، في نتاجه الفكري ، وهل يقبل عليه ، أو يعرض عنه . وهو يصيب وينهج النهج القويم حين يبتعد بفنه عن هذه الاعتبارات جميعا . فكثيرا ما أدى تركيز انتباه الأديب أو الفنان في إتقان التعبير ، وفي توجيه نتاجه الفكري لجمهور قارىء (ونستثنى من ذلك قلة نادرة من الفنانين كان شكسبير مثلا إماما لهم) إلى التهور من شأنه والغض من نتاجه الفكري .

ولسنا نبغى بتجاهل الفنان للعنصر التعبيري الذي ينقل فكرته للقارىء ، لسنا نبغى بذلك أن نهون من قيمته وأهميته ، فإن الجهد الذي يبذله الفنان في إخراج نتاجه الفكري سليما متقنا لا بد أن يفتى به ، في تضاعيف الطريقة التي يسلكها ، إلى إبراز الجلال الذي نفشده للفن في مظهره الفكرة والقالب . بل إننا نستطيع القول مطمئنين ، إن الفنان حين يقصد إلى إبراز ما يخالجه من مشاعر وأفكار ، وحين ينصرف عن العناية بالصورة والاحتفال بها ، فإن تلك الصورة نفسها تكون أروع وأبهى منها ، لو أنه أنفق جل وقته وفكره في إتقانها وحدها . ذلك أن مقياس الجمال والجلال في النتاج الفني ، وبالتالي تأثيره في القراء ، إنما يكون بقدر ما يشتمل عليه من النوافق والإنسجام بينه وبين ما يعبر عنه الفنان من تجارب ومران .

ولكن الفنان ، مهما بالغ في الابتعاد عن توجيه نتاجه الفكري لجمهور قارىء ، ومهما أنسكر رغبته في إثارة غرائز الناس ، والتأثير فيهم بما ينقله إليهم من تجارب ، فإنه لن يجد في الواقع دليلا واحدا يصرفنا عن النظر للتعبير والنقل للقراء ، كهدف من أهم أهدافه غير المباشرة ، وغاية من أسمى الغايات التي تنتهى إليها مراهمه

ولطالما أساء النقاد ، وعلما الأخلاق ، ورجال التربية ، وعلما الجمال ، إلى حد بعيد ، فهم الفن ، واستيعاب الدور الذي يمثله بين كافة ألوان النشاط الذهني للإنسان وليس من اليسير تفسير المدى الذي ذهب إليه كل هؤلاء حين أخطأوا فهم "فن ومراميه ، فهم من أرفقت أذواقهم ، ودقت ملكاتهم ، واكتملت مواهب الاستجابة لديهم ، بيد أنهم بلغوا في إساءة فهم الفن ومراميه مبلغاً كبيراً ؛ ومنهم من يعرف ماعية الفن ، وما ينبغي نحوه ، وهؤلاء جلمهم من بين أهل الفن أنفسهم ، غير أنهم أعرضوا عن تفسيره تفسيراً واضحاً جلياً ، وربما وجدده الكثيرون مهم شيئاً بالغاً في الوضوح والجلال ، ومن ثم لم يكن في نظرهم ، في حاجة إلى مزيد من الإيضاح . أما من حاول منهم القيام بتلك المهمة ، فقد خانت اللغة ولم يسعفه التعبير . ولا مرء في أن العقبة العسيرة التي حالت دائماً دون تفسير ألوان الفن واستيعابها ، إنما كانت تكمن دائماً في اللغة والتعبير .

وفي الواقع ، إننا لم نكون يوماً ما في حاجة إلى فهم الفن ، واستيعاب أثره في حياتنا ، بقدر حاجتنا لذلك في الوقت الحاضر ... وربما أخذت تلك الحاجة في الازدياد كلما تقدم بنا الزمن .

وليست الفنون سوى وعاء يودع فيه أهلها أسمى تجاربهم ، وأجدرها بالتسجيل ، فهي ثمرات تنضج في أثنى اللحظات من حياة أشخاص ممتازين . حين تبلغ سيطرتهم على تجاربهم ، وقدرتهم على توجيهها ، مبلغاً كبيراً ، يعينهم على تمحيص الحياة ، والغوص إلى مكنونها ، وكشف أسرارها والنفاذ إلى أعماقها .

ونحن قد نستطيع نقل تجاربنا البسيطة التافهة ، دون الاستعانة بتلك الأدوات الذهنية الرفيعة ، أما التجارب الدقيقة الخفية الغامضة ، فهي تبدو للكثيرين منا بعيدة عن الوصف عصية على التعبير والنقل ؛ إذ أنها لا تخضع لغير الفن ، الذي تجرى في قنواته طبيعة مرآتية ، ولا تلين إلا للفنان . الذي يلهو بها كما يلهو الساحر ببضاعته أمام الناس ، فيملك عليهم لهم ويسلب عنولهم ، ويشغل أسماعهم وأبصارهم .

محمزه محمد السنج

ليسانسيه في الآداب ودبلوم في الصحافة
من جامعة القاهرة

العلم .. بين الاساتذة والطلاب

في هذه الفترة بين عام دراسي أو شك أن ينقضي ، وبين عام جديد يستقبله المدرسون والصلبة بعد أشهر الاستجمام ، رأيت أن أتحدث إلى إخواني مدرسي المعاهد وأبنائهم الطلبة بما ينبغي للفريقين أن يظلموا الأمل فيه عندما يفرغون من فترة الاستجمام ، استعداداً لاستئناف عهد جديد في الحياة الدراسية .

إن أجمل ما فهمه المسلمون من معاني « العلم » ، قول أبي حامد الغزالي فيه : إنه عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله ، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر من الأحداث والاختباث ، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خباثات الاخلاق .

وهذا الفهم الجميل لمعنى العلم في الإسلام إذا كان ينبغي لمدرسي المعاهد الأزهرية وطلبتها أن يجعلوه دستوراً لهم في حياتهم الدراسية في جميع المعاهد ، فإن أولى ما ينبغي لهم أن يتخذوه دستوراً في هذا العهد الذي أخذ يتجدد فيه نظر الأمة إلى جميع أوضاعها استعداداً لاستئناف حياة سعيدة مباركة النتائج وبانعة الثمرات إن شاء الله .

من المأثور على رسول الرحمة ﷺ أنه كان يقول لأصحابه - وهم الطبقة الأولى من طبقة العلم في تاريخ الإسلام - : إنما أنا لكم مثل الوالد لولده

وإن المدرس في المعاهد الإسلامية ينبغي له أن يستقبل سنته الدراسية المقبلة بهذه الروح العالية وبهذا الأدب الإسلامي الرحيم ، فيكون لطافته مثل لوالده مع الولد ، روى الذين دونوا ترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات أنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة ، كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد بن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقى العلم عنه فضح على وجهه رشاشاً من الماء ليجدد له نشاطه شفقة منه عليه ورغبة منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم . ولولا أن محمد بن الحسن

تأدب بأدب الإسلام وعمل بالمبدأ الحمدي في أن يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده لا تنتهز فرصة غلبة النوم على تلميذه وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية ، هذا مع ما نعلمه من مقام الإمام محمد بن الحسن في الدولة وكثرة أعماله العلمية ، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ من أستاذه بمنزلة الولد من الوالد التزم مع أسد بن الفرات هذا الأدب الرحيم ، وكان من نتيجة نبوغ أسد بن الفرات وقيامه لليلة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفضاذا النوايغ من صفوة البشر .

وهذا الشيخ ابن التلساني أحد كبار علماء شمال أفريقيا سألَه السلطان عن مسألة فقال : إن تلميذى فلانا يحسن الجواب عنها ، فوجه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلساني ، فأحسن الجواب ، فأجازه وأحسن منزلته ، وكان ابن التلساني أعلم من تلميذه فيما سألَه عنه السلطان لكنه لا يعتبره تلميذه بمنزلة ولده أراد أن ينوه به في حضرة السلطان كما لو كان ولده حقاً . والطلبة في دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوى من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال . ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبي أن زيد بن ثابت صلى على جنازة ، ثم قربت إليه بغلته ليركبها ، فبادر إليه عبدالله بن عباس فأخذ بزمام البغلة ليساعده على الركوب ، فقال له زيد : خل عنه بابن عم رسول الله ، فأجابه ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء .

وقد حافظ ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا ، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي في كتاب تعليم المتعلم ، وهذا الكتاب ترجمة رولاند إلى اللغة اللاتينية وطبعه في مدينة أوتراخت بألمانيا قبل نحو مائتين وخمسين سنة ، أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه العلم والأدب ، فرآه يوماً يتوضأ وابن الخليفة يصب الماء على رجله فعتب الخليفة على الأصمعي لأنه لم يأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل رجل أستاذه باليد الأخرى ، ورأى أن تقصير ابنه في ذلك تقصير في أدب التلميذ مع أستاذه .

وروى الزرنوجي في هذا الكتاب أيضاً عن شيخه برهان الدين صاحب الهداية أن أحد كبار أئمة بخارى وهو في حلقة درسه في المسجد رأى ابن أستاذه يمر أمام باب المسجد فقام له تعظيماً لحق أستاذه .

وقد علمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رزى بوفاة كبار شيوخه (وكان منهم قاضى القضاة محمد بن عبد السلام والرئيس أبو محمد الحضرمى والعلامة محمد بن ابراهيم الالبلى) ضاق به وطنة فترك مقامه الوجيه الذى وصل إليه فى قصر الإمارة ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى ، لأن مقام أساتذته كان فى نفسه فوق كل مقام .

وهذه الحبة الصحيحة التى يكنها التلميذ لاساتذه هى التى حملت العالم أحمد بن القاضى على أن يقول فى شيخه المنجورى : « وصارت الدنيا تصغر بين عيني ، كلما ذكرت أكل التراب لسانه ، والدود لبنانه ، .

ومن ذلك قول ابن عرفة :-

إذا لم يكن فى مجلس الدرس نكتة وإيضاح أشكال بأحسن صورة

الآيات . فيجيبه تلميذه الابى بقوله :

يمناً بمن أولاك فى العلم رتبة وزان بك الدنيا بأحسن زينة

لمجلسك الأعلى كفيل بكلها على حينما عنه المجالس ولت

ووقت خروج جنازة أستاذنا الشيخ عمر بن الشيخ من منزله ليصلى عليها فى جامع الزيتونة ذكرت خروجه منه لدرس كتاب المواقف والشيخوخ ينتظرونه بموضع الدرس ، وذكرت قول أحد الأساتذة فى قصيدة القاها عند ختم السكتاب :

إذا عمر بن الشيخ وافى لدرسه تعال التقت دار بلم جفان

ففاضت عيناي بالدموع .

إن هذا الأدب الإسلامى الذى جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلاذات أكبادهم ، وجعل من الاساتذة آباء لتلاميذهم ، يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم ، هو الأدب اللائق بنا أن نرجع اليه لنجدد فى تاريخنا عهداً سعيداً ، فنتعم به ونسعد بنعمته ، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الأدب يتألون به من السعادة أضعاف ما يتألون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه .

الختان

نريد عرض بعض المشكلات الجفسية التي تهم الشباب والتي لها ولتوجيهها الوجهة الطبية أثر حسن ، ولكن يمنعنا الحياء لأننا لم نعتد عرض هذه المشكلات على صفحات الصحف والمجلات ، وإن كنا قد اعتدنا معالجتها في الكتب . وقد كدنا نساير هذا الحياء فيما ونمشي على مقتضاه لو لا إلحاح بعض القراء في أن نعالج هذه المشكلات ، وقد رأينا الحاجة ماسة والفائدة مرجوة ، وقد استشرنا الدين فرأيناه يقول لا حياء في الدين ، ورأينا من نساء الصحابة من تسأل النبي ﷺ عن أمور قد يستحي منها ، عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة تحلم في منامها ، فقال إذا رأيت الماء فلتغتسل .

فاعزمت أن نعرض هذه المشكلات : كالعادة السرية وموقف الدين منها ، وكالختان في الذكر والانثى وموقف الدين والعلم منها ، وسنبداً بالكلام على الختان .

الختان في التاريخ :

قال هيرودت المؤرخ اليوناني القديم إن الختان معروف منذ زمن بعيد في مصر والحبشة ومنه يعلم أن المصريين والحبشة كانوا يمارسون الختان منذ زمن متقدم ، ويقال إن السوريين والفيثيين أخذوا عادة الختان عن قدماء المصريين .

وفي سفر التكوين الإصحاح السابع عشر الآية التاسعة وما بعدها إلى الآية الرابعة عشرة : أن الله فرضه على إبراهيم وعلى جميع ذريته وجعله علامة الاتفاق والعهد بينه وبينهم .

وهو مذكور أيضاً في قوانين موسى سفر اللاويين الإصحاح الثاني عشر الآية الثالثة وسفر الخروج الثاني عشر الآية ٤٥ و ٤٨ ، وقد حرص عليه اليهود فهم يختنون أطفالهم الذكور في اليوم الثامن بعد ميلادهم .

وكان الختان متبعاً في أول عهود المسيحية ثم نبذه الرسل ولم تأخذ به الكنيسة فلم يبق إلا في الحبشة .

وللختان عند اليهود قيمة رمزية إذ أنه عبارة عن عهد مبرم بين الله وإسرائيل يزيه الدم ، وهو تعبير عن طهارة النفس ، وكان أنبياء إسرائيل يسمونه طهارة القلب ، ووجد الرحالون عادة الختان متبعة في جميع أنحاء إفريقيا السوداء ، ويظهر أن شعوب الأريتكيين في أمريكا القديمة كانوا يعرفونها ، كما أنها مألوفة بين الشعوب الاسترالية الأصلية .

والمسلمون يؤدون عملية الختان بناء عن أمر الرسول بها ، وهم يختلفون في سن الثامنة وما بعدها من العمر .

وللختان فوائد صحية وهو وقاية من أمراض تنشأ عن الالتهاب الجلدى .

والخفاز وختان الانثى ، غير منتشر انتشار ختان الذكور ، وهو معروف بين الساميين والهاميين في جنوب غرب آسيا وفي إفريقيا ، وبين الزوج في جنوب إفريقيا وشرقها ، وفي غرب السودان ، وعند قبائل أخرى ممن تسمى بالشعوب البدائية في وسط إفريقيا وفي أستراليا وفي أمريكا ، ويلاحظ أن الآلات التي تستعمل في الخفاز عند هذه الشعوب الأخيرة هي آلات بدائية مما يدل على أن هذه العادة ترجع إلى أقدم العصور .

الختان عند المسلمين :

هو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص ، قال الماوردى ختان الذكر قطع الجلدة التي تغطى الحشفة والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة وأقل ما يجرىء الألبق منها ما يتغشى به ، وقال إمام الحرمين المستحق في الرجال قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطى الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شيء يتدلى ، ونقل عن الرافعي أنه يتأدى الواجب بقطع شيء مما فوق الحشفة وإن قل ، بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها ، قال النووي وهو شاذ والاول هو المعتمد ، والمستحق من ختان المرأة ما ينطلق عليه الاسم ، وقال الماوردى ختانها قطع جلدة تكون في أعلى فرجها كالنواة أو كعرف الديك ، ويطلب ألا تستأصل .

مذاهب فقهاء الإسلام في الختان وأولهم :

وأقوال علماء الفقه في الختان ثلاثة : الأول أنه واجب في حق الرجال والنساء ، والثاني أنه سنة فيهما ، والثالث أنه واجب في الرجال دون النساء . حجة أصحاب القول الأول قوله صلى الله عليه وسلم من أسلم فليختن ، وقوله لأم عطية ، وكانت خافضة أشهى : ولا تنهكى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : يا نساء الانصار اختضبن غمسا واختفضن ولا تنهكن وإيا كن وكفران النعم .

وهذه الأحاديث طعن في رجالها حتى قال ابن المنذر : ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع ^(١) وحجة أصحاب القول الثاني قوله صلى الله عليه وسلم : الختان سنة في الرجال

(١) ومن ذكر أحاديث الختان ونقد العلماء لها الامام محمد بن علي التوكاني في نيل الاوطار

مكرمة في النساء ، وقد طعن أيضا في رجاله ومع كونه لا يحتاج به ليس فيه ما يدل على المطلوب لأن السنة في لسان الشارع أعم من السنة في اصطلاح الأصوليين ، والحق أنه لم يعم دليل صحيح يدل على الوجوب في النساء .

وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعي لبيان حكمه في الشرع ، والعالم بوظائف الأعضاء لبيان وظيفة هذا العضو الذي يقع عليه الخفاض والعالم الاجتماعي لبيان آثار الخفاض الاجتماعية : أي آثار حسنة أم آثار سيئة .

وعلم وظائف الأعضاء يرى أن هذا العضو حساس وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، وأن قطعه وإنهاك يبعد الشهوة ، وإتمام العملية من المرأة الذي به تتم عملية الإخصاب ، ومن ذلك يرى بعض علماء الاجتماع أن الخفاض سبب في انتشار المخدرات في البلاد التي تزاوله ومنها مصر لأن الزوج يجد شهوته أقرب من شهوتها ، وأنه ينهى قبل انتهائها ، ويشعر أن هذا يجعل العملية ناقصة تسبب ألما للزوجة وذلك يدعو إلى بغضها فيريد أن يكمل هذا النقص فيه ويجعل موافاة الشهوتين على قدره فيستعين ببعض العقاقير التي شاع خطأ أنها تبطل موافاة الماء من الرجل وذلك الحشيش والافيون والمعاجين التي يدخلان في عناصرها ويزيدون فيقولون :

إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والافيون والمواد المخدرة فينبغي القضاء على أسبابها وهو خفاض المرأة لتسكون المرأة طبيعية ويكون الرجل طبيعياً فلا يحتاج إلى هذه المواد كعنصر مساعد .

وأن على العالم الشرعي بعد ذلك أن يبحث في نصوص الشرع ويرى هل هذه النصوص ملزمة حتما للخفاض فلا مندوحة عنه ، أم ليست كذلك ففيه مندوحة عنه . قد علمنا أقوال الفقهاء وأقوال رجال العلم في ختان المرأة ، وعلمنا أن من الفقهاء من قال بأنه مكرمة وليس بواجب ومنهم من قال ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع .

والعلم يرى أنه يضر بالحياة الزوجية ويؤدي إلى انتشار المخدرات بين الرجال ، فإذا ثبت كل ذلك فأمره سهل جداً فليس على من لم تحتن من النساء من بأس ومن اختنت فيجب ألا ينهك هذا العضو منها ، وإذا منع في مصر كما منع في بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس ، والله الموفق للصواب .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

الفكاهة في الأدب العربي

إن الضحك خلة إنسانية ، ولذا قال بعض الفلاسفة في تعريف الإنسان : إنه حيوان ضاحك ، كما قال البعض الآخر : إنه حيوان ناطق .

وذلك لأن الضحك ظاهرة تفرد بها دون سائر الحيوان .

أما قهقهة القرد فليست من الضحك إلا في الصورة والصوت ، والبيغاء قد تحاكي الإنسان الضاحك كما تحاكي الإنسان المتكلم .

ولكنها جميعاً أصدا وأصوات ليس لها من التمييز المنطقي نصيب .

فالضحك ظاهرة نفسية يعبر بها الضاحك عن حالة عقلية ولكن لماذا يضحك الضاحك ؟ .

لقد بحث كثير من الفلاسفة وعلماء النفس في هذه الظاهرة ، واختلفت آراؤهم في تعليلها .

ففریق يرى أن الضحك حركة جسمية أو عملية جثمانية تنشأ من تحول الإحساس فجأة من الأعصاب إلى العضلات . فإن من المقرر في علم النفس أن التأثير إذا اشتد وألحف على الأعصاب تجاوزها إلى العضلات فظهر عليها في حركة عنيفة أو رفيقة على حسب قوته واشتداده .

فإذا حبس التأثير أو الانفعال في طريقه فجأة . تحول بغير إرادتنا من الأعصاب إلى أسهل العضلات حركة وأسرعها تأثراً وهي عضلات الوجه والشفيتين ثم عضلات العنق والرتين فتتحرك بالانقسام أو بالضحك أو بالقهقهة ، أو بالوقوف والاختلاج عند من يغلبه الضحك وتهتز له عضلات الجسم كله .

والدليل على ذلك عند أصحاب هذا الرأي هو أننا نضحك إذا غلبنا التأثير وتحول من العصب إلى العضل أياً كان الموحى به والباعث عليه ، فنضحك من الغيظ والالام ، ونضحك الضحكة المستيرية التي يفرج بها المسكروب عن أعصابه المكظومة كأنها يخفف عنها بنقل شيء من ضغط الاحساس عليها إلى العضلات .

والفكاهة تضحكننا لأنها تفاجيء التفكير بحالة غير مرتقبة وتعجله عن انتظار النتيجة في طريقها الممهد للمألوف .

ومن أصحاب هذا الرأي (هربرت سبنسر) وهو من فلاسفة القرن التاسع عشر .
ففي كل نكتة أو فكاهة ، شيء من هذا التحول ، ولذلك تعد النكتة أو الفكاهة باردة إذا لم تكن محكمة للتلفيق ، متفقة للزيف ، بحيث تهجم على الاحساس هجومًا وتفاجيء الذهن مفاجأة .

وهناك مذهب يقول : إن علة الضحك في الفكاهة هي اختلال في القياس أو الاطراد على نسق واحد لا يوجب الاطراد . فالفكاهة إنما تنبع من الحقائق المتباعدة والصور المتناقضة كقول ابن الرومي في رجل اصلع :

ياخذ أعلى الوجه من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله

فقد ألف بين صورتين متباعدتين ، وهما أن صلح الرجل جعل وجهه مغيراً على رأسه أخذاً منه كما أن نزايد نهار الصيف يحني من تناقص ليله .

والضحك في رأى (مكندوجل) هو وسيلة ابتكرتها الطبيعة لنشئ ما يشبه التوازن في نفسية الإنسان ، فهو مضطر بحكم اجتماعه بسائر الأفراد ، وبحكم ما غرز في جبلته من ميل نحو مشاركة الغير في همومه وأحزانه أن يحمل كثيراً من مصائب الناس . ولو كلفه المجتمع من هذا العبء ما يكلفه دون أن يحد منه أو ييسر عليه حمله ، لعدده ذلك العبء وبهظه .

فكان حتماً إذن أن نضحك من غيرنا في المصائب الصغرى لنحزن معهم في الكوارث الكبرى . فإذا خدش القط لإصبع الطفل ثار منا الضحك ، أما إذا عضه كلب فهشم أصابعه فإنه يتحرك في نفوسنا الحزن والأسف .

وإذا أصيب رجل في وجهه برذاذ من الوحل ضحكنا ، أما إذا أصابته شظايا قنبلة فعرضته للخطر حزنا وأسفنا .

ولعل هذا هو السر في قوله تعالى Emmنا على خلقه ، مذكرا لهم بفضلهم ومقدرتهم ، ولأنه هو أخذك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، .

يقول الجاحظ في كتابه البخله تعليقاً على هذه الآية :

فوضع الضحك بازاء الحياة ، ووضع البكاء بازاء الموت ، والله لا يضيف إلى نفسه القبيح ولا يئن على خلقه بالنقص .

والرأى عندى أنه ليس للضحك علة واحدة أو سبب واحد ، فالتماس علة واحدة لجميع الضحك خطأ لا يؤدي إلى رأى صائب . لأن الضحك وإن كان اسمه واحدا إلا أنه ليس بظاهرة واحدة حتى يكون له سبب واحد .

أما الأهداف التي تستعمل لها الفكاهة أو الضحك فكثيرة ، منها :

أولا : أن الفكاهة وسيلة يهون بها الإنسان على نفسه عبء الحاضر كما يدركه بالنسيان كوارث الماضى ويستعين بالأمل المشرق على ظلمة الغيب المجهول . وليس الإنسان منصرف ولا بعيد عن هذه السبل الثلاثة يخفف بها عنت الزمان وقسوة الحداث . فلولا نعمة النسيان لآزدهمت الذاكرة بفواحش الماضى حتى تنوء بحملها . ولولا الأمل لاجتمعت مخاوف المستقبل فترتد أمامها الإنسان جازعاً فازعاً . ولولا الضحك نواجه به الحاضر لكان لنا من حادثاته ما ينقض ظهورنا ويهد كيانتنا .

ثانياً : أن الفكاهة أداة اصططنعها المجتمع لتأديب أفرادها ، فقد تواضع الناس في كل جماعة على لون من السلوك لا يجوز للفرد أن يخرج عليه إلا إذا أراد أن يضع نفسه موضع الضحك المتصل ، والفكاهة الاذعة حتى يرتد إلى حظيرة المجتمع .

فالضحك أو الفكاهة في هذه الحالة سوط من أسواط التأديب ووسيلة من وسائل الإصلاح . أنظر إلى قول المتنبي في رجلين قتلا جرذاً وأبرزاه ليعجب الناس من كبره .

وأياك كان من خلفه فإن به عضة في الذنب

فهذه صورة فكهة مضحكة في هذا البيت : صورة شجار بين رجلين وبين جرذ ، فادعى الشاعر - ليسخر منهما ويستزىء من نخرهما - أن أحدهما قد عض الجرذ في ذنبه .

وهنا تختلط الفكاهة بالسخرية ، فينبغى أن نفرق بينهما .

السخرية من العقل ، والفكاهة من القلب ، فالساخر ينال غيره والفكه قد ينال نفسه . والساخر يترفع ، والفكه يتساوى ويتزل ، فالساخر من الارستوقراطية ، والفكاهة من الديمقراطية .

وأكثر السخرية سيء خبيث ، وأكثر الفكاهة ودود لطيف .

والسخر يطعن ، والفكاهة تصدم .

على أن من السخرية ما هو رفيع لين يمازجه العطف ويخالطه الرفق وفيه ضحك ، وربما يستخدم في الأغراض التي تستخدم فيها الفكاهة .

الهدف الثالث من الفكاهة هو أنها تستخدم لونا من ألوان الحجية ، وضربا من ضروب البرهان ، وطريقا من طرق الاقتناع . وأوضح مثل لذلك الجاحظ في كتاباته ، فكان يخلط الحقيقة الجافة بالفكاهة الحلوة ، والجهد المسمم بالضحك المأنوس ، والبرهان المقنع بالتهكم الموجه .

لقد توفرت لديه كل أركان الفكاهة السائغة ، والدعابة المسكتة من قصر في القامة وجحوظ في العينين ، وسواد في الوجه ، ودمامة في الخلقة ، وبشاعة في المنظر .

وقديما اشتهر بشار بالدعابة المسكتة ، والفكاهة والذكسة اللاذعة المخرجة .

روى صاحب الأغاني عن بعض الكوفيين يقول :

مررت ببشار وهو منبطح على الأرض كأنه جاموسة فقلت له يا أبامعاذ من القائل :

في حلتى جسم فنى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال : أنا .

قلت فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إنى لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها

الأمم الخالية ما حركتك من موضعك .

فقال بشار : من أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

فقال : يا أهل الكوفة ، لا تدعون ثقاكم ومقتكم على كل حال .

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدي ، وبشار بين يديه ينشد قصيدة امتدحه بها .

فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد - وكانت فيه غفلة - فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟

فقال بشار : أنقب اللؤلؤ .

فضحك المهدي ثم قال لبشار : اعزب ويك ، أتتنا در على خالي ؟ فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ثم يسأله عن صناعته .

أنى الجاحظ يوما ثقیل فقال له : قد سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلبنى منها . قال الجاحظ : نعم .

فقال له الثقيل : إذا قال لى شخص يا ثقیل الروح ، فأى شيء أقول له ؟ .

فقال له الجاحظ : قل له صدقت يا هذا ولم تكذب .

وقال الجاحظ مرة : ما أخجلنى أحد مثل امرأة رأيته في مدينة العسكر ببغداد ، وكانت طويلة القامة وكنيت على طعام ، فأردت أن أمازحها فقلت : أنزلى كلى معنا . فقالت : أصعد أنت حتى ترى الدنيا .

والهدف الرابع من أهداف الفكاهة هو التظرف فحسب .

والهدف الخامس أنها قد تتخذ وسيلة لتحميلها خبيث الآراء وفساد المعتقدات ، والتواورى وراءها لفشر الخطر من الآراء التى لا تبيح قوانين المجتمع نشرها . فقراراً من العقاب ونجاة من الاذى يلبسون الفكاهة تلك المذاهب ويحملون النككة تلك الآراء .

كما حكى الجاحظ عن الشرقى القطامى أن ابن أبى عتيق لقي عائشة رضى الله عنها على بغلة فقال : إلى أين يا أماء ؟

فقالت له : أصلح بين حبين تقاتلا .

فقال ابن أبى عتيق عزمت عليك إلا ما رجعت ، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة .

فهذه حكاية أوردها الشرقى لغله ودغله على وجه النادرة لتحفظ ، وبضحك منها ويتهالق بها من غفل وقلت فطنته ، فيكون ذلك أنجع وأنفع لما أراد من التعرض لقدر أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومثل هذه الفكاهات كثيرا ما تصدر من المتزندقين والملاحدين والإباحيين الخارجين على قوانين الاخلاق وتقاليد المجتمع .

استأذن أبو العيلاء يوما على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول فانتظر .

فلما أبطل أذنه قال للحاجب : ما يصنع الوزير ؟ قال يصلى . فقال صدقت ، لكل جديد لذة . يعيره بأنه حديث عهد بالإسلام ، والهدف السادس أن الفكاهة تتخذ وسيلة من وسائل الشفاعات والتوسط فى قضاء الحاجات لما يعقبها من سرور وما يكتنفها من خفة ومرح . فكم من ظريفة من الخطاب ومليحة من الجواب خلصت من الهلاك .
قال الاصمعى :

خرج الحجاج متصيدا فوقف على أعرابي يرعى لبلا وقد انقطع الحجاج عن أصحابه .
فقال : يا أعرابي ، كيف سيرة أميركم الحجاج ؟
فقال الأعرابي : غشوم ظلوم ، لا حياء الله ولا بياء .
قال الحجاج : فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين .
فقال الأعرابي : هو أظلم منه وأغشم ، عليه لعنة الله .
قال الاصمعى : فبينا هو كذلك إذ أحاطت بالحجاج جنوده ، فأرما إلى الأعرابي فأخذ وحمل .

فلما صار معهم قال : من هذا ؟ قالوا : الأمير الحجاج .
فعلم الرجل أنه قد أحيط به ، لحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، فناداه : أيها الأمير .
قال : ما تشاء يا أعرابي ؟
قال : أحب أن يكون السر الذى بينى وبينك مكتوما .
فضحك الحجاج وخلي سبيله .
ففكاهة الامة مرآة تصور أخلاقها وأسرار مزاجها .
رلاهل مصر شهرة فائقة فى الفكاهات والدعاية نخفة فى الروح وظرف فى النفس وصفاء فى الطبع وبديهة فى الجواب .
كان للمرحوم الاستاذ عثمان لبيب الذى كان أستاذاً للرياضة بدار العلوم حمار يتنقل عليه فى دروب القاهرة وفى الذهاب للقيام بعمله ، فسرقه اللصوص .
فبلغ الخبر المرحوم الاستاذ محمود سلامه صاحب جريدة الواعظ ، فقال يرئ الحمار المسروق مداعباً مفاكها :

قف بسوق الخير وانظر ملياً هل ترى أدهما أغر الحيا

خلسته يد اللصوص صباحا	موكفاً ملجماً معداً مهبياً
نقلاً اصطبله وأصبح قاعاً	صفصفاً غاوى العروش خليفاً
كان يا حسرتاً عليه صبوراً	قانع النفس راضياً مرضياً
كم ليال على الطوى قد طواها	حامداً شاكراً ولم يشك شياً
لا لفقر وضيق عيش ولكن	كان في الزهد راغباً وتقياً
لو أتاح الإله للبهيم رسلاً	كان في أمة الحـمير ندياً
ليت شعري أين الأمان وهذا	جحش عثمان قد عدمناه حياً
كان عوناً له إذا رام ظعننا	وخليلاً لدى المقام صفياً
كان ان قلت (هش) أجابك طوعاً	وإن قلت (حـا) انتضى سمهرياً
لك خير العزاء عثمان ، أما	سالبوه فسوف يلقون غياً

عبد الوهاب محمود

أستاذ الأدب العربي - كلية الآداب بجامعة فؤاد

أول مدرسة للطب في أوروبا

أول مدرسة أنشئت للطب في أوروبا هي المدرسة التي أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموي في قرطبة .

وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم في عهد العرب ، بما لم يكن له نظير في أى مملكة أوروبية أخرى يومئذ .

بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية في جنوب فرنسا كان للعرب فضل في تأسيسها .

نظرات في كتاب الأموال

في الفقه الإسلامي

للدكتور محمد يوسف موسى

هذا كتاب في الفقه وضع على نمط جديد . وهو تذليل سبل الفقه وجمع أطراف مباحثه وتقريبه من لغة القانون ونهج الدراسات الحقوقية في هذا العصر . وقد استتبع هذا ذكر آراء الفقهاء ووجهة أنظارهم واختيار أدناها إلى مصالح الناس ، مع ذكر رأى القانون بجانب الفقه ، فكان في ذلك دراسة متمعة مفيدة . وكان هذا منهاجاً مفيداً لما يسمونه « الفقه المقارن » وأحسب أن « الفقه المقارن » ، حل محل علم يتصل بالفقه ؛ كان يعنى به قديماً ، وقد وضعت فيه التصانيف العديدة ، وهو علم الخلاف . وأساسه ذكر المسائل الفقهية المختلف فيها ، وذكر الأدلة المذهبية والحجاج لها . وينتصر صاحب الكتاب لمذهبه . وقد يتبع سبيل النصفه ، فلا يبالي أن ينتصر لغير مذهبه . وقد بقى بعض هذا في كتب الحنفية ، فهي تعرض لخلاف الشافعية ، وتطيل في ذكر حججهم والرد عليها .

ولقد أبان الأستاذ الصديق الدكتور محمد يوسف موسى الباحث له على هذه الخطة المبدعة في الفصل الذى جعل عنوانه : «^(١) الغرض من دراسة الفقه الإسلامى » . ذلك أنه حدث في الآونة الأخيرة في عصرنا أن مال بعض من يوكل إليهم سن القوانين في مصر إلى جعل الشريعة هى الأساس الأول الذى يبنى عليه التشريع ، بعد إقرار مؤثر القانون المقارن الذى عقد في لاهى سنة ١٩٣٨ باعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع . وقد ذكر في هذا الصدد أن من العقبات في هذا الغرض الكريم عسر فهم الشريعة من مصادرها الحالية ، ونأياها عن الطرق المذلة التى جرت عليها دراسة القانون . فانتدب الأستاذ للقيام بهذا العمل النبيل وهو خير من يتولى هذا الأمر ، فقد حذى الثقافة الأزهرية والثقافة الغربية التى هى عماد القانون .

وقد بدأ عمله بدراسة (العقد) في الفقه الإسلامى . والعقد أساس المعاملات ، وبحوثه متفرقة في كتب الفقهاء . فعنى المؤلف بجمعها ، وتكوين وحدة متماسكة منها ، حتى يداون المدارس على بيئة منها ، وعلى بصيرة في أحكامها ، وفهم لمراميها .

وصدر الأستاذ كتابه بمدخل لدراسة الفقه ، ضمنه علماً جماً ، ومعرفة واسعة في تاريخ التشريع والمذاهب الفقهية ورجالاتها ، وأصول الفقه ، وغير ذلك من الدراسات الجليلة .

ولقد أشاد المؤلف بالفقه الإسلامي ، وأبان عن مآثره ، وجلى من مزاياه وفضله على القانون في الفصل الذي عقده تحت عنوان «^(١) طبيعة الفقه الإسلامي وخصائصه ، وهو فصل لا يبين فضله إلا بقراءته ؛ فهو عظيم الخطر ، حميد الأثر .

هذا الكتاب إذن حري بحسن الاستقبال ، خليف أن يكرم ويعرف له حقه . وقد نال هذا ، فأحسن الناس استقباله . وعرفوا له مكاتته وشأنه .

ومن حسن استقباله أن يدرسه الدارسون ، وينقده الناقدون ، وأن يتناول كل ما فيه من دققة وجليلة بالبحث والتحصيل .

وكتبت مجلة الأزهر الجليلة في جزء شعبان ١٣٧٢ (ص ١٠١٨) عن الكتاب فقرظته ونوهت به ، وأولته حقه من الثناء بما هو أهله .

والكتاب الذي عرض اكبرى المسائل وأجل البحوث والدراسات العالية ينبغي أن تمكث الكتابة عنه ، وتسجل شتى النظرات فيه ، عرفانا بجلاله وخطره .

لهذا لم أر من الحديث المعاد ولا الكلام المسكرور أن أعيد النظر فيه وأن أدون نظرائي في هذا البحث .

وهمسى أن أذكر بعض ماغض في الكتاب رغبة في استجلائه ، أو بعض أشياء أرى فيها غير ما يرى الأستاذ ، وسيلينا جميعاً إن شاء الله التهدي للحق ، وابتغاء طريقه .

١ — في ص ٢٢ عرض الأستاذ للسنة ، المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن ، وليبيان الرسول عليه الصلاة والسلام للأحكام ، وهو في هذا يقول : « فكان الرسول إذا سئل عن مسألة أو جدت حادثة تقتضى حكماً من الشارع ينتظر الوحي السماوى ، فإن نزل بالمراد فيها ، وإلا كان هذا إيذاناً من الله بأنه وكل إلى رسوله أن ينطق بالتشريع اللازم ، ومعلوم أنه لا ينطق عن الهوى ، وأحياناً أخرى كان الرسول يجتهد في الحكم ثم يصدر رأيه . وهنا لا يقره الله على هذا رأى إلا إذا كان صواباً ، وقد وقفت عند الحالة الثانية ماذا يراد بها ،

إن هنا فروضاً ثلاثة: أن يوكل إليه التشريع بمقتضى الوحي، أو بمقتضى اجتهاده، أو يصدر التشريع من تلقاء نفسه، لا يعتمد فيه على وحي ولا على اجتهاد.

والفرضان الأولان لا مجال للمصير إليهما؛ لأنهما الحالة الأولى والثالثة، والحالة الثانية مباينة لهما، فلا تدخل في إحداهما. فالحالة الثانية اذن أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يشرع الأحكام من غير استناد إلى وحي ولا اجتهاد، فهو لا يتلقى الحكم من الوحي، ولا يقيس على ما جاء من الوحي أو يستلهم روح الشريعة - كما يعبر المؤلف عن الاجتهاد في بعض الأحيان - وإنما يرتجل الحكم ارتجالاً. فهل يريد المؤلف هذا؟

يقول المؤلف في ص ١٣٨: «أساس هذا الفقه إذاً هو وحي الله تعالى. هذا الوحي الذى نجمده في كتابه الكريم. وسنة رسوله العظيم الذى لا ينطق عن الهوى، فتراه يجعل السنة راجعة إلى الوحي. وهذا يوافق ما نقله المؤلف في ص ١١١ عن الأوزاعي إذ يقول: «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره، فإنه كان مبلغاً عن الله، ويقول الغزالي في المستصفى ١/١٢٩: «إن بعض الوحي يتلى فيسمى كتاباً، وبعضه لا يتلى وهو السنة».

وفي الحق أن ما يرد في السنة من الأحكام قد يرد تطبيقاً لقاعدة سبق تشريعها. وهذا أمره ظاهر، ولا يقال: إنه ثابت بالاجتهاد، فأمره أيسر أن يحتاج إلى ذلك. ومن أمثلته ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن شراء التمر بالرطب، فقال النبي ﷺ: «أينقص الرطب إذا ببس؟ قالوا: نعم فنهى عن ذلك. رواه الشافعي في الرسالة ٣٢٢، وهو في الموطأ.

ومن السنة ما جاء بوحي ظاهر لا مرية فيه، وذلك كبيان الصلاة وأنها خمس، فقد أوحى إليه ذلك في ليلة الإسراء، كما هو معروف، ومن ذلك مقادير الزكاة، وغيرها، وهذا يطرد في سائر السنة.

ولإذا قيل إن السنة مبنية للكتاب فارجع البيان للوحي. ويذكر المؤلف في عدة مواضع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يستلهم في البيان روح القرآن ومقاصده، وذلك كما ذكره مثلاً في ص ٢٧. ومن البين أن المجمع كالصلاة والزكاة لا يبين باستلهم روح القرآن ومقاصده. بل لا بد في هذا من البيان الصريح بتلقاه الرسول عليه الصلاة

والسلام من الشارع الحكيم ، وحظه من ذلك التبليغ ، وهذا على حين لا يزال الوحي ينزل
ليبان المجمل وتقييد المطلق وتجلية اللبس والإبانة عن الأمر بالحق اليقين ، وهذا هو الذي
استقر عليه الفقهاء والاصوليون ودانوا به ، ولزموه مذهبا لهم وإماما .

على أن إعطاء الرسول عليه الصلاة والسلام سلطان التشريع رأى قال به قوم في بدء
البحث في هذه الأمور ، ورغب الناس عنه ، وصار قولاً مهمجوراً . وقد حكاه الشافعي
في الرسالة ^(١) إذ يقول : « والوجه الثالث ما سن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص
كتاب . فمنهم من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته ، وسبق في علمه من توفيقه
لرضاه ، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب » . وقد احتج الشافعي بعد للقول أن كل ما جاء
به الرسول عليه الصلاة والسلام بالوحي أو بما يلقي في روعه .

ونرى هذا الرأي بعد مسألة نظرية جوازبة غير واقعية . وقد ذكرها أبو اسحق الشيرازي
في اللع في أواخر السكتاب حيث يقول : « ويجوز أن يتعبد الله نبيه ﷺ بوضع الشرع ،
فيقول له : افرض وسن ما ترى أنه مصلحة للخلق . وقال أكثر القدرية : لا يجوز . وهذا
خطأ ؛ لأنه ليس في تجويز ذلك إحالة ولا فساد ، فوجب أن يكون جائزاً » .

٢ — وفي ص ٢٦ يذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي بين أن المراد
بشهر رمضان « الشهر القمري لا الشمسي ، وأن الصوم يكون من الفجر إلى الغروب » .
ورمضان من الشهور العربية القمرية ، وهو في ذلك غنى عن البيان . ووقت الصوم ورد به
البيان في قوله تعالى : وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود
من الفجر ثم أتوا الصيام إلى الليل . اللهم إلا أن يرى المؤلف إلى ما وقع فيه بعض المسلمين
من حمل الخيط الأبيض والخيط الأسود على حقيقتهما . وقد رمى بالغفلة وقلة الفطنة .
« ^(٢) وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعيد قال : نزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم
ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين
له رؤيتهما ، فأنزل الله (من الفجر) فملأوا أنه يعني بذلك بياض النهار » .

(١) ص ٩٢ طبعة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر .

(٢) تفسير القرطبي ٢ / ٣١٩

٣ — وفي ص ٢٤ في الحديث عن اجتهاده عليه الصلاة والسلام ندت من الكاتب كلمة وددت لو لم يقع فيها ، ولا مرية أنها فلتة لم يلق إليها بالا . وذلك إذ يقول : « فقول الله تعالى . (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ينطوى على أن الرسول لم يصحبه توفيق الله في اجتهاده وإذنه لمن استأذنه ، .

٤ — وفي ص ١٢٠ يذكر عن السنة أنها تقيء في الاحتجاج بعد الكتاب ، ثم يقول : « فلا يصار إليها إلا عند عدم نص من القرآن بنى بما يريد ، والعمد بالفقهاء أن يستدلوا على الحكم بالكتاب والسنة ، ويتطلبوا السنة فيما جاء به الكتاب ، ويقول الشافعي في الرسالة : « فلم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا منها على وجهين والوجهان يجتمعان ويتفرعان . أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل نص الكتاب ، .

٥ — وفي ص ٤٢ يذكر أن علياً رضي الله عنه رد حديثاً رواه معقل بن سنان في المفوضة التي مات عنها زوجها دون أن يسمى لها مهراً ، وآثر أن يقيس هذه المسألة على الطلاق ، ولم يأخذ بما في الخبر أن لها مهر مثلها . ويقول المؤلف : « فقدم القياس على خبر الواحد ، وهو مذهب الاحناف ، على حين أن عبد الله بن مسعود لا يرى هذا القياس بل يرى الأخذ بخبر الواحد الذي رواه عن الرسول معقل بن سنان ، . ويتضمن هذا الكلام أمرين :

الامر الأول أن الإمام علياً رضي الله عنه يقدم القياس على خبر الواحد ، وهذا يكاد يكون مخالفاً لما استقر عليه الاجماع أن الصحابة كلهم يأخذون بخبر الواحد ، ولا يلجأون الى القياس ما وجدوا خبراً عن الرسول عليه الصلاة والسلام وإنما كان همهم أن يستوفوا من الرواية وتختلف طرقهم في ذلك .

والمرئى عن علي رضي الله عنه أنه كان يستحلف من يروى له الخبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويقول أبو إسحق الشيرازى في اللع^(٢) : « وكان على - كرم الله وجهه - يرجع إلى أخبار الآحاد ، ويستظهر فيها باليمين . وقال : إذا حدثني أحد عن رسول الله ﷺ أحلفته

فإذا حلف صدقته ، إلا أبا بكر . وحدثنى أبو بكر ، وصدق أبو بكر ، . وكان أبا يوسف صاحب أبي حنيفة لم يبلغه خبر علي على تمامه ، فهو يقول (١) : « وكان علي بن أبي طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ » .

وقد لاحظ هذا الشيخ الحضري فكتب في حاشية كتاب « التشريع الإسلامي ، تعقيباً على كلام أبي يوسف (٢) » المعروف أنه كان يستحلف الرواة . وقد منا ذلك ، وهو يشير إلى ما جاء في ص ١٢٦ من كتابه ، وهو في معنى ما رواه أبو إسحق الشيرازي ، وإنما رد على رضى الله عنه خبر معقل لأنه رآه أعرابياً لا يضبط ما يروى . ويذكر صاحب التلويح في أصول الحنفية أن علياً قال فيه : « ما نصنع بقول أعرابي بوال على هتفيه ، فرد خبره لأنه خبر واحد . ولا يمكنه لأنه لم يستأهل أن يكون من أهل الرواية عنده .

ويذكر المؤلف أن القياس في مسألة المفوضة لا يتفق مع خبر معقل . وهذا بالنظر إلى الطلاق . وهناك قياس أظهر منه ، وهو القياس على الدخول ، فإن الموت والدخول يجتمعان في إيجاب العدة ، فالموت يوجب المهر كالدخول وهذا ما جاء به خبر معقل . وقد أخذ الحنفية بهذا ؛ كما في التلويح .

والأمر الثاني أن الحنفية يقدمون القياس على خبر الواحد . وليس هذا صحيحاً على إطلاقه ، فعندهم أن الراوى إذا كان من أهل الفقه والرواية قدم خبره على القياس . ولم في هذا تفصيل يعلم من كتبهم .

(للبحث بقية)

محمد علي النجار

(١) انظر الأم قشاشي ٣٠٨/٧ في سير الأوزاعي .

(٢) ص ٢٠٢ طبعة المكتبة التجارية .

كِتَابُ غَيْرِ رَبَّةٍ عَنِ الْإِسْلَامِ

١ - الدين المقارن : للدكتور ا. س. بوكيه - ١٩٥٠ - ٣١٩ صفحة

Comparative Religion - by A. C. Bouquet.

يهدف الدكتور بوكيه - أستاذ التاريخ والدين المقارن بجامعة كامبردج - إلى كتابة قصة واضحة على منهج علمي ، ومن ثم يحاول - بنجاح ملحوظ - الكتابة من وجهة نظر موضوعية ، وهو لا يكتب هذا الوصف للأديان الكبرى في العالم للقارى العادى وغير المتخصص في الموضوع ، فإن مثل هذا القارى لا يلبث حتى يجد نفسه حائرا أمام كتاباته عن أديان العالم جميعا كما يؤمن بها أصحابها ويأرسون عبادتها .

وقد خص الفصل العاشر من كتابه هذا ، ص ٢٦٤ - ٢٨٣ ، بالكتابة عن الدين الإسلامى ، فتحدث عن الصلاة ، وعن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث لا يرضى المسلمين ولا التاريخ لتجنيبه على الحقيقة وبعده عن الواقع ، ثم يناقش طبيعة الرسالة المحمدية ، والقرآن وتطور الفقه والتعليم في الإسلام ، وعلى الرغم من ضيق صفحات الكتاب ، فقد بذل المؤلف غاية جهده في استيعاب الموضوع ؛ كما تحدث عن التصوف الإسلامى في باب التصوف عامة أكثر من حديثه عنه في باب الإسلام .

* * *

٢ - أركان الإسلام الخمس : ل. بيفان جونز - ١٦ صفحة .

The Five Pillars of Islam : L. Bevan Jones.

مؤلف هذا الكتيب كان عميدا لمدرسة هنرى مارتن للدراسات الإسلامية بجامعة عليجرا ، ونشرته جمعية الإخوان الإسلامية ، بوصفه العدد الثانى في سلسلة كتب « أضواء على الإسلام » .

بدأ الكاتب بالتمييز بين « الإيمان » و « الدين » ، ثم تناول كلا من أركان الدين ، فوصفها في إيجاز شارحا إياها شارحا يستفيد منه غير المسلمين ، والكتيب - في صورته الموجزة - وصف واضح للناحية النظرية للدين .

ويلاحظ أن الناشر قد وضع على غلاف هذا الكتيب الإسلامى صورة أحد المعابد الوثنية !

* * *

٣ — الإسلام: عقائد وعبادات : ١. س. تريتون - ١٩٠ صفحة .

Islam : Beliefs and Practices : A. S. Tritton London - Hutchinsons Un. Library - 1951.

كتاب فى حجم كتب الجيب يعطينا د تقريراً عن أصول الإسلام ، مع بيان د بعض المفارقات الواضحة ، . أما الكاتب فهو أستاذ اللغة العربية السابق فى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن .

والكتاب مليء بمعلومات طريفة فى أسلوب موجز ، وذو أهمية كبيرة لمن له معرفة سابقة بالدين الإسلامى ، نظرا لشدة إيجازه وازدحام الحقائق فيه .

ولما كان المفروض أن يستطيع القارئ التمييز بين وجوه الإسلام الخاصة ، وبين وجوهه العامة ، فإن القارئ الذى يجهلها ، يجد صعوبة فى معرفة أى الفقرات تتحدث عن العادات اليومية وأنها تتحدث عن العادات غير المألوفة .

ويبدأ الكتاب بفصل عن رسالة النبي ، والقرآن ، والأركان الخمس . وعلى الرغم من أن الكتاب يهدف إلى النقد ، إلا أنه مشوب بروح الود . وفهم الأساس التاريخي .

كما يتحدث المؤلف عن : الحديث ، وعقائد الإسلام ، وشرائعه فى إسهاب .

وتمت فصل عن الفرق sects يحوى مادة لا يعرفها الكثيرون من الغربيين ، وعقد حديثه عن التصوف فصلا استعمل فيه الاصطلاحات الصوفية ، كما ذكرها المتصوفة ، وترجمها إلى الإنجليزية .

وبما يؤخذ عليه فى الأصول السابقة عدم ذكره لمصادر ما اقتبسه من نصوص .

ويتحدث بعد ذلك عن الدولة والعدالة والتعليم والحياة الاجتماعية والنظريات الأخلاقية ، والزواج والرق والخرافات ، ثم بحث موجز عن الحركات الحديثة المقترنة بنشأة الفرق الجديدة فى إيران والهند .

ويتمهى الكتاب بفهرست للأعلام والمراجع .

ويعلن الأستاذ تريتون - في نهاية كتابه - تقديره العظيم للإسلام ، وإعجابه الجم بالمسلمين .

٤ - المختار عن القرآن : جورج لامزا صفحانه ٢٠ ، ٣٧٧ سنة ١٩٤٩ م .

The Short Koran-Edited by George M. Lamsa. Chicago - 1949 PP. XX. 377.

لمختار مخرج هذا الكتاب آيات معينة من القرآن الكريم ، ورتبها في ٩١ فصلا ، يحاول أن يعرف العالم الغربي بالدين الإسلامى ، نظرا لازدياد الصلات بين الاثنين عاما بعد عام .

ويذكر محرر الكتاب أنه لم يكن يعرف عن الإسلام شيئا أكثر مما يشاع عنه بين المسيحيين ، حتى شامت عناية الله أن يظفر بدراسته على يد شيخ مسلم ، ومن ثم عرف الإسلام دين الحق .

وتبحث مقدمة الكتاب فى السيرة النبوية ، والحالة الاجتماعية فى الجاهلية وبعد ظهور الإسلام .

ويذكر الكاتب أن المسيحيين الذين نشأوا حيث ظهر المسيح أقدر على تفهم المسيح من مفكرى الغرب لتباين الثقافات ، ويؤيد حديثه مستشهدا بالأستاذ فويني حين يقول : « إن الكنيسة النسطورية والإسلام يقفان جنبا إلى جنب يقاومان تدخل الثقافة اليونانية فى الشرق . وقد اعتنق الآلاف من أتباع الكنيسة النسطورية فى الشرق الدين الإسلامى بعد أن رأوا فى محمد (صلى الله عليه وسلم) مصلحا للمسيحية ، يحمل الرسالة ضد عبادة الصور ، كما وجدوا أن تعاليم بنى الإسلام عن وحدة الله وعن الصلاة والعبادة هى أقرب إلى تعاليم المسيح من الصورة التى يرسمها المسيحيون الإغريق للمسيحية ، التى فرضها عليهم الأباطرة البيزنطيون وجاء الإسلام فكان فى نظرهم ناشرا لضوء المدنية فى العالم كله » .

أما فصول الكتاب فتشمل الآيات المختصة بموضوع واحد بمجموعة من السور المختلفة ، وجعل لكل نبى فصلا واحدا ، فيما عدا المسيح فقد أفرد له سبعة فصول . كما أفرد فصولا تناولت الأمور العامة مثل الملائكة والصلاة والربا وغير ذلك .

واعتمد محرر الكتاب - نظرا لعدم معرفته اللغة العربية - على ترجمة جورج سيل Sale ، فى اختيار الآيات الى تناسب المواضيع التى يتحدث عنها .

ابن المبارك

في بطون التاريخ وأسفاره نفائس من كنوز المثل العليا في العلم والأدب ، والزهد والاستقامة والخلق العظيم جدير بكل طموح أن ينظر فيها ويتزود منها لتدفع به إلى فوق . ومن هؤلاء ذلك الإمام الجليل (عبد الله بن المبارك) .

* * *

لقد كان عبد الله بن المبارك مثال الرجل العالم الجامع لأشتات العالم في عهده من الحديث والفقه والعربية وأيام الناس . وإن كانت شهرته بالحديث والعقده هي التي بقيت له .

٥ — القرآن . Le Coran : Traduction Par O. Pesle et Ahmed Tidjani. Paris - 1950

ونختتم هذا الحديث بالكلام عن ترجمة فرنسية جديدة للقرآن ظهرت في باريس سنة ١٩٥٠ نتيجة لتعاون مسلم جزائري وفرنسي مسيحي . الاول مترجم لإدارة الشؤون الشريفة ، والثاني أستاذ في معهد الدراسات العليا في مراكش . وللترجمة « قاموس قانوني » ذكر فيه أرقام الآيات التي تبحت في أمور قضائية كالزواج والطلاق والتبني والبيع والشراء وما شابه ذلك ثم « قاموس جغرافي تاريخي » ذكر فيه أسماء الأعلام والبلدان التي وردت في القرآن مرتبة ترتيباً أبجدياً . وبجانب القاموسين تعليلات مختصرة .

وكتب المقدمة أوكتاف بزل أحد المترجمين . والترجمة أسلوبها جيد ، تعتمد على تفسير البيضاوي ، وإن كانت لا تخلو من أخطاء كثيرة . ورأى الأزهر في ترجمة القرآن معروف .

عمر طلعت زهراته

أستاذ في الآداب

ولقد كان على جانب خصيب من الزهد والمروءة والسخاء العجيب ، موطأ الاكناف رحب الذراع مع شجاعة نادرة في نفس مؤمنة صادقة يجاهد في الله حق جهاده حتى استوت له شخصية زاحمت شخصيات الملوك والخلفاء . ووضعت في النفوس أسمى من السماء .

ولد ابن المبارك سنة ثمانى عشرة ومائة وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة ، فهو من أعلام القرن الثانى ، وأفذاذ العصر العباسى الذهبى ، الذى كان يوج بالعلوم والمعارف موجا على اختلافها ، والذى استقرت فيه علوم الشريعة الإسلامية باستقرار الملك والخلافة لآل العباس فظهر الفقه الناضج المرتب على أصوله وتنافس الناس في سنة النبي ﷺ وهى أعز شئ بعد الكتاب عند المسلمين وهى أساس التفسير والفقه ومطلع شمس الهداية في أمة محمد ﷺ .

وقد امتاز الموالى في ذلك العهد بأن الكثرة البكثرة من حملة ألوية العلم والثقافة كانت منهم لانهم شاموا أن ينافسوا العرب بما يرفع الإسلام وهو العلم والخلق . وكان ابن المبارك من هؤلاء الموالى وكانت أمه خوارزمية وأبوه تركياً وكان عبداً لرجل من التجار من همدان ، وعاملاً في بستان .

فقد نشأ إذا نشأة الموالى المتواضعة المنافسة في عهد عبت فيه سبل العلم وسهل مشارعه وشجع الخلفاء رجاله بالمال الوفير واستناد المناصب الخطيرة في الدولة لإلهم . وابن المبارك على استعداد عجيب نادر يمر وهو في المسكتب بخطيب يحفظ خطبته ويلقيها كما سمعها .

وقد شغف بالعلم شغفاً شديداً وطلبه عند رجاله من أئمة العلم في مرو وخوارزم وبغداد يرحل إليهم حيثما كانوا يأخذ عنهم ويكتب بين يديهم ويناقشهم ، فتعلم لإمام دار الهجرة مالك وأخذ عنه الموطأ ، وتعلم لسفيان الثوري وأخذ عنه ما عنده من الفقه والحديث ، وتعلم لأعلام تفاخر بهم أمة محمد ﷺ من أمثال الليث بن سعد وشعبة والاعمش والاوزاعي وابن جريج . وكان أكثر أخذه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس ، وما زال في روايته وحفظه . ودرسه وفقهه وانتفاعه بعلمه حتى صار من الأئمة الربانيين في العلم الموصوفين بالحفظ المذكورين بالزهد . وبلغ من الشهرة والصيت مبلغاً جعله لا يزال ولا يختلف الناس في أمره . وساعد على ذلك أدب وطيب نفس . وسخاء وشجاعة وتضحية . وزهد مع الثراء من التجارة التي كان يلجأ إليها يستعين بها على الإحسان والعطاء .

وقد تعلم له في العلم من صاروا أئمة في عصره وبعد عصره من أمثال سفيان بن عيينة

ويحيى بن معين وابن أبي شبة ويحيى بن سعيد القطان وهب الرازي بن همام ويعمر بن بشر وغيرهم من أئمة الدين في الحديث والفقه .

المحدث : وبلغ من منزلته في الحديث أنه كتب عشرين ألف كتاب فيه كما نقلوا عنه ، فحبب إليها كراسات صغيرة . أو أن في النقل بعض المبالغة غير أنها تدل على منزلة خطيرة في السنة والرواية .

ولا عجب إذا كان ذلك الزاهد الحافظ الورع يبلغ في السنة هذه المنزلة ، وقد روى أن سائلا قال له :

أتحفظ الحديث ؟ فقال : أنا لا أتحفظ . ولكن إذا أعجبنى شيء علق بي .

وقد تناقل الناس عليه بالسنة وحفظه إياها في عصره حتى حضر يوما عند إمام من أئمة الحديث من ملأ من تلامذته . وهو حماد بن زيد . وكان حماد من العلماء الربانيين المعروفين بالحفظ البارعين في معرفة الآثار وطرق الروايات وأحوال الشيوخ . فقال أصحاب حماد لحامد : سله أن يحدثنا . فقال حماد : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ؟ فقال هب الله : سبحان الله يا أبا عبد الرحمن ، أحدث وأنت حاضر ؟ قال : أقسمت لتفعلن . فقال عبد الله : خذوا . وكان أصحاب الحديث بالكوفة إذا تشاجروا في حديث قالوا : مروا بنا إلى ذلك الطبيب لنسأله .

وكان أبو أسامة من أئمة الحديث يقول : ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس . وشهادات الناس له في الحديث ومنزلته فيهم معروفة مبسوسة في كتب الآثار فلا نطيل بها ، وحسبك أن تعلم مبلغ استعداده وتفرغه ونهمه وأن هذا العصر كان عصر إحياء الحديث ورجاله .

الفقيه : كان من الذكاء والقدرة على استنباط الأحكام في منزلة خولت له أن يكون فقيها يراحم مالكا وأبا حنيفة ويحتاج لمذاهبه بما لا يدفع . وكتب كتباً كانت مراجع للعلماء في عصره وبعد عصره حتى قال الإمام يحيى بن آدم : كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك أيسر منه . وحتى عده عبد الرحمن بن مهدي إماماً من أربعة لا يذكر غيرهم في الفقه ، فهو يقول : الأئمة أربعة : سفيان الثوري ومالك بن أنس

وحامد بن زيد وابن المبارك . وكان يقدمه على سفيان الثوري ، فقيل له : إن الناس يخالفونك ، فيقول : لأنهم لم يجرؤوا ، ما رأيت مثل ابن المبارك . وجائز أن الناس كانوا يقدمون سفيان لأنه أسبق ، ولأنه من شيوخ عبد الله ، على أن إمامة سفيان وفضله وتقدمه لم يمنعه أن يعترف لتلميذه اعترافا دلا على مبالغ فضله ، فقد جاء رجل يسأله عن مسألة ، فقال له سفيان : من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق قال : أوليس عندكم أعلم أهل المشرق عبد الله بن المبارك ؟ قال : هو أعلم أهل المشرق ؟ قال سفيان : والمغرب . وكان إبراهيم بن شماس يقول : رأيت أفعه الناس ، وأورع الناس ، وأحفظ الناس . فأما أفعه الناس فابن المبارك ، وأما أورع الناس ففضيل بن عياض ، وأما أحفظ الناس فوكيع بن الجراح ، ونحن لا يعيننا أن نبالغ في وصف العلماء وتقديمهم ، وإنما يعيننا ما فيهم من مثل صالح وقدوة تحفز على النشاط وتفريغ أنفسنا للدلم وكسبه وهو أكثر من أن يحاط به .

الفاضل الزاهد السخي المجاهد : كل أولئك وأكثر منهن قد اجتمعت في عبد الله بن المبارك فقد بلغ من زهده في الدنيا وجوده بها . أن كان يتعهد الناس ويلتمس أرباب العثرات فيجبرها ويخفي ذلك ما استطاع ، وقد استفاضت أخباره في ذلك وعرف الكثير من أمره بعد موته لأنه يرجو تجارة مع الله لن تبور كما أدبته السنة وكما علمه الكتاب الكريم ، وقد دل على ذلك إجماع الناس على حبه وحفاوتهم به . ولقد كان يتجر في تجارات واسعة وهو صائم الدهر لا شيء إلا لينفق على الفقراء ولا سيما طلبة العلم ورجال الدين . وليسع رجال التصوف والمنقطعين لله عز وجل ، وهل رأيت رجلا يشهد له المعاصرون من أهل المنافسة في حكم العادة فيقول قائلهم (الإمام إسماعيل بن عياش) : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فيه . ويستدل لبعض ذلك فيقول : حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . . .

وخرج من بغداد يريد بلدًا تسمى (المصيصة ^(١)) فصحبه الصوفية فأراد أن يكرمهم ويخفي ذلك ما استطاع : قال لهم إن لكم أنفساً تحتشمون أن ينفق عليكم : يا غلام ، هات الطست فألقى على الطست منديلا ثم قال : يلقي كل منكم تحت المنديل ما معه لجعل الرجل يلقي

وفي أخباره ما يدل على أنه كان يفعل مثل ذلك أيام الحج . يخرج من مرو وقد اجتمع أصحابه ويأخذ ما مع كل منهم فيضعه في صندوق ثم يركبهم من مرو إلى بغداد ويطعمهم أطيب الطعام ثم يكسومهم في بغداد ويخرجهم في أحسن زى فإذا وصلوا إلى المدينة سأل كل منهم عما يطلب أهله وعياله من المدينة فيشتريه له . ويفعل ذلك في مكة بعد قضاء الشعائر . فإذا عادوا زخرف لكل منهم بابه وداره ثم صنع لهم وليمة بعد ثلاثة أيام ودفع لكل منهم صرته كما هي من الصندوق . وله في كتب الادب والتاريخ أخبار في قضاء الديون وإقالة العثرات . والانفاق على طلبة العلم والصالحين يخرج استقصاؤها عن القصد والاعتدال .

ولما لامه بعض الناس في تفريقه الأموال في البلدان قال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب بحاجة الناس إليهم احتاجوا فإن تركناهم ضاع عنهم وإن أعانهم بنوا العلم لامة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم .

هذا هو العلم الصحيح النافع الذى يزهّد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة ويعلم النصيح للأمة
فأين العلماء ؟ لهذا وغيره من صفات هذا الإمام العارف بالله والحق يقول عبد الرحمن
ابن مهدى : ما رأيت أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

ومن ذلك ما رواه عبدة بن سليمان المروزي : قال كنا في سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فنفرج إليه رجل فقتله ، ثم دعا إلى البراز فنفرج إليه رجل فقتله ، ثم دعا إلى البراز فنفرج إليه رجل فقتلته ، فازدحم الناس عليه فإذا هو يلثم وجهه بكفه ، فأخذت بطرف كفه فإذا هو عبد الله بن المبارك .

وهكذا أيضا تأتي عظمة نفوس العلماء الفضلاء على العلماء الفضلاء إلا أن ينتفعوا بما في هذا العلم من كنز ثمين في رفعة شأن الدين والدنيا فلقد كفّل السعادة للناس في كل شيء من أمرهم وليس هو بالوضوء والصلاة وغير ذلك من الأعمال التي تحسنها العامة . إن الدين معاملة وإنفاق وجلاد وتضحية وإيمان ، وبالله الهداية والتوفيق .

والظاهر أن ابن المبارك كان يتسم بالقدح المعلى في الجهاد والجلاد ، وقد اشتهر بذلك وكان قدوة صالحة ومثلا للعالم الثبيل في عصره ، حتى روى أن فضيل بن عياض رآه في المنام فقال : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : ما كنا فيه . قال الفضيل : الجهاد والرباط . قال نعم . قال : وأى شيء صنع بك ؟ قال : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة .

الشخصية : لعلك بعد هذا كله تستطيع أن تدرك مبلغ شخصية ابن المبارك وسمو منزلته في الناس حتى قال عبد الرحمن الجهمضى قال لى الأوزاعى : رأيت ابن المبارك ؟ قلت : لا قال : لو رأيته لقرت عينك . وقال شعبة لأحد العلماء المعاصرين : رأيت ابن المبارك ؟ قال : نعم ، ما قدم علينا من ناحيتكم مثله . وقال أبو عصمة : شهدت شعبان وفضيل بن عياض وقد مات ابن المبارك ، فقال سفيان لفضيل : يا أبا على أى رجل ذهب ؟ فقال فضيل : يا أبا محمد ، وبقي بعد ابن المبارك من يستحى منه ! وقال عبد الوهاب بن عبد الحكم بلغنى أن هرون الرشيد قال لما مات سفيان : مات سيد العلماء .

وبعد لحسبى أن أنقل لك هذه الحادثة وأختم بها حديثى عن ذلك الإمام :

قدم الخليفة هرون الرشيد الرقة في مناسبة ، وكان ابن المبارك يسير في طريقه ، فأنجفل الناس خلف ابن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة . فأطلت أم ولد لأمير المؤمنين من برج لها فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان . فقالت : هذا والله الملك ، لا ملك هرون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط .

أيها العلماء والطلبة ويا رجال الدين أجمعين ، هذا والله الملك ، يجمعه الله في توفر العالم على علمه واعتداده بنفسه . واعتزازه بالله وحده . وفي نصحه للمسلمين . وزهده في الدنيا ، وفيما يتنافس المنافس فيه بالرياء والتفاخر والتزاحم على أبواب الحكام ومن لهم في الدنيا ، نصيب . فاتفقوا الله واطلبوا هذا الملك الذى خول الله لكم ولا تزوروا نعمة الله عليكم فتخسروا الدنيا والآخرة . أسأل الله لى ولكم التوفيق والهداية .

الكتب

ديوان ابن عنين

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق — بتحقيق الاستاذ خليل مردم — ٢٧٠ ص قالبين
شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن عنين الأنصاري الدمشقي (٥٤٩ — ٦٣٠)
أديب عالم واسع الرواية للشعر وأخبار العرب متمكن من اللغة متقن لها ، كان يستحضر
كتاب الجهرة لابن دريد ، وهو طويل الباع بالنحو ، مشارك في الحديث والفقه ، ملم بفروع
الثقافة الإسلامية لعمره — وكان خفيف الروح كثير الدعابة ماجن ساخر متهمك يؤثر الهزل
على الجد ، تعجبه النكتة ولو كان فيها حتفه . وأحب شيء إليه أن يستهزئ بدوى الهيئات
والوقار والتزمت من الفقهاء والخطباء والواعظين ، أدرك في شبابه عصر نور الدين ثم قامت
دولة صلاح الدين ، فكان ابن عنين الشاعر سليل اللسان على الناس يغمز الوزراء ويهجو
القواد والعلماء حتى بلغت به الجرأة أن عرض بإصلاح الدين نفسه في قوله :

سلطاننا أخرج وكاتبه ذو عشم والوزير منحذب

فضجر منه الناس وسعوا بإخراجه من دمشق إلى حيث يشاء من البلاد ، فخرج منها
وهو يقول :

انفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفي كل من صدقا

وطوحت به الرحلة إلى العراق وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء
النهر ثم دخل الهند ، وكانت هذه السياحة الطويلة مدرسة له هذبت من أخلاقه ، وعرفته
بقدر بلاده ، وعرف من المقارنة بين ما كان فيه وما صار إليه ، إن الذين كان يهجوم
هم ملح الأرض ومن خيرة الناس ، فانطلق لسانه يقول :

أحن ومن وراء النهر دارى حنين العود أوثقه العراس

وكيف تبيت تطمع في مديحي رجاء نوالها العجم الخساس
ولو أنى مدحت ملوك قومي تراغت حولي النعم الدخاس
فإن الناس في طرق المعالي لهم تبع وهم للناس راس

ولم يسعد في بلاد الشرق إلا بقاء الفخر الرازي فاستفاد ابن عنين من علمه وهباته ، وأخذ عنه وحضر دروسه ، ثم انقلب إلى الوطن العربي فدخل اليمن والوالى عليها سيف الإسلام أخو صلاح الدين فاحتفى به وأحسن لقاؤه . وقال ابن عنين في سيف الإسلام أحسن شعره . ثم أخذ يتردد بين اليمن ومصر . وفي وفیات الاعيان لابن خلكان وصف لمجاليه في مصر مع جماعة من الشعراء واحتفالهم به . ثم عاد إلى دمشق وهو لا يرى الدنيا إلا فيها ، ويستصغر كل ما كسبه من مال ومتاع ومعرفة في جانب الإقامة فيها :

ولو أنى خبرت في هذه الدنيا لما اخترت غير أهلى ودارى

وسأله الملك المعظم عيسى بن العادل عن عجائب ما رآه في البلاد فقال له : كل ما في الدنيا مفرق ، هو في بلدك مجموع ، ولم يكن يحسن وهو في دمشق إلا إلى مصر .
أحن إلى مصر ويا ليت أن لى إذا ذكرت مصر جناحاً أعاره

ومن مصرياته قوله في انتصار الإسلام على الصليبيين في ثغر دمياط سنة ٦١٩ وكان الشاعر يومئذ في السبعين من عمره :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا إذا جهلت آياتنا والقنا الدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفلا من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
فما برحت سمر الرماح تنوشهم بأطرافها حتى استجاروا بنا منا

وقد طبع هذا الديوان على ثمانى نسخ مخطوطة لإحداها بدار السكتب الظاهرية بدمشق والثانية في كبرج ، والثالثة مخطوطة الشاعر أحمد الصافى ، والرابعة والخامسة بمدرسة بحى بالموصل ، والسادسة بدار السكتب الأهلية بباريس ، والسابعة بدار السكتب المصرية وأصلها من الحجاز . وكل هذه النسخ مرتبة على الأبواب ، والثامنة بدار السكتب المصرية وهى مرتبة على الحروف . وقد بذل الأستاذ الكبير خليل مردم فى تحقيق هذا الديوان وتصحيحه والتعليق عليه وكتابة مقدمته والترجمة للشاعر مجهوداً عظيماً لا يقل عن مجهود ابن عنين فيما نظمته من أبيات الديوان .

أبو بكر الصديق

تأليف الأستاذ على الطنطاوى - الطبعة الثانية - نشرتها لجنة الشباب المسلم - ٣٢٠ ص قالين تسامل المؤلف فى خاتمة كتابه : « من ذا الذى يستوفى فى كتاب واحد سيرة أبى بكر كلها ، وهى أفضل سيرة فى الإسلام بعد سيرة سيد العالمين وخاتم النبيين ، وأكملها وأحفلها بكل جميل وجليل ؟ » ومع ذلك فإن هذا الكتاب فى سيرة أبى بكر أحفل كتاب من حجمه بالنصوص المأثورة فى سيرة هذا الرجل العظيم الذى سلته الأقدار أعظم أمانات الإنسانية فى أشد مواقفها خطراً ، فكان بما عزم الله له من قتال المرتدين ، وإقامة الأمر على وجهه الأكل بلا التواء ولا تقصير ولا جزع ، أعظم رجال التاريخ ، على قصر مدة خلافته ، وجلال ما تم فيها مما تغير به وجه الإنسانية واتجاه التاريخ .

ومما امتاز به هذا الكتاب فى سيرة الصديق اعتماده على المصادر الصحيحة وكثرتها ، حتى بلغت مائة كتاب بين مخطوط ومطبوع ، وكان قد طبع للمرة الأولى قبل نحو عشرين سنة ، وأقبل القراء عليه حتى نفذت نسخته من منين كثيرة ، فأعيد الآن طبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة على نفقة لجنة الشباب المسلم طبعاً أنيقاً معتنى به ، وفى أوله مقدمة بقلم رئيس تحرير هذه المجلة ، فى موضوع التاريخ الإسلامى ، وأنه أغنى تواريخ الأمم فى صحة مصادره ، وأفقرها فى الاستفادة من تلك المصادر ، وفى حسن عرضه بما يعين على بحث الأمة من جديد ، وتوجيه الخلف إلى الوجهة التى كان يتحراها السلف لتم بهم رسالة الإسلام رسالة القوة والحياة ، فنحث الشباب على مطالعته .

أهداف الصهيونية

تعريب فردريك زريق - نشرته جمعية التمدن الإسلامى - ١٣٠ ص جابر

هذا الكتاب مجموعة ٢٤ محضراً للجلسات مؤتمر قيل إن اليهود عقدوه فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ وزعموا أنه مؤتمر حكماء إسرائيل لتصريف دفة الحكم وسير المجتمع فى أوروبا وغيرها بحسب خططهم إلى أن يتم المصير الذى رسموه لشعوب الأرض وبحقوا قيام مسيحهم الدجال . والمظنون أن واضع هذه المحاضر يهودى من مدينة كييف اسمه سيكفرا وهو مؤسس جمعية شباب صهيون وجمعية موثى السرية . وقد وقعت المحاضر فى يد أليكس نقولا فتش عميد أشراف شرقى روسيا ، فدفعها إلى سرجيوس نيلوس

الروسي الذي نشرها سنة ١٩٠٥ . ولما شعر اليهود باطلاع غيرهم على هذه المحاضر شكوا
 هرتمل سنة ١٩٠١ من وقوف (الكفار) على أسرار الصهيونية ، ثم جعلوا يتبرأون منها
 بعد انتشارها سنة ١٩٠٥ . وأول من نقلها إلى الفرنسية عن نشرة سرجيوس نيلوس محرر
 جريدة (فرنسا القديمة) عقب الحرب العالمية الأولى (١٩ - ١٩٢٠) وبعد ذلك بسنوات
 قليلة نقلها إلى العربية الخوري أنطون يمين وطبعها في ٢٤٤ صفحة بعنوان (المؤامرة
 اليهودية على الشعوب) . والآن أهديت إلينا ترجمة أخرى لها بعنوان (أهداف الصهيونية)
 بقلم الأستاذ فردريك زريق نشرتها جمعية التمدن الاسلامي بدمشق . وكانت جريدة منبر
 الشرق تنشر تباعا ترجمة ثالثة لهذا الكتاب ثم نشرت في كتاب مستقل . وتعدد ترجمات
 الكتاب دليل على أهميته .

أمراضنا ومشاكلنا

للأستاذ إحسان النمر — ١٣٠ ص جابر — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هو كتاب مقسم إلى أربعة أقسام أولها عن ماضي العرب ، والثاني عن حاضرم ،
 والثالث عن عوامل الضعف في الشعب العربي وأسبابها ، والرابع فيما يراه المؤلف من
 توجيه للأحياء والتنظيم ، والتعليم والتثقيف ، والعمل للتقدم .
 والمؤلف من الأفاضل المفسرين ، وقد ألم في كتابه بما لا يحده القارىء مجتمعاً في كتب
 أخرى فنلفت إليه الانظار .

رائد الشعر الحديث

وهذا كتاب آخر من مظاهر نشاط فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي درس
 فيه شاعرية الدكتور أحمد زكي أبي شادي وعرض فيه لصور عامة لأبي شادي في حياته
 ودعوته وشعره ودراساته الفكرية والأدبية ودراسات المعاصرين له . والكتاب في أكثر
 من ٣٠٠ صفحة من قطع هذه المجلة ، ويرى المؤلف أن الموضوع الذي خصص له هذا
 الكتاب يحتاج إلى تبسط لعله يوفيه بكتاب آخر .

أَنْبَاءُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ

به الشموه العربيه نحوها نتيجة لقيام دولة
إسرائيل . .

نظام الحكم في مصر :

سألت مجلة التحرير (العدد ١٩ - ٢١
رمضان) البكباشي جمال عبد الناصر عما يراه
بشأن نظام الحكم ، فقال :

« رأي أن نأخذ بالنظام الجمهوري ، وأن
ينص في الدستور على أن يكون (دين الدولة
الرسمي هو الإسلام) كما كان في الدستور السابق . »

آخر صحفة في رمضان

كان من التقاليد الحديثة لحكومة مصر
أن يؤدي الحديو أو الملك أو من ينوب عنهما
صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان في مسجد
عمرو بن العاص ، وقد ثبت من البحث عن
أصل هذه العادة أنها بدأت من عهد محمد علي
وذلك أن جامع عمرو احتاج في زمانه إلى
إصلاح في مبانيه ، وقد تم هذا الإصلاح في
شهر رمضان ، فاحتفل محمد علي بذلك بأداء
الصلاة يوم الجمعة الأخير من رمضان في
جامع عمرو ، ثم جرت العادة بعد ذلك على
أن يؤدي القائم على ولاية مصر صلاة آخر

الشرق الأوسط في مؤتمر برمودة :

يؤكدون أن رئيس الولايات المتحدة
إيزنهاور سيبحث مع رئيسي الحكومتين
البريطانية والفرنسية عند اجتماعهما في برمودا
في هذا الشهر مختلف الشؤون التي تتعلق بالشرق
الأوسط وتهم العالم العربي . وأن إيزنهاور
شخصياً والاميرال راد فورد قائد الاسطول
الامريكي في الاطلنطي مقتنعان بما اقتنع به
دلاس وزير خارجية الولايات المتحدة
وأوصى به حكومته من الاخذ بفكرة الرئيس
محمد نجيب الخاصة بالاعتماد على ميثاق الضمان
الجماعي المعقود بين الدول العربية في تنظيم
الدفاع عن الشرق الأوسط .

ولم جانب البيان الذي أذاعه دلاس على
الرأى العام بعد انتهائه من رحلته في بلاد
الشرق الأوسط وفي باكستان والهند وضع
كذلك تقريراً عن هذه الرحلة ، وكل ذلك
يدور حول المعاني التي تقدمت الإشارة إليها .

وفي برقية من نيويورك أن بعض الدوائر
الصهيونية أبدت دهشتها من قول دالاس
« أن الحكومة الأمريكية تشعر بأنه ينبغي لها
أن تزيل الشعور العميق بالسخط الذي تشعر

الملك فؤاد أم فاروق - ويندر أن تتألف وزارة لم يتدخل فيها الملك برفض وزراء معينين أم برفض وزراء معينين ، مما كان يؤدي إلى عدم التجانس في الوزارات . وكان الملك يتدخل في مسائل لم يكن له حق أكثر من ابداء النصيحة فيها ولم يكن يضغط صراحة على الوزارات لقبول رأيه ، لكن كانت الوزارات ترى أن مسائل كثيرة لا تستحق أن تكون سبباً لاستقالتها . فيتنازل بعض الوزراء تدريجاً عن آرائهم فيضعف مركز الوزارة ، وربما كان الضغط يقع على الوزارة التي تدين بوجودها وحياتها للملك وكثيراً ما كان للملك طلبات داخلية أو خارجية أو سياسة ، وهذه الطلبات كانت تعرق أعمال الحكومة .

هذه هي الحالة العامة : عدم استقرار الحكم ، وشل حرية الوزراء في التصرف ، وتدخل من جانب القصر في شؤون الحكم . كان التدخل يمنع تعيين أشخاص جديرين وصالحين لتولي الوزارة ، بينما يحتل مكانهم وزراء غير صالحين أذكر أن كريم ثابت عين وزيراً ولم يكن هناك مبرر لتعيينه . وكنت رئيساً للديوان ، ولكنني لم أسأل في هذا ولم يؤخذ رأيي في هذا التعيين . وأنا لم أعين في الديوان باختيارى فقد صدر أمر التعيين دون أن يؤخذ رأيي . هو كان حكم قراقوش والا إليه ١٩ وفي اليوم التالي كان الياس اندراوس قد حل محلي ببنك مصر !

جمعة من رمضان في جامع عمرو ، وسميت هذه الجمعة الجمعة اليتيمة لأنها لا جمعة بعدها في رمضان من السنة .

ولما علم الرئيس اللواء محمد نجيب بأن ذلك من التقاليد المستحدثة ، رأى أن يؤدي صلاة الجمعة من رمضان هذا العام في الجامع الأزهر لأنه مثابة العلم والعلماء في الدولة المصرية .

تعديل أنصبة الدول العربية

في ميزانية الجامعة

عدلت أنصبة الدول الأعضاء في ميزانية الجامعة العربية ، فأصبح نصيب مصر ٤٠ في المائة ، والعراق ١٧ ، والمملكة السعودية ١٥ ، وسوريا ١٣ ، ولبنان ٦ ، واليمن ٣ ، والمملكة الأردنية ٣ ، وليبيا ٢ في المائة

حصار إسرائيل :

أقرت اللجنة العليا لمقاطعة إسرائيل - وهي مؤلفة من وكلاء الوزارات - تشريعاً يقضى بمصادرة جميع المواد الحربية والغذائية التي تضبط في قنال السويس في طريقها إلى إسرائيل وذلك في حدود القانون الدولي العام .

السياسة المصرية

من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٥١

قرر الدكتور حافظ عفيفي في شهادته أمام محكمة الغدر يوم آخر مايو أن العهد من سنة ١٩٣٦ امتاز بعدم الاستقرار : وزارات غير مستقرة يصحبها دائماً تدخل من

فهرس

المجلد الرابع والعشرين

(لسنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م)

(١)

- أحمد أمين : مناهج الفقهاء في التشريع ٣٧ ،
 نفذ تحقيقه كتاب حي بن يقظان ١١٢٨
 أحمد حسن الباقوري : خطبته في جنوب
 السودان عن بغى المبشرين ٦٤٥
 أحمد حسن الزيات : الإسلام فتح لعالم جديد ٢
 أحمد الشرباصى : همر بن عبد العزيز والقرآن
 ٥٩٦ ، الحزبية في القرآن ٧٥٥ ، حديث
 القرآن عن اللغو ٩٤٤
 أحمد عباس صالح : أزمة الادب ٤٣٩
 أحمد عبد السلام الكردانى : وظيفة المدرسة ٦٤٢
 أحمد هز الدين خلف الله : الأزهر والثورة
 العراقية ٩٧٥ ، الأزهر وتاريخنا الدستوري
 ١٢٢٣ .
 أحمد فهمى أبو سنة : تحديد الملكية في
 الإسلام . ٣٦٠ ، افنحو اللفقه أبواب الحياة
 ٤٢١ ، دستور الدولة في نظر الإسلام ٦١٥
 شهر التصرفات بين القانون والشرية ٨١٤ .
 أحمد فؤاد الأهواني . فضل للعرب على
 فلسفة اليونان ٦٢ ، أحوال النفس لابن سينا
 (كتاب) ٦٣٨ .
 أحمد محرم : ديوان مجد الإسلام ٩٥٠ ،
 ١٠٩٢ ، ١٢٠٦ ، المسلمون بين يقظتهم
 وسباتهم ٩٨٧ .
- آثار ونقوش عربية بالين ٥١٦
 الآجلة والعاجلة ٥٢١
 آدم عليه السلام (كتاب) ١١٤٦
 آراء وأحاديث : علوم البلاغة في الميزان
 ٣٣٤ ، ٧٠٩ ، ٨٠٨ ، ٩٨٠
 إبراهيم أبو الخشب : الحدود في نظر الإسلام
 ٢٢٥ ، كتابه موافق إسلامية ٥٥١ ،
 الحاكم في الإسلام ٨٦٩
 إبراهيم حلمى عبد الرحمن : جهود المسلمين في
 ميدان العلوم ٧٣
 أبو الأعلى المودودي ١١٥٧ ، كتابه معضلات
 الاقتصاد وحلها في الإسلام ٥٥٣
 أبو الوفا المراغى : المرأة في ظلال الإسلام ١٢٠٩
 أثر العقيدة في نفوس المسلمين ٣٣١
 الاجتهاد والتقليد ١٧١ ، ١٠٦٥
 أحاديث الثلاثة بدار السلام (كتاب) ٨٩٢
 الاحتكار والربح الفاحش ٣٥٠
 إحسان النمر : تاريخ نابلس والبقاء ١١٤٨ ،
 أمراضنا ومشاكلنا ١٢٧٠
 إحصاءات ثقافية ١٠٢٦

- أحمد محمد جمال : كتاب ، ما وراء الآيات
٧٥٨ ، دين ودولة ١١٤٤ .
- أحمد محمد شاكر : تحقيق صحيح ابن حبان ٦٢٨
أحمد مظهر العظيمة : كتاب ضراعات في
الإسلام ١١٤٦ .
- أحمد بن يحيى ثعلب : ترجمته ووصف أماليه ٨٢١
أحوال النفس لابن سينا (كتاب) ٦٣٨ .
- اختيار الزوجة في الشريعة الإسلامية ٧٥٢ ،
١١٣٦
- الأخطل وجريز : بدء تعارفهما ٤١٢ .
- إدريس السنوسي ملك ليبيا : زيارته مصر ٤٩٣
أديب الشيشكلي رئيس سوريا : زيارته مصر
٤٩٣
- الأديان العالمية وآمال العالم (كتاب) ١٢١ .
إذاعة آذان الظهر ٦٤٧ .
- الإرادة والغرائز : تنظيم العلاقة بينهما ٨٠٢
الأردن والبلقاء في تاريخ الإسلام ١٢٠٠ .
- أزمة الأدب وحرية التعبير ٤٣٩
أزمة الفقه الإسلامي ٩٣٤ ، ٨٠٩ ، ٦٧٣
- الأزهر : مشيخته في أكل ما شاهدنا من
عمودها ١٤٦ ، حديث عنه للأستاذ الأكبر
السيد محمد الخضر حسين ١٥٩ ، وكيلاه
٢٤٨ ، بعثته لجنوب السودان ٦٤٠ ،
مدينة الأزهر للبعوث الإسلامية ٦٤٠ ،
دفاع عنه ٧٨٣ ، الأزهر والثورة العرابية ،
٩٧٠ ، معهد دمنهور ١٠٢٣ ، معهد زفتى
١٠٢٣ ، معهد فاقوس ١٠٢٤ ، ١١٥٠ ،
اعتماد للبعوث الإسلامية ١٠٢٦ ، تعديل
- أحكام امتحان التجويد ١٠٢ ، تدريباته
المسكوية ١٠٦٠ ، كتيبة خالد بن الوليد
١١٥٥ ، الأزهر ونظامنا الدستوري ١٢٢٣
- الأزهرى : رسالته في عهده الجديد ١٣٧
أساس الشعور بالمسؤولية ٥٤٤
- أستاذ المرأة (كتاب) ١١٤٩
استعراض لاقتصاديات الشرق الأوسط
(كتاب) ١٢٠
- الاستعمار البريطاني (احتضاره) ٥١٢
الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا (انتحاره)
٥٠٧ ، خسائره في الهند الصينية ٥١٧ ،
كما يصفه نائب فرنسي ٦٦٧
- استعمار القلوب والعقول ١٠٢٦
الاستعمار يقرب من نهايته ١١٩٧
- أسرار الاسلام في تعدد الزوجات ٨٨١
الاسلام : فتح لعالم جديد ٢ ، رأيه في القتال
١٥ ، تدعيمه للأسرة ٦٨ ، أثره في الفنون
الزخرفية ٩٥ ، ما قاله عنه جيبون ولزوجيته
ودى كاستري وكارليل وجب ١٠٩ تحديد
الملكية فيه ١٤١ ، ٣٦٠ ، مساهمته في بناء
السلام ٢٢٠ ، سماحته في معاملة غير المسلمين
٣١٣ ، طريقته في قبول المنافع ٣٦٣ ، الاسلام
والسلام ٣٩٣ ، الحكم في الاسلام ٤٠٨ ،
٦١١ ، ٧٢٢ ، المسؤولية الحكومية فيه
٤٥٢ ، موقفه من الشيوعية والرأسمالية ٤٥٨ ،
ثورته على الفوارق الجاهلية ٤٦١ ، إنكاره
للمحسوبية ١٠٦٣

- الإسلام رسالة الإصلاح والحرية (كتاب) ١١٤٩
الإسلام في أمريكا ٨٤٨
أسماء جبال تهامة لعرام بن الأصم ٨٨٨
الاشاعات والأراجيف ٥٨٨
الاشقيان المجتهد الشيعة وأحاديث الغيب ٦٩٧، ٣٢٩
الإصلاح يبدأ بالأخلاق ٩٠٠
أعمار زائفة (شعر) ٢٠٤
افتحوا للفقهاء أبواب الحياة ٤٢١
أفريقيا والبعوث الإسلامية ٢٤٩
الأفغان (كتاب انجلىزى) ١١٩
أكل رسالات الله ٤١٨
إلى الإسلام من جديد (كتاب سخيىف) ٤٩٨
إلى الذين يشوهون تاريخ الإسلام ٩٧٤
الأمالى : نشأة كتبها وخصائصها ٥٥٤
١٠٧٧، ٦٨٧ (أمالى ثعلب) ، ١٠٧٧
(أمالى المرتضى)
إمام : ترجمة عبد الله بن مسعود ١٠٧٠، ٩٥٣
أمانتان : الأمانة الأولى هذه الأمة الإسلامية
٧٧٧ ، صدق الأمانة الأولى ٩٨٤ ،
الأمانة الثانية هذا التراث العلمى الإسلامى
٩٠٥ ، صدق الأمانة الثانية ١١١٣
أمر الله والقائمون عليه : كلمة لعمر ٨٦٨
أمريكا : بين العرب واليهود ٢٥٩ ، أمريكا
والعرب ٩٠٣
الأمم السعيدة والأمم الشقية ١١٦٥
الأمة الإسلامية كيف بناها محمد ٢٦٥
- ١٠١٨
أنى لك هذه ٣٥٩
أمانول فرانس : كلمات له ٩٣٨
أندونيسيا : دستور لإسلامى لها ٦٤٤ ، مؤتمر
إسلامى فيها ١١٥٧
الإنسانية بين النظام المسمى والنظام
الإسرائيلى ٢٦٨
انشتاين يتحدث عن أدب العلم ٢٥٢
إنما يقدر المرء عمله ٧٠٤
أهل السنة : تسامحهم فى الرواية عن المخالفين ٣٠٦
ايران وبريطانيا ٢٦٣ ، النشاط اليهودى فيها
٢٦٤ ، تحريمها الخمر ٧٧٥
الإيمان يصنع المعجزات ٤٦٥
أيهما المعتدى : المترجمة أم المجترى عليها ٩٩٥
(ب)
باكستان : العربية فيها ٣٨٢ ، قضية كشمير
٢٥٨ ، ٣٨٧ ، دستورها الجديد ٦٤٤ ،
حديث عن دستورها لعبد الوهاب عزام
٧٧٣ ، فتنة القاديانية فيها ٩٠٣ ، الحكم
على المودودى ١١٥٧
البتروى : مشكلته فى إيران ١٣٣ ، صناعته
فى مصر ٢٦١
البحر الأحمر : فراديس فى جزائره ٢٦١
البحرين ومطامع إيران ١٠٣١
البذرة : بمعنى صغار الأولاد ٤٧٦
برخ : بمعنى كثير موفور ٤٧٧

- برقة : زيارة ملكها مصر ٤٩٣ . تحرير
المسكرات فيها ٩٠٣
بركان فيزرف ٥١٨
برنارشورسائه إلى بلنت عن الاستعمار ١١٩٩
البطولة الإسلامية في القتال ٩
البعثات السعودية بمصر ٦٤٣
البكتاشية : تعليق على فتوى فيهم ٢٨٣
البلاغة والتجديد ١٠٠٤
بماذا بدأ ٦٥٥
بنك دولي عرب ١١٥٩
بنو خفاجة (تاريخهم) ٢٤٦ ، ١١٤٧
البهايون مرشدون (فتوى) ٢٣٨ ، تعليق
على الفتوى ٢٨٣
الهي الخولى : كتاب آدم عليه السلام ١١٤٦
المرأة بين البيت والمجتمع ١١٤٧
البيان والبدیع في القرآن (محاضرة بين ابن دريد
والسجستاني) ١٣٤
البيت العتيق ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨ ، ١٠٤٨
البيروني ٧٩
بين الجد والعب : البيئات في القضاء ٩٩٩
(ت - ث)
تاريخ الامم والملوك للطبرى (قيمة رواياته ،
وكيفية الانتفاع منه) ٢١٠
تاريخ جبل نابلس والبقاء ١١٤٨
تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند
وباكستان ٨٩١
تاريخ العراق لابن سدد ٣٧٩
تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٥٥
التاريخ هل يعيد نفسه ؟ ٩٦٦
تاغور : رأيه في التعليم الاجنبى والقوى ٦٥٤
تبديد المخاوف من إقامة دين الله ٥٦٦
التبشير المسيحي بجنوب السودان ٦٤٥
تحریم التعامل مع الانجليز بالقنال ١١٥٦
تحریم المسكرات في برقة ٩٠٣
تحقيق القول في ليلة القدر ١١٧٥
تدوين اللغة ١٠٨٦
التراجم : التعبير فيها عن الحقائق ١٢٦
الترية بالقذوة ٨٢٠
الترية في القرآن (كتاب) ٧٥٩ .
تركيا : في نظر الامريكيين ١٠٣١ ، تنكرها
للإسلام ١١٥٨ .
تساح أهل السنة في الرواية عن المخالفين ٣٠٦
تشجير مصر ٩٠١ .
الشرع الإسلامى : أسسه ٣٠ ، منهاج الفقهاء
فيه ٣٧ ، جهود فقهاء ٤٦ ، كلمات فيه
لأعلام الغربيين ٨٨٥ .
التصوف في مختلف الديانات ٨٩٣ .
تصويب لغوى : مى وستى ، مخطىء وخاطىء
يفلح ويفلح ، أمسية ١١٣٩ .
تطهير الاداة الحكومية في تاريخ الإسلام
٤٠٨ ، ٤١١ ، ٧٣٢ .
التطهير في الإسلام ٦٦٨ ، ٧٩٧ ، ٩٢٥ .
تطور مصر سنة ١٩٢٤-١٩٥٠ (كتاب) ١١٨
تعاون الاستعمار ١١٥٨ .
التعاون في إنهاض القرية المصرية ٧٦٩ .

- التعبير في الفن ١٢٣٦
تعديل أنصبة الدول العربية بالجامعة ١٢٧٢
التعليم الاجنبي والتعليم القوي ٦٥٤ .
التعليم الثانوي (انحطاطه) ٨٩٥ ، نظامه ١٠٢٥
التعليم الديني في المدارس الاجنبية ١١٥٠ .
التعليم الفني المتوسط ٢٥٤ .
التعليم في مصر ٥١٣ ، مشكلاته ١٠٣٩ .
تعويضات المانيا لإسرائيل ٣٨٦ ٧٧٢٠٧٢٢
التفسير ٥٨١ ، ٧٩٢ ، ١٠٤٤
تفسير جزء عم لعبيد ٧٦٠
التفسير الواضح (كتاب) ١١٨ ، ١٠١٦
التقشف : الدعوة إليه ٤٤٣
التقليد والمحاكاة في نهضتنا ٩٢١
تونس : مشكلتها ١٣٣ ، قضيتها ٢٥٥
التوراة والإنجيل بأسلوب عصري ١٢٨
ثعلب (أحمد بن يحيى) ترجمته ووصف
أماله ٨٢١
ثقافتنا الحائرة ١١٦١
الثورة العراقية والأزهر ٩٧٠
(ج)
الجامع الاموى بدمشق ٨٤
جامع جديد بلندن ١٠٢٨
جامع عمرو بالفسطاط ٨١
الجامعات : رسالتها ٧٦٧ ، الجامعي الصالح
٧٦٧ ، اختناق الجامعات المصرية ١٠٢٥
جامعة الدول العربية : نعمة ضائعة ١٠٢٩
قراراتها الاخيرة ١١٥٥
جبران خليل جبران : كلمات له ١٠٣٨
الجرائد : بيتان فيها لحاظ ابراهيم ٨٨٠
- الجدل والعمل : كلمة للأوزاعي ١٢١٧
جيرير والاختل : بدء تعارفهما ٤١٢
الجزائر في ستة أشهر ٦٥٤
جزائر مالديف ٧٧٥
جماعة التقريب بين المذاهب ٥٣٣٠٣٢٩٠٢٨٣
جماعة كبار العلماء ٢٤٨ ، ٣٨١
جمعية تبشيرية وقحة ١٠٣١
جميل صليبا : الرسالة الجامعة ٧٦١
الجندية في صدر الإسلام ١١١٠٠٨٥٧٠٦٢٤
الجهاد أعلى مراتب العبادة ١٠٨٣
جهاد النفس تربية روحية ١١٠٣
جوركي السكاتب الروسي : ذكراه ١٢٦
جيش إقليمي من معسكرات التدريب ٩٠١
الجيش المصري : وثبته على الطغيان ١٣١
جيل يؤمن بالاخلاق ٨٣٩
(ح)
حاتم الاصم : ترجمته ٣٦٤ .
حاجة الشرق إلى حكم صالح ٣٦٧ .
الحاكم في الاسلام ٨٦٩ .
حامد محسن : التفسير ٥٨١ ، ٧٩٢ ، ١٠٤٤
حبيب بن مسلمة مثال المجاهدين الاولين ١١٧٤
الحجاز : مرافقه ٢٦٠ .
الحدود في نظر الاسلام ٢٢٥ .
الحديث النبوي : مقاصده ، ألفاظه ، معانيه
١٨٣ ، ٤٣٠ ، ٥٦٩ روايته وتدوينه ٤٤٦
الحديد : تعديته وصناعته في مصر ٣٨٩ .
حركة المطالعة في مصر ٢٥٤ .
الحزبية ٣٠١ ، الحزبية في القرآن ٧٠٥ .

- حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ١٠٢٠ .
- حسن عبد الوهاب : خصائص العمارة الاسلاميه ٨١ .
- حصار اسرائيل ١٢٧٢
- الحق مغضبه ٥٥٣ .
- حقائق ٦٤٩ .
- حقوق الاكفيا ٤٠٣ .
- حقوق الانسان فى الإسلام ٨٣٥ العدالة الاجتماعيه ٩٥٩ .
- حقوق المرأة فى الإسلام (رسالة) ٥٠٣
- حقيقه الوجوب والنهى ٨١٨
- الحكم بما أنزل الله ٨٦٤
- الحكم التسلطى والوضعى ٤٣٨
- الحكم : خير نظام له ٦٨٤
- الحكم فى الإسلام ٤٠٨ ، ٦١١ ، ٧٣٢
- حكم وأمثال وطرف ٢٠٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٥
- الحكومات العربيه : تقاربها ١١٥٥
- حلقة الدراسات الاجتماعيه ٢٥٣ ، ٥١٤
- حمزة بن عبد المطلب ٤٥٤
- حمزة محمد الشبيخ : التعبير فى الفن ١٢٣٦
- حمى بن يقطان بتحقيق أحمد أمين : نقد تحليلي ١١٢٨
- الحياه فى الحديث النبوى ٨٧٦
- الحياة الاجتماعيه واضطرابها بمصر ٢٥٣
- الحيون : الرفق به فى الإسلام ٦٠٣
- (ج)
- الختان ١٢٤٢
- الخراط الرمزيه أصلها من التين ٦٩٣
- خصب العقول وجذبها ٥٢٦
- الخصومات الادبيه وأثرها فى النقد ٦١٩
- الخطر الاسرائيل ٧٧٤
- خطيب سيف ومنبر ١٠٣٠
- خلاصه تاريخ تونس ١٠٢٠
- خليل مردم . ديوان ابن حيوس ١٠٢٠ ، ديوان على بن الجهم ١١٤٢ ، ديوان ابن عنين ١٢٦٧
- خير الزوجات فى نظر الاسلام ١١١٩
- خير نظام للحكم ٦٨٤
- (د - ذ)
- الدارس فى تاريخ المدارس للتعليمى ٨٨٦
- الدراسات الاسلاميه : فى الصومال ٧٦٨ ، فى كندا ١٢٤
- درجات الناس (كتاب) ٣٧٩
- دستور إسلامى لاندونيسيا ٦٤٤
- دستور باكستان الجديد ٦٤٤ ، ٧٧٣
- دستور الدوله فى نظر الاسلام ٦١٥
- دستور سنة ١٩٢٣ (سقوطه) ٥٠٤
- الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامى فى القاهرة ٧٤٨
- دفاع عن الأزهر ٧٨٣
- دم وزيت ورمال (كتاب انجليزى) ١٢٢
- دموع الشفاء ١٢٩
- دنانير إسلاميه بالفسطاط ٢٩١
- الدول العربيه : ميثاق اجتماعي لها ٦٤٤
- ديكارت : الفطرة السليمه عنده ٧٣٥
- الدين فى أوربا وعلاقته بالعلم ١٢٣١
- الدين والاخلاق فى المدارس ٢٨٢
- دين ودولة (كتاب) ١١٤٤
- الدين والقوة وسيلتان لغايه واحده ١٥٥
- ديوان ابن حيوس الغنوى ١٠٢٠
- ديوان على بن الجهم ١١٤٢

- ديوان ابن عثين ١٢٦٧
 ديوان مجد الإسلام ٩٥٠، ١٠٩٢، ١٢٠٦
 ذكريات تهمز مشاعر الإنسانية ٤٧٢
 الذكريات الحادثات في رمضان ١١٠٧
- ر — ز
 رائد الشعر الحديث (كتاب) ١٢٧٠
 الرأسمالية والشيوعية : موقف الإسلام
 منهما ٤٥٨ .
 الربح الفاحش والاحتكار ٣٥٠ .
 الرحلة العربية ورحلات صحراوية (كتاب
 إنجليزي) ١٢٠ .
 الرحمة وآثارها ٥٩٢ .
 رد على كتاب السقيفة ٧٦٠ .
 الرسالة الجامعة للجريطي ٧٦١ .
 رسالة الصلاة للإمام أحمد ٣٨٠ .
 الرسالة المحمدية لسليمان الندوى ١٠١٦ .
 رسول الله في الطائفت ٨٦٠ .
 رمضان وشيطانه ١٠٩٥ .
 رواية أهل السنة عن مخالفهم ٣٠٦ .
 الروتين الحكومي : كلمة في، لوزير الإرشاد ٩٠١
 الزكام ١٣٦ .
 الزهر : كلمات في وصفه ٩٤٣ .
- (س)
 السجل الثغافي ٥٠١
 سدود أعلى النيل ٣٩٠
 السرطان والطب العربي ١٢٨
 سعد محمد حسن : نقد طبعة أحمد أمين لحى
 ابن يقظان ١١٢٨
 سعيد زايد : العلية في فلسفة هيوم ٤٨١ ،
 الفطرة السليمة عند ديكارت ٧٣٥ ،
- الفرض العلى ٨٧٢، ١٠٠٧
 السل : معالجته بمقاير جديدة ١٣٠
 سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ١٠١٦
 السفكريية : مؤتمر لغوى لها ٢٨٢
 السنة : دعاء واستغاثة ١٥٩ ، الحب الإلهى
 ٢٩٦ ، حقوق الأكفيا ٤٠٣ ، تحييد
 العاملين ٥٣٨ ، التطهير في الإسلام ٦٦٨ ،
 ٧٩٧، ٩٢٥ ، من أسرار الصوم وآدابه
 ١٠٥٥ من صفات القائد ١١٩٣
 السودان ومصر ٣٨٥ ، التبشير في جنوب
 السودان ٦٤٥ ، وثيقة جنوب السودان
 ٦٤٥ ، السودانيون يقررون مصيرهم ٧٧٠
 تصرفات الانجليز في السودان ٨٩٧
 سوريا : تحريرها الاقتصادى ١٠٣٠
 سياسة التعليم في وزارة المعارف ٣٨٤ ،
 سياسة خاطئة ٨٩٥
 السياسة المصرية قبل العهد الأخير ١٢٧٢
 السيد : نفسيات (شعر) ٨٤٣ ، البيئات
 ٩٩٩ ، تصويب لغوى ١١٣٩
 سيد قطب : طبيعة الفتح الإسلامى ٢١
 السيد كمال الشورى : المسئولية الحكومية
 في الإسلام ٤٥٢
 ابن سينا ٧٩ ، الكتاب الذمى لمهرجانه ٨٩٠
 السينما بوزارة المعارف ٢٥٤
 (ش)
 الشرق الاوسط من منابع ثقافة أمريكا ٢٥٣
 الشرق الاوسط في مؤتمر برمودة ١٢٧١
 الشرق والغرب وهل يجتمعان ٩١٢
 شريعة الله وشرائع الإنسان ٥٠
 شعار المؤمن : السمع والطاعة للحق والعدل ١٧٦

- طبقات لحوّل الشمره لابن سلام ٤٩٤
الطبقة المتوسطة : كلة لابن المعتمر ١٠٠٣
طرابلس الغرب : قانونها الأساسى ٢٦٣
طريق الافادة من الفقه الإسلامى ٥٤٩
طلحة بن عبيد الله (ترجمته) ٥٦٠
الطليان : جمع طلى بمعنى الخروف ٤٧٦
طليعة الوحى الإلهى ٢٣٢
طوائف : بهائية وبكتاشية ثم جماعة التقريب
٢٨٣
طور سيناء : مخطوطاته ٥١٦
(ع - غ)
العاجلة والآجلة ٥٢١ كلمة فيهما لسهل بن
هارون ٩١١ .
عباس محمود العقاد : القرآن واللغة ٥٥
عبد الجليل النمر : الحاجة لمدارس تحفيظ
القرآن ٢٣٠
عبد الحليم النجار : نشأة المعاجم اللغوية
وأطوارها (تدوين اللغة) ١٠٨٦
عبد الحميد العبادى : البطولة الإسلامية فى القتال ٩
عبد الحميد المسلول : ثورة الإسلام على القوارق
الجاهلية ٤٦١ ، المسلمون على مفترق
الطرق ٥٨٤ ، وحدة الأمة سييلها الى
النصر ٧٢٩
عبد الرحمن تاج : تحقيق القول فى ليلة القدر
١١٧٥
عبد الرحيم فرغلى : أثر العقيدة فى نفوس
المسلمين ٣٣١ ، كيف بنى المسلمون مجدهم
شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن
الأول الهجرى ٢٤٢
شلى : ذكره ١٢٦
شهداء حرب فلسطين ١١٥٦
شهر التصرفات بين القانون والشريعة ٨١٤
الشيوعية والرأسمالية : موقف الإسلام
منهما ٤٥٨
(ص)
الصاحب بن عباد : كلمات له ١١٤١ ، ١١٦٨
صاحب الجلالة البترول (كتاب فرنسى) ١٢٠
صحوة الأرواح ٣٢٤
صحيح ابن حبان ٦٢٨
صدى الأمانة الثانية ١١١٣
صدى قاصمى مجلة دار التقريب ٦٩٤
صلاح الدين المنجد : تاريخ ابن عساكر ٧٥٥ ،
وقف أسعد باشا العظم ١١٤٥
صناعات أبناء الملوك ٢٧٧
الصوم : أسرار وآذابه ١٠٥٥ ، والتربية
النفسية ١٠٩٧
الصومال : الدراسات الإسلامية فيها ٧٦٨
(ط)
طه محمد الساكت : السنة ١٥٩ دعا واستغاثة ،
٢٩٦ الحب الإلهى ، ٣٧٩ درجات الناس
(كتاب) ، ٤٠٣ حقوق الاكفاء ، ٥٥٣٨
تخبر العالمين ، ٦٦٨ ، ٧٩٧ ، ٩٢٥ التطهير
فى الإسلام ، ١٠٥٥ من أسرار الصوم
وآذابه ، ١١٩٣ من صفات القائد
الطب العرب والسرطان ١٢٨
طباعة السكتب الروسية بأمريكا ١٢٥

- ٤٤٩، الرحمة وآثارها ٥٩٢، أسرار الإسلام في تعدد الزوجات ٨٨١، خير الزوجات في نظر الإسلام ١١١٩
عبد الغنى إسماعيل : النقد الأدبي وتاريخه ١٢١٨، ٩٩٣
عبد الغنى عوض الراجحي : فضل الرسول على قومه ٨٧٧
عبد الفتاح السرنجاوى : مخطوط فريد ١١٤
عبد القادر شيبه الحمد : حقوق المرأة فى الإسلام ٥٠٣
عبد الله أمين : مجلة الأزهر ١٠٢
عبد الله قاسم صقر : ترجمة حاتم الأصم ٣٦٤
الققعاق بن عمرو (كتاب) ٨٩٤
عبد الله المراغى : الحكم النكلى والوضعى ٤٣٥
حقيقة الرجوب والنهى ٨١٨
عبد الله بن مسعود : ترجمته ٩٥٣، ١٠٧٠
عبد اللطيف محمد السبكى : الدين والقوة ١٥٥
طوائف ٢٨٣ ، نفحات القرآن ٥٣٣ ،
١١٦٩ ١٠٤٨، ٩١٨، ٧٨٦، ٦٦٢
عبد المنعم محمد الشيخ : مملكة تقلى ٣٧٦، ٤٨٨،
٨١٨
عبد المنعم النمر : رسول الله فى الطائف ٨٦٠
عبد الوهاب حمودة : نشأة كتب الامالى وخصائصها ٥٥٤ ، ٦٨٧ ،
٨٢١ ، أمالى المرتضى ١٠٧٧ ، نظرية الانساب فى الميزان ٨٦٤ الفكاكة فى الأدب العربى
١٢٤٥
عبد الوهاب خلاف : جهود الفقهاء فى التشريع ٤٦
- عبد الوهاب عبد اللطيف : المختصر فى علم رجال الأثر ٢٤٧
عبد الوهاب عزام : سر نجاح الفتوح الاسلاميه • حديث له عن دستور باكستان ٧٧٣
العدالة الاجتماعية فى الاسلام ٩٥٩
العدل والظلم ١١٦٩
عدنان الخطيب : لغة القانون فى الدول العربية ١١٤٩
العرف المستقل (كتاب لإنجليزى) ١١٩
عرام بن الأصم : أسماء جبال تهامة ٨٨٨
العرب : فضلهم على فلسفة اليونان ٦٢
العرب ايس أجنيا فى بلاد العرب ٨٩٩
العربية : بين الجزر والمد ١٨٨، ١٩٣، فى كمالها ١٩٧، فى باكستان ٣٩٢ ر.ز وحدة ثقافية ومدنية ٥٤٨
عز الدين إسماعيل : العربية بين المد الجزر ١٨٨، الخصومات الادبية وأثرها فى النقد ٦١٩، جهاد النفس تربية روحية ١١٠٣
العقول : خصصها وجدبها ٥٢٦
العقيدة الإسلامية : أثرها فى سمو الإنسان ٢٦
العلم بين الأسانذة والطلاب ١٢٣٩
العلم : لاقية له إلا بفضل الخلق ١٩٨
علم التوحيد : مناهج تدريسه ٦٧٩
العلم المصرى وعلم التحرير ٩٠١
علم النفس الاجتماعى ومشاكل السلم والحرب ١٢٥
العلم والأخلاق ٢٥٢
العلم وعلاقته بالدين ١٠١١
العلماء المسلمون : جهودهم فى ميدان العلوم ٧٣

توسيع الطريق من المسجد ٧١٥ ، مصارف
الزكاة ٧١٧ ، ٩٩٧ ، خطبة الجمعة بغير
العربية ٨٥١ ، الزكاة غير الضرائب ٨٥٢
الصلاة لا تغنى عنها فدية ، نقل رفات
الشهداء والصلاة عليهم ٩٩٦ ، تبرع غير
المسلمين لبناء مسجد ٩٩٨ ، الصوم والفطر

بحساب الفلكيين ١١٠١

الفتح المبين : بيعة الرضوان ١٠٦

الفتوى : أهلها الأولون ١٧٥

الفتوح الإسلامية : سر نجاحها ٥ ، طبيعتها ٢١

الفردية والوعى الاجتماعى ٣٨٣

الغرض العلمى ٨٧٢ ، ١٠٠٧

فريتاج الألمانى : كلكته فى العربية وعلومها ٨٥٦

فصل الدين عن الدنيا لا يصح فى الإسلام ٧٠١

فضل الرسول على قومه ٨٧٧

الفطرة السليمة عند ديكارت ٧٣٥

الفقه الإسلامى : نشأته وخصائصه ١٦٤ ،

٢٧٨ ، ٤١٣ ، افنحوا له أبواب الحياة ،

٤٢١ ، طريق الإفادة منه ٥٤٩ ، أزمته

٦٧٣ ، ٨٠٩ ، ٩٣٤ ، كفانا تقليداً فيه

١٠٦٥ ، ١١٨٨

الفكاهة فى الأدب العربى ١٢٤٥

فلبين : قصة كفاح مسلميها ٩٨٨

فلسطين العربية الإسلامية ٣٤١ ، قضيتها ٥٠٥ ،

والتعويضات الألمانية لإسرائيل ٣٨٦ ، ٧٢٢

فلسفة غاندى الاقتصادية ٢٤٧

الفلاسفة وعلم الكلام ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٨٠٦

فلسفة اليونان : فضل العرب عليها ٦٢

فهارس البخارى (كتاب) ٤٩٩

علوم البلاغة فى الميزان ٣٣٤ ، ٧٠٩

على الخفيف : أسس التشريع الإسلامى ٣٠

على الطنطاوى : الاجتهاد والتقليد ١٧١ ،

علم التوحيد ٦٧٩

على عبيد الواحد وافي : تدعيم الإسلام

للأسرة ٦٨

على مصطفى الغرابى : بين الفلسفة وعلم

الكلام ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٦٠٨

العلمية فى فلسفة هيوم ٤٨١

عمائم حرية المبدأ ٥١٩

العارة الإسلامية : خصائصها ٨١

العمال : حسن اختيارهم فى الإسلام ٥٣٨

عمر حليق : كتب افرنجية فى موضوعات

إسلامية ١١٨

عمر طامت زهران : كفاح مسلمي الفلبين ٩٨٨

كتب غربية عن الإسلام ١٢٥٨

عمر بن عبد العزيز والقرآن ٥٩٦

الغناية بدراسة الإسلام بالجامعات ٣٥٢

عهدان ٢٠٢

العواصم من القواصم (كتاب) ٢٤٤

العيد الفضى للجزيرة العربية (كتاب

انجليزى) ١٢١

غرور ١٢٢٧

الغزو الفسكرى للبلاد الإسلامية ٩٧٥

غوطة دمشق (كتاب) ٦٣٧

(ف)

فاتح مصر عمرو بن العاص (رسالة) ٨٩٤

فتاوى : البهائيون مرتدون ٢٣٨ ، تصوير

المرأة العارية ٢٣٩ ، الهدايا والنذور ٢٤٠

الفوارق الجاهلية : ثورة الإسلام عليها ٤٦١
في مولد الرسول (شمر) ٣٧٥
في يوم الفتح الأعظم ١١١٥
(ق)

القاديانيون : فتنهم في لاهور ٩٠٣
قاصمتان في مجلة دار التقريب ٣٢٩ حداثهما ٦٩٤
قانون حماية الآداب ٧٧٥
القبعة ٢٢٨ ، ٢٢٩

القرآن : واللغة ٥٥ ، صور القوة فيه ١٧٩ ،
المدارس لتحفيظه ٢٣٠ حديثه عن اللغو ٩٤٤
قصة المولد لنافع الجوهرى ٧٦٦

القضاء الإسلامى وضائر المتقاضين ٥٩٥
قطارات الرحمة للانجى فلسطين ٥٠٧
القنقاع بن عمرو (رسالة) ٨٩٤
القليل المتواصل والكثير المنقطع ٤٢٣
قواعد الحكم في مصر بفترة الانتقال ٧٦٩

(ك)

كارثة القرم الإسلامية ١١٤٨
كارديف : مدرسة إسلامية فيها ٧٦٨
كامل محمد مجلان : ذكريات رمضان ١١٠٧

(ك)

الكتاب الذهبى لمهرجان ابن سينا ٨٩٠ .
كتاب وقف أسعد باشا العظيم ١١٤٥ .

كتب غربية عن الاسلام ١٢٥٨
الكتب الفلسفية المحرفة وسبيل إصلاحها ٤٢٤
الكتب في المدارس الأهلية ٨٩٦ .

كتلة حيادية من أمم الشرق ٢٥٨ .
كتيبة خالد بن الوليد ١٥٥ ، ١٢٧٣
كشمير : قضيتها ٢٥٨ ، ٣٨٢ .

كفاح مسلمى الفلبين ٩٨٨ .
كفاما تقليداً في الفقه ١٠٦٥ ، ١٠٨٨ .
السلام والفلسفة ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٦٠٨ :
العمليات العملية في جامعاتنا ٣٨٣ .
كمال أحمد عون : صدق الامانة الأولى ٩٨٤ .
كنوز الاجداد (كتاب) ٨٩٠
كوبرى الفردان : الجلاء عنه ٢٦١
كيف بنى المسلمون مجد ٤٤٩
كيف نتصر على أنفسنا : تنظيم الارادة
والغرائز ٨٠٢

(ل)

اللاسلكى : أول من اخترعه ١٢٩
اللامركزية والإصلاح الاجتماعى بمصر ٦٤٦
لبنان وحركة الإصلاح ١٣٢ . رئيس لبنان
يزور الرياض ٧٧٤
اللعن بالعربية كذب وذنب ٨٤٢

اللفظ والمعنى ٢٠٤ ، ٣٤٤
اللغة الأجنبية في التعليم الابتدائى ٧٦٧
لغة العرب وعلومها : كلفة لفريثاغ ٨٥٦
لغة القانون في الدول العربية ١١٤٩
اللغو : حديث القرآن عنه ٩٤٤

لغويات : ٢٠٤ ، ٣٤٤ ، ٤٧٦ ، ٥٧٧ ،
٧٢٥ ، ٨٤٤ ، ٩٣٩

لما صار المسلمون هدفاً للمستعمرين ٨٥٤
اللاؤا والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٦٣٦
ليبيا : انضمامها للجامعة العربية ٣٨٥
ليلة القدر ١١٧٥

(م)

ما أشبه الليلة بالبارحة ٧٤٤

- ماو ماو (ثورتهم على الانجليز) ٣٨٨ ،
١٠٢٩ ، ٥١٢
ما وراء الآيات (كتاب) ٧٥٨
ابن المبارك : ترجمته ١٢٩١
الاجتماعات الإسلامية في القرن الاول
(كتاب) ٢٤٢
مجلة الازهر ١٠٢ ، ٦٤١
مجمع اللغة العربية ٢٥٢
مجل تاريخ أسبوط للطوبجي ٧٦٣
محادثات الجلاء عن مصر وتوقفها ١١٥١
عبد الدين الخطيب : رسالة الازهر في عهده
الجديد ١٣٧ ، مشيخة الازهر في أكل
ماشاهدانه من عهودها ١٤٦ ، مد العربية
وجزرها ١٩٣ ، تاريخ الامم والملوك
للطبري ٢١٠ ، التعليقات على العواصم من
القواصم ٢٤٤ ، الإنسانية بين النظام المحمدي
والنظام الاسرائيلي ٢٦٨ ، تساح أهل
السنة في الرواية عن المخالفين ٣٠٦ ، قاصمتان
خيبتان في مجلة دار التقريب ٣٢٩ ، من
نحن ٣٩٧ ، الدعوة إلى التقشف ٤٤٣ ،
الماجلة والآجلة ٥٢١ ، حقائق ٦٤٩ ،
صدي قاصمتي مجلة دار التقريب ٦٩٤ ،
أمانتان : الأمانة الاولى هذه الامة
الإسلامية ٧٧٧ ، الأمانة الثانية هذا التراث
العلمي الإسلامي ٩٠٥ من طالب علم إلى
طلاب العلم ١٠٣٣ ، رمضان وشيطانه
١٠٥٩ ، ثقافتنا الحائرة ١١٦١ ، التعريف
بالكتب من الجزء الثاني إلى آخر السنة ،
أبواب المجلة الملحقه بأجزائها ، استخراج
وترتيب هذا الفهرس العام
- المحجر الصحي في جدة ٧٧٤
محمد ﷺ : كيف بنى الامة الإسلامية
٢٦٥ ، موهبته السياسية ٢٧٤ ، الإيمان
بما أخبر به من الغيب ٣٢٩ ، ذكريات
ميلاده ٥٥٥ ، مولده ٣٧١ ، مشعر لابن
الزهرى في مدحه ٤٣٨ ، مشعر لكعب بن
مالك في مسيره من حنين إلى الطائف ٤٤٢
محمد قائد الإسلام ١٢١٤
محمد بن جرير الطبري : تحقيق عن تاريخه
٢١٠ ، عفته ونزاهته ٧٨٢
محمد جمال الدين محفوظ : الجندية في صدر
الإسلام ٦٢٤ ، ٨٥٧ ، ١١١٠ ، محمد قائد
الإسلام ١٢١٤
محمد الخضر حسين (الاستاذ الأكبر شيخ
الجامع الازهر) : كيف تولى المشيخة ١٤٩ ،
حديث له مع مندوب الأهرام ١٥١ ،
لاقيعة للعلم ما لم تلازمه الفضائل الخلقية
١٩٨ ، كلية إلى الطلبة في افتتاح العام
الدراسي ٢٠١ ، استنكار القبة ٢٢٨ ،
أعمار زائفة (شعر) ٣٠٤ ، سماحة الإسلام
٣١٣ ، الميسر وورق اليانصيب ٣١٧ ،
الاحتكار والريخ الفاحش ٣٥٠ ، أكل
رسالات الله ٤١٨ ، موقف الإسلام
من الشيوعية والرأسمالية ٤٥٨ ، ما يجب
على المسلمين لتونس والجزائر ومراكش
٤٩٢ ، المرأة والوظائف العامة ٥٧٢ ،
الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية ٦٠٣ ،
خير نظام للحكم ٦٨٤ ، قضية فلسطين
والتعويضات الألمانية لاسرائيل ٧٢٢

الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامى بالقاهرة
٧٤٨ ، جيل يؤمن بالأخلاق ٨٣٩ ،
لماذا اصار المسلمون هدفا للستعميرين ٨٥٤ ،
التقليد والمحاكاة (ما نأخذ وما ندع) ٩٣١ ،
الازهريون والتدريبات العسكرية ١٠٦٠ ،
الإسلام لا يقر المحسوبة ١٠٦٣ ، الجهاد
أعلى مراتب العبادة ١٠٨٣ ، الاستعمار
يقرب من نهايته ١١٩٧ ، العلم بين الأساتذة
والطلاب ١٢٣٩

محمد خليفة : صحوة الأرواح ٣٢٤ ، الإيمان
يصنع المعجزات ٤٦٥ ، ما أشبه الليلة
بالبارحة ٧٤٤
محمد بن سالم البيهاني : أستاذ المرأة (كتاب)
١١٤٩

محمد السماحي : طليعة الوحي الالمى ٢٣٢
محمد صبرى عابدين : فلسطين العربية الاسلامية
٣٤١ الغزو الفكرى للبلاد الاسلامية ٩٧٥ ،
الأردن والبلقاء في تاريخ الاسلام ١٢٠٠
محمد الطيب النجار : في يوم الفتح الأعظم ١١١٥
محمد عبد السلام القباني : مساهمة الاسلام في
بناء السلام ٢٢٠ ، العناية بدراسة الاسلام
في الجامعات ٣٥٢ ، تبديد المخاوف من إقامة
دين الله ٥٦٦ ، فصل الدين عن الدنيا ٧٠١

محمد عبد القادر : في مولد الرسول ٢٧٥
محمد عبد الله دراز : رأى الاسلام في القتال
١٥ ، شعار المؤمن السمع والطاعة للحق
والعدل ١٧٦ أساس الشعور بالمسؤولية ٥٤٤
تنظيم العلاقة بين الارادة والغريزة ٨٠٢
محمد عبد الله السمان : التربية في القرآن ٧٥٩

محمد عبد المنعم خفاجه : مهاجرون وأنصار ٢١٦
بنو خفاجة وناريخهم ٢٤٦ ، ١١٤٧ ، مولد
منقذ الانسانية ٣٧١ ، ذكريات تهر مشاعر
الانسانية ٤٧٢ ، البلاغة والتجديد ١٠٠٤
الاسلام رسالة الاصلاح والحرية ١١٤٩
محمد عرفة : جهود المسلمين في النحو والبلاغة ٥٨
تحديد الملكية في الاسلام ١٤١ عهدال ٢٠٢
كيف بنى محمد الأمة الاسلامية ٢٦٥ ، أمن
الخير أن تبني الأمة على الخزية ٣٠١ ، علوم
البلاغة في الميزان ٣٣٤ ، ٩٨٠ ، الاسلام
والسلام ٣٩٣ ، الكتب الفلسفية المحرفة
وسبل إصلاحها ٤٢٤ ، خصب العقول
وجدها ٥٢٦ الاشاعات والاراجيف ٥٨٨
بماذا نبدأ ٦٥٥ ، دفاع عن الازهر ٧٨٣
الشرق والغرب وهل يجتمعان ٩١٢ ،
مشكلات التعليم في مصر ١٠٣٩ ، الامم
السعيدة والامم الشقية ١١٦٥ الختان ١٢٤٢
محمد علي النجار : لغويات ٢٠٤ ، ٣٤٤ ، ٤٧٦
٥٧٧ ، ٧٢٥ ، ٨٤٤ ، ٩٣٩ ، نظرات في
كتاب الاموال في الفقه ١٢٥٢
محمد الغزالي : من صور القوة في القرآن ١٧٩ ،
من صور الفداء في الإسلام ٣١٩
محمد غلاب : العلم وعلاقته بالدين ١٠١١
الدين في أوروبا وعلاقته بالعلم ١٢١٣
محمد فتحي محمد عثمان : تطهير الاداة الحكومية
في الإسلام ٤٠٨ ، ٦١١ ، ٧٣٢ ، حقوق
الإنسان في الإسلام ٨٣٥ ، العدالة
الاجتماعية في الإسلام ٩٥٩
محمد فهمي الطهاوي : اختيار الزوجة ١١٣٦٠٧٥٢

وخصائصه ١٩٤ ، ٢٧٨ ، ٤١٣ ، طريق
الافادة من الفقه الاسلامى ٥٤٩ ، أزمة
الفقه الاسلامى ٦٧٣ ، ٨٠٩ ، ٩٣٤ ،
الاموال ونظرية العقد فى الفقه الاسلامى
١٠١٨ ، ١٢٥٢ ، كفانا تقليد فى الفقه ١٠٦٥
١١٨٨ ، صدق الامانة الثانية ١١١٣

المحمل ١٠٢٧

محمود أحمد الحنفى : جهود المسلمين
فى الموسيقى ٨٨
محمود شلتوت : اليوم أكملت لكم دينكم ٤٠ ،
الفتح المبين ١٠٦
محمود فرج العقدة : رواية الحديث وتدوينه
٤٤٦

محمود فياض : حاجة الشرق الى حكم صالح
٣٦٧ ، نظم الحكم فى الشرق ٧٣٩
هل يعيد التاريخ نفسه ٩٦٦
محمود محمد شاكر طبقات : لحول الشعراء
للجمعى ٤٩٤

محمود النواوى : الحديث النبوى ١٨٣ ، ٤٣٠ ،
٥٦٩ ، نظام الإسلام السياسى ٢٨٨ ،
آراء وأحاديث : علوم البلاغة فى الميزان
٧٠٩ . إمام (عبدالله بن مسعود) ٩٥٣
١٠٧٠ ، وابن المبارك (ترجمته) ١٢٦١
محي الدين رضا : الإسلام فى أمريكا ٨٤٨
المخ : مراكز الادراك فيه ٥١٨
المختصر فى علم رجال الأثر ٢٤٧

مدارس التحرير ٦٤٣

مدافن جديدة للقاهرة ٩٠٢

محمد فؤاد عبد الباقي : معجم غريب القرآن
٥٠٢ ، الزواجر والمرجان فيما انفق عليه
الشيخان ٦٣٦
محمد كرد على : غوطة دمشق (كتاب) ٦٣٧
كنوز الاجداد (كتاب) ٨٩٠
محمد محمد أبوشمبة : موهبة النبى السياسية ٢٧٤ ،
حمزة بن عبد المطلب ٤٥٤ ، طاحنة بن عبيد الله
٥٦٠ ، الحكم بما أنزل الله ٨٩٤ ، الصوم
والترية النفسية ١٠٩٧
محمد محمد المدنى : العقيدة الإسلامية وأثرها
فى سمو الإنسان ٢٦
محمد محمود حجازى : التفسير الواضح ١١٨ ،
١٠١٦

محمد المهدي الخالصى : دفاعه عن الاشتياق
٦٩٧ ، رأيه فى مجلة دارالتقريب وكتابه ٦٩٩
محمد نجيب (رئيس مصر) : كلمة له فى التربية
والدين ٣٨٢ ، زيارته الأزهر وخطبته
فيه ٤٨٥ ، خطبته عن مسئولية تحقيق
الأهداف ٥١٤ ، كلمته فى سر نجاح حركة
الجيش ٦٠٢ ، كلمته عن النظام فى المدارس
٦٤٢ ، إعلانه قواعد الحكم فى فترة
الاتقال ٧٦٩ ، كلمة له فى العلم والضابط
٨٩٦ ، نقده تصرفات الاداريين الانجليز
فى السودان ٨٩٧ ، كلمته عن تعاون
المسلمين ٨٩٩ ، أمنيته فى أن تكون الدول
العربية ولايات متحدة ١٠٢٨

محمد يوسف موسى : شريعة الله وشرائع
الانسان ٥٠ ، نقضاة الفقه الاسلامى

- المدخل الفقهي العام إلى الحقوق المدنية ٦٣٤
 المدرسة : وظيفتها والنظام فيها ٦٤٢
 مديرية التحرير ٩٠٢ ، ١١٥٩
 مذاعات في الاسلام (كتاب) ١١٤٦
 المراتع الانسية في أخبار الدولة العباسية
 (مخطوط) ١١٤
 المرأة في ظلال الاسلام ١٢٠٩
 المرأة : كلمات عنها ٩٨٣
 المرأة بين البيت والمجتمع (كتاب) ١١٤٧
 المرأة المسترجلة : كلمة فيها لتأبليون ١١١٢
 المرأة والوظائف العامة ٥٧٢
 المسألة السودانية (كتاب انجليزي) ١٢٢
 المسؤولية : أساس الشعور بها ٥٤٤
 المسجد الأقصى : حمايته ٢٦٠ ، حاجة قبته
 إلى الإصلاح ١٠٢٨
 المسجد النبوي ٨١ ، تجديده ٢٦٠ ، ١٠٢٧
 مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية
 في الهند ٨٩١
 مسلمة بن أحمد المجرى : الرسالة الجامعة ٧٩١
 المسلمون بين يقظتهم وسباتهم (شعر) ٩٨٧
 المسلمون في الحكم الشيوعي ٢٦٤ ، ٨٩٩
 المسلمون في مفترق الطرق ٥٨٤
 المسلمون كما يريد الإسلام ١٨٢
 مشروعات السنوات الخمس بمصر ٦٤٧
 مشكلات التعليم في مصر ١٠٣٩
 مصر : ميزانها التجاري ٢٦٢
 مصر والسودان ٣٨٥
 مصطفى الزرقا : المدخل الفقهي العام ٦٣٤
 مصطفى صادق الرافعي : مشوهو تاريخ
 الاسلام ٩٧٤ ، المتبرجة والمعتدى عليها
 ٩٩٥ ، التجديد في الأدب ١١٨٧
 المعاجم اللغوية : نشأتها وأطوارها ١٠٨٦
 معاكسة النساء في الطرق ١١٥٨
 معجم بأسماء المجرمين ٥١٩
 معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح
 البخارى ٥٠٢
 معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام ٥٠٣
 المعلم والضابط ٨٩٦
 المعنى واللغز ٢٠٤ ، ٣٤٤
 المغرب الأقصى : قضيته ٢٥٦ ، الاعتراف
 باستقلاله ٢٦٣ ، خطاب لسلطانه ٣٨٥ ،
 مذبحه الدار البيضاء ٧٧٢
 المقارنة العلمية بين الشريعة والقانون ٣٨١
 مكتبات في المساجد ٨٩٦
 مكتبة قصر عابدين ١١٥٠
 مكة : إثارها بالكهرباء ٣٩١
 الملكية : تحديدها في الإسلام ١٤١ ، ٣٦٠
 الملكية في الإسلام (كتاب) ٢٤٧
 ملكة ثقل ٣٧٦ ، ٤٨٨ ، ٧١٨
 من الأعماق كلمات لجبران خليل جبران ١٠٣٨
 من ذكريات الميلاد النبوي ٣٥٥
 من صفات الفائد ١١٩٣
 من طالب علم إلى طلاب العلم ١٠٣٣
 من نحن ٣٩٧

(هـ)

هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ٧٦٣

الهدايا والنذور (فتوى) ٢٤٠

هل يعيد التاريخ نفسه ٩٦٦

هندي — هندي ٤٧٧

هواتف اسلامية (كتاب) ٥٠١

ابن الهيثم ٧٨

هيوم : العلية في فلسفته ٤٨١

(و)

واحة البريمي في جزيرة العرب ٨٩٨

وادي الريان ٢٦٢

وحدة الامة سبيلها الى النصر ٧٢٩

الوحدة العربية : كلمة لجمال عبد الناصر ٨٩٩

الورق من فضلات القصب ٥١٨

وزارة الارشاد القومي ٣٨٩

الوزارة المصرية ٥٠٤

الوصاية والاستعمار ٢٦٣

الوطن آلة كبيرة ٥٤٥

ولايات متحدة عربية : أمنية الرئيس محمد نجيب

١٠٢٨

(ي)

الين : أقدم خريطة رمزية من عملها ٩٦٣ ،

اكتشاف ١٢ ألب أثر من آثارها ٥١٦

يوسف ولي شاه : كارثة القرم الاسلامية ١١٤٨

يوم أحد (أبيات لسكعب بن مالك) ٤٦٧

اليوم أكلت لكم ديشكم ٤٠

ابن يونس المصري ٧٧

اليونسكو وثروة العالم الثقافية ١٢٤

يوهان فك : العربية رمز وحدة ثقافية ٥٤٨

من نوادر المخطوطات : أخبار ملوك العرب

البائدة للأصمعي ١١٢٣

مهاجرون وأنصار ٢٩٦

الموسيقى : جهود المسلمين فيها ٨٨

ميثاق اجتماعي للدول العربية ٦٤٤

الميسر وورق اليانصيب ٣١٧

(ن)

النحو والبلاغة : جهود المسلمين فيهما ٥٨

نذير بريطاني لبريطانيا ٦٤٥

النسخ في القرآن ٢٩٠ ، ٢٢٩

نشأة كتب الامالي ٥٥٤ ٦٨٧ ٨٢١ ١٠٧٧

نظام الإسلام السياسي ٢٨٨

النظام المحمدي والنظام الإسرائيلي ٢٦٨

نظرية الانساب في الميزان ٧٦٤

نظرية السبب في النقد ٨٠٩ ، ٩٣٤

نظم الحكم في الشرق ٧٣٩

نقحات القرآن ٥٢٣ ، ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨ ،

١١٦٩ ، ١٠٤٨

نفس الحر : أبيات للشافعي ٣١٨

نفسيات (شعر) ٨٤٣

النقد الادبي : قديماً وحديثاً ١٢٥ ، وتاريخه

٩٩٣ ، ١٢١٨

النقد وأثر الخصومات الادبية فيه ٦١٩

نقد طبعة أحمد أمين لكتاب حي بن يقظان

١١٢٨

نهمش بن حري : أبيات له في نزوع المرء الى

أصله ١١٦٤

نور الدين شريعة : أخبار ملوك العرب البائدة

للأصمعي ١١٢٣

